

عامنا الثاني



بهذا العدد تودع «الاديب» سنتها الاولى وتستقبل السنة الثانية !
ولاشك انك قد شعرت ، ايها القارىء الكريم ، بمدى الجهود
التي نبذلها فنتغلب على العقبات التي لا بد ان تلاقيها الاعمال الادبية
في مثل هذه الظروف .

وليس لنا ما نشكوه ، فان التشجيع الذي صادفناه في مختلف
الاقطار العربية خير حافز لنا على المضي قدماً . وليس ادل على هذا
التشجيع من المساهمة الادبية التي تكرم بها علينا الادباء في كل قطر
عربي ، ولنا امل في المزيد .

فاذا نجحت «الاديب» بان تظل صوتاً للادب والفكر والمبادي .
القومية الصحيحة في الاقطار العربية جميعها ، في هذه الفترة التي
قل فيها الانصراف الى الادب ، فاننا لنعتبر انفسنا جد سعداء . ولكن
ذلك يتوقف عليك ، ايها الاديب العربي ، كما يتوقف علينا .
ويتوقف عليك ايها القارىء الكريم ، ايضاً ؛ فان «الاديب» لم تبلغ ما
بالت في الابعاض تلك المعنوية والمادية ، وهي مكملة سيرها في
طريق التقدم ، معتمدة عليك وحسب .

وفقنا الله الى رضاك والى ما فيه الخير العام .

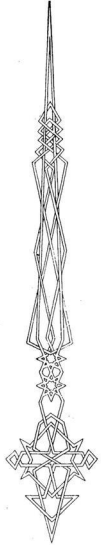
«الاديب»



الحضارة العربية

بطل قنبري حافظ طوفان

عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجميعات العلوم الرياضية
في انكلترا واميركا ومجلس التعليم العالي في فلسطين



ان

من يطالع المؤلفات الحديثة عن الحضارة العربية يرى اراء متضاربة في الاساس الذي قامت عليه ، وفي المناهل التي استقت منها ، ويرى كذلك تجاهل علميا وانتقاصا لقيمتها . فبعض المؤرخين لا ينسب الى العرب أي فضل في خدمة المدنية وينفي عنهم الابتكار ، ويقول انهم لم يكونوا غير نقلة للمعلوم وان نتاجهم العقلي هو من الدرجة الثانية من حيث قيمته واثره في تقدم العلوم ، وانهم كانوا متأثرين بالثقافة اليونانية وقد اتبعوها وفضلوها على غيرها . وهناك فريق آخر من الاوربيين يرى غير ذلك ويقول بان العرب فضلوا الثقافة الهندية وتأثروا بها اكثر من حينها ، وانهم كانوا عالة عليها اقتبسوا منها اكثر مما جاءوا به من آراء ونظريات في العلوم والفنون ، ويرى هذا الفريق في ذلك نقصاً مريباً وناعية الضعف في الحضارة العربية . وقد حاولت ان اعرف الاساس الذي يبنى عليه هؤلاء العلماء اقوالهم واحكامهم في الحضارة العربية ، فتوصلت بعد بحث الى ان الاساس الذي يعتمدون عليه في هذا الشأن هو هذا الاقتباس ، اذ يرون فيه النقطة الضعيفة في تاريخ تقدم العلم عند العرب .

ان اقتباس العرب عن اليونان او الهند او غيرهم ممن سبقهم من الامم لم يكن الا بموجب غريزة في الانسان تقيده عن الحيوان ، فالانسان على رأي الفيلسوف كورزيبسكي (Korzybsky) يأخذ دائماً ما عمله غيره ويضيف عليه ، وان قوة الانتاج في الانسان لا تقوم ولا تقوى الا على نتاج السابقين . وعلى هذا فليس في الجري على هذه الغريزة عيب او مجال للتقص .

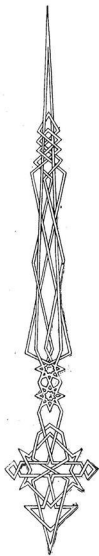
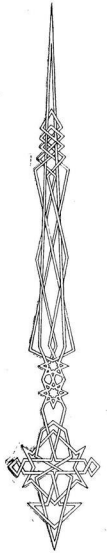
لا ننكر ان العرب اقتبسوا عن غيرهم ، وهذا الاقتباس مما ساعد على تقوية قوى الانتاج فيهم ، وما ادى الى اصلاح الاخطاء التي وجدوها في تراث الامم التي سبقتهم والى اضافة ثمرات ونظريات هامة جعلت العلماء المصنفين يفتخرون بعض العلوم من موضوعات العرب . وتصفح بسيط لتاريخ العلوم في الرياضيات والطبيعية والطب والفلسفة والفلك يثبت صحة رأينا ويريك خصب التريجة العربية بأعلى بيان . قال البارون (دي فو) : « ... ان الميراث العلمي الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان التيام به ، اما العرب فقد حفظوه واقتنوه ... فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للمعلوم فحسب ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد في تحسينها واثابها حتى سلوها للعصور

الحديثة... وقال الدكتور سارطون في إحدى محاضراته في جامعة بيروت الأمريكية :
 «... ان بعض الاوربيين يحاولون ان ينتقصوا من قدر العرب العلمي في القرون
 الوسطى، وذلك بقولهم ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم لم يزدوا عليها شيئاً...
 هذا خطأ... واذا افترضنا ان العرب لم يكونوا غير نقلة، أليس في عملهم هذا خدمة
 كبيرة للعالم ؟ فولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ولكننا حتى الآن في
 قرون وسطى... ويعتقد الدكتور سارطون بان نقل العرب لم يكن ميكانيكياً
 بل على الضد فيه روح وحياة .

هذا من جهة الذين يمينون على العرب نقلهم عن غيرهم ، اما الذين يقولون بان
 العرب فضلوا ثقافة على أخرى فخطئون ، وسنحاول تبين رأينا بإيجاز .

اختلفت اقوال علماء العرب في أي الثقافات فضل العرب ، فقال كاجوري ان
 السرخسي وابا الجرد والحياشي فضلوا الطريقة اليونانية على الهندية في استعمال الارقام .
 وقال كانتور بوجود مذهبين مختلفين (في زمن البيروني) احدهما يتبع الثقافة الهندية
 والاخر اليونانية . وقال احد علماء العرب بان العرب تأثروا بالثقافة اليونانية وفضلوها
 على غيرها . وقال آخرون مثل ذلك في الهندية . والحقيقة انه لم يكن هناك تفضيل ،
 فقد كان علماء العرب في العصر العباسي يترجمون ما يقع تحت ايديهم من المخطوطات
 هندية كانت او يونانية ، فالبيروني ذهب الى الهند وساح فيها بقصد البحث والاستقصاء
 والتعقيب . وكذلك محمد بن موسى بن شاكر ذهب الى اليونان ابتغاء الحصول
 على مخطوطات ورسائل ، وهناك من العلماء العرب من اوجدتهم احوالهم الى ان
 يستقروا من ثقافتين او اكثر وقد مزجوا ما اشتقوا وكثروا من ذلك ثقافة خاصة وعلى
 هذا فلم تكن هناك فكرة تفضيل إحدى الثقافات على غيرها بل جمع العرب الثقافات
 المختلفة التي نالوا منها واخرجوا من هذا الجمع بثقافة تفرهم على غيرهم من الأمم .

وقد لاحظ الدكتور سارطون كل هذا فقال : «... والعرب لم يقتصروا على علوم
 اليونان فحسب ، بل اخذوا عن الهنود وفي كثير من الحالات جمعوا بين الثقافتين الهندية
 واليونانية .. » وسبق الجاحظ الدكتور سارطون فيما قالوا فنجده في كتاب الحيوان
 ما يلي : «... وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحركات آداب الفرس
 فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً... » . يتبين مما مر ان العرب لم يفضلوا
 ثقافة على أخرى ، ولم يأخذوا بإحدى الثقافات ويتركوا البواقي ، افا هم طلاب علم



راحوا يبحثون عنه في الكتب والمخطوطات والرسائل القديمة من يونانية وهندية وفارسية وبشبية وسريانية وسريانية وغيرها ، فقلوا ما عثروا
 عليه الى لسانهم وهو معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة عند سائر الأمم المتقدمة ، وكان أكثر نقلهم عن الفارسية واليونانية والهندية ،
 وقد يكون النقل عن اليونانية أكثر ولكن هذا لا يعني ان العرب فضلوا ثقافة على غيرها . وعلى فرض انهم تأثروا بالثقافة الاغريقية فهل
 هذا يعني ان نية علمائنا الاقدمين تفضيلها على غيرها ؟ وعلى كل حال فالقول بان العرب فضلوا ثقافة على أخرى او القول بوجود مذهبين
 مختلفين احدهما يتبع الطريقة اليونانية والاخر الهندية قول خطأ لا يجب ان يؤبه له وهو من خيالات بعض المستشرقين ، اذ لا يوجد من
 الادلة ما يحققة بل على العكس لدينا شواهد عديدة تجعلنا نغفل ايضاً الى القول بعدم وجود مذهبين مختلفين او مذاهب مختلفة ، وبان المآثر
 العربية في العلم والفن تأثرت بعناصر الثقافات المتعددة التي ساعدت على ايجاد ثقافة عربية لها مميزاتا وخصائصها المتنازعة .

مختارات لدي غول^(١)

بفلم الباس ابو سبكتة



ان

قواد الجيوش الذين يتناولون القلم في سني الراحة والسلام لا يستهدفون عادة سرد الاحداث التي سايروها والوقائع التي عاشوها فحسب بل يستهدفون ايضاً وعلى الخصوص سرد الدور الذي مثله في هذه الوقائع وتلك الاحداث حتى ليكاد التاريخ يتمثل فيهم . وهم الى ذلك يناقشون ويدنون ويستخلصون ، شأن سول ومسامرون ومكدونالد وسوشه وكوفيه سان سير وغيرهم وقدا يند من هذه القاعدة قواد الحقبة الاخيرة الذين كتبوا فناقشوا ودانوا واستخلصوا كفوش وجوفر وسواهما عن اعجزتهم الغسيرة البشرية عن استثناء شخصياتهم واغراضهم حتى ليتوثق مذكراتهم ان تكون اقرب الى دفاع منها الى تاريخ . اما مؤلفات الجنرال دي غول التي جمع منها الاستاذ جان غوليه مختارات بليغة وقيمة واصدرها اخيراً في بيروت فتختلف كل الاختلاف عن تأليف من تقدمه من رجال الجندية ، فهي فضلاً عن قوامها الادبي الرفيع الذي يدرجه بحق في عداد اكبر المنشئين في هذا العصر تشتمل على فضيلة لم يعمده مثلاً في اقلام من سلف من كتاب التاريخ العسكري ، وهي فضيلة المثقف الانساني ، فضيلة الرجل الذي تجسد في شخصه جميع فضائل الامة التي انشأته وجمع مزاياها .

ولقد درس السيد غوليه تأليف الجنرال دي غول في كتاب صغير اصدره لاشهر خلعت بعنوان « تأليف الجنرال دي غول » واكتفى في كتابه الاخير « مختارات لدي غول » بمقدمة متممة وبتوطئة قصيرة لكل من التأليف التي جمع منها هذه المختارات . يقول السيد غوليه في مقدمته « ان هذه القطع المختارة وان تكن

دون الكلمات بمرآحل الا انها ، على ما اعتقد ، ستجمل قراءها على الرجوع الى الاصول نفسها حتى اذا الفوا فكرة الزعيم بكل ما تنطوي عليه من التنوع والاتساع والعمق ادركوا انما ادراك اي حظ كبير اعطيته فرنسا بوقوعها على رجل من هذا النوع في اشأم الكوارث . ويردنا صاحب المقدمة الى الفصول التي عقدها ده غول عن شفاء الجندي في كتابه « فرنسا وجيشها » ليتضح لنا ان زعيم فرنسا الحاربة الارستوقراطي الروح والخلق والمتمد الناضج في التأمل والتفكير ، يعرف ان التاريخ انما يتكون من اهواء الناس وآلامهم وان الناس هم الذين يعملون التاريخ بما يقضي حقاً على جميع المطامع المستاثرة ، وفي هذا الكتاب « فرنسا وجيشها » ، هذا الكتاب الذي يشتمل على فصول خلية بزعم عريق في الانسانية والذي صدر في العام ١٩٣٨ ، اي في السنة التي قطعت فيها اتفاقات مونينخ الفاجعة الدليل على ضعف الجيوش الديوقراطية حيال القوة الالمانية الجديدة ولكن سوء الطالع ابرى ان يصنى الى ما في هذه الفصول من التحذير - في هذا الكتاب يتبسط ده غول في ابراح الفكرة التي الماع اليها في احد فصول كتابه « نحو الجيش المحترف » وهي ان تاريخ فرنسا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ جيشها . قال : « ان حسن النية لا يكفي في الحرب بدون القوة المادية » . وفي جميع الاحوال التي انتقطع فيها التعادل بين الهدف والوسائل ، اي في جميع الأحوال التي لم يتوافرها لتدعيم قضيتهم فرنسا الاداة عسكرية ضعيفة سواء في كرسى او في سيدان ، في شارلوى او في مارك

على كيان الوطن نفسه .



الجنرال شارل دي غول

تمة سبيل الى ذلك ثم مهاجمة العدو على كامل الخط بدون تقيد ، فيتم له الصمود على الخط مهما كانت الامور . وهو لن يستدرد في التضحية بمياهوز ، وفي سحب قسم من القوات التي تقايل في اللورين ، والمخاطرة بمجسدة فردون . وسيم اذنيه عن تفجيع الزرراء ولا يعبأ بمخاوف باريس . واذا يد الشرف عادلا عن الانتصارات المحلية فارضاً سلطته يثبت الارتباط بين الجيوش بحيث تتحول جميع هذه الجيوش عند اول امر يصدره وتضرب دفعة واحدة . »

ويرد ده غول هذه القوة التحريرية في القائد الى السجبة . قال : « . . . ولما كان استطاع الاسكندر ان يفتح آسيا ، والقيصر

ويستطرد السيد غوليه في مقدمته الى القول بان هذا الجيش الذي يخضعه الجنرال ده غول باحترام يتجاوز كل حد لا يهيمه يجد ذاته فحسب بل يهيمه ايضاً وعلى الخصوص لان مصير فرنسا مرتبط ارتباطاً متيناً بمصيره . ولذلك بحث دي غول في كتابه « فرنسا وجيشها » في ما هي احسن المزايا التي يجب ان يتحلى بها الجيش ليتمكن من ضمان استمرار فرنسا في الحرب المقبلة التي لا بد من وقوعها . وخلص الى انها « العقل الراشد وقوة التمييز بدلا من القواعد او العادات المتبعة . » وقد عقد تأييداً لرأيه هذا فضلاً رافعاً عن جوهر في المارن قص فيه ان هذا الاخير رأى خطئته قد انهارت بسقوط الاكزلز ، وامتداد حركة الالتفاف العدة الى شمالي الموز ، ووجود جيش الاحتياط الالماني في الخط الاول ، وفشل الهجوم الفرنسي في اللورين والاردن ، وتراجع لارتيزاك وفرنش الذين طلى عليها العدو بعد شارلوى . ولم يكن يصل البريد ويقرع التلغون ولا يضع الضباط تقاريرهم الا ليحموا اليه نبأ جديداً من الانباء المشؤومة . وكانت موج قد استسلمت والانكليز يستعجلون في تراجعهم ، ولم يكن بالامكان التمرکز على

نهر الموز ولا على الاين ، فهل بالامكان التمرکز على المارن ؟ قال : « كان من حسن حظ فرنسا ان جوهر الذي اساء اعمال السيف لم يفقد اراتنه . فقد آمن في بادى الامر بتعاليم المدرسة اياناً كافيّاً ليحمله على اعتدائها . ولكنك لما تبين له ان النجدة لن تصد الا عن نفسه تجرد من القواعد واقسام شخصيته القوية في وجه الحدث . وقد اتفق ان هذه الاخيرة كانت اصلح للاندط على بلابة الساعات المشؤومة بالعقل الراشد وبالتثبت وحتى بطبيعة جسدية لاتتأثر بتقلب الاحوال . ففي يوم شارلوى نفسه قدور خطته وهي تقوية اليسار دون مصالحة اليمين ورفض القتال ما دام

الذي ستمت به الحرب المقبلة . على ان هذه الفلسفة العسكرية التي ابدعها حاول بدون جدوى ان يترك اقطاب الجندية الفرنسية ورجال العلمان على الاعتراف بها وامتنانها ثم اثبت الاختبار فيا بعد انه هو المصيب وانهم هم المخطئون . وقد قال السيد غوليه في مقدمته : « انه لمن الاور والفاجعة ان يرى هذا الرجل الذي اعتدى في قلبه وفي ذكائه الى السر الذي يتوقف عليه خلاص فرنسا ومنه خلاص اوربا يصطدم في كل مكان بدعوى هؤلاء . ولابالاة اولئك . فروح من هذا المعدن تنزل في زمن يسوده المخططات الذكاء والعقل ، ولكن هذه الروح لا تبث في اوقات الشدة وتحين تحور قوى الجميع وتلاشى ان تجد نفسها هي وحدها في مستوى الظروف واحداث الزمان . »

ولن نجد في هذا البحث المختضب سبيلا الى اظهار جمال اللغة والاسلوب الذي تفرقت به هذه المختارات المفيدة . ونحشى اذا نحن عدنا الى نقل شي . منها الى الانسان العربي ان نفقده تلك الروعة الانشائية التي لا يهتدى الى مصفى بابها الا في الاصل . فهذه المختارات حافلة بكل رائع في الصياغة وفي سمو الفكرة ، وجمال التصور والتصور . واذا كان الشاعر هو الرجل الذي يجمع في نفسه ما تضطرب به نفوس الآخرين من نوازع واحاسيس ويعيد اغراجها بقوالب مشرقة من البيان فالجنرال دي غول ليس معلقا فحسب بل شاعر ايضا . ففي الفصول المختارة عن « فرانسوى جوزيف » و « سيجية التائد » و « نفوذ » و « الروح العسكري » و « جنود الجيش الكبير » و « غامبيتا بنفذ الشرف » و « لوفوى » و « كارنو » و « امشولات سيدان » وغيرها نفوس الاديب وحس الشاعر وخبرة العالم .

واننا لعلى اكبر من اليقين ان طلاب المدارس على اختلاف درجاتها يحتاجون الى هذه الفصول المختارة التي تشي في حلبة واحدة مع اجمل ما خرجت ادمة الزوابع من رجال القلم .

اباس ابو شمس

غالبا ، ولا كان غليله اثبت حركة دوران الارض ، ولا اكتشف كولمبس اميركا ، ولا غوز ريشليو الساطلة الملكية ، ولا وضع يوال قواعد الدوق الكلاسيكي ، ولا نظم كارنو النصر ، ولا اسس نابليون الامبراطورية ، ولا شق ده ليبس القتال ، ولا حقق بسموك الوحدة الالمانية ، ولا روم بيتان الوحدة الفرنسية في صميم الحرب ولا انتقد كايانصر الوطن لو انهم انصاعوا الى نصائح دراية سافلة او الى الهامات تواضع ضعيف . بل ان الذين قاموا بجلال الاعمال كثيرا ما اضطروا الى صرف النظر عن مظاهر طاعة كاذبة ، كلبسيه في سياستبول فقد كان ينجي في جيبه بريقات الامبراطور التهديدية كيلا يقرأها الا عند نهاية الامر ، وكلازيريك الذي انتقد جيشه بعد شارلوى بتوقيفه القتال بالرغم من الاوامر الصادرة اليه ، وكليوتي الذي احتفظ بكل مراكش في العام ١٩١٤ بالرغم من تعليمات رؤسائه . وبعد معركة جوتلانند البحرية والفرصة التي اضاعها الانكليزي في تخريب الاسطول الالمانى قال لورد الايرالية الاول باسف وهو يتناول تقرير الايرال جليكو : « انه متصف بكل مزاييا نلسن عدا واحدة فهو لا يعرف ان يعضى » . وبديهي ان فوز عطا . الرجال يتطلب مزاييا متعددة . فالسجية اذا لم يرافها شي . لا تحلق الامتهورين او عنيديين . ولكن اذا فكسنا الامر رأينا ان اسمى مزاييا الفكر ليست كافية ، فالتاريخ يرتد الى امري . لعبدت اعمالهم من جراء افتقارهم الى السجية . فهم وان اتصفوا باند المواب يلبشون منكشين في الطبقة المتوسطة ، يمدون الخدمة او الخيانة ايا اعادة ولكنهم لا يبدعون شيئا . ويختلطون بالاحداث من غير ان يطبعوها بطابعهم ، وهم متهورون ولكنهم ليسوا عظاما ، ومفيدون ولكن بالامكان الاستغناء عنهم . »

وهكذا يتي ده غول الاذعان للقواعد المتبعة في تسيير دفة الحرب ، فليس في الحرب نظام عام بل ظروف ومفردون لا غير ، فانجح ضد بنيديك وبازين اجهله جوفر .

ومند العام ١٩٣٠ ادرك الجنرال دغول الطابع الميكانيكي

برعم الورد

للكنوز ميب ثابت

يا برعم الورد الذي لا يمي
نُشرت في الصبح على روضتي
تذبل من قبل سقوط الندى
وكالرضيع الطفل من شدة
تموت فوق الغصن من وردة

*

عمرك عمر الصبح في اوجه
وجيدك الناعم اذ يلتوي
كجيد طفل هل في بكرة
وفي شذاه الطيب الاضوع
ويخفي في جدول مسرع
وعاب في الليل ولم يرجع

*

يا برعم الورد على كفه
شممت منك الامل فوح المنى
الملم القبله عن مبسم
تموت احلام الصبا الربيع
يطوف حول البرعم الابدع
مضرج بالاحمر الاسفع

*

يرتل البلبل عند الضحى
ويوقظ الكون على صوته
صلاته في العالم الاوسع
وانت ذاوي الرأس لم تسمع

*

نثرت احلامي على برعم
فهبت الريح على هولها
وقامت ذاك الذي صنته
في الورد من روض المنى المرع
وولولت في عاصف زعرع
في جنتي الخضراء في مربعي

*

يا برعماً قد لونه السما
تطير احلامي بالوانها
تبحث في الدنيا وما تهدي
بقطرة من قاي المفعج
وحزنها في مهمه بلقع
وانت في عيني وفي مسمعي

مهنتي وائرها في بناء الأمة

٣

المعلم

سلم عبدالله الشوق

كنت

خارجاً من المدرسة ظهر يوم من أيام حزيران الحارة عندما استوقفتني رجل ، اذكر اني اجتمعت اليه مرة او مرتين في حياتي ، وحل ما اعرفه عنه انه اممي طيب القلب متوسط الحال من عامة الناس .

قال : أود ان استشيرك في قضية يا استاذ !

قلت : تفضل !

وانتجيتنا ناحية من الرصيف ، وشمس حزيران تلفتنا باسعتها المحرقة ، فاندفع بمحذتي في استشارته غير مكترث للعرق الذي اخذ يتصبب من وجهي !

قال لي بعد مقدمات طويلة : لقد انهي ولدي دراسة الابتدائية في جامعة بيروت الاميركية فهل ترى ان يتمم دراسته الثانوية ايضاً ؟

فأجبته : ولكنني لا اعرف المحروس ولدكم ولذلك يصعب علي ابداء رأيي في القضية . وبالنسبة قل لي هل هو ذكي ؟ وهل لديه ميل الى متابعة التحصيل ؟

— الحق ان ولدي ذكي ومجتهد وراغب في العلم !

— اذا كان الامر كذلك ، فلا بأس بان يتابع تحصيله الثانوي ! اطرق بمحذتي قليلاً ثم قال بلهجة صادقة :

— سأعمل بنصيحتك يا استاذ ، وسأدخله القسم الثانوي ، فإذا نجح فيها فخير ، وان لم ينفع لشي . « علمناه » معلماً ! .

هنا تكلم وجهي بالعرق البارد . لقد كانت الصدمة عنيفة حقاً ، فغمرت في وجه خاطبي اقرا في ملاعبه فلم اجد فيها اثرأ لتتوهم او المداعبة . كان محذتي يخاطبني بنجد وصدق وسذاجة بريئة !

شكرتهم واستأذنت وتابعت سبيلي وكلماته ترن في اذني

« اذا لم ينفع » علمناه » معلماً ! »

التعليم مهنة الفاشلين في الحياة . هذا هو الرأي السائد عند عامة الناس في بلادنا ، وقد اعرب عنه هذا الرجل الساذج بمتهمي السذاجة ، وهو رأي قديم تجد له شواهد كثيرة في كتب الادب . رحم الله ابا عثمان الجاحظ وغفر له ، لم يحشر المعلمين مع الخمى والمغفلين فروى من صفاتهم الشيء الكثير وافرد لذلك كتاباً خاصاً ؟

ولكن مصاحبة الاذاعة في راديو الشرق ترى غير هذا الرأي ، فهي احسن ظناً بنا — معشر المعلمين — من محذتي ومن الجاحظ ، وهي تذهب الى ان المعلم اثرأ في بناء الامة وقد رغبت الي ان ابين هذا الاثر في هذه الدقائق الممدودة على رأي صديقي المستشرق المسيو ديون — والممدودات على رأي صديقنا الدكتور فياض !

ولكنني اقول : ان المعلم هو الذي يبين هذا الاثر لان شدة قصيدة شوقي : قف للعمل ووقف التبرجلا كاد المعلم ان يكون رسولا

أرأيت اشرف او اجل من الذي يبني وينشئ . انفساً وعقولا فالمعلمون — جميعهم — يرون رأي شوقي فيهم ويعتقدونه ولذلك فانك تجد هذه القصيدة منتشرة انتشاراً هائلاً بين طلاب المدارس يحفظونها ويوردونها في مناسبات كثيرة . ما اكثر الحفلات المدرسية التي حضرتها وقد تصدرها المعلمون فيقف احدهم الطلاب وينشد هذه القصيدة انشاداً حساساً رائعاً والمعلمون جلوس يهزون رؤوسهم اشارة الموافقة على اقوال الشاعر وامارات الاطمنئان والرضى بادية على وجوه بعضهم وامارات النعمة بادية على وجوه البعض الاخر الذي يرى ان شوقي لم يقلق الا بعض الحقيقة ! . المساكين ، لقد صدقوا ! . وصدق الجاحظ ! .

يعتقد الاستاذ هورن الاميركي ان العوامل التي تشترك في بناء حضارة الامة خمسة : وهي البيت ، المدرسة ، الحرفة ، الدولة ، المنشآت الدينية . ويرى الاستاذ هورن ان البيت والمدرسة عاملان

لا ينفصلان الواحد عن الآخر وان كلا منهما متمم للثاني وانها
الاساس في بناء الامم . فلنسا معالين اذا قلنا معه ان بناء الامة
قائم على البيت والمدرسة او على الام والمعلم . وهذا ارى من
الضروري ان اميز بين ما يفهمه عمامة الناس في المعلم وما يفهمه
المعلم الحديث : ليس المعلم ذلك المسكين الذي يعني عمره في نقل
التراث العلمي من جيل الى آخر فيحشو ادمسة الطلاب بابنا . أن
واخواتها وقاعدة النسبة في الحساب او قواعد لغة اجنبية وانما
المعلم هو ذلك الرجل الذي يكون شخصية الطالب خلقاً وعقلاً ،
ينمي فيه الخصال الحميدة ويغرس فيه صفات الرجولة الكريمة وينقل
اليه العلم بشكل نير يوسع مداركه وينضح المجال لقراءة الابدائية
الكامنة بالظهور . فالتعليم شي ، والتربية شي ، آخر ، وعلى هذا
الاساس نستطيع القول ان المعلم في بناء الامة ضئيل جداً اما المربي
فله الاثر الاول في خلق الامة وتوجيه افرادها نحو شئها العليا .

المعلم بمعناه الصحيح صاحب رسالة وعمله عمل روحي مقدس
وهو في مرتبة الانبياء والمصلحين ، وقد اخطأ من وضعه جراً في
زمرة المرتزقة من العمال . ألم يكن موسى والمسيح ومحمد عليين ؟
أليس الله عز وجل مبدع هذه الكائنات معلماً ؟ .

سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الاولى
ارسلت بالانوار امة موسى وشدأ وابن النبيل فعمل الانجيل
وفجرت بنور البيان محمداً فسقى الحديث ونال التزييل
خروج الرسول العربي محمد (ص) ذات يوم فرأى مجلسين في
احدهما اناس يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه ، وفي الثاني جماعة
يعلمون الناس وانما بعثت معلماً . ثم عدل اليهم وجلس معهم .
وما كان سقراط العظيم الا معلماً يؤدي رسالة عليية نبيلة
ورسالة خلقية انبل واعظم شأناً من الاولى ولقد استشهد في سنبل
الرسالة الثانية .

سقراط أعطى الكأس وهي منية شفتي محب يشتهي التقبيل
عرضوا الحياة عليه وهي غبارة فأبى وآثر ان يموت نبيلاً
ان الشجاعة في القلوب كثيرة ورأيت شجيمان العقول قليلا
أشال هؤلاء المعلمين هم الذين تقصدهم في حديثنا وهم اصحاب
الاثر في بناء الامة . وهنا زى ان نوضح قليلاً علاقة المعلم بالمصلح
فقد يكون المعلم مصلحاً وقد لا يكون على ان عمل كل منهما لا
ينفصل عن الآخر ، فالمصلح هو الذي يوسع الخطط التنظيمية
الكبرى للامة والمعلم هو الذي ينفذها وينشئ الشباب عليها ويثبت
فيهم الروح الذي ارادته المصلح .

ما أثر المعلم في بناء الامة ؟ أثر المعلم في بناء الامة اساسي شامل
كل الشمول ، فالمعلم بالإضافة الى أثره العلمي الصرف - وهذا
ثانوي جداً في نظرنا - ذو أثر روحي ، فهو يكون في الشباب
صفات خاصة وصفات عامة مشتركة . فاما هذه الصفات الخاصة
فتتلخص في كلمة الرجولة باوسع معانيها : المعلم يتلقى في الشباب
روح الزينة والجد والثبات والاعتدال على النفس والصدق والجسارة
الادبية والتضحية والاخلاص والعزة والكرامة ويعودهم الدقة
والملاحظة والانتظام والالطف وحسن المعاشرة فاذا كانت هذه
الصفات الخاصة متوفرة فيه طبعت في الشباب عن طريق القدوة
الحسنة والا اخرج للامة شباباً حائراً خجلاً متواكلاً تعم به اذنية
الاهل والفساد .

فهو الذي يبني الطابع قويمه وهو الذي يبني النفوس عدولا
ويقيم منطلق كل اعوج منطلق ويؤبره رأياً في الامور اصيلا
واذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضئيلا
واذا المعلم سا لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر - حولاً
واذا اتى الارشاد من سبب المربي ومن الغرور فسمه التضليل
واذا اصيب القوم في اخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا
أما الصفات العامة المشتركة فهي : الاتحاد ، والتضامن ،
وحب الوطن ، والتضافر على خدمته ، والتضحية في سبيل المثل
العليا التي تدلن بها الامة وهذه كلها بديهيات يعرفها العمامة
قبل الخاصة .

هذه الصفات الخاصة والعامة لا تأتي الا عن طريق المعلم ،
واذا وجدت في امة ما كان بناؤها قوياً وكيانها ثابتاً وإلا فهي
خليط من المحلوقات الحية تعرض على هامش الحضارة العالمية .
يقول « لايتنير » مشيراً الى خطر المعلم في بناء الامة :
« أعطوني زمام التعليم في اوربا عشرين عاماً وانا اجعل منها دولة
واحدة متراصة البنائن ولو سرحتنا طرفنا في الامم الراقية القوية
لوجدنا بناءها الشامخ من صنع المعلمين . هذه فرنسا ام الحريات
أليس شبابها الا من نتاج لسانتة من امثال ذلك المعلم الذي وصفه
الفونس دوديه في قطعه الخالدة « الدرس الاخير » La dernière
olasso وهذه بريطانيا التي خلفها الجبار بما فيه من ثبات وصمود
وقوة اعصاب ولبد النظام التعليمي الانجلوسكسوني الذي عرف
الفرنسيون اعيمته في مدرسة « روش » التي انشئت في فرنسا على
غرار النظام الانجلوسكسوني
ثم هذه تركيا الكبالية ، تركيا الفتية التي اخذت خير ما في

الشرق والغرب وجعلت نفسها كياناً دولياً تجسدها عليه امة كثيرة،
هل هي وليدة الانجيلية والحلم والسراري ؟ ام هي وليدة المصلح
انثورك واعوانه المعلمين ؟

وهذا العراق القطر العربي الشقيق هبطه فيصل الاكبر وكان
قريبة للجهل والانشقاق فلم بين مستشفى ولا برلماناً ولكنه بسى
داراً للمعلمين واخذ يتخرج منها في كل عام نحو ثلاثمائة معلم يملكون
رسالة فيصل الاصلاحية الكبرى ويمعلمون من العراق الفتى :

امة تنشى الحياة وتبنى كتيبا. الابوة الامجاد

وعلام تتحدث عن الغرب والحيوان فلتتكلم عن انفسنا : هل
نحن امة وهل لدينا بناء قومي صحيح ؟ كلا - وهنا يظهر اثر المعلم
في بناء الامة - كلا لان ليس لدينا نظام تعليمي تهذيبي صحيح
وجد ولا اداة صالحة (اي معلمون) لتطبيق هذا النظام فبا اذا
وجد . لا تعجبوا اذا لم نكن امة متواصة البنين ، بسل اعجبوا
فيما لو كنا امة اذ يستحيل ايجاد امة من غير طريق التربية الوطنية
الموحدة الشاملة للبنين والبنات اي عن طريق المعلم الذي يؤدي
هذه الرسالة .

تسكاد مهادنا العلمية - بما فيها من معلمين واساتذة - تشبه
مخرج بابل فهي متباعدة الاغراض والالوان والطواريع وكثير من المعلمين
لم يحضر تحضيراً مسلكياً صحيحاً ، وليس للتربية والتهذيب المكان
الاول في اكثر المعاهد واذا كان للمدارس هدف معين ظاهر فهو
حشو اداة الطلاب بالمعلومات استعداداً لسباق عظيم يجري آخر
العام : سيرتيفيكاس ، بريفيه ، بكالوريا .

اما الضحايا فثلاث : الشباب ، والمعلم ، والوطن .

اما المعلم فلا شك انه ضحية مهيئة عاقبة جاحدة كافرة ، ضحية
نظام اجتماعي فاسد ، المعلم اشبه شي ، جسر يصل بين ضفتي نهر
وعليه تمر افواج الناس من ظلمات الجهل الى انوار العلم ، وكل من يزر
على هذا الجسر يصل الى الضفة الثانية . الجميع يصلون والجسر
باق في مكانه لا يتحرك . واخيراً يتداعى هذا الجسر وتنتزع
اركانه فينهار في الماء . ولا يشعر به احد .

ويتنقل الناس الى جسر آخر .

قف للمعلم وفسه التيجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

عبدالله مسعود

تعجبين من سقعي صحتي هي العجب

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يصدر قريباً

دي غول الاديب

تأليف جان غوليه

نقلته الى العربية مجلة « الاديب »

من مسرورات الاديب

نمذ ٢٥ غراً بنابا

التجارة

بضم حى الدبره الصولى

حسبك ان تدبر مفتاحاً ليعمورك الضياء، وان تتناول آلة صغيرة لتتصل بالبلدان النائية وتحدثها وتحدثك وان تضغط زرّاً لتستمع الى متحدث بكل لسان، ومغن بكل لحن، وهم يتحدثوننا اليوم عن آلة جديدة سوف تحمل لك الصور كما تحمل الصوت فنسمع غداً وزى. اما بعد غد فلست ادري بماذا سنشاركهم، وما يخلق ما لا تعلمون. ان مهمة رجال الاقتصاد هي ان يرفعوا مستوى المعيشة يوماً اثر يوم وان يؤمنوا للاكثرية السائقة من الناس مستوى يكفي الحاجات الضرورية ويتجاوزها الى الحاجات التي تجعل الانسان انساناً. فالعدل الاجتماعي يقضي بذلك وسن الانسانية الجديدة تتطلبه ومن الواجب ان تثير لدى المواطنين شهوة الشراء الى اقصى حدودها كما يقول «فورد» المثري الاميريكي الكبير لان مجاري الاقتصاد الجديدة التي تؤمن بالانتاج الواسع النطاق تؤمن ايضاً بالاستهلاك الواسع النطاق وتشجع الاستهلاك بالاعلانات على اختلاف انواعها وصورها وسبل الشراء المثيرة التي طالت بها على المستهلكين فسهلت لهم شروط الدفع على اقساط ضئيلة وطويلة الامد، اذ التوفير في هذه الايام جعرة لا تقفّر لان مرتكبها يوجد الحلال في التوازن بين الانتاج والاستهلاك واذا وجد هذا الحلال منينا بالشقاء والبطالة.

والتجارة هي التي تضع المنتج والمستهلك وجهاً لوجه، وهي التي تنقل الحاجة التي يتطلها المستهلك من مكانها القدي الى حيث يشاء، وهي التي تثير شهوة الشراء لدى الانسان وهي تتضمن تاريخ المدينة من الوجهة التجارية فندرس زراعة الامم وصناعتها وطرق المواصلات قديماً وحديثاً ومراكز التجارة وكيف انتقلت من مكان الى مكان ونشوء الاستعمار والتوسع وغو الشركات التجارية المختلفة وتنظيم الرأسمال واثار الرق والاكتشافات الجغرافية والاختراعات التي زادت في الانتاج ناهيك ان التاريخ السياسي لاية امة من الامم متشابك الى حد بعيد مع تجارة هذه الامة وطالما كانت التجارة الحافز لعقد الميثاق السياسية والعالم الرئيسي لاعلان الحرب والداعي الى شد الامم بعضها بعض وضع قوانين دولية يحترمون الجميع.

التجارة هي مهنتي التي ارتضاها لي سيدي ومولاي المرحوم ابي ولم يكن لي يد في هذا الاختيار، بل اعرف اني دخلت مدرسة الحقوق في باريس منذ عشرين سنة وزحمت ادريس هذا الفرع بنشاط ولذة.

وفي صبيحة ذات يوم هبط الى العاصمة الفرنسية وكان تلجراً نشيطاً خبير التجارة واتقن اساليبها، ورجلاً لم يعرف عنه انه غش او كذب او نشد الرزق غير الحلال، ورغب الى ان اقطع قساة المائش وان اصحبه الى لندن حيث اتفق مع شركة انكليزية كبرى ان يبيع منها المحلات العظيمة والصوفية والحمرية التي كان يعمل فيها وان يضع خدماته وخدمات شركائه تحت تصرفها لقاء راتب معين ونصيب معروف من الارباح.

وبعد ان وقع اني للعقد بينه وبين الشركة الافريقية التجارية المحدودة في لندن، وكنت اقوم بمهمة الترجمان بينه وبين اقطابها طيلة شهر او يزيد، اقام اني حفلة في تول «الترا اند هوتيل» في ساحة «ترافالغار» او الطوفان الاغر ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة دعا اليها نفراً من رؤساء الشركة والاصدقاء العرب، ونعمنا بيلة لا تنسى عرفت في المزمع الاخير منها ان هناك مؤامرة تحبك بين ابي وبين الاصدقاء الانكليز والعرب واني اصبحت تلجراً سواء اراقت لي الفكرة او لم ترق. فسلت امري الى الله وشجرت عن مساعد الحد وزلت الساحة بقود خطاوتي فيها اب رحيم شفيق جمع الى الذكاء. وبعد النظر الفضيلة وحسب العمل.

للانسان المتبدن حاجات كثيرة منها الضروري ومنها الكمالي. فالضروري هو الطعام والشراب والكساء، والمألوف، والكمالي هو طرفة تفتتها، وسيارة فضة تملكك الى حيث تريد وكتاب يكسني رغبتك الى العلم والمعرفة، ونحن لا نقدر ان نحصل على هذه الثروة الا اذا علمنا. وما من ربان الامة كلما كثرت حاجاتها لاسيا الكمالية منها صعدت سلم الرقي واوغلت في المدنية. اما الامة التي تغفل حاجاتها محصورة في نطاق ضيق كالطعام والشراب والكساء فهي امة متأخرة لم تتطور التطور الاجتماعي الكافي الذي يجعلها تنعم بنعم الحياة وما اكثفها في هذه الايام!

قلنا ان تاريخ التجارة هو تاريخ المدنية وهو ينقسم الى خمسة عصور :
اولا - العصر الذي ادى الى انحلال الدولة الرومانية عام ٤٧٦

بعد المسيح .

ثانياً - العصر الذي امتد من هذا التاريخ حتى القرن الخامس عشر وشاهد الاكتشافات الجغرافية .

ثالثاً - العصر الحديث الذي اختتم باختراع اول آلة بخارية عام ١٧٦٩

رابعاً - العصر البخاري الذي برز فجره باختراع «وات» المدهش .

خامساً - العصر الكهربائي الذي وضع في ثلثائه اول سلك في اعماق المحيط الاطلسي عام ١٨٦٦ .

لو احببنا ان نلقي نظرة على نشأة التجارة الاولى قلنا ان وادي النيل ولبنان وسوريا والعراق كانت ساحاتها الاولى . فالعرب والفينيقيون والاعريق كانوا يهبطون مصر ويوردونها بالبريق والجلود والصمغ والخشب والتوابل والتندب والمعبر والبخور الى ان ابنت سوق التجارة في مصر كما انها ازدهرت حول دجلة والفرات فشهد التاريخ بلداناً كاور لايرسا تتبادل السلم مع سوريا وارمينيا وخارج فارس والمند والصين وكان هنالك مؤسسة مالية تقوم مقام المصارف في هذه البلدان .

وقد قلع اسم « نينه » وبابل في العراق وكانت طرق الملاحة كلها بين ايدي الفينيقيين كما كانت طرق المواصلات العربية بين ايدي العرب واليهود فكانوا كلهم في خدمة بابل لانها كانت مركز الصناعة لاسيا بعد انهار « صور » وكانت تصدر الى العالم الاقشة القطنية الزاهية الالوان والصوفية والكتانية والسجاد والانيه البرسلانية والزجاجية الشفافة المختلفة الالوان والروائح العطرية وغير ذلك من الاصناف التي يتعشق لاقتنائها العالم المتمدن ولنا نغالي اذا قلنا ان كثيراً من الامم تعلمت اغلب صناعاتها من « بابل » التي كانت تحتل المركز الذي تحتله لندن ان نزيروك في عالم المال اليوم وقد اكتشفت مؤخراً سجلات بعض البنوك في « بابل » دلت على المقام الرفيع الذي كانت تتمتع به هذه الحضارة .

وما لاشك فيه ان الفينيقيين الذين كانوا يعيشون على هذا الساحل الذي نعيش فيه اليوم كانوا اعظم امة علمت لرفع مستوى التجارة في الشرق القديم فهم قد وجدوا على هذا الشاطئ البقعة الطيبة والجسر الذي يصل الشرق بالغرب .

لقد دعت هذه الطبيعة الحرة الفينيقين الى بناء السفن وركوب البحر والاخذ بصناعة صناعات كثيرة كانوا يغدونها بالمواد الاولى

عبر البحار .

كانت صيدا او صيدون الثغر الهام الذي ملك زمام التجارة طيلة قرون فقد قفز ابتازاه الى قبرص حيث وجدوا عروق النحاس والفضة والحديد وخشب الصنوبر والالارز وحبطوا « زودس » وكريت وغيرها من الجزر المتاخمة وتزلوا شواطئ اليونان وتوغلا في البحر الاسود وسيطروا عليه .

وعندها بدأ تخيم صيدا بالافول بدأ تخيم صور بالعمود فتوجه الصوريون غرباً وتزلوا اسبانيا واسسوا فيها « قادش » و« طاروش » وغيرها من المواني التجارية وتوجهوا الى « صقلية » وساردينيا وجنوب فرنسا وتخال افريقيا سيماً ورا المواد الاولى التي تحتاجها صناعة التاتيل النحاسية والالانية الجملة التي تغردوا بصنمها حتى اصبحت صور اعظم مدينة تجارية في العالم .

وفي القرن السابع للمسيح دوى في مكة صوت اهتر له العالم ذلك كان صوت محمد نبي الله ورسوله والرجل الذي عانى التجارة في شبابه فاتاحت له هذه المهنة ان يعيهم عود الناس وان يتعرف الى اممات النفس الانسانية وان يؤدي رسالة ربه فيجمع القبائل العربية ويقذف بها نحو المشرق والمغرب .

لقد بني الاسلام مدناً زاهرة مدنياتها خالدة ابد الدهر وصناعاتها طرفة في الاقفاق والجمال والانجمام وتجارتها مورقة الظلال تؤمن العيش الحلي والحياة الناعمة والاجواء العابقة باند والبخور . وهكذا عرف العالم دمشق وبغداد والاسكندرية والقاهرة والقيروان وهكذا عرفنا قرطبة وغرناطة واشبيلية وطليطلة .

وكان الاسلام ولم يزل يحض على العمل ويحب الحياة الى الناس ويوصي القرشيين الا يقبلهم احد على التجارة لانها ثلث الملك فخرج المسلمون الاولون وهم عازمون على ان لا ينسوا نصيبهم من الدنيا فبشوا المدن التجارية العظيمة التي ازدهمت بالسكان وكثر فيها الاخذ والعطاء حتى ان بغداد كانت تعد في ايام مجدها مليون نسمة وكانت طرق مواصلاتها المائية والبرية تتشعب الى اكثر نقاط المعمور الى الهند والصين وافريقيا وارمينيا وروسيا واسبانيا والاقطار الواقعة على بحر « البلطيق » وكانت تجارتها ترتكز الى البلدان الصناعية الناشئة في الامبراطورية العربية وخارجها كالموصل وسيراف وبلغ وكابل وغرزة وجناري وسمرقند والبصرة والاسكندرية والقاهرة والقيروان وفافوس والبلدان الاسبانية .

واذا اردنا ان نلقي نظرة على اسبانيا حيث تدل آثار العرب على المدنية الزاهرة التي وصاها اليها لوقفتا مدهوشين حاسري الرأس

تطوف بنا الذكريات اخالات وتبهج اشواقنا الى الآباء والجدود
هذه الدور المشيدة وهذه المآذن المنطلقة الى السماء. وهذه الحانات
التجارية العظيمة وهذه البيتة الجميلة الفتانسة التي تم عن ذوق سليم
وترف ليس بعده ترف ورفاه لا يعادله رفاه القرن العشرين .

ألم تكن صناعة قرطبة وتجارتها زاهرة زاهية وجلودها تصدر
الى جميع اقطار المعمورة . ألم تكن اسلحة طليطلة من امدى
الاسلحة ، واصواف "موسيه" و"سفنكه" من اجود الاصواف ؟
لم يكن جوريغرانطة خير حورير ثيابي به الاندلسيات غانيات العالم ؟
واذا ازدهرت التجارة في عهد العرب فذلك لان العرب كانوا
يؤمنون " باباب المفتوح " كما كان يؤمن به الجبريطانيون لسنوات
أخلت وكانوا يسهلون سبل التجارة ولا يضمنون في وجهها العراقيل
ولا يهتقونها بالضرائب والرسوم والمكسوس والحواجز بل كانوا
يشقون لها الطرقات ويخافطون على حبل الالمن في البلدان ويقيمون
العدل ويتخذون نقداً دولياً يتداوله الجميع .

هذه لمحات تاريخية سريعة عن اثر التجارة في بناء اعم عرف
تاريخنا السياسي وكان في جملة اسباب ازدهار ملكها واندهاره عنصر
تجاري بحث يراه الباحث مطولا في بعاون التواريخ .
والحقيقة الواقعة تقضي علينا الآن بالتساؤل عما كان يحصل
بالعالم لولا التجارة ؟

هل كنا نعلم بما نعلم به من حاجات كثيرة تزيد يوماً اثر يوم
وتدفع الواحدة الاخرى ؟

هل كان هنالك منشآت للهتج والعبود والتلفون والراديو ؟
هل كان هناك شبكة من الطرقات العربية والسكك الحديدية
والجوية والخطوط البحرية ؟

هل كان هنالك ما ندفعه بقناة السويس التي اختصرت الطرريق
بين اوربوا والشرق الاقصى ؟

هل كان هنالك هذه المؤسسات المالية الهائلة التي قدك بالمال
بشروط سهلة وتهدد لك سبل العيش المنتج ؟

هل كنا نفتخر بجاليتنا العربية على وجه عام وجاليتنا اللبنانية
على وجه خاص في الامريكيتين وافريقيا واستراليا لولا التجارة
وحب الكسب والمغامرة ؟

ان تاريخ التجارة هو تاريخ الانسانية وهو تاريخ المدنية . منذ
عهد المقايضة حتى عصرنا الحاضر عصر البخار والكهرباء . والتعاون
الوثيق بين الافراد والامم .

واذا اردنا ان نمعن القيم الاخلاقية والارواح المعنوي في التجارة

فلنا انها تلعب على تقويض ما يمتدده البعض باطسلاً وهبتاناً دوراً
رئيسياً في نهضة الامة وبناء . موافقنا العامة فالتجارة بقطع النظر
عن الاحمال المادي الذي يملكه التاجر معها بالث ارقامه نستند قبل
كل شي . الى المبادئ ، الرقيمة والاخلاص المالية والمعاملة الحسنة
ناهيك ان التجارة اصبحت ساحة يجب ان يتسلح لها الشباب بالعالم
الوفير والدفقة المتناهية والنشاط الجهم وان يحسن تكييف تجارته
حسب مقتضيات هذا العصر ، عصر السرعة والتطور الخاطف في
العالم كله .

كلا ايها السادة .

ليست التجارة مساومة ، وليست ترتكز على الحظ وليست
اتسكالية . ولكنها اصبت مهنة لما قرانين ونظم ومبادئ . وهي
ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكانة الامة وسمتها وديناميا وعلى قدر
ما تكون نظيفة اليد ناعمة الجبين اكتسبت ثقة الامة وشاطرتها
رساميلها وما اخرجنا نحن الى هذه الرساميل فكهم هنالك من
تاجر بغفل استقامته وشرفه التجاري استطاع ان يشق طريقه في
الحياة فقام في رفيع مستوى الامة وجعل في مقدورها ان تقبل على
الحياة وان تتم برفاه القرن العشرين .

هذه هي علاقة التاجر ببناء . صرح الامة في التجارة الخارجية
وهو من الوجهة الداخلية وازع اخلاقي فكهم من تاجر شريف
عمودك الصالح وحضك للنصح فاحبته واقبلت عليه وذكرته
بالخير وهو اذا اقبلت الدنيا عليه وهي لا شك مقبلة على الشريف
الصادق استوحى شرفه التجاري وسام في اعمال البر والاحسان
وكان عاملاً حياً في بناء الامة .

ايها السادة .

ان التاجر كما افهم ليس هذا الذي ينطوي على نفسه ويعيش
اصندوقه ودرهماته انما هو ذلك الجراب الذي يتراد لاسواقه خير
السلع ويفتح الافاق التجارية في وجه امة فهو يصدر ويورد : يصدر
خير ما تنتجه من ثروة وعلم وفضل ويورد اليها مبدء الانعناق من
تدعيم والاقبال على جديد المضم مضيقاً بذلك لبنات في بناء الامة
وتكوينها .

ايها الشباب !

ان في التجارة لافاقاً واسعة ، وان فيها لرجماً جزيلاً للرجل
الكف . الشريف وان فيها لمساهمة فعالة في رفا . الامة والقضاء
على جرائم الفقر والمريض والجبل فيها فاقبلوا عليها بارك الله بكم
وعليكم .

محى العبد المصطفى

الموظف

بفلم امين مسعود

مدير الدوائر العقارية

اولتي

ادارة الاذاعة العربية في الشرق شرفاً اثيلاً اذعنتني
للتحدث اليكم وجيزاً عن أثر مهنتي في بناء الامة ،
فأنايتني عن زملائي عامل الدولة ، وكلمهم كصفوة للتحدث اليكم
باحسن ما يقال في هذا الموضوع .

وها نذا احاول القيام بهذه المهمة على وجه لا ينكره اخواني
الموظفون ، ويحسن في عين الادارة الكريمة ، مستعيناً بمجموعة نيف
وعشرين سنة طويتها في خدمة امة عزيزة محبوبة ، وبالاثر الطيب
الذي تركه في فقرة نفسي رجال اكفاء اعفاء تقدموني في هذا
السلك الشريف فكلوني في منارة وضوءه ومثلاً حياً يقتني اثره .

لقد سمعت مراراً بعض الزملاء يرددون في ساحة شقاء ومحنة
- وما اكثر هذه الساعات عند الموظف - نالوا اتبع لي ان اعود
التعقير الى بدني حياتي العملية ، اذن لاخترت غير الوظيفة مهنة .

اما انا فاقول في صراحة تامة ، وبالرغم مما لقيت وألقي كل
يوم من دواعي الألم المرير : لو اني اعود الى مطلع الصبا وفجر
الحياة فآخري في مهنة ازاولها ، لما اخترت غير الوظيفة مهنة .

هوى في النفس ، مستقر في اعماقها ، لا يث الى الزهو والخيلا .
بصلة ، ولا ينجت صلابته الم عارض او شقاء مستمر ، مصدره
عقيدة راسخة بان الحياة لا تقاس بال ضخم ، ولا بجهد عريض ،
انما هي تقاس بقياس الهدف الذي ترمي اليه ، والغاية التي تنشدها ،
فكلما سمت الغاية ، وأشرق الهدف ، استنارت الحياة وقاضت شرفاً
ونبلاً . واي هدف اسمي واثيل ، واية غاية اجل وألغ من خدمة
بلد تظلتنا سحابة ، وتروبتنا عيونه ، ويغذيها هواؤه ، وفي طيات ثراه
تقد عظام ابائنا الاول .

يخيل الى العامة ، ولا يتنزه عن هذا الهم بعض الخاصة ، ان
الوظيفة انما هي ملجأ لعجزة الجسم والعقل والروح ، يأوي اليه كل
منبوذ من سبل الحياة الصاخبة الرجة ، ليستروا جدرانها علباً

ناقصاً او معرفة محدودة او مهمة خاملة او صدراً ضيقاً .

كلامهم كلا ان الوظيفة آثر واجل من اية صنعة او مهنة ، انما
رسالة سامية يؤذيها نحو الجماعة في الثار وتضحية ، نفر من ابناء
الامة توسمت فيهم العلم والاخلاص فدعتهم الى خدمتها ، ووكالت
اليهم شؤونها واولتهم حق وضع الانظمة وسن الحدود ضمن نطاق
الشرائع العامة ، ثم كلفتهم انفاذ احكامهم هذه الشرائع وهذه
الانظمة ، على وجه يحفظ كيان المجموع ويضمن حقوقه ومراقفه
ويكفل سلامته ويصون كرامته .

وما الحكومة الا هذه النخبة المصطفاة ، اصحاب الوظائف
العامة من رئيس الدولة حتى الحاجب الوضع ، وهي تقوم على
دعامتين اشتراعت صحيح وان لحاجات الامة ، متفق وطابعها
بالاتم لاهدافها - وانفاذ دقيق مقده لهذه الشرائع .

لا اتناول البحث في الاشتراع ومدى اثره في تكوين الامة ،
لانه في الاصل من عمل النواب المنتخبين او المعيّنين ، لا شأن فيه
بالموظف ، وان تولد عرضاً في ظروف استثنائية .

بيد انني لا اتردد في القول بان مهمة الموظف ، من حيث هو
القيم على انفاذ الشرائع لمي ابعاد اثرها من مهمة المشترع نفسه .

ذلك لان اوفي الشرائع احكاماً ، لا تصلح الا بقدر ما
يصالح انفاذها ، ولكم انقلب القانون ، على صراحة نصه وعدل
احكامه ، شرأ من التوضي اذا ما تولى فرضه موظف جاهل ،
ضيق الصدر ، سبي العقيدة ، ضعيف الوجدان ، اذ يفسد احكامه
ومرامية ويعمل منه وسيلة ادهاق وسوء استعمال ، فيزول الامر
حتماً الى فقدان الثقة بالثبيرة نفسها وبالحكومة التي تقترضها ،

والثقة الراسخة التامة هي العنصر الاساسي في توطيد الملائق
المثورة بين السلطة الحاكمة والشعب . وان امة تسرب الشك الى
نفسها من صلاح الشريعة ، وضعت ثقتها فيمن يحكمها علمي امة

قد ذهب إيمانها في صحة كيانها نفسه وفي بقائها كلمة .

اما وهذا مبلغ اثر الوظيفة فقد أصبح لزماً على اولي الامر التحري الدقيق عن موهلات الموظف فلا يكون شرف الخدمة الا من توفرت فيه ثلاثة شروط اساسية اولها اطلاع تام على احكام الشرائع والقوانين والانظمة التي يكلف تطبيقها . ومرونة كافية للاخذ بروح القوانين . لان الشريعة ، مهما بلغ كمالها ، لا تستدرك كل الوقائع والظروف الطارئة ، وثانيها : الفضائل النفسانية اللازمة لهبة *Conscience professionnelle* ويدخل في نطاقها : النزاهة وعفة اليد ، وطول الاناة ، وخلص النية والوجدان . وثالثها - وهو عندي اعظمها شأنًا - الايمان الحلي والاعتقاد الراسخ في انسه - اي الموظف - لا يزاول مهنة كسائر المهن بل يسودي رسالة عليا ، وانه يساهم مباشرة في كل ما يلزم بالحياة العامة وانه مضطفي من الامة لخدمة الامة .

واني لأرى ان من حسن الرأي والتدبير ان يربطاً للوظيفة اربابها على نحو ما يربط سائر المهن الحرة ، الا ترى الطبيب والمهندس والمحامي لا يزاول احدهم مهنته الا بعد الدرس الشاق والامتحان ، ثم المران الطويل تحت اشرف دهاقنة الصنعة والايها ، والوظيفة هي كما سلف القول ، مهنة لا تقتل شأنًا عن سواها ، لا بل تتجاوز خطورة سائر المهن لارتباطها الوثيق بحقوق الناس وادوارهم واعراضهم ومراقبهم ونواحي حياتهم على اختلاف مظاهرها ، ثم لبعدها اثرها في النتيجة في كيان البلاد على الاطلاق .

انني وقد وصلت الى هذه النقطة ، المس موضع الالم ومثار الشكوى ، والحق يقال بان الامر حري بالنظر .

ان كل صاحب مهنة يتوسل بوسيلة خاصة بها لجمع المال استمتاعاً بجلالة الحياة ، حاشا الموظف ، فسيمه ابداً وموقوف على خدمة المصلحة العامة لقاء بلغة العيش لا يتجاوزها الى بعض البجوحة الا فيما ندر .

ان للامة على الموظف حقاً لزمه يوم تقيد مختاراً في خدمتها ، فهي تطالبه بالملم والاخلاص والتجرد الى حد الإشعار ، لها قلبه النابض ، وعقله النير ، وادارته الصلبة ، وعضله المتوتر .

يقول للقاضي : هات معرفة واسعة وارادة حديدية وترفعاً عن

الغاليات ، وحياة شخصية مزهة ، واحكم بين الناس بلا هوى ولا هواة ، سيان عندك من حكمت له او عليه ، قريباً كان او غريباً ، صديقاً او عدواً . وتقول للشرطي : هات ساعداً قوياً وجنناً حاضراً يوجد في طاب السارق والمختلس والمتمرد والمريد ، وسيان اصب بطعنة خنجر او برصاصة مسدس فتركت ارسلة وايتماء ، انت مقيد بجمهتي انا الامة . وتقول للمأور المال : افرض المكوس على اخيك وجارك كما تفرضها على غريب او عدو ، بلا محايلة ولا تفريق ، كلهم في نظر القانون واحد . وهكذا دوليك . فاذا عمل كل منهم بما يقضي به القانون - كما هو المفروض في الموظف الامين - سارت الامة في طريقها الرجب ، مطمئنة الى مصالحها ، ناعمة البال ، قريرة العين ، واثت المفروض عليها عن طيب خاطر ، اما اذا اخل الموظف بواجبه او اساء استعماله ، اضطربت صفوف الامة وغشها الرب ، وتفتت الفوضى وتعال الشكوى ، وانكسحت الايدي الى المال لا تزديده الا مضطرة وعلى مضض . واصبح بناء الامة عرضة للانهداس اذا لم تسرع السلطة الى قطع العضد الفاسد بلا تردد ولا رحمة .

بيد ان للموظف ايضاً على الامة حقاً صريحاً : ان يعيش ، وفور الكرامة في شي ، من البجوحة وان يمي مطمئناً الى يومه ، آميناً الى غده ، ساعة يسكل ساعده وتضعف قواه فيدفع الى الشيخوخة .

واني لاسائل ابنا الامة هل هم ضمنوا له هذا الحق كائناً ، وهل هم اوفياء لمهدهم معه بمقدار ما يأجرون في مطالبة بحقهم عليه ؟ .

ان بين الامة والموظف عقداً صادقاً لتبادل الحقوق والواجبات ، في توازن دقيق . كما هي الحال في كل انظمة الكون ، فادام التوازن قائماً بين الطرفين اي ما دام الموظف حريصاً على ادا واجبه والامة امانة على توفير اسباب الحياة والكرامة لحادها المخلص ، توطلت دعائم المجتمع على اساس متين وانصرفت الامة الى مصالحها ، والقة من مقدرات البلاد .

ابن مسعود

فن القراءة

علم برهيج عثمان

ليسانس بهامتياز في الآداب من جامعة فؤاد الاول

قليل اولئك القراء الذين يجلسون امام ما يقرأون جلسة صداقة وصفا. ليعتروا انفسهم بالقراءة حلوة ويحسوا بتجاوب شديد مع تلك السطور التي تنوب عن كتابها في هذه العزلة ، فقد تعود القارئ ان يؤدي واجباً ، وهذا الواجب هو اجتياز المسافة بين دفتي الكتاب باقصر ما يمكن من الوقت ، واستيعاب المعاني الظاهرة ، والافكار العامة بدون عنا ، او تأمل . وهل القراءة الا فن جميل يحتاج الى ما تحتاجه الفنون الجميلة من مران وتذوق ؟ وهل القراءة الا فن جميل ، لا يتذوق جماله ولا يعجب بروعته ، الا من راض نفسه على تذوق ذلك الجمال وهذب شعره للانجسام الوثيق مع ذلك الفن ؟ وما الفرق بين من يتفنى بالموسيقى وبين من يتفنى بالكتاب ؟ هذا لا يستطيع التهم ، ولا يدرك الاحساس بحال ما يقرأ الا بعد ان يعود القراءة . . . القراءة الملائمة للذنية الفنية . . . وليس قراءة الكتاب الذي تفرضه المدرسة على الطالب وترغبه على الامتحان في صفحاته اذا ما جاء وقت الامتحان . . .

وذاك لا يردد الموسيقى ولا يستعذبها الا اذا فهم معانيها التي تحمل ، وألحانها التي منها تتكون ، والا اذا اخذ نفسه على هذا النحو من اللذة الفنية . وبالرغم من ان الامة التي تنتشر في بلادنا العربية تمنع فريقتاً كبيراً عن الاستفادة بالقراءة فانه ما يزال امام الذين يستطيعون القراءة مواقع تدفعهم عنها :

فهم من لا يكاد يحس بجمرة النجاح التي تشبه في نفسه تلك الشهادة التي نالها حتى يطوي كتابه ويودعه وداعاً ليس بعده قارئاً . ومنهم من استهواه نوع خاص من القراءة الرخيصة فيسلي باخبار الصحف اليومية ، وصور المحلات ، فاذا اراد ان يشغل وقت فراغه بالقراءة فليس يختار الا الروايات التي تثير نزعات دنيا في الانسان ، او التي تصور مفاجآت بوليسية . ومنهم من رأى في « الراديو » خير خلف لتلك الصغيلة لما فيه من جدة وتنوع وتشويق . ثم فريقتين ضئيلتين لا يزال يؤثر القراء الملائمة على كل منافساتها او - قل - يشاركها مع منافساتها . فهل يستفيد هذا الغفر القليل من قراءتهم وهل يعالجون فن القراءة ويفهمونه كما ينبغي ان يعالج ويفهم ؟

اول ما يعترض القارئ العربي هو اختيار ما يقرأ . فلما لا شك فيه ان عمر الانسان اقصر من ان يسمح لصاحبه بقراءة الروائع من المؤلفات . واذاً فلا بد من الانتخاب . وهنا مجال واسع امام القارئ . ففي لغات العالم الاخرى يستطيع القارئ ان يستهدي باقوال النقاد وتوجيه المفكرين ، اما قارئ العربية فعليه ان يقوم بنفسه مهمة الناقد لان الناقد الهادي الذي يستطيع القارئ ان يعتمد عليه لم يوجد بعد . . . فالى ان يوجد نقاد يقدمون للقراء في كل اسبوع غير ما انتجته الفكر ، لا بد للقارئ ان يجازف فيستعين باسم الكتاب الذي يزين صفحات الكتاب الاولى او يستعين بحال العنوان واغرائه . . . فلما ان يجنب الاسم المشهور امه بعد ذلك اولاً ، ولما ان يجد ما يدل عليه العنوان الضخم او لا يجد . وهكذا فرض على القارئ ان يضع وقته بقراءة كل ما يقع بين يديه من كتب لغال المؤلف ، او في ذلك الموضوع المرغوب ، سواء كان قيساً او غير قيم . . . وهذا حسن اذا حاول القارئ ان يحصر نفسه في طبقة معينة من المؤلفين ، او في موضوعات خاصة تعينه فان في هذه المحاولة نوعاً من الضمان وان لم يكن ضماناً موكداً . ولكنني ما سمعت شخصاً يطلب من مكتبة آخر كتاباً ، اي كتاب لا يحمده ولا يخص بالاجزأت ، كان هذا القارئ ليس لقراءته هدف ، انما هي قراءة وحسب . . . التي تقتل الوقت او تملأ فراغه ؟؟

ويعد ان يقطع القارئ طوط اختيار ما يقرأ عليه ان يعي الجوانب المناسبة مع الموضوع الذي يتناوله بالقراءة . فمن الموضوعات الخفيفة المرحلة التي لا تلهي قراءتها ولا تستساغ الا في اجواء مرحية منطلقاً ، ومن الموضوعات ما هو اقرب يحتاج الى تأمل فاذا لم يجد له جو يساعد على التأمل والتفكير فان القارئ يظلم موضوع قراءته ويضيع وقته معاً . وان من الموضوعات ما يقرأ وانت راكب في القطار تمنع نظرك في مقطع من الكتاب تارة وتمنع نظرك في مقطع من الارض من نافذة القطار تارة ثانية . ومنها ما يقرأ وانت مستلق في الفراش او على مقعد نير ، ومنها ما يطلع في الحديقة بين اشجار الوارفة حيث هدوء الطبيعة وجمالها ، ومنها ما لا يهضم الا على مكتبك بين الكتب المكسدة وبعد اغلاق باب الغرفة . . .

وطبيعي ان من لا يهتم بادوات القراءة الخارجية هذه انفساً يساعد على خنق الموضوع الذي يقرأ ويتعد عن الاستمتاع به استمتاعاً كاملاً . وانت تستطيع ان تصور الى اي مدى يلسغ الاضطراب بالقارئ اذا طالع كتاباً يبعث اللذة والبهجة في بشة طراً عليها طاري . محزن كتيب او اذا طالع كتاباً دقيقاً وهو في تزهة

يقوم بها في القطار .

وقد يوجد قارى . لا يتأثر بالجو الذي حوله اذا ما فتح كتاباً ، ويستطيع ان يملك نفسه عن ان تتصل بين يساوره . من الناس ، فينبى عن عالمه ، وينسجم مع ما يقرأ انسجاماً كاملاً ، فيقرأ كتاباً تدور موضوعاته عما وراء الطبيعة في مقهى يشتد فيه الضجيج والصخب ، ولكن هذا ذو مزاج خاص نادر .

فاذا ما انتهى القارى . من تهيئة الادوات الخارجية وفتح كتابه فاما ان يسرع في قراءته اسراع متسابق ، واما ان يتهدى ويبطى . والاسراع نوع خطير من الكسل الذي يمتري القارى . لانه يظن ان امامه هدفاً واحداً هو الوصول الى آخر كلمة من كلمات الكتاب . فيقلب الصفحات سريعاً ويتناول خطوط الافكار الكبرى بدون ترتيب او نظام . ويبدو لي ان اكثر امراض القراءة انسا تنشأ عن الرغبة في السرعة . فمن السرعة ينشأ مرض كثرة القراءة والكثرة المضطربة التي لا يقيدتها نظام ، بل في قراءة كيف ما اتفق ، قراءة فلسفية مرة ، وقراءة تليسية مرة ، وقراءة في عل الاقتصاد مرة تالسة ، يقرأها القارى . كلها ولكن لا يخرج منها شيء واضح . وهكذا يتولد عند البعض شره في القراءة لعله اشد خطراً من عدم القراءة . وهذا الشر يصح مهنة لا يستطيع صاحبها ان ينظمها ويستلها استغلالاً مفيداً ، بل التهام سريع لما تقدمه اليه سائفة الكتاب ، فلا يستطيع له هدفاً ولا مثلاً . وهنا ينشأ مرض آخر

هو الغاء عقل القارى . عند القراءة فان التفرقة والشره يتطلبان من العقل ان يسرع ولكن العقل لا يستطيع ان يرافق هذه السرعة دائماً ، بل طبيعته الهذو والازتران والحكمة ، فيضطر الى ان يتخلف عن متابعة القارى . المسرع الجاهل ، واذا القارى . بعد قليل يقرأ بدون تفكير ، واذا هو آلة صماء . لا تدرك ما تفعل ولا تفهم ما تفعل ، واذا المعاني تخطو عليه خطوراً رقيقاً كما تخطو الاحلام على النائم لا تلبث ان تزول وتلاشى . وفي هذا الكسل العقلي والاستسلام للغامض شيء . من الراحة يطمئن بها الانسان ويذل اليها . وما الكتاب الا صديق يجلس اليه القارى . يبغي عنده المتعة

الفنية ، والترف العقلي ، فيأخذ منه القارى . عندما يريد ، ويرد اليه ما لا يقبل منه ، على نحو من الفهم الصادق والمناقشة العبرية ، ويصعبه ساعة او ساعات صعبة لا تكلف فيها ولا ملل منها رفع فيها ستار الجمالة وتناجى القارى . مع كتابه متاجاة صافية مفيدة - فلا الكتاب يفرض آراء على القارى . فرضاً كولا القارى . ورغم على قبول شيء ما يعرض عليه . فاذا ما انتهى القارى . من صعبته فعليه ان لا ينسى

هذه الساعات وما اثارته فيه من افكار . صحيح انه اعلى الكتاب ولكن آثار القراءة يجب ان يند وقتها الى اقصى ما يمكن ، فتجيا فيه ويجيا فيها فترة من الزمن . يناقشها في هدو ويفيد منها ما يفيد ، وتثير في نفسه حياة فكرية نشيطة . وان الكتاب الذي لا يدع قارئه يفكر فيه بعد فراقه ، ليس بكتاب قيم ، كما ان الصديق الذي ينسى بسهولة ليس صديقاً . وان الكتاب الذي لا يسمح لقارئه ان يولد افكاراً من فكرته وآراء . من رأيه لا يفيد قارئه فائدة واسعة . والقارى . اخيراً يستطيع ان يستغل هذا القسم الذي يتركه له الكتاب فيولد من افكار الكتاب ويخترع . وما اكثر ما تهدي لحة عابرة في كتاب الى انتاج تحفة خالدة . فسادا كان القارى . في قراءته فاعلاً لا منفغلاً ومؤثراً مع تأثره فقد تحصل من تعقيد العقل وتوسيع خزانة الذاكرة ومن تكديس لأراء . الاخرين فيها . والقارى . امام كتاب قديم شخصية جديدة اشد تعقيداً ، فعندما يقرأ القارى . شيئاً قديماً عليه ان يقرأ بعقله الحديث الذي يحتفظ بكل الخصائص التي اتيحت له من تعاقبات مختلفة ، ولكن على ان لا ينسى ان ينتقل بكل هذه الخصائص الى البيئة القديمة التي عاش فيها ذلك الشاعر وان يعيش معه ، وبذلك يشعر بلذة مزدوجة . واذا فلا بد للقارى . الاثر القديم من شئين يبدو عليها التناقض كان يقرأ بعقله الحديث لا بعقل القدماء ، على ان يكلف القدماء ، بما لا يسمح لهم عصرهم ان يتعاملوه .

فهذه القدرة على ان تنتقل وتنبى ، وان تعيش في الزمن القديم ونحن نعيش في العصر الحديث وان نغور الزمن ونلغي الفروق مع احتفاظنا لها ، كل ذلك شرط اساسي في قرائتنا للاداب القديمة بنقص الكثيرين من الذين يقرأون هذه الاداب ويماولون عرضها . واحسن من يعرض الادب اليوناني والادب اللاتيني . من المحديث هم اولئك الذين يقرأون بعقولهم المعاصرة ويمتدون في نفس الوقت ان يمحيطوا انفسهم بالبيئة التي عاش خلالها الشاعر اليوناني او اللاتيني فهم قد احدثوا لانفسهم لذة القارى . الحديث بان نغلقوا القدماء اليهم واحدثوا لانفسهم لذة القديم لانهم وضعوا انفسهم في بيئات غريبة عنهم .

ان القراءة عنصر مهم من العناصر التي تؤلف حياة المثقف اليوم وان الافادة منها - بها كان نوع هذه الافادة - تقوم على تنظيمها تنظيمياً يختلف حسب شخصية القارى . وطبيعة الموضوع .

برسبع عثمان

«عزيزي بروتوس»

السر جسس باري من اكبر ادياء الانكليز المعاصرين ، و «عزيزي بروتوس» من اشهر مسرحياته . وقد اخذ الكاتب اسم مسرحيته من قول احد الاشخاص في مأساة «يوليوس قيصر» لشكسبير : «اذا كنا لا نزال رؤوسين ، يا عزيزي بروتوس ، فليس الذنب على حظوظنا بل علينا نحن .» فموضوع مسرحية باري مستمد اذاً من هذه الفكرة وهي ان شقاءنا وقضائنا في الحياة لا يصدران دائماً عن القدر الذي نشفقه بانهم ولا عن الحظوظ بل عن طباعنا واخلاقنا . «يرينا مفتتح المسرحية جمهرة من النساء يجتمعن في قاعة قصر ريني تطل على حديقة ورد ، ونسمع النساء يتحدثن عن مضيقن ، وقد بقى في قاعة الطعام يتحدث الى الزواجر بعد العشاء حسب المادة الانكليزية . والغريب ان جميع المدعوات كن يحزن كل شيء ، عن مضيقن كما يحزن النارية من دعوته ايضاً الى العشاء . وفيها هن يتحدثن دخل سيد خدم القصر فسأله اللادي كارولين ، وهي من كبار الارستقراطيين قائلة : «لماذا دعانا سيدك الى هذه الحفلة ؟ لقد سمعنا هذا المساء يقول انه دعانا الى قصره لان فينا كلنا شيئاً مشتركاً . فما هو هذا الشيء ؟» فأجاب الخادم ماتي مرتبلاً : «كان يجب عليكين ان لا تقبلن دعوته .» ولكن من يكون سيدك والى اي عهديتنب ، فهو طاعن في السن ؟ - يقول بعض شيوخ القرية انهم يعرفونه منذ سبعين سنة كما هو اليوم . وكثيراً ما ينسى هو نفسه فينطلق في التحدث عن الملكة اليبابيات . فقالت احدي النساء وكأنها حزرت شيئاً : «اتراه دعانا جميعاً لاسبوع القديس يوحنا ؟» فقال ماتي : «نعم انه يجب ان يكن هذا ليلة القديس يوحنا .» ان يكن ؟ من ؟ - اللاتي يجمع بينهن شيء مشترك . - ولكن ما هو هذا الشيء ؟ فقال الخادم : لا ادري . وانا الحين عليه قال : «سأقول لكن كلمة واحدة . لو كنت مكانك لن لما ذهبت الى الغاب .» فكان مذهولات : واي غاب ؟ فقال الخادم : لو كنت مكانك لن لما ذهبت الى الغاب . قال ذلك ونخرج بسرعة . وفي هذه الاونة دخل صاحب الدعوة بتيمة ازواج النساء . وما كاد الازواج يدخلون حتى قالوا لسانهن : «لوب - اسم صاحب الدعوة - يدعونا الى رحلة في هذا الليل فاذهبن في الحال وجئن بمطافئكن .» فقالت اللادي كارولين :

«الى اين تريدون ان تمضوا بنا ؟» - الى البحث عن غاب سري . - لقرحون ؟ مع انكم قلتم لنا ان الغيب الوحيد لهذه الناحية خاوها من الاشجار . فقال احد الازواج : «هذا في الليالي العادية ، اما في ليلة عيد القديس يوحنا فالامر يختلف .» ثم تحول الى لوب وقال له : «قل لمن ما قلته لنا يا لوب .» فقال لوب : «خرافات قروية ، فالقرويون يقولون ان غاباً سرراً يظهر في هذا البلد ليلة عيد القديس يوحنا .» ولكن اين ؟ - لا اعلم ، فهو لا يظهر دائماً في مكان واحد . تارة على كسبان الرمال ، وطوراً في ساحة القرية ، وحيناً في السهل .

ومن الان الى ان تعود النساء بمطافئهن نكون قد درسنا قليلاً احوال الضيوف . فاشي . المشترك الذي يجمع بينهم هو انهم مستأثرون من عيشتهم وانهم يتسبون لو راجعوا حياتهم من جديد ليتدبروا امورهم كما يريدون . وهؤلاء الناس ليسوا اردنيا . ولكن الظروف ظلمتهم وقابت لهم ظهر الحن ، فالسيد بوردي مثلاً يحب زوجته مايبل بل يجب فتاة من المدعوات تدعى جوانا . وهو يعتقد انه لو تزوج جوانا لكان زوجاً كاملاً وهذا المصدر وقد فاهز الحنين من عمره ، يعتقد انه خسر مستقبله ولم يرزق ولداً فهو شقي تعس ، وتعتقد زوجته انها لو تزوجت اللورد الذي طلب يدها ورفضته لكانت سعيدة . وعلم جرا . . .

ولما عادت النساء بمطافئهن سألن لوب قائلات : «ولكن ماذا يجي . لنا هذا الغاب ؟» فقد رد لوب قليلاً ثم قرر ان يفشي جزءاً من سره فقال : «يقال ان من يدخل هذا الغاب السري يجد فيه ما يشي : عودة جديدة الى مفتتح الحياة .» فصرخت جوانا «هذا هو الشيء المشترك الذي يجمع بيننا .» وفي تلك الاونة رفع ستارواذاج جديدة الورد تستجيب الى غاب كشف تخلفه اضاوا القدر . ويرينا الفصل الثاني غاباً سرراً ، وفي هذا الغاب نرى بوردي وزوجته مايبل ينسلان بين الاشجار . ولا شك انكم حرزتم . اما جرى . فقد تزوج بوردي جوانا وهو يخوننا مع مايبل . . . كما كان في الفصل الاول يخون مايبل مع جوانا . . .

ويعود بنا الفصل الثالث الى قصر لوب ففى جميع المدعوات يظهرن واحداً بعد الآخر راجعين من الغاب ، سوى ان شعورهم لا يعود اليهم الا تدريجاً . واذا رجعون الى حياتهم العادية يدركون ان الذي خدعهم لم يكن الانقلاب الذي اردوه بل كانت طباعهم ، فاذا كان شقيشي . يحتاج الى تبديل لادراك السعادة في العالم فهذا الشيء ليس بالظروف او بالحادث بل هو شؤنا نفساً !

الفارابي المعلم الثاني

بقلم ربيف غوري



ليس

المعروف من حياة الفارابي بكثير. وبعض الاخبار عنه انما هي من قبيل الاختراع الروائي. يقال انه ولد في قرية وسيج، حصن صغير من منطقة فاراب فيا ورا. النهر. وهي التي جرت نسبتها اليها فسمي الفارابي. وكان ابوه فارسياً وقائداً من قواد الجند.

انتقل من فاراب الى بغداد، والخلافة العباسية اذ ذاك تربط مدرجة الاخطاط سياسياً. غير ان العلوم كانت جد مزرهرة. فلقتها وتقت بها. وكان على طالب العلم ان يجتهد في استيعاب معارف عصره جملة فيكون شبه بدائرة معارف او بمكتبة سيارة من لحم ودم. وهكذا نجد الفارابي قد ضرب من كل شي. يسهم، فهو في عداد الموسيقيين والرياضيين والفقيين والاطباء والفلاسفة، مع سعة ما كانت تدل عليه لفظة فيلسوف.

ثم غادر بغداد بعد اقامة طويلة فيها الى حلب. والمظنون ان مغادرتة الى بغداد كانت بسبب كثرة اضطرابات السياسية والخلافة كما اسلفنا في مدرجة الاخطاطها. واتصل في حلب بسيف الدولة الحمداني مدحود المتنبي المشهور. والراجح انه قضى ايام شيخوخته الاخيرة في عزلة صوفية. ومات في دمشق. ويقال: ان سيف الدولة احتراماً لماكانته لبس لبس المتصوفين وصلى عليه صلاة الميت بنفسه.

كان الفارابي دماغاً جباراً. والا لما استطاع ان يستوعب ما استوعبه من معارف عصره الجملة. وفي ذلك مبالغات عنه تشبه الاساطير. منها انه كان يجيد جميع لغات اهل الارض: سبعين لغة! اما استيعابه لفن الموسيقى وابداعه فيه فامر مشهور. ولقد حكي عنه انه في مجلس استطاع بآلته الموسيقية ان يرسل انغاماً اضعجت الحضر، وانغاماً ابكتهم، وانغاماً بعثت فيهم القفلة، وانغاماً

اسلمتهم الى النوم

وكان الفارابي على تعبير ابني الحسن الآمدي عنه «مقتنماً باليسير من الرزق». كان لا يقبل من سيف الدولة اكثر من اربعة دراهم فضية في اليوم سداً لفنقته الضرورية فقط. ومنهم من يروى انه لا لافقه وترفعه عن قبول العطية عمل تافهراً لبستان من بساتين دمشق، فكان في اثناء الليل يستضي. على المطالعة بنور قندبل الحارس ويستتر في افكاره واحلامه.

وسواء. اصح هذا ام لم يصح، فالفارابي كان رجلاً عالي النفس، منقطعاً الى العلوم عظيم الشغف بها. وقد انصفه المستشرق ديور لما قال عنه «عاش ابدأ في دنيا الفكر. كان ملكاً في مملكة العقل وفتياً مدمماً فيما يتعلق بحطام الدنيا. وكان يشعر بالسعادة بتمهدهم الى جانب كتبه...»

ولم تخل نفس الفارابي من الالم هذا الرفيق الذي لازم نفوس اولي الفكر الحساسين، وقد رأوا العالم على غير ما يودون له من الخير والجمال فساقهم المهم الى العزلة والانقطاع كما وقع لفيلسوفنا فقال يصف حاله:

بزجاجةين قطعت عمري وعليهما عولت امري
فزجاجة ملئت بحجر وزجاجة ملئت بحجر
فبذني ادون حكمتي وبذني ازيل هموم صدري

والبحث في تفكير الفارابي بحثاً مفصلاً يخرج عن نطاقنا الآن. ولعل كثيراً من تفكير الفارابي اذا اعتبرنا قيمته نجد ذاته وجدنا ان عصرنا قد سبقه بعيداً وخلفه وراءه. اهم الفارابي جداً بارسطو وصرح انه لو ادر كه لكان اكبر تلاميذه. وهكذا حاز لقب المعلم الثاني لان ارسطو هو الملقب بالمعلم الاول.

ولكن ليس هذا اشد ما يجذبنا الى الفارابي بل ان اشدا ما يجذبنا اليه هو تقديره للفكر والعقل فقد جعل الفكر اقوى قوى النفس البشرية ، وجعل النفس البشرية لا تكمل الا بالعقل والعقل هو انسانية الانسان الحقيقية في رأيه .

وهكذا رفض الفارابي تصديق التنجيم ، وحكم على الشعر حكماً محقراً قاسياً لانه كما نعتقد ، اشأماً لما رأى النساب من شعراء العرب ينفرون في المبالغة ولا يتقيدون في اقوالهم من مدائح ومراثي وما اشبه بشي . يقال له الحقيقة .

والنفس البشرية عند الفارابي تشتهق ، وهي في اشتياها تتجه الى ما هو ارفع . فالفارابي فيلسوف راسخ الايمان بتقدم الانسان وتزوجه نحو الكمال . وكمال الانسان هو عامل السعادة ، والسعادة في رأسه هي الغاية المنشودة لذاتها لا لغاية اخرى بعدها .

على ان الكمال في مذهب الفارابي والسعادة الناشئة عنه لا يتحققان الا بتعاون الناس في الاجتماع والتعاون هو ان يعمل كل واحد عملاً يني بطلب من مطالب الآخر .

فاذا تعاون اهل مدينة ما على ان يني كل واحد منها بطلب تقتضيه سعادة الآخر - اي اذا نظم اهل مدينة ما اعلمهم بحيث تشكل لهم سعادتهم جميعاً ، فهم اهل مدينة فاضلة . وهذا هو المحور الذي يدور حوله كتاب الفارابي المشهور : آراء اهل المدينة الفاضلة ، وهذه هي البذرة التي ظلت حية في تفكير الفارابي وتظل حية .

قبس الفارابي مدينته الفاضلة من جمهورية افلاطون ، وكما ان جمهورية افلاطون لها رئيس اعلى مدير هو الفيلسوف فكذلك مدينة الفارابي لها رئيس اعلى مدير هو الانسان الذي بلغ اكمل مراتب الانسانية واعلى درجات السعادة . وكما ان جمهورية افلاطون فيها طبقة المبيد فكذلك مدينة الفارابي الفاضلة فيها الذين يجندون ولا يجندون . ففي مدينة الفارابي الفاضلة تقاوس كما في جمهورية افلاطون .

ونحن لا ندعو الى اتخاذ مدينة الفارابي الفاضلة مثلاً اعلى ننظم علمنا على اساسه لان هذا لا يجوز ولا يمكن . ونحن لا نزه الفارابي عن مبادئه . يستطيع الرجميون ان يستلوهوا مصالحهم كرمهم في السعادة والكمال انهم ابراءة نفس الانسان من المادة . وهو اثر من آثار صوفيته . وهذا الانتماء الذي يديه الفارابي وجماعة المتصوفين من المادة ؟ تخاله راجعاً الى حرصهم على صفاء انفسهم

وتعائنا من ناحية وشاهدتهم من ناحية اخرى ما يقتضيه قولهم المادة من امور تلوث النفس كالغفلق والدسيسة والطمع والظلم . وذلك بسبب نظام الامور يضيق على الانسان الشريف مذهبها في العيش ويمنعه ان يظفر بقوامه المادي دون ان يحس انه قد عرض كرامته وانفته للبهانة . فليس المتصوفون المخلصون الا اساساً حساسين هاربين من فساد نظام الامور يظنونهم فساداً اصيلاً في ذات العالم . وليس كرمهم للمادة وانسحابهم الى اكتناف العزلة الاشكلاً من الاحتجاج على ذلك النظام الامور .

هذا الى انهم على الاغلب يهيمون بالمادة معناها العالمي ، اي : كسب الاموال وتكديسها وهو المعنى الذي لا يزال غالباً حتى على اذهان مفكرينا الآن اذ يتكلمون على المادة والمادية وهم يعنون حب الربح وخلق الانانية والدائنة ، ويتكلمون على الروح والروحية وهم يعنون خلق الايالة والتضحية والتجرد . وظاهر طبعاً ان معنى المادة والروح في محض الفلسفة والعلم مستقل عن هذا المراد الاخلاقي بهذين اللفظين .

انما نحن نحترم الفارابي لانه في زمنه القصي لمس الخير العميم الذي يستطيع التعاون ان يفضيه على المجتمع البشري بينما نحن لا تزال الى اليوم نجد من يأبون على المجتمع البشري الا ان يسوده باموس الوجوش الهيجي . ناموس الاقتتال والغصب والاقتراس . ونحترم الفارابي ايضاً مفكراً جعل الكمال والخير والسعادة حق الانسان وغرضه بينما لا تزال الى اليوم ترى من يعدون الانسان آلة مسخرة لمنفعة بعض الاسياد وللدودان الحوي .

والمهم ان الفارابي يرى الكمال والخير والسعادة حق الانسان وغرضه على الارض . قال ابن طليل : « ان الفارابي ذكر في شرحه لكتاب الاخلاق لارسطو : ان ارق ما يصل اليه الانسان هو في هذه الدنيا ، وان الخير الاسمى هو ايضاً في هذه الدنيا . »

أمكن فيلسوفنا اذن لا يصدق بحياة ثانية كما زعم عنه بعضهم ان كلمة ابن طليل اذا صحت عنه فلا تعني مطلقاً انه مشكور للحياة الثانية ، وعلى كل حال فابنعينا الامر ؟ انه قد دعانا الى تحقيق الكمال والخير والسعادة لنا في هذا العالم ، وليس في ذلك ما ليس بوجود عالم آخر ، وليس في وجود عالم آخر ما يقف حاجزاً بيننا وبين الكمال والخير والسعادة هنا .

ربيف غوري - طرطوس

ذكريات

بفلم راجي الراعي

فهرجت

من الكلية الشرقية في زحلة وأنا في السادسة عشرة من عمري ، أتأبط شهادتي الثلاث في العربية والفرنسية والانكليزية ولم يض علي شهر واحد حتى عقد المجلس العالي وجي بي وشهادتي وطرحت قضيتي : قضية المهنة التي يجب ان اختارها في الحياة على بساط البحث وألقي علي هذا السؤال الرهيب :

ماذا تؤثر ان تكون في المستقبل ؟ أطيباً ام مهينداً ام محامياً ؟ وبعبارة اخرى الى اي مهنة من هذه المهن الثلاث تميل بك الفطرة ؟

اذكر انني احبت وقتئذ قائلاً : اما الطب فلا اراني خلقت له واخاف اذا ما تعاطيته ان يتصرف بمضغي بالشرابين والاوردة على هواه فلا ينهض من بين يدي عليل او جريح وتنساقط علي اللعنات من كل حذب وصوب .. واما الهندسة فاني اشعر ان الفكرة الرياضية الهندسية نبتة صغيرة ضئيلة تنمو بشكل بطء وتواضع في زاوية مهجورة من زوايا رأسي محجوبة عن الشمس والهوا . بتلك السنديانة المائلة التي تمتد اغصانها في غابستي وتكاد تتألاها كلها الا وهي قوة الخيال .. انا من اصحاب الاحلام ولست رجل ارقام واخاف اذا ما تعاطيت الهندسة وعهد الي بتشييد الجسور والابنية ان ينتهي امرها بالسقوط على رؤوس اصحابها ولمرى بقضاء السنوات الطوال في غياهب السجن .. واما المحاماة فانا لها وهي لي ولدي من لساني الذرب وخيالي الخصب وحجتي القاطعة ما يضمن لي ان امثل فيها دوراً لأمماً تحت رعاية « عطارد » اله الفصاحة .. وارفض المجلس العالي بعد ان اجمع الرأي على ان اكون محامياً .. ومضت ايام كنت اصعد خلالها الى الكوروم واقف فيها بعيداً عن الناس امام شجرة التين والدوالي وأنا اتحيل

شجرة التين منصة القضاء والدوالي الحضور وانطرب بصوت جهير تشبهاً بالخطيب اليوناني العظيم ديموستينوس الذي كان يذهب الى شاطئ البحر ويتمرن على الخطابة صائحاً بل رثييه ليعلو صوته اصوات الامواج الطاغية المزبدة . واذكر انني ذات يوم اطلقت لصوتي العنان وملأت به فضاء الكوروم حتى كاد ينشق صدري فهورل تحوي الناطور من خيمته المنصوبة على اعلى قمة هناك وما هو ان لمحته مقبلاً علي بقاءته الجبارة وعصاه الضخمة وعينية الجاحظتين تقذفان شرراً حتى اطلقت سائلي للريح تاركاً ورائي الخطابة والمحاماة وديموستينوس ، ورحلت اتسلق الروابي واقفز من جل الى جل والناطور ووراءه سكان الكوروم يطاردوني صائحين : امسكوه ، امسكوه فهو سارق او مجنون . وانا الوح لهم من بعيد صائحاً : محام ، محام ! ومنذ ذلك اليوم عدلت عن التمرن على الخطابة والمحاماة في الكوروم وقبعت في المدينة اقرن في غرفتي .. وعقد المجلس العالي جلسته الثانية لتعيين المكان الذي اتلغن فيه المحاماة ، ولم تكن قد اشننت بعد مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت فالحكاية التي اسردها تعود الى سنة ١٩١٠ . قرر الرأي على ان ادرس الحقوق في القاهرة فركبت البحر مع المرحومة جدتي عطرش وهو اسم لا بأس به لولا « الشين » التي ذهبت بالطر ولم تبق له اثر .. وبين ليلة وضحاها بلغنا القاهرة حيث كان لي عمه رحماً بالله ، تقيم في منزل في حي الظاهر سبقتي اليها كتاب التوصية والرجاء بان تتكلا في بعين رعايتها وعنايتها في الارض المصرية .. آتيت في السيارة امام ذلك المنزل فاذا هو غرفتان ودار صغيرة في الطبقة السادسة على سطح البناء . فتخفت عمتي عن احدي الترفتين واختصت بالاخرى لها ولولدها الذي كان ينفض في الساعة الخامسة صباحاً ويدرس هو الاخر الحقوق ولكن في البيت حتى

التقليدية المروقة : « Cahlos Argent » ولكنني وهنا بيت القصيد ، لم استطع ارسال تلك البرقية التي لا تتجاوز الكلدنين فقد استغرق الصندوق بطوله وعرضه ونقله نصف المبلغ وُلصّرت حجه لمان الامر . فلما وطأت ارض باريس لم يكن في جيبى غير اجرة السيارة التي نقلتني الى فندق صغير في آخر الحي اللاتيني لا ما . فيه ولا زاد . وغت ليقتي تلك وبجاني صندوقي الكبير الذي رماني في تلك الورطة . وفي القد في ساعة مبكرة نهضت مأساً في باريس التي لا اعرف فيها احداً لاستدني عن البرقية . ولم تنف المصيبة عند هذا الحد فهناك الامتحان الذي جئت من اجله والويل اذا اخفقت وكيف تريد ان لا اخفق وقلبي يخفق جوعاً . . انهما ساعة مرة سوداء تلك الساعة التي يغار لي ان اذكرها الان لانها حملت لي وجهاً من وجوه الحياة كنت اجعله وامثولة للمستقبل . .

ضاققت في الدنيا ورحت افكر في طريقة للخروج من ذلك المأزق فلم اجد بعد التفكير العميق الدقيق الا ان اتخلى عن بعض ما املكه وما اقل . ما املك وقلت لنفسي : ابيع صندوقي الثقيل وثلاثة من كتبي حفظتها غيباً ولن تخونني فيها الذاكرة يوم الامتحان على ان اعود فاشترتها فيما بعد . وهكذا عقدت تلك الصفقة وتوفرت لي بضعة دراهم ذهبت بها راساً الى ادارة البريد وارسلت برقتين قصيرتين : « Cahlos Argent » لا اكثر ولا اقل واحدة الدروهم والذي في زجعه ، واخرى للسرحوم عبي في فانكوفر من اعمال كندا وقتل : اذ لم تصب احداها المرمى اصابت الاخرى . ولبثت انتظر الجواب وكتاب الحقوق في يدي استمد للامتحان ومعدي خالية خاوية . . قضيت ثلاثة ايام جامداً اتنقل فيها بين تماثيل الفلاسفة في ساحات باريس اتأملها واتخذ منها دروعاً للزهد والصبر ، وبلاتولون وغارو في يدي ، والمعدة تشكو وتألم . . واخيراً لاح بارق النصر في ذلك الجو المكفهر القاتم وحل لي ساعي البريد من الشرق والنسرب ، من الاب والعم ، برقتين تبهجان . . بقبضة من ذلك الاصفر الزمان . فأسرعت لساعتي الى حيث مد الحزن وتهاافت علي من الطعام والشراب ما شئت من الوان . . ونجحت في الامتحان . . وآليت على نفسي بعد تلك الهجوم والاشجان ، ان لا اركب البحر قبل ان احسب حسابي وحساب الزمان . .

راعي الرماحي

اذ أدت الساعة السابعة اسرع الى ديوانه ووظيفته . . وجلست الى طاولتي الصغيرة في غرفة الصغيرة على السطح في خال المرحومة عتي وابنها ومن حولي الكتب فكان اول من لاح في في سماء الخيال في تلك الساعة بذاك وهو في غرفة السطح قصير لا يملك شروى تقي يضع ثمال نابليون النصفي امامه ويصبح بصوت الادب المار : سأم بالقلم ما بدأه بالسيف ، انا العبقري رب القلم ونابليون الادب . وضربت بيدي على الطاولة ضربة قوية ارجئت لها الفرفتان والدار واهتز لها السطح واجفلت عمتي فأقبلت علي قلقة مذعورة تسألني : مالك يا راجي وماذا حدث لك ؟ فقلت لها : هاقي لي ثمال نابليون النصفي فضجكت المرحومة عمتي ضحكة فيجاء . لا تزال ترن في اذني ثم قالت بلهجة حازمة : ذلك من التآليل وانضافا فانت هنا لتدرس الحقوق فاذهب الى المدرسة . . وفي صباح اليوم التالي تحوكت عن نابليون وبذاك وقتلته وتصدت الى مدرسة الحقوق الفرنسية حيث كانت تلقى علينا الدروس ساعتين في كل مساء . . وكان لنا ان مختار موعد الامتحان نؤديه في دورة حزيران في باريس او في دورة تشرين الثاني في القاهرة ، وشيطان الحي اللاتيني الذي قرأت عنه يوسوس في رأسي . لم استطع الصبر حتى تشرين ريثما تأتي اليها اللجنة الفاصلة . . وكان المرحوم والذي يرسل اليّ مصروف الشهر وقدره سبعة جنيهات مصرية هي كل ما كانت تسمح به ثروته فأهو ان قبضت الجنيهات السبعة في آخر (مايو) وأطّل علي شهر (يونيو) حتى كنت على ظهر الباخرة لأودعي الامتحان على ضفاف « السين » ومعي صندوق طوئيل عريض ملاءه بكسني وحوالي . . وكانت تلك سفرتي الاولى الى شاملي . بعيد . . سبعة جنيهات مصرية كنت اوزعها على ايام الشهر في القاهرة فتكتفي حتى يطل علي الشهر التالي ولكن أتلك الجنيهات التي لا تجاوز اصابع اليد الواحدة الا باصبعين فقط . كافية لسفري من القاهرة الى باريس انا وصندوق الطوئيل المريض ؟ ذلك سؤال لم اتردد وانا الضعيف في الحساب والخبرة في في الاسفار بعد ، في الجواب عليه قائلاً : انها تكفي وفي الواقع انها كانت كافية لولا صندوقي الضخم الذي لم ادخله في الحساب .

فمت بتلك الرحلة خفية عن المرحوم والذي اذلو استشرته في الامر لأبني ان اقوم بتلك المغامرة وانا بعد في السادسة عشرة من عمري واكرهني على البقاء . وانتظار اللجنة الفاصلة ، وقلت لنفسي اصل الى باريس فأضع والذي امام الامر الواقع وارسل البرقية

مملكة الأذان

بضم الدكتور توفيق جابر

مملكة الأذان لا تقل خطراً واتساعاً عن مملكة العيون وفيها لمدمم البصر عزاء لانها تقيم لها عرشاً آخر يستوي عليه ويعمل من الطبيعة، ملكاً بين يديه . ذلك هو عالم الاسرار والجمال الذي يطل عليه الانسان من نافذة الأذان . فالبحر والبر والسهل والجبل والارض والسما . مسرح طرب واحلام يهينا اليه السمع فتشعر من ورائه اننا لا نزال اصحاب جلالة على الارض . ومن لا يعرف ان يفهم شيئاً بقوله المصغور على الاغصان والريح فوق الجبل والقصب على القدير والموج عند الشاطئ . لا يمكنه ان يدرك جمال النفوس ولا يستجيب ان يتمتع بملذات الفكر والروح . ان المصغور الذي تحضنه وتربيه وتحيطه العناية وتزين قصه بالراحين لا يبهجك تجسّال ريشه قدر ما يبهجك بتفريده فهو بطربك حتى في سجنه . ولو اتيت في القاب لسمعت منه من غنا الحرية مسا هو اللذ وأسمى . والذين ألفوا حياة العربة والحقول يشعرون اكثر من غيرهم بهذه اللذة وهذا السمو لانهم لا ينفكون من السماع الى اجواء موسيقية متعددة الالوان والاحلاولانهم يتمتعون بالذة التعرف الى هذه الضيوف المخبئة ويعيرون الاطيوار باصواتها ويبدركون نعم الحسون من الشجور والبرقش من القبة مهتدين بجبال الصوت قبل جمال الريش وما كانت حلة الطير يوماً دليلاً على مقدرته الغنائية فالببل بسيط اللباس وهو امير اللحن . اسمه يصعد تغانيه من اعماق الليل الداجي ويؤرخ السمكوت زقزقة وتنداد حتى يحال اليك ان قطرات اللآلئ تنساقط من الظلمة . كذلك القبة التي يقول فيها الشاعر :

يا لك من قبة بمصر خلا لك الجو فيضي واصفوي
وقفة ترى ما تشتهى تنقري // لا بقا من اخذك يوماً فاحذري

فهي تتمالى بصوتها حتى السحاب وترسل الينا سيلاً من الانان المشسة تدور عن حوارة الحياة في ايام الصيف الطويلة . يقال ان هذا الضرب من المصغور قاسي القاب وفي طبعه ان لا يهوله صوت صائح وربما رمي بالحجر فاستخف بالرامي وطلى بالارض حتى يتجاوز الحجر ولهذا السبب لا يزال مأخوذاً او مقتولا لان الرامي يحمله الحنق على مداومة ضربه حتى يصيبه ولهذا زى الشاعر بمخرمه من الصياد . ويحكى ان رجلاً صاد قبة فقالت ما تريد ان تصنع بي ؟ قال اخذك وآسكك : فقالت والله اني لا اسن ولا اغني من جوع ولكني املك ثلاث خصال وهي خير لك من اكلتي اما الواحدة فاعلك ايها وانا على يدك والثانية اذا صرت على الشجرة ، والثالثة اذا صرت على الجبل ، قال نعم . فقالت وهي على يده : لا تأسفن على ما فاتك . فذلي عنها . فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدق بما لا يكون . فلما صارت على الجبل قالت : يا شقي لو ذهبتى لوجدت في حويصاتي درة وزنها عشرون مثقالاً . ففض على شفتيه وتلفف ثم قال : هات الثالثة . فقالت : قد نسيت الاثنتين الاوليين فكيف املك الثالثة . قال : وكيف . قالت : الم اقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت . وقلت لك لا تصدق بما لا يكون وقد صدقتني فانه لو جمت عظامي ورششي ولحمي لم يبلغ شحري مثقالاً فكيف يكون في حويصاتي درة بهذا الوزن . اعرد الى موضوعي - ان اغاريد الطيور بلبل كان او شجورا ، قبة او حسوناً تغل في نفس السامع فمل الحجرة فتقر لها وتطرب وكما تنعكس البها على صفحات الماء او يتردد الصدى في الاودية والجبال

تتمكس الانعام في الخاطر وتتردد في حايا الضلوع فتشتبك معها من حيث لا تدرى في صلاة ابدية يرتفع بها الفكر فوق عالم المادة التي الى ما هو اصفى وانقى ، يجد فيه الحزين عزاء والضعيف نشاطا والفقير غنى . وليست الاغاريذ وحدها تؤثر في السمع فالوجود كله اصوات . وقد ذهب بعض الفلاسفة الاقدمين الى ان الكواكب التي تطلع وتغيب فوق رؤوسنا ليست خرساء ولكل منها في حركته او ثبوته صوت خاص وان مجموع اصواتها يتألف منه غناء اللانهاية وهو ما كانوا يسمونه اصطحاب الافلاك . تلك فكرة شعرية فاذا كنا لم نبلغ بعد درجة تحولنا لمس الحقيقة فيها فنسمع موسيقى النجوم والاقمار فاننا قادرون بحمد الله ان نسمع موسيقى الاشجار لان كل شجرة قيثارة بيد الريح ولاوراقها وغصونها نغم خاص تعرف به فتسمع اذننا في النضيل وضجيجاً في السنديان كما نحس عند اهتزاز الحور بجري المياه كأن غديرأ يجري من حوالك . كل هذه الاشجار تتهادى مع النسيم فيخيل لنا في وشوشتها واما غصونها ان بعضها يسر الى بعض اسراراً او يقص عليه حكايات واخباراً .

والبحر . ماذا لا يقال عن البحر فهو القيثارة الكبرى بين زئيره وائينه وغضبه وجنونه وعندما تهب العاصفة وتدوي الصاعقة وترتجف الارض بين الرعود والبروق فهناك العظيمة الهائلة التي تبعث في النفوس رعشة غريبة الذات .

والسكوت ، السكوت نفسه له صوت يسمعه المفكر فيدرك به اشياء تغيب عن عامة البشر . سكوت الليالي وسكوت الوحدة وسكوت القبور .

ولكن فوق كل هذا واهم منه صوت البشر فهو اول حدود مملكة الاذان وآخرها . فالصوت البشري صلة الوصل وواسطة التعامل والتفاهم بين الناس . نعم ، للحيوانات التي نستخدمها او تعيش معنا اصوات ولكن لا قيمة لاصواتها الا بقدر ما ننتفح فيها ونعطيها من معانينا ففسرها كألوان فيها اشياء انسانية . وهل السكون صوت الحشا مثلاً ومع ذلك فلا نعلم له تفسيراً فنحسبه تزميراً وشكوى وقد يكون في خلق ما نحسب صراخاً فهو والله الحياة الواشوق وتحنان او غير ذلك من العواطف الاجتماعية . على كل حال سيبقى سرأ معلقاً لا سبيل الى فهمه وبالعكس فاننا نفهم الصوت الانساني وهذا ما يزعجنا . وقد اصبح اللسان قادراً على التعبير عن اخفى افكارنا ، وما لقه الكتابات الا صورة عن المنطوق ولو كان الانسان اعدم المنطق لما توصل ان يكتب . هذا الصوت وهو حلية المرء وبه يسطر على القلوب سواء في الحديث او الخطابة او الصلاة او الفناء على ان لكل شيء آفة من جنسه فكهم نضطر ان نضع اصبعنا في اذاننا كي لا نسمع بذى القول . واذا ساق الينا سر الطالع بعض الثنائين فقد نتمنى الصمم لنسا او الحرس لهم .

وهناك ضوضاء المدن وصرير دواليب الترامواي ونداء الباعة عند الفجر وضجيج المجتمعات العمومية وصغير السيارات ، كل هذه الاشياء كالشوكه في التاج نفضل من جراتها ان نكون رعاة في البرية لا ماو كاً على عروشنا . ان الجلالة التي يتمتع بها من له اذانان للسمع يجب ان تصان بهذيب الصوت ليكون في اذن السامع رسول يشر لا اشارة خطر تبث على النفوس والحرب . عند ما اراد هيكلو ان يصف في بيت من الشعر جنود نابوليون الذين تجلت في حروبهم روح الثورة الحادثة قال : « كانت في روحهم تنفي في الاوقات النجاسية » . فلنجعل من اوتارنا اوتاقاً تنفي فيها روحنا نشيد الحب والشجاعة والنضحية والاخلاص وافراح الحياة وآلامها ذلك خير مما يجري على لسان واجل ما تشنف به الاذان .

نور فاض

غدي ياغد الوهم والظن
والامسل المحبب
سقتك ذوب رجائي الوحيد
فلم تشرب
وغائتك دنيا فنون
تعج على لمعي
وتقرش دري وروداً
وترقص في موكبي

فجر مختصر

بوسف الخال



سرأباً غداً مطلي
وخيطاً من التيهب
وفي جناح بطاير
ويمن في المهرب
كأن الزمان يراه محالا
ليبعث لي
وعلاً نفسي احتضار الضياء
لدى المغرب



انا لن اضم جناحي

بعد على مطاب

سأفرغ جي وافى

مع النغم المطارب

مع النور يشف ثمر الصباح

الندى الآتي

مع الليل في بوحه الرحب

في سره المرهب



غدي ياغد الوهم والظن

والامسل المحبب

رويسداً فبعذك

لن استضيء على كوكب

١٦ ديسمبر ١٩٨٠

بوسف الخال



اليالي الشامية

بنتم زكي المحاسني
استاذ العربية في جامعة دمشق



يردى يضي بين ضفتيه وكأنه سيف من فضة .

وإذا تكورت العائم الخضرة ، ونشرت الزايلت الحر ، وخفقت الطبول ورنت الصنوج كان ذلك ليلة من ليالي الازكار في بلد الشام ولما تكون لنذر يوفى ، او بركة تجنى اولدعا . يرفع الى الله . ولقد سموت في ذكر من هذه الليالات فاذا حلقة مستديرة بالذاكرين وفي عقدتها رجل طاعن في العمر عليه قباز وسراويل وفي خصره حلة وقد جعل يدور ويترشم ثم يجهم كلاماً لا يستبين السامع الفاظه ولا يدرك معانيه . واخذ يعيد بجسمه . ميداناً ثم يميل قليلاً والقوم يحتلبونه ويقلبونه في حلقته المتراصة وكل ساعة يدخل فيها رجل جديد وهي تتسع حتى اخذت اطراف الدار ثم شرع يذكر بفنات من السعال متواترة متواقة تجري على نقرات الطبل والدقوف ، وخفقات المزاهر والصنوج واذا بعض الذاكرين يغلبون على شعورهم فتتجلى قواهم من فرط ما غفقا وطول ما جالوا وداروا ، ويقسم احدهم ارضاً فيتلقيه الاتباع والحدم يرشون على وجهه الماء . فاذا صحا عاد الى الحلقة وعاد الدوران والخفوق وان في رمضان ليالي دين وليالي دنيا . فاذا حلت الليلة السابعة والشعرون منه دعي عاية القوم من مواطنين واجانب الى دار المولوية فشدوا حفلاً مقطوع النظير يجري على وتيرة متناسقة وانغام موسيقية فيتهادى المولويون فيها على نفحات النساى الحنون في ذكر ثم يتخلعون طيابهم السود ويرتدون البيص ذوات الاذيال المنفرجة ويدورون وقد رفعوا ايديهم الى افوا . فتنتشر اذياهم المستديرة كأنها المظلات الكبيرة وينفتلون على اعقاب ارجلهم آلاف الدورات وكنهم اللوالب ، يسيرون على ابقاع وموازين ويؤدون التجايا لرئيسهم الوقور عند

لعل مدينة عريقة ليال خالديات . فالليالي الموسكوية والليالي الباريسية وليالي الاندلس ، جنات يبيض ، جلايين ثريات الانوار . لكم لاحت فيمن شمس ولا شمس النهار وطلعت في سجاوتها اقدار ولا كاقصر الفضى الموسم على عارضيه بالكاف ثم ، أما قال في عتيق الدهر رهن المحبين وهو في ليلين :

رب ليل كأنه الصبح في الحمى

ن وان كان اسود الطليسان

ليلي هذبه عروس من الزنج عليها قلائد من جنات

هكذا فدمشق ، وهي أسطورة الشرق ليال . متألقة ساطعات .

انها الاسمار على سفوح « قاسيون » من . مب الصالحية الى وهاد الحواكير . لتبدأ عند هجبت الحر في الصيف اللاهب ، ويزدهم بها السرى في الليالي القمر . وصفحة البدر اثم وهاجة بنثير الالهيز ترتقي على رؤوس السارين في الدرب او الجائين على الارض جماعات وازواجا . ولقد تهادى نحات عاطرة تجي . من بطحاء . « المزة » قهز ورق الشجر من بساتين « ارض الوالي » حتى جنائن « الربوة » وبقى السامرون في حديث يساقطونه ، او صحت يتداولونه وغنا . المذيع يصل اليهم من بعيد ، حتى يتصرم قطع من الليل او هزيع فتسكن طاسات باعة السوس عن التصفيق وتتسلل الشخوص ، وقد انجرت عليها الظلال . الى الماوى . فاذا خلاجل من الناس وتطاعت السفوح خلت الطبيعة الى نفسها فاتيح لقاسيون الاثم ان يتاجي غرطة الفيح . وان يصيغ باذان الصمت الى صوت

انتها. الدوران ، فاذا انفض هذا الحفل وخرج الناس منه افواجا
افواجا دخلا الى المسجد الاموي ليشاهدوا المولوية مرة ثانية وهناك
تحت السقوف العالية وبجانب مقام النبي يحيى عليه السلام يقبل
المولويون ويدعون الله مودعين لشهر رمضان ، ويستقر بهم الدوران
بعد السجود في بيت سيد من سادات هذه الطريقة .

اما ليالي رمضان الدنيوية في الشام فهي من ابرج ليالي البلاد الشرقية
وما يجتذبها بالانوار المتألثة في سماوات الدروب التي يبيت
مفتح الحوائث حتى السحر .

وثمة فرجة الدنيا وبيت الاعاجيب . داران بل قهوتان يكثران
في ليالي رمضان لدى الاحياء الشامية القديمة اولاهما : قهوة
الحكواتي :

ها هم القوم قد انفلتوا من حلوات التراويح بعضهم قد قل
الى بيته والبعض قد جا الى قهوة « خبيني » اوقهوة « باب العارة »
فجلسوا على كراسي واطنّة ، وجوها من القش . وجعلوا يلأون
صفوفاً منها . وحين يستكمل جمهم يدخل عليهم ، دخول
الابطال الفخمين ، العلم ابو سعيد الحكواتي او الشيخ عزز القصاص
بنفس رأسه في طربوشه المجدي فيقفز على مائدة قد نصت في
بهرة القهوة فاذا استقر على عرشه مد يده الى جيب صدره فاخرج
كناشاً بالياً مخطوطاً مبحر يشبه الزعفران . ثم نصب نظارتيه على
اربعة انفه وبتطلع في زهر وصلف نحو الحاضرين من فوق نظارته
ثم تنحنج وسعل وقال :

— ايها الكرام . كان ابو زيد الهلالي . او كان عنتره بن
شداد . .

ويهدر صوته في املق صدره مندماً على الناس من فقه فاذا
انتصفت رواية الليلة المحدث عن مقامه وجعل يثني فيرتجل بعض
الشروح على الرواية . ثم يعود الى القراءة والسرود بالقاء عجب
مخصوص يضحك الكلم في الفزع والحرب ويرتقها في الهوى والسلام .
واذا حضر الحكاية رجل غريب اخذته اصوات الحكواتي آناً
بعد آت يثني . يشبه الذعر . اما السامعون المتوسون بحكاياته
فانهم لا يتزحمون عن كراسيهم وكان على رؤوسهم الطير .
ونفر منهم في افواههم اتاييب الترجيلة يقرقرون بجمفوت وينغمون
الدخان من افواههم بسكوت وقد يزود بعضهم عن بعض
ويرشاقون بالمالز بهدوء . وقد يشد بعض بعض في فترات
الإستراحة فيقول احدهم مثلاً وقد اخذته الحاسة :

— الزيناتي خليفة أشجع من الهلالي .

ويشتبك الجدال ويصير نزاعاً ثم تراشعاً بالسباب وقد يحور
لكماً وضرباً يتد من باب القهوة حتى ارجاء السوق .
والقهوة الثانية هي الكركوز .

جنت المقهى (في سوق ساروجة) اول الليل فزلت اليه
بدرجات واذا فنا . له سقف وعلى جوانبه مصاطب ودكك . واذا
مقاعد وثيرة فجلست على واحد منها واتجهت مع القوم بالتطلع نحو
زاوية القهوة الى رداء ابيض من الشاش قد سد القرنة ووراءه
ضوء بنيوه وقد جلس خلفه الممثل الشعبي ابو ناظم فاتخذ لنفسه
شخصية كسخرية سيرانو دوبيرجراك عندما كان يتناجي في الظلام
روكسان . فجعل يتكلم ابو ناظم ورا . شخص من الجلور دبطت
اطرافها ومفاصلها بمسامير وخيوط . وكانت تلك الليلة رواية شهدتها
فضحكنا ما شاء . لي الضحك وسري غني . والممثل من ورا .
السجاف بقصد صوت الطفل وكلام الشيخ وغنة الفتاة في شخص
« المدلل » و« عيوان » و« زينب النصابة » ويزور بشابة بين حين
وآخر ويترق ذفاً ويترق عوداً حتى يجيل اليك ان له اعدوا تشترك
معه في التمثيل وما هو الا وحده . وهذا غاية البراعة .

غير ان الفاظاً نابية ناشرة كانت تجري على لسان شخص
الكركوز . ولو خلا منها هذا التجاور ، ووضع الاذكار . روايات
مخصوصة الكركوز ترمي الى الخلق والفن لاصبح هذا التمثيل
الشعبي نعمة الشام في لياليها .

ولو عدت بالذكرى على جناح الخيال الى ماضي الشام قبل
الف سنة وما يزيد عليها لالقيت في دارات امية ليالي فوات عرفها
الحلفاء . الامويون والامراء الشاميون كانت تحتضن فيها الاعواد
الغيد الامايد في جمع من الممايد وتدور الدنان على الكؤوس
والندل والسقا . والواقصات كن اللاكي في تلك الليالي . وان
عدت بالدهر القهري جنت غسان في مرابعها فاذا اولاد جفنة
في متهه البرص وعندهم حسان في ليله شامية ساحرة قراء .

هذه ليالي الشام :

خالدات يزدين بالانهار

قد بدلت الشموس بالاقمار

وتركن الزمان يروي هواها

ساحرات في هداة الاسحار

زكي الحاسي — دمشقي

المرأة والادب

بسم سامي الكباشي
صاحب مجلة الحديث

في استطاعة المرأة ان تظمّن معالم العنبر
عند زووجها او انه ناعده على انظارها .
(لاد)

ويقول جان جيرودو في مسرحيته « امقاريون » :

« ان المرأة مخلوق تلك عاصفة وتلك هرة وتلك زبد »

ويفسر الدكتور ناجي هذا الرأي بقوله ان المرأة تصكون عاصفة حين يطلق لها العنان فتسبح وتبح لها الحرية التي حرمت منها قسداً ، وحين تجد من يدها فتصير حاكماً يامر . وتكون هرة اي تنكش وتدهن وتقلب الدف . والامان في عسود القرف المقرونة بسيطرة الرجل وتكون زبداً حيث تكون الرجعية وحيث تكون الاحوال البدائية وحيث لا يكون لها من الامر الا ما هو مستطاع في طبيعة الانثى التي تلد وتربي .

وقد ذهب بعض الفلاسفة الى القول - وهو يثر - « ان الشيطان هو الذي خلقه » فيعلم الله ، فلما نهض الله من نومه انبأ الشيطان على ما فعل ولكنه سمح للشيطان ان يعيش فاشتت ووجد الرجل انها ملحة حسنة فأخذها بيدها وانطلق الانسان يرحل وينتسلان حتى ملأت الارض ذريتها .»

والاقوال كثيرة عن هذه الانسانة اللطيفة التي تكمل نصف الرجل - هذه المخلوقة القاتنة التي شغلت القلوب والعقول فكتب عنها عشرات المجلات ومئاتها هي التي تزيد ان تبين مكانتهما واثرها في الادب والاداء .

واذا كانت المرأة عند الكثيرين هي النجعة العلوية التي يرون في ابتسامها ابتسام الحياة واشراق الكون له فان بعض المتشائمين قد رأوا فيها اراء مضطربة هي صدى النزاعات المتشاورية وانظروا لهم القاتنة .

كان شوبنهاور مثلاً من ألد اعداء المرأة وكان يعيب تسميتها « الجنس اللطيف » في حين ان شكلها قبيح - قبيح الله - وخلقها لا تتألف فيه ولا تناسب ، وقوامها ينقصه الذوق الفني ، ولم يكن هذا الرأي الاقن بل هجا المسيحية وانحى عليها بالاثرة لانها احقرتها وجعلت لها بجانب الرجل مقاماً رفيعاً .

وينتبه كان اشد لحرارة . واحتقاراً للمرأة من شوبنهاور .

ما هو اثر المرأة في الادب ؟

قبل ان نلج غار هذا الموضوع نريد ان نقول كلمة في المرأة ، في هذا القرن الانساني اللطيف الذي حار الادباء والشعراء والفلاسفة في حله وجلاء خفاياه . نعم ، منذ ان وجدت المرأة على ظهر البسيطة الى يومنا هذا ، والمفكرون في حيرة دون ان يغذوا الى اغوار نفسها ، وقد بدأت هذه الحيرة منذ بدء الخليفة . هل هي منشأ الخطيئة الاولى ؟ هل هي التي اعطت آدم الثمرة المنع عنها . هل هي ضميعة تستحق الرفق والحنو . ام قوية يجتث بأسها وجبروتها ؟؟

يقول كاتب معاصر فكاهي (١) : ان المرأة شخصية مزدوجة بحكم الخلقة والطبيعة لا يحكم الاكتساب ، ولا يحكم الطوارئ . ولا يحكم التجارب فهي اجنة صباحاً والنجس مساءً . وهي البعد والسلام عصرأ . وهي النار والسور ليلاً وهي النجاسة القاتنة والمخدوعة الفتونة . وهي الحيرة المحسنة والشريعة الظالمة . وهي الضاحكة الباسمة والبكية القاتلة . وهي الرقية الخلسة وهي الخائنة العادرة ، كل هذا قد يجتمع في مكان واحد ، وزمان واحد فان جهت في كشف السر فلت .

والى هذا اشار المتنبي ، وهو يصف طبعاً بقوله :

اذا غدرت حسناً وقت بعدها

فن عهدا لا يدوم لها عهد

وان حقدت لم يبق في قلبها رضى

وان رضيت لم يبق في قلبها حقد

كذلك اخلاق النساء وربما

يضل بها الهادي وينفي بها الرشيد

(١) الاستاذ فكري الجاد

في الإنسان المتشفت الزاهد ، ومع ذلك فقد خاف فيلسوفنا عليها
صعها ، خاف عليها من اتساع الرجل الحادة واضفاره المستونة .
اصمعه يقول :

شر على المرأة من حمامها
ارسالك الفاضل من زمامها
ومشيتها تضرب في اكمامها
يفوح رياء الطبيب من امامها
زائرة المسجد في المامها
تأتم والحبيبة في انتمامها
بأحدل ما عف عن كمامها
اعاذه الخالق من امامها

أيدافع المري عن المرأة ام ينتقصها ؟ لا شك انه الى وصفه
مغتن الغراء في طبيعتها يدافع عنها ويمجدها من اهواء الرجال .
هذا رأيي الطاعة على علاته واننا واثق ان احدا لم يفسر رأيي
لمري هذا التفسير الذي اتحمل تبعته بكل اطمئنان .

بعد هذه التوطئة نسأل ما اثر المرأة في الادب ؟
فالواقع ، ان أكثر من اديب واحد من افذاذ الادياء العالمين
الذين خلعت آثارهم مدينتون في ابداعهم الفني « الى المرأة التي
جعل الله في فطرتها نوعاً من السحر والخلافة والجمال هو الذي
يسمى بخيال اهل الفن الى ما يبدعونه في آثارهم الفنية ، ويلاهم
الشعراء روائع الشعر ، ويذكرني في قلوب المحبين ناز الشقي العظيم ،
واذا كان جمال الحياة فناً وشعراً وحياً فان المرأة هي التي تبني كل
ما في الحياة من معاني الجلال » (١) .

وكأنما شامت الاقدار ان تختص المرأة بهذا السر الذي يوحى
للادباء والشعراء والفنانين . اي سر هذا ؟ قد لا يستطيع
اقدار الكتاب على تحليله . وكثيراً ما عثر بالشاعر والفنان وعشت
غريبة حين يستوحى امرأة جميلة سرعان ما تنقله من عالم غير عالمه
الى عالم سحري ملي بالطيوف والاحلام — واذا نحن — وقد
رسم خلجات نفسه واهتزازات عاطفته — امام قطعة من الادب

(١) الشيخ مصطفى عبد الرزاق .

ورأي شيخنا ابي العلاء معروف فلا تنبسط هنا في سرده ،
كما لا يزيد ان تزج صاحبنا توفيق الحكيم المتهم بعداوتة للمرأة
بين هذه الزمرة ، فهو من هذه التهمة براء ، وهو الذي استرحى
المرأة في جميع كتاباته وقصصه ، أليس هو القائل : « ان المرأة
الجميلة في مجلس الادياء لها فعل السحر ، تستطيع بغير عصا ان تخرج
جواهر البيان من افواه الادياء . »

وسواء تعددت الاراء حول المرأة بالخير او بالشر فهي منذ
الخلقة الى يومنا هذا ما زالت تمثل دورها على مسرح الحياة
بلباقة ودقة وحذر ، وما زالت تلك الزهرة الجميلة التي تعطر اجواء
الكون بارقيها العبق ، والطائر الغرد الذي يسمعا ارق الاحسان
واعذب النغمات ، والحلم الذي يكشف لنا يقظة الحقائق ، والضوء
الذي لا نكاد نتيقنه في ليل الحياة الطويل حتى ينير لنا الدنيا
فتراه باحة مشرقة الربيع ! أليست هي التي تطمئن حياة الرجل
كزوجة وتحذو عليه كاخت وتترامه كأم ؟ أليست هي التي تنفخ
في كيانه هذا الاشعاع العاوي الذي تتركه كائنات متفوق اشبه
بالمهمين يبدع ويختر ويأتي بالاعاجيب .

بلى . هي المرأة التي اجتمعت كل الامم وفي كل العصور على
تقديسها ، ولا عجة لبعض المتشائين الذين وصوها وحبات حنطة .
فالو مجتأ عن العوامل الخفية التي دفعت شوبنهاور مثلاً ان يكتب
عنها ما كتب لأبنا فشله في الزواج من جهة ، والخلاف الذي
استحكم بين امه وابيه من جهة ثانية ، ثم فرار امه ووقوعها في
الهاوية من جهة ثالثة . كل هذه العوامل هي التي حفزته ان يقول
قوله السوداء في المرأة ، وقل مثل ذلك عن غيره ، ولأن خص
ابو العلاء المرأة ببعض لوائحه فقد خص الرجل كالنسان باقوى مما
خص به المرأة .

فتسألم ابي العلاء ليس خاصاً بالمرأة فصعب بل بالانسان الذي
يخفي وراء انسانيته الظاهرة العرافة انسانية مظلمة كاذبة شريرة
خادعة لا تعرف غير البغض والحقد والمكر والتلون . وهذا ما لم
يستطع ان يمتحله رجل حساس وانسان متفوق بلا الحياة وعرف
اخرق البشر كأبي العلاء .

وكأنني شيخ المعرة وفيلسوفها الحكيم اراد ان يحمي المرأة
من برائن الرجل قبل ان يكيكل لها الدم فهو يمجدها من القس
اذا ذهبت الى الكنيسة ، ومن الامام اذا ذهبت الى الجامع .
وقد رمز الى القس والى الامام لانها يمثلان اتقى صفات الكمال

يشعر بالحاجة الى الادب او الفن باعتباره غاية حياته .

ويضرب هذا العالم امثلة كثيرة لتعزيز هذه النظرية التي يقتبسها من القرام العذري الذي احس به الشاعر بتداركه من لورا ، ويوشكين من غراسيا ، وتورغنيف من مدام فباردو وبشت اخيراً ان انتاج اولئك الادباء كان خصباً قوياً خلال الفترة التي كانوا فيها عذريين وان ذلك الانتاج قل وضعف في الفترات التي استسلموا فيها لمطالب البدن واحكام الغريزة .

وفي ادبنا العربي كما قلت عشرات الامثلة على هذا الرأي . نعم فالقرام العذري قد مثل دوره في قلوب المجنون وقيس وكثير وجيل وغيرهم وغيرهم وكان من اثر هذا القرام ان ظهر الشعر العربي بقصائد غالبة في العذوبة والرقّة وتوصير ، نازع النفس واهوا القلوب . ولهذا الادب لونه وطابعه وهو لون جميل من الحلوقة والوجد ، من البسكا . والحيين ، من الالم والمضاد ، من الشوق والهمام ، من الطيور والاحلام كان الرؤاة اثرها في خلقه . واستطيع ان اقول - وقد رسم الشعراء خبايا نفوسهم بحجرة كأثراً وقدات من ناز - استطيع ان اقول ان الشعر الغزلي والشعر الغنائي في الادب العربي - بل في جميع الاداب العالمية - مديان بوجودهما الرؤاة والمرأة فقط .

على ان اثر المرأة في الشاعر او الاديب او الفنان لم يظل عند هذا الطيف الوافية الجميلة من عالم الحس والوجد بل كان لاتعداها المباشر بهم أبغ الاثر لا في انتاجهم فحسب بل في تلوين حياتهم وفي تلويح الاداب عشرات الامثلة ومئاتها على ذلك ، وفي ادبنا نذكر عتيقة وليلى ولبنى وتوبة وبشينة وعزة واميا وعفرا والميلا . وهند ومي والقريا وسلامة وام البنين وزينب وعنبه وفوز وعلا . وامامه والولادة وكثيرات غيرهن .

فلولا عتيقة بنت عم امري . القيس لا رأينا في شعره المتعائل الوعر هذه المسحة الرقيقة في تصوير المرأة الجاهلية تصويراً واضح المعالم ، يصف ادق ناحية في جسمها ولا ينسى ان يصف مظاهر الازياء في عصرها .

ولولا القرى - وما اكثر ثريات ابن ابي ربيعة - لا قرأنا اخلا آيات الشعر الغزلي في صدر الاسلام واشبه قصص الحب التي لاتقل في روعتها عن احاديث بيدلوني عن عشيقاته التركيات .

ولولا ليلى لا كانت قصة المجنون .

ولولا لبني وتوبة لا كان قيس بن ذريح ولما تناقل العشاق

الرفع نفس فيها اصدق احاسينا واعنى خواجلنا النفسية وقد لا تكون بين الكاتب والمرأة التي يستوحها اية علاقة او صلة الالهة الصلات الحسية التي تربط بين الفن والجمال وبين الشعر والالهام . وكثيراً ما نشاهد اديباً او شاعراً قد جالس في ركن مكتو يتأمل امرأة جميلة وينظر اليها نظرات علوية بينما المحيطون بها ينظرون اليها نظرات سفلية ، حسبه منها النظر العف والتأمل العميق ، حسبه منها صوتها الرقيق الحلو ذو الجرس الموسيقي الساحر الذي يستحيل في اذنه الى نغمت ، حسبه نظراتها الصافية العميقة التي تستحيل في نفسه الى بحيرة جميلة من الحلو والحب والشوق والامل والفرح . وهذه هي بوائب الالهام التي تضفي على ادب الاديب وشعر الشاعر وفن الفنان اصدق الآيات التي تتحد مع الالام . هذا الوعي الذي تقضي به المرأة على الكتاب . ٠٠ اثن حدوده ؟ .

هنا العقدة هل يشع نوره في ضوء من الحب الافلاطوني البري . ام هذه الصلات الحسية الواقعية بين الرجل والمرأة ؟ وبدون انكار اثر الباشين فان الوعي لا يزل على الماهيين الام . مصدر علوي ولكي يلمح الوعي اثره في نفس الكتاب يجب ان نظل المرأة في افقها العلوي وطهرها الملائكي وهو ما يطلق عليه « الحب العذري » وفي تاريخنا الادبي عشرات الامثلة على اثر هذا الحب في نفوس الشوالم المتيين ، وقبل ان نسرده الامثلة نقتل العالم ليكولوجي عن المعجزات الفنية التي قامت برأس طائفة من كبار رجال الفن والادب تحت تأثير المرأة . يقول هذا العالم .

« ان القرام العذري هو الذي يلمح حاسة الخيال في ذهن رجل الفن ، وهو الذي يدفعه الى مواصلة العمل والانتساج وذلك لان امتلاك المرأة المحبوبة يحردها من اطوارها الشعري اولا ، ويقول بين الاديب والفنان وبين اتحادهما مادة للوعي التي ثانياً .

فالوعي الفني ان يكون خصباً الا متى انحد من امرأة لم تولثها العلاقات الجنسية . وفي تلك الحالة تظل المرأة مخلوقة من جمال ونور . ويظل الاديب او الفنان مولماً بها ساعياً جهده لتحقيق علاقته الصميمة بها عن طريق الفن او الادب فقط . وكلما اجتهد الاديب او الفنان في تطوير حبه من العلاقات الجنسية عوض عن هذا النقص بالانكسار على الانتاج الادبي او الفني ثم رفع انتاجه وقدمه الى المرأة المحبوبة كهدية او قربان . وكلما انحطت علاقات الاديب او الفنان بالمرأة قل انتاجه ووجد في اللذة البدنية كفايته ولم يعد

شعره كملاح يحدد الصابين بحركات الغرام .

ولولا «عزة» لما تمتعنا بشعر «كثير» واقاصيصه العذاب .

ولولا «بشينة» لما قرأنا حركات جميل في مقطوعاته الوجدية وقصائده الغنائية .

ولولا سلامه لما لمسنا في شعر الاحوص هذه الطيروف الماحجة في

تصوير خليجات النساء .

ولولا فوز ما ترك لنا ابن الانحف اجمل ايات الشعر الوجدي

الراقي .

ولولا وحيد الغنية لما ترك لنا ابن الرومي قصيدته الدالية التي

يعتبرها المازني ليست من اجمل الشعر العربي فحسب بل من اجمل

الشعر العالمي في تصوير مآزغ الحب والجمال .

ولولا علوه لما ابداع البحري غزلياته الصافية التي تصور مباحج

الحب في ربوع الجزيرة ومنهج كتابها اشراقه الرابع .

ولولا الولادة لما خلعت قصائد ابن زيدون ومشجاته الاندلسية .

وبعد فلولا «شهرزاد» ولداتها الفاتنات الساحرات في قصة

الف ليلة وليلة لما خلد هذا الكتاب الذي نقل الى اكثر لغات العالم

بيننا نقرأه في العربية بطبعته السقيمة المشوهة . فن الذي كتب هذا

الكتاب ؟ لن نخوض في هذا الموضوع ولكن نألا شك فيه ان

الذين كتبوه قد استوحوا المرأة . فلولاها . . . فلولاها وسحرها

وفتنها وعشها واقاصيصها العذبة لما ظفرت العربية بهذا الكتاب

الذي يحتمل مكانته بين انفس الكتب العالمية القصصية

هذه لحلت سريعة عن اثر المرأة في شعراء العرب فما هو اثرها

في شعراء الفرنج ؟

ان اثرها ابلغ . . . والجمال لا يتسع لسرد الامثال الكثيرة

فحسبنا هذه الملحات الموزجة عن الافئدة الخالدين . . .

فيذا غرته ، شاعر الامان الفذ ويكاد يكون مديناً مجلود

اجل رواياته الى المرأة — الى صواحبه الجميلات — وقراء العربية

مفتنون بروايته «آلام فوتر» وربما لا يعلم البعض ان هذه الرواية

هي ثمرة عشقه لثرلوت بوف وان مغررت بـسلسلة روايته الخالدة

«فاوست» لم تكن الا انا اصابا بشومان — تلك الفتاة التي خلد

ذكرها باسم ليبي والتي كانت الاولى والاخيرة التي انطوى قلبها

على اصدق الحب — تلك الفتاة العارضة الماعوب التي شهبها بالساحرة

اليونانية التي كانت تمسخ من تجبه حيواناً سلس المقادة يهبط في

حبا حيث يشاء «(١)» .

ولادارتين الشاعر الفرنسي مدين بروايته الرائعة «روفاثيل»

الى جوليا التي قتته . منها . للاحمها الشاعرة وقصائدها الرائعة فاقبل بها

واغرم مجبها وقضى معها ثلاثة اسابيع على ضفاف بحيرة بوجة «ذاق

فيها حلاوة الغزل الجليل ولذة الحب النبيل ورقة الشعور الحض ولم

يسكد يجدد معها . وعداً للاقا . جديد حتى فوجى . بنعيا فانه الخبير

وبرح به الحزن وانجس الدمع من عينيه والشعر من قلبه فأتى

في رثائها وذكراها بالعجب المعجز ، وقصائده في «الفير» وهو اسمها

المستعار اشد ما في ديوان التأملات استهوا للشعور وامتلاك

للنفس «(١)» .

وقل هذا عن دنائتي الذي احب بياتريس وهي في اول

تقنتها للحياة وما زال هذا الحب ينمو ورشد حتى كان اثره قويا في

نفسه وفي اديه وفي العويته الالهية .

واثر النساء في التمدد خلود عبقرية جان جاك روسو غير منكور .

واثر غاني براون بالشاعر الانكليزي كينس واضح الاثر جداً

فلولاها لما ظفر العالم باعظم ما انتجت عبقرية كينس من امشال

قصائده . . الى الببلل والنجم المتألق . . وغيرهما من فوائد

الادب العالمي .

وتبرزنا الجميلة التي فرت من زوجها الكونت الايطالي وعاشت

مع الشاعر الانكليزي بيرون . لقد كانت تؤثر بحبيها على نفسها ،

محمية على الظلم وتعمل على اذاعة شهرته وتحصل له الخدمة والولاء .

ونعلمه عن مثالية عاقلة الرديئة .

والفرد ده . موهل صفا شعره ورق الا بعد ان احب واخلص

في الحب كما يقولون .

ورينان أليس مديناً الى اخته هنريت التي وجهته في اخريات

ايامه وجهات صوفية نحو . معالم اليقين بعد ان كان من كبار

المتشككين .

واناتول فرانس جرد اديبه من روح المرأة فهل تستطيع ان

تهضم شكوكه الفلسفية ولا ادبرته الهائلة الساخرة .

ومكسم غوركى الاديب الروسي العالمي ان حياته مقرونة

بحياة نيزا سولو كولوف تلك الفتاة التي ابرقت فيه نزعة المحبة

وعلمته معنى الرحمة بعد ان كان . أخوذاً بتعاليم انتاشد الا لانيته

وجعلت منه ذلك العبقرى الانساني النبيل الذي عاش ومابجها

في سنبل الروسا . والمحرومين .

ويبيرولي في أليس اديبه مجزواً بسحر المرأة واقاصيصها المغربية . .

(١) مقدمة رفاثيل الزيات

(١) نذكر جيتي للعاد

لقد كان المرأة التركية التي خلد فنتها وسجرتها اثرها العميق في نفسه وعامل قوي في اشراق ادبه . .

ويجدرنا ذكر بير لوتي الى ذكر عبد الحى حامد شاعر الترك الاعظم فقد مثلت زوجه (فاطمة) في حياته اكبر دور فلما فقدتها في بيروت وهو في طريقه الى الاستانة بعد عودته من الهند حيث كان سفيراً للدولة العثمانية - كتب ديوانه « متهجر » الذي صب فيه احر عواطفه الانسانية في الالم والحلوى وفي فلسفة الموت ومن الغريب ان يترجم هذا الاثر الى نيف وثلاثين لغة دون العربية ، وبعد وفاة فاطمة تزوج لوسيان بعد ان انحدر من الكهولة الى الشيخوخة اي بعد ان باعد العهد بينه وبين ذكرى زوجته التي رثاها بديوانين آخرين ، لقد لبثت لوسيان معه حتى الساعات الاخيرة من حياته وكانت مصدر الهامه ووجه والها يرجع الفضل في اثاره بعقيرته وعدم هجرها حتى في السن التي يقف فيها الاديب المتسهم عن الانتاج .

وجبران خليل جبران ليس مديناً بروايته « الراحلة المشكورة » الى سلى كرامه - وهو الاسم المستعار لفتاة (؟) الفتاة المألوبة التي أيقظت روحه بحساستها ومشت امامه الى جنة العواطف المألوبة حيث تمر الايام كالاحلام وتنقضي الليالي كالاعراس .
ويكاد يكون الدكتور طه حسين الاديب العربي الوحيد الذي يعترف بأنه مدين باده الى زوجته سوزان المرأة الفرنسية النبيلة القاب الرقيقة الشعور - فلا يكاد يظهر كتاب من كتبه حتى يهديه الى التي كانت له نوراً بعد ظلمة وانساً بعد وحشة ونعمة بعد يؤس .

اذن فهند ودعد وعفراء وعلاوا وشملوت والغير وفاطمة وسامى ومن اليهن من اللغات الفاتنات قد كان لمن اكبر الاثر في الانتاج الادبي وهذا هو سر المرأة .

ومن الغريب ان يكون المرأة اثرها في الشاعر حتى ولو لم تتمتع بهذه الخلافة التي تتمتع بها المرأة الجليلة وكأنا الانونة وحدها هي التي تثير البراهم الملهمة في قلب الشاعر . نعم قد تستهوي المرأة الشاعر او الفنان دون ان تكون الهبة من آهات الجلال وقد يرى فيها سحراً وجاذبية لا يراها الآخرون وسر ذلك

ان جمال المرأة ليس في بدنها فحسب بل في روحها وما تغضره في اطوارها من ملاحه وجاذبية وقنعة فبؤدير مثلاً قد تمثل شذوذه في سردا. وآثرها على سميتها البيضاء وعشق السمرات لاعتقاده انهن اقرب الى الشعور بكل ما يفيض به الحس من الشقراوات ومن ديوانه ازهار الشر المتوقدة استمد افكاره المضطربة وصاغ اشعاره الثمالية التي وصفت بانها تلعب كالخام الاسود . . وفي كتب الادب العربي ان عبد الملك بن مروان رأى شبيبة بعد موت جميل فأفكرها وقال لها : ماذا رأى فيك جميل حين هام بك وانت حمراء ادماء دقيقة الساقين حديدية العقبين ؟ فأجابت بجدة : لقد رأي جميل بعيني لا بعينيك يا امير المؤمنين .

ووصف ذو الومة صاحبة للفردق ثم اراه اياها بعد ان اسمه وصفها فقال الفردق ولكني لا ارى شيئاً بما تصف .
قال اسكت فض لله فك والله انت ترى كل شيء ولكن الحمد اكل قلبك فانصرف الفردق وهو يضحك من سخريه صاحبه .

يخرج من هذا الى ان المرأة هي دائماً ذات تأثير مباشر في فن الاديب فيعكس في ادبه ما يراه في ذاتيتها من عوالم مشرقة او قاتمة وظل اثرها هو في تكوين ادبه وامدادها بالوحي الذي يفيض عليه الحياة وقوة الحاد .

على أننا لا نريد ونحن نحتم كلامنا ان نقول ان المرأة هي التي خلقت كل هذه التروايات الادبية ، لا . اننا ان حكمنا هذا الحكم المجرد نكون امهنا حوافر العبقرية في الاديب او الشاعر . ولكننا اردنا ان نقول ان كثيراً ما تكون عبقرية الاديب ثاقبة وقد تغفو طويلاً فلا تلبث ان تستيقظ على نعمة من صوت فتاة او نظرة من عيون امرأة . وهنا سر الوحي وهنا يتجلى اثر المرأة في بحث الادب وتوجيه العقول نحو غاياتها المثلى مواذا كان التاريخ يحددنا احاديث طويلة عن اثر المرأة في اشاعه الرسالات وتوجيه السياسات عن اثر كاتربا ترا في قيصر وخديجة في محمد وجوزفين في نابليون مثلاً فبدعي ان يكون اثرها في حياة الاديب انفذ وامضى .

سامي الكباي

تقاليد لبنانية

فلم شبن طباره

فت

وهم في غاية الحزن حتى حصلت قيساته . وذكرونا اليوم السابع باصدقاً . ايوب الثلاثة الذين جاؤوا ليعزوه في مصابه كما ورد في سفر ايوب (وقعدوا معه على الارض سبعة ايام وسبع ليال ولم يكلمه احد بكلمة لانهم راوا ان كآبته عظيمة) وما زلنا نقيم الحداد على الموتى في هذه الاوقات معتقدين ان الميت يفوز بالثمن ويخطى باكرام المولى كما حصل للسيد المسيح .

واعتاد بعض النسوة عندنا ان لا يعطفن اطفالهن الا اذا بلغوا العامين فقد شاهدت في النجاء الجبل من يرضعن اولاداً بلغوا الثالثة من سنهم والرضاعة المتأخرة لها فائدتها الصحية اذ لطام لطفل اسلم من حليب الام . في سفر المكابيين (ارحمني انا التي ارضعتك ثلاث سنين) قالت ام المكابيين حضاً لولدها البكر على التضحية وجاء في التوراة التكريم (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) ومن اقولنا المتأخرة عبارة (شعبان من حليب الله) نعت بها الشجاع لرضاعته الكاملة .

ثم ان الجرمة ما زالت عندنا تستخدم لاستقاء الماء فكثيراً ما نرى الفتيات في قرى الجبل يستقن الماء بجرارهن ويحملنها اما على الرأس او على الكتف اسوة بما كان يحدث في عهد سيدنا ابراهيم فقد جاء في سفر التكوين (فقال العبد ها انا واقف على عين الماء وبنات المدينة خارجات ليستقن ماء . واذا بامرأة تاحور فركضت لقاتنها وقلت اسقيني قليل ماء . فانزرت جرعتها على يدها وسقيني .) ومن المجلات التي ما يرحنا نحافظ عليها ونعدها من باب الاكرام عادة الوقوف للقادم فقد وصف ايوب في التوراة شبابه اذ كان في رداء العيش ونعمة الحياة وقال من اين لي مثل الشهور الساقطة حين كان يراني الشبان فيتوادون والشيخ يقفون منتصبين) اما احتجاب الاولاد فبعي كذلك من المؤلف عاداتنا حيث تجسد الكثيرين من الحافظين يحرصون على اقضاء اولادهم من مجالس محرم ولا يشركون الصغار في مجالس الكبار .

وغسل اليدين قبل الطعام من العادات القديمة المريعة اليوم

نظري وانا ادرس الحياة الاجتماعية في لبنان . ما رأيت من شيعر عادات تأصلت بيننا مع توالي القرون وتعاوب الدهور وما زلنا نتشدد في المحافظة عليها حتى اصبحت من تقاليدنا الخاصة التي ننفرد بها عن الامم فوأت ان اعرض لها في هذا المقال بعد ان تبيا لي بحثي وتحليلها وتفسيرها تفسيراً يحتاج لمعرفة كثير من هذا الجيل .

فن عاداتنا العريقة في القدم عادة ترع النعال عندما ندخل البيوت والمساجد لا للظافة فحسب بل للاعتراف بجليلتنا . من ان البيت يدخل كرم المسجد مقام شريف لا يصح ان يطأها الناس بنعالهم فقد كان الاقدمون لا يدخلون اماكن العبادة الا بعد ان يجلبوا احذيتهم ويغسلوا ارجلهم . اول من خلع نعله لدخول الكعبة الوليد بن المغيرة فخلع الناس نعالهم . وهذه العادة تعود الى عهد بعيد في التاريخ عندما نادى الله موسى من جانب الطور وكله قائلاً كما ورد في القرآن الكريم (فلما اتاهم لودي ياهودي)

اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) وجاء في التوراة (قال الرب موسى . موسى قال ها انذا فقال اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة) . ومن العادات التي تحرس عليها : عندما يموت احد الناس بيننا تتقاطر وفود المعزين الى بيته فتستلم بهم ارجاء الدار وما يجري اليوم كان مثله قديماً فقد ذكر يوحنا في انجيله (وكان كثيرون من البلد قد جاؤوا الى مرثا ومريم يعزونهما عن اخيهما اليعازر) ومن عاداتنا في المآتم ان يجلس اصدقاء الميت وعارفوه بين اهله ويشتركوا معهم بالبكاء . والتب عليه . وعادة التذنب على الاموات نقلناها عن بني اسرائيل وقلنا توجد كاسة (الدفن) في العهد القديم الا مصحوبة بالنسب . والمآتم تشغل عندنا الايام الثلاثة الاولى التي تعقب الوفاة وتتجدد في اليوم السابع ثم في ختام الاربعةين . وفي اعمال الرسل ان السيد المسيح قال تلاميذه قبل الصلب انه سيقوم من القبر بعد ثلاثة ايام فاستمروا يتربصون ظهوره في هذه المدة

وجرت العادة عندنا انه عند ما يمر بعض الناس بكروم من العنب او التين لا يجد احدهم حرجاً من قطف ما شاء من الاثمار واكلها من غير مقابل فاذا اعترض صاحب الكرم على هذا العمل ينهي الناس بالافقة ليس على من قطف الاثمار بل على صاحب الكرم وبعثوه بالخيل . يا في شريعة موسى سفر التثنية (اذا دخلت كرم صاحبك فكل عنباً حسب شوتك ولكن في وعائك لا تحمل) وما زلنا نرى بعض اصحاب الكروم وحراسها اي (النواظر) في انحاء الجبل لا يعترضون من يأكل عنباً من الكرم بشرط ان لا يحمل معه شيئاً .

ومن شأن الكثيرين بيننا ان يتناولوا الطعام باليد من غير ان يستعينوا بعلقة او يسكين فيأكلون من طبق واحد مثلاً كان يجري قديماً دليل ما ورد في النجيل متى (فاجاب يسوع وقال الذي يغرس يده معي في الصفحة هو من يسلمني) وبغني به يهوذا الخائن .

والخبز من اقدم الاطعمة التي صنعها الانسان واشتركت جميع الامة في اتخاذ طعاماً اساسياً يؤكل مع غيره من صنوف الاطعمة انما اختلفوا في طريقة صنعه ونحن ما زلنا نتبع الطريقة القديمة في تحضيره وقد انفردنا عن غيرنا من الشرقيين في تقويضنا طحن القمح او عجن الدقيق وصنع الارغفة وخبزها الى النساء ففي سفر ارميا (الاله يوقدون النار والنساء يعجن العجين) وقد وجد الاثريون في قبور القدماء وفي مغاور الجبل خبزاً مصنوعاً ارغفة مستديرة وقد ذر عليها مسحوق بعض البذور كما نذري حب السمسم او البقم على الخبز وفي التوراة اشارات كثيرة الى انه كان في كل بيت (تنور) خاص لصنع الخبز كما هي الحال في الجبال .

هذا بعض ما حضري من العادات التي يرعاها الكثيرون بيننا في اعمالهم اليومية ولا يدرون مصدرها وهناك عادات ثابرة كاستئمانا المطاحن الحجرية والنوم على السطوح واطلاقنا كلمة (ابن) و (بنت) ونعني اسم الاجداد كقولنا مثلاً مريم بنت عمران ويسوع بن داود ثم ان موكب العرس الذي نسميه (زفة العرس) ما برح الى الان كما كان في قديم الزمان ولا ريب اني فيما اورثت قد املت بجل العادات التي ورثناها من العصور البائدة وما زلنا نحافظ عليها بالرغم من اختلاف الظروف وتغير النظم لاننا نرى في المحافظة على التقاليد القديمة اتصالاً بالاجيال الماضية وعاملاً من عوامل الدوام والاستمرار .

سُبْحَ طَبَاة

ققد جاء في النجيل مرقس (فاجاب يسوع لان الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا ايديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشريعة) ومن اقوالنا (غسل فلان يده من المسألة) او (غسل يده من دم فلان) ويرفق القائل هذه العبارة بفرك يطن اليد الواحدة على الاخرى مرة او مرتين للدلالة على ان قائلها بريء مما نسب اليه او انه لا يعنيه من الامر شيء . وتذكرنا هذه العادة ببيلاطس ففي النجيل متى (فلما رأى بيلاطس ان لا ينفذ شيلاً بلطري يحدث شيئاً اخذ ماءً وغسل يديه امام الجميع قائلاً : (لي بري) من دم هذا البار) وعادة غسل اليدين اشارة الى البراءة كانت معروفة عند بني اسرائيل . فقد كانوا فيما سلف اذا وجدوا جثة قتيل ملقاة في حق ولا يعرفون القاتل يعمدون الى اقرب القرى فيأتون بشيوخها لينسلوا جميعهم ايديهم فوق رأس القاتل ويشبثون بذلك برايتهم . جاء في سفر التثنية (وكانوا يغسلون ايديهم ويصرخون ويقولون اديتنا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر فيغير لهم الدم)

ومعروف عن الشرقيين ولا سيما نحن اننا اكثر الامة عنابة بلحاناً يترين بها عندنا رجال الدين وبعض اهل العلم ويعملونها مجلبة للهيبة مدعاة للاقار . واحترامنا للحي لم يتبدل مع تعاقب الاجيال ففي حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام انه امر بتسريح اللحية وقال (الهيبة للحي) وقال (احبوا الشراوب واعفوا الحاجي وخافوا الجورس) وهكذا قال الله لموسى في شريعة اللاويين (كلم كهنة بني هارون وقل لهم لا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يخلقوا حلهم) وفي نظري ان التبيين العظيمين انما عدا الى هذه التدابير ليميزا بين قومه والوثنيين الذين كانوا يدون على وشهد على ذلك صورهم المنقوشة ومميزهم فضلاً عما ورد في سفر باروخ .

ومن العبارات الشائعة قولنا (ببني وبن فلان خبزو ملح) او ميثاق ملح اي عهد صداقة وتذكرنا هذه العبارة بالسامريين الذين ارادوا ان يشبثوا ايمانهم الى الملك قاتلوا في رسالتهم اليه (ان ننسى ابدأ الملح الذي اكلناه في قصرك) ويقول المؤرخون ان العرب كانوا يملحون بالملح اي بالصحة وما زال اهل البادية عندما يريدون ان يعقدوا محادثة او عهداً يأخذ كل من المتعاقدين لقمة خبز ويمسحها في الملح ويتبادلان اكلها وهذا الاتفاق المتبادل هو في نظرهما غير قابل الانقسام فالذي يفسخه يعد خائناً . والظاهر ان فكرة الامانة المعروفة بالملح في مثل هذه العهود متأثرة من ان الملح يحفظ الصداقة كما يحفظ المواد الحيوية والنباتية من الفساد .

اخاف منه الظلام

لاستاند ميتال ابو سرمد

صاحب جريدة الجمهور

محبك لا فتى يشقى سواه
تكلف بسمه الهاني ولكن
ويبدو للعيون قرير عين
عليل ضاقت الدنيا عليه
يحن الى لياليه الخوالي
يحن الاربعين عليه وقرأ
ذوت في ظلها خضر الاماني
بكيت جوى على الاقياء تضحو
ويبهجني الشباب فلا مراح
ولا عود يطيب له شميم
انا في وحشة لا انس فيها
ومن حولي فسيح من شحوب
ارى عمري يغيب كوقع صوت
وفي قلبي الى فجر جديد
اذا مر الصباح ترحت دمعي
اخاف من الظلام وكنت قبلاً
فيا مرح الشباب ورفت ظلاً
سألتك ان بي للحب شوقاً
ودع قلبي على مهل يعاطي

ولا هم كما حملت خطاه
على ياس عميق ، لو تراه
وما قرّت ، وعينك ، مقلتاه
وآساه الحبيب فما شفاه
حنين فتى العشي الى ضحاه
تنو به مرزحة قواه
وعهد الاربعين سنأ وجاه
ويصبح روضها وعراً رياه
ولا كأس تشع ولا مياه
ولا صوت يجاذبني نداه
سوى بوح الفؤاد بمشتكاه
تطاول ، كيفما ارنو ، مداه
تلاشى في هدير من صداه
تعطشه الى فجر طواه
على يوم اواريه ثراه
احب الليل لا يفنى رجاء
ودام لك الصبا ترعى حياه
فلا تمنع على حي مناه
ثمالة ما ترسب من هواه

تغلب الطبيعة . . .

فلم و. ا. سكلر

ثمّة امر يتعلق بالتربية النازية فكرت فيه ملياً في المدة الأخيرة ، هو ان النتائج البعيدة لهذه التربية ستختلف عما ينتظره المراقبون الاجانب ويروجوه النازيون انفسهم جد الاختلاف . والواقع ان في لهجة الدعاية الالمانية الموجهة اليوم الى الالان في عقودهم ، ما يبشّر ان هذه النتائج غير المتوقعة قد جاءت فعلاً .

تعلون كيف أتى النازي نظام التعليم الالاني السالف وابدلوه بنظام جديد يستهدف مسح الالان ، ولا سيما الشبان والاولاد ، اشخاصاً متعصبين من غير تفكير ، وآلات بشرية يسيطر النازي عليها ويوجهون حركاتها وفقاً لآغراضهم الخاصة . ويبدو لي ان النتيجة لم تكن في النهاية الحصول على هؤلاء المتعصبين الذين لا يرون من الامور الا وجهاً واحداً ، بل بالعكس على جانب مستهترين افغمت قلوبهم فشلاً وخيبة . ابل ، ان النظام التربوي الجديد أنتج في البداية اناساً وحيدوي الوجة في تعصبهم وتحجبهم ، لكن لم يلبث المتعصبون المتحمسون المصطنعون ان شعروا على كثر الاعول بان الحياة فقدت كل ما يتحسس له ، فعمدوا الى تناول منة الحياة كيفما تيسر وحيثما ثقت ، واصبحوا لا يحدون الا في المصالح المادية الصرف ما يستهويهم . على ان هذا لم يجعل الحاقق النازي اقل خطراً ، فهو ما انفك شديد الخطر علينا كما كان . كل ما في الامر ان هذا التبدل يجعل النازي مادة لدرس نافع ، فهو النوفج لما يظهر انه القاعدة العامة في سياسة المجتمع الانساني . اذا اوتيت سلطناً مطلقاً على اي مجتمع انساني ، فأردت ان تحدث فيه تأثيراً معيناً ، فقد يكون لك ذلك على وجهه العوم . لكنك قد تقع في الوقت نفسه ، دون انتظار على نتائج اخرى لم تتعمدها ، بل تختلف تماماً عما تريد وتوقعه .

ومين لبالي هنا حادث ذو صلة ما نحن في صده ، حدث في محل التربية المواشي ، اذ اراد اصحابه ان ينتجوا بقرأ هادئة مستكنة وفي الوقت نفسه غزيرة الحلب . لقد رأى اولئك البقارون ان اكثر البقر درأ لا تجديهم نفعاً اذ لم تكن سهلة القيادة تسكن اليهم يعلبونها ، فاضرف العلماء الى دراسة خاصة لوراثة ذرية الانتخاب واين الميركة في البقر والثيران ، وعلموا الى انتاج بقر سهلة المراس ، فنجحوا وحصلوا على نتاج من البقر الهادئة الطيبة . لكنهم الى جانب ذلك وقعوا في نتيجة لم تكن تحطّر لهم ببال ، وهي ان الذكور انسي نتجت مع تلك البقرات الطيبة جاءت من اصعب الثيران قياداً ، بل من اشد الحيوانات اذية . فالاسد والذئب معروفة طياعها ، وفي المستطاع التصبب لاضراوتها . اما تلك الثيران فهي تبقى خلال شهور طيعة هادئة كالغنم ، ثم لا تلبث ان تهيج فجأة ، فتهاجم الرجل الموكل باطعامها ، فتبقر بطنه وتطرحه ارضاً ، ثم تمر كره عرك الرعي ، وكألفا تعمدت قتله . من الحسن ان يقدم هذا الحدث البيولوجي كسمال نافع لاولئك المتوهسين الذين يعتمدون النظريات وحدها ، في رسمهم الخطط التي يزعمون ان فيها حلاً لكل المعضلات الانسانية . فهذه الخطط قد تأتي بالنتائج التي يتوقعها راسمها ، لكنها تأتي ايضاً باكثر من تلك النتائج التي ارادوها . فليس البشر والمجتمعات البشرية من البساطة بحيث يجالون .

واحسب ان حكومة النازي في مناهجها التربوية تعاني اختصاراً شبيهاً باختبار اولئك البقارين . فهذه المناهج قد احدثت في البدن عند الشبيبة الالمانية الحالة الذهنية التي استهدفوها ، لكن هذا المزاج تطور فيما بعد تطوراً لم يريدوه ولم يروا اليه ، بل اصبحوا يرونه صعب القيادة شديد الخطر . وهذه النتيجة هي ، ولا مرا ، ما يسع كل دارس للطبائع البشرية عموماً ان يتنبأ به ، حتى وان لم تكن له تجربة بقضية المانيا النازية . تلك هي الطبيعة الانسانية ، وقد يكون من المفيد ان تعلم لما هي كذلك . لكن ليس هذا من قصدا الان . كما انه لا يعني ان هذا الاحداث الملاحظ ، من الحوادث الطارئة على النفس الانسانية ، يبدو مكتنفاً بالاسرار ، فهذا ما لا يبرره ولا يدفع ضره . ومن الاحداث المكتنفة بالاسرار في الطبيعة البشرية انك لو تعمدت منح السعادة ، والسعادة وحدها ، لما توصلت الى ذلك . فالسعادة ورضى النفس هما من المحصلات الثانوية التي تنجم بدورها عن شي . اخر . فانت تبال السعادة اذا انصرفت الى السعي وراء مقاصد اخرى تكون هي هدفك الاصلي . وقد تلقى السعادة في الطريق ان تكن الظروف مؤاتية ، لكنك لن تلقاها اذا تعمدت لقيانها . ومن هذا الضرب من النتائج غير المنتظرة في سلوك البشر ، النتيجة التي ادت اليها التربية النازية . فان نكون قد تنبأنا بمد مراقبة الناس في تصرفاتهم

بان الرجال والنساء الذين يمتنون غريباً منطلقاً في دولة حديثة ، على التعصب الشديد الاعمى ، يؤول ادمهم في النهاية الى الاستهتار بكل شي. والبأس من كل شي. - ان نكنن قد تنبأنا ذلك بصورة عامة ، فالمسألة المهمة الان هي ان هذا قد اصبح امراً بديهياً في المانيا بحيث تحقق في حد بعيد . واقرى دليل عليه لهجة الدعاية الالمانية في العهد الاخير . ونحن هما يكن رأينا في الدعاية الالمانية فلا شك في انها فعالة من الوجهة الحقيقية فيما يتعلق بالنتيجة القصيرة المدى . ولو لم تكن كذلك لقتل بنديريها الى خارج اعلمهم منذ امد طويل . وما كانت وزارة الدعاية تقطر الشعب الالامي في خلال اسابيع واشهر وابلا من الكلام المتشائم لم يكن في هذه الدعاية ما يستوي السبب الالامي . لقد خلطت تبديلاً ذا شأن في لهجة الدعاية الالمانية الاخيرة ، فاشترت اليه منذ نحو عشرة اسابيع ، اذ بدأت افطن الى ان هذا التبديل قد حدث فعلاً . لكن هذه الالهجة الجديدة صارت منذ ذلك الزمن قاعدة لا تحوير فيها ولا تعديل ، في المانيا من اقاصها الى اقاصها . ان الحكومة النازية تخاطب اليوم شعبها بالطرق المادية الصرف التي تختلف جد الاختلاف عن دعاية ١٩٤٠ المذهبية الخساسة . في الاشهر الاخيرة تحولت لهجة الدعاية الالمانية ، حتى في خطاب وزيرها نفسه ، الى التصريح بان المانيا لتخاربت انتصاراً لمذهب او مثل اعلى ، بل انما تخاربت لاحراز مكاسب مادية ليس غير ، وان السبيل الوحيدة اليها هي غضبها من الشعوب الاخرى . ولقد قال غوبلز في خطبته الاخيرة بونسيخ : « نحن لتخاربت من اجل مبادئ سامية ، بل من اجل اشياء اكبر خطراً هي الحديد والزيوت والحفنة . »

وان الاثر الذي يجتذبه في نفسك سماع اي داعية الماني يتحدث الى بني قومه في هذه الايام - اعني اثر نبرات صوته واسلوبه واقواله على السواء - هو انه ماجن مستهتر متشائم يخاطب مجاناً مستهترتين متشائمين . يقول هؤلاء الدعاة لهم ان واجبه ان لا يكنوا عن الحرب اذا كانوا يريدون ان لا يصابوا بالبرد والجوع ، وان الدف. والشع وخفض العيش هي كل ما ينبغي ان يهتم له الناس ، وان المثل العليا كلام فارغ لا طائل وراءه . انه لتبدل ذو شأن . واعترف اني لاول علامة من علاماته تولتي الحيرة . فقد كانت نظرية هتلر في الدعاية عكس ذلك . قال في كتابه « كفاحي » ان الطريقة الوحيدة لحل الالام على الاستمرار في القتال هي جعلهم يعتقدون انهم يقاتلون من اجل مثل عليا . وهالك ما قاله هتلر بنصه : « لقد صمد الالان ظالماً اعتقدوا بانهم يمارون من اجل المثل العليا فلما دعوا الى متابعة الحرب من اجل خيرهم اليومي اتروا التسليم . » واستطرد هتلر بعد ذلك الى القول بان الساسة الالان كانوا عظميين سنة ١٩١٨ - ١٩١٩ في مصارحتهم الشعب الالامي بانه يجب ان من اجل خيره قال : « لم يدرك اولئك الساسة هذه الحقيقة الواهنة وهي ان المرء اذا دخل في الحرب لاسباب اقتصادية فقط فيسند لجهوده لاجتناب الموت ، لان الموت يسلبه الى الابد المكافأة التي يريجوها من وراء كفاحه . » هذا ما كتبه هتلر سنة ١٩٢٤ . ولقد كنت اظن لاول وهلة ما ان غوبلز يستند في طريق الدعاية على خطته العملية المادية المناقضة للنظريات المتطورة . لكنني كنت اعلم ان الدعاية في المانيا لا تستمر اشراً عديدة على وتيرة واحدة لو كان هتلر غير راض عنها . فلم البش ان اعتقدت مع الايام بان هتلر وغوبلز على السواء قد اقتنعا الان بان الدعوة الوحيدة التي يمكن ان تؤثر في الشعب الالامي هي الدعوة الى الدليلات . وهما يكن رأينا في كتابات هتلر للاضطلاع بسائر الشؤون ، فلا شك في ان حكمه على تأثير الدعاية المباشر القريب المدى في الشعب الالامي هو حكم ندد بصير . فهذا التبديل اذن في لهجة الدعاية الداخلية دليل ناصع على ان الشعب الالامي قد تبدل ، وأنه قد تبدل على صورة لم يتوقعها هتلر . ان ما حدث في المانيا هو ان الحكومة النازية قد حورت عن عمد التعليم ، وحورت القوانين وسائر الاسباب التي يتوصل بها مجتمع الى تنظيم ذاته . وقد سخرت الحكومة كل هذه الوسائل خلال اعوام ، كي تجعل الشعب الالامي مجموعة من الافراد المتصيين الذين لا روية عندهم . وقد وقت في ذلك زمناً ما . فالشباب النازيون الذين عرفناهم قبل الحرب ، والجنود الذين اسرناهم عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ كانوا متحمسين متعصبين . لقد افلح هتلر في انتاج ما شاء انتاجه . لكن عمل هتلر لسوء حظه وقف عند هذا الحد . فالتبيعة البشرية ليست كالطين ، وليست تبقى على الشكل الذي نجعلها فيه ، بل تستمر متطورة وفق نواياها . في وسعك ان توجد رجالاً ونساء على الشكل الذي انشأه النازي في السنوات العشر الاخيرة بين الالان ، فيجيشوا متعصبين متحمسين في الغاية ، لكن هؤلاء ان يظلوا كذلك بل ان هذا يعني ويجل محله شعور بطلان كل شي . وبالحقيقة من كل شي . ثم يؤول ادمهم الى الاستهتار بكل شي . ما عدا المطالب المادية الصرف . ولماذا يحدث هذا التطور ؟ تلك مسألة اخرى . المهم ان هذا التطور حادث لا محيد عنه ، وهو ما نشهده في المانيا النازية . كل ما سمعته من محطات الاذاعة وقرأته في منشورات الصحف ، وعرفته من احاديث المسافرين المهاجرين الذين زاروا المانيا ، يزيد هذه الحقيقة ، وهي ان احكامم هتلر على النتائج المباشرة القوية المدى كانت صيبة ، لكنه في الشؤون البعيدة المدى اخفق وجاءت النتيجة على عكس ما اراد .

حسد المرأة

بسم البدة ودار سلاكي

رى

لو أدركت أبا عثمان أورد هذا الزمان ، ذلك الشيخ
المراح باده ، النغار بخصافته وثقافته ، ذو العينين
الجاحظتين والوجه الكالح وقد سلك في نعليه بوجا ، وارتدى بردين
سابقين ولاث عامة مكورة أبو عثمان عمرو بن جرج الجاحظ ، لورد آلي
هذا الأدب العالم لو أتيت زمانه أكان يسلم من لومي ويخلص من
عتابي ؟ فقد كتب سامحه الله رسالة في الحاسد والمحسود وهو الذي
عاشر الناس وتغلغل في أعماقهم وتسلل الى دخالهم فبسط نسا في
تصانيفه خصائصهم وطبائعهم وكشف عن كل فريق منهم فذكر
بعض الرجال وما تكن صدورهم من المواجه بالحاسد وما يشتجر
بينهم من الوقيعة وضروب الشر والضيعة ، ولم يذكر المرأة
الحسود ولا المحسودة ، ولعل له عنراً خفياً في هذا الإهمال تجلوا
بعضه تلك النوادر المضحكة التي رواها عن النساء اللاتي كن
يسخرن من قبضه ويفجمنه بالنكتة المرأة والجراب المسكت ،
من تلك النوادر خبر المجاعة الشيطانة التي أسقط على النجار اصنع
لها عفريناً تخيف به صغيرها اذا بكى او اشتكى فقال لها النجار :
- يا ستي بما رأيت عفريناً حتى اصنع لك مثله ا فقالت المرأة :
- اصنعه مثل هذا وأشارت الى الجاحظ .

ومجسب الجاحظ ان يقصد في مدح النساء ، فلا ينزه بجهادهن
الا لأماء ، ولا يخلصن باده الا بمواضع النقد والتحكم حتى اذا
كتب رسالة الحسد صور المحسودين وترك المحسودات .
الحسد ... هذا التنور القوار ذو سعي ولهب يشتعل بين حنايا
غضة وجوانح لدنة فيكربها كيا حتى تهدم فيها عواطف الخير
والرحمة ، انه طبيعة من طبائع البشر وجدت فيهم منذ كانوا ولكنها
في المرأة سريعة النمر والظهور ، فاحظر الاناث في ادوار الحداثة
والفتوة حتى تتبثق فيهن نقائص الحسد على صور شتى وأطوار متفاوتة
الا من عصمتين التزينة والثقافة . ولقد يكن في بعضهن هذا
الداء الاصيل فلا يشبه الا الطمع او الطمع - ولا تظهره الا
العداوة والبغضاء .

ان علماء النفس والتربية والمراقبين الاطفال يلحظون ان طبائع

الحسد تبدو احياناً في البنات اكثر مما تلوح في البنين وانهم في
المدرسة على مقاعد الدرس يجهدن في التعلم ويتنافسن بالحفظ بوازع
الغيرة من بعضهن اكثر مما يتنافسن بدافع الرغبة والموهبة وانه حين
تعلن نتائج الامتحان على الطالبات ترى ثم عيوناً تدمع وافواهاً
تشق ونفوساً يغمى عليها ولا يقع مثل هذا بين الطلاب ، فاذا
بغت الفتاة وشبت ولم يكن لها من نفسها زاجر عن تلك التزعة
الجديدة لازمتها المهوم وعذبتها المواجه فلا تعرف الراحة والسكينة
في حياتها ، على ان اسباب الحسد في النساء كثير والحاسدات ضروب
فمنهن من ابتليت بالشائنة والبشاعة فبهي اذا وقفت تلقاء المرأة
خادعت نفسها فيا ترى فان تكن لها سحنة دمية توهمتها صبيحة
وسية ، وان كانت قصيرة مسوخة خيل اليها انها مشوقة القدا ،
ولكن تتدبى من القبط وتنهبها عضاته الحداد حين تحشى ان تجابهها
للمرأة بالحقبة الصراح فتسنى لو كسرت المرأة بمطرفة ثم ترد عنها
الطرف خائفاً وهو حسي وتصبه شراً على اليد السلاح والفرار
الحسان ، فان تكن لمن تربا غتا نفسها وقالت لمن تشابهها
من الحاسدات :

- لبت قلانة احلى مني ولا ابهي ، لكن الحظ هو الذي
مشى بين يديها كالخادم بين يدي سيده ! وان كانت على شيء .
هزبل من معرفة متخلفة ، حافظة آياتاً منظومة في المواظ رددت
بعضها واستشهدت بهذا البيت وهي في عرس واحدة من المحسودات :
وكم في العرس ابهي من عروس ولكن للعروس الدهر ساعة !
ثم تلق على قفدها حلقة صغيرة من لداتها الشائنة واترابها
الحاقداً اللواتي جشمت عليهن متالف الدعامة والمهابة وقعدت
بهن عن الزواج فيتناولن العروس بالهز واللامز ، وبهمس اشتات
الهمسات عن ماضي « العريس » وماله وضاعة امرته وتزوير
جالتة ، ومن يدي قد يقع بعد ذلك الكلام خصام وملام يعلنان
ما ظهر وما بطن من ذلك الحسد الويل ، وكما يكون هذا الداء
في الصبايا الغريبات والعوانس الحاقداً والضرائر الكائندات ،
والسلفات النافقات ، كذلك يكون في بعض المتزوجات الطباعات
التزعات لكل ما فضل الله به بعض النساء على بعض فترى احداهن

فتغير بدسها وخشبها وجه الدنيا . وانقلبتم معالم الشعوب واوضاعها
لو دخل ثالوثيون قلب جوزفين قبل زواجه بالا بمطردة لاحترق
في ناره واصار رماداً !

هذه طائفة من صور الحاسدات ومثاليهن ما فالت شاعراً
خافط النساء . وعرف ميونس ، ذلك هو عمر بن ابي ربيعة الموكل
بالجلال والحاصل عب' اللوم والعتاب من اجل الحسان فما قال في
صد الحاسدات :

ولقد قالت لارتاب لها ذات يوم وتعت وتبتد
وكما يصري تبصرني عمر كن الله ام لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن في عين كل من تود
حتى اذا انشد هذا عمر بن ابي ربيعة عن الحسنة المحسدة :
حسد حملته من اجلها وقدما كان في الناس الجسد
وهانذي اعد عاجلة الى الجاحظ فقد اخذني علمه بنفوس
الحساد وشقايم الظاهر والباطن ، ولا بدع فقد ابلت عبقرته
بشرهم وقاسى من كيد حاسديه مسا قاسى ، قصور لؤمهم ادق
تصور ووصف طبايعهم المراض وصف غيان وتجرب ، فكانت له
عالم من علماء النفس في عصرنا جمع فاعوى ما قال عن الحاسد :
« ما لقيت حاسداً الا تبين لك مكتومه بتغير لونه وتجويع عينه
واخفا سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك والاستئصال
لحديثك والخلاف لرايك » .

اولي يكن ابوعمان مصاباً وحده بشر الحساد فان ابا الطيب
لم ينح من مقامهم ومطاعهم في اشعاره بملك على نفسه من كيد
حاسديه وقد كان يتشد من قلب مهورم :
ولو اتي حسدت على نفيس جلدت به الذي الجذ العور
ولكني حسدت على حيائي وما خير الحياة بلا سرور
وقال :

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه ابني با اناشاك منه محسود
واهل الحسد هم هم في كل زمان ومكان ولن تقبض
محاسدهم حتى ينيب الدهر الفضائل والمحامد ويمحو الحق والجلال ،
وعينئذ يتخلو لهم وجه الدنيا فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون
ويتحاسدون اهل يستطيع علماء النفس والتربية الذين وضعوا
اساليب الثقافة والتأديب ان يبدعوا الطرائق الجديدة في تزع هذه
الزعة الخبيثة من روح الانسان ، فلقد تقدم العلم بدواء الاجسام
ففي يتقدم في معالجة الارواح ؟

وداد سلاحي — دمس

وجأ اقربيتها او جارتها او صديقتها يسبح النعم ويجود بالحبة
والدلال على امراته واولاده ، فيقارن حسدها بين هذا الزوج الطيب
الكرم وبين زوجها الفقيр الخبيث او السكير المسافر وقد ترى
اولادها في حال مقيمة من عاهات ومرض وجاراتها وصريحياتها
لديهن الازواج الاخيار والابناء الصالحين والخدم والحشم او تكون
عاقراً فتحسد كل ولود او مثناً فتحقد على كل مذكر ، فان
استطاعت لغيرها اذى واتلافاً فلت ، وان لم تستطع اتلفت نفسها :
كالتار تآكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

وثمة صنف آخر من اصناف الحسد عند المرأة لا بد ان يشيع
ويستغل حيناً يستفيض ادب النساء . وتنبسط لمن افاق الثقافة
 والمعرفة ، ذلك هو الحسد الادبي ، وبلاد العرب اليوم لا تكاد
تخلو من حواسد شائعات للكاتبات الادبيات كحساد الادباء ،
على ان المراهب الفطرية والعقلية وان كانت على بعض اصحابها
نقمة وشؤماً ، فانها نعمة من نعم الله المحسودة . والحاسدات يتربصن
كثير بالموهوبات ويتبعن آثارهن واخبارهن لا للفائدة والاطلاع ،
بل لتعقب الهنات والفقوات . ومن دأب المحسود ان ينكر الحسنة
فهن يشعن ويبتسن وتسود الحياء في وجوههن اذا ظهرت بينهن
ناغمة تكدر صفو عيشهن بنبوغا فيفسدنها اشياءها ويشتر فضلها ،
وقد يحسب اكثر الحواسد ان الادب اذا يتناول المرأة من كد
مقشاة ، فلا تزور له الجفون ولا يسبح من اجله اضر الشباب
حتى يمسك بالقلم ويخط بالفن .

ولله عند من استوفين حظوظهن من مباحج الحياة
ومناعب زياً طويلاً يقبلن عليه كما يستمتعن ملاعب الشرة
والظهور ، ولكن الطبيعة عادلة كما قال الجاحظ فقد جعلت في
قلب الحاسد عقابه وما هذا العقاب الا النار التي تأكله ، وفي عم
العالم بين النساء . وانفكت القيود وتوافرت المطامح فسوف يكون
منهن من يتطامن على الزعامة . ويتنافسن في الرئاسة للجمعيات
والفئات ، فيلون الصحف العربية با شأن من الثلاثين التي تمرب
عن تختلف اهدافهن .

وبعد فلئن كانت اولي خطايا الحسد وضحاياها من الرجل ،
فان حسد المرأة قد يكون اقوى من حسد الرجل : انه في بعض
فطر النساء . اطوارهن كصاعقة ساهرة او كسل جارف ، ان فيه
لافياً من لميب الجحيم ووقد السعي . . . حين تحسد المرأة تسمى
عن الحق والخير او تنعامي ، فان اكربت المحسودة فتردت وحاولت
ان تظني . كل نور تراه فيه وكأني من امرأت كانت تحسد امرأة

الادب في الزجل

بنم ولهم صعب



وحي الزجل

ظل الحكم العربي المحض في البلاد العربية ، ان جعل الادب الموضوعي هنا وهناك يتخذ صورة قروية التناول اظهره ، وكانت هذه الصورة القروية التناول هي اللغة العامية التي لم تنقطع عن السير في قافلة اللغة الصحيحة والفصحى حتى الان . قد كانت الصور مختلفة اللون ، ولكن اهمها هو الادب العامي المعروف بالزجل .

لا يهمننا ان نعلم ، على وجه التفصيل ، متى وكيف اتخذ الادب الشعبي في البلاد العربية مكانته هذه ، ولكن يكفي ان يقال كما اشرنا الى هذا ، ان امر هذا الادب يدور على حقيقتين : الاولى انه نشأ في ظل تفكك الدولة العربية الكبرى ، والاخرى انه اتخذ من العامية صورة لمظهره . والعامية تسير ابداً في ركب الفصحى ، اذ لم يقع في تاريخ العربية بعد ، منذ صدر الاسلام حتى اليوم ، ان كان هناك دور او عصر كانت فيه الصحيحة الفصحى سيدة البلاد كلها ، دون ان تكون قد خدمتها وصيغتها العامية : هذه الادب الشعبي ، وتلك للادب العالي الصحيح ، وروح الادب واحدة !

ويروي النظم الزجلي الاول لولد في بغداد ، قتل ابوه ، فخرج الى قصر الخليفة منشداً

« يا صاحب الجات ، لك بالكوم عادات ... »

« انا ابن جمه ، تسلم : ابوا مات ا ! »

ثم انتشر الزجل في كل الاقطار التي تتكلم شعوبها العربية ، بارزاً من اللغة العامية المستعملة ، على السنة شعراء الفطرة ، وكانت الموشحات الاندلسية اشر وراقى الشعر الزجلي في ذلك العهد . وظهر نوع من الزجل في بغداد باسم « المواليا » والكلمة آتية من « الموالي » وقد نظمها شعراء ذلك العصر للبكاء على قبور العرامكة ، ورائتهم ، وتعداد مناقبهم .

نسمع العرب ، من اعلم العلماء الى الاميين فيهم ، يتجادلون باللغات العامية ، في مجتمعاتهم وبيوتهم واعمالهم ، ولا يلجأون الى الفصحى الا في ما يكتبون ، ولكن لغة المتعلمين العامية ارقى من عامية الاميين ، مع انها غير مقيّدة بقواعد النحو والاعراب ، وهذه اللغة العامية التي يستعملها المتعلمون هي التي يجب ان نعلم ونفظم الشعر الشعبي من مفرداتها ، حينئذ لا يبقى بين العامية والفصحى الا درجة واحدة : الحركات !

ترقية الادب الشعبي وتهذيبه . ادته التي ابرز صورها الزجل عمل مرتبط كل الارتباط بالنهضة الادبية العامة في البلاد العربية ، لان هذه الترقية لمادة هذا الادب تقضي شيئاً فشيئاً ، وفي النهاية ، الى السبيل الموصل الى اللغة الصحيحة ، بما يمكن ، في البلاد العربية .

ويخطئ . من يظن ان الادب الشعبي المذهب هو ابقاء على اللغة العامية التي يجب ان تكافح وتحد في اضيق الحدود . اقول : اضيق الحدود ، لان ملاشاة العامية العربية ، او اية لغة اخرى من اللغات الحية في الدنيا ، امر لا يمكن تحقيقه لاسباب لا تخفى على رجال العلم والتربية . فالادب الشعبي المذهب هو درجة من درجات التقرب من اللغة الصحيحة ، بل غاية الوصول الى اللغة الصحيحة ، وذلك باختيار الصالح الفاضل من اساليب العامية ، وتقليب هذه الاساليب على ما هو دونها في المرتبة والمستوى ، لان للعامية ، كما لا يخفى ، افتقاراً بعلوم فيه مستوى القول وبهبط ، كما هو الامر في اللغة الصحيحة .

والادب روح مادته الكلام ، والادب معنى وفن ، صورته هذا التعبير الذي تمدنا به اللغة . ولما كان قد مضى على العربية ادوار مختلفة من رقي تارة ومحطاط طوراً ، تبعاً لادوار الدول التي قامت في الشرق العربي ، فقد كان من آثار بعض الادوار التي تقلص فيها

الشعبي الراقي ، فتتوحد اللهجات ، وتصبح العامية على بعد مئة متر من الفصحى ، فتتجاهدان وتلتقيان !

هذان ناحية اللفظ والمبنى . أما من الناحية المعنوية ، فقد كان الشعر الشعبي مقتصرأ على الموضوعات المتبذلة من غزل ورتا وهجاء . ومديح . ولكن النهضة الحديثة الزجل في لبنان نفخت كل قديم بال ، وادخلت على الشعر الشعبي أبواباً جديدة وموضوعات مبتكرة ، نسج على منوالها شعراء الزجل وكانوا جدد موفقين . فالفلسفة والاجتماع والسياسة والقصة والفكاهة والمسرحية والمأجمة ، مع الخيال المرهف العالي والتشكيك الناضج والمعنى الرائع والتراكيب المئين واللفظ الضمير والعايفة الراسخة وانتخاب الكلمات الشعرية المناسبة ، كل هذه العوامل والعناصر الجارية ادخلناها على الشعر العربي الحديث . وهذا الشعر الشعبي الحديث ادخلناه بجفلاته العكاظية ورواياته التشبيلية الى اكبر معاهد بيروت وجبل لبنان ، فنال استحساناً عظيماً لدى السمعين من كل الطبقات لانهم رأوا فيه ظلاً أنيباً للعربية الصحيحة ، ومعمناً لها في مكافحة العامية المتبذلة ، ووحيداً للغات واللهجات الشعبية المتباينة في بلاد العرب .

رشيده نخله في الزجل



يشمل المرحوم رشيد بك نخله امير الزجل اللبناني ، الثورة الفكرية في الادب الشعبي ، تلك الثورة التي جمعت هذا الشعر في دوره الثالث ، بنسبة قسمته الى اربعة ادوار : اولها عصر نشأته ، وثانيها القرن التاسع عشر الى الربع الاول من القرن العشرين ، وثالثها عصر رشيد نخله الخاص الذي ، هذب فيه القديم وآلف بين سلاسة تعابيره وافكاره البامية الخاصة وخياله المرهف العالي وألفاظه الشعرية الموسيقية الغنائية ووصفه الرائع . هذه الصفات الجديدة التي أضفها رشيد نخله الى الزجل وحل مشالها وعليها الخلق الى يوم وفاته في ١٠ تشرين الثاني من سنة ١٩٣٩ . لما الدور الرابع فهو الزمان الذي نعيش فيه اليوم ، وهو وليد النهضة الجلية الحديثة التي بلغ فيها الادب الشعبي مستواه الرفيع .

خدم رشيد نخله الرجل خدمة واسعة ، فهو في اللغة الصحيحة شاعر . ومهروب وهو صاحب النشيد الوطني اللبناني المشهور «كنا لوطان ،

ان رسالتنا الادبية الشعبية اليوم تنحصر في توحيد المفردات بين مختلف اللغات العامية في الاقطار العربية جماء . فالالفاظ الاقلية المستعملة في قطر دون الاخر هي وحدها الجاني الكبير على اللغة الام ، وهي التي تجعل ابنا . اللسان الواحد لا يفهم بعضهم بعضاً في كثير من الالفاظ والتساير الاقلية المحصورة : ففي لبنان وحده اكثر من ثلاثين لهجة منتشرة بين ساحله وشوفه وبقاعه ومته وكسرواته وجرده وشماله وجنوبه ، مما يجعل بعض المفردات غريباً على افهام ابنا . البلد الواحد ، بين المنطقة والاخرى . واذا كانت الحالة على ما هي عليه بين ابنا . قطر واحد لا يعدون اكثر من مليون نسمة ، فكيف تكون بين اقطار متعددة يبلغ سكانها الحسة والسبعين مليوناً ١٩٩٠ .

تعرض الروايات المصرية في بيروت على الشاشة البيضاء ، وهي موضوعة باللغة العامية المصرية العربية ، وتسمع الأذان عشرات الالفاظ العربية عنها ، فلا تفقهها معنى . كذلك المصريون : فانهم يستغفرون من اللبنانيين كثيراً من الالفاظ الاقلية . وهذه « المشكلة العامة » واقعة بين كل الاقطار العربية ، مما جعل الناطقين باللغة الواحدة غرباً ، بعضهم عن بعض !

وهذه القطع الغنائية الشعبية تعص بها عجلات الاقامة التي تعطي باللغة العربية ، واكثرها مشعرون بالانقاط الشاذة والاقليزية والدخيلة ، وهي ضيقة المبنى ، هزيلة المعنى ، يستغفرون لللحن الجميل والوتر الحزن . وحيداً لو يساوى فيها النظم والاحسن والوتر ، وتسمع لغة شعبية واحدة من كل مدياع عربي ، يفهمها ويستطيعها ملايين العرب في مختلف الاقطار !

ان على الادب ان يوجه الامة الى الهدف الاسمي ، في السبيل الذي يتطلبه الصالح العام ، والصالح يقضي بجذب العامية نحو العربية الفصحى الام ، حتى لا تبقى هنالك فوارق تؤثر على الجوهر . ولأجل بلوغ هذا الهدف يجب ان من يكتبون بلغة الشعب ان يبتعوا كتاباتهم من الالفاظ الاقلية ، ويستعملوا الالفاظ العربية الفصحى ، المألوسة منها ، التي تثبتت معاجم اللغة ، فيفهمهم كل ناطق بلغة العرب ، اما الاميون والمتعلمون قليلاً فيحفظون ما يسمعون بالتكرار ويستعملونه ، كما يحفظوا الالفاظ الاقلية والدخيلة واستعملوها و « ابن العرب » سريع الحفظ ، ويشهد على ذلك المهاجرون العرب ، وتعلمهم السريع لغات البلاد التي يدخلونها . بهذه الوسيلة يوجه الادب الامة عن طريق الادب

عن كونها لسان الامة . والزجل لسان طوائف منها ، يوم تسترك فصاحتها بعض الحين وتقبل على عايتها .

اما شعر رشيد نخله الشعبي . فان اغلبه يدور على الموضوعات الغزلية الرائعة ، وقد ضرب الرزم القياسي بهذا النوع وهو فيه فئارس المضار الذي لا يمارى ، ملأت قصائده الصحف في الوطن والمهجر وتغنى بها العشاق والمشدون في المجالس والاندية .

وله في الشعر القصصي رواية « بحسن المزان » الشهيرة ، وهي مطبوعة . ورواية عنتره وهي مخطوطة . وصادف ان زار امير

الشعراء شوقي ، زميله امير الزجل ، رشيد نخله ، فأخذ امير الزجل يتلو مقاطع من « بحسن المزان » على امير الشعراء . وهو مأخوذ بها حتى وصل الى هذه المقطوعة :

والمرج عشبو كان يجمع موع الحرير
والليل من ضو القمر قطعة رخام
والليل من ضو القمر لون انغى
حتى الذهب خالط الفضة من الضجى
وراح النسم عالس هل يثني سوسجه
والالوه لسردان بحسن والكلام !

فترنح شوقي طرباً وابدى اعجابه بها .
هذه هي المكانة الرفيعة التي اوصل رشيد نخله الرجل البيا ، وهذه مقاطع من شعر رشيد نخله انتخبها من منظوماته الكثيرة وكتبها بخط يده قبل موته بايام ، وهو يعتبرها اروع شعره :

منين يبيو النوم ، قوليلي تاجيب ما فيش حيله مهنلها الا تحب
يا طيف خلي الليل يطبق وانغلف وغصبتن سروق من عين الحبيب
يا نوم قللي شو عيوني دنوسا تطلب لفاك وما تبال مطلوبسا
قللي عيون النافرتني من سنه مش وقت ما بقريد بروج موبوسا
يا طيف ، روي ببنك بشووشا غو الحبيب بقدر راجع دونسا
قللي بروج وشوف عيون مذبله ما بيدش غندي قاب خش جفوشا
لما الهي راد تمجيز البشر كرونك بدعسه وفجعه للنظر
الشمس من اجلك تركها مجالفا وكمرال عنك بالسبا زنت الغمر

للعلی للعلم » وهو اول من يوسع له بإمارة الزجل اللبناني في مهرجان رائع وكانت داره في بيروت والباروك بحجة رجال العلم والادب في مختلف الاقطار التي تتشكل العربية . واليه يعود الفضل الاول في جعله الزجل اللبناني محبوباً ومعتزلاً من الطبقات العالية في كل بلد ، ومن نخبة الادباء والشعراء ، وقد كتب المستشرقون الروس والفرنسيون الفصول الطوال عن هذا الشاعر الشعبي وعن الرجل اللبناني . وما كتبه عنه « موريس بارس » في جريدة « له نوفيل ليتار » قال :

« انتم جماعة الشعراء الشعبيين تعيشون في بيوت الناس ونحن نعيش في كتبهم ، فلا بدع ان نأكل اشد حرارة منا »

اما رأي رشيد نخله في الزجل فهو هذا :
« ان الشاعر العربي يتخيل فكرته بلفته الاقليمية ، ثم يترجم تلك الفكرة الى الفصحى ، في حين ان الشاعر الشعبي يخرج فكرته وهي بعد حامية طلاقة كما تمحضت بها قريحته . »

بقي شي . آخر ادرى التبسط فيه اليوم لزاماً على وهو ما يقوم في الاذهان من ان الزجل بمثابة حوب على الفصحى ، فاستغفر الله الف مرة : ما كان الزجل في

الاندلس بالامس ، ولا في مصر ولبنان لينجز بنفسه هذه الزجة ، فانما الزجل فخره كله في ان يرى وجهه في زاوية من مرآة الفصحى ، ويكسونه عليه شي . من روعتها ، وشي . من طلاوة ألقاها وحلاوة حواشيا ولباقة الاخذ بين خافيا وباديا . والعربية ، حين يقال ان الشاعر الرجلي يخرج فكرته وهي بعد حامية طلاقة ، كما تمحضت بها قريحته ، فحاشها لا تعد وحسانتها الى صاحبها لا تحصى ، واذا كانت هذه حسنة الزجل الى الزجل فآرى يقال في حسانات الفصحى الى الشاعر وعنده منها كفتا ميزان العرب : البلاغة والغضاضة .

فالزجل اذ عيال على العربية من قديم الزمن الى اليوم فضلاً



رشيد نخله



قالت : حرام ثيب أنت وثيب أنا
ولا من الهوى شيئا ولا من بضنا
قلت : يا فاجئة حياتي ! وشو جري
مثلا كنتا واحسن بدنا !
○○○

من بعد ما ظن الزول مضنا مات
والهجر خالي جروح قلبي داميت
مر الهيم عابستك جيني مو
ريجة زياد ونند ردتلي الحياصة
○○○

لولا بريق عينك من خلف اخيا وجذب قلبي ليك رضي يا ابي
ما بانسر الجاذبيه ولا انكشفت ولا انترف بالناس قبل الكهريا !
○○○
كل الاسامي في زينتي اسماء ، وكل شي مهنف في عيوني كسما
بالسا ، بالارض ، بنجوم الفلك ، كيتنا اللنت ولنت بفتح رسما
○○○

قالت : تنوا شوفوا حبيبي واقشوا يا غين غللو ، الزم صار مضضوا
قلبو معي ، ويظل بنجس عليه ومن كثر وهو ، يفنكر قلوبو مو
○○○
سمتها فراق ونزل اربع بيوت والبدد ماشي ونغن عسلوح البيوت
ترغرغت بالدمع هالك المينتين وقالت ان كان يجيني دخلك سكوت
○○○

قم يا ملايكي الشمس في قرص الفلك شامخه طالعنا تقطر لك
من كحل دبك نلت جفونك عليك يا بما اعتر الرقاد لا املاك
○○○
ان بكيت الكون من اجلك بكى وانضجكت اخر عرش الملكة
وكل شي في خلق لطيف وجمال اعلى البشر قهرات والبغوه لك
○○○

كل البيوت بجها بالمختصر : زرق سود لا فرق عيودي ولا نظر
لا ترعني ان قبلت غير عينك عيون كرمال عينك تكرم عيون البشر
○○○
يا امي ما برف كيف حيتو ولا عرفني ولا استميئو
أوما وويت ولا حكي ولا حكيت وما شئت حالي غير لافيتو
○○○

وقدت بدرهما وقلت المواني احسكي لي وين كنت ولا تخافي
غضت عنها وضجكت وقالت : مش قاشع الحرة عاكشافي
○○○
كل الملاح يا « ليل » من دونك الله يكون بون « مجنونك »
كل شي في الكون عشق وسحر تحسعو بقلبي وببيوتك
○○○

لا انا ولا انت سكوتنا الهوى ولا ابتدعنا حسن وشوور وغوى
الله خلق عينك غد شراكمها ومغفور قلبي يرفعها بوب الهوا

حبرتني بين عين واخنها نا تشوف ابا عين احسن بنها
عين اليبين بنف رومي فوقها وعين الشال يرف قلبي تحنا
○○○
طيفك ممتو ، ليش ، في الكرى ناصرت عره ومشته بين الوري
حلمت فيك وبويد ، كيدك معارحو قاشع ، وجر الطيف منك جرحه
○○○

يا حمام بجاة من ساك حمام وطوقك تانكون رسول حب ولام
ورفر على سطوح الحبيب جواغلك وجيلي من قاسومك شمة خزام
○○○
ودع وارمي القلب بدان ودعو وقلبي اصطلق قلبك رجع لموشو
قربت من قلبي جفلس مني ونقر وقلبي منك ما يروح رجعتي مو
○○○

ومي عيونك حاج ترشفتي سهام من غير شي ولو احكيت ذاب هيام
ما بين هزل وجد روح بوقع قتيل ومين يدري ان مت بتقول يا حرام
○○○

ياسائق الاظنان بدني ديار مي ولا فرق عندي ان مت يا صلاتي حي
ان كنت حي يمكن نمر وشوفا وان مت بلكي قلها بيلوي علي
○○○
زارت على غير وعد ناعسة الجنون والفجر يتامل معي برقة وسكون
والشفاف يتالججوا ياسا الخلو وطيفها ملق على عذاب الجنون
○○○
سبحان الذي ورد خسدودك وبسوف العاطف صون ورودك
قلبي ناه في بستان جمالك وطار وحط بين رمان نهودك
○○○

باللي بنواك تننت الانفلاك وترافقتو ملاك خلف ملاك
جالي الاربعة ينصر عابالك والبجر يضجكلك من الشباك
○○○

طيني دثلي وم صوب وانني نيب وعني يزورو ، قتلتو امري عجيب
ولو كنت طيفي بنار منك ياخيال وبنار حتى ان زارني طيف الحبيب
○○○

المشق ذاتو قال عني يا حرام وصار الجفا عيجول مني والسقام
ومن كتر ما صارت جفوني مفرحه يمكن النوم ان مر فيها ما ينام
○○○

قالوا : ما خليت شي لتبرك بالهوى قلت : وشو باناس خلالي الهوى
آجر باقي مثلا اجرت فيه وبالاخير نتيتنا طلعتنا سوا
○○○

علمتها نقالي : « حبيبي » بلفظها تمجبت لا ترددت عن حفظها
قالت : البائين افظة واحده بناف يجرح نموة شفاقي لفظها



ولم يصعب

نوادير الطباخين

بفلم امين الغرب



تمت

الاحصاءات ان الزوايا آخذة تتناقص في كل بلاد الله . وان الذين يعيشون من مواليد هذا المصير يزيدون على امثالهم من مواليد العصور السابقة . وان الفضل في ذلك لازدياد العناية بالامور الصحية بعد انتشار العلم بين الناس . على ان في جامعة نيويورك استاذة بارعة تعلم الاقتصاد المنزلي تؤكد ان اتقان فن الطبخ يعد في مقدمة الاساليب لاطالة الاعمار . فسيده المطبخ الحالية قد تكون في اعداد الاطعمة وتهيتها ، اقل تقنياً من امها وجدتها ، لكنها اعرف بالقيمة الغذائية الكامنة في اطعمتها ، وبالتالي اقدر على اطالة الاعمار في اسرتها .

لهذا اعتنت تلك الجامعة بتدريس قضاها ما تحتاج اليه الجسم البشرية من عناصر التغذية ، وما في الاطعمة المتنوعة . من هذه العناصر .

كانت المرأة فيما مضى تعيى . من الطعام ما يحبه زوجها القوي . وكان على جميع الاولاد حتى الطفل الضعيف ان يشاركوه طوعاً واحتراماً ، احبوا الاكل ولم يحبوه ، فمفيداً كان لهم او غير مفيد .

اما اليوم فالعلم افهنا ان الجسم في كل سن يحتاج الى اطعمة معينة ، وان الاشخاص المتددين في سن واحدة قد يحتاجون الى اطعمة مختلفة . فكل مطبخ في هذه الايام ، تعرف سيدته بعض هذه الامور ، وتوليها حقاً من العناية والانتباه ، يعد مفعلاً للصحة الجيدة وطول العمر في بيتها وفي وطنها .

الزروق الفرنسي في الطباخين

ولو اردنا الشاء على امرى . بالطف ما يكون من النعوت قلنا انه « صاحب ذوق » . فصاحب الذوق الحسن صنفيل باذخال المسرة على النفس ، يشبع بفضل الانس في المجالس بتهته لخر كاته اوتار القلوب . واذا كان للذوق عند الناس هذا المقام ، فكيف

نفصل بين الذوق والطعام بعد ما جمعتهما الايام ، في المطابخ وفي الكلام .

في الماضي كان ملوك المطابخ اي اكابر الطهاة الذين اكسبتهم ابتكاراتهم الشهية شهرة عالمية ، يعتنون بطيب المذاق ، لا بانواع الفيتامين وكالوريات الحرارة التي تستفيد بها الاجسام من انواع الطعام . لان هذه العناصر لم تكن معروفة قبل اعوام قلائل . ولهذا ان كان فن الطبخ في هذه الايام قد انحدر من عالم مقامه بعض الانحدار من ناحية المذاق امكننا التعزي عن ذلك النقص بما زاد فيه من المعرفة الكيميائية .

تروي الاساطير الرومانية ان اوبونا آدم وحسوا لما اخروجا من الفردوس حلا بعض ذكريات الماثورة ، واخذوا يلقيان منها على اهل البلاد ، في كل واذا . فكان حسن الذوق نصيب الفرنسيين .

ولهذا اتقن الفرنسيون حرفة الطبخ ورفعوها الى درجة الفنون الجميلة . وعينت حكومتهم الجمهورية الثالثة طاهياً رسمياً بين كبار موظفيها يشرف على تعلم هذا الفن الطلاب معهد التدبير المنزلي في غرينيون ، ونصبوا تماثيل لمشاهير طهايتهم الذين حفظوا اسرار لذات الفردوس الارضي واداروا من اطاليتها على الناس ما يشبه المن وبضارح الكوثر .

على ان الفرنسيين لم يكنوا باعلا . شأن الطبخ بل ملكوا ناصيته واستأثروا بها حتى صار فهم الخاص لا ثقة للناس فيه بفهمهم . فني مطابخ الملوك والاعنياء . التأتقين والفنادق الكبرى ان لم يكن رئيس الطهاة فرنسياً فلا قيمة لذلك المطبخ . وعلى افخم موائد العالم ان لم تكتب لائحة الاطعمة باسماء فرنسية عات من الزواني . وقد تقاضى بعض الطهاة مرتبات ضخمة كأربعة آلاف ذهب في السنة . واقتضى اعداد لون واحد من الاطعمة الجليظة ستة اشهر كاملة نغماً ونجفياً ومزجاً وتعليلاً .

الطاهي الفرنسي كتابة عن شاعر يث في طبعه روحه واحساسه كما كان قيس العماري يوقع اشعاره على اوتار قلبه ، او مصور كرفائيل ودافنتي ، او نحّات ميكال انج ، او موسيقي كموزار وروسيني وبيتهوفن . هؤلاء الائمة انما امتازوا في فنونهم الجميلة باحق ورق من احساسهم الذين اشتهروا فيها برمته . فجات اعلامهم رائمة في اقتناها . وهكذا الطبخ ان لم يث الطاهي روحه فيه ، و « الطبخ نفّس » كما يقال في لبنان ، لم يكن له تأثير في الارواح ، بل راح ادراج الرياح . والطاهي اذا جاء العليعلم على هواء طرب وهفا كميكال انج عندما بهره مثال كان ينحته فغضب زنده بالازميل هائفاً : « ويحك تكلم » . وبالعكس اذا اعترضته عراقيل ، فاختفى في طبعه ، اظلمت الدنيا في عينه ، وقأت عنده قيمة الحياة .

طاهي بغير وافر فأن

وهذا عينه ما حدث لقاتيل Vatel طاهي الايام كوندري القائد الفرنسي العظيم واهر الطهاة في عصره عام ١٦٦١ . فقد بالغ في اقتناع وليمة اعددها سبده في شانتيلي الملك الكبير لويس الرابع عشر . ونظم لائمة الاطعمة بحسب ما يعلم من التأثير في الذوق لورود هذا اللون بعد الاخر ، وحفظ للسماك مكانه . لكن الصيادين لم يحضروه في وقته . فشق على قاتيل ان تحاور الوليمة من السمك فينقص قدر اللونين المحاذيين له عند الاكسين . او تعلمون ما فعل ؟ حزن وبس وجاء بسيفه الى المطبخ وانتحر . ذلك الشاعر المطبوع بين الطباخين ، فشلت قصيدته البديعة في عكازات البطون ، فاعتقر الدنيا باسرها وهروا الى الاخرة !

هذا الحادث التاريخي غريب . لكن غرائب التاريخ لا تخصي . فان امامي الان قصاصة عمنولة من جريدة نيويورك تيس بتاريخ ٢٩ كسرين الثاني ١٩٣١ تروي ان طاهياً غيوراً على فنه سبق الى المحاكمة متهماً بقتل سبده . وسأله القاضي لمساذا قتلته فأجاب : « انا يا حضرة الرئيس طاه شديداً العناية بنفسي ، كثير الاقتناع لمعالي ، استغني عن رجل حديث النعمة صار بين لينة وضحاها . من اصحاب الملايين . وأردت التدليل على مقدري الفنية فهيأت له حساء (شوربا) لم تنقشها الا لاسنة ، وحقق بها كل احلامي . وسكتبتها في صحنه وانتظرت عند ارتشاقه اول معلقة ان يثبث طرباً وتثلاً على وجنتيه دموع الفرح ، ويقوم اليّ

متهملاً ويتبالي . أفندي يا مولاي ما فعل ، حالاً جالس ؟ - مدّ يده الشقية الى الملح وزاده على الحساء . فجننت غضباً للثمن ، وحزناً على الاقتان والحب ، واطلقت الرصاص عليه ! فصاح القاضي : « براءة ! وهلل الحاضرون ، للعدل الذي ينتقم للفنون !

سنة ١٩٣٥ توفي الطاهي الشهير اسكوفيه الذي نشر عبير الطبخ الفرنسي في العالم المتمدن . فابنته جرائد الدنيا بقالات طوال كالتى تكتب عن عظماء الرجال . ونشرت عنه لندن تيمس اميرة صحف العالم الملقبة « بالارادة » عموداً كاملاً لمراسلها في باريس ومقالاً آخر من تحريرها . فقالت انه اطعم جميع الملوك في عصره كنابليون الثالث وفيكتوريا وغلليم الثاني وفرنسوى جوزف وادوار السابع والعصر تقولا الثاني وجورج الخامس . وكان مع مكهايون في قصر الايزي . ونال وسام ضابط في جوقه الشرف قلده اياه السيد هريو الذي كان وزير الفنون الجميلة . ونضب له قومه مثالا في مسقط رأسه فلنور . وعين في الحرب العالمية الاولى « ذواقاً لحويات الجيش البريطاني » وله كتب مطبوعة في فن الطبخ راجعة كل الزواج .

يؤثر عنه انه كان مختعراً في فنه ، فابتكر اصنافاً عديدة اشهرها المهدات الثلاث : « قنبلة نيون » . يظهر بها الجليد المتجمد . و « شوخ ملبا » اكروما لمدام ملبا المغنية الشهيرة الستى ولدت في ملبورن استراليا وشقت اسمها منها . و « توت ساربرنار » اكروما للثلة الفرنسية « الساجوية » . وهو الذي زين للانكليز اكل سيقان الضفادع « سمياً ايها » نفث ألا روز » اي حورية الماء على ورد . وقد شتل يوماً ما سمكت لتعمل لو وقعت في مأزق . مثل قاتيل طاهي كوندري ؟ فأجاب : « لاخذت لحم فوخة ابيض وعالته بتوابل السمك المعروفة ، وقدمته على انه هو السمك ، فلا يشعر بالفرق احد » .

اجل ان تقليد الاطعمة امر مشهور . وقد كان جروسفان Grostefan الفرنسي طاهي اللورد روتشيلد في لندن يقلد جميع الاطعمة من لحمية ونباتية ، ما خلا اثنين فقط هما : الحليب والسكر .

المانيا وزوفرنا في الطبخ

في اوائل هذا القرن زف الامبراطور الالامي غلليم الثاني ابنته الوحيدة فيكتوريا لويز الى احد الامراء الالمان ، فلاحظ المدعون ان طاهي البلاط في برلين لم يتمكن من طبخ اطعمة تضاهي تجودتها

الألوان التي ذاقوها في بلاط القيصر الروسي تقولوا الثاني والملك ادوارد السابع البريطاني .

ولا عجب . فان الطاهيين ، في هذين البلاطين ، كانا فرنسيين . اما غليوم فمع رغبته في التمتع باطبب المآكل ، ومع يقينه ان افضل طاهية العالم فرنسيون ، حال التعصب القومي دون استخدامه في مطبخه طاهياً فرنسياً . كان القيصر الروسي يدفع لطاهيه ٨٦ ألف فرنك ذهباً في السنة ، والملك البريطاني ٦٦ ألف فرنك . اما طاهي غليوم فلم يستحق الا ٢٥ ألفاً . ولهذا لم يجد ضيوف برلين شيئاً من لذات باديس او بطرسبرج او لندن .

والتعصب اعى . فقد منع غليوم استعمال الاسماء الفرنسية على مائدته مع شيوعها في كل العالم متجاهلاً اهمية ذلك في الاكل وتأثيره في عقول الرجال . لكنه لم يتورع سنة ١٩٠٧ عن التفتي ٤ مرات في شهر واحد على مائدة مسيو بيهور سفير فرنسا في برلين . وقد رأته المحافل السياسية وقتئذ في ذلك التهافت دليلاً على تقرب مقبل بين الدولتين ، عملاً بالمثل العربي القائل : اطعم الغم تستحي العين .

على ان المانيا اشتهرت بانهم ، لا بدقة الذوق في الطعام . وكانت قبل عام ١٩١٨ مؤلفة من ٢٢ دولة كبيرة وصغيرة تدعى بروسيا وبافاريا وسكسونيا وهلم جراً . قطاعات الحرب العالمية الاولى جلوكها جميعاً عن عروشهم المتقلقة . وانفصلت سياسيين كثيرين من علة خفية . فقد كانت مطابخ اولئك الملوك تتمتع بشهرة غير حميدة . ولا سيما ملك ورتمبرج قبل الاخير . فهو كان ابان حكمه الطويل يكثر الدعوات الى ولائم تجر اعطمتها من قصر الى اخر بعجلات مستعددة على خط حديدي صغير متصل الى الموائد باردة كالثلج وبأكلها الضيوف احتراماً ويشكرون طاجنيها كذباً وحراماً . حتى صار من تله دعوة الى تلك الولائم لا يتأيل افتخاراً ، بل يموذ برب الفاق ، من شر ما خلق . واخيراً صدرت الامثال تجري بكثرة عدد السياسيين المودعين بعد تقليم لدولهم في ستوجارت عاصمة ورتمبرج . .

ولا شك ان طاهي السفير الفرنسي في برلين انما استطاع ان يغري الامبراطور غليوم بتربع زيارته للمائدة المسيو بيهور في شهر واحد بانتيابه الى عراقب الاكل كي تكون خفيفة . لان اقل ارتباك في الجهاز الهضمي الامبراطوري يحدث رد فعل فوراً في الجهاز السليم .

اهمة الاكل في السامر

من ذلك ان تاليران سفير فرنسا العظيم في لندن لما اضطر الى الفصل في خلاف نشب بين طاهيه الشهير كاريم وبين معاون السفارة الاول الحجاز الى كاريم وطرد معاون . لان طاهياً جيداً في مطبخ السفارة افضل وانفع لسياسة الدولة من اربع الماودنين السياسيين . ونجاح السفراء في مساعيهم يرتكز غالباً على فوزهم برضى زائريهم على المائدة البيضاء . لا الحضراء . ولا السمراء .

وقد أعلن اللورد كرومر اول عميد بريطاني في مصر مرة في احدى ولائم لندن ان كثيراً من نجاحه في القاهرة يعود الى طاهيه الفرنسي الفونس الذي كان يتناول منه مرتباً لادارة شؤون المطبخ يعادل ثلث مرتب كرومر . وقال ان مشكلات كثيرة استعصت على حجيجه المنطقة فحلها الطاهي وذلكما يعق الاطعمة اللذيذة على المائدة . ونسب فضلاً آخر بنجاحه الى الكراسي الممتازة التي كان زائروه يستريحون بالاستلقاء عليها في مقعد الوتر . اجل ان اصنع الكراسي كما اصنع الاطعمة ، فلسفة واصولاً وقواعد خاصة بها ، فاجلس على كراسي مريح لا يسرع الى الحلق وهياج الاعصاب كالتمزج في جالوسه .

لما وفد كشتنر على القاهرة قائداً للحملة العسكرية على السودان احياه كرومر عدة ولائم فضة حار كشتنر في كيفية معالته لجملة . ولعل ان الفونس حتى يومنا لكلمة بدرت من الليدي كرومر ففساد قصر الدوبارة غاضباً واغتفى عن الانتظار .

ودرى كشتنر بالامر . ومن زوايا القائد الماهر انتهاز الفرص السوانح . فبث الارصاد على الفونس حتى اكتشفه واقنعه بالاستئثار عنده يمين لكي يبادل كرومر وزوجته لطفها بوليعة فاخرة يهبها الفونس من الوان لم يسبق له طبخها عندهما . لكن كشتنر الذي قضى عمره عزباً لم يحسب حساباً بلوغ ارتقاء الذوق عند السيدات ومقدرتهن الهائلة على الاستطعام فلم تكذب الليدي كرومر تذوق المرق حتى هنت بدون ابتهاج : « الفونس ! »

ذلك ان الطاهي احتسأط في كل الألوان ونبي المرق . ولم يسع كشتنر ، وهو عسكري نبيل ، الا ان يصدقها الخير . وكل سيدة في الدنيا عثت على طاهيها الباربع بعد اختتامه بتقمقاً ، تدرك اي حل تدحرج حينئذ عن عساتق الليدي كرومر ، والمائدة التي اكلت بها في تلك الوليعة .

البلاد معلنا . ولما مات نقش الانكليز على رءاس حريميه في كينال غرين كلمتين فرنسيين «سوايه ترانكيل» ومعناها كن مستريحاً . على ان في كتابتها تورية لطيفة تعني ان «سوايه مستريح» .

ثم ان المسافرين نجوا على بواخر شركة هولند اميركا سمحوا بالطاهي الفرنسي الشهير دوايه Dhoyer الذي قضى عمره مستقلاً في تلك البواخر ولا سياً «ستايبندار» متمتاً بلقب «ملك طهارة الاوقيانس الاطلسي» . هذا الرجل رفض مبالغ طائلة من اكبر فنادق العالم مؤثراً العيش في البحر . بل وفيها للشركة التي اعتمدت كل الاعتناء بامرته في روتردام اثناء غيابه عنها في الحرب العالمية الاولى ولما تقاعد لم تكن زوجته تسمح له بدخول المطبخ كيلا يضايقاً بملاحظاته .

معارك نابوليون . صيف لوكولوس

ولا ننسى «لاجيبير» طاهي نابليون الاول الذي طبع اربعة كتب لا تزال حية نائية في فن الطبخ ومات سنة ١٨٣٣ عن ٥٢ عاماً . كان نابليون يقول له كلما اجاد في لوبية: «لاجيبير» قد كسبت المعركة» .

ومن ذا ينسى لوكولوس القائد الذي اشتهر باناقة مائتته الى درجة سارت بها الاشغال ، مدى الاجيال . يؤثر عنه انه وجد مائتته ذات مساء خالية من الالوان الغضة المتأخرة . واعتذر الطاهي بانه لم يعلم بوجود ضيوف يتقن الطعام لاجلهم . فضاخ به: «ويلك» . لم تعلم ان لوكولوس يتشى الليلة عند لوكولوس؟»

وما حدثنا في حديث المطابخ فلا بأس في ان نذكر الماء الذي تنسل به القضاة في اعظم فنادق العالم . فهو يغير مرة واحدة في السنة . هذه الحقيقة قاسية على الاسماع لاول وهلة ، لكنها واقعية مبنية على قاعدة كيميائية . يؤثر بالقضاة الملوثة من المائدة وترج في الماء حتى تتحول عنها اثار المطبوعات . هذه الآثار لا تتجرب بالماء بل تولد فيه حواض امونياكية ذات خاصية شديدة في زرع البقايا عن القضاة . ثم تطفو على سطح الماء . فيرقها الطاهي بضغ مررت في النار ، ولا يلبث الماء . حتى يصير كده كيميائية من الامونياك تدمر الآنية فتنتظنها من كل راحة وتطهرها تطهيراً يعجز عنه اقوى انواع الصابون . والذين يجربون ، يتعجبون .

امين الغرب

ومن سياسة الانكليز الذين اشتهروا بجودة المطبخ الاورد ليونس الذي مثل دولته في واشغول خلال الحرب الاهلية الاميركية ومات سقيراً في باريس . يؤثر عنه امران : الاول ان همه الوحيد في الحياة كان الفوز برضى اثنين : ملكته ومعده . (ويعني بالملكة فيكتوريا) والثاني انه لم يتزوج كيلا تسي الحياة الزوجية الى جوفه كما هي اعتادت . على قوله سامحه الله ، ان تغفل باحواف اكثر الرجال .

قلنا ان اللاكل تأثيراً كبيراً في الادمنة حتى كانت العرب تقول : «عند البطون ضاعت العقول» . وتزيد ان اعظم سبب لاراحة العائلي في جميع المنازل اتقان الطعام وكل بيت متمتع بالراحة والسكينة يتم على وجود سيدة فيمارة في المطبخ .

ومن اصعب الامور التي يضطر الطهارة لمواجهتها ومعالجتها ضجر الاسكانيين من الالوان التي يتكاثر تقديسها لهم . اذ ليس في حواس الانسان واحدة اسرع الى الملل من حاسة الذوق اللطيفة . فان لم يكن الطاهي متمتناً في التنويع فيها يكن طبخه جيداً لم يلبث الاسكانيين ان يعافوه ويمتقوه .

وقد انتبه الى ذلك بعض اصحاب الفنايق الكبرى . فامر فريدييه صاحب فندق «اليب المذهب» في باريس بان يطبخ طهارة امام الضيف كل طعام يطلبه ، فيشرح صبره على مدى من النظافة والذقة والعناية وتهرج قابليته ، ويعرف قيسة الرزق !

وفي موسكو معلم يدعى الصومعة (ارميتاج) مشهور بهنية السمك بقودك مديره الى حوض كبير يسجرك برونقته وجمال الاشجار المحيطة به ويضع عجيماً باسماك بدعية متنوعة . ثم يعطيك شبكة صغيرة ذات مقبض فضي لتصيد السمكة التي تريد ابيدك . ثم تجلس الى مائدة انيقة تنظر بلذة غريبة الى عناية الطاهي باعدادها سريعاً على الشكل الذي تختاره .

سوايه رانكيل

ومن مشاهير الطهارة الفرنسيين «سوايه» Soyot الذي كان في مطبخ وزارة الخارجية في باريس واشوكت الثوار ان يقتلوه سنة ١٨٣٠ هرب الى انكلترا وترأس اكبر المطابخ البريطانية وعاون وورنس نابيتجيل مؤسسة جمعية الصليب الاحمر في حرب القرم . فانظم الاعاشة في ايرلندا وقت مجاعتها . واخترع موقداً طاف به

مبدأ يسوع

مربية بنظم محمد ماج مبین

ليسانس آداب من جامعة فؤاد الاول

الفصل الاول - في الناصرة -

يدخل الملاك جبريل بيت العذراء مريم

جبريل : لا تجزعي ايها العذراء الطاهرة ..

مريم : (واحدة) ان صوتك ليته في نجات ساهرة ، لها
حفيف شهى الوقع ، حلو الصدى ، من تكون ؟

جبريل : البشرى لك يا مريم . انا الملاك ، رسول الرب .

مريم : يا فرحتي بقلع . رسول ربى .

جبريل : طوبى لك يا مريم ، فانت مباركة في النساء ، ولقد
اصطفاك الله ، لتكوني مسح القداسة ، ومسرى الطهارة ، وينبوع
الايمان ، ستجبلين باليسد المسيح ..

مريم : كيف هذا ؟ اني اعذراء ، لم يمسنى بشر .

جبريل : شامت ارادة الله ، ان يتخذ الناس من الضلال الذي
يتخطون به ، والعقوبة التي يعمهون بها ، .. فسيرسل لهم آيته
يسوع ، فيبدد بنوره الوضاء الظلمات التي تزين على حياتهم .

مريم : كيف اجل وانما لم اعرف اى رجل ؟

جبريل : ارادة ربك التقدير ، خالق السموات والارض ، انه
على كل شي . قدير . ستلدن يسوع ، نور الرحمة واب الرفق ، تهدف
اليه القلوب الجائعة ، والنفوس الشاردة فيرشدنها الى المحجة العليا .
مريم : الهى ! الهى ! فى . على نفسي الراحة ، واسبغ عليها
نعيمك الرضية ..

جبريل : وسيكون ملكاً عظيماً ، عرشه القلوب ، وجنوده
الارواح ، فليس للملكة نهاية ولا تحوم ، تبرز له القرون وتشتاقه
النفوس ، وتقبس من جذوته الالهية ، الهدى والمجد .

مريم : اشعر بعبد الطمأنينة في حنايا ضلوعي .

جبريل : وسيملك على عرش داود ، وسيترسع على بيت
يعقوب ، الى الابد ، فطوبى لمن نهل من منهله الفياض ، قطرات
الشوق وسلسيل المحبة والوله ..

مريم : ارى شعلة مضطربة تثير قلبي ، وتفتح مغاليقه ، على
اضواء . وهاجرة ، فتتراقص لوميضها ، وتتهاوى تروني منها ..

جبريل : سيجل عليك الروح القدس ، وتظلك قوة العلى ،

ايها العذراء المختارة ، رمز الحب والنور والاقلى .

مريم : شكراً على آلاء الرب وعطاياه .

جبريل : ليس شي . مستجبل على الله .

مريم : او هناك من يجرؤ على الشك بقدرته العارمة ؟

جبريل : ها هي قريبتك اليصابات ، التي بالتم من العمر
عتياً ، وخال الناس انها عاقر ، قد حبلت بغلام ، ميمجد ، رائع ،

سيدوي اسمه على الدهور ، دوعة باقية . سيكون قوة لا يسه
زكوريا ، ونفحة للناس المتشوقين الى التقوى والجائعين الى الله .

مريم : انا عبدة الله ، لئكن ارادته ، ولتتخذ رغبته ..

الفصل الثاني - بيت زكريا - في مدينة يهوذا

مريم : سلام عليك يا نسييتي اليصابات ..

اليصابات : يا فرحتي برؤيتك الملهمة ، وطلعتك النورانية ،
وابتسامك الطافحة بالجلال ، فقد شمرت بالجنين يتراسخ في بطني ،
عندما سمعت سلامك الالهي ، ورن صوتك الساوي في اذني ..
مريم : ستلدن يا اليصابات غلاماً ، يكون قوة لشيخوختك .

اليصابات : اى مجد هذا الذي يقدق علي .

مريم : ارى ان هيئتك ترداد اشراق .

اليصابات : افسى نعمة الرب تعمركني ، وتطفح روح القدس في ،
عند زورتك السيدية لي .

مريم : ماذا تترين ؟

اليصابات : مباركة انت في النساء ، ومباركة بطنك .

مريم : اعلمت بجي . الملاك ليشري ؟

اليصابات : اني في نور الله الذي يجترق الحجب ويصدع الظلام ؟
مريم : شكراً لاهي . اليصابات : ستجبلين بالمسيح ، الذي ينتظره

العالم ، بصبر نافذ وشوق بليغ ، ليطمس على رذائلهم ، ويخلص
بأرواحهم الى اجواء الفضاء ، في عوالم ملكوت الله . كم انا مبتهجة
برؤاك ، انت التي تحلين بمنقذي ، ومخلص البشرية من الآلام ، وفاديا .

مريم : هكذا انبأني الملاك جبريل .

اليصابات : بشرى للعنينا بجي . يسوع .

مريم : وستم بهذا نبوة الرسل الاقدمين .

اليصابات : طوبى لك يا مريم ، انت التي آمنت ، بسا آقي
اليك من ارادة الرب .

مريم : ان نفسي لتبتجع اعظم الابتهاج بالرب مخلصي ، ومتخذ
روحي ، ربي التقدير على كل شي ، الذي يصرف ملكه الوسيوع
بحكمة مدبرة نادرة ، وقدرته تغدق في كل شي ، فشكراً له ..

البصابت : من اعاني اهتف شاكرة لربي ، انا التي ينست
من البينين ، وأدركت الشيوخه ، وتآبى رحمته الا ان تسعني ،
فجئنت بولد زاكى الفرع ، عيسى الروح ، هفت له نفس زوجي
زكوريا ، منذ امد قصي ، حتى فرج الله كربته .
مريم : ان الله رؤوف رحيم بعباده المخلصين .
البصابت : ستظلين عندي ، راحة من الزمن ، ابارك بك .
مريم : كما ترومين يا نسييتي .

الفصل الثالث

في بيت لحم - رعاة يتحدثون

الاول : لقد رأينا جباراً يومنا هذا .
الثاني : لا تزال ابصارنا عاتقة بالنور السرمدي ، الذي
اكتسجت عيوننا بمرآة .
الثالث : اهتري يا دنيا طرباً لقد ولد الخالص ، معلم المحبة .
الاول : ان قلبي لا يزال ينبض بشدة منذ بصرت بالطفل
الاهلي .

الرابع : طوبى للمساكين ، فالملسيح ، ولد في المذود .
الثاني : ابتسامة الحق ، وحقة السماء ، تهاديان في المذود الذي
يضع فيه يسوع المسيح .

الاول : من هذا المذود ، سينبثق الضياء الافر ، يدغدغ
الافئدة وبضيءي العالم .
الخالص : ما اعلى المنظر الاهلي ، في المذود : الطفل يرقد
هينئاً ووجهه يتהלل طلاقة ، وعيناه تومضان بمجراة الروح ،
وجسمه الصغير يشع برؤى باهرة ، تنجس عنها الابصار ، لغوط
تأثيرها وحققها .

الرابع : ما اروع امه العذراء المقدسة ، تحنو عليه ، وقد بدت
كبينة من لؤلؤ ، تنفج بالبغير ، وسترسل شذاها الروحي ، يبعث
في الارجا ، وخطيبها يوسف يتأمل عمتاً الطفل السابوي : انه يطير
الى السماء ، على اجنحة من نور .

الاول : في هذه الايام ، صدر امر من اوغسطس قيصر ان
يكتب كل المسكونة وهكذا خرج يوسف مع خطيبته مريم ،
ليكتبنا ، في بيت لحم ، فيوسف من بيت داود وعشيرته : وها
هي تضع طفلها في بيت لحم السيدة ، فتعني على المعمورة ، بايت
لحم ، التي رأى فيك يسوع النور . فستظلين مخلدة ، رفاقني
ذاكرة الابد ، ما دامت النفوس تتطلع برغبة وحب ، الى
يسوع .

الثالث : ألا تذكرون الساعة الرهيبة ، التي رأينا فيها مجد
الرب يضيء حولنا ؟
الرابع : لا ازال اردد كلما طافت هذه الخواطر في رأسي
المكسود .

الاول : كنا في الليل ، عندما برق نور الله علينا .
الثاني : نحن رعاة ، نحوس حراسات الليل رعبتنا .
الاول : وفي جوف الليل ، سمعنا اصواتاً غريبة ناعمة ، كمزف
موسيقى السماء ، واذا بنور وهج ، يشق الظلمة ويبددها ، فتتناثر
فلوها ، لتشرق الدنيا ، باضواء ساطعة ، تأخذ بجماع النفوس ،
وتنهز جبات القلوب .

الثاني : ما اقوى يريق هذا الضرو ولمانه ، فخلت ان شمساً قد
هيئت على هذا الليل ، وابتلعت ظلماته .
السادس : والرعب الذي استولى علينا كان قوي الابد ،
جلجل كرعدة قاصفة في ليلة عاصفة ، فسرى فينا خوف سريع ،
حتى لحلت ان الدنيا تطبق بخنجرها .

السابع : نواصبي المزل والفرع ، حتى حسبت نفسي اني اضرب
في مفارعة في يوم شديد وقم الشمس ، بحمد المجاهرة ، وقد تناوشني
السابع تقطع جسمي ارباً .

الثالث : كنا شعثاً بالرغبة والجزع الاكبر .
الرابع : فوجأة ظلم سلاك الرب ، بيسم كالرحمة ، ويقول
بأهيبته العذبة : لا تخافوا فاشركم بفرح عظيم ، يغمر الدنيا . لقد
ولد المسيح الخالص الذي تتطلع اليه الناس ، يجودهوا الرجا .
والعامة ان تجودهو طفلاً مقطاً مضجاً في المذود .

الخالص : وهكذا لم ينه الملاك كلماته الخلوى ، حتى رأينا
كوكبة من ملائكة السماء ، محدة به ويرتلون مثنين : « المجد لله
في الاعالي ، وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرة » .
الاول : ولما ذهبت الملائكة تشاورنا فيما بيننا ، وصحت
عزيمتنا على الذهاب الى بيت لحم ، لتتقرى هذا الامر العظيم ، الذي
حدثنا عنه الملائكة .

السابع : ولما رأينا الطفل مضجاً مقطاً في المذود اذ لم يكن
له موضع في المزل ، هللنا وسجدنا لله ، وسجدنا له ، واخبرنا بما
رأينا ، فوعت امه العذراء المقدسة ، كلادنا ، ومفكرة به في قلبها .
الثامن : حدث رافع في هذه الليلة التي ولد بها السيد يسوع .
الثالث : ورجعنا فرحين نهنج ونسبح للرب القدير .

الاول : محمد حاج مهن

كيف نمضي ايام العطلة في بريطانيا



صغار الفتيات في إحدى مباريات الركض في أثناء العطلة اليومية

تعود البريطانيون في اوقات السلم التنقل والسفر ايام البطالة والعطلات، فكانت تشغل السيارات وتض القطارات يوم ذهاب المتزهين الى ضفاف الانهر وشواطئ البحر حيث يتمتعون بمناظر الطبيعة . فهم يبترون امتطاء السيارة وركوب القطار عناصر اساسية للحرية ودلائل واضحة للعطلة ومدعاة للترويح عن متاعب النفس بعد الكد والعناء . فليست محلات العمل - كما تعرفها النساء - هي الدوائر الرسمية والمعامل فحسب بل هي البيوت والمنازل والحدائق التي يقضي فيها نضال الشعب اكثر اوقاته وقت السلم اما هذه السنة فقد قل السفر في بريطانيا كثيراً واوشك ان يكون ممنوعاً . ففي عيد الفصح مثلاً لم تتجاوز مدة العطلة يومين انصرف الشعب بكليته الى الراحة عملاً بالنصيحة التي وجهت اليه ، ففضلوا المكث في البيوت وحرق الحدائق على الهبات الى سواحل البحر والمنزهات . ولكن هذه الحالة تنقلب الى عكسها في نهاية الصيف عندما يتطلب عمال المصانع فرصة وجيزة وتتأجج الشمس حرارة وتتلاأأ مياه البحر زرقة فتشتد رغبة الناس في التجول والتفرغ فلاجل

بصورة جزئية في بعض النحاء الملكية ، وقد اتيج لها في هذا الصيف ان تغمه في طول البلاد وعرضها وتقي به عناية خاصة للقيام من فوائد عامة ، اما الغاليتان الرئيسيتان اللتان تتوخاهما الحكومة من تنظيم هذه الفكرة فهما : اولاً ان تجعل من الاراضي الفسيحة مصابيف جذابة يؤمها الموظفون وعمال المصانع طلباً للتفرغ وحباً لحضور الحفلات الرقصة والاصفاء الى الموسيقى الشعبية التي تنهـى انقـامها في الفضاء فتخفف بعضاً من متاعبهم . ثانياً ان تنظم الالعب الرياضية وتقيم الحفلات الهزلية بشكل واسع النطاق خلال اسابيع الراحة المخصصة لكل بلدة او قرية حيث انه سبق

التوفيق والتوازن بين هذا الاغراء وعوامله الخفت السلطات المحلية حيطة تامة في جميع النحاء البلاد وجعلت القرى الريفية جذابة جداً وقدمت للمتزهين جميع انواع الرياضة والسباب التيلية . وقد ساعد التوقيت الصيفي (اي تقديم الوقت ساعتين عوضاً عن ساعة واحدة) جماعة المتزهين حيث يبقى نور الشمس ساطعاً الى ساعة متأخرة من النهار وتظل الحدائق والحدائق مليئة بنجلاء المتزهين على اختلاف طبقاتهم ورتبهم .

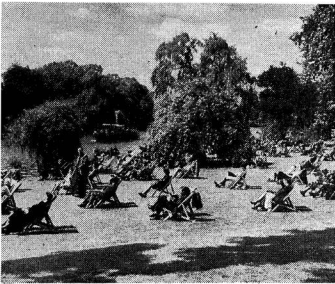
في الصيف المنصرم شرعت السلطات تنفذ هذا المشروع

لبعض المدن الصناعية في بريطانيا ان تتناوب حضور الحفلات الزائرة في مثل تلك الاسابيع . وعلى هذا النمط تسير مدن لانكشير ، الواحدة تلو الاخرى ، الى هذه الحفلات دون ان يتخلف احد منهم عن الذهاب الى المصافي في اوقات الرخاء والطمانينة ، بل تراهم يقصدونها زرافات ووحداً .

اما هذه السنة ، فنظراً لظروف العالمية ، وانعكاس السيارات والقطارات بنقل الجيوش والاعتدة الحربية يتعدى على الجوهر ارتياد الشواطئ البحرية ، واذا

تركب العائلات الدراجات عند خروجها للتفرغ بين قرية واخرى





توفرت لهم وسائل النقل فانهم يلاقون صعوبات حمة في إيجاد محلات تذاويرهم ، ولهذا السبب اهتمت السلطات بانشاء الحدائق في داخل البلاد كي يؤمها هواة الرياضة ويمرضوا عن ارتياد السواحل . اما اشهر انواع الرياضة المتوفرة في هذه الاماكن فهي التزهة في القوارب والسباحة والتجديف فضلاً عن اكرام الرمال التي ينصرف اليها الاطفال ويلعبون فيها ساعات طويلة دون ملل او ضجر ، كما ان جهود السلطات مبذولة الان لاقامة المسابقات وتنظيم الالعاب التي تسمح لجميع الناس - كباراً او صغاراً - ان يشتركوا فيها .

يستحم بعضهم في الشمس على ضفة النايير ويتزده آخرون في المراكب البخارية

وفي المدن الصناعية القريبة من الجبال في شمال انكلترا حيث توجد معامل القطن والصوف في الاراضي السبخة يتهاقت صغار المال لقضاء العطلة في الحقول من مكان الى آخر .

وقد توفرت في هذه المناطق فنادق عديدة لاستيعاب هؤلاء العمال المتزهين لقاء اجور طفيفه يتمكن اكل فقير منهم ان يدفعها .

اما الذين يشغلون في اماكن لم تتوفر فيها المناظر الطبيعية فانهم يستعملون الدراجات للتنقل والتزهة . والنظر الى صغر السكاد وقرب القرى بعضها من بعض تسهل مهمة المتزهين كثيراً فيتمتعون باجل المناظر الطبيعية التي وهبتهم ايهاا بد الخائق .

فينا عليه يعلم البريطانيون انهم اذا شاؤوا الانتفاع من اجازاتهم في عام ١٩٤٢ ترتب عليهم ان يقضوها في الامكن المجاورة لهم ، دون ان يكون قريبا مدعاة للمل او ضجر . وقد

أكد المستر كشرشل منذ مدة طويلة ان الايام الحاضرة تستلزم العبوسة والابتهاج في وقت واحد . وفيما مضى كانت الصناعة البريطانية تظهر الزائرين بظهر العبوسة فقط ، اما اليوم فقد ارسمت على محياها ابتسامات الابتهاج لتيسر بمقتبل سعيد .

احدى الحفلات الراقصة في بارك رجنت وفيها رجال الصانع وافراد الجيش وغيرهم

ان قوانين الدفاع السلي تحظر على الناس استعمال الانوار المسطلة التي تزيد الطبيعة رونقاً وتكسبها جمالا .

اما استعمال المرفحات فامر ممنوع بتاتا نظراً لضرورة استعمال موادها في الذخائر المتفجرة . لكنه يسهل على اي كان ان يحول في الهواء الطلق ويشترك في الحفلات الراقصة لانتعاش الموسيقى العسكرية الصداحة التي كان لها اطيب الاثر في رفع مستوى الذوق الموسيقي بين مختلف طبقات الناس . اما تقديم القطع الموسيقية وتقبل الروايات فتعني بها لجنة الموسيقى والفنون في المدن الكبيرة .

في الصيف الماضي تقلد كثيراً سكان مدينة برمنهم بالروايات التي تمثل على مساح الحدائق العامة وتتمثل هذه السنة سلسلة من الروايات مدة تسعة اسابيع . وقد حدث ما نشتر حدو برمنهم فتعاقدت مع جوقة من الممثلين الشكسبيريين ليشأوا للجمهور بعض الروايات الدائمة الصيت في الحدائق العامة .



انا وانت



كنت تنشدن في المساء لحن الصباح
وكنت اغني في المساء لحن الليل

ففي الفجر ، انشدت الليل
فاحتق غناء الصباح في صدري

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ونفرت البلايل المفردة للفجر ، وسكتت !
وسمعت الورودُ اليوم تنعب لآيل معك
فنفضت اوراقها ندي ذلك الفجر

فأي فجر هذا الذي جلع على انشادك ؟

البر ارب



المسورات النائية

أهدت اليانقابة محمري الصحافة اللبنانية الجزء الثاني من نشراتها النائية . ولا بد لنا من التنويه بأهمية هذا المؤلف من الوجهة الصحفية ، ولا سيما انه الأول من نوعه بعد ، وبالتالي فهو مجموعة يرجع اليها في كل حين . يتألف هذا الكتاب من ١٠ أقسام تحتوي على قانون المطبوعات اللبناني كما حددته القرارات ٢٤٦٤ وتصحيحه و ٣٠٨٠ و ١٩٤ ، وعلى قانون المطابع العماني (القانون نجد ذاته ، وجرائم المطبوعات ، وقانون المطابع العماني ، وقانون حق التأليف ، فعلى مشروع قانون للمطبوعات وضعت لجنة عام ١٩٣٧ ، وعلى القانون الاول لنقابة الصحافة الذي وضعت لجنة عام ١٩٢٢ برئاسة المرحوم وديع عقل ، فالقانون الثاني لنقابة الصحافة (١٩٣٩) ، فمشروع قانون لنقابة الصحافة (١٩٤٢) ، ويحتوي الكتاب أيضاً على نبذة عن جمعية الصحافة الخارجية (تأسيساً ، اجراء المراسلين ، نظام الجمعية) ، وعلى بحث الاستاذ روبر ايلا ، نقب محمري الصحافة اللبنانية ، « في سبيل اصلاح الصحافة اللبنانية » ، وجدول عام باسماء الصحف السياسية في لبنان (مسح الصحف السياسية الصادرة بلغات غير متعربة رسمية ، واجام محمري الصحافة اللبنانية ، مصالح المطبوعات في لبنان) ، واخيراً يجتم الكتاب بجدول قيم لتسهيل العثور على نصوص قانونية ذات علاقة بالصحافة والمطبوعات ، مقتطعة من الدستور العماني ومن نصوص لاسلططات الفرنسية ، والنصوص اللبنانية .

والجدير بالذكر والتقدير ان الاستاذ روبر ايلا قد خصص قسماً كبيراً من وقته وتعبه لجمع تلك الوثائق الثمينة ، واغلبها كان مبعثراً في كتب قديمة ، كما اشرف بنفسه على طبع الكتاب واخراجها فجاء دليلاً على ما لنقابة محمري الصحافة اللبنانية ، على عدائه عهدها ، من الفضل على مهنة الصحافة الشريفة .

سلطان الظلم

الطبعة الثانية ١٩٨٣

نشرت « مكتبة الاداب » الطبعة الثانية من كتاب سلطان

الظلام الاستاذ توفيق الحكيم ، بعد ان اضيفت اليه قطعتان لم تنشرا في الطبعة الاولى . وهكذا اصبح الكتاب جامعاً لمس قطع سبق للمؤلف نشر بعضها في الجلات ، واذاصة البعض الآخر من محطة الاذاعة البريطانية بلندن . وقدم المؤلف لهذه القطع بتمهيد طويل يقع في نحو ستين صفحة عرض فيها غواطره عن المدنية الحاضرة ، وعن التقدم الانساني ، وعلق على آراء المفكرين في اتجاه الحضارة ومستقبلها ، فتناول آراء المثاقين من امثال كيسرلينج وجورج رينسون وهكسلي وجون روستار ، ثم آراء المثاقين مثل روزفلت وسمنويلز واتلي وبرناردشو ، وانتهى من ذلك الى تبين تفوق الآلة على الحياة الحاضرة ، واثر ذلك في صنع العصر الحالي بالصيغة المسادية ، وفي انتصار القيم الاقتصادية على القيم الروحية والفكرية . ومن اجل هذا شعر المؤلف ان على رجال الفكر في البلاد العربية - وهم الحراس على هذه القيم السامية النبيلة - واجبا خطيراً هو تعبئة مواهبهم للدفاع عن شؤون الفكر والروح ، وتوحيد افكارهم ليداهموا بنصبيهم في الدود عن حضارة البحر الابيض ، تلك الحضارة التي ساهم اسلافهم في وضع احجارها الاولى . وتنى ان تعرف الانسانية كيف تنفق بعد الان ملايين المائتين في التعمير والاسعاد بعد ان عرفت كيف تنفق في التدمير والاستبداد . ويرى المؤلف ان كتابه ، في مقدمته وفي قطعه ، ليس الا صيحاً يطلقها في هذه الساعات القلعة ، ويهديها الى كل من يحمل قلباً نابضاً بالامل في سمر البشرية ، فإضاً بالحلب للانسان والانسانية . والزرعة الانسانية زرة قوية وجهت ادب الاستاذ الحكيم فيما نشر من مؤلفات ، وتوجهه في هذا الكتاب بصورة اوضح واقوى ، ومن مظاهر هذه الزرة الانسانية في ادبه انه يتجاوز التفكير الاقليمي الضيق ، فيعالج الالوان المشتركة من زوعات الحياة . ويرتق في معالجته وفهمه لهذه الالوان زرة انسانية خالصة ، واذا تناول مشكلة اجتماعية ضيقة فلنا يتناولها تناولاً رحباً فهي قد تدل على حادثة بعينها او ظاهرة فردية او جزئية ، ولكنها تصبح بعد ان يعرضها حادثة المجتمع ، والظاهرة التي تتردد في كل يوم . وما اكثر الشخصيات التي يديرها الاستاذ الحكيم فيما يكتب من مسرحيات ، وليست هي في الواقع الا رموزاً تمثل افكاراً عامة ، وتقرأ وراءها قضايا انسانية مشتركة . فمسيرته « اهل الكهف » ليست الا مأساة بين العقل الذي يشك والقلب الذي يؤمن ، ومسرحيته « شهرزاد » يمثل اباطالها معاني عامة :

لا يمتنع ان يصور مسا يعرضه تصويراً فنياً دقيقاً ، يظهر بعد ذلك للقارىء . كفتا المقارنة ، وسبيل الصواب بوضوح وقرب .
وان اعادة طبع هذا الكتاب للمرة الثانية في مدة لا تتجاوز السنة ، لدليل واضح على رواجها السريع ومكانته العالية ، وعلى اتجاه القراء نحو هذا النوع من الادب التوجيهي الذي يعالج بعض القضايا التي اثارتها الحرب الحاضرة ، فهو من ادب الحرب التي لا بد ان تعيد للحرية نهارها ولافكر شمسها ، واذا بسلطان النور يلا الأفاق ...

مجايل نعمة

نشرنا في الاعداد الماضية من «الاديب» بنا على رغبة القراء لائحة بؤلفات امين الريحاني ثم لائحة بؤلفات جبران خليل جبران ونشر في هذا العدد لائحة بؤلفات ميخائيل نعيمة على ان نواصل في الاعداد القادمة نشر الازوائج التي نتمكن من تحضيرها بؤلفات سائر الادباء .

| | | |
|------|------------------|---------|
| ١٩١٨ | مطبعة الفنون | نيويورك |
| ١٩٢٣ | المطبعة العصرية | القاهرة |
| ١٩٣٣ | مطبعة صادر | بيروت |
| ١٩٣٤ | مطبعة لسان الحال | بيروت |
| ١٩٣٦ | مطبعة المقطف | القاهرة |
| ١٩٣٧ | مطبعة المكشوف | بيروت |

المجموعة

رواية خيالية تمثيلية ذات فصل واحد وضعها باللغة التركية الكاتب الشهير رفيق خالديك ونقلها الى اللغة العربية الاستاذ الكبير سامي الكيسالي ، صاحب مجلة الحديث الحلبية الزاهرة وطبعت في المطبعة الحديثة بجلب . ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان ننوه بالجهد الطيبة التي يواصها الاستاذ الكيسالي في خدمة اللسان العربي والمكتبة العربية .

الوكالة العربية

تواصل الوكالة العربية التي انشئت في دمشق للاخبار والنشر والاستعلامات نشر كل ما من شأنه تعريف الاقطار العربية الى سائر ارجاء العالم . وقد توصلت خلال هذه الفترة الى تأييد مراسلين لها في جميع بلدان العالم العربي والشرقي ووفقت الى اختيار الاشخاص الذين سيأمن القراء في انبائهم السعدن والسرعة والتفاني في خدمة القضية العامة . وقد شرحت الاعمال التي تقوم بها في كراس صغير وزعته اخيراً .

«العبد» هو الظلام و «قر» هو القلب و «وشهريار» هو العقل ، وحر كبتهم حول «شهرزاد» هي حركة الانسانية بظواهرها المختلفة حول الطبيعة ، وقطعته «تلميذ الموت» في كتابه سلطان الظلام تدور بين الموت والمرض والحرب و «النقاش المجنون» .

فهر يتحور من الزمن ، فيتجاوز حدوده التي تقيدوه ، ويتخلص من جاذبية الماضي ، ويرى «ان معجزة الاغريق كانت في تخاضهم من هذه الجاذبية وفي ظهور تفكيرهم الحر وتأملهم المجرد ، اي ذلك التفكير الذي لا تحده تقاليد ولا سلطان ولا اديان ولا حتى لغات قديمة» . ويتحور كذلك من المكان فينطلق عما يسوونه بينات ومواطن ، وما اجل هذه الانسانية الرحبة الفسيحة التي تتجلى في المنظر الرابع من «صلاة الملائكة» التي ختم بها كتابه والتي اهداها «الى احدقا الانسانية» ، عندما يسأل رئيس المحكمة عن اسم الملاك ، فيجيب الملاك .

— اسمي ؟ الحقيقة اني لم افكر في ذلك ، لم يكن لدي وقت لاختيار اسم من الاسماء ، لقد كلن ما يشغلي اعظم واجل ، ومع ذلك ما الفرق بين اسم واسم ، وكل الاسماء سواء ، اختر لي من الاسماء ما تشاء . الرئيس : ووطنك ؟ جنسيتك ؟ . الملاك : ... انا على هذه الارض وكفى ، ما الفرق بين بقعة وبقعة ، وجنس وجنس ، كل البقاع والاجناس سواء . اختار لي من البقاع والاجناس ما تشاء . الرئيس : واهلك ؟ . الملاك : ... اهلي ؟ كل الناس اهلي . لان كل بني الانسان اخوة ، حتى اقم يادن حاكموني ، اثم ايضا اهلي ، اني احبكم كلكم . لاني احب بني الانسان .

ولعل من العتب ان اعدد مظاهر التزعة الانسانية التي دفعت الكتاب الى اخراج مثل هذا الكتاب ، فهي منتشرة في كل صفحة ، وهي اصيلة لا تقادر كتابته ، غير ان تزعة الانسانية ، التي يثيرها في كتابه هذا ، ليست تزعة عاطفية تؤثر في القارىء من ناحية انفعاله ومشاعره ، لكنها تزعة فكرية تؤثر في القارىء . معتدداً على تفكيره وعقله ووعيه الفني . . . فيالزعم من ان المجال واسع امام المؤلف ، في قطعته «شهرزاد مع شهريار العصر» ليثير الجانب العاطفي من القارىء ، فانه لم يمد الا مساً رقيقاً . . . ومن بعيد . . . وان كان الاستاذ الحكيم لا يحاول الوصول الى حل نهائي او نتيجة حاسمة لا يعرض من مشاكل وقضايا في يكتب ، فذلك لانه يعتقد ان هذا ليس من مهمة الكاتب الحر ، فالكاتب الحر — كما يراه — هو الحكمم القريب في حلبة اللامعين ، انه هو الذي يحصي الاخطاء . بغير تمييز ولا تحامل . . . على ان هذا الرأي

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

واشنطن - أول كانون الأول - صرح المستر ليتون في اجتماع صحفي بأن الحرب يمكن أن تكسب في شهر حزيران سنة ١٩٤٣ . لندن - علم أن قسا كبيرا من حامية جيبوتي الفرنسية اجتاز الحدود ودخل الصومال البريطاني .
القاهرة ٢ - أبحر الفوج المأثر من الحجاج المصريين وقد بلغ حجاج هذا العام حوالي ثمانية عشر ألف نسمة . موسكو - تمكن الجيش الأحمر من قطع آخر حلقة في الخط الحديدي الذي يصل برجييف ، وقد أخذ الروس يحلون الآلات من مراكز كثيرة محصنة ويواصل الجيش الأحمر هجومه الصاعق في كل الجهات .

نيويورك ٣ - جاء في برقية من برن إن أقال وصل الى برلين المفاوضات في شأن تأليف حكومة جديدة في فيشي . لندن - أذاع الراديو الألماني إن ترحيل سكان المدن الإيطالية بحري بركة وسيجري ترحيل سكان مدينة روما وقد اتخذت الاحتياطات لخط الأنار ، وأغارت الطائرات البريطانية على غرب ألمانيا فأحدثت أضرارا كبيرة - مكسيكو - أحدث اعتراف حكومة المكسيك باللجنة الوطنية الفرنسية التي يرأسها الجنرال ديغول ارتياحا كبيرا على نيويورك ٤ - صرح البحر سيلي الحق بالقوة الجوية الأميركية بأن لدى الولايات المتحدة طائرات سرية تدفع باللاصقة ، ويقول المستر كينز إن الطائرات التي تصنعها الآن مصانع كينز وهيوارد قادرة على الطيران عبر الأطلنطيك وتفرغ شحناتها الثقيلة واستئناف طيرانها من غير حاجة الى وقود جديدة .

لندن - مدد د. ألد كوتنر رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا في منصبه وفق الدستور التشكوسلوفاكي وذلك بتسريح أصدره المجلس التشكوسلوفاكي . استمبول ٦ - بنادر وفد التجار الاتراك استمبول قاصدين الى امسترا لزيارة مصانعها الحربية . واشنطن - وضع مكتب الاستعلامات الاميركي تقريرا جاء فيه ان الولايات المتحدة اتجت في العام ١٩٤٣ ٤٩ ألف طائرة و ٣٣ ألف دبابة ومدفعا اتوماتيكيا و ١٧ ألف مدفع مضاد للطائرات ، كما اتجت سفن بحرية حوالي ٨ ملايين و ٢٠٠ ألف طن واقفت ٤٧ ألف مليون دولار على الانتاج الحربي ، وبلغ عدد العمال في الصناعات الحربية سبعة ملايين عامل ويزاد هذا العدد في العام المقبل .

الرباط ٧ - صرح الجنرال نوفييس القائد العام للقوات الفرنسية في مراکش بأن السفن الفرنسية الراسية في ميناء دكار أصبحت تحت امرة الاميرال ميشالين القائد العام للقوات البحرية الفرنسية في مراکش . بلودن - اذيع رسميا ان قوات الحلفاء وصلت الى الشاطئ الذي يقع الى الشرق من يون في غينيا الجديدة وبذلك تكون القوات اليابانية قد عزلت في هذه المنطقة وتواصل القوات الحليفة ضغطها الشديدا في القطاعات الاخرى من غينيا الجديدة الجزائر ٨ - أعلن ان الجنرال إيزنهاور فقد اتفاقا مع السيو بواسون حاكم افريقيا الغربية بسحب جنوده الحلفاء استعمال دكار كقاعدة بحرية وجوية ، وإطلاق مراح سفن الحلفاء . وبارتقا المحادثات في افريقيا . زوريخ - أعدت الآن ٣٥ شيكيا جديدة بينهم امرأة بتهمة الحياة النطسي ، وقد أصبح مجموع الذين اعادوا في خلال هذا الشهر ١٢٨ شخصا بينهم ١٤ امرأة .

لندن ١٠ - اعتقل الآن في مدينة تليون وحدها ١١٠ شخص بتهمة الاختداء على جندي ألماني ينظر ان يعدم بعض المعتقلين ويؤخذ البعض الاخر كرهائن . القاهرة - انتهى الحبراء العسكريون من فحص أكثر من خمسين طائرة تركها العدو في اثناء تفرقه من المليون فوجدوا ان عددا منها لا يزال يصلح للعمل بعد اصلاحات بسيطة بينها ٢٦٢ طائرة قتال ١٧٠ قاذفة قابل والبالي انواع مختلفة . وأكثر هذه الطائرات المانية .

لندن ١١ - عرف ان الالمان ماضون في تحب المكتبة الفرنسية الاهلية بباريس فقد تناولوا اخيرا عدة صناديق تحتوي على كميات من الكتب التاريخية والمستندات النادرة منها وصية نابليون ورسائل كثيرة لتابوليون ولويس الرابع عشر وغير ذلك من المستندات القيمة . مراکش - اعتقلت السلطات الالمانية في باريس زعيم حزب البعث السابق المسبور لوي ماران والذي كان عضوا في وزارة بول رينو .

نيويورك ١٢ - تنيد المعلومات الواردة الى اميركا بأن أكثر من ثلاثمائة ألف جندي ايطالي عدوا الى القرار واعصوا بروسو الجبال في كالابريا وصالية وسردنيا ، وإن قطارا حديديا كان ينقل جنودا ايطاليين مكبلين لشقم عسا الطاعة في الميادين الروسية . انقره - وافق المجلس الوطني الكبير على اعتماد اضافي يبلغ ١١ مليون ونصف المليون ليرة تركية للدفاع الوطني في السنة المالية الحاضرة . لندن - صدر بلاغ رسمي في موسكو يقول ان عدد الاسرى الالمان منذ بداية معركة ستالينراد اي منذ ١٩ تشرين الثاني بلغ ٧٣ ألفا وبلغ عدد القتلى ٩٤ ألفا واربعه اضعافهم من الالمان والباقي من الرومان هذا في جبهة ستالينراد وحدها وهناك عشرات الآلاف من الاسرى والقتلى المحوريين في الميادين الروسية الاخرى ، عدا عن الكميات الهائلة من الاعددة والذخائر والمؤن التي غنمها الجيش الأحمر من اعداته .

لندن ١٣ - فهم ان الالمان ضبطوا ٩٩ طنا من الذهب الفرنسي من مستودعات بنك فرنسا في باريس وليون وكارمبون فران ، وقد نقل هذا الذهب الى ألمانيا على قطر مسلحة .

واشنطن ١٣ - جاء في احصاء ان معارك وادي الكنار وجزر سلان كانت اليابانيين ١٨٥ سفينة و ٦٦٦ طائرة . مدينة الكتاب ١٤ - صرح المارشال سمسلي انه عندما تلحق حملة شمال افريقيا سيطلب الى البرلمان السماح لجيش جنوب افريقيا بالعمل خارج ميادين افريقيا . لندن - عاد المستر كينز وزير الدولة البريطاني من رحلته في الشرق الاوسط وكان قد زار ايران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين . نيويورك ١٥ - صرح قائد الطيران الاميركي فقال « لدينا سلاح او سلاحان جويان سريان سيكبلان لاعادنا ضربات اشدهم وسيظهر أثرها

قريباً - استمبول - تم عقد اتفاق سياسي جديد بين روسيا وتركيا يربط عن الصداقة المتبادلة بينهما وينص على احترام روسيا لسيادة تركيا الاقلية واستمرارها للإصرار الى مساعدة تركيا اذا ما وقع اعتداء عليها . لندن - نشر بلاغ انكليزي فرنسي مشترك ينص على انتهاء الادارة العسكرية الانكليزية في مدغشقر حال وصول الجنرال له جانيتوم الى هناك وستنخذ الترتيبات لممارسة السيادة الفرنسية ، ويقوم المندوب الفرنسي العام بسرعة إعادة تنظيم القوات الفرنسية للانتماء في الدفاع عن تلك الامصار . لندن ١٦ - وضع المشير شارل دي والذ احد الضباط البريطانيين الذين ساهموا في اعتقال ثلاثة من القواد الايطاليين في ليبيا جائزة قدرها عشرة الاف جنيه استرليني لن يفيض على روميل حيا كان او ميتا . ستوكهولم - تقول مصادر موثوقة ان المسيو ليردان رئيس الجمهورية الفرنسية يعلم في سويسرا مشتركا اما زوجته فباقية في فرنسا . نيويورك - وردت ابناء من برن تقول ان في روما حركة ترمي الى سحب جميع المرافق العسكرية من عاصمة ايطاليا وحولها بعيدا لاعلاخا مدينة مفتوحة .

لندن ١٨ - تعتقد المجافل العسكرية لدى الامم المتحدة ان روميل سينف تفقر قواته وسيجاول الصود في سمرطة التي تبعد مائة ميل شرقي مدينة طرابلس ، ومن المعتقد ايضا ان قوات روميل ستحاول الانضمام الى قوات تحرير في تونس لمساعد الواحد الاخر . لندن ٢٠ - اعلن الجنرال انزخاور ان الرئيس روزفلت عين المسيو روبرت مودفي ممثلا خاصا له في افريقيا الشمالية برتبة وزير مفوض . الجزائر - جاء في بلاغ المرفع العام الحليف ان جميع السفن الفرنسية في افريقيا الشمالية والشرقية انضمت الى العمل بجانب الحلفاء على ان يبنى قسم من هذه السفن بميل لتسوين افريقيا والآخر سيقيم بخدمة الحلفاء مباشرة . موسكو تقول شركة دوتو ان مدى الهجوم الروسي يميل لكل مقاومة المائبة بدون جدوى للحياة من الكفاية التي يزداد اضيقا عليهم ، والموقف موافق جدا للروس الذين لا يتركون مجالا لدلائل ليرتاحوا . برلين ٢١ - اعترفت شركة د. ن. ب. بان الروس خرقوا خط الدفاع في فالوكي لوكي ثم قتلت ان الروس بمشودون جيشا عظيما بنية شن هجوم كبير جنوبي ديفيل . ادع راديو باريس ان غنات عظيمة جدا وصلت الى الجنرال اندرسون قائد الجيش الاول في تونس . ألج - اذاع راديو ألج ان السفن الفرنسية في دكار تشترك الان في العمليات لاسيا في غفارة الغواصات البحرية ، اسما صير الايطول الفرنسي في الاسكندرية فلم يقرر شي بمسيره .

ستوكهولم ٢٢ - كتبت جريدة سفسكا داجبات في روما يقول « بلغ عدد الايطاليين الذين هاجروا من المدة الايطالية بعد انذار موسوليني لهم في خطبته الاخيرة مليون شخص يضاف اليهم مائة الف اخرين على اية الهجرة . الطاعة - تدرس وزارة المعارف المصرية مذكرة تتعلق بالملقات الثقافية بين مصر والبلدان الشرقية والمند ومدى هذه العلاقات في الوقت الحاضر والوسائل التي تنسبها بعد انتهاء الحرب . لشبونة ٢٤ - اسفرت المفاوضات بين اسبانيا والبرتغال عن اتفاق وجهات النظر بشأن الموقف الدولي وقد عقد بينهما اتفاق صداقة وعدم اعتداء . لندن - جاء من ستوكهولم ان هنر ولانل اتفاقا في زيادة عدد الهال الفرنسيين في ألمانيا وعلى بعد صلح بين فرنسا وألمانيا ووقع ايطاليا بعض الترتيبات ثم تأليف جيش فرنسي جديد ، وان تضم فرنسا الى دول المحور والى سيشان مكافحة الشيوعية ، وقبل ان لاقال وعد هنر باقتناع الموشال بتان بذلك .

مكة المكرمة ٢٥ - بلغ عدد الحجاج الذين ادوا فريضة الحج هذا العام وقدموا بآباريق البجعة ٢٢٦٠٠ منهم ١٣٠٠٠ مصريين ٣٢٦٠ فلسطينيين وادنيين ١٠٢٨٩ من سوريا ولبنان و٢٨٨٢٣ من السودان ، و١٠٤٦٠ من التكاثرية ، ووقد بطريق البر ١٥٠ الفاً من بادية الشام وشرقي الاردن والكويت والعراق وايران وبلغ عدد الذين اشتركوا في تأدية فريضة الحج من القادمين برا وبحرا ١٠٠٠٠٠ ومن شعب صاحب الملاحة السودية ٨٨ الف حاج . الجزائر - اطلق شاب الرصاص على الاميرال دارلان في مقر عمله فصرعه وقد تبين ان القاتل من اصل فرنسي والوالدة ايطالية . الجزائر ٢٦ - نفذ حكم الاعدام بفائل دارلان ريبا بالرصاص وقد نقل جثمان الابريرال الى كنييسة القديسة ماري ، وفي رباط اقيمت الصلاة عن نفسه في الكاتدرائية . لندن - اذاع راديو مراكش ان المجلس الامبراطوري الفرنسي قد اختار بالاجماع الجنرال جيرو حلفا للاميرال دارلان . لندن ٢٧ - اذاع مقر القيادة العامة فرنسا المجاربة بلاغا جافقيه : « انقذت اللجنة الوطنية برئاسة الجنرال دينول واخذت علما بما حدث في افريقيا الشمالية الفرنسية وبجئت الاتحاد بالحرب بين الشعب والامبراطورية ونظرت اخيرا المسائل العارضة ، وقد تساول الجنرال دينول النداء من الرئيس تشرشل بحضور الجنرال الفرنسي داسيه لاجبيري العائد من مقابلة الجنرال جيرو . نيويورك - اعلن رسميا ان الصناعة الاميركية اصحلت خلال السنة اشهر الماضية اكثمن من ١٢ الف سفينة وان عدة سفن جرى اصلاحا اكثمن من مرة .

لندن ٢٨ - اذاع راديو برازيل ان القوات الفرنسية المجاربة القادمة من تشاد التجمعت بغوات المحروفي طرف ليبيا الجنوبي . انقرو - اعلان ان المعاهدة المقودة بين الدول الاربعة ايران افغانستان العراق تركيا قد مددت خمس سنوات اخرى من تقاع نفسها ، وهي المعاهدة المروفة بخاتن معمد آباد الموقعة في ٢٥ حزيران عام ١٩٣٨ . لندن - اذاع راديو لندن ان الجنرال برجيري سيومن مهام معاون المندوب السامي في شالي افريقيا . ملبورن - جاء في بلاغ القيادة العليا الحليفة ان القوات الاسترالية والاميركية تشدد ضغطها على القوات المدوة المطوعة في بونا وجا ، في بلاغ القيادة العامة في دلي ان القوات البريطانية مواصلة تقدمها في برمانيا رغم ردة الاحوال الجوية . نيويورك ٢٨ - يؤخذ من احصاء اذاعة مكتب جالوب الاميركي ان ٧٣ بالمائة من الاميركيين يعتقدون بضرورة انشاء هيئة عالية تتولى المحافظة على سلام العالم في المستقبل .

كلمات لا تدن

شاهدت « أميون » آخر ، يستطيع بقدرة عزفه على عوده ان يقلقل الكلمات ، التي هي كالحجارة الحساسة . وهكذا تندو الاغنية كالعمارة .

كل كلمة تلقى مكانها الناطق ، وتجعل كل ما يولد الافكار الجديدة لاماً بكل ما أوتيت من روح ! وهذه هي القصيدة التي اريدها .

قد يمكن الفناء جيداً بدون تكلم ، ويمكن التكلم جيداً بدون غناء . ولكن الذي يفكر - في البدء - يكتب نثراً وان كان بقافية . وما تجدي اذ ذاك القافية ؟ القافية الحقيقية تنثني . فراغاً ، او دعوة للنغمة ، فتكون كلمة ، وهذه الكلمة تخلق فكرة .

البادرة الاولى من افكارنا ليست فكرتنا الاولى ، فالرجل الذي يشكو يردد ما يقول كل الناس . وليس اكثراً ابتداءً من الجنون ! وهكذا حين نشاهد شجرة نقول حالاً : هذه شجرة ، اي هذا كائن نباتي ، لا بخار متلون بالوان قوس قزح ! النحات يفقد قيمته اذا اتخذ يفكر ، والمصور يتنعم عن التفكير .

هذا الشرط الذي يبدو غريباً يتردد ايضاً عند الشاعر ، لانه يستخدم الفاظاً تخاطبه ، انه يسكت جميع هؤلاء الثغرات ، لانه لا ينبغي لها ان تتكلم الا مرة واحدة في مواطنها بالصدى والزمن !

وهكذا نجد وجوهاً في تجاعيد جدار متردد ، ونسمع الفاظاً في صوت طرد حقيق . اما الشعر الجيد فتفاوت جودته بحسب انشاده .

الناظم لا يمسكني ابدأ ، لكنني ان لم يكن ، ابدأ بأني ناظم . فكرة همة تترن قبل ان تظهر الاشياء . أشد خطراً في الفكرة من الولادة . والشاعر وحده يجدد ميعاد ولادتها !

هناك من ينظم شعراً ما كان يود ان يقول نثراً ، فلماذا لم يكتبه نثراً ؟ ولكن هذا النثر سيكون نثراً قبيحاً ، لان النثر الجيد لا يحول شعراً . النثر الجيد هو فن آخر يتنعم على الشعر ، له مباربه الخفية التي تتراءى في نثر فولتير ومونتسكيو وستاندال . انني اجعل مأثي هذه الروح ، ولكنني اعرف ان ليس مأثها من الابتاع ، لانها تحطم الابتاع ، واقول على الافتراض : ان الشعر هو فن التعبير عن اقدم الاشياء ، والنثر هو إياه . صارم للشعر ، وكما ان الدين يذهب من التمثال الى اللاهوت ... كذلك الفكر ينضي من الشعر الى النثر .

ان منطلعتنا يقتل النثر ، لان حجتنا لا تقيد الطبيعة شيئاً ، فهي ترانا ولا تقول كلمة ! اما في القصيدة الجميلة فالطبيعة فيها تتكلم ، وتطلق ، وترقص وتقي ، تتكلم على حال مبهم ، وتكرر كلامها فيقال : انه كلام طبيعي هو معجزة الغابات والينابيع .

الانسان يفكر في اغنيته الخاصة ، ولا يفكر في اغاني غيره .

فيل هنراوي

موليار

بفلم عمر فاغوري

كان

والبكا. هما وجه الحياة ، او على الاصح ، القناعان اللذان يتراى بهما وجهها . وقد تختلط ، في الازمات الحادة ، على مسامح ذلك الوجه الواحد ، اختلاطاً منكراً ، سبب الضحك والبكا . هكذا لم يكن من الهين والميسور ان يستخلص الكاتب من الحياة ، نواحيها المضحكة ، ثم يبقى للحقيقة لديه حرمة : حقيقة الحياة والناس الذين يقيمونها . بخاصة اذا كان الكاتب المعني هو موليار الذي لا ينبغي لاحد ، وفيه مسكة من عقل ، ان يحشره في زمرة المتفالسرين او الفرحين او الضحاكين . . .

تقد اختار موليار من الهين أسوأها في عصره صمعة ، واتزدها عائدة : مهنة الممثل . كان في وقتها مديراً لفرقة ومؤلفها وممثلها الاول . حرمته الكنيسة كما كانت تحرم الممثلين جميعاً ، لكن لم يكن هذا شراً ما مني به من ضروب الحرمان . ففي خلال اثنتي عشرة سنة قضاها موليار ، بعد ان لفظته باريس ، متجولاً بفرقته في

الاقليم ، بين مدن فرنسا وقراها ، كانت طريقته ملائمة بالمصاعب والعثرات . عرف الاملاق حتى الجرع ، والاضطهاد حتى الحبس من اجل ديون لم يجد قضاها . ولم يكن ، فوق هذا كله ، سعيداً او موفقاً في حياته الزوجية .

ثم استقر بوليسار ، بعد ذلك التردد ، في باريس المقام . فغليل

في زمنه يلقب « إله الاضحاك » . ولعله في الادب العالمي اعظم من اضحك الناس من الناس . لكن ما لا خلاف فيه هو ان موليار في الادب الفرنسي قد رفع هذا النوع : « الكوميديا » حتى احله في مستوى صنوه ، ذلك التوأم الآخر : « التراجيديا » الذي شرفه ايضاً معاصره كورناني وراسين ، وبلغا به ذروة الكمال الكلاسيكي .

ان موليار لم يخضع فنه الى حد ، وفي شي . من الضنعة والتكلف الظاهر ، لقاعدة الوحدات المشهورة : وحدة الزمان والمكان والموضوع . ذلك ان فنه قسام على العث او الفكاهة او المجون ، والمجون يعوزه من الحرية ما قد يستغني عنه الجسد احياناً . فان يكن في الجسد كثير من التزم والانتقاض ، فالجود في جوهره تسامح وانطلاق . . . لكن قاعدة واحدة لم يجد موليار عنها ، او لم يكده ، كانت عنده قاعدة القواعد ، هي ان يرضي جمهوره ، وان يكسب عطفه واقباله . وقد

آثر موليار من بين طرق الارضاء ، طريقه هو : اضحاك ذلك الجمهور .

ليس في النادر القليل ان نجد الضحك مقروناً الى البكا ، بل على الضد . لنذكر الآية الكريمة : « وانه هو اضحك وابكى » . وبنت المنشي : « ولكنه ضحك كالبكا . . » فالضحك



موليار في أحد ادواره التمثيلية

عشر عاماً ، فنغذي بعباراتهم وتراكيبهم المرنّة الطليقة الدسمة . ولم يجد بداً من ان ينتقل الى المسرح ، كما سمعنا ، تلك العبارات والتراكيب ، على لسان ابطال قصصه التمثيلية الذين لم يكونوا جميعاً متطرفين او متطرفين ولا تحويين او صرفيين .

اما سرقات موليار الادبية ، فقد افاد ضحاياه منها بقاء الذكر وكان من حسن طالعهم انهم خطرخوا له ببالي . فاولا مسرحيات موليار الباقية لما بقيت اصماؤهم ، ولا ذكرت آثارهم .

لم يكن موليار متفانلاً او جذلاً او ضحاكاً ، لا في سيرته ولا في سيرته .

وليت المواضيع التي قامت عليها مسرحياته ، مما يحل ، في بطن الامر ، على الرضى والتأول

فالمفساد والاهراء ،

والساري . والشهوات التي

يصورها موليار ، بعيدة عن ان

تحسن ظننا بالحياة والناس .

كيف ، وهي تعذب

الافراد ، وتهدم الاسر ؟

ان اشياء هذه المواضيع ،

لو تناولها مؤلف آخر ، كبلزاك

مثلاً ، لأمست تحت قلمه او

مشرطه ، فلدات من الحياة

دامية ، محزنة ، مؤسفة .

ولكن موليار آثر ان يضحك الناس ، فاضلهمنا من

الحياة على نواحيها المضحكة .

بل ماذا اقول ؟ فالحقيقة هي ان موليار اختار ان يضع على

وجه الحياة قناعه الضاحك ، ليس غير . . جزى الله موليار عن البشرية

كل خير !

عمر فافوري

اليه ان الثروة والمجد والدعة اصبحت اخيراً في متناول يده . لكن لم يسكد موليار يعرض مسرحيته المعروفة « مدرسة النساء » حتى قامت عليه قيامة الادباء . والمتأدبين ، ورجال البلاط والمسرحيين . فلم يسلم من نهش الساتهم واقتلامهم ، لا موليار المؤلف ، ولا موليار الممثل ، ولا موليار الرجل : لقد طعنوا في فنه وعرضه على السواء . اتهموه بالسرقة في ادبه ، وبالكفر في دينه ، وبالفحش في سيرته ، الى آخر التهم الشنعاء . واذا كان موليار قد صمد لاعادته وحساده ، وخرج من المعمة سالماً على الاقل ، فهو لم يتذوق طعم الراحة طويلاً . ان مسرحيته التي تلت ، والمعروفة بتاتوف او الكذاب ، البت عليه جماعة الاقيا . والمتورعين ، من كل نحلة ودين ، واثارت حفيظتهم ، فاستدروا امرأً بمنع قتيلاها ، بل بتجرم قراتها ايضاً .

اما كيف استطاع موليار ،

وهذه نخبة من حياته الضخمة ،

وهذا طرف من مشاغله الدافئة

الملحة ، ان يكتب نحواً من

ثلاثين مسرحية ، شعراً ونثراً ،

بعضها في خمسة فصول ، ويعبد

اكثرها في نفاثن الادب

المسرحي ، فهذا سر عبقرية التي

يقف المرء امامها مشدوهاً ، ولا

يكاد يجد لها تأويلاً . لقد

اقتبس موليار كثيراً من اوضاع

الكتاب المتقدمين والمتأخرين ، وكان هذا الضرب من السرقة

الادبية شائعاً في عصره .

ولقد اخذ النقاد على موليار مآخذ عدة في اسلوبه الكتابي ،

حتى زعم بعضهم ان لا كاتب « اردأ منه انشاء . »

لكن لا ننس ان موليسار الذي سخر من المتطرفات

والمتطرفين ، ولم يوقر حتى الجمع والمجمعين ، قد عاش عامة

الشعب الفرنسي ، بعيداً عن باريس واساطيلها المتفقة ، خلال اثني



مشهد من رواية الرضى بالوهم

الطريقة الشامية

بفلم عبد الله العادلي

لم

تكسد العربية تنطلق بين آفاق وآفاق، وتنظم أماً من وراء، أمم، حتى تفاعلت بمخاضها مع كل هذه الخصائص الجديدة، وكان من نتيجة هذا التفاعل انبثاق آداب اقليمية لها مميزات ولها ألوانها، وعادت العربية وهي كل لغوي فقط قلماً تعبر عن اشتراك ادبي تام.

وتلك المميزات لنواحي الادب الاقليمي لم تكن بدرجته واحدة من القوة او الضعف، بل متفاوتة تفاوت الحيوية الشائعة في الاقليم نفسه. ولعل احفل هذه الآداب بالآثار والمميزات وأغناها بالالوان والتنوعات، كان الادب الشامي - على حد تسمية القدماء - الذي حظي بالقبول وصادف رواجاً غير قليل، دعا الى شدة العناية والاهتمام به، في شي. من التعلق الى شي. كثير من الرغبة باقتفاء أثره واحتذاء خطه.

ولقد عني القدماء من مؤرخي الآداب العربية بظواهر هذا الادب واهتموا بتسجيل مميزات ومسا افترد به من طوابع سديده البروز، وبلغ من عنايتهم به انهم خصوه بالتأليف والفصول الطوال من مثل ابي منصور الثعالبي في بتيمة الدهر واني الفرج الاصبهاني في غير موضع من الاغاني. فقد تكلم كل منهما عن خصائص الطريقة الشامية - حسب تعبيرهما - التي شكلت مجرى ادبياً واسعاً، والتي كانت كدرة فحلت باكب شعراء العربية في العصر العباسي الثاني وما بعده. ونحن لكي نكون فكرة صادقة عن هذا الادب وهذه الطريقة وقيمة هذه المدرسة الادبية، يلزمنا ان نتقدم بلمحة سريعة عن طبيعة الاسلوب. وفي تقديرنا ان كل الدراسات النقدية والبلاغية وما يتصل بها ويفترع عنها، تظل مشوشة وغير محققة اذا لم نبدأ أولاً فتحقق طبيعة الاسلوب ومناهبه في النفس البشرية. واظني غير متجاوز وغير متطرف مفرط اذا اتا قلت ان جهد الدارسين من الادباء والنقاد حتى اليوم لم يتعد حدود الدائرة اللغوية، وعلى اساس هذه الخلاصات راموا فهم الاسلوب واقاموا صرح البلاغة، بينا اللغة والاسلوب يرجعان الى طبيعتين مختلفتين تماماً في درجة تجعلا لا نثق بآية الطرائق النقدية التي عكف الناس

على انتهاجها. وكان السائق لهم الى هذا التوهم الخاطي. عملية تحليل الاسلوب، القائمة على انه اي الاسلوب ينحل الى كليات تقوم منه مقام الجزء. من الكل العضوي او مقام الخلية من العضو، اذن ففي الاسلوب طبيعة لغوية بالضرورة.

وهذه الملاحظة التي هبطت اليهم من التأمل العفوي الساذج، جرت الى طائفة الواوهم التي نزه بها واقامت الى ذلك الدراسات الادبية على القاعدة اللغوية، فكان مسا كان من اضطراب الطرق النقدية وتناقضها. بينا اللغة والاسلوب بفضل تأمل بصير نلس تباينها الى حد كبير، فان منابعها في النفس البشرية متباينة كذلك، ولكي نفهم كلتا الطبيعتين يلزمنا ان نتحسس منابعها قبل كل شي.

نقدم ان منبع اللغة، الضرورة وأهم عواملها الباعثة الفكر، فوجودها وجود الرمز وفيها طبيعة العدد. وبشكل اخر: التهيج اذا طال اجدها يقلب الى احتياج، وهو في هذه الدرجة من الاستعالة منبع اللغة وتولدوا غنى الانسان قبل ان لقا. اذن فن البديهي ان يكون في اللغة تبلور وثبات. بينا منبع الاسلوب، القوة وأهم عوامله الباعثة الانفعال، فوجوده وجود الحقيقة الشعورية وفيه طبيعة الحياة.

ومن الضروري الموضوع ان نتكلم عن الاوصاف العامة للحياة الانفعالية: ان اول ما يلت نظر فيها، هو وفرة مظاهرها وتنوع هذه المظاهر تنوعاً لا يحصر بمحد، ثم مرونتها وانتقالها من حال الى حال انتقالاً مستمراً، فهي - على حد تعبير برغسون - انتقال مستمر وتحول دائم. وهذه الحساسية هي التي تجعلنا ترتبط بالحياة التي نعيشها ونشيل اليها، كما تحرك فينا حب الغيد ورغبة الترتيب والنظام وقوة الميل الى حياة اكمل. ومن المهم للموضوع ان نلاحظ ان فينا من الانفعالات والوجدانات ما له صفة الاستمرار والدوام، كما ان منها ما يسيل بتميزه عما سواه.

واذا انتقلنا بعد هذا الى تحديد النسبة بينهما ومضيها في المقارنة، نستطيع القول بان التهيج في حالة كونه تهيئاً يشير الى اسلوب، اما اذا استحال الى احتياج فانه يشير الى لغة، فالانسان حينما غنى كان

أسلوبياً أي عبر بأسلوب يتفق والانغماس في أداة التعبير .

وعلى هذا يمكننا الآن سرد ما بين اللغة وبين الأسلوب من خصائص ترجع إلى طبيعتين مختلفتين :

(١) في اللغة ارادة تعبير ولذا صحت ان تكون العلاقة فيها تحكمية ، وفي الأسلوب ارادة تصوير ولذا وجب ان تكون العلاقة طبيعية حقيقية . - (٢) اللغة كائن اجتماعي ، بينما الأسلوب كائن شخصي صرف ، فان من الملاحظ ان الانسان يتكلم بينه وبين نفسه أحياناً في فترة الشعور الشديد بشي . وبتعبير آخر في أزمة الشعور ، ولذا نرى ان الدراسة الادبية المقارنة جهد فاشل . - (٣) اللغة تعبر عن كائن فكري ثابت ، بينما الأسلوب يعبر عن كائن انفعالي متحول . - (٤) اللغة تعبر عن وحدة عديدة ، بينما الأسلوب يعبر عن وحدة حيوية . - (٥) اللغة حقيقة من المكان أي مستحجر حياة ، بينما الأسلوب حقيقة من الزمان أي صيرورة وتجدد مستمرين . - (٦) اللغة لا تعبر عن شعور بل عن مقياس متري للشعور اذا صحت هذا التعبير ، اما الأسلوب وحده فهو الشعور الذي شاء الانسان ان يعبر به جملة ، وبعبارة أخرى الأسلوب جملة شعورية . - (٧) العلاقة في اللغة دلالية اشارة ، بينما هي في الأسلوب فنية . وهي في اللغة مجازية ، بينما هي في الأسلوب حقيقية .

وإجمالاً فاللغة مثل التصوير الشمسي (التنوغراف) ، بينما الأسلوب مثل الرسوم الفنية الموحية . ففي الأول طبيعة الزم والعدد بينما في الثاني الطبيعة الحية ، ولذا كان هذا فناً جليلاً دون الأول .

وعلى ضوء هذه الملاحظات نستطيع القول : بان الأسلوب أي كان فن جليل ، الا اذا اصبح اصطلاحاً محضاً فانه يرجع الى دائرة اللغة وان كان تركيبياً . فان الامثال التي تحمل معاني ثابتة لا تتعرف عن مواضعها ومواقفها ، تخرج عن كونها أسلوباً وان كانت كذلك في فترة الشعور الذي ارسلها ، الى كونها لغة لا تشعرنا الا بصدى الذكرى أي المعنى . ومن ثم ندرك كيف تنهار النظرية الشائعة من ان الفن الجليل ، هو الأسلوب الشعري دون النثري .

وان الشيء الوحيد الذي غرر بنقاد الادب انهم اخذوا الأسلوب مأخذ التركيب ، وعلى اساسه بنوا نظرية الادب والنقد الشائعة باخطائها . ولعل السر في اننا نזור من اسلوب الالفاظ والزخرفة الاستعارية الطنانة ، انسه لغة وتركيب لغوي فقط لا يتضمن أدباً ولا يشير الى ادب . ومن ثم يتفرع عليه ان البلاغة ليست الفاظاً ، وان قواعد البلاغة المدونة قواعد لغوية فقط ، فتطبيقها على الأسلوب جنباً ادبية تبعثنا عن فهمه .

ولعل الزمزية انما وجدت سبيل لفتها ، لانها هينأت ودغدغات منهية انهم الخليلات نفسها ، فهي بغام الحساسية كبغام القلباء في سذاجته وشروده وانفلاتته المتوجة .

ومن وراء هذا كله نتوصل توصلاً سريعاً الى فهم ما في الطرائق النقدية من سذاجات والتوات ، فانها جميعاً بين الموضوعية واللغوية ، وكلما تقربنا بالادب من الموضوعية او اللغوية فقد بعدنا من فهمه وأسانا تقديره .

اما الطريقة التي لا يسعني الاطمنان الى سواها ، فهي المستوحاة من نسب ما بين اللغة وبين الأسلوب والمبنية على اساس الخصائص لكل من الطبعيتين ، هذه الطريقة التي يمكننا تسميتها بالطريقة الحيوية في الادب والنقد .

قلنا ان في اللغة ارادة تعبير ، وهذا يلزمه ان يكون في القطعة دقة أداء ووفاء للفظ بالمعنى ومناسبتها في حدوده من البعثة او الضيق ، وفي مقداره من الوضوح والتموض ، وعلى سنته من الانواع او الضمور ، اي ان يكون اللفظ بازاا المعنى على استواء . وقلنا ان في الأسلوب ارادة تصوير ، وهذا يتبعه ان تكون القطعة صادقة في حدود الشعور وحقيقة في مقدار الانفعال . وهكذا نستحصل كمال عناصر هذه الطريقة النقدية الادبية ، باستطاعتنا طبعي الأسلوب واللغة وخصائصها .

ونحن قد تقدمنا بملاحظة ان فينا من الانفعالات والوجدانات ما له صفة الاستمرار والدوام ، كما ان منها ما يسهل تمييزه عما سواه . وفي هذه الانفعالات الثابتة نستطيع ان نلتص بمميزات الادب الخاص بالاقلية ، ونفرغ الى تمييزه في طوابعه الاكثر تراوحاً عليه وظواهراته الاكثر بروزاً فيه . ولا شك ان درس الادب موزعاً على الاقلية ، في واقعه درس مقدار ما فيه من وجدانات وانفعالات لها صفة الاستمرار والدوام ، ومن هنا نضع اليد على قيمة هذه الطريقة وقربها من الواقع النفسي ومن الاستعداد في النشاط الداخلي الكامن الذي هو الحقيقة الادبية .

ان الطريقة الشامية التي اشتهرت بين القدماء . من نقاد الادب العربي كثير وأغواها كثير وأتومات الينا بقوتها ، لم تزل نقرؤها في مشاركة مائة ونهم برجها في شغل لاذ .

فن منا لم يقرأ أبان تمام والبحري وديك الجن والمنيني ايضاً ، ومن منا لم يشعر بجلاوتهم وتمتعه طريقتهم ويتذوقها في حظ كبير ثم أينما لم تبلغ منه مبلغاً يحرك عليه اعين الاحاسيس مشبهة او موهمة ، وأقصى العواطف صاحبة في اعتم حلم وحالة في أبغ صحو .

بطبع البحري) ، ومن مثل المتنبي في الشعر (فانه وان كان كوفي
للمولد شامي المنشأ وبها تخرج ومنها خرج) . وفي غير تطويل بذكر
الشواهد والنصوص ، نخرج من مجموع ملاحظات القدماء عن الطريقة
الشامية بما يتناها في ناحيتين :

(١) أنها في جانب اللفظ تتماز بالصل والتعذيب وفنية التعبير
الظاهرة في التلق بالبديع ، فاعلمنا أكثر من استخدامه وأتق من
تصرف به . والبديع وان كنا نعرض اليوم عنه شعوراً بتكلفه فما
لا ريب فيه انه الغاية الفنية في التركيب ، ولكن النقد كما قلنا
حيناً اخذوا الأسلوب مأخذ التركيب ، طبقوا البديع على الأسلوب
في افراط كبير . فكان من نتيجته انهم شعجوا الادبا ، على التزامه ،
فسخوا جمال الانفعال وبدت الشهور وجاءت اللحظات الوجدانية
ولمات الالهام فاقدة لسلامتها وقوتها ، بل انها متعرجة او محنطة
كالمومياء . فعزونا اثر هذا البديع بخطأ وانحرافاً عنه في شذوذ ،
والا فمن منا يشعر بتكلف هذا التجنيس عند ابي تمام :

راح اذا ما الراح كن مطيها كانت مطايا الشوق في الاحشاء
فان الراح الثانية التي هي بمعنى الاكسوف المطايا المجازية كفتلانات
وحدها ، بزم الصورة قاحلية في صدق وحقيقة ، لحظرة الانفعال وخلجة
الشعر والذين تلتسا الشاعر واستبدت به في لحظة شاردة . ويحسن ان نذبه
هنا على انما يستعمله الالفاظ الادبية ، ان كان المعنى فيها وجوداً فألفاظ من
سائر انما تحمل معنى ادبياً ، فتركيب فاسد ، فان كل لفظ يصبح ادبياً
بوقعه اللازم للتعبير عن الانفعال العابر ، وذلك الموقع هو الذي يكسب
اللفظ ما نشعر به من التوجع والحيرة . أما هو من حيث كونه
لفظاً فليس يحمل الا شعوراً مستعجراً يراد به قياس شعور
متجدد في لحظة حياته اي في لحظة كونه خلجة ناضبة بالحياة ومن
ثم يعبر الادب عن حفيف الروح ووهيزات الوجدان وتهاويل الشخصية .
وانا لست انتكر ان القليل من الادبا ، الذي صاغ انفعاله في فقرة
الانفعال ، وقليل هي القطع التي كانت وليدة ذلك . ولكنني اقطع
مع ذلك بان أكثر الادبا وان كان قد صيغ بعد الانفعال ، فالاديب
دافقاً يستعيد ذكرى ذلك الانفعال وبعنفه احياناً ، وهذا فارق الاديب
المؤرخ ، اما هو لو تحدث عنه دون استعادته فانه مؤرخ فقط . وليس
أدل على هذا من رسالة المنقذ من الضلال للغزالي ، فانها وان كانت
حكاية حياة حاوثة في أزمتها وحكاية نفس في وثبات الهامها
ومحاولات تطلمها ورشدها ، فقد جاءت تاريخ روح وليست ادب
روح مطلقاً ، ونحن انما لاحظنا في الاسلوب انه كل حيوي لانه ليس
أكثر من كونه حكاية التجارب المتجدد بين الحياة البشرية وكل

وخليق بنا - وهذه الطريقة الادبية تعبر عن ناحية الانفعال
لدنيا ، وترسم الوان كائناتنا الادبي في وضوح ، وتضع تحت نظونا
خطوط شخصياتنا وتكيفاتها في مرحلة عرضة من مراحل التطور
- ان نعني بها في كثير من الدقة الى كثير من التحري كي نتأني من
وراء هذا الدرس الى تحديد المجرى الادبي الخاص باقليمنا في القديم
ثم في الحديث ، وتنبئ به الى تسجيل طائفة التكتيفات التي عرضت
وتعرض للشخصية في مدى تاريخ طويل .

وانا استحسن هذه الطريقة من البحث لانه يتسنى معها ابراز
الارتسامات المختلفة والمتنوعة ، للاقليم ككائن حي يخضع لنفس
الظروف ونفس التطورات ونفس الاستجابات على المحرضات الطبيعية
والصناعية والتاريخية ، وهي بعد ذلك تضع البحث الادبي في مجاميع
حية من شأنها انها تفيض وتشير الى أنواع من الاثر الحي .

وانا ان ذهبت اقول بالالوان الاقليمية فلست اقول بالخصائص
الاقليمية ، وبينهما فرق فان الثانية تتضمن صفة الثبات بينما الاولى
تتضمن صفة التكيف وقابلية التحول ، وعلى الخصائص وحدها
يقوم المثل القومي ومظهره اللغة التي هي وحدة حيوية كما قلنا
وكل يبرع عن طبيعة مشتركة ، وعلى الاوان يقوم التنوع الادبي
ومظهره الاسلوب الذي هو كائن شخصي صريف وموجود ذاتي ثابت
ومن الخبز ان نضع هذا الفرق في درجة الوضوح ، فاننا اذا
تصورنا الكائن الاجتماعي القومي كالكائن العضوي الحي ، فاننا اذا
نستطيع ان نتصور وننزل التكتيفات الاقليمية منزلة التكتيفات
لخاصة الحس مثلاً التي هي نظر وذوق الى تشكيلات شتى في حدود
واحدة . وهي على تنوعاتها تتمازج وتعبر وتغير في حاجات تلك الخاصة
المشتركة . ودون تجاوز وخروج عن الموضوع نعود فنتحدث عن
جوانب معرفة القدماء . من النقد لميزات الطريقة الشامية ،
ونكتفي من ملاحظاتهم بما مضى ابو منصور العتالي يحددنا به ،
ولعل ملاحظته اوفى كل هاتيك الملاحظات قال في كتابه بئيمة
الدهر : (لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها شعر ، والكلام
يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فاما المحدثون فخذ اليك منهم
العتالي ومنصوراً النوري والاشجع السلمي وابن زرع الدمشقي
وربيعة الرقي ، على ان في الطائفتين اي ابي تمام والبحري الذين
انتهت اليها الرئاسة في هذه الصناعة كفاية وهما هما) .

ثم يذهب العتالي فيذكر من خرجته بلاد الشام على طريقتها
الادبية من مثل القاضي ابي الحسن الجرجاني في النثر والنقد (فانه
جنى ثمارها واستصحب انوارها حتى ارتقى الى المحل العلمي وتطبع

الطابع الحية ، وحكاية الحنين الدائم الى الروح الكلية التي نشعر بها مواجهة في خيبر الكون والتي نتحسبها تحسباً بدأ أعمر اصم أبكم ولكنه يتكشف ويتخرج شيئاً بآملات الاديب المتلمعة وخطرات الشاعر النافذة في المجهول . فعبارة ذلك التجسّاب وذلك الحنين وتصوير تلك المناسبات التي تحرك القناة المبهمة التي تصلنا بجنم الكون وما وراءه ، فنحس بالهدير ينصب في ضحائنا بعنفه ومده ، هو الاسلوب في اي لفظ جاء ، وفي أية كلمة انسكب .

وعلى ذلك فالبديع زخرفة الالهام فكانت له ملاحته ، لكنه في قواعد البلاغة اللغوية انقلب زخرفة فقط دون ما الهام فكان عليه تكلفه ونبوه . وهنا اسوق مثلاً من الادب الشامي اساء الادباء الترويض فيه ، وهو بيت لابي تمام تناوله بالنقد الجرجاني وهول بتشابه بعض النقاد العصريين وهو :

أذن من الماء الزلال على الظلما وأطرف من مر الثيال بينداد
فالرجاني فهم من الطرفة البدة فاخذ على الشاعر جعله الشمال طرفة ببداد وهي أكثر الرياح بهوياً ، وهذا خطأ جره تطبيق اللغة تطبيقاً جامداً ، فان الطرفة في اسلوب ابي تمام استعالت الى معنى المنش ، والريح المنشة في ازمة احساس الحرور المنتهب طريفة كل الطرفة اي تقع عند وقوع النادر ، إذ هو في ازمة ذلك الاحساس وكل احساس وليد لحظة لا قبل لها ولا بعد ، فالحيات تتجدد تتجدد تجد الاحاسيس . هذا مثال قصيدنا به الى بيان ما نزيد تقريره وإثباته ، من ان عنصر الادب في الالفاظ انما هو بوقعها من جملة الانفعال ، وان معاني الالفاظ من عبارة الانفعال تستحيل من معان لغوية جامدة الى معان انفعالية متحولة .

(ب) أنها في جانب المعنى تشتمل على افتتان في الخيال وبراعة في التصوير وصدق في العاطفة وعن في التشبيه والتشيل وبكثرة ألفاظ الاستهتام واستيفاء المعاني المضمومة في القصيدة الواحدة في اجمال وبعد عن التفاصيل .

ونكتفي الآن بإيراد شاهدين لشاعرين من اعلام المدرسة الشامية وهما ابو تمام والبحتري ، فلأول قول :

ولدت أراك فل أراك بغيطة والعيش غش وإزمان غلام
أعوام وصل كان بني طولها ذكر النوى فكأضأ أيام
ثم ابترت أيام هجر أردفت غوي أس فكأضأ أعوام
ثم انقضت تلك السنين واهلها فكأضأ وكأضم أعلام .

هذه القطعة التي تعبر أحسن تعبير وأصدق عن شعور واحد استمل بصاحبه فوق الزمان والمكان والمقاييس المحددة لتحديد الواقع ، وأوهم الشاعر بان الحقيقة في حدوده وليست دولته وان نسبته الواقع

انعكاس مختلط مشوش عن اطلاق الشعور الذي لا يعرف النسبية .
وأما دقة الاداء . اللغوي فاعلمها منقطعة النظير فيها ، وإذا شئت فتدقق ملياً كلمتي (غش) و (غلام) وانت بدون شك لن تتصل بها من طريق اللغة سيما كلمة غلام . والافانك لن تدرك لها طعماً الا بآرداً ، ولا بد ان تجد نفسك وقد استسلمت الى تذوقها من طريق الموقع البياني ، ولا بد انك واجد فيها لوازم المعنى اللغوي فقط من الحيوية والتدفق والتغازل والبشرى الطافحة . وللتائي قوله :

ذاك وادي الاراك فاجسب قليلا مقصرا في ملاءة او مطيلا
فقتشوقاً او سمداً او حزينا او ميمناً او عاذرا او عدولا
ان بين الكتيب فالجزع م فالأكرام ربها لاك هند محيلا
أبكت الريح والزواج م والايام منه معلماً وطولوا
وخلاف الجليل قولك للذكر م عهد الاحباب صديرا جميلا
لا تله على مواصلة الدع م ولولم لوم الخليل الخليل
عل ما الدموع يجمد ناراً م من جوى الحب او ليل غليلا
وبكاء الديار ما يرد للشوق م ذكراً والحب نضوا ضليلا
لم يكن يونساً طويلاً بنجان م ولكن كان البكاء طويلاً

أما نحس - ايها القاري . - بتأفظة المذعور بمن جنى واساء حيل مقدس فهو صادر عنه غافل ، ثم بالصرخة المبغلة دون وعي او شعور ، أليس هو وادي الاراك ؟ ثم أليس هو مهبط صبايات وأفانك حب الشاعر التي استعالت عاطفة مغنية ، سرعاً ما استعالت مشوبة غيفة ، وقد رأى دون سابق تقدير وعساير أمل هيكل التجوي وكيف اقيام ، وها هو منتفض مذعور من استمرار مسير الركب الذي لا يشاركه احساسه فيده بوقفة ذكرى مقفحة بالحنين ، وها هو يفتلها صرخة واجفة جنلى يستوقف بها الركب ولو قليلاً ، ثم لا يبالي أقصر الركب في ملامته أم حال ، وايضاً لا يبالي أوقف كما وقف هو مشوقاً او وقف مسعداً له على مأربه او وقف مشاركاً له احزاناً او وقف عاذراً دون عاطفة او وقف عدولاً بعاطفة مستكرهه مستعته ، أليس هو قد اوقف الركب وخشع امام العالم الموحيه الى جنب الطلول الملوحة باطراقة 'يحت في تناسوح الاعاصير . انه لا يبالي أوقف يشاركه عاطفه على لون من الوان المشاركة او لا يشاركه او يتكلمه ، فخلاص الجميل ان يميل على السلوان ويترايد هذا الشعور فيهيت في ألم غاضب (ولؤم لوم الخليل) ، والشاعر بعد ذلك بكى وبكاء غنياً ، وهو وان لم يكن طويلاً في حساب الزمن فقد كان طويلاً ولاشد ما يكون طويلاً في حساب العاطفة المتطلية الحوى .

عبد الله العلاملي

لقاء ...

وكان اللقاء ... اطلّ خيالٌ
 وحنّ العقيق ، وحصار السؤال
 تملّح وجدٌ على رغبةٍ
 فكدت اهدده يدي
 على مهلك اليوم ، وجه المساء
 انهار الضراعات في معبد
 وموعنا واحدةً في غدي
 ومرى ظلال وري صدي
 وكان اللقاء ... وودت عذارى
 لو ان لها فجوةً من غدي
 يمدّقن في وجهك المستحي
 وينظرن الى نظرة المعتدي
 وكبنا غصه في الشكوك
 تموت على خاطر اغيد
 درى الورد أنا عينا العير - غداة الدجى - واستجنا الندي
 فقرّب الحب اشواكه
 على ضفة عذبة المورد
 ومال البنفسج يشكو افراد
 الاماني في جيرة الجملد
 براه الندى قطرة قطرة
 وطيب البنفسج لم ينفد
 سألتك ... لا تسألني اللقاء
 تروح مراميه او تقتدي

صلاح الاسبر

بِسْكَال

بِسْكَال غُلبِ مُحَمَّد عَنَابِي

استاذ في كلية المقاصد الاسلانية في بيروت

بِسْكَال علم من اعلام الفكر الفرنسي سلط نجمه في القرن السابع عشر افاضاً. جوانب لا يستهان بها من الفكر البشري . وخطا بالمعرفة خطوات حثيثة الى امام فكان له فضل يذكر في اذاحة الستار عن نواح خطيرة في الحقيقة الازلية . وقد احس احساساً عميقاً بحاجة ملحة الى معرفة هذه الحقيقة وكشف كنهها . فانتهك قواه الجسدية والعقلية بحثاً متقياً مفكراً متأملاً غير عاوي . فبذلت زائلة يحرم منها نفسه ومشقات تفوق طاقة البشر يتحملها بجد وصبر وطيبة خاطر في سبيل غاياته القصوى السامية الا وهي ادراك الحقيقة النهائية للانسان والحياة . وعبقرة بِسْكَال متعددة الوجوه والالوان . فهو يعد بسين كبار الفلاسفة الفرنسيين خصوصاً وهو كذلك عالم جليل القدر ترك آثاراً علمية محترمة وازدى بالعلم خدمات لا تغل في اهميتها واثراها عن خدمات اي عالم من كبار علماء العالم . وهو فوق ذلك اديب له اسلوب خاص يتميز به وله صفات ادبية اوجدت له كثيراً من المعجبين والمقلدين .

فنحن اذا ما اردنا ان نعطي فكرة صحيحة عن بِسْكَال وجب علينا ان نعرض له كفيفلسوف وعالم واديب .

ولكي تكون هذه الفكرة حية واضحة يتحتم علينا ان نشير اشارة سريعة الى الخطوط البارزة في حياة بِسْكَال لانحياته - بخلاف ما هو معروف عن ادبا . القرن السابع عشر الفرنسي عموماً - اثرت تأثيراً فعالاً في فكره وتأليفه

حياته : ولد بليز بِسْكَال في كليرمون فران سنة ١٦٣٣ من عائلة امتاز افرادها بشغفهم الشديد للقضا . وكان والده حاد الذكاء . نبيل الطبع شديد الميل للعلوم الرياضية . وعندما قضت والدته بليز قرّر والده ان ينصرف بكليته الى تربية ولده : وعندما بلغ ابنه الثامنة من عمره استقال من وظيفته ورافقه الى باريس . وبالرغم من الرغبة الشديدة التي لمسا عند ابنه في درس الرياضيات فانه فضل ان

يبدأ بتعليمه اللغات القديمة . وتروي لنا مدام بييريه في مؤلفها عن حياة بليز بِسْكَال :

«ان والده حرص على ان لا يحدث في تلك الاثناء . اي حديث له علاقة بالرياضيات وانه منع عنه كل المؤلفات التي كانت تبحث فيها واعاد اياه بتدريسه ايها بعد اتقانه للغتين اليونانية واللاتينية . » ففي هذه الفترة من حياته على ما تروي مدام بييريه وبالرغم من جهله للتعريف الاولى البسيطة في الهندسة (كان يدعو الدائرة مستديراً واحط قضيباً) استطاع بِسْكَال بفضل ذكائه ونشاط فكره ان يتوصل الى معرفة ٣٢ مسألة من الكتاب الاول لاقليدس . غير اننا لا نطبع الى هذه الرواية فيها من المبالغة وانما نغفل الى الاخذ برواية تاللين دي ريو التي ترى فيها الفتى بِسْكَال يعترف لوالده بانه قرأ غفيرة الكتب الستة الاولى لاقليدس .

وعلى كل حال فقد كان بليز على حظ وافر من العقيلة العلمية الرياضية . وبما ساعد على نمو هذه العقيلة ونضوجها بسرعة الطاقات العلمية التي كانت تغد في دار والده في باريس والتي كانت تجمع أبرز الشخصيات العلمية في ذلك الوقت فتجري فيها المناقشات الطويلة والابحاث المستفيضة حول الموضوعات العلمية والرياضية المختلفة . فكانت بذلك افضل مدرسة لبليز واكبر مشجع له على متابعة ابحاثه .

وبالرغم من ان والده وضع رسالته في الهندسة اثارت اعجاب ديكارت وحسده . ثم اخترع الآلة الحاسبة . وهكذا تمكن من ادراك عبقرية الفذة والشعور بما كان يتمتع به من ذهنية رياضية رائعة . الا ان حادثاً فجائياً لم يكن يحسب له حساباً وجه حياته توجيهاً جديداً .

وذلك ان والده في سنة ١٦٤٦ كسرت رجله فاقى لمعالجته جراحان كانا يتعاطيان الحرارة عجائاً فكشاً في داره لاسعافه مدة ثلاثة اشهر . وكان هذان الرجلان معتقن لمذهب جانسينيوس فاستطاعا ان يرضا المسكرهما بليز بِسْكَال وشقيقته وبسْكال الاب . ومنذ ذلك الوقت اندفع بليز بِسْكَال بجهاس عظيم في المذهب الجديد الا انه لم ينقطع عن العالم . بل ظل يواصل ابحاثه العلمية التي كانت تتابعها اوروبة المتعلمة . ففي هذه الاثناء مثلاً برهن عن ثقل الهواء وعرض نظرية التقدم واكتشف بالاشتراك مع العالم الرياضي الفرنسي الكبير (فرما) الحساب التتريبي والف رسالة في الفراغ . الا ان هذه الاعمال العلمية الشاقة اثرت في جسمه فاضطر سنة ١٦٥٢ ان يوقف ابحاثه فانغمس في الحياة العامة واتصل

بالاوساط الباريسية المختلفة ولا سيما وسط المعدن والمتحكين .
فاصنى الى الحجج التي يقدون بها اقوال علماء الدين وتعرف الى
احوالهم وطرق معيشتهم ووقف على نفسياتهم وافكارهم وهنا
ولد في ذهن باسكال الفرق الذي يراه بين العقلية العلمية او الهندسية
كما يدعوا والعقلية العلمية .

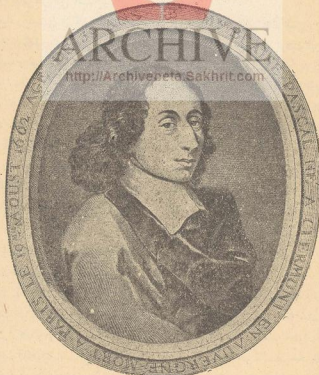
وعندما اصبح باسكال في الثلاثين من عمره حدث له انقلاب
اهتزت له نفسه من اعماقها وتأثر به فكره الى حد بعيد .

وذلك ان باسكال بينما كان يجتاز في عربة جسر نويه القت
بعض الخيل التي كانت تجر العربة بنفسها الى الماء وشاء . ربك ان
تغمم العري التي كانت تربط الخيل بالعربة فنجبا باسكال ومن
كان معه . الا ان العربة على مسا يروي وقت برهة من الزمن في
الماء . فرأى باسكال ومن معه حتمهم الحتم باعينهم وكانت نجاتهم
باصحوبة كبيرة . لكن يجب ان لا ننظر ان هذه الحادثة كانت
السبب الرئيسي الوحيد في ما حدث عند باسكال على اثرها من قاتق
واضطراب . يجب ان لا ننسى العمل الخفي المستمر للجانبين في

نفس باسكال ذلك العمل
الذي استطاع على بطنه ان
يقلب نفسية فيلسوفاً راساً
على عقب وان يترك فيها
اغص الاثر وشعر باسكال
ان العلم الانساني اعجز من
علاء الجبال الالامتناهي لقلبه
وسمع نداء الله عز
وجل ، ينطلق من اعماق
نفسه فقرر في ليلة الثالث
والشرين من تشرين الثاني
سنة ١٦٥٤ حيث وجد
وجهاً لوجه مع الباري تعالى
ان يجب نفسه له ذليلة مسا
تبقى من حياته وسجل
على نفسه هذا العهد في
صلاة مؤثرة كتبها على
بطانة احد اثوابه وكان
يتبرك دائماً بارتداء ذلك
الثوب فيما بعد . وفي هذه

المرّة كشف باسكال الحقيقة السامية التي كان يقودها ان توحيد
اتجاهات فكره وتصرفاته . وفي سنة ١٦٥٦ حملته الهجرات التي
كان يوجهها اليسوعيون ضد الجانسينيت على الرّد عليهم فكتب
البز وفنسيال بقوة وعنف ثبطاً غزم خصومه وخلفاً ذكر هذا
المؤلف . ومنذ ذلك الحين أخذ يفكر بوضع مؤلف تقريبتي عن
الدين المسيحي وقد بذل في سبيل ذلك اقصى ما في وسعه بالرغم
من الازجاء والامراض التي كانت تهدد جسمه وتضعف قواه .
الا انه كان قد امن لنفسه طريقة السعادة والمهدو . يوقفه على
الحقيقة . فكان يعد نفسه بين المختارين . وكانت الامة في نظره
دليلاً على هذا الاصطفا . حتى انسه كان يعمل جهده في
سبيل تقوية هذه الآلام اعتقاداً منه ان ذلك يساعد على استحقاق
الرحمة . فكان يتغن في تعريض جسمه اصنوف العذاب . وقد ظل
على هذه الحال حتى مات سنة ١٦٦٢

ولباسكال يرجع الفضل في وضع الاسلوب الاختباري الذي
ساعد على اصلاح طريقة ديكارت النظرية . فديكارت يعتقد ان
التفكير المنظم يقود حتماً
الى المعرفة المثلى وان العلم
الرياضي هو مفتاح العالم . اما
باسكال فيرى ان الحقيقة
تتعدى من شتى الجوانب
عقلنا القاصر وانسه يتعجم
علينا ان نتوجه دوماً الى
الطبيعة ونستقطبها لان
الاختبار فقط لا العقل قادر
على تفسير المظاهر الطبيعية
وهكذا فان باسكال بعد
ان يرفض اخضاع التفكير
الى السلطة الدينية وبعد
ان يتخلص من الإستكانة
الى نفوذ القدماء . وسلطتهم
أوبعبارة ثانية بعد ان يتخلص
من السلطة العلمية التقليدية
نراه يقف امام حوادث
الكون المختلفة يستوحيا
اسرار الطبيعة وقوانينها



باسكال - بريشة الجنرال ايدلينيك

وهذا يعارض اسطر وتلاميذه ويخالف ديكرات الذي يريد ان يقيم «فزياده» على مجرد التفكير .

الا انه يجد في البرهان الرياضي المثل العام والشكل المرضي لكل برهان . الا انه لا يلبث ان يعترف بمحدود البرهان الرياضي وقصر العقل عن ادراك كل شي . . واخيراً نجد باسكال يوفق في تأملاته في العلوم الرياضية باستنتاج افكار واره تفوق بعينها الرياضيات نفسها . وذلك لان التأمل في قابلية الانقسام المتناهية في الاشياء افضى به الى لغز المصير الانساني وحقيقة العالم .

الفيلسوف المؤمن - لقد كان باسكال ورعاً الى ابعد حدود الورع . وورعه يلخص في اعتناقه لمذهب جانسينيوس . فهو رغم تعلقه الشديد المستمر بالعلوم ، استطاع ان يقف نفسه على خدمة ذلك المذهب والدود عنه . كان يعتقد ان حركة جانسينيوس قد بالنت في تشديدها على صف الانسان وقصوره الا انها اصابته كل الاصابة في قوة الخائف اللامتناهية وعن ضرورة الرحمة ومفعولها في سلامتنا وخلصنا . فيجب ان نهب انفسنا بكليتنا الى الله . لم يكن الآباء اليسوعيون يستقبلوا هذه النظرية التي كانت تخيف كل من

كان يوسعه ان يبلغ درجة الانبياء . والقديسين في تقوى وصلوهم عن ملذات الدنيا ونعم الحياة . فهاجوا بشدة وعنف اتباع جانسينيوس فهب باسكال للدفاع عن اساتذته واخوانه في العقيدة والايمان وكتب البروفنسيال وهي مجموعة رسائل وضعها على لسان رجل من سكان الصعيد الفرنسي . وقد اخذ باسكال على الآباء اليسوعيين التساهل المتطرف في مذهبهم الاخلاقي الذي اوشك ان يكون في نظره مذهب زواد الصوفات وطلاب اللهب واللذة . هذا ما حاربه باسكال دوناً اين او هرادة . ولا غرو فالمسيحية في نظره هي جباد مستمر . واكمل مظهر الحياة المسيحية الحقبة هي الزهد . واقل محاولة لاستتصال الاشكال والآلام التي يسلقيها المرء في طريقه الى الفضيلة تعرضه لخلافة مقاصد السيد المسيح .

والمقاومة المستمرة للفرقة والمصلحوا الاضطراب المتواصل الذي يعترى نفس الانسان تلك هي الشروط الاساسية للاخلاق الصحيحة .

الا ان باسكال بالرغم من تمسكه الشديد باهداب الدين وحرصه الكبير على كل قاعدة من قواعده طعن على غير قصد منه ودون ان يشعر طعنة تحيا . هزت اركانه وعرضته الى خطر عظيم . وذلك باثارت المناقشات والابحاث اللاهوتية خارج الكنيسة وباشراك المجموع بها وتحكميه فيها مما حل هذا الاخير الى الاعتقاد بان العقل كاف وحده لابت في المشاكل الدينية . وهذا مهد باسكال

السبيل امام فولتير والفلاسفة العقلين واللاذيين .

ولم يلبث باسكال ان صدف عن المحادلات القلمية وانصرف الى التأدين الصوفية والتأملات الطويلة .

وكان منذ زمن طويل يحلم بوضع مؤلف تقريري للدين المسيحي . وكان يشعر شعوراً عميقاً قوياً بضرورة هذا المؤلف . ولكنه كان يعرف انه لا سبيل الى التذليل على صحة الدين وحقيقته عن طريق العقل والفلسفة . فلاجل اظهار الحقيقة المسيحية يجب ان نلجأ الى مختلف انواع البرهان . يجب ان نستخدم العقل والحسد معاً وان نبرهن على طريقة العالم والمورخ والفقيه والشاعر والصوفي . الا ان باسكال لم يوفق الى انجاز كتابه المذكور الذي كان يريد به هداية الملحددين . واخذ يسجل بخط محمول لا يقرأ الا بشق النفس كل ما كان يخطر له الا ان الموت فاجأه وحال دون اقامه لهذا العمل العظيم .

ويمكننا تلخيص اهم افكار هذه الملاحظات التي تركها لنا باسكال والتي عرفت بكتاب (الافكار) في الامور الخمسة التالية :

اولاً : ليس الدين تخالفاً للعقل . وهذا قسم تمهيدي يرمي باسكال من ورائه الى محل اولئك الذين يبحثون عن الحقيقة فلا يجدون في انفسهم الا الشك على الاعتقاد بان الدين يمكن ان يدافع عنه عن طريق المنطق والعقل وكذلك يرمي الى البرهان لاولئك الذين يفشون عن السعادة فلا يجدون الا البؤس والموت بان الدين نافع عملياً . وبكلمة مختصرة يريد باسكال في هذا القسم التمهيدي حمل قارئه على عدم اعتقاد الدين لمجرد التقليد . وهنا يورد باسكال مثل (الزهان) ، فيقول اذا كان الدين المسيحي خاطئاً فالمسيحيون لا يفقدون الا ملذات كاذبة في سنوات قليلة واذا كان الدين المسيحي صادقاً فالمسيحيون يكسبون باتباعه سعادة ابدية . ففي اتباع التعاليم الدينية يضيي المؤمن بامور زائلة في سبيل امور ابدية خالدة . وشأن ما بين التضحية ونتيجتها .

ثانياً : ان الدين المسيحي يعرفنا بطبيعة الانسان . وهنا يصف باسكال للانسان عظيماً ومخطاطه : نواحي قوية ونواحي ضعيفة وبصورة عامة جميع المتناقضات التي تجتمع في طبيعته .

ومما كان حظ كلامه من الصواب قليلاً فهو بهذه الطريقة يثير فضول الانسان الى معرفة اسباب هذه الاحوال المختلفة الى حد الغرابة في طبيعته . ويوجه في سبيل ذلك الى النظرات الفلسفية والاديان السابوية مظهراً عدم فائدتها وضعفها وعجزها . ثم يمله

به : خير لا يمكن ان يفقد ولا يمكن ان يبعث ملأ .

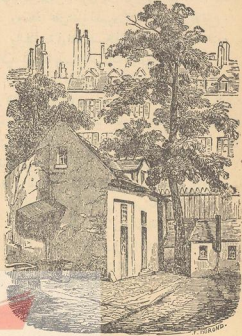
رابعا : يجب ان نبرهن على ان الدين صحيح بأدلة مباشرة .
ولذلك يدرس باسكال الكتاب المقدس مظهرا ان اليهود فقط
كونوا لانفسهم فكرة نبدلة عن الخالق ومبدأ حقيقة الكتب
المقدسة وكتاب موسى بصورة خاصة ثم حقيقة المعجزات في العهد
القديم ومبرها عن رسالة السيد المسيح واخيرا مظهرا في حياة
ومعجزات الحواريين وفي اسلوب الانجيل ثم في تاريخ القديسين
والشهداء . وكذلك في تفاصيل انتشار المسيحية الادلة الناطقة على
المصدر الالهي للدين المسيحي .

وبينا كان باسكال يواصل هذه الدراسات كانت تسيطر على
فكره فكرتان رئيسيتان :

اولا : ان الدين في اساسه لا يقبله العقل ومع ذلك فقد انتشر
واستطاع ان يستقر . فانتشاره واستقراره يدلان على القوة العليا
التي تمتد الطاقة البشرية والتي كانت مصدره الاول الا وهي الله
ثانيا : انه من الضروري للدين ان يكون غامضا عسير الفهم .
لانه اذا كان جميع الناس يفهمونه ويدركون كل الغامز واسراره
فجميع الناس سيؤمنون به ويعاينون بتعاليمه وينقلون انفسهم
من عذاب الآخرة سعوا ان الله لا يريد ان يظهر الا للمختارين
المصطفين من خلقه .

خامسا : كيف يستطيع الرجل المسيحي ان يصبح مؤمنا . وبعد
كل ما ذكرناه آنفا يصل باسكال الى هذه النتيجة :

على المرء ان يؤمن . وفي انتظار الرحمة عليه ان يعيش في جو
مسيحي وان يعمل
كما لو كان قد
غمرته الرحمة .
والرحمة فحسب في
نظر باسكال
يمكنها ان توخذ
دعائم الايمان وهي
التي تبهر ظلمات
القلب عندما يتوقف
العقل عن التأمل .
لان القلب فقط
يؤمن بوجود الله لا
العقل . ذلك هو



الدار التي مات فيها باسكال

بعد ذلك على التأمل في تاريخ الشعب اليهودي الذي هو في الحقيقة
تاريخه وقانونه ودينه فيجد فيه قصة سقوط آدم على الارض ،
وهذه الفكرة عن الطبيعة الانسانية التي بدأت كاملة ممتازة ثم لم
تلبث ان انحطت من جراء الخطيئة تلقى نورا على المناقضات التي
لمسها فيها . ونظرية السقوط الى الارض وحدها فقط تستطيع ان
تفسر التناقض الغريب الغامض الذي يميز الطبيعة البشرية . ومن
فضائلها الكبرى هو انها توحى فكرة الله والعبادة الواجبة له
بطريقة ترضي العقل والمنطق

فالدين الذي يعرض لنا ذلك كله والذي عرف الانسان قاما
واحسن الكلام عن الله جدير بان نحترمه وان ننظر اليه بمجد حتى
ولو لم يكن صحيحا .

ثالثا : ان الدين المسيحي محبوب لانه يعد بالخير الحقيقي .
فالانسان يرغب بطبيعته في السعادة . والدين المسيحي هو دين
الحب والاحسان . فالمسيح هو المنقذ والمصلح الذي يسعى بالسلامة
والعفو للانسانية المنحطة البائسة . والمختارون سيصيرون سرورا
سرمديا . ذلك خير نقي كامل ، لا يلبث كالذي يطلبه العقل ليتعلق

الايان الحقيقي الثابت الاركان .

قيمة آرائه الفلسفية - يختلف باسكال عن معاصريه بتحدية العقل الانساني ، بصرفيته ، تجزئه الحاد وحسه الموهف ، بقوة واقعية تصوره ، وبعدم اكترائه بالجمال .

وقد اخذ افكاره من مصادر مختلفة ، فهو مسدين بارائه المسيحية لايا . الكنيسة الكبار وبارائه الفلسفية (لومنتين) . وباسكال كسواه من ادبا . عصره ومفكره كان يهتم بالحقيقة اكثر من اهتمامه بالجديد . ولكنه كان يمتاز بقدرته الفائقة على كشف جوانب الحقيقة الخفية وعرضها باروع اسلوب واعى تحليل وهذه الموهبة في التعمق تظهر جلية في كل كلمة في «افكاره» . وقد استطاع باسكال ان يثق على اكبر مسائل العلم الحديث واخطرها شأناً كسالة الوراثة الخلقية ووحدة النفس البشرية ونسبية المعرفة العلمية الخ . . .

وقاية باسكال تواف وحدة لم تضطرب في يوم من ايام حياته . واذا ما تطورت وغت واتسعت افاقها مع الزمن فقد عرفت كيف تظل محافظة على هذه الوحدة . وقد انتهى باسكال الامر ان ترك كل شي . في سبيل السيد المسيح . وقد شعر ان العقل لم يكن يطلبه الا على عالم المظاهر التي يسمع الياس فتوجه الى نور الايمان العظيم يستلمه المعرفة السامية التي تتوق معرفة العقل . وهكذا فقد استطاع باسكال ان يوفق بين نزواته الدينية وميله العلمية .

الاديب - لم يكن باسكال يحب الزر كشة في التعبير وكان كثير الكثرة لفنون البلاغة ولذا اشد الفن . والكتابة الجميلة لم تكن في يوم من الايام هدفاً من اعدائه وانما كان ينظر اليها داعياً كوسيلة ضرورية . ولاقتناع قرائه بحقيقة الدين كان يحاول ارضا . م . وباسكال في هذا يتدفع في تيار عصره وينسج على منوال معاصريه الا انه استطاع مع ذلك ان يحتفظ لنفسه بطابع خاص . وكابنا . عصره حارب باسكال الصناعة اللغظية واهتم اكثر ما يكون باظهار بؤس الانسان وعظيمة الله لا بتوشية كلامه والتفتن في تماييره . « لان البلاغة في نظره تهزأ من البلاغة » فهو بحاجة الى اشياء جميلة وحقيقية في الوقت نفسه . والحقيقة جميلة في رايه وجمالها من النوع الممتاز » .

الا ان باسكال يعترف بضرورة الانشاء . المؤثر العالي للتعبير عن الافكار المؤثرة السامية . اذ يجب ان لا نجعل الصغير كبيراً والكبير صغيراً فنفسخ الاشياء . وهناك مواطن يحسن فيها ان

ندعو باريس باريس واخرى يجب ان ندعوها فيها عاصمة المملكة . وهكذا نحقق الغاية القصوى للانشاء . الا وهي الاقتناع .

والبلاغة في نظر باسكال هي فن يقصد منه التعبير عن الاشياء . بطريقة يفهمها الناس بلذة وبدون أي عناء .

واهم ما يمتاز به اسلوب باسكال هو انه خلو من كل اثر من آثار الصناعة . وقد قيل عن هذا الاسلوب انه « هندسة مستقلة » .

وله صفتان تلازمانه ايضاً هما المنطق والعاطفة . وباسكال دقيق في اختيار الفاظه فانك لا تجد كلمة من كلماته في غير موضعها .

وباسكال يسكب في جملة وتعاييره كل ما يحس به من انفعالات وما يبدو لمن تصورات وخيالات لانه شاعر ومنطقي في الوقت نفسه .

ذلك هو باسكال في شتى نواحي تفكيره وعبقريته .

واننا نأمل ان نكون قد وفقتا في اثارة رغبة قرائنا الكرام في درس باسكال او بالاحرى في مواصلة درسه والتعمق بها نظراً

لقيمة افكاره واثرها في التراث الفكري العام .

فلمين محمد عياني

فلمين محمد عياني

مجلد ادب و الفقه بيروت

برقاج الاذاعات العربية

توزيع على مجنتين { قصيرة وطولها ٣٧،٣٤ متراً
متوسطة وطولها ٤١١ متراً

المربح

سباماً ٨١٥ - ٨٣٠ ، أنباء الصباح [برم] نصف على فيه ٨٠٤

نظراً ٢ - ٢١٥ ، أنباء الظهيرة

سأ ٨ - ٨١٥ ، أنباء المساء

نظراً ١٣٠ - ٢ ، غدا ، موسيقى . اقوال الصحف

عش ٣٠ - ٢١٥ ، أخبار الكمال ، برم ، أخبار رياضية

عش ٣٠ - ٦ ، قرآن كريم - حفلة غنائية

سأ ٨١٥ - ٩١٥ ، برنامج غدا - موسيقى - خيل - أخبار

رسالة الاديب

علم غلب هنداري

استاذ الادب العربي في تجهيز حلب

٤ - والاديب للانسانية - هو الذي اهتم في ذهنه القواصل والابعاد ، واصبحت الانسانية عنده كالبحر المتراخي . . . كل ذرة فيه متصلة ببقية الذرات ، وكل موجة تتوشش بأسرار كل الامواج . أصبحت عاطفته شاملة ، وشعوره ممتداً تهتز فيه كل أحاسيس الانسانية من ألم وشقاء ، وفرح وهناء !

هذه ناذج مختلفة لرسالات الاديب ويبدو لي ان الامم نفسها تختلف في انتقاء النافذ الادبية لنفسها ، لان ذلك يتطور بحسب ازمتها النفسية ، وحاجاتها الروحية . وهذا الاختلاف اثار مناقشة عادلة في الغاية من الادب ؟ « أغنية التزعة الفنية ، او التزعة الحلقية ، او التزعة القومية او التزعة الانسانية ؟ » ولكن هذه الامم كلها - على اختلافها - متحدة في اهمية سلطان الادب والفن . حتى اراد بعضها تسخير الدعاية ، والقومية . . . والادب هو ذلك الذي لا يعيش الا في جو صافر من الحرية ، لان تسخير القومية ، او الانسانية ، ليس معناه الا تسخير للحرية .

والان ما هي الرسالة التي يجدر باديبنا ان يعتنقها ؟ ان اديبنا لم يفكر يوماً في ان يؤمن بان له رسالة ادبية . . . ولذلك يحيا لكل شي . الا للادب ، ويؤمن بكل شي . الا برسالة الادب ، لا يزال يستوحى من القديم فاذبح ، واذا اراد ان يدخل في الحياة الحاضرة ، لمسا لدون ان يجري ان يهزها هزاً ! فنافذ القديم قد تكون رائعة مقدسة ، ولكن لا يمكننا ان نستوحى منها افكارنا وحاجاتنا الحاضرة ، لاننا اصبح مثلاً كمثل الآثار في المتاحف ، حياتها ان تبقى محنولة في المتاحف ، لا ان تخرج باكتفائها لتفرض على الاحياء . لان ملايح الادب يجب ان تتبدل

ان للاديب رسالة علوية من اقدس الرسائل ؛ ولكن اديبنا لا يعتقد برسالة ؟ ولا يفرض رسالة على الناس فرضاً فهو انفصالي ، انعزالي ، منكشم على ذاته ، لا يثق بان له القدرة على شق طريقه ! وطريق شعبه معاً ! واذا كان للاديب رسالة فما هي هذه الرسالة ؟ رسائل الادب متعددة ، والادب . في ذلك انواع وآلوان ، ولكل نوع طرافته وقيمه ! انهم الاديب الذي يحيا لنفسه ، والاديب الذي يحيا لسيد ، والاديب الذي يحيا لامته ، والاديب الذي يحيا للانسانية جماء !

١ - الاديب لنفسه : هو الذي تعرض لحياة مع اوله وحدها ، وهي التي تمنعه ان يخرج من عالمه المنطلي ، هو الذي يحيا لحالم هائم أناني لا يجب العالم ، وانما يجب عالم خيلته ، انه ليس بجيوان اجتماعي وانما هو ذاتي منزول منكشم على ذاته . هذا الاديب يعيش في مجتمع ينظر الى فانيه وأدبانه كاشيا . (نافلة) وكاشيا . جملة لطيفة لا تنفع ، تصلح للتعلق على الجسدان ، او لاملأ . ساعات الضجر ! ولذلك يلتفت الفنان على نفسه ، ويتعلل بنهش أحشائه . . . ويشغل لاسماع قلبه ، او لفنة تلامت ميوها معه . هذا مثل الاديب الاسترطاطي ، الذي ينزل في برجيه العاجي . . .

٢ : والاديب لسيد - وما اكثر هذا النوع في الادب العربي ! هم يحرقون الاعمار والايام ليلتدعوا تشابه ترضي اسياهم المبدوحين . وهذا ادنى ما تمخض به الادب ، لانه ادب الكذب والرياء ، ادب الشخصية الممزقة ، والعبودية السقيمة !

٣ - والاديب لامته ، هذا الذي يرى في ألها ألامه ، ويجد ذاته متحدة مع ذاتها . وهذا النوع من الادب تحلقه الازمات على اختلاف انواعها .

والكتاب الروسي يتلقى من قرائه كتابات ، يأسأونه فيها : كيف ينبغي لهم ان يعيشوا ؟ ولماذا هذا البطل لم يفعل كذلك في حياته ، كاتبهم يحاط بالحلب لا يعيش فيهم كالروث الفارغ ، او نصف اله ؟ وانما هو رفيق محبوب وصديق !

ومهمة عمله لا تسمح له بالانزفال ؛ لانه مضطر الى ان يهبط في كل ساعة الى اعماق الجليديد ليعث عن عناصر موضوعه . وليس امامه فنانج قديمة يسلمها - كما تفعل نحن - لان واجبه ان يعيش مع الفتيان الذين يحيطون به . واوشاء . ان يكتب رواية تاريخية لوجب عليه ان يتزل في الحياة الكشيقة الحديثة ليرى الماضي نفسه بعيني الرجل الجديد الكتاب الروسي مسافر مثقل يصحر ويبيهر ، ويدخل المصانع ، والبحث عن عناصر موضوعه هو اهم ما يشغله في حياته . فيرى اشياء كثيرة ويبدأ بعملية الانتقاء . قبل ان تشكل الصفحة الاولى في رأسه . ليس همه ان يرى ما لا يراه الغير . ولكن همه ان يرى الاجدر بالرواية والتاريخ الادبي لا يعرف ككتشف ادبياً مثل هذا الكشكف في الادب الروسي ، اذ لا باب موصد بوجهه ، ولا قلب مكتوم عنه . فهو الضيف المرغوب به حيثما تزل ، اذ حل بمكان قصوا عليه قصه آلامهم وآلامهم . الجرد ياكونته الى معسكراتهم ، والبجادة الى سفنهم ، والعلو الى مصانعهم والقرويون الى حقولهم ، والرجال الذين يعتنون بالانسان لا يفرحون الى ادبائهم المساعدة والجهود منهم . وكل واحد من ابنا . الحياة يقول له صف لنا ايضاً ! وليس معنى ذلك ان الافق الاذي ضاق عليهم . فالاديب حين يوجه قارئه الى هذا العالم ، ويريه جمال الحياة وكلمها ، يمنحه اقصى القوة المبدعة في المسكن الذي يقيمه والعمل الذي يعمل فهو والجمال والتجويد والاتقان ، في سباق رهان !

اما اقبال الشعب على الادب ونوادي الادب فلا يعرف له مثيل . مقالاتهم قلائد الصف ، واذاعاتهم تقص بها امواج الاثير . وقد ذكرنا ان النوادي الادبية يقوم الشرط على حاجتها لازدهار الناس ، لان عدد السامعين يفوق جو المكان - على عكس ما تراه في نوادينا التي يدعى اليها المثقفون دعوات مصحوبة بالدلال . في الوقت الذي يفتح فيه احد شياطين الانس - معرضاً لرأس مقطوع يتكلم - فلا يروعي الا ان ارى الناس يثألون عليه ، كأنهم يستقباون حقيقة ترفعهم ، او ابتداءً يسدل من عقولهم ؛ ولكن عزائي عن ذلك في ان بعض الادباء لم يدخل الى الرأس لانه مقطوع ؛ ولكنها دخلت الى رأس موصول بـروس مقطوعة وعقول فارغة !

دائماً . ولكل عصر فن حي كفن النوادي ، وفن ميت كفن التاتيل والمتحف التي تضم الآثار العظيمة فقد تكون صور المتاحف ، والقصائد المعلقة أعلى واجل من صورنا وشعرنا الحالي ، ولكن عيبها في انها من الآثار الميتة ، بينما الصور الحالية ، حية عندنا !

هذه النافذ التي لا تزال نفرضها في مسدارسنا ينبغي لنا ان نقيمها ، لانها ، او لان اكثروها معجون من طين لئج لا قيمة له ؛ فلماذا لا تزال نخدع شبابنا بالوانها وصدفها ؟ ونحمل طلائنا على تذوقها - بالرغم منهم - ونبتعد عن ادب الحياة .

والحق اننا نهزأ بالآلما ، وآلام امتنا حين نكتفي - بالادب الذاتي ، والفن الخالص . . .

ان خير الادباء هم اولئك الذين ينعثون ارواح امتهم بشل اعلى يدفي . ارواحهم ، وينعري عقولهم ، ويجدد وجودهم في كل لحظة . . .

ان خير الادباء . من لا ينكبون الشقاء انكاراً اعمى ، ولكنهم يثبون معه روح النضال والتغلب عليه . . . يقولون : ان الكون جبل ليعبدوا اليها ايماننا واطمئناننا ، والنضال ضد الآلام التي تحيط بنا ليس عبثاً . . . بل يزول ان الحياة ليس من واجبه ان تحمل اليها المسرات الخالصة ، وانما تحمل اليها الشدائد والتجارب والمصائب لتتقبلها كلها « لان من ضروب الشجاعة محبة الحياة على اي حالة كانت ! . والاديب الحق يعيش شخصياً ، ويكون قوياً يحيا حياة مشتركة مع مجتمعه !

هناك ادب يكثر اتصالة بالحياة والمجتمع هو الادب الروسي الحديث . فالاديب الروسي ليست مهمته في ان يتحف قراءه بالآخبار ، ويملأهم بالقصص . وانما همه ان يبدل وينعير عواطفهم - ظاهراً وباطناً - وعلاقتهم الانسانية بعضهم ببعض . ويساعد قراءه على ان يقرأوا بوجود القتهم . وهذا هو الادب الذي يسعى الى ان يغير الرجال ؛ وليس من المبالغة ان نقول : ان الكتب الادبية الروسية تحول الحياة وتطورها . ويقول - ستالين - عن الكتاب الروس « انهم مهندسون النفس البشرية » ! وهكذا نجد هذا الشعب يلتفت الى كتابه لايحوا معه المسألة الاخلاقية والاجتماعية كما يلتفت البنائة الى المهندس ليسانعدهم في مادة البناء . فمسألة بين الكتاب والقارى . مسألة صلة حية تجمع منا بينهم .

ان اعبر لك عن ذلك ؟ تنفسي شرارة في روحي تنفسي قوة كائنة ما كانت .

وينظر - غوري - الى مهمة الادب ، فيتوجه الى الادباء ، وإلى من يثقلون الثقافة ، فيجد نفسه ينقصه العقل البير الواضح الذي يوازن بين مظاهر الحياة .

- اني اعرف شيئاً واحداً - ليست السعادة هي التي نطلبها ، ماذا نعمل بها ؟ ليس معنى الحياة في البحث عن السعادة الضالة ، لان الاكتفاء بالم لذات المادية لا يلا النفس ، ان في الجمال ينبغي لنا ان نبحت عن معنى الحياة ، وفي قوة الارادة . . . بل يجب في كل لحظة من اعمارنا ان ينبغي لنا مثل اسمى وهدف اعلى . ان انسان اليوم فقد جرائته ، واصبح قليل الميل الى الحياة لان راحة الذئ تحيط به ، والجن يتنق قلبه ، والكسل يغلب بده وروحه . مع ان الحياة نفسها تزداد عمقا يوماً بعد يوم ، والناس تكثر استئتهم عنها . فعلى الاديب ان يهيئهم على استئتهم ، واجوبته لا ينبغي ان تكون صرة عن حياتهم اليومية ، وانما يجب ان توفظ في قلوبهم النظم الى الحرية ، وان يعمل كلماته قوية ، ليثقل في الانسان رغبة مستقلة خلق اشكال جديدة من الحياة . . .

يخيل لنا اننا بحاجة الى احلام جديدة وابداع جميل ، وأما في اسوأ ايامنا للتفوق ، لان الحياة التي نعيشها الان فتيرة من الالوان ، باعة على السام بجمدها . فالحقيقة التي تزيد تحويلها وتحويلها قد حطمتنا وهدمتنا ، فإذا نصنع ؟ لنجرب . . . قليل الابتكار والخيال يساعدان الانسان ان يرتفع قليلاً ليصير من جديد المكان الذي قدده على الارض !

هؤلا . بعض نماذج ابطال الكاتب الروسي . . . كلمهم يفيضون الحياة لانهم يريدونها أعلى . . . وعلاج هذا الداء عنده عبادة الجمال ، والتمس بقوة الارادة الحرة ، والانهاء نحو مثل اعلى .

في مسرحية (ابنا الشمس) وهم المثقفون تجدد غرض هؤلا . ان يجعلوا الحياة جميلة صالحة ملائمة للكل ، يريدون ان ينشوا مستقبلأ مامعاً . ان هؤلا . ليسوا بباطلين ولا هازلين ، وانما هم رجال اعتقوا اعظم رسالة في الوجود !

ومن لم يقرأ - رواية الام - مكسيم غوري . وهي قصة هؤلا . الذين تنقبت لهم الحقيقة الجديدة ، ولعبت بادواهم لعب النار بالهشم . . . هذه الام التي قضت حياتها في الضلك والبؤس ولم تعرف من حياتها الا الالم والصامت ؟ قال لها والدها حين حملها على الزواج :

من اعلام هذا الادب العالمي اديب كبير عاش في حاة الشقاء ، هو - مكسيم غوري - الذي يعد اكبر اديبا . الروس اصالة ودلالة على مميزات هذا الادب : عاش في علية حجرية تحت سقت من خيوط العنكبوت ، في الوحول يعمل ، وبين التبار يعمل ، حتى بات يكره عمله « ولا يأكل ما تخرجه يده » وفي هذه البيئة اتصل بالالوساط المنحلة ، وتذوق الآلام ثم وصف اختلاجاتها .

هذا الاديب الذي طاماً هاجم الطبقة المثقفة لامها وتهاونها يقول بلساننا : اننا نعيش فارغين لا قيمة لنا محرومين من السعادة . نحن ععدد وافر والمعد - كما يقولون - قوة . نحن تسوقنا آمال واسعة ، صافية ، شريفة . ولكن في هذه الانهار الأثرارة من المقالات ، ولا ذرة - عندنا - من عمل ! كتاب يكتبون ، وآخرون يقرؤون ، وبعد القراءة يتجادلون ، وبعد الجدال ينسون ما قرؤوا . الحياة عندنا شيء مضجر ، يقتل ، أكد اللون ، حمل لا كلاله ، ونحن نلث تعباً ، ونشكو الى انفسنا نقل هذا الحمل »

وأخر من ابطاله يجأط هؤلا . المثقنين :

- اريد ان اقول لكم ، انكم خير فئة في بلادي ، وجودكم كلف دماء كثيرة ، ودموعاً غزيرة ذرفت لها الالمات والآباء في الوطن . لكم تعزون انتم على هذا الوطن فإذا نصنع من ابله ؟ مكسيم غوري يكاد يجمع في تأنيته الرجل المثقف « بأنه عبد يستقل بفكرته ، ولم ينعت من كل مسا يستأسره من الالهواء الكاذبة ، في انه عبد بقلبه وروحه للفضيلة القديمة ، وانه مثالك على النظر الى منافع الشخصية . . . »

ان حياة - غوري - المتشردة جعلت اثره الادبي انسانياف ؛ افتح اية صحيفة من كتبه تجد هذا القلق يمثيل على ابطاله داناف ؛ فالى اية غاية يسعى هؤلا . ؟ وماذا يريدون ؟ انهم ذخيرة من قوة هائلة ، لكنهم لا يعرفون استخدامهم . لم يخرجوا من دائرة حياتهم الطبقة التي يكرهونها ، ويمصر عليهم ان يهجوها في الحياة غير منهاهم الذي هم فيه . . .

من اسباب هذا القلق ؟ اسباب تعود الى انهم يعيشون بدون غاية ؟ وجدوا على الارض ولا يعرفون الفائدة التي جساوا من اجلها . . .

- ليس لي سقت ولا امرأة ولا أولاد ، فبأذا التعل ؟ ومع هذا لا افكر في انشاء اسرة في . . . اعيش واضجر . . . من اي شيء . ؟ لا ادري . تنفسي روح في صدري ! اهتمت ذلك ؟ اني لي

منشورات الاديب

لا هوادة - تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجمع العلمي العربي بدشق ، وهو مجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة . ثمنه ليرة لبنانية

اسبوع الثقافة في لبنان - بقلم نخبة من الكتاب . نقد

دي غول الاديب - تأليف الاستاذ جان غوليه ، نقلته «الاديب» الى العربية بعد ان نقلت نسخة الفرنسية كلها ، يبحث المؤلف فيه الناحية الادبية في مؤلفات الجئرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة . ثمنه نصف ليرة لبنانية .

الواحدة - مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الاسير ، تمثل لونا بتدليداً من الوان الشعر الحديث . ثمنه ثلاث لوات لبنانية .

مكتبة الاديب

عمر بن ابي ربيعة - للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزء آن ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ، ثمن الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .

- ميثاً تفضيلاً وترفضين ... هنالك بانس يريد يدك ، خذيه ! كل البنات يتزوجن . وكل النساء يلدن . وكل الاولاد هم وشقاء لاهليهم . الست انت واحدة من هؤلاء الخلائق البشرية ؟

لكم نذكر مأساة هذه الام كل يوم وراء جدراننا ! هذه الام اليانسة نفسها هي التي تقول « ان الارض تعبت من الظلم والشقاء ، فهي ترتعش هدهد . تتعاقب رسول الشمس الجديد الموارد على صدر الانسان ...

اين اديبنا الذي يدرك روح هذا القلق المرتسم على وجوه فتياتنا وفتياتنا ، فيقول لهم : ليس من القلق الاستسلام ، ولا معنى الاضطراب اليأس ...

رسالة الاديب الحقيقي ان يعالج هذا القلق ، ولا يكثر بظواهر التردد في نفوس الفتيان ؛ فالقلق طريق الاطمئنان ؛ والشك سبيل الى الايمان ؟

ان رسالته ان يبقى قلوب هؤلاء من اليأس ويبين لهم اننا لن نصل الى الحقيقة الا بعد ان نضع الحقيقة . ان رسالته ان يحملنا مرة ثانية على الايمان الذي قزعزع في انفسنا ؛ وان ينفي الشك منا ؛ فنحن المستقبل والمستقبل نحن ! ان مهمته الا يعمل - كدائني صاحب الكوميديا الالهية - الذي دخل الجحيم وحده ، وخرج منه وحده ، ولكن كفوركي الذي دخل الى الجحيم وحده ، ولم يخرج منه الا بعد ان انقذ الملايين البشرية معه من لفحات الجحيم وبؤس الحياة ؟

انرتب هذا الاديب !

فان يوم البعث تقرب

ودائماً الى الاعالي !

ليس لرغباتنا الا المد !

وليس للشك عندنا مكان !

دائماً الى الاعالي ...

في تضالنا وسلطاننا ، في جنبنا وبغضنا ، في أملنا وألمنا ، في شكننا وإيماننا ، لان التوب والايان مرادفان للحرية ، والشك والاستسلام ملازمان للعبودية

فيل هنراوي - حلب

يا طيب هذا المساء ، وستان ، كالرويا
كأية خرساء رانت على الدنيا
والليل قد ذرذر

لفت ظلال الشفق في ظلها الناعم
واضل لون النفس رخو القطي ، حالم
كذائب المرمر

يا ليل . يا أسر يا خلوة الاحباب
هات الهوى ، نسكر واملا لنا الاكواب
فالعيش ان نسكر

خذنا على دربك واسرح بنا نرح
يا ليل . في هديك سر الهوى لوح
واهمل ، واستبشر

يا ليل . عاش الليل عاش الهوى والكاس
قالوا ، تحب الليل ؟ غفمت : لولا الناس
فالناس كل الشر .

يا ليت هذا الدهر في طوله ليله
او ليت هذا العمر يتجمل في قبلة
اشع من الكوثر

يا ليل . قم نر فالحب نادانا
تفتني الى قبي - ان مت - سكرانا
يا ليل . يا أسر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مساء

ترجمة

قهرت . فأنكشف لهم لها
والدخان الميت في إحشائها
نقطة نديانة في فها
غممت تدعو ، فزقتها يدي
ضقت بالناس ، فنادت بها
لذة . ناعمة . مبهمة .
لذة ، أغفيت في اهداجها
نشوة كالحمر ، ضامت في دمي ،
حدثت . فانسلطت نفسي لها .
او عجوز ، ذهب الدهر بها
رحت اهدوها فنامت في يدي
رويت . فانطفأت غلثها
وهفت انفسها كالطيب رطبه
عقدت احلامه البيضاء ، هديه
برعمت ، وانسريت في الجو ، كسلي
- وفي في فها - غلا وحلا
وانزويها وحدتا ، في زاوية
خطفتي نحو دنيا ثانية
وعلى هدي شي . كالذهول
حلو ، تنساب كالطيب التحيل
طفلة تمثر باللفظ وتعبو
ثرثرت . وانكفأت كالطفل تعبو
لا تي ، واستلمت ماء ونارا
واستفاقت غلتي ، والحلم طاردا

هداة الى روجي النصيل

وصفي فرقتي - معص

التربية في القرية

بلم واصف بارودي

مفتش عام للتعليم الثانوي في وزارة التربية الوطنية اللبنانية



يؤكد معلم القرية بأنس بتقدير رؤسائه له ، ويشعر بثقتهم به ، حتى يتقدم بطلب نقله الى المدينة، تلك هي المكافأة العظمى التي يتبناها اذا اطمان لحسن تأثير نتائج اعماله !

ومن لم يجد من محله شفعاً يحرثه على تقديم هذا الطلب مباشرة ، عهد للتأخير بوسائل ، قد لا تشرفه ، وهي الوسائل واستغلال الظروف . وهذه وسائل تفقد المعلم حريته واستقلاله ، فيقتل عن كثير من الكرامة والاياء ، وبهما الصفتان الاساسيتان اللتان يجب ان يتحلى بهما من يفرض فيه انسياب النش . على مبادئ الكرامة والحرة والاستقلال .

ومن المؤسف حقاً انه قد يستخدم هذه الوسائل احياناً بعض الذين يتمتعون بالتقدير والثقة ، اذا ينسوا من انصاف رؤسائهم لهم ، وهم يعتقدون ان النقل الى المدينة ، هو الانصاف والعدل ، وان البقاء في القرية هو منتهى الظلم والجور .

هذه هي حالة القرية اللبنانية اليوم مع المربين فيها . واذا وجد بينهم من يظهر الارتياح ، وهؤلاء هم الاقلون ، فانما يدفعه لذلك مأرب شخصي يتعلق بعيشته او بارض يتلكها او باعمال له بها صلة ما .

فالقرية اللبنانية في ازمة - قلت القرية اللبنانية لانها موضوع البحث والا فالازمة عامة تهدد الحضارة في الشرق والغرب - يهجرها اهلهما غدير مبالغين عند اول فرصة تسع . وبأبى المربون البقاء ، فيها ليقوموا برسالتهم الوطنية الانسانية التي تقضي « بتوجيه النش . اللبناني شطر الارض وترغيه في التعلق بها واستغلالها ، على ما الماع اليه تعميم الوزارة مؤكداً » ان لبنان بلد زراعي يعتمد الى حد بعيد على محصولات الارض وما ينبثق منها من صناعات زراعية لحياته »

يهجر الاهلون القرية وبأبى المربون البقاء فيها . ويختفى من يوم تصبح فيه القرى مأوى للعجز والبلداء ، والمحقى ، فتبخل عليها الحياة بمحضها وينضب معينها ، فيوث الارض التي ورثناها عن جدود كرام ، لم يهلوها ، اقوام آخرون أكثر صلاحاً واعلى همة للعمل . وهكذا تضمحل الامم وتتلشى ! ...

دائما بالحياة والقوة والبأس؟

اين كان يري رجال النهضة ابنا. هم؟ افي المدن ام في القرى؟
الا تذكرون شيئا عن تلك البادية التي كان اسرا. العرب وملكهم
وغظاؤهم يرسلون ابنا. هم اليها ابان نهضتهم الكبرى؟ واين نشأ
وترعرع الاميران فخر الدين وبشر؟ في بيوت ام في القرية؟
ولا اخلفني مغالبا او مفرطا اذا قلت: اننا نجد في سيرنا هذا ان روح
القرية والبادية تدب في عروق رجال النهضة على انواعها ديب
الحمة في اعصاب الشمل!

هذه الحقيقة التي تنكشف لنا في سيرنا هذا. وهي هي الحقيقة التي
انكشفت لرجال المدرسة الحديثة عندما أعلنوا ان التربية الحديثة
الصحيحة لا تتم الا في الحقول والمزارع، متبعين بذلك رأي روسو،
رسول فكرة هذه المدرسة

كتب احد الاساتذة بحثا طويلا عن الدكتور اوفيد دكرولي،
احد ائمة المدرسة الحديثة، ورد فيه قوله: «كان اوفيد دكرولي
يفكر ويظلم التفكير، ولكنه كثير من المفكرين لم يكن
معمرا بالكتابة وتدوين آرائه. وكان اهم ما يفكر فيه هو
الفرق الشاسع بين اطفال المدن واطفال القرى. فكان كثيرا ما
يوازن بين حصول كل منهما من المعلومات والتجارب عند دخولها
المدرسة. فتفوق بعد البحث والملاحظة ان الطفل الذي يعيش في
المدن يعرف اكثر من الطفل الذي يعيش في القرى يتنازع بينه الى الناحية العملية والمخاطرة والانتاج»

وجد ان معلومات تلاميذ المدن سطحية نظرية في اغلبها،
وانهم يعيشون عالة على غيرهم، لا يعتمدون على انفسهم في كثير او
قليل، وان تجاربهم مستمدة من المتاحف والسينما والمعارض،
وليست كتجارب تلاميذ الريف المأخوذة من المناظر الطبيعية
الحقيقية والظواهر الجغرافية وملاحظة الفصول والنبات والعواصف
والامطار وغيرها، وهذا هو الذي جعل دكرولي ينادي بضرورة
جعل جميع المدارس الابتدائية بالريف حيث يمكن إيجاد البيئة
الطبيعية الصالحة التي يتعلم فيها الاطفال مبادئ الزراعة وما يتعلق
بها من تربية الحيوانات ومشاهدة الظواهر الطبيعية».

فقرروا ان دكرولي نادى بضرورة جعل جميع المدارس
الابتدائية في القرى، وهذا رأي جميع ائمة المدرسة الحديثة،
واعتقد انه سيأتي زمن يطالب فيه بنقل جميع المدارس، لا المدارس
الابتدائية فحسب، الى القرى، وعسى ان يتحقق ذلك يوما عند
بعض الامم الراقية التي تحرص على ابقاء روح النهضة فيها.

ان امة يجعل امر القرية فيها، ليست بالامة التي كتب لها
الخلود. ففي القرية تنفجر بناييع حياة الامم، لا بما تنفذ عليها
من محاصيل وارزاق ونعم فحسب: بل وبما ترسل الى النفوس من
اشعة روحانية ينشع بها القلب، فينبعث عنه شعور عميق بالاباء
والكرامة، وفهم صحيح لمعنى الحياة، وادراك حقيقي لنواميسها
ولنواميس القوة فيها.

يقف ابنا هذه الامم التي عرفت كيف تنسبر نفوسها بتلك
الاشعة الروحانية، وكيف تغذي قلوبها وادمنها بتلك المعاني
اللادية، التي تنجها الطبيعة الخيرة لابنائها، يقف هؤلاء الابناء امام
وجه الحياة، مستعدين للكفاح والجهاد اذا هي قردت، والتمرد
من طبعها، فيشقون طريقهم فيها باقدام وشجاعة، فلا تلبث ان
تلين قناتها وتهبط ثورتها، فتخضع للزعيم القاهرة وللجزم الثابت
والثابرة الصابرة، معجبة كل الاعجاب بتلك التضحيات التي يبذلها
الانسان الحي في سبيل كرامته ومنعته واستقلاله.

تعجب الحياة وتره حين يقتصر عليها الانسان الحي، لانه
يحدارها بقبس منها، فهي المحاربة وهي المنتصرة، ولهذا لها ان
تتمثل دائما بخمرة الانتصار وان تعمرها دائما تلك النشوة. لذلك
كانت الحياة جهادا، والويل لمن لم يتبناها وله...
نعم، في القرى والحقول، في البراري وفي الصحارى، تنبع
الحياة السلاح والزعيم لمن يريد الكفاح ويريد العزة والجد والقيادة،
ولا يجد بلا كفاح ولا كفاح بدون سلاح!

هناك منابع القوة وهناك تتسلح الامم لمكافحة الحياة وللجهاد
فيها. كتب على مدخل احدى المدارس الثانوية الحديثة المؤسسة في
احدي البساتن القروية في فرنسا، وهي مدرسة لاروش، ما معناه:
«هنا يتسلح النش. جيدا لمكافحة الحياة»

كلمة رائمة يجب ان يتخذها المربون شعارا، وعليهم ان لا يغمروا
منها الوسائل التربوية الحديثة وحسب، بل وان البيئة الضيقة التي
تحتضنها هذه المدرسة وامثالها هي اعظم وسيلة لاعداد النش...

لنسر قليلا نجيلنا وعقلنا في ميادين الحياة، لنسر قليلا في
تلك الميادين، على ضوء التاريخ الذي يصف لنا مواقمها وما نتج
عنها من انتصار وانكسار وعز وذل وجهاد وتقاعس، واستقلال
واستعباد وتقدم وتحطاط، لنسر بتؤدة لنكتشف منشأ النهضة
الكبرى في الامم، افلا نجد في الصحارى وفي البراري وعلى رؤوس
الجبال؟ افلا ينتهي بنا البحث والتنقيب الى ان القرى والحقول
كانت ولا تزال خير مصدر لتلك النهضة، واولى معين يدها

وافقت كلمة اهالي قرية من القرى على ضرورة فتح طريق يصل بين قريتهم والعاصمة . ولم تكن هذه الفكرة الحيوية ، بالنسبة الى تلك القرية ، تقرب من التحقيق ، حتى قام قسم من ابنائها ، وعلى رأسهم بعض الوجهاء ، طبعاً ، بعرض في اقام هذا المشروع . ولم هذه المعارضة ؟ لانهم يمشون اذا تحقق ان يكون لمن سعى في تحقيقه شأن خاص في القرية ، فيصبح صاحب الكلمة النافذة فيها .

رأى بعضهم في هذه الحجة بعض القوة ، وكان يجب الاصلاح ، فعرض على المعارضين فكرة توحيد المساعي بحيث لا يكون لاحدهم فضل على الآخر ، فابلسوا هزازين اذ أدركوا ان مخاطبهم يحل ما بينهم من تنافس وحزازات حزبية شخصية . واكدوا له انهم يفضلون ان تظل القرية دون طريق من ان يعملوا بدا واحدة مع اخصامهم ، لانهم يعارضون على كرامتهم . ولم يكن تفكير هؤلاء الاخصام من غير هذا النزع السخيف ، ولذلك بقيت القرية دون طريق الى اليوم .

لا تزال تلك القرية دون طريق ، لان كلا من هؤلاء الناس يغار على كرامته او كم من اصلاح قضت عليه هذه الكرامة المزيفة وذلك التفكير السخيف ، في القرى والمدن !
فكيف يكون هذا يريك الكرامة هدامة ، مانعة لكل اصلاح ، لا بل هي باعة تزيل ان تبنى كيانا تحتفظ باستقلالها عزيزة موفورة الكرامة .

آن لنا ان ننقل لطور آخر ، يقتضيه تطور الحياة في العالم وفي بلادنا ، هو طور التفكير الاجتماعي الوطني الذي يطوي المصلحة الشخصية في الصالح العام ، فنحقق المصلحة - اذ يقوم على اساس فكرة التضحية في سبيل الاصلاح ، التي يتخذها المربون نبراساً يستضيئون به في ليالي اليأس وفي ظلمات الاضطراب الحالية

ومتى بدأنا نفكر هذا التفكير المصلح نستطيع العمل المنتج ، والعمل باخلاص ، مستمدين القوة من شعورنا الصادق وتفكيرنا الصحيح ، تسد خطانا فكرة التضحية في سبيل الامة

واذا كان هذا هو التفكير الذي نحن بحاجة اليه للعمل المنتج فنطالب به اولا ؟

المربي مصلح ، فهو اولي الناس بهذا التفكير ليعمل عملاً منتجاً تراح له نفسه ويسعد به مجتمعه .

المربي هو اولي الناس بهذا التفكير الوطني البناء المحرر ، لانه

ولا غرابة في ذلك فان القرية هي موطن الهام عجيب ! فلنعد لسياحتنا التاريخية ، والنسر في ميدان حديث التكوين وهو ميدان المدرسة الحديثة نفسها ، فنجد انها فكرة قروية قبل كل شيء . ففكرة اوحت بها الطبيعة الى البشر في القرى لتعدهم الى احضانها اذا كانوا يريدون استمرار النبضة والتقدم والرفي في امهم - وميالة اوحت بها الطبيعة لتعذر من نعمتها لم لا يعنى بالقرية الصحيحة من الامم

فيبتالوري ، ذلك المربي العظيم الذي يحق رسول التعليم الابتدائي ، انشأ مدرسته التي خلده في حقل نيهوف . وبتعبير آخر فان ذلك الحقل تطور لمدرسة كانت مصدر مبادئ . تربية هامة دخلت في صميم المدرسة الحديثة التي يغير بها القرن المشرون . وفي قرية غريشام نشأت طريقة فروبل الذي خلدت اسمه حداث الاطفال المنتشرة اليوم في كل العالم .

وقد تفتحت عيون اول مدرسة حديثة للنور في قرية ايتوشلم من اعمال وريشتر في انكلترا ١٨٨٩ وقد اسسها المربي الشهير سبيل ردي . وفي مدرسة قرية ويرونين الصغيرة فكرت المربية هيلين باركهurst في طريقة جديدة اوجدت مدارس دلتون المنتشرة اليوم في جميع البلاد المتقدمة . وقد سميت هذه المدارس بمدراس دلتون بالنسبة لقرية اميركية عرفت فيها باركهurst فكرتها .

ومدارس وينيشكا الحديثة انما تقوم في ضاحية من ضواحي شيكاغو كما ان مدارس سوران الحديثة هي في ضاحية من ضواحي ياريس . ومدرسة لاروس التي معنا اليها سابقاً انما تقوم في بيئة قروية .

وهكذا فانكم ترون ان هذه المدارس وغيرها من المدارس الحديثة الكثيرة اليوم انما نشأت في القرية ، وهي ترغب في البقاء فيها بعيدة عن ضجة المدن وخداع مشاهدتها الخلابة ، تعود بالنش . الى سيرة الانسان في ايام النبضة ، حين يألف الحياة وتأنف ، فيعيش مع نواويسها على وفاق تام وينعم بالخصب واليسر والطمانينة والقوة والمجد ، عناصر السعادة في هذا العالم

افلا يلين بنا نحن في ايمان ان نغير قضية القرية الهامية التي تستحقها ، وبلادنا زراعية قبل كل شيء ، فنوفق بين النش . والحياة لننعم بما نتمتع به الامم الناهضة من خصب وقوة واطمئنان ؟

آن لنا ان نفكر وان نعمل . ولكن كيف نفكر وكيف عمل ؟

من روح الأمة وابنائها ومن حاجات الوطن وطبيعته وتاريخه ،
تكون وسائلهم الخاصة المثقفة مع روح العلم الحديث وتنظيمهم
الخاص المتلائم مع روح البيئة التي انتم هم .

اننا نزيد ان يتجنبوا التقليد الاعمى ، وان تثبت مبادئهم
وسائلهم عن تفكيرهم الذاتي وتجاربهم الخاصة واختبارهم
الشخصي . ونزيد ان يسير ذاك التفكير وهذا الاختبار وتلك
التجارب على ضوء العلم الصحيح والبحث المتواصل ، بارشاد العقل
السليم المثقف والشعور الصادق اللطيف ، وان يكونوا بعيدين
كل البعد عن كل خيال واهم وعاطفة جامحة وتحمس كاذب .

يخطي . جداً من يعتقد انه مقيد بوسائل خاصة ، فاذا جاز
تقييد المعلم ، فلا يجوز تقييد المربي الحقيقي ، وخاصة عندما يعمل
على رفع مستوى الحياة في القرية ، حيث تبني الامة اسس استقلالها .
فن يؤدي رسالة وطنية انسانية في الحياة عن ادراك وخلص ، لا
تقيده الطقوس والتقاليد ، ولا تؤثر مصلحته الذاتية على فكرة
الاصلاح في عمله .

اعلموا جيداً ، ايها المربون ، ان الحياة تعد اكثر مما تقي ، فلا
تكونوا ممن يصرع اليأس عند الصدمات ، بل اعتصموا
بالصبر والقوة . فمحنة المربين الحقيقيين ! وهما شرطان اساسيان
للنجاح في الحياة . فكونوا ممن يقاومون الصعوبات ويعملون
بهذب ، فالقرية اللبنانية تنادي كلا منكم ، فكونوا خير محب
لذلك النداء ، واثبتوا انكم جديرون بالثقة واعملوا على توجيه
النش . ، امل الامة ومستقبلها ، توجيهها علمياً

واصف بارودي

هو الذي يري سائر الناس على اعتاده في اعمالهم ، بل وهو الذي
يتخذ قدوة ، فليكن قدوة حسنة اذا كان مخلصاً يريد الاصلاح .
نفترسه من القرية لا تتلائم مع رساله التي نصب نفسه
لتأديتها ، ولا مع مبادئ التربية الحقة .

انه يلاقي في القرى صوبل جمة ويشاهد من الجهل والحق ما
قد تشتم منه نفسه ، هذا لا جدال فيه - ولكن الا تقضي
فكرة الاصلاح بان يزيده ذلك تعلقاً بالقرية ؟
واين الاصلاح اذا لم يكن هناك فساد ؟

والذي يترأى لي ، هو ان هؤلاء الذين ينفرون من القرية
ليسوا مربين في الحقيقة ، بل قل انهم معلون مستعمرون ، اذا
شئت ! انهم لا يشعرون بقداسة الرسالة التي يؤدونها ، بل ربنا
يعتقدون ان تعليم الاولاد الانبياء وشي . من الحساب والمعارف
العامه هو كل ما لاجله يقبضون الراتب . هم يعملون للراتب .
وهذا يقضونه في القرية والمدينة ، فلم لا يمتنعون بحياة المدن
الصاخبة ومساكنها الوافرة ، خصوصاً اذا كانوا من ابنائها

انهم لا يعتقدون بتلك الرسالة وليس لهم مثل اعلى ! فكيف
تريد منهم ان يجدوا لذة الاصلاح في نفوسهم ؟ او ان يجدوها اعظم
واروع من تلك التي يشتم بها الوهم في المدن الخالية !
بل كيف تريد من احدهم ان يبدد ليلته في العمل المتواصل
والجهود الجبارة وفي التزلل لطبقة الفلاح في اصلاحه ورفع مستوى
تفكيره ، ليغرم بالارض واستغلالها ، وهو لا يرى في حياته
المسكينة سوى اعمال آلية تقليدية تعليمية يقوم بها في ساعات
معينة لا يتجاوزها ، لقاء اجر معين ؟

اننا نزيد للمدرسة القروية طرقاً جديدة يستمد المربون مبادئها



سحر الألوان

بقلم السيدة وداد سكاكيني

وقد أرى شفقاً قانياً كلون الدماء
كأنما هو رمز الى دم الشهداء

والآخر المعري الذي رأى في ظلام عماء الوان الوجود باحسن
مما رآها المبصرون فقال :

وعلى الصبح من دم الشهيد علي ونجله شاهدان
تبتاني قبضه ليحيى الحشر مستعداً الى الرحمن

وحيث ان ذكر المعري الضري ادى الوانا كالحقة قائمة شملت عينيه
فانتظمت حياته كايا واضفت الثقة والتشاؤم على ادبه وفلسفته،
فن اللون صبغة الادب وروحه ،نوما ادب في دنيا الشرق او الغرب
الا والالوان مهمة عليه مزوجة به مزج الارواح بالاجسام ، ولقد
زعموا ان ابا العلا كان لا يعرف الا اللون الاحمر ، اذ اصابه
الجلدي في طفولته ، فذكر ان اهل البصرة في مرضه رداً احمر ،
ومن عجب ان يفق هذا الملمم الاعمى في اوصافه فيشبه الليل
الاسود بزنجية عليها قلائد من جمان ، ويتمثل سهيلاً من بين
الكواكب محمراً خافقاً كوجنة المحبوب ، وعلى ذكر المعري فخطر
في البال السفوفنية الرعاية لاندرد جيد فتمر بالخيال تلك الفتاة
الضريفة التي آواها الى بيته شفقة وحناناً ثم شففته حباً ، فكانت
تصف له ما تشعر به وما تتخيل من خلف جفونها المطبقة ، فلما
كشف الطبيب عن عينيها حجاب الظلام ابصرت النور وهي صبية ،
وردت صورتها بالمرأة فقالت : كنت اتلس الالوان بعيني واحسها
ببصري كأنها جسم باردة ، وكان يشار بثقت احسان بأحلى
الالوان حتى عجت احدى الغواني من نعمته لها وكيف يجيده وهو
مكفوف البصر على ان العربية لم تعرف شاعرا يرزى على ابن الرومي

بالاذهار المتأقّة تردمي الطبيعة وتكتفي النضارة والجمال ،
ويرف النبات يتأويح الالوان فيفوق البصر الى تسلانيف الحضرة
وتضرح الحمرة وبياض الانوار ، ويتمنى الشمع لو ينثني بعظرها
وعلاً به الانفاس ، وفي سلسال الماء تصل الحصى فيترقق عليها
عذباً فراتاً ، وفي صفاء السماء وغمامها ، وعلى هامات الجبال العارية
ومباسط السفوح الكاسية ، وعند مسارب الانهار امساح البحر
الهدار يمد مداه ويرتد جزره ، وفي هداة السحر في ضياء القمر
وعتمة السرار ، وعلى كل شئ فوق الارض وتحت السماء من طير
وحیوان وانسان ، على كل هؤلاء من صامت وصارح وجواب
وحساس تتبين الالوان زاهية وقائمة ، فاقمة وباهجة ، وبها
الحياة الا الالوان وصبتها ، ومن يدي فعل الله حين خلق الدنيا
سبق في خلقه الحكيم ان ابداع الالوان قبل محشر الاكوان

ان منها نصيباً لكل خافق بروح او هامد بجسم ، قدرة
خارقة تتجلى في عناصر الطبيعة الاولى فلو تزع الخالق الاعظم الوان
خليقته لحرم الحياة نعمة الجال ، ولغارت من الكتب والمعاجم
التشابه والنوعت وغاض في الدنيا معين الفنون ، فاين مصير الشعر
ومن الالوان خطوطه وقوافيه والفاظه ومعانيه ؟ وما حظ التصوير
وعلى ألوامه سحر الخطوط وعبقرية التلون وما شأن المصورين لو
لم تكن الالوان مدار صنعهم وابداعهم فاذا كان الفن مدیننا
للالوان فان العلم لا يستغني عنها ويختبرات الطب الحديث تلون
الجراثيم لقراءها وتعرف حرارتها واشكالها ، ولولاها جلف البيان
واقفرت المتاحف وتغطلت الترائع ، فاين من يصف سواد الشعر
وشفرته وحور العيون وشبهها وورد الحدود وبضاضة الزنود ؟ وما
خبر الشفق الاحمر والدم المسفوك وكلا وحيين من لون واحد
لشاعرين ، احدهما الزهاوي الذي قال :

في وصف الالوان اذا كان مرهف الوعي لاشكالها وظلالها وشيك
التلقي لمعانيها ورموزها فكانت حدة شعوره بمبدولاتها من ابرز
خصائصه ومزاياه ، ولم يدع هذا الشاعر المصور شيئاً من مجالي
الطبيعة ومشاهد الحياة الا اتى عليه قريضه بالتصوير والتلون بل لم
يقتصر على تصوير ما اخذت عيناه ولمست يده فقد تعداه الى
الكشف عن يورات الفكر ووجوه الرأي بصور مخضوبة ملونة ،
حتى تخيل الفناء اصباغاً ولتتأخى الوانا ، ولعل كان سباقاً بهذا الى
اوصاف اللون في ايامنا وهي المسماة بالموسيقا الملونة

فما اعجب سحر الالوان واعق سرها فيها تكشف منازع
العقول والاهواء ، ويظهر اتجاه الاخلاق والاذواق ، واذا قيل
ادب المعري عبوس حالك فلان هذا الفيلسوف بسط على شعره
ونثره جناحاً اسود فقد ذم فيها الزمان وطبيعة الانسان وكره
النساء وآثر المحسين ، وقد يكون لهام صلة في فلسفته وشعره لولا
ان آخرين من انداده المكافين كانوا متفائلين مستبشرين ، لم
تنطع آثارهم بطابع السواد ولم تلبس لباس الحداد ، من هؤلاء
يشار بن برد الذي خلعت الحياة على شعره ابرادها البيض ، وفي
عصرنا ينشر الدكتور طه حسين ادباً مشرق الفن ازهر اللون عليه
مباسم الامل والحياة ، وفي المعري كثير من التشاؤم في
دنياهم واكثرهم من الموسيقين الموهوبين ومن حفظة القرآن
الكريم ، فان اشراقه الهية علوية اطلت على نفوسهم فشرحت
صدورهم وانارت بصائرهم بالآيات النباتية . وما اوسع منادح
الكلام على الالوان اذا انها لم تترك شيئاً الا نضحت به وغت عليه
حتى البشر ولدت معهم وتظاهرت عليهم فكان منهم السواد
والبيض والحمر والصفر ، وكان لتلاوينهم حظوظ فضلت بعضهم
على بعض فلاحت الانوف القويمة والوسامة السايبة والشعور
المستقرس بالجسوم البضة الناعمة وماجت الملامح الجاذبة الخالبة
بالظلمة السمراء والسحنة الناعمة ونبتت الانوف الفطس والشفاه
الغلاظ والشعر الجعد بالوجوه السود ، وجار اللون فاستبد ، اذ
وقف الاسود في خدمة الابيض ، وضائق صدور المرضى والحزاني
بالليالي الدامسة فلما اسفر الصبح تنفسوا الصعداء ، فرحين ببياض
النهار وآثر غريم لون الظلام فستروا به شخوصهم واخفوا زوراتهم
وكتموا اخلاصهم .

وطوف ادب الالوان ارجاء الارض فوزع مياصمه وظلاله على
التبراء والداماء ، فكانت الصحراء حمراء ، وتوقيل البحر الابيض والبحر
الاسود والبحر الاحمر ، وما البجار الثالث الا خضر عند الشطوط

وزرق في وسط اليم وبيض لسدى بالآفاق ، وقانية وهاجة حين
تستحم الشمس قبيل الغروب ، وايئعت الثائر فتهدت بيسا الغصون
وشبه ادب الالوان مفاتيح النساء ، بانائين الفاكهة فاي شئ . يذكر
امامنا ولا تنصور لونه ؟ فاللون ثامن للفكرة وعون على التخيل
ووسيلة الى البيان ، وجات المجازات والرموز في الكلمات
والعبارات ومنها ما اخرج مخرج الامما . فكانت الحبة لون العاطفة
والحنان لون الامومة والنقاء لون الطهارة ، وكان التشاؤم كالحاً
كامداً ، والحسد اصفر وارداً ، والبغضاء ، والحقد والعداوة غرايب
سوداء ، والثأر والتمعة والعذاب تهاويل حمر ، وهام الابطال
باللون الاحمر فكانت الحرية حمراء ، مضجرة بالدماء ، وغالى العرب
في عطايهم فجاد الحيون بحمر النعم ، ونصبوا في مواسم الشعر
رواق الارامية والكرم ، وضربوا القبة الحمراء فوق الثابتة الذيباني
حاكم عكاظ ، وداع النبي عليه السلام زوجته عائشة وهو يقدرها
قدرها فقال : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرة ، وسمى العرب
في الانعاس ادوع قصورهم بالحمراء ، والزهراء ، وقد شنف اصحاب
الصناعة من الشعراء ، بادب الالوان واخذوا يسجرها فكان منهم
ابونعامة والبحرتي وابن الرومي والمعري ، وصنّفوا نسج قصائدهم
بالوان الطبيعة وزخرفوها بوشي العقول

وفي الزمزم مولد الالوان ، تنشر الطبيعة على بشائره اعلامها
في الارض فتكون طلائع البعث والنشور للحياة ومجالاً لقزعة
الناس وقرائن الملهين ، والالوان على صحتها وسكونها فصيحة
مترجمة بل ان ابلغ الشعراء وابرع الكتّابين لا يستطيع ان يصف
وردة باروع مما تصف به الوردة نفسها ؛ ولئن احصيت معجزات
الحائلي كانت الالوان في العنوان ، فكلم حار في مزجها المصورون
اذ ان عددها لا يحصى وكل لون اذا ضرب بآخر كان منه صباغ
جديد ، واقد سل سيف الالوان على وجه السماء فكان كدائرة
انتصب احد طرفيها في الارض وغاب الطرف الاخر في تضاعيف
الاجواء ، اما الوان هذا السيف الالهي العجيب فسبح في قوس
قرح ، كان علماء الطبيعة في عجب منها حتى عرفوها ونصبوها على
قرص ثم اداروه عجلان ؛ فبدا ابيض ناصعاً كشف لهم عن سر
الالوان ، فاذا الابيض مبدؤها ومتبناها ومنه مولدها وتعداها ،
فسبح ايها الانسان باسم ربك الذي خلق الاكوان وصنبتها
بالالوان

وداد سكاكيني - دمشق

قالت جدتي

بقلم احمد راسم

وكان جدك حينذاك يداعب الاخريات .
فبعد ان نظر برهة الى ثوبي الازرق ، سألني باسم :
« حقيقة يا رنجينول ، انك تكطين عينيك وتحضين شفتيك
بالاحمر ، وتطلين عنقك بالاييض ؟ »
فسأله جواباً :

« لم تشتري انت المساحيق كما فعلت من اجل اخواني ؟ »
وبينا كانت الاخريات يضحكن بالسر ، قال الباشا :
« ولكني اكيد من انك لا تستعملين المساحيق . »

وحينئذ

استل من جيبه منديلاً من الحرير الازرق ومنديلاً من
الحرير الاييض ونغس اطرافها بكأس ماء . ومسح عني ومسح
شفتي وعيني .

ثم أدار طرفه نحو الاخريات سائلاً :

« اين الاييض ؟ اين الاحمر ؟ والاسود اين ؟ »

والبن جميعاً صامتات . اما هو فاجتذبي اليه ، ونظر الى
الاخريات ، وطبع قبلة طويلة على عني وقبلة طويلة على شفتي
وعيني .

وكانت وجوه المسكينات البائسات تمتلئة كاثواب
بانفوخ .

وكان يودي ان استمحيهن عنراً

وفيا كنت اهم بالخروج ، هتف الباشا بالعبدة طنسوف :

« ان احمل الماء الى مخدع رنجينول . »

والمسكينات البائسات ،

كن أشد حنفاً من الشاطر احمد عندما حطم ساقه اذ سقط في

الكمين الذي نصبه للأميرة الصبية .

ويلاه ، كن أشد اصفراراً من الزعفران .

واردم بالرفيف من يرشقك بجحر

لان من يعمل قدر ذرة من الخير يجده .

وسأقص عليك ، مساءً ما ، حكاية الاميرة نظلة

احمد راسم — السوريس

Et Grand Mère dit encore: Poème de Ahmad Rassim

ترجمة غ . ر .

واردفت جدتي تقول :
هل لاحظت صديقة امك كيف كانت تنظر الي ؟
كما لو كنت اريد التهام ثوبها الجديد ! ولكن ، ما همني .
اذا رُشقت بجحر فارشقي برغيف .
عندما يشمخ الاسد يصبح سفرة الكلاب .
جاء هذا الصباح ، وفي ساعده سلّة ، خادم « دده العادل » الصغير
احب هذا الصبي ، لانه يشبه شها غريباً احدى نساء . جدك ،
تلك التي تفتني .
كنا عسرا
وكنت الصغرى بينهن . اكان من العمر سبع عشرة ربيعاً
يومذاك ؟

كانت تمزق الي كل مشكل ، لانني كنت جميلة ، وحاولت
اكثّر من مرة صم اذني بارسالها صرخات زاعقة .
وكنت امسك عن الرد عليها لانها كانت مثل امي .
ابنتها ، احسان هاتم اكبر سنّاً مني .
عينها سواويتان : زمردتان ، حبّتا غنب .
كنا ، يا بني ، عشر نساء .
وكل خنيس كان الباشا يقضي سهرته معنا بالضحك . كان
فرح المزاج . كنا نعبده جميعاً لانه كان حليماً وعادلاً وقوياً .
كنت اتقيب كل خنيس مساءً ، كي لا اعكر جو النسوة
الاخريات ، متظاهرة بالمرأس .

وكنت لا اشاهد الباشا الا ليلي ٧ و ٢٢ من كل شهر .

بينما كنت اخطط على آلة اشتراها لي خصيصاً من اوروبا ، جاء
من يقول لي :

« هاتم افندي ، ان الباشا يدعوك . »

جارة صديقي !

بشر سامي الكلباني

صاحب مجلة الحديث بمجلة

نفسى من هذه الجيرة الضيى . . .
آه . . . كلما جلست لآكتب - وصديقي الموسيقار شاعر ايضاً
- دوى في غرفتى صوت جاريتى .
اننى احسد الكتاب الذين يكتبون في عالم الصمت والهدوء . .
او على نفات من مقطوعات بيهوفن . . اما انا فما اشقايتى !! ويا
لشقاء البيت الذي تدير شؤون امرأة ضيقة الصدر ، تقيس الامور
على مفازات تفكيرها الضيق ، فاذا انحرف شي . طفيف مما رسمته
فهنأ الويل والشبور وعظام الامور . .
وبعد . . . اخيال ما اقصد عليك ام حقيقة . . . اتشكو ايها
القاري الكريم لما يشكوه جاري . . . اتنعم بالسعادة الزوجية التي
يكتب عنها الفلاسفة والمثاليون ؟ اين المرأة التي تحيل البيت نعماً ؟
المرأة التي تحب الرجل وبلات الحرب ، ولا تشغل في جوانبه
ناراً ذات حرام ! المرأة التي تطمان رغبات زوجها ونحوه على
اولادها ويتبع صدرها لتروات الجميع . . !
هذه شكواك وشكواي وشكوى كل انسان . .
او تطلب للمستحيل حين يزيد الحياة خيراً صرفاً . . الحياة
مزيج من الخير والشر . ولكن ما قولك اذا علمت انه اعتاد هذه
الحياة على ما فيها من ثقل تثير اعصاب امثالنا . . . قلت له وكيف ؟
قال اسمع : ما رايت جاري متظلماً قط ، وما سألته عن حاله مرة
الا قص علي تلك القصة التي ترونها الكتب القديمة . .
قلت : ما هي ؟

قال : « يحكى ان قوماً دخلوا على يونس - عليه السلام -
فاضافهم ، وكان يدخل ويخرج الى ما تراه فتؤذيه امرأته ، وتستطيع
عليه ، وهو صابر على الاذى ، صامت لا يصيح ولا يشكو ،
فتعجبوا من ذلك ، وتبينوا ان يسألوه ، فقال : لا تعجبوا من هذا
فاني سألت الله يوماً فقلت : يا رب ! ما كنت معاقبي به في
الآخرة . فعجله في الدنيا . فقال : عقوبتك بنت قسلان ، تروج
ها ، فتزوجت بها ، وانا صابر على ما ترون » . . !
وتابع صديقي طريقة دون ان يزيد شيئاً ، ولم اشأ ان اشير
عصبيته او انكأ جراحه ، ورجعت الى مكتبي اكتب هذه
الكلمة هدية الى كل زوج وان كنت ، والله الحمد ، لا اشكو مما
يشكوه صديقي ، ولا اقاى ما يقاسيه الكثيرون من الازواج .

اخذ صديقي ، وهو موسيقار ، يمدني عن جاراته التي تثير
اعصابه ، وتقطع عليه ، بصياحها المتواصل ، نشوة تلحين معزوفاته :
قال : انها امرأة جميلة ، غريبة الطباع ، حادة المزاج ، طيبة
القلب ، تشور فتغضب ثم تهدأ فترضى ، قد احب اليها فاتأملها
كثيراً ، وقد انفر منها فالوي وجيبي عنها .

وهي في جدال دائم مع زوجها ، امرأة تختلف عن
سائر النساء . . . قد اهلكت المرأة رغم ملاحظتها ، واهملت نفسها
او كادت ، لا تعنى الا بنظام بيتها ونظامته . وقد يحرقها هذا
المرض ان تكون في حرب مع جميع من في البيت ، فهي تصرخ في
وجه زوجها اذا وضع قبعته على الديوان لا على المشجب ، ونثر
جرائده على مائدة الطعام لا على المكتب ، وتقاتل اولادها الذين
يسبون سيرة والدهم في الغرض والاضطراب . . وتنفجر كالبركان
اذا اهلكت الخادم امرأ من الامور ، ويا ويل هذه الخادمة الصغيرة
اذا كسرت آنية من اواني البيت او فنجاناً من فنانين الشاي فبنا
الطامة الكبرى ، وعلى الصغيرة ان تزدي اللطم ، وياي بدل يوازي
ثم الفنجان غير ضربة ميمية ، فلتنقض عليها كما تنقض الراسخ على
العفوف ، ولتخطم العصا على رأسها ، ولتدق بها اضلاعها - هذا
هو الثمن البسيط الذي يجب ان تتحمله الصغيرة كل يوم مرتين او
ثلاث او اربع وقد تصل الى العشر مرات !

ويزداد الصراخ وتزداد الشكوى كلما اهل زوجها امرأ او
تراخي في جلب حاجة او صت عليها ، وقد يكون معذوراً - ونحن
في حرب - فلا تقبل العذر ، فهي معه في نضال مستمر وشكوى
من الحياة غير منقطعة ، وهي الى هذا في حرب عنيفة مع نفسها ،
فكيف لا تثيرها شعواً مع غيرها . . وشكواها من الحياة لا
حد له . ويا ويل الرجل من المرأة الثائرة ، اللزقة ، الضيقة التي
تنظر الى الدنيا بنظار اسود . . ومع ان الزمن يقوض صباها
ويحيل جامها القاتن الى شعوب فهي تقمل في نفسها اكثر مما يفعل
الزمن بها ، وكلها وقفت امام المرأة ورأت شعوب وجهها وهزال
بدنها حملت زوجها المسكين أثر ذلك . . !

قال صديقي بعد ان ارسل انة طويلة :

يا هذه الجارة المنكودة الخط . . ان الحياة قد انقلبت في
نظرها ججياً مشتتلاً . . . آشفق عليها ، ام على زوجها ، ام ارثي

بالاساطير اجسا الموج رفقا
تعب الشط من حديث الاوداي
غير حلم طفل الخناجين متاج
خفت حوله الفراوات في الفجر
وحنت حوله الدهور اسفات
على عالم من التمددين

على ساطي

بالاساطير اجسا الموج رفقا
بذهول الشعاع في الشفق الباسكي
بصدى عثرت رف على التاريخ
فالصيحات بعد ماتم اللحن

صيدة

سجدت عندها الالوهات فاختالت
اتلع الزهر كل جيد لمسراها
سبحت في صلاحها الاخضر البيض
سقاقت رنت اليها الفرائيس
وعنت في اراجح النساء البكر
فالضلال السكري تلم حديثا
بزهو الصبا ولين المجون
وبحت حناجر في الوكون
وذابت غدرانها في الرنين
فألفت ثناءها للعيون
حور تلفعت بالصنون
من شفاء المنثور والفسرين

لعل محمد شمس

بالاساطير اجسا الموج رفقا
خلف طبقتك الضباب اختلاج
فالسواطي طرويك الشب ما
وسطور الخلود سرها لم تحج
لشراع راخ وهزج سفين
مزت شال وشع وحي بين
الى غيرها من التلون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قف ثمل ، نفث ختم كتاب
موهت وجه « يونيا » وه اثنا
ذكريات غري فوجوه الدهر
لم في دفتيه سر القنون
وحبتها من سرها المكنون
ماجت بجاني تشجيتي

انا ابن اللهب العتيق قادي
بمذني هدأة من الحلم الاسنى
جرة الطيب في خرافاتي المذراء
انا اسطورة تبتش على الماضي
في ثراث يخضر رقم السنين
رغمي على العباب الامين
وحي لكل سفر مبيت
غرب الروى غرب الظنون

انا آتنت بالتعاونيد والسحر
انا عار لست وهج اسامي العفالي
تعتي تحت ريشي الشمس او تسبح
انما الله خلف اسطورتني البكر
هاك مجرا من الشعاع قادت
صتته من صدى لسان المذارى
واخلدت للروى في شوقي
في ظل وهم حنون
في قطرتي وهق يقي
مطلل بوجهه في عيوني
عليه بزورق من لغون
وابتهال الصبا ورف الجفون



مجدرة بلحدا

فلم رشاد المغربي دارغوث

البيت

اليوم في حركة دائمة . واهله يروحون ويمينون
بنشاط باد . وامي منهمكة باعداد الطعام ، منصرفة
عن كل ما حولها ، في جو من الدخان ، يتعقد في المطبخ ، بجوار
موقد الحطب ، كأنه هناك حريق اندلع لهيبه فراحت هي تذكيه
بين الحين والحين ، تدمع عينها ، ويتغلل الدخان وألوماد شعرها
المستقرس وثيابها الفضفاضة . واختي الكبيرة تجلس في الطست
ادوات الاستحمام ، بنظام معين : في اسفله (الجاطاس) الاصفر ،
ثم المشط العاجي ، فالصابون الطرابلسي ، والقرابة الجلدية ، وبعدها
الكل مآزر حمراء مرقطة كأنها جلد غر اغبر .

فالعية على قدم الاستعداد للذهاب الى الحمام ، بعيد الظهر .
وامي التي يتوجع عليها « تفصيل » تسعة اولاد ، بينهم اربع بنات
ترغب في الوصول الى الحمام باكرا ، لتتمكن من العودة الى المنزل
قبل حلول الليل . وان كانت جدتي وعماتي وخالاتي سيساعدنها
في مهمتها الشاقة ، بقدر ما تسمح لهن ظروفهن .

وتتكرر في البيت رائحة (المجدرة) ، وتصل الى الانوف
تدغدغها ، فتسيل الانفواء شوية وتلذذا بهذا الطعام الذي لا ندوقه
في المنزل الا « يوم الحمام » فالهدس زادتنا في تزهاتنا الى البستان او
شاطىء البحر امام « الاربعينية » ، وهو طعمنا المفضل في تلك
المناسبات ، « والصحن » الذي لا يمحى الى الموازنة البيتية نفقات
استثنائية ، تنو . تحت ثقلها ، وويلات الحرب الكونية في تقافم
مستمر .

وتعلن رائحة البصل المقلي في السمن الحوي نضح الطبخة :

فتنراكض الى غرفة المائدة افواجا افواجا ، حول الطاولة المستديرة ،
على مقاعدها المحدودة . فاخوتي يفضلون هذه المائدة على سواها من
الموائد المستطيلة التي تبسط في زوايا الغرفة ، لان الصحن عليها
اقرب تناولا ولانها المائدة التي يصل اليها الطعام قبل سواها . . .
وكان خلاف بين بعض اخوتي واولاد عمي استطاعت مريبتنا
ان تحله بشكل يرضي الطرفين . فجعلت هدى - اختي الطفلة
الخبيرة من الجميع بين الحصين ، همزة وصل ، ووساطة تقام .
ولجست امينة ، ابن عمي الطريف عن عين اخي الذي اثار هذه
المسألة في وقت كان البيت اخرج ما يكون فيه الى كسب
الوقت والانتهاء من وقعة الغداء في اسرع ما يمكن .

والواقع اننا تقدينا ، في ذلك اليوم ، قبل اذان الظهر ، بساعة
او تزيد . فالحمام يستقبل النسا . والامر بعد الظهر مباشرة ، شرط
ان يتنوها قبل صلاة العشاء ، على ابعد حد . فالليل للرجال ،
وكذلك الصباح والضحي حتى منتصف النهار .

وقد بلغ السرور من جماعة الصغار الذين ملاؤا غرفة (الموائد)
بضحيجهم الصاخب وضحكاتهم الزائفة ، حداً حمل امينة مقع احد
(الجاطات) ، وقد فرغت كلها ، على رأسه ، واخذ يرقص به على
وقع الملاقع ، تضرب ، على الخشب والصحن ، انغاماً موزونة من
جديد . مما دعا مريبتنا للسرعة الى امالة تلك الاواني من جديد
بالطعام الشهي وهي تضطرب خشية من تكسرها بين ايدي
هؤلاء الغافرات .

وقد لاحظت ان ذلك السرور قد سرى الى كل من في المنزل ،
حتى جدتي لامي ، في حزننا الابدئي على وحيدها الذي مات قبل
ان يولد انساناً سوياً .

تصنع له تلك (الأكلة) التي يفتقدونها بشوق واصرار . فلم تهتد الى نوع (الجدة) المرغوب فيه .
وقد سبق ان طبخت له جميع انواعها ، المعروفة . من (المحبوسة) والبلس حبوباً كاملة الى (المجروشة) و (المروثة) و (المرددة) وحسن يرددها في كل مرة :
« مش مجدة بلدنا . »

فزادت امي كية البصل المتلي بالسمن تارة وبالسمن والزيت تارة اخرى ، وجعلت منه على صحن حسن نصف ما اعدته للجموع من هذا (التابل) الذي تبث الشاهية راحته قبل طعمه ، ثم جربت مرة ثانية ان تبقي البصل في الطعام نفسه فينضج معه . وحسن لا يستسبح مطلقاً اي لون من تلك الالوان .

وكتفت التجارب ، وغررتنا صحن (العدس) حتى كدنا نفقد الذقة به ، ونجنب السؤال عن مواعيد التزهات ، بل ان فتاد حسن في شهوره الغريبة واصرار امي على قضاء تلك الشهوة في نفس هذا التيم المزور ، قد اعادنا علاقاتنا به الى سابق توترها .
فرحنا نزل به شتى انواع الاضطهاد ، يشجعنا سائر الخدم ، ويجرؤنا سكوت المسكين وصبره العجيب .

وحضت الايام بل الشهور ، طويلة مملّة فاجعة . فالجرب لا تنكبي ، وحشم الكركين لا يقف عند حده حتى يبيع رطل السكر بليّة ذهباً او رطل الرز المصري بثل هذا المبلغ الباهظ .
فعرمنا كثيراً من المأكّل اللذيذة ، وخاصة الحلويات (البيتية) وان استعاضت امي بالعسل والدبس عن السكر المفقود وبالبرغل والرز الحوراني عن الرز الرشيد الذي انقطع مورده .

واكسنا مع ذلك ، حمدنا الله الف مرة لاننا نتخلصنا من الجدة . . . الى الابد .

في هذه الاثناء ، اصبحت الاسرة بسلسلة من الاحزان ، كانت امي تحف من وقها في نفوسنا الرخصة باكاذيب بريئة تحجب بها عنا الحقيقة المؤلمة فتجنّبنا اذ نأسفنا عن جدتنا التي مضى زمن طويل على انقطاعها عن زيارتنا ، والاقامة بيننا ، اياماً من حين الى آخر :
« ذهب الى الحج يا ابني . »

او تقولون ونحن نقسال عن عمي الكبير الذي عدناه في مرضه ، وشاهدناه آخر مرة منذ شهرين - « سافر الى استامبول يا ابني . »
فنسكت حائرين لدعوة تترقب في عيني (المسام) او حرقه نكسر بها ، لا تطيقن قولبنا لتلك (السفرات) تعيّب كثيراً من نجب او نعرف .

الا ابو حسين - هذا الخادم الذي تحفنا به عمي ، مدير احدى النواحي ، منذ اسابيع ، بداعي فقر ذويه وحاجتهم الى المعونة - فانه كسب يكساد الدمع بنفجر في عينيه الما - وهو الذي عودنا في الايام الاخيرة ، بعد فقرة الرحشة الاولى ، ان يكون (مضحكنا) الاول ، ومحدثنا الذي لا ينقطع سيل ثرثرته :
فقلت له بلهجة الجلية :

« ولك يا يوسف . ليشك غظبان . »
فيفتح صاخباً ، ككل مرة ، على تكنيتي اياه ، ويتم محققاً :
« ما بردش . . . انا امي حسن . »
فاقول اننا بدوري ، والجماعة من حولي في اوج مرحهم الصياني :
« الحسن اخو الحسين . . . مش هيكي . »
فيفتح حسن فمه (غير المحدود) حتى اذنيه ويبدأ جلته التقليدية ، متعلماً :

« قلت لك هنجينة الف مرة وشوية ، الحسن مش ابو الحسين . »
فابادره بقولي :

« يا ابو حسين . . . انت بسين . يا ابو حسين . »
ويرقص اخوتي على التلمع الموقع ، ويبكي المسكين الا انني اردت هذه المرة ان اغسل جرح حسن بلفظ ما تعودت من هولاء الاشراذ الذين يحيطون به ، ولا يدعون فرصة تمر الا اسأوا اليه فيها دون ذنب اقترفه سوى هذه اللهجة التي تسببها ، وهذه الاشعار التي تبغني بها معطولة ، فعل (النواب) التناجات .
فقلت اليه ، وقد بلغ آخر لقعة في صحنه مع كثير من دموعه ، وقلت له :

« يا احسن . شوف انا مجبك . بس لا تقول (ابو حسين) بدلا من (اخو حسين) . . . ولا (ترندش) بالاشعار .
فيعدني حسن واعده بجريته و (كسر رأس) كل من يتجرأ على الغز . منه والسخرية به .

غير ان ذلك لم يجلب شيئاً من السرور والمرح ، فبقي من النهار ، الى نفس هذا الناشي . الذي كان في مثل سني تقريباً .
فجئت اليه في الحمام ، بين (موقعين) من مواقع غسل رأسي في احضان جدتي ، اسأله مرة ثانية عما به وعما يسبب له هذا الانقباض الذي لم نعهده فيه . فاسر في اذني ، بعد محاولات ومداورات ، قوله ، وهو يشرق بدمه ، ويمس انفه بظاهر يده :
« . . . مش مجدة بلدنا . »

فقد اخطأت امي فيما يبدو هذه المرة ايضا وهي تحاول ان

الى القراء

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .
- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .
- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الامكن التي لا تبايع فيها المجلة .

في الخارج :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

- الاشارة غير مضمونة عن اعداد المشتركين التي تقعد في البريد .

- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (مسا عدا الجزئين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وعن الجزريرة واحدة

- الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة ، وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجزر الاول والثاني من السنة الاولى . والثاني والثالث من السنة الثانية .

- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لا تنشر .

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ - بيروت - لبنان

الادارة

فبعد جدتي لامي خاتي الكبيرة ، ثم الثانية . وبعدهن عمي الكبير ثم ابنته الصبية الحسنة ، ثم زوج احدي عماتي ، فجاننا الحاج . وبتبع هؤلاء . واولئك عشرات ومئات كانوا (يسافرون) تارة الى الحج وطورا الى غير هذه الامكنة المقدسة السجدة . . . فلا يرجعون ايضاً . الا اننا كنا نتمنى في قرارة نفوسنا ان تتكاثر تلك الاسفار . . . فمخلصاً من الترهات . . . ومن ذلك الطعام الغنيض . وجاء يوم سالت فيه عمي المديرة ، وقد اجتمعنا عنده في القرية ، يوم هربنا من المدينة ، عن تلك الاسفار التي لا عودة منها . فيتضحك ، وهو يجّ دحان فارجيلته ويتلعلظ بفضلات طعام بين اسنانه الصفراء : - « ماتوا يا عمو . ما شفت ابو حسن . » والواقع ان ابنا حسن المسكين كان قد (سافر) بدوره ورأينا بعض رجال القرية يحملونه على الاعناق في شبه سرير خشبي ، ليلقوه في حفرة قرب البيادر ثم يطمرونه بالاحجار والأتربة . ولكننا لم نعلم ان ذلك هو الموت ، لان مربيتنا قالت لنا : - « جاع ابو حسن كثير ومرض . . . (فرزعه) في الارض . وسيفرغ . »

وقد املنا حقاً ، كما امل حسن نفسه ، ان يثبت ابوه (رحلاً من ذهب ، كاستاننا التي نلحمها ونلقها في التلهم قائلين : يا شحينة يا دمية . اعطينك سن الخبز اعطني سن الذهب . » وما ان اصبح حسن ان اباه قد (مات) حتى انفجر في ثورة من بكاء . ونجيب دامت ثلاثة ايام لم ينكف فيها عن اطعم صدره ورأسه كلها صراخاً ، وتزريق ثيابيه وتغير وجه نادياً مولواً ، باصرار وعناد فارتأت امي ، بعد ان اعيتها تغزية هذا (الناب الماهر) ، ان تضع حدا لهذه (المناحة) التي دامت في منزلنا - بعد ثلاثة اشهر من وفاة القيد - أكثر مما ينبغي ، وفوق ما تتحمله الاعصاب . ويتسع له تفاؤل النفوس .

وقد عدت مع عمي عند الظهر ، فاستقبلني - على مسافة من البيت - رائحة تفوح من جوانبه ونعم تردده جنبات المنزل ، وسط وضوء مرحة ، وضحكات صاخبة ، وتصفيق وهتاف . واذا بحسن بطر علينا حاملاً على رأسه (جاطاً) من الفخار ، وهو يرقص مردداً للحن . . . السعيد : - « مجدرة بلدنا . . . مجدرة بلدنا . » فحمدت الله . . . على هذه المصيبة . . . الاخيرة . واكلت (المجدرة بالبرغل واثيرت) بشاهية غريبة .

رسالة المغربي دارغوث

الورق النقدي

بقلم امين الغرب

تجارية عظيمة فشلت كلها وساقته الى اليأس فبات مجنوناً في سن الخامسة والستين . وأما جان لاو فولد بعد بارسون بثلاثة عشر عاماً . ولم يعمل وياه . بسل ذهب الى باريس وأنشأ مصرفاً كان نجاحه سريعاً . ولما مات الملك لويس الرابع عشر كان ولي عهده جان لاو . فسنحت هذا الفرصة لتنفيذ فكرة الورق النقدي التي كانت منذ اعوام تجول في رأسه . وأنشأ مصرفاً اهلياً اصدر الاوراق فاقبل الناس عليها اي اقبال . ولكن سرعان ما افلس المشروع وخسر الفرنسيون اموالاً كثيرة ، فوجد جان لاو من الحكمة ان ينادوا فرنسا سرا . وذهب الى البندقية في ايطاليا حيث قامر وخسر ومات في سن ٥٨ . هكذا زى للبعض عذرا في التطير بالورق النقدي لانه كان شوماً على الرجلين اللذين اخترعاه . بعد ذلك اخذ الناس يبحثون الورق النقدي ويعحصون اسباب فشله وسقوطه ليتجنبوها عند انشاء ورق جديد . اي ان مرض حب الورق تأصل في شرايين الهيكل المالي وصارت اعراضه تظهر خصوصاً أيام الحروب اذ يشد الافراد اموالهم في الصناديق تأهباً للاخطار المحتملة فتضطر الحكومات المحاربة الى تسيير دفعة العمل بواسطة الورق .

اما كيف يصنع الورق النقدي فلشكل حكومة اسلوب خاص تحفظ لنفسها سره . وقد اتفق لي ان كنت في مطلع هذا القرن في الولايات المتحدة ورأيت ما يمكن القريب ان يرى من مصنع النقد في واشنطن . وهو بنا . من اجل الابنية في تلك العاصمة المشهورة بغضامة قصورها الرسمية . فها انذا اصف ما رأيت وما علمت عما لم ار : يقسم العمل اجزاء على عمال المصنع المنفصلين بعضهم عن بعض فلا يعرف احد منهم مجموعته . وتؤخذ عليهم عهود قانونية وشرعية

الورق النقدي - اكثره الله بين ايديكم . ورفع شأنه في السوق - هو اليوم ، وكل يوم ، شغل العالم الشاغل . وحديثه المتواصل . وقبلما تشرق شمس وتغيب ، دون ان تمر ورقة منه على الاقل ، بين اصابع كل يد بشرية ما خلا الاطفال . ولئن يكن حاملاً على الغالب اقل من قيمته الاسمية نقوداً ، فهو يحمل بدون شك اكثر منها بمراحل ، جرائم ومكرويات . ولاسيما في البلدان التي لا تعني بتطهير المتواصل كما تفعل الدول الراقية .

يتمهم الاكثر من الحرب العالمية الاخير التي نشبت عام ١٩١٤ باختراع الورق النقدي . لكنها في الواقع لم تخلفه . ولم تكن سبب وجوده . كلا . بل اكثره وغرت به الدول العالمة . وقللت بالتالي قيمته الحقيقية . لان اصل الورق مبني على ان يقوم في المعاملات مقام الذهب والفضة . وما كانت الحكومات قبل تلك الحرب تطبع ورقة نقدية ما لم يكن لديها ذهب يعادل القيمة المكتوبة عليها موضوع تحت امر حاملها . اجل ان كل دولة اصدرت ورقاً نقدياً اصبحت احياناً بتقص في قيمته لانها اصدرت منه اكثر من الذهب الذي لديها . واستندت الى مساترجو تحصيله منه في الحين القريب . فخانها الحظ . وكانت نتيجة ذلك سقوط ورقها . ومع هذا زى الناس اجمالاً يفضلون الورق في المعاملات اليومية على الذهب والفضة لانه ، اسهل تداولها منها .

اما تاريخ الورق النقدي الحديث فيرجع الى القرن السابع عشر . اوجده رجلان من اسكتلندا . احدهما وليم بارتسون الذي اشتغل في انكلترا . والاخر جان لاو الذي اتخذ فرنسا ميداناً لاعماله . فوليم بارتسون ولد سنة ١٦٥٤ وكان اول من فكر في تأسيس « مصرف انكلترا » الذي لا يزال منذ مئتين وخمسين عاماً قائماً في طليعة دوائر العالم العالمية . وأنشأ بارتسون مشروعات

من ألف ورقة . وعند فقدان شيء منها أو متعلق بها تنف الحركة وينع الخروج من تلك الدائرة حتى يظهر المفقود . وبما يستحق الذكر ان هذا التدقيق والتحفط أراح بال الحكومة . فلم يسمع منذ اعوام كثيرة بسرعة أو ضياع في مصانع الورق النقدي .

ويجري طبع الأوراق باستمرار في الدول الكبرى . فالحكومة الاميركية مثلاً تطبع مليون دولار كل يوم من فئات مختلفة تعويضاً عن مليون مثله يتلف بين الايدي . وعند فوز الأوراق توجد منها واحدة في المئة تعديلاً غير صالحة من بعض الوجوه .

فترسل الى حيث تقس من الحبر وتطحن وتعين وتحول الى « كروتون » للبيع . وفي البناية اضرأ . كهربائية خاصة تقل فيها الاشعة البنفسجية فلا تؤذي عيون العمال المحدثين الى الأوراق ليلا .

اما الأوراق الصالحة فتندر عليها بعض الادهان والمساحيق تبلورها وتحفظ الحبر من العوامل الخارجية وتطيل عمر الورقة بضع سنوات . ثم تؤخذ الى غرفة حارة لتجفيف هذا الدهن . ثم تصقل بأبراشها بين ملاسات (محادل) كالتي تصقل الفولاذ فتخرج لامعة كالمرآة وتسير صالحة لتقيل ايديكم .

ولما كانت الآلات الحديثة قد جعلت تقليد الالوان سهلاً اجتمعت الدول قاطبة على تدارك التزييف في الورق النقدي بوسيلة جديدة تنصفر في الورق . فامركا تدخل بين الياف ذلواتها خيوطاً من زئبق أو زئبق بالمالايب لا يمكن تقليدها الا باستخدام آلات ضخمة يستحيل اخفاؤها عن عين الرقباء . لكن الحكومة الاميركية تطبع كل الفئات في أوراقها النقدية من حجم واحد . فقدرت أن المزيفين قد يأخذون ورقة الدولار فيفسلونها بمواد تنحو الحبر عنها ثم يطبعون عليها تقليد الخشبة أو العشرة أو الخمسين أو المئة . فتلافت ذلك بعمل الورق لكل فئة مختلفاً عن سواه . مع رقم مخصوص يدخل في العلامة المائية الفارقة المصنوعة بها كل ورقة . وهكذا يسهل اكتشاف التزييف ان كان فيها .

ولا ننسى خصوصاً ان في فروع الخزائات الحكومية والمصارف الكبرى في اميركا وانكلترا وفرنسا آلات مخصوصة لغسل الورق النقدي وتنظيفه وتطهيره كل يوم من الادران والمكروبات العالقة به من الايدي والجيوب ، وإعادة رونقه الاصلي اليه . وعملية التنظيف هذه التي يشعر كل انسان بالحاجة الشديدة اليها تكلف الحكومة بعض المال . لكنها عملية واجبة حكيمة تنجي الاهالي من اخطار صحية جسيمة .

امين الغرب

بعدم افشاء شيء مما يعرفون . وبعد صنع الورق المعد للطبع يحفظ في مستودع خاص ريثما يمين موعد طبعه . فيؤخذ الى آلة ترحبه قليلاً حتى يصلح لقبول النقوش المعدة له . ثم يدخل الى قاعة كبيرة يشتمل عملها في توزيع الحبر الخاص على قالب بعد اخر من القوالب الجديدة التي ترم على الورق . وهي عملية شاقة كما ان تقليم المطبعة يقتضي عناية كبرى . ولكل طباع معاونة من البنات . وهن تعلمون لماذا من البنات ؟ لكي تقوم اناملها الحكيمة بالأعمال اللطيفة ، التي تعجز عنها ائمال الرجال الكشيقة .

كان في الدولار الاميركي ١٩ شكلاً . فكان يطبع وقتئذ على ١٩ قالباً حتى يصير دولاراً . ويطبع العمال اولاً قفا الأوراق . ثم ينقلونها الى محل التجفيف حيث تبقى ١٥ يوماً كي « تنضج » على ما يقولون . ثم تعاد الى المطابع ليجري مثل ذلك العمل على وجهها بعد ترطيبها . ثم تعاد الى محل التجفيف الاول حيث تبقى المسدة المعينة فتتضج نضجاً نهائياً . ويصير منظرها الجذاب يسبي العقول ويأخذ مجامع القلوب .

وقد ذكرنا القوالب . فاقول ان لكل شكل من الاشكال الورقة التسعة عشر قالباً خاصاً من الفولاذ المطل كان في اليد يملب من لندن . ولا تستعمل الحكومة القالب الاعلى للطبع بل نسخة عنه . والحكمة في ذلك ان الحكومة لا تزيد الوقوع هي نفسها في خطر التزييف وتزييف النقود جرم عظيم في كل مكان . فالقالب المستعمل للطبع لا بد ان تضطلع نواته قليلاً او يعرض له ما يتغاف من بعض النواحي فيصير مستصعباً صنع غيره بشكل غير مختلف بناتاً عن الاصلي . واول تغيير في شكل النقد يعمل غير النقد الصحيح . وبالتالي مزيفاً . اما النسخة المسأخوذة عن القالب فاذا اضطلعت او تضررت هان صنع سواها بوجود الاصيل .

اما قاعة المطابع في واشنطن فيها ألف عامل يشتغلون ليسل نهار متناوبين ٣ مرات الى كل فريق منهم يشتغل ٨ ساعات . وعندما يوقى برزم الورق النأ القأ تمد ، وكلما اخذها عامل اعطي بها وصلاً . وهذان العد والاشعار بالوصول يتتابعان الى النهاية . ولا يأخذ المطابع كل مرة الا القأ معدودة . ويعيدها بعد الطبع معدودة . واضاعة ورقة واحدة تستوجب الطرد فوراً من الخدمة مع التفتيش الدقيق المتسارع من البوليس السري . ولا يطبع المطابع مع معاونه الفائة الاخمسمة في اليوم على جهة واحدة . ثم يرسلونها ينتهي التحفظ الى غرفة التزقيم . فيوضع رقم كل ورقة عليها . وتعد المرة الاخيرة . وهي المرة الثلاثون . وتجمع في رزم

التقدم والثقافة

بنف نيم بزك

ان

حق التقدم هو مشترك بين الناس من غير تمييز او تفريق اما تركة التقدم فقد تكون منحصرة بفرد دون الاخر او بجماعة دون سواها لأن هذه التركة لا تقوم الا في الشعوب المتحضرة او الجديرة بالحضرة التي تتطلع الى المستقبل ، فالبرائة لا يدركون معنى التقدم لانهم لا يتطلعون الى المستقبل غارقون دائماً في عتبات الماضي منهمكون دائماً بشاغل الحاضر .

هناك ثلاث حلقات متأسكة في سلسلة واحدة التقدم والمدنية والثقافة بحيث يرى الناظر ان فكرة المدنية ترتبط بالتقدم وفكرة التقدم ترتبط بالثقافة .

وانا على نسبة هذا الارتباط ودرجة متانته تقف الدول موقف الحركة والتطور او موقف الجمود والعتو وبعبارة اخرى ان عوامل الرقي والتحرر تقوى او تضعف في الامم والشعوب على نسبة مسا يظهر من توثق او تراخي في هذا الارتباط بين المدنية والثقافة . وما لا ريب فيه ان تركة التقدم تختلج في نفوس العرب عامة والبنانيين خاصة وقد اتخذت اشكالا مختلفة في دوائر حياتنا الفكرية والاجتماعية غير ان اصحاب الثقافة المنورة ياذرون ان تبقى هذه التركة في نطاق ضيق فلا تأتي بالنتائج المرجوة ما دامت غير مقترنة بثقافة تتميز بالوصاف واهداف معينة في غير الكلام المنق يصيغ منمقة كنتك التي تجري في الاندية والمحال وتتردد في الصحف وعلى المنابر وتقع موقع السحر من نفوس الذين يملطون بدون تمييز العلم بالثقافة والمتعلم بالثقف .

ان لنا في هذه البلاد تراثاً ومدنية وثقافة تراثاً يحتاج الى تدعيم

ومدنية تحتاج الى قدين وثقافة تقتدر الى تثقيف وتوجيه . واذا خرجنا بالثقافة من افقها التدريسي المألوف الى آفاق الحياة العامة نجد ان الثقافة تنطوي على معان ومهات ترمي الى اهداف متصلة او ترقى اتصالاً بمسائل النهضة القومية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية . ويبين لنا ان اول هذه الاهداف ينحصر بالاصلاح والتجديد وعبادة الحرية .

فالثقافة التي لا تقتصر بحسب الحرية وتقدير الكرامة في مظاهرها الشخصية والقومية انما هي ثقافة مزينة تخدم انانية الفرد والحياة الفردية غير مكفولة لانانية الجماعة ومقتضيات الحياة المشتركة .

واثن كان الغرض من العلم كما يقول العلماء معرفة الانسان نفسه ومعرفة المحيط الذي يعيش فيه فلا شك ان الثقافة تنطوي على المعنى ذاته بل ان التطورات الفكرية والسياسية قد وضعت في نطاق اوسع ونقلتها الى حدود اعم واشمل تتجاوز التفكير الفردي المقصور على التنقيب والاستقصاء الى صميم الحياة الاجتماعية بما يقوم فيها من قضايا وعل ومشاكل تتجدد مع الايام وتتشعب في صور مختلفة . مما يستتبع القول ان للثقافة معنى اخر غير المعنى الذي الفته الاجيال السابقة وناقله نحن اليوم لاننا تستهدف غاية اخرى هي الغاية التي اجمع عليها اهل الفكر القديم وفريق من اهل الفكر الحديث ولا تزال نحن نتبع بعامل التقليد على الغالب خطوات السابقين واللاحقين في النظر والفكر وكيفية توجيه قوتنا الذهنية . وهكذا لم يكن لانتشار العلم فينا تأثير كبير في حل المشاكل المسيطرة علينا .

هذا ومن الثابت ان الانقلابات السريعة التي نشأت على اثر

والخيال الاصحي .

وكذلك الاتجاه الى النهضة والتجديد والاصلاح فان اصحاب الثقافة الذين لا يتبعون هذا الاتجاه ولا يتقيدون بمعالجة الثقافة واهدافها الحديثة يكونون في الواقع غارقين في الانانية يسخرون العلم لخدمة الشهوات الخاصة . سبق القول ان فكرة التقدم والمدنية والثقافة هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة ونتمنى ان ينفصح مجال التقدم امام اللبنانيين واسماً لاسياً وانهم الذين حملوا مشاعل النهضة في الشرق العربي فاناروا سبل هذه القفلة القومية والاجتماعية التي رفعت قضية الشرق الاوسط بما فيه لبنان الى مراتب القضايا الدولية .

اني اربأ بنفسي ان اتساءل هل نحن مثقفون ونحن في بلد عاصمته بيروت تتبعه مجامعتين كبيرتين ولأن استطيع ان اقول بالصراحة ان ثقافتنا لم تتجه حتى الآن اتجاهاً كافياً الى الاصلاح والتجديد وان قوائنا ذهنية لم تندمج بشاكل مجتمعا التي يبدو مضطرباً على اسسه ولم تنصرف انصرافاً جدياً لدعم هذه الاسس . الحق ان تنمية بعض مشاكلنا القومية والاجتماعية على الوجه الانسب انما هي بحك لاظهار ما بنا من حيوية كاملة وثقافة صحيحة واستعداد التقدم والاستقلال ان للدول والامم والشعوب عناصر مختلفة في بنائها الفكري والقومي ونحن نود ان تسكن بلادنا بقوة الثقافة من التحلل العنوان الذي ينطبق على حقيقة امانيها حتى لا تظهر في ثوب مستعارة ولا يختلف الكتاب عن عنوانه .

نسم بربك

تطلب الاديب في مطلع كل شهر من المكاتب الشريفة :

في لبنان - سوريا - العراق - فلسطين - شرقي الاردن - مصر - السودان - الجزائر - تونس - مراکش طهران - اديس ابابا - لاغوس - ايا - ليوفولفيل نوميا - اكرا - باتورست - يوغوتا - نيودهي جوهانسبرج - لندن - اوٹوا - نيويورك - واشنطن مكسيكو - لاهاغان - ريو دي جانيرو - مونتيفيديو

الحركات الصناعية والاقتصادية وما تبعها من عقائد سياسية واجتماعية قد فتحت ابواباً كانت مغلقة من قبل ووضعت على بساط البحث تحت انظار رجال الحكم والفكر جملة قضايا ومساائل دقيقة بحيث يستصيحي عليها الى الحكم اذا ما يتناولها اصحاب التفكير والثقافة بالنقد والتمحيص والمعالجة . وان هذه التطورات قد خرجت بالثقافة من دور الادب الخيالي والتفكير المجرد المستقل عن امور البيئة ومشاكلها الى ادوار التحليل في الحياة العامة والاستنتاج حتى اصبح هدف الثقافة الاتصال المباشر بالجمهور لاصلاح ما فسد فيه وتقويم ما اعوج واقرار الحياة القومية على اسس ثابتة باختيار الاساليب المؤدية الى الاستقرار . وعلى هذا القياس لم يبق للثقافة من تعريف في نظر العلماء المجددين في هذا القرن العشرين سوى انها قوة ذهنية متجهة الى التكوين والاصلاح اتجاهاً جوهرياً متزايداً بحيث ان الكاتب او المفكر او الشاعر لا يكون كاتباً او مفكراً او شاعراً بالمعنى الصحيح اذا ظل متروكاً في برجه العاجي عن المحيط الذي يتسبب اليه مستملاً للعقل الخيالي والتفكير المنفصل عن قضايا المجتمع ومعضلاته فكثيراً قد يعلق لصاحبه حيزاً من الغبطة المسادية او الوحانية فيكون مثله مثل الطبيب الذي يدرس الطب للاستزادة من المعرفة لا لمعالجة المرضى والقضاء على الجرائم .

وانما الثقافة المتقنة تقضي على صاحبها ان يندمج اندماجاً شاملاً بمشاكل البيئة التي يعيش فيها وان يستخدم قوته الذهنية ومداركه كقوة محدثة مجددة ترمي الى تكميل الفرد وتكميل المجتمع وتدل على مواضع الخطأ ومواضع الصواب فيه ولا تتجاهل الملل والصعوبات والمفاسد بل تجابهها وتختار لكل منها العلاج الملائم . وقد كانت الثقافة من قبل وقد تكون اليوم في نظر فريق ضئيل من اهل العلم عبادة عن قوة فكرية تغزو الجهل في جميع نواحيه وتبحث عن الحقيقة لتضع الخطأ المؤدية الى الارتقاء والسعادة في اشكال مبادئ ونظريات لين الا ، من غير ان تندمج اندماجاً مباشراً بمشاكل النظم الاجتماعية والاقتصادية ومن غير ان ترسم صوراً واشكالا عقلية تنعكس فيها حاجات المجتمع وآماله وآلامه . ومع هذا كله نستطيع ان نخلص الى القول ان ثقافة القرن او ثقافة الجماعة لا تكون صحيحة كاملة على الغالب الا اذا توافر فيها شرطان اساسيان هما حب الحرية والتضحية في سبيلها لان في الحرية تجتمع الكرامة الشخصية والكرامة القومية وعليها تقوم فكرة الاستقلال واليه تعود حركة السير في مسارات التقدم

الانسان الهازل

بقلم ربي الحاسني

استاذ الادب العربي في جامعة دمشق

لو كنت أقول « بالدرونية » ، لوعت ان الانسان خلق هازلاً . اذ كان جده الاعجم قد ميّزه الخالق من سائر الحيوان ؛ بالهزل والمرح ؛ والضحك .

أفلستا نراه اليوم ؛ مشغولاً بالتروان ، لا يكاد يحتويه غصن ، حتى ينشب يديه او رجله في غصن آخر ، او يلف ذنبه على عنق من الشجرة ؛ ويتبدل وهو كاشتر هازل .

ولو صح هذا الحلم العلمي ؛ الذي يزعم صاحبه انه كان فيه غير هازل ، لوجب ان يكون قد تصرم حين من الدهر على الانسان الحيوان ! كان فيه بين الهزل المحض ، والجد الجديد . ثم هو حين نفا الزمن عن بدنه الشعر الامعز ، وخلع عليه نضارة ابدان البشر ؛ دخل في جسد من امرء . وظل هزله يعاوده عند طوبه يومئذاته ، وتهكمه ومجائته . وقد تحافت عن قبول هذا الرأي القائل ؛ حفاظاً على أصلي ، وقد كرم من آدم . فقلت يهزل الانسان منذ عرف الجد اليه السبيل . وصورت الى حيرة سفسطائية . فسألت نفسي ما الذي ولد قبل الآخر في الدهر ؟ اكان الهزل ثم اعقبه الجد ، ام جرى التقيض في شعور المرء منذ شر .

وعدت الى آدم في الجنة ، فخيّل الي انه كان وحده يرحل في ظلال النعيم . وهو احسب لا يعرف البشر الهالكون . وقد طفق الخلق يرى جاداً أو هازلاً ؛ مذ هبط على وجه البسيطة ، فاستراح بهوله الباسم ، ومن وعده الجد العابس ، وجعل يهزل في شؤونه وشجونته . هزل في الحب فافسد بالهزل خلجات القلوب ، ونشأ الغضب القاتل ، وعروق السم المميت . عاشق هازل قتل بهزله المحبوب فكانت الهيته الافتدة التي اشقاها الجد ؛ وغرها بالحلب لللب .

وانفتح كتاب الانسان بصفحاته البيض ؛ فسودتها ايدي الهازلين . فتقضت بالهزل وعود مقطوعة بالجد على الدمة ، محزومة بالحزم على الارادة .

وانقسم الهزل في بواد الطباع الى حلال وحرام ؛ فغاضم الاول النفوس التي صانها العقل عن مزاج الزلل ، وكان هزلها لماماً واستجلاً . وخاطب الثاني سجايا الماجنين واهل الضلال .

لكن ؛ منذ الذي فطر على الجد كله ؛ فما عرف لهواً ؛ ولا لم يلبع . احسبني لو دلت على واحد هذا شأنه ؛ لرأيت هازلاً وهو ضبي يفة . كان مع لداته يور في هزل ، ويوج في لعب ومرح . والحياة يستأن ناضر فد انبسطت على جنباته البوادي القاحلة . وفي حال الدنيا سرور وحزن ؛ وضحك وبكاء . وفيها آلام وملذات . فيبني ان يكون فيها الهزل وهو ضرورة محتومة للجد . والضحك يظهر حسنه القصد . ولولا الدمع لما جل الوسم ، ولقد يكون هزل الانسان جفاً . فلا يغني . وقد يظفر فيضفي على الشعر والادب بالبهجة والتغني .

افلم تكن طريقة القدامى آثار الهزل في آدابهم . من بندار واورييد وسوفوكل ولدت ملاعب الدنيا ؛ فكانت للناس سلاوى . تسلمها موليد فطاف بها من عصره الى اليوم ، تتل نوباتها في ملاعب الحياة ؛ ومسارح العقل ، ويرى النظارة من خلالها حقائق الجسد . صاح « هارباغون » وهو ممسك بيده اليمنى يده اليسرى ، حاسباً انه قد أمسك بسارق في ظلمات داره :

— ادر كوني ، انقدوني ، لقد قتلت لقد سرق مالي

فكان في صيته جد البخل . وكان في شخصه مزلة البخل ؛ التي ابدعها ابو المسرح الفرنسي طرفة الدنيا الادب ، وكأنها انفس

آثاره الهزلية .

هكذا أصبح الهزل عند الانبياء أدباً جديداً ، ودرساً تسمع اليه الجماعات ، فيجزئها وهو يضحكها ، ويسليها وهو يؤذيها . فليس به قياد النفوس الجاحقة ، التي تقطب حواجبها النصيحة ومال سواد البشر الى الهزل كل ميل ، وانحرفوا عن مشاكلة الجد ، فكأنوا وهم لا يزالون ، يخلعون بالمضحك والملاهي . ويعرضون عن اضدادها . حتى بات للهازلين اللاهين من الشهرة ما لم يحلم به اساطين العلم . فهل عرف كل الناس كلود بيرنار ولافوازيه والرازي والرنيس ابن سينا . لكنهم عرفوا جميعاً شارلي شابان ذا التشخيص . وامتلأت اصنامهم وعيونهم بلوريل النعيف وهاردي السمين .

ولم يكن الهزل في سبجاي الانسان بهزل عن الفلسفة . فقد كان إمام الهازلين من اهل الحصافة الحكيم اريستيب . وشد ما بعد الشقة بينه وبين معلمه سقراط . كان ذأبه الضحك والمزاحه وما عرفه احد جادا . حتى قال له افلاطون :

— يا اريستيب ، من كان مثلك استوت عنده ثياب الصعاليك ، وخلع الملوك .

وكان ديوجين الزاهد اذا رآه ناداه : — أيها الكلب الملوكي

لقي اريستيب الهازل عتاً ومرارة ، فكان يتحملها بالضحك . وحين بصق الملك ادونيس في وجهه اجاب ببقته ، رفدها بابتسامه ، فقليل له ما ذلك فأجاب :

— ان الصائد ليحتمل الليل والعذاب في سبيل اصطياد سمكة . فما بالي لا اتحمل بصقة على خدي لاصطياد الحوت الكبير .

وقد حدا به هزله الى ما ينبغي للهازلين . فكان بطيئاً شرها ، مؤثراً للذة ، مرححاً مبذراً . وكانت له معشوقة من الفاجرات ، شغلته عن زوجه وولده .

كان فيلسوفاً في صميم هزله . فقد غضب الملك على احد الامراء ، ولم يقبل به شفعاً . فجتا اريستيب على قدمي الملك ، واخذ يقبلها وهو ضاحك ، يرجو سيده المغفر عن الجاني . ففعا عنه . فلامه كاشحوه فاجابهم :

— لا لوم في ذلك علي فانا اللوم على الملك ، اذ وضع اذنيه في قدميه .

وسرى مذهبه في الهزل على أهل القديرون . وهي مدينته الاولى . فاصبحوا في مزهم يمزجون . يقولون ان الذة فضيلة تطرد الآلام . وان السعادة الابدية هي اجتماع انواع الذواقت والشهوات وقد اورد اريستيب هؤلاء هذا على ابنته التي صارت اما فيلسوف هازل كجده ، الا انه زاد على هزله الاحاد ، فكان جزأوه المثلث

هكذا لقد اضر الانسان الهازل هزله في حالي الجهل والعلم . وقد عجت للجاحظ وكان يؤثر الهزل في عيشه ، والنادرة في ادبه ، حين شهد على ابن المقفع بان علمه اكثر من عقله وكيف يكون عبدالله اقل في العقل من علمه ، وهو الجاد ابداً ، الذي يقول :

اجعل غايتك الجد ولا تعد ان تتكلم بما كان هزلاً ، ولا تخطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جدلاً . فان خلطت بالجد هزلاً بهجتته وان خلطت بالهزل جدلاً كدردته . ثم التمس مؤلف كتابه ودمنة مرنلاً للهزل في ادبه الكبير . اخرج سبيلاً في تعليم التهكم فقال : غير اني قد علمت موطناً واحداً ان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل ، احببت الرأي ، وظهرت على الاقران . وذلك ان يتوردك متورد بالسفه ، والغضب ، وسو . الحفظ ، فيجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع ، وطلاقة من الوجه ، وثبات من المنطق .

قلت والهزل وان نفع ، فنفعه مقرون باستخفاف الناس . لانهم قد اصطلحوا على احترام ذي الجد ، ولو كان خفيف الاحلام . وآتفقا الزاوية بالهزل ، وان بك راجع العلم ، لودعياً فيهما . ولقد حفظ ناس من نوادر الشاعر العظيم ، حافظ ابراهيم ، ما يكون لهم تسلية ومجلبة للضحك . وجهاوا شعره وآثار ادبه . وقد استغنت القوم في عصرنا الروايات الهازلة ، يقبلون عليها متراحين . وهي لا تخلو من وعظ ومغزي . غير ان جدها القليل ، ضائع في هزها الكثير . وخير الناس من قد اخذ بافويق الجد ومبايع الهزل فصحه فيه ان اقول من شعري :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| وما الهزل الا آفة الجد في الورى | وما الجد الا نقمة الله والهزل |
| فان تنوسط فيها كنت غافاً | وصرت كن قد فاز بالعلم والجهل |
| فرحت بدمج الناس بمدوده عزهم | ويا حبذا من راح بالدمج والهزل |

نكي الحاسني — دمشق

جوى قبرة

محمد مجذوب

طرطوس

حنائك لا تحيي أذاي ولا ضري
حنائك لا يثفق جناحاك رهبة
أحذراً وفي جني ياطير للورى
أراك هذا الحل ينأى تحته
وخطو يشير الارض لولا ندوة
وسورة أنفاس يكاد زفيرها
فدلت اطراف الجناح تحفزاً
وقلت، وقد أسرفت، : ياغ من الورى
حنائك : بعض الظن إثم فما انا
حنائك : لست المرء يطلب يسره
سلي دقائق النور في مائع الضحي
سلي خفقات النجم في لجة الدجى
سلي عرف هاتيك الازاهير في الربى
سلي الوادي التشوان بالعطر والندى
سلياً فن قلبي على كل نفحة
سلي عن أغاني الحياة فلم يزل
لئن أخفتها قسوة الدهر حقبة
فقد يحرس الطير الحليس وملوكة
وددت لو نقي جارك العمر كلمة
نضو عيني برباك قسوة
ويسقي في الحقل ظلك عابثاً
والنعم تحت العش في حضن مضجع
فراشي فيه العشب غصاً مهداً
ومن ورق الدفلى علي غلالة
... منى من تهاويل الخيالات حاكها
حملت بها في سكرة الدهر برهة
وممت بذكراها وقد حال بيننا
أعدت الى القلب المحطم طيفها
وأنسيتها أوجاع دنيا هوت بها
طلعا في مغانيها الدمار وصوت
فضلي جفوني المغضات تضمها
ولا تقسدي بالشك نشوة حلينا

فما أنا ذو ناب ولا أنا ذو ظفر
ولا ترمي عيناك بالنظر الشرر
وللطير دنيا من روى الحب والشعر
مطاي فلا ينفك يتجده صبري
ذرتها على ميت الثرى أدمع القطر
يسيل شعاعاً في لوافحه سحري
وأمسكت خوف الفائنات عن القفر
أخو شرك يطوي الضلوع على مكبر
ودنيا الورى الا الغريب مع السفر
بالأم مخلوق سواه على عصري ...
سلي الشفق المغني على أذرع البحر
وعريدة الاسحار في بقطة الفجر
وهيمنة الصفصاف في عدوة النهر
يطل عليه السفع بالحلل النضر
بها أثر يروي المكتم من سري
بسمها رجع مسن النعم البكر
في النفس لمن عز عن قسوة الدهر
حين يمز الروح للأفق الحر
أذود بنفسك عنك عادية القدر
وتسكنني نجومك في البكر الحضر
فأقفز فوق الشوك في اثره أجري
يسيل عليه الطل من أكؤس الزهر
وتيراً ولكن الوساد من الصخر
تقي جسمي العساري أذى البرد والحر
صناع من الوهم المجنح في صدري
فلما صحا جفت روائي من الدهر
غياها من ليل الحقيقة والفكر
جديداً فقاد السحر في دمه يسري
زعازع تذرو الموت في البحر والبر
مفاتنها، رغم النهي شهوة الشر
قليلاً وخلي الطيف يلبسه تيري
فما هي الا فتنة ثم ... لاندري !

من ميزات الادب الحقيقي الرفيع وقل ان اتانا التاريخ القديم والحديث باديب استحق ان تطلق عليه لفظة الكبر ولم يكن كرم المدن خصب الميث زخرف البنيون ولو جئنا بالامثلة على ذلك لضاق بنا المجال فاجتزئى عن الكثير الذي لا حد له بذكر اسدين عظيمين يران في الان وهما فكتور وهو الذي تقع موفاته في ٨٢ مجلدا وبذلك الذي تقع « الهزلة البشرية » وهي واحدة من الف في ٩٩ سفرا ، براك الذي قضى الحياة والفلم في يده . . .

المحب في ادب الادب واريد به الموهوب دليل على قوة الروح وغناها واضرابا بل هو نتيجة حتمية لتلك القوة ولذلك الفنى والضراب فكيف لا يرسل البركان همه تتدافع في الاجواء وهو البركان ، وكيف يكف القلب عن نبضاته والحياة فيه صخابة جياشة . . . ان الاديب المحالم يصفه لذلك لا يطالع عليك بالكتاب تبعه براعه الا بعد ان تمر عليه السنون وهو رجل فقير في الادب ذو درجات ضئيلة مدودة اذ لو كانت نفسه ترتفع بامواج الوحي والالهام وكانت ارضه مرمصة بالجواهر والكنوز وكان افقه غاصاً بالكواكب والنجوم والمجرات وكانت له ارحام لا يمكنه ان لا يلد المواليد الروحية يقع منها العقل في سلسلة لا تنقطع حتى يتقطع حبل البقاء . . .

اجل ان الاديب اذا كان حقاً من الموهوبين يصعب بل يستحيل عليه ان لا يكون سخيًا جوادا ذلك ان في طبيعة الموهبة ان تنشر صحائفها الصفحة تلو الصفحة ، فلا تنطوي على نفسها في كتاب مقفول بل هي البنيون وكيف تتخيل الشيء ينبوعا اذا كان لا يتدفق . ان المواهب كوكوس دهاق تخلق طائفة بالخمر لاحا من مظاهر كرم الله وخاته فلا يفرض معها الشح ولان ما فيها امانة حدتها الموت يودعها الخالق لتؤدي في سبيل الخلق بل هي نظرات الرضى الالهي انمتت عما عين الله على عباده المصطفين فلا يسهم ان لا يشقوا حجب الليالي بالملامين من الاشعة يوزعوها في رحاب الدنيا هدى وضاء للعالمين .

واعجب ما في الامر ان يحسب الاديب الموهوب مجال الانتاج صيقاً عليه وان يحار في ما يكتب مفتشاً عن موضوع يحيط عليه بقله فهو لو نظر الى ما فوقه وما تحته وما حوله وسر اغوار نفسه وانغدر الى اعماقه لراى في صور السماء والارض والطبيعة والنفس ومشاهد الدهر والناس وغير التاريخ والزمان الشفاء واوتار وانغام الالهي مادة روحية لا تسعها الفرائس ومجالا تنضيق عن استيعابه هذه الحياة الصغيرة الضيقة وان فتح في كل جدار من بكاتب جديد ان المرأة وحدها كتاب كل كلمة فيه كتاب اذا تناوله الفن وكبت ولكل صنعة الالفاظ التي الفناها وفي كل غابة من غابات الوجود من متبسات الارض قرطاس . . .

وبعد فان هناك الحافظ الاكبر الذي يدفع منها وهو قصر الحياة فقد ياتي الاجل اذا اعطى الكرم وبذلك يكفر بنسبة الله ويغفر الاسئلة ان الاديب الشرقي رجل كسول بني في وقت ان تفتح كتاباً لكاتب اوردى او اميركي الكسل وما هي اسبابه . . .



قد يكون في هذا الكسل كسل الفنى الذي يولد غيباً فلا يجد في نفسه حافظاً يحفظه الى العمل او كسل الحسناء تعرف انها جميلة فتفتني يومها حالة تنكئة على وسادة من حرير . . . وقد تكون له اسباب اخر من فقر يحول دون تحقيق ما تنوق اليه النفس وفساد في البيت وحسد يلبطان الهمة وينشئت بها القلم ومطلوثة في الماهير لم تفل قاتنها بعد الى حيث ترى الموهوب المحلق في سموات الخيال والفن ، وروح في الصر طفت معه موجة المادة بحيث لم يعد للروحانية عرشها القدم ومثلا الاعلى ، وصفت في الارادة بعيد الشرقي عن ذلك النقام والترتيب اللذين عرف بها الغربي في كل حفل من حفول حياته الروحية والمادية وهما الموهوب نفسه وضعت ثفته جا وشكته في موهبته او اقتدائه باثنان زهير من ابى سلمى وقد انطوى يومه وفنوى الذي كان يشد الكمال في الانشاء، والكلال لله . . .

تلك حواجز قد يموت بها الموهوب والناس لا يعرفون من امره شيئاً او لا يعرفون الا بعض الشيء. تبقى المحور في الدنان يشرها التراب وقد خلفها الله لتسكب في كوكوس الاجيال خضيف جا روحانية الى قيادتها اوتارا جديدة والانسانية الى اكليها غارا جديدا . . . هي حواجز العفوية والفن تعترض سبيل المحب الادبي الروحي ولكنها ما كثرت وتلوت اشياء عارضة يمكن ان تزول ويجب ان تزول ، ذلك اذا حسنت الثبات وتضافرت الايدي وقويت الارادة وقامت في هذه الارض عصبة روحانية تعمل على مكافحة الداء وتعيد الى الاديب الموهوب عرشه الرفيع الذي خلع عنه . . .

ان تأليف هذه العصبة ادعو كل ادب روحاني موهوب في كل قطر عربي فحرام ان تفل خرة الجمال راقدة في كاسها والشقاء ترتض ظمأ حرام ان لا يطلق للمواهب الدنان فتنب جباؤها الارض وتبلغ الاهداف قبل ان يمين الاجل . . .

اجا الاديب الفنان اذا اطال القائد المسافة بين معركة ومركة نسيه المجد ومعه الشهرة من لوحة انبائها وهكذا انت فاذا لم تطل على الناس من شرفة الادب والفن بكتابات الجديد كلما نفذ الكتاب القديم سكنت ربهك ومالت شمسك . . . ان في الشهرة جشما لا يبدله جشع ففيه لا تشبع ولا تروى . . . اما تريد ابدا المراد والماء فان لم تأعها بها في كل يوم بل في كل ساعة الفتنك عن معيبتها التي تمدد الى الخلود . . .

ما الضحك؟ ولماذا نضحك؟

فلم سنس طباره

الم

كلها لا تعوزها القطة ولا السرور ولا تنفق مع هذا التعريف بل تجعل من يتأملها يشعر بان هذا التعديد لا يزال ناقصاً اذ لم تتوفر فيه اسباب الضحك كلها.

واسمع نظرية ثانية تقول ان (الضحك من رؤية القريب الخائف للمعاد) واعترف اننا نضحك غالباً اذا خلطنا بين الشي. والواقع اختلافاً ولكن ليس كل - غريب يخالف المعتاد - صالحاً لان يبعث على الضحك في كل حين . فهينة الاحدب او القزم هيئة غريبة عن المألوف ومخالفة للقوانين الطبيعية ومع ذلك فانها لا تضحكننا دائماً لكنها تتيح احساسات اخرى كالرفق والشفقة . واذا اطلنا على اكتشاف غريب عجيب فقد نستغربه ونعجب بصاحبه ومع ذلك فاننا لا نضحك منه .

واليك نظرية ثالثة يؤمن بها الكثيرون وهي تقول بان (الضحك من الشعور بالذلة عند تعاقب حوادث متعارضة وافكار متناقضة) . وتقريباً للحوادث المتعارضة والافكار المتناقضة الى ذهن القارئ . اورد على سبيل المثال نزول الثلج في شهر تموز ورؤية عملاق بجانب قزم وبمعان جولة موسيقية تعزف النغاماً غير موزونة في مكان مهيب وبما يلاحظ ان هذه الحالات لا تنهز في النفوس دائماً عاطفة السرور ولا تكفي في حدوث الضحك بل كثيراً ما يشعر الناس امامها بالاسى والتعيط .

واقراً ما جاء في نظرية (ارسطو) فيلسوف اليونان ان ذلك المفكر العظيم قال (الضحك انما هو من لذة الانسان بارتباك الغير ومن شعوره بالظفر والتفوق على الاخرين) . مثال ذلك: صبي يرى رفيقه في مأزق لا يعرف كيف يخرج منه وهو يعرف ذلك ، او امام مسألة لا يقدر على حلها وهو يقدر ان يحلها . وقس على هذين المثالين مثلاً آخر : فاننا نرى رجلاً ميمناً يسير في الطريق فترلق قدمه على قشرة موز فيهرب على الارض فنضحك لاننا نتعقد

تسأل نفسك يوماً وانت تشاهد منظرأ مضحكاً لماذا نضحك واذا كنت قد سألت نفسك هذا السؤال فهل توصلت الى معرفة سبب الضحك والباعث عليه ؟ لا شك في انك تضحك دون ان تفكر في الباعث على ضحكك . فهذه هي حالتنا جميعاً بل حال ابنا. الشرق على وجه العموم . فان طبيعتنا الشرقية طبيعة خاصة قلما تقبل الى الاستقصاء . والتعقيد ولذلك لم يهتم الشرقيون كثيراً ولا قليلاً في تحليل ماهية الضحك فاكثرت كتبهم في تعريف الضحك بانه ضحك بضحك ضحكاً... والضحك ضد البكاء... واكتفوا هم بدورهم من الضحك بانهم يضحكون... . فلذلك دفعتني الرغبة في استطلاع اسباب الضحك فعتيت بدراسة ما قاله علماء الغرب و... .

تعليلات ودرائهم قد وضعوا نظريات مختلفة اترك التبسط فيها للمستقبل حين يرغب من يرغب في الاختصاص بهذه الموضوعات . واكتفي اليوم بابدءا. ملحوظاتي الخاصة على اهم النظريات لاثبت بايجاز ان تعليلات الضحك غير مستوفاة اذا انها لا تصدق الا على بعض الحالات ولا تشمل الاسباب من سائر الجهات .

خذ مثلاً أبسط النظريات المتداولة بين الناس وهي النظرية الثالثة ان (الضحك هو دلالة على ما يحتاج عواطفنا من السرور بالسرور) .

ولا شك ان السرور يؤثر في النفس ويهيئ للضحك ولكنه لا يبعث على الضحك دائماً فاننا كثيراً ما نضحك بدون ان يكون هناك امر يستدعي الضحك كضحك الاطفال او الضحك الذي يحدث من الدفغة والضحك الذي يصدر عن برد او جنون او شبه جنون كضحك المحكوم عليه بالموت . فهذه الحالات

في اعماق أنفسنا أننا نمتاز عليه ولم نفع مثله . لكننا كثيراً ما نضحك بدون ان نشعر بغضلة او تفوق وبمعكس ذلك كثيراً ما نشعر بتفوق غضلة على اقراننا بدون ان نضحك بما يدل على ان الارتباط بين الشعور بالتفوق والضحك ليس محكماً كل الاحكام ولا يصح في جميع الاحيان . فانت ترى ان هذه النظرية مع جلال قدر قائلها ومع ما فيها من صواب ليست صحيحة كل الصحة ذلك لانها لا تصح الا في احوال مخصوصة اذا تجاوزتها انتقلب الضحك حزناً ويرهاناً على ذلك تصور زبداً من الناس وهو يدين الجسم يهوى الى الارض فتتكسر ساقه اثر السقطة أفلا تشعر بانك في هذا الحال لا تضحك ابداً . فارتباك الغير اذن لا يضحك الا الى حد معين اذا تجاوزه اصبح نكبة او امرأ مؤثماً يورث الغم ولا يبيع على السرور ولا يثير الضحك ابداً .

هذه اهم النظريات ومدار اداء المفكرين عن اسباب الضحك واعتقد ان نقطة النقض فيها انها في ناشئة من محاولة العلماء والفلاسفة تعرف هذه الظاهرة النفسية في تحليل واحد في حين ان الامور المضحكة تتغير حسب الاشخاص وتتعدد بقدر تعدد الاحوال النفسية المختلفة . والمضحكة ان لم يوفق العلماء . كما قلت - حتى الان الى ايجاد (وحدة قياس) او تعريف عام يؤلف بين هذه النظريات ويحصر دواعي الضحك في تحليل واحد .

ثم اننا لو تصفنا المؤلفات العربية على اختلاف انواعها لوجدنا الادب العربي على ستمه وغناه خالياً من مثل هذه البحوث ولا يرى بين ادباء العرب القداما . والمحدثين من غني يبحث الضحك او توفق الى تحليل هذه الغريزة تحليلاً علمياً سائناً ومفهوماً ثم ان الضحك من الاشياء المألوفة تخضع له ولا نفهمه وليس يوسعنا فيه اعتدادا على تحايل جليله وتقاسير متضعبة محدودة كما هي الحال في قواميس اللغة وبعض الكتب الموية التي بين ايدينا وانما يجب اذا اردنا ان نقف على خصائصه ان نتحرى اسبابه من كل نواحيها عندئذ يستطيع الالام بها بصورة جلية وصحيحة . ويزداد فهمنا للضحك اتقدم بثلاث ملاحظات اساسية فذكر الخصائص توضحه اكثر من التعريفات المختلفة .

فاول شي . نلاحظه في هذه الظاهرة هو ان (الضحك صفة خاصة بالانسان) فالحيوان والنبات لا يضحكان ثم نحن لا نضحك منها ولا من المجد فقد رى منظرأ طبيعياً يعلأ العين بهجة فاشعر بالغبطة والاشراح . ولكننا لا نضحك منه ولا من اي جاد آخر . صحيح اننا نضحك احياناً من (البرنيطة) فالذي يضحكنا منها

ليست قطعة القماش او القش في حد ذاتها وانما نضحك من الشكل الذي الحقناه بها فالشكل من عمل الانسان نقله من مخيلته وطبعه بها فنضحك منها لهذا السبب . وقد نضحك من الحيوان فضحكنا في هذا الحال ناشئ . من اننا زى فيه صفة انسانية او نحن نلحق به هذه الصفة . نضحك - مثلاً - من الدب اذا جرب ان يمشي على رجلبيه لان المشي على هذه الصورة من خصائص الانسان . ونضحك من الببغاء اذا نطق ببعض الكلمات لان النطق من صفات الانسان ونضحك من الكلب اذا خدعناه فاطخاً في المنطق والمطلق من صفات العقل الانساني . فاذا نحن الحقنا هذه الصفات الانسانية او ما يماثلها بالحيوان الاعجمي ثارت فينا عاطفة الضحك لا بحالة .

فلا جدال اذن ان الضحك من صفات الانسان لا يتعداه الى غيره من الحيوان الا بمقدار ضئيل لذلك قال الفلاسفة (ليس من شي . مضحك الا وهو انساني) وعرف بعضهم الانسان بانسه هو الحيوان الذي يضحك (بالفتح) وهو الذي يضحك منه وعندي ان هذا اصح من قولهم في تعريفه انه حيوان ناطق

اما الملاحظة الثانية فهي (ان الضحك غريزة اجتماعية) فنحن لا نضحك منفردين لان من شرط الضحك ان تكون جماعة فاذا انفردنا وضحكنا فاننا نفعل ذلك ونحن نخشع فرداً اخر نضحك منه او معه وقيل لولنا انسان منفردا لما عرف الضحك ابداً . والضحك مثل التناوب تسري عدواه وتنقل من انسان لانسان . اما شاهدت جماعة تضحك فست اليك عدوى ضحكهم فضحكت ولم تفهم السبب ؟ في هذا الحال نضحك بالتقليد لان التقليد طبيعي في الانسان . اننا نقلد الضاحكين في حركاتهم فتتحرك فينا بذلك اعضاء الضحك فاذا تحركت اعضاء الضحك ضحكنا لان تحريك العضو يحرك وظيفته فاذا تباكتنا بكبتنا واذا ضاحكنا ضحكنا وذلك ما يفعله عادة المثلون

وهناك ملاحظة ثالثة حرية بالاهتمام : وهي ان (الضحك مصلح اجتماعي) ونوع من التأديب به تعاقب الجماعة الفرد اذا اخطأ في شأن من شؤون الحياة . هذا هو الضحك في هدفه الاول الذي نشأ من اجله في الغالب .

فقد تكون سائراً في الطريق فترى رجلاً اطار الهواء طربوشه فانطلق وراءه يطارداه فكان يتدحرج امامه وهو يعدو ولا يصل اليه فهذا الماظر يملك تمن في الضحك لفرط بلاهة الرجل فلو خطر له ان يرمي طربوشه على الارض يبل . خاطره لما ضحكتم اذن انت تضحك من غفلته ليصلحها فكأنك بالضحك تنقذه منها .

كيف خارب الكسل

لرونالد أوكدن - ترجمة فؤاد عبد المجيد الإعلاني

« إن الفكر المنظم هو الذي يزيد الكفاءة والسعادة
مما » هذا ما قاله (الفيلسوف العظيم (برتراند رسل) . وفي
هذا المقال يحدثنا (رونالد أوكدن) عن كيفية إزالة
الخوف من الفشل من عقولنا ، وبعض الأفكار الخاطئة التي
تسبب الكسل والتراخي وتأتاها التي تتلخص في التماسه
والتقصير »

كنت

أعرف امرأة صديقة لي كانت تلك مقدره فنية
عجيبة ، وقد حاولت عدة مرات ان تبني بعض
ما عندها من الاعمال الفنية ولكنها لم تنجح في ذلك اذ رفضت
معروضاتها ولم ترج ، وعوضاً عن ان تجهد نفسها لمعرفة الاسباب التي
سببت رفض معروضاتها وكساده ، فقد استسلمت الى الحيرة
وعذرها الوحيد انها جد كسلة عن البحث في ذلك ، وعندما
ظننت انها غير قادرة على الفن تركت حياتها الاولى واشتغلت كامرأة
ساقطة ، وعلى ذلك ضيعت كل مواهبها الفنية عبثاً وبدون
مسوغ سوى الكسل والوهم الذي استحوذ عليها ووسوس لها بانها
لا تصلح لحياة الفن لكسب قوتها الحلال .
ليس هناك شخص كسل بالقطرة ، وفي الكسل سوى
اصطناعي نفعه بانفسنا لكي يحفظ لنا الاعتبار النفسي ، ونعتنا
مغبات التعرض لخطر الفشل الذي نتخيله فنشاه .
ومرة خطرت في رأس كاتب فكرة تأليف كتاب ، فقال في

نفسه : « اني اذا اخبرت هذه الفكرة فأسكب حظاً سيئاً »
وبعد هنية داخله الشك وبدأت نغته بنفسه تنقلص وتنكمش
فقال في نفسه مرتاباً : « اني اشك في استطاعتي على تحقيق هذه
الفكرة » ، واخيراً بدأ يعتقد ان فكرته هذه غير ناضجة ولا
تستحق الاهتمام وتضيع الوقت الطويل في انجازها . والشعور الاخير
لهذا الكاتب هو الكسل بعينه والتراخي المتعمد الموقوت .
فالكسل ، اذن ، هو الحرب من الحياة وميؤنياتها . وقلة الثقة
بانفسنا هي التي تجعلنا نفضل البقاء حيث نكون على الجاذفة التي
ربما نتقعدنا اعتبارنا النفسي الموهوم بتعرضنا الى الفشل ، ودعنا نقول
الآن : « ان الذي يتحاشى الخطأ دائماً لا يتقن شيئاً » ، وهناك
رجال كثيرون لديهم اعمال وطيدة قد تشبع حاجات اسرهم
البسيطة ، ولم يفكر هؤلاء الرجال واجهدوا انفسهم لتحسين اعمالهم
وتوسيعها ونيل الثبات الكبيرة والسلطة الواسعة ، لاستطاعوا الى
ذلك سبيلاً ، ولكن لماذا ، اذن ، لا يعمل هؤلاء . تلك الاعمال

كذلك عند الفرح يطلق سروره بواسطة الضحك ، فالضحك اذن
بمثابة مصرف لما زاد من القوة العصبية اما وظيفته النفسية فانه
يزيد كمية الهواء الداخل للرئتين فتزيد بذلك سرعة دقات القلب
وبذلك زيادة سريان الدم في العروق والنشاط في الجسم .
والضحك والبكاء في جسم الانسان لا بد من انطلاقتها اما
بالدموع عن طريق العيون او بالتهمة من مخارج النفس وهما صنوان
وضرورة من الضروريات وكلاهما فيض الكأس عند الامتلاء.
وظيفة في جسم الانسان شبيهة بوظيفة (الصمامة) في الالة
البخارية . . .

نيس طباره

ثم اننا نضحك من السكران لاننا نشعر اننا متفوقون عليه ولم
نقع في خطأ فكأننا في ضحكنا ننزأ به ونحذر غيره من ان
يسكر . ونضحك من الاعرج لاننا برئنا من نقائصه وساعدنا
احظ فلم بضعا في موقفه ففي مثل هذه الحالات يقوم الضحك مقام
المهذب للنفس وللطباع والعادات لانه ينهبنا الى نقائصنا وغسلنا
ويحضنا على اصلاحها والا اصبحنا عرضة له
ورب سائل : لماذا يحدث الضحك ولم لا تبقى العاطفة
مكتومة في نفوسنا فاجيب ان خلاصة ما يقوله الفلاسفة في هذا
الموضوع وعلى رأسهم الاستاذ (بركسون) ان عاطفة السرور ان
اهاجت وفاضت نفوسنا بالغبطة تحدث في اعصابنا ازمة لا تنفجر
الا بالضحك فكأن الانسان ينفس كربيه بواسطة الدموع

الى اهمية ترك المآذير المختلفة والاسباب المختلفة لارتكاب الكسل، اكثر مما يشير الى ضرورة تكوين التفكير المستقيم .

ولا ينبغي ان يكون غرض الانسان في الحياة حفظ الاعتبار النفسي ، او كسب الشهرة فقط بل الاخرى به ان يقوم ببعض الاعمال الصغيرة المفيدة ذات القيمة والنفع له وللآخرين ، واحياناً كثيرة ترى هذه الاعمال الصغيرة الحقبة غير مكتملة بها او حقبة طفيفة ، والصحيح اننا نجاز هذه الاعمال الصغيرة فقط نستطيع نيل الثقة على السير وعمل ما هو اكبر واوسع واكثر خطراً . ولعل اشيع الاعذار بين الناس لعدم القيام بعمل ما هو ان ذلك العمل صعب جداً . فنجد كثيراً من الناس يضعون لهم آمالاً هريضة يدركون معها من البداية انهم لا يقدرون على انجازها ، وعندما يفشلون في النهاية عن تحقيقها يعتذرون قائلين : (حسن ، لم نستطع النجاح وليس هناك غيرنا من يستطيع ذلك ، ويكفيها على الاقل ان قنا بالتجربة) . وكثير من الناس يبددون حياتهم بكاملها محاولين تحقيق مثل اعلى لا يمكن نيله ، بينما كان الانفع لهم ان يعملوا اعمالاً ذات قيمة لانفسهم والقريبين منهم ، وقد يكون لدى هؤلاء الناس مقدرة لا بأس بها ونشاط عظيم ، ولكنهم وهم في هذه الحال مصابون بنوع آخر من الكسل هو الكسل العقلي الذي يفهم عن التفكير والتفريق بين الحقيقة والخيال او بين الاعمال المعقولة التي يمكن انجازها بسهولة وبين الاعمال المتصورة التي يعد تحقيقها ولو بشق الانفس ، فليس هناك شخص يتوقع ان يصل الى قمة السلم بقفزة واحدة . ولو اننا نجد انساناً يشعر بان ليس هناك طريقة اخرى احسن من طريقة القفزة ، والسلم قد يظهر لبعض الناس طويلاً جداً وقد يراه البعض الآخر قصيراً جداً ولو انه لم يحدث هؤلاء . ولا اولئك ان قانسوا طول السلم وارتفاعه . وكذلك نجد انساناً يخلقون لانفسهم مثلاً علياً كاذباً ثم لا يعملون شيئاً او يعتقدون عن العمل مدعين ان المثل العليا لا يمكن نيلها . . .

ولهذا فالتفكير على الكسل يعتمد بصورة خاصة على ايجاد القرض الصحيح من الحياة . ووضع الهدف المعقول النليل للانسان في هذه الحياة ليس بالامر الصعب ، ولو ان هناك من يقول كانه يعتذر لكسله ، بانه لم يجد الهدف او القرض الذي يستحق الكد والعناء ، وما هذا ، الا قول هراء .

(عرجا عن « مجلة علم النفس » الانكليزية)

فؤاد عبد المجيد الاعظمي — بغداد

الصعبة لتحسين ما لديهم من المهن ، السبب في ذلك ، غالباً ، هو خوفهم من ان يخفقوا في الاعمال الواسعة ذات النفع الكبيرة ؛ وهذا الخوف على الاغلب خفي غير واضح ، فاعقل البشري يميل الى التجنب عن مواجهة الحقائق المرة ، ويشعر في اختلاق الاعذار للسلوك المجانب الذي يسلكه والذي يجتفي وراءه تلك الدوافع الحقيقية ، دوافع الخوف ، فقد نجد انساناً يفخر بنفسه على احتشامه وادبه وتواضعه ، او نجد آخر يدعو نفسه حكيماً متدبراً فطناً عندما يقول لك انه يفضل الطير الواحد في اليد على الطيعين في الحرش . . . وما ذلك الا انه يفضل الكسل والجود على الحركة والدأب والجهد .

الرجل الكسل المترخي ، كما قلنا ، هو ذلك الذي تنقصه الثقة في قدرته ، فكيف اذن يستطيع هذا الرجل ان يسترد ثقته المفقودة ؟ اننا نجد كثيرين من الرجال قد فقدوا ثقتهم بالنفس ، او انما قد حطمت وكسرت منذ حياتهم الاولى عندما كانوا اطفالاً يعملون من قبل آباءهم ومدرسيهم بالقسوة والعنف ، وليس من المفيد ان نتنع بلوم الآباء والمدرسين ، ولكن معرفة هذا تقدم لنا المآذير فكتشاف السبب يعين على استئصال العلة وازالة الاثر .

فاسأل شي . واجب عمله هو ان يصمم الشخص على ان يتطلع من نفسه الضعف ، فطبعي ان الانسان ، كسائر الموجودات الضعيرة ، مخلوق نشيط وقادر على تكييف نفسه حسب المحيط ، وحتى التغلب عليه . والانسان بلا ريب اقدر الكائنات الحية على هذا التوفيق والتكييف . فعقله النير وجسمه المطاوع يدان بما يلزم من الوسائل والوسائط لهذه التوسية اكثر من أي حيوان آخر . ولما كان العقل البشري ، عضواً حساساً جداً فهو عرضة للخلل اكثر من اي عضو من الاعضاء التي هي اقل حساسة واشد خشونة وصلابة . قد يستعمل الانسان عقله كواسطة لا للتغلب على المحيط بل لحفظ اعتباره النفسي ، ويحدث هذا عندما يبدأ الشخص بخلق المآذير عن الاعمال التي يهملها كسله منه والتي يجب ان يعملها ، وربما تؤلف هذه المآذير باعتناء زائد وبصورة تتطلب عدة كتب اذا ما جمعت من كثير من الناس ، وتصبح قاعدة لفلسفة كاملة من الافضل ان تسمى فلسفة الكسل

والشي . الاخر الذي ينبغي عمله التغلب على الكسل هو ان يريح الانسان عقله من عمل المآذير المختلفة لتبرير كسله ، وقد قال الفيلسوف برتراند رسل « انه لمن المدهش ان نرى كم ترداد السعادة والكفاءة معاً بتثديب العقل الصحيح المنظم » وهو يشير بقوله هذا

نغم يموت

طاف في دنياي احلى نغم
ومضى ، لم يبق لي الا صدى
آه ، كم علت فيه أملاً
وغمت الجرح في بلسمه
نغمي قد مات . اي نغم
كبريا . النفس صاغت نعشه
انا لن اسمع ، بعده نغماً
غيره ، يا نفس عني واكتمى

يوسف الخال



ARCHIVE

أيّ وجع تزيله ، الحلم الدامي ، وأيّ لومعة حراء
في تقني بينيك ذغرة حمراء ، وفي خاطري : لعل الاصداء
... انا في مبتلاك زوبعة الشوق المدمى في العمرة الرعنا.
وشباب حران لوح للشمس ، ففضّ الشروق بالاضواء.
يلتقيك الشراع للضفة السكرى ، ودنيا من المنى الخضراء.

... وتقرّين ؟ فالاغاريد آهات ترامت في زفرة خرساء.
وعلى منكبيك خلجة هز. اغرقت في فمي رفيف النداء.
وانا والهوى جناحاك في الحلم وجو الذهول والاعياء.
زهو خديك خجلة - في ذراعي - وخفق الاعطاف ظل ارتقاء.

... لهفة الخدع الذي غص بالصمت فانغى على يد الظلما.

احمد سكري سالم - دمشق

أم..

الملكان الروسي م. لشكوف

لقد

ولت أيام فتوتها الساذجة ، أيام الاتاشيد والتزهات وحلقات الرقص التي كانت تدوم الى ساعات

متأخرة من الليل ، ولت صباحات الربيع المضخمة بشذى اوراق الشجر العبقية ، والمسكوة بالندى اللاذع ؛ ولت كذلك ذكريات البلابل المفردة المنطلقة من خلال الادغال باغاريدها وزقزقاتها التي كثيراً ما كانت تجو من الذاكرة عدد التهل المطبوعة على الشفاط . ولى كل ذلك من خاطرها ولم يبق لفظة الامس من حاضرات حياتها سوى ذلك البيت الزوجي الانيق تحت شجرة من اشجار اليزفون السامقة نشأت منذ كان التشو . وتمت وترعرت مع الاجيال والاعمال . اما شجيرات التفاح والكرز المنشورة حول المنزل فهي بنت الامس القريب وغرس الزوجين الحبيدين . وما تلك الازاهير الفواحة التي يفرح اديجها تحت النوافذ الا ثمرات ياتعة لعناية « ايرين » اللووعة بنبات الارض شأن صغيرها « فاسياتكا » . فهو ايضاً يحب الزهر والتحلل وبعض الارضة التي تحرف الى روضه الخضر الصغير .

ويعود الحنين « بايرين » من آن لآخر الى ايامها الاولى وعهد صباها البسام فينطلق صوتها باغان عذبة ناعمة تتناقل صداها امواج التيم بيناً تتابع هي نسج الصفوف بساعديها الكولكوزيين . نعم فقد باتت اخيراً نضاهي اية شابة من شابات كولكوز عملاً وانشادا وظرفاً . وليس بغريب بعد ذلك ان تسمع دوماً أيام الاحاد تحت نوافذ ذلك البيت المدمج اصوات « الاكوردوين » الهذيانة يرقص على نغائهما صبية القرية وبناتها رباعاً او مجتمعين في رقصة البولكا وغيرها من الرقصات الروسية . وكان « اينياس » زوج « ايرين »

الشاب الذي يجمع الى اتقان العمل خبرة في الموسيقى وتذعة للدعاية فخوراً بمهارته في العزف على « الاكوردوين » وسعيداً بمشاطرته زوجة عيشها وهوها ايام الاحاد .

على ان كل تلك السعادة لم يلبس فجربها ثانية بعد صيف ١٩٤١ البتة . فقد لبى « اينياس » نداء الجندية مع غيره من المواطنين واضطر بذلك الى مفارقة خدته الزوجي الامن بكل ما فيه من انسى الولد وحب الزوجة وهناءة العيش . لقد اوعج اذاً على ترك ذلك الملاذ الوداع ، ولذا قبل ان ينحطى عنه منزله امسك « فاسياتكا » الصغير بين ذراعيه فقبله وقال لزوجته :

— لشكلاً عين رعايتك هذه الشعلة المتقدة الفريسة
أرأيت ولكنه الواجب يدعو الى الرجيل .
ثم صعد من اعماقه زفرة حرى وضم الاثنين اليه ضمة عجلي تواري بعدها عن الانظار .

وكان ان احتل اولئك الرجال القساة القرباء ارض الوطن فعاثوا فيها فساداً وادخلوا الى قلوب ابنتها الأمانة الذعر والملع وبدلوا الحياة غير الحياة فاذا بها كتيبة تحضي ايامها فاترة رتيبة مكفورة ، فكلل الصفوف وغن على مباسطه ، وانسدرس القمع واسود في الحقول المداسة بالنعال ، وشعر اذار غما وانبت في السنايل . اما الاغاني والاهانج المرحية التي كان يضيق بها فضاء كولكوز فقد غامت فوقها الكآبة منذ ذلك الصيف المنصرم وانطوت مع الزمن في لجج النسيان ؛ وبات يجيم على كولكوز برمتها سكوت رهيب لا يسمع من خلاله سوى اجهاشة مرة تختنق فيها عبرات امرأة او صرخة حادة اتبعها قصف مروع اثر بريق

اليوم التالي حتى عدن الى «ايرين» يؤمن وحشها خشية منهن ان يتملكها يأس الولادة التي تشكلت فذبتها وانفسا في الحياة .

منذ ذلك الوقت لم تتواد «ايرين» ابتسامتها الاولى بل اتشح وجهها بهالة من الاسى العميق والصمت الهادى . وبات من يراها سادرة واجمة تشهد من النافذة مرور القطر والمفرزات بسذهول رهيب يخالها دفقة امضا البعاد بينها هي في الواقع تحضن فكرة جريئة وتقضي بثيابها عزماً ذا شأو وبأل .

وافترق يوماً ان التأم جمع من المواطنين ضم «ايرين» وقف يتداول حديثاً بدا خطير الغاية جسم التبعة اذ كان يسدور حول نفس الطريق العام . وسرعان ما ارتسمت على محيا «ايرين» اذ ذاك ساء الارتياح والبشر كافوا ابقت على حين غرة ان الفكرة التي تحضنها منذ زمن والعزم الذي تقضيه بثبات قد أن للارادة ان تحررها لحيز العمل بعد ان وضع الهدف واتيحت الفرصة - فقلات دون ما تردد او وجل :

— يمكنكم ان تعمدوا علي في تنفيذ هذه المهمة .

فلم يلبس احد باغراض ما بل سعى لايقافها على خطورة ما انتدبت نفسها للقيام به وانها ان الامر يتطلب الكثير من الثقل والوزانة ؟ والا فلا مفر من الموت الذي يعقب كل اخفاق .

ان «ايرين» لم ترد على ان اردت مقاطعة :

— ولكني اخطركم بعزمي على العمل . . . وسامضي في ما عزمتم عليه .

فصمت الجميع وكان صمتهم دليل القبول والموافقة .

كان من المقرر بادی الامر ان يقذف الجسر الذي يشطر النهر شطرين ويجمع بين طرفي الطريق العام ، ولكن عملاً كهذا ليس في الواقع من السهولة على شيء . لان الجسر كان مراقباً بحيلة يصعب مها الدنو منه . لذا كان من الایسر نفس القطار العدو الذي يمر عادة فوق الجسر ، وهذا ما جمع المواطنين عليه . كانت «ايرين» حتى وتعداك مكلفة بجراصة مستودع صغير للعتاد الحربي دفن على مقربة من منزلها في حفرة استلزمها وجود شجرة من الزيتون هناك . وقد باتت اخيرا من اللواتي يسدركن كنهه الدنيابات وسر تآصره مع البروكسميلين» بيد انه لم يكن عليها سوى الاحتفاظ بهذه الذخيرة فحسب ولكنها مع ذلك ابت الا ان تنفث عاجلاً في تلك المواد الاولى قوة الدمار الهائلة وتضرم فيها قبل الاوان سعي انتقام رهيب . وقد قيل لها انها لن تتحمل غير

خاطف . وكادت القرية تخلو من الرجال لولا اعتصام بعض الشيوخ الذين اقدمتهم سنهم عن الفرار الى الغابات فبقوا فيها تحضنهم وحشة القبر وتحيق بهم غمرة من اليأس والشجو . والامان مسا فتتوا منذ اقتحامهم الارض الروسية يترددون الى القرية فيقتادون آخر انعامها ويقتصمون السبلة الاخيرة من حقولها ، وكان لم تكن مثل هذه الاعمال لتكفيهم فيعمدون للارهاب الى احراق الاكواخ والاقتصاص ممن يترددون على الطاعة ويثرون على العنف بأشد وسائل الانتقام هولاً واكثرها قسوة . وقد حدث ان رباً شيخان بنفسهما ان يجنعا ويستكينا للعدو فاحجرا عن افادته بما يتفق غليله وكانت عاقبة ذلك الاحجام ان علقا الى اعواد من السنديان الصلبة في ساحة كولكونز الكبرى .

وهكذا قدر ان تلك القرية الهائلة ان تغفر ليايها على دوي المدافع وتقضي نهاريها تحت رحمة العدو المتعصب وتبيت موشة مروحة كأنها مقبرة الاباسة تطاؤها اقدام الانسان من الوجمل .

ومضى على القرية ثلاثون يوماً انتهت بصرع «ايفاس» في ميدان مشرف وجرت وراها وقائع الحادثة التالية :

كان احد الجنود الالمان من مقررة عابرة يطلى ذات يوم باطلاق النار على زمرة من الاطفال تلعب بالرمل الى جانب الطريق فصيب منهم من لا يسرع في تلافي طلاقته ؛ وكان الكثير من هؤلاء يقع مضرجاً بدمه والقليل منهم من يتمكن من اتقاء الشر في الوقت المناسب فيتوارى عن انظار الجندي . ودخل يوماً على «ايرين» عدد من جاراتها يخف بين جلال الموت ليسجين على المقعد الحشوي جثة طفلها الصغير ضحية البور البرى . والتقد الغاشم . ولم تكعد عينها «ايرين» يومذاك تتع على فذلته الدامية حتى لفظت اوصالها زفرة صماء : فاسيانكا . . . ولدي . ثم امسكت بين ذراعيها طفلها الهامد وراحت تغمره بقبل نهمه ضاربة ثائرة وتداب باناملها ثائرة اخرى الشمر الاشقر الرمادي اللاصق بالرأس وتقتل طوراً ثالثاً الدم المنساب على الحين وهي تحدد الى عيني الصغير الغافيتين المرسلتين الى سقف العرفة : «عيناى الغريوتان ، عيناى الحلوتان . هل تحبا فيكما النور وانطفاأت شعلة الحياة الى الابد ؟ » وتعود «ايرين» فتدني منها بشدة طفلها الصريع جاهدة لاذكاً . قبس الحياة في ذلك الجسد الرهو الصغير . . . وكان الليل قد تقضى الا اقله عندما توفر للجارات التراع « فاسيا » من يدي امه ليتعمدن الدقائق الاخيرة من عمره السليب . وما ان تم هن ذلك في صباح

شاربيه الشقراوين بثؤدة وروية أصح من شأنه وقال «لايرين»
مشيراً بيديه كأنه يدل على قدر نفسه وشأن ذاته :

— أمه اشهى البيض! حقاً انه لذيق . ثم ربت على كتفها
وأرسل اليها نظرات صريحة الغاية اتبعها بغزوة رشيقة من طرف
عين غاض ماؤها فبدت غير ذات تألق وضياء . ولكن بحياه
المتجهج وبطنه المنتفخ، وبقايا القشور التي ما زالت عالقة بشاريه،
وانفه المغر بصفرة البيض، كل ذلك لم يكن ليتفق البتة مع
حركاته ونظراته مما اثار في نفس «ايرين» ميلاً الى الضحك
فاقتربت شفتاه قسراً ولأول مرة منذ شهر عدة بابتسامة حاوة
قصيرة . وبعد ان دأب الالاماني شاريه استوى في جالسته والقي
اسراً الى الواد الذي هب من مكانه نغم ما به من وصف واعياء
وفتح فوهة الموقد لاضرام النار وابتعث اواردها من جديد . وهنا
ابتدت عينا «ايرين» وتصلبتا كأنهما تحدقان الى مشهد جلل :
« ولدي الحبيب . . . صفدي العزيز! » غغغت بهذه الحروف دون
ان ترتسم على شفتيها صور الكلمات او يسمع منها همس او
جمعة ، بينما كانت يداها الحازمتان تعقدان الصرة المأخوذة من
سلة البيض واصابعها المثروثة تعد الثواني الاخيرة . . . فقد حان
الوقت واشتد القطار ان يقرب من الهر . وفيقاعة سرت فيها
رعدة باردة وجب منها فؤادها وارتعدت لها أوصالها : هل تنجح
في مستها . . . وماذا ينتظرها لو داهها من يعكر عليها علمها . ومرت
القاطرة بأخر شجرة . . . ولم يبق بينها وبين الجسر سوى امتار
قليلة . وقبل ان يلقط الواد فوهة الموقد استجمعت «ايرين»
جأشها والتت فيه بتشجيع الصرة الصغيرة . . . واذا بالميكانيكي
ينقض عليها مذعوراً ويمسك بعصمها صائحاً :

— لم اقدمت على ذلك ؟ ماذا التيت في الموقد ؟ وقبل ان
تتمكن «ايرين» من الاجابة كانت السنة اللهب قد اندلعت من
القاطرة ، والقذيفة المائلة بدويها ونارها قد ابتلعت كل شيء .
واقت على القطار بكامله .

واضيت سها ذلك المساء بانوار دامية ، واستجالت سحب
الحريف الواطنة حمماً أوجوانية تتسابق سراعاً الى ارتفاع قليل من
الارض . اما قول العاصفة المخرجاء عاصفة اللهب المطبق فقد
اشرأت نحو السهاك تملأ جوف الفضاء وتغطي اديم السها .

ترجمة : رُسُيد سُفُير

تبعه صرة صغيرة تنقلها الى المحطة الواقعة بالقرب من كولكوز
التي يستعملها المغرزة الالمانية مركزاً تتمون منه مختلف المحرقات .
وهناك في المحطة بين العمال الذين ينقلون الحطب الى القطار
رجال يؤمن حانبهم يتسلمون من «ايرين» خفية الصرة العادية
المحتوية على طليقتين من الزاد . وما على «ايرين» بعد ذلك الا ان
تعود ادراجها لان اولئك الرجال سيأخذون على اعناقهم انجاز العمل
فيبدسون القذائف بين اكداس الوقود .

وما ان طفلت الشمس في ذلك اليوم واكتسى المساء ثوب
التروب البرتقالي حتى دلفت «ايرين» الى المحطة تحمل بيدها سلة
صغيرة فيها من الزاد عدد واغر من البيض . وانفق ان وصل الى
المحطة في ذلك الحين قطار زخرت بعض عرباته بالسدافع والدبابات
وشح البعض الآخر باغذية ساترة وقسم منها ثالث ترك فارغاً
للتقل . نعم لقد وصل القطار وزودت قاطراته بالحطب والوقود
ولكن الرجال الذين تأمن «ايرين» جانبهم لم تقف لهم على أثر
فيه ذلك المساء . وعينها حاولت «ايرين» ان تصدف اولئك
الاعوان ، بيد انها لمحت آخر الامر ميكانيكي القطار قدندت
منه هادئة متزنة وقالت :

— تريد ان تحملي الى اوليا نوسفكا ولك كل ما في هذه
السلة ؟

فنظر الالاماني الى السلة وبعد ان اجال طرفه الى الالمغرة
اجاب بتردد :

— اصعدي . فصعدت «ايرين» الى القاطرة واستوت فيها
فرحة بهذا الحظ الذي مهد لها الخطوة الاولى في سبيل ثأرها
وتضحيتها .

كان الموقد يشمر على جنباته لهباً قاطظاً ، وجفنا «ايرين»
ينطبقان على محجريهما كما لان يعروهما من وهن النعاس . ولولا
قطرات من المطر الوابل تصف بها الرياح المثلجة بين الفينة والفينة
فتذردها داخل القاطرة حيث قبعت المواطنة الثائرة لاستولى
الكرى على عيني «ايرين» ولعبت بها الحور واقدها عن الحراك .
أزال الميكانيكي ذو الخوذة الالمانية مساهلى سلة البيض من
غبار المحرقات ثم حدث بابتها على ضر . مصباح كهربائي الى بيضة
جعلها بين يديه لم ينشب ان تقب جانباً من قشرتها بعويصة صغيرة
ورفعها الى فمه مفرغاً فيه زلالاً بلدة بادية . وبعد ان مر بلسانه فوق

النقد الاول



الانشودة الاولى كانت لله
غناها يوم خلق حواء لآدم
فأبدع !

وكانت من نغم «العشاق»
فكان الاصطحاب* الاول

وكان الله ، اول من اطلق وترآ
واقفت لحناً
تجاوبت الطبيعة صداه
جيلاً بعد جيل

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تذوقته ملائكة
فكان السمع الطيب
وبجته ملائكة
فكان النقد الاول !

البر اريب

* الاصطحاب بمعنى « الارموني » والكلمة لاسكندر شلفون

الثقافة الفرنسية

في الحرب الطائفة

ويثل الاوقيانوسيا في بياننا
هذا الصحيفة الاسبوعية المعروفة
«بالبريد الاسترالي» والتي تصدر في
سيدني ويثل مصر الصحيفة
الاسبوعية «المارسلياز» .

ومطبوعات « دار الاداب

الفرنسية للنشر » ومنشورات السيد فيات الذي يجمع
الى كفاءته كمشترق وعالم اثري وطنية لا تتزعزع ، وكذلك
المجلة الغنية «فرسة دائما» و«مجلة القاهرة» .

وفي تاناناريف توجد مجلة «مدعشر» وفي برازيل صحيفة
يومية وفي الكمرون صحيفة اسبوعية وفي افريقيا الغربية توجد
عدة نشرات تصدر من وقت الى آخر حقا انه لانتاج خصب

ولن نتكلم عن منشورات افريقيا التي لا تحصى !

كل ذلك يمثل جددا عظيما ونجاحا صحيحا . ويجب ان نقول ان
كل هذه المنشورات تحوي مؤلفات قيمة سواء . اكانت صادرة عن
كتبة مشهورين او عن ادباء او صحفيين كبار سبق ان اشتهروا
قبل الحرب او عن كتبة حديثي العهد بالكتابة وغير معروفين ،
حتى الان والذين سيحوزون غدا على عطف الجمهور . ولم تظهر مثل
اليوم في وقت من الاوقات تلك المقدرة الكتابية التي توجد في
فرنسة اليوم من أي مكان آخر .

فالفرنسيون مشغوفون بالكتابة وهم يكتبون بسهولة .
واصغر جندي يستطيع ان يسرد بطريقة حية الحوادث التي شهدا
والمعارك التي خاض غمارها والامام التي تحملها .

ولم يكن الفرنسيون قبل الحرب يحولون مطلقا في الخارج .
فكان ادبهم ومدنيهم منحصرين في باريس فدور النشر الكبرى
والصحف البارزة لم تكن تنجح الا في العاصمة . اما خارج العاصمة
فقد كانت المدارس التي هي تتعد نشر اللغة الفرنسية والفكر
الفرنسي : الا ان الكتب المستعملة في هذه المدارس كانت تأتي
من باريس . اما اليوم فيفضل الحرب وتبعثر اكثر الرجال حبا في
الغزاة في شتى انحاء العالم اخذ هؤلاء ينشرون مجلات وصحفا
مختلفة ويلاقون نجاحا لا شك فيه وفي جانب جميع المصائب التي
ولدتها الحرب نجد في هذا انتقاما للفكر .

من اغرب نتائج الهزيمة الموقنة
التي منيت بها الجيوش

الفرنسية سنة ١٩٤٠ هو بلاربيب
اشباع الثقافة الفرنسية منذ ذلك
التاريخ . فبينما كان ينبغي ان
تنكشف فرنسا ولو مؤقتا على

نفسها داخل حدودها وهي مرهقة بضربات قوة قاسية ، شهد
الناس على العكس ازدهارا عجميا للكتب والصحف والمجلات
الفرنسية في جميع انحاء العالم . وليس بالامكان تعداد كل هذه
الجهود وانما نكتفي بذكر بعض .

ففي انكلترا ظهرت منذ خريف سنة ١٩٤٠ مجلة شهرية
عرفت بـ «فرسة الحرة» وصحيفة يومية دعت «فرسة» ثم
وجدت بعد قليل في لندن صحيفة اسبوعية سميت المارسلياز .
وكانت هذه الاخيرة تصدر في نيويورك والقاهرة ايضا .

اما في اميركا فقد صدرت صفتان اسبوعيتان كبيرتان هما
«في سبيل النصر» و«فرسة واميركا» . وقد اوجدهما بعض
كبار الصحفيين الفرنسيين . كما ان دورا للنشر است في كندا
وفي الولايات المتحدة ونشرت آخر مؤلفات هوبل روسان وجورج
دوهاميل واندره مورو . وكذلك البرازيل راحت تنشر كتابا
مدرسية وكتب برناتوس وكتبا تستعرض حوادث الحاضر كدور
منها كتاب الجزائر شاديبك لافالاد عن المارشال بتان

اما الارجننتين فقد اوجدت مجلة دعت «الاداب الفرنسية»
التي كان لها شرف التعاون مع افضل الشعراء المعاصرين . حتى
المستعمرات الافرنسية المهجورة كجزيري سان بيير وميكاون
الصغيرتين والغارنيتين في ضباب الاطلانطي على مقربة من الارض
الجديدة فقد اسسا لنفسها صحيفة اسبوعية هي «الحرة» .

تلك هي بعض الجهود الفرنسية في اميركا . اما في آسيا
فلندكر «فرسة الشرق» المجلة الشهيرة الكبرى التي تصدر في
دلهي مع مجموعة من المنشورات الانيقية حيث تجد الفكرة المتينة
مع الوطنية الحارة .

وفي ايران اوجد العالم الاثري الشهير السيد جوداد نشرة
سياسية ادبية ذات فائدة كبرى .

ونكتفي بالتذكير بجميع المنشورات التي قام بها الافرنسيون
في سورية ولبنان .

جاءه غوليه

جولة للفردوس في سمر



وبعبارة اوضح ، اذا صح ان افسر كلمات
الاستاذ دوناً استاذان ، يريد ان يقول :
بنو عذرة قوم ينطبع الجمال في نفوسهم

وتحول العفة بينهم وبين الشهوات فيضحون بذلك النفوس على مذبح
هذه العفة .

فهو يعترف بان العفة تصرفهم عن الشهوات وان هذه العفة
تتيزم عن غيرهم من القبائل العربية ، وهو يعترف ضمناً بان العفة
فضيلة وانهم لو تحلوا عنها لما نسب اليهم العشق المغضي بهم الى
الجنون فال موت ، وكما افتخر بنو عذرة انفسهم بهذا العشق متعالمين
به على غيرهم من العرب

فهل يدلنا الاستاذ على ما ثبت لنا ان العفة والتضحية بالنفس
في سبيلها خارجة عن مفهوم الجمال والخير الذين جعلها غاية للحب
الافلاطوني ، وانها خارجة عن مفهوم الفضيلة التي جعلها غاية
للتصوف ، وانها بعيدة عن الله الذي جعله موضوعاً للحب
الافلاطوني ؟ ؟ ؟

(٢) العجب من الاستاذ ان يجعل الشهوة غاية للهوى العذري
ثم يثبت ان بني عذرة يوتون دون بلوغها بدافع العفة ولو ارادوا
الطرحوا هذه العفة في سبيل غايتهم تلك كما طرحها غيرهم من
العرب فلم يوتوا ولم تتغن القبايل بشعارهم من وراء الاكبار
والاجلال .

اذن ليست الشهوة غاية لهم وانما العفة هي الغاية اذ بلغوها
وضحوا في سبيلها ولو كانت الشهوة هدفهم لتسنى لهم بلوغها
بتضحية العفة في سبيل الحصول اليها

(٣) كيف يفسر الاستاذ سليمان لنا الجمال اذا اخرج منه
الفن الخالد الذي لا يزال بين ايدينا مثل لثا روعة الحب العذري
فهبز مشاعرة ويديمي قلوبنا وربما كان مبعثاً للالم الذي كان ولا يزال
مصدر الفن الخالد في نفوس الشعراء ، كيف يفسر لنا الجمال اذا
اخرج منه قول جميل بن معدر العذري :

يقيك جميل كل سوء ، اما له لديك حديث او اليك رسول؟
فان لم يكن قولني رضاك فلمي نسيم الصبا يا بشن كيف اقول؟

وقول قيس العامري مجنون ليلى يحاطب قلبه :
وكننت وعدتني يا قلب ليلى اذا ما تبثت عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

الحب الافلاطوني والروى العذري

- لا علاقة بينهما مطلقاً
- غاية الاول الجمال والخير وغاية الثاني الشهوة
- الله موضوع الاول وموضوع الثاني ليلى
- الاول صفة والثاني مرض
- نعم هنالك صلة وثيقة بين التصوف وبين الحب
الافلاطوني اذ كلاهما يرمي الى الفضيلة غاية او
موضوعاً «

« موسى سليمان »

للمرة الاولى اشهد محاضرة من هذا النوع في قاعة وست هول
بالجامعة الاميركية ، وهو ناد يسود افقه الجلال والجلال وتذهب
روعه بالنفس الحساسة مذهبا يرخو القلب معه بالفنون ويتضح
العقل فيه بالعرفه

كنت اسمع المحاضر الاستاذ موسى سليمان يحيط جبراً من
الفتية والفتيات بلسانه الدرب وعينه الانحاذية وعلى فمه اشارة
الظافر المطمين الى اعجاب السامع بما ينطق ويبرم وبين يديه الاستاذ
المقدس يمد لكلماته في نفوس الحفل الشاخص اليه

ولاول مرة اسمع محاضرة تأكل من وقت السامع ساعة ثم لا
يؤذن للنقاش حولها باكثر من عشر دقائق اذ المفروض في النقاش حول
الشيء ان يغمره ويروي عليه فليس النقاش تعلقاً ولا تذييلاً

ومها يمكن من امر فقد سمعت الاستاذ سليمان ولم يكن في
وسعي اذ ذاك ان اعلق على جملة التي صدرت بها هذه الكلمة
فاستأذنته ان احتفظ بها لجهة الاديب وناقشه فيها على صفحتها :

(١) ينبغي الاستاذ ان يكون بين الحب الافلاطوني وبين
الحب العذري صلة ما ، ولكنه يثبت وجود هذه الصلة بين
التصوف وبين الحب الافلاطوني بجامع الفضيلة التي يرمي اليها
كلاهما من وراء الغيرة بيننا يحيد الهوى العذري اثنائاً محضاً

ثم نجد في نفس المحاضرة يعرف لنا بني عذرة اهل هذا الحب
بانهم عرب يتنازون عن ابناء جلدتهم بسدقة الاحساس البالغ وعفة
النفس ، فهم بتلك الدقة يجهون ويعشقون وبهذه العفة يوتون ،

فأين المرض ؟؟ هل المرض في ان نجب الجمال ونعف عن العيب
به حتى يعصر الالم نفوسنا فيميت هذه العصارة فنأ يذب النفس
ويصل الروح ؟؟

هل المرض ان تصح اجسامنا نأ نبلغها من متع الحياة المسادية
ونترك الروح تنق تحت عيناها حتى اذا فارقت روح المادي جسمه
خفت فيه صوت الحق وكان بعد حين كان لم يكن ؟؟؟

٥) والعجب من الاستاذ سليمان كيف يجمع بين التصوف
وبين الحب الافلاطوني بجامع الفضيلة وحب الخير ثم يفرق بينهما
وبين الهوى العذري فيميد القوية ، التي هي انكار الذات ، من
قواعد التصوف الاولى ثم هو ينكر عفة العذري ويحب تضحيته
في سبيل هذه العفة اثنائية محضة

فأي انكار للذات ابعد من وقوف المرء بعفته حائلاً بين نفسه
وبين شهواتها ، واثارة الموت عاشقاً غيفاً على الحياة منعساً في
اللذة الحسية ؟؟ وان حاول الاستاذ انكار ان الحب العذري يؤول
بين نفسه وبين الشهوة وان هذه الحيلولة من عادات قومه الذين يشددون
في التفرق بين المتجابين فلماذا ينسب العفة البالغة للعذريين ؟؟ ثم لماذا
امتاز العذريون دون غيرهم من العرب بهذا النوع المعيت من
الحب ؟؟؟

اليس في ذلك برهان على انهم كانوا يستطيعون ان ييموا حياة
غيرهم من القبائل يعيشون في تراجون ويقضون على هذا النوع من
الحب الشاذ ، اعني الحب الذي يفضي باهله الى الهلاك دون امتزاج
الروح بالروح ؟؟

فاذا كان عزوف الصوفي عن الشهوات ليسذل جسمه ويعز
روحه ثم كان تجاوزه عن سينات اخيه ليفتح طريقاً لروحه الى روجه
فتتجدد في الكلي العام بين يدي وحدة الوجود فلم لا يكون
تعفف العذري واغفاله تمتة جسده ثم تجاوزه عن سينات حبيبه
طريقاً ليلج روح الحب الى روح الحبيب فيتجدد بالروح الكلي في
ذات الله ؟؟؟

أفليس ثم ، وعلى هذا العرض ، صلة بين الهوى العذري والحب
الافلاطوني كالصلة بين الافلاطوني والصوفي ترمي الى الفضيلة
موضوعاً وغاية ؟؟ فما اخرى بنا ونحن نحاضر الشباب المثقف ان
نكون ابعد نظراً في عرض الادب التحليلي بين يدي التاريخ !!!

الحرماني

أفليس هذا الشعر وليد الهوى العذري ؟؟ أو ليست فيه روعة
تلعب بالاحساس ؟ او ليست هذه الروعة من صميم الجمال الذي
قصره الاستاذ على الحب الافلاطوني وجرد منه الهوى العذري ؟؟

٣) اذا كان موضوع الهوى العذري ليلى فلم لا يكون
موضوعه الله ؟؟ ولعل الاستاذ يفهم من اطلاق لفظة الآلهة على
المرأة في العصور السابقة انهم يعبدون فيها هذا الجسم المركب من
اللحم والدم والعظم على شكل خاص ؟؟

ان هواء الفن عندما يطأطشون رؤسهم بين يدي الاثر الفني
فانما يطأطشون لحكمة الفن الخالدة في هذا الاثر والمحبة اذا خضع
بين يدي حبيبه فانما يتخضع للجمال الذي هو سر الله في ذلك الحبيب
ثم ما هو هذا الحب ؟؟ أفليس هو الصلة التي تتشابك بها
اجرام الكون فتحقق منها وحدة الوجود التي يتخضع لها المتصوف
ويحج بها ؟؟ وهذه الصلة ليست هي اليد التي يمسك الله بها الكون
في تماسكها الوجود ان لم تكن هي الله ذاته متغلغلة في صميم الاجرام
الكونية ؟؟

٤) فعوا يا استاذ ! تريد ان تحمل صفة الحب الافلاطوني
على الحقيقة فيخلد ذروه باجسادهم ام على الجواز يخطبوا
بارواحهم ؟؟ فان اردت الاول فما نجد افلاطون حله لجسمه وان
اردت الثاني فلم نر قيس العامري اقل خلوا من افلاطون اذ
يقول :

امر على الديار ديار ايلي اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغف قلبي ولكن حب من سكن الديارا

اترفع الانسان يولائد عقله الذي هو وليد المجتمع ونضمه
يولائد روحه التي هي وليدة الطبيعة ؟؟ على ان نجد الفن الذي هو
وليده الروح ابداء اخلد من العلم الذي هو وليد القتل . افلا نتجمل من
انفسنا اذ نقول : ان الهوى العذري مرض ونحن نغذي ارواحنا به
لتصح من مرض المادة الفتاك ؟؟

ومما احب الى نفسي ونفسك يا استاذ ان نكون مرضى
ويتغنى لنا الناس بثل قول الشيد العذري :

وماذا عسى الواشون ان يتعدوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة قلبي وان لم تصفب منك الخلائق

طه حسين بأثر المازني

بعضهم على بعض . كل ذلك أجراه العميد بسياق يفهمه المازني وحده ويشاركه في فهمه الخالص من متقني الادب وقرامته واساتذته وكان في طليعة هؤلاء . الفاهمين الواعين المتوقد ابداء ادب مصر الذكي (زكي مبارك) فشرح هذا التعريف وفضل ذلك الخطاب ولكنه اذ كان يشرح لقراء الرسالة المصرية التي كتب فيها معلقاً على هذا الموضوع ومفضلاً ، فاته ان يذكر للقاء حادثة المعري ببغداد في حلقة الشريف المرتضى وتلك ان ابا العلا . حسين هبط ببغداد شاع فيها مقدمه وخافه المترضون . من اهل الدين والكاسبون باسم التقى وكان الشريف في المسجد الجامع يشرح قصيداً للفتني ويفدح فيه ويكيل له مذمة وتقصاً فقام ابو العلا . وكان في السامعين فقال :

— ان لم يكن للفتني من قصيدة سوى التي يقول في مطلعها :
لك يا منازل في القلوب منازل

اقررت انت وهن منك او اهل . لكفى
فغضب الشيخ المرتضى وأمر بالمعري فطرده التلاميذ خسارح المسجد . ولما عاد الى درسه سأله التلاميذ حل للقرع فقال :
— انه يشتني . لان هذه القصيدة قول للفتني :

واذا انتك فمعتي من ناقص فهي الشهادة لي باثي كامل
فغضب من ذلك الشيخين وفهم الاديبين .
والى هذه القصة اشار طه حسين ولم يشرحها زكي مبارك . ولم يشر زكي مبارك كذلك الى كلمة السرقة العلنية التي وردت في رد الدكتور طه حسين .

وحديث هذه السرقة يبرز في ان خصوم المازني يزعمون انه سرق قصة « ابراهيم الكاتب » من رأسها الى قدمها من الكتاب « سينان » وهو احد ادباء الفرنجة . ونحن نجعل الاديب الكبير عن هذه التهمة . وقد اكنى زكي مبارك في المنفعة عن طه حسين بلوم المازني لوماً فيه بسمة له وهو يتلقاه وجهاً لوجه . وفيه عنف وجور وهو يلتفت نحو طه حسين . وكان في دفاعه عن العميد مشابهاً للمعز تحتل اثمها اذا استم الحلب ودرت درتها بالث على اللين فافسدته . فلقد مضى سادحاً لطله حسين مظهرأ فضله على نهضة الادب مراعيأ حقه في نيل المراتب الرفيعة وحين اشرف على الانتها . من هذا الدفاع رفسه بكلمات رجليه فكان كفرس حسن قياده . وجل طراده ثم شمس وحرن . والمبارك ينسام قلبه على بركان فاذا استيقظ بعض الشيء . اخذ بركانه يتفجر وان فيه لطله لكثيراً من الجحيم .

لقد انعم الله على طه حسين وعوضه من كفاف البصر ، رفعة القدر ، وبسطه الحال ، وبمجيحة المال ، وعز الوظيفة . ذلك من شأن قسام الحظوظ بين الانام ، فهو الذي يوم ابدع العالم ، فرق على الخليقة شقاءً وتساؤلاً ، وذلك وعزاً ومسالماً . وغنى . ففريق آب بالغنية ، وفريق آب بالايا . ولكم بين من بدم الدهر لهم اناساً كانوا اقن بعبوسه ، وكم مشر كسبت لهم الخطوب عن ناب القارح ، لو انصف الحظ لسمنهم غوايب الغز والمنعة . غير ان ملا من الناس قد نالوا مراتب وحازوا مكاسب يجهد النفس ، وغلاب الصبر ، ويجت الجدارة ومسا على هؤلاء . من بأس ولا حيف . من هؤلاء . الاخيرين الاستاذ « طه حسين » مدير جامعة فاروق بالاسكندرية . فانه بعد ان كتب مقدمة على ديوان شعر صدر حديثاً في مصر لم يمكن احد ليحبهم من الشعراء . وهو عزيز أباظة . فان هذا الشاعر قد ماتت زوجته فظلفت بيته قاعاً صفصفاً ، وكانت في دارها حياة كل شيء . فيها فلما ماتت غادرتها جسادا في رماد هامد . فب بعدوا زوجها فظلم فيها الاشعار البواكي مما يصلح ان يلغعه بالخنسا . وهي توثي اخاه صخرأ بالاشاعر جريز وهو يرثي زوجته او بالشاعر الفارس محمود سامي بشا البابودي وهو يبكي قرينة حياته . فأعجب طه حسين بشاعرية الاستاذ اباظة ورفعته الى منزلة الشعراء المجيدين . فلم يعجب ذلك الاديب العصامي الكبير ابراهيم عبد القادر المازني فكتب في جريدة (البلاغ) المصرية بفند قول طه حسين ويسفه آراءه في ذلك . فهاج الدكتور طه أيا هياج وكانه الاسد دخل على عرينه أسد آخر . فرد على المازني في جريدة البلاغ يقول : « أوكد للاستاذ المازني اني آسف لالاسف لان الاستاذ عزيز أباظة لم يطلب اليه هو كتابة هذا التصدير ، اذن لكان له رأس كلمة الجليل وذنب كالذي خوف به المنجمون المعصم حين هم يفتح عمورية وآسف لالاسف لان الحكومة لم تكمل الى الاستاذ المازني عملي في وزارة المعارف وفي جامعة فاروق . اذن لكسبته الحكومة والادب جميعاً . والاستاذ المازني يعرف ان لابي العلا . قصة مع الشريف الرضي وأظنه يأذن لي في ان اسرق من هذه القصة شيئاً ، فالسرقة في الادب مباحة ولا سيما حين تكون في العلن لا في السر . . . »

ثم ان الدكتور طه حسين جعل يذكر للمازني كلاماً ساقه بأسلوب من التعريض عن الحسد وتقسيم الرزق بين الانام وتفضيل

ما اصوب هذا المنطق . ومن ياترى يقسفي وجه المرأة فيمنعها
عن ان تقول كلمتها في الامر؟ ومتى اصدر الادب والفلسفة قراراً يخطر
على المرأة ان تدافع عن نفسها اذا كان ما يقال عنها كذباً وتهافتاً؟

الأحد

زکی الموصی

دع شؤونه المرأة للمرأة

هذا عنوان كلمة كتبها الأنسة «ابنة الشاطي». في عهده مضى من «المصور» وكان قد صبح عزمي على نقدها في هذا الباب من «الاديب» حين طالع الأستاذ عباس العقاد بنقدها في الرسالة فالتفت فيها بعض ما وددت ان اسجله، وهو نقد «المرأة» لا يكتب عنها غير المرأة» ولم أجسد فيه البعض الآخر وهو نقد الكلمة بحملتها فيها من وعن المنطق وخطل الرأي والتناقض ما ينبغي ألا تتجاوز عنه. تقول «ابنة الشاطي». «... فان الرجل لا يعرف المرأة ولا يفهمها، ولذلك يصورها في كتابته مخلوقة أخرى غير التي نعرفها في نفوسنا ونحسها فيها» ويقول العقاد في تحريك ذلك: «والحقيقة التي اقراها الله واقراها

ويدرس فرد منا شخصية او شخصيات في عصر من عصور التاريخ ، او يدرس بيئة من البيئات فيه ، فيتحدث سريعاً عن كل هذا العصر ويطلق الكلام على عقليّة الامّة كلها ، كأن العصر صورة متكررة عن هذه الشخصيات ، او ان عقليّة الامّة يمثلها فرد او افراد .

وما أثمر ما نقرأ في هذه الأيام من الأبحاث التي تتناول ،
دفعاً واحدة ، حضارة هذا الشعب ، أو ثقافة ذلك العصر ، وما
أكثر الكتب التي تتصدى للحدث إلى الصلات أو التأثيرات بين
أمة وأمة . . .

روبيدأ! ان ماضى الامم وخصائص الشعوب ابعاد من ان
يشملها مثل هذه الاحكام التي تطلقها نظرة طائفة تائهة ، او نظرة
لم تعدد الى اعلى فاجاف متعددة قد يكون لها لونها الخاص وظروفها
الطائرة ، وشؤون الحياة والفكر أشد تعقداً واكثر شجونة من
ان يجمعها حكم عام شامل اعتمد على بعض الظواهر القرمية .

وربما كان الحكم ينطبق على الواقع ، وربما كان الشذوذ
تأنيلاً لواقعته ، ولكن لا شك ان في هذه السطحية في اطلاق
القول إطلاقاً وفي تعمع الاحكام ، خطراً على التفكير ودفعاً به
نحو السريعة في عمله

لم تكذب هذه المعاني تدور في نفسي حتى عدت الى ابراهيم ،
 المؤلف اقبل المعاني : لقد قرأت الكتاب قبل ان يأخذني ، ولعله عرف
 الكاتب في مؤلفاته الأخرى ، فاندفعت بهذا السؤال : ماذا قرأت
 لهذا المؤلف ، اجاب : لم أقرأ له قبل الآن . . .

وكدت أطلق على عدد وافر من مؤلفينا اسم ابراهيم لولا
اني أشقت ان اقع سريعا في خطأ التعميم . . .

٢ - السجيم

«... عرفت علل كثيرين من الادياء الذين نسميهم في هداة
من الزمن ثم تورادونا وغيب انشادهم ، وليس باث ذلك
عندي جفاف القربة او نضوب المعرفة ولكن اليأس من الانصاف
الذي اصبح الناس يتجلا به ! المحسنون كثير ولكن مما اقل
المنصفين ، هل سمعت واحدا في هذا البلاد يذكر الحسن احسانه
ويعدل على تشجيعه ؟»

هكذا اجاب الاستاذ خليل هندواي مجلة الصباح الدمشقية
عندما سأله عن سبب سكوته عن الشر . . .

تطلب الاديب

| | | |
|-------------|----|---|
| بيروت | من | دار الصحافة والشر |
| طرابلس | » | مكتبة زيليط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف يوديب |
| حلبا | » | السيد عبد الله محفوض |
| زحلة | » | السيد جوزيف مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طابع |
| مخمس | » | السيد عبد السلام السباهي |
| دير الزور | » | السيد توفيق الشامي |
| اللاذقية | » | السيد اديب ملوح |
| | » | السيد حنا نصره |
| | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مقرطي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان زرقا الله كردي |
| الباب | » | الشهبا لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي |
| فلسطين عامة | » | شركة فخر الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة |
| بغداد | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| البصرة | » | السيد ياسر عبد الله السعدي |
| الموصل | » | الشعب : السادة عبد النافع فاضل |
| مصر | » | وسعيد احمد |
| | » | عموم المكاتب والباعة |

وهي تتابع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرثا لبنانياً ، في العراق بـ ٧٥
فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان بـ ٥ غرثا مصرية

صحيح ان التشجيع فآثر في شرقنا العربي بين الكتاب وقارئهم ولكن هل على الاديب ان ينتظر التشجيع من القراء حين يكتب ؟ اذن عليه ان يلائم بين ما يخطط قلبه وبين ميولهم واهوائهم ويحدتهم عن مثل عواطفهم ... وفي ذلك حد من حرية الاديب ، وتضييق لرسالته التي تأتي ان تنقيد برضى ضيق كروى القراء ... حياة الاديب كفاح ، يناضل في سبيل آفاق جديدة دون تعثر في ألتفاته الى رضى البعض او نقيمتهم ...

وفي نفس الاسبوع الذي صدرت فيه الصباح ناشرة كلام الاستاذ الهنداوي حملت مجلة الرسالة الى قرائها كلاماً للدكتور زكي مبارك عن حياة الاديب يقول فيه : ان الاديب الحق ليس اسيراً للوطن ولا اجيراً للمجتمع فكيف يكون اسيراً لفلان او اجيراً لفلان ... ونفس هذا التحرر الذي يريده الدكتور مبارك للاديب ، يزيد من التشجيع الضار الذي يزين له الاشياء على احسن ما تكون . ان التشجيع دفع التقدم ومثير للنجاح ، ما في ذلك شك ، ولكن بما لا شك فيه ايضاً ان تشجيع الاديب لا يكون بهتاف مثل هتاف الاستاذ الهنداوي بشاعر ما ... في نفس جوابه المذكور « للصباح » ، ولا يكون بوضع نظام يقي الاديب ، شر التشدد (١) كما اراد وزير الشؤون الاجتماعية في مصر في خطاب له اخيراً ... افما يكون بدراسة نقدية هادئة لغيره ، وللقراء سبيل الحقيقة وتوجيه وجهة اقوم من وجهته الاولى ، من الاول ، وباستقلال الادب عن كل سلطة تربطه بقوانين وانظمة من الثاني .

ان للتشجيع المصانف خطراً لا يقل عن خطر الامل ، اول اثر من آثاره الفرور القتال ، وعند ذلك المصانف هذا الاديب على الثروة الفكرية التي يملكها او الهبة الادبية التي لم يسع بها قبل الان ، ثم الاستقامة على هذه الشهرة ... لم افكر بذلك لو كان هتاف الاستاذ الهنداوي بهذا « الشاعر » تشجيعاً مجدي ولا يضل ، فقد كان من نتائج ان نشرت له زميلتنا الغراء « الصباح » ابحاثه في صدر الصفحة الاولى ، يبعثها اطار لعله اجل منها ، ويحيط بالاطار مقالان : احدهما « للشجع » ، والاخر عن التشجيع الذي يقفه صاحب توقيع « صياد » بانه ارسال تحية او سلام او كلمة اعجاب ... الى ذلك الشاعر ... ولم ينش الامر عند هذا الحد ، فلاك ان « الشاعر » الذي الغاه الهنداوي مثلاً غير مقصود ... قد قرأ كل ذلك وصدق كل ذلك وداعب آمالاً عذراً ... فما كان منه الا ان تذكر انه قد ارسل منذ زمن بعيد مقطوعات لاحدى المجلات وكانت هذه تتردد في نشر بعض ما ينظم فكتب اليها يقول : « وان في شهره واسمة احسد عليها » . ولا يبعد الفاريه نفسه بان يعرف من صاحب هذه الشهرة الواسمة ... لانه لم يسع باسسه قبل الآن ...

« بهي »

مكتبة الاديب



الرواية

منتخبات شعرية للاستاذ صلاح الاسير - منشورات الاديب

سيقال عن الرواية انا لون من الشعر جديد . وسيقال انا قطعة موسيقية متأسفة . وسيقال انا خيال جامع واحساس مرهف . - كما سيقال ان « الرواية » كلام منقح ، وانها ثنائيات متعمق ، وانها تشذ احياناً عن اصول الشعر ، وحياناً عن اصول اللغة ، وحياناً عن اصول التفكير . . .

وسيقال عنها بين هذا وذاك . . . اما على صفحات الصفح والمجلات ، واما في زوايا غرف المطالعة ، وكل ما سيقال صواب او قريب من الصواب !

واحب ان الاستاذ صلاح الاسير توخي - ما استطاع - ان تكون واحدة كذلك : لوحات مبسطة ، غريبة الألوان ، منحوة الاطراف ، كان الشاعر يريد الا يعيد خيال القاري ، يحدود ، لانك لو لا يعرف للنبي حدا . كتابا رسم صورة بشي من الوضوح ، خاف ان يفهم على وجه معلوم ، فاسرع الى ريشته . . . ولا تسلم عن الاصابع المصقولة فالعدييات من اسرار نظم الشاعر :

دعي البحر يحلم ، لا توقظي ، ونامي على راحة الزروق
وغلي الشمس تنام بقرنك سكري غرام الصباح النقي
اساطير في الشط ، في الازل الحلو ، عذراء ريانة الرونق
وافاق ينسج عليه من الوهم لون الغروب ولم يشرق
وفي كوة العين ، من عربة اليكر ، آهات خرساء لم تنطق
ابن الايات الاربعة الاخيرة من البيت الاول ، ومن هذا الذي

يلها :

وجسك في الماء ذوب الضياء تسريل في برده الارشق
صلاح الاسير - باللفة المقهومة - شاب في ميعة الفتوة ، يحب ما وراء الاشياء ، أكثر مما يحب الاشياء ، وربما احب ما قبل الحوادث وما بعدها أكثر مما احبها هي ، فهو ابداً اما متخيل مستحبالاً (مثلاً) ما وراء ذلك المستحيل ، اذا كان لهذا السؤال معنى) واما طالب امرا محتمل الوقوع ، او مودع حادثاً حدث ، ولكنه على كل حال لا يطرب لما في يده ، لانه يعيش بالاماني والذكريات . لا يكفي ان يحب وان تبادل « هي » الحب ، ولا يصف حبه كآمر كائن او سيكون ، بل له لذة مريضة في ان يبقى معلقاً بين الغلق والانتحالة :

للتفتي نحن في روي ، عبر غيب متعرف ادوع الثوب ، شروود !

اسمته قطعة من نظمي هي نعمة صراح على امرأة مستهتر ، وسألته - ولي بذلك مأرب - ان يتنمي عنواناً لهذه القطعة ، فقال : سراب . . .

وصلاح الاسير - بلقته هو - جرح أبح في جسم الانسانية البض ، او بسمة اشرقت في الازل ولا يصل نورها الى الابد ، فهي تطوي الزمان ، تزداد شعوباً دون ان تنطفئ ، ولعلها اذ تطل على منفرج الابد تختفي في مقدر الشمس ، وتبقى ناطرة غير منظورة . ولكن مالي اجدب النفس بتعريف هذا الشاعر بلقته ، وفي « واحته » ما يكفي في مؤونة التثنيق ؟ اليس هو الغائل :

اجوب مدى الظن في هاجس شروود واغرق في الملم
وألوي غريب المعنى في التراب وعنياني في ملعب الانجم
اليس هو الصاروخ :
انا نعمة افنتها العصور تموت على حلها الضائع ؟
اليس هو التثنيق :

انا يا رسال وودت لو كنت السراب على الرمال
لي من دجى المجهول حملك انت بالماء الزلال
وتقلت من عالم جهم تختبئ بالسؤال
الماء فيه على مدى وانا غيك في ضلال
... في مودع فوق السحاب وادعيك غد الميثال .

تلك النسبة صلاح الاسير . شاب منقطع ، يحب كل شي . ويجب ما وراء الاشياء ، ويشتعل المجهول على الملموم ، والفاض على الواضح ، والعالم على الخاص ، والا فقل لي لماذا يوتر هذه الالفاظ : « المجهول ، الوهم ، الغيب ، السراب ، السر ، القرار ، . . . وما الينا » فلا تكاد تخلو قطعة منها او من مشتقها ؟ بيد انه لا يكفي بالكلمات الفارقة الملائكية كالتي ذكرت ، بل يتعداها الى التراكيب الشاذة : « الحاطر الأزرق - الحاطر الاشقر - جرح ابع - عتيق الزواء - امشاق النشور » . . . ولكنه غالباً يتوقف الى تراكيب جديدة وجيلة : الرقبة الخرساء - الابد المطمئن - تولول فيها الطوب . . . شاعر « الرواية » شاب ، يحس انه قطعة من الكون ، فيري نفسه ذرة مندجبة في الحجر الصلد ، متغلثة في حنايا الغمام ، سافية مع الريح ، جارية مع الماء ، معردة في الكاس ، جائعة في المعابد ، متهتكة في المفاسير ، رجراجة في السراب ، مطوية في السر ، تائه في المدى . . . وتساعد احاسيسه بعض حواسه : العين والانف والاذن ؛ فهو مولع بالالوان الى حد الغلظة (« الحاطر الأزرق او الاشقر ») وحساسة الشم عنده جد متبقة ، فكل واحته غير وطيب . . . اما الاذن ، فلعلها تفتني على الجميع ، لانه يرى الموسيقى في كل شي ، بل يرى الكون موسيقى ، وهي أبرز ميزات شعره ، ما خلا بعض القطع حيث تمتد بجاذوة حدود الشعر الى النثر ، فيخرج - بتصرف لبق ولكنه ملموس - من بحر الى بحر ، ومن توقيع الى توقيع (غوند ، الحريف) -

وبعد فالرواية ليست واحدة - اعني ليست واحدة تامة . ولو قلت

لكنا وصل الشاعر الى اوجه ، لا مسح الله ، فالمستلزم فصبح امامه . .

الوجه الاصولية ، شارحا لنا نشأة الفكرة وتطورها خلال العصر ، وكيف يجب ان تكون بحسب تغليات هذا العصر ؛ لا . فالبطلان الاصل عند رشدي معلوف هو ادخال العناصر المثقفة الراقية الى المجلس اعني المجلس اللبناني لا كما كان يتم ذلك في الايام السابقة من انحواء المجلس على العناصر التي قد تفكر في كل شيء الا بصالح البلاد ورفاهية اهليها . وقد حمل الكاتب على هذه الفئة بمددا اسماها « طائفاً ان تحل محلها فئة تغدر على العمل ، وتريد ان تعمل وتعمل سوا تريد . . . كما حمل على ما يسيه النخبة الاعترالية التي تنصح بالخير ولا تعمل ، وقد خلق الأستاذ توفيق يوسف عواد على مقالات الأستاذ معلوف ، موافقاً حيناً ، معارضاً حيناً آخر ، وقد ادى به الكلام الى امر من الاهمية بمكان عظيم . . . يجب ان يقوم في البلاد حزب قروي تأتلف فيه شتى القوى والآراء وتصر فيه كل النزعات ، مخالفاً في ذلك رأي الأستاذ معلوف القائل بان القضية قضية افراد في الدرجة الاولى وليست قضية احزاب !

وهي ان تتحقق آمال الكاتيب فيكون اعضاء المجلس يتعاون بالفهم والاخلاص والموهبة التي يشنهاها الأستاذ معلوف في اعضاء المجلس الجديد وترتمش البلاد ارتماش الوطنية لحقة فيتألف الحزب الذي يعبر عن نزعات ابناء البلاد ويمثله اتم تمثيل كما يريد الأستاذ عواد .

المختصرة ان هذا الكتاب - وهو مجموعة مقالات نشرتها مجلة الجديده لا تخلو من فائدة في هذه المرحلة من حياتنا النائية .

م . م .

هو

مجموعة شوية للأستاذ محمد علي الخوامي

الطبعة الكشاف - بيروت

« حواء » تبث في النفس من المشاعر والاحاسيس ما تبعثه كل حواء : الوثائق من الهوى والزوجة والحالم ، وضروباً من الفنتة والسحر والاغراء . واشكالاً من الخيال تنحل الروح الى اجواء عاصفة بالاحدم ، زاخرة بالصبايات . . .

والاستاذ الخوصاني يحمل الفاردي الى جوت : جولايع بك لافغان تتردد اليه ذكريات هوى صادق شريف ، وتكتنفه احلام عاشقين نما حيناً من الزمن باعق حب والهمز غرام ، ثم تنقطع على جنباته وانغائه دموع برحها فاجعة ممتلئة من الحبيبة ، فحصلت من اللوعة والشجو والآسى ما يذيب الفؤاد ، ويرمض النفس ، وجو مشرق حالم مفر تحضبه صديوات نفس مشوق ، وتطرز حواشيه نزوات شيرة عارمة تبهر عن مآربه .

وغاياتها وتتوصل احباً الى ان تثير الفاردي . . . وهكذا يكون ديوان « حواء » مزجاً من الحب الغيف الصادق ، ومن الهوى القوي الجارف مزجاً من اللوعة المشجية ، ومن الفرحه والرضى . ولما ندرى بعد لماذا قدم المؤلف لديوانه بتلك القصة المعززة التي لا تبهر الا من قسم فضيل من شعره ، او لا يعكس طوباواها الا جملة من الكتابين ، وليست هي الكتاب كله ؛ فمطلعات « من وحي الدموع » اسما فقط هي وحدها التي يمكن ان تثير متبادراً عن تلك القصة ؛ اسما فمطلعات « من وحي القلب » ومن « وحي النهد » وهي تشكل قصاً

الها واحدة ضمن واحدة ، فالاستاذ الاسير لم ير من الواحة الا المائل الفيتاء ، والسواقي الصافية ، والهواء البليل ، والعبور الفريدة . . . الجمل والصفا . عدهدهما الموسيقي شيء من الاجام . انما واحدة الاساء ، فلا تها انصرف ولا الليل استقر ، بل خلود وسكينة ، ومينيات بعيدة ، ولط في الاركان والاركار لا تتيه الاذن ، وانما يحس به الماطر واجاً . . . والاستاذ الاسير مستاق على ظهريه في الرجوحة الحلم ، واضاف يديه ثمة راسة ، مطبقاً جفنيه لا ياذنيه . . . وهو بعد بخير بين اسرين ، اما ان يبقى في ارجوحته مكتفياً . . . وتعلم علينا بعد سنوات « واحات » هي اصداء واحته الاولى . . . واما ان نبض ويحس عينيه ، ويتنقل بين المائل المثقفة ، فيعلم ان فيها افاعي شريرة ، ووحوشاً ضارية ، وحشرات مؤذية . وان رسال الواحة ليست كلها تخيلية . . . ثم يترك الواحة ويخرج الى فسيح الصحراء ، فتلقه العاصفة ، وتسلمه الرضاء ، ويرغمه العطش ، ويضيه الجوع . فاذا قل ذلك ، وتابع طريقه في الصحراء لا يبالي ، وصل آخر الامر الى المصور ، ونشر اماناً واحات جديدة ، ودق من الجبول تشرق على يديه في المعلوم ، دون ان تغدق من قوحا وخصابها وعمها ويعيرتها . . . سيغال عن « الواحة » ما يقال ، ولكنها - وهي شعر صادق جميل - مجموعة قنايل يغلفها المثال ، والحجر الصلد لين بين يديه ، انما هو لم جند بعد الى الصورة المثلى التي يود خلفها .

ولكني تؤمن بصلاح الاسير : اقرأ : « الى قاهرة » و « صلاة حذراء » و « فيم الثاني » و « الام » فهي قطع تامة الالوان ، صادقة الالبعة ، طيبة الانسجام ، يلبس فيها الفكر احسن لباسه ، وتصدده الموسيقي موقفة الى حد بعيد ، ناعمة ، باكية ، صاخبة ، حنوناً . . . سبرام عن الموضوع ! ولكني نرى محاولاته الجريئة ، اقرأ « نوله » و « ابراء » بل اقرأ المقدمة الشعرية : « في الطريق الى الواحة : المائل والمصور »

هي يا صلاح ! طوافاً دقيقاً في جواب الواحة ، والى الصحراء !

سلم حيدر

البرهان الاصل

للاستاذ رشدي معلوف - مقدمة للاستاذ فواد حبيش - تعليق للاستاذ توفيق يوسف عواد - مائة صفحة قطع صغير - منشورات دار المكتشف مطبعة الكشاف - بيروت

« . . . وهذا كتاب جديد ولكن بكل ما فيه ، بموضوهه اولاً ، لاننا كمالنا الى ذلك الاستاذ حبيش ، على الرغم من ممارستنا الحبيسة النابية خلال حقبة لا بأس بها من الزمن ، لم يغم فينا من يكتب او يشير الى اثر ذلك النظام فينا وكيفية تطبيقه تطبيقاً يعطي ثماره الناضجة ، او تعديله بصورة تتلائم مع طبيئتنا واستعدادنا !

صحيح ان الصحافة تناوالت هذا الموضوع في غير مناسبة وكتبت به كثير ، ولكنها كشأها في كل ما كتبت عندما تلم بالموضوع المألاً ولا تتعرق الى اعماقه وتنتقل في روحه بلهم دقيق ! وقد يصعب البعض ان الاستاذ رشدي معلوف بحث موضوهه من

كبيراً من الديوان ، فلا تصدق على تلك الأماسة التي حوّلها القصّة ، بل تكاد تبهر عن عكسها !

وهي يمكن من امر ، فالشعر يسمته رائحة عذب رقيق بلذ الفاري، إلى ابد حدود اللذة لآزمايت : روعة الوصف وجمال التعبير ، وسمّة الخيال وانطلاق الفكر ، وعمق النظر وسدّ الفزى ، وصراحة القول عا يتلجج في الصدر ، ووضوح الصور وجلالة المعاني ، واخيراً اللوعة الصادقة في بعض المقطوعات

أما الميزة الأولى فقد نتجت عن أن الشاعر يقطع الصورة التي يصف فينقلها إلى صور أخرى مشابهة ، ثم يبدلها إلى صور أخرى مشابهة ، ثم يبدلها إلى نفسه ويريق عليها احساس عذبة حلوة . فإذا هو يترجمها لك مكنسة تامة رائحة تحفّ بالحياة والجمال .

كلما ادبنت منها كبدي لست في وتلطفت شفتاها فكان الحمر احب دما فذوت عينين واحمرت شفاها وكان الاقنى لا قبلت ... فجر شمس الضحى قبل فاها خفت روعي على بسبها فترامت في شئ من لاهها سألني ما ترى قلت فأ حفت عني به أسى رواها وشفاها يترضن دمي ويلون الشئ حتى اراها .

كل ما رآه عينان ذاويتان، وشفتان محمرتان ، فإذا هو يخرج ثلاث صور تتوكل كل منها الأخرى جمالا وعتوبة . فكأنه الحمر اثار دما فاحمها، فاحمرت منه شفتاها ، او هما احمرت كما ان الاقنى قبلته شمس الضحى ، قد لثها ، فصفاها احمراداً ، او هما كسيتا هذا اللون بعد ان تحصتا دم شفتيه و تحصا . وانظر الى هذا الخيال الرائع في قوله « ويلون الشئ حتى اراها » . وقد ردّد الشاعر ذلك التعبير في قوله في « المتج » والحدود

كحالم يسمي ان يرى دمه على شفاها ينظوًا ومثوًا . وتكرر هذه الروعة مرة أخرى إلى تسلسل هذه الصور المتوالية في تلك التمايز المشرقة :

ماذا تظنين في الاقنى يرمذا تحت الظلام وعين الحب ترعانا . وقد تدفق نور الفجر منبثًا من صدرك الغضبي يوحى الشعر الوانا ماذا تظنين ، هل اصحو صباحتي فأنني حثك ام اغشاك نشوانا ادبنت فدا بروى الاصبل به ويلطف الصبح من عييك علمًا وانت مستغر في كثير من تلك الايات وفي غيرها روحًا خفيًا يجعله في الشاعر فاسع قوله :

« ادبنت في بها صدري وقلت لها جسي في لظفة مسا عن ام حلم فاجفلت جزءًا ثم ادعوت ودنت . بني مفرقة . لكن فأ لقم . . . » وقد تلوّت معلومة صبيحة وفق فيها الاساذ الخوماني الى ابد حدود التوفيق في تصوير الفناء . . . فناء العتيق في عشيقته ، واتحاده بها وفيها يقول :

« كأنك كنت في جني نورا طغي بين الحشا والناظرين احثك في دمي فسكت حتى ظلمت فما اراك ولا تريبي . عدت اري بلا عينين غصًا جنيتك من ذراه بلا دين وللمون في ديوان « حواء » مكان كبير ، وإخا ان الشاعر اوتي موهبة جبينة في استكناه اسرار العيون وسير غورها . وله منها ابياء خاص : فيها يستطيع ان يرى علماً واسعاً ويرى ان المكان لا يسمه فيها :

واراني همت في الارض فأ وسمت رقتها بعض مكاني وعلى ادهاجا يرى كل شيء ، ويحوكل جميل :

وتبيت على ادهاجا روعة الفن وإيماء الضمير بعينك اجبرت وجه الحياة وفي غير عييك لا اصر قولي ليعنيك اذا كان من كبدي حتى تصرجنا من افه الدامي وما اعق هذا الخيال :

حلمت مقلتك في قيل الفجر فأ في قم وخصرا حصر فاذا بنا النجوم حتى ترامت في جيب الصبا سباتك در فاذا الانجم المذابة دمع فوق خديك من شفاها يجري واذا الفجر هذه الشم البيض على الافاق من شفاهاك تسري وتستطيع ان تجد الى جانب هذا الخيال الواسع المرن افكارا عميقة ومعاني ليست الا غلاً للحقيقة ، وهنا يبدو شاعرنا الخوماني بعد ان رأينا شأياً طلقاً وثابت الخيال ، رجلاً علمه الزمن الحقيقة واطلمه على بعض اسرارها . وذلك ظاهر في قطعة « الحقيقة الضائعة حيث يقول :

جهلت الحقيقة بين القصور وانكرتها في ظلال الشجر تلمستها في صميم الحراسة ونقشت عنها بطون السير اسائل عنها بجم الغلام واتلدها تحت ضوء القمر فا جر العين منها الضياء ولا توسدت بين القصور وفقت الحقيقة تحت اتراب ورنز الحقيقة هذا الحجر واستمع الى هذه الايات الثلاثة تعدد ما أوتي الشاعر من عمق في الشعر وروعة في التعبير :

يا ليت عييك لي اذن فاسع ما لا تبصر العين من وحي والهام اوليت اذن سراً ترى بصري ما لا يبني فيك من وقع والهام حتى يذ لي لي ما تمي اذني وتسنوي فيك آثالي وآلامي ان تكون عينها اذن له ليسم ما لا تبصر عينه ، وإن تكون اذنه عيناً ليرى ما لا تمي اذنه ، فينال بذلك لغة مزدوجة فيها وتسنوي لديه عندها آماله والانه . وهذا معنى بلغ منهى الروعة .

وانتقل الان إلى مزية الصراحة عند الشاعر . فهو لا يشكك من ذكر كل ما يحول في فكره ، وكل ما جرى له . ولعل الفاري يستطيع ان يشكك من هذا كله خلق الصدق عند الشاعر ، هذا الملق الذي كدنا نفقده عند أكثر شعرائنا المحدثين : وفي هذه الصراحة نفسها ، كما الذي تستعده من صور ومعان ، ما يدعو الى الاعجاب . لمقطوعات من وهي الفهم « النود » رقيقة حلوة وإن كانت تتجاوز الإيحاء احياناً إلى الأصرح المكشوف . وهذا ما ادرت ان اشير اليه حين قلت ان هذه المقطوعات لا تنطق بحال على ما في المقدمة : « بين يدي حواء » لان الشاعر يعبر في هذه الاخيرة شأياً عفاً كريم النفس تغني اللوعة والاسى والذكريات المعززة ، بما يبدو في تلك شأياً متعشاً تغني الشهوة والجسد وذكريات البالي الحمراء .

ولعل الفاري ، قد لمس معي هذه السهولة تفرق بين الايات ، وذلك الوضوح الذي لا يدع للفاري ، ايجال لان يقاسي ويتمدّب في الفهم والادراك : ولعل هذه اعظم ميزة في ديوان الشاعر . وإخا ان ذلك راجع الى ان لانداز الخوماني موهبة ينط عليها : هي موهبة اللغة الغنية والاسلوب السلس والدباجة المشرقة .

رفضت الولايات المتحدة بوجهها رفضاً باتاً مطالب الإرجنتين للتسليم والتجريد بالريوت ، وبالتالي منحها حق الاستفادة من قانون الاعارة والتأجير .
 الجزائر - استسلمت جميع القوى الإيطالية المسلحة بلا قيد ولا شرط الى الحلفاء . وألقت سلاحها معلنة وقف القتال .
 لندن ٩ - نزلت القوات الاميركية في منطقة نابولي حيث اشتبكت مع الالمان في معارك عنيفة .
 لندن - ذهب الجنرال ايزنهاور الاميريكي الي إيطاليا واجتمع بالمارشال بادوليو .
 لندن - ادّاع الراديو الالاني انه تألفت حكومة فاشية إيطالية باسم موسوليني وقد سعى الراديو الالاني هذه الحكومة « الحكومة الفاشية الوطنية » .
 لندن - وضع الالان ايدجيم على مقاليد الامور في ميلانو وفي مدن اخرى في شالي إيطاليا .
 موسكو - استولت القوات الروسية على مدينة باخاش نقطة تقاطع السكك الحديدية المهمة ومركز مواصلات الالان والمغلل الحصين في اتجاه كييف .
 برن ١٠ - بث المارشال بادوليو بريقة الى هتلر ابدى فيها الاسباب التي حدثت بالحكومة الإيطالية الى الاستسلام . وبما جاء فيها ان الدفاع من إيطاليا قد اضر وان تقدم الحلفاء لا يمكن ان يمول دونه حائل وقد شلت الصناعة في البلاد ونفذت مواردها وقضي على منشآها وسرافتها .
 لندن ١١ - نشرت في لندن نصوص الهدنة مع إيطاليا ، وقد وقع هذه الهدنة في ٣ ايلول مثلول من الجنرال ايزنهاور قائد الحملة الحليفة وعن المارشال بادوليو . وبما جاء في هذه الهدنة وقف كل الاعمال العدائية ضد الحلفاء ، تسليم الاسرى الحلفاء الى القيادة الحليفة ، نقل قطع الاسطولين البحري والجوي الى قواعد حليفة واستخدامها في اعمال حليفة .
 لندن ١٢ - احتلت وحدت الجيش الثامن كاترارو وفازيا واوفيما واحتلت قوات اخرى برنيزي .
 لندن ١٣ - جاء في بلاغ خاص الماني ان قوات الحرس الخاص قد اعتذرت موسوليني الذي كان بادوليو قد اعتقله .
 لندن ١٤ - يدور القتال بنف ورحبة في منطقة سالزو ومينا يمزز الالان قواهم بالدبابات والمشاء تتدفق الامدادات على الجيش الثامن الذي يحاجم بدورنه القوات المعادية . والمركة بين الفريقين لا تزال تردتي طابع المرونة .
 طوكيو - جردت السلطات البحرية اليابانية من السلاح الجيوش الإيطالية والسفن الحربية التي توجد تحت رقابة اليابان في آسيا . وقصد صودرت الاملاك الإيطالية في الاراضي التي تحتها اليابان ووضع المدنيين الطليان تحت المراقبة .
 الجزائر ١٥ - يتقدم جيشان حليفان نحو منطقة سارنو : الاول بقيادة الجنرال موتقنري وقد احتل اس « كوترزا » وتبعد اقل من مئة ميل عن ساحة سارنو ويترحف الثاني على الساحل الشرقي وقد احتل مدينة باري .
 موسكو ١٦ - احتلت القوات الروسية مدينة نيجن .
 نيويورك ١٦ - اعلن موسوليني نفسه رئيساً للحكومة الفاشية الجديدة في إيطاليا بعد مرور ٥٢ يوماً على خلع . وغدا الى بافوليني محرر جريدة

المساجيرو بسكرتيرة الحزب الفاشيستي واسمها يان بيودكي من خلفه بادوليو الى منصبه ، كما انه التي الملكية واعلى الجمهورية .
 لندن - اتجر المارشال كالباليو رئيس الكيان حرب الجيش الإيطالي فجة في روما ، والمرجع ان القائد الإيطالي قد تم على الاستسلام بعد قاتر الموت .
 موسكو ١٧ - اقتضت جيوش القوقاز الشالي على مدينة مرفأ نوفوريسيك واحتلتها وفي الوقت نفسه كانت البوارج السوفياتية في البحر الاسود تنزل الفصائل الروسية في مرفأ نوفوريسيك .
 وفي جنوبي بريانسك اجتازت الجيوش السوفياتية نهر الدنا في عدة نقاط واخترقت الخط الدفاعي الذي اقامه الالان على ضفة النهر الغربية والذي سموه الجدار الالاني الشرقي ثم احتلت مدينة نوفورود - سيفيرسكي .
 موسكو ١٨ - جردت الجيوش السوفياتية مدن بريولي ورومني وبرياتين ولوبي وكروغروود وكراستوغراد وبافوغراد .
 موسكو ٢٠ - احتلت القوات الروسية مدينة ترويفسك بعد ان اختترقت جبهة نهر الدنا في جنوبي بريانسك .
 الجزائر - جلا الالان عن جزيرة سردينيا بعد ان هاجمهم فرقتان إيطاليتان تمسكران في الجزيرة . الفاهرة - ترك الملك جورج اليوناني القاهرة وتوجه الى لبنان بشاردة من ابطانه .
 نيويورك - احتل الاحرار الفرنسيون والجنود الإيطاليون مدينة جاكسيو عاصمة جزيرة كورسيكا .
 الجزائر - تقدم الحلفاء في إيطاليا في منطقة تارتو واحتلوا جيويا بيروت ٣١ - اجتمع للمجلس الثاني الليتاني الجديد للمرة الاولى ، فانتخب معالي صيري سماده رئيساً للمجلس الثاني ، ثم اجري انتخاب رئيس الجمهورية ففاز فخامة الشيخ بشارة الحوري بالرئاسة .

المستعلمات
 إيطاليا
 ١٩٤٣
 ١٩٤٢
 ١٩٤١
 ١٩٤٠
 ١٩٣٩
 ١٩٣٨
 ١٩٣٧
 ١٩٣٦
 ١٩٣٥
 ١٩٣٤
 ١٩٣٣
 ١٩٣٢
 ١٩٣١
 ١٩٣٠
 ١٩٢٩
 ١٩٢٨
 ١٩٢٧
 ١٩٢٦
 ١٩٢٥
 ١٩٢٤
 ١٩٢٣
 ١٩٢٢
 ١٩٢١
 ١٩٢٠
 ١٩١٩
 ١٩١٨
 ١٩١٧
 ١٩١٦
 ١٩١٥
 ١٩١٤
 ١٩١٣
 ١٩١٢
 ١٩١١
 ١٩١٠
 ١٩٠٩
 ١٩٠٨
 ١٩٠٧
 ١٩٠٦
 ١٩٠٥
 ١٩٠٤
 ١٩٠٣
 ١٩٠٢
 ١٩٠١
 ١٩٠٠
 ١٨٩٩
 ١٨٩٨
 ١٨٩٧
 ١٨٩٦
 ١٨٩٥
 ١٨٩٤
 ١٨٩٣
 ١٨٩٢
 ١٨٩١
 ١٨٩٠
 ١٨٨٩
 ١٨٨٨
 ١٨٨٧
 ١٨٨٦
 ١٨٨٥
 ١٨٨٤
 ١٨٨٣
 ١٨٨٢
 ١٨٨١
 ١٨٨٠
 ١٨٧٩
 ١٨٧٨
 ١٨٧٧
 ١٨٧٦
 ١٨٧٥
 ١٨٧٤
 ١٨٧٣
 ١٨٧٢
 ١٨٧١
 ١٨٧٠
 ١٨٦٩
 ١٨٦٨
 ١٨٦٧
 ١٨٦٦
 ١٨٦٥
 ١٨٦٤
 ١٨٦٣
 ١٨٦٢
 ١٨٦١
 ١٨٦٠
 ١٨٥٩
 ١٨٥٨
 ١٨٥٧
 ١٨٥٦
 ١٨٥٥
 ١٨٥٤
 ١٨٥٣
 ١٨٥٢
 ١٨٥١
 ١٨٥٠
 ١٨٤٩
 ١٨٤٨
 ١٨٤٧
 ١٨٤٦
 ١٨٤٥
 ١٨٤٤
 ١٨٤٣
 ١٨٤٢
 ١٨٤١
 ١٨٤٠
 ١٨٣٩
 ١٨٣٨
 ١٨٣٧
 ١٨٣٦
 ١٨٣٥
 ١٨٣٤
 ١٨٣٣
 ١٨٣٢
 ١٨٣١
 ١٨٣٠
 ١٨٢٩
 ١٨٢٨
 ١٨٢٧
 ١٨٢٦
 ١٨٢٥
 ١٨٢٤
 ١٨٢٣
 ١٨٢٢
 ١٨٢١
 ١٨٢٠
 ١٨١٩
 ١٨١٨
 ١٨١٧
 ١٨١٦
 ١٨١٥
 ١٨١٤
 ١٨١٣
 ١٨١٢
 ١٨١١
 ١٨١٠
 ١٨٠٩
 ١٨٠٨
 ١٨٠٧
 ١٨٠٦
 ١٨٠٥
 ١٨٠٤
 ١٨٠٣
 ١٨٠٢
 ١٨٠١
 ١٨٠٠
 ١٧٩٩
 ١٧٩٨
 ١٧٩٧
 ١٧٩٦
 ١٧٩٥
 ١٧٩٤
 ١٧٩٣
 ١٧٩٢
 ١٧٩١
 ١٧٩٠
 ١٧٨٩
 ١٧٨٨
 ١٧٨٧
 ١٧٨٦
 ١٧٨٥
 ١٧٨٤
 ١٧٨٣
 ١٧٨٢
 ١٧٨١
 ١٧٨٠
 ١٧٧٩
 ١٧٧٨
 ١٧٧٧
 ١٧٧٦
 ١٧٧٥
 ١٧٧٤
 ١٧٧٣
 ١٧٧٢
 ١٧٧١
 ١٧٧٠
 ١٧٦٩
 ١٧٦٨
 ١٧٦٧
 ١٧٦٦
 ١٧٦٥
 ١٧٦٤
 ١٧٦٣
 ١٧٦٢
 ١٧٦١
 ١٧٦٠
 ١٧٥٩
 ١٧٥٨
 ١٧٥٧
 ١٧٥٦
 ١٧٥٥
 ١٧٥٤
 ١٧٥٣
 ١٧٥٢
 ١٧٥١
 ١٧٥٠
 ١٧٤٩
 ١٧٤٨
 ١٧٤٧
 ١٧٤٦
 ١٧٤٥
 ١٧٤٤
 ١٧٤٣
 ١٧٤٢
 ١٧٤١
 ١٧٤٠
 ١٧٣٩
 ١٧٣٨
 ١٧٣٧
 ١٧٣٦
 ١٧٣٥
 ١٧٣٤
 ١٧٣٣
 ١٧٣٢
 ١٧٣١
 ١٧٣٠
 ١٧٢٩
 ١٧٢٨
 ١٧٢٧
 ١٧٢٦
 ١٧٢٥
 ١٧٢٤
 ١٧٢٣
 ١٧٢٢
 ١٧٢١
 ١٧٢٠
 ١٧١٩
 ١٧١٨
 ١٧١٧
 ١٧١٦
 ١٧١٥
 ١٧١٤
 ١٧١٣
 ١٧١٢
 ١٧١١
 ١٧١٠
 ١٧٠٩
 ١٧٠٨
 ١٧٠٧
 ١٧٠٦
 ١٧٠٥
 ١٧٠٤
 ١٧٠٣
 ١٧٠٢
 ١٧٠١
 ١٧٠٠
 ١٦٩٩
 ١٦٩٨
 ١٦٩٧
 ١٦٩٦
 ١٦٩٥
 ١٦٩٤
 ١٦٩٣
 ١٦٩٢
 ١٦٩١
 ١٦٩٠
 ١٦٨٩
 ١٦٨٨
 ١٦٨٧
 ١٦٨٦
 ١٦٨٥
 ١٦٨٤
 ١٦٨٣
 ١٦٨٢
 ١٦٨١
 ١٦٨٠
 ١٦٧٩
 ١٦٧٨
 ١٦٧٧
 ١٦٧٦
 ١٦٧٥
 ١٦٧٤
 ١٦٧٣
 ١٦٧٢
 ١٦٧١
 ١٦٧٠
 ١٦٦٩
 ١٦٦٨
 ١٦٦٧
 ١٦٦٦
 ١٦٦٥
 ١٦٦٤
 ١٦٦٣
 ١٦٦٢
 ١٦٦١
 ١٦٦٠
 ١٦٥٩
 ١٦٥٨
 ١٦٥٧
 ١٦٥٦
 ١٦٥٥
 ١٦٥٤
 ١٦٥٣
 ١٦٥٢
 ١٦٥١
 ١٦٥٠
 ١٦٤٩
 ١٦٤٨
 ١٦٤٧
 ١٦٤٦
 ١٦٤٥
 ١٦٤٤
 ١٦٤٣
 ١٦٤٢
 ١٦٤١
 ١٦٤٠
 ١٦٣٩
 ١٦٣٨
 ١٦٣٧
 ١٦٣٦
 ١٦٣٥
 ١٦٣٤
 ١٦٣٣
 ١٦٣٢
 ١٦٣١
 ١٦٣٠
 ١٦٢٩
 ١٦٢٨
 ١٦٢٧
 ١٦٢٦
 ١٦٢٥
 ١٦٢٤
 ١٦٢٣
 ١٦٢٢
 ١٦٢١
 ١٦٢٠
 ١٦١٩
 ١٦١٨
 ١٦١٧
 ١٦١٦
 ١٦١٥
 ١٦١٤
 ١٦١٣
 ١٦١٢
 ١٦١١
 ١٦١٠
 ١٦٠٩
 ١٦٠٨
 ١٦٠٧
 ١٦٠٦
 ١٦٠٥
 ١٦٠٤
 ١٦٠٣
 ١٦٠٢
 ١٦٠١
 ١٦٠٠
 ١٥٩٩
 ١٥٩٨
 ١٥٩٧
 ١٥٩٦
 ١٥٩٥
 ١٥٩٤
 ١٥٩٣
 ١٥٩٢
 ١٥٩١
 ١٥٩٠
 ١٥٨٩
 ١٥٨٨
 ١٥٨٧
 ١٥٨٦
 ١٥٨٥
 ١٥٨٤
 ١٥٨٣
 ١٥٨٢
 ١٥٨١
 ١٥٨٠
 ١٥٧٩
 ١٥٧٨
 ١٥٧٧
 ١٥٧٦
 ١٥٧٥
 ١٥٧٤
 ١٥٧٣
 ١٥٧٢
 ١٥٧١
 ١٥٧٠
 ١٥٦٩
 ١٥٦٨
 ١٥٦٧
 ١٥٦٦
 ١٥٦٥
 ١٥٦٤
 ١٥٦٣
 ١٥٦٢
 ١٥٦١
 ١٥٦٠
 ١٥٥٩
 ١٥٥٨
 ١٥٥٧
 ١٥٥٦
 ١٥٥٥
 ١٥٥٤
 ١٥٥٣
 ١٥٥٢
 ١٥٥١
 ١٥٥٠
 ١٥٤٩
 ١٥٤٨
 ١٥٤٧
 ١٥٤٦
 ١٥٤٥
 ١٥٤٤
 ١٥٤٣
 ١٥٤٢
 ١٥٤١
 ١٥٤٠
 ١٥٣٩
 ١٥٣٨
 ١٥٣٧
 ١٥٣٦
 ١٥٣٥
 ١٥٣٤
 ١٥٣٣
 ١٥٣٢
 ١٥٣١
 ١٥٣٠
 ١٥٢٩
 ١٥٢٨
 ١٥٢٧
 ١٥٢٦
 ١٥٢٥
 ١٥٢٤
 ١٥٢٣
 ١٥٢٢
 ١٥٢١
 ١٥٢٠
 ١٥١٩
 ١٥١٨
 ١٥١٧
 ١٥١٦
 ١٥١٥
 ١٥١٤
 ١٥١٣
 ١٥١٢
 ١٥١١
 ١٥١٠
 ١٥٠٩
 ١٥٠٨
 ١٥٠٧
 ١٥٠٦
 ١٥٠٥
 ١٥٠٤
 ١٥٠٣
 ١٥٠٢
 ١٥٠١
 ١٥٠٠
 ١٤٩٩
 ١٤٩٨
 ١٤٩٧
 ١٤٩٦
 ١٤٩٥
 ١٤٩٤
 ١٤٩٣
 ١٤٩٢
 ١٤٩١
 ١٤٩٠
 ١٤٨٩
 ١٤٨٨
 ١٤٨٧
 ١٤٨٦
 ١٤٨٥
 ١٤٨٤
 ١٤٨٣
 ١٤٨٢
 ١٤٨١
 ١٤٨٠
 ١٤٧٩
 ١٤٧٨
 ١٤٧٧
 ١٤٧٦
 ١٤٧٥
 ١٤٧٤
 ١٤٧٣
 ١٤٧٢
 ١٤٧١
 ١٤٧٠
 ١٤٦٩
 ١٤٦٨
 ١٤٦٧
 ١٤٦٦
 ١٤٦٥
 ١٤٦٤
 ١٤٦٣
 ١٤٦٢
 ١٤٦١
 ١٤٦٠
 ١٤٥٩
 ١٤٥٨
 ١٤٥٧
 ١٤٥٦
 ١٤٥٥
 ١٤٥٤
 ١٤٥٣
 ١٤٥٢
 ١٤٥١
 ١٤٥٠
 ١٤٤٩
 ١٤٤٨
 ١٤٤٧
 ١٤٤٦
 ١٤٤٥
 ١٤٤٤
 ١٤٤٣
 ١٤٤٢
 ١٤٤١
 ١٤٤٠
 ١٤٣٩
 ١٤٣٨
 ١٤٣٧
 ١٤٣٦
 ١٤٣٥
 ١٤٣٤
 ١٤٣٣
 ١٤٣٢
 ١٤٣١
 ١٤٣٠
 ١٤٢٩
 ١٤٢٨
 ١٤٢٧
 ١٤٢٦
 ١٤٢٥
 ١٤٢٤
 ١٤٢٣
 ١٤٢٢
 ١٤٢١
 ١٤٢٠
 ١٤١٩
 ١٤١٨
 ١٤١٧
 ١٤١٦
 ١٤١٥
 ١٤١٤
 ١٤١٣
 ١٤١٢
 ١٤١١
 ١٤١٠
 ١٤٠٩
 ١٤٠٨
 ١٤٠٧
 ١٤٠٦
 ١٤٠٥
 ١٤٠٤
 ١٤٠٣
 ١٤٠٢
 ١٤٠١
 ١٤٠٠
 ١٣٩٩
 ١٣٩٨
 ١٣٩٧
 ١٣٩٦
 ١٣٩٥
 ١٣٩٤
 ١٣٩٣
 ١٣٩٢
 ١٣٩١
 ١٣٩٠
 ١٣٨٩
 ١٣٨٨
 ١٣٨٧
 ١٣٨٦
 ١٣٨٥
 ١٣٨٤
 ١٣٨٣
 ١٣٨٢
 ١٣٨١
 ١٣٨٠
 ١٣٧٩
 ١٣٧٨
 ١٣٧٧
 ١٣٧٦
 ١٣٧٥
 ١٣٧٤
 ١٣٧٣
 ١٣٧٢
 ١٣٧١
 ١٣٧٠
 ١٣٦٩
 ١٣٦٨
 ١٣٦٧
 ١٣٦٦
 ١٣٦٥
 ١٣٦٤
 ١٣٦٣
 ١٣٦٢
 ١٣٦١
 ١٣٦٠
 ١٣٥٩
 ١٣٥٨
 ١٣٥٧
 ١٣٥٦
 ١٣٥٥
 ١٣٥٤
 ١٣٥٣
 ١٣٥٢
 ١٣٥١
 ١٣٥٠
 ١٣٤٩
 ١٣٤٨
 ١٣٤٧
 ١٣٤٦
 ١٣٤٥
 ١٣٤٤
 ١٣٤٣
 ١٣٤٢
 ١٣٤١
 ١٣٤٠
 ١٣٣٩
 ١٣٣٨
 ١٣٣٧
 ١٣٣٦
 ١٣٣٥
 ١٣٣٤
 ١٣٣٣
 ١٣٣٢
 ١٣٣١
 ١٣٣٠
 ١٣٢٩
 ١٣٢٨
 ١٣٢٧
 ١٣٢٦
 ١٣٢٥
 ١٣٢٤
 ١٣٢٣
 ١٣٢٢
 ١٣٢١
 ١٣٢٠
 ١٣١٩
 ١٣١٨
 ١٣١٧
 ١٣١٦
 ١٣١٥
 ١٣١٤
 ١٣١٣
 ١٣١٢
 ١٣١١
 ١٣١٠
 ١٣٠٩
 ١٣٠٨
 ١٣٠٧
 ١٣٠٦
 ١٣٠٥
 ١٣٠٤
 ١٣٠٣
 ١٣٠٢
 ١٣٠١
 ١٣٠٠
 ١٢٩٩
 ١٢٩٨
 ١٢٩٧
 ١٢٩٦
 ١٢٩٥
 ١٢٩٤
 ١٢٩٣
 ١٢٩٢
 ١٢٩١
 ١٢٩٠
 ١٢٨٩
 ١٢٨٨
 ١٢٨٧
 ١٢٨٦
 ١٢٨٥
 ١٢٨٤
 ١٢٨٣
 ١٢٨٢
 ١٢٨١
 ١٢٨٠
 ١٢٧٩
 ١٢٧٨
 ١٢٧٧
 ١٢٧٦
 ١٢٧٥
 ١٢٧٤
 ١٢٧٣
 ١٢٧٢
 ١٢٧١
 ١٢٧٠
 ١٢٦٩
 ١٢٦٨
 ١٢٦٧
 ١٢٦٦
 ١٢٦٥
 ١٢٦٤
 ١٢٦٣
 ١٢٦٢
 ١٢٦١
 ١٢٦٠
 ١٢٥٩
 ١٢٥٨
 ١٢٥٧
 ١٢٥٦
 ١٢٥٥
 ١٢٥٤
 ١٢٥٣
 ١٢٥٢
 ١٢٥١
 ١٢٥٠
 ١٢٤٩
 ١٢٤٨
 ١٢٤٧
 ١٢٤٦
 ١٢٤٥
 ١٢٤٤
 ١٢٤٣
 ١٢٤٢
 ١٢٤١
 ١٢٤٠
 ١٢٣٩
 ١٢٣٨
 ١٢٣٧
 ١٢٣٦
 ١٢٣٥
 ١٢٣٤
 ١٢٣٣
 ١٢٣٢
 ١٢٣١
 ١٢٣٠
 ١٢٢٩
 ١٢٢٨
 ١٢٢٧
 ١٢٢٦
 ١٢٢٥
 ١٢٢٤
 ١٢٢٣
 ١٢٢٢
 ١٢٢١
 ١٢٢٠
 ١٢١٩
 ١٢١٨
 ١٢١٧
 ١٢١٦
 ١٢١٥
 ١٢١٤
 ١٢١٣
 ١٢١٢
 ١٢١١
 ١٢١٠
 ١٢٠٩
 ١٢٠٨
 ١٢٠٧
 ١٢٠٦
 ١٢٠٥
 ١٢٠٤
 ١٢٠٣
 ١٢٠٢
 ١٢٠١
 ١٢٠٠
 ١١٩٩
 ١١٩٨
 ١١٩٧
 ١١٩٦
 ١١٩٥
 ١١٩٤
 ١١٩٣
 ١١٩٢
 ١١٩١
 ١١٩٠
 ١١٨٩
 ١١٨٨
 ١١٨٧
 ١١٨٦
 ١١٨٥
 ١١٨٤
 ١١٨٣
 ١١٨٢
 ١١٨١
 ١١٨٠
 ١١٧٩
 ١١٧٨
 ١١٧٧
 ١١٧٦
 ١١٧٥
 ١١٧٤
 ١١٧٣
 ١١٧٢
 ١١٧١
 ١١٧٠
 ١١٦٩
 ١١٦٨
 ١١٦٧
 ١١٦٦
 ١١٦٥
 ١١٦٤
 ١١٦٣
 ١١٦٢
 ١١٦١
 ١١٦٠
 ١١٥٩
 ١١٥٨
 ١١٥٧
 ١١٥٦
 ١١٥٥
 ١١٥٤
 ١١٥٣
 ١١٥٢
 ١١٥١
 ١١٥٠
 ١١٤٩
 ١١٤٨
 ١١٤٧
 ١١٤٦
 ١١٤٥
 ١١٤٤
 ١١٤٣
 ١١٤٢
 ١١٤١
 ١١٤٠
 ١١٣٩
 ١١٣٨
 ١١٣٧
 ١١٣٦
 ١١٣٥
 ١١٣٤
 ١١٣٣
 ١١٣٢
 ١١٣١
 ١١٣٠
 ١١٢٩
 ١١٢٨
 ١١٢٧
 ١١٢٦
 ١١٢٥
 ١١٢٤
 ١١٢٣
 ١١٢٢
 ١١٢١
 ١١٢٠
 ١١١٩
 ١١١٨
 ١١١٧
 ١١١٦
 ١١١٥
 ١١١٤
 ١١١٣
 ١١١٢
 ١١١١
 ١١١٠
 ١١٠٩
 ١١٠٨
 ١١٠٧
 ١١٠٦
 ١١٠٥
 ١١

خواطر

✱

يمعيني في تعريف الحرية قول بعضهم: « الحرية هي ان لاتعمل ما لا تريد ان تعمل » . والفرق واضح بينه وبين ذلك التعريف المشهور المأثور وهو : « الحرية هي ان تعمل ما تريد .. الخ »
لقد محص اهل النظر هذا التعريف الاخير ، فثبت لديهم ان الحقيقة التي ينطوي عليها ضئيلة جداً وانها ترداد ضئولة على كثر الازمنة وتطور الاحوال ، بغلبة الضرورات الاجتماعية القاهرة التي لا مفر منها والتي يتسع نطاقها تدريجياً الى ان تستغرق كل شي ، فلا يبقى من ذلك التعريف الا اثر بعد عين ، متى تمت « غيبوبة » الفرد في المجموع ، والى الدولة المصير .

هذا التعريف المأثور : « الحرية هي ان تعمل ما تريد .. » كثير الدعوى ، يكاد لا يفي بجزء مما يعد . اما التعريف الاخر : « الحرية هي ان لا تعمل ما لا تريد .. » فهو اكثر تواضعاً . ومن يدرى ؟ فلعل اعجابي به ناشي عن ولوعي الشديد بلا (النافية) في أغلب الشؤون ..



من هو ذلك العبقرى الذي سبق أفعاده الى تلطع البشرية ان الكسل وذيلة لا ينبغي لهم ان يتخلقوا بها ، فالتاريخ لم ينقل اليها اسمه ، كما اغفل اسماء كثير من اختراعين القرن تقدموه (أي التاريخ) .
وأرجح ان ذلك « الملم » الاول لم يكن « عادلاً » بكبح مله . واد . كفاف عيشه او القمة يتبلغ بها ، فليس لامثال هذا المسكين ، من فراغ البال وطمانينة النفس وراحة الجسد ، ما يتيح لهم « اختراع » الفضائل والدعوة اليها والتطوع لشهرها . يبدو لنا ان ذلك المعلم العبقرى كان على الضد ، من ذوي النفوذ والسلطان ، الذين وجدوا منذ وجدت الجماعات الانسانية ، وفيها الاقوياء والضعفاء ، او اصحاب الامر والنهي في جانب ، واصحاب « السمع والطاعة » في الجانب الآخر .
كان السادة في العصور الهمجية يسوقون الارتقاء الى العمل لأجلهم ، ضرباً بالسياط . ثم ترق المجتمع الانساني ولم يعد للوسط موضع ، فاخترعت الفضائل الانسانية ، وكأنها سياط من نوع جديد ، لكن للغاية نفسها . وقد اثبت هذا الاختراع الاخير انه اعظم براعة ، وأشد نكابة ، من السياط الاولى ، لجمه بين الدنيا والآخرة .

★

يزعم احد كتاب القرن الثامن عشر الفرنسيين ان « الكسل هو الفلسفة .. » واظن ان هذا ما عناه احد اقرابنا الشيخ ، حين قال عني ، منذ كنت صبياً : « عمر فيلسوف .. » قالها وعلى ثغره ابتسامة اشفاق ووددت ، بجد انف الفلسفة ، لو انساها !

عمر فاخوري

الطريقة الشامية الحديثة

بدر عبد الله العبدلي

أكد أمضي طويلاً في خطة الموضوع. ولم أكد أتساءل طائفة من آثارها الادبية، حتى وجدتني أحس بواقع نزعة خاصة، وحينما مضيت في تمحيصها والتعرف اليها جيداً وجدتني قارة أخرى أمام نفسي هامة خطيرة وروحية كبيرة نواحي الامتداد والانقسام كبيرة جوانب الخلق والابتكار. وفي اعتبارنا ان التعرف على مناحي هذه النفسية الخاصة بالشاميين والتي هي أكثر ظهوراً في اللبنانيين وأكثر علماً، يقود حتماً الى الوقوف على حقيقة المثل الأعلى الادبي فيها، وهذا بالتالي يهدف بنا الى الوقوف على كنه الذائقة الادبية وتبعية آخر الذوق الادبي في اتجاه منهاجها، ونحن حفظاً لتسلسل الموضوع نعرض اولاً لبیان النفسية الخاصة بالشاميين في خطوطها الرئيسية الكبرى.

بعد درس كما يشاء الدرس من تحليل ومقارنة الى استقراء في حد ما واستنتاج في نصيب أوفر، انتهيت الى ان النفسية الخاصة بالشاميين تجتمع بتجانسها في أنها:

أ - أكثر حنيناً الى المجهول وأكثر استسلاماً له واستيعاباً منه، فشاعت فيها نزعة صوفية حادة الاثر. وهذه النزعة الصوفية فيها ذات أثر ثابت كما يظهر، فذا هو التاريخ يحدثنا بأن لبنان كان وطن العباد والتساك وفيه تفلحت مدارس صوفية عديدة والتهمت بين آفاقه اشراقات كانت بعد ذلك اساساً لمدارس كبرى تكوّنت في غير مكانه، كما يدعنا التاريخ ايضاً بطائفة غير يسيرة من أديهم المانح بأثار هذه النزعة، وأعمق من عبّر عن هذا الحنين في الحديث (جبران).

والحنين الى المجهول تراديت كيته في هذه النفسية المذكورة، الى حد بدا أكثر وضوحاً وأكثر احساساً به من الطبيعة اللاصقة بنا، فانتزعت الى الاغراق في تجميل اشياء الطبيعة والحياة بأشياء المجهول والروح. وفي ظننا ان هذا الحنين هو الحسادي بكثير من ادباء الطريقة الشامية الى سلوك الرزمة والرزمة المغرطة واتخاذها مذهباً ادبياً في لبنان. ومثل هذا الانتراع التمثيلي في نظرية الادب يشبه طريقة العقليين في نظرية المعرفة، بل لعل الرزمة هبطت الى محيط

مثلما اتسع القدماء. من النقاد لتفصيل الطريقة الشامية في مميزات الخاصة وطوابعها الفذة، يحسن بنا اليوم في الحديث ان ننحو بدرسها هذا النحو، فنوسع لتفصيلها كما اتسعوا ونفرغ الى بيان ما امتازت به كما فرغوا، ولعلنا نحسن صنعاً الى الادب والى الناس ايضاً، حينما نحدد ونضع بين ايديهم هذا الجري الادبي مماثل في ظاهراته المتنوعة.

وهذا اخذ لا يداخلنا في ضرورته شيء من شك او ريب، ففرق كبير بين ان يتناول الناقد ادبياً من أي أفق ويعرضه للدرس والتحليل، دون اعتبار لسابقات وجوده التي تساعلت فيه على نحو وبرزت لديه على نحو وقدمت منه شخصيته الادبية في اشياء. انفعالاتها. وبين ان يتساوله من شعبته او مدرسته ويعنى بتفهمه والحديث عنه في حدودها، وتحديد مدى نشاطه كشخصية أدبية في انفردت به وسجلته لنفسها. فالشخصية ليست شيئاً من الخلق الطبيعية، بل هي وليدة عوامل كثيرة ومجموع عناصر مختلفة. من الطبيعة والحياة وعمل الانسان على كل من الطبيعة والحياة، فالوجود مطلقاً سياً الحي منه في مسراه اللانهائي أثبت انه سلسلة كلية من الاتصالات في سلسلة جزئية من الانفصالات.

وأني باحث يتجاذله أي ريب بأن تصنيف الاحياء في مجاميع، ممكن من درسها والكشف عن لغزها الحيوي ودل فيها على ظاهرة التطور الفاعلة. كذلك نظن ان تصنيف الحياة الانفعالية التي هي أكثر تعقداً في مثل تلك المجاميع، قين بأن يمكن من درسها على الحقيقة والكشف عن لغزها الشديد الغموض...

والآن نجوز سراً طائفة كبرى من القرون والاحقاب تقع بين عهد العثماني وهذا العهد الحديث دون ان نعني بتأريخ الطريقة الشامية في ذلك الفراغ القاسم بينها، الذي عبر عن فراغ مثله في الحياة المعنوية من كل اقطارها ونواحي نشاطها، وذلك لنحصر النظر بمميزات هذا العهد الذي تتماهى في شكل نهضة بعيدة نواحي التأثير.

لم أكد أعزم على الاخذ بدرس الطريقة الشامية الحديثة، ولم

الادب والفن بالاستيعاء من الطريقة العقلية في أقرب التقدير

٢ - أنها متسلسلة كثيرة التساؤل الى حد الحيرة التي أفضت أحياناً الى ان تكون حيرة مطلقة ، وذا هو التاريخ يدينا بطلاقة من مثل ابي العلا المري . وحيرة التأمل هذه كثيراً ما مست في بعض امتداداتها منطقة الوجدان فقبلت صفة الوعي فيه ، ولذا كان الاقليم الشامي مسرحاً اول لتولد الدين في مثل الانقسام الذاتي في كل دور ، وهذا دون شك يعبر عن شوب واستعداد في أوار اللهب الاقدس ، وأولى من عبر عنه في الحديث ايليا ابو ماضي .

٣ - الرغبة الحادة بالانفلات والشهوة الجامحة الى الانفلات ، فهي تنفر من الحدود والقيود وتزور من الاغلال ، ولأنها تفور من الحدود كرهت الواقع الجامد واعرضت عن الطبيعة المحدودة ومالت الى المطلق . وذاك التفور من التجديد وهذا الميل الى المطلق جعلها تشيع عن الوضوح في فن التعبير والتفكير الذي هو محض تحديد ، والتي بها في الايام الذي فيه ظاهرة من الاطلاق او يحمل الفكر على الاندماج في المطلق ، خذ امثال فوزي المعلوم .

ولأنها تفور من القيود تنجذب الى الشك في القيم وتخطي المقاييس المتعارف على اصطلاحها في المعرفة ، خذ امثال نعيمة .

ولأنها تفور من الاغلال تشتت فيها جذوات ثورة تتصل بالاجتماع والاخلاق والاضواء ، خذ شعراء الشباب امثال ابي ريشة وآخرين ورثيث الحوري وابي شبكة .

٤ - عمى الاحساس بكل انواع الحياة الانفعالية والتعبير عنها تعبيراً دقيقاً ، خذ الاخطل الصغير وبدوي الجبل والحوماني . ولعلني أقرب كثيراً من الصواب اذا اتا قلت في حدود الادب بالمعنى الخاص طبعاً ، ان شيخ الشعارين في الطريقة الشامية الحديثة هو الاخطل الصغير با اجتماع له في اديبه من تركيب صحيح في المفردات والروابط الى اسلوب طامع يشق انفصالات هذه النفسية ولأنها ، كما ان شيخ النثرين فيها ايضاً هو الأستاذ عمر فاخوري با اجتماع له في اديبه من مثل ذلك لولا انهما مقلان فيما يدان به من انتاج . وهنسا لاحظ ان النفسية او الروحية الشامية تشبه من ناحيتها هذه النفسية الروسية التي أحس بها مفكرو الغرب في حتم القرن التاسع عشر قوية جياشة تشق طريقها في الشعور الانساني المنطلق ، فاستهوا بها وعنوا بفنها واقتنا أثرها . والنفسية الروسية وان تركزت في مثل فكرية وحيوية واجتماعية راحت تنادي بها ، وان تكن هذه المثل شيئاً لم يتبها مثله للنفسية الشامية حتى اليوم ، فانها تشبهها ثم لا تبعد عنها كثيراً . واذا كان لم يتفق للنفسية الشامية ان تتركز الى

اليوم فلأنها حديثة العهد بالتفتح ، بيد ان فيها العناصر الكاملة التي اذا قدر لها ان تحتمر في تعاليم ونظم من ورائها فلسفتها الخاصة ، فسوف لا يقل أثرها أهمية عن أثر النفسية الروسية في حقل الخير الانساني العام . ولعل من الخير ان نأتي بلحمة مجتمعة عن النفسية الروسية المبتلة في ابطالها مثل دستوفيفسكي وكورنسكو وتولستوي لنذكر ما يديها من صلة قريبة . هي أروع ما تكون باستكشاف قوانين الحياة ودرسها حرمة من كل مصطلح او عرف ، في حي الشباب ونشوته وبطولة تمورغبة التجديد الحارة المضطربة في دماه . ولا تستد في معالجة شؤون الحاضر والمستقبل على ميراث من ثقافات الماضي ، بل تدع خصائص فكرها الشارد تتمدد في أغوار الكون وتنتشر ، فهي تريد ان تحل لغز الكون بنفسها لتعاود بناء الحياة كاملة مرة أخرى .

انها تخاطب المجهول في جراءة ساذجة ، وتقبل على الحياة كما لو كانت تطالها للمرة الاولى نافضة عنها غبار التقاليد مشرفة عليها من الناحية الانسانية المطلقة حيث تحلص الغريزة من النفاق الاجتماعي ، ويتبين المر . مدى قواه في تبديل الحياة وتكييفها . وهي على جنونها بالحرية تتعجل بعوامل صوفية شتى تلمس بها الله في تأمل فلسفي محيق ، لتعشر نفسها بالجزء الالهي الكامن فيها . ونحن بتأمل بسيط يمكننا ان نضع بين النفسيتين خطأ الى جملة خطوطا تجعلنا نطمئن الى ما تقمصنا به من وجود مشابهة قريبة .

والآن نقود الى بيان المثل الاعلى للطريقة الشامية الحديثة : عرفنا من عناصر النفسية الشامية انه يشيع فيها الخزن الملهم الى المطلق والمجهول ، فكان فيها نصب اوفى من الزعة الصوفية ، فهي تتحسس بالمجهول فوق تحسسها او حسها بالواقع فتعلقت بالرمز ، وهي الى ذلك متسلسلة كثيرة التساؤل في نوع من القلق المشوب بالاطمئنان أخيراً الى اللا ادراك وهي ايضاً رغبة بالانفلات فلا تعوقها الحدود ميلاً الى التجنيس . وكان لهذه الزعة الرغبة بالانفلات اثر بارز في الاسلوب مال به الى جهة الانهزام ، الذي أحست به انه السبيل للتخصيب الروحي والتلقيح الانسيابي لشعور الحب الصوفي والخزن الكوني .

وعليه فالمثل الاعلى الادبي للطريقة الشامية ، هو ما جا . معبراً عن هذه النفسية في طائفة عناصرها ، خذ رمل وزيد لجبران ، وذكرى ثامن أذار للاخطل ولست ادري والشاعر لايليا ابني ماضي واحبك في القنوط لامين نخله ، ومرثاة فيصل القروي ، ومصرع الشمس لبدوي الجبل ومقطعات غير يسيرة للحوماني وشاعر الطبيعة لابي ريشة ونشيد الام للاسير .

كتاب الاخلاق والسير لابن حزم

بم ريف فوري

ب

في

التراث العربي أسماء كثيرة ، نسمع بها المرة بعد المرة ، ويتركز لها في صدورنا احترام عميق ، ولكننا لا نعرف عنها الا التراسيير . وليس مرجع ذلك دائماً الى قصور المصادر ، فان للكسل ايضاً اثره المنكر .

ولا اخال ان مثقفاً عربياً لم يسمع باسم ابن حزم الظاهري ، ولم يعلم انه ينسلك في عداد الفلاسفة . وربما اتعت دائرة معارف هذا المثقف ، فادرك ان فيلسوفنا ولد في قرطبة ، بالاندلس ، سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، وكان عظيم الذكاء ، عظيم الاقبال على العلم ، عزيز التأليف ، صمي الظاهري لانه لاخذ بنفس الوحي ولا يذهب المذاهب في تأويل البواطن ، قاسى فنون الاضطداد ، وثبت لها حرصاً على استقلال الرأي وكرامة الفكر . وكان شديد الالفة عتيقاً في مقارعة الخصوم ، وقد يعزى ذلك الى عناده وغضبه في سبيل عقيدته ، وقد يعزى الى ربه اصابه في الطحال ، فأحدث له ضجراً وحرماً وضيقتاً .

قال شيئاً من الشعر ، احسنه هذه الايات في مخاطبة المعتضد بن عباد الذي احرق مكتبته بالشمالية :

فان تحرقوا الفطراس لا تحرقوا الذي
يسير معي حيث استقلت ركائي
دعوني من احراق رق وكاغد
وقولوا بكم يري الناس من يدي

اما اشهر مؤلفاته فكتاب «الفصل بين اهل الاهوا . والنحل» ولعل هذا اقصى ما تحيط به دائرة معارف المثقف العربي العادي ، حين يجري ذكر ابن حزم الظاهري الاندلسي .

وما اقصد في هذه العجالة ان اسطر بحثاً طويلاً في ابن حزم ، فالصادر ليست متوفرة لدي . ولكني سأصنع شيئاً اظنه اجدى والنفع للعادي .

منذ انما ساقني قدواي ، الى بائع جوال من باعة الكتب ، سطر بطايعه في بايع مطروق من شوارع المدينة ، واستند الى احد الجدران . ولما كان يستحيل علي ان امر بطائفة معروضة من الكتب ، دون ان اغتذي منها ولو بنظرة ، فقد وقفت اتفحصها بعيني ، واذا بي ارى سفيراً طالما تمنيت ، هو سفر ابن حزم : «الاخلاق والسير في مداواة النفوس» ، فاشتريته من غير مساومة اكراماً للوف ، وطالته ، فاحتفظت منه بهذه الخلاصة

النفسية الروسية ، عجزت عن ان تعطي قصة صادقة التعبير عنها وكانت محاولاتها جداً فاشلاً ومشوهاً ايضاً . ففي الادب الشامي الحديث قصص ، ولكنه قصص مصنوع مدخول ليس مشقفاً من صميمها وجوهرها ، وهي عاجزة فيا اظن ابداً عن القصة ، لانها أي القصة واقع قلما تجتجح ، بينما النفسية الشامية مجنحة قلما تتصل بالواقع ، والطبيعة المتوردة في الالاحديد لا تدنو من طبيعة الواقع المتدفقة في سيلها الحيوي العريض أي لا تستقيم الا في حد ما للتعبير عنها .

عبد الله المولى

اما الذائقة الادبية او الذوق الادبي في اتجاه هذه النفسية وامتدادها ، فانه يقوم على مقاييس تستوي وتجتمع فيما اعان على تحريكها واهاجة انفعالاتها ، وساعدها على الانطلاق الى اجواء اكثر انسجاماً مع طبيعتها ، مغراً في اسلوب شديد العدوى والنقل لجروثمة الانفعال ، ويزيد الاسلوب قيمة كلما كانت العدوى به وبائية أي سريعاً شاملاً اذا صح هذا التعبير واستقام لاداء الغرض المقصود .

وبعد فان يودي ان اثبت هنا ملاحظة هامة جدية بالتأمل ، وهي ان النفسية الشامية رغم تفجرها من نابوع يقرب من نابوع

تعريف الحسن

الحسن هوشي. ليس له في اللغة اسم يعبر عنه . ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه ، وهو يرد مكسور على الوجه ، واشراق يستحيل القلوب نحوه ، فتجتمع الآراء على استحسانه وان لم تكن هناك صفات جميلة . فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات افراداً لم تر طائناً ، وكأنه شيء في نفس المرئي يجده نفس الرائي . وهذا اجل مراتب الصبابة .

شرط الولاية

لا تتول الا على شرط الغزل

الفيرة والمجبة

اذا ارتفعت الفيرة فايقن بارتفاع المجبة .

الناس والكلام

رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الخير والكلاّب والخشرات ، ينقسمون اقساماً ثلاثة . احدها : من لا يبالي فيما انفق كلامه ، فيتكلم بكل ما سبق اليه لسانه غير محقق نصر حتى ولا انكار باطل ، وهذا هو الغالب في الناس . والثاني : ان يشكك ناصر لما وقع في نفسه انه حق ، ودافعاً لما توهم انه باطل غير محقق لطالب الحقيقة لكن لجأجاً فيما التزم ، وهذا كثير ، وهو دون الاول . الثالث : واضع الكلام في موضعه ، وهذا اعر من الكبريت الاحمر .

رياضة الانفس

ان رياضة الانفس اصعب من رياضة الاسد ، لان الاسد اذا سجن في البيوت التي تتخذ لها الملوك امن شرها ، والفس - وان سجن - لم يؤمن شرها .

العاقل

العاقل هو من لا يفارق ما اوجبه تقيده .

الاستهانة

الاستهانة نوع من انواع الخيانة . . . الاستهانة بالمتاع دليل على الاستهانة برب المتاع .

المقعد

المقعد راض ان يغيب عقله .

رُفُف غوري

الرائعة العميقة في الحكمة وملاحظة الحياة والبشر . وسيدرك القاري . فوراً ان ابن حزم كان الى فلسفته ، اديباً ، يجيد الصيغة ويتفنن الصورة ، ولا يقتصر على مشاكل فلسفية منقطعة ، ربما لم تكن الا القليلين .

« هدف الناس الواحد »

تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه ، وفي طلبه ، فلم اجده الا واحداً وهو : طرد الهم . فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستويوا في استحسانه فقط ، ولا في طلبه فقط ، ولكن رأيتهم على اختلاف اهوائهم ومطالبهم وتباين همهم واراداتهم لا يتحركون حركة ، اصلاً ، الا فيما يرجون به طرد الهم . ولا ينطقون بكلمة اصلاً الا فيما يعانون به ازاحته .

طالب المال

وطالب المال عين المال ، لا لينتقه في الواجبات والنوافل المحمودة اسقط وارذل من ان يكون له في شيء من الحيوان شبه ، ولكنه يشبه الغدران التي في الكهوف ، في المواضع الوعرة ، لا يتنفع بها شيء من الحيوان .

مدة الدنيا الان

اذا حققت مدة الدنيا لم تجدها الا الان ، والذي هو فصل الزمانين ، فقط . واما ما مضى وما لم يأت فمضومان كما لم يكن الباطل بالعلم والباطل بالمال .

الباطل بالعلم آلام من الباطل بالمال ، لان الباطل بالمال اشقى من فناء ما بيده ، والباطل بالعلم يجل بسا لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل .

السعيد

السعيد ، كل السعيد ، في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار الاخوان .

سياسة

الناس . . . اجعلهم كالنار ، تدفأ بها ولا تحاط بها .

المال اغل من الارواح

وجدت المشاركين بارواحهم اكثر من المشاركين بأموالهم . تشبيه الدنيا

أشبه ما رأيت بالدنيا ، خيال الظل ، وهي تقاويل مركبة على مطحنة خشب تدار بسرعة ، فتغيب طائفة وتبدو أخرى . الفتنة عيم

نوار الفتنة لا يعقد .

ثمالات

حذاريك الصبايا فقد قالت الكبرى : ما اشد قحته يشرب
وهي نائمة ، ولا يستأذن ، وقالت الصغرى : لو استيقظت لحطمت
الابريق في وجهه على جديد النافذة ، أئیس منه مصاً ، ولم تصدق
الثالثة انك حقاً كنت تافقه بل ظننتك يقظلي نجيحاً معاً في البكرة
ذكرى عبرت في يوم عزيز على مفترق العين بين شفة وشفة .

*

وانت حقاً ما كنت بنائمة فقد نمتك تتمتعين باسم ظننا
شرب سرّاً وخطفاً من ابريقك المتزع .

لو تبهت ورايت الصبايا ، وعين الشمس تتفتح من وراء
الجبل لحطمت الابريق على وجهي ولخرجت من بيتك هائمة في
الارصفة تسألين السليل الى مخالي،
الضياء .

يا لشفئك ، كم فيها من اشياء
خبئة لا تباح وكم عليها من عطر ودم .
وأوتت المحرمة التي شربت الدم بالند
والكافور .

غفوك ، هاف في اشربي منه لعل
بعد في ثنايا شفتي حباب قهوة .

اما فلك فهو النبع الخمر الذي تلاق
منه الابريق فن تراه زرع فيه هذه الدوالي المسكرة ؟ ، هو
كرم خصب من كروم لبنان العالية حيث ، الروا . والضياء
والاباع المقطعة ، والعنايد الملوحة في مجيرات الصباح .

والنفس الطمأنى ، يا اخت ، ابريق عقيق سحرته في حيافة
نافذتها الشرقية حسناء هائمة ، تدفع النهار باتاملها على مظالم الليل .
سامد جناحي ، واشر جفني واجلس كالابريق المعطر في
النافذة لعلك تمرين في غب السمر فتكسرين خزفي على قضبان
الحديد ففي نفسي سر عقيق لا يخرج حتى العراء .

*

ما أطيب الشرب من الخرف المعتم . ان الاقداح الشفافة
مقابر الشعرا .

الباس خليل زهريا

اسقيني من هذا الابريق المسحر يدفق بلبله الماء الطيب في
الحجارة لا ترتوي ارتواء .

*

لقد ظننت من شرب هذه الاقداح الشفافة العارية ، احتسي
منها الماء كأنه طعام غاب في صفحة
... من مجح في شدة النهم الى غلة العطش حتى صرت
في الشراب اعدى على نفسي قطرات الماء واحدة واحدة كلما أشف
شفافة اغص بها غصة مديدة .

*

الابريق كغم الليل ، فيه دقعه
وسره ، وسقمته ، وخيطه الذي لا
ينقطع الا بشفرة الضوء ، فاولئك الذين
سكبوا الحرة في اكواب من الزجاج
الباع لا عروة لها ولا بلبل ، هم الباعة
الشحاح لا الحساء الماهرون .

*

وأطيب الصبا ، صبا في ابريق مورد من الخرف الاحمر
يرتشف مع الشارب عبث الخمر ، وينش به نشيش الليل وتحمر خدوده
الزهرة من حبات اللؤلؤ ثم ينف على الندامى هيفاً رقيقاً .

حطمي هذه الاقداح الباور الجافة واتركي لي على المائدة الموحشة
ابريق الخرف امص من بلبله الحياة مصاً طويلاً كما يئس العرق من
الارض نضارة ، واخضراراً ومواهة وشذى .

إن الابريق لم تصنع لئلا يلاموه ففي في شكلها اشبه ما
تكون بالعنايد ، املئها عصيراً وخمراً واتركيها في النافذة الشرقية
بين مضارب السحر وبرودته ، وبالقرع من سريرك الحالم ومحدثك
المطمئنة وحوض القرفنل المزهري .

سأمر بها غداً مبكراً وانت نائمة ، فامص منها مصة طويلة ثم
أتركك في غفوك واسير استقبل الشمس بالراحتين .

العبقرية والنجاح

وهو الحق مشهد يؤلم النفس ويدعو الى الدهش ويزيد في هذا الألم وهذا الدهش ان معظم الناس على صغر عقلهم وقصر مدى خيالهم وجهلهم الكثير من اسرار علم النفس يقيسون الذاتية بقياس النجاح فهم يقولون لك : هذا عظيم لانه نجح وقل ان يقولوا هذا عظيم وان لم ينجح .

تلك ذهنية سقيمة تدل على ان الانسانية ما تزال بعيدة عن ذلك اليوم الاكبر الذي تنزع فيه الرداء العالي وتتحرر من قيود الوهم والجهل .

قلنا ان العبقرية خروج على القاعدة المعروفة وهي من اجل ذلك ترمي الى غير الاهداف التي يرمي اليها العاديون من البشر فالجاهل في ضعفها تعجز عن الارتقاء الى مستواها فهي في افق وتلك الاهداف في افق آخر ... ألا ترى التسور كيف ان صموها قضى عليها بالعزلة والبعد عن تلك الاغصان الرطبة القريبة من الايدي والعيون ، التي ترتقز عليها العصافير ولكن هل يؤثر الصقور في تفريده وقربه منك على التسر في بعده وصمته وحومته في اعلى الاجواب ؟

العبقري يفتي بنفسه فهو لا يحتاج الى الثروات الارضية ولذلك قل ان عزاء من هؤلاء الاغنياء اصحاب القصور .

والعبقري يضن بنفسه وبعقليته ان يجند بها من صماتها الى عالم المكر والخداع والكذب والدسيسة ولذلك تراه مقبياً في عالم عاجي خاص من افكاره وعواطفه يعيش وحيداً مرفعاً عن السخافات والخزعات والصناعات كأنه الجزيرة في قلب البحر . والعبقري عظيم سواء أصفق له الناس ام لم يصفقوا ورفعه الى مناصبهم أم لم يرفعوا .

ويمكننا القول ان العبقري على الغالب عدو معاصره وصديق القرون الآتية ، هو رجل المستقبل يجلبه يومه ويعرفه غده . . . كم من عبقرى هجره معاصروه ثم اقام له حفلاتهم تتبالاً . . . وحيداً لو كان كل قرن على مستوى عباقرته ولكن هذا لا يكون لان العبقرية ذهب في منجم الخالق والخالق يضن به فلا يهبه الا للمصنفين وهم لسوء حظ قليلون . . .

اختلفت الفلاسفة وعلماء النفس في تعريف العبقرية فهذا يقول انها تسلب احدى قوى النفس على القوى النفسية الاخرى بحيث تجلس القوة المسيطرة على عرش تأمر فوقه وتنهى دون منازع ولا معارض وتصبح قطباً لدائرة اعمال الانسان فتزعمه على السير في طريقها الى الهدف الذي ترومه بقوة الهوى الجذبي ، وذلك يقول انها الجمع بين التقضين في الدماغ بحيث ترى المستحيل في دائرة الامكان كالخيال الناري مع المقدرة على حل ادق المشكلات الرياضية والهندسية وهما الماء والنار . وفريق يقول ان العبقري مبدع الوحي والالهام وفريق يصرها في قوة الاختراع والتوليد وآخرون يرونها في تعدد المواهب . . . وعندنا ان سر العبقرية الحقيقي ما يزال مجهولاً كسر الكهرباء . وغيره من اسرار الطبيعة التي لم يقدروا الانسان بعد على كشف السائر عنها على الرغم من الجياد المراحل الطويلة في مضامير الفلسفة والعلم .

والعبقرية زاه صخرة فائقة تمتاز بشكلها ووجهها عن باقي الصخور واذا شئت فقل هي ما شذ عن القاعدة المألوفة وشذوذها هذا هو الذي يشق لها في الوجود طريقاً خاصاً يختلف عن الطريق الذي اعتاد الناس ان يروه مؤدياً بهم الى ما يدعونه النجاح فكهم من عبقرى أغدقت عليه السماء نعمها ورضعت نفسه بالحجارة الكريمة يعيش عمره ويموت دون ان تعرف الجماهير قيمته الحقيقية وتضعه في المحل الارفع الذي خلق له ولكم من رجل عادي ضاق نطاق عقله وصغرت دائرة نفسه زاه يرقى درجات السلم الى حيث يتبوأ اعظم المناصب وينعم بقصور الثروة الوهاجة ويتقلب في احضان الغر والمجد والرفاه تصفق له الشعوب وتخلد بتأثيلها في ساحات العوام الكبرى .

الحياة الادبية في دمشق

بنظم عبد النبي العطري



ورونقه وسجره ، وجمال القديم والرغبة في المحافظة على « تراث الجلود » ودراسته الاقدمين وقراءتهم وحدهم .

أما انصار الادب القديم ، فيمثلهم الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وهو قلما يعني بغير الامور التاريخية والقوية ، وهو يوالي نشر مباحثه هذه في الصفحات الاولى من مجلة المجمع العلمي .

وينضوي تحت لواء الأستاذ كرد علي فريق كبير من اعضاء المجمع وفي طليعتهم الاستاذان عبد القادر المغربي ، وعبد القادر المبارك . وقلما يلتفت هذان الفاضلان الى غير شؤون اللغة واصلاح « عثرات الافهام » التي لا تفرق بين صوابه وخطأه الاقلام (٢) .

ومن مدرسة الادب القديم ودعائه الاساتذة محمد البزم ، خليل مردم بك ، شفيق جزي ، ادب النقي ، عز الدين التنوخي وغيرهم . وهناك الأستاذ البزم بشعر فخم ، قوي الالفاظ ، متين القافية ، وهو اقرب الى ان يكون شعراً عربياً قديماً منه الى ان يكون شعراً طري الالفاظ ، ذا جرس موسيقي ناعم يستهوي القاري . واستمع ، اذا شئت الى الأستاذ البزم كيف يرد على من يعيب عليه شعره الفحل :

وكي في بني الاداب من لو خيرهم وجدت قواريرا على المس تكسر ورب يد تجري البراق بهرق وساعدها والكف بالقطع أجدر وهل عاب فحل الشعر الا نخت دعي له طرف عن الحسن أخزر

سامح الله الأستاذ البزم ، فقد اراد ناقدوه ان يكون شعراً « شعراً » ولكنه بأبى الا ان يعمل منه نظماً .

ويمتاز الأستاذ خليل مردم بك بشعر رائع الوصف . دقيق التصوير . ولا يقل شعره في بعض الاحيان قيمة عن شعر كبار الوصفين العرب . ولا ريب انك ستتهر اعجاباً وطرباً اذا ما قرأته في قصائده الروائع « الرقص » ، و « سكران وسكرى » ،

يحق لي ايها القراء الكرام ان اتهمب الكلام عن الحياة الادبية في دمشق كل التهمب ، لان المتكلم في مثل هذه الموضوعات لا بد له ان يتأثر ببيئته وتزعماته مهما حاول (١) ، ولا ريب انه من أصعب الصعوبات على الكاتب ان يتحدث في مقام كهذا عن اناس تضمه وايامهم مدينة واحدة ، ويجتمع اليهم في الطريق والقهوة والمكتب وفي كل مكان ، وتربطه بهم روابط صداقة ، او تبعد عنهم خصومة ماضية .

والحكمم الذي يرضى عنه الكاتب ويعتقد انه الحق الذي يرتاح اليه خيره ، ويطمئن اليه قلبه ، قلما يرضي الآخرين ، ولا سيما الادباء الذين يدور الكلام عنهم بالنقد . ولكن كلمة الحق يجب ان تعاد ويحرمها المرء مهما كلفته . وانا أحد قدامي الكرام ان اكون نزيهاً في حكمي ، معتدلاً في نقدي وتثاني ، متجرداً عن الصداقات والمحسومات التي تربطني ببعض الادباء او بعضي عنهم . سأقول كلمة الحق لا لأتملق صديقاً او انازل من خصم ، ولغا لارضي صوت الضمير والواجب ، ما استطعت الى ذلك سبيلاً .

بتنازع الادب والادباء الدمشقيين في هذه الآونة تياران عنيقان ، يتصارعان أعنف صراع . الاول تيار المحافظة على القديم ، ويمثله ادباء دمشق الشيوخ ، والآخر تيار التقدمية ، ويمثله فريق من الشباب الذين فهموا رسالة الادب على حقيقتها فراحوا يتذمرون من وضع الادب الحاضر ، وينتقون أشد النقمة على الادب القديم الذي لا يمثل في نظرهم سوى ادب لا يتصل بالحياة الجديدة المعاصرة ولا يصور ما يضطرب فيها من فضيلة وذنبة ولا يصور عادات من حولهم ولا يستمد من الواقع صورة ولا مشهداً .

ويتفرع من هذين التيارين تيار آخر لا استطيع ان اسميه بغير « التيار الحائر » . ويمثل هذا التيار الفئة التي تتجاذبها روعة الجديد

(١) سبغني في الاشارة الى ذلك الدكتور محمد يحيى الحاشمي « الادب » - ايلول ١٩٤٣

(٢) عنوان محاضرة للأستاذ المغربي نشرها مجلة المجمع في جزئها الثالث والرابع من عامها الحالي .

و«الفراشتان». على انه ينقص الاستاذ مردم بك في بعض الاحيان سعة الخيال، وقوة الثقافية. وقد أصدر الاستاذ مردم بك سلسلة من الرسائل بعنوان «آفة الادب» درس بها ابن المقفع، والجاحظ والفززدق وغيرهم دراسة ان لم تكن كافية وافية، ولكنها تعطينا ولا شك آراء صائبة «محكمة» دقيقة في الادباء والشعراء الذين تناولهم الكاتب بالدرس.

وما أحب بعد أن اتكلم عن انصار الادب القديم أكثر مما تكلمت، ولكنني أحب ان اقول كلمة جريئة صريحة، وهي ان انصار هذا الادب ضياع الحركة، قليو الانتاج. ويكفي للتدليل على ذلك ان نقول ان الاستاذ البرم لم ينظم بيتاً منذ سنوات اربع، وان الاستاذ مردم بك لم ينشر قصيدة جديدة منذ ست سنوات. وما يقال عن هذين الفاضلين، يقال عن زملائها الباقين في نسب قد تزيد وتقص.

يلد لي بعد الكلام عن جماعة الادب القديم. ان انتقل الى الكلام عن الادباء الشباب، او الادباء التقدميين - كما يحبون ان يقال عنهم - لان الحديث عنهم ولا ريب ألد الى النفوس واشهى.

تحمل رسالة الشباب في دمشق مجلة «الصباح» الادبية التي رأست تحريرها وادارتها طوال العامين الماضيين. وقد استطاعت في هذين العامين ان تسد خطوات الادباء الشباب، وان توجهم وتحثهم على الانتاج الغزير المثمر. واستطاعت في هذه المدة ايضاً ان تجلو الصدا عن اقلام فيها كل الخير للادب، وان تظهر نبوغاً وعبقريات، ما كانت لتظهر لولاها. وهي بعد لم تحمل رسالة الادب الجديد في دمشق وحدها، بل أعطت صورة واضحة عن الادب الحي في اكثر البلاد السورية والعربية.

يحتاج الادباء الشباب في دمشق الى التأثر والتعاون والتعاوض. وفقدان التعاون بينهم يشل حركتهم ويفقدها كل نشاطها وقوتها وحيويتها. فلو تكاثفت هذه الجهود واتحدت غايتها، ورفع من بينها الحسد والضغينة لأبنا حالة الادب في دمشق تضاهي في نشاطها وقوتها، حركة الادب في سائر البلاد العربية. ومن هنا ارى ان جهد الفرد في دمشق، ينتج ويشمر أكثر من جهد الجماعة. واذكر لهذه المناسبة اني قرأت طرفه في إحدى المجلات الفرنسية منذ سنوات تحدث الكاتب فيها عن الشخص والاثنين والجماعة وما يستطيعون عمله متحدين ومتفرقين في كافة بلاد العالم. فلما وصل به الحديث الى السوري قال ما معناه: ان الرجل السوري يستطيع بذكااته

ودهائه ان يعمل كل شيء. وان رجلين مجتمعين يستطيعان ان يعملوا بعض ما يعمل الفرد الواحد، ولكن لا تستطيع ان تصنع شيئاً جماعة من السوريين مجتمعين.

ولا ريب عندي ان هذه النبذة تتضمن كثيراً من الحقيقة والواقم، ولكنها لا تخلو من كثير من الخطأ والمبالغة، ونظرة هذا الكاتب الى السوري، تنطبق حيناً وتشذ حيناً آخر.

والآن من هم ادباء الشباب في دمشق؟ وما هي ثقافتهم وميزاتهم؟ ان الحديث عنهم يحتاج الى وقت طويل ورجوع الى آثارهم، وانا لا املك من آثارهم في الساعة التي كتب فيها هذا المقال شيئاً، واعتمد فيا اكتب على ما قرأته لهم فيا مضى. وقد قرأت كل شيء.

ادباء الشباب يتفاوتون ثقافة واطلاعاً وقوة انتاج. ويعد في طليعتهم نسيب الاختيار. فهو يمتاز بثقافة شرقية وغربية شاملة، واطلاع واسع على أكثر آداب الامم. وهو كاتب منتج حين يريد، مقل حين يشاء. وللأستاذ الاختيار مباحث في الفن والشعر ترفعه الى الارجح، ولكنه يسكت في كثير من الاحيان. وللأستاذ الاختيار ايضاً محاولات في الشعر، ولكن كل ما نشره حتى اليوم لم يبرهن على انه شاعر.

ويوجد من رجال القصة في دمشق هو فؤاد الشائب دون منازع وللأستاذ الشائب في القصة وثبات تدل على انه فنان بارع متضلّع من ثقافته القصصية واطلاعه على آثار الغرب في القصة. فازنت قصته «ابن الارملة» بجائزة مجلة «الدور» الاولى وذلك منذ سنوات بعيدة، عندما كان فؤاد الشائب ناشئاً يحاول. ونشر الشائب عدداً كبيراً من القصص لعل من أدوعها واقواها قصص «ملاك الموت» و«ربيع يتضور» و«ساعة الافطار» وهو يعد الآن مجموعتين من القصص، ستشر الاولى في بيروت في وقت قريب.

وتمتاز قصصه بدقة التصوير وعمق التحليل، وهي تفرغ الى الواقعية المحلية المستمدة من صميم الشعب والحياة.

واذا انا أهملت الكلام عن الشائب صاحب المقالات المتفرقة الكثيرة فلا في لا اقيم وزناً كبيراً لهذه المقالات امام قصصه.

ومن الادباء المجددين الشباب، الذين كنا نرجو منهم الخير كل الخير للادب الأستاذان صلاح الدين الحايوي وميشيل غلق، ولكنها سكتا في الاعوام الاخيرة ولجأ الى المطالعة... ويمتاز الحايوي بباحثه العلمية الفلسفية الدقيقة التي يتجلى بها اطلاعه الشامل

منشورات الاديب



لا هوادة - تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو مجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة .

ثمّة ليرة لبنانية

اسبوع الثقافة في لبنان - بقلم نخبة من الكتاب . نقد

دي غول الاديب - تأليف الاستاذ جان غوليه ، نقلته «الاديب» الى العربية بعد ان نفدت نسخة الفرنسية كلها ، يبحث المؤلف فيه الناحية الادبية في مؤلفات الجنرال دي غول زعيم فرنسا الحاربة . (نقد)

الواحدة - مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الأمير ، نقل لونا جديداً من الوان الشعر الحديث . ثمّة ثلاث ليرات لبنانية



مكتبة الاديب



عمر بن ابي ربيعة - للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزءان ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيات المتنوعة فيه ، ثم الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .

على الفلسفة الانكليزية والفرنسية والالمانية . ويمتاز الاستاذ غفل بقصصه التحليلية العميقة ، ومباحثه التي تتجلى بها براعته وثقافته بأجلى صورهما . والذي يبدو ان الاستاذ غفل طلق الادب والقصة ثلاثاً ، واخذ يعمل الآن في ميدان القومية والدعوة الى تنظيم الشباب .

وهناك عدد من الادباء الشباب لم يحض على مزاوتهم الادب سوى سنوات معدودات . ولكنهم برهنوا في هذه المدة القربية على كفاءة ونضج وفهم للأدب . وقد قدموا حتى الآن نتاجاً لعله خير نتاج يجب ان تفخر به دمشق ، بعد ادب فئة الشباب التي اشترت اليها قبل هذه السطور .

وفي مقدمة من اشترت اليهم الآن الاساتذة : ليان ديراني ، وجيل سلطان ، ونزيه الحكيم وبلدع حقي وهشام دياب وصلاح الدين المنجد ويحيى الشهابي والشعراء : انور العطار وأجند الطرابلسي وعبد المطلب الامين وعدنان مردم بك .

ويمتاز ليان ديراني بقصصه التي تغلب عليها النزعة الاشتراكية التي يستمدّها من صميم الشعب ، ولنزيه الحكيم مكان مرموق بين هذه الفئة لانه من اكثرهم نضجاً وموهبة . ولكنه اصبح مقالاً ، ولعل عدوى الاساتذة غفلت قد سرت اليه ، فقد رأينا انه قصرم العام الماضي حين ان يتهم بخلافه شيئاً جديداً .

وبعد الدكتور جيل سلطان في طليعة المنتجيين شعراً ونثراً . وقد اخرج حتى الان عدداً من المؤلفات كان آخرها « فن القصة والمقامة » . ويتنازع الدكتور سلطان تياران : تيار القديم وتيار الجديد ، فهو تارة يدعو الى الجديد ، واخرى يتعصب للقديم ويتصر له . ولعله يعمل على التوفيق بين التيارين فيأخذ من القديم أحسنه ، ويوظفوناً بأروع ما في الجديد .

وبلدع حقي على حداثة عهده مستقبل بدم رائع . فازت قصته « ابتسام » بجائزة مجلة الصباح الثالثة التي اقامتها في العام الماضي . وله محاولات موفقة في الشعر الذي يتربع به الى الرمية . ومن قصائده الطريفة : « راقصة » و « غدار » و « غمامة » و « الارق » .

وهشام دياب مقالات تدل على اطلاعه على كثير مما نشر في الغرب . ويمتاز ببعض مقالاته الداتية ودراساته الموجزة لدوستوفسكي واميل زولا وفرانسيس كاركو . ويؤخذ على هذا الكتاب ضعف أسلوبه وسطحيته في كثير مما يكتب .

وبعد صلاح الدين المنجد من الادباء المنتجيين ، ويمتاز بلغة رقيقة

عجمي شاعرة مجيدة ، بل هي الشاعرة الدمشقية الوحيدة . وفي شعرها موسيقى غنية الوقع والفاظ حاولت التأثير . ولا تخلو قصائدها من دقة الوصف وبراعة التصوير وصمو الخيال .

وبلي الانسة عجمي، السيدة وداد سكاكيني ، وهي اديبة ذات مكانة مرموقة . تمتاز بأسلوب قوي ولغة متينة ، تتفق لغة الادباء بقوتها وقاسك جملها . وقد فازت السيدة وداد بجائزة القصة التي اقامتها مجلة المكشوف عام ١٩٣٦ ولدى السيدة وداد الان مجموعة من القصص الرائعة، استمدت موضوعاتها من صميم الواقع والحياة الدمشقية .

وقد اصدرت قبل زواجها من الاستاذ زكي المحاسني كتاباً سمته (الخطرات) اقي حفلته من النجاح . ويؤخذ على السيدة وداد احياناً ما يؤخذ على زوجها دوماً من التكلف والتصنع ونظرة واحدة في مقالين يختلفان الزوج والزوجة تدلنا على الفارق العظيم بين الاثنين .

ومقالة الاديبات في دمشق . . . هي الانسة فلك طرزي صاحبة كتاب (رائي ومشاعري) الذي نشرته منذ اعوام وتحديث عنه الصحف طويلاً . وقد قدم له الاستاذ خليل مردم بك، فلامه بعض الناقدين ، لأنه لم يلتزم الى اغلاط القورية وهفواتها . والذي يبدو من مقالات الانسة فلك الاخيرة ان اسلوبها قد استفاد وتغافها قد تخلصت من الغش والتمويه . فلك في الاعوام المقبلة تحسن ظاهرها في ميدان الانتاج الفكري .

وهناك ايضاً الانسة مديحة البرازي ، هذه الادبية التي تكروه الظهور وتألم الشهرة وهي لا تنشر آثارها على الغالب الا في الصحف اليومية السيارة ، وهذا خطأ فاضح . ولعلها لا تنشر غمارها الا ارضاء للزعة الكتابية في نفسها . تمتاز الانسة مديحة بأسلوب أنيق ، ولغة صحيحة ، وتفكير متزن ، ويرجي لها نجاح اكبر اذا عدلت للاتصال بالاداسات الادبية عن كتب .

هذه خطوط اولى عن الحياة الادبية في دمشق رسمتها على عجل . وفي طيبد الامل بان تتيج لي الظروف عودة قريبة الى هذه الخطوط كي استطيع التبسط في الكلام عن فاتي الكلام عنهم او اضطرني ضيق المقام الى الإيجاز في الحديث عنهم .

وأعود فأكبر اني تجردت عن الصداقات والخصومات ما استطعت حين كتبت هذا المقال ، ولم اتوخ سوى الحقيقة ناعسة .

عبد النبي العطاربي — دمشق

وألفاظ منمقة يحسن اختيارها ويثبت بانتقائها . ولم نجد اطلاع واسع على آثار العرب المخطوطة والطبوعة . وله الى جانب ذلك اطلاع لا بأس به على آثار العرب . وله ايضاً محاولات في القصة استمدتها من الادب العربي، ولكنه لم ينتج بها حتى الآن .

وهناك عدد كرم من الادباء . والشعراء يضيق في المجال ان اردت التحدث عنهم جميعاً . لذا اكتفي بذكر بعضهم معتذراً الى الذين فاتي الحديث عنهم . وهؤلاء الادباء هم الاساتذة خلدون الكنتاني . وهو قليل الانتاج وقد اصدر مؤخر رسالة قيمة درس فيها (حسان بن ثابت) ، ومحمد المبارك ، واسعد طلس ، وابراهيم الكيلاني . وقد اصدر الاخير ان كتاباً لتلاميذه البكالوريا سمياه «الادباء العشرة» وهناك ايضاً علي الططاوي وزكي المحاسني والاولاديب كان غزير الانتاج ثم اصبح مقلداً ان دخل في سلك القضاء الشرعي . يمتاز الططاوي بقالاته التي يتغزل فيها بوطنه ويتحدث جمال بلاده ويصور فيها عادات قومه . فهو من هذه الناحية الاديب الدمشقي الذي يصور بيئته ويتحدث كثيراً عن قومه . ولولا تعصبه ورجعيته لاصاب نجاحاً في عالم الادب غير الذي اصابه .

واما الاخر وأعني المحاسني فينظم ويثرى ولكن بالزكوان لم يفرق حتى الان في الشعر، ويحتاج في الشعر الى البساطة وعدم التفتيق كي يصبح ما يكتبه صالحاً للطلاقة .

اقف عند هذا الحد ، بعد ان طال في الحديث عن الادباء والادباء . في دمشق لا تحدث بإيجاز عن ادبائنا الدمشقيين معتذراً اليهن عن هذا التأخير . ولكن ما الحيلة . وقد احتل الادباء ببرايمهم وكثرتهم مكانتهن .

تقوم الحياة الادبية النسائية في دمشق على سواعد اربع من نسائنا الاديبات . واذا انما لم اذكر غيرهن فلأن اللواتي لم تحدث عنهن ينشرن في فترات متباعدة كل التواعد ، وفي صحف قليلة الانتشار !

اول من احب ان اخص بالحديث اديبة الفصحاء الكبيرة الانسة ماري عجمي . فهي عميدة الحركة الادبية النسوية في دمشق وهي الادبية التي يجب ان تفخر بانارها دمشق . وقد كانت خلال الحرب الماضية تصدر مجلة اديبة، تضاهي ارقى المجلات يحسن مادتها وجمال ترتيبها ، وبراعة اخراجها ، وكان اسمها (العروس) . وظلت العروس تصدر اعواماً طويلة الى ان قضت عليها ظروف بالاحتياج فتركت باحتياجها فراغاً لا يزال مائلاً حتى اليوم . والانسة ماري

اعمى

ظلام ظلام ا ودنيا تنام ا
وليل ابد ، بعيد الأمد ،
كثيف الغيوم ، بدون نجوم ا
وكيف يكون الضياء ؟

وصفو السماء

والمناء ؟

وكيف تشع الأهد ؟

ويجري العير

في الأثر ؟

وكيف يطل القمر ؟

ويصحو السحر

في الشجر ؟

سواء سواء دجى وضياء ا
وكل الوجود ، غائم سود .
ودنيا تنام بمحزن الظلام .

غطوس الراسى

ملحة

في الادب التشيكوسلوفاكي

بلم ف. أليس ترجمة سبيل ادريس

✱

وكثيراً ما كانت الحياة السياسية ،
والنزاع الوطنية مبنية مباشرة على
الحياة الفكرية ، والميول الاخلاقية
والثقافية المنخفضة عن الادب . وان
بداوة هذه النهضة الوطنية موسومة
باسماء عدة علماء ، باسم « يوسف

دوروفسكي » (١٧٥٣ - ١٨٢٩) وباسم البجاعة اللاغوي والمؤرخ
الاذني « يوسف يوتنجان » (١٧٧٣ - ١٨٤٧) وباسم المؤرخ ب. ج .
شغارجيك (١٧٩٥ - ١٨٦١) ولم يكن المؤرخ « فرنشيك بالاتسكي »
(١٧٩٨ - ١٨٧٦) عالماً مشهوراً فحسب ، ولكنه كان كذلك
مؤسس السياسة التشيكية الحديثة . وبدعوه شعبه المعتر به « بأبي
الوطن » . اما اشهر شاعر فكان « يان كولا » (١٧٨٣ - ١٨٥٢)
سلوفاكي يجرد بالتشيكية ، صاحب قصيدة « بنسلافية رومانطيقية »
وقد ألهمت قصيدة الشعب « فرانتشيك لاديسلاف تشالا كوفسكي »
(١٧٩٩ - ١٨٥٢) وكاريل يارومير (١٨١١ - ١٨٧٠) . وقصائد
« اريتن » تخلق شعوراً عصبياً تالماً ، ويمكن اعتبارها ام النتاج
الدرسي في الادب التشيكي . وتسمت هذه البرهنة الشعر التشيكي
« كاريل هينك » (١٨١٠ - ١٨٣٦) مؤسس الشعر الغنائي ،
وكاريل هافليك (١٨٢١ - ١٨٥٦) مؤسس الشعر
الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه اول صحفي تشيكي كبير قضى ضحية
التعذيب الهابسبورجي . وفي اواسط القرن التاسع عشر ، كان
الادب التشيكي قد اجتاز مرحلته البدائية . ولن نتبع منذ ذلك
الحين الا الادب السامي دون ان نتمكن من الايمان . الى تطور
الادب العلمي لجميع الفروع في هذه المحاولة العاجلة .

غير اننا ينبغي ان نشير على الاقل الى انبل اسم في الاسماء ،
الى توماس كارليك مازاريك (١٨٥٠ - ١٩٣٧) فيلسوف عريق
التفكير ، وهو من كبار اصحاب النظريات الديوقراطية في العالم
اجمع ، الى كونه رئيساً سياسياً واخلاقياً لامته ، اثر في القرن التاسع
عشر والعشرين اعظم الاثر في حياتها المعنوية والعامه ، وكان اخيراً
الرئيس الاول ، الرئيس المحرر ، للدولة التشيكوسلوفاكية الجديدة
عن الجمهورية التشيكوسلوفاكية .

ولقد مكث الادب التشيكي ، نثره وشعره ، متصلاً اعظم
الاتصال بحياة الشعب ، بحسه الوطني ، بشعره الاجتماعي ودعواته
العنيفة . وكان اكثر رجال الامة الكبار ، والكتاب منهم خاصة ،

بقا . الادب التشيكي
سلوفاكي على الحياة
خلال قرون زاهرة بالمكافحة
والآلام والطينان لحادث همام في
الثقافة الاوروبية . وقد بدأ نتاج
الادب التشيكي يظهر - بعد

ان لم يكن ثمة ادب سلوفاكي منفصل ، اذ ان المؤلفين
السلوفاك كانوا يمدون ايضاً بالتشيكي - في القرن الحادي عشر .
وكانت المؤلفات الدينية والاخلاقية هي التي تغلب على الادب
التشيكي حتى القرن الخامس عشر . واعظم مثل لهذه الحقبة من الزمن
هو « يان - يوس » (١٣٦٩ - ١٤١٥) المجدد الخالد ، ومؤسس علم
الخط التشيكي الحديث . اما القرن السادس عشر ، قرن الادب
التشيكي الذهبي ، فيمتاز بالمؤلفات البهيمية ، والكتب التاريخية ،
ورسائل الرحلات ، ولكنه يمتاز كذلك بترجمة لامة للتوراة (تورا
كرايك) كثر لسان التشيكي الصافي خلال قرون فاجحة تالية .

وقد فقد التشيكيون عام ١٦٢١ استقلالهم واستبدوا بالاهوال
دامية حكمت عليهم بها ملكية هابسبورغ الطرومانية النمساوية .
وكان ما اشبه ذلك الطغيان بالاستعباد التاريخي في المناسبات . وفي تلك
الاتناء ، برز في البلاد التشيكوسلوفاكية كاتب من الكبار
الذين اصابوا حظاً عظيماً من الشهرة في العالم قاطبة وهو « يان اموس
كومنسكي » (١٥٩٢ - ١٦٧٠) المعروف في الخارج باسم « كومان »
او « كومنيس » . وقد سلخ هذا الكاتب ردهاً طويلاً من حياته
في المنفى ، فاصبح فيلسوفاً عظيماً ، ومؤسساً لمع التربية الحديثة ،
وهو كثيراً ما يدعى بشيد الامم .

بيد ان الاهوال الهابسبورجية سببت انحطاطاً في الادب ، وحتى
في اللغة التشيكية . ولم تبدأ النهضة الا بعد مضي زهاء مئة عام ،
حوالي نهاية القرن الثامن عشر ، حين اوضحت السياسة اكثر تحمراً
واستقلالاً تحت تأثير الافكار الفرنسية والانكليزية الجديدة .
حينذاك عاد التشيكوسلوفاكيون الى لغتهم يهذوبها ، والى نتائجهم
الادبي يشقون . وقد كانت هذه النهضة الثقافية بد. النهضة
السياسية كذلك ، ولم يكن ثمة ادب وحياة معنوية قد اثرا على
نضج السياسة وتوسعها في اقامة ، كما اثرا في الامة التشيكوسلوفاكية
فبينما كانت الثقافة في الخارج نتاج السعادة السياسية غالباً ، كان
هذان الامران يسيران جنباً الى جنب عند التشيكوسلوفاك ،

الفرنسيين والروس، «كاريل ماتيائي تشابك - كود» (١٨٦٠-١٩٣٧) ولكن الرواية التاريخية التي مارسها كثيرون، والذي كان ممثلها الاول «الويس يواساك» (١٨٥١ - ١٩٣٠)، ساهمت مساهمة واسعة في القوة الاخلاقية لنضال الشعب التشكوسلوفاكي في سبيل التحرر من التير الاجنبي. ونشر كذلك الى الرواية الغنائية، والشعر الرقيق المؤلف الدقيق «فوانيا شراماك» (ولد ١٨٧٧) ويعتبر هذا الاخير صلة الوصل الى احداث حقبة. وهذا هو تاريخ المؤلفين الذين اشتروا في نضال الشعب التشكوسلوفاكي للتحرر الوطني، ولتأسيس دولته المجددة. واليهم الفضل وعليهم المعول في تفتح الادب التشكوسلوفاكي الباهر خلال زمن الجمهورية التشكوسلوفاكية الحرة، منذ عام ١٩١٨.

ويثل النثر والدرامة اول من يمثلها في هذه البرهة «كارل تشابك» (ولد ١٨٩٠ ومات كمدأ وحسرة بعد كارثة امته عام ١٩٣٨) الذي حاز في مؤلفاته الشعرية والفلسفية في الوقت نفسه على صيت عالمي واسع. وللشعر على الاقل من ناثري هذا الزمن الى اشهرهم: «ايفان اوبراغت» (ولد ١٨٨٢، ومات في معسكر احتلال الماني) اكبر وصافي القسم الشرقي الرابع من تشيكوسلوفاكيا و«فلاديسلاف فانكشورا» (ولد ١٨٩١ واعدمه الالمسان) رب الرواية، والشباب «آفون هوستوفسكي» (وهو يعيش الآن منفياً).



فرنكيشك بلاتسكي، مؤسس علم انسابية التشكية الحديثة



يان أموس كومسكي، الفيلسوف ومؤسس علم التربية الحديثة

قد نشأوا في اوساط اناس عادين، فلاخين وقرويين الخ. وكانت مميزات الادب ثبتت انهم لم يأسوا قط احلهم، ورواية «الأم الطيبة La Bonne Maman» مؤلفها الكاتبة «يوجانا نيامتسوا» (١٨٢٠ - ١٨٦٢) كانت اول كتاب عصري نُقل الى عدة لغات اجنبية، واصاب شهرة عالمية. والرواية وصف واقعي وخيالي في الوقت نفسه، لحياة الفلاحين. واما اعرق كاتب في هذه الحقبة فكان «يان نارودا» (١٨٣٤ - ١٨٩١) «لوهان» التشك في الشعر، و«ديكتزها» في النثر. وقد وجد الشعر الاجتماعي ممثله الكبير الاول في شخص «سفاتوبلوك تشاك» (١٨٤٦ - ١٩٠٨) وفي قصائده المؤثرة «اتشيد عبد». وتنتهي هذه الحقبة بالشاعر «ياروسلاف فراختسكي» (١٨٥٣ - ١٩١٢) الذي كان مترجم دانته و«ارسلو» و«تلسو» و«شيلي» و«فيكتور هيغو» و«كاموتز» و«جوتته» و«تيان» و«كلدارون» و«ميكساوكر» وغيرهم، مساهماً بذلك في توسيع اللغة الشعرية التشيكية، كما كان منتجاً عجبياً كثير الابداع في الكتابة.

والت الرواية التشيكية حوالى اواخر القرن التاسع عشر، واولائل العشرين، وصف حياة الفلاحين والعمال والقرويين. وقد مثل هذه الرواية الواقعية التي اصابت حفلاً غير يسير من تأثير الكتاب

ولم يُلمس تفتح ادب سلوفاكي صحيح الا في اوائل عهد الحياة الوطنية الحرة في الجمهورية التشيكوسلوفاكية . ونذكر من مؤلفي هذا الحين من الزمن « يان ميراك » (ولد ١٨٩٨) شاعر غسناشي رقيق ، و « ميلو اوردان » (ولد ١٩٠٤) وهو كاتب روائي سلوفاكي نقلت آثاره الى اللغات الاجنبية .

ولعل الزمن لا يسمح لنا بوصف اتساع الادب التشيكوسلوفاكي باكثر مما وصفناه به من خطوط مميزة ، ولا يسمح لنا كذلك الا بذكر اسماء اهم المؤلفين . ولكن عسى ان تعطي هذه المحاولة القصيرة للقاري فكرة عاجلة عن الجهد الادبي العظيم لامة صغيرة بعدد افرادها ، ولكنها كبيرة بمعنوياتها وبذوقها الثقافي ، امة شملت كل حياتها الاجتماعية والسياسية على قاعدة روحية من الانسانية والديمقراطية الصريحين .

وهذه بعض مقطوعات شعرية رمزية من الادب التشيكي الحديث

★

لطرب نومانه

(« كلر تومان » (ولد ١٨٧٧) شاعر ذو صبغة فردية . وتذكرنا لمحاته الرقيقة المرحة ، والحزينة اللامعة بمفعولات « فيلون » و « فراين » وهو في احدى مؤلفاته ببسط اسلوباً امثلاً وبلغ ، ولكن دون ان يصحى بعدوبة مؤلفاته السابقة ورفقها .)

انت الذي يكلف بالسكون ، وبمري بالوحدة ؟
انت الذي يستمع في اعماق الغابات ، وفي سلام الحقول تحت

التلوج ،

الى نسق الحياة الزائب ،

ألا تسمع أحياناً

صوتَ الوديان والهوى ؟

بعيداً ... تصل مواكب الاموات والدم والسكرات

حيث سكوت الارض عذاب وألم ...

اما هنا تحت ذلك ...

فقلبٌ تحفٌ خفقاته ، ونبعٌ مكتنون ، من اعماق الظلمات ،

يرمّج نحو ... النور ...

وليس من الحق قبل ان ننهي هذا الفصل في نثر السنوات الاخيرة ان نغفل ذكر النثر الهجائي الذي اعطى عن الادب التشيكي اكثر كتبه شعبية للخارج : كتاب « شيفك » : الهندي الطيب » للكتاب « ياروسلاف هاشاك » (١٨٨٤ - ١٩٢٣) ، هجائية تيموقراطية للمعسكرية النموية الالمانية في الحرب العالمية الاولى .

ولم يكن اتساع الشعر اقل شأنًا وروعة . ونذكر من شعراء اقدم الاجيال « اوتو كار براجينا » (١٨٩٨ - ١٩١٩) شاعر في التصوف الديني ، ذو شهرة عالمية . اما الشاعر الغنائي الذي يذكرنا ب « فيلون » و « فراين » من حيث الرقة والعذوبة فهو « كاريل تومان » (ولد ١٨٧٧) ويُعد من الجيل الاكثر قوة بزايا الادبية اكثر منه بالنسب . وهذا الطابع نفسه يميز الشاعر الاجتماعي والثوري « ك نومان » (ولد عام ١٨٧٥)

اما الشعر الذي نشر مباشرة بعد الحرب العالمية الاولى ، فيعبر أصدق التعبير عن مشاعر الامة الخالدة : عاطفة اخوة الرجال ومساواتهم . وكثيراً ما اعتُبر الشاعر الغنائي « يوسف هورا » (ولد ١٨٦١) اكبر شعراء التشك الاحياء ، بينما اصبح « بلجي وولكر » (١٩٠٠ - ١٩٢٤) الذي توفي في اربع سنه ، استاذ الشعر الانساني . ويثل نوازع الشعر المعاصر الحديث ف. هلاس ، وف توفال (ولد ١٩٠٠)

وتبقى علينا الان ان نتحدث عن الادب السلوفاكي . والحق ان نتاجاً ادبياً سلوفاكياً قائماً بذاته لم يبدأ الا في اواسط القرن التاسع عشر ، حين مما البعثه القومي الوطني « ليدافيت ستور » (١٨١٥ - ١٨٥٦) باللهجة السلوفاكية الى اللغة الادبية . وكان الشعب التشيكوسلوفاكي في ذلك الحين يعيش تحت نير الحكم الهنبرغري ، ولكن بينما كان فرع الشعب التشيكي يتسلم من الطغيان الالمانى في القسم النموسي من الملكية الهنبربورجوازية ، كان فرعه السلوفاكي هدفاً لظفان اشد قسوة وهولاً تحت ايدي الهنغارين في القسم الهنغاري من امبراطورية الهنبربورغين . وكانت هذه هي الاسباب التي فصلت بين اللغة الادبية والادب السلوفاكي ، واليه كان يغزى كذلك ان اتساع هذا الادب الجديد لم يتم بالسرعة التي تم فيها الادب التشيكي .

كان اكبر شاعر يحرم بالسلوفاكية « هنياز دوسلاف » (١٨٤٩ - ١٩٢١) واكبر ناثر « مرتين كوكوتشين » (١٨٦٠ - ١٩٢٨) . وثمة شاعر واثر ممتاز هو « مرتين رازوس » (١٨٨٨ - ١٩٣٦) الذي كان في الوقت نفسه احد رؤساء شعبه السياسيين .



و... وانشودة المياه الفتية النضة ،
تسحر فؤادك ، وتشمل عقلك بسعادة التفكير :
في اننا إن كنا صغوين في اليأس ...
فلنسنا كذلك في الايمان والوفاء .

★

الطريق

ليوسف هورا

(أكتب «يوسف هورا» (ولد عام ١٨٩١)
شهرته الادبية بعد الحرب العالمية الاولى . في
الشعر التشبيكي ، تلك كانت حقبة الرغبة الماحقة
بالاخوة والمساواة . ويوصف «يوسف هورا»
بأنه ام شاعر تشبيكي معاصر .)

يوجانا ليامسوبا مؤلفة رواية « الأم الطيبة »

ان الطريق لتتحمس وتتلذس ، خالية بين دورها ،
ليس من قدم تشبي ، ولا من صوت يتمزق على الجدران ،
اذ يصطدم بزواياها الحادة القاسية ...
... وليس ثمة من يذميك ...

ومع ذلك ، فان خطوط واصواتا لتنبعث من طوايا السكون

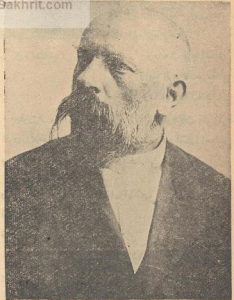
... الذين المواني ، فرت ...

وذابت في في ، وقد بعثتها شفاهم ،
زرقة سما . نوار ، وقت ايلول وروائعه .
وخيالات وراء الزجاج تحتلظ بالسواد .

لقد ذهبوا دون ان يذهبوا ، وإن احدا منهم لم يتعد ،
وعلى شفاها استسلمت للنوم ضحكات الاطفال ،
وجوع العيون الاجنبية يُدرج بين أضدغنا
شبهه الذي يتلفني . فينا كالمصباح ...

وأيد على صدري ، ايد ما اكثرها ترسل شعاعاتها !
وعلى رأسي ازهار كثيرة ... ازهار ما اكثرها !

★



ياروسلاف فرخلنكي

انشودة المهاجرين

جان سراك

(لعلّ هـ جان سراك « ولد ١٨٩٨) معتبر
أم الشعراء السلوفاكيين المعاصرين . ونقسم
اشعاره بكثير من الحيرة - ويحمل اول كتاب
له - طبع عام ١٩٢٢ - هذا العنوان المميز :
« محكوم عليه بالمطر الازلي » . وهو شاعر
ذوقه غنائية وقادة ، وحس بالنغمة
والنسق ، يثير الاعجاب .)

ما اكثرهم اولئك الذين يغربون ،

ليشقوا الاثلام في الامواج !

وإن أناسيدهم للهجرة ،

لأنصدي في الارحاجا . . .

يشكو فريق منهم
الهم والنصب في تلك القياقي
الموحشة

وآخرون على الافراس ،
وغيرهم يسكون الاعنة
وجميعهم يخضعون على
مض ومشفة للسان الاجنبي
بينما اللسان الامومي

الحبيب . . .

ينشد لهم في المساء على
ضوء مصباح صغير

موسيقاه الفرحة المرحه . . .

وعلى مثل هذه السفينة التي تشق « حمالايا » الامواج

دون ان تضطرب او تنوس ، كأنها منشار هائل

أبحرت قديماً ، ايلماً وليالي . . .

وفهمت ساعته تلك القوة الالهية

التي يقبض عليها الانسان بيده العجيبة .

وبكبت واقفاً على حيزوم السفينة

حين لفحي الغوا

فومتي بطابعه القوي الشديد

لأتذكره بعد ،

غيب الآوبة الى جبالي .

وانت . . . ايها القائد الذي يحشو المدخنة بالفحم

ان عاتقك لمن رصاص

وان ذراعك لمن حديد

حين يجهدا ويشتدا . . .

ولو اني كنت شاباً مثلك

لجعت قوتي الى قوتك

لنحول مسير السفينة ! . . .

وما كان لي - انا الذي ليس في طوقه

ان يندمج في حر كرات تلك الآلات

الا ان اوجه وجهي

باستسلام

نحو فريق المهاجرين ،

الذين يبعثون فوق تلك

الامواج

التي تزع بالشبه الى

حمام ابيض ،

بالخانهم الكلثية اللائعة

اولئك هم الذين يسبون

الى الامام قديماً .

ومنيحت الزبداجفاني . . .

رامياً الزهرة البحرية للهوا .

وداعاً اخيراً لبلاد آبائي .

. . . ولوت السفينة ومؤخرتها : مؤخرة الحوت ، ودلفت نحو المرفأ .

اذ ذاك طفقت الامهات يرمن على صدورهن اشارة الصليب ،

وأغضت الزوجات رؤوسهن وابصارهن .

وحين تحملت سحابات الدخان الاخيرة

فوق الامواج المتلاطمة

قيل للبحارة : وداعاً ، وداعاً

. . . واختلطت ألحان تلك الاناشيد الموسيقية الخائنة المشوقة

برعود تلك الاعاصير والانواء العاصفة

التي تؤلم الباسفيك وتخزنه . . .

ترجمة : سرجيل الديرين



الرئيس مازاريك مع الروائي الواقفي كاريل تشابك

•

اتمنى ...

اتمنى انك بسن البدر أو أصغر سناً
كلما مرت بعطفك يدي جنت وجنتنا
واذا طافت بجديك جنت ما ليس بجني
ثمراً مل، ففي ابصره غيري فجنتنا
ومضى بقرع من جور الهوى ...
سنناً فسناً

أتقني ان تقري في وقد هومت وهمتنا
أرصد النجم واستوحيه من روحك معنى
ثم املية على النوح فيبدو مطمئنتنا
ولقد يهتد اذا انشدته حبي يميننا
شبهلاً بكسر ع من خم الهوى ...
دراً فدنا

للحور ماني

أتقني ، والهوى كل الهوى ان أتقني
ان تكوني لي عصفوراً أو أغدو لك غصنا
كلما خف به لحلك ألوى وأرنتنا
واذا غنيتي انشودة الحب تشني
يتلقى منك ألحان الهوى ...
لحناً فلحنا

م

اسبوع ام سعد

بنم رساد المغربي دارغوت

كانت

ام سعد تجرّم على نفسها (الغسيل) يوم الاثنين .
فقد سمعت انها المرحومة تردد بايمان وصدق :

« يوم الاثنين ... اما امد يدي للطبق ! امي الله يرحمها
او صتي ... ومعا حق ! »

وتروي ام سعد ، بدورها ، على مسامع ابنتها ، ما لقيته كلما
خالفت وصية المرحومة اما ، او حاولت ان تنزأ من ذلك التقليد
السائد في بيت « القباقي » منذ اجيال .

فتارة ينقلب الطبق بانه العالي على قدميها ، فيجرّتها ، وطورا
يصيبها وجع في الرأس ، تضطر معه الى ترك (الغسيل) الى اليوم
الثاني . وتارة اخرى تذهل ، فتضع (البياض) مع الاتواب الملوثة ،
فتتلطخ وينفد حافا . فاذا لم يحدث شيء من ذلك ، في هذا اليوم ،
انقلب (الصفة) وتخطمت تلك الآتية المغارة ، فوالله ما استجب
او مسبب !!!

وام سعد لا تستسيغ القيام بأعمال المنزل يوم الاربعاء . فهذا
اليوم يقوم ، في وسط الاسبوع ، كساعة النعس في وسط النهار .
فكم طيبة احترقت فيه ! وكم انا . تكسر ! وكم ابرة تحطمت !
وكم ثوب احترق !

وخاصة (تقصيل) الاتواب الجديدة ، وخياطينها - ولو كانت
من النوع الرخيص ، الذي لا يتطلب عناية وحرصا ، ولا يستدعي
ملاحظة ثوب الجارة الجديد ، او الاستعانة بخياطة الحي .

وفوق هذا ، فان ام سعد تذكر تماما انها ما خاطت ثوبا يوم
الاربعاء . الا احترق ، ولو (بصفة) تاريخية . كما لا تنسى ان ثوب
عرسها الاحمر قد أكله (الممت) ، لان الخياطة ام محي الدين قد
(غزت) فيه ابرة واحدة ، يوم الاربعاء . الذي سبق خفلة زفافها !
وهي ما برحت حتى اليوم حزينه على ذلك الثوب الذي لم تتنا به ،
وان كان ابو سعد قد عوضها خيرا منه ، في السنة الثالثة من زواجها .
وتقيّض ام سعد في سردها حوادث هذا اليوم المشؤم ... على

مسامح ابنتها ؛ وما حفظته الاساطير من اخبار النعس الذي يلازمه ؛
مستحلفة فتاتها بان لا تقدم على عمل له خطره في يوم اثنين او اربعاء .
فذاك يوم (فضيل) ، وهذا يوم (منجوس) لا يسلم المرء فيها من
خطأ يقع فيه ، او جناية يقتربها .

ثم تقول ام سعد وهي (تقلي) شعر ابنتها ، قبل ان تضفره :
« كان ابوك في السوق . وكنت اشغل موقد الحطب بانتظار
« النعمة » التي ذهب لايتابعها . ومضت الساعات طويلة مملّة . والمساء
يغل في القدر ، والحطب يذوب في الموقد ... واخيرا عاد ابوك
ولكن ... دون (كرش) ! فقد زاحمه عليه فلاح ، جاء فاشترى
جميع الكروش والمصادين من السلخ ... »

فتقول الفتاة ، وهي لا ترى في تلك (المصيبة) اية فاجعة ، بصم
يوم الاربعاء . بالنعس :

« ولكن ! تخلّصت من الاوساخ ! النعمة بلا كرش انظف
فتقد الام على ضغيفي الفتاة ، وهي تنهي علمها التريبي ، ثم
تردف معلمة مبهذة :

« ما يري الكرش الا الكرش يا بنتي ! شو يعرفك انت ؟ »
ثم تقوم عن فتاتها ، تنفض عن احضانها الشعر المتساقط ، وغيره
ما يكون قد اقلت من بين اناملها . . . وهي تستعيد بالله من هذا
(الجحش) الذي لا يفتح ولا يفهم . . . ويبادل الصغار باصرار

حتى اذا برّح فجر الخميس ، غدت ام سعد تردد جلستها المأثورة
في هذا النهار الذي لا يخلو من ساعة لأبليس :

« يا لطيف يا امين . . نجنا من ابليس المعين ! »
وعلى الرغم من ذلك ، كان ابليس يمد منقذا الى منزل ام سعد ،
ويفتح نفوة في جهازها الدفاعي يتسرب منها الى مطبخها - فيزيد في
ملح الطعام حتى لا يمكن (تصريفه) ، او يستعير (منقرة) الكوسى
ساعة وبعض ساعة ، او يخفي (مدقة) الثوم ، او ، على الاقل ،
يذهل ام سعد عن مراقبة النار تنطفئ . !

وقد كتب لها ابو سعد (حجاباً) بيد الشيخ « البسبوسي » ،
كيا منع عنها ابليس ، وما يوسوسه هذا الشيطان المعين . ثم اطلع
عليه الشيخ حفص الحوراني ، فاستحسنه ، وزاد عليه بعض الاشارات
القاطعة المأمنة ، وختمه بهذه الكلمات ، على سبيل الاحتياط من
مكسر كل خناس من الجنة والناس :

« ثمروخ بمروخ ! دعوما ملطوما ، رب كيدو . يا يوه يايوه .
ديروا معطش . رب قالش . سلخ ووه سلسلخ يا الله ! »

فيزداد الرجل ثورة، ويصرخ مهدداً :

« الشرع ! شو يعرفك انت بالشرع ا علي الطلاق .. بالثلاثة بالمشرة .. »

قتسار عم سعد الى حضن زوجها ، لتسد بيدها الصغيرة الناعمة فمه ، قبل ان يتم قسمه الخطير ، وهي تمدده بان تكون له كما يريد ، وعلى الوجه الذي يريد :

« بس استرنا يا ابو سعد ! ولا تسمع الجيران صوتك ! »

وكان من حسن الحظ ان الاولاد ما يرحوا في زيارة عمتهم ، كما زعمت الام لاني سعد . فلما عادوا ، وراحوا يقصون على والدهم ما شاهدوه على الشاشة البيضاء ، استشاط والد غضباً ، وحاترت الام في امرها . وحسب الرجل ان زوجه تخادعه . فكان نصيب كل من الاولاد (كفتين) من كعب البست ، ونصيب الام طلاقاً ثانياً ، اذا هي سمحت لاولادها بالذهاب الى (كركوز) مع اولاد عمتهم القاسدين المفسدين .

غير ان سامي - اصغر الاولاد سناً - واجراً عم على ابيه واهله ، أبى ان يتام قبل ان يأكل ، حيث هو في الحديقة . بينما اغنى اخوته ، وهم يملكون دموعهم فيشربون بها ، والبدر عند قبة الجبل ، ينشر على الارض ظلالاً تتراقص في كل مكان ، ونوراً يلف الكون بقباب شفاف يزيد فتنة اغواء .

فحملت ام سعد الطعام الى ابنها ، وجلست قربه تلومه على اصراره على تناول الطعام في الفضاء ، والطقس رطب ، ويرد الخريف مؤذ . فيقول الطفل ، بين القمتين اذرد احدهما وعض على الثانية :

« يعضرنا ليه ؟ هو ما يروح على القهوة ؟ »

فتنهر الام وليدها بمردة على الاب وسعيه الى تأديب اولاده وتربيتهم ، لان (كركوز) بما لا يحسن بالاولاد ان يرتادوا دوره وحدهم . فيردف الابن :

« ليه ما يأخذنا هو ؟ والقهوة مفسدة اكثراً ! »

واشرت شمس السبت في ذلك الحين . فاذا ام سعد تستنصر كرهاً غريباً يداخلها لهذا اليوم ، وحيرة تأخذ عليها المسالك والطرق ، وشهوة للبكاء تنكد عيشها ، وتظلم في وجهها الحياة . فابقت ان يوم السبت يوم مكروه ... وان الكدر والمقت والهلم ملازمة له . فاضافته الى الايام الاخرى . وراحت تستعين بالله من ساعة الغفلة ، وايام الحس ، وكيد ابليس !

وقد عاشت ام سعد ما عاشت ، بعد يومها هذا تحصي لايلام السبت

ولكن ابليس لم ينكف عن استعارة ادوات المطبخ ، واخفاء حاجات البيت ، في يوم الخميس من كل اسبوع ، وجرق الطعام ، واتخاذ النار ، وسائر مداعباته السجدة . وام سعد لا تفك بدورها عن ترديد تعويذتها المفضلة : - « يا لطيف يا امين .. نجسنا من ابليس اللعين » حتى ينف ريقها ، وتذلل عن كل ما حولها .

فاذا حان يوم الجمعة ، امتنعت ام سعد عن كل عزم ، سوى كنس الارض ومسحها ، واعداد الطعام . فيوم الجمعة يوم مبارك . وهو يوم الزيارات الواجبة للاهل ولذوي الارحام . لا سيما ان (ابو سعد) نفسه ينقطع عن تجارتها فيه ، منذ الضحى حتى المساء . فاذا عاد من عمله ، عند الساعة العاشرة صباحاً ، تقفدى ، واستعد صلاة الظهر في الجامع الكبير ، ثم انصرف الى المقهى يبدن تارجيلته ، في حلقة من اصدقائه وجلسائه ، حتى اذان العصر . وعندما يعود الى البيت ، تكون ام سعد قد أدت واجباتها العائلية وانتهت من زياراتها ، وهيأت لزوجها طعام العشاء ، ثم جلست تظفنه في اروع زيناً وانظف ثياب ... على رأسها باقة من الزهر ، وفي صدرها حنين وشوق ...

فلما كبر الاولاد ، وباتت وحيدتها البكر زينب في حدود السن الخطرة ، امتنعت ام سعد عن كل ما يشي في اذهان هؤلاء (الشياطين) ربة او شكراً . حتى الزهر ، فاقبلت لم تعد تتخرج به رأسها الصغير المجدد ، والحرمة السائلة ، فانها استغنى عن صنع شياطين الرقيقتين بها . وان كان ابو سعد قد اقبحها بصراحة انه ما يروح شاباً ... وانه غير راض عن هذا السلوك الذي اخذت نفسها به . فتقول ام سعد والحجل يضرخ وجنتها البارزتين :

« كبير ابنتك ، خبي ذقتك يا ابو سعد ! »

فينضب الزوج ، وتستر في نفسه كبرياء الرجل ، يشرف على الحسين في ذروة قوته وبأبان نشاطه ، وهذا التنازع المعنوي الذي يقضي على نهضة العيش في الاسرة الشرقية ، وعلى تعاون الاجيال ، ويقول :

« عمرهم ما كانوا ابدأ بنفسك ا بدي اعيش اولاً ! »

وتحاول ام سعد ان تهدئ من ثائرة الرجل ، وتلطف من غضبه ، فتذكره بانها عاشا وحيدتين ، عشرة اعوام ، قبل ان تستمر في احسانها اولى ثمرات زواجهما ، وان زينب تكاد تبلغ الثالثة عشرة ، واخاها سعداً في مثل وعيها ، وان كان يصغرها بشرة اشهر ... فن الحكمة لا يستتير ذلك الوعي بظواهر تبرج نهى عنه الشرع ، وان لا يستغزا فضول الاولاد ... في مثل تلك السن .

العسكرية ، يطلب العفو عنه ، وهو الاعرج في الاصل ، والمصاب بالنقرس المزمن ، وسند الاسرة الوحيد .

وظل أمل ام سعد معقوداً على يوم الثلاثاء : فهو يوم خير وبركة : فيه خطبت الى ابني سعد ، وفيه شعرت بالجلل اول مرة ، ومن ثم بجرعة الحنين ، بعد مقيم دام عشر سنوات ، خيل في اثناها الى (العايات) والجارات وابي سعد نفسه انه عقر ابدي .

وفي يوم الثلاثاء ، من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ دخل الحلفاء المدينة ، بعد الهدنة ، فاما انتفى شهر وبضعة ايام حتى عاد ابوسعد . مشوهاً مريضاً ، ولكنه عائد على كل حال . وعادت الى شفتي ام سعد بسمة فارتقا مندغيب « السفر برك » وجه زوجها الحبيب .

وما برحت ام سعد تعيش ١٠٠٠ بعد موت زوجها السنوات سبقت هذه الحرب العالمية الثانية ، فلا تحسب من العمر الا يوم الثلاثاء . ولا تقوم حاجة الا في يوم الثلاثاء ، وهي تعتقد ، منذ ان بلغت الثاين انها ستبلغ العشرين بعد المئة - كما قال لها الشيخ الحوراني - قبل ان تلتحق بابي سعد في جنات النعم .

رسالة العربي دارغوث

محطمة راديو الشرق بيروت برنامج الاذاعات العربية

توزيع على موهبتين { قصيرة وطولها ٣٧,٣٤ متراً
ومتوسطة وطولها ٤١١ متراً

البرنامج

سبيلاً ٨١٥ - ٨٣٠ : آباء الصباح (برنامج موسيقي في ٨٤
ظهراً ٢ - ٢,١٥ : آباء الظهيرة
ساءً ٨ - ٨,١٥ : آباء المساء
ظهراً ١,٣٠ - ٢ : غناء ، موسيقى : اقوال الصوف
٢,١٥ - ٢,٣٠ : امارات الكفاح ، من المرأة ، لثوار
عشية ٥,٣٠ - ٦ : قرآن كريم - حفلة غنائية
ساءً ٨,١٥ - ٩,١٥ : برنامج موسيقي - غناء - موسيقى - امارات

سيناتها ، ونحوها . وابنتها زينب تهزأ من تطيرها ، واسرافها في ذلك التطير . حتى كان يوم سبت في قوز سنة ١٩١٧ ، والحرب الكونية في اشد مراحلها خطراً ، وادق ايامها حراجة . فقد استيقظت ام سعد على اصوات بكاء وعويل وحجب . فاستعادت بالله من هذا الصباح ، وسألته ان يقضي يومها ذاك على سلامة ، وان تعيب شمسها بلسر ما يمكن ، فتخلص من وجهه الاكبر المعقوت . واذا بالجاردة ام تحسين بك هي التي ماتت هذه المرة جوعاً ، لاحقة بجادها الماوك الاسود ، الذي توفي منذ اسابيع بدا . لم يستطع الاطباء تشخيصه .

ولم يتصف النهار حتى جاء ابو سعد يحمل الى زوجته خيراً لا يقل عن خير الموت وقفاً في النفوس ، وحزراً في القلوب :

« طلبوا غري في السفر برك ! »

فشرت ام سعد ان الارض تدور فوق رأسها ، وان الدماء تطبق على صدرها :

« السفر برك ! يا ذلي وذلل اطلقني ! »

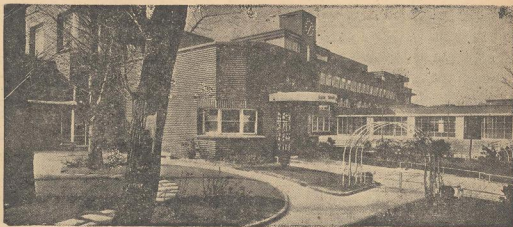
وتفجر المرأة في بكاء ، مفعج ، شاكها فيه اولادها وسوالجها جالس هناك في الزاوية ، على كرسي خشبي متواضع ، ينظر الى الافق من خلال دموعه المتجيرة ، فيرى ما يشعشع له يده ، ويسمع ما يصم اذنيه ويعقد لسانه . وامرأته الصبية ، وابنته الحسنة ، واولاده القصر العاجزون ؟ من يكون لهم بعده ؟

وهذه امرأة جاره التاجر المعتر ، ابو قاسم ، اضطرتها الظروف القاسية الى بيع الحيز في الاسواق . وتلك ابنة زميله الآخر ، ابو خليل ، قد أُلجئت الى الاستخدام . في مثل احد الضباط المستهزئين ولكن ابوسعد لم يشأ ان يستظفر اهله هذا الضعف في عواطفه ، وهذا الخور في عزمه . فانتهر زوجته النادية واولاده المتجبنين ، وقال ، وفي نبرات صوته بحجة الاشفاق والالم :

« ما هذا البكاء . انا ان مات فلنكم الله ! الله ما يقطع فيكم ! »

غير انه لم يستطع ان ينهه دمعاً انفجر في عينيه بالارغم منه ، وغصة اخذت يلقومه فخنقت صوته . وتعالى البكاء . والتعجب مرة ثانية ، فكان البيت في مأتم .

وكان اليوم التالي ، يوم الاحد ، آخر ما تبقى لام سعد من اسبوعها ، بعد يوم الثلاثاء . ولكنها فقدت تقنياً به منذ ذلك اليوم المشؤوم ، وتساورى في نظرها مع سائر الايام . فقد سافر فيه ابوسعد الى ساحات القتال ، على الرغم من توسط الكثيرين لدى المراجع



احدى مدارس الهواء النقي التي سني بتطبيق النظام الفردي



تطور نظام التعليم الفردي في التربية الحديثة

بالأمر السهل ، ولم تتوصل اليه امة من الامة بعد ، رغم وجود بوادره في بعض الطرق التربوية الحديثة، التي تطبق اليوم في أمريكا وأوروبا . ولكن ما يمكن عمله ، هو تطبيق النظام الخاص بتقسيم التلاميذ الى صفوف متقاربة في القدرات العقلية ، وجعل مناهجهم مرنة متنوعة تساهم استعداداتهم وميولهم . ولا يتم ذلك إلا بالغاء التقسيم القديم القائم على أساس السن والطول أو الانجليزية واحلال النظام القائم على أساس العمر العقلي . ولعل الثورة الصناعية الحديثة - وليدة القرن التاسع عشر - باقراها مبدأ التخصص الجزئي في العمل ، توضح لنا فكرة التخصص المبلي في التربية . وتبين لنا ان الحياة كلها تحيط نحو هذا التخصص . قديماً كان الحذاء مضرراً لصرف اكثر من يوم في صنع اجزاء الحذاء . وتركيبها . فلما جاء الانقلاب الصناعي اراح العامل ، وانتج للناس اقصى ما يمكن من الكمية بأقل ما يمكن من الوقت ، وذلك باتباع نظام التخصص

يزال نظام الصفوف المدرسية المشتركة متبعاً منذ اقدم العصور . ولا تزال التربية الفردية مقتصرة على اولاد الطبقات الخاصة التي تتسع ثروتها لتعليم اولادها في البيت دون ان يندمجوا في البيئة المدرسية . ولكن الافكار تنهت منذ اكثر من نصف قرن الى وجوب اصلاح التعليم على اساس العناية بالفروق الفردية بين المعلمين ، وعلى اساس ما استطاع علم النفس ان يتوصل اليه من نتائج دراسته لآثر العوامل الوراثية والاجتماعية والعقلية في التحصيل . وفي بداية هذا القرن اشتدت حملة علماء النفس والتربية على النظام المشترك في التعليم ، فأخذوا يبينون مساوئه وتنافيه مع تطور التربية ويثبتون بالتجارب عجزه عن مسايرة قدرات التلاميذ العقلية المتفاوتة ، هذه القدرات التي تمد - في نظرهم - اساس القابلية في الدراسة . وليس الغاء الصفوف المشتركة واتباع طريقة التعليم الفردي

في كل فرع من فروع العمل .

يقابل هذا الانقلاب الصناعي انقلاب تربوي خطير ، تطور نفس التطور ومرت بنفس الأدوار . فكان همّ المدرس قديماً ان يعطي اكبر كمية من جرعات المعلومات الى التلميذ دون مراعاة أي مؤثر على ذلك المسكين ، ودون اعتبار أي ميل او رغبة او اعتراض يبدو منه . فلما بدأ الانقلاب التربوي الاخير جعل المدارس تشعر بحاجتها الى الاختصاصيين في التربية وعلم النفس ليقوموا بالتجارب الشخصية والاختبارات الفردية ، وليوجهوا كلا من التلاميذ نحو التخصص في الجزء الذي يميل اليه ، فيقبل عليه ببعض ارادته ، ويدع مستقبله على اساسه . والملاحظ ان ارقى الامم تقدماً في ميدان الصناعة هي ارقاها تخصصاً في التربية والتعليم .

نشأة نظام العناية الفردية في التربية الحديثة وانتشاره في العالم

يذكر لنا المربي السويسري الكبير الدكتور « كلاباريد » في كتابه « نفسية الطفل والتربية التجريبية » ثلاث مراحل اجتازها نظام العناية الفردية في التربية الحديثة . وهي :
١ - التعليم الخاص بالمتأخرين والشواذ . وقد أوجدهه سويسرا ثم ألمانيا .
٢ - المدرسة حسب الفروق الفردية . وقد حققتها ألمانيا .

٣ - التعليم الخاص بالنجباء والمتفوقين . وقد أوجدهه الولايات المتحدة .

ان هذه المراحل الثلاث تميز التربية في اتجاهها الحديث . فهي تسير حسب الاستعداد العقلي لكل تلميذ . فلا تنجي على الأذكيا . يدماجهم مع الأغنياء . ولا على هؤلاء . يدماجهم وقتل ما تبقى من نفوسهم بالترجر والتأنيب .
وسنعرض بإيجاز لتطور هذه المراحل وانتشارها في العالم ومبلغ ما افاده التعليم منها .

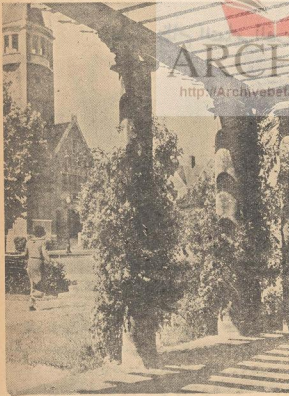
١ - التعليم الخاص بالمتأخرين عقلياً والشواذ

كانت اولى المحاولات لتخفيف مصاب هؤلاء الاولاد - الذين افقدتهم الطبيعة شيئاً من القدرة العقلية على التحصيل - في سنة ١٨٤١ في سويسرا . اذ اسس لهم الدكتور Guggenbühl ملجأ في Abendberg . وجاهد في سبيل مشروعه حتى نجح وبدأ يتشهر في مدن سويسرا .

وفي سنة ١٨٥٠ بلغ عدد هذه الملجأ . ثمانية . كانت خاصة بالأولاد الذين يشفق اولياؤهم من ارسالهم الى المدارس العادية ، لانها تحملهم فوق طاقتهم ، وبأولئك الذين كانوا لا يستفيدون شيئاً من مدارس الحكومة لانها لا تستطيع ان توجه اليهم عناية خاصة . بل تعاملهم معاملة المتوسطين والمتفوقين ، مع انهم لا يدركون شأن أولئك ولا هؤلاء . في شي .

ثم اتسعت الفكرة واتجهت نحو تأسيس صفوف خاصة بالمتأخرين في مدارس المدن الكبرى .

وليس ادل على نجاح هذا النظام وانتشاره من الاحصاء الذي يذكر لنا بأن عدد المدارس التي طبقت هذا النظام كان تسعاً في بداية الامر . ولكنه بلغ السبعين سنة ١٩٢١ . ثم عم جميع مدارس سويسرا الرسمية حسب نظام المعارف . وقد دلت النتائج ان الغاية التي من اجلها انشأت هذه الصفوف قد تحققت فأصبح أكثر أولئك المتأخرين في التحصيل قادرين على اعتاد انفسهم في الحياة وكسب



ضاحية الجامعات في مدينة باريس

قوتهم بفضل توجيههم حسب استعداداتهم وميولهم الخاصة .

٢ - المدرسة حسب الفروق الفردية

انتقل هذا النظام الى ألمانيا وانتشر فيها بشكل انظم وأوسع بفضل الدكتور Sickinger المستشار التربوي في مقاطعة Mannheim فلنستمع اليه يحدّثنا في تقرير له عن رأيه في تحويل هذا النظام والعناية بتطبيقه . قال :

« لاحظت ان خمسين بالمئة من سكان مقاطعة Mannheim لا يتبنون تحصيلهم العالي ، بل يدخلون الحياة العملية وهم على جانب يسير من الثقافة . وقد تبين لي بعد الاختبار ان عجزهم هذا راجع لكرههم الدراسة بسبب فهم البطيء . وقصودهم عن مجاراة رفاقهم وفقدان النظام الذي يساعدهم على التحصيل حسب قابلياتهم . ولما كانت التربية تعني ، الناشئ ، للحياة الاجتماعية العملية وجب ان تكون هي نفسها اجتماعية علمية في سيرها ، وان تخضع لشرطين اساسيين : اولها تربوي يتأخص في ان يتعلم الانسان ليعيش معها . كان غوه الجسمي او العقلي بطيئاً ، وثانيها صحي يتأخص بوجود تجنب كل مجهود دراسي يضر في صحة الناشئ . وللهذين السببين ادى ضرورة الجمع في الصف الواحد بين تلاميذ مختلفين في يوم العقلي . ويتم ذلك اذا انشأنا :

١ - الصفوف العادية للتوسطين .

ب - الصفوف الخاصة ببطيئي الفهم .

ج - الصفوف الخاصة بالشواذ .

واذا كانت الشروط الصحية والنفسية التي يحيا فيها التلميذ لا تضمن غوه الطبيعي ، فمن الواجب خلق بيئة ملائمة له تساعد على اتران غوه . ويتم ذلك اذا خففنا عدد التلاميذ في الصف الواحد واعدنا المعلمين الأكفاء ، وجعلنا المناهج مرنة تجارية ميول التعلين » .

وعلى هذا الاساس بدأ نظام العناية الفردية ينتشر في مدارس ألمانيا كما انتشر في سويسرا . وكان تطوره هذا بمثابة مرحلة انتقال توسعت فيها الفكرة وانتظمت واقتنع الناس بوجوب الأخذ بها . ولما كانت النهضة الامريكية وليدة اليقظة الاوروبية الحديثة

في شتى نواحي الحضارة . فقد بدأت امريكا تتابع باهتمام ما يطرأ على نظم التربية في اوروبا . ولا تلبث ان تأخذ بهذه النظم وتجربها وتؤلفها حسب حاجاتها .

وهكذا اقتبست هذا النظام وجربته . فنجحت تجربتها ، وسرعان ما انتشر في معظم ولاياتها مع شي . من التحوير والتوسع . فيجدنا المستر Dickson مدير مكتب الأبحاث التربوية في Oakland بأنه قبل تنظيم مدارس هذه المقاطعة على اساس العمر العقلي دل الاحصاء في نهاية احدى السنين المدرسية على وجود ١٧٦٦ راساً من اصل ١٦ الف متقدم للامتحان . وما بعد اقتباس النظام الاوروبي تفاوت التلاميذ في قابلياتهم . اما بعد اقتباس النظام الاوروبي الحديث فقد اصبح كل تلميذ ينظم في الصف الذي يلائم عقلية . ولقد اذيعت في تنظيم مدارس Oakland تقسيمها الى خمسة صفوف بدلا من ثلاثة . وهي :

١ - الصفوف الخاصة بالنجباء . والمتفوقين ، وهؤلاء يتقدمون في الدراسة بالسرعة التي تلائم نبوغهم .

ب - الصفوف العادية ، وتضم المتوسطين في الذكاء . والعاديين .
ج - الصفوف الخاصة بضعاف الاجسام او المتأخرين في دخول المدرسة .

د - الصفوف الخاصة بن هم اقل من المتوسط ، وتضم التلاميذ غير القاديين على مجاراة المناهج العادية .

هـ - الصفوف الخاصة بالشواذ . وهم من يتأخر عمرهم العقلي عن عمرهم الزمني من سنة الى ثلاث سنوات .

وهذه الصفوف تختلف باختلاف سياات التلاميذ ووسائلهم الاجتماعية . ففي احدى المدارس كان حول التحسين في المائة من التلاميذ في صفوف ج ، د ، هـ . وفي مدرسة اخرى كان اكثر من خمسين في المائة في صفوف « ا » و « ب » . ولم يكن في « هـ » سوى ٣ في المائة .

وينهي الدكتور المذكور تقريره بقوله : « ان ترتيب التلاميذ حسب عمرهم العقلي قد ادى الى نتائج مشجعة جداً في التعليم الابتدائي والثانوي . وهو يتقدم بخطوات واسعة لكي يشمل المدارس القديمة . »

عندما يدخل الطفل روضة الأطفال أو المدرسة الأولية الإجبارية بين سن ٥ و٧ تجرى له اختبارات الذكاء لتحديد عمره العقلي واستخراج نسبة ذكائه واكتشاف ميوله واستعداداته الخاصة . وعندما ينتقل الى المدرسة الابتدائية تقدم الروضة أو المدرسة الأولية تقريراً مفصلاً يشمل نتائج ملاحظاتها عنه .

وبعد اطلاع الإدارة على هذا التقرير تختبر ذكاءه من جديد باختبارات Binet-Simon المعدلة . وتضيف بعض اختبارات خاصة في القراءة والحساب . وعلى أساس نتائج هذه الاختبارات يتنظم الولد في الصف الذي يلائم عقلته واستعداده للتحصيل . فهذا التنظيم يهد لجميع التلاميذ تعليماً وغواً يتفان وقدراتهم الخاصة .

٣ - التعلم الخاص بالنجباء والمتفوقين

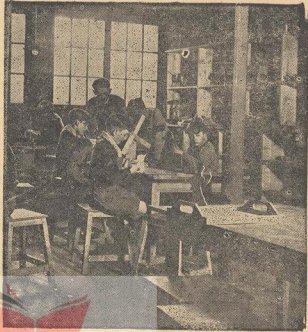
يقول المرئي الأمريكي Terman : « ان الهيئة الاجتماعية لتفريد اذا اكتشفت ولداً واحداً نابغاً واهمته به أكثر مما تستفيد لو وجهت هذا الاهتمام الى ألف من الضعفاء والشاذين . »

ولقد كانت أمريكا اول امة فطنت لهذه الحقيقة ، فشعرت ان النوابع - وهم الأقليات النادرة في كل مدرسة - مهضومي الحقوق ، لا تستطيع المدارس ان توجه لهم عناية فردية خاصة . ولا تتمكن من تغذية نبوغهم وتوجيه نشاطهم بالسرعة المطلوبة . فانجبت الأفكار نحو فتح مدارس تضم هؤلاء « النوابع » وتغني بهم عناية فردية واسعة وتوجه كلاً منهم لمسا خلق له كي تضمن الانتفاع ببقريته .

اما الأسس التي ترمي الى تحقيقها هذه المدارس - على ندرتها - فهي :

(١) تزويد « النوابع » بالمعلومات التي تسير تفوقهم وتغذي نشاطهم .

(٢) جعل المنهج التعليمي في هذه المدارس واسعاً يشمل أكثر نواحي الحياة .



بعض طلبة مدرسة «دي روش» في معمل الأشغال البدنية

ولا يتسع المجال لأحدثك عن انتشار هذا النظام في بقية دول العالم ، ولكن اكتفي بذكر استشهاده على مبلغ نجاحه عند تطبيقه في إنجلترا . فقد دلت الإحصاءات ان ٦٨ في المائة من التلاميذ المتأخرين عقلياً والشواذ تمكنوا من اكتساب عيشهم بعد تخرجهم من المدارس . ولم يكونوا عالة على المجتمع . وان ٥ في المائة أو ٦ من البنات ايضاً تمكن من اعتاد انفسهن في الحياة . كل ذلك بفضل نظام العناية الفردية الذي يضمن توجيههم حسب استعداداتهم وقدراتهم الخاصة .

يقول المرئي Duvillard في تقرير قدمه لمؤتمر التربية بسويسرا : « لقد قامت التربية بواجبها نحو ضعفاء العقول والشواذ يوم أوجدت الصفوف الخاصة بهم ، وستعني مهمتها يوم تفتح الصفوف والمدارس الخاصة بالنجباء والمتفوقين . »

ولكي اعطيك صورة عمالية عن هذا النظام اذكر لك الطريقة المتبعة في تطبيقه بدارس سويسرا .

٣) تقسيم التلاميذ الى فرق حسب نوع نبوغهم . وافساح المجال امام كل منهم ليتبحر في ميدانه الخاص .

٤) العناية بالتوجيه المهني في مرحلة التخصص العليا . فلا يتخصص «التلاميذ» في المهنة التي يرغب فيها والده او اهله او مدرسته وانما في المهنة التي منحتها الطبيعة قدرة خاصة على النجاح فيها، والتي يمكن معرفتها باختبارات خاصة «تجربى له وتعرف» باختبارات التوجيه المهني .

من كل ما تقدم نرى ان التربية الحديثة تتميز اليوم بترتين خطيرتين هما :

١) العناية بأمر التلميذ الفرد .

أي دراسة الفروق الفردية بين المعلمين وجعل المدارس في تنظيمها ومناهجها وطرقها التربوية قائمة على اساس هذه الفروق .

٢) ان يستطيع كل مواطن في الأمة ان يتعلم ويكتسب رزقه مهما كان غو جسمه او عقله بطيئاً .

ان نظم التعليم القديمة التي تحشر التلاميذ في المدرسة وتوزعهم على الصفوف بنسبة طولهم او سنهم او اخلاقهم او اتساع العرف لعدددهم ثم تعمل على صبهم في قالب واحد مما اختلفت عقلياتهم وتباينت استعداداتهم، هي نظم فاشلة لا يمكن ان تشمأ أية غمرة، فهي تكلف الضعيف او الشاذ ما لا طاقة له به ، وتطالبه بواد لا تتفق مع استعداداته ولا تحتملها مداركه ، فتجني عليه وتلحق به أشد الأذى . كما انها تقشل في تعليم الذكي والمتفوق لأنها لا تستطيع ان تعمي . له اسباب الانتفاع بواهبه فيخسر نفسه وتحسره الأمة .

ان المستقبل يتطلب منا ان نساير النظم الحديثة في التعليم لأنها 'نظم ثبتت صحتها بالتجارب ولم تعد قابلة للجدل' .

ونظام الاهتمام بالفروق الفردية في طليعة هذه النظم التي يجب ان نغتنمها عنايتنا .

سُبْحَن قَائِلِ

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhril.com

طلة احد الصفوف الثانوية في مدرسة « دي روش » الفرنسية . وهي من احدث مدارس العالم التي تفي بالفردية



استهلال



في شفتيك النداء أحوى وفي عينيك نحت اصدااء مرمى بعيد
وتعزى فجر بخديك محبوم ورفق احلام يبيض الورود
وعلى ذيلك المضمخ بالعطر نفوس تسمو بذل السجود

كم كوؤس في راحتي تمت بين كفيك سكر دهر مديد
والرياحين تتمم السكر في فيها صلاة الحسنك المعبود
والدجى ذاهل على شعرك الغاي وينداح موجه في ركود
فالنجوم الوسى ترش حبابا راقصا في رفيف فجر جديد

وانا واقف هنا ألم امانى اليتامى في غفلة عن وجودي
غير اني اراك نصب ذهولي وعلى مقولي رنين قصيد
وارى الكون في حدود ومعناك غريب يفيض بعد الحدود

علي محمد سلس - صيدا

الرمزية في الادب الصوفي

بقلم سعد طلس

دكتور في الآداب

وعضو المعهد الفرنسي بدمشق

وان النفوس البشرية الراقية تصل الى هذه الدرجة في لحظات من الحياة ثم تعود الى حياتها البشرية المألوفة . في الادب الصوفي تجدون ان الصوفيين لم يكونوا قوماً بلهياً او معتمدين وانما هم قوم عرفوا حقيقة الحياة وفساد نظام الكون وسوء الانظمة البشرية واضطراب توزيع الثروات والحظوظ ، فانصرفوا عن الحياة واعراضها وسلكوا سبيلاً اوصلتهم الى حياة هادئة مطمئنة . ثم ان بعض الناس يظنون ان الصوفية معناها كره الدنيا وتعطيل مصالح الكون واذا كان ذلك كذلك فما فائدة مذهب هذه اهدافه وما قيمة ادب تلك مراميه . الحق ان هؤلاء مخطئون لان الصوفية كما احبوا الآخرة احبوا الدنيا ، والدنيا والآخرة عندهم حالتان احداهما اقرب من الأخرى ، فكيف يتصور ان يجب الانسان ان يحفظ نفسه من الآخرة ولا يجهزها اليوم لان القدسيين حالة راحة ، فالحالة الراحنة لا بد من ان تكون مطلوبة ايضاً . الا ان الحظوظ العاجلة متمسكة الى ما يضاد حظوظ الآخرة وهو الذي احتاز عنه الانبياء وامروا بالاحتراز عنه ، والى ما لا يضاد وهو ما لم يتنعم الانبياء عنه ، فهل يبقى هذا بعد ما طعن على طريقة طهارتها تطهير القلب عما سوى الله وممتاحها استغراق القلب بذكر الله وختمها الفناء في الله الذي يقول عنه الغزالي : ومن ثم تبتدى المكاشفات ثم تترقى الحال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اذا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه . هذا ما يقوله الغزالي قدماءه لتلاميذه معترض معترض على ما يترأى له من ظاهر عبارات الصوفية مما لا يعجبه .

أدب الصوفية نوعان : فطري وهو أدب صريح ليس فيه رمز ولا تعقيد . وأدب كله رمز واشارات وكتابات . فالاول هو ما نجده عند ادباء المتصوفة في القرنين الثاني والثالث للهجرة ومن افضل من يثله الحسن البصري ورابعة العدوية ، والثاني أعني الادب الرمزي هو ما نجده في القرن الرابع وما بعده عند الحلاج

اريد ان اتحدث عن نشأة الصوفية في الاسلام ولا عن عناصرها الاسلامية او غير الاسلامية من فارسية وهندية ويونانية، ولا اريد ان أبين أثر الصوفية في الحضارة العربية والحركات الاجتماعية ، كما اني لا اريد ايضاً ان أبين تاريخ حلة علماء الظاهر على الصوفية وما قاسوه في سبيل مذهبهم من تقهيل وتعذيب ولكني سأتحدث عن طرف من اخبارهم وادبهم الرفيع وبخاصة الادب الرمزي وأبين معكم صمو هذا الادب لنضعه في المكان اللائق به بعد ان أنكره الناس في القديم وحاربوا اصحابه وجننا نحن في العصر الحديث فامحلناه ايضاً وفي هذا نقص كبير لانه جهل بشائعه غنية من ادبنا العربي لا تقل روعة عن كثير من تواجيه الأخرى ان لم نقل انها تفوقها في سمو افكارها وحضنها على مكارم الاخلاق والدعوة الى حياة معنوية الامم في هذه الايام شديدة الحاجة اليها لطغيان المادية والقوة على نفوسهم القاسية ، وما ضاع هذا الشرق الا حين ترك فلسفته القدسية الروحية وانصرف نحو الغرب المادي يطلب منه فلسفة وعلماً فاذا هو يفقد فلسفته الروحية الطاهرة المتوارثة التي تلائم نفسه وعقله واقلية ثم اذا هو لا يجني من فلسفة الغرب الا الظواهر والمتاعب والاباطيل ، اما الباب والخيبر فلا يعرف سبيلاً اليها .

في الادب الصوفي تتجلى ناحية من الفلسفة الاسلامية بثوب ادبي جميل ، وفي الادب الصوفي تتجلى نظريات الفلسفات القديمة مصوغة صياغة عليها طابع القرآن الكريم ، تتجلى نظريات ارسطو وافلاطون وافلاطون في وحدة الحقائق وفي المادة التي يقول عنها افلاطون انها سبب الشرور وان الغاية من الحياة يجب ان تكون في التحرر من رتبة المادة وان اول خطوة لذلك التحرر هي في التخلص من سلطان الجسم والحواس ، والخطوة الثانية هي التفكير العميق ، والخطوة الثالثة هي ان تسمو النفس فوق التفكير الى المعرفة ، والخطوة الرابعة هي الفناء في الله بالقيام بالوجد وذلك اوج التصوف .

ثم هل رأيت عظماً أصدق لفظاً وأظهر نَعْساً وأعظم اخلاصاً من مواعظ الحسن . هذا نخط من الادب الصوفي الفطري ، اما لفته فانتم ترون مجموعها وانتقاء كلماتها وحسن نظمها . واما انكساره ومعانيه فانتم ترون فيها الخلق الثمين والجرأة الصادقة والدين القوي والتفكير من الوقوع في الآثم والدعوة الى تهذيب النفس وتقويمها . انتقل بعد هذا المثل من الادب الفطري الى جنة أروق ظلاً واكثر غمراً تلك هي جنة الرزميين من الصوفية . لقد ضاقت البقرة على سعتها عن استيعاب معانيهم فحماؤا كلماتها معاني جديدة ضنوها افكارهم العميقة فاستعملوا كلمة (السفر) يريدون بها توجه القلب الى الله وكلمة (الحال) يريدون بها ما يرد على القلب من اشراق الهية ، وكلمة (الانس) يريدون بها مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب وكلمة (الوجد) يريدون بها ما يصادف القلب من الاحوال المغتية له عن شهوده ، وكلمة (الروح) ويريدون بها النشوة التي يلاقيها المرء حالة الوجد ، وكلمة (السر) ويريدون بها ما يقذفه الله من المعرفة في قلب الصوفي ، وكلمة (الحقيقة) يريدون بها سلب آثار اوصاف الانسان عن نفسه بأوصاف الله . . . الى غير ذلك من الكلمات الكثيرة التي لا يحق لمن يريد ان يقرأ الادب الصوفي الا ان يدرسها بحلي ضوء هذه الكلمات يستطيع ان يتبين بوضوح معاني لينة قطرة من الادب الصوفي كالفطرة المشهورة للسهروردي .

ابداً نحن الحكيم الارواح ووصالكم ربابنا والراح
وقلوب اهل ودادكم تتناقصكم والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمنا العاشقين تكلفوا ستر الحبة والمهرى فضاح
بالسر ان باحو تباح دماؤهم وكذا دماء البائعين تباح
واذا هم كمنوا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم
بحر وحادي شوقهم ملأ

بعد هذا نتنقل الى الحديث عن اثنين من زعماء الادب الرمزي هما الخلاج وابن عربي . فالخلاج هو ابو المغيث الحسين بن منصور البغدادي ، شأ بالراق وصحب الجنيب ابا القاسم وغيره من علماء العراق وصوفيته ، تعلم علوم الظاهر وبرع بها ثم هجر ذلك كله الى عالم الحقيقة فوقف نفسه على الجهاد في سبيل الله والجهادة في سبيله والارشاد والوعظ والسياسة . قال ابو يعقوب البهرجوري : دخل الخلاج مكة اول دخلة وجلس في صحن المسجد سنة لم يبرح من موضعه الا للظاهرة والطواف ولم يمتزج من الشمس ولا من المطر ،

والسهروردي وابن الفارض وابن عربي ثم عبد الغني النابلسي . ويظهر ان السبب في نشأة هذا الادب هو تلك الحقبة القوية التي شنها علماء الفاضل من الفقهاء على علماء الباطن من الصوفية فاضند كل فريق يهاجم الآخر ويشنع عليه فاضطر الصوفية الى الرمز والتعمية في كلامهم . بعد هذه المقدمة نتنقل الى حدائق الادب الصوفي فنبتدي بالادب الفطري ثم نخرج على الادب الرمزي ثم نخلص من ذلك الى النتيجة . من افضل من يثل لنا الادب الفطري الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ وهو من اقدم الصوفية وشيخهم في البصرة وسيد التابعين الذي قال عنه ابو عمرو بن العلاء : ما رأيت افصح من الحسن البصري والجلال والحسن افصحهما . كان يعتقد بحسب الوعظ والتصوف في مسجد البصرة فيظن الناس ويذكروهم بالآخرة ويستخرج العظات مما يقع حوله من الحوادث . وما أثر من كلامه قوله : يا ابن آدم لا ترضين احداً بسخط الله ، ولا تطيعين احداً بمعصية الله ، ولا تحمدن احداً على فضل الله ، ولا تلومن احداً فيما لم يؤت الله . يا ابن آدم لم تكن فكرت ، وسألت فاعطيت وُسُلت فمُت فنبس ما صنعت . يا ابن آدم بع ذنباك بأخوتك ترجعها جميعاً ولا تبع أخوتك بدنباك فتخسرهما جميعاً . الثواء ههنا قليل والبقا ههناك طويل . أنتمكم آخر الامم ، وأنتم آخر أممكم ، وقد أسرع بخياركم فإذا تنظروا ؟ الهابة ؟ فكانت قلة

هيات هيات !! ذهبت الدنيا بجالها وبقيت الدنيا في جلالها . بيتي آدم . فيها ما موعظة لو راقت من القلوب حياة ، ان من رأى محمداً حل فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع ابنة على ابنة ولا قصبة على قصبة ، رُفع له علم فشرع اليه فالنجا . النجا . . . ومن كلماته وقد سأله بعض اصحابه عن الفتى السياسية التي كانت تقصع في عصره فقال : لا تكن مع هؤلاء . ولا مع هؤلاء . . . فقام اليه رجل من اهل الشام فقال : ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد ؟ فغضب وقال بيده فخطير بها ثم قال : ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد . نعم ولا مع امير المؤمنين . فهل رأيتهم فصاحة وقوة جنان وايمان ودعوة الى الحق مثل هذه الكلمات ؟ اللهم لا . لان الحسن كان من اصح الناس ايماناً واكثرهم صلاحاً وقصاحة وجرأة في الحق . . . سئل مرة عن ولاية يزيد فلم يتصوفاً ولا شك في انه كان يعلم ان كلماته ستصل الى آذان امير المؤمنين ولكنه كان يعلم ان الحق اقوى من امير المؤمنين . ومن كلماته الرفيعة قوله : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه الا الموت . فهل رأيت حكمة اروع في تصوير حقيقة الموت ويقينه مع تناسي الناس اياه من كلمة الحسن ؟

وكان يُحسد إليه في كل عشية كوز ما . وقرص من اقراص مكة ، وكان عند الصباح يرى القرص على رأس الكوز . وقد عض منه ثلاث عضات او اربعا فيُحسد من عنده . وحكى ابن فيروز جاره انه كان ينوي في اول رمضان وبغفر يوم العيد ويُنجز القرآن كل ليلة في ركعتين وكل يوم في مائتي ركعة . وظل على هذا الزهد وتلك العبادة الى ان قتل ، والناس فيه يختلفون فمن مبالغ في تعظيمه ومن مكفر ومن متوقف . ومن عظموه الغزالي فقد عقد في كتابه مشكاة الانوار فصلاً طويلاً عنه واعتذر عن الانفاط التي كانت تصدر منه كقوله : انا الحق وما في الجنة الا الله وحلها كلها على محامل حسنة فقال : ان هذا من فرط المحبة كقول القائل :

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدننا
فماذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

أما قصة قتله فمن اقلع القصص وافصحها خلاصتها انه تكلم مرة في حضرة حامد بن عباس وزير المقتدر بالله بكلام لم يعجب قاضي بغداد ابراهيم فاقى بقتله هو وجماعته من الفقهاء فسجن حتى كان اليوم الرابع والعشرون من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة فخرجوه من سجنه والاعغال في عنقه ورجليه ويدبه قسح الحيلاد يذنبه فضربه الف سوط وهو لا يتأوه ثم قطع يديه ورجليه ثم حن رأسه وأحرق جسده ولما صارت رماداً ألقاه في دجلة ونجس الماء الذي على الجسر والمؤرخون يذكرون انه لما قطعت يده ورجلاه قال : الهي اصبعت في دار الرغائب (أي الدنيا) انظر الى المعائب ؛ الهي انك تنزود الى من يؤذيك فكيف لا تنزود الى من يؤذي فيك . هذا موجز سيرة الحلاج وقد استقصاه المستشرق الفرنسي الكبير لويس ماسينيون في كتاب قيم في مجلدين ونشر له كتاب الطواسين وكتاب اخباره بمعاونة المستشرق الأستاذ بول كراوس . وللحلاج ثمرتين جداً في اسلوبه وافكاره وروحه وله شعر جيد جمع في ديوان صغير . فأما نثره فنجدته في احاديثه وفي رسائله وفي اديتيه .

ومن احاديثه قوله لابي اسحاق ابراهيم بن عبدالكريم الحلواني حين قال له مرة يا شيخ أريد ان اعلم شيئاً من مذهب الباطن فقال : أباطن الباطل او باطن الحق قال ابراهيم فبقيت متفكراً فقال : اما باطن الحق فظاهره الشريعة ومن يتق في الشريعة ينكشف له باطنها وهو المعرفة بالله . اما باطن الباطل فباطنه اقبح من ظاهره وظاهره اشنع من باطنه فلا تشتمل به . يا بني اذكر لك شيئاً من تحقيقي في ظاهر الشريعة : ما تمذهبت بذهب احد من الائمة جملة

وانما اخذت من كل مذهب أصعبه وانما الآن على ذلك ، ما صليب صلاة الغرض قط الا وقد اغسلت اولاً ثم توضأت لها وهأنذا ابن سبعين . ومن رسائله ما كتب به الى جندب الواسطي : بسم الله الرحمن الرحيم المتعالي عن كل شيء لمن يشاء ، السلام عليك يا ولدي ستر الله عليك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر فان ظاهر الشريعة كفر خفي وحقيقة الكفر معرفة جليلة ، اما بعد فاحمد الله الذي يتجلى على رأس ابرة لمن يشاء ويستتر في السموات والارض عن يشاء . حتى يشهد بان لا هو ، ويشهد بان لا غيره ، فلا الشاهد على نفيه مردود ولا الشاهد باثباته محجود ، والمقصود بهذا الكتاب اني اوصيك ان لا تعتق بالله ولا تياأس منه ولا ترغب في محبته ولا ترض ان تكون غير محب ولا تقل بالثباته ولا تقل ان نفيه واياك والتوحيد :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح والبيلا .

وقد احدثت هذه الرسالة ضجة في عالم التصوف والفلسفة فأشار اليها عبد الكريم الجيلي في كتابه المناظر الالهية وهو نسخة يملكها السيد مصطفى سيدي ايبا كثير من انجات التصوف ونقاطه العميقة وأشار اليها ابن عسكرا في رسالة بعث بها الى صديقه ابن ابي الخير وشيخه توما . وقال ابن عربي والنسخة محفوظة بالخرانة الاصفية بالهند ، وبما اطلعت عليه في كتاب المناظر الالهية من الاشارة الى هذه الرسالة قول الجيلي في باب منظر الكفر : كشف الله لك سر الكفر فان فيه حقيقة الايمان وحجب عنك سر الايمان فان فيه حقيقة الكفر . والكفر الذي اشار اليه هو الكفر الحقيقي والاسلام الذي اشار اليه هو الاسلام المجازي . وقد اراد الحلاج في رسالته ان يهذّر تلميذه من الزايا . فاتوحد الذي يهذره منه هو التوحيد اللساني فقط . ومن اديتيه ما حكاه ابن فاتك قال : قصدت الحلاج ليلة فرأيت يصى فلما أتم صلاته قال : اللهم انت المأمول بكل خير ، المسؤول عن كل مهم ، المرجو منك قضاء كل حاجة ، المطلوب من فضلك الواسع كل عفو ورحمة ، انت تعلم ولا تعلم ، وترى ولا ترى ، وتجهز عن اسرار خفايا خلقك وانت على كل شيء . قدير . وانا با وجدت من روائع نسيم حبك وعواطر قربك استحقق الرايات واستأنف الارض والسموات وبحقك اومت مني اللجنة بلعنة من وقتي او بطرفة من أحر انفاسي لما اشتريتها ولو عرضت علي النار با فيها من ألوان عذابك لاستهونتها في مقابلة

ما اتا فيه من حال استارك مني فاعف عن الخلق ولا تف عني
 وادرحهم ولا ترمني فلا اخاحك لنفسي ، ولا اسألك بحقي فافعل
 بي ما تريد .

هذه نتائج من نثر الحلاج على اختلاف ضروبه اما لغته فأذن
 انها لغة لا غبار عليها وهي بغير شك لا تقل عن لغة صاحب بن
 عباد وابن العبد ان لم تكن اجود خلواها من التكلف والتصنع
 وانما هي لغة التحدث الكلمات وسائل الى المعاني وما خلقت الكلمات
 الا لذلك . اما السجع والازدواج والزخرفة فتلك قشور يتم بها
 اهل الظاهر من تفرغ خضراء الدمن . واما معانيه وافكاره فلا
 اقول انها جيدة ولا اقول انها سامية المرامي وانما اريد ان الفتكم
 الى انه قد عالج فيها امورا لها خطرهما في الفلسفة والتصوف ، فهل
 هناك امر اكثر شأنا من معالجة قضية الحب الالهي والتفاني فيه
 ووحدة الوجود . والحلاج تارة يصرح في كلامه وتارة يعمي ، ثم
 انه ليس من شك عندنا في انه قد استعان بما قرأه من فلسفة الهند
 واليونان على معالجة كثير من نواحي هذه النقاط كما استعان بليكنكم
 الفيلسوفين من جاءوا من بعده امثال محي الدين بن عربي وعبد
 الكريم الجيلي . اما شعر الحلاج فقد ضمنه آراءه في وحدة الوجود
 والحب الالهي والاستغراق فيه وترون ذلك واضحا في المقطوعة
 الآتية : حكى احمد بن القاسم بن الزاهد قال قال الحلاج في
 سوق بغداد يصيح بأهل الاسلام أغيتوني فليس يتركني ونفسي
 فأنتس بها وليس بأخذني من نفسي فاستريح منها وهذا دلال لا
 أظنكم ثم انشا يقول :

أقلب قابلي في سواك فلا ادرى سوى وحشتي منه وانت به أنسي
 فها أنا في حبس الحياة بمنع عن الانس فاقبضي اليك من الحبس

فهو في هذه المقطوعة يستيثم من الله لانه لا يترك له نفسه
 حرة تستأنس بالحرة ولا هو يقبضها اليه من حبس الحياة . ألا ترون
 في هذا الكلام معالجة دقيقة لمشكلة من مشاكل الفلسفة ، تلك
 هي مشكلة خلق العالم . فلماذا خلق الله هذا العالم ، ولماذا ابتلى
 ناسا بالمصيبة وناسا بالعبادة وناسا بالقرب وناسا بالبعد ، ثم لمساذا لم
 يهيي سبل الحياة لمن يحبونه ، فالحلاج يرى ان الحل الوحيد لهذه
 المشكلة اما ان يترك الانسان حراً يفعل ويقول ما يشاء . واما ان
 يقبض من هذه الحياة فيستريح . ومن شعر الحلاج الذي يثل لنا
 فلسفته في وحدة الوجود والحب الالهي قوله :

جُدت روحك في روحي كما
 فاذا مسك شي . مسني
 وقوله :

مُزجت روحك في روحي كما
 فاذا مسك شي . مسني
 وقوله :

انت بين الشفاف والقلب تجري
 وتحل الضدير جوف فؤادي
 ليس من ساسكن تحرك الا
 انت حركته خفي المكان

ويعلق الدكتور زكي مبارك على هذه الايات بقوله : ومعنى
 ذلك انه يقول بوحدة الوجود بين الحب والمحجوب فهو يميل الصلة
 بينه وبين اصفياه كالصلة بينه وبين واجب الوجود ، والواقع ان
 الحلاج احب الله الى حد الفناء وقصته في حب الله قصة محزنة فقد
 تقل من ارض الى ارض ، وتشكل في تجرعه ومنظره اشكالا
 مختلفات فكان له في كل ارض حال ، ومع كل قوم رأي ولقي في
 سبيل محجوبه افلح ضروب الشقاء . قضى السنين الطوال وهو
 يشاهد طيف الحبيب ، الحبيب المنوع الذي يراه في كل موجود
 ولا ينطق به شيء غير الوجد والحزن . كان المسكين يحب حبيباً
 لا يدرك ولا يُنال ، كان يحب النور الذي يُعشى الابصار والقلوب
 كان يحب الله والله اكبر من ان يحب لانه فوق الاوهام والظنون .
 كانت للحلاج مطامع فيمن يجب فلما اخرج من سجنه ليقتل عرف
 انه كان محبول المطامع وأنشد :

طلبت المستقر بكل ارض فلم ادر لي بأرض مستقرا
 أطلعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

ثم طافت بنفسه اطياف هواه واطياف بلواه فصاح :

نسديني غير منسوب الى شي . من الحيف
 ستاني ثم حياني كفعل الضيف بالضيف
 فلما دارت الكاس دعا بالنطع والسيف
 كذا من شرب الواح مع التذنين في الصيف

وبذلك اعترف الحلاج انه جبل قدر نفسه حين استجاز ان
 يكون ندياً لذلك المحجوب التهار ، الذي أفرق الاولين والآخرين
 في خليج من الهدى والضلال . وكانت النكبة كافية لان يصدف

والروحاني على فصول السنة لاقامة هذا الملك . واليكم قطعة من مقدمة هذا الكتاب تبين لكم نثر ابن عربي : التصوف - صافاك الله - امره عجيب ، وشأنه غريب ، وسره لطيف ، ليس يُعْجَب الا لصاحب عناية وقدم صدق ، اعلم شرح الله سبحانه صدرك ان معنى هذا الطريق على التسليم والتصديق فاليك وطلب الدليل من خارج فتنتقل الى المآرج واطلبه من ذاك لذاتك تجذب الخ في ذاك ، أرايت لما ثبت نبوة رسول الله (ص) واستقر في نفوس العقلاء انه ينطق عن الله لانه هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم ولم يسألوا ما الدليل فافترس ، ايا الطاب الحبيب بساط التسليم ، واخرج بالحرية عن رق الانكار ، واقعد على كرسى الفكر ، وافرج عليك حلة المجاهدة واجعل على رأسك تاج الموافقة . هذا نمط من نثر ابن عربي وهو كما ترون نثر متين في معانيه ، قوي في افكاره اما اسلوبه فسهل لا يهتم فيه باللفظ وهو في نثره على طريقة الصوفية القدماء الذين جعلوا شعرهم : حذار ان تعرب الاسن وتعلن القلوب . وابن عربي ممن قد يابهن اسانه ولكن معانيه كلها معربة صحيحة . اما شعره فهو الشعر الصوفي الخالص المفرق في الرمية وهو مقبول تارة لجودة نظمه ، ومكروه اخرى لسوء تركيبه . ومن شعره الجيد وقد سمعتهما من الأستاذ المغربي :

لو أنها برزت لأشخط راهب
واتت لتطلب منه ما خلقت له
متذكر أفعي المسيح لما انتهى

فهل رأيتم أجود من هذين رقة ، الا ابيات النابغة التي استعان بها ابن عربي واولها :

لو انها عرضت لأشخط راهب
عبد الاله ضرورة متعبد

ولكن معاني ابن عربي اسحق وأرفع من معاني النابغة . ومن جيد شعره قوله :

ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى أي شعب سلخوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلخوا
حار ادباب الهوى في الهوى واربتخوا

فهل رأيتم ارشق بجرأ واعذب كلفأ واحسن موسيقى وادق معنى من هذه الكلمات ؟ ثم انظروا معي الى قوله :

مرضي من مريضة الاجفان
هفت الورق بالرياح وتناحت
علائي بذكرها علائي
شجو هذا الحمام مما شجاني

بأي طفلة لعوب تهادي
طلعت في الميان شمسا فلما
بالي ثم بي غزال ريب
وقوله وفيه خيال رائع :

ذبت شوقا ووجدنا في محبتكم
يدي وضعت على قلبي مخافة ان
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها

حتى وضعت يدي الاخرى تشد يدي
ومن شعره الرفيع في معناه العادي في قلبه ومفرداته قوله :

نحن حزب الله من بلعنا
ففي ادركمم فينا عي
ذاكم الله عظيم جيده
ما أما كنا رجالا همت
فرمينا بجرة الكون بها
واذلفنا زلفة الجمع فهل
يا عبادي هل رأيتم ما أرى

فهل كما ترون شعر حسن في معناه يرمي الى مقاصد سامية ولكنه ضعيف في اسلوبه ، ركيك في قلبه ، وكان ابن عربي اراد ان يفضح قلبه وان يسفح لفظه .

وبعد فقد سردت لكم طرفاً من الادب الفطري والادب الرمزي فلأنه بكم الى النتيجة التي استفادها الادب العربي من الادب الصوفي . وارى انه يمكن حصرها في النقاط الآتية :

١ - غنيت اللغة العربية بالمفردات الصوفية غنى كبيراً ولا سيما بكتب ابن عربي وشعره ، فقد تفرد بتعابير واصطلاحات لان الرجل كان يعيش في جو خلقه بنفسه وكانت له اتجاها عقلية وقوية تضيفه الى المبتكرين في عالم الفكر والبيان ، يضاف الى هذا ما صنعه في اذاعة الثقافة الصوفية فقد هضم كل ما قرأ ووعى كل ما سمع وزاح بهد كبد الفيل في لغة قوية لا يعيبها غير ما كان يقصد اليه احبسانا من الغموض ولنسجل انه راض اللغة على الجري في شعاب مجهولة وانطلق يتجسس عن فروض غيبية جلاها قلبه في معارض شائقة فاصبحت و كأنها من الحديث المألوس .

٢ - افاد التراث الصوفي الادب العربي كثيراً من الاخيلة الشائقة والتعابير الدقيقة والافكار الجميلة التي تزدان بها كتب الصوفية

تطلب الاديب

| | | |
|-----------|----|--|
| بيروت | من | دار الصحافة والنشر |
| طرابلس | » | مكتبة زليط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف بوديب |
| حلبا | » | السيد عبدالله مخفوض |
| زحلة | » | السيد جوزيف فرحات مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب |
| حمص | » | مكتبة السيد عبد الحميد طبايع |
| حمص | » | السيد عبد السلام السباعي |
| دير الزور | » | السيد توفيق الشامي |
| اللاذقية | » | السيد ادب ملوح |
| | » | السيد حنا نصره |
| | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مزيجي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان رزق الله كردي |
| الباب | » | الشهاب لصاحبها السيد محمد سعيد المكي |
| | » | فلسطين عامة |
| | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| البصرة | » | السيد ياسر عبدالله السعدي |
| المرسل | » | الشعب السادة عبد النافع فاضل |
| | » | ومسيد احمد |
| مصر | » | عموم المكاتب والباعة |

من ثروة وشعرة وان لادبا. الصوفية ممن ذكرنا وغيرهم شعراً ونشراً هو اجل بكثير من نشر ابن العميد والصاحب والقاضي الفاضل وشعر ابن زيدون واي فراس وابن المعتز وغيرهم .

٣ - أحدث الادب الصوفي انواعاً جديدة من القول من ذلك المدائح النبوية ، وهي نوع من الادب الرفيع ومن ذلك ادب مناجاة الله وادب الاوراد والتسبيحات ، ومن اجد هذا الصنف الثنائيات كتابتي ابن الفارض المشهورتين وتالية ابن عربي الرقيقة في معانيها وتاليات اخرى كثيرة . ومن اجلها تالية مخطوط مكتبة الاستاذ الجليل المغربي لشاعر صوفي بارع يستتر باسم عامر بن عامر البصري وهي تالية رائعة قرأها مع الاستاذ فاذا هي من اجداد الادب العربي الصوفي ولعل الاستاذ يتم دراسته عنها ويشترها فيفيد الادب فائدة جلي .

٤ - في الادب الصوفي نواح من الادب الرمزي كالذي رأيت في شعر الحلاج وابن عربي وفي شعر ابن الفارض والياضي والتابلي وقد يزعم بعض الناس ان هذا الادب لا خير فيه لقوضه فانا نقول ان هذا القوض قد يفعل في النفوس ما لا يفعله الادب الصريح فهو كالحسن البارع كلما طلت النظر فيه تكشفت لك معالم جديدة من الجمال .

٥ - وجه الصوفيون الادب توجيهاً خلياً اصلاً واخوه عن المذبح الكاذب والشعر المتخثت وما الى ذلك من ضروب الشعر العربي المنحطة في معانيها .

٦ - اوجد الصوفيون ابحاثاً وكتباً غدت المكتبة العربية ورفعت من قيمتها نذكر من تلك الكتب الكثيرة كتاب الزهد من عيون الاخبار لابن قتيبة ، وفصول الزهد والنسك من كتاب البيان والتبيين لجاحظ وكتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري ومحاضرات الابرار لابن عربي وسراج الملوك للطبرلشي وغيرها . اما بعد فان السماع عن الصوفية وادبهم شي . والانكساب على دراساتهم ومطالعتهم شي . آخر ، وكمن فرق بين ان يعلم الانسان تعريف الشيع والجرع وبين ان يكون جوعان او شبعان حقاً . فانا ادعوك الى مساندة الادب الصوفي الروحية التي سيجد الكثير منكم فيها سلاوة وغذاء وممتعة ونشاطاً . *

اسعد طلس - دمشق

وهي شاع : في سوريا ولبنان ب ٧٥ غرضاً لبنانياً ، في العراق ب ٧٥ فلاً ، في فلسطين ب ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان ب ٥ غرض مصرية

* محاضرة أليبت في قاعة المجمع العلمي العربي بدمشق

فراق

ومها بين القدر
وبفرش دري ظلام
ففي جانبي غرام
كضوء القمر

حبيبي ، متى نلتقي
فإني صباح مساء
أسيرُ وكلي رجاء
إلى المفقود.

أنا لك فجرٌ أطل
وأدعيةٌ تستجاب
وعهدٌ سخي للشباب
يضم الأزل

فيأعينُ لا تدمعي
رويداً فما قريب
يعود إلي الحبيب
ويبقى معي

ولولاك كان الزمن
سحابة صيف تروى
ونجماً علاء الأفول
ودنيا شجن

يعود ويبقى معي
يبرد مني الغليل
فوطء البعاد ثقيل
على اضاعي

تعال ، ولا تسرع
أخافُ عثار الطريق !
فما في الحياة صديق
وان يدعي ..

ولي مأملٌ في القدر
أهز به الكائنات
واجني ثمار الحياة
بل يدي ..

يوسف الخال

الـلـحـن الكـثـيـب

مـرـمـيـة بـنـفـلم هـنـدـاوي

« والبلغ ما في الحياة الالم » - شوقي

بـلـلـ

انت عبّ ثقيل ، او انا عليك عبّ ثقيل ... انت ...
كونستانس (تدخل كونستانس وهي ذات طلة هبية مريحة
النفس ، في عينها شعاع متأق)
موزار ... موزار ارفعاً بنفسك . اقد اسعمتك هذه الشاحبة
العليلة ، واستاثرت بكل ثواني حياتك ... أرخ اوتارها واحمل
اسرارها .

موزار - شاحبة عليلة ... نعم ! شاحبة بمقدار ما سهوت مع
الماضين . وعليلة بمقدار ما ناحت مع المعدين .

كونستانس - ما نعمل اليوم ! وقد علت ان صاحب البيت
ما يزال يلح في امرنا . اذا لم نوف له الأجر . والمال ضئيل بين
يدينا والى الله العاقبة ...

موزار - أيشكو الفنان ضيق الحياة ؟ أيشئى الفنان ان يخرج
طريداً من بيته ، وبيته الفضا . كله ؟

كونستانس - وما لنا اذاً الا ان نخرج ونجوع ونعري ...
موزار - بل يا حبذا الخروج والجوع والعري في الفن !

كونستانس - أجامع بفخر بجموعه ؟ أعادركسو عاريا ؟
موزار - انك تزددين هذه (الألحة) القائمة معي (مشيراً

الى القيثارة) ان فؤادك الكبير اخذ بنقبض في المدة الأخيرة .
ونفسك التي كانت لا تمنح إلاع امواج الفن بدأت المادة تجربها
اليها ...

كونستانس - ولكن ما هي الغاية التي وصلت اليها ؟ أتقول
الشهرة ؟ وقد رأيت ان الشهرة حطمتك في كل مكان . وخصوصك
الفنانين استطاعوا ان يمدوك مفرداً بانساً ! أتقول المال ؟ وانت لا
تملك منه ما يؤمن لك سكنتاك . أتقول ماذا ؟

موزار - ويحك يا كونستانس أتوقنين بان موزار يعتقد بالفن
من اجل الشهرة ؟ أتظنين ان رغبة الظهور هي التي تسوقني ؟ ان

الأشخاص :

موزار - الموسيقي المعروف ١٧٥٦ - ١٧٩١
كونستانس - زوج موزار
الازنر المجهول - رسول شخص مجهول
ماري - شقيقة كونستانس
خادم

المشهد الاول

موزار - كونستانس

موزار (موسيقي في ريق شبابه لكن خطوط الموم
تحدد وجهه . اضطراب على عيانية وقلق في رأسه) .

موزار - (يرى جالساً في غرفته الخاصة وهو يداعب قيثارته
وحده)

والآن الى اين وصلنا ؟ وبأي حلن تريد ان تجودي ؟
أتظنين ان نفوس الناس تفهم مساستغنين عن نفسي ؟ أحقق ان في
اوتارك حياة ؟ أحقق انك لا تزددين إلا باحساس ؟ انك كسكل
حياة لا تتعجب الا اذا تأملت ... رفيقي في الحياة انت ...

أقدرت لي الحياة ان احمل بين انامي خشة مشدودة الخيوط ؟
انقلها اينما اروح ، واظم للناس بعد ذلك انها تعبر عن افراحي
والآمي ! وما خطب الناس بافراحي والآمي ، بل ما خطب نفسي
بافراحهم وآلامهم ؟ .

يفتش الناس عن الحرب من الآلام ، والفنان وحده يفتش عن
الآلم ، لانه لا يبدع الا بالآلم ، الفنان وحده يبارك الآلم لانه يفجر
من مواهب نفسه .

قد التقينا هنا ايها القيثارة ... وربما تفضلين على انامي انامل
جامدة تترك روحك صامته ولا تحملك على الزنين ...

امثال هؤلاء. يموت فهم حين يموتون ، اما الفن الحقيقي فهو قرين الشمس دائماً ، لان الاجيال مكلفة بصيانه .

كونستانس - ذلك رأي كل فنان في نفسه . لم اجد فناناً يقول يوماً ما قلت .

موزار - ما كان اخيب املي يوم عرفتك لقد فكرت في ان تكوني ماوى لفني حين لا اجد له ماوى . اما الآن فاني مضطر الى البحث عنك في كل مكان . لقد كنت قريبة مني ، سمعنا نداءني اذا ناديتك ، وقهقهة هسي اذا وشوشك . واليوم كم ادراك بعيدة ! كم ارى وهادأ سحابة تحجبك عني ! بل كم تتخطف عيني المسافات التي تفصل ما بيننا .

انك دمية فنية ابداعك فنان كبير ايها المرأة ، ولكن ما عسى تفهم الدمية من رونق فنها .

كونستانس - انك لا تبرح عالمي ابنا ذهبت ، وعلى صدي يجتمع فذاك كله . ما قيمة اوتارك اذا لم يباح قلبي ؟ وما قيمة اناك اذا لم ترتلها في معبدي . المراقدة فنية ولكن لا فن يبدع بدونها . موزار - وهم باطل . . ابداع الله صدرها ، ولكني انا ابداعت قلبها . خلقها الله جامدة باردة . وانا نفخت فيها الحرارة والحركة لاسند اليها رأسي . . من انت لولا فني ؟ من انت لولا قيثارتي ؟

كونستانس - (بندم ورشة) انك كبير في عيني اقربني منك ! انا قريبة منك ولست بعيدة . ولكنني اخاف ان اقلت في مزلق عقيق . شدي اليك ! اضفط على اوتار قلبي كما تضفط على اوتارها ، لمي ارن بالاجن الذي تريد انا لحن يبقني هائلاً اذا لم تحمله الى هذه الاوتار ولكن . . . ما اقل الناس الذين يعتقدون مثلك !

موزار - ولكن ألسنا سعداء . في اعتقادنا ؟ وهل يمكننا ان نحمل الناس كلهم على اعتقاد واحد ؟ (يسمع وقع اقدم ، ثم استئذان رجل بالدخول) من القادم ؟

القادم - جئت اطلب مقابلة موزار .

موزار - وما عسى يشغلك منه ؟ هل انت فنان ؟

القادم - لم تشأ السناء ان تتجني هذه النعمة ؟

موزار - هذه النعمة واذاً ما مقابلتك لمن أعطي هذه النعمة ؟

القادم - لسان يحضه وحده .

موزار - أتريد عزلة مطلقة ؟

القادم - اذا شئت ذلك .

موزار - لك ذلك اذا شئت كونستانس .

كونستانس - اترككما وحدكما .

القادم - جئت باسم لا اعلم توقيفي فيه ، شرط علي فيه صاحبه ان يبقى اسمه مجهولاً .

موزار - وما هو هذا الاسم .

ان في كلامك ابهاماً يستهوي .

القادم - هذا المجهول يطلب

الى موزار ان يصنع له لحناً كنياً ، وهو يبدل ما يريد الفنان .

موزار - أنت تشرى الصكابة

بالمال ؟ هناك من يبحث عن الكتابة ؟

أناك من يطلبها بالمال ؟ طاب غريب

يا صاح ؟ لان عهدي بالناس ان

يشترى افراحهم وملاذاتهم بالمال

اما الكتابة . . .

ولكن غاب عن هؤلاء انسا

نحن نفجر الالم في انفسنا .

القادم - ولكنني لم احيي

لا ميع رأي الفنان في الالم وفي شعور

الناس .

موزار - ولكن أليس بإمكانك ان تعرض علي ملامح هذه

الشخصية المجهولة ؟ لان هذه الملامح قد تقيدني في استيعابها الخافي .

أمرأة هذه المجهولة ام غانية ؟ أطامعة ام بالسة ؟ أموحة مات حياة

المرح فاحتاجت الى البكاء . أم باكية تريد الاشتفاء .

القادم - محاولات فاشلة لان الشرط الوحيد الاتحاول معرفة

هذا المجهول .

موزار - لا استطيع استجابة مثل هذا الطلب ، لان مادة

الالم لا تباع ولا تشرى . لأننا من انفسنا ولا انفسنا .

القادم - ولم لا يكون الالم انفسك ؟



موزار

•

موزار - (كمن تبرق على عينيه خاطرة) كلمة مصيبة ...
كونستانس .. كونستانس .

لقد اغرقتني (له) من هذا المأزق . (تدخل كونستانس)
كونستانس - أفي الأمر ما يحتاج إلى هذه العزلة ؟
موزار - أعرض عليها ما جئت به .

القادم - كلني بمجهول ان اطلب الى موزار تلحين قطعة كتيبة
لواء اجر يدفع نصفه الآن والنصف الآخر يدفع عند النهاية مع
هدية غنية .

كونستانس - (دهشة) أمر حسن ولكن الا علم لك بهذا
المجهول ؟

القادم - انه يصبر على ان يبقى بمهولا .
كونستانس - ولكن أليس من حقنا ان نعرف شيئاً عنه ؟
القادم - ذلك سر لا أقبل بازاحة الغطاء عنه .
كونستانس - أرجل هو أم فتاة ؟
القادم - لا نحاولي شيئاً يا سيدتي !

كونستانس - ماذا قلت يا موزار ! هل انت متأهب لاستجابة
الطلب .

موزار - أخشى أن تكون مكيدة في الأمر .
القادم - أتوك لكما الجواب الى مساء هذه الليلة (يذهب)
كونستانس - موزار ! أفي الفن مكيدة ؟ أبطل الألم في
النفس الانسانية الى ان تشقي الألم .

موزار - أخشى ان يكون وراء هذا المجهول قلب عاشق
حظه اليأس .

كونستانس - ولم لا يكون وراءه ، قلب عاشقة متوقدة
الليالي ؟

موزار - ألا تجدني في علي احساناً الى هذه النفس مها كانت ؟
كونستانس - قل له ، يا موزار ، رضيت .
موزار - (يقبلها) كأنك في قلب موزار ...

المشهد الثاني

(موزار شاحب اللون ، هزيل البدن ، امامه اوراق
موسيقية . منكب على قيثارته ، وقد اعياه التعب قليلاً)

موزار - أف ما اسرع تلبية الاحزان اذا ناديتها ، كأننا العالم
كله مركب على اسس الاحزان .

كونستانس - (تدخل كونستانس) أتعلم اين انت الآن من
الليل ؟

موزار - (باسماً) أتقولين لي انك ادخلت معك الفجر يا عزيزتي ؟
كونستانس - قلت لك مراراً بالألا تشتغل بهذا اللحن المشغوم
في الليل ، لأن الليل حزين بذاته .

موزار - ولم لا تقولين ان الليل ترقص المذات نفسها على
احضانه .

كونستانس - ادرى ان تترك الآن العمل .
موزار - ولكني الآن في ساعة الإلهام ، ومثل هذه الساعة
ومضات في حياة الفنان .

كونستانس - ولكنك اسقت بدنياً وقتلت نفسك .
رقعاً بقلبك يا موزار . انك تكلفه الصمود كثيراً .
موزار - حياة الفنان وثارت خطرة فوق النعم ، نحن لا نخشي
كثيراً ، ولكننا نثب كثيراً ، وانا الآن في وثبة من وثباتي
الكبرى .

كونستانس - انني امسيت قلقة خائفة عليك ، وقد علمت ان
بعضتك الأخيرة الى « فراغ » كانت شديدة الوطأة على قلبك . وان
الاوربا التي انشأها في التوجع الامبراطور (ليوبولد) قد انهكت كل
قواها المادية . واليوم انت غزافك المبدعة .

موزار - أتممت شيئاً في النوادي جديداً عنها ؟
كونستانس - انهم يقولون ، انك قدفتها سهماً تافذاً في افئدة
خضومك الذين لا يسمون ان يؤمنوا بعقريتك .

موزار - أأخصومي ، ومتى كانت حياتي خالية من الخصومات !
ذهب خصومي وراني ليكفونا بعقريتي ، ويدفون موزار حياً .
لكن موزار يبذوع لا يبيض ماؤه . انهم عجزوا عن مخاصمتي في
الفن ، فلم يتورعوا عن قتلي بالسهم .

كونستانس - ماذا تقول ؟ السم !
موزار - احس فتور الدم في اعصابي . احس تحدير الدم في
دمي . حقيقة كسبتها عنك . لن يكتب لجسدي بعد اليوم ان
يجاهد طويلاً .

كونستانس - أي سم تزعم ؟ من قال ذلك ؟
موزار - قلبي الفتى يخفق خفق الموت .
كونستانس - اعتقادك باطل يا موزار .
موزار - لقد سمعوني بغير شك ، وليس في الامكان ان اتخلص
من هذا الاعتقاد .

كونستانس - عدني قبل ان تخرج الى العير بان تترك القيثارة
موزار - ولكنك انت قيثارة بين يدي، اوتارك لا عدد لها !
والحانك ...

كونستانس - اما هذه القيثارة فضع يدك عليها دائماً ١٠٠٠
(يمشيان)

المشهد الثالث

(في قلب الليل ، غرفة متشعة بالنور الباهت ، يُرى موزار
بنهض رويداً رويداً وقد بدت ملامح وجهه الرقيق على النور .
يشي خطوة ويلتفت وراءه حذراً ... حتى ينتقل الى حجرة ثانية
ينير الشموع فجدو
قيثارته الشاحبة
واوراقه الموسيقية
على درج عال ...)
موزار - مسكنية
كونستانس ! انها لا
تدري اني اغافلها عن
نفسها كل ليلة لاعود
الى اقسام هذا اللحن
الكثيب . انها كثيرة
الاشفاق على قلبي !
على قلبي المريض .
(يأخذ قيثارته ويبدأ
الغزف) هذا لحن
يشق اجواء نفسي

ويصل الى عمقا ! ربما ارسلت القدرة هذا الذاكرة المجهول ليقترح نفسي
هذا الافاق المجهول ... قل لي من انت ايها المجهول ؟
قل لي من انت ايها الذي اتاجبه على تنمية هذه الاوتار ...
أنتك عاشقاً تطوف من مكان الى مكان ...
تريد ان تريح النفس بهذا اللحن الحزين ١٠٠
بل أنتك عاشقة هائمة ... ضاق صدرها بالبج ، قطاب اللحن
الحزين ليهدي . ثورة نفسها .

ولكن لم لا يكون هذا المجهول صاحب مجد مغلوب ! ولكن
لم لا يكون هذا المجهول هذا الكون الهامك كله على غير غاية ؟
(يشد الغزف) اراه لحن لا يخاطب الا نفسي ، في نفسي خطرات

كونستانس - السهم الذي ينهش قلبك هو سهم الفن . اهجر
هذه القيثارة زمناً واترك هذا اللحن فاني لا ادراك قادراً على اقامه
في هذه الحالة .

موزار - ولكن دعيني اكتبه وانجزه ، لاني نسيت اني
اكتبه للزائر المجهول ... هذا لحن حزين اكتبه لنفسي .
كونستانس - وهذا ما يقتلك يا موزار ! انك لا تقدر ان
تكون شيئاً ، وفنك شيئاً آخر .

موزار - أفي هذا ازدواج ؟ انا وفني شيء واحد . لا احب ان
اسمع منك هذه الفكرة التي رددتها مراراً . انا لا يمكنني ان
اتجرد من الحاني ٠٠ الحاني تحيا في نفسي كما ان نفسي تحيا في

الحاني . انا لولا الحزن
الذي يفيض على نفسي
لما استطعت ان اكتب
هذا اللحن .

كونستانس -
ولكن اذا لم ترجم
نفسك فارحم العالم
الذي هو في حاجة الى
فيض عبقريتك ...
انه يريد ان يسمع
بعدها اللحن الحاناً
أظن انك تفرغ كل
ما تريد انت في هذا
اللحن ثم تسكت ؟
موزار - ويك !

أظن اني ان اللابداع عمراً محدوداً ؟ او ان المبدع يطلب اليه ان
يتكلم طول حياته . ان الحياة تقدر للمبدع لحظة واحدة لا يعلمها
هو . يقول فيها كل ما يريد ان يقول . قد يكون هذا اللحن آخر
ما اقول . وقد يكون لي بعد هذا اللحن ألحان . دعيني الآن .
اني احس انني في ساعة فيض وإلهام . انني اشعر بان اوتار يدي
مشدودة باوتار قلبي ...

كونستانس - لا يمكنني ان اغادرك مفرداً ، لان العبقرية
نفسها تتداني بان انقذك من بين ذراعيها ... تريد ان تحنقك وفي
الوقت ذاته ارسلتني لكي انقذك !!

موزار - ما اسمي شعورك يا عزيزي ! لتترك الليل اذاً ير وحده



المتزل الذي ولد فيه موزار في سالزبورغ (كما يبدو في اوائل القرن التاسع عشر)

الحادة الى الوان شقية باهتة . وحسرة الناس فيها انهم لم يعلموا ارادها

موزار - (يسعل سعال خفيفة) منادياً : يا كونستانس .

كونستانس - لقد اسقطت هيا بنا اليه . (تخرجان)

موزار - (لماري) لقد صنعت خيراً بحضورك فيجب ان تبقي
هنا الليلة لتشهدني اموت . ماري - تموت !

موزار - ان طعم الموت على لساني . . انني اتذوقه بشقي ! .

كونستانس - (تداري وجهها باكياً) كليها يا اختاه .

ماري - أيفكر مثلك بالموت ، وهو الذي يهب الشباب والحياة
للناس ! . موزار - وما عسى يعمل هنا من أتم عمله !

ماري - لكن الفن لا زال يرتقب ايامك .

موزار - لقد اعادت اليه ، الكلمة ، التي وضعها على في ! ولم

يبق سواها ! اين كونستانس ؟ اربني نهاية اللحن الحزين (تذهب

كونستانس) . ماري - ولم لا تحيا لتعطي الناس اللحن السعيد ؟

موزار - اللحن السعيد !! (يتناول منها الورقة ويقب ناظره

فيها بعد ان ينفض قليلاً) الآن استطيع القول : ان لحن الحزين

قد انتهى ! . الخادم (حاملة بطاقة وصرة) مولاي اعطاني رجل

غريب هذه الامانة واتصرف . كونستانس - (تتناولها آه بطاقة ومال

موزار - من هذه البطاقة اقرباً علي .

كونستانس - هان صاحب اللحن الحزين مات هذه الليلة ،

وقد اوصى بان تعطي لحنه لثمة الأجر . وانت حر بقلامه او الوقوف .

موزار (ينفض مغضباً) ولكن اللحن قد تم . . لا يمكن ان

يوت قبل ان يسمع هذا اللحن ! ادر كره ! استوفوهه اليسمع اللحن كله

ماري وكونستانس (يركضان تهدئة نفسه) هدى . عنك .

ان هذا لا يؤيدك الا خطراً !

موزار - تريد روحي ان تصعد على نغمت هذا اللحن !

كونستانس ! اغزفيه على قيثارتني ! اراك لا تبرحين مكانك !

هاقي قيثارتني ، لاتزال انامي قادرة على شد اوتارها ! (كونستانس

تمضي لتأتي بالقيثارة) . موزار - (قد انقبت عيناه) صاحب اللحن

الحزين يوت قبل ان يسمعه . (تدخل كونستانس) ألم أقل لك

انني كنت اكتب هذا اللحن لنفي ، لا لهذا الجمهور . ولكن

لا لا هذا ليس بلحنك يا موزار ولا بلحن احد وانما هو لحن الانسانية

كلها . . اعزفي يا كونستانس . (تعزف وماري فوق رأسه ودموعه

المتفرقة في عينيه واللحن يتعاضد قليلاً قليلاً)

ماري - قد انتهيت يا موزار ولكن لحنك الحزين ان ينتهي

لان لحن الانسانية كلها .

فيلس همدروي - هلب

واسرار تستغيرها هذه الاوتار !

(يشتد العزف) (تسقط كونستانس وتب مذعورة)

كونستانس - موزار لقد اقلت كل شي . هذه الليلة . . (تحقق

في وجهه الذي اختلفت ملامحه) موزار خل عنك القيثارة ! (تتناولها منه

وهو يسقط مكندوداً والعرق يتساقط على جبينه) اتكى . علي . . !

(يخرجان الى الغرفة الاولى) ألم أقل لك ان هذا اللحن ياكل من نفسك !

موزار - ولذلك سيقى خالداً (يلمسان على السري)

كونستانس - ثم اممي الآن ! اغض عينيك حتى لا تبصر

شيئاً . (تحيط بذراعها) . موزار - توشكين ان تحنقيني بجك

ينبغي ان تساعديني على اتمام ما انا فيه .

كونستانس - هذا لحن ان تشتغل به بعد اليوم . لان صاحبه

لم يشتر لحناً وانما اشترى نفسه . . .

موزار - ولكنني اقول انه هداني الى نفسي . . اللحن الحزين

مرحلة ضرورية في مراحل كل حياة ، لانه صوت النفس في جهاها !

اكلل منا طموحه الذي يثي ويغفل وينتهي باللحن الحزين ، لكل

منا هذا اللحن الحزين الذي يسيطر على نفسه . . كل منا يعني لحمة في

هذه الحياة . كونستانس - امتراجك بالفن لهذه الدرجة وبألم عليك .

موزار - يجب علي موزار ان يتم هذا اللحن ، لانه تشيد

مأساة الحياة ! . كونستانس - انك خارج الآن من توبة عصية ،

حاول ان تهدى اعصابك ! اري عرقاً يتساقط على جبينك ولامع

غريبة تظهر على وجهك . أبلك شي . ? (تلمسه) انك حار المماس !

موزار - يُدِر هذا اللحن ان ينتهي بالطمأنينة والهدو . شأن

السفينة التي تطاردها العاصفة ثم تغمر اشلاؤها على الشاطئ . !

كونستانس - فكر بي الآن . موزار - قريباً تصل السفينة

التي حطمت جوانبها العاصفة الى الشاطئ . !

المشهد الرابع

(كونستانس مع اختها ماري)

كونستانس - اراك رجحت متخلفة .

ماري - أخواني ازدحام الناس في مأتم ابنة الامبراطور .

كونستانس - وهل ماتت ؟ هني على تلك الحاسن العضة !

ماري - لقد عاشت كالزنبقة الوديعه وماتت كالزنبقة الوديعه .

كونستانس - اذكر تألق عينيها ورنين صوتها القضي . ألم

يمكن بامكان الطب ان ينقذها ؟

ماري - يقولون : ان جميع الوسائل ذهبت عبثاً ، لان داءها

كان داءً باطلاً . كانت تذبذب هجتها يوماً بعد يوم ، وتستحيل الوائها

الوجه والساق

علم ابن العرب

مسكين وجه النساء . فقد دالت دولته السامية بعدما طاول نجوم الثريا . ونزل كالسلاطين والقيصرة عن اريكته الرفيعة ، بعدما تحكم في عيون الرجال واستبد في قلوبهم بلا حرج ولا لوم ، من عهد آدم الى اليوم .

ومن لا يصدق فدونه الشوارع والمجالس . بل ، حيث برزت السيقان (*) للعيان ، في كل مكان عائدة شيئاً فشيئاً بالبدن . الى مثل عهد التين في جنة عدن .

اقيمت في كاليفورنيا مباراة لاختيار ملكة السيقان الجميلة فاشترط على الفتيات الاميركيات تستبرج الوجه كيلا تؤثر في اعضاء لجنة المحكمين . كأنما بقي هناك للوجه اثر في زوايا الذاكرة من رأس ماله السابق . ولواء غزه الخافق . وهو على كل حال اثر بعد عين يستعطف النفوس الكريمة . ويشير فيها ذكريات قديمة .

لامبراطرة اليابان اطول سلسلة متوالية على العرش في التاريخ . على ان حكم وجه المرأة في قلوب الرجال اطول عهداً . ولكن ما الفائدة ولكل شيء على الارض نهاية . حتى وجه النساء المشرق الذي ملأ الدنيا رونقاً وبها انحط الآن من عالي مقامه . وخسف كالبدر ايل قامه .

وقام عليه من انسابه اثنان ، بل اثنان ، هما الساقان ، في حرب اهلية حولت عنه النواظر بعدما كان ما كان ، في قديم الزمان . ولم تنفياه الى خارج الحدود ، بل اختفاء على التوالي .

وما زال اثر القصير يتعالى مجلابيب النساء حتى بلغت منه القعة وقلة الدمام ، ان حكم على وجه المرأة الصبوح بالاعدام . فبعدما كانت الاقدام الطيفية الناعمة الى عهد قريب - معدودة من المحرمات - تسترها الجوارب والذيل الضافية من كل جانب ، اذا بها تغير على الشوارع كعجش لج وتندفع في المجالس كالسيل في الوادي . وتحني رؤوس الشبان بكاذب من الحشمة . وتلدغ

(*) الساق في اللغة متحد من العروق الى الركبة .

مهج الكحول بسهم من الاسف .

ولعل العلم في هذه المسألة ايضاً هو الجاني على العادات والتقاليد فقد كان الاطباء يشيرون بتقصير اذيال النساء كيلا تنفل السيدة باطراف ثوبها الضافية مكرويات الشارع العجاجة الى مقرها النقي . فانتهب الحياطون الى هذه الانذارات الصحية وهربوا الى اثواب النساء يعمون فيها جزاً وتقصيراً حتى بانت السيقان بكل مجدها لالعيان .

اذكر منذ ٣٥ عاماً ان جريدة شيكاغو تريبيون صورت اقدام بعض السيدات الوجيات وانشرت مقالة انيقة فاضلت فيها بين تلك اقدام الرشيق . والوجاهة في كل بلد على الاطلاق تبين لادبياتها اموراً تقبلها الهيئة الاجتماعية ساحة ، وهي تأبأها على الناس العاديين . وقد زالت تلك الرسوم من ذهني برمتها بعد هذه السنين ولكني لم انس الضجة التي احدثتها شرها حتى في بلاد الحرية .

بل اذكر حادثاً ابعد من هذا في التاريخ . فعند اختراع الجوارب في اوربا حل بخترها كمية منها طويلة الساق الى ملكة اسبانيا طامعاً من جلالها بطف يدفع سيدات العاصمة الى الاقبال على تلك البضاعة فلما رأى الملك هذه الجوارب اغضبه طولها وامر بالتاجر الوقع ان يطرح ارضاً ويحمله مئة سوط على قفاه صارخاً فيه : «كيف جاز لك التفكير يا ابن العينة في ان للملكة اسبانيا سيقاناً»

لكن ذلك عهد مضى . وحتى في اميركا لم يكن احد منسا يفكر منذ ٣٥ عاماً في امكان رؤيته ، يوماً في الشوارع قدماً انشوة ! اما اليوم فما قولك في هذه الثروة الواسعة ، بل الولاية الحافلة المدعوة اليها جميع الانظار مجاناً من سيقان متنوعة ، تعرض سيداتنا وآسأتنا كباراً وصغاراً ينة ويسارا . هي طوفان عرمم من ارجل النساء المختلفة الاشكال والاقنيس ، ما بين مينة ونحيلة ، وقصيرة وطويلة ، وجميلة وغير جملة ، نسي الرجال امامها ان النساء رؤساء وادمة تستحق العناية فاطرقت نواظرهم عن الوجوه العالية ، الى اقدام السافلة تدرسها وتستجليها . وتسكرو عقولهم الصغيرة بجميعا التنفوس فيها .

كان الوجه حتى الآن اول وسيلة للتعارف بين الناس . اما وقد حذلت السيقان محلها عند النساء فهل نعرفن بعد الآن من ارجلين . وتغنينا المقاييس الهندسية الجافة عن لطف الملامح وانس العيون

في التمييز بين غزالة واخرى ؟ على كل حال هذا قضت الايام بتبدلها
فيا صبرا جميلا .

على ان اژي القصير نشر مبدء المساواة بين النساء في جميع
الطبقات الاجتماعية . فاذا نظرنا اليوم الى السيقان البارزة لم نعرف
الفرق بين العزيزة والذليلة ، والصعلوكه والنييلة ، والذكية والبلها .
والهذبة والخرقاء . قد تقف الخياطون والخياطات في تعرية كل ما
يستطاع من جسم الصبايا المهقعة حتى صارت المجالس المتمدنة معارض
للسيقان الانثوية كأنها حوائث يعتمدون في اجتذاب انظار المتفرجين
على اللحوم المساءة السمينة ، لا على القول الراجحة الشمينة مع ان
الجمال الخارجي صدارة تصيد القلوب ولا تغنيها . اما ما يكبل
العقول بسلاسل الحب المثينة فليس العيون ، ولا الوجنات ولا
السيقان . بل هو ذلك الجمال الساحر الفتان . جمال النفس وحلاوة
اللسان .

وفوق هذا كله كيف ننسى وجوه النساء . وتأثيرها في تاريخ
التحذد . وما اوحث الى رجال الفن من آيات شعرية وتصويرية
وموسيقية . فيا اسقاء على الخان ورسوم والقوال لطف عواطف
الايال . كم تقنى الشعراء بصاحبة تلك الوجوه المشوقة كالشعور
فاذا بها تتساقط من كل جانب ، كما تتهاوى في الظلام الكواكب
وتعلو الارجال الجرداء على وجوه النساء . نبهجان دافع الجوارح
وباسط الثغراء ، يعلو ويخفص من يشاء .

وعلى ذكر الجزارين وحوائثهم اقول اني دخلت واحدا منها
في القاهرة يوماً ، فرأيت على الحائط صورة كبيرة لبقرة سمينة مقطعة
جسمها بخطوط فاصلة كالخارطة الجغرافية ، وعلى كل قسم رقم ،
يدل على مبلغ جودة اللحم . فيعرف الشاؤون ، أي نوع يطلبون ،
وأى سعر يدفعون . ومعلوم ان الفضل اهمية كبرى بين اللحوم
البقرية . سواء الرنسيناف الانرجي او الكلبة اللبنانية . ولعمري
لو علت الابقار ذلك لفاخر بعضها بعضاً بلحم افخاذها ، لان الدماغ
الذي يفخر به البشر ، لا قيمة له عند البقر .

هذا الدماغ المفكر العظيم . آية الله في خلقه . اعجوبة
الاعاجيب البديعة . مسلط الانسان على عناصر الطبيعة . مخترع
المعجزات العلمية . مخترع مدعشات المدنية . ليس ايضاً في حقيقة
حاله سوى كتلة من اللحم . لكن الله سبحانه وضع فيه لافي
سواه نعمة من روحه الحية . وبه لا يغيره ، ساطع الانسان على
البرية . فالدماغ وحده اعظم مغفرة من مغاخر الانسان على كل

مادة في الجماد والنبات والحيران .

وما كل النساء متعلات فالمرأة التي تحبل اهمية دماغها لا تنفخر
به طبعاً ، ولا تعرض للناس نتائجها الباهرة . بل هي مسكنية
ساذجة تفاخر النازلين اليها ، بساقها تحسبها كل رأس مالها ، في
الدلالة على جمالها وتعرضها للانظار كأفضل اللحوم في حانوت
الجزائر .

اما الدماغ الذي ممكن المرأة من القيام دائماً وابدأ بأجل الاعمال
أي بتربية الرجال ، فلا قيمة له في معرض السيقان ، السائدة في هذا
الزمان .

بيد اننا على يقين بتبدل كل هذا في وقت قريب . فكما دالت
الوجوه وانحطت مراكز العقول ، في هذا العصر الحثري ، ستدول
يوماً الارجل السخيفة ، ويعود الى المرأة حياؤها الفطري الذي كان
في كل زمان ومكان اساس فضيلة البشر ، وركن اركان الشرف
والكرامة . فتفخر من مغاخرة البهائم بحسن الكوارع والقوام .
وتسود نفسها الابدية من جديد عن الارض الى السماء ، وتتفق مع
الله تعالى في تعظيم قيمة الوجه وتقضيله على سائر الجسد ، اذ جعله
عز وجل على صورته ومثاله . فتستأنف في نهضتها الحديثة العناية
كل العناية ، بجبينها الاغر ، وما ينطوي عليه من دماغ مفكر .
وتقبلها الحساس الذي جعل من صدرها الذليل أشرف مائدة لتغذية
الخلقة والى مقدسة التهديب الانسانية .

وتطاب الرجل عند ذلك بحبا واحترام واستحسانها ، لاجل
القوة الكامنة في جبينها ولسانها . لا لاجل سيقانها .

ابن الغريب

تطلب الاديب في مطلع كل شهر من المسالك الشريفة :

في لبنان - سوريا - العراق - فلسطين - شرقي
الاردن - مصر - السودان - الجزائر - تونس - مراکش
طهران - اديس ابابا - لاغوس - ايا - ليوفولفيل
نومييا - اكرا - باتورست - بوغوتا - نيودلهي
جوهانسبرج - لندن - اوتارا - نيويورك - واشنطن
مكسيكو - لاهافان - ريو دي جانيرو - مونتيفيديو

آزياده

نظم زكي المحاسني

استاذ الادب العربي في جامعة دمشق

ما احلى تصويره حلقة من حلقات الدراويش وهم فالتون بالأبراد
المنفجرة مترنحون بالأدكار على قرع الدفوف وخفق الصنوج ونفثت
النأي الخنون !

وكان لوتي اذا هذه هوى آزيادة ووجد في نفسه لاعمج الوجد
اليها وحائل البعاد منها أمعن في تركيته فظلع لباس الفرجة وتردى
ثياب بني عثمان . فاذا هو قد حلى رأسه بالطريوش ولف جسمه
بجلباب فضفاض وأزل رجليه في سراويل منقوذة وسلك في قدميه
بايوجا أصفر وعقد الزنار وامسك بسبحة ذات طررة واخذ يكتب
قطعة صبية عن غائبة الفتانة .

فإذا طلع النهار هام على وجهه بين اشجار السرو الباسقة على
مقارير الجيوب . وهاهنا بين الاضحة القائمة والاموات النائمة اخذ
يحول فيفكر بالوصال والقطيعة والحياة والموت . وكان يحيل اليه
ان تلك البواسق المتناوذة نوادب الزمان قامت باكية بنواح الريح
على الانسان في تلك المقبرة القديمة .

ومتى راق الليل وجال متبخرأ على صفحة السماء القمر يسكب
خيطانه الفضية ، هب لوتي الى القرن الذهبي فقام على ضفافه العاشية
يسمح بنظره فوق صفحة مسنونة مرمرية من بحر مرمرية ، فاشبه
ابطال الهوى والهيام في فوانت العصور . اولئك المعاميد الذين
هدمهم المحوم فلجأوا الى الطبيعة يشربونها اشجانهم ويشكون اليها
اهواءهم . ولقد سخر لوتي بحب آزيادة عن ظلامته النساء . وكمن
اساء وأخلف وعداً ونقض عهداً ولعب بروح وطن في قلب .

واتصل هيب لوتي بآزياده فباتت اليه والهة ونحو نسبه متطلعة
وجمعتها اوقات سعادة منهوبة من شقاء الزمن فلحق بها الى مصيفها
في « مناستر » وهناك في الليالي الدافئة تسامرا حتى طلع الفجر
بجلاوات النجوى وعذبة الهوى فسألت آزياده ببيير : متى ولدت ،
وأين عشت ، وكمن هو عمرك ، وهل امك حية بل كيف اعتقادك

آزياده ، فتاة شرقية . ما ادري ، هل جاء بها ببيير لوتي من
عالم ابداعه وهو قليل الاختراع لشخص رواية أو هي تركية
حلاوة من بنات الحياة عاشت على ضفاف اليوسفور حينما من الزمن
كان فيه الكتاب الفرنسي الغابر في تلك الربوع .

ومضى لوتي الهويني بين ازقة سلاتيك وهي ملتفة ثابية او
ملتوية ضيقة يسرح الطرف على الجدران العتيقة المبنية من عهد
السلطان سليم فما راعه من وراء خاصص وسدول الواجهة اشرق
عليه بحال جبار فجعد مكانه وكان تياراً من الجلب اخذ عليه ليه
وغلبه على امره . وجهه قد لف جانب من شعر رأسه بتدليل حوري
ابيض وزان مفروقة وردة . ولعل صاحبة هذه الظلمة البنية كانت
اسيرة جدران وحيدة بيت فلما رأت انساناً غريباً اجابت من الشك
عليه واخذت تعالينه حتى تواعم الطوفان وتقابل الوجوهان فتبسمت
هي وتبسم وسلم هو فردت السلام .

وابدأت في ادب لوتي حياة حب وتاريخ قلب . وكان لوتي
كبير الفؤاد في الرجال . فلقد احب النساء الكثيرات من كل الامم
كان مجرماً من الضباط سياحاً في البلاد يكثر الاسام بالعواصم .
فعاش في الاستانة حينما من الدهر تمتع النفس بالجمال التركي طرب
الاذن ببيغام غزالاته ريان نشوان بالاحباب .

وشغفته حباً آزياده فلفه هواها الجذ في المودة فتأترقت شوقاً
اليها عيناه دياجي طوالا . فلحكم ظل ميعاد ما بين الجفون حتى
طلع المؤذن يدور بالثندة هاتفاً بالله الاكبر . فكانت صورة
العابد المنادي في هذا الغلس تسكب على بيان الاديب الفرنسي
نضارة الارصاف الشرقية .

أحب لوتي الاثر في روح آزياده . وفتحت هذه الحسناء عينه
على اسرار المشرق فحب منها أدوع اوصافه التي خلدت رواياته عن
الشرق .

بالله، وهل عرفت صاحبات من النساء، وهل انت سيد في قومك .
فاذا انتهت هذه الغزيرة من كلامها اخذ لوتي نوبته منها في مثله
فعرف انها فتاة شركسية جاءت القسطنطينية مع بنت من لادها .
وقد باعها نخاس لشيوخ تركي رباها ليؤنس حبسه الى ابنه . ثم مات
ابنه وقفي هو على آثاره . وحين بدت في السادسة عشرة كزهره
مختلة بالحياة والجمال رآها رجل في استانبول فبها حسنها فاشتراها
وجاء بها الى سلاتيك .

وكان صمويل خادم لوتي ترجماناً بينهما اذ كانا في قارب يتروح
على البحر بين يدي المدينة فقالت للاديب التركي بلسان الترجان :

ليس ربي كورك، وكانت آزاده
تتعصم بالقرآن الكريم وتحسب ان
نفس الرجل ليست كنفس المرأة
ثم قال صمويل :

— تقول لك انك متى فصلت
من هذا البلد فقد لا تعود اليه فلا
ترك ابد العمر . انها تبكي وتحتجى
من الفراق والموت . ثم ضحك
صمويل وادف :

— انها تطلب اليك ان شئت،
ان تعانقك وترمي بنفسها وإياك
في البحر فتغوران في قعر الماء . وكل
قد أمسك بالآخر . وهي تريدني
على ان اعود بالزورق وحدي فأقول
لمن يسألني عنكما انني لم اركما في
ليلى .
فقال لوتي :

— اني لا أرغب في ذلك فهل لها ان تم بالفراق منذ الساعة على
ان تكفكف من دمعها الحنون الغنون .
فماقت حسناً الترقى الاديب الخالد بزنديا ويديها الراجفتين
ثم انحنيا على البحر فصاح بهما صمويل الخائف :
بربك لا تفعلوا وهم فردهما بيد من حديد .
قال لوتي لصمويل :
— ما اسوء قبله تعاطاها في جوف الماء ونحن غوت كاشرين .
لكن صمويل لم يترجم ذلك لآزاده .
وانتقلت آزاده الى استانبول وظل لوتي ظلاً منها ملازماً لها .

وكان يرى نفسه أعز من البادية في الحب والحياة والشباب .
وحين دعي للأوبة الى بلاده فجع الخبر غائته فبكت ساعات
واذ لم يجدها البكا . صارت تدعو له وترجو العود القريب وتقول
وهي تتهدد كصاحبة من أحلام :

— الله سلامات ويرسن لوتي فليسلك الله يا لوتي .
وقد غاب لوتي ملالة من الزمن تاركاً تحت رماد قلين ناراً
تأجج باغوى ثم عاد يدعوه هذا الالهيب . فبهذه استانبول تبدو له
من البحر وقد أقبل بالفلك عليها ولما داس البر هب نحو مسجد
محمد الفاتح حيث تسكن آزاده .

وحين صفق بابها خرجت اليه
خادمتها الزنجية خديجة فريعت اذ
رأته وشدهت اذ وجدته ووضعت
يدها على فها . فسألها :

— اين آزاده ؟ فأجابته
كالأخوذة المصعقة :
— أولوش ، أولوش . ماتت،
ماتت آزاده .

فدارت الارض بلوتي وصير
مكانه كصم وظل فاغر الفم ،
شاخص العين لا يبر كلاماً .
وهجبت خديجة نحو لوتي تصيح
بكلمة أولوش .

ثم تبعته وهو ماش كالمنجذوب
وهي تقول أولوش باضطراب وشدة
وكانت تعنف بهذه الكلمة كلما
رددتها فكأنها نعتت عليه ان قتل



يبر لوتي

بحبه سيدتها .
ومضى هو في طريقه كسكران بجمرة من الموت . سار هائماً
وخديجة خلفه حتى وقف بنبع له حوض من رخام على مقربة من
بيت آزاده كان يقعد على جانبه معها فجلس على طرفه لاهثاً ،
لهيفاً ، مكباً . وقد ألصق جبهته على الرخام يطفى ببرودته هيب
رأسه . فتقربت منه خديجة ومدت يديها السوداءين ، بجنان
واشفاق ماسحة على شعره ثم اخذت تنضح من البركة ماء على
جبينه . وهي تقول : أولوش .

ركي المحاسني — ومضى

المنظمات المهنية عند العرب

لاول مرة على المنظمات في الاسلام في منتصف القرن الثالث للهجرة حين كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ابران عزها .

ويظهر ان تنظيم هذه الاصناف متصل بحركة القرامطة ومستوحى منها . وهي حركة معروفة كانت غايتها الانتقاص من سلطة العباسيين واشعال نار الثورة ضدهم . فقساموا يبحسون عن انصار لهم ومشايخين يتبعونهم فلم يجدوا يادى . ذي يد . مرتعاً خصباً الا بين المتدبرين والملاويين على امرهم من الطبقات كالزنج الذين آتي بهم الى العراق من افريقيا الشرقية ليحرثوا الارض ويستغلوها لصالح اسيادهم وبين ذوي المهن والحرف والصناعات الذين كانوا يشكلون طبقة ذات شأن قوي في ثروة الامة ولكنها طبقة محرومة من الاشتراك في ادارة الاعمال الدولية .

واسمع نطاق الحركة ونظمت المؤسسات السرية لاول الامر تضم الناس جماعات وقد تسربوا روح الشورية وتحذروا شعارهم كيقراطية الاسلام القائل بالتساوي بين المؤمنين دون ما تفريق بين العناصر والمكمل ولما كان اكثر المتمنين الى هذه المنظمات من ذوي المهن والحرف اطلق على مؤسساتهم اسم الاصناف او الحرف ونظم الاعضاء جماعات جماعات لهم سننهم ولهم دساتيرهم .

ولم يكن العامل السياسي الدافع الاهم لتنظيم هذه الاصناف بل كانت غاية الصنف الهامة ايضاً الترفيع عن الاعضاء المتمنين اليه وتنظيم امورهم وفرض الخلافات بينهم دون أن يلجأوا الى قاضي المدينة الذي يمتسك اليه الناس عداة بل الى مجلس الصنف او رئيسه .

وما دام هذا المجلس او الرئيس لا يتعدى سلطته الحدود المرسومة له من قبل السلطات من امور تتعلق بالصنف ومجريات اعماله فلم يكن القاضي او من قسام مقامه لياتي في امر انتهاجه البت في مشاكل تعود اصلاً الى القضاء . وهذا يدلنا على اهمية المركز الاجتماعي الذي حازته تلك الاصناف .

ولما اتسعت سلطات الاصناف وقويت شوكة المتمنين اليها وشعر الاعضاء بالقوة المتأينة عن الاتحاد اخذت الحكومات المتناحبة تمرق هذا الاتساع بعين اليقظة والحذر خوفاً من ان يؤول الامر

كثيراً ما نسمع عن التطورات الديمقراطية في القرب في الميادين السياسية ، فنلهمها عن اخواتها في ميادين الاجتماع مما لا يقل اهمية عنها ، ولا تأتيراً في سير الانسانية نحو اهدافها العليا ومثلها السامية . ولعل ابرز التطورات الديمقراطية الاجتماعية ينحصر في جهود طبقات العمال لتحسين امورهم ورفع مستواهم ليكفوا احد العوامل الطبية المسيرة للإشغالات الى الامام في معارج الرقي .

وانه وامم الحق لدور رئيسي هذا الدور الذي لعبه العمال في التاريخ ولا يزالون يقومون به حتى الآن ، ويعزو معظم المؤرخين اساس فكرة تكتلهم ولم شملهم في سبيل تخمين منتوجاتهم واحارهم وباتالي تحسين ما حولهم الى تلك الجماعات في القرون الوسطى في اوروبا حين كان لكل صنف من العمال منظمة هامة يتبنون اليها ، تعلمهم وترشدتهم الى اصول صناعتهم وتسيرهم على الطرق المثلى في تلك الايام لكي يأمنوا لهم حواشئ الازمات ويرفعوا بقدر المستطاع عنهم وعن ذويهم .

وتطورت تلك المنظمات بتطور الازمات ، وباتختلف الأحوال الاجتماعية ، وتقدمت اساليبها وفقاً للضرورات وحل المشاكل بينهم وبين ارباب الصناعات فنشأت النقابات الحديثة مما لا يسعنا في هذا المقال التوسع فيه . اذ ان غايتنا من كتابة هذه الاسطر احقاق حق وابطال خطأ وقع فيه الكثيرون من المؤرخين والكتاب عندما نسبوا هذا التطور الديمقراطي الهائل الى منظمات العمال في القرون الوسطى في اوروبا ووقعوا عند هذا الحد ، مغطين بذلك حقوق العرب الذين لعبوا دوراً عظيماً لا يقل اهمية عن الدور الذي لعبته منظمات القرون الوسطى في هذا التطور الديمقراطي الشامل ، ولقد كشف النقاب عن هذا الفضل للعرب احد كبار نقابة البريطانيين في رسالة طويلة تقتطف منها ما يلي :

كان معظم رجال الصناعات والعمال في مدن العالم الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث عشر للهجرة منضمين تحت أندية منظمات مختلفة معروفة بالاصناف .

والاصناف هذه تاريخ قديم يمت ولا شك بصلة الى مؤسسات نشأت في بعض البلدان قبل الاسلام . فلما عرف هذا الاسم واطلق

او ولادة ابن للخليفة او السلطان وهم جرا .

وكانت الروح الدينية تسود جميع اوجه نشاط الصنف فاصبح والحق يقال مؤسسة دينية زمنية، والسبب في ذلك عائد الى امرين اولهما ان اساس مهنة الاصناف قامت على اكتساف حركة دينية والثاني ان الصوفية فيها بعد تسربت اليها قلباً وقالباً لدى انشائها في العالم العربي لا سيما في القرن الخامس والسادس الهجري . وفي هذه الاثناء ايضاً قامت مؤسسات اخرى عرفت بالفقوة غلبتها تقوية روح الشهامة والانسانية بين المتبعين اليها . فكان من نماذج جميع هذه المؤسسات وتأتي واحدها على الآخر ان قويت الروح الدينية بين الاصناف .

ونتيجة لذلك قويت روح المحبة والاخلاص بين الاعضاء وتجلت في تعاقدهم على احترام شيوخهم احتراماً فائقاً . وفي مراسيم قبول الاعضاء الجدد من طلاب او مبتدئين ، عليهم ان يكونوا من ذوي السيرة الحسنة والاخلاق الطيبة، وان يقسموا بين الطاعة والاخلاص للصنف ولشيخه واساتذته، وعندها كان يؤذن لهم ان يتمنطقوا بنطاق خاص وعبروا وسط مراسيم خاصة بالصنف الى ان يتم قبولهم كمتبعين .

هذه لحة وجيزة عن تاريخ الاصناف . اما امر علاقتها بالمؤسسات المهنية في اوربا في القرون الوسطى فلا يتسع مجال المقال هنا لبحثه افلا شك في ان هنالك صلات بين هذه وتلك لا سيما وان التاريخ يذكر ان انتشار المنظمات الاوروبية المهنية كان على اعظمه بعد الحروب الصليبية أي بعد ان احتك الفرنجة بالعرب وبمؤسساتهم .

وهنا كان الامر فللعرب فضل عظيم في تنظيم الاصناف او المؤسسات المهنية التي هي اساس النقابات العصرية الحديثة من الوجهة التاريخية وبالتالي اساس اهم التطورات الديمقراطية العالمية .

الى مسالا محمد عقبا ، وعلى توالي السنين اكتسبت السلطات الحكومية حقوق الاشراف على الحرف والاصناف فكان لها محاسب ، وهو موظف منتدب ليراقب اعمال المجالس الحرفية وامورها الداخلية فلا تتعدى السلطات التي يؤمها ايها القانون .

وكان على المحاسب ايضاً الاشراف على ميادين اعم واوسع وغايته تطبيق الحكمة القائلة «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» فكان عليه مراقبة ذوي الاخلاق السيئة (كشرطة الاخلاق في ايامنا) وامور التنظيف في الشوارع، والامر بترميم البيوت المتداعية وملاحظة الموازين والمكاييل ، ومنع ارباب المهن من معاملة الذين يعملون تحت سلطتهم معاملة قاسية فظلة الى آخر مسا هنالك من الشؤون .

غير ان الاصناف لم تتبع كلها طريقاً واحداً في كل تفاصيل سيرها بل كانت ثمة اختلافات عديدة تتطور حسب اختلاف البلدان والمدن والمحيط . الا ان الجوهر في معظم الامور كان عاماً ففني كل

المدن كان لكل من الاصناف شارع او سوق يختص به تقوم فيه كل الدكاكين التي تباع مصنوعات كسوق الحدادين او النجارين او الصاغة او ... او ...

وكان لكل صنف عدد محدود من الاساتذة والمتبعين على اختلاف طبقاتهم كالمتبعين والمحترفين وغيرهم . وكان للاستاذة في الصنف مجلس خاص يتداولون فيه أمور المهنة التي يفتنون اليها ولكل استاذ طالب او طالبان او اكثر يتلقون على يديه اسرار المهنة بعد اجراء مراسيم عديدة .

ويرأس الصنف شيخ يعاونه موظفون اداريون منتخبون من مجلس الاساتذة . وكان من اهم واجباتهم جميعاً عقد الجلسات الرسمية التي يقبل بها المبتدئ الطالب للدخول في حرفتهم او ترقية طالب من درجة الى درجة أعلى واقامة الحفلات السامعة في المناسبات المبهجة كانتصاير الجيش الوطني

الاشتراك في الادب

1944

<http://Archiveta.Sakhrit.com>

— آخر موعد القبول لطلبة الاشتراك في سنة الادب الثالثة (١٩٤٤) هو ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ ولان نتمكن من تلبية الطلبات المتأخرة بعد هذا الموعد لان كمية النسخ ، على كثرتها ، محدودة .
— كل طلب للاشتراك غير مرفق بالبديل يهمل .
— تضطر ادارة الادب ، أسفة ، الى الغاء المبادلات والمدايا ، ابتداء من سنتها الثالثة ، على انها تأمل ان تعود الى المبادلة والاهداء حال انقراض ازمة الورق .

— على الرغم من ارتفاع اسعار وسائل الطباعة ، وعلى الرغم من ارتفاع ثمن الصحف والمجلات فان الادب ستمحاول الثبات على ثمن الجز . « ٧٥ » قرشاً وعلى قيمة الاشتراك : ٩ ليرات ل . س . في سوريا ولبنان وجنيه مصري في الخارج .

سراب

□

الى التي
كانت لي واحة
مخضرة ، ريانة ، رقراقة
أفقت على فيها ،
بعد غفوة في صحراء
تهت عري بها
أحرقت شمسا
قلبي وقدمي
فلما تعرفت الى الواحة
نسيت عريدة الوحشة
في جنون السراب المضي
وقلت
أمنت ، بوب ذرة زمال الصحراء
وكانت غفوة في الواحة
وفي الحياة غفو كثير
فلما افقت
لم تكن الواحة ،
ولم تكن الصحراء
فليتني بعد
في جنون السراب المضي
او ليتني بعد
على قدمي الواحة !

لادبير ادب

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



نشر المحامي الادب اليوناني الأستاذ
كروميلاس سلسلة مقالات في مجلة
« اجارا » اليونانية عن الحياة الفكرية
في لبنان وعن بعض ما رآه وسمعه من
الادباء اللبنانيين في زيارة قصيرة لهذه
البلاد خرج منها هذا العرض السريع للباحية
عامه لم يتح له ان يخطبها احاطة وافية .

مجلة للفكر في سهر



فكأنما الطبيعة والجو، جو البحر والجبل قد اكسب اللبنانيين
صفات كثيرة . فهم يهجون بلادهم لا هم يعرفون قيمتها . هذه
القيمة التي عرفها لها العالم المتمدن عندما فكر ، على ما يظهر ، منذ
عدة سنوات بأنه مدين بالكثير للفينيقيين .

ليس للبنانيين اطلاع ولا اغراض وانما هم قوم يريدون ان
يعيشوا في هدوء . واطمئنان لينصرفوا الى التفكير والفلسفة . وهم
ليسوا رجال حرب ولا رجال سلم وكل ما يطلبونه في هذه الحياة
زاوية حرة من الارض لا يحيي فيها حياة عمل بل يحييوا حياة
تفكير ، تفكير في الماضي والحاضر والمستقبل بل في ابعد من هذا
كله في الحياة عابرة فوقها النفوس دون ان تراها . وهم لا يعرفون

ان يتعاطوا شيتين في آن واحد .
فاذا كتبوا فصلاً في الحب فلا يدور
كلامهم فيه الا عن الحب في ذاته
لا يكون تحليلاً نفسياً ولا اجتماعياً

وانما يكون « حباً على ورق » .

واحد من أبعد الذين يثقلون الشعر اللبناني الحديث شهرة
واقوامهم رمزاً هو امين نخلة وهو الرجل الذي يفكر شعراً ويحيا
انشودة . يقول : « انا انظر الى الدنيا من خلال بيتي اللبناني ،
ولا انظر الى وطني من خلال البيت الذي يضم العالم » .

وامين نخلة معجب ببودلير رغم تفاوته اعجاباً لا يشعر معه في
قراءة نفسه ، بأية غضاضة - اقرأ قصيدته التي اهداها الى بودلير (*)
ولكي تدرّك معنى هذه القصيدة كما ينبغي ، اسمعها من فم الشاعر .
فالترجمة تفقد كثيراً من الكلام . واللغات على كثرتها عاجزة عن
ان تؤدي معنى العبارات العربية بكاملها .

(*) لعل الكاتب يقصد الايات التي وضعها الأستاذ امين نخلة على قبر
بودلير . « الاديب »

حينما مرت ببلبنسان لم اشك قط انني في بلاد اليونان فالحبر
والجبال والشطآن والنهول كل ذلك كان يذكرني بالوطن . وهكذا
كان اللبنانيون بوجوههم الطلقة الضاحكة واغانيتهم العذبة وقصصهم
الجليلة يعيدون الى مخيلتي كل ما تفيض به موسيقانا من فن ويؤخر
به ادبنا من جمل .

ولقد كان في رغبتني ان استزيد من كل شيء . وان ادرس الحياة
الفكرية في لبنان درساً وانياً او اتي على وصفها ، اذا امكن ،
وصفاً دقيقاً . ولكن زيارتي القصيرة حالت دون ذلك . على انني
سأكتفي فيما يلي بوضع بعض الخطوط الكبرى التي يتكون منها
الادب في لبنان :

— حوالى سنة ١٨٠٠ كانت

الحركة الفكرية عند الشعوب
العربية اخذت في الخطاطم مما جعل
الخطر يحدق باللغة العربية ويهددها

بالانقراض . ولم يكن هناك في امل في انقاذها لولا ان قيس افند
لها الاخوين (البازجيين) نقاما يؤلفان فيها الكتب ويطبعاها
وينفخان فيها الحياة فاذا بها تتشعشع من جديد .

وبالرغم من جميع العراقيل التي اعترضتها فانها لم يقف عند حد
النجاح فحسب بل استطاعت ان يلقاها مدرسة خاصة بها . وبذلك
بدأ عهد جديد للنهضة ، عهد انقلت فيه لغة القرآن الكريم .
واخذت هذه الحركة الفكرية النامية تنفتح في الادب العربي روحاً
جديداً . فكان لبنان اول بلد استطاع ان يساهم في خلق هذه
النهضة الجديدة .

ومع انه لم يمس على هذه الحركة الناشئة سوى سنوات قليلة
فقد ابدى اللبنانيون رغم ضيق بلادهم وما كابدته من حروب
واحداث وقهر نشاطاً فكرياً عجيماً . وبلغ الشعراء والمفكرون
والادباء والصحفيون منهم مدى بعيداً من الكمال .



صلاح ليبي

الاجابى فى البنانيى فاجاب : يقولون بان فولين وسامان كانا ابوي الادب البناني الحديث ، وهذا شرف لنا ، لكن من الواجب ان نضف الى هذا ان الشباب البناني ، برغم كل هذه التأثيرات ، يحافظون دائماً على طابعهم الشخصي .



يوسف خويط

ولم استطع ان اتعرف الى يوسف خويط ، لكن معلم احد الاساتذة ميقوله : «فوقه انا في بيتي دائماً بالسلام .» وقد كتب «القصص المهجورة» و«العوسجة المتنبية» - اقرأ احدي قصائده - يتميزاز قصائده الاخيرة بزرعة قوية الى الاستطلاع . فهو يحاول فيها ان يتجمل من تلك القيرود التي تضغط على قلبه ، القيرود التي يفرضها عليه المجتمع ليبحث عن النور في الطبيعة وفي براء الطفولة . . . ولا ريب في ان المفكرين هم الذين يتلون بين الادباء اللبنانيين المقام الرفيع . فهم لا يميلون الى الفلسفة المجردة ولا الى الادب المحالص . وكثيرون منهم لا يدنون خواطهم بل يكتبون بالنازعة فوق الجبال وعبر البحار ثم هم يعيشون في المدن فيكون دأبهم دائماً الدرس والتفكير . يصدون كل حركة من حركاتهم لاجلها في نفوسهم ويشتقوا منها الحق والجمال . وهكذا

بقواعد ؟

فانت لا تصبح شاعراً
الا حين تنسى النظريات .
ولا تتصل بنفسك الا حين
تقمض عينيك وتحيا في عالم
آخر عندئذ تنتقل الى حيث
يجلو لك ان تعيش .

وفي رأينا ان كتابه
(ارجوحة القمر) قد فتح
آفاقاً جديدة في الشعر . ولقد
سئل مرة عن مدى تأثير

شخصية امين نخلة تنبلى
لنا في الجملة التالية التي تعابيح
جميع تاليفه : « افكار
خالصة في اسلوب مبین
قوي » .

وشاعر آخر لم ينتج لي ،
مع الاسف الشديد ، ان
اجتمع اليه . يشارة الخوري
الملقب بالأخطل الصغير .
يعرفه الناس جميعاً لان كلاً
منهم يجد في قصائده صورة

لنفسه . فهو لا يتكلف قافية ولا وزنًا وهو ليس بشاعر لكنه
مترجم عن الفكرة الانسانية . والخوري سيخلد دائماً لانه يعرف
ان يس قلب كل انسان وهو ينطوي على نفسه . فهو المثلث الرحالة
القلق . وهو في شعره يرضي

الضعفاء كما يرضي الاقوياء ،
المتشاكسين والمتشاكسين
فناشده تسير من جبل الى
جبل ومن مدينة الى مدينة
ومن موجة الى موجة . لان
الناس جميعاً من ساكني
الجبال الى ساكني المدن الى
صاندي السلم تتحرك
شفاهم بها دائماً .

لم استطع الحصول على
قصائد مترجمة له غير انني ما
وقفت مرة ، حين كنت
استمع الى من ينشد لها لي ،

امام معنى يقوتني منها ، الا وكشفه لي بحركة مراقبة من عينيه
تنسجم دائماً مع روح القصيدة وقوافيها . فرقت عندئذ من هو
يشارة الخوري ، ولماذا يتغونه بالخالد .

يقول صلاح ليبي : « ان الانطلاق الفطري هو الذي يضفي
على القصيدة جمالها » . فكيف يمكننا اذن ان نقيّد القصيدة



امين نخلة



بشاره الخوري

المنقرضة والجمال الداوي والعظمة الدائرة. — اقرأ إحدى قصائد أبي شبكة — فهو يقول في كتابه الذي عنوانه « افاقي الفردوس » حين يتكلم عن سدوم التي ارسل الله عليها ناراً من السماء. فهذه : فما هذه النار سوى شرارة ارسلتها تلك الشعلة الكبرى (*) ؟ وكان ساعته في جنبه عمر فاخوري لا ينقطع عن تتبع الحديث وكان مقلداً بكليته وعينه تلعب خلال نظائره . فيبدي من غير ان يتكلم ، انه على اتفاق مع ابي شبكة فيما يقول . والفاخوري صحفي وكاتب في آن واحد . فالانسان والطبيعة تدب بها الحياة تحت قلمه . وهو واقعي الى آخر حد . متأثر بطبيعة لغته الرومانتيكية ، يسكب الجمل في الالم والنضال .

اما الموضوعات التي يتناولها فتفرقة . قصص قديمة او حديثة حوادث مشهورة في التاريخ . جهود العمال والزراع . وصف

الجهد والكسل . بل كل شيء يدور

يخلقه بتقلب حياً بين يديه على

الورق . سأله عما اذا كان قد كتب

في موضوع الانسان وهو يناضل

الارض . فنظر الي متأملاً دون

ان يجيب . لكن ابوشبكة الذي

كان يستمر يلهي على الكتاب تلمح

الحديث قائلاً : كيف تقول ان

الانسان يناضل الارض ؟

الارض هي ام الانسان . وما

من ولد يناضل امه .

فذكرت له ان الولد عليه ان يناضل ليستطيع ان يكون

جديراً لكشاف سر الحياة . وان على الانسان ان يكبد ليجني

ثمار الارض .

فقال — اجل لا غير ان هذا ليس بنضال . بل هو جمل الحياة

وغايتها . نحن نحاول ان نعرف سر الارض لنستفيد مما تجود به

علينا .

ان الارض ليست ابداً عدو الانسان ، فكل جهودنا واتعابنا

انما هي لمصلحتنا . الارض هي ام . فهي تعطينك الشيء . وان كنت

عاقاً . فاذا كنت باراً ، خصتك فوق هذا بكل ثروتها .

واود ان اضيف الى هؤلاء ، وانا انهي هذا المقال ، اثنين هما

(*) يشير الكتاب الى هذا البيت :

لا تعياي بغاب ربك انه جرنومة من فارك المتقدمة

فانهم يعيشون في عالم آخر يخافونه لانفسهم .

أحد هؤلاء . هو رفيف خوري .

رجل عاطفي يرتفع دائماً بخياله فوق السحب ولا

يعود الى الواقع الا اذا وجد

من يريد ان يفهمه . ولعل

تقاليد البلاد او اغتها او

مناخها هي التي تجعل من كل

صحافي ناشئ . رجلاً خيالي

واحلام .

فالادباء . جميعاً يحاولون

ان يخلقوا ، الى جانب هذه الحياة الرتيبة شيئاً متع ، شيئاً يروّجون

ريفي خوري

فانهم

به عن عقولهم وقلوبهم .

وهذا الياس ابوشبكة نحيف ذو تقاطيع خاصة وشعر حالك

يتدل الى منتصف الجبين وعينين واسعتين تنطقان تحم فوقهما

الاحلام . يتحدث الي عن الشعر :

« الشعر لا تقيد نظريات ولا قواعد . فالنظريات والقواعد

التي خلقها الانسان لا تكسب الشعر شيئاً بل على الكاتب تلمح

روحه وجماله . ان الحياة لا حدها والشعر مرآة هذه الحياة » .

ولما كانت الفكرة كومضة البرق وجب ألا ينفض في وجهها

أي حاجز . قبل يتسنى وضعها ضمن اطار من القوانين ؟

ان الشعر قرين الحياة والطبيعة فكيف يمكننا ان نحول دون

شيء . أي الله الا ان يكون ؟

وابوشبكة شاعر يعبر

عن كل ما ينطوي في اعماق

نفسه ، فقرأ دائماً بعينه

الحالتي يلقى الي حيث يلمح

له ان يعيش . . . يبحث في

نفسه وخارجها ويدرس كل

شيء . ويراقب انفعاله وانفعال

غيره بالذرات الحاصرية

فيدونها .

اشتهر في شعره بتخليد

المدن المفقودة والمدنيات



ريفي خوري



عمر فاخوري



الياس ابوشبكة

الصحافي الاديب البير ادب وبلانش داود عمون .

اما البير ادب فهو مفكر شاب لم يستغل بعد جميع مواهبه .
يبدل مجهوداً عنيفاً ليس في اخراج تأليفه فحسب بل في صياغة
افكاره . فلا يقوم بعمل الا ويتعهد للنهاية . يكتب المقالات

ويصدر مجلة « الادب »

من ارتقى المحلات العربية .

وهو يكتب عادة ليرفع من

شأن الادب في سوريا ولبنان

هذا هو البير ادب

العاظمي المتفائل بعينيه

الضاحكتين يحدثنني عن

نظرياته ويعرفني الى تأليف

الادب . الآخرين . اليه يعود

النفل في تعرفي بختلف

الشخصيات الادبية في لبنان .



البير ادب

قال لي مرة : واضح جيداً ان هذا الارتداد في التخييل الذي
نشاهده ليس جديداً في شي . وانما هو تحيط لآزم الانسانية بصورة
دائمة . .

لم يحل العالم يوماً من المصلحين فما كان الناس ليقبلون آراءهم
الجديدة الا حين كانت تنسجم مع غرائزهم وميولهم .

من هنا مصدر القوضي في الفكر والعمل ، في اختلاف الآراء .
وتصادمها في التباس الشر والخير . وكذلك في الاختلاف الاكبر بين
الناس حول تقدير الاعمال وتنتاجها .

وقال : « ان المصلحة الوطنية لبلاد ما لا يمكن ان تتناقض
مع المصلحة العالمية . لان هذه انما تقوم على الحق ، والحق واحد
في جميع البلدان . ومحال ان يتناقض الحق مع الحق في البلدان
الاخرى .

فما ينتهم شعب من الشعوب معنى الحق الا ويجد من تلقاء نفسه
طريق الصواب . »

والبير ادب يرغب في ان تكون هناك حرية مطلقة ، حرية
تقوم على اساس من الحق والخير .

ولقد كتب في مكان ما : « من ذا الذي يستطيع ان يكون
له افكار صريحة وحكم عادل ، يحلل اعمال الآخرين دون تغيير

ويترجم آراءهم دون تحوير . وبكلمة واحدة أي امرى . يستطيع
ان يرتفع الى مستوى العدل الالهي ويصل الى كل هذا ان لم
يكن حراً . »

ومن الصعب ان نتحدث عن عمل البير ادب فهو موزع بين
مقالات يكتبها للصحف والمجلات ، وبين اشراف على الاذاعات
العربية في راديو الشرق .

ولكن بضعة افكار تسقط اليك من هنا وهناك كافية لان
تعرفك الى شخصية هذا الرجل الكريم .

ولقد اتفق لي ان ادى فوق احد المكاتب (تاريخ لبنان)

وهو كتاب انيق كتبه ووضعت رسومه بلانش داود عمون فوجدته

يفيض بحب هذا الوطن الصغير المغرب وكانت رسومته توضح وتكمل

معناه وهي مؤلفة من خطوط كبيرة واللوان خفيفة تبهج العين وتريح

النظر ، تحفف من وزن الجملة ، وتقلل من حدة الالم . الالم الذي

يكاد ان يجترق الكتاب من اوله الى آخره . ألم ذلك الشخص

المروء . المتواضع الذي أعطى دون ان يأخذ .

ان كل فصل من هذا الكتاب ينفرذ بوصف عصر من التاريخ

اللبناني فتجده فيه صفحات .

ليس به إشارة الى الزمن ولا الى الحوادث التاريخية . بل هو

كلمات متفقا ، افكار ثابتة ، شكوى دائمة من الغرب ، لاشي .

بعد ذلك . هذا هو كتاب بلانش عمون .

ولقد نعمت بالتعرف اليها فتجدتنا عن كتابها وعن اللوحات

التي بعثت بها الى معرض نيويورك حين مثلت فيه وطنها . فوجدت

فيها فتاة تحب بلادها لانها تعلمت كيف تعرف اليها وهي لا

تستخدم الادب ولا الفلسفة . بل تتسوق الى محاولات ترمي الى

تجميل بلادها وعرضها بصورة ايجابية واكل .

وتحاول ان تتخلص من تأثير ثقافتها الفرنسية وسياساتها في

الخارج لتعيش لبنانية في تقليدها وفي علمها .

وبعد فلقد كانت زيارتي للبنان اقصر مما كنت ارجو وعمبا

كان ينبغي ان تكون ، نعمت فيها بروية الجبل والبحر والثلج

والطبيعة واستمتعت لاناشيد الشعب وصاندي السمك . ولكنني

قبل كل شي ، كنت اتوق ، في هذه البلاد التي تذكركني بوطني

الجميل لان استمع الى صوتها الداخلي ، صوتها المنبعث من الاعماق .

مكتبة الاديب



عن تحاسين الفكر العربي ، الى مثله ومثله عن كيفية احياء الثقافة القديمة وموقف الشباب من التغيرات التجديدية .

وليس على القاري ان ينتظر فيه تحقيقاً تاريخياً على الفكر العربي وتواجيه ، فهذا ما لم يقصد اليه المؤلف ، وانما هو اعابة قوية فقط عرض فيه التاريخ بلته كأدب وليس بلته كعلم ، وهذا سر طرافته وهذا سر قيمته ولذته .

والكتاب بعد ذلك يبدأ بمقدمة للشكور طه حسين جاءت شخصية خالصة عن الأستاذ المؤلف ، وأن لم تحل في حمايتها من ملاحظة وصفية قيمه ومن الخيران نلمح ما . فذلك التجديد الذي كان يلام فيه قليلاً أصبح لا يرضى سطوح الشراب ، وأن التعاون الثقافي والتضامن في الحياة العلمية أصبح هو الأساس الصالح المتين لكل ما نأمله من تقارب بين (د) .

وفي فصل الفكر العربي بين ماضيه وحاضره يصدر المؤلف بكلمة للباحث الانكليزي ويلز ، تدور على ان الفكر العربي جاء بشكل جديد وبصورة جديدة ، وأن اليوناني كان اباً للعلم فيما العربي وحل محله في هذه الابوة (ص ١) . وفي اثرها يذهب المؤلف فيحدثنا عن بداية الفكر العربي وكيف اشتد وتكامل بوقية سريعة مدعته من يكن منها بد ، فليس

في عصر هذا المارد العجيب ان يعيش حياة محدودة الافاق وهو كئيلة من عصف وقوفه من بركان . وقد تسنى له معها ان يطل ويصل على أنفس علماء بلاد الفكر الى عهد ان يونانياً او هندياً او فارسياً ، ومرعاً ١١ ، وحيداً في غميره ، وسرعان ما ذهب يفكر مستقلاً جامعاً عليه ميزة الخلق والممارسة ، فكان قوي الاشعاع قوي الاثر . وهكذا سجل العربي

نفسه ثورتين ، بدت احدهما في الفتح وبدت ثانيها في الفكر ، وهو في دور اخياريه لم يلق الوديعه المقدسة في غير مبالاة ابن تقع ، بل كما تسلمها نقيه من اليونان اسلمها بدوره نقيه الى ايد اخرى الى ايد اوروبية وجدت فيها حيويها من جديد . ثم استسلم الى نوم طويل بدأ بزياله شيئاً قبل منتصف القرن التاسع عشر ، معلناً انه يعود الى الحياة وفي ضم الحيوية المتفتحة . واخيراً يتسلم المؤلف هل يمس الفكر العربي اليوم ان يلب نفس الدور الذي لعبه بالاسم ، يد انه يقول وقد استسلم الى أمل ان جواب ذلك في ضمير الشباب الملهب اللوب والخلق والابداع (ص ١١-١٢) .

وفي فصل ابن خلدون والعرب يمرض المؤلف لكلمة العرب عنده ويستنهس مراده على انه اخبرنا يدينه بقسوة (ص ١٣-١٤) .

وفي فصل ثقافتنا العربية القديمة وكيف نعمل على احياها ، بعد ان ياتخص المؤلف الآراء الثابتية في انه هل كان هنالك من ثقافة عربية قديمة جذرية بهذا الاسم ، أم هي ثقافة شعوية اشترك في اقامتها بانها الفارسي قبل العربي والرومي قبل ابن الصحرار . يخفي في مناقشة هادئة لا بأس وبشعر الى كيف كانت ، وهذه النتيجة تتخلل به الى معالجة سؤال جديد وهو كيف نعمل على احياها . والمؤلف يورد طائفة من الآراء بهذا الصدد ولعل من خيرها ما اجاب به الأستاذ امين الرياني ، من ان عملية الاحياء هذه تتطلب عقد مؤتمر ثقافي عربي عام في مصر او في

الفكر العربي بين ماضيه وحاضره

للاستاذ سامي الكيالي - ٩٦ صفحة - مطبعة المعارف القاهرة .

جميل ان يبيح صدور هذا الكتاب والجهد العربي في كل مكان منصرفة الى تحقيق أكبر احلامها ، والى تدشين القاعدة الاولى والمختصرة في بنائية العرب القومية .

هذه الجهود التي تساهلها المعطيات المترجمة اليوم يجد أكيداً وتساندها بموازنة ، وقدما بتعزيز ، وتقرجاً في صدق وتشجيع ، كجانب من التفتت العالمي للمقبل الذي سوف تسوده الحرية المنورة ، وتحضر فيه كل الألوان التي هي من املاء الانسان الرجعي النهم ، وكل الاشكال التي رسمتها اتياب افضى الانانيات وتدقق فيها لعاجا .

وشاء الأستاذ المؤلف ان يرسل جهده في تلك الجهود ، فخرج ناحية الفكر لدى هذه المجموعة الانسانية من الجف ، وعلم هذا الفكر والتعلم الكبري التي حققتها التاريخ له وسجلها في تقدير ، وأني قدور المختبر الذي له واداه للتخير الانساني وزود به في كل احواله العقلية التي لن نقفنا مأثرة وغداة .

وهذا في نرى ضرورته كيشم العربي بأنه ليس حذافاً فقط مقامه ، وليس عاجزاً فقلبه واجبه في الشروع الانساني مع جهة الحياة الصاعدة ، وانا الذي بالغ في الاعتداد بالفكر حتى عدت الحياة نفسها ظاهرة فكرية في كتاب دستور العرب القومي وسلسلة في أهم ، أغتبط هذا اللون من البحث الذي يبت حائر اللغة بالنفس في منج التفكير وقيمة الذات في مذهب الادراك ، فنشط الى السامعة والمشاركة اللذين يحول دونها الاتكالي العقلي . وهذا لا يني الدعوة الى الاعتداد الاحق بل الاعتداد الهادي ، بوحي ، الذي هو الاداة الاولى لتجربة الاستقلال في الفكر والاداء الاخيرة للإبداع القيم في الاتاج .

وادع هذا الان جاني لاتناول الكتاب بالعرض والتعريف . . . هو وإن كان يحمل في العنوان وحدة موضوع ، فليس له تلك الوحدة حسن . وهو ان العنوان يراد به ما لا امتدادا لعلوان (١) الفصل الاول من فصوله . اما هو على حقيقته فيبحث عن الفكر العربي ، الى آخر

(١) أكثر اللغويين على ان اللوان يرادف العنوان واللام معاقبة للون ولكن وقت في كتاب المجمع او ادب الكتاب لابن درستوي على تريق حسن . وهو ان العنوان يراد به ما يوضع علامة على البحث كسم الكتاب مثلاً ، ينا اللوان يراد به كلمة التعريف بالوضع ويصدر جا البحث ، وعليه فاسم الكتب عناوين واسم الفصول عناوين .

ليتنا ، تبحث فيه نواحي هذه الثقافة ويقرر فيه ما ينبغي ان تقوم به كل حكومة لاجل احياء الصالح منها (ص ٢٧-٢٨)

وفي فصل البلديات عند العرب بحثنا عن ان البلدية من تعرف بلقها المذكور عديم ، بل عرف في جملة ما تعنيه كلمة (الحسبة) ، ثم يفيض بان المحتجب كانت تنسجعه سلطات ثلاث ، سلطة رئيس البلدية وسلطة مدير الشرطة وسلطة مدير الصحة ، وظل هذا النظام حتى اواخر القرن التاسع عشر ، حينئذ اُضحى الحال لنظام البلديات المتحول عن اوضاع الغرب . وشاء المؤلف ان يوقف القاري على شيء من اوضاع الحسبة وصلاحياتها ، فيستند على كتاب معالم القرية في احكام الحسبة لابن الاخوة القرشي المنشور بناية المشرق الانكليزي المستر روبرن ليوي اساذن الادب القاري في جامعة كمبرج . فيطرح بطائفة من نظم الشوارع ومساذا يتبع فيها من مثل طرح الكناسة ، وتبديد قشور البعيج بحيث يثوى من التلوث والقسوت ، وبطائفة اخرى من رسوم ارباب الدكاكين مثل على كل صاحب دكان ان يد زيرا ملوذا بالساء عند دكانه مخافة حدوث الحريق في مكان فلا يطفأ بسرعة ، وكان يلزم صاحب كل دكان تعليق قنديل على دكانه طول الليل . وهكذا الى آخر ما اشتمل عليه الكتاب ثم يخلص المؤلف الى نتيجة عامة ، وهي ان العرب عتوا بالعمران ونظافة المدن ولا عجب فيهم قد ورثوا مدينة الرومان واليونان واخذوا من الهند والفارس كل ما لديهم من ذوق وفن وصناعة وطرز حياة وصنوه باللون العربي (ص ٤١ - ٥٥)

وفي فصل موقف الشباب من النزعات التجديدية ، يبين اولاً ان عناصر التجديد تقوم في كل حضة حية على المبادئ الاثنية ، وهي ثورة العلم على الجهل وثورة الحرية على الظلم وثورة الحركة على الجوروث وثورة النظام على الفوضى وثورة الايمان على الوثنية وثورة الهدى على الضلال . وثانياً ان دعوة الشباب اليوم قاطبة على هضم حضارة العرب لفتح حضارة الشرق (ص ٥٥ - ٨٥) .

وفي فصل ايمان ، يصرح في فجة قاطمة بان شيئاً يورثا للوصول الى اهدافنا السامية وذلك هو الايمان في الوان التي هي الايمان بقضية الفكر والايمان بقضية الحب والايمان بقضية الحرية ، فهذا الذي رفع الغداس ليشروا رسالتهم السامية على الدنيا هو هو الذي يورثا في شخصتنا وفي عصرنا (ص ٩١ - ٩٦)

وانا بعد ذلك لا ادري بأي جوانب هذا الكتاب اكثر ممة واحساساً ، وبأي ألوانه اكثر لذة وتسووا . اصدق العاطفة المشوبة ام نبيل الباعث وسلامة التفكير ، وأحرى ان يكون جميعا اشترك وتوافق في ثمار هذا العجايب .

عبدالله العلايلي

علم الزباب

لايمر اللواء الدكتور فائق شاكراً - ٨٨ صفحة - ببنداد

كسب يبلغ عدد صفحاته مع الذبول ثمانية وثلاثين صفحة جمع مادته سعادة امير اللواء في الجيش العراقي الزميل الطبيب فائق شاكراً خرج منه

كما يخرج الكثيرون من الجاهل بما له وما عليه رغم كثرة المراجع التي نقل عنها والتي بلغ عددها اربعة عشر مرجعاً منها سبعة عربية وسبعة افرنجية والمتصفح لهذا الكتاب او الرسالة كما يريد جامعها ان يسحبها لا يستطلع بعد ان يتم قراءتها الا ان يشعر بنيل الغاية التي يتوخاها الزميل الكريم من نشر رسالته هذه ليعين هول الاضرار الفادحة التي يتربها الزباب في كل مرقف من مرافق الحياة احيانا مباشرة واحياناً بالواسطة . ومن يتصفح ما علة لنا المؤلف مما ذكرته كتب الادب عن الزباب يظن لاول مرة ، ان الرسالة رسالة ادب قصد منها تاحية الادب واذا ما فرغ مما اورده كتب الادب عن الزباب وقرأ ما كتبه التوراة وغيرها من الكتب البانوية . وكتب التاريخ عن الزباب ظن بان القصد منها تعريف الناس بتاريخ الزباب والوبلات التي ارسلها الله على اجنته ولكن سرعان ما يصطدم ما نقله لنا الامير الطيب من سرد انواع الزباب الكثيرة والتكلم عن اجناسه العديدة لم الاصطدام ثانية بذلك الشرع المستفيض الملل عن تكوينه وعن ألوانه واشكاله ووصافه وتركيب هيكله وادوار حياته وألوانه حتى اتى على الدقيق من هذه الاوصاف مما يذكره علماء الحيوان والحشرات وما يشون به موثقاهم التي نقل عنها الزميل الكريم والتي كلفت عددا منهم حياتهم في غزوهم هذا العالم - عالم الزباب - في عر داره عددا وضعا هذه المؤلفات عنه مما يكتب فقط الى الاطباء . وتلاحظ الطب هذا اذا ما اردنا ان نقرر هذه الشروح ودقيقها على ارباب الاختصاص وحدهم .

فالرسالة اذن عبارة عن محاولة اراد منها صاحبها ان يوجهها الى الطبيب والعلم والادب والمورخ ورجل الشارع مما جعله يثق في ما عائلته هذه اللهم الا فيما وجهه من التصانيع لكيفية الزباب مما نقله من « وصايا » رسول العلم العربي . فان كانت للطبيب فاطيب لديه من المراجع الاجل ما يري فيها وجب كانت للاديب فخراته الاديب محشوة بامثال الكتب التي عنها اخذ ولا كانت للمورخ فهذا ايضا لا يقدم وسيلة ينقل عنها كما نقل الزميل وان كانت للدهاء ورجل الشارع فهو كما في غنى عما قاله الجاحظ والدميري والفلسفي واضرارهم وعما قاله William Herman Hauch و Segny واثامهم وتكفبه وصايا ربول التي ألغسا اليها سابقاً .

ولقد راحتنا في الرسالة الامراض التي ينقلها الزباب والتي نقلها لنا المؤلف فربما فيها ما يخالف الواقع والعلم وانه لم يخرج الدقة المطلوبة في فصل الرسالة العلمي هذا فالطاعون الذي قال الطيب فيه ان الزبابية هي واسعة اخرى عدا عن البرغوث - وأي برغوث ?? - من وسائط نقله ليس للزبابية ضلع في نقشة من الرضى الى الاصحاء ونحن مع تأكيدنا برائة الزباب رجحنا الى ما كتبه عن الطاعون Dujardin Beaumetz من مؤسسة فوجدناه لا يذكر الزباب كعامل . نقال لجروثة Yersin لا في الطاعون الدمل ولا في الطاعون الزوي . وهب ان الزباب ينقل الجروثة بحسه دم مطعون الا ان دم المطعون لا يحتوي على جروثة المرض الا نادرا وبقدر ضئيل جدا لدلت الاختبارات والتجربات العلمية والفنية على انه مما لا يورث له الا عند الاحتضار والاسلمنا جدلاً وقتنا ان الزباب يقع على مواد معالونة كجيش الجراد مثلاً او على بياض مطعون برثية وينقل الجروثة الى المواد الغذائية فاعلينا ان نقل ما قاله Dujardin Beaumetz من انه من الصعب جدا وبكاد يكون ذلك مستحيلاً نقل العدوى بواسطة الجهاز الهضمي ويقول هذا العام

الاختصاص ان الذبابة كالبرغشة والقملة والبقعة تقدر ان تكون «وعاء»
 « Recipient » لدم مملون ولكنها لا تقدر ان تنقل المرض على
 الإطلاق اما البرغوث فهو العامل الوحيد الذي ينقل الجرثومة وليست كل
 البراثيت قايمة بهذا العمل فبرغوث الفئران مثلا ليس باستطاعته ان ينقل
 المرض وكذلك برغوث الحرة . اما البرغوث الذي بإمكانه ان ينقل
 الجرثومة من جرد مملون الى انسان سالم فهو الذي يعيش على الاشغين
 Pulex cheopis من جنس صئيرة اوردنا هنا ان تقذف الى حقيفة
 عليه وهي ان الذباب بري . من نقل جرثومة الطاعون وان العامل
 الوحيد هو البرغوث المسمى Pulex cheopis الذي امنا اليه سابقا
 وهناك نوع آخر له ضلع ضئيل في هذا الميدان لم نذكره لتدركه تدخله .
 والان ليسمح لنا الزميل الكريم ان تناقش بكل تواضع ما اراد ان
 يثبته من النظريات العلمية التي ظن انها وردت في حديث نحن نشك فيه
 شكنا كبيرا هذا اذا ما اعتدنا بانه من الاحاديث المدسوسة التي رواها
 كعب الاحبار مصدر الاسرائيليات والتي عنه روى ابو هريرة كل ما
 هو غريب من الاحاديث والتي انقرد وحده بها . وهذا الحديث الذي لا
 يقره العلم هو كما ورد في رسالة عالم الذباب هذه : « اذا وقع الذباب
 في شراب احدمك فيفسده فان في احد جناحيه داء وفي الاخرى شفاء » .
 اما ان المتعلق لا يقره فقد كان الاول باصحاب النبي وزوجاته عليهم
 السلام ان يرووا هذا الحديث قبل ان يرويه ابو هريرة رضي الله عنهما
 (ص) اتاحت له ظروفه الجلوس على الاكل مع اصحابه وذويجته
 اكثر مما اتاحت لابي هريرة فحين كنا نغف مكردين في نهي هذا
 الحديث اذا ما كانت روته لنا احدى زوجاته رضي الله عنهن فحين فطن
 اكثر اوقات طعامه ومن البديهي ان يصرح به قبل ان يروي خبره
 كما ان الذوق السليم يابى علينا ان نصدق هذا الحديث فهذا لا يحتاج
 الى كثير من المناقشة فالزميل يقول « انما قد اوردنا في هذا الحديث
 قسما من الايمان لا يتم ايمان المرء الا اذا تمت ثقافته بعيد عن ان يقول مثل
 هذا الحديث والرجل الذي يقول ان الطيب هو واحد من ثلاثته حيث اليه
 في دنياه هذه لا يغل ان يكون غلط ذبابة في شرابه ومقت عليه
 وفوق كل هذا رواية ضعيفة موضوعة جدا وما نحن نقول ما اورد في
 هذا الصدد في الجزء السادس من مجلة المنار للطبيب الزميل محمد توفيق
 صديقي عندما ذكر الذباب واضراره في محاضراته الطبية الاسلامية العلمية
 اذ قال : « اما ما رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال :
 « اذا وقع الذباب في اناء احدمك فيفسده كله ثم ليطرحه فان في احد
 اجنحه شفاء وفي الاخر داء » . فهذا الحديث مسك وان كان سنده
 صحيحا فك في الصحيحين من احاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة
 فيها كحديث « خلق الله للتربة يوم السبت » مثلا وغيره مما ذكره
 المحققون ، وك فيهما من احاديث لم يأخذ بها الاثمة في مذهبهم قلبي
 وروى هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على ان النبي (ص) قاله
 بلفظه من منافاته للعلم وعدم امكان تأويله على ان مضمونه يتناقض حديث
 ابي هريرة وبسببه وهو ان النبي سئل عن الفأرة تقع في السن فقال :
 « اذا كان جالدا فاطرحوها وما حولها وكولا البقي » وان كان ذاتيا
 فأترقبوه ولا تقربوه » فالذي يقول ذلك لا يبيع اكل النبي . اذا وقع
 فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفئران عظيم من قال ومب ان
 الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم ان المسلم لا يحل عليه الاخذ بكلام
 الانبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع بل الواجب عليه

ان يحصا ويصيرها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها اخذ بها
 والا علم احدا ما قاله الانبياء عليهم السلام بحسب رايهم ولم يجوز عليهم
 الخطأ في مثل ذلك » . انتهى ما اوردته الدكتور محمد توفيق صديقي في
 مجلة المنار مما يدور حول هذا الموضوع ثم اورد لنا شيئا من تاريخ حياة
 ابي هريرة مما يجعل الحديث لهذه الاسباب وللاسباب الاخرى التي ذكرناها
 سابقا ضعفا جدا نيل لضمة هذه ان تعتبره من الاحاديث المدسوسة التي
 لم نقلها التي قال :

اسلم رضي الله عنه سنة (٧٢) هجرية فصحب النبي ثلاث سنين ولم
 يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه انه كان كثير النسيان فقص
 له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان فقيرا اكلولا يعلم
 كل يومين من بيت النبي او من بيت اصحابه فكان يجب ان يتودد
 الى الناس ويسلمهم بكثرة التحديث والانقلاب في القول ليشد صلبهم اليه
 ورجانا ممنا بالصرح - كما يستفاد من بعض الروايات الواردة في
 ترجمته - والصراع مرض مشهور عند الابطباء يورث ضعف العقل او
 الجنون .

روى بعد وفاة رسول الله (ص) حديثا حتى ضج منه كبار
 الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثرة حديثه ، وقالت له عائشة رضي
 الله عنها : « انك تحدث بشيء ما سمعته »

وروي ابن عساکر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر
 بن الخطاب يقول لابي هريرة : « لتتروكن الحديث عن رسول الله او
 لاحتلك بأرض دوس » وما روى عنه انه قال « لتحدثنك باحاديث
 لم تروى مني » من غير ان الخطاب لعرضي عن بالذرة » يعني بالوسط
 وروى المصنف في الكبير عنه انه قال : قال رسول الله : « اذا لم
 تعلموا حراما ولا حلالا ولا حلالا ولا حراما واصبرتم فلا بأس » وقال ايضا :
 « من روى حديثي عن رجل منكم فقلت له انك قلت » كما رواه ابن عساکر في تاريخه
 عنه مع ان المروي بالنواتير عن رسول الله انه قال : « من كذب علي
 متعمدا فليقبوا مقدمه في النار » رواه مثان من الصحابة وهو بناتي مما
 قاله ابو هريرة وهذا الحديث اضطر عمر لتدكيره به حين بليت كثرة
 حديثه « ومن جملة ما علم صاحب المنار رحمه الله على هذه النبهة التاريخية
 يصدد الكلام على ابي هريرة قوله : « اول سهل الحكم فيما روي عنه من
 المشكلات التي انقرد بها الا اذا جمت واحصيت اسانيدنا وكان يروي
 عن كعب الاحبار مصدر الغراب الاسرائيلية الكثيرة الخ... اما العلم
 الذي استندت زيمنا المؤلف الى نظرية نطريشة شاعت في تثبت نظرية معجزة
 من معجزات الرسول (ص) فهو براء من هذه النظرية ، التي شغلت العلماء
 وقتا ليس باليسير والتي لم تثبت امام التجربة والعلم والتدقيق ولذلك
 لم يؤخذ بها نظرية مفترسات الجرائم للدكتور Dr Herelle لا كما
 ورد اسمه في الرسالة (Derale) نظرية شاعت في تثبت نظرية لاهما
 كما قلنا لم تثبت التجربة ولم تصلح للعلم بل فحين نذكر انه في سنة
 ١٩٢٩ عندما عقد اول اجتماع علمي للجراثيم في باريس وكنا احد اعضائه
 حاجم الدكتور الاناثات Boretel زميل Dr Herelle مهاجمة عنيفة
 بسدد هذه النظرية كما حاجم الكثير من العلماء الجرماء والانتكروا الانبياء
 ونذكر ايضا اننا عندما كنا في المصاحبة الكونية السودانية في سنة ١٩٢٧
 في الخرطوم استمعنا لباكتريوفاج - أي مفرس الميكروب - لمعالجة
 (الرحا والباسي) Bacillary Dysentery وهو من تحضير Dr Herelle

نفسه فلم يأثنا بنتيجة فغفاه ورجعنا إلى العلاجات التي أثبت التجارب صحتها إلا وهي الأسماك المختلفة .

وهنا نحب ان نورد ما قاله الأستاذ العالم Dujardin

Beaurmetz في حديثه عن الذباب وهو يحدّثنا منه في كتابته عن مرض الكوليرا « ان كل وعاء تسقط فيه ذبابة ينجب ان يمرض فيه حاله » فهل بعد هذا يتردد احدنا في الاعتقاد بان هذا الحديث من الاحاديث المدسوسة ؟ اما اسلوب هذه الرسالة عموماً فهو « اسلوب سرد الحقائق » وهو الاسلوب العلمي ولكن فيه ضعف شديد في التركيب اللغوي لعلية الرطانة (التركية) واللجة العامية عن المؤلف . ولا شك في ان ضعف الاسلوب في هذا الكتاب عينه يحول دون ابراز الحقائق العلمية في صورها الحقيقية ثم هو لا يغري القاري باستمرار المطالعة وخصوصاً اذا علمنا ان هذا الكتاب لم يوضع للاطلاع والملا، واهل الاختصاص كل على حده واما وضعهم فم كلهم وتلغيف الناس وتربيتهم شر الذباب وطرق الوقاية منه ولهذا كان الكتاب اخرج الى اسلوب جذاب متين .

الدكتور محمد خير النوري

من مؤسسة باستور بياريز ومؤسسة كوخ بيزين ومعهد الاقاليم الحارثة ببارنورغ

هس المحفورة

مجموعة شعرية للاستاذ ميخائيل نعيمة ، نشرته مكتبة صادر ببيروت

اخى الاستاذ نعيمه

أتذكر اذا فاجأك لك شاطئ ، ضربه الجلاله كذا وكذا وتراى
الاشجار من ربيع الحياة وانت كخلائف بين يديه ، فالتفت الي- وقلت لي
شيئاً الى النهر :

« انه كما ترى قد هزم فخطفت صوته وخار مزجه فوقف يستجم .
لقد ماتت حياله ايكي واذكر ضحكك على ضفافه ايان كنت اردته
وهو يرق الطير لحنه ويبعث على الشجر وشيه .

لقد ماتت هذا النهر افا ترى هذه الاكفان البيض كيف اشتعلت
عليه وفانان الشجر كيف تترت على شفتيه ؟؟

لا ، لا ، لا ، لم يمت ولكنه يستجم ويبعد ريمه ويحيط عنه بـ الجليد

الجامح على صدره فيطلق حرا الى البحر

مصدره الاول حاندا اليه اسرار الليل .

متعود يا نهرى الخبيث طاق الحجا

شرقى القنبان يداعيك النسيم الرطب

وتفتق في قلبك نجوم السماء

سيبالك البدر امامك وتيسم الشمس

للهز حوالت وتحتف العنادل بالصبح

على ضفافك

ان لك مثالا بين جنبي ارجا النهر :

قلبا يضحك للربيع ونوح في كفا

توجع فيك ذكريات الاسب وآمال الغد

حتى اذا انقلع عـب الحياة جمد جهودك

وركد ركودك

على انك جمدت لتتحرك وركدت لتفرسك وقد جمد هو ليغيب

وركد ليتلاشي

أواه يا نهرى المحبوب أنشيب وعزم ثم تعود الى شياك ويشيب قلبي

ويجزم ثم يتلاشي وانك بريك وينته انزاعها آخر الامر ؟؟ (١)

والثفت الي تشعبي مبلغ مشورك ، فيقلت لك عبدا تدوين هذه الفكرة
شعرا متشورا في قصصك او حكمة في « مراحلك »

أتذكر ذلك يا استاذ ونغن في عالم غبطة لا حلم ؟؟

أوتذكر يا ميخائيل اذ التفتيت وانت تحيط صنيك الى « شخرويك »

مهيئ الحكمة وانت صامت مفكر فقلت لك ماذا يا استاذ ؟؟ فقلت لي
فكرة عرضت فاصببت اليك والشجر الشامخ حولك صنف ياورقه
ايه ... ورجعت تنثر :

« ساني يدرك كاسه ، وملحن يهرك وتره ، ومتفرق يتقطب في قصره ،

وفائد يبيك الله ، ومتر يبسد كنوزه ، وكاهن يبشر وينذر ، وزهرة

تتمسك بين الاشواك .

فيا ساني الجلس ! انا لست منهم وان ايت الامن كاسي فآتمرها

من حضارة قاي

ويا مرحل الاخلاق لا تحب اطراقي هياماً بلحنك ولكني اصني الى

نفسى يوقف الفكر على اوتارها لمن الوجود

ويا ساكن العصر اغتبط في قصرك المحفوف بالعلم ولا تحسب اعراضى

فلك حيدرك ولكي في قصره ينته الافكار وزعرته الاحلام

ويا جلساً بين القبول الموحش يبيك الله ، غدا سوف نساءه ولكن

في كل حين يغدا ويغدا في اذنه فأبلى وذكره يتجدد بتجدد الايام

ويا جامع الكتور لا يري في الحياة الا لون الفضة والمسجد ، لا تحسب

تسوقي اليك غبطة لك فان في من حياتي لوأنا لا تراه عينك ولا يفتق له

قلبك

ويا حامل الانجيل ينذر بالعقاب يوم الحساب ، لا تحسب اعراضى

عنك هزا . بك فان لي من ضميري حنة تترق وجعاً يحرق فدعني ومسا

يشتمل عليه قاي من غير »

« وبا زمره ضاعت بين الاشواك فدل عليها البعير ، هل تدرك الاشواك

ان الذي ضحك الاثاق هو عرك الشائع ؟؟

كلا ولو ادر كنت ذلك لكنت

مثلك زاهية اللون ذكية العرف » (٣)

والثفت لي اذ ذاك تقول : كيف

ترى ؟؟ فقلت لك حبيذا هو شعرا بالغ

الامر على ان لا تشوهه بالورق واللقافية

فا اشرك في « العاقر » واحسبك في

« وجوهك الثلاثة »

أتذكر ذلك ونغن في عالم حقيقة

(١) خلاصة قصيدة « النهر المتجدد »

(٢) خلاصة قصيدته « لو تدرك

الاشواك »

صدر كتاب

اقوى من الموت

بقلم الاديب العالمي ايليا اهرنبروغ

يطلب من ادارة مجلة الطريق ومن جميع المكتبات
وثقته ليرتابن ل . س .

لا خيال ??

أو تذكر بعد ذلك وانت على شاطئ. نيويورك لا غد بصرك المرياضه
وغياضه ولكنك تنطلق الى مرقد الجاهم وعشمه بني. لا يفهمه منك الا
المرج الصاحب والشجر الباسق ، واذ اصرني شاعت في وجهك ابتسامه
السخر من الحياة فقلت لك مه يا استاذ اقتشامد وجمال الحياة مل سمعتك
وبصرك؟؟ فقلت لي اسمع ورحمت تحاطب الجاهم في الاراس :

« حدثني يا جاهم عن القلوب، وهي كل الحياة كيف كانت بالامس تفيض
حياً ونبضاً ، وتفيض إيماناً وشكاً ، وكيف حالت اليوم تراباً ألهه فلا
احس فيه حرارة الحب ، واصني اليه فلا اسمع شكوى الساب
فهل تحولت الاشواق الى بروق والدموع الى سحب
وعود والاماني الى ضباب ??

ام هل التراب عاد تراباً والسراب آل سراباً !!

حدثني ايها الجاهم !! عن جمال الحدود كيف كانت جمالي للاعين
وبهاجج للانفس ، تنذهب بأباب النساك ، فتفرغ حولها الصدور ويهرق
فوقها البخور ، وكيف سارت جيفة ينشأ الدود وتقتل عليها الحشرات؟
حدثني يا جاهم الاسلاف عن نفخة جملت آدم حياً وكان جادا ،
كيف ارتنا بصيما من النور فردنا محي ، وأعلتنا قطرة من العلم فردنا
جهالة ؟

واين استقرت تلك النفخة بعد ان ثلاث الجيوم؟ ألي مصدر الحاني
عادت جميعها ، ام عادت الى مصدرها الاول اذ كانت هواه فادت
هواه ؟ (1)

ولتفت الي يا صاح تستديني فكرا فقلت حبك لا احيا احيا
اليك من العفل فلا تنيد به الروح . فلم يكن جمال النين ليذكر بالقل
ولكنه يلين باروح فعد الى مرادك وقصصك فا اشرك في « الداف »
واحبك في « الوجوه الثلاثة »
أنتذكر اذ ذاك ونحن بين اليقظة والحلم من عالم الشعر ؟

أوتذكر آخر لحظة جمعتي بك على ضفاف البحيرة بحيرة ليزيدبارك
وانت تمدني الى اتي حافل بالفتية والفتيات وقد اسر نظرك وجه فاتن
فوقفت عليه نحن وخمس :

« انا السر الذي كمن فيك اذ قال لك الله كوني بشرا من تراب ،
والشبح الذي خفق في قلبك قبل انشاق الشمس ، والدعم الذي صل
نيك قبل ان ترى الالام ، والمهد الذي ضحك قبل ان يفرشك
القدر زهر السرور وحسك الغم »

« انا في ليك القمر وفي صفوك الكدر وفي نواحك القضاء وفي
زنادك الشرر ، انا شكواك وغواك وبلاوك وسلواك

انا قيس فكرك وذيبول جفنيك وعذوبة احلامك وندى الطهر للماطر
في اكمامك قبل ان تنفتح عن زهر الصبا النض
وانت معنى اللفظ الذي كتبه والسر الذي شمله والامل الذي حلته
والكأس الذي تعلم على شفتي منذ تذوق الحياة ، فهايت يدا وهات يدا ثم
قولي لحولاء الناس : كنا معاً منذ الازل وسنبقي معاً الى الابد » (2)
او تذكر تلك اللحظة وانتم في شعر بي حتي ادبت رسالتك واذ

رأيتي زال وجوهك وعادت اليك تلك الابتسامه الحلوة المرة ثم قلت لي
ألا ترل تنأثرني هناك وهنا ؟ فقلت اجل أولست وياك من عبيد هذه
الايوام ؟ فقهيت وقلت كيف ترى ؟

فاجبتك اخا ورائع لي ان تكون حرة مثلك لا يحسك صني تحت
جليده ولا يفرغين ضلالها المتحدرة من قلب الناء .

أنتذكر كل ذلك يا ميكائيل وهل نحن اذ ذاك في عالم بقطة ام عالم
خيال ... ؟

ما ادري يا اخي غير اني افهم من الشعر خلاف ما يفهمه الناس .
انهم يهيمون منه : فكرة بلبسا لفظ موزون مقفي ، وليكن صاحب
الفكرة بعد ذلك كما يحب فانه الشاعر .

ألا تفهم معي يا استاذ ان في الشعر معنى غير الفكرة واللفظ
والموسيقى ؟

ألا تعود معي الى سفع صني او حداثك نيويورك فتدعي على مسمي
قولك :

تنأثري تنأثري يا حجة النظر
يا قرص الشمس وبا
يا رغن الليل وبا
يا رن فكر حائر
وذكر مجد غابر
تنأثري تنأثري ...

ثم تفني بعد ذلك عن شرحي ما أملت لك في فهم الشعر وانه اسبي
من سوء الفكرة واللفظ والغاية والوزن ؟

اخي ميكائيل
لقد جئت بك في « الداف » شاعرا وفي « الوجوه الثلاثة » حكما
أولت ان ترى جوتي يسي الجفون اذ تقول :

ارسل طرقي بين النجوم
وقلت علي
قطاف طرقي بين النجوم
ولم يشاهد
سوى هومي

واذ تقول :

لا رأيت الناس قد اضرمو
للجل نيرانا لكي يهرقوه
ويشيدوا عرشا رفع الذرى
وهيكل العلم كي يسدوه
وضعت اشيائي على راحتي
وقلت ها جهلي الا فائتوه
فاجلسوا عثلي على عرشهم
وحرقوا الايمان لم يرحموه
أفقتل هذا الشعر هو عين قاتل « تنأثري تنأثري » يا ميكائيل ؟

انا لا اعتقد ذلك ، فان في كتابك هذا قصائد تكاد تفتني دلي الجيد
فيه ، اشد انها من قبلك ولعل لسانك لم يبرحها وقيلت لم يكنها ولكنها
من وضع هؤلاء الكتبة الذين يريدون ان يوهوا الناس ان الشعر
مداد مختلف الالوان على ورق ايض صلب ويفتلون عن انه لون لا تراه
الا الروح ولا يشر به الا القلب
فعد الى كتابك وحدد فيك فيه ثم عد الى قلبك فاستنشد قطعة

اخرى الى جنب قولك :

ان رأيت البحر يفتني الموج فيه ويثور
او سمعت البحر يبي عند اقدام الصخور

(1) خلاصة قصيدته « بين الجاهم »

(2) خلاصة قصيدته « M. E. D. الى »

الشيء. ونحوه، ولكن الدكتور الهاشمي عندما يأتي هذا التشبيه يحيل الفارابي بعد ذلك إلى الهاشمي الذي يقول له : راجع سورة الكهف من القرآن (الذي) نسخ منها توفيق الحكيم روايته المشهورة ...!

ولو كان هذا التكليف في الاستشهاد أتبته المؤلف في مواضع أخرى أشد من هذا الموضوع حاجة إليه وضرورة ، ربما كان مقبولاً منه ، ولكنه بينما يذكرنا المصدر في كلام عارض ليس من صميم البحث ثم يرفسورة الكهف بمرجع توفيق الحكيم ... ألا به يفوت أن يدل على مصادره التناقض الهامة عندما يقول : « في السنين الأولى من العهد العباسي أنشأت الحكومة معملًا للورق في سمرقند ، وربما كان يدار هذا المعمل من عمال صينيين » . فالخروج مجهول والتحديد مفقود : في السنين الأولى ، وهي ههنا ينطوي تحتها عدد لا يحصى ، ثم كلمة « ربما » بدون أن يستدل على أساس علمي يؤيد هذا الترجيح ...

ومن أمثلة الكلام الملتصق بدون اعتدال على مصدر علمي قوله ص ٤١ : يذكر القدماء بفخر زائد الآلات الكيسانية والأدوات الزراعية وعدد الري المستعملة أثناء فني خزائن أوروبا مخطوطات عربية عديدة تبحث عن السموم والعقاقير وعن صنع الفولاذ والمخزف والزجاج والمنسوجات على اختلافها وكذلك باقي الصناعات » .

ولا يذكر الفارابي يصل إلى نصاية هذه الجملة حتى يشاهد : من م هؤلاء الكتاب القدماء ؟ ومن أي عصر هم على الأقل ؟ وما هي هذه الآلات الكيسانية التي يذكرها بفخر زائد ؟ وما هي المخطوطات العربية التي تبحث عن السموم والعقاقير ... ومن موهلها ؟ بل في أي الخرائط من خرائط أوروبا توجد ؟ هذه بعض الاسئلة التي تقضي بما نفس الفارابي . عندما يقول أنه الفقرة ، ويطين أن الرقم الذي يفتح المؤلف في هذه الفقرة يعود إلى أوروبا عن بعض تلك الاسئلة ، فإذا ما انتقل مع الرقم إلى الحاشية وجد : أن المؤلف يقوم الآن بدراسة خرف سامراء . وستمتاز دراسته بكثرة ... من الابتكار والتجليل والمفارقة ...!

ومن مظاهر النصيب اليزيدة في هذه الرسالة بعض الاضطراب في بحث بعض فصولها ، إذ يبدأ المؤلف في ميدان ويتبع في ميدان آخر ، والمشكلة لمحل أن لم تردد تقدماء ... فندما يتحدث عن المثل الأعلى في الفلسفة يرى أولاً أنه البحث عن الحقيقة ، هذا الهدف الذي يتخذ كل من يدرس الفلسفة ، ثم يتبع إلى أن دراستنا للفلسفة لم تكتمل بعد وقد بحثها المشتشرقون أكثر منا ويعبر عن هذا الكلام ... ويترك الفارابي . وعلى وجه مبرر وفي نفسه علامات استهسا . ؟ لولا أن يذكر هذا الفارابي أن المؤلف بدأ رسائله بقوله : « لا أضع في حل مشاكلنا بل بأناخا » وخشياً بقوله : « يمكن من أن أوفي الموضوعه لشعبه وترامي اطرافه واني ادرى الناس بمواضع الضعف فيه » . وعلى الرغم مما في هذا الكلام من التواضع المرغوب فإن نصيب الحقيقة فيه وافر .

ومما يحق للمؤلف أن يختلف مع الفارابي في آراءه يبدعها في صلب الموضوع ، وإن يتجه الوجهة التي يريدها أو التي اوصلتها إليها دراسته في فهم المثل العليا في مقومات الحضارة ، إلا أن الفارابي لا يجد بدا من الإشارة إلى بعض الأخطاء التي تتعرضه وليس أسهل من تصحيحها . بقيل من النهاية والانتباه : يذكر المؤلف « ابن العربي » ويقتصد ابن عربي - بدون آل التعريف - صاحب الفتوحات المكية ، وقرن بين ابن العربي أي أبو بكر المحدث المشهور ، وبين ابن عربي المتصوف الكبير .

ترقي الموج إلى أن يحبس الموج هديره وتنساجي البحر حتى يسبح البحر زفيره راجعاً منك إليه هل من الأمواج جثت ؟

واسمح لي أن أفسح في أفنك بعد هذه الذكريات : أن الدود في الشعر يفعل فعله في الأجسام فأ بالك تنعمده في كل قصيدة وأن الشعر الفلسفي ليس قاصراً على فكرة الشوهم حتى تلبسها روح كروح المري .

والشعر الرفاعي ليس قاصراً على فكرة القول بوحدة الوجود حتى تتغلغل فيها روح الفائق :

ومن عجب أبي إسن إليهم وأسأل عنهم من لغيت وهم يمي وتظلمهم عيني وهم في سوادها ويشاققهم قلبي وهم بين اضلعي

الحوماني

المثل الأعلى في الحضارة العربية

للدكتور محمد يحيى الهاشمي - ٥٥ صفحة - حلب

رسالة صغيرة الحجم ، خطيرة الموضوع ، ألغت مختصرة في دار الأرقم جلب ثم نشرت مع بعض التبديلات والإضافات ، وربما كان هذا العنوان « المثل الأعلى في الحضارة العربية » لا يتفق قليلاً على أواخر البحث ومجاليه ، فالبحث يتناول المثل الأعلى في بعض نواحي الفكر عند العرب كالادب والفن والفلسفة والدين والتصوف والمعلم . وهذا هو الجانب الفكري من الحضارة العربية .

ويتنوع المثل الأعلى ، أو المثل العليا على الأصح ، عند المؤلف ، فهو في الدين السامع ، وفي الفلسفة البحث عن الحقيقة ، وفي الادب البطولة الحكيمة وفي بعض الفنون ، كالغناء مثلاً ، العذوبة عن الكون والاتصال الخفي بالمسكوت العالي ، إلى ما هنالك من مثل عليا تختلف باختلاف الموضوعات . ويمن المؤلف رسالته بفضل عن حضارة العرب كمثل أعلى وكلمة عن وضعنا الحاضر .

ومن ميزات هذه الدراسة البحث العلمي المدعم بالادلة ، وقد قال الناشر عن الدكتور الهاشمي بأن « كل ما يقوله يدعاه بإبراهيم فيدل ذلك على مصادره لكي لا يتعبه على العمياء بل ينير لك الطريق لتسير حراً طليقاً » ولكن هذا ليس شيئاً جديداً ، فالاستناد إلى الإبراهيم أقل مما يتطلبه البحث العلمي الذي ينبغي أن يتصف به كل باحث ، وخاصة أولئك الذين يتصدون للبحث عن حضارات غمت إلى أمهم بسبب . ولكننا لا نؤخذ الناشر فهو نفسه يعترف عندما يقول : « أنا لست من العلماء ولا من الأدباء . ولكني بكل جوارحي محب للعلم والأدب ... »

وحرص المؤلف على ذكر المصادر ، مراعيًا للسنج العلمي في البحث ، بلغ مدى بعيداً من الدقة والتدقيق ، فهو يصف حالنا بأنا شيء « بحال أهل الكهف الذين ناموا سنيين عديدة » وهذا تشبيه تقليدي سائر يعرفه أي قارئ . ويجري على لسان كل متكلم عندما يريد أن يظل في تشبيه محمود

الى القراء

★

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الخارج :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الادب التي تصدر خلال السنة .

- الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

- احتفظت الادارة بعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزئين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثن الجزر ليرة واحدة

- الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية ب ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة ، وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجزر الاول والثاني من السنة الاولى . والثاني والثالث من السنة الثانية .

- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الادب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الادارة

اما الاخطاء النحوية فأوسع من ان يحاط بها وأكثر من ان تحصى وقد كنا نود ان ينشر عنها كتاب كهذا يدعو الى العروبة بأدبها وعلماها وفنونها ولغتها ، ولا يحتاج الدكتور الهاشمي ، وهو استاذ في تمييز حلب أكثر من ان يكلف احد تلايذه فيقيم له سجل الكتاب ويخرجها عربة ناصعة ، بعيدة عن اللحن والمطأ . وما أكثر ما يلتوي التركيب في « الاسماء الموصولة » في الجملة فيؤث في موضع التذكير ، او يذكر حيث يجب التانيث . مثل قوله في ص ٣ راجع سورة الكهف من القرآن (الذي) نسج منها توفيق الحكيم روايته المشهورة . او قوله في ص ١٠ : « ذلك التي (التي) تظهر حياته كما يقول البجاعة (المستشرقين) على ضوء التاريخ ...

وما اظن انني بحاجة بعد ذلك الى الوقوف امام بنية هذه الاخطاء التافهة ، او الى اثبات المراجع التي رفع فيها اسم ان ص ٦ او اسم لكن ص ١٠ او رفع المفعول به كما في ص ٢٦ ، الى آخر ما في الكتاب من اخطاء لغوية وغوية يدرسها الفارسي . ولا يصحها جدول التصويبات في آخر الكتاب .

وعلى الرغم من كل ما ذكرت لا بد لكل قارئ من ان يعجب اشد الاعجاب ببعض الفصول ، وخاصة ذلك الفصل المتع - المعلوم الايجابية - الذي يحول فيه الدكتور الهاشمي جولة موفقة لينة . وهذا الاعجاب يدعو الى ان نرجو المؤلف ان يزيدنا من هذه الموضوعات التي يمتص فيها كما عودنا في بعض ما كتب ويكتب في « الادب » او « الحديث » .

بهي

★

الامارات البت

للدكتور داهش - ٣٢ صفحة - مزينة بالرسوم بريشة الاستاذ قيسر الجليل مطابع صادر - ريجاني بيروت

الالهام الست ثالث كتاب ينشره الدكتور داهش بعد كتابيه « ضجة الموت » و « الكليات » .

ولعل خير ما نعرف به هذا الكتاب الى القراء ان نقل اليهم المقدمة التي قدم بها الاستاذ حلم دموس قال :

ان جميع كتابات الدكتور داهش تجدها مشبعة بالآلام النفسية مفعمة بروح الامي ، فياضة بالبركات المرمية ، جياشة بالكتابة الصارخة زخارة بالانتراج المضنية . وهذا ما يدعو الى الغرابة والقساويل اذ انه ما يزال في مقتل العمر وعضوان الصبا ولكنهما في الوقت نفسه عميقة جبارة عتيقة بارة ، فانك تنلمس بين السطور روحه المتسردة المثارة على هذا الكون وما يحويه ، وعدم اطمئنانه لاي مخلوق فوق هذه الارض كما انه توجد له اكرام غريبة في هذه الحياة ، يدر ان يتطلع عليها القراء .

وقد اهدى المؤلف كتابه الاثني هذا « الى الخفيفة المتبوءة النائية في صحراء هذا العالم التامس الغاسد ! »

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

برلين ٢٥ أيلول - جلا الألمان عن مدينتي سمولنسك وروسلاف.

بيروت - كلف فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية حشرة النائب رياض بك الصلح بتأليف الوزارة اللبنانية ، وقد أُلْهِمَ على الشكل التالي : رياض بك الصلح لل رئاسة المالية ، الأستاذ حبيب أبو شله للنائبه الرئاسة والمالية والتربية الوطنية ، الأستاذ سليم تقلال للخارجية والأشغال العامة ، الأمير مجيد إرسلان للزراعة والصحة والدفاع ، الأستاذ كميل شمعون للدخالية والبرق والبريد ، الأستاذ عادل شعيران للتسوين والتجارة والصناعة .

لندن ٢٨ - استولى الجيش الثامن على فوجيا في جنوب شرقي إيطاليا بعد أن قاتل الألمان قتالاً شديداً وانزل بهم خسائر فادحة .

لندن ١ تشرين الاول - سقطت نابولي في أيدي الحلفاء . بعد أن اخلاها الألمان ، وكان جل القوات التي دخلتها إنكليزية . ونابولي أكبر مدينة في جنوب

إيطاليا وأهم ميناء في البحر المتوسط ومن أجل بلاد العالم وإعرافها في التاريخ وقد تركها الألمان وقد خضع عليها الحراب والدمار من أعمال التدمير التي

ارتكبوها فيها . لندن ٣ - استولى الجيش الخامس على فينيتو ، ودخلت قوات أخرى بريطانية ببنفتو على بعد ٣٥ ميلاً شمال شرقي نابولي .

سيدني - استولى جنود الفرقة التاسعة الأسترالية على فيشافين وتلقوا على كل مقاومة منظمة إبداء اليابانيون فأصبحت المنطقة كلها في أيدي الحلفاء .

واشنطن ٤ - وصل إلى العاصمة الأميركية صاحب السمو الأمير فيصل بنجل جلالة الملك ابن سعود يرافقه أخوه الأمير خالد والشيخ حافظ وهبه

مفوض الحكومة العربية السورية في لندن والشيخ إبراهيم السلطان سكرتير الأمير الخاص . وقد حلوا جميع ضيوفاً على الحكومة الأميركية .

برلين ٦ - جاء في البلاغ الألماني أن قوات الرينخ اضطرت إلى إخلاء شبه جزيرة تامان . لندن ٥ - أقت القوات الفرنسية تطهير جزيرة كورسيكا

من الألمان بعد قتال استمر ١٤ يوماً . ستوكهولم - ضمت الماططات الإيطالية الثلاث بولانو وتراتي وبلينو إلى ألمانيا . الجزائر - احتلت قوات

الجيش الخامس مدينة مونت ساركيو . غربي مدينة تقع على عشرة أميال غربي بنفتو على الطريق الرئيسي المؤدي إلى كابو المدينة التي تطل على خط خر

القولترنو . الجزائر ٦ - احتلت القوات الحليفة في إيطاليا مدينة أنترسا ومادالي في بصيرت عناصر من الجيش الخامس خر فولتورنو .

بيروت ٧ - اجتمع مجلس النواب اللبناني للاستماع إلى البيان الوزاري الذي قدّمته وزارة دولة رياض بك الصلح ، فتلا رئيس الوزارة البيان ، وقد

طالبت الحكومة فيه بتعديل الدستور وجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وتمهتد بتنظيم الحكم الوطني وحددت فيه علاقة لبنان ببقية الدول العربية

وبدول الحلفاء . وضعت مشروعاً تشريعياً عاماً يتناول جميع مراقي الدولة ويتفق مع المبدأ الجديد ، عبد الاستقلال والسيادة الوطنية والعزة القومية . وبعد

مناقشات لبعض النواب حول بعض مواد البيان الوزاري جرى الاقتراح على اللغة ثلاث الوزارة اللغة بالاجماع .

موسكو ٨ - هاجمت تشكيلات روسية المستعبدات الألمانية التي تحمي القسم الجنوبي الغربي من شبه جزيرة تامان . وقد احتل الروس فضلاً عن

مدينة تامان مرفأ سيبوتكو . ملبورن - جلبت القوات اليابانية ١٥٠٠ فيل ١٠٠٠ و١٠٠٠ جنود من جزيرة كولونغاندارا .

بغداد - انتهت الانتخابات البرلمانية في العراق . وقد استقال من الوزارة صالح بك جبر وجلال بك بآبان ونصرت بك القاسبي . وقد عين عبدالله

بك القصاب وزيراً للدخالية وتولى عبد الله حافظ - وزارة المعارف وتمسحين بك العسكري وزير المواصلات ووزارة الخارجية بالوكالة .

بنداد ١٠ - احتفل بإنتخاب البرلمان العراقي ، وقد اقتصر خطاب العرش على بحث الدستور المراقي الجديد المنقح عن قانون الانتخابات الجديد . وجرى

انتخاب رئيس المجلس ففاز بالرئاسة حمدي بك الباجهجي رئيس السابق . القاهرة ١١ - بدأت المشاورات الثلاثة للوحدة العربية في قصر انطونيداس

في الإسكندرية بين رفعة مصطفى النحاس باشا وبين الشيخ يوسف ياسين سكرتير جلاله الملك عبد العزيز آل سعود والقائم بأعمال وزارة الخارجية .

لندن ١٢ - أعلن المؤتمر تشرشل في مجلس العموم أن البرتغال قررت منح بريطانيا بعض التسهيلات في جزر « أسورس » لتأمين الملاحة البريطانية في

شال الاطلانطيك وعقدت معها اتفاقاً يحدد الصدد ويتسبح الحكومة البريطانية البرتغال لقاء هذه التسهيلات الاعتدلة والاسلحة والموث التي نص عليها الاتفاق

دمشق ١٣ - جرت الانتخابات في دمشق على المبدأ التنائي الشاغر باعتلاء فخامة شكري القوتلي رئاسة الجمهورية . وقد وقع « بالواتاج » ، ثم فاز

في دورة « بالواتاج » السيد فخري البارودي . دمشق ١٣ - استقبل معالي جيل مردم بك وزير الخارجية السورية حضرة الاستاذ احمد رمزي الفخصل

العام لصر في سورية ولبنان وسلمه رسالة رفعة النحاس باشا رئيس الوزارة ووزير الخارجية المصرية وتنص هذه الرسالة على إنشاء مفوضية في دمشق

وتعيين قائم بأعمالها . بيروت - اعترفت حكومة العراق باستقلال لبنان . وقد بلغ الحارحين قنصل العراق العام هذا الاعتراف الرسمي

إلى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية . لندن - أذاع المارشال بادوليو من راديو بناي إلى الشعب الإيطالي يعلن فيه الحرب على ألمانيا .

لندن ١٤ - دخلت معركة إيطاليا في مرحلتها الثانية ، ذلك أن قوات الجيش الأميركي الخامس المدعومة ومشاته اجتازت خر فولتورنو ، الذي يشكل

آخر خط دفاعي طبيعي في الطريق إلى روما . لندن - طبقت القوات الروسية على فوجيل ، وأن القتال يدور في شوارع المدينة . بيروت - قام

حضرة الاستاذ احمد رمزي قنصل مصر العام في لبنان وسوريا بزيارة رسمية لمعالي سلم تقلال وزير الخارجية اللبنانية قدم فيها كتاباً من رفعة النحاس باشا يبلغه

فيها إنشاء مفوضية ملكية مصرية في بيروت . موسكو ١٥ - احتلت القوات الروسية جيباً مدينة زايبورج فضت بذلك على آخر رقية جسر كان

يلتصق بالآلان على خط الدنيابر الأسر واستردت بسقوطها سدود الدنيابر الكبرى وكان الروس اقنعهم قد دمروها في ٢٨ آب سنة ١٩٤١ قبل انسحابهم

غور الشرقي نزع الألمان من استخدامهم . لندن ١٨ - احتل الجيش الخامس مدينة « كائنالو » على الفولترنو . بيروت ١٩ - عقد المجلس اللبناني

اللبناني جلسته الأولى للدورة العادية وجدد انتخاب صبري بك حماده لرئاسة المجلس . دمشق - جدد انتخاب فارس بك الحوري بالاجماع رئيساً

للمجلس اللبناني السوري . موسكو ٢٤ - بعد معارك عنيفة في الشوارع دامت ١١ يوماً احتلت القوات السوفياتية مدينة ليتوبول بأكملها .

التربية الطامعة للاديب



لا أمل لنا في تجديد الادب العربي الا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة . ان تربية أهل الادب في مصر حتى مطلع هذا العصر هي تربية لغوية ، قوامها الكتب . ثقافتهم الكتب وحدها ، بها نشأوا وعليها وحدها اعتيدوا في تكوين ملكة الانتاج . هل يمكن ان نجد كاتباً اوروبياً يعتمد في تكوين ملكاته الخالقة على الكتب وحدها ؟ هل يوجد اولا مثل هذا الكاتب في اوروبا ؟ واذا وجد هل يستطيع ان ينتج هذا الانتاج الذي زاه يرتكز على فن متين التركيب اصيل التكبير . ان التربية الكاملة الشاملة لختلف الفنون منذ الصغر هي التي تنمي عند الاديب الاوروي ذلك الاحساس بالتناسق الفني الذي يرفعه الى هذه المرتبة من مراتب الخلق والابداع . واذا سألني عما اعني بالتربية الكاملة فاني اقول لك : هي تربية جميع الملكات والحواس مجتمعة . ففكرية ملكة العقل وحدها لا تكفي عند رجل الادب والفن ان لم تصاحبها تربية حاسة البحر وحاسة السمع وحتى حاسة الشم والذوق التربية الكاملة للحواس والملكات هو ما سميه « الثقافة الكاملة » لا ينبغي لاديب او فنان ان يترك حاسة من حواسه مهملأ بغير تكوين ، عاطلة لا تؤدي عملاً . يجب ان يعلم منذ الصغر ان لكل حاسة « آداب لتتها » . وان عليه ان يخلق آداب اللغات جميعها لكل حاسة من حواسه . فكما ان آداب لغة العقل والفكر تقرأ في الكتب والمكتبات . فان آداب لغة العين تشاهد في المتاحف والمعارض والميادين والآثار الفنية والمناظر الطبيعية فان آداب لغة الاذن توجد في قاعات الموسيقى والمسرح والفن وان آداب لغة الشم في العطور الجميلة ولغة المذاق في المأكول الغريبة يجب ان يعلم الاديب والفنان ان من واجبه ان لا يجهل قط وجود « الجمال » الاصنى عند كل حاسة من حواسه فليست تربية الاديب ان يتعلم عن هذا الجمال ويمكنوا من استغلاصه واستصفائه وصبه في قوالب فنية رائعة : هي الكتب والصور والنماثيل والمعابد والسافونيات والاوربات والانتاشيد والتشيليات والاشعار والازهار الخ ما الفنون المختلفة بأنارها الباقية الا «آداب لغة» كل حاسة من حواسنا فليتنا ان نلم بتاريخ أدب هذه اللغات ، وان نتذوق اجل نصوصها في كل ناحية من نواحيها ، وان لا نقصر التفاتنا على أدب دون أدب . فنظن الجمال في آداب لغة العقل وحدها ، او آداب لغة الفكر انما يجب ان نعلم ان لكل حاسة عوالم من الجمال لا نهاية لها وانه ينبغي لنا ، اذا اردنا الارتقاء بآدميتنا ان نسمو الى تلك العوالم وان نجوس ارجاءها الواسعة ، مهتدين بقيادة عظماء الفنون الذين طافوا بها قبلنا واستكشفوا قمها وغاصوا على كنوزها نعم لكل حاسة وملكة صفاتها الرائعة في تاريخ البقيرة الانسانية الخالقة . ولا بد من الاطلاع عليها جميعاً لمن يريد ان يضع يده على اسرار الخلق في الادب والفن تلك هي التربية الكاملة والثقافة الشاملة التي اراها ضرورية لاديب عصر النهضة . واذا كان الادب العربي في هذا القرن وفقاً عند تلك المرحلة البدائية ، فذلك لان اكثر الادباء لم يتلقوا بعد هذه التربية الكاملة التي تؤهلهم لتحمل اعباء الخلق الفني الكامل

نوفيس الحكيم - القاهرة

لم يتخذ (*) ابن خلدون النفس الانسانية موضوعاً لبحث خاص، غير انه تطرق الى بعض المسائل النفسية، بصورة عرضية ويتناسب شتى. ولهذا السبب قد دون في ثنايا بعض الفصول كثيراً من الآراء والمعلومات عن النفس وقوى النفس.

يفهم من استعراض هذه الآراء والمعلومات، ان ابن خلدون كان من الروحيين Spiritualistes الذين يعتقدون بوجود روح منفصل عن البدن: «ان الانسان مركب من جزأين: احدهما

جسماني، والآخر روحاني متميز به. والمدرك فيها واحد، وهو الجزء الروحاني» (المقدمة ص ٥١٧)

وهذا الجزء «الروحاني» يدرك تارة مدارك روحانية، وتارة مدارك جسمانية. الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته وبغير واسطة،

والمدارك الجسمية يدركها بواسطة آلات الجسم، من الدماغ والحواس» (ص ٥١٧)

ان الجزء الروحاني من النفس هو ما يعرف باسم «النفس»: «هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة في البدن. فكانت جميع اجزائه مجتمعة ومتفرقة ثلاث: النفس والقلوب» (ص ٩٦) ان الالم من بين هذين الجزأين من الانسانية هو النفس «ان الفلاسفة كلها مدحت النفس، وزعت انها المدبرة للجسد والحاصلة له، والدافعة عنه، والفاعلة فيه» (ص ٥٠٦)

وبما يبرهن على ذلك: «ان الجسد اذا خرجت منه النفس مات وبرد، ولم يقدر على الحركة والامتثال من غيره، لانه لا حياة فيه ولا نور» (ص ٥٠٦)

يظهر من ذلك: «ان الحياة قائم بوجود النفس في الجسد، والموت ما هو الا نتيجة افتراق النفس عن الجسد» (ص ٤٩٥) ان هذه النفس مصدر الادراك والفكر والفعل وفي وقت واحد مما يدل على انها ذات قوى عديدة ومتنوعة.

يذكر ابن خلدون في موضع «القوى الادراكية» و«القوى التزويجية»، ويشكل في موضع آخر عن «القوة المدركة والقوة المحركة والقوة المفكرة»، ويستعمل في بعض الاحيان تعابير

(*) قسم من فصل هذا العنوان من كتاب تحت الطبع: دراسات عن مقدمة ابن خلدون (الجزء الثاني)

النفس الانسانية

في مقدمة ابن خلدون

نظم ساطع المصري

«النفس المدركة، والنفس الفاعلة والنفس الناطقة» ويسمى احياناً القوة المحركة او الفاعلة باسم «الفاعلية»، والقوة المفكرة باسم «الناطقية»، ويعرف ويوضح كل واحدة من هذه القوى على حدة: ان آثار الفاعلية، هي «البطش باليد، والمشي بالرجل، والكلام باللسان، والحركة الكلية بالبدن متداخلاً» (ص ٩٦)

واما الادراك، «فهو شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته» (ص ٣٦٤ ج ٢ طبعة كاترمير). ان هذا الادراك على نوعين:

ادراك بالظاهر (أي بواسطة الحواس الخمس)، وادراك بالباطن (أي بواسطة القوى الدماغية) (ص ١٥٤)

الحواس الخمس، هي: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس.

واما القوى الباطنة، فهي: الحس المشترك، والخيالة، والواهمة،

والحافظة والمفكرة. الحس المشترك هو «جامع الحواس الظاهرة» والنفس تدرك بواسطته «المحسوسات مبصرة ومسموعة وملهوسة وغيرها في حالة واحدة» (ص ٩٧)

واما الخيالة فهي «قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو، تجرد عن المواد الخارجية» (ص ٩٧)

والواهمة قوة تدرك المعاني المتعلقة بالشخصيات» (ص ٩٧) واما الحافظة، فهي قوة «تخزن المدركات كلها متخيلة... لوقت الحاجة اليها» (ص ٩٧)

ان الاصل في الادراك، انما هو «المحسوسات بالحواس الخمس» (ص ١٨٦، ١٨٩)

والفكر يتناول هذه المحسوسات والمدركات بالتركيب والتحليل (ص ١٤٠) ويتمثل صوراً خيالية متنوعة من المدركات المتعاضدة، فيتوصل بذلك الى الكليات والمعلولات:

ان المعاني الكلية تتكون في الذهن عن طريق الانتزاع والتجريد من المحسوسات (ص ١٨٩)

والمعلولات الذهنية، تتولد عن طريق التجريد من «الموجودات الخارجية الشخصية» (ص ٥١٦).

«اخيال ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية، ثم يدفنها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال

العقل التمييزي: يدرك الأشياء الخارجية وخواصها ، ويضن جلب منافها ودفع مضارها .

والعقل التجريبي: يميز الصالح من الفاسد في معاملة انبسا . الجنس ، ويقرر « ما يجب وما ينبغي فعلاً وتركاً » خلال تلك المعاملات .

والعقل النظري: « يفيد العلم او الظن بطلوب وراء . الحس ، لا يتعلق به عمل » ، ويضن تصور الموجودات على ما هي عليه غائباً وشاهداً ، « واما « غاية افادته » فهي « تصور الوجود على ما هو عليه ، واجناسه وفصوله واسبابه وعلله »

ان « الحقيقة الانسانية » انما تتم بهذا النوع من الحس وبهذه المرتبة من الفكر (ص ٣٦٥ ج ٢ - طبعة كاترمير)

*

هذه هي الخطوط الاساسية لنظرية « النفس الانسانية » التي تلوح للانظار من ثانيا الفصول المختلفة ، في مقدمة ابن خلدون .

بالاظر انما لا تخرج - من حيث الاساس - عن نطاق الآراء الشائعة بين مفكري الاسلام في عهد ابن خلدون ، ومن المعلومات تنبدر عن نظرية ارسطو في النفس . فمستطيع ان نقول: ان ابن خلدون اقتدى باسلافه واتبهم في هذا الامر ، وقبل كل ما كان يقول به معاصروهم في هذا الصدد . وكلما احتاج الى « دليل نفسي » في اثباته الاجتماعي ، رجع الى الآراء التي كانت منتشرة في زمانه ، واقتبس منها ما شا . اقتباسه من الصحيح والبراهين .

ومع هذا كله ، فقد توصل ابن خلدون - بنظره الشاق وحسنه البعري - الى بعض الملاحظات الثبوتية في الحوادث النفسية ودون بعض الآراء الطريفة - داخل نطاق هذه النظرية القديمة .

ان طائفة من هذه الآراء تظهر منفردة ومتفرقة ، غير ان بعضها ينسجم في سلك نظريات عامة مبتكرة . ولعل أطرف هذه الآراء هي النظرية التي وضعها ابن خلدون عن « عمل الفكر واليد » في حياة الانسان : يتكلم ابن خلدون في عدة مواضع من المقدمة ، عن خصائص الانسان ، ويعين النظر في الفروق التي تميزه عن الحيوان :

ان الانسان من « جنس الحيوان » ، ولكنه يمتاز عن سائر الحيوانات بعدة خصائص ، منها « الفكر والنطق » و« العلوم والصنائع » (ص ٤٠) . ومنها « الحاجة الى الحكم والوازع والسلطان القاهر ، ومنها السعي في المعاش والاعتمال بتحصيله من وجهه واكتساب اسبابه ، ومنها العمران أي التنازل والتساكن في مصر أو حلة للناس المشير واقتضاء الحاجات » (ص ٤٠)

وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية ، فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول » (ص ٤٧٦)

ان ادراك الكليات والمعقولات على هذا المثال من الامور التي يختص بها الانسان دون سائر الحيوانات :

فان الحيوانات تحس وتدرک مثل الانسان . ولكن الانسان يتميز عنها بادرک المعاني الكلية ، بالإضافة الى ادراك المحسوسات الخارجية الشخصية » (ص ٤٨٩)

« ان الحيوانات انما تدرک بالحواس . ومدركاتها خالية من الربط . لانه لا يكون الا بالفكر » (ص ٣٦٦ ج ٢ - طبعة كاترمير)

« ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والذفا . والسكن وغير ذلك . انما تميز (الانسان)

عنها بالفكر الذي يتبدى به لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه ببناء جنسه ، والاجتماع المعني . لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به الانبياء . عن الله تعالى ، والعمل به ، واتباع صلاح اخواه وهو مفكر في ذلك كله ، لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين . بل ان اختلاف الفكر اسرع من لمح البصر . وعن هذا الفكر تنشأ العلوم . . . والصنائع » (ص ٤٢٩) . وذلك لان الفكر الانساني . . . تارة

يكون مبدأ للافعال الانسانية على نظام وتوقيت . وتارة يكون مبدأ لم يكن حاصلًا » (ص ٥٣٥)

يتكلم ابن خلدون عن « الفكر الانساني » في فصل خاص من الفصول الناقصة في طبقات البلاد العربية . وما يقوله في ذلك الفصل :

« اعلم ان الله سبحانه وتعالى ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ . كاله ونهاية فضله وشرفه . وذلك ان الادراك - وهو شعور المدرك بذاته بما هو خارج عن ذاته - خاص بالحيوان فقط من بين سائر الكائنات والموجودات . فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) . ويزيد الانسان من بينها انه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراه . حسه ، وذلك بقوى جعلت له في بطون دماغه ، يتفرع بها صور المحسوسات ، ويحول بذهنه فيها ، فيجرد منها صوراً أخرى . والفكر هو التصرف في تلك الصور وراء . الحس ، وجولان الذهن فيها بالانتزاع والتركيب » (ص ٣٦٤ ج ٢ - طبعة كاترمير)

ان الفكر الانساني هذا على ثلاثة مراتب ، كل مرتبة منها تدل على نوع خاص من العقل : العقل التمييزي والعقل التجريبي ، والعقل النظري .

يلاحظ ابن خلدون أن هذه الفروق لم تكن مطلقة تمام الاطلاق : لان الاجتماع والحكم من الامور التي تشاهد عند بعض الحيوانات العجم أيضاً . مثلاً يوجد عند النحل والجراد نوع « من الحكم والالتقياد لرئيس من اشخاصها ، يتبدى عنهم في خلقه وحجانه » (ص ٤٣) غير ان ابن خلدون يلاحظ في الوقت نفسه ان ذلك موجود « لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة » (ص ٤٣) وان كل ذلك يحصل للحيوانات المذكورة « بطريق إلهامي ، لا بفكر وروية » كما يحدث للانسان (ص ٤١) .

ومن الواضح الجلي ان ما يقصده ابن خلدون من « الفطرة والهداية والألام » في هذا المقام ، يقابل تماماً ما نسميه اليوم تارة باسم « الغريزة » وطوراً باسم « سوق الطبيعة » ؛ كما ان ما يعنيه من « الفكرة والسياسة والروية » في هذا المضمار يقابل ما نسميه باسم العقل والذكاء . يظهر من ذلك ان ابن خلدون يميز العقل من الغريزة والافعال المفكورة الارادية من الافعال الانشائية الاضطرارية . فنجد انه يقرر لذلك - « ان افعال الانسان تصدر بالفكر والروية ، لا بالاطبع » (ص ٣٩٠) ويرد - بهذه الصورة - الفروق التي تلاحظ بين الانسان والحيوان من جهة « الاجتماع والحكم » ايضاً الى عامل « الفكر » . هذا ، ويقر ابن خلدون من جهة اخرى « ان العلوم نتيجة الفكر » و « ان الصنائع محصول اليد في خدمة الفكر » .

ولذلك نستطيع ان نقول ان جميع الفروق التي بين الانسان ومن الحيوان ترجع - في نظر ابن خلدون - الى هذين العاملين الاساسيين : الفكر واليد الذي يدرك الكليات ويتناولها بالتفصيل والتركيب ، واليد التي تعمل في خدمة الفكر .

يتبع ابن خلدون بهذه الصورة عمل الفكر واليد في حياة الانسان بكل اهتمام ، ويظهر الفرق الموجود بين الانسان والحيوان بوضوح تلم : ان الحيوانات تعمل بتأثير الألام والهداية ، وتستغنى خلال افعالها هذه بجوارحها الطبيعية وحدها ، ولكن الانسان يعمل بالفكر والروية ، ويستخدم خلال اعماله هذه الآلات التي يصنعها بيديه ، عوضاً عن الجوارح الطبيعية التي يستعملها الحيوان : « لما كان العدوان طبعياً في الحيوان ، جعل (الله سبحانه) لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية فيه ، وجعل للانسان - عوضاً عن ذلك كله - الفكر واليد . فاليد هبة للصنائع بمجدة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف النابتة عن الخشب الجارحة ،

والتراس النابتة عن البشرات الجلدية ، الى غير ذلك ... » (ص ٤٢) . ان الملاحظات التي يبديها ابن خلدون في هذا الصدد تنطوي على نظرة فلسفية هامة .

في الواقع ، ان امتياز الانسان بالفكر ، كان من الامور التي قال بها المفكرون منذ الازمنة القديمة ، كما ان اختصاص الانسان باليد ، كان من الحقائق التي انتبه اليها العلماء منذ عهد ارسطو . غير ان الحكماء المشار اليه كان قد اعتبر « اليد » كوصف من الاوصاف البدنية التي تميز نوع الانسان عن سائر صنف الحيوان ، ولم ينظر الى « عمل اليد في الحياة النفسية والاجتماعية » بمثل هذا النظر الدقيق الشامل ابداً . واما ابن خلدون فقد قرن « الفكر باليد » بكل وضوح ، واهلر « عمل اليد الاساسي » في خدمة الفكر وفي صنع الآلات التي تنوب عن الجوارح بكل اهتمام .

ان ملاحظات ابن خلدون في هذا المضمار ، ترفعه الى مصاف مفكري القرن العشرين : فان الباحثة الانكليزية « طريني » عندما استعرض عمل اليد في رأى الحياة ذكر الفيلسوف الشهير « برغسون » Bergson في هذا الصدد ، وقرر في الوقت نفسه ان نظرية برغسون هذه كانت مسروقة في مقدمة ابن خلدون بكل وضوح (« هاشم الصفحة ٨٦ من المجلد الثالث ») . وفي الواقع ، لقد كتب برغسون في الكتاب الذي نشره سنة ١٩٣٢ بعنوان « ينبوع الاخلاق والدين » المبادئ التالية : « ان الحياة ، انما هي بعض الجهد للحصول على بعض الاشياء من الطبيعة الخام ... والغريزة والذكاء ، في حالتها المكتملة ، انما هما واسطتان تستخدمان آلة هذا الغرض : في الغريزة تكون الآلة المستعملة جزءاً من الكائن الحي ، وفي الذكاء تكون الآلة من المجادلات (الاجتبية على الكائن الحي) وهذه الآلة الجامعة كان لا بد من اختراعها وصنعها وتعلم استعمالها ... » (ص ١٢٢) . ان كتاب برغسون ، اذا قارنا هذه الفقرات التي نقلناها آنفاً عن كتاب برغسون ، بالفقرات التي ادرجناها آنفاً نقلاً عن مقدمة ابن خلدون ، وجدنا ان مضمون الاول لا يختلف عن مضمون الثانية من حيث الاساس ، وأن كل واحدة منهما تعبر عن نظرية واحدة ، ولكن بأسلوب خاص بها . واذا تذكرنا ان برغسون كتب ما كتبه في هذا الصدد قبل احد عشر عاماً فقط ، في حين ان ابن خلدون كتب ما كتبه في هذا المضمار قبل مائة وثمانين سنة قرون ، اضطررنا الى القول : بان نظرية ابن خلدون في هذه القضية كانت من نوع « حدس العبقري » .

سالم المصري

في الادب الشامي الحديث

بضم عبدالله العلوي

نوعية فن . ونحن لا نتجه الى اثبات مثل هذه الفروق على جسامتها بين الطريقة الشامية وبين طرائق الادب العربي الاخرى ، وانما نغد نظراً الى ان هناك فرقاً في حد وألواناً بارزة في مقدار .

والى عرض هذه الالوان مضمومة قصداً في الحديث عن الطريقة الادبية المذكورة ، ثم تحت ملاحظة انا مطبلن اليها كثيراً ، وهي ان تحديد فكرة الاغراض الادبية بمجمل او مفصلة ، يتبع تحديد النفسية التي هي البينوع الفني . فنحن لا يمكننا فهم الجمال مثلاً كغرض ادبي في الطريقة الشامية بعداً عن النفسية ذاتها واستناداً الى تصورات الشاعرة في غير ادبها ، لانها تصورات تعبر عن كيفية استجابة قد لا تكون نسفاً وكيفية الاستجابة فيها .

فكان من شأن هذا المنهج في الدرس الادبي ، ان يبدأ فيحدد النفسية المللمة الموحية اولاً ، ثم ياتي الى تحديد المثل وسائر الاغراض الادبية في خطة التعليل ، ثم بعد الى تصنيف ادبها الطريقة الادبية الخاصة في مجاميع ، موزعة بحسب ما يمتاز به كل طائفة الى التعبير عن عناصر هذه النفسية والوانها ، وكذلك تنتهي انتباه طليعياً الى الحقيقة الادبية الكامنة .

في المقال السالف تعرضنا نوعاً ما الى تحديد النفسية في الطريقة الشامية ، والى تصنيف ادبائها على درجاتهم من التعبير عن الوانها ، وهننا لا نتسع وبالأحرى لا يتسع بنا المقام ان نأخذ بسباب هذه التفصيلات التي قد تناسب ان تستوي في كتاب .

تقدمنا بالحديث عن النفسية الخاصة بالشاميين وان عناصرها تجتمع في انها : (١) اكثر حنيناً الى المجهول واكثر استلهاماً له واستيحاء منه . (٢) متفلسفة كثيرة التساؤل الى حد الحيرة والحيرة المطلقة احياناً . (٣) حسادة الرغبة بالانفلات وجامحة الشهوة الى الانطلاق . (٤) عميقة الاحساس بكل انواع الحياة الانفعالية والتعبير عنها تعبيراً دقيقاً .

والآن نأتي الى اعطاء صورة من ادب هذه الطريقة تمثل تلك العناصر تمثيلاً صادقاً وتعبر عنها في وضوح ودقة ، وهذه الصورة تقوم في قصيدة (الدومة الخرساء) لايلىا الي ماضي .

تحت قصد خاص ومن اجل غاية خاصة ، عمدت الى درس الطريقة الشامية في الادب العربي . وكان من شأن هذا القصد ان يوسع من محاولة درس الادب ومحاولة تصنيفه في حدود الاقاليم ، فيستوي استواء طليعياً في مثل مجاميع تمتاز بالوانها . وكان من شأن هذه الغاية ايضاً ، ان تدل على النفسية المللمة التي تتخذ المحرى الخاص للاشياء ، الادبي . فنحن نطمئن اطمئناً كبيراً الى ان حساسية الحيز والجمال والمثل الاخرى ، تستند الى طبيعة المكونات الداخلة في جوهر كل نفسية على الانفراد ، ولذلك هي متنوعة ولذلك هي مختلفة . واما ما تطالع به الفلسفة التجريدية من وحدة النفس البشرية ووحدة انفعالاتها ، فانه اذا استقام كخلفية فهو لا يستقيم كحساسية وبلفظ آخر كفن . فالجمال قد يقع في اتجاه فكر واحد بيد انه لم يقع ابداً في اتجاه فن واحد من شأنه ان يعبر عن كيفية استجابة على محرضات عامة او خاصة ، ولتفهم بالمثل نفسه : الجمال محرض عام يحرك النفس البشرية للاستجابة في نوع كفيف ، وهذه النوعية في التكيف هي الفن او بتعبير ادق هي باعة الفن ، فالنقاوت بين المجاميع البشرية ارتقا . او تقرراً في فقط .

ومن ثم نضع اليد على ان فنية الجمال وسائر المثل الاخرى لا يمكن ان تكون واحدة ، وان تسنى نظريتها ان تستوي استواء واحداً . فالفكر - وهو ينجح في اغوار التجريد طويلاً غير منجذب بمجاذيب الحياة الواقعة - ليس مقياساً ، لانه لا يعبر عن واقعية وانما هو يفترض الواقع ، اما الفن فهو الواقع وهو الحياة . واذا نحن اطلقنا النفسية فاننا نعني ذلك الينوع الفني الذي يتفرع في روافد شتى ، وهي خاصة بقيمتها في انها كذلك من الفرد والامتياز . فالطائفة الموسيقية او الشعرية قد تكون غاية في الجردة من حيث موقعها في اعجاب النظر ، بيد انها بالنسبة الى نفسيتنا لا تحوينا على الاستجابة اليها ، بل نظل بعزل عنها ونظل هي واقعة في مكان المجهول من انفسنا . فهذه القطعة ومثلاً لا تحمل فناً ولا تعبر عن فن بالنسبة اليها ، وان كانت غاية الفن بانها تلك وسائل تحريض بالنسبة الى نفسية اخرى ، تثير فيها كيفية استجابة أي

هي قصة بكاء على شباب احتضر نحن نشهد مثلها كل يوم ولا تثير فينا الا انفعالا عادياً لكنها عند الشاعر اثارت دنيبا من الألوان والظلال الى دنيبا من الافكار والتأملات ، انتهت عنده بتأثر من الحياة وألقت به في صوفية فكر عتيق . ولعل من الخير ان نسمع ونرى ما فعلت فيه وفي احساسنا معه قال :

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| سمعت عويل الناحات شبة | في الحلي يبعث الامى ويثير |
| يبكين في جنح الغلام صبة | ان البكاء على الشباب مرير |
| فنجبت وتلفت مرتاعة | كالتقي أعين انه مأسور |
| وتغيرت في ملتبتها دمة | خرسا لا غنى وليس تنور |
| فكأنها بطل تكفه العدى | بسوفهم وحسامه مكسور |

الى هنا يقص علينا قصة واقعة كثيراً ما تعرض وتقع ، ولكنها عند الشاعر برزت على شكل أخذ فقد جاءت صورة واضحة الألوان مرفورة الظلال . وهي رغم كونها وصفية تتضمن تفسيراً ، فان من سميات الطريقة الشامية كما وقع لي ان الوصف فيها ليس وصفاً خالصاً ورسوماً سطحية ينقلها نقلاً فقط ، بل هو وصف يشتمل الظاهرة ويشير الى تفسيرها من قرب او بعد في وجه الفكر او وجه الشعور . وهذا المقطع على طريقتنا التي سبق (*) ان نوهنا بها جملة اساووية ، فيها ارادة تصوير جملة الفعل على مقدارها من الامتداد والشيوخ . فرفقة الشاعر التي استجالت في ذاته استجالة فنية وتلباس حتى عادت شيئاً في نفسه ؟ هي عويل الناحات يتراعى اليها مع الليل ، والليل نفسه يفرى مأسورا . ومعنى فنية الى التمدد طائفاً في دعر مبهم ، وقد اشار الشاعر الى هذه الازدواج بكلمة (العشية) .

وكان العويل يتساقط الى صمها في شكل وجميع بعيد الوقع حتى لكانه يشيع مثل اعصار ، وفنية الشاعر تبرز في هذا الاختيار للتعبير لفظاً (ابثت) دون (بعث) الذي يفيد عدا البعث والاثارة الانتعاش والانتعاش . وكان مثل هذا العويل طبيعياً ، أليست هاتيك التواضع تبكي في الظلام المخبئ شباباً أخضر العود رياناً ؟ أليس حزننا على الشباب ؟ والحزن على الشباب يكون ابدأ مريراً واللوعة عليه تكون ابدأ حراً دامية . وبذلك تصورت رفيقة الشاعر ، فشت على غضونها آثار التيهيم وساورها اسى تلفتت معه لفظة مدعورة ، وتناهبها روعة استجالت الى جود مرتبك مثل ظلي عقلت به اسباب الاسار . وفي هذا التمثيل نلس ما قد سبقنا به من ان الوصف في الطريقة الشامية يشير الى تفسير أي ليس وصفاً ساذجاً ، فهو يعبر عن ان ارتياع الرفيقة لم يكن الا شعوراً بالذات في الاحداث

(*) الاديب : ج ١٠ ، ١١ سنة ٢

وان المشاركة في الألم ليس الا نتيجة توهم النفس في ألم مسائل . وشاعرنا اومى الى هذا المعنى في المامة رائحة تضمها التمثيل ، فرفيقته ارتفعت وهي تلتفت في خيال الألم كظلي في وجهه امتدت بدالاسر . كانت لوعة اعصرتها ، فقد تحيرت في مقلتها دمة اسمت سكنت رقرقة لا تهمني وليس تنور ، فكانت خرسا . تحاول التبرير وتعالجه جاهدت ولكنها تدهودونه . وكان الرفيقة بطل احبط من كل جانب ، وعيناه تدوران في اطار من نصال وحسامه ليس الا بقية من صدوع . ولعل هذه الصورة الحسية الناطقة أجل ما قيل في معناها ، واذا اردت معرفة سر عظمتها البيانية فامل جيداً التعبير بكلمة (بطل) دون رجل او شخص مثلاً . ثم يقول :

| | |
|--------------------------|------------------------|
| وجمت فأسى كل شي . واجمأ | النور والظلال والديجور |
| الكون اجمع ذاهل لذهولها | حتى كان الارض ليس تدور |
| لاشي . مما حولنا واماننا | حسن لدجنا والجلال كبير |

هذه التمرة التي تقول ان احساساتنا بالاشياء انما هي انعكاسات شعورية صرفة ، عرف بها شاعرنا فهو صاحب الشطر الشائم (كمن جيلاً تر الوجود جيلاً) . ثم يضي في القصيدة (بطل) كيف بدأت تضاحكه وكيف انتهت تحت الاحداث (وضحكها فكثير) ، فقد مضت تقص عليه في تفكير عوفي وبالاحكام في لحظة الامم لم تشوهه اصطلاحات المعرفة : صدق الذي قال (الحياة عروبة) ثم أليس عبياناً ان تطفي . شعلات احلامنا هكذا في لحظة مومضة سريعة ، وتلك الاماني التي كانت توجع في حنايانا تذهب في طبا التراب ، وسلسلة منطقتنا تقتضيها الى هذه النتيجة الخطيرة المريعة التي تصدم بها في قسوة الحياة والاحياء .

خير اذن بنا الا الى لم يولدوا ومن الانام جلاذ وسخور والشاعر نفسه وقع بالفعل تحت اعصار ما تحس به من ريب في قيمة الوجود الحي فاذا به يشعر بان ذلك الوجود الذي كان عبده به منسجماً شيئاً مشوش مبتور . وقد دارت به الشكوك دورتها واسبقت بفراده ، وكاد يستجيب اللون ما تفكر به ولكنه - وهو العاشق المعقم الاسامي بهذا الحب - خشي أن تذهب هذه الشكوك بها وبما يتلوق من طعم الهوى في ضفاف بانوعا التبرير . فراح يعالجها طويلاً باقترااضات العقل الواهم : لتكن للثرى اجسامنا والجسوم قشور ، وما الموت ؟ انه ليس يضيرنا فلنا اياب بعده ، وليس هذا فقط بل وخلود ايضاً يد به الحب .

اننا سنخند في كل شي ، فان حيث تكونين خمية مطارة ساكنون في ذراعا الليل المسحور ، وحيث تكونين جدولاً مترقفاً ساكنون فيه الموج الضاحك . وهكذا لم يزل يتنقل بين مذهب

هو الليل !

إذا صح أن الإنسان مجموعة من قشور تتسلخ عنه مع الأيام فقد فت
الدور الذي الساخت فيه عني هذه الغصيدة القديمة !

| | | | |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|--------------------------|
| هو الليل ! كم عاشق راغب | يعانق عاشقة راغبه | هو الليل ! كم صبية ينعمون | بيض الرؤى ويجنحز المني |
| وترعشه خليجات السرور | تفأت من مهجة وائبه | قلوب مرؤمة للربيع | اشجر المياه ووهج المنا |
| فيصدف بالدم من قلبه | للتسربه امرأة ساغبه | ومؤمنة بجبال الحياة | وبعض السعادة ان تؤمنا |
| ويلقي بفلك الشباب القوي | الى لبح اشواقه الصاخبه | وهل نهل العيش غير الذي | أبى ان يشك وان يمزنا |
| ويغمض عينه حتى يفيق | على ركض احلامه المهاربه | ير على القبح لم يحقره ، | وينعم بالحسن ما أحسنا |
| فيسط كفاً لارجاعها | فتملكه نهكة غالبة | وما الحسن الاخيال يواح | اذا انت شئت هنا او هنا |
| فيهوي وينحل في صفرة | حواليه من شمسه القاربه ! | للمسه في الشوك تظفر به ، | تعام تر الورد مستهجننا ! |

ربيف غوري

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وعراه صحت كان طويلاً أطاف بالقلب والاب جميعاً ، ولكنه
عاد فحاول السعي الى فكر جديد ، وبالفعل فكر أيضاً . ولكن
بماذا . يا اي شيء ، انتهى ، لقد انتهى الى ما قد حاول ان ينتهي عنه ،
انتهى الى . . .

خير اذن منا الامم لم يولدوا ومن الامم جلاند وصخور

هذه صورة من الادب الشامي عرضناها عرضاً سريعاً لتدل على
مكان التفرد والتبيز في هذا الادب ، الذي سيؤد لنا وضوحاً
كلما مضينا في عرض اعلامه تحليلاً ، وعسانا نبليغ ما نتوخى من
جلال القصد .

عبد الله المعولي

هذا الفكر الواهم ، حتى لامن نفسها باحساس جديد تحدث به
الوجود الحي مرة اخرى ، فاذا به رائق واذا بها متعطلة :

عاجلتها بالوهم فهي قرية ولكم افاد الومع التخدير

ثم افترقا الى غد قريب ، أما هي فذهبت كما رأينا قرية
تلاعبها أحلام الوجود الحي ، وأما هو فذهب في أعاصير الشكوك
التي افلتتها إطراقة الاسى الشاردة :

حاتت على روعي الشكوك كأنها وسكان فريسة وصقور

وزادت الحيرة به وزادت عليه معها التبايعه الامل الحائب ،
فاذا بالشاعر يصرخ :

يا ليل ! اين النور ؟ اين تائه ما ، يبتلى . أم ليس عندك نور

بقلم
مارود عبود

مدير الجامعة الوطنية

بغليه

غرور الادب

شره ان فعلت فصاحبنا مغفل يخالفك طربت حقاً فيتأدى حتى يؤنسك ساعات... لا يدرك ان احداً مشغول لانه بطل، ادرسته حرفة الادب فلا عمل له غير النظم والنثر وكتب هذا الوقت على رأس من يتشبه به. مؤمن بأنه من عباقرة الشرق العربي ويرجو ان تنصفه الذرية التي تربي تربية حديثة اما معاصروه فجهلهم حساد ومغفلهم غلاظ الاكباد.

لا يستقر ان جلس فكأنه قاعد على خازوق، فهو يتفنى في جلسته كأنه امام مصور، وكثيراً ما يدعّم ذقنه بايهاه ويثني السبابه على شفتيه فيغطي بها السفلى ويسند العليا. دعاني يوماً الى زيارته وان علي واغراني بقوله: تعلم ان كل بلد معروف بلون من العلماء والحواريات، والاعني اني اقول: تعلم ان كل بلد معروف بلون من في نوك، ان زيارتي اذتكت اياه وعلقت صنعة فتأكله وتبيض به وجهك احياناً. فقلت في نفسي هذا صياد ماهر يضع في صنارته ذبابة ليصطاد ذليفاً، وارتخت نفسي اذ سمعت بأكلة جديدة. ثم حسبت ان سيجلسني عنده حتى الغدا، وانه سيعلمني من مطهراته خيولا تجول في كل ميدان فيجثه بعد الميعاد بساعتين. تذكرت الاكلة الجديدة التي لم أحلم بها وحياتي كلها احلام من هذا الضرب فها اني بسمع سفاهه ثلاث ساعات. كان جالساً الى منضدته جلسة فنية وقد نشر عليها اوراقاً تحال سطورها دروب النمل على الرمل او اعشاش البق في زوايا بيت لم تعرف حيطانه المكتس. انتقبص صدري واحسنت با تحس به النفوس قبل الخطر والنكبات ولكنني تجلّدت وقلت: هما ساعتان وليها الغدا، فهب اني في حبس الدم فما يكون مقدار ويل ساعتين ثلاثة في سبيل أكلة تذلّذ بها ونضيتها الى معجم المطبخ.

وكان رد التحية توبيخاً لطيفاً على تضييعي ساعتين احسر بها مشاهدة اسراب من مغازي الخلود. عنفي كآني غرعه فاعتدلت با الفناء من اكاذب الماخذير. زعمت له انني التقيت بابدي آخر

لأت عيني مثله رجلاً. لو تراه يشي على الوصيف وفي يده عصا يتوسكأ عليها بعظمة وجبروت لحبته حاوياً او ساحراً من بقايا زمن عبادة العجل والافعى. شعر مثني ومرسل كما قال امرؤ القيس، ومينان ساهيتان تحلمان باللاشي. وجد على الارض منذ ثلاثين عاماً يناحها اوسع مدى من دهر ابني العلاء. احمر مريوع على كرسى خده خال اشعر تحسبه شارباً. معتز بجماه يقطن انه فلقه قمر لو بدا حامل في طور الوحام لجاءت بيد لم يعلم مثله الشعراء. يؤمن بملكوت الادب ويرجو الخلود فيه فهو في عين نفسه احدي فلتات الزمان، بل شاعر العرب المسكوني.

عرفته مساء يوم معرفة وجهه فاصبح حتى شق علي غايه عتاده حقيقه في شهره التاسع. فيها شعر وثقافة، مقالات وقصص، قصائد طوال وقصار وبالجملة فيها ملأني قربي المجد ليعط المتاع. صاحبنا مبتلى بتلاريا الادب ومتى نفثته البراء يشتد هذيانه فيه. يأنس باشييا. من العلم الحديث فيخيل اليه انه وجد حجر الفلسفة. ان رأى معازاً او بقاراً او فلاحاً ابتم له وحياء تحية صب مشتاق حتى اذا استأنس به انهال عليه باسواط منظومه ومثوره. يطعم في ان تمم شهرته جميع الطبقات، فاعاد الارض اهتماماً اقتدا. بفرجيل، ثم وصف الماركس كهمير ليسد برأس قلبه ثغرة في جدار الادب العربي.

تقرأ على مسامعه قصيدة لاعظم شاعر فيفتقر عن استنان مصغرة ولثة مزرقدة ويقول بكل وقاحة «منو المتني؟ ومنو شكسبير؟» أليسا بشرأ مثلاً. ثم يفتح كشكوله ويخرج منه افاعي رقطا. وركشا. دونها حيات ادهى الحواة، فتسمع وانفك راغم. وان تتأبث يمدحك بعين زرقا. لو رآها ابن الرومي لزم بيته شهراً كاملاً. عليك عند سماع درره اليتيمة ان تهز برأسك كاضب وترجع كالحام وتقف زهرو الاستحسان عند كل نظرة ليقيا عليك وعند كل شدة تخرج من بين فكليه... ولا تحبب انك اتقيت

استوفيتني ليسمعي آية فنية جديدة . فتأفف وقم : ما أشد غرور
الادباء ، وما اجهجهم . يفلتون الناس بترهاتهم . ثم استجبل حرصاً
على الوقت وتبذراً من قطع شجيم كنيستنا فومنت ذلك الدقة
بؤخرة سيني فادركت انه لا يزيد عن كف فقلت في نفسي اللطلة
بكف هيئة وقانا الله شر الكئين .

شرع يقرأ ويشرح فقلت له : لاتضيعني . اقرأ وعجل والمناقشة
بعدئذ . ومضى هو في نثر درره وسحت انا في دنيا اللاوعي فكنت
كالاطرش في الزفة . ودقت الساعة الثانية وصاحبي لم ينته من قراءة
تحليل نفسي من قصة فتاة هجرها صاحبها واحب غيرها . قال
صاحبي انها كانت تفكر في مصيرها وخيبة آمالها اما انا فكنت
افكر بالأكلة العبقريه التي وعدي بها . لم اسمع قفقه الصجون ولا
رنين ملاعق ولم اسمع غير رائحة ادبه فادركت اني وقعت في الشرك
وتذكرت المثل القائل : ان الشقي وفاد البراجم .

انتهت القراءة وجاء دور التعليق فاخذ يدلي على مواضع
الحسن فينت من حديث كايل ابن الفارض واخذت احين الفرصة
للفرار ولا يدع لي مجالاً حتى سعل وانقطع سيل كلامه الجارف
فوقفت ، فاخذ يسعل ويومي . الي ان اقع ، فحيث وانصرفت لا
اصح ندا . ولا التفت ورائي .

وبعد عامين قرع صاحبنا باب غرفتي ، وكان بطني ماشياً في
ذلك النهار فدخل علي الساعة الثامنة واخذ يتعز من كتابتها الجاهلة
سها اثر سهم يصوب الي زاعما انها فتح جديد في الادب العربي وانه
قرأها علي اية العوازم فقرظوها وانوا عليها ، ورائي خط كل واحد
منهم وفي نيته ان يقلن بشي . مني فقلت له وقد شقني : الادب
ذوق يا صاحبي ، فلو كنت شيخ ادباء العالم وهذا ذوقك فانك
افتك من طير اباييل الرامية بجسارة من سجل . ثم غني يا اخي
فيصمي مهشود لا يثبت مسبلين . كيت وكيت من الادب
والادباء متى كان الادب حققة . ليتك تحمل نفسييت بدلا من تحليل
نفسية تلك المستورة بطله وروايتك . ليتك تدرك هذا فتكتب
اروع فصل تحليلي . غفر الله لبورجه وستندال ودوستوفسكي .
للاطاعون . صل واق اما انت فبهيات ان يقيني منك واق ولوهاجرت
الي مدينة النحاس والواق واق . ارحمني يا صاحبي وخف ربك
فندي اولاد عيال علي .

فاخضوض واحمرر كما عبر اصحابنا الرمزيون ولكنه كان
ادهي مني فشن علي هيوماً معاكساً وسألني كأنه لم يسمع ما
قلت : اقولك في الكلمة ؟ فاجبت به خطاطره المكسور واصلاحاً

لما افسده اللفظ وارتفاع الضغط من ادبي معه فقلت : الكلمة ،
الكلمة بنت سفر التكوين العجيبة وهي اعظم اسرار الله . ان
صدرت عن نفس خيرة كانت نعمة وبركة وان قذفها قلب اسود
كانت لهيباً ازرق يلثم الناس كالحشم . الكلمة يا صاحبي ابدعت
كل شي . كان . صارت الكلمة فعلاً فكان الكون . اما قال الله
للكائنات كونتي فكانت . لم يقل يسوع للرايح اهدأي اسكتي
فهأدت وسكنت ومشي على الماء . الكلمة وشاح الرسالة والنبرة ،
ودرع القواد وعدة الساسة وضالة الاديب مثلك . بها اقتاد الزوابع
البشرية وبها خلدوا فأسأل الله ان يقول كلمته ويكتب اسمك في
سفر الخلود .

واستأذنت بالخروج لاستشاق الهواء وافرأ ما في صديري
وبطني . كنت لا ادري في تلك الساعة أهر عندى ام انا عنده .
وعنت فاذا به يُخرج حية من عيه وانشدنيها فورد دخولي فقلت لا
حول ولا . آخر الدواء الكي واذا بصاحبي يستطرد من واحدة
الي اخرى فقلت انه لا يسألني الا بالمسأس فقلت له : وماذا تبغني
مني بعد هذا الاضطداد والتتكيل ؟ قال اريد رأيك . فقلت لارأي
لمن لا يطاع اقم لي اناك قطيعي . ان هذه الزم التي شفت بسوادها
آذان امة العوازم ، كما يعبر الكذابون ، لا تصلح الا لذلك الموضع
وذاك العرض . فتنق يا عزيزي عن رزقك فانه يوزق من يشاء . -
الضمير يعود الي المسترقي - ولئن قطع غيري لسانك بنشائه عليك
فانا اصدقك الخبر وسبني ما شئت . انت تعتمد على عبارات معلوكة
معروكة ، وعلى صور ابداعها الانسان الجاهلي ، وتراها كما يراها
غيرك ملاك البلاغة العربية ، اما انا فاحاربها واحفر الخنادق في كل
يوم لاقبرها فيها افواجا . ليس لي رأي في المومياءات بل انتقز من
ينشون قبورها واكاد اتيها اذا نظرت اليها .

وبعد شهر حل الي البريد كتاباً ضخماً التأم بين دفتيه شمل
تلك الوردقات المشؤمة وفي طليعتها مقدمة فضفاضة ركسائين
راقصات النور ، كتبها ادب موقر فحشاشها الفاظاً ورواسم مألوقة
جعل بها المؤلف من قادة الفكر واصحاب الفتح المين ، فاوهمنا
انا ما سرينا في ظهور جدونا الا انرى هذا الاديب الكبير ، كما
زعم المثني لكافور .

فقلت لذين حولي في تلك الساعة : مما اكثر الدجالين ، ان
زجاجة عرق من عيار ثلاثين اقل اسكاراً من قب الاديب الكبير ،
ويا ويل الادب والادباء . من اشباه ابن القارح .

مارونه عبور — عابد

رسمت (نور) على وجهها
وصدرها شارة الصليب ثلاث مرات
بورع وذهل ، كما اعتادت ان
تفعل دائماً منذ طفولتها اليائسة ،
البعيدة البعيدة ، ثم عقدت كفها

المانس

قصة بلم فواد الشاب

*

واراحت عليها ذقنها خاشعة مطرقة ، واستغرقت في صلاة وادعة
بضع دقائق طويلة .

لم يكن ينيد سريره سوى ضوء خافت ينبعث من كأس ملوثة
زيتاً ، فيها عوامة بقعيل شمعة يحترق ويبعث هذا اللهب الاحمر
الزجاج الذي يكاد يكشف العين ما حوله : ثلاث صور مقدسة
توسطها ايقونة العذراء . مجسم الكف او الكبر . وكانت الصورة
الى اليمين تمثل يسوع ، والنسوة حوله يبكين ويقرعن الصدور .
وأما الثالثة الى اليسار فكان يجلبها ستار من العتمة المذهبة .

— كم انت جميلة يا نور ؟ في الليل . وتحت هذا الضوء الاحمر
الباهت ، اكد ادى في عينيك شيئاً يعني العذراء .

واستمرت نور تصلي . فهي وان دخل عليها هذا الصوت
الخافت المنبعث من زاوية الغرفة كضفة رعد ، فلم تشأ الا ان تتم
صلاتها بلا التفتاة . وعاد الصوت يوج السكون الليلي :

— الا تتكلمين يا اختاه ؟ ولماذا تجبدنين هكذا ؟
ثم انطلقت ضحكة طفلة ملوثة حلاوة كأنها زققة كان تحت دغيفة
قوس سحري ، وكانت نور تحتم صلاتها برسم شارة الصليب ثلاث
مرات ، فالتفت نحو السرير المحاذي لسريها في زاوية الغرفة وقالت
بدون تدمر :

— لماذا لا تنامي يا عفيقة . وما معنى هذه الملاحظات الباردة ؟
نامي يا حبيبي نامي . ولماذا تتركين الضوء مفتوحاً . ؟

ثم بعد ثانية صمت : « هل صليت صلاة النوم ورسمت شارة
الصليب ؟ » .

وانطلق الصوت العذب ثانية من الزاوية التي ينيرها ضوء كهربائي
ازرق اذكن : اوه . صليت نعم يا اختي ورسمت شارة الصليب .
ولكنني لست مثلك . انك تصلين كأنك نائمة او منومة . قولي
هل رأيت فيلم (الحلم) لاميل زولا في السينما ؟ انك تشبهين بطله
الرواية .

— انت مزعجة يا عفة : أتريدن ان اشكوك الى الماما ؟ ثم
كيف ذهبت الى السينما ومتى ؟ لو تدرين امك ! . وما معنى
هذه الرواحة ؟ كيف تقولين لي انك كنت في السينما ؟

— اوه . . . كيف كنت ؟
لا تسلي . لا تكوني ضالمة مثل
الماما . لقد اعطتنا الرئيسة فرصة
بعد الظهر لمناسبة عيدها فقضيت
الوقت مع انطوانيت في السينما .

ثم . . . ليست هي المرة الاولى .
— عفة . ماذا تقولين ؟ في مثل سنك تذهب القشيات الى السينما ؟

وسرقة ؟ ومع انطوانيت الثنا الطائشة ؟
. . . وساد سكوت ثم انتفض صوت الطفل وفيه نبرات
نفس تنضج .

— آه . . . للمرة الاولى اراك تصلين بثل هذا الذهل العجيب .
انني اراك في قصك الابيض تحت هذا الضوء . كقدسية من القديسات .
اود ان اعانقك .

— احلفني النور يا عزيزتي . نامي يا عفة نامي .
— كليل . . . اختي . اريد ان اقول لك شيئاً .

— لو سمعتك امك تناديني كليل . . . اتعلمت لسانك . والان
ليس وقت الكلام . ناديني نور . ارسعي الصليب ونامي .
وان السرير انزلاً مسجوعاً وراح جسم الفتاة ينجث فيهدو يتمايل .

وعاد صوت الاخت الكبرى يقول :

— اسمع وقع اقدام امك . نامي .

اذ ذاك فتح الباب ودخل شبح الام في ظلام الغرفة المنورة
بضوء الكأس الزيتية مقابل السرير . وكان منظر الام يذكر بديرة
ظلمة في مدرسة داخلية . وقالت وهي تقف فوق سرير الصغيرة .
— اسمع صوت الثفت يتحرك . من بيني مستيقظاً في مثل
هذه الساعة ؟

ثم مشت نحو رأس السرير الصغير ورفعت صوتها بشي . من
الحدة : انت . . . انت يا عفيقة تنامين و تتركين ساقك . وفخذك
خارج للحاف . تأخذين البرد ونحن ندفع للطبيب ونسهر الليالي
ونبكي بالدموع . قلت لك الف مرة عندما تنامين لا تتركي ساقك
المملونة خارج الحاف كحجة خارجة من قيصها . . .

ثم ازدادت الام عنفاً وصاحت : ساقك هذه اكسريها . . .
ادخلها تحت اللحاف . الا تحجلين ؟ غرفة مملوطة بصور القديسين ؟
وقرعت الساق البضة الخارجة تعانق اللحاف وادخلها بعنف
وهي تكرر : اكسريها هذه الساق . . .

وصاحت الابنة : أخ . . . وتقلعت في الفراش وظلت متناومة .

عندما خرجت الام وأحكمت اغلاق الباب وراها انتفضت الابنة في السرير واستوت قاعلة وراحت تنادي اختها همساً :

— كايير .. كايير نور هل تنامين ؟

فأنتى صوت من السرير المقابل . اش ش اش ش ..

— نور الا ترى ؟ لقد قرعتنى قرصة اودعتنى كل ما فيها من عزم وسم . اننى لا احبها . لا احبها . انها جاسوسة وليست أماً . ونهضت الاخت الكبرى في سريرها وقالت :

— ما بك الليلة يا عفيفة ؟ انت مجنونة . لقد ازعجتني وطيرت النوم من رأسي . اف ..

— مجنونة ؟ نعم .. انك تكوهين الماما كما اكورها انا . ولكنك صبره .. صبره ولا صبر ايوب . ولا صبر الجبل . — ثرثرة كفاك كلاماً .

لقد ارادت الاخت الكبرى ان تستدرك باخراً ما تبقى لها من هبة وقار . فخانتها قواها وادركت ان هذه الثرثرة الحلوة التي ترقص في نشوتها عفيفة المرحه ، الوقحة ، بدأت تغفل فلها في نفسها هي ايضاً .

— انا اعلم كم تمنين من غطسة امي ونشوتها . انا اعلم كم تألمين اذ تقعين نصف نهارك في المطبخ والهضبة الآخر ورطب الخيطه ؟ انا اعرف كيف رفضت الماما قديماً ان تقص لك شريك فتركت هاتين الجديلتين اسرحان فوق ظهره كذئبي فرب ؟ هه . اما انا فقد اجبرتها الملمة على قص شعري . كما تعلمين . — كفى هذراً اقول لك يا ابلسه .

— ... وانا ارى كل يوم صدارك المرقع .. هذه القطعة من القماش الازرق السميك . ان البسابة ليس فقيراً ، اليس هكذا ؟ وثيابك ؟ ثيابك كلها من الداخل ، خام بنجام ، لا تلبسها الخادم ، لو كان عندنا خادم .

ثم انا ادري لماذا لم تتزوجي ؟ ..

وكانت هذه الصغرة قوية . فعادت لها الاخت الكبرى . ولكنها تجالدت وقد جرح كبريائها ، فخبطلت بكبتها على حافة السرير وقالت متوعدة .

— اخبريني والاقت فتهشمت باستناني يا ليلية الادب ..

— نور ؟ .. انت صغرة انت حجر . انا اعلم انك ضربتني عدة مرات بوحى امي وانك صرت مثلها على طول الايام قاسية شرسة .

— لا يفتيك امر زواجي . انت طفلة ولا تفهمين ..

— لا ست طفلة . مع هذه الليلة سأتم السادسة عشرة . الليلة ليله ميلادي وغداً عيدي . ولا يفتن في احد . لا كلمة حلوة ولا هدية ولا سهرة . انام كل يوم مع الدجاج واعيش كما يقولون بين عقربي الساعة ..

كانت الاخت الكبرى تبكي آنئذ . وكانت تحجب وجهها عن الضوء . فلا ترى اختها سوى شبح رأسها الاسود . — الا تتكلمين كلمة واحدة ؟

واصلت الاخت الكبرى ما استطاعت من نفسها المهذمة الحزينة ومسحت بكبتها عينها لتدير نحو الصغيرة وجهها بارداً كالجليد ، جامداً كالجرير وقالت : نامي الليلة . وسأكلك غداً . غداً عندما تذهب امك الى صلاة الصباح .. قالت هذا وعضت على شفتيها قابضة باسنان حادة على ألم يكاد يخرج عويلاً ودماً على وجهها الذابل المرغ بالشقاء ..

لقد استفاق الام المسجون بالثواب العقة في قمع هذا الجسد الصدي . استفاق بعد هجمة طولها في الزمان خمسة وثلاثون عاماً ، تحت هذا الصليب المشوكة عليه اعضاء ابن الانسان .

— كنت اريد ان اكلمك في عيد ميلادي غداً . ولكن ما الفائدة ؟

وظلت الاخت الكبرى صامته تعض على الملسا . واي ألم ، هذا الملمد المضطرب في قمع الجسد الصدي ! ها هو يستفيق فتتفرق له اوصال الحديد ويطل من عينيْن وشفتين اطبقتا منذ الازل . ولم تستطع الاخت ان تكبح اعصار اجهاشه تهدد صدرها ، فارقت على الوسادة وكتمت فضيحة نفسها بالاحاف وكانت تلهث كمحمومة هامة في سرها : آهي آهي لماذا تركتني ؟!

— ما الفائدة ان اكلمك في عيدي غداً ! .. كنت اريد ان اقول لك منذ اسبوع .. سأقتل نفسي .

... وكادت (نور) آنئذ ان تثب من فوasha مجنونة . ولكنها ظلت ضاغطة على عنقها بيديها ، دافئة اضطرابها ، متناوئة ، وقد بدأت تطلع على هول السر ، ذاك السر الذي يصرخ عالياً من الزاوية المقابلة في السرير الثاني .

— أثنائين ؟! سأقتل نفسي . طبعاً ، انت لا يهيك ان اقتل نفسي . يا لالقب الاصم : سأقتل نفسي ولخيري ان اموت في النهر غرقاً مثلاً ، من ان اموت مثلك في المطبخ ، وبين رقع الحمام العليظ وارهفت الاخت الكبرى اذنها لتتلقى النبا الذي ترقعه ،

وتراه ، وصرخت الاخت الصغرى :

- أحب .. أحب .. انني احب .. هل سمعت الان ؟! فاذا لم اعانق هذا الحب بكل ما في من قوة ، لا اعيش .. ولا ارجب في العيش .. سأقتل نفسي او اهرب معه .. الا تسمعين ؟!
وعند ما لم تسمع جواباً قفزت من سريرها وراحت ترتقي على اختها وتهز كتفها مرددة :

- انت لا تتأمن ! انت متناومة .. كليني .
قالت الاخت الكبرى همساً ، وقد تلاشت قواها ، كأن قد نرفت من جسدها آخر نقطة دم :

- من هو ؟
وهنا التي الوجان الدامعان تحت خفقات النور الفضفاض ، وهمست الاخت الصغرى : الفريد .

- كيف ؟! الفريد .. يا لاسم مريم ! .. وهل يستطيع ؟!
وكيف يعيش وهو لا يزال بعد تلميذاً ؟!
- لا ادري !

- أتهربين معه ؟ - نعم
- متى ؟ - عندما يريد !
- ايكم ؟

- حتى الموت .. يموت معي او نعيش معاً .. اواه كم يرددي ذلك ..
.. وساد سكوت ، وازداد الغمس خفوتاً ..
- وهل تعارفتم منذ زمن ؟
- منذ عام .

- أهو الذي كان يعطيك الورد الذي كنت تحبينها تحت صدرك حتى تدبل ؟

- هو بنفسه .
- ماذا يقول لك ؟
- لا شيء .. ومنذ اسبوع بدا جربناً .
- هل قبلك ؟

- بلى .
- اين ؟

- من جيبني دائماً .. من كفي احياناً .
- وكيف اتفقتم ؟

- لا ادري .
- واين ستمكثان ؟

- لا ادري .
- لماذا لم تقولي لي ؟

- كنت اخشاك . - والآن
- ابداً .
- لماذا ؟

- لانني رأيتك تتألمين هذا المساء .. بينما كنت تصلين ورأيت في عينيك اشعاعاً كأنه آخر ومضات الحياة .. لا ادري ماذا جرائني عليك .
- كفي ..

- ... ومنذ ثلاث ليال كنت اسمعك تبكين وانت نائمة ، وهذه الليلة دعاني قلبك اليك من حيث لا تشعرين . وكان له فم وعينان ونطق وبيان .

- عفة .. عفة .. لا تزديدي !
- ما كنت اود ان يجري كل هذا بسرعة ، وعندما شاهدتك الليلة احسست انني مثلك سادوح اكفاني حية .. ساهرب او اقتل نفسي .. نور .. نور .. عندما اذهب اترك لك هذه الصورة .

وما عندي شيء .. اتركه لك سواها .. صورتي مع الفريد .. لقد التفتت لنا الصورة انطوائت بالنها الصغيرة .
ووضعت عفيفة الصورة تحت خد اختها التي اغرقها الدهول ، فاطبقت جفتها على دمع سخين ، وسجت نفسها بلا حراك .

- تاتي الان .. وسأنام .
وتفتت الفتاة الى سريرها وانطوت على نفسها طياً تحت لحافها .

*
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بعد منتصف الليل او قبيل الصبح ، رأت نور حلماً غريباً .. لقد رأت اختها عفيفة تنام نوماً هادئاً وقد خرجت فيخذه الغضة كما جرت عاداتها ، لتعانق الحاف ، ثم ما لبث السرير ان قلقل فتحرك ، فارتفع في فضا. الغرفة متجهاً نحو النوافذ . وما لبثت النوافذ ان انفتحت على سعتها وانزاحت الستائر بلطف وخرج السور الابيض متهادياً في الفلك الازرق وعفيفة لا تزال تنام دافئة . فصاحت نور من اعماقها وهي تجبش .

- عفة .. عفة .. أنت كيني وحدي ؟! عفة .. عفة ..
خبثي ساقك تحت الحاف ، ان الليلة باردة جداً .

وانقضت نور من نومها فاذا بغضة تنام ، والفتيلة العائمة في الكأس تنازع الموت تحت قدمي يسوع ، والنسوة يبكين ابداً ويقرعن الصدور . وعندها انطلقت الذبالة وغرق رأسها المحروق في أثريت الحار ، ساد غرفة الاختين ظلام رهيب ...

فؤاد السائب - دمسي

لا تكن لي ، تموت في الاجابات . ويفنى الوجود في شطاني
 رملها ازرق ومن خلفها الليل مكب على ضلال الزمان
 ولكفي جنحان في رقة الهم والصكن في قسوة الطفيلان

انا وهم الابد ظل فواغ مد فيه الفناء ليل حوران
 في ضياعي هدى السواد من الكفر ، تلاق في خاطر الايمان
 يا خلوأ من الزمان ، من الامكان ، رقاً احرق وهم مكاني
 وترخت في نفايات الجاد ملح على رماد كياني

انا «لاشي» كل «لا» سرق مني وجوداً مخلوك الالوان
 انا جوع ممت به شهوة رقطاء يتو جسامها في عنان
 لا تكن لي ، فالنور ارحضني تمنه اوجه العيسان
 ان تكن يا سوال ، تقن الدياجير وثاق في هوة النسيان
 يا سوالي المثل ملك صواب ليك في فك مارد شيطان
 حاضري جفوة الجواب وقلي أخضر الجوع احمر الخفقان
 انا اهوى الغرض اهوى امتناعاً لم يقدر في طاقه الانسان
 مقلتي للظلام ، للكيف ، للبحر انساب محدودب الاغصان
 للعلو البعيد ، للمحنى الموهل ، لكن تشيح عن كل دان
 قد ملئت الشعاع والزهو والنهر وصوت المصفق المرغان
 في ظهوري غوض ارض طريل جف حتى رسا على وجداني
 من ركام اغفت عليه الاساطير وثابت على هدير الترائي
 أي عتل سليلها ؟ وهو يطفو فوق ضحضاح غفلة وعيان
 لا ابالي بكل ما قذف الكون وسوى في بؤرة البهتان
 سخريات تفج في عقلي الطلق وتزو شرارة في لساني

امتناع

لعل محمد شمس

سيد

✱

التوجيه العملي في مدارس القرى

بسم واصف البارودي

مفتش عام التعليم الثانوي بوزارة التربية الوطنية اللبنانية



ففرض على احد المعد ١٠٠ جنيه ، ولما اراد استبقاها منه ، خاطبه
المعد قائلا : انني ادفع هذا المبلغ واكثر منه ، عن طيب نفس ،
على ان تنفقوه في أي مشروع شئتم ، غير هذا المشروع ، فإنه اذا
تعلم ابنسا. الزيف في هذه المدارس ، لا بد ان يتكروا الترقى الى
المدن ويأنقوا الاعمال الزراعية .

وأتم الاديب حديثه قائلا :

مضى على هذه الحادثة خمسة عشر عاماً ، وكنت مديراً لدائرة
شغرت فيها إحدى الوظائف . وما شاع الخبر حتى تواردت الطلبات
بكتابة من حاملي الشهادات ، وقد احصيت بينها خمسين طلباً من
ابناء القرى . وكنت اذا سألت احدهم : لماذا كنت تقصع لو لم
تكن بيدك هذه الشهادة ؟ اجاب : كنت اعمل في الأرض - ولماذا
لا تعمل فيها الآن ؟ - ايليق في ذلك ، وانا احل هذه الشهادة ؟
أجدر سنوات عدة لا يلقى فلاحاً . . . »

هذه الحادثة التي اقيمتان في يديتين مختلفتين وامثالها كثير في
كل منها وفي غيرها توضحان لنا شدة ازمة القرى والخطر المحدق بها
وبنا اذا لم نتدارك الامر .

فالفصل الوثيقة بين الفلاح والارض تكاد تنفص عراها . وقد
خف المرح في القرى ، او تلاشى في بعضها ، فزالت روحها
 واصبحت الحياة فيها قائمة ، ومن سكن مهبش الفلاح وقتل حركة
ديكتته الحيلة . وهذا طبيعي ما دام الدين يتكرون القرى هم عادة
الاذكيا . واصحاب المهم العالية والاغنياء . فمن يبقى فيها ؟ وماذا
يستطيع هؤلاء ؟ وعلى أي حالة سيكون المستقبل ؟ هذه قضايا
حيوية هامة حربية بالدرس والتمسكير . . .

لا تتع تبعة تأخر القرى وتقدمها على المدرسة وحدها فهناك
مؤثرات اخرى ، هامة ايضاً ، تعود للتنظيم الاداري والسياسي ،
ايضاً هنا مجال البحث فيها ، ولكن المدرسة اشتركت في الجزية ،
وهذه حقيقة واقعية لا يمكن انكارها ، وهي تستطيع تدارك
ذلك الضرر الواقع بسببها ، وتلافي ما ينشأ عن المؤثرات الاخرى

العم ابو سليم رجل وسيم الوجه ، مهيب الطلعة ، يأنف على
البنين ، ولكن نشاطه لا يزال على شئ . من الاتصال بعهد الشباب
شان الفلاح الصالح العامل الذي يستمد من الطبيعة قوة لا ينضب
معينها .

زوانه مرة في مزرعته الصغيرة ، فاستقبلنا بوجه البشوش الذي
تعلوه صمات الهمة والحلم استقبالا قروباً فطرياً كله وداعة وبشر
وكرم ، ثم بدأ يقطف لنا من جني تعابه مما تكرمت به عليه
الارض الخيرة من العنب والتين والخيار . وما استوتت به الارض
بعد ان قدم لنا تلك الفواكه الشهية حتى بدأ يوانسنا بحديثه
اللطيف . وكان من الطبيعي ان يحدتنا عن ارضه اولا ، فجدد لنا
قوله ، فاذا المزروع منه لا يتجاوز عشرة ، وقد اعتذر عن ذلك
بقوله : « انني اعلم على قدر همتي . لماذا اعمل فليس لي شيء قليل المروءة »
ولدى البحث تبين لنا ان ابنه سليم شاب قوي البنية يأنف من
العمل في الارض بعد ان تعلم في مدرسة القرية لاعتقاده انه أصبح
« افندي » فلا يليق به ان يعمل كفلاح .

وأكل ابو سليم حديثه فقال : يفضل سليم ان يعمل كعامل في
المدينة عن ان يبقى بالارض . وليته يعمل دائماً ! انه في اكثر الايام
عالة على وعلى امه . مسكينة هذه الارض ! فاني لن اغض جفني
حتى يبعها ! تقولون ارسلوا ابناكم الى المدرسة . وقد ارسلت ابني
فماذا جنى منها سوى الكسل والتفاس ؟ تقولون لنا ان لم ترسلوا
ابناكم الى المدرسة تجنون عليهم ، ونحن ارسلناهم اليها فجنحت
عليهم وعليها وعلى هذه الارض . »

وقد اكند لنا العم ابو سليم ان هذه هي حالة اكثر الابناء الذين
تعلموا في المدارس ، وقد اثبتت تهاوننا المتعددة في القرية صدق
ادعائه ، قد كنا نرى الايأ . يعلمون ، وقل ان رأينا شاباً يعمل .
ذكرني حديث العم ابو سليم حديثاً آخر لاديب مصري :

قال ذلك الاديب : اهم اللورد كرومر ، انسا . وجوده في
مصر ، باشا . المدارس في القرى ، وجمع لذلك الاموال من الاغنياء .

ويعمل كثيراً ويكون محور الانقلاب الاجتماعي الذي يتمناه كل
مصلح لبلاده.

إذا تبني المرابي تلك الفكرة السامية التي هي بقظة الامم
الناهضة وابتسامه الامل للانسانية المثالة الخائفة من التفكك
والاخرال في عصر كثرت فيه عناصر الفساد ، استطاع ان يوجه
النش. توجيهاً عالياً مكيفاً حسب البيئات.

فالتوجيه العملي المعتمد على تربية مثقفة صالحة هو هدف
المدرسة الحديثة ، وهو الهدف الذي يجب ان يسمى اليه كل مرب
صالح في الحقيقة . فكيف يتم هذا التوجيه ؟

ان احاول البحث في التوجيه المسلكي او التوجيه المدرسي

ووسائلها الفنية التي
انتجتها المختبرات العلمية ،
اذ ليس هذا موضوع
بحثنا بل اود ان اتكهن
من توضيح شي . من
فكرة التوجيه العملي
الذي يجب ان تقوم به
المدرسة الابتدائية لتقوم
بذلك فكرة حقارة
العمل وخاصة في القرى .

ولا بد لنا هنا من

ان نقرر مبادئ اساسيين
هما :

١ - من الخطأ

الاعتقاد بان المدرسة تستطيع خلق الولد خلقاً جديداً . فهي لا
تستطيع منحه ما تجلت به الطبيعة عليه ، وانما هي تساعده على
تربية نفسه ، كما يساعد المزارع النبات على النمو ، او بتعبير آخر
هي ترشده وتوجهه ، ولذلك وجب احترام شخصية الولد فلا
نخرجه ولا نكفله فوق طاقته بل نساعده على ان يمسك التوجه
لما خلق له ، وان يكون توجه هذا عالياً ، أي مشبعاً بروح سامية
من حزم وعزم واقدام ، تبعه على ان يعمل في الحياة بجد وتزاهة
واستقامة .

٢ - خلق هذا الولد ليعيش في مجتمع معين وليشارك مع افراده
في العمل على رفع مستوى الحياة ، فلا بد للمدرسة من ان تتكيف
وفق روح هذا المجتمع ومثله العليا لتخرج له شاباً يعمل لرقبه

إذا احسنت تنظيمها واستخدمت الوسائل الملائمة للاصلاح .

ولما كان المرابي هو روح المدرسة وبه كيانها ، فهو المدعو
لقيام بهذا الاصلاح .

فالمرابي الذي زيده للقرية هو ذلك الذي يشع في قلبه نور
الايان بشرف مسلكه ، ذلك الشرف المبتني عن استهدافه لاصلاح
المجتمع ، وطنياً وانسانية ، واستعداده للتضحية في سبيل هذا
الاصلاح . وقد قيل : الشرف هو خدمة المجتمع .

زيد المرابي مؤمناً بشرف مسلكه ايماناً صادقاً ، يؤدي لعقيدة
واسخة في قدرة المدرسة ، اذا احسن تنظيمها وعرفت كيف
تتكيف ، على تطوير الامة بتكوين نش. جديد .

زيد ، اصيلاً في
تفكيره وتصرفاته ،
واريد بذلك ان يكون
له تفكير شخصي
وتصرفات ذاتية بعيدة
كل البعد عن التقاليد
الاعمى ، فيصبح تفكيره
صادراً عن دماغه وقلبه ،
واماله منبثقة عن ارادته
التي يدفعها قلب نابض
ينيره ذلك الدماغ
للفكر .

زيد قادر على
تطوير المدرسة من تقليدية

الى حديثة فالمدرسة التقليدية هي الجبانية على القرى ، التي ان
يصلحها سوى المدرسة الحديثة التي هي منها واليا ، على ما سبق
بيانه .

المدرسة التقليدية تعني بالتعليم . فهي تحشو الادمغة بالمعارف
المختلفة ، وهي على الغالب معارف لا تصلح الا للرجل وليس بينها
وبين الطفولة ادنى صلة . ولذلك لا يكون منها سوى استقراء
سلبية الولد وتشويشه ، وينتج عنها الغرور واحتمار العمل . اما
المدرسة الحديثة فانها على العكس لا يتم في المعارف الا بقدر ما
يضرها لذلك حاجة نفس الولد . ليم غره التهام المتسق ، والملائم
لروح مجتمعه ، وهي تحترم العمل وتوجه اليه النش . .

فاذا تبني المرابي فكرة المدرسة الحديثة فانه يستطيع كثيراً



احدى مدارس الزيف في فرنسا

•

بتوضيحه واخلاص .

فاحترام شخصية الولد واحترام مجتمعه مبدآن اساسيان في كل توجيه صحيح ، وشرطان اوليان لنجاحنا في توجيه ابناء القرى توجيهاً عملياً منتجياً .

ولكن هل يستطيع احترام تلك الشخصية وهذه الروح من لم يدرك كتبها ؟

فعلى المرء ان يدرس الولد ومجتمعه درساً إيجابياً عملياً لا يكتفي فيه بما قرأ في الكتب او سمع من افواه المحاضرين ، وعلى ضوء هذا الدرس الحي المزودج المعتمد على ثقافة صحيحة يجب ان يقرر خطته ، ومن شخصية الولد وروح المجتمع ومثله والمستقبل

الذي يستهدفه يجب ان يستمد مبادئ طريقته ووسائلها .

فابن القرية يتازع ابن المدينة بقوة الملاحظة ودقتها لانه اكثر اتصالاً بالحياة الواقعية منه وهو بسبب ذلك اكثر ميلاً الى الناحية العملية منه الى الناحية الادبية لغرفته وحكم يبنته . فادراكنا لهذه

البادرة من نفسية ابن القرية وميوله ، مثلاً ،

يفسح المجال امامنا واسعاً لتوجيه توجيهاً عملياً ، وبلهنا الاعتماد على وسائل طبيعية ملائمة منها :

١ - دروس الاشياء ، واريده طبعاً دروس الاشياء التي تنمي تلك الملاحظة وتربي ذاك الميل العملي ، لا دروس الكلمات التي تقني الحافظة بما هو غير مفهوم . ويجب ان نفهم هنا ان الولد لا يدرك ادراكاً تاماً مالا بأنيته عن طريق الحواس من المعارف بصورة حدسية في البدن فهو حدسي حسي فوجب ان نتخذ تربيته هذا الشكل .

٢ - الملاحظة العملية : فندع التلميذ يلاحظ هو بنفسه الاشياء التي نضع امامه وندعه يصورها في درس الرسم ويميل على ايجاد نماذج مثلها في درس الاشغال ، لبعث روح العمل في نفوس تلميذاتها .

٣ - الدرس الحلي ، فنعتيد على الدرس الشفهي ، الذي يقوم

به المرء نفسه لمساعدة الولد ، اكثر من اعتمادنا على الكتاب . فلنستل في المدرسة لتدريس الكتاب وانما لمساعدة الولد على تقوية الملاحظة وتنمية روحه العلمية ، وليس الكتاب سوى وسيلة مساعدة تضر اذا لم يحسن استعمالها فقد انقضت من الحفظ والتسميع .

٤ - العمل في الحقل ، فنعني بان يكون للمدرسة حقل خاص نعمل فيه نحن والولد ليراقب ادوار غو النبات ، فنساعده على فهم تلك الادوار والظواهر في حينها ، على ان نفسح له مجالاً واسعاً للملاحظات الشخصية وتفكيره الذاتي المعتمد على الحس او على ما سمع ورأى في بيته وفي حقل ابيه وجيرانه ، ولا بأس من ان يكون المجال الذي

نفسحه له اوسع من ان نغنه من القيام بتجربة نعتقد خطأها .

٥ - العمل الذاتي : فنطبق طريقة المشروع كلما امكن ذلك فتترك ولداً او عدداً من الاولاد يقومون بشروع من المشاريع كترية دودة الحرير ، او زرع نوع من الحبوب ، او زهرة من الزهورات ، او تربية بعض الدواجن ، او بناء

بيت قروي من كرتون او خشب ، الخ . . . حسب البيئة والامكانيات . نتركهم يعملون ذلك من انفسهم دون توضيح سابق بل نضع امامهم بعض الكتب او المجلات التي تبحث في هذه المواضيع ، والصور التي توضحها ونسمح لهم ان يسألوا في اوقات الفراغ او في فوسحاتنا في الصف عما يشكل عليهم ، وان يسألوا آباءهم . وان يستصلوا على المعارف التي يحتاجون اليها من ارباب تلك المهن مما امكن ، وبلاجمال نترك في هذه التارين حرية المحاولات ولا نخاف من الاخطاء التي يمكن ان يتقوا فيها ، لاننا سنصلحها في الوقت الملائم وهم يشعرون بحاجة الى تلقي العرفه .

واذا علمنا ان ابن القرية سريع الفهم ذو ذهن نشيط ، يجب



مدرسة قروية حديثة

فهؤلاء يعيشون من ربيع املاكهم وينفقون عن سعة في المدينة والقرية، وهم عنده الاشراف النبلاء لانه خاضع لهم . اذن فالنبيل في نظره هو من يستطيع الانفاق دون تعب، فنشأت فكرة احتقار العمل، اذ من يعمل ويتعب ليعيش ليس نبيلاً فاحتقر نفسه وضعت همته ورضي بقسمته .

فالمرئي الحاذق الملق يتخذ من ادراكه كنه هذه الظواهر الاجتماعية وغيرها اسماً متينة يبني عليها صرح تنظيمه المدرسي ، فيكيفية على شكل يساعد على ابراز ما في العمل من نبل واظهار ما ينتج عن البطالة من ويلات .

ان هذا المرئي يدرك جيداً ان القضية ليست قضية خطب

وحكم واقوال ومواعظ وانما هي اعمال تتشبه فيها تلك الحكم وهذه المواعظ .

انه يدرك جيداً ان الحكم التي يلقها لتلاميذه في دروس الاخلاق ، لا يكون لها اي اثر اذ لم تؤيدها روح العمل في نفسه .

التربية عل-روحي وليست عملاً شكلياً ، فالذا لم يكن المرئي روح عملية صحيحة فلن يستطيع

بعث تلك الروح في تلاميذه . ويجب ان يشعر التلاميذ بتلك الروح .

يجب ان يشعر التلاميذ بتلك الروح في مربهم : با يطلع على وجهه من سرور وبما يدل عليه النور المتلألأ على عينيه من تباه وارتياح عندما يعمل او يرى الآخرين يعملون ، او عندما يتحدث عن العاملين وعن الفقراء والعصامين منهم خاصة .

ولكن هل تتجلى تلك الروح في مرب لا يحسن العمل ؟ وهل يستطيع غرس مبدأ احترام العمل في نفوس النشـ . مرب يأنف من التيام به ؟

ان المرئي المدرك لسر مهنته لا يكتفي بارشاد التلاميذ لكيفية العمل في حقل المدرسة مثلاً بل يعمل هو نفسه مع التلاميذ

الاستطلاع ويبل الى المخاطرة للانتاج استطلعنا ان ننتشر تلك الظواهر النفسية فنستخدم وسائل ملائمة لها او نبتكرها .

فجبه للاستطلاع وميله الى الفسامة والمخاطرة واستهدافه الانتاج تؤذي بنسأ ، مثلاً ، الى توسيع دوائر المشاريع العملية واستغلال حقل المدرسة لغايتها ، وفائدته احياناً .

هذه امثلة معتقبة لبعض الوسائل العملية التي يرشدنا اليها احترامنا لشخصية الولد في القرى . وانما ذكرت ما ذكرت لتشثيل والا فالبيئة تلهم والاخلاص يسدد الخطى .

واما روح المجتمع ، فان لها اثرأ قوياً في توجيه خطة التكيف .

فالغلاخ الجاهل ، مثلاً ، ضعيف النفس حود ، وضعف نفسه و

منشأ حمدي في الحقيقة . هو

يحسد المسلم والموظف والزعما . لانهم لا يتعبون تعب ، هو واقمي في تفكيره ولا يرى التعب الا في العرق المتصب على الجبين ، ومن ذكرنا يقبضون رواتبهم او نتائج غلاتهم دون ان يتصب العرق من جبينهم فهم بنظروهمدا . ونفسه ضعيفة فلا يستطيع ان يسعى لحياة اسمى ، فيتمنى زوال النعمة عن المنعين

ويفرح بنبكتهم . فتراه مع رضاه بقسمته لا يتبع عن الحسد بسبب ذلك الضعف .

فاذا اثرا في تقوية نفسه ورفع مستوى تفكيره ، وهذا ممكن ما دمتا نعلم انه فطن وسليم العقل ، نستطيع ، با نبهته في نفسه من طموح ان توجه توجيهاً علياً صحيحاً ، يستعيز عن الحسد بالعبطة وعن الضعف بالقوة ، مستثمرين ما لدى الفلاح من قوة على الصبر والاحتثال

وهنا نصل لظاهرة اجتماعية هامة ، هي نتيجة لذلك الضعف ، ولا يجوز اهمالها لما لاصلاحها من تأثير في توجيه الفلاح توجيهاً علياً صحيحاً .

فالغلاخ يعتقد بنبالة البطالة ، متأثراً بحياة زعمائه واغنيا. القرية



قسم التجارة في احدى المدارس الريفية الحديثة

•

في ذلك الحقل، ويعني بان ينشئ لنفسه حديقة خاصة في بيته يعمل فيها هو على موائى من التلاميذ واهليهم الفلاحين .

هذا مرب يستطيع رفع مستوى تفكير الفلاح ويمسح توجيه شعوره وتلطيف عواطفه ، اذ يجعله يشعر بالذقة الروحية الناشئة عن العمل المنظم المدرك سره ، بل ويجعله يحس الحياة فيدرك ان العمل ليس لجمع المال فيفسد ، وانما هو غذاء وروحي يبعث النشاط والصفا . ويرفع النفس ويفني المرء عن احتياج الغير وعن تضحية كرامته واستقلاله .

ان هذا المربي المصلح لا يكتفي باعمال الحقل ، فهو لا يعمل وسيلة تمكنه من الحصول على كثير من ادوات تساعد على بعض اعمال التجارة والحدادة والحياكة وغيرها من الصناعات الحليية الصغيرة يستعين بها في دورس الاشغال اليدوية ، ويستعملها هو وتلاميذه لتحسين ادوات الصف واثاثه واصلاح ما يجب اصلاحه عند الحاجة . فاذا عجزت القرية عن إيجاد معامل للدرسة ، فالمرابي الملقب الحاذق لا يعجز عن تأمين بعض هذه الاعمال .

تستدعي الحالة الاجتماعية في القرية استعانة الفلاح بآبائه في بعض المواسم ، وقد ينفر بعض المعلمين قدام ذلك لانهم يريدون الولد للدرسة كل السنة لانعام ما يوجبه المنافع المتواجدة من افواه وهم ينسون عندئذ ان عمل الولد مع وليه يساعد المدرسة مساعدة هامة في انعام منهاجها الحيوبي الاكبر وهو توجيه النفس . القروي توجيهاً علياً وزراعياً بصورة خاصة .

أليس الاولى ان يستغلوا هذه الحالة كوسيلة تساعدكم كل المساعدة في معلم التريوي اذا احسنوا الاستفادة منها ؟
الا يحسن المربي صنعاً اذا عمل في انشاء هذه المواسم ، على الاتصال هؤلاء التلاميذ في المدرسة حيناً وفي الحقول احياناً ، فيشجعهم ويظهر التباهي بنشاطهم وعلمهم ، وينير ذهنهم بالبحث معهم عن معلم هذا ، فيرشدهم لخير طرق الانتاج ؟ أفلا يكسب بذلك الولد واهليه فيوثق عرى الصداقة والمحبة بينهم وبين المدرسة ؟
وفتى كسب المربي الاهلين استطاع الاعتماد على مساعدتهم في توجيه الولد توجيهاً علياً يتفق مع قواعد الفن ومسح المصلحة الوطنية الكبرى . فيستطيع ارشادهم ، بواسطة الزيارات والحفلات

والمراسلات ومحاضرات يلقيها عليهم في المدرسة ، فيعلمهم كيف يساعدونه في تربية ابنائهم وفي توجيههم .

قد نشأ تعارض بين مبادئ المدرسة الاصلاحية وبين ما لدى الاهلين من عقائد فاسدة وتقاليد بالية ، فلا يجدر بالمعلم الملقب ان يجهلهم ، كما انه لا يليق به ان يسايرهم ويتراجع عن عمله الاصلاحى فروثه الذكية ، واخلاصه وتضحيته تجعله يصل بهم الى ما يرغب فيه من اصلاح تدريجياً وبالاستعانة بالزمن ، ولندكر دائماً ان الزمن يأبى ان يتم امر بدون تأثيره . ولشئ دائماً بان الساعي للاصلاح باخلاص وحكمة وتفكير ينجح حتما اذا ترك مجسالا لعمل الزمن ولم يقنط .

واذا ذكرت بعض الوسائل اليجابية في توجيه النفس . توجيهاً علياً ، فلا يجوز لنا ان نهمل الوسائل السلبية التي تتعلق بايراز ما في البطالة من حقارة .

فلا بد للمربي الماهر من الاستعانة بكثير من الوسائل العملية والمحادثة الطبيعية ، ويسير الرجال الصغارين ويسير من اقتدتهم البطالة صحتهم وثروتهم ، لا بد له من الاستعانة بهذه الوسائل وغيرها ليحصل الولد يصغر ويمس بالضجر الذي يقفل قلب البطال ، والمعلم الذي يضيئ جهده .

فن درس نفسية الولد وروح مجتمعه يجد ويتكرر دائماً من الوسائل ما يساعد على ان يصل بتلاميذه الى الاعتقاد بسعادة العامل وشقاء البطال ، وبنبالة العمل وحقارة البطالة .

يسلك احدنا مسلك التربية اما باختياره عن ميل وحب ورغبة ، واما اضطراراً ليتخذه مهنة يكسب منها معيشته ، فالاول يختص بمحكم ضميره المسلكى الفطري فيسترشد ويعمل بتضحية واخلاص ، والثاني يجب عليه ان يروض نفسه ، ما دامت الواقعة قد وقعت واخذ على عاتقه تحمل هذه التبعة العظمى المقددة ، على ان يصح احياناً في مسلكه ليسعد في نفسه ويسعد امته بتوجيه ابنائهم توجيهاً يتفق مع آمالها واحتياجاتها وما تتطلبه نهضتها من عمل واخلاص وتضحية ، وتفكير وشعور وارادة فيكون بذلك على ما تقتضيه مهنته الشريفة وسيلة لتحقيق آمالها .

واصف البارودي

الصعلوك العمروق

بضم محمد العلي



يجب ان نطلب منه نبؤس بالحياة ، وخالوس في العاطفة ، واخلاص في الفن . وهذه مجتمعة هي صفة الادب الخالد الذي يثبت على الدهر فلا يبلى ولا يفتقر .

من هذا الشعر الخالص قصيدة جاهلية لشاعر صعلوك كان يقضي ايامه في السلب والنهب والتلصص : الشفري ثابت بن اوس الازدي من اهل اليمن : عدا . مشهور من طبقة اولئك العدائين الذين يروي الرواة ان الخيل لم تكن لتلحقهم اذا عدوا كالمليك بن السلعة وتأبطشراً وأسيد بن جابر . تقول الرواية ان الشفري ولد في بني سلمان فنشأ بينهم وهو يجهل انه ليس منهم ، الى ان كان يوم قال فيه لانية سيده : « أغسلي رأسي يا أخية » فلم يبين عليها ان يلعبها الشفري باخته فلطمته . ولما علم الشفري حقيقة الامر حقد على بني سلمان واخبر ان يقتل منهم مئة رجل : قالوا : فكان يترصد الواحد منهم حتى يمر امامه فيضرب سهمه ويرمي به فيصيب عينه ، حتى قتل منهم تسعة وتسعين . وتأبى الرواية الا ان تنفذ وصية الشفري فتمت القتل مئة : قيل ان القوم احاطوا به وامسكه عدا . منهم هو أسيد بن جابر فقتله . . . فيمر بجمعته رجل منهم فيفرسه فتدخل شظية منها في رجله فيموت . وعلى هذا يتم القتل مئة .

هذه احياة الحصة بالمغامرات والمخاطرات ، صورها الشفري في شعر له متروك في بطون الكتب القديمة ، وصورها بصفة خاصة في قصيدته التي عرف بها والتي عرفت من بعده بلامية العرب . نظمها في سورة غضب حادة لا نعرف لها سبباً سوى ما وقع له مع بني سلمان وارتحاله عنهم ونذره ان يقتل منهم مئة . وجو القصيدة كله يشعر بهذا ، فهو في مطلعها يخاطب قومه ليستدوا للرحيل على ان لا يصحبهم هو لانه يطلب صلبة غيرهم في الارض العريضة ، اولئك الاهل الذين هم خير من اهل : الذئب التوي على السير ، والنمر الاملس ، والضبع وغيرها :

تقديس القدم ظاهرة نفسية لا يكاد يخلو منها شخص من الاشخاص او جماعة من الجماعات . تجلس الى رجل تحادثه فتستشف من كلامه حينئذ الى الايام الخاليات والعهود الماضية ، يخلع عليها جواً من القداسة تطهره الذكري ، حتى اذا انتقل من الماضي الى الحاضر قلب شفتيه وعقد ما بين حاجبيه واخبرك ان الدنيا في هذه الايام على كف عفريت : الدنيا مقلوقة لا يدري كيف ، فلم يعد فيها خير ، ولم يعد فيها بركة ، بعد ان استأثرت الايام الخوالي بالخير وبالبركة جميعاً .

وتترك هذا الرجل العادي الى المتقين من الناس ، فتجد عندهم - او عند اكثرهم - هذا الشعور نفسه . فانت تسمعهم يتكلمون على هذا الزمان عقبة بالرجس ، حتى كاد القديم منهم يستأثر بالظلمة والعبقورية . وهذه مغالطة تشبه المغالطة الصخرية التي تحمل الوقوف امام بناء ذي عمد يرى العمد كلما نأت اقرب الى بعضها ، والواحد منها بعيد عن الآخر في الواقع كل البعد . والعبد هنا كالعابرة هناك ، فليس القديم باخف من الجديد بالعظم . وليس اقصى البناء باخف من ادناه بالعمد .

واذا كان العرب في الاجيال المتقدمة قد غلوا في تقديس ما قدم من الآثار الادبية ، فأشد ما نخشاه نحن اليوم ان نكون قد غلونا في ازدراء كل ما هو قديم في الادب العربي حتى يبلغ هذا الغلو ببعضنا الى القضاء بالافلاس على هذا التراث الذي بين ايدينا . وليس من شك في ان في ادبنا العربي القديم كثيراً من الث ، وليس من شك ايضاً ان بين هذا الث بعض الدرر يضعب استخراجها بغير الاطلاع على الث والسمين سواء بسواء .

في الادب العربي القديم بعض من الشعر الخلق ، خليق بان يقرأ ويدرس وينظر فيه من حيث هو شعر يفيض عن شعور ويتدفق عن عن عاطفة . فليس من العدل ان نكلف الشاعر الجاهلي مثلاً نظم قصيدة تنطق بلغتنا وتصور حياتنا وتتفق مع ادواقنا . كل ما

منشورات الاديب

لا هواده - تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو مجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة .

ثمة ليرة لبنانية

اسبوع الثقافة في لبنان - بقلم نخبة من الكتاب . نفذ

دي غول الاديب - تأليف الاستاذ جان غوليه ، نقلته «الاديب» الى العربية بعد ان نفذت نسخته الفرنسية كلها ، يبحث المؤلف فيه الناحية الادبية في مؤلفات الجنرال دي غول زعيم فرنسا الحاربة . (نفذ)

الواحدة - مجموعة شعرة للاستاذ صلاح الاسير ، تمثل لونا جديداً من ألوان الشعر الحديث . ثمة ثلاث ليرات لبنانية .

مكتبة الاديب

عمر بن ابي ربيعة - للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزآن ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ، ثم الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .

أقيسوا بني امي صدور مطيكم في اني قوم سوكم لأبيل وفي الارض منى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القتل منزول لمبركنا في الارض شيق على امرى . سرى راعياً او راعياً وهو يفعل ولي دونكم اهلون سيد علس وأرقط زهلول وعرفاء جبال لم اهل لا مستودع السر ذائع لدعهم ولا الجاني بنا جر يخذل

وهذا الكلام على ما فيه من غرابة ونبو ، حسن مؤثر يستمد حسنه وتأثيره من صدق تصويره لعاطفة حادة في نفس قائله تدفعه الى ان يتخذ من الضواري اهلاً له . ثم يذكر اولئك الذين ليس له بقرهم أمل والذين لم يميزوه باحسان بأن له اصحاباً ثلاثة يكفونهم فقدمهم : قلب شجاع ، وصادم صقيل ، وقوس ملساء . يشبه دويسا عويل الشكلي المرزاة :

واني كفاني فقد من ليس جازياً يحسني ولا في قربه متعل ثلاثة اصحاب : فؤاد شيع وايض اصليت وصغراء عيطل اذا زل عنها السهم حنت كاعها مرزاة نكلي ترن وتول

وله در هذا الاعرابي يأبى ان يكون كبعض الرعاة الذين لا يقوون على احتمال العطش ، او كالجبان الذي لا يفعل شيئاً الا بعد مشورة امرأته ، فهو يقتدر بأنه ليس باللازم الدار ، التسكيل ، المكشور لمحادثة النساء . اغا هو العذاء الذي به يضرب المثل ، يتطاول الشرر وتتطاول الحجارة المكسرة من تحت قدميه اذا عدا ، هاتين القدمين اللتين أثر بها العدو فيها عريضتان ، صليتان كخفاف العير .

وهو الى ذلك صبور على الجوع ، يحاطله ويحاطله الى ان يذبل عنه . ويبنى انه جائع ، وقد يجد انه لا بد مع القوت من اوراق ماء الوجه . ومن ترفأ تأباه نفسه الكبيرة فيرغب عنه ويعتاض بالتراب يستغه وهو مطمئن البال مروح النفس .

ادم مطال الجوع حتى أبتنه واضرب عنه الذكر صفحاً فاذفل واستف ترب الارض كي لا يرى له على من الطول امرؤ متطول ولولا اجتناب الدام ليلف مشرب يمش به ، الا لدي ، وماكل ولكن نفساً مرة لا تقم في على الضم الا ربنا أمحول

ان يتسع المجال ، لعرض لامية العرب يرمتها ، تلك القصيدة التي تعرض عن قراءتها اليوم كثير من الشباب المتأطب لما فيها من غريب لغوي ، مع انها تحفة من تحف ادبنا القدم لا تقل روعة عن الآثار المشهورة والقصائد السائرة ، ولست أشك لحظة في ان المتأمل فيها سيخرج منها بصورة كبيرة لذلك الشاعر العملاق الذي ظلمته الرواية - دون قصد - اذ جعلته في عداد الصعاليك !

محمد البعلكي

قمرء

تولاك أي سحر ريفي هوى في دروب
 ترحبت الأرض يوم تحويان صحو الهزيع
 تقمصان عاجاً فتهوي ومالت غصون علي
 تقول : هنا أتعت وكنت ، لكان لئلا
 باذني من همم أكنا نداء الرغاب
 همما فكان الزمان شيا برآه الشرور
 بنا خفقة العرق ، حدو الذاذات ، جوع النظر
 وكان المكان انفلتاً غني الرؤى والصور
 ونبتيها نحن نقرأ يجود وقلبا اب
 نخي منى في دروب النساء ، جيني وطر

*

بعينيك مثل الذي بعيني غب الضجر

صلاح الاسبر

فن الإضحاك

بظم نيب الاغتبار

عملاً من هذا القبيل لن يقابل الا بالاحترار والازدراء، فالرجل الذي يطرد ابنه لقول الشعر، على ما كان للشعر من مقام عظيم وخطر جسم، لا يتورع والحالة هذه عن الانسياق الى ابعد من هذا الحد، فيما اذا عمد ابنه او ابن عشيته الى الاضحاك. ونحن في بلادنا لم نزل حتى اليوم الخاضع، لنفسه المضحك من الناس، على ما له من فضل في ادخال السرور الى القلوب والنشاط الى القوي، ولو ظل «بركسون» يكتب الى ما شاء الله عن فلسفة الضحك، لما غيرت كتابته من عقليتنا الرائنة شيئاً. ونحن اذ قدرنا «شارلي شابان» مثلاً حق قدره، فليس مرجع ذلك الى ابداعه الفني، بل الى شي.

واحد لا يملو صفة المهرج في نظرنا.

ومن هنا كان حظ العرب من فن الاضحاك، محدود الافق ضيق الحال، لم تعرف عنه غير التزذير البير، نثر في كتب الادب والتاريخ والسير، ولكن هذا الحرمان لم يحل دون ظهور افراد يمارسون فن الاضحاك، كما يمارس الانسان مهنة تقوم عليها مشغلات حياته، فقد حدثنا «المسعودي» في كتابه «مروج الذهب» عن رجل يدعى «ابن الغازلي» كان يزاول هذا الفن في عهد المعتضد العباسي، وكان ينال بذلك برّ الناس وعطفهم ولعل هذه الحكاية أروع ما نتحدث به مؤرخونا عن المضحكين العرب قال المسعودي: «كان رجل ببغداد يعرف بابن الغساني يتكلم على الطريق ويتص على الناس اخباراً ونوادير ومضاحك، وكان في نهاية الحذق، لا يستطيع من يراه ويلمح كلامه الا ببضحك».

قال: وقت يوماً في خلافة المعتضد على باب الخاصة فحضر حلقتي بعض خدم المعتضد، فأخذت في حكاية الخدم، فأعجب الخادم بحكايتي وشغف بنواديري ثم انصرف غني. فلم يلبث ان عاد الي واخذ يبدي: اني لما انصرف من حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد امير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادر فكاستضحكت، فرآني امير المؤمنين فأبكر ذلك مني وقال: ويلك مالك؟ فقلت: يا امير المؤمنين على السباب رجلي

كانت جدتي تقول لي وانا طفل صغير: ان آباءنا واجدادنا الاول، ما غربت عليهم شمس يوم الا خالوا الى انفسهم يندبون يومهم الراحل، لا لان هذا اليوم خرج من حياتهم ولا سبيل الى اوبته بل لانهم كانوا يرون في البكاء عليه، بعض التكفير عن آثامهم التي عكفوا عليها فيه، وموبقاتهم التي انصرفوا اليها بإبانه، ذلك لان الحياة الدنيا في عرفهم، ما كانت الامتاع غرور، فليس من حقهم الانصياع الى ما اشتملت عليه من مباحج ولا العكوف على ما احترته من مفاقر.

غيرت هذه الحكمة مع ما غير من حكم السلف ولم يعد هنالك من يبيكي على أمه المأبر، حتى انه لم يعد هنالك من يتكفر بالتكفير عنه، فنحن لا ننظر الى حياتنا الا وهي مظلة اماننا فما مضى فات لا تراق عليه دموع ولا تصعد من اجل ذنوبه ضجيج الوازع الديني في قلوب الناس فضعف معه زهدهم بالدينا، ولم تعد الحياة عندهم ذلك المتاع المطرد الى حين، بل اصبحت شيئاً ابدياً خالداً، فما علينا الا ان نكون لها بكل ما يروحنا وبكل ما يجسمنا من قوة على البقاء.

«اهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا، الا انه في المقدار الضروري، لا في الترف ولا في شي. من اسباب الشهوات والمذلات ودواعيها» هذا هو التعريف الذي عرف به «ابن خلدون» مدى شغل العيش في الجزيرة العربية وغيرها من بلدان البدو، انه شغل استدمته طبيعة البادية، فليس فيه ترف وليس فيه أي شي. من دواعيه. وهكذا انتبش ابن العراء من القياقي جافاً كالصحراء في دنيا دائمة العبوس، ليس في الزهد بها خسارة كبرى ولا كبير أمر. ان عالمنا هذه طبيعته لا بطرقه الضحك الا فيما قل والا فياندر، لا بل ان الضحك فيه، نسبة تنال من رجولة الانسان، فكيف بالاضحاك لو آل الى مهنة تزاول او فن يمارس، من البديهي ان

يعرف بابن المغازلي بضحك ويجأكي ولا يدع حكاية اعرابي وتركى ومكي ونحوي وزنجي وخادم الاحكامها ، ويحفظ ذلك بنوادر تضحك التالك وتضي الحليم ، وقد امرني باحضارك ، ولي نصف جاترتك . فقلت له ، وقد طمعت في الجائزة السنية : يا سيدي انا ضعيف وفقير وقد من الله علي بك ، فما عليك ان اخذت بضها ، سلسها او ربها . فأبى الا نصفها ، فطمعت في النصف وقنعت به . فأخذ بيدي وأدخلني عليه ، فسلمت وأحسن وتوقت في الموضع الذي أوقف فيه ، فرد علي السلام ، وقد كان ينظر في كتاب ، فلما نظر في اكثره ألقبه ، ثم رفع رأسه الي وقال : انت ابن المغازلي ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين قال : قد بلغني انك تحكي وتضحك ، تأتي بحكايات عجيبة وبنوادر طريفة . قلت : نعم يا امير المؤمنين ، الحاجة تفتت الحيلة ، أجمع بها الناس واتقرب الى قلوبهم بحكاياتهم التمس برهم وأعيش بما اتاه منهم . قال : فهايت ما عندك وخذ في فكك ، فان اضحككني أنجزتك بمجداة درهم ، وان لم اضحكك فالي عليك ؟ قلت : ما معي الا قفاي ، فاصغعه ما احببت وكمت وبكاشنت . فقال لي : قد انصفت ، ان ضحكك فكك ما ضحمت ، وان لم اضحكك صغعتك بها الجواب عشرين صغعة . فقلت في نفسي ، ملك لا يصنع الا بشي . يسير خفيف هين ، ثم التفت واذا انا يجرب آدم ناعم في زاوية البيت ، فقلت في نفسي ما اخطأ حزري ولا أخلف ظني ، وما عسى ان يكون من جراب فيه ربح ان انا اضحكته ربحت ، وان انا لم اضحكك فأمر عشر صغعات يجرب منفوخ هين .

ثم اخذت في النوادر والحكايات ، فلم ادع حكاية اعرابي ولا نحوي ولا قاض ، ولا عبارة ولا نادرة ، ولا حكاية الا احضرتها واثبت بها حتى نفذ جميع ما عندي ، وتصدع رأسي ، ولم يبق ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استغرم الضحك . فقلت : قد نفذ والله - يا امير المؤمنين - ما معي وتصدع رأسي وذهب معاشي ، وما رأيت قط مثلك ، وما بقيت لي الا نادرة واحدة . فقال : هايتا . فقلت : يا امير المؤمنين ، وعدتني ان تصغفني عشرأ وجعلتها مكان الجائزة ، فأسألك ان تصغف الجائزة وتضيف اليها عشرأ . فأراد ان يضحك فاستمسك ، ثم قال : نفعل . يا غلام

خذ بيده ، فأخذ بيدي ومددت قفاي ، فصغف بالجراب صغعة ، فكأنما سقطت علي قفاي قلعة ، واذا فيه حصى مدور كأنه صنجعات فصغعت عشرأ ، كادت ان تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت اذناي وقبح الشعاع من عيني .

فلما استوفيت العشرة صحت ، يا سيدي نصيحة ، فرفع الصغع عني ، فقال : ما نصيحتك ؟ قلت : يا سيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ، ولا اقبح من الخيانة ، وقد ضحمت للخادم اذا ادخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلبها او كثرتها ، وامير المؤمنين - اطال الله بقاءه - بفضل وكرمه قد اضعفها ، وقد استوفيت نصفها ، وبقي لخادمك نصفها .

فضحك حتى استلقي ، واستغزه ما كان قد ممعه مني اولا وتحمال له وصبر عليه ، فما زال يضرب برجليه ويمسك براق بطنه ، حتى اذا سكن ضحكته رجعت اليه نفسه قال : علي بفلان الخادم فأبى به وكان طرالا فأمر بصغعه ، قال : يا امير المؤمنين أي شي . قضيت ؟ وأي شي . جنائتي ؟ فقلت له : هذه جاترتي ، وانت شريكتي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها . فلما اخذه الصغع ، وطرق قفاه الصائم ، اقول عليه اقول له : اقول لك اني ضعيف فقير ، وسكوتك ايتك الحاجة والمسكنة ، وقلت لك يا سيدي لا تأخذ نصفها ، لك سلسها ، لك ربها ، وانت تقول : ما أخذ الا نصفها ، ولو علمت ان امير المؤمنين - اطال الله بقاءه - جوائز صغع ، وهبتها لك كلها .

ماذا نجد في هذه الحكاية الصغيرة ؟ انها مأساة مضحكة . فنان مهوب ، يتجرى عن بر الناس وعطفهم ، إما بالحكاية وإما بالاضحاك . . . حتى يتمكن من تأمين قوته اليومي ، وهذا الفنان الذي يدخل السرور الى القلوب والمرح الى النفوس ، قد يقوم بهذه المهمة ، وهو يحمل في جوارحه عاصفة كتيبة سوداء . نظير تلك التي يحملها « ابن المغازلي » وهو بين يدي « المعتضد » . انظر اليه وهو يصف نفسه ، ذلك الوصف الرائع حينما اخفق في اضحاك الخليفة : « وتصدع رأسي وطنت اذناي وقبح الشعاع من عيني » . فقد ادرك للمسكين انه اضاع معاشه ، وانه فوق هذا الضياع عرض

الى القراء

★

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية .

في الخارج :

جنه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في

الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب

التي تصدر خلال السنة .

- الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فن شاء . من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثن الجزاء ليرة واحدة

- الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غرساً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة ، وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجزاء الاول والثاني من السنة الاولى . والثاني والثالث من السنة الثانية .

- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الادارة

نفسه عشر صفعات ، ظننا في اول الامر سهلة يسيرة ، فما ان سقطت على قفاه حتى خالها قلعة هابطة لا قبل لملئه بها .

لقد صدق العرب حينما قالوا « شر البلية ما يضحك » . ولكننا اذا نظرنا الى حكاية « ابن المازني » نذهب الى ابعد من هذا الحد ، ويفضي بنا الطاف الى قاعدة قد تكون مقررة شاملة ، وهي ان الاضحاك لا يلد في معظم الاحايين من نشوة المرح ، بل قد يلد من هزة الالم التي تحيئ في صدر صاحبها ، وما « شارلي شابلن » ، فنان الكوميدي الاكبر ، الا خير مثال لهذه القاعدة .

قليلون اولئك الذين لم يشاهدوا افلام « شارلي شابلن » وندر منهم من لم تأخذ عن نفسه افلامه المعروضة ، غير ان الامر الجدير بالذكر ان الذين احاطوا بافلام « شابلن » هم من القلة بمكان عظيم فنحن نضحك من حركات هذا الفنان ، كما نضحك من سكناته اما هو فقد كان يعرض علينا هذه السككات وتلك الحركات ، ومن وراء ستار ما تكشف لنا حقيقة النفسية الا بعد امعان نظر وإعمال فكر ، وما كان لنا ان ندرك هذا القصة واحدة ان العرقل لانه اذا تجل لنا ذلك على حقيقة العاربة وسبلت العناية الخاطوية من فن الاضحاك ، فالانسجام القوي في توليد الضحك من الالم هو ظاهرة من ظواهر فن الكوميدي .

يعبر الاديب عن فكرته وشعوره بالالفاظ ولكن رجل فن الاضحاك يعبر عن هذا كله بالحركات بعد ان يخلع عليها ظاهرة تثير فعالية الضحك في كيان الانسان ، ولا بد لهذا التعبير من طبيعة خاصة مستقرة في اعماق الذات الانسانية ، ف « الرجل الضاحك » الذي تحدث عنه « فيكتور هيكو » لا يعتبر رجل فن اضحاك ، لان مصدر عاصفة الضحك التي يثيرها ، لا ترتد الى طبيعة متأصلة فيه ، بل الى تشويه مادي لا صلة له بطبيعته النفسية .

فن الاضحاك ، فن مأساة الحياة الدنيا في قالب كوميدي ، انه مهزلة الربا الصارخة ، ربا الانسان على نفسه وربا الانسان على مجتمعه .

نائب الاخبار - دمشق

الارواح لا تنسى

بفلم الدكتور قولد فباض

فقد تبدلت الحال وكفى نظرة منها لتضييق عليه الآفاق وتوقمه في القفص فهو بعد الآن سجين يذوب.

تبسمت دفن على قراءتها الايات ثم نظرت اليه باشفاق وقالت بلطف: الحياة طامة يا صاحبي واني اشعر بقصرها فدعني اكل طريقي الى النهاية دون ان اتعب. ثم أعطته تشغله قصيدة لاحد شعراء الانكليز غاب عني اسمه عنوانها الصامتون ، وطلبت منه ان يترجمها الى العربية وهذه هي :

كم رمى الدهر من براع وعود ففجعنا بئسند ونثيد
ووقفنا على القبور نجني من دعاة الفريض كل شيد
ونسألت الثرى غرباء حملوا صابئين ثقل الوجود
لم يبع منهم بشكوى لسان ففقد قلبي على بطلان مات
فقد قلبي على بطلان مات ففقد قلبي على بطلان مات
لا تقصص المنع على قد تفاني وصدي ذكره بكل صعيد
وايك قوساً اقلامهم لم تعبر عن مكاني احلامهم والمعود
كلل الشوك هامهم ثم ساروا للفناء ، وغيرهم مخلود

قالت دفن لاديب: من أية فئة تقضل ان تكون؟ من الصامتين او الشاكين ؟ قال وما يفيد الصمت اذا كان من ورائه النسيان كما يقول هذا الشاعر . قالت : ان الارواح لا تنسى .

وانقضت أشهر الصيف كالخمل وحنان الرحيل فطارت نفس اديب شعاعاً ولم يتالك يوم الوداع عن اظفار تأثره العميق . رأت دفن في عينيه دمعين حائزين فسحبتهما باناملها ثم شدت على يده وقالت بعطف لاحد له كن شجاعاً فروحى لا تنسك .

ودار الزمان دورته واصبح اديب طبيباً مشهوراً وسافر مراراً الى اوربا وتوفر على درس الامراض العقلية وقد انقطعت عنه اخبار دفن ونسجت عناكب النسيان حجاباً كثيفاً على هذا الحب الاول . بعد مشرين سنة على هذا الحوادث ساقط التغاير اديباً الى باريس مرة اخرى فزار كعادته مستشفياتها ومنها مستشفى « السالتيير » الذي لا تزال جذرائه تدوي بصدى تعاليم شاركو ،

انتهى اديب من دروسه الطبية وقصد الى زحلة لقضاء الصيف فيها ، وزحلة يومئذ كعادتها موئل المصطافين ومحطة السباح في طرقيهم الى بعلبك فتعرف الى احد شيوخ الاميركان من المنتشقين وعلماء الآثار وكان لهذا الاميركي زوجة في الثلاثين من العمر تدعى « دفن » قد حلاها الله باجل الصفات مادة وروحاً وابنة في الثانية من سنينها . وكانت دفن على جانب كبير من العلم تحسن النطق والكتابة في لغات عديدة منها العربية فاستحكمت بينها وبين اديب صداقة ادبية وحبه روحاني وصار يكثُر من زيارتها ويرافقها في تزهاتها على ضفاف البردوني او خارج المدينة او يساهرها على شرفة التزل فيدور حديثهما على الادب وينشاشدان الاشعار تارة بالافرنسية وطوراً بالعربية ، وبطلما على بعض مظلوماته فتسريها وتشجعه على المضي في النظم لان الشعر في عرفها طريق الى صفاء النفس والبعادة وهو لا يتعارض والطب يوجه من الوجوه بل ربما كان عوناً له بما يكسب من سعة الخيال وقوة التصور . وقد طلبت منه ان يترجم لها بعض قصائد لاورد بيرون وموسه واعجبت على الخصوص بترجمة « اذكري » لموسه على ما في هذه الترجمة من التصرف وما هو معروف من ان هذه الايات ليست من احسن ما نظم موسه . فكانت تسأله ان يشدها ايها كلما اجتمعوا معاً في السهرة فتطبق الكتاب في يدها وتعوض عنها في اللانهاية وهي مضغية اليه

كانت « دفن » في نظر اديب سرّاً من الاسرار فهو على الرغم من صحبته لها شهرين واتفاقه في الذوق معها في كثير من الاشياء لا يزال يشعر ان بينهما مسافة من الصعب عليه اجتيازها ، وقد شغفته حباً حتى لازم السهادجفونه واصابه تحول فزع على مكاشفتها ما في قلبه ولكن كيف السبيل والحيا . غالب عليه والجرأة ضائعة منه ففضل ان يسل الى القلم امره وارسل اليها ابياتاً بالفرنسية يقول فيها ان قلبه كان كالصفيور طليقاً بلا الجور طرباً دون ان تؤثر فيه سهام الطفل المحنج الذي كان يطارد ابداً (كويديون) اما اليوم

وسمع محاضرات في الشويع ومناجاة الارواح لطبيب شاب فسر بها واخذ يتردد على الطبيب المذكور في المستشفى حتى تمكنت بينها وواصر الصداقة فدعا الطبيب يوماً الى تناول الشاي في منزله في سان كلود.

وصل ادب الى سان كلود قبل الميعاد بنصف ساعة فأخذ يمشي في شوارعها وهو مأخوذ بهجة السكن السائد في تلك البقعة البعيدة عن ضوا باريس وضجيج الحركة فيها معجب بتلك البيوت المحاطة بالجنان والاشجار الباسقة التاريخية ، وانه لكذلك اذا بصوت شجي يقرع سمعه وغدا لم يكن يتوقعه يحمل اليه من اشعار صباه تلك الايات التي نقلها عن موسه :

اذكريني كلما الفجر بدا
واذكريني كلما الليل مضى
واذا ما صدرك اهتر على
او دعاك الظل يا مي الى
قاسمي من داخل الغاب صدري
فأنتحى للشوق قصر العجب
هانئاً متلحفاً بالشب
نعم اللذات وقت الطرب
لذة الاحلام عند المغرب
هاتف فيها يناديك اذكرني

لا تسلم عن دهش ادب في باريس وضواحي باريس ينشد شعر عربي بهذه اللمحة الضميمة وهذا الشعر هو له . . . ولكن الصوت لم يدع له مجالاً للذهاب في تأملاته فتابع المتأمل :

اذكريني ان غدا صرف القدر
يوم لا تقي الليالي والمير
واذكرني حياً به قلبي انظر
واذا الحب على القلب اتصر
وانا ما عشت يكفيني غير
فاصل ما ينشأ للآل
من رجاء لقوا ادي الكدر
ووداعاً لا يملكه الضيق
غلب اليبس وطول الامد
منك والقلب يناديك اذكرني

يا لله ! اني حلم هو أم يقظة ! ومن يكون هذا المعنى الذي اختار هذه البقعة الغربية الثانية ليملاً جوها بالخان ليس من يفهم صداها ؟ وعاد الصوت الى الانشاد :

اذكريني عندما أتى المنون
عندما تنتفح للفرح الجفون
ان تري من بعدها ذاك الحزين
ابداً غموك كلالحت الخنون
واسمعي من جانب القبر اتين
هاتفاً في ظلمة الليل اذكرني
ويضم القرب ذا القلب الكسير
زهرة القفر على قبري الخبير
لكن روجي سطرير
تحفظ العهد على مر الدهور
هاتفاً في ظلمة الليل اذكرني

وسكت الصوت فافاق ادب من ذهو له واسرع كالجنون يدور حول الحديقة وقد عقد النية على دخوله للتوصل الى معرفة صاحب الصوت وما كان أشد دهشه عندما وصل الى الباب وقرأ عليه اسم صديقه الطبيب . اذن قد وصل الى حيث يقصد وهذا الغناء آت منه فن يكون صاحبه يا ترى . قرع الجرس بيد مرتعشة وقلبه يكاد يقترن من صدره لشدة خفقانه ففتحت له الخادمة وقالت

ان الطبيب لم يأت بعد ولكن سيدتها في انتظاره ثم قادته الى غرفة التدخين او المكتبة فاذا به امام صبية حسنا . أقبلت عليه وحيتها بادل ولطف ودعته للجلوس الى جانبها وكان ادب كالمتوه وقد ارتج عليه فلم يبتدئ الى كلمة بقولها ثم قال لك وقال عفواً سيدتي من هو الذي كان يغني الساعة ؟ فنبست وقالت هذه اغنية كانت تحبها امي كثيراً وقد علمتني العربية وسهرت علي في سليل اتقانها من اجلها . وقد عرفت من زوجي انك من بلاد العرب فاجبت ان استقبلك بها وهي لموسه على اني لا احب موسه كثيراً وفضل عليه البرسامان . أولست من رأيي ؟ قال ادب لكل زمان دولة ورجال والاذواق تتبدل مع العصور والشعر كغيره من الفنون الرفيعة يجب ان لا يبق في مكانه جامداً . قالت : من شعراء اليوم من يتكبرون كل منزلة على السابقين فلا تنسى انهم لا يعدون هيكو شاعراً . قال : قد يكون في ذلك مبالغة ، فان كتاب اليوم لا يزالون يستشهدون بشعر هيكو في كل مناسبة لانه لم يترك باباً لم يطرقه ولا موضوعاً لم يعمل فيه قريحته ، وبالألمس كعنا عند رومين صاحب التمثال المشهور « المفكر » وهو يحدث جذاب كما تعلمين فكان يورد في عرض حديثه أبحاثاً لم يهيكو . فاشعر مثل هذا يعد من متأخري فرنسا لا يمكن محو اسمه بخط قلم .

وقفاهما في هذه المناقشة اقبل الطبيب واشترك بالحدث وقال لادب سسمع الآن ما تدعش له . قال صمت ودهشت فوق ما تتصور . قال الطبيب بل سيزيد دهشك عندما تعرف الحقيقة بكاملها . لقد كنا نتكلم عن الارواح فاسمع اذا صاح : ان امي ويعني ام زوجته ، كانت تحب هذه الغنية وعند احضارها كانت وصيتها الاخيرة ان لا تقطع ابنتها يوماً عن التقى بها اذا ارادت ان تظلل على اتصال باها من وراء القبر ووعدتها ان تحضر روحها اليها كلما غنتها وفي الواقع لا يمضي يوم دون ان ترى امها في المنام واذا قلنا لها ان اغفلت انشادها يوماً فان امها لا تحضر تلك الليلة فاقولك ؟

كان ادب يسم هذا وهو في شبه غيبوبة واحسن ضباباً كثيراً اشق عن عينيه واخذت تلك الغيوم المتلبد في آفاق نفسه تتبدد شيئاً فشيئاً حتى ظهر من وراءها نجم بعيد كان قد اضاء الليرة الاولى سما صباه وانبعثت ذكريات قديمة مدفونة في اعماق وجدانه فقال في نفسه : حقاً ان الارواح لا تنسى .

نقولا فياض

آمنت بالظلم الذى لا يرتوى

★

عمومة الشفتين لو نطق الدم
حلي البيان بها وغم حسنها
آمنت بالظلم الذى لا يرتوى
هو في لماك لبانة منهومة
مرت بها القبل الظلم كاليلة
ظلت تحن الى مباهج امها
أيام كان العمر في آلائه
وهوى بطوف على الكزوب فيفتي
دنيا كما شاء الشباب رحيمة
خلقت بها شفتاك معجزة الهوى
قد زانها المجهول من اسراره
دنيا تصورها طفولة مبهم
الف بدعة وحيا وغيالها
يافتني وبكل مسرى قبله
أضمرت فيها من دمي نار الهوى
قبل كالأحان الجسيم مرنة
قد صنتها عن راحم مترفق
راض الشفاء على العنيف المشتكى
لم بعد ما تهذي به وتندم
ولطالما زان البيان منعم
وفتت بالغر الذي لا ييم
وعلى شفاهاك شهوة تتكلم
لم ترمش شفة ولم يفتق ثم
أيام تنعم بالفرام وينعم
شفة ترف وقيلة تتلعم
وروى غم على الجساد فيعلم
صفاة ريانة ، تبسم
متعسا اذا سم الهوى لا تسام
ببهاج كفتونة لا تهرم
كأثره أعرب عن شذاه البرعم
والشعر منحة ما تقيض وتلهم
من أمسي الدامي لظى يتضرم
ورجعت لا تار لدي ولا دم
هوجاء تعصف بالشفاء وتهدم
وهبتها للمغامر لا يرحم
نصر الحياة بجراح يستلم
عبر المطلب الامين — دموى

شاعرات متفصلات في الأدبين العربي والافرنسي

فلم غليل هندراوي

الاستاذ في تميز حلب



كانت تردد أكثره ما بينها وبين نفسها ! ولذلك احببت ان اتحدث عن هذا الغزل القليل الذي تقول له المرأة - هذا الغزل القليل الذي استطاعت الكتب الادبية ان تختلسه وتصوره لنا ؛ ولا احب ان اعلل قلة انتاج المرأة في الشعر والادب بعلّة الضعف وجذب الشاعرة في خيال المرأة - كما يعمل البعض الذين يبخسون حق المرأة في كل شيء - لان المرأة عندي اذا اردت شيئاً اردته كالرجل ، وأدته كما يرويه الرجل . ولكن مرد هذه القلة يعود الى عوامل كثيرة اورثها الاجال السابقة ، كانت تشل تفكير المرأة ، وتحد من عاطفتها ، وتقلل من حيويتها . واذا ذلك يجني العصر على المرأة حين لا يمثلها لعيوننا الا امرأة لا تماو ولا ترتفع ، ولا تنظر الى الحياة بغير عين المرأة ، ولا تستطيع التفوق والتسامي في أي عالم فني لانها امرأة ! وامرأة فقط . . .

ذلك ظلم الرجل والتاريخ ! والتاريخ ظلم المرأة كما ظلمها الرجل ! ولكن هنالك نفوساً آسية تنوقت الادب والفن ، وتوغلت فيها ، وكان لها منها نصيب وافر على القالب . وقد تختلف الإجابة في النفس ، ولا يلحق بالرجال منهن الا القليل . ومن ذلك يعزى الى الشاعر جبري « ما قالت امرأة الشعر الا وظهر الضعف في شعرها » قيل والحسنا ؟ قال : تلك فوق الرجال ! على ان الحسنا لم تخض الا في موضوع واحد محدود كان ملائماً لعاطفتها - خاصة - ولعاطفة المرأة - عامة - وهو الرثاء ! والمرأة اذا بككت أثرت ، واذا رثت اشجعت .

لم تكن المرأة السابقة مضطهدة في نفسها وحريتها فحسب ، بل كان هنالك اضطهاد آخر من الرجل لادب المرأة نفسه ، فنجح نأخذ كتب الادب ورواياتها فنعجب من اهلها ادب المرأة حتى

أكثر الناس يعرفون ان المرأة موحية للرجل ، وملمهة للفنان . تجود بشعاعها عليه ، ولا تجود بشعاعها على نفسها ، وتحلق العاطفة في صدره ، هذه العاطفة التي تفتح له ملكوت الخيال ، ولكن لا تبشها هي في صدرها . والحق اننا لا نستطيع ان نجد شاعراً او فناناً لم تستبد المرأة روحه ، ولم تعمر رحاب صدره ! ولو علمنا على حذف المرأة من حياة كل شاعر او فنان ، لافقر عالم الشعر من رجاله ، وخلا عالم الفن من صوره وقائليه ، ولم يبق لدينا من الشعراء الا كل شاعر جامد بارد ، مظلم القلب ، خامد العاطفة يحبس الحياة سجننا . ولم يبق من الفنانين الا كل فنان يكسر ازميله على حجارة لا حياة فيها ، ويسلك ريشته على الوان باهتة لا تعبر عن شيء . وما عسى ان تكون - كوميديا دانتي - اذا غاب عنها وجه محبوبته « بياتريس » ؟ وشعار ابن زيدون اذا انسلت من حياته « ولادة » ؟ الحق ان عالم الادب والفن يدين للمرأة بأكثر آياته الزائفة ، وأعظم لوازمه السائرة . ولكن موضوعي لم يكن ليتناول هذه الناحية ، انما يتناول اثر المرأة نفسها في عالم الادب وحده . بل ليس من حقي القول في عالم الادب كله على التعميم لان المجال لا يسمح بكل هذا . ولكني اقول : في ناحية واحدة من الادب ، او في ناحية واحدة حساسة من الشعر هي ناحية الغزل . . . والغزل لغة لا يتفرد بها الرجل دون المرأة لانها لغة الطبيعة الشاملة في كل أحيائها !

ومرد ارتكاز هذا الموضوع في نفسي يرجع الى ان طالباً سألني مرة ونحن نقرأ غزل امرى القيس « ان هذا الغزل الذي نقرأه ليس فيه الا تغزل الرجل بالمرأة ، أفليس للمرأة غزل خاص بها ، تبته معتبرة عن وجدها ؟ فأجبت : « ان للمرأة غزلاً الخاص بها ، ولكنها

فيرجع صوتها اليها ليزيدها وحشة واضطراباً !

وعينكننا ان نقيم الغزل التسائي العربي الى ثلاثة ادوار :

الدور الاول - الغزل الذي كان ينقله الشعراء انفسهم بلسان المرأة . وهذا النوع كان يكثر عند شعراء الغزل القصصي امثال امرئ القيس في الجاهلية ، وعمر بن ابى ربيعة في العصر الاموي ، وباريد بن برد في العصر العباسي . فهؤلاء الشعراء قد اختلطوا بالمرأة كثيراً ، وسمعوا ونقلوا من لغتها كثيراً . فاصبحوا يتناولون كلامها ، وحوارها نقلاً رقيقاً صحيحاً .

فهذا الاشئ مثلاً يقول عندما زار محبوبته هريزة فجأة :

قالت هريزة لما جئت زائرنا ويلى عليك وويلي منك يا رجل

فهذه الكلمة لا يمكن ان يقولها الرجل من عنده ، ولا يقدر ان يضعها هو اذا لم يجدها في قاموس المرأة النافرة الراضية ، الملمنة القلقة في وقت واحد .

وهذا عمر بن ابى ربيعة ، الذي كان يعيش من شعره على المرأة كان اصدق من نقل الينا غزل المرأة . ومن قوله عن لسانها :

وكادت بجهور النجبة تجهر
وانت امرؤ مبسور امرك اهر
انت بك ام قد نام من كنت تحذر
الك ، وما عين من الناس تنظر
أما نتقي العداوة ، واللبل مفر
أما نتسجي ، او تروعي ، او تنكر
لكي يحسبوا ان الغوى حيث تنفر

فحييت ، اذا فاجأنا ، فتدلت
وقالت وعشت بالبيان فضحتني
فوقاً ما ادرى : التجميل حاجة
فقلت لها : لا فادى الشوق والغوى
ولا اخرجنا ساعة الغي قلن لي
وقن : أهذا ذاك الدم سادرا ؟
اذا جئت فانتج طرف عينك غيرنا

وغير عمر كثير من نقلوا غزل المرأة امثال الشعراء العذريين كالجنيد وجبل ، وما نقلوه الحوار الرقيق بين الرجل والمرأة كما فعل وضاح اليمين في قصيدته المشهورة . . .

الدور الثاني - الغزل العفيف وهو ذلك الغزل المتأسك الذي كانت تعبر به المرأة - بدون واسطة - عن هوى عفيف ، يسكه قلب شريف ، وميل عفيف لا ابتذال فيه ولا تبتك ، لانه شعر العاطفة البرينة . واكثر ما قيل هذا الشعر في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام يوم كانت النفوس مطبوعة على العفة والحيانة . وليس في هذا الغزل قصائد طوال تردهم بالصور والاطياف والذكرات وانما هي ابيات اشبه ما تكون بالافرات الحادة ، لا تكاد تخرج من الصدر حتى تنفس عن حاجتها وتعود الى هدوئها . ومن ذلك ابيات رواها ثعلب لامرأة من العرب تصف فيها مخلوق مع ابن عم لها عشته فذرى اهلها فحجبها عنه .

ليخيل الينا ان هذا الادب الحساس العجيب ليس قلبه اوتار متصلة بالعاطفة والحياة ، مع ان الامر لا يرجع الى ان الحياة قليلة الكمية في صدر المرأة ، ولا الى ان حرقه الشعور والاحساس ضعيفة في قلبها . ولكن تاريخ الادب الذي كان يتصرف به الرجل اهل المرأة وزاد ظلمه لما على ظلم التاريخ ، وكان ذلك منه لشؤون عدة : اهمها ان المرأة لا يليق بها ان تكون شاعرة تتحدث عن خفقات قلبها كما يتحدث هو عن خفقات قلبه ، ولكن هذه الاحسان على رغم انكسابتها وانحباسها قد انتشرت رائحتها ، وجاءنا منها شيء . لا تضر قلته . وتمجني هنا كلمة للاستاذ المرحوم الراقعي في شاعرية المرأة العربية « وكان نساء العرب يقن الشعر في معان متقاربة يرجع اكثرها الى احساس المرأة وحسن تصرفه بين عقلها ولسانها ، ولم يكن لمن من معاني الشعر غير الرثا . وبعض الغزل وشعر ترقيص الاطفال ، وشعر التحريض يثر به نخوة الرجال ، ويمضضهم على طلب الثار والثبات والاستانة في الحرب . وقد تجعل المرأة جسمها قصيدة مع شعرها في التحريض كالذي فعلته ابنتا الغند اليماني ، فقد قالوا انه لما اشتدت الحرب يوم الحائف ، وخاف بنو بكر من الفرار عمدت احداهما الى ثامها فالتفت عنها واقلت تحض الناس وترتجز وفعلت اختها مثل ذلك ، فتسلسل القوم ووقبوا راقية تالون قتالا منكراً . فهذه مادة من شعر النساء لا يسقطها ابلغ الشعراء من الرجال ، وهذا بعض ما انجزت به :

نحن بنات طارق نمشي على النفاق
المسك في المفارق
والدر في المخافق
ان تغلبوا نفاق
او تدبروا فزاق
عرس المولى طابق
والعار فيه لاحق !

وعلى كثرة النساء اللواتي قلن الشعر نجد ان المواضيع التي خضن فيها لا تتجاوز الرثا وبعض الغزل . اما بقية المواضيع الوصفية فلم يذكر لمن منها شيء الا القليل . والرثا والغزل يصدران عادة عن عاطفة متوقدة تهيج القلب وتحرك اللسان . ونجد غزل المرأة العربية غزلاً مطروساً لم يبق منه الا نثف ضئيلة ، لا تستطيع ان تعمل بنا الى نسج حياة ، او تصور مأساة قلب . وعلى الغالب كانت المرأة تحب ، ويفيض حبها ، فتذنبه شعراً لا يكاد ينتشر حتى تضرب عليها السدود والقيود ، فتعيش عيشة من لا رجاء له ،

بهذا المعنى:

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففتنهم سيفا ، وجئت على رجلي
فلبس العشاق بن حلال الهوى ولا خلدوا الا لثياب التي ألبى
ولا شربوا كأسا من الحب مرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

*

ومن اللواتي اشتهرن بالوفاء لاحبائهم بعد موتهم ، لطيفة
الحدانية ، تزوجها ابن عفا فولدت به ولما شديدا ثم مرض ومات
فاستولى عليها الحزن ورثت على قبره وكانت تفتل ، وعليها من
الحلى والحلل شي كثير ، وهي تبكي . فقالوا لها : يا هذه نراك
حزينة وما عليك زي الحزن . فقالت :

فان تسألني : فم حزني ؟ فاني رمنية هذا القبر يا فتية !
وان تسألني عن هواي فإنيه نعيم قلبي ايسا الرجلان !
واني لاسعيه والترب بيننا كما كنت استعيه حين يراني
اهابك اجلالا وان كنت في الترى واكره حقاً ان يسوك مكاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان نعيم في عيشا ، ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زورت قبرك في حلي وفي حالي كائنني لست من اهل المصائب
اسا عشتك عوى ان تراني في حلي ، وعواه من ترجع اموالي
ان قد تسره به من بعض ميثاتي ان قد كنت اعرفه
ففي رأبي عسى مولعة عجيبة ازي تبكي بين اموات

وهذا ابلغ ما وصلت اليه المرأة في الحزن والوفاء لمن تحب !
وعن عذبن اهلن لجنن وضرن بالسياط ويقرن على عهودهن
شقراء ابنة الحجاب ، وكانت تحب نجيب بن حمزة :

أشرب في يمي ، وبني وبنيه تناف لو تسري جا الريح كلت
الا ليت يمي يوم ، عيل ، زارنا وان خلت منا السياط وعلت

وتقول في ثباتها على حبه :

خيلتي ان اصدق او هبطت بلادا هوى نفسي بها ، فاذكراني
ولا تدع ان لامي ثم لأم على سخط الواشين ان تمدداني
فقد شف قلبي بعد طول تجلدي احاديث من يمي تشيب النواصيا
سأرعي ليجي الود ماهبت الصبا وان قلعوا في ذاك عدا لسانيا

*

وهناك مجهولات الاسماء وان لم تجهل انفسهن ، كقول امرأة
كان يضايقها زوجها فتفتن عن نفسها بهذه الابيات مخاطبة هذا
الرجل القاسي :

يا من بلذ نفسه بمذابي وبري مساري اشد عذاب

وبتنا خلاف الحي لا نحن منهم ولا نحن بالاعداء مختلفان
وبتنا بيننا ساقط الطل والندى من الليل بردا ينة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا اذا كان قلبنا يشا بردان
ونعذر من امر العفاف وربما تمننا قليل النفس بالرفقان

فتنا - عنف - في العاطفة ، واسترسال في اللقاء لولا ذكر الله !
من هؤلاء المتغزلات الموهلات ، أم الضحاك المحاربية ، وكانت
تحب رجلا من الضباب حبا شديدا فخانها وطلقها ، فقامت على
وجهها ترجع الشعر كالحمامة الوهي ، ومن ذلك قولها :

يا ايسا الركب الغادي لطيفة عرج ايتك عن بعض الذي اجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم الا ووجدني به فوق الذي اجد
حسي رضاء واني في مسرته ووده آخر الايام اجنهد

وهي التي تسأل عن شفاء حبا ، فلا تترك حبا الاستوقفة
وسألته ، فاصبروا ما هو شفاء الحب عندها !

سألت المحبين الذين تحملوا تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم : ما يذهب الحب بعدما توار ما بين الجوانح والصدر
فقالوا : شفاء الحب حب بزيه من آخر ، او تأتي طويل على الحجر
او اليأس ، حتى تذهل النفس بعدما رجحت طمعا واليأس عون على الصبر

نعم ! هو اليأس شفاء الحب ! ولكن كيف تصل النفس الى
اليأس ؟ كم من مسافات بينها وبين هذا اليأس ! ولكنها
سرعان ما تعود الى الحب لان اليأس لن يقوى على افنائها من صيدها

ارى الحب لا يفي ، ولم يفنه الا في ، وقد كانوا على سالف الدهر
وسا الحب الاسع اذن ونظرة وحنة قلب عن حديث وعن ذكر
ولو كان شي غيره فني الهوى وابلاه من يحوي ولو كان من صخر

ويقبل عليها اهلها بالتأثم ليرئوها من دائها ولكن

ولو ان اهل يملون نية من الحب تشفي قلادوني التامنا

ولما استطاعت ان تتسلى عنه ، وتقطع رجاءها منه قالت

بلهجة المستسلمة :

تغربت عن حب الضبابي حقبة وكل عمايا جاهل مشنوب
يقول خليل النفس : انت مربية كلانا لميري ، قد صدقت ، مريب
واربنا من لا يودي اسامة ولا يحفظ الامرار حين يبيب !

*

وهذه امرأة ثالثة هي ، عشقة المحاربة ، كانت لها مطارح
الحب واسعة ، قد ولت ايامها واصبحت عجوزا تلثت الى وراثها
فلا تفس الا الذكريات ، وتنتظر الى اسراب العاشقين والعاشقات
فتعزي نفسها التي لا تزال خفاقة حية بأبيسات من اجل ما يروى

مهما يلاق الصابرون فاضم
يوثون اجرم بغير حساب
لو كنت من اهل الوفاء وفيت لي
ان الوفاء حلى اولي الانساب
مازلت في استضاف قبلك بالهوى
كل مرئجي طمرا بغير سحاب
يا ليتني من قبل ملكك عصيت
اسميت ملكاً في يد الاعراب
هل لي اليك اساءة جازيتها
الا لباسي حلة الاكذاب

او قول تلك المرأة الغريبة ، وقد وقف اليها رجل فاعجبته
فهم يغازلها فقالت له : هيك ليس لك مانع من ادب ، اما لك
زاجر من حيا ؟ فقال لها : ان يوانا الا الكواكب . فقالت :
واين مكوكها ؟ فقال لها : الك بعل ؟ فقالت : قد كانا ولكن
دعني الى ما خلقت له . ثم قالت :

اني وان عرضت لشيء لتضجكتي
لومع القلب مطوي على الخزن
اذا دجا الليل احبالي في تذكره
وزادني الصبح اشجاناً على جنيني
وكيف ترقد عين صار موئسها
بين التراب وبين الفجر والكفن
ألي القري وتراب الارض جدته
كان صورته الحساء لم تكن
أبكي عليه حينئذ حين اذكره
حين وافه حنت الى وطن
وكيف اذكره حين اذكره
أبكي على من حنت ظهري مصيبته
وطير النور عن عيني وأزفني
وافه ما انني حي الدهر ما سمحت
حماة ، ابكي طير على فئتي .

فقال لها : هل لك في زوج ؟ فأطرقت ملياً ثم قالت :

كنا كضنين في اصل ، غذاؤهما
ما الجدول في نرواض جنت
فاجتت خيرهما من جنب صاحبه
دهر بكم فراحات وترجات
وكان عاهدني ان خاني زمني
ان لا يصاحبه آتني بعد مواتي
وكننت عاهدته ايضاً فاجله
رب المواقف فربما ملائكت
فاصرف عناك عن ليس يردعا
عن الوفاء خلاب في التحيات

*

واذا كان الحب طرق افئدة هؤلاء المجهولات المنسيات فانه
لم ينس ان يتسلل الى قصور الاميرات ، بل لعل سلطانه ، هناك ،
كان انفذ صولاً ، لانه خلق قلوباً خلية فشنلها ، وعواطف رقيقة
فاستوها ، واذواقاً مرهقة دقيقة فاستباها . من هؤلاء . عليية بنت
المهدي ، وكانت من احسن نساء زمانها وجهاً ، وأظرفن خلقاً ،
وأوفرهن عقلاً ، ذات صيانة وادب بارع . عاشت خمسين سنة
وماتت ميتة شرعية ، وسبب موتها ان المأمون سلم عليها وضما الى
صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغضًى ، فشرقت من ذلك وحمت
وماتت لا يام يسيرة . ولها ديوان شعر قالت اكثره في « طل » الذي
كانت تنزل به . كانت تلجج باسمه وتبوح به تروحا لنفسها : فلما
عرف بها الرشيد منها من ذكر اسمه ، فكانت ، وهي الادبية ،
لا تقدم وسيلة الى ذكره . ومن ذلك ما يروي الرواة « انها كانت
تقرأ من القرآن هذه الآية من سورة البقرة « فان لم يصبها وابل . »

فدخل عليها اخوها ، فقالت « هذا نهي عنه امير المؤمنين » وهي
تريد بذلك تمة الآية « فان لم يصبها وابل فقل . . . فضحك
الرشيد وقال « ولا كل هذا . . . » وكان غزلاً عفيفاً طاهراً يتسم
بروح الكتان والكتابة النفسية التي تشف شفاءً . فلنسمعها تقول :

كنمت اسم الحبيب عن العباد ورددت الصباية في فؤادي
فواثوقني الى ايام خلي ليلي باسم من اهوى انساني
ومرة تبدي فناء نفسها في الحب :

لم ينسبك سرور لا ولا حزن وكيف لا كيف ينسبك وجهك الحسن
ولا خلا منك لاقلي ولا جدي كني بكك مشول ومرعن

ومن معانيها المبكرة التي تستعذب فيها ايام الهجر كاستعذب
ايام القاء ، لان لكل حالة حلاوتها الخاصة ، بل تذهب الى ان
تجعل اطيب ايام الحب يوم الترويع بالهجر ، لان الهجر وحده يفتح
سبيلاً الى الشكوى والتجوى ، وفي ذلك لذة لا يعرفها الا من
وقف ايامه موزعة بين الامل مرة والياس مرة !

وأطيب ايام الفتي يومه الذي يروع بالهجران فيه وبالعذب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فآين حلاوات الرسائل والكتب ؟

ولكن هذه العاشقة التأملت ايها تذكر قول ذلك النائم على
الهجر والعذب بقوله « ان ايام الحياة اقصر من ان نقضيها في الهجر
والعذب »

ومن شعرها التي وصفت بهودحتها والتي لا يسليها فيها شيء :

مالي ارى الاجصار جافية لم تلتفت في الى لاحية
لا ينظر الناس الى المبتلى وانما الناس مع العافية
صحى سلوا ربك العافية فقد دعني بعدكم داهية
لقد جفاني سيدي ظالم فادعني مثله واهية

فما اكثر انصاف هذا الحب الذي جعل هذه السيدة عدة ،
وذلك العبد سيداً ! وتصف لها زيارة الى - طل - لا أبجد أبعد
من تصويرها للخطر الذي تعرضت له :

قد كان ما كلفته زناً باطل من وجد بكم يكني
حتى اتيتك زائراً عاجلاً أمني على حنف الي حنني !

هذا شعر يمتح لنا ان نقول فيه ما قالته عريب الغنية حين
صعبته « فما نعمت مثل ما صعبت منها واعلم اني لا اصعب مثله ابداً »

*

الدور الثالث - الغزل الماجن المثبتك او غزل الجوارى ، وهو
الغزل الذي نشأ في عصر الترف والنعم ، على وفرة الجوارى الاجنبيات

كان كأنما يثقل رعب القائلة وتسترها . ولذلك خلا من الصفا . والعق
في الوصف ، والاسترسال في الحوار كما هو الحال في غزل الرجال .
على ان هذا الحكم نفسه قد يكون جائزاً ، لان جل الشعر النسائي
قد ذهب به الايام ، فإين رواية ابي نواس مثلاً حين قال « ما قلت
الشعر حق رويت لستين امرأة منهن الحسناء . ولي » او قول ابى تمام
« لم انظم شعراً حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة » .
فها تان الروايتان وغيرهما من روايات كثيرة تدل على رسوخ قدم
المرأة في عالم الشعر والفن ؛ وانما لم تكن مطلقاً الروح ، هامة
القلب . ولعل من الانصاف ان اذكر كلمة غريبة للعري كتبتا في
احدى رسالاته وهو يذكر شاعرة حليمة لم يعين اسمها ، كان معجباً
بها ، ولا بد لي من ان استميتح الرجال عذراً في ذكر هذه الكلمة
لانني مجرد ناقل أمين ، اما صحة الكلمة فاني اتركها للقارئين
والقارئات ، وهذه الكلمة بتامها :

« ربما كان في نساء حلب شاعرات ، فلا يؤمن من ان تكون
هذه منهن فطالما كن أجود غراز من رجالهن » . وانى لنا بالعري
مرة ثانية - يوضح لنا رأيه الآن ، بعد ان شيد الادب في حلب
هامداً عند الرجال والنساء ، على السواء !

٢

والآن ان لنا ان نتنقل الى صور جديدة من الغزل نستجليها
في الادب الافرنسي من غزل المرأة التي عرفت برهافة الحس ورقة
العاطفة . وليس ينبغي ان ننكر ان المجال الادبي الذي كانت تحيا
فيه المرأة الافرنسية اوسع رحباً ، واطلق حرية . ولذلك ما شى
شعرها شعر الرجال في جميع اطواره ومراحله . ولكننا نجد نشاطها
الادبي في العصر الكلاسيكي مفقوداً ، اذ لا نجد شاعرة واحدة لها
مزلتها . حتى اذا جاء العصر الرومانتيقي الذي حمل الحرية الى انواع
الادب ظهر معه الشعر النسائي العاطفي وخير من يثل شعر المرأة
في العصر الرومانتيقي الشاعرة « ارسيل ديور فالمر » التي تمثل
أبكي وأشجي ما وصل اليه شعر العاطفة .

لقد عاشت هذه الشاعرة كاثرة المنسية قلائد الفضاء اريجياً .
ليس بين قلبها وبين الوجود الاتزان الحس والعاطفة ، نشأت في
بيت تسود جوه روح الفاقة ويغلب على اهله شي . من الايمان الذي
يضحي بكل شي . الا بنفسه ، فيبعث هذا الايمان في صدورهم من
الراحة والاطمئنان ما لا تبعثه مظاهر القوة الضخمة . واتخذت
- مارسلين - الصعود على المسرح مهنة . ولكن الحظ ابى الا

الواري لا يأخذن بعبء النساء العربيات ، فأنشأن حركة جديدة في
الوقفة والحب والغناء والشعر . وحملن مكتون الحب الى الفن ،
وستور اهورى الى مجالس الغناء ، ومكتون العاطفة الى المكتاتبة .
واصاحبات هذا الغزل مجالس واحاديث معلنة ، ويبدو ان
تاريخ الادب كان اوفر حظاً مع هؤلاء ، لانه نقل عنهن كثيراً ،
وحفظ منهن كثيراً ، ولم يفت احد عند أمر الجوازي ، فانه سرى
الى بعض النساء المتذلات . وأشهر هؤلاء فضل الشاعرة جارية
الماتوك ، وحفصة الركونة الاندلسية وهي من شريفات غرناطة ،
كانت ترسل الشعر على سجيتهاس غير متجملة ولا محتشمة . وهي
التي تقول :

انصار عليك من عني رقي ومنك ومن زمانك والمكان
ولو ابي خباتك في عيوني الى يوم التباة ما كفايني

ولا اعرف شاعراً استطاع ان يظهر الغيرة من الزمان والمكان
غير هذه الشاعرة .

وهي التي تتغزل بنفسها بقولها :

ازورك أم تزور فإن قلبي الى ما تشتهي ابدًا يحيل
فغري مودد عذب زلال وفرغ فؤادي ظل ظليل

ومنهن تزهون الغرناطية ، وعريب جارية المتوك ، وولادة
بنت المستكفي ، محبوبة الشاعر الوجداني ابن زيدون . وهي
محبس برواية كتب الادب - أول من سادت للنساء سنة الانكشاف
والاستخفاف . وكان بيتها ندوة للوزراء والادباء . من الطبقة العالية ،
يتساجلون امامها الادب والشعر والنقد . ولقد تقننت بتزيينها حتى
كتبت على تاجها عن عين وثمال قولها المشهور :

انا والله اصالح للعالي وامشي شتي وانتهيتها
اسكن عاتقي من لم خدي واعطي قلبي من ينيتها

وفي هذا من التبدل ما لم تذهب اليه الشاعرات العربيات
الاوائل . ولكن من شعرها ما يظهر معه انها اصفت الحب ، لابن
زيدون ، زمناً ، ومحبته الرذ خالصة . فتقول له :

ترقب ، اذا جن الطلام ، زيارتي فباني رايت الليل اكتم للسر
في منك ما لو كان بالشمس لم تلج وبالبرد لم يطلع وبالنجم لم يسر

*

هذه بعض غايج للغزل النسائي العربي وددت لو ازيد عليها ،
ولكنها على قلتها تمثل لنا ملامح هذا الغزل الذي يدل اكثره على
البيئة الضيقة المرفقة التي كان يصدر عنها . وهو - على قصره -

الصامت . اربعة اجنحة ببسولة تغمر قلبين هادين سيثملان حباً في السماء .»

ومن شعرها الذي يتجرج فيه حزنها واعتباطها ، وألمها وأملها ، « اليقظة » حيث تقول :

« هل في استطاعتي ان اتذوق النوم الحلي ؟ على هذا السرير القصي ؟
انا اشعر بالهواء يطبق شذاه حين يصفو من حولك .

لان ثورك زهرة طافجه بالعير .

فتمال يا كترتي ! ولا تضرم سواي !

وتنقظ ! ألا تنقظ !

ولكن هذه التفجة الخبية ،

هذه القبة التي اغتاضها ، لا أجروء على طبعها على شفتيك . وهي تضاعف
ايام حياتي اذا جاد بها قلبك .

ولكن نملك بطول ا و انت قمتي .

وانا لا أجروء على طبعها

تعال ! انا نجد ظلاً وارفاً تحت شجيرات الموز ، والصافير سقتانف
تفريدها اذا اجتمعا غارقين في الحب . والشمس غلبت عليها غيرها فتوارت
خلف اليوم ، وانا لا ابحت عن نور الضحي الا في عينيك .

الآن تعال ! واسبط على الحب نورا !

لا لا لا . انت لا تنام . انت تقاسم لواعجي .

وقلناك هي الأري الذي فتحة الازهار .

انذا يهدد قلبك ! هل تنقش عن نسي ؟

ان نفي تحفو على شري ، وضم بأن تجفف دموعك .

الا واري تحت الازهار !

ومن شعرها قطعة في « العهود » :

« أسفاه ! كم يعرف الكهول النسي . الكثير من الاشياء المحزنة !

اس كانوا ينخرون من العاشقين ويعولون :

ان اعمار عهودم كالورد ، وما هي الورد التي تنفتح في الصباح
تغريهم تحت اقدامنا ذابلة .

قلاندا ، يا حبيبي ، ألفت لي عهوداً ؟

مرعت لي ازاميري والفق يملك لي نسي .

فا شئت ان اتكطف منها زهرة لربتي .

ولكن ، اذا كانت حبايعاً رمزاً لحبك فانت لن تحبني طويلاً كما احبك
الورد . . . والعهود كانت تتطير من الشاطئ . وكان شي . جرب

حرب الماء الذي تضطرب صورتي على سطحه !

وانت لم تجبي . لتسمع دموعي . . .

وداعاً لا اريد ان اريدك ، ولا اريد ان اليت معك .

تو لي فرحي كالاربع الساري ، فلا أمل ولا زهر ! تعال احبني ، من
هنا ، هذا المساء !

ومن شعرها الذي يمثل به النشوة السكرى قطعها في « النثر
المسموح به » :

« تعال ! لي كتمان اريد ان اقولها لك !

ان يسود الصفحة الاخيرة فماتت . امها وبقيت الابنة وحدها !
والحياة ! كيف تعمل على تأمينها ؟ فتذرت بالحياة ثم عادت

الى التمثيل وقوبلت بالتصفيق . ولكن ما عسى تجديها هذه
المظاهر ؟ وهي التي كتبت في مذكراتها « ما اكثراً ما تنهر على

باقات المعجبين في وانا اكاد اموت جوعاً دون ان اصارح احداً
بأسري » ؟ وتزوجت مثلاً ، وسعت وراء نفسها مستسلمة ما توحيه

اليها بعد ان تلمست شيئاً غير قليل من الظفر في شعرها . واصابها
الدهر بابتيتها خلال حياتها ؛ وتحملت ضربات القدر صامتة راضية ،

حتى قال عنها انطول فرانس « انها امرأة قديسة » !

اما - مارسلين - فقد كان وجهها المشوب بالصفرة جميلاً
جذاباً ، ونفسها مشوبة بالعواطف ، وحيثما قامت في ديوانها تبد

لك آثار هذه النفس المثلبة التي تذوقت الحب ورضيت به مرهناً
لروحها ومنهكاً لقواها ، لان الحب عندها هو ربيع الحياة . ولكن

الغرب في امرها انها احبت وتغزلت بمن احبت ، وتوارت دون ان
يعرف الناس ولا تاريخ الادب الشخص الذي احبت . كأنه بقي

سراً مكتوماً في صدرها وفي قبرها . وديوان شعرها يطفح بروح
المرأة العاشقة التي يخرجها الحب عن نفسها ووعيا . وهو اثر واضح

لدرس نفس المرأة وتردها وضعها حين تطلعي عليها عاطفة الحب .
ومن شعرها المؤثر قصيدة تصف بها حياة اليام « الحمام » وموته

وهي قصيدة رائعة التصوير تمثل لنا وفاء هذا الطائر وحياته للورداد
وقبلاً خاطب شيخ المرأة الحمام بقوله :

ايه لله دركن فانتي اللواتي تحمن حفظ الورداد ! وكان الشاعر
« الملامى » تستغفه اسباب الطرب حين يتلو هذه القصيدة على

اصحابه !

« هذا هو الوردان الامين بين اسراب اليام !

يطير في الغابة لا يستويه القود ، ليضل هافياً حول محبوبته .

ولا يقدر ان ياوي الا الى الوكة التي يسكن فيها هواه .

حيث جناح محبوبته « الحماة » يدفي جسده دافقاً .

دعوا الغلين الموتلين ينفقا ويضطربا !

فا حياتها الا خبط ذهبي تربطه عقدة سريه .

ولا تفصلوا بينها انها يوتان . . .

هنا لا يبيان الا قليلاً من ساري الهواء ، ونفثه من وارف الطل ،
ومتكا على ساقية ندية تروح عن قلبها . . . ولا يبردان من كل هذه
السماء والارض الواسعة الاعث جيلاً مطلباً ، يتعاقبان فيه اسباب الحياة .

واذا لم تعد عينك تلمح حسامة الغابة يلمع نصفها الابيض في النضاء
وهي تجوز عبر الشاطئ . فلا تغل : هجر احدها رفيقه . فاما - وهما
الحبيبان دافقاً - لم يعرفا الحب الا مرة واحدة ، ولكن دع شكوك

نفسك واتبع آثارها الضائعة . فالك واجد في الوكة . . . في الضريح

واذا كان «هروج» اشتهر بالزى والاحلام في شعره ، ويؤيد
بانتشار الطيوب والعلور ، فان «دي نوي» اشتهرت بجوعها
ونهمها الذي لا يشبع للطبيعة ، والمادة والروح والحياة . فتحت
قلها للصباح وودت ان تلسه وتذوقه بجاستي اللس والذوق كما
تقول : «أفتح في الهواء الذي ترطبه الانداء» . وفي موطن آخر
زاه لا تشبع الطيوب ولا الالوان ولا الاالحان . هي تذوقها وتظل
جائعة نهمه ، فتود ان تلس العالم والطبيعة بيدها :

« اريد ان ألس مذوبة هذا الغشاء ،
هذه المذوبة النقية الندية الزرقاء .

حيث الصافير السكرى تثب وتنفذ في ساربه كاشاء . . . »

فهي تريد ان تذوق وان تتروح وان تلس وان تلتهم
جمال الصباح . هي تستطيع ان تقول مع القديس «انطوان» بآتيه
الكون :

« اريد ان يكون لي اجنحة ، وان ادخل في كل شيء ، وان أكون
في كل شيء ، انشر كالطوب ، واغور كالنبات . واجري كالأل ، وارن
كالألحان ، وأسمع كالثور ، واعطى جميع الاشكال ، وافذ في كل شكل
وهيئة ، واغور في ايمان المادة حتى أكون « المادة » نفسها ! انا بنفسي
أفك وجدول وكوكب وغاية . »

فيالها من ساهرة نهمه لا
تسبح ، ويالها من غادة مجوسية ،
كرادعها مارسيل بروس ، هذه
الغادة النهمه التي لا تقنع بارسال
طرفها في الكون ، ولا باصحاء الى
اصواته ، بل هي تعمل على ان تلتهم
الوجود التهامه الشرهه ، ولهذا
الرغبة الملتبه ، والصور القوية
المكتنزة يعود سر استخدامها
للافاظ « اللحية » في شعرها .

ولكن هذه الطبيعة التي فتت في
حبها لم تذهلها عن ان تسرح في عالم
الحب ، « الزمن عندها دائماً يستطيع
ان يلد صيفاً جديداً » وهي في هذه
الخطرة امرأة متوهجة فاسقة ، تتبع
ملاذاتها الغانية برغبة عارية ! وفي
الحن حبها رنة الاسى الرقيق ، لانها

امي سمحت لي بذلك ، وهما سيجملانك فرحاً
ولكن قل لي . أعرف ان نقرأ ؟
تطلع في عيني . . .
ها هما عيني المرتجتان ! كم انا مبهمة غامضة ! وجعي بماوده خجل !
ولكن ضع يدك على فؤادي . . .
ها كمان عذبتان ، قلبي يحسن تردبهما .
انت لا تسمعها ، خذها عن شفتي . . .
سأغلق عيني . . . خذها ! ولكن لا تغل عنها شيئاً ! »

ونحن شعر هذه المتألمة بقضعة فنية تحمل ذوب نفسها وعاطفتها :

« عندك قلبي
قلب لقلب
اما قلبك فقد استرجعته
قلبك استرجعته
لقد تركتني هنا
تركتني هنا
أعلم يوماً
أعلم يوماً
انك ستنادي
وعظم في الاحلام !
تفرح بالي . . . كصديق
لا أحد . . . احامات
ولكن من الذي سيتوجع لك
ويشفق عليك ؟ . »

*

ويحق لنا ان نذكر في مقدمة
الشاعرات الافرنسيات الشاعرة
المحدثه « الكونتس دى نوي »
التي تعد في الطبقة الاولى من شعراء
فرنسا . لقد كانت بشعرها تقهر
القارئ . يجو شمري ذي الوان خاصة
وكانت على اطوار كثيرة وشكوك
كثيرة ، تحاف وطاعة الحياة والموت
وتسرح بجنطى الايام والساعات تنثني
على قلبها وجدها . ولكن قلبها
يبقى نقياً متغائلاً « تنظم الشعر الى
يوم لا تصبح فيه شيئاً ، ليعلم الناس
كم سرها المرو . والها ! ولتجمل
الى الاجيال الآتية مقادير حبها
للحياة والطبيعة السعيدة ! »



الكونتس دى نوي

شيئاً... ولكن رماد جسدي
المنظفي سيكون أحر نارا من
حياتهم نفسها

هذه هي «دي نواي»
التي قالت عن نفسها بحق:
«ن فرأني لا يملؤه احدا»

ومن هؤلاء الشعارات
«مدام جان مانديس» التي
ترتفع في صدرها كل عاطفة
المرأة، وتعجبني من شعرها
قصيدة لها بعنوان «زينة»!
تصف الهيئة التي تريد ان

À l'heure de mourir
laisser sur la terre un
livrant que l'on préfère
à soi.

Prose de
Noailly

اخذ من خط دي نواي. وهو كلمة ترد بها على سوا
وجه الى عدة كتاب: «ما هي اميتك ساعة الموت»

تدرك «الاشي. يبقى حياً
بجراحة عروقه!»

ومن شعرها ما تحاطب
به «الفتوة» الراحلة:

«ويوماً ما، سترحابني عني
ايها الفتوة!

سترحابني اخذت يدك الحب
وسأنتهد واكبي!

انك اثر بلوح لي!
ايها الحب البائس، الجميل

الجزين
أيمكن، ايها المحبوب،
ان تسالك على طريق مبهم، لا

تتبعين العين عليه ظل قدسيك
آه ايها الفتوة

ان يوماً سيحيي، وانت غائبة، لانت
ولا يباينك ولا ورودك...

السرور والحب يملأك... وأي شيء بعدها للذين لا يشنون الا
هذه الاشياء»

«أريد من اللحظة الاولى التي يعرفني فيها ان احل اليه المسرة.
وان اعرف اسرار كل الطيوب والعطور
واجمل ما في النظرة من عطف وحنان.

أريد ان امس في الكتب والمتاحف عن اجل انواع الحياة، وان
اعرف العيون الساحرة التي كانت تصعد الابطال
أريد ان اعلم كم يستند حين يقتل على بأنه أدرك فوق ما يتسنى.

لا اكلمه شيئاً من الزن حتى يعلم وبذلك، وحتى يدرك من تلك
الحقيقة ان الابد ليس له كسدي الساكن المبدول.

وانه لواقف ذاهل في المشي تنصاع منه قن قدسية يرى قلبي...
وقلي منحة غنية بكنوز الحب والدروع.

وفي النهاية تتكلم
هيابن وكنوباطرة علمتاني كيف يغلب المحاربون والملوك على امرهم

اما انا فاقلم - كل صباح - من الراعي الذي ينفخ قصبته كيف
ارفق صوتي؟

سأحب بهجة الصباح، وسأثر ليجني. لانه سيعرف، من صوتي
الرفيق، اني احبه، وانه وحده حبيبي...»

ونجد في مقطوعتها التالية نوعاً جديداً من الحب عند
الشعارات.

انك لا تدري كم كنت احب البهاء الصافية، حيث يقطن الناظر ان
- هناك - الهماً جديداً بولد دائماً. وكنت احب البحر الهائج بالزغيات

والحقول والغابات قبل ان ادرك... والازاهير والاطيار الحرة، وكل
الفصول، وكل الطبيعة. انك اخذتني مع هواي القدم للاشياء،

سأعطيك - مع نفسي - الشمس والليل والبهاء والطبيعة في مجموعة
مضطربة

فخذ - مع قباني المسبية - ايها الحبيب، لون الافاق الازرق، وجمال
الحياة الهائلة، وتلق نظري الرعشة التي تغاثل الريح، وغدائر شعري

ان يوماً سيحيي، وانت غائبة، لانت هناك ولا احلامك ولا دموعك
ولا يباينك ولا ورودك...

السرور والحب يملأك... وأي شيء بعدها للذين لا يشنون الا
هذه الاشياء»

ولنسمع ماذا تريد ان تتروك للفتيان من بعدها:

«كنتي اتركها لكم ايها الفتيان
وقد تركت فيها اثاراً نفسي.

اترك لكم في ظلي نظري وجيبي، ونفسي المنهبة السكوى دائماً.
اترك لكم شمس وجعي الساطعة، وكثيراً من تجدداته التي لا تعد.

وقلبي الضعيف العذب الذي يهرو على ان يتسنى.
اترك لكم قلبي، وتاريخ حياته، وذوب رفته. وفجر ضديري والليل

الازرق الغام الذي يغمر غداً شعري. واترك لكم النسيان مع اوراقه
ووروده، وحزني الذي لا ينتهي ابداً...»

واذا سألتها لماذا تكتب، ولمن تكتب؟ اجابتنا:

«أكتب لمن يأتون ببدي... لذلك اليوم الذي اصبح فيه رفائلاً
دقيقاً. أكتب لكون محبوب بعد الموت. فلاما والارض واللب الساطع

ليس لها جمال في مكان غير نفسي. فاذا ما تلا احد الفتان ما كتبت،
يخس قلبه يفتن، ويرتمش ويضطرب واذا به ينسى محبوباته، ويجعلني في

صدره ويبرغمني على غاداته...»

أليس هذا القلب الذي يتحدث بالحب بعد الموت، لا يقدر عليه
الموت؟ أليس من حق هذا القلب ان يردد:

سأنام، هنالك، وحدي، وانا التي لم اتعود ان انام مفردة، في ايام
الارض. يتا الربيع يخالل ساحكاً من فوق، وانا لا اشعر بشيء مما يجري
عليه الفجر، وغفيري من الكائنات يغمرها الفرح والحياة وانا لا ارى

كالاصم ، لا تسمع
انبتنا وعويلنا كانت
الموت الذي لا يرحم
ترانا لا نشك



ولا نرتاب فيك...
لأنك انت الحب »

ولعل شاعرتنا الاخيرة « هيلين ييكار » خير
ما نختّم به هذه المجموعة ، وهي الشاعرة التي اعادت
الى الاذهان ذكرى شاعرتنا الاولى « مارسيلين »
لأنها اتسمت بعاطفتها ، وابتليت ببطل ما ابتليت
به ، من حب باك ، ومن شعر شاك . ومن ذلك
نحوها الحبيب :

هيلين ييكار

« سأحذك ، في الكروم المشتمة
وفي اريج الورود المتهبة .
وانتاك في بنات الظل ،

وانتذوقك في خبز الصباح
وارشف عذوبتك بقلب الليل الداجي .

واتبين رسماً على صفحة النهر الزقراق
واقبل غشب الوادي حيث تنام ياساً

وساغي من اجلك للشرق
وانتملك في رباح الخريف ،

إما الحبيب ، يا عطر الوادي ولحن فوادي .
سأبذل جسدي بدمه الحية ، واطللك كزهرة ندية .

سأعليك الالفاظ التي يكر بها الجدول ويجيا بها الافق الأزرق ،
ويقرن بها الصبف .

ومن اجلك وحدك سأمد ذراعي على الوجود .
ومن اجلك سأكون جميلة دائماً .

ينبوع الغابة يتحدث عن قوتنا ،
وشفتي - بدون انتاء - تتنلش على شفتك .

والبدن يسيل في عطائه على سكرتنا ونشوتنا ، وآية حياتي ستهرق
هدراً على ديسك . »

*

هذه ملامح سريعة تكاد تعين الخطوط الاساسية لغزل المرأة
في الاديبين العربي والافرنسي ، واذا كان الادب صورة عن البيئة
التي يعيش فيها ، فان هذه اللفهات الشعرية تمت ، في كثير ، عن

نفوس صواحبا . ولذلك نستطيع ان

نخرج الى ، المقارنة ، بين الغزلين مطمئنين
الى النتيجة الصحيحة !

فتحن نقرأ شعر الشواعر الافرنسيات
ينقلن عن خفقات قلوبهن ، ويتبشجن على

Helin Yikar

توقيع هيلين ييكار

المختلي المطروح على
كوم الاحلام »

*

ومن هؤلاء « ماري لويز » ، التي يريد النسيان
ان يتنصر عليها فتناجيه :

« لا ابدا ، لن تدخل الى بستان مرابي اجماء
النسيان القاسي

كل ما احبته سيقى محبوباً عندي .
احمل علاحك وطوبوك للمنكرين ،

اما انا فليفتح لك بابي اجماء النسيان .
تبه ان تحلم حلقة الختان ، اجماء النسيان ، هذه

الحلقة التي تربطني بالذين افكر فيهم .
لا تنف ، وتابع طريقك

الا ترى انك في بستان سعادتي السود سيقى غريباً عند كل من يتظاهر
بأنه لا يسمك .

عشاً ترزع وردك بجانب ورودي .
انك لن تنال اجماء النسيان القاسي يدك الا الاشياء التي لم يتورها الحب

بعبئه ولم يحيا يديه »
وهناك الشاعرة الراقية « تيجا » ا ومن شعرها قطعاً « ممّا » :

« قل لي : انا ممّا في طريق مستقبل طروبيا
لا ادري لماذا ارتش ؟

وفي لمحات عينيك
نحن ممّا في طريق واحد ، سنشاكى كمهدنا من قبل .

لا ادري لماذا اشك ؟
وصورتك رنان ، فيه خنان

سنكون ممّا في بيت واحد هذا المساء .
لا ادري لماذا ايك ؟

وبسنتك طافحة بالامل .
لا ازال اسمعك تردد علي الفاظاً عذبة في الحب .

لا ادري لماذا انتهد ؟
الست يجاني ؟ »

وهي التي تخاطب الحب وتدعوه على أي حال يأتي :

« عيكتك أن تجي . بأي ثوب تريد »
انا نعرف انك النور والامل

انت الصديق الخفي الذي نبشت عن
انفاسه »

نرفك حين تضرنا ، ونحن ذاهلات
هالقات على ذراعيك فراراً من الالم وطباباً

للتصارع على الخوف .
وحين تسلبنا اكثرنا الذين ، وانت

شعرهن الفضاء المطلق، والطبيعة الطلقة، لأنهن يعشن بدون سدودا
 ويعبق شعرهن بطيوب الزينع، وتغر على عينونهن حجب الضباب.
 ويكثر انتقاضن الى الطبيعة وتفسير معانيها وظواهرها بما تبثه
 انفسهن. ومعاني الطبيعة تسعف على تفسير معاني القلوب. بينا نجد
 الشعراء العربيات يكبدن بقصرن شعرهن على وصف نوازع
 العواطف الباطنة التي لا تجد لها متنفسا الا نفسها! ولم تستطع هذه
 العواطف الباطنة ان تعزى بالطبيعة لانها بعيدة عنها! ولذلك خلا
 شعرهن من الالوان وان جا. يضح بالعاطفة! نقرأ شعرهن المنقطع
 الذي يعبر عن انفاس متقطعة، فلا نجد فيه امتدادا في النفس، ولا
 استطالة في الوصف، لانه صادر عن نفوس مكبوتة حبسية، لا
 تسمح للشوق بأن يغلب عليها. ولا الوجد بأن يعث بها. فهو شعر
 ان دل على شيء. فانه يدل على ثورة داخلية عنيفة في نفس تريد ان

والشعور. ولذلك لا تكتفي باظهار العاطفة الابتدائية الساذجة
 البسيطة وانما تعمل على تنظيم افكارها وتنسيقها تنسيقاً فنياً غنياً
 زائراً بالالوان. فهناك الحقل البري الذي تتأرجح فيه الزنايق مع
 الاشباب، يتلذذ بلفه وزائله، وهنا الحديقة المنسقة التي جذبتا يد
 الفن، وهذا التهذيب وليد ذوق وتقرين.

وفي شعر العربيات نلص الوفا. ونشر بطبيعة التستر والصيانة
 والعفة مع العناد. ومثل هذا الشعر لا ينشأ إلا حيث تكون العاطفة
 مكبوتة والشعور مقيداً. ولا يدخل ما رأيناه من شعر فيه تبذل
 وعدم احتشام لانه لا يمثل العربيات الصميات وانما هو شعر جوار
 اجنيات اردن بابتذالهن ان يتغلبن على حرار العرب. اما المسحة
 العامة التي يوسم بها الشعر النسائي كله فهي ان الحب عند المرأة لا
 يستقر في صدرها الا اذا ألهمها، ومتى ألهمها مشيت في التضحية حتى
 النهاية.

ابنتها المرأة!

لقد خلقت الاوتار من اجلك،
 واوزان الشعر تألفت لتكون لقة
 رقيقة في مناجاتك، فافرضي قلبك
 الشعري على الرجل - ان كنت
 فتاة او زوجة او امّاً او جدة.
 فقلب الرجل لا ينجيه الا قلبك،
 وقسوته لا يليها الا صلتك!...
 لقد انتزلت، رجلاً واحداً من
 الفردوس بخيليتك، ولكن كم
 الوف من الرجال اعدتهم الى
 الفردوس بروحك وعاطفتك وهم
 يظنون انك على الارض، وانت،
 في الحقيقة لم تتركي السماء.

خليل هندراوي - حلب



— آخر موعد لقبول طلبات الاشتراك في سنة
 الاديب الثالثة (١٩٤٤) هو ١٥ كانون الاول (ديسمبر)
 ١٩٤٣. ولن تتمكن من تلبية الطلبات المتأخرة بعد
 هذا الموعد لان كمية النسخ، على كثرتها، محدودة.
 — كل طلب للاشتراك غير مرفق بالبدل يهمل.
 — تضطر ادارة الاديب، أسفة، الى القاء
 المبادلات والهدايا، ابتداء من سنتها الثالثة، على انها
 تأمل ان تعود الى المبادلة والاهداء. حال انفراج ازمة
 الورق.
 — على الرغم من ارتفاع اسعار وسائل الطباعة،
 وعلى الرغم من ارتفاع ثمن الصحف والمجلات فان
 الاديب ستحاول الثبات على ثمن الجز. «٧٥» قرشاً
 وعلى قيمة الاشتراك : ٩ ليرات ل. س. في سوريا
 ولبنان وجنيه مصري في الخارج.

تظهر وتبوح وتعلن! وفي الوقت
 ذاته تريد ان تصون عفتها، وتسلك
 بعنان خشميتها! ومن قلب هذه
 الحيرة وهذا التردد كانت تنبث
 تلك الرعشات الشعرية التي تشبه
 الانفاس المتقطعة. والشعر لا يفي
 فيه ان يكون ترجمان للنفس والقلب
 لانه يحتاج الى النور والفضاء.
 والحيرة! وهذه كلها مادة التصور
 والخيال.

وهناك الثقافة الفنية - فهي
 اغزر في الشعر الافروسي منها في
 الشعر العربي لان المرأة هناك تجاري
 الرجل في حياتها وثقافتها وتأمليها في
 الاشياء. وهي على اطلاع واسع
 ومعرفة شاملة لآثار امته الادبية.
 وهي مطوعة للحركات الادبية
 التي تنشأ تيارات التفكير

يا ديمة الغدران يارقة الحلم الذي غنى به الملم
تشتاق إحشائي إلى جرعة منك ارواحا واستلم
تحديني من بعدها زورقا في الشاطئ المتاج فيه الدم
حين من سكر الهوى مثلا جن على سحر التناهي ثم

ديمة الغدران

لأحمد أبو سعد

★

يا ديمة الغدران مالي إذا ذكرتك اصطكت في الأعظم
ذكرت لبناني اعتساق الروى الوسنى على اسرارها تعلم
ما حليها؟ هل في مساق الحلم من يحو ويستفهم؟!
أنا فدى الدييات رقاقة الصدر على مدّ النفا تحم
أهو وزيني تحبها مسجة الاظلال والاعلال تستلهم
ري على كفى تصبو وبني من لوعة الصبوات ما يفعم
اضها نحوي تكاد اللظى تغلي بأعراقي ولا أسام
أشدها حتى تكاد السبا من فوقنا تحنو وتسترحم
أريد أن اجتاح فيها دمي مستفتلا حتى يضح الدم
وأشرب الألهام من هدجها قد تشرب الاظلال والانيهم!!

مهداة إلى غنطوس الرامي

يا ديمة الغدران لو كنت غلفت ربي وحلفتها بها تنعم
بشدا أنا انصفتنا ندى كفيفك والديا صدى ميمهم
يشتاقتنا لبنان في جفنه الرويا ومن لبنان ما يؤلم!

ARCHIVE

<http://Archive@eta.Sakhrit.com>

خدر البوح في عروقي باقى
رف ، ما اخضضت ظلال ، وأصنى
مسته عيناك ، في هدأة حر
وعلى زمة الليل ، شربته
أنا منه ، توله الورد في الأفيب

أصدا

رددجها ، هنية النغم الالوم
سال في الروح عطرها ، فغي غفو الصحو في لون بلجة وازرقاق
رددجها تصفق الأنجم الغر
ويزر المساء ارجوحة الوهج
... اتخذى الدنيا ، وانت على عيني ، وفي مبسبي ، وملد اعتساقني
وعلى ساعدي ارجحاجة عطفك - انفعال التى - ورعن امتشاقني

لأحمد شكري سالم

★

دمشق

يا شروق الهوى ، رفيف جناحي ، وغنج الشذا على اوراقي
انت فجرت في دمي الزهو والشوق فأطلق مناك في آفراقي

العنصر الاخلاقي في حياة الامة

بفلم نيم بريك

انتي

اضع العنصر المعنوي في المقام الاول بالنسبة لنهضات الشعوب الفكرية والسياسية والاجتماعية باعتبار ان النظام الادبي يستند الى الاخلاق المكونة في طبيعة الفرد وفي طبيعة الجماعة وان هذا النظام بما ينطوي عليه من قواعد عامة شاملة هو اوسع نطاقاً من النظم التي تضعها السلطة الاجتماعية واستطرد من هذا المبدأ الى انه ليس في مستطاع اية سلطة قائمة مهما يبلغ بها حب الرغبة والحرص على مصالحها ان تضع الى جانب كل فرد من افراد الرعية شرطياً يحصي عليه اقواله وافعاله فيمنعه من المخالفات والتجاوز على حقوق الناس واستثمار حاجاتهم بمختلف اساليب الفس والاحتيال وكذلك ليس يوسع الدولة مثلاً ان تنفذ الى نفوس اصحاب المهن عامة كالطبيب والمحامي والمهندس والتاجر والصابغ تقارباً مما ينتج في نفس كل منهم وتفرض عليه الزان الحذاء والعقوبات لاصلاح النوايا الفاسدة وتقيم الميول المعوجة . وزى من جهة اخرى ان اصحاب المهن على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم يتأثرون تأثراً صريحاً بما قد يصدر عن رجال السلطة المسؤولين من حسنات وسيئات فهؤلاء قد يحسنون التصرف او انهم قد يسيئون التصرف على نسبة ما لديهم من فضائل اخلاقية ومدنية ومن ادراك الواجب وتقدير لمعاني العدل والمسؤولية . هذا وفي الوقت نفسه نقول بالاضافة الى ما تقدم انه ليس المواطنين (طبعاً) ان يلقوا على ابواب الدوائر الرسمية او ان يحشدوا بين جدرانها وفي دواوينها ليراقبوا كل ما يجري بين ايدي المسؤولين فيما يتعلق بتصريف مشاكل الرعية وتسيير مقدرات البلاد مما يحملنا على الاستنتاج بتأكيدان المراسم والشرائع التي تضعها الحكومات والسلطات التشريعية لا تكفي وحدها لتثبيد الحاكين والمحكومين بسنن العدل الاجتماعي اذ لما يكن هناك عوامل اخلاقية تساند هذه الشرائع وقوى معنوية موطدة في نطاق التدريب الاجتماعي . وانما هذه العوامل والقوى هي تعبير

اجمالي صريح للعنصر الاخلاقي الذي نتحدث به الان وهنا لا بد لنا من اشارة خاصة الى المخالفات التي تصدر عن سوابق تصور وتصميم في اشكال وخطط مرسومة لاسيا في ايام الشدائد والازمات التي تعترض حياة الامة حيث نرى تواتر المخالفات بالاحتيال على القوانين الموضوعة والتدابير المتخذة انما هي نتيجة مباشرة لضعف العنصر الاخلاقي في الامة وتضعف الوجدان المهني والمديني بل ان هذه المخالفات في مثل هذه الظروف تدل دلالة قاطعة مانعة على وجود اناية جامعة وفردية طاغية في نفس افراد اذا راقبنا تصرفاتهم ودرسنا نزعاتهم بعين ناقدة نجد في الواقع انه ليس لهم من انفسهم رادع او رقيب يريدون من وراء الستار او علانية ان يخضوا مصلحة الجماعة لمصلحة الفرد وان يعملوا من الامة بكاملها جسر غير مألوف واغراض شخصية او عائلية او طائفية ومشاكل اخرى ما انزل الله بها من سلطان . يريدون هذا كله خلافاً لما تقرضه قواعد العدل الاجتماعي في كل مجتمع يتزع الى حياة الحرة والكرامة والاستقلال وهكذا يرى الناظر عن قرب ان تنظيم العلاقات المتبادلة بين الافراد وتعيين الحقوق والواجبات عامة عهد للامة سنن الرقي والتقدم والاستقرار . ثم بهذا يستلزم وجود ثقة متبادلة بين الحاكمين والمحكومين وبين افراد المجتمع انفسهم ثقة في الذاتية الفردية ثقة في الذاتية الاجتماعية ، ثقة في صحة العلاقات التي تشد الفرد الى المجموع وتشد المجموع الى الدولة . وبما لا ريب فيه ان الثقة عندما تستقر ضمن حدود كهذه تنتهي بافراد المجتمع الى التعاون المثمر الذي يحمل الامة جدرة حق بالاماني التي تصبو اليها وبالاهداف التي تجاهد في سبيلها . وكثيراً ما نرى ان قادة الامم عندما يضعف الوازع الاخلاقي في نفوسهم لا يتحرجون من ان يستمروا مألوف وشعوات خاصة الحركات الوطنية والنهضات القومية . ومن ان يعيشوا بالتضحيات والضحايا التي بذلها الشعب تحقيقاً لامتنيته بدوافع

درجات التضامن والقوة والى مراتب الجدارة والاستحقاق ويجعلها في موقف المعتمد على الذات الوائق بالنفس لا تتسرب اليها العقائد الاتكالية التي يخضع لها الناس في حياتهم كإفراد ام كجماعات فيجعلون من الظروف والصدف والايثار حكماً ومعيماً لهم فيما يعملونه او يفكرون في عمله . ان هذه العقائد تتمركز ويتسع نطاقها عند الشعوب التي لاقوة معنوية لها ولا قيم ولا مواب ولا ايمان بالذات وبالكرامة وبالمعاني السامية التي تنطوي عليها حياة الشعب كأمة تنزع الى التنظيم والتقدم والبقاء . . . وما لا ريب فيه ان البيئة التي تخضع للعقائد الاتكالية بدافع تقاليد عقيمة او بتأثير فراغ اخلاقي . ان هذه البيئة لا تدرك معنى صحيحاً للثقل الاعلى كرابطة تأليف مستحكمة الحلقات بين المواطنين وعامل تقويم اللاعبين . التي يتألف منها جهاز الدولة السياسي .

لا اود ان اعرض لمسائل الاخلاق عرضاً حصرياً من الوجهة التدريسية وإنما اعرض لها من وجهة عامة شاملة كظاهرة من ظواهر النفس البشرية نجد آثارها متموجة بجزر الحياة المشتركة امتزاجاً دقيقاً بحيث قد لا يسلطه الناظر دائماً كما انه لا يلاحظ الهواء الذي يتشققه فالاخلاق من وجهة البدينية هي النظام الادبي متشكلاً في طبيعة الفرد والنظام الادبي قد اختلف وتختلف ماضياً وحاضراً باختلاف طبائع الافراد وانما الرجال ذوو الاخلاق الحسنة هم ذم البيئة التي ينتمون اليها . والواقع ان الاخلاق هي نتائج معينة لثقافت معينة تستقر في النفس فتسوقها سوقاً اضطرارياً الى هدف من الاهداف العالية .

اما تبديل الاخلاق المتمركزة او تعديلها فليس من الامور السهلة المأل فثأثيرات رجال الصحافة والمناير والادب لا تكفي كما يحسب بعضهم لاحداث تبديل جزئي او كلي في الثقافات والميول المسيطرة على ذهنية الفرد . واذا القينا نظرة عجيلى على العصر الذي نعيش فيه الآن نجد ان شرعية التضامن بما تفرضه من تبادل تقايي واقتصادي ومن توثيق الروابط بين افراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة هنا وهناك قد جعلت مسألة الاخلاق تنبسط في اشكال متقاربة من حيث مصادر ارتقائها واسباب انحطاطها والمشاكل العارضة بحيث نرى من بعض الوجوه ان ما يشكو منه اهل الشرق في لبنان او سوريا او العراق او مصر يشكو منه ايضاً

حب الوطن ولنا على ذلك في صفحات التاريخ وفي حوادث الحاضر شواهد جلية تشهد ان اقلية الفرد عندما يلتوي الزاوع الادبي تصبح في حالة حرب مع مصلحة الجماعة وان الفضائل والذائل تظهر صراحة حيث تشبكت المصالح وتتداخل . وقد يختلف ادراك الافراد لانواع المسؤولية التي يخضعون لها في مجرى اعمالهم وعلاقاتهم المتبادلة . منهم من يتقيد بالمسؤولية بدافع الوجدان والواجب والمصلحة الجامعة ومنهم من يخضع للمسؤولية خوفاً من عقوبة او جزاء او رقابة وانقياداً لتيار المجموع من غير ان يكون في قرارة نفسه قناعة صحيحة . ومنهم من يفهم المسؤولية الادبية نظرياً ويجعلها علماً وهو غارق في تيسار الانانية والنعرات الشخصية . وكثيراً ما نرى اصحاب مدارك وثقافة ، لكنهم يعرفون المسؤولية بوجهها النظري لا العملي معرفة تدل دلالة صريحة على ضعف العنصر المعنوي . وهنا يتبادر الى الذهن غفوة أسئلة كهذه : كيف يتصرف هذا الفرد المسؤول او ذاك وفي أي شي ، يفكر والى أي شي . يتزع وماذا ينزي وماذا يحترم — هذه اسئلة يستطيع كل باحث ان يطرحها على كل فرد مسؤول وقد يختلف فيها الاجوبة باختلاف الافراد والامم التي ينتمون اليها . فنتنتج منها درجة استعداد البيئة الاخلاقية لاقبال مبادئ العدل والمسؤولية الحقيقية والواقع . ان مبادئ . كهذه لا تنمو ولا تزدهر الا في بيئة جيدة تعارف اعضاؤها بالصدق والاستقامة والاخلاص وتضامنوا في المثل العليا كجم عضوي يتأثر بعضه ببعض بحيث اذا اختلفت مصلحة جز . منه لا يلبث الاختلال ان يتسرب الى الاجواء الاخرى بفعل الروابط المعنوية .

وان هذه المبادئ . هي اساس للنهضة ومقياس للعمل وميزان للتقدير . ولا مجال للانكار ان في انسان حركة استجماع القيم والمواهب الفردية في سبيل تقوية موارد الفكر والروح والمادة لكنها حركة بطيئة محدودة لم تزل شديدة الحاجة الى التوجيه والتشجيع ليس في لبنان فحسب بل في جميع دول الشرق العربي حتى تتنظم القوى المعنوية انتظاماً موافقاً للاماني العامة التي تصبو اليها . وحتى يتبوأ العنصر المعنوي مكانه الاول في دوائر الحياة المشتركة .

قلت ان العنصر الاخلاقي يرتقي بالامة الى ارفع درجة من

من جهة أخرى ان الحكام الذين يأخذون على عواتقهم تسيير مقدرات الامة يقدمون دليلاً واضحاً على الحالة المعنوية في المجتمع الذي يقودونه با يتبعون من اساليب ويحققون با اعمال على نسبة ما توافر لهم من وعي قومي وإدراك المسؤولية، قد يشور الشعب على حكومة رديئة بقصد الإصلاح والتجديد وقد ينفذ لحكومة رديئة عندما يكون هذا الشعب مضطرباً، يضعف الإيمان قليل الثقة بذاتيتهم ولكنه لن يشور على حكومة جيدة تجمع المعرفة الى العمل الى الاخلاق وابلغ ما يصح الاستشهاد به في هذا السباق تلك الحكمة القائلة كما تكونوا يولى عليكم . ونستطرد الى القول اننا اليوم بين يدي نهضة حديثة من ثمرات القوى المعنوية المتكاملة بما يتصل بها من قيم روحية وفكرية . وان سعادة الامم كما يقول الاحرار المجددون ليست بكثرة امواهم ولا بقوة استحكاماتها ولا بجمل مبانها وانما سعادتها بابنائها الذين تنفقت عقولهم وبرجالها الذين حسنت تربيتهم ففي هؤلاء سعادتها الحقة وهؤلاء قوتها الرئيسية وعظمتها الجهرية . اما القيم الفردية في جميع طبقات الامة فلا بد من ان ينسحق لها مجال الظهور والارتقاء ، ولا بد من توجيهها الى ما فيه خير الفرد والجماعة باعتبار ان هذه القيم هي عناصر اساسية تتألف منها القوة المعنوية في الشعب وان التدريب الاجتماعي الشامل لا يستقر له قرار ولا يستقيم له قاعدة الا بتعمد المواهب والكفاءات ولذلك زى التوازن مقوداً في بعض مجتمعات الناشئة حيث تعجز الدولة مثلاً عن استجماع القيم والكفاءات استجاءاً كافياً .

نفسه بذلك

نطلب الأدب في مطلع كل شهر من المكاتب الشريفة :

في لبنان - سوريا - العراق - فلسطين - شرقي الاردن - مصر - السودان - الجزائر - تونس - مراکش طهران - اديس ابابا - لاغوس - ليا - ليونفولفيل نومييا - اكرا - باتورست - بوغوتا - نيودلهي جوهانسبرج - لندن - اوتوا - نيويورك - واشنطن مكسيكو - لاهافان - ريو دي جانيرو - مونتيفيديو

اهل الغرب في مختلف العواصم الأوروبية على موازين مناسبة لدرجة المدينيات المتباينة . فحالات الانحطاط التي تظهر في اشكال مختلفة نحاول نحن ان ندرسها درساً نخلص منه الى تعين الداء . ووصف الدواء . وقد اوسعنا علماء الغرب بحثاً وتحليلاً حتى استقر قرارهم على ان اصل الداء . واساس البلاء في هذه المشاكل يرجع لفرغ النفوس من المثل العليا الصحيحة في الحياة التي يجيها الناس افراداً وجماعات ومها يكن من أمر، فلا يكفي ان يكون الفرد صادقاً وفيماً مستقيماً بل يتعين عليه ان ينصرف بالمجهودات التي يبذلها ضمن دائرة عمله او اختصاصه الى هدف اعلى موافق المصلحة العليا للامة . باعتبار ان الاعضاء الذين تتألف منهم يجب ان يشتركوا في ارادة جامعة وفي مصلحة جامعة فوق ارادات الافراد ومصالحهم واذالم تستقر الامة على شي . كهذا فقد تصحش شبهة الجاهل الميكانيكي الذي يتربص من ادوات والآلات مختلفة وقد ينتظم هذا الجهاز شكلاً بفعل التوازن والتكافؤ . وانما تنقصه في الواقع قوة فاعلة محركة ولا شك في ان العنصر الاخلاقي هو القوة الفاعلة المحركة في جهاز الامة . لتأخذ مثلاً على ما تقدم ذكره اصحاب الاعمال والمهن فانهم يشدون الكسب المشروع من وراء المثل والاصلاح التي يزاولونها باخلاص واقتان واستقامة . ولكن من الواجب ان يحتم عليهم ان ينشدوا غاية اخرى تشمل فيها مصلحة الجماعة وما في الامة وتوجب عليهم ان يقيّدوا بمحكمة محكمة الوجدان ومحكمة السلطة حتى يحصل التكافؤ . والتوازن في استعمال الحقوق واثام الواجبات .

وعلى هذا الحد يبدو لناظر ان هناك مجتمعات سلمية او معتلة، مستقيمة او معوجة ، ولكن ما هو المقياس الذي يستطيع الباحث ان يستعين به ليحكم على مبلغ ما لهذا المجتمع او ذاك من الحيوية والصحة الادبية، مما لا ريب فيه ان ابرز مقياس لهذا القرض ينحصر بمعرفة الهدف الاسمي الذي يدين به الشعب وتجميعه في ظله جميع قوى الامة المعنوية والمادية . اما الهدف الاسمي على الجملة فيوجب على الناس الايمان بالكرامة القومية وبقدسية الحرية والاستقلال ولذلك نقول ان انظمة التجارة والصناعة ومؤسسات العلم والثقافة ليست بذاتها مقاييس كافية وافية للحكم على المستوى . فقد تجد دولاً وشعوباً بلغت مبلغ الرقي في ميادين العلم والحضارة والصناعة وما اليها ولكنه على الرغم من ذلك لا تفقه معنى صحيحاً للحرية او انها تستخدم الحرية لاحداث القلاقل والثورات وكذلك زى

دنيا الصوفيين

بنف سامي الكبابي
صاحب مجلة الحديث

وفؤاد مشوق:

مزجت روحك في روحي كما
فاذا مسك شيء مني
فاذا انت انا في كل حال

*

كل بيت انت ساكنه
وعك المأمول حجتنا
غير محتاج الى السرج
يوم يأتي الناس بالحجج

*

حاضر في القلب يعمره
فوق مولاي يستدي
لست اناء فاذكروه
ونسي منه أوفره

*

وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أفأغو عن الدنيا كإغفاء الكسر
أدبرت قلوبهم للسايا عليهم
همومهم جولة يمسك
فاجسامهم في الأرض قتل بحبه
فأعزسوا الا بفرب حبيهم
وأرواحهم في الحجب والعلل شري
وما عرجوا عن مس بوس ولا شر

وهم اذ يتخلون عن مباحج الدنيا ومتعا تشوق نفوسهم الى
مباحج أمي ومتع أزهي ، الى عالم ملي . بالاحلام ، الى دنيا مشرقة
بالفيض والنور ، فني وجدهم ، وشوقهم ، وحبهم وفنائهم هذا
الاتجاه نحو الذات الالهية ، وفي حقائق الصوفيين زهرات جملة من
القصص والشعر والنثر تصور نزعاتهم وهجساتهم ، نزعات لطيفة
وهجسات رقيقة وقصصاً لطيفة مغرية ترمز الى هذه التيارات التي
تقصل بين الروحية والمادية ، بين الشك واليقين ، بين هدي الروح
وضلالها الممتعة .

وقد عرف الادب العربي طائفة من المتصوفة تميزت بحياتهم
بالتجرد والتكشف والبعد عن زخارف الحياة والاتصال بالآفاق
العليا . عرف الحلاج ومحي الدين بن عربي والجنيد والشبلي والفارض
وكثيرون ممن تركوا آيات علوية في الكشف عن أغوار النفس .

الدنيا ، في نظر الصوفي ، لا تساوي قشرة بصله ، « أشبه
بالظل تحسب له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض ، تتبعه لتدركه
فلا تلحقه » (١) . نعم ، الدنيا ، في نظر الصوفي ، لا تساوي قشرة
بصله ، وهو اذ ينظر اليها هذه النظرة الحقة يتساءل على م التراحم ؟
وفيم الصراع ؟ وعلى م تستيقظ هذه الفرائز الدنية لتحب ويلاتها
على الشربة ، والحياة بيباهجها ولذاذاتها لاتعدو هذا المردود السريع
من برزخ الى برزخ - من عالم قد امتلأ بالأذى والنقمة والشرو
الى عالم يفيض بالخير والبهجة والسرور .

وتقرأ أي لهم - للصوفيين - هذه الدنيا في صورة غريبة - في
صورة شعبة كريمة تنفر منها النفس :

امرأة على قارعة الطريق ، قد ازينت بالجلي والثياب ، لا يعرجها
أحد الا جرحته ، فأذا أدبرت كانت احسن شيء . رآه الناس ، واذا
أقبلت كانت أقبح شيء . عجز شحطاء ، زرقاء ، عشاء .

يقول الفاضل (٢) صاحب هذه النظرة انه تعود بالله حين
ترآه لت هذه العجوز الدرديس !

قالت : لا والله . لا يعيدك الله حتى تبغض الدرهم .

قال : من أنت ؟

قالت : انا الدنيا !

هذه العجوز الشحطاء التي تكثر للتكالبين على اوضاع
المادة - هذه الدنيا المليئة بالسرور والتي تربنا لؤم الانسان وغشه
واكاذيبه وألغيبه هي التي كرمها الصوفي وعزف عنها وملها
ووجه نفسه الى ذلك الفيض المشرق يخاطبه بروح هائمة وقلب مدندف

(١) ابن القيم

(٢) عدة الصابرين

تطلب الاديب

★

| | | |
|-------------|----|---|
| بيروت | من | دار الصحافة والنشر |
| طرابلس | » | مكتبة زبيلط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف يوديب |
| حلبا | » | السيد عبدالله محفوض |
| زحلة | » | السيد جوزيف فرحات مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طباع |
| مخمس | » | السيد عبد السلام السباعي |
| | » | السيد توفيق الشامي |
| | » | السيد حنا نصره |
| | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزجلي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان رزق الله كردي |
| الباب | » | الشهيد صاحبها السيد محمد سعيد المكتبي |
| فلسطين عامة | » | شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة |
| بغداد | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| الموصل | » | الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد |
| مصر | » | عموم المكاتب والباعة |

ولعل أظهر ما يميز ادبهم ويبرز حياتهم الذهول والفناء ، الذهول فيها هم مشغولون به والفناء في ذات الله العليا . وانك لتقرأ هذه الاقاصيص فتجد فيها المتعة وتجد فيها هذا الذهول الذي يجعلهم وكأنهم من طينة غير طينة البشر ، أشبه بهذه الاطيفاف الخائفة التي تعيش في عالم التجرد ودنيا الوجد والشرق والهمام . فهم دائماً بين غيبة وحضور ، بين صحو وسكر قد قطعوا كل صلاتهم بهذه الدنيا التي استحال غيرها ، في نظرهم الى شر ، وجمالها الى قببح ، ويقينها الى شك ونورها الى ظلمة ، ومعناها الى نقمة - هذا التجرد الذي يعيشون في ظلاله هو الذي يفسر بعض ذهولهم ويجعل حياتهم متأرجحة بين الفناء والبقاء . . .

*

عن الربيع ابن خيثم انه كان في طريقه يوماً الى ابن مسعود فرى بجانب حداد ، فرأى الحديدية الحماة في الكبير فثني عليه ولم يفق الى الغد ، فلما أفاق سُئل عن ذلك فقال : تذكرت اهل النار في النار .

وروي عن علي بن الحسين انه كان في سجوده ، فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلاته ، فسنل عن حاله فقال : اثنى النار الكبرى عن هذه النار .

وعن الجنيد انه كان قاعداً ، وعنده امرأة ، فدخل عليه الشبلي وأرادت امرأته ان تستتر فقال لها الجنيد : لا خير عليك فاقدي ، فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلي ، فلما أخذ الشبلي في البكاء . قال الجنيد لامرأته : استتري فقد أفاق الشبلي من غيبته .

وفي كتب الصوفية عشرات بل مئات من هذه القصص التي تتل ذهولهم وتجردهم فهم دائماً ، بين غيبة وحضور ، بين صحو وسكر ، بين فنا . وبقاء ، بين محو وإثبات ، وستر وتحلي ومكاشفة ومشاهدة ، وقرب وبعد ، وغير ذلك من هذه الحالات النفسية الغريبة التي تبدهم عن الحقائق غير المجردة الى الحقائق المجردة التي تصلهم بالذات العليا - وهذا الذي يجعلهم ان ينظروا الى الدنيا هذه النظرة السوداء ، وان يروها في حقيقتها لا تساوي قشرة بصلية أشبه بالحلم السريع العدو الذي مها ركضت وراءه تلمس شيئاً كنت كالتابض على ماء !

سامي الكبيلي — حلب

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً ، في العراق بـ ٧٥ فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

يشير لي ويتنظر ويتنظر
يا طيب هذا التهديد بين فاعم الزهر
رابية صمراء شاقها ارتعاشات السحر

*

أزورق قد جاذبته عاصفات المنحدر؟
شراعه الذات تومي فوق مانج الصور
أم موجة دفاقة لا تأتلي كبراً وفراً
شطانتها خضر غفا هديرها حلو السم

الزورق

*

يا نصف دنيا أقيت فأينعت نهذاً خطراً
يفر مدى عطفيه جرس ناعم ومستمر
توود حول قتيه حالمات المنتظر

الى الشاعر
يوسف غصوب

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يا قدسها صومعة قد غام فوقها الوطر
صلاتها المغناج حيكمت من تساييح الوتر
وأفقه الظليل طاب ملعباً ومستقر
وسربلت طيوبها برعم سفحها العطر
هناك... دارت سبعة كسمط لؤلؤ نضر
تمور إن هلت صلاة او ترادفت ذكر

*

على حفافي الكأس تاهت نشوة وضاع سر

بربع هني - رمس

الحب في الامثال البنانية

بقلم شمس طباره

العشاق) ويؤثرون التستر وكنتم الحب خشية الغشقة ودفماً لكيد
الواشين واشهر ما ورد في ذلك قولهم (بالقلب يجرح ولا بين الناس
يفضح) وقولهم (قال لها : يجيك على راس الرمح . قالت له : احبه
بالقلوب مش على الدروب) .

ويتصل بحال الحب حال الشوق وامثالهم تفيض بالوجد الذي
ينبى عنه البكا . ويفصح عن مكنونه النواح . والنواح والبكا .
من وسائل الافراح عن اوجاع القلب فقال من قهره الوجد بينهم
(ما يبكي وينوح الا قلب المحروص) .

ومن رأي البنانيين ان يكون المرء محباً ومحبوباً ليكمل نعيم
النفس وهناء القلب والا فنف مذهبهم ان يعامل الحب بالمثل ليكون الجزاء
من جنس العمل اذ يقولون (من رادك ريدو ومن راد بعدك زيدو)
ويقولون (اذا كان حبيبك بصل لا تأكله غير رض) ويقولون (اللي
بيعد عنك يوم ابعد عنه سنة) و (اللي يلاقيك بأنف طويل لاقيه
بخرطوم فيل) ويقولون في مجازة المعروف بئله او باكثر منه (اللي
يشرفك بعين شوف بعينين) و (من شكلو شكشكوا) .

وهم يستطوفون الحب بالهدايا بحجة ان الهدية تجلب المودة الى
القلب فيقولون (اصل المحبة الهدية واصل الغشقة الاسيه) و (هدية
الخير ما بتفقد) و (هدية المقرق ليمونه حامضة)

وقد لاحظت انهم من المجران فربقان فريق يراه باعث على
السوان والسيان فيقول (اللي بيعد عن العين بتسلاه القلوب)
و (البعد جفا) و (وعين لا تقشع قلب لا يوجع) و (لا غايب الا
واستغفنا عنه ولا خاضر الا واعتراه) . وفريق يراه يزيد في حرقة
المشوق فيقول (ابعدا تحبكم واقربوا تسبكم) و (تباعدوا
تحاببوا تقاربوا تباغضوا) و (ما من اهل الوطن اللي بعد من الوطن) .

وهم يوصون العشاق بالتصون واجتناب الطيش والحدة
وينذرون بسوء مغبة المغامرات الغرامية فيقولون (من خفف راسه
تعب رجله) وينصحون بتقليل الزيادة فيقولون (الحجر بأرضه
قنطار) و (كل محمول مئنان وكل شي مطروح سلطان) . وبنجانة
اللاحاح في الود وعدم مضايقة الكريم فيقولون (ان كان حبيبك
عمل لا تلتسه كله) . وكذلك (ان قلت لك تقبرني لا تبشش
وتظلمني) . ويتقدمون من ايس كذلك فيقولون (اجا للميمان صبي
روحو بالقبشي) و (عنجك مثل عنج الدبة اللي اجت تتفنج ولادها
كدهشهم) و (مثل القرده قد ما حبت ولادها عشتهم وطفستهم)
ويعمدون النظافة وتحسين اللباس والسكن وتمد الطبقة الدنيا في
لبنان اكثر اعتناء بالنظافة من غيرها في اغلب البلدان الاخرى اذ

لمح البنانيون بالحب وقد تأملت ما ورد في امثالهم عنه
فرايتهم أعرف الناس به وأقدرهم عليه وأوفرهم اخلاصاً فيه .
والحب عندهم غريزة ترجع في اصلها الى حب الذات وهو أساس
كل حب لان حب الانسان نفسه يحمله على ان يطلب اللذة والمتعة
لذاته اولاً ثم لابنائه واهله واصدقائه ووطنه . واول امثالهم في
هذا المعنى قولهم في تفاضل شيتين حبيبتين الى النفس (يجيك بالسواري
قد زندني ! - لا) وقولهم (محبة الذات مش منكرة) .

وهم يرون الحب من اكبر سمات الحياة يتم عن ذلك قولهم
(غريب اللي ماله حبيب) واقصى امانيهم من الحب الزواج .
فالبناني اذا احب تزوج وقنع من الحب بالراحة والاستقرار في ظل
بيت . فهذا الصديق في الحب او الثابت في الولا . عاد على الادب
الشعبي بكثير من النفع فهناك اغان شعبية صنفها العشاق البنانيون
وشرحوا فيها هيامهم وتقربوا فيها بشدة الحاسمهم بروعة الجمال .
على انهم وجدوا بالاختيار ان الجمال لا يولد الحب كما ان الاجار
وغرور المال ليست من دواعيه وانما يعلون سبب التجاذب الخاص
بين محبين لا يرى الناس باعثاً عليه الا تلازم الابراج واث هذا الاعتقاد
ظاهر في قولهم (المحبة خصائص والبغضة عوم) وقولهم (كل شي
عند الطار الاحني غضب) وقولهم (قال لها : حبيبي وخديلك
جشش . قالت له : المحبة ما بتكون دحش) .

والعشق كما يفهمه البنانيون هو الولا . لامرأة واحدة واثارها
على سائر بنات جنسها فقالوا (العين بتشوف كثير والقلب بيهوى
واحد) . وعندهم ان فضائل الحب الوفا . والوفاء . جعل البنانيين
من اهل الخطوة عند النساء . ومن امثالهم في الحث على الاستكانة
الى اليف واحد قولهم (بطيختين بغرد ايد ما بينمسكوا) وقولهم
(بالما ما في رين وعلى الارض ما في حنين) . وهم بالرغم من
مفاسد التجسر التي تسربت الى بيئاتهم ما زالوا يتحلون بكثير من
المازاي العربية ويستذكرون العشق المجان وينتوون منازل المستهدين
بمختلف صنوف الزايدة اذ يقولون عنها (بروح العاشق يبجي المشتاق)
ولهم كلمات في التيهكم والسخرية يرددونها امام من يهجد نعمة
الود بعد انتفاء الغرض وقضاء الوطر فيقولون (انفخت الدفوفتوق

ويقولون (نصف بيتك ما تعرف مين يدوسو وغسل وجهك ما تعرف مين يبوسو) ويقولون (اغسل تقوقي واكنسي تروقي).
ودليل الحب الصحيح في نظرهم هو التضحية والواقع ان الحب الصادق يؤثر حبيته على نفسه لان غرض الحب تضحية النفس لاسعاد الحبيب فيقولون (من حب عبدة عبدها ولحقها على بلدها) ثم ان من ود انساناً ودأ عميقاً شعر في الوقت نفسه بمحن وعطف نحو من يلود به وفي هذا يقولون (كرومال عين تكروم مرجعيون) ويقولون (على حجة الورد يبشر العليق).

واللبنانيون من أشد الناس احساساً بروعة الجمال وهم يستبجعون النظر الى المستحسن استئناساً بما قيل قديماً: اطلبوا الخير من حسن الوجوه. ويتمثلون في احاديثهم بكلام الشعراء. وبالقول المأثور: ان الله جميل يحب الجمال. وثلاثة تجلوا الحزن: الماء. والخضرة والوجه الحسن. ولا شك ان الاحساس بروعة الجمال باب الى صقل النفس وثقيف العقل وتهذيب الوجدان اذ لا يسكن الى الجمال الا من كان في تحائله ذوق وفي روحه صفاء. فيقولون: (خلصنا من الحرب قتلنا العميون السود) وهذا معنى جميل يثل اللفة الى افئدة الجمال ويشف عن ما للحسن عندهم من دولة أمة وساطان قاهر ويصور لنا بلابل الحزين ودعمهم المسفوح من جراء الحرب القاتلة بين عين العاشق وعين المعشوق.

ومن علام الحب الغائب لان الغائب باب الرضى فنادى محبة نعاتبه اما الذي لا يغيبنا امره فنؤنبه. ومن احسن تشابيههم قولهم (الغائب صابون الغائب) ومن اصدق امثالهم قولهم (يا بادلين غزلائكم بقرود) يضرب لمن يبذل الحسن بالقبيح (ويا من ملنا ما حلنا) اول بعد ما هف ولا قد عد الى الرف ويضرب للتحكم بالملول (وخبيي ملجس ارجاء نسمة ربيع) ويضرب لسريع التصديق والتأييد (واللي يشوف احبابه يباني اصحابه) ويضرب للسبت الذي لا يبالي النصيحة. (والمكتابه نصف المشاهدة) ويضرب في الحث على المراسلة. (واضحك بعك ان كنت يحبك) ويضرب للتكبر المفرور ولمن قضيت حاجته وبلغ اعنته.

وقد اجعوا على ان من شرط المحبة الصحيحة ان تكون مقرة عن الاغراض حتى لا تنقص متع الحب وتسوء الحالة فيقولون (من حبك لغاية بغضك في النهاية) وهم يرون ان الهوى يفسد الحواس ويذهل العقل عن ادراك عيوب الحبيب فيقولون (العبدة زالت على السوق ما استجلت الاشغاف ابنا مرزوق) ويقولون (بصلة الحب خروف) ويقولون (القرد بعين امه غزال) و(كل عين ولها حلا)

ويقولون (نصف بيتك ما تعرف مين يدوسو وغسل وجهك ما تعرف مين يبوسو) ويقولون (اغسل تقوقي واكنسي تروقي).
ودليل الحب الصحيح في نظرهم هو التضحية والواقع ان الحب الصادق يؤثر حبيته على نفسه لان غرض الحب تضحية النفس لاسعاد الحبيب فيقولون (من حب عبدة عبدها ولحقها على بلدها) ثم ان من ود انساناً ودأ عميقاً شعر في الوقت نفسه بمحن وعطف نحو من يلود به وفي هذا يقولون (كرومال عين تكروم مرجعيون) ويقولون (على حجة الورد يبشر العليق).

واللبنانيون من أشد الناس احساساً بروعة الجمال وهم يستبجعون النظر الى المستحسن استئناساً بما قيل قديماً: اطلبوا الخير من حسن الوجوه. ويتمثلون في احاديثهم بكلام الشعراء. وبالقول المأثور: ان الله جميل يحب الجمال. وثلاثة تجلوا الحزن: الماء. والخضرة والوجه الحسن. ولا شك ان الاحساس بروعة الجمال باب الى صقل النفس وثقيف العقل وتهذيب الوجدان اذ لا يسكن الى الجمال الا من كان في تحائله ذوق وفي روحه صفاء. فيقولون: (خلصنا من الحرب قتلنا العميون السود) وهذا معنى جميل يثل اللفة الى افئدة الجمال ويشف عن ما للحسن عندهم من دولة أمة وساطان قاهر ويصور لنا بلابل الحزين ودعمهم المسفوح من جراء الحرب القاتلة بين عين العاشق وعين المعشوق.

ومن علام الحب الغائب لان الغائب باب الرضى فنادى محبة نعاتبه اما الذي لا يغيبنا امره فنؤنبه. ومن احسن تشابيههم قولهم (الغائب صابون الغائب) ومن اصدق امثالهم قولهم (يا بادلين غزلائكم بقرود) يضرب لمن يبذل الحسن بالقبيح (ويا من ملنا ما حلنا) اول بعد ما هف ولا قد عد الى الرف ويضرب للتحكم بالملول (وخبيي ملجس ارجاء نسمة ربيع) ويضرب لسريع التصديق والتأييد (واللي يشوف احبابه يباني اصحابه) ويضرب للسبت الذي لا يبالي النصيحة. (والمكتابه نصف المشاهدة) ويضرب في الحث على المراسلة. (واضحك بعك ان كنت يحبك) ويضرب للتكبر المفرور ولمن قضيت حاجته وبلغ اعنته.

وقد اجعوا على ان من شرط المحبة الصحيحة ان تكون مقرة عن الاغراض حتى لا تنقص متع الحب وتسوء الحالة فيقولون (من حبك لغاية بغضك في النهاية) وهم يرون ان الهوى يفسد الحواس ويذهل العقل عن ادراك عيوب الحبيب فيقولون (العبدة زالت على السوق ما استجلت الاشغاف ابنا مرزوق) ويقولون (بصلة الحب خروف) ويقولون (القرد بعين امه غزال) و(كل عين ولها حلا)

جيولوجية الفحم الحجري

بلم اي. اس. جرف

ترجمة «الادب» عن مجلة «لندن نيوز» الانكليزية

★

كلنا نعرف ما هو الفحم الحجري او غيظه عندما نراه . ولكن ما يعرف عنه ليس الا عشر ما يطالب العلم معرفته ، ولذا لا نحاول في هذا المقال الا ان نبين ما هو ، وماذا كان ، وكيف صار على ما هو عليه . فالفحم الحجري هو - كما اتفق على تعريفه العلماء - أحدث التآليف من جيولوجيته ، بعد ان نقعوا عدة تعاريف له سابقة - صغر قابل للاشتعال ينشأ عن تراكم النباتات وتحللها الجزئي . فما نوع هذه النباتات ، واين ومتى تراكمت ؟ هي نباتات رست ولا تزال ترسب في المستنقعات والبحيرات والاراضي للسبخة المنخفضة والمرتفعة ، وهي من النوع الذي يعيش على الماء العذب . والاراضي السبخة تكاد تكون مجبولة في المناطق الاستوائية مع انه يوجد قليل منها في جزر الهند الهولندية الشرقية . اما الاراضي السبخة المنخفضة المثالية فتوجد في المناطق المعتدلة وتجاور المحيطات كالاراضي الواقعة في المستنقع الموحش العظيم بين فرجينيا وكارولينا الشمالية في الولايات المتحدة ، الذي يغطي مساحة قدرها خمسمائة ميل ، ويرتفع مائتي قدم عن سطح البحر ، حيث ترسب عناصر الفحم الحجري . وفي المراحل الجيولوجية الاولى لفحم الحجري كان في اوروبا منطقة منخفضة من المستنقعات والاحراج والاراضي السبخة الملأى بالطحالب والنباتات في دور التفتح تمتد جنوب بحر الشمال والبلطيق بمحاذاة بلجيكا وهولندا والمانيا وروسيا ، وفيها تراكم الفحم الحجري الذي نستعمله في ايماننا الحاضرة .

وبسبب ارتفاع الكتل الارضية وهبوطها المتعاقبين في القارة الاوروبية ، كان البحر يغزو المستنقعات ويكوّن بحيرات مالحة على نحوها . وما كان البحر يتركه وراءه أيّد بعض التأييد الفسكرة القائلة بان النباتات البحرية قد تكون هي التي كونت مادة الفحم الحجري . وقد أهملت هذه النظرية لسببين : الاول هو ان الحشيش الجري لا يترق حتى القعر وهكذا تتفني امكانية تكونها مناجم الفحم الحجري البحرية . والسبب الثاني هو انه لم يكن في المكان

افواج تزداد باطراد والقسط الاكبر من هؤلاء الطسلاف ، من المصريين .

واقعد بقي في بريطانيا كثير من الطلبة المصريين الذين كانوا يتلقون دراسات عملية ولم ينتهوا منها الا بعد ان نشبت الحرب ، فعهد اليهم هناك عناصـر صناعية . كما ان كثيراً من طلبة الطب الذين حازوا امتحاناتهم النهائية بنجاح ولم يعودوا الى مصر التحقوا بالمصحات والمستوصفات العامة .

كذلك كان يوجد في بريطانيا قبل الحرب ٢٠٠ طالب عراقي تناقص عددهم حتى صاروا نحو ربع هذا العدد . وتتولى المفوضية العراقية في لندن امر العناية بصالحهم .

ومع ان العرب القميين في لندن ، اصبحوا اليوم يشعرون بمحبتهم الى قيام اتحاد سليم يتظمّنون في سلكه ، الا ان توحيد العناصر المختلفة التي تتألف منها الجاليات العربية التي تعيش في بريطانيا ليس بالامر السهل .

ولا جدال في ان كل قطر يعني بصالح ابنائه عن طريق مثله السياسيين . فلنصر سفارة في لندن ، ولكل من العراق وبلاد العرب موضوع هناك ، كما ان قسطنطين وشرق الاودن ادارتين في في وزارة المستعمرات .

ولقد تجلّت من زمن طويل ، الروابط الدالة على مسيل وتوطد العلاقات الثقافية بين بريطانيا والاقطار العربية ، فقد استطاعت اللغة العربية - وهي من احسن اللغات الحقيقة اغناها واغزرها ادباً - ان تجد المساكنة الجديرة بها في جامعتي اكسفورد وكبريدج ، ففي كل منها « كرسي » لاساتذ يتولى تدريس هذه اللغة .

ومثل هذا المنصب يوجد ايضاً في « معهد الدراسات الشرقية » بجامعة لندن الى جانب اربعة مناصب لمحاضرين في نفس هذه اللغة . كذلك انشيء في جامعة مانشستر منصب لمحاضر في اللغة العربية ، وقد تم ذلك بمساعدة الحكومة المصرية التي انتدبت من لدنها المحاضر الذي يشغله .

واقعد انشأت جامعات اديرة وجلاسجو ايضاً مناصب المحاضرين في اللغة العربية بهما من زمن بعيد .

ولعل أحدث دوايـب الاتصال المتين بين العرب وبريطانيا ، هي تلك الرابطة التي خلقها شركة الاذاعة البريطانية ، اذ اخذت تذيع على العالم العربي برنامجاً باللغة العربية ، فجمعت حولها وسطاً خاصاً بها من العرب الذين اقبلوا على الانصات لهذه الاذاعات ، فعدا هذا الوسط شبه جالية عربية في وسط الثقافة البريطانية .

كما كانت الحالة في اول الدور الجيولوجي الثالث ، عندما كبرت اشجار النخيل في المانيا ، قريبة من درجة الحرارة الاستوائية . ولكن الطقس الرطب الثابت الحرارة كان منتشرأ في معظم الكرة الارضية في الدور الكاربوني ، فلم تكن هناك مناطق باردة ومعتدلة وحارة ، بل لم تكن هناك مناطق حارة لتنتج الفحم الحجري . اما سبب هذا التناقض في الطقس فهو مشكلة من تلك المشاكل الجيولوجية التي ليس لها حل كامل ، كشكلة العصور الثلجية .

ولقد فسر الدكتور « و . هامفرايز » العالم الجوي ، ما سبق بان فودانا بر كانياً عم الكون مدة فلاً الجو غباراً ففجب أشعة الشمس عن الارض . كما فسر « ارهانوس » بان زيادة اوكسيد الغاز في الهواء ، التي تعود الى ذلك الدوران البركاني نفسه ، تمكنت من امتصاص اشعة الشمس ، وانقصت كمية الاشعاع من الارض ، فزودت النبات بغذا اوفر . ولكن « انكستروم » اظهر ان كمية اوكسيد الغاز في الجو كافية لامتصاص جميع اشعة الشمس القابلة للاعتصاص ، فيجب اذن ان نهمل تفسير ذنبك العالمين .

على ان أصل الفحم الحجري يستند الى أساس أكثر نباتات قوية . فلقد كان في اول الامر نباتات جافة ونسبات منتشرة في اراض سبخة تجتمعت تحت الماء ، ونعفن بعضها هناك . والنباتات الطافية والسمراء ، واوراق الاشجار كلها تنفث وتنتهي الى المصير نفسه . ويبدأ تكون الفحم الحجري بعد ان تصحب هذه النباتات كلها قابلة للتفحم مع العلم انه ليس هناك خط فاصل مهم بين هذين الدورين . وبعد ان تصحب هذه النباتات قابلة للتفحم يبدأ الفحم الحجري الامير



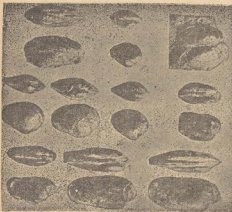
قسم من المستنقع الموحش العظيم بين فرجينيا وكارولينا الشمالية في الولايات المتحدة الاميركية حيث ترسب اليوم اصول الفحم الحجري

الصالح لتكون هذه المناجم كمية كافية من هذا الحشيش البحري . ولقد استشهد مرة رداً على هذا السبب ببحر (ساركاسو) Sargasso Sea الذي هو بحر في بحر (*) والذي يلتف حوله تيار الاطلسي الكبير . ولكن هذا الاستشهاد كان يستند على ما روته الحكايات عن هذا البحر ، لا على حقيقة . فقد وصف بحر ساركاسو في قصص البحارة ككتلة من الحشيش البحري كانت السفن تنشكك به فلا تقوى على الخلاص منه فتهلك . ولكن الحقيقة هي ان هذا البحر ، مع اتوائه على عشرة ملايين طن من العشب البحري ، هو بحر ازرق صاف ، لا يصيب كل فدان منه سوى رطل ونصف (ايبره ونصف) من هذا العشب . ولاسباب اخرى دحضت النظرية القائلة بان الفحم الحجري اصله نباتات بحرية رسبت في مصاب الانهر . وهكذا يظل الفحم الحجري مكونا من النباتات التي تعيش على المياه العذبة .

وطبيعة تكوين الفحم الحجري لا تتلاءم مع احوال البلاد الاستوائية . ففي جميع ادوار تاريخه الطويل كانت اصوله ترسب في ارجاء شبيهة بتلك المستنقعات التي تنمو فيها الطحالب والنباتات التي هي اليوم في دور التفحم . وهذا صحيح سواء كان يعود الى الدور الجيولوجي الاول او الثاني او الثالث . فالطقس في الدور الكاربوني كان دافئاً رطباً لا يتبدل ، ولكنه لم يكن حاراً استوائياً . وربما كانت حرارته في بعض المساحات وبعض الادوار ،

(*) بحر ساركاسو اسم يطلق على منطقة واسعة في الاطلنطيق الشمالي ، يكثر فيها وجود الطحالب (البحرية) . وكلمة ساركاسو هي في الاصل اسم لنوع من هذه الطحالب بني اللون .

« ام الخلول » المتحجرة التي كانت تعيش في احوال مستنقعات الفحم الحجري



لماع ، صلب جداً قابل للصناعة والصقل وهو يحتوي على كثير من الغاز يبلغ خمس وزنه وعلى نسبة كبيرة من الرماد وهو ليس فحم « كوك » .

هذه الانواع المختلفة من الفحم الحجري لا تقدم دليلاً على عمرها . فحالتها نتيجة للحرارة والضغط الذين تعرضت لها ، وعلى رسوب اصولها من النباتات والطحالب . ففي بعض اقسام ايرلندا يرسب مقدار ١٤ قدماً من النباتات والطحالب في مدة ثلاثين عاماً . ولكن هذه الكمية يمكن ان تنقص الى جزء من ثلاثين او اكثر من حجمها . ويقتضي لتصلب طبقة من هذه النباتات علوها قدم واحدة مرور اكثر من قرن على رسوبها . وهذا الوقت قابل جداً بالنسبة لثلاثمائة عام التي يتطلبها تكون عرق واحد من الفحم القاري او بالنسبة الى الالفين من السنين لتكون ستة اقدام من فحم بتسبرج (Pittsburg) ، او المئة الف من الاعوام اللازمة لتكون طبقة من الفحم الابالاشي (Appalachian) علوها مئتان وسبعون قدماً . و انقلاب الفحم من حالته اللينة الى حالته الصلبة اللامعة هو عملية كيميائية يساهم فيها الضغط والحرارة .

واقام الرواسب الاخرى التي تقدم ذكرها بين طبقات الفحم الحجري ، كما لا حرج التي تفرق في الارض قرب البحر ، قد ادى الى فحص هذه الطبقات نفسها فحصاً دقيقاً بصفة الاستاذ « إي . ب . ترومان » . وفي ولاية الجنوبية ، كما في يوركشاير ، وماونزفيلد ، وفي

بالظهور ، ثم يتحول الى ذلك الفحم القاري ، الذي طالما حدثنا وزير الحروقات على صيانتها وادخاره ، ومن ثم يتحول الى فحم حجري صلب . تلك هي درجات الفحم الحجري . ولكنه لا يمكن ان يقال ان صلابه هذا الوقود المتزايدة تدل على المدة التي مكث فيها تحت الارض منذ رسوبه نباتاً وطحالاً الى حين استخراجها . فالضغط والحرارة تحت الارض كونا الفحم الحجري القاري والفحم الحجري الصلب . يستدل على هذا من تعاقب الصخور الناحلة على مناجم الفحم الحجري ، الذي يشير الى هبوط طبقات الفحم هبوطاً عظيماً بعد رسوبها بسبب ضغط طبقات الارض التي تعتلئ احداها الاخرى . وهذا الضغط المتزايد مع الايام جعل النباتات الراسبة تزداد بدورها صلابه فتصبح فيها امير ، او تصبح ، بسبب الحرارة الداخلية تحت الارض مضافة الى الضغط المتقدم ذكره ، فبها قارباً ليناً . وفي حوض موسكو فحم حجري امير يرجع تاريخ رسوبه الى ابتداء تكون الفحم الحجري الصلب .

وكما انه يوجد انواع عديدة من النباتات تقسم جميعها الى نباتات جافة ومنشرة في الاراضي السبخة ومتجمعة تحت الماء ، كذلك توجد انواع مختلفة من الفحم الحجري الذي يتحد من هذه النباتات منها الفحم الحجري القاري الذي يشمل الفحم الحجري اللامع ومنها الفحم الذي كان معروفاً بفحم الشمعة نظراً للبراق الذي يصدر عنه عند احتراقه ، وهو تحمي امس رمادي ضارب الى السواد ، غير



صورة اغنوجية لمستنقع يرجع عهده الى خمسة وعشرين ألفاً من السنين . وهي تظهر انواعاً عديدة من الاشجار كالخناء والبرخس . اما الشجرة المكسورة في مقدمة الصورة فهي شجرة حنا .





افوى من الموت

بقلم إيليا اهرنبورغ - تعريب قلدري قلعجي - ١٦٨ صفحة
مشرورات مجلة الطريق - بيروت

ولد الكاتب الروسي « إيليا اهرنبورغ » في قلب الحركة ، وسبق في قلب الحركة ، لان الطبيعة حبه قلباً وقللاً غاذجاً وتآلفاً على مشارف الحرية ...

تصاعد صوت هذا الكاتب في الحرب التي ألهمته غير روايته الصاخبات ، ومن الحق ان نقول ان ادبه من بنات الحرب ... ولكنه ليس بذلك الادب الباهتة الوانه ، الحسالي من روح صاحبه . انه الادب الذي تصفيه الحياة ، وتدوي فيه الحرية ... ارسلته الحرب من صميمها فخرج يحمل وجهها المكفهر ، وينقل صوحا الداوي . ويبر عن آلامها وضجائها . وخلال ذلك تشرق إشارات الامل والايمان بجياة جديدة قافلة على ارتعاشات الانسانية الطالبة لملاذ الامين !

والادب الروسي الحديث الذي جاءنا قبل الحرب كان يمثل طموح هذه الامة الى تقرير العدالة وانشاء عالم قائم على المساواة ، لا تكون فيه سعادة البعض قافلة على آلام الآخرين . وقد ظل هذا الادب يوسيه قليل الحديث ، ويعمل للانسانية جماء ، فيه وجه الله ووجه الانسانية عامة ! فلا اندلع صوت الحرب ، هب السوفيت يذودون عن ديارهم ، وبابون ان يذل الوطن الذي وقف نفسه على انقاذ العالم كله . ولا بد لادب اذ ذلك من ان يؤدي رسالته ، ولا بد للادباء الشبان من ان يتاجوا ارضهم الملتصقة بالدماء ، فكان من ذلك هجمات بل قل صيحات صاخبات تحز

مناجم الفحم الحجري في ستافورد الشمالية ، وجدت « ام الحلول » « Mussels » المتحجرة . وقد تحقق العلماء الباحثون من هويتها ، اي من انها كانت تعيش على الماء العذب . ولذا اظهر انه من الممكن التحقق من حابقيات الفحم الحجري كل بفردتها بواسطة الاصداف والقشور المخلوطة بها ، وبالتيقن بما اذا كانت هذه الطبقات خصيبة بالفحم الحجري ، او انها رقيقة سريعة التناقد . وهذا البحث قد أعمل ايضاً في المناجم الجديدة التي لم تستثمر بعد ، وظهرت اهميته في اظهار مناجم جديدة في حوض الدونتر حيث توجد سلسلة عجيبة من الاصداف والقشور يمكن ان تضاهي سلسلة الاصداف الموجودة في بريطانيا .

اي. اس. جرو

الامل . وفي طليعة هؤلاء الادباء « إيليا اهرنبورغ » الذي يدعى ادب « الحرب السوفيتية » ومن حسن حظ اللغة العربية ان تعتمد مجلة الطريق الى تعريب مقاطع الحياة عارضة فيها غاذج عالية للادب الذي ينشأ في قلب الحركة . والفلمة الاولى ناجي بما للكاتب مسقط رأسه « كيف » المدينة السحرية التي ترقص منازرها على سواد « الدنبر » ! وما كيف الا ام المدن الروسية ، ولا ينسني لها الا الحرية ... والكتاب كله غزوات مختلفة لواقع مختلفة من هذه الحرب قد تكون بمنزلة المناسبات ... لكنها مناسبات تخلق الحياة . ومن ذلك قوله عن موسكو حين امتنعت على الفاعين : « وتبدو موسكو دكتاء عند خنق الانوار لكن عيون الناس فيها راقية الاشعاع . وقد نحت موسكو ... لقد ابعدت عن فها اشد الكؤوس مرارة ... ابعدت عنها كاس الفل » ومن ذلك ما فيه من نفحات الادب العالي ، الذي يبين موهبة الادب الطبيعية « كنا تقدم نحو الانتصار في الثلوج ، واليوم يعطي الربيع ابطالا اجنحته . اننا توجه الى اشجارنا وحقولنا واراضينا قائلين « ايها العزيزات انت بانتظارنا ونحن نسرع اليك ... » ويرغم هذه النقلة الانسانية نجد ايضاً الكاتب بوطه وشبهه وحده حين يقول « ان شعبنا لا يطلب ، ان حب الوطن وحسب الحياة افوى من الموت » اما التعريب الهني قد جاء صودة ناطقة بشوثة بالغة ، لا اظنها تغفل قوة عن الاصل الروسي دقة واسلوباً .

خليل هندواي - حلب

في البستان القديم

مجموعة شعرية باللغة الفرنسية لالستاند احمد بك راسم - القاهرة

قد ليولنا لأم على تناولنا بالكلام ، بعد قوات الاوان ، الكتاب البديع الذي نشره شندلير في القاهرة لاجد راسم يضم مقطعات شعرية . فنقول ان الشعر لا يتفق ولا يوافق فيه اوان . واذا اخذنا بقول توفيل غوتيه : ان الفن المكين وحده له المخلد ، فاقا هذا ينطبق على الشعراء وبالتالي على احمد راسم . وكلامنا عن كتاب احمد راسم الذي اسماه بسويدها « في البستان القديم » في ايام الحريف هذه ، ينم على هذه المجموعة ثوباً خاصاً مناسباً .

لقد توفيق احمد راسم ، في محاولة خارقة ، الى ان يجمع في مؤلف ، بين موهبتين ، يقال فيها لاول وهلة انها متناقضان وهما ، بالحقيقة ، يتم الواحد الآخر على انسق وجه . الموهبة الشري في اولها : ان الاجناس الذين يحول جاهلهم اللغة العربية دون تذوق الشعر الشرقي من بيئهم ، يجدون في بستان احمد راسم القديم لذائد هذا الشعر الجوهري .

يلحظون فيها تذوق الامثال المطبوعة على حكمة عريفة : والشاعر العربي بما سمعت مكارفه لا يطاق ايداً هذه التاملات الساذجة التي عركها الفكر ونخصت فيها اجيال عصير ذوقها وخبرها . واحمد راسم يقتنص

بجارية عجيبة حكما شمية ملوها الذوق ويضمنها شعره .

ومن مميزات الشعر العربي أيضاً : التي بالاستعارات التي دائماً مايجي صائبة وغالباً موزنة وأحياناً هائلة سافرة . واحد راسم يرف كيت يمش على اتفه شعور ويسبح عليه ازوج الصور الملموسة . هو يقول عن « عدو ثوبل ككتاب فوق الذرايين » وعن « رجل متواضع كزهره . اصطناعية » وعن صوت « كتيب كاصطباح عيد يحملة البواء » وعن « صمت فضي رمادي » وعن النساء « ذوات الضحكة الوردية » . غير ان هذا المجال لا يحول في فراغ ، بل هو يملك بلاده الفنية التي توفرها شاعريه الشاعر . واشاعر احمد راسم كلها اشعار حب : من الحب الناعم التامعق الحب الصاحب الصاحب . واذا كان يتوحي « بالدمع طيف فتاة » فيقول : « اريد ان يكون الى جنبي اليوم فتاة » .

« اريدها وردية ذهبية كالهداية .

« اريدها بلبل » اريدها يافعة « ومرنة كسنبلة في مهب الريح » .

فهو يجيد ايضاً الترم بنشد الانشاد قاسم « حكايات كتيبة ككل الحكايات » حكايات نساء منغمسات في لمح الضجر والحب والام . وعنده المطاف موزنة لطاف « او ميليا صافيتاز حاتقان ، نيزان خاصة ، العطفة المتنيكة المتناج » لطاف غم في بحيلة احمد راسم .

امثال حكمية ، تدنو في للاستعارات ، مزيج حساسية غريبة وحلم نقي ، هذه هي العناصر التي اخذها شاعرنا عن التماثيل العربية . واحد راسم الذي قام باسفار قصائد اسبانيا ، قصائد تشيكيوسلوفاكيا ، قصائد هي من اجل شعره « استكمل بعدها بالوحي الاروروبي على الادب الفرنسي الذي يعرفه كل المعرفة .

وعندما تعلمه تلاحظ الدور الذي تلته والذي يجب ان نلته ايضاً الثقافة الفرنسية في هذا الشرق الذي يقدرها ويحسها كثيراً . ويواظم على يملك العرب بالفكر اليوناني واللاتيني والانسكاني والارمنية ، لكنه كان يقول لافوتين : « انا اقرأ ادب الشمال وادب الجنوب » . ومنذ الحيل السابع عشر لم يفقد الادب الفرنسي شيئاً من عائلته . واحد راسم قرأ الشعراء الفرنسيين - الكبار منهم والوضيعين - واذا كان يستنسب « عازفة السكون » « عن الملامية » او يتكلم عن الصبايا كفرنسيس جاسي « او عن نيزان كمارسيل شوب دغونيل فهو ينوص في الاطلاع حتى لويس بويل . وهذه الايات :

« لم تكن في مرة » في انذر اياك .

« سوى كان عازفة » تحت قوي الظافر . .

« اخذ البعض من خشية جوفاء » عودا لهم ، يمشون منها الحافض .

« وانا اخترت قدك المشوق وربطت به اوتار عودي .

« واليوم ارتكك وانشي بايما .

ويجمع احمد راسم ذكريات قلبية الى تذكرات راسيئة :

« انا سيدة لاتي لم احين مرة . وانا على بين ياتي لن انسان ولا احقق اليوم لمن ذكرى مبررة » .

واحد راسم يتناول المغيرات حيث يبعدها : فويثائي المشاعير في اساليبهم ويصرف ايضاً ان يظل متفردا باسلوبه « على الرغم من المصادر التي يستوحىها » وبين الانغام المتجاوبة في قصائده تظل نفثة المتفردة المسموعة . من المسلم به ان الكمال لا يشمل كل ما في هذه القصائد . وتقع احياناً فيها على شيء من التكلف - والتكلف امر لا بد منه عندما ينوص شعراء العربية ورا الاستعارات . ويهم بعض النقاد (واذاكر خاصة طه

حسين) احمد راسم « بالابتذال . وهنا اقر بانني لا اشاطرهم هذا الرأي . وهذا الابتذال مقرب دائماً من الامثال ، التي ابعد من ان تحس واقعتها بالذوق ، ولذا تنطق « باللغة الشعبية » وبخاصة في هاتين السلتين « وقالت جدتي ايضاً » وقالت « زوبول ايضاً » التي يستعين بها احمد راسم دائماً في تبايره العالية ، تبدو لي مليئة بغدوبة حقيقية .

قد يكون على صواب من يقول ان احمد راسم تنفصه الروح المينافيزية . من الاكيد ان فلسفته ليست بالحسنة وان نظرتة الى الحياة تبدو ساذجة . ولكن ايطلب الى الشاعر ان يكون لامهوتي ؟ ام يطلب منه دروس في البطولة ؟ واذا عاد الامر الي قانا لا اكلف الشاعر سوى تصوير الاظلال والانوار في تلميحها ، وتدوين غرائب الحب في جموحه ولينه ، ورسم تأثيراته كرجل ، حبال اعجوبة الناس والاشياء الدارجة على الدوام . وليس بالثي . اليسير - بل يصعب باطراء - ان يكون الرجل رجلاً بسيطاً وقوياً في زمن كثرت فيه « رسالات » الادباء .

ثم ، فيا يتعلق بنا غن الفرنسيين ، يظل احمد راسم من افضل الادباء المصريين الذين عملوا بجدوى على ازدهار اللغة الفرنسية . وما دام لهذه اللغة اصدقاء ، مثاله ، يترون نامون وموهوبون فلا خوف على اشعاعها العريق في الشرق من الخمود .

جان غوليه

الرواية

مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الاسير - منشورات الاديب

ادله يترون في الناس شعر شعراء . ان هذه لطرفة الفن وعزة الادب « أحب ان دعنا الحديث وحده قد تفرد بها وتخلي بجلها فلقد كان الادباء القاصون مستأثرين بأقلامهم وما عرفنا قرا منهم نسخوا آثار آخرين اذادوا بها . أقبل كان الجادح يكتب اشعارا لي نواس ثم يذيعها بين الناس . أم هل سمع ان النظام ابا اسحق اخذ يظوف على الملأ بأثنا واصل بن عطاء . على ان ابا حيان التوحيدي كان صاحب ورقة بأجر يهري عليه ، وهو لا يدخل مدخل هؤلاء . واذا بنا اليوم نشهد هذه الطرفة في لبنان : شاعر كصوب ينشر شعرا ويطبعه بنفخته لشاعر كسيد عقل . وأدب موهوب هو البير اديب صاحب المجلة الموسومة باسمه ينشر ديوان شعر اصلاحي الاسير شاعر الزون والرهاقة .

لقد اذكرني هذا اثر الآداب الغربية في الآداب الشرقية . فلقد كان « كاتول مانيز » يطبع كتباً رفاقه وينشرها . وكانت مجلات فرنسية الادبية تعمل هذا كجيلة « ربة الشعر » فاضا طبعه دواوين عديدة لشعراء معاصرين وفعلت مثلاً مجلة « ميركورودوفراس » وغيرها .

ومن أجدر من الخلف يظف اغنيه الخلف « اذا خرج طبع الكتب الادبية ونشرها من ايدي التجار المتابعين الذين طالما أكلوا السحت وتركوا الادباء . فقرأ لدن آثارهم الخوية فقد تحرر الادب من قيود تجارده وكف فهم جهول مستشعر . فما أصبح للنفس ان يطبع ديوان شعر وينشره في الناس رجل خملت عليه النعمة ايرادهه وزاته العلم والادب بكماله وفاضاله . ذلك أمل النشر الحديث في دنيا الرافعة . وهي مبرة للاستاذ (البير اديب) على أدب الصبر .

ولست هذه هي المكمرة الاولى لمجلة « الاديب » وصاحبا فان له يدا سافعة في الادب حين نشر كتاباً ادبية في السنة الفائتة وانا اعلم

ومثل يعلم ان لا ربح في ذلك الا المحمدة والثناء.

فاذا مضى بنا دهايز القول في رحبات «الادب» ومشوراته وهي
نشوار بستان وخمائل ذوات ظلال . جزنا الكلام الى (الواحة) وما
الواحة سوى مبارك ماء ، وبرد افياء في وهج الهجير وعين الشمس وجرة
الصحراء . احنا لقصاد نطعم من روحه ونسجها ببراعة ننهض في مل
اهابه شعور ، وبمبت عيية نور ، وحشو نفسه حبور . قصاد ان صح
ان يتسم شباب اليوم يمس شعر كالت ازمي ما يتيهون به على الشعراء
الكبول والفخول الشيوخ . قصاد انا افهمنا واعجب بها وشاعرهما
احسنها وابدها غير انملا من القوم بمن يؤثرون مآثر الاولائيسكون
لهم فيها تأمل لن يلبثوا بعده ان يجوبوا بها لاهاذوب كلام وموسيقى
والفاظ ورنات ممان .

قرأت في ديوان الاسير قصائد كان هو الشديني اياها في اماس بيروتية
والبحر من وراء البيوت اذرق مخوضر فعدت انظرها مثلاً كيف
انشدتها صلاح ذو النعم المذهب الشاعر الرفيع . وحين قرأت قصيدة
اهداعا لاه . وانا اعرف الشاعر اليتيم ، وجدحاً مقطوعة عن الام . لا
عن امه . وكنت اصبر ان تظفر من عيني دموع وانا اقرأ شاعرا من
صحي ماتت امه وهو صنيح فاري على اسلات قلعه روعات ذاك الحنين
الى امرأة جاءت به الى الدنيا فاحس في نفسي وفاء لام احببتها فاحببت
كل ام سواها وبكيت بدمع بل ياك على امه .

ولكن صلاحاً الاسير هذا الشاب الذي تكسو عمره اليوم سنون
كلها فرح ومرح وحس ومطالمة جمال لا يبغي له ان يعزى اليه شيء فلهلم
كبوله الدائرة وشيخوخته الالية قوالب سقاويه بالحكمة والخلف
والنصوف .

انه لشاعر يعب التلاوين قد اولم بألواح النصوص . فاكفكم قدور
وصف وتزوات ألوان ، وله تصور واختراع يزينا الحيال . لقد اهدى
اكثر قصائده في ديوان (الواحة) الى اصدقائه فاذكرني بالشاعر الفرنسي
« ليون فيران » في ديوانه « متاره الاصدقاء » فان كل قصيدة منه مودة
لصديق .

سأذكر صلاحاً الذي اعجبت به
منذ عشر سنين وقلت ان فيه روحاً
شاعرة مبهقة لكثاني ادى في تجاليد
على القرن التاسع عشر هيأت في العصر
الفريد ديموسه . هكذا كان موسيه
في شبابه مدهماً منحا حلو الشعر جديده
الى اصدقائه والى الحسان الراعيين .
عندما مات طافور انشدني الشاعر
صلاح الاسير ايقاظاً في فيلسوف الهند
فتغلي الى دنيا بوذا وظل في سمي يته
الذي يقول فيه :

سكان تمام الفردوس
لم تنم على سمدي
فقلت هوذا شاعر نضمه الى شعراء
لبنان في معلم الحديث واشتد :

تسال تله النفس بالاروع
صلاح من وحي الفوى شمره

تطرب بديوان الفتي الاعمى
ومن زمراير ومن اضلع

زكي الحاسني

المثل الاعلى في الحضارة العربية

لدى مطالعة النقد بامضاء « بي » المنشور في عدد تشرين الثاني من
الادب عن كتابي المثل الاعلى في الحضارة العربية فستدلى على انه تصفح الكتاب
تصيحاً لا بأس به يوجب شكري على ذلك . غير انه تغالى بالحكم في بعض
الاحيان غلوا شديدا لا يبرر له .

يقول الناقد الكريم ان ما كتبه يتناول الجانب الفكري من الحضارة
العربية ، وهذا صحيح غير اني ذكرت الجانب الاجتماعي بصورة مجملة
(ص ٢٨ وما بعدها) وقد ارجأت البحث عن المثل العليا في الحكم
والتشريع والادب والاجتماعية الاخرى للاخصائين . وكذلك ذكرت
شيئاً عن الصناعة (ص ٦٠) بصورة مقتضية . اما المثل الاعلى في الدين فلا
يقصر كما يشن الناقد على التساج بل على اصلاح النفس البشرية . والحث
على مكارم الاخلاق ايضاً . وقد قلت كلمة للدكتور قسطنطين زريق
(ص ٦٠) التي يذكر فيها اهمية الايمان في نضجة العرب . وفي الفلسفة لم ار
المثل الاعلى في تحري الحقيقة فقط بل في التوفيق بين الشريعة والحكمة .
وقد استدل على ذلك ناشر الترظير لكتاني في القيس (١٤٠٠ ايلول ١٩٤٣)
ولم اجد عند ذكر النصوص للناقد غير ملاحظة واحدة ، وهي اني كتبت
ابن العربي بدلاً من ابن عربي ، وبذلك يقع الالتباس بينه وبين ابن بكر
المحدث المشهور . ولا ضرورة من الخوف من هذا الالتباس ، لاني
ذكرت « النصوص الاندلسية » بكل وضوح . اما جوهر الموضوع فلم
يتعلق اليه ابداً . وفي الادب لم اذكر البطولة الحكيمية فحسب ، بل
ذكرت ايضاً النواحي الاخرى بصورة مجملة . وفي الفن لم يتكلم لنا عن
قيمة التجريد اولا اجد أي مسوغ لاتخاذ ناشر الرسالة . نعم ان التقيد
بالمصادر هو اقل ما يتطلبه البحث العلمي ، ولكن قل من يفعل ذلك من
يجر بالفة العربية . والمجلات والصحف يجب ان تعاون الناشرين .

فاذا ذكر الناشر انه ليس من الادباء
ولا من العلماء فلا داعي للتحكم عليه ،
والقول انه لا يؤخذ . بل يجب شكره
فلا يجتهد اجره وان اخطأ .

يعترف الناقد بأن « حرص المؤلف
على ذكر المصادر مراعاة للنهج العلمي
في البحث بلغ مدى بعيدا من الدقة
والتقيد » ، ولكن سرعانا ما يتقدمني
بأني في الامور الثافية ذكرت المصادر ،
وفي الهامة سكنت عن ذلك ، فثلاً
ذكرت ان حالنا اشيء بحال اهل
الكهف ، ويرى انه لا داعي للذكر
المصدر في ذلك ، فان هذا تشبيه تقليدي
يرفه كل قارئ . ؟ ولكن عندما
ذكرت الصناعات العربية

صدر في دمشق كتاب

ابو سوتة والموكب

سرميتاه بقلم محمود نمور

مع مقدمة تقليدية بقلم زكي طليمات

يطلب من جميع المكتاتب

عن النسخة ١٥٠ قرشاً

العلم الميت .

وأكرر شكري له لما أظهره من الإعجاب في العلوم الإيجابية من رسائي ، وكذلك لما حثني بلزوم متابعة دراساتي .

محمد يحيى الهاشمي

« يعني » يجب :

اطلعتي « الاديب » على رد الدكتور الهاشمي على كلمتي عن كتابه المثل الاعلى في الحضارة العربية ، فوجدته قد اعتقد فيها انني قدست التبل من كرامته في كلمتي . وهذا ، اود ان اقبه في جوابي عليه . فليس لي به سابق معرفة او صلة الا المعرفة التي تشكون من مطالعة آثاره على صفحات الاديب ، والا صلة الإعجاب التي ترافق هذه المعرفة . واظن ان « الاديب » توافقني في احاطة تسمى في محاولتها نقد الكتب في مكتبته الى البعد عن كبل المدح والثناء . كيلا ، واليعد عن ارجال التقاريط والتهايني للونفئين . . .

فلا بد من كما افهم - تريد ان تقدم خلاصة وافية للكتاب ثم عرض بعض الملاحظات عليه ليستبين القراء في مطالعته له ، وليتدارك المؤلف بعض الاخطاء . اذا اعاد طبعه ، او ليناقشها اذا لم يوافق عليها .

وبين اجل ذلك اضطررت الى عرض موضوعات هذه الرسالة عرضاً حرجياً ثم خذت عن ابرز عيوبها ، التي تنمىص بالمنهج العلمي من ناحية ، وبالاخطاء التجوية من ناحية اخرى ، وذكرت ارقام صفحات هذه الاخطاء التجوية دون اتيانها لاني - كما يقول الدكتور الهاشمي وكما قلت - لا اود ان اتف امام هذه التوافه او على القشر دون اللياب .

ولكن الدكتور الهاشمي في رده يسكت عن بعض الاخطاء التي اثبتا ويسكت بواحدة فيقول « لا يوجد ما توهمه (يعني) في ص ٦٢ » والذي توهمته في ص ٦٢ هو رفع المقول به عندما قال : « نر اسبابا . . مدناً زاهرة وحدائق باينة » (واراض) خصبة كما رآته في العهد العربي » وانه لا يدري ما معنى رفع اسم لكن في ص ٦٢ . فرفع اسم لكن كان في ص ٦٢ وليس في ص ٦٢ كما ذكر ذلك خطأ وذلك عندما قال : « ولكن في هذا الزعم (حكم جاث) ايضاً » . وكذلك قال في ص ٦٢ : « كان للحفلة التي اقيمت في اسبابا (وقفاً حسناً)

وعلى الرغم من كل ذلك يقول الدكتور الهاشمي في رده « اطعم على رسائي قبل الطبع افراد اخصائيون بالغة . . . » قول يسبح في الدكتور ان التبل كيف تكون هذه الرسالة لو لم يطبع عليها هؤلاء الاخصائيون ؟ وتأكد اخيراً يا اخي الدكتور بانني لا اطير فرحاً اذا وجدت زلة فأنت نفسك تسرع على الإعجاب الذي يسبق لي ان ابدته نحو بعض مواضع التوفيق في رسالتك .

واذن فارجو ان تشدد ان « يعني » لا يريد طمسك ولا ازدياد بما تكتب ، فهذه اخطاء ليس لها خطر الا عند الذين لا يعلمون سواها . . . ولكن رغبتني ان يرى كتابك كاملاً هو الذي دفعه الى ايداء هذه الملاحظات الطفيفة .

ومعذرة اليك اذا ظننت غير هذا ، ومعذرة الى القراء اذا شئنا وقتهم بجل هذه الامور . . .

« يعني »

وهي الامم لم اذكر الصدر ، ودليله على ذلك الحاشية رقم (٥٣ د) . ولم يكف نفسه غابة النشر الى الرق الثاني (٥٣) الذي ذكرت فيه : (هل Hell انظر لملاحظة ٣٣ ص ٩٠) . نعم له الحق ان يسأل من م الكتاب الذين اذكرهم ؟ وما هي الآلات الكيميائية التي يذكرها بفخر زائد . . . ولكن لا يمكن تعداد ذلك في هذه الدراسة السريعة فاكثفت بمصدر ثانوي ، وهو كتاب حضارة العرب لحل . واذا كان هناك من جهة الامر فاني لا اتأخر من عمل دراسات واسعة في هذا الخصوص اوسع من مقالة في مجلة ولكن مع الاسف لا المجسم العلمي يتم ، ووزارة المعارف السورية بدلا من ان تشجعي وتسهل لي الطريق في الخفي في هذا السبيل ثقل كاهلي بتدريس صفوف لا تليق مع دراستي ولم تكف بأن ساوتي بعدد الساعات مع من دوني ، بل اعطيتي الحد الاعظم من ساعات التدريس لهذا القسم ، وما ذلك الا لالتزامي جانب الصحة وعدم وجود من يدافع عن لي من مهم البحث العلمي الجدي ، فانا نرسل بيانات علمية الى العرب للالفاظ لا للعلم الخفي ، فمن التقدم عندي ان نصل الى حد لا تقدم بعده ابداً . . . ففتدي مثلاً دراسة مطولة عن تاريخ المدن والبيات عند العرب من المصادر الاصلية لا اجد مع الاسف الوقت الكافي لتتبعها ونشرها . وعن صناعة الورق في العهد العباسي حددت الزمن عام ٧٩٤م - ٧٩٥م . (انظر ص ٤٠) . ولا اقدر ان ابين في هذا الرد ما دوتته عن بعض المخطوطات المختلفة ، لان ذلك يتطلب دراسة واسعة . اما قوله بأن دراستي عن خرف سامرا مستنداً بكذا من اليتذكر فلم اقله اصلاً . اما التحليل الذي قلته هو التحليل الكيميائي لا الادبي .

واخيراً اعاب الناقد الكريم غائباً اخوياً بقوله بعض اللفاظ لا تتفق مع النقد القوي ، فما معنى قوله تعليقاً على كلمتي لاسف . . . في ادرى الناس بمواضع الضعف فيه ؟ ان انصب الحقيقة في ذلك ولعل ؟ ولقد تاملت في التشوير ببعض السهو والاطشاء الطبيعية التي يجب ان لا يقع ولو كتب ان يجب دقة نظري اليها مجرد دون ان يقال من كرامتي ، ولو كتب بضعة اسطر اخرى اشارة الى كل ما وجدته من الاخطاء خير من ان يقول اخا لا تحصى او يقول : « وكان يجب عليه ان يكف تأليفاً من تلايذه » او غير ذلك من الالفاظ . ومع ذلك فاني احصل ذلك منه بصدر رحب لانا لا نزال في البلد في كل شيء . وكذلك في النقد ، فلا نفرق بين نقد المادة وبعد الشخص والآخرى (الطعن) . وما ادرى ما معنى رفع اسم لكن (ص ٦٢) : « لكن ! ما باننا قرة قيمة عظيمة ؟ ! » لا يوجد ما توهم في (ص ٦٢) . وقد اطعم على رسائي قبل الطبع افراد اخصائيون بالغة لم تجلب تقرم السموات . وقد كرر الناقد هذه الجملتين مرتين « القرآن (الذي) نسخ منها توثيق الحكيم » التي وردت في الحاشية كأنه يطير فرحاً بان رأى زلة . ولا ادرى ان الوم في ذكر نسخ بدلاً من نسخ لان ذلك تافه في نظري ونظرة ايضاً ومن العشر لا من الباب .

لماذا سكك الناقد عن الاحكام التي ابدتها فهي وان كانت مقتضبة في حد ذاتها ولكنها نتيجة دراسة جديده لها قيمتها رغم اختصارها . فلم يذكر شيئاً من تلك الاحكام . فالغاضي الذي يلفظ حكمه نتيجة سماع مرافعة المحصنين ودراسة الوثائق له قيمة مما كان مختصراً . ولم يذكر عن ذلك البحث المجهول عن حضارة العرب كمثل اهل .

والذي من حضرة النقاد الى نقد اثر من الآثار ان لا يبيحهم حق ، واذا رأى بعض نجوم في النهار والشمس سامطة ان لا يتخذ هذا دليلاً على ليل داس . فالاتاج في زعمي رغم الاخطاء خير من

في الآداب العامة والخاصة



بما لا شك فيه ان الطابع الذي تنسم به الاحداث الحربية في هذا الشتاء . يحمل على الاعتقاد بان الحرب لن يطول امدها . ومهما يكن أطال أمدها ام قصر النتيجة أصبحت معروفة . وقد لا نستطيع الاحداث اذا نحن عرضنا لمعترك السلام ، هذا المعترك الذي لا يقل أهمية عن معترك الحرب . فعلى اي اساس سيشيد هذا السلام وهما . تبنيه الدول ام الافراد ؟ معلوم ان احترام الآداب الدولية او بالاحرى المبادئ . الادبية العليا التي تسمو على المصالح العملية الباشرة لكل امرى . او كل امة هو الشرط الحقيقي لتوطيد السلام . فالسلام لا يوجب زوال شعوب معينة كما قد يخاطر لبعض منا بل يوجب انضمام الشعوب الى مبدأ كوني يتجاوز مصالحها الخاصة ، على نحو ما يتوجب على الافراد لمصاحبة الدولة . وفي جملة اسس هذا المبدأ احترام العهود المقطوعة ، على ان لا يُنص تعديل هذه العهود بالاتفاق المشترك .

ومعلوم ايضاً انه لا ينتظر من دولة ان تراعي بعض الآداب في علاقتها بالدول الاخرى الا اذا كانت تراعي هذه الآداب في علاقتها بشعبها ، فالآداب الدولية مبروطة في الواقع بالآداب الوطنية . وهذه الحقيقة ادرستها الكنيسة عندما قالت ان الحضارة المسيحية توجب على الصديق ان يعلن الحرب على السلطان الظالم . وأدركها الاسلام عندما قال : « وان طائفتان من المؤمنين فاصلحوا بينهما فان بنت احداهما على الاخرى فقتلوا التي تبغي حق قتي . الى امر الله ، فان فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » . وما لا يقبل الشك ان قضية السلام افسدها تقاعس اوربا عن التأهب لمعاقبة الدول التي بنت حكمها الداخلي على احتقار الشرع الادبية ، فقد تسلحت في الماضي لمحاربة الثورة الفرنسية زاعمة انها تحارب سوء آداب هذه الثورة ولكنها لم تسلح لمحاربة الثورة المتلوية في ٣٠ حزيران .

والان من يستطيع ان يعاين الدولة المتحارمة الآداب التي تتجاهل احترام الآداب ؟ لا نعتقد ان الدول تستطيع ذلك ، لأنها لا تقدر على ممارسة هذا الاحترام الا اذا وافق مصالحها ، اما المفكرون والفلاسفة فأقدر عليهم لان جوهر نفوسهم يرتفع بهم عما يضطرب في نفوس الكتل والاحزاب من الاستنثار والجشع .

ولكن .. اي مفكر ام اي فيلسوف اقدم على خوض هذا الموضوع الهام ؟ فرجال الفكر الذين يعترفون بهذه الآداب الكونية منقسمون ، فمنهم من كان يشر بها على وجهها الناقص فيتهم امته بالتقاعس عن واجبها فيما يختص بهذه الآداب ولا يتناول الخصم وان كان اكثر تقاعساً . ومنهم من كان يأبى التبشير بهذه الآداب الكونية زاعماً ان لكل شعب آدابه الخاصة وان هذه الآداب لا تقل قيمة عن آداب الآخرين .

وهكذا اساء رجال الفكر الى السلام باسائهم تفسير الآداب او باختلافهم في تفسيرها . فالآداب الكونية وحده لا تتجزأ ومن أسسها ان تراعي الدول في علاقتها بعضها ببعض تلك الحكمة الابتدائية التي اتفقت عليها جميع ضماير الشعوب .

ثمّة آداب خاصة توجد في البيئة والتربة وتلائم مصلحة شعب او تقاليده . وهذه الآداب تعالّم ضمن دائرة محدودة من الارض وجنس معين من الناس — وثمّة آداب عامة يخلقها الضمير البشري لجميع البشر على الاطلاق ، وهذه الآداب يعلمها الفلاسفة والمستنبطون لا الاحزاب ولا الحكومات .

« ادوب »

الرسم

فلم يصغر الجبل

مهنتي ففكر ، وخطوط والوان ، ففكر تقود البشرية الى الاتحاد ، وخطوط يرتكز عليها بناء المدنيات ، والوان ، هي ثورة وعاصفة وهي هدوء وطأنينة .

مهنتي تعريف الالهة الى البشر ، ورفع البشر الى مستوى الالهة ، مهنتي نور بضي . ظلمات الجهل ويفتح منافذ في ادمعة الناس يطالون منها على الجمال ، مهنتي امل ابيض وحلم ملون ، قبة من شفاء الالهة على جباه البشر ، زهرة في حقل الحياة ونفمة في اذن الدهر . مهنتي صلة بين الارض والسماء ، مهنتي نور وظل .

كثنت بالوان تاريخ البشرية ، وعرفت الاجيال الى الاجيال ونقلت الحضارات من بلد الى بلد ، وزرعت الفكر والذوق ، ووزعتها على الدنيا .

خالق الفن يوم خلق الانسان (الائمة الاولى) وعاش معه في الغاور ، بين الجوارح والضواير فزين صخوره كهوفه برسوم الصيد والصرع وكسا عريه من زهر الحقل وجلود السباع ، وانشأ له في مأواه بين الصخور والادغال ، اول متحف للفن .

وعلى هذا الشاطئ . الناعم الاخضر المشع ، استكر الحروف الهجائية ففتح الافاق الواسعة ، وشق الطريق الى الفكر ، الى الطلوع ، الى التشريع ، خلق الالهة وعاشها في المدن ، في الغابات ، في الصيد ، في الحقول ، جمع الاقحوان والبفسج والزوال ، وضفر منها اكاليل على رؤوسهم الحلوة ، وبسكت ينابيع بلادي دما مع عفتوت على حبيبات اذنينس وثابت عليه صيايا بياوس ورقصن حول نقشه رقصة الموت ، حتى تدمت ارجلهن الناعمة ، وسقت الارض فاهجر الشقيق

خلد الفن اعمال الانسان ، وهذب نفسه www.anglilivebook.com/الامة الاولى فحجر تطرد الظلمة من وراء صتين ، وادهشه وهج دم الغروب فخيّل اليه ان حريقاً شب في السماء . ففتح عينيه ، فواى رعشات النور على التسلال وديب الضباب على الهضاب . وفتح اذنيه فسمع وشوشات النسيم تحمل اسرار القلوب الى القلوب ، واطربه النغم ، فقص ولعب ، وجعل له من الارض فردوساً يرتفع فيه ويمرح . خلد الفراغة وخلق مدينتهم وعلمهم حياة البذخ والمجد ، واستأصل الالوان من العشب ، من الصخر ، من الحشرات ، ومن تراب الارض ولون دنياهم ، وغاص في البحر فانتزع من قلبه الارجران وكسا ملوكهم .

وارتاح الفن ، فاجتاحت الهجينة المدنيات ، وقتلت وهدمت ، ومشت الزويرة آخذة في صدرها جميع ما يقف في سبيلها ، وانثرت آثار الفنان ، ونامت تحت الانتقاض مهشة محملة . ولا هذات العاصفة وسكن الكون ، وعادت الطائنة الى النفوس ، رجع الفنان الى اقام عمله ، فبعث الاموات من المدافن ، ونشر مدنيت طواها الزمن ، واشخاصاً غاصوا في بقعة النسيان ، ونفضت مصر القديمة عنها القراب ورجعت الى الحياة ، وعاش الفراعنة يابدي المصورين بلونهم الامجر يصطادون الطيور القريبة على ضفاف النيل وبين بحيراتهم ، وخرجت الالهة بدورها من الزوال ورجعت اينيس والافاعي الالهية الى عروشها وشى شيخ البسلة في متحف مصر الجديدة كما شى في بلده منذ الاف السنين ، وتأبط الموظفون اخضر نسائهم كما يفعل المعاصرون .

وعلا شأن الفن في اليونان اكثر منه في اي بلد آخر ، ولم تول تلك الشعلة الى اليوم ، تنير العالم ، وكلما شطّ المزار بنيران ، رجع الى فيديس ، وبراكستيل وليزيب ، يسألهم اصول المهنة واسرار الجمال .

وتقلع الفنان اليوناني مجلّج آلهة من البشر وجعل البروتون اولمبا وسرحا لهم ، وعلا بالامة فوق المادة ففتح اعينها على الجمال واولع الشباب اليوناني بالامالام الرياضية والتارنن التي تقوي العضلات وتجملها وعاش بين آلهته المتناهية في الجمال فتدله بافروديت واپولون ، ولم يحسر القضاة وهم (فوق التآثر بالجال) لم يحسروا على اداة فربن لان النحات براكستيل اتخذها افروديت المعبودة الجميلة ، وعندما

طالب القضاة اليها اثبات صحة ادعائها بابراهيم ، نزع وشاحها ووقفت وقفة الآلهة ، فخر القضاة كلهم سجدوا لها ٠٠ من اليونان ، ظهرت شمس انارت ليالي الفكر ومن هناك ، هبت نسائم عطرة ، حملت الى العالم بذار الذوق .
دار الدهر دورته ، فنام الآلهة في الاكروبول ٠٠

زحف الرومان شرقاً واجتاحوا اثينا ، ونقلوا من فيها الكثير ، ووصلت الفنائم الى العاصمة ، وبدأ اراء الجيش والنسبلاء ينشئون الهياكل والقصور ، ونزع كثير من الفنانين اليونان الى روما ، وساهروا في بحث مدينة لها اهميتها ، وطلبت العالم الروماني بطائعها ، الى ان قويت شخصية الفنان الروماني ، فانتج فناً رومانياً ، فحسب ، واجل آثاره هي اقواس النصر التي بنيت لتجسيد القيصرية ، وتحليلد الابطال ، فنقشت عليها رسوم المارك التي انتصر فيها الرومان . فنفتحت المحاسن في الصدور ، ودفعت بالجيش الى البطولة والاستبسال . وزلت الآلهة من جديد على الارض ، فبنيت لها الهياكل الفسيحة ، ورجع باخوس الى العنب يعصر الحمر وشرب ، والزهرة الى قساوب عشاها تعبت بها وتلعب وجوبيتر الى موصله وصواقه . وظلت الارض سحابة سوداء حجبت عنها النجوم فكانت ليل عبوس طويل . وعلى الضفة الثانية من هذا الشاطئ ، بزغ الفجر على العالم ، واطلت شمس ثلاث ، تنير على البشر خلاصة المدينيات الماضية ، جارية طبعوا العالم بطابعهم الخاص ، واتاهم الزمن فكانت لهم ايام يسر وطمانينة والمدينة ابنة اليسر والطمانينة والاستقلال والمسيحية آنئذ في اوج عظمتها سباق على بناء المعابد وتزيينها ، سباق على بناء القصور وزخرفتها .

اطل رافايل على الدنيا كسمة في فجر الحياة ، وضحكة رنت على الارض فوصل صداها الى السماء ، فتحت بوجه ابواب الفاتيكان وهو في ريمان الصبا ، فسمت له الآمال ، ومشي المجد مجده ، فكان كلما تحركت انامله الخف العالم برائحة جديدة ، فتح لفنانين آفاقاً واسعة قطعت قيود المدرسة البيزنطية التي سيطرت على الفن اجيالا .

ورأى رافايل الطبيعة بعينيها فأحسها وراعه جامها ، فراح يشهره على العالم بعقوبة في الخلق ، ومهارة في الرسم ، واحساس في الالوان ، لم ير العالم لها مثيلاً من قبل .

منح جمال الطبيعة بجبال روحه فجات الولهة جميلة هادئة ناعمة ، وانوارها تنافس حول ظلال ، شفافة عميقة ، دافئة ، جعلت من مدرسة اثينا احدى روائع مدرسة حديثة للتصوير ، فاما مقاصد الفنانين من مخلوقات ، بشر على الارض ، فقيسون في السماء ، عذارى بين الوثنية والمسيحية مجالات كاللاهات ، عطاوات كالآلهات كاهنات كاهنات ، فنه لا تخشى الموتين ، فتنة للفن ، فتنة للعالم .

وفي الجبهة الثانية من روما جبار رابض على قباب فسيحة من الاخشاب معصب بقنديل صغير يزين سماء كنيسة سكستين بمخلفاته الجبارة ، ويبنى عوالم لا نهاية لها ضمن اطار محدودة ، عوالم غريبة عن عالمنا وبشر لا يتوثن البنا بصلة عملاقة جارية كعالم الاساطير عضلات مقنولة وواضع غريبة ، اما يسوعه ، فليس ذاك الناعم الهادي المتواضع بل هو جبار قوي العضلات غضوب رافع يده اليمنى الى على بحركة عصبية ليقيف بغضبه الخطاة والاشرار ، ان مسيح ميكلا انج مسيح منتقم فهو القاضي الذي لا يرحم هو الديان الجبار ، هو جوبيتر الاس ، واجل روائع اسطورة الخلق ، فقد خط بها الى الاجيال اعظم امثلة في الرسم والتكوين رائعة لم ير العالم له مثيلاً في الفن اليوناني والروماني . وتالهم ليوناردو دافنسي وهذا وضع الله في دماغه عالماً كاملاً . فهو كاتب حساسي مهندس شاعر موسيقي مصور نحات عالم . ولكنه قتل لا يطمئن الى شيء ولا يرضى عن شيء . يجب الكمال ومنتهى الجمال ، يضع مئات التضاميم لكل صورة ثم يبدأها ثم يرجع الى تضاميم جديدة ويترك عمله في منتصف الطريق ويؤكد ليوناردو في مخطوطته في مكتبة فرنسا انه اكتشف آلة اتقل من الهواء تطير بأي اتجاه اراد .

ومن هؤلاء الثلاثة بزغت الانوار على العالم فهم مؤسسو العالم الحديث ومشت في اتجاه المعمور فرونيس السفير الممتاز والفنان الكبير في بلجيكا ، ورامبرانت في هولندا وفلسكز وغويا في اسبانيا والهر دورو ، في المانيا ، املاوا الكنائس والقصور وطبعوا الدنيا بطابعهم . اما الفن المعاصر وزعاته المتعددة وانواعه المختلفة وطرقه التي لا تحصى فقد ولد في باريس وهو نتيجة اختبارات اجيال طويلة ، واول من حطم الاكاديمية اوجين دلاكروا زعيم الرومنطيين ، وكان نزاع صاحب بين دلاكروا وبين المذهب الاكاديمي الممثل بشخص انفر انتهت بانتصار الرومنطيقية وتجريح التصوير من قيود المدرسة . ومثل الفنان جدران المحترف فخرج الى البرية الى نور الشمس في الهواء الطلق فكانت المدرسة الانطباعية اولامهيسبونيسم التي زعزت المدارس القديمة وقلبت مبادئ الفنانين رأساً على عقب وجرفت ذوق المجتمع

المحامى

فلم الانسان مبتلى

لا غرو بان جميع الحرف والمهن من حرة ويدوية هي من مقتضيات الحياة الاجتماعية والا فالتأهله منها تزول وتضمحل ، انا يتسامى بعضها عن بعض اهمية وشرفاً ونفعاً .

والحمالة حسب ما يفخر ذووها هي المهنة الحرة الرفيعة بل هي من الوظائف الهامة في جسم الامة . وهذه المفاخرة حدث البعض الى اتهام المحامين بالاعراق والاشراف في مدح مهنتهم كأن الاولى بهم ان يحتضوها بمرافعتهم الفضلى . اما انا فلا اريد التادي في الاطناب بل اقول :

ان المجتمع قد احتاج الى الحمالة منذ احتاج الى القضاء . اي منذ امتنع الانسان عن اخذ حقه وفصل منازعاته بالقوة والبطش . وهكذا فحينما جلس القضاء على منصة الحكم وجب شغل الحمالة امامه . وقد ازداد هذا الوجوب بقدر ما ازداد التقدم الاقتصادي والرفي الاجتماعي اي بقدر ما تعددت القوانين وتشتعت حسب مقتضيات ذلك الرفي .

ولقد اخطأ من خال انه يمكن الاستغناء عن المحامي في القضية . ان هذا القول جهل فاضح . اذ ان وجود المحامي واجب في جانب من تدفيع مصالحة في منعرجات القوانين والانظمة وفي مهامه المعاملات والمسؤوليات وحسبي ان اذكر لكم منها تلك المسؤولية المدنية الحديثة وما ينجم عنها . فأصبح لا يمكن المرء ان يعمل او ان يسير (على رجلية او في سيارته) او ان يقتني الملك حتى ولا ان يقع في عقر داره دون ان يتعرض لتلك المسؤولية الاجتماعية الدائمة .

اجل لا يمكن الاستغناء عن المحامي وهو الذي يحض القضايا المعقدة وراء منصفته فيستعمل بالدقة والآتاه الى اقوال زبائنه وطالما كانت مهمة مشكلة ، فيبسطها عنهم للقضاء على نوازات القانون ويساعد على تفهمها وسلاها بالحكومة .
http://Archivebeta.Sakhr.it.com فالحمالة هي مشكلة القضاء الدائمة .

وقد اعترف الشارع واعترف الناس باهمية وظيفة المحامي في معاونة القضاء فقال الاقدمون بان على صاحب الدعوى ان يقيم عنه وكيلًا « صيانة لعرضه وما وجهه »

وجاء في تشريع يوسينيانس ما تعريبه :

« ان المحامين الذين يوجدون الحلول في الدعاوى المشككة العويصة والذين بقوة دفاعهم سواء في القضايا الحقوقية او الجنائية يحافظون

معها قانه اول من حاول الخروج عن المألوف ، فتصدى له النقاد دون ان يتمكنوا من التأثير على عقيدته ، والتف حول ، موته وسيزله وبسارودجا واخيراً سزان . حاولت المدرسة الانطباعية التقاط رعشات النور على الاشياء ، اما سزان فاراد ان يعمل من الانطباعية فناً قوياً ، فاتخذ الوانها النقية وبنى بها صورة بناء محكم ككلاسيكياً فكانت النزعة الجديدة او الرجعية ضد الانطباعيين . هذه لحظة عن سير الفن خلال العصور ما قصدت بها ان القي عليكم درساً تاريخياً ولكن لا تثبت لكم ان اثر الفن في الامة مائل في جميع ادوار حياتها الفكرية والعملية وان الفن ميزان رقي الامة فاذا علا علت واذا انحط انحطت معه . فاصين مثلاً كانت ارقى دول الارض يوم كان الامبراطور عميد اكاديمية الفنون وكبير مصوريها . واما نحن ، فقد آن لنا ان نسيقظ وان تفتتح عيون الدولة على هذه الفئة التي تشتغل بصمت وتفكير لتوجيه شبيبة البلاد الى الجمال ورفع مستواه الروحي ، وتحارب الجهل والعمية في بلاد تهاقت سكانها على المادة ودانوا بها فصاروا خطراً على مستقبل الفكر ومصير الامة .

على الحقوق المهددة بالضايح هم من اركان المجتمع الانساني ولهم الفضل في الدفاع عن ملكنا مثل الذين يخوضون المعامع ويسفكون الدماء .
فالمحامون هم قادة يدافعون بصوتهم العالي عن الامل والحياة وعن عائلات الذين يتألمون .
وفي تشريعنا الحديث اوجب القانون البشري في درجة الاستئناف وهي الدرجة النهائية في الحكم وجود المحامي لمعاونة القضاء ،
مانعاً المتداعين عن الشؤل بذاتهم تلافياً للابهام وضناً بالوقت .

اما في الجنائيات فكلنا يعلم بان القانون قد حرم محاكمة المتهم دون مؤازرة محام يدافع عنه ضد خصم عنيد هو المدعي العام .
وهكذا فاذا كانت هذه المهنة هي من مستلزمات الحياة الاجتماعية الراقية ، واذا كانت متلازمة مع القضاء ، لاحقاق الحق ، فلاربية
بان تأثيرها في بقاء المجتمع الراقى يجب ان يكون كبيراً .

ان المحامي ليس وكيلاً صاحب الدعوى كما درجوا على تسميته بل ان الصحيح هو كونه مدبراً ومستشاراً . انه لا يندمج بشخصية
صاحب النزاع اذ رب قضية حقة لشخص مريب والعكس بالعكس ولا يتخرج بالدعوى كما يتخرج رجل السياسة في آرائه ومبادئه وهذا
من عداد الامور التي تفرق بين الرجلين فاذا فشل رجل السياسة فان شخصيته تصاب بالضميم . اما المحامي فلا يعد فشله في القضية تسفهاً
لرأيه وحطاً من كرامته بل حسبه ان يبسط نظرياته بانزاهة والمقدرة .

ان المحامي يجمع الى غلم القانون فن المهنة ، وهكذا فتكون المحاماة علماً وفناً معاً اضف الى ذلك وجوب التضلع بكل معرفة تتعلق
بمجاة الانسان الاجتماعية او الطبيعية على الاطلاق . وهذه المعرفة الواسعة تطلق للمحامي العنان ، في تحليل القضية ، الانطلاق لحر العالي .
خذوا مثالا حادث القتل والحال في تطبيق العقاب بشأنه تمتد من الاعداد حتى التجربة عند الدفاع عن النفس . فكلم هي وظيفة المحامي
عندئذ كبيرة ، مهمة لتيبين العوامل الدافعة والمستويات المختلفة الحافزة الى ارتكاب الجرم . ورب شخص يرتكب الجرم وهو غير مجرم
عند معرفة ما اكتشف علمه من مسئوليات المجتمع والبيئة والظروف

ولا يتخلّف الامر عن هذا في القضايا الحقوقية حيث الاجتهاد الممكن الرفع وحيث تقارب المسائل او تباعد حسب الاحوال اذ كما
يتباين الافراد عن بعضهم بالاخلاق والطباع كذلك تختلف الامارات الاجتماعية وتستدعي الاجتهاد المتنوع الذي تريد المحاماة ان تساعد فيه
القضاء . اجل قديمص احياناً الانحياز باللائمة على هذا او السطو بذاك من رجال المحاماة . ولكن المهنة هي فوق تلك اللائمة ولا ينال من عظمتها
ونبلها ما يكون من جموح بعض افرادها مما لا يندب به بل في كل جماعة لا تكون

*

قوتاً مؤخراً بذاك قوله :

« ثلاثة في الهيئة الاجتماعية المصرية وهم الكاهن والطبيب ورجل القانون يلبسون السواد لانهم يرتدون الحداد على آمال الانسان
الضائعة . فالكاهن قد يمزى والطبيب قد يشفي او يخفف الألم اما المحامي فطالما يقف مكتوف اليدين عاجزاً امام انفجار بركان الشهوات
وامام اندفاع تيار الحسد والبغضاء ، وامام فواع الغرام وماسي الطمع والمال » .

اجل لقد يقف المحامي احياناً كشيء وراء ستائر مكتباته الكثيفة عند اسرار تلك الفواع والمآسي التي يولدها احتكاك الحياة
بالحياة . ولكنه لا يقف عاجزاً عن خدمة افراد المجتمع عندما ينبر هذا برأى شديد ويقوم خطرات ذلك بنصح مفيد . ان المحامي لا يقف
عاجزاً عندما يبذل قواه وقصارى جهده في سبيل احقاق الحق وابداء الصحيح عن الرغبة عندما يقف فخوراً بجانب المتهم الذي يكون قد
انكره ذوره ونبذ المجتمع .

انه لا يقف عاجزاً عندما يرفض باباً تلك الدعوى الفاسدة - وطالما كان حسن الصيت في هذه المهنة ناجماً عن رفض بعض القضايا اكثر
منه عن ربح غيرها . ان المحامي لا يقف مكتوف اليدين امام الدعوى الحققة ، اذا كان فخوراً بتزاهته وعلو خلقه ، متفوقاً بعلمه ومعرفته ،
حاذقاً بفنه جاعلاً في كل حين وحال القانون امامه والله فوقه .

بهذا وبكل هذا يعمل المحامي العمل النافع الحميد في بناء امته طويلاً شامخاً راسخاً ومثالاً رفيعاً جميلاً .

مينال سبي

جالك هذا ام جمالي ؟ فاني
 وهذا الذي احياه ، انت أم انا ؟
 وحين ارى في الحلم للحب صورة
 تربع كل الحب في كل ما ارى
 خلقتك في دنيا الروى أم خلقتني ؟
 وقبلك جنّت الوحي أم جنّته قبلي ؟
 وعني قلت الشعر أم عنك قائله ؟
 أحسّ خيالي في هذا العالم أم هو الذي
 إذا ما تراءى مبهم في تصوّري
 كأنك شطر من كياني اضعته
 رأيت له ضوءاً بعينيك يستجلي
 ولما تلاقينا اهتديت الى اصلي

اباس أبو شبكة

الطبيب

بقلم الدكتور محمد خير النوري

عندما طلبت الي محطة راديو الشرق ان اتكلم عن « اثر مهنتي في بناء الامة » لم اتردد في قبول طلبها لسببين .

اولا : لان الموضوع قد طابقت هواي .

ثانياً : لما لهمة الطبيب من المسكنة المهمة في بناء الامة تلك المسكنة التي رايت من واجبي ان اعرفها الى كل فرد من افراد الامة ليعلم المتزلة التي يشغلها الطبيب في المجتمع وما لمهنته من اثر في حياته وفي بناء امته .

لنقرأ ايها السادة قصة الحياة او بالاحرى لنستعرضها وننديرها فاذا ما قرأناها رأينا الطبيب مائلاً امامنا في كل دور من ادوارها . لم يكن له الرأي الاول في عملية الزواج عندما جاءه الخطيبان يعرضان عليه جسميهما للتأكد من صحتها وسلاستها من الامراض المعدية وغير المعدية التي يمكن ان تصيب اي جهاز من اجهزتها عصبياً كان ام تناسلياً دموياً ام هضمية حتى اذا كان شيء من هذا وقف بوجه هذه العملية الدقيقة حتى لا ينسلا نسلًا يكون عالة عليها وعلى الامة . واذا ما وافق وتم الزواج الاتاه مائلاً اول ساعة من ساعات الحمل حاملاً عليه واختباره ليخفف عن لام الحمل مضايقات الحمل ومزعجاته وما يزال أخذاً بيدها مهتماً بها وبحملها الى ان تضع حملها هذا فيستقبل طفلها الذي ما يكاد يفتح عينيه الى الحياة حتى يتم كل دقيق من دقائق انوارها . لا كل الشروط التي تضمن له الحياة والعيش في جو صحي خال من الامراض واسبابها ليشأ هويا نشيطا فتنبهة طفلاً يابست وصحياً يافعا في المدرسة وشاباً في ميدان العمل ليخلق منسمة رجلاً صحيحاً في جسمه صحيحاً في عقله فيكون لبنة صلبة في بناء الامة .

هذه يا سادتي قصة الحياة مرجزة مختصرة ولكن وراء هذه القصة تاريخ حافل بالاعمال الحميدة والنتائج الباهرة التي سطرها وبسطها الطبيب كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة في سجل الميراث الانساني من اجل الانسان نفسه الذي هو وحدة الامة بل وحدة العالم .

لقد سجل الطبيب منذ الازل ومنذ وجدت صناعة الطاب عهد ابقرات الى عهدنا هذا آيات بينات في الواجب والتضحية في الواجب الذي ما منعه ولن يمنعه ان يضحي بنفسه محارباً الموت في سبيل انقاذ الانسان الذي منه تتكون الامة . ليفكر كل منا هنية ايها السادة بهؤلاء الابطال الذين جنبوا انفسهم في معاملهم وفي مختبراتهم وبين امرة المرضى الذين كان يحيم الموت فوقهم . فثشين منقبين عن الميكروبات ليصطادوها ليدرأوا عنا آفة الامراض والاوبئة التي لولا محاربتهم لها والقضاء عاها لما كان انسان ولا انسانية ولا تمدن ولا عمران .

ان الصور التي ترينا بام عينينا فضل هؤلاء البعث الاكادم واثاتهم وصبرهم في تصيد الميكروبات لكثيرة وكثيرة جداً وسأكتفي بواحدة منها لان الوقت لا يسمح باكثر من ذلك .

« ففي اوائل العقد التاسع من القرن العاشر كانت وطأة الدفتريا شديدة جداً والدفتريا داء تشدد وطأته وتلين في القرن الواحد مراراً وامتلات في المستشفيات عتار الاطفال بالمرض وعلت اصوات اهليهم بنحيب لا فائدة منه تعود ولا نفع يوجب وخروجت من تلك الحلقوق الصغيرة سعة تصحبها قرقرة تنذر بان الاختناق قريب وتراوت وجوههم الصغيرة الزرقاء في وساداتهم البيضاء . وقد انزقت من فعل اليد الخفية التي عصرت حلوهم وضغطت على رقابهم ومشى الاطباء في هذه الاروقة ليستروا يأس القلوب ببشاشة الوجوه ، وساروا من سرير الى سرير لا حول لهم ولا قوة الا ان يدسوا في حلق طفل محتثق انبوبة يدخلونها في هذا الغشاء الذي يسد عليه منفذ الهواء فيحاولون

العامل

د. محمد مصطفى العربي
رئيس نقابة عمال المطابع



عند ما فكرت في كتابة هذه المحاضرة قلت في نفسي : كل شي . في الدنيا قد اشتركت في عمله وبنائه يد العامل . ومنظمو هذه السلسلة من المحاضرات لم يفاجئوني عند ما طلبوا الي التكلّم في هذا الموضوع . فانا اعلم ، كما هم يعلمون ، ان هذا البناء الفخم قد بنته ايدي العمال وهذه الشوارع المخططة الموصوفة بالحجارة ذات الترتيب او المفروشة بالاسفلت هي من صنع العمال . وهذه الحدائق الجميلة قد اوجدها ايدي العمال ، وهذه المصنوعات والمنسوجات والملابس والمأكل قد صنعتها ايدي العمال والعاملات . وهذه الكتب التي يقرأها الطلاب في المدارس والجامعات قد اشتركت في اخراجها ايدي العمال ، وهذه الصحف وال نشرات الدورية وغير الدورية ، المصورة وغير المصورة ، قد عمل في اخراجها عمال المطابع ، كل واحد منهم ساهم فيها بنصيب . فمن منضد الاحرف الى الطابع وجامع الصحائف ، ومرتب الملازم ومرحور الزوائد الى المحرر والمجلد ، كل هؤلاء العمال قد اشتركوا في هذا العمل . فلا تقع اعيننا على شي . الا وليد العامل اثر في صنعه وبنائه . فيد العامل اذن تصنع وتعمل كل شي . ولها التأثير الاول في بناء الامة الاقتصادي والاجتماعي والصناعي والعمراني والسياسي ايضا .

فكما ان للعامل هذا التأثير في ميادين الصناعة والعمران ، كذلك للفلاح التأثير الاول في ميدان الانتاج الزراعي فلولا الفلاح لما رأينا حبة من القمح او الحبوب الاخرى ، ولولا يده المباركة التي تفرس الحب والنبات ، لما رأينا هذا الاخضرار في السهول والروابي كأنها جنة

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

بذلك ان يقتحوا له فيه منفذاً الى رقتيه . في مثل هذا الجور المملوء بأهات الامة المفجوعات ولوعة الأقارب وبكا الشقيقات وعند يأس الاطباء والممرضات قام ثلاثة من هؤلاء الابطال الافذاذ ببحوثهم الفريدة الجبارة فوقع اميل رو الافرنسي تقليد داهية المكروب وداعيته يستور على سم الميكروب واكتشف اميل بارنج الالماني ترياقه اما ميكروبه فلقد كشفه فوغلر الالماني ساعد كوخ اليميني الذي دخل ساحات الموت يبحث عن الميكروبات حتى اذا تصيد منها على هواء خرج عنها سالماً قد اخطأته سهامهم فقصوا بذلك على بشة الدفتريا وامت تلك الصورة التي كان يشهها على مسرح الموت هذا الميكروب الفتاك تلك الصورة التي سردها لكم والتي صورها لنا ببلاغته وبيانه الدكتور العالم احمد زكي بك في كتابه قصة المكروب .

لقد قصصت عليكم قصة الحياة والان اريد ان اسأل من منكم لم يمر بالادوار التي عرضتها منذ ان حملته امه الى ان وضعته والتي ما بعد الوضع هذا التاجر وهذا السلم وهذا العالم وهذا المهندس وهذا القاضي والموظف والصحفي والجندي وكل من هو مادة من مواد بناء الامة ألم يكن في كل دور من ادوار حياته في قليلها او كثيرها موضع اهتمام الطبيب ؟؟

هذا الطبيب الذي اخذ على عاتقه ان يجعل من هذه المواد مواداً صحيحة قوية متينة حتى يكون منها بناء صحيحاً قوياً متيناً ؟

ان بناء الامة الذي تم اركانها بافرادها ان يكون بنا يصمد ومصدمات ولعادات الزمن الا اذا كانت مواد قوية صحيحة وان تكون مواد قوية صحيحة الا اذا تمهدها الطبيب . فالطبيب ايها السادة اثره ظاهر في كل زاوية وفي كل ركن من زوايا وركان هذا البناء فهو في الحقيقة الاول وهو اساسه وباقي افراد الامة هم اجزائه المختلفة فلولا لم تكن الامة والسلام عليكم .

محمد خير النوري

من جنان الخلد فيها متعة وحياة للناظرين .

فحياة البلاد ترتكز على هذا المجهود الزراعي الذي هو بيد الفلاح ، فعند ما يستيقظ مع بزوغ الفجر ، ويسوق دوابه ومشاته ليحراث الأرض ، فلا يكون هذا لاجله فقط ، بل لاجل الجميع ، فالعامل في المدينة يصنع وينتج المواد اللازمة للبناء والعمران ، والفلاح في القرية ينتج المواد اللازمة من الحبوب والحضار . فلا غنى للامة اذن عن مجهود الاثنين ، ولا مفر اذن من تحسين حالة الاثنين الاقتصادية والثقافية .

ولو القينا نظرة على حياة العمال في بلادنا ، وحياة العمال في الغرب ، وقارنا بين محيطهم وظروفهم هناك وهنا ، سواء أكان من الناحية الاجتماعية او الاقتصادية والثقافية ، لوجدنا فرقاً كبيراً بيننا وبينهم ، ولأينا ان التقدم الصناعي في أوروبا وأميركا وغيرها من البلدان الصناعية المتقدمة قد اوجد طبقة عاملة واعية منطاعة ، لها في البلاد الديمقراطية ، نقائياتها ومنظمتها ، وقد شرعت قوانين تحمي العمال وتضمن لهم تعويضات أثناء البطالة ، والمرض والعجز عن العمل . وهذه القوانين الاجتماعية هي مقياس لدرجة تقدم الامة ورفقيها وبتانة بنائها ، فهي كلما اتسعت وكانت اقرب الى العدل والانسانية جعلت الامة اتم وحدة وارسخ بناء . واوسع استقلالاً .

ان طبقة العمال في بلادنا تسير سيراً حثيثاً في طريق التكون اجتماعياً وثقافياً وتنظيماً . ولا شك في ان بلادنا داخلية في مرحلة يمكن ان نسميها « مرحلة التطور الصناعي الناشئ » . والطبقة العاملة تتقدم مع تقدم هذه المرحلة ، وتتطور مع تطور الصناعة في البلاد . اما من الناحية الثقافية فيجهزون العمال والفلاحين متأخرون لان اكثرهم يعجزون عن ارسال اولادهم الى المدارس والانفاق على تعليمهم وعلى اعاشهم في وقت واحد . كما ان التعليم الاجباري المجاني لم يدخل بعد في القوانين لبلادنا لا في القرية ولا في المدينة . فثوى ان اكثر الالاء . بحكم هذه الظروف ، مضطرون الى ارسال اولادهم الى العمل في مختلف المهن والصناعات فيدخلون العمل اعداداً ، وبقضون سنين طويلة يتقاضون خلالها اجوراً زهيدة فيحرمون العلم ويضيون وهم اميون او نصف اميين .

واذا نظرنا الى عامل الطبقة زاه اكثر العمال تقدماً . من الناحية الثقافية والناحية الاجتماعية والسياسية ، وهذا يرجع سببه الى ان عامل الطبقة لا يمكنه ان يجتاز هذه المنة اذا كان امياً . اما من الوجهة التنظيمية ، فان الطبقة العاملة ، رغم المصاعب والعراقيل ، قد بدأت تحسن ضرورة التنظيم النقابي . وقد قام عمال كثيرون في المدن السورية والبيثانية الكبرى بمحاولات غير قليلة لتنظيم نقابات مهنية ، بعضها حافلة التوفيق ، وبعضها لم يوفق حتى الان . وليس من ريب بان تطور ظروف حياة نفسه ، يضع امام العمال جديماً ، كواجب اساسي ، مسألة انتظامهم في نقابات تعمل على جمع شملهم ورفع مستواهم المادي والثقافي . وتجارب الماضي والحاضر هي خير ما يقنع العمال بالسير في هذا السبيل .

ان طريق التنظيم النقابي غير سهلة المسلك ، ولكن عندما يحزم العمال امرهم ، لا تستطيع المصاعب ان تقف بوجههم . بها كانت . ان الطبقة العاملة في بلادنا لا تمر بالظروف كلها التي مرت بها الطبقة العاملة في الغرب ، فامام الطبقة العاملة هنا ، مراحل عديدة ، سياسية واجتماعية ، يجب ان يجتازها .

ولكن ما هي الوسائل التي يجب اعتمادها في تطور الطبقة العاملة وتقدمها وانتقالها من مرحلة النشوء الى طور التكامل ؟ . ان اهم ما يحتاجه امتنا في تكوينها هو التطور الصناعي ، اي تقدم الصناعة الوطنية وازدهارها . وبديهي ان العمال يريدون هذا ، ويرحبون به ويبدلون كل جهد ممكن في سبيل تسهيل هذا التطور ، ولا يظلمون سوى شي . واحد . هو ان لا يكون هذا التطور على حساب بؤسهم وشقايتهم . فكما ان اصحاب المعامل والمصانع يطالبون من العمال تقوية الانتاج وتحسينه واتقانه ، كذلك يطالب العمال ان ينالوا اجوراً كافية تمكنهم من ان يعيشوا عيش انسان ، اي في ظروف صحية وغذائية ملائمة . لان العامل اذا لم يشبع ولم تتيسر له العسكني الصالحة ، لا يستطيع القيام بما يطلب منه على اكمل وجه .

لنأخذ مثلاً عمال أميركا وانكلترا ، فانهم يعملون المجهود الحربي بكل نشاط وينتجون السلاح والآلات بمرعة لم يسبق لها مثيل .

وهذا دليل على ان الديمقراطية التي يتمتع بها العمال في هذين القطرين لم تكن قط سبباً في تأخر الانتاج ، بل كانت حافزاً لزيادته . وبهذا يرد عمال اميركا وانكلترا جميع الاقتراحات التي وجهت الى الديمقراطية في البلاد الاخرى .

وإذا أخذنا عمال الاتحاد السوفياتي نجد مثالا رائعا لما يمكن ان يصنعه العمال عندما يكونون احراراً . فقد فقدت روسيا في هذه الحرب اهم مناطقها الصناعية ، ولكن انتاجها الحربي رغم ذلك كله ، هو اليوم ، اكبر مما كان عليه قبل دخولها الحرب ، وهذا راجع في الدرجة الاولى الى تقافي العمال واخلاصهم وتضحياتهم .

وإذا آتينا نظرة على المانيا النازية ، مثلاً ، فلا يمكننا ان نشاهد بين عمال المانيا من الحماسة والنشاط في العمل كما نشاهد في البلاد الديمقراطية ، والسبب لذلك مفهوم وهو ان العمال يشتغلون هنالك تحت ضغط الارهاب .

فتطور الصناعة وزيادة الانتاج يتطلب توفير الراحة والهناء للمتعبين . ويحطى . الذين يظنون ان تحقيق هذا التطور ممكن بدون ارضا العمال وتوفير عيش انساني لهم .

ان تطور البلاد الصناعي مرتبط الى حد كبير ، بتطور العمال الثقافي والمادي . والصناعة الحديثة تحتاج الى كفاءة فنية وعلمية ، يجب ان تتوفر لدى العمال العرب ، اي يجب تسهيل العلم لهم ، وزيادة اجورهم وتأمين معيشتهم .

فآثار المهنة في بناء الامة يتطلب توفير الشروط اللازمة لجعل هذا التأثير في البناء مفيداً كاملاً . وفي اعتقد ان الطبقة العاملة تقوم بدور وطني هام جداً في المستقبل الى جانب الدور الذي تقوم به الان في الميادين الصناعية والعمرانية والسياسية ، فدور العمال في الميدان الوطني ، في الماضي والحاضر والمستقبل ، يجب ان لا ينكره عليهم احد . فبعض رجال السياسة ينكرون على العمال كفاءتهم على القيام بدورهم في الميدان السياسي الوطني ، وهذا غير صحيح . فعمال فرنسا يقومون الان باكبر دور في الميدان الوطني . وهل يستطيع احد ان ينكر عليهم هذا النضال الدامي الذي يقومون به ؟ ولنصور ماذا كانت تكون الحال في فرنسا واوروبا المحتلة لو اعتزلت تلك البلاد العمل السياسي وتركوه لامثال الذين يزعمون استنكارهم في بلادنا .

<http://archivebeta.sakhril.com>

والعمال في بلادنا لم يساهموا في العمل الوطني ، وليسوا ايضا اعداء النازية والفاشية .

ان العمال يعرفون جيداً ان النضال ضد النازية والفاشية هو نضال وطني ، اذن فلا محل لنكران دور العمال في هذا الميدان .

ان العمال يقومون بدور عظيم في بناء الامة الاقتصادي ، الذي يقوم عليه بناؤها السياسي والثقافي وبناؤها العمراني من جميع الوجوه ، اي الذي يقوم عليه استقلالها .

ويقوم العمال بدور رئيسي مركزي في حياة الامة السياسية ، ففي البلاد طلبة من العمال تزدد بحكم التطور التاريخي وعياً وادراكاً لمهمتها ودورها في النضال الوطني وتشديد بناء الاستقلال .

ان الطبقة العاملة في بلادنا كانت عنصراً اقتصادياً في بناء الامة ، ولكنها تصبح الان عنصراً سياسياً ايضاً في بناء امة حرة متقدمة .

مصطفى العريس

من الادارة



- ١- ثمن الجزء ٥٠ غ.ل.
- ٢- بدل الاشتراك لسوريا ولبنان ٦ ليرات لبنانية
- ٣- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر كانون الثاني (يناير)
- ٤- بدل الاشتراك للخارج عموماً جنيه مصري. ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة
- ٥- يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحح بالنسبة
- ٦- احتفظت الادارة ببعض اعداد من السنة الاولى (ما عدا الجزء الاول والثاني) فن ينقصه شي. منها يمكنه ان يطلبها من الادارة.
- ٧- الادارة مستعدة لشراء أي جزء من اعداد السنة الاولى وتدفع ثمنه ٧٥ غرشاً لبنانياً إذا كان بحالة جيدة.
- ٨- كل المقالات والابحاث التي ترسل الى «الاديب» لا ترسل الى اصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
- ٩- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة «الاديب» صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان.

الضائع الابتر!

لا عمر الصافي النجفي

دمش

ولكن عبقر نيرانها
فاخرجت من مهبتي جرة
وقلت اليك ، فخذها اليك
فاني اخشى على الكائنات
فصاح وقد لامستها يداه
والقى بها مسرعاً للصعيد
وفر وافلت من كفه
فما نقتله ولحوصي عليه
الى ان شفيت به غلتي
فأبصرت ما لم ير المبصرون
رأيت وليداً هزيل القوام
فناديت هل شوهتك انتقاماً
فألفيته صامتاً لا يجير
وراحت ارض على انجلي
وبت اسدد لعني الى
وليدتي وشفتي به توجع
افتش عن ضائع ابتر
فؤادي يسأل عن منظر
تفتش عنه فلم تظفر
عليه الشائسل من عبقر
تراه ، وان لم تهب تحسر
وان كنت لليوم لم اغسدر
وما شئت من بعدها فأمر
ومكرو ضاع مع الامكر
واخشي صدودك ان يظهر
واياك والغبين للشتري
من الجر من قلبك المسعر
فقال : ولأحرق جسمي بري
مصوغ من الالهة الاحمر
بعقر عن جرنا الاحقر
بين قال شعراً ولم يشعر!

يؤججها شعرك العبقري
توهج بالالهة الاخضر
واخف سنا نارها واحذر
متي مسها وقدها تسر
سعيك بالفكر لم يخطر
فعاد بها السرب كالحجر
لكني يدي ولدي الاصفر
الى وجه طفلي لم انظر
ورحت احرق في المنظر
فياليت اني لم أبصر
عديم البها بالي المتذر
اكن الشياطين من عبقر
جوابا وبالس لم يجهر
لبشي عن ضائع ابتر
لعين شياطيني المنكر
بنيران شعري ان يشعر
ججيا سيدك ان يذكر



وغيره في المعاملة . وتركوا لاهل البلاد حريتهم الدينية ، واحترموا عاداتهم وتقاليدهم الوطنية . وقد اثرت هذه المعاملة الحسنة والادارة المصالحة في حياة سكان الجزيرة حتى قال بعضهم انهم لم يعرفوا المسعادة معنى الا في ايام العرب . واذا اردنا ان نبين الاصلاحات التي قام بها العرب في جزيرة صقلية فمألفينا الا ان نلقي نظرة عامة على الزراعة والصناعة والتجارة والفن لنرى اعمالهم وخدماتهم العظيمة التي اسدوها لاهل البلاد . اما الزراعة فقد تقدمت في ايام العرب تقدماً عظيماً حتى اصبحت عندهم علماً حقيقياً اخذوا نظرايتها من الكتب شجروها بتدقيقاتهم وتجاربهم ، وكانوا يطبقونها بمهارة عظيمة ، كما انها بقيت تشجيراً وتحبيذاً حتى ان رجال الطبقة الاولى منهم لم يكونوا يستكفوا عن العمل بايديهم في زراعة الارض بينما كان غيرهم يحتقرها ويعدها عملاً مهيناً كما انهم فتحوا الترع وحفروا الآبار وفاجروا الارض بطريقة علمية وبذلك انتجت الارض اصنافاً مضاعفة وكذلك زرعوا الازهار ونوعوا محصولاتهم تبعاً لنوع التربة ، وفاقوا غيرهم في علم التلقيح ، وعرفوا كيف يجرون انواعاً جديدة من الفواكه والازهار والنباتات ونقلوا من الشرق الى الغرب كثيراً من الاشجار والنباتات ووضعوا في الزراعة كتباً علمية . اما الصناعة فقد خضت خطوات واسعة من حيث التنوع وجمال النسج ورقعة الصنع ، وقد اشتغلوا في كل المعادن ، في الذهب والفضة والنحاس والحديد ، ولم يعقهم احد في صناعة المنسوجات وديج الجلود وفن الصباغة والروائح العطرية وصناعة الورق ويقول جوستاف لويون في كتابه « حضارة العرب » : ان العرب هم الذين ادخلوا الى صقلية صناعة الحرير ومنها انتقلت الى اوروبا . ومن الادلة على ذلك وجود رداء من الحرير يرجع تاريخه الى ٥٢٠ هـ ما كان بلبسه ملوك صقلية في ذلك العهد وعليه كتابة بحروف كوفية . وقال ايضاً : ان هذا يعمل المرء . يعتقد بان صناعة صباغة الاقمشة انما انتشرت في اوروبا من صقلية اذ فطن الغريبيون الى ان هذه الصناعة الراجحة مصدر كبير من مصادر الثراء ، فاقاموا المصانع للنسج والصباغة في مراكز مختلفة وبدأوا بذلك ينافسون المصانع الشرقية .

والخلاصة ان العرب برعوا في كثير من العلوم الصناعية بما اعجب العربيين . جعلهم يسبون مخترعاتهم الى السحر . اما التجارة فقد كانت قبل العرب ضئيلة جداً ، اما في عهدهم فقد ارتقت واتسعت وكثرت بذلك الصادرات والواردات في البلاد وكذلك كثرت المتاجر والحركة في الاسواق ، وبذلك كثرت الاموال المتداولة وازدادت التروات . واوله الناس بالتزلف والنعيم والتأنق في الملبس والمشرط والطعام . اما من ناحية الهندسة والفن فقد برع اهل العرب وتركوا من انما خالصة قبل ذلك لا واضحة على حسن ذوقهم ورفيقهم وعظمتهم وان نظرة بسيطة على تلك الخلفات من مساجد وقصور بتدريج لا يكبر شاهد على ما نقول . وقد احب العرب ان تكون مبانيهم مثقلة لهم ولهذا طبعوها بطابعهم العربي الخاص . وقد ظل الفن العربي حالاً ومبشراً في صقلية حتى بعد ان استولى النورمانيون عليها ، اذ انهم كانوا يعتمدون على العرب في كثير من اعمالهم . اما عن الناحية الثقافية وتأثيرها في صقلية فان الباحث ليعجز عن ذكرها اكثر نظراً وخطورتها اذ ان العرب لم يتركوا ناحية من نواحيها الا وكان لهم نصيب فيها وقد ظهر منهم العلماء والمحدثون والفقهاء والادباء والاطباء والفلاسفة ، مما كان لهم الفضل الاكبر على الامم العربية عامة واهل الجزيرة خاصة . وقد اثبت آماري : ان صقلية مدينة للعرب ، وكذلك ايطاليا مدينة لصقلية بابتكار الشعر الوطني . وقال رينالدي : ان العرب لم يعملوا على انهض للمشعر الصقلي والايطالي فقط بل انهم امدوا قصصنا بشكلها ومادتها . اما اللغة العربية فقد طمئت على جميع اللغات الاخرى وبقيت تستعمل في البلاد حتى بعد خروج العرب منها ويقال ان فريدريك الثامن الملك النورماني الذي قد اهتم باللغة العربية وادابها اهتماماً عظيماً حتى انه كاد يجيدها اجادة حسنة وهكذا ظلت اللغة العربية الرسمية في البلاد وظل العرب هم القابضون على الناحية الثقافية مدة من الزمن حتى محي النورمانيين . اما في الطب فقد برزوا اليونان وسبقوهم في هذا الميدان فدرسوا علم وظائف الاعضاء وفن تدبير الصحة . وكانوا يركبون الدواء كما نعمل الان وما زالت طرق علاجهم للامراض تستعمل في هذا العصر وعرف جراحوهم استخدام الخدشات وقاموا بعمليات كثيرة جراحية من اعصم العمليات المعروفة وادقها ولا نعجب من ذلك اذا عرفنا ان اول مدرسة للطب انشأت في باليرمو والعرب هم الذين انشأوها وما عهد مثلها في جميع اوروبا بل ان مدارس الطب في الغرب ، انشئت بعد مدرسة صقلية باعوام ومنها انتشر الطب في بلاد ايطاليا . كما انهم بدأوا بدأ حسناً في علم الكيمياء . فاكشفوا مواد جديدة كثيرة ومركبات عديدة كالكحول والبيوتاسيوم ونترات الفضة وغيرها . والخلاصة ان العرب اقادوا البلاد فائدة عظيمة ، وقد دلت آثارهم على ان الجزيرة كانت عند خروجهم منها ارقى بكثير من اليوم الذي دخلوا اليها .

من دوغان

المصور انجلوبولو



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

كان في القاهرة من ارض

مصر عسندرا ذات

كرويات ضامرة يعرفها الجميع . وكان
اكتشفها التواءات تذكر بالنوم . احببت
فها الذي كان يتفتح كوردة دامية على كماليا
وجها كما احببت عيناها اللتين - غلت فيها
النجوم نور ناراها .

في احد الايام راها مصورا اجني ، فبدت
القناة مذهولة . ولم يتفق للصور يوماً ان
رأى عيوناً ترتعش كالفراشات ولا رمية
اذرع كهذه تجري ماوية الورد في عروقها .
فالقت عيناها عليه سلم ضفطها الحنون ،
واعطاه الله القوة على تحمل هذا النظر .
واذا لم يقو على احتمال اين هذا الجسد تألف
فيه ثمرة المشاوير المزغبة فمضى .

وفي بيته بدأ يصور عن طريق الذاكرة
العندرا التي احبها . . .

على لوحة . . . وبأربع ريش . ولكن
بدون ان يستأذني . . . وقد بقي يشغل
كل يوم طوال اشهر عديدة .

وفي مساء يوم نفخ يده من اللوحة واذا هي « حية »
وترك المصور محترقه سعيداً . . .

فاغتتمت العندرا الشابة هذه الفسحة فخرجت بدورها من لوحها ومن بيت المصور الاجنبي ايضاً . . .
وكان المصور انجلوبولو سليم الطويلة كالفتى فضيل اليه ان في الامر سرقة ولكثرة تواضعه كان يميل قوة موهبته . . .
ومنذ ذلك اليوم زحرت غرفته الصغيرة بالخزن وزحرت عيناها الكبيرتان بقيوم مظلمة . . .
وكانت اغنيات تتناثر في شوارع المدينة . . . وكل حين يوقظ في نفسه ذكرى ذلك الجسد الشفاف يتلألأ في الدور فيم على الدم
الجبل المرتفع فيه . . . وكان كل حين يميل اليه عطوفاً - رية كأن ذرات بخور من بلد مجهول قد القيت على حجر قلبه . . .
في احد الايام فيها هو يهيم على نفسه في شوارع المدينة سمع من اعماق باب صوتا ورديا يقول له بلهجة خادرة : الى اين انت ذاهب ؟
وهكذا لم يجد الاجنبي ، المصور في ارض مصر هذه المرة ايضاً العندرا التي احبها والتي يبحث عنها .

ليلي

ليلي ، وليلي انين
ولوعة في غنائي
وعصفة في ضلوعي
وثورة في دمائي
ارجو اليها التجافي
عني ، وتأبى جفائي
كان لذة ليلي
في ذلتي وشقائي

جميلة كالاماني
ندية كالورود
بين الجفون وبين
الشفاه دنيا وعود
اصغي اليها كأنني
اصغي الى صوت عود
بين الملائك والحور
في جنان الخلود

تقولا بنترس

ليلي ، تجافيك عني
حمل ثقيل عليا
اسعى اليه ، لان
الفناء يسعي اليا
وانت يا ليل عندي
اعز من ناظريا
فان تجافيت عني
ابقيت مني شيئا

قصة زوج

من زهور القرية

بسم عبد المجيد لطفي



— انك لا تحجلين ابنتك المرأة!

باي حق تريديني ان ابقى هنا ؟ . انكي اسمع هذا النجيب المتصل والتأفف لكل امر تأفد ؟ ...

انك على خطأ حين تفترضين علي لونا واحداً من الحياة فانا رجل انطلقت من تحيزات الماضي المظلمة فال حاضر شي . وتلك الايام السالفة شي . آخر ...

كسادتك كل امرأة تصفين ببلادة وتأمل فارغ ثم تهزين رأسك بين آونة واخرى كمن تصدقه شيئاً ذا قيمة ! ..

ان بلقيت بك انك لا تجارمين العصر الذي تعيشين به !! انظري الى جاراتك .. وتأملي كيف يعضن اياهن ...

انهن يلبسن البسة تنفق وجوههن وتنسجم على ابدانهن ويترن بزينة تلامح ملاحم اما انت فاشبهك بقرة ربابه ! .. وجين اكلك بهذه الصراحة تلوين وجهك ناحية اخرى وتبكين مذكرة ليبي بالماضي .. واي ماض ذاك ، انه ماض القليل الحقا ، لقد كثر لي عيب انك فلاحه . واني ارى خطوط الانهار والارض الوعرة في قدميك ! .

— ومع ذلك فقد كنت تقول عني بانني جميلة !

— كنت اقول عنك جميلة . نعم ربنا كنت قروية جميلة . اما بالنسبة الى المدينة العظيمة فما قيمة كل هذا الجمال البسيط ! .

— وانت ما ذا كنت ! . اتذكر ؟ ؟

— ولكني الان .. لقد تطورت الامور . اني اشغل المراكز التي تابق بواهي . ابنتك الزوجة التي لا تحجل ! . ابنتك المرأة التي لا تلتحق بقافلة الحسان ! .

« ان من حقى ان انتفع ببلاد الحياة لان ايام العمر محدودة ولكن بقرة مثلك لا تقدر قيمة هذه الايام .

« انظري اكثرا . اراك توسعيني بالنظرات كاني سرق منك الكنوز ! .

— لا زلت احبك !!

— هذا كل ما عنده ؟ ؟ . كلمة واحدة تكررينها كالبيغا . كل مرة .. والحقيقة ابنتك المرأة اني سمعت هذا الحب .

— وماذا تريد ان تصنع لي اذن !

— ماذا اصنع ؟ حسن اضحك حيث انت . انك تعرفين لذة الدخان في المطبخ !

كم من الوقت الشين ذهب في هذه المواضع الباردة ! دعني اذهب وحين اترك هذه الدار اري اني دخلت جنة الفردوس والنعم ! انتهت الزوجة على ضرب السباب الذي هز اعصابها هزاً عنيفاً فعادت تمشي ببطء كأنها تمثال قديم اقتلع من قاعدته . وبدافع غريزي التجهت نحو المرأة الكبيرة وتطاعت الى وجهها .

كانت شاحبة حقاً وقد لاحت خطوط التعب والسهرة على محياها بفضاعة ودهشت امام هذا التغير الكبير في جمالها . فقد حال لون شعرها وتجمع جبينها وبدت منهنية القامة ! ومع ذلك فلم تياس اغا تهاكت على كرسي واطي . وراحت تفكر بالقرية الواسعة وحقول الحنطة في وهج الشمس وزهور نيسان المتألقة . وتذكرت امها وهي تقبلها ساعة الوداع . وتدعو لها حياة موفقة في المدينة مع زوجها الكريم . ولكن طابمة مدهشة تنهال على تلك الذكريات العزيزة . حبال خمس عشرة سنة متعبة تسقط عليها وتنسبها تلك الخيالات المادئة الشعرية الخنون .

لم تحب حساباً للزمن وانما ظلت محقة في السبات . حيث كانت السحب الخفيفة تتورد مبعثرة لما جميلة / هناك وهناك . وانما عند ما غابت تلك الالوان وسادت ظلمة خفيفة في الافق فحدث

السلم الى غرفتها ببطء . وتآلم ، وهناك اوقدت الضوء وبكتابة مضنية مدت يدها المرتجفة الى صندوق خشبي صغير واخرجت منه بضعة اوراق نقدية وقطعاً من الفضة واخرى نحاسية زهيدة ووضعت كل ذلك في صرة وهممت مع نفسها : اجل لقد انتهى كل شيء . يجب ان اعود ...

لا تدري متى جاء زوجها وكيف خرج في الصباح ولكنها تعرف الآن بأنه فاجأها وهي تحزم امرها للسفر بيد انها لم تره هذه المرة شكساً عنوداً ، وانما كان يحياه يرسم صورة حزينة حقيقية غامضة في صدره ! تهم الزوج بجبن وحزن — ما بك يا زوجي ؟ اراك ترتعدن ؟ تحسبن بهرجة ولم ؟ هزت رأسها مصدقة وقالت : اني احس بضيق شديد ، ان آلاماً كثيرة تحجم في صدري ، وانت ما بك ؟ صمت الزوج لحظة جمع فيها قواه الخائرة ثم قال باهجة يائسة : — انا ؟ اتسألين عني ؟ نعم ! ان الحقيقة مرة ولكن لا بد منها . « اني طردت من العمل ! » وتقدمت منه بخطوات ثابتة وعلى وجهها ظل فرح وشجاعة وقالت وهي تضم يده الى صدرها وتضع فيها صرة المال — خذ هذا ... انه يضمن لنا حياة سعيدة في الريف ، لنذهب الى القرية فقد علمت ان حاصل هذا الموسم كان جيداً وانني ليرحب بنا بسرور . لم ينطق الزوج بشيء . وانما انشدها بيتاً ذريعاً وقبلها قبلة صادقة طويلة وبسكى بحرارة وحزن !

عبد المجيد لطفي — بغداد



شعار الخلافة والملك في عهودهما الاولى

بسم نبيكم

لكل

دولة من الدول القديمة والحديثة في الشرق وفي الغرب شعار يتخذه السلطان في شكل ومظاهر معينة لتعزيز ابهة الملك وارهاب الاعداء والقاء الهيبة والاحترام في نفس الرعية وانما ضمن هذه الحدود تحدث اليكهم بشعار الخلافة منذ عهد الراشدين رضي الله عنهم الى عهد الفاطميين على وجه التقريب والاجمال . من الثابت ان الاشكال التي اتخذها شعار الخلافة والملك قد اختلفت باختلاف عوامل المكان والزمان خلال العهود المتتابعة بانتقال مركز الخلافة من المدينة الى دمشق ثم الى بغداد ومنها الى مصر

واسمحوا لي ان اقول ليس حديثنا الا حديث اشكال ومظاهر مجردة انما هو حديث شعار له مقامه في تاريخ الفتح والنضات والمدنيات شعار رسالة سماوية وعالمية غيرت وجه الشرق واثارت سبل الغرب وكانت حلقة اتصال بين العالمين القديم والحديث

وهكذا عندما نذكر الخاتم والعبدة والقضيب وثياب الملوكة ولون الاعلام انما نذكر عهد الدعوة الاسلامية العربية في صفاتها الماثورة بل اننا نعيش المع صفة من صفحات العرب اشرفت حيناً بالعدل والانسانية والمساواة . قلت ان لعوامل البيئة والمكان والزمان اثرها فيما اعترض شعار الخلافة من تكييف على هياكل متعددة في ادوار معينة . لما كانت المدينة المنورة حاضرة الدولة العربية كانت الخلافة فيها جارية على البساطة وخشونة العيش لا تشوبها مظاهر كسروية او قيصرية ويرجع سبب ذلك لقرب اتصالها بعهد النبي صلى الله عليه وسلم ولاحتفاظ العنصر العربي بالسيادة من غير اختلاط باقوام اجنبية حتى قال بعضهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما الملك الذي يأكل الشعير ويمس على رجله بالليل ماشياً وقد فتحت له مشارق الارض ومقاربها

لم يستعمر الخلفاء الراشدون سطوة الحكم كما استعمرها الامويون والعباسيون بفخامة الاشكال والمظاهر كاستخدام المقاصير واقامة الحجاب ولبس العمامات الموصعة بالجواهر وما اليها من الاسرة والتيجان والماكب العظام وما كان يظهر فيها من رسوم الملك والالات الملوكية التي سنعرض لها فيما يلي في سياق هذا المقال .

ولكن الخلفاء الراشدين جعلوا من الخاتم والعبدة والقضيب شعاراً للخلافة بصورة مبدئية وكان لهم في هذا الشعار على بساطة مظهره رمز عجيب من رموز الايمان وقوة الارادة وفضائل التضحية ولذلك نراهم ساروا في ظله من مفضرة الى مفضرة ومن نصر الى نصر حتى اذلوا شعار الاكاسرة والقياصرة مع ما كان عليه من عظمة الاشكال وفخامة المظاهر .

من المعلوم ان محمداً صلى الله عليه وسلم قد اتخذ لنفسه خاتماً جعل نقشه (محمد رسول الله) وكان

عمر قادم الى دمشق فخرج معاوية للملاقاة في موكب عظيم فقال له الخليفة: أأنت صاحب هذا الموكب؟ فاجاب معاوية انني بارض بكنو فيها جواسيس العدو فاحتاج الى ان اظهر لهم ابهة الملك ما يرههم . فان امرتني به ائتمرت وان نهيتهني عنه انتهيت . فقال الخليفة : ان كان ما قلت حقاً فإنه لرأي ادب وان كان غير حق فإنه لخدعة ادب .

نجد في قول الخليفة هذا ابلغ دلائل على ان شعائر السلطان يجوز ان يرتدي اشكال الابهة متى كان الغرض من ذلك صيانة الملك ونشر الدعوة .

قلت انه لما استقرت الخلافة لمعاوية جعل ترتيبها على نظام الملك والتورث وهو الذي قال : انا اول الملوك ، فقام شعار ملكه بجالي الابهة والعظمة مستعشراً سطوة الحكم وقد نهج نهجه الخلفاء الذين تتابعوا على العرش الاموي في دمشق . وقد سار العباسيون على اثرهم في هذا الصدد وتطلعوا الى اسباب فارس وادخلوا على ترتيب الملك بعض مظاهر كسروية جعلت بلاط الخليفة العباسي شبيهاً من بعض الوجوه ببلاط الاكسرية والقيصرية . وقد بلغ بهم حب الابهة في ذلك الملك المتراحم الاطراف مبالغ العظمة في ادوار معينة لا سيما في عهد الرشيد وقد كان كما يروى يستلقي على ظهره وينظر الى السجادة المارة ويقول (اذهبي حيث شئت يا توتي خراجك) وقد نجد في خلافة المتقدر ابلغ دلائل على ما انتهت اليه ابهة الملك وشعاره في زمن العباسيين . عند ما بلغ المتقدر ان رسل ملك الروم قادمة الى بغداد امر باقامة الابهة في ابلغ اشكالها . فظهر من العسكرية في دار الخلافة مئة وستون الفا بين راكب وراجل ووقف بين يدي الخليفة سبعماية حاجب واربعة آلاف بيض واربعة آلاف سود وحملت الدار بانواع الاسلحة وفروشت بالوان الاليس . فكان على ما يروى في جملة الستور المعلقة اثنا عشر الف ستر من الدباج المذهب وشجرة من الذهب والفضة باغصانها واوراقها تتأيل عليها طيور جميلة الاشكال من ذهب ومن فضة . ثم تقاصر امر الخلافة واكتفى الخلفاء بالدعاء على المنابر وضرب اصمهم على الدنانير وتولية ارباب الوظائف والقضاة وغيرهم . وكانت تولية الملك تختلف بعض الشيء بالنسبة لوجود الملك في حضرة الخلافة او بعيداً عنه فكذلك النواحي فبعد ما اراد القائم بامر الله ان يولي طغرل بك السلجوقي الذي تقلد السلطنة في سنة تسع واربعين واربعماية جلس له الخليفة على كرسي مرفوع عن الارض سبعة اذرع وعليه الوردة ثم دخل عليه طغرل بك وقبل الارض بيد الخليفة ثم جلس على كرسي مهبطي له فالتفت اليه رئيس الوزراء قائلاً باسم الخليفة ان امير المؤمنين قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلادنا فاعزق بعتك عليك . ثم خلع على طغرل بك سبع جات سود بزيق واحد وعامة سوداء . وبعد الى طوقية بطوق من ذهب وقوم من اهل بغداد فخرجوا معه الى بغداد فذهب وقرأ بعده عليه وقبل الارض بين يدي الخليفة وانصرف .

اما اذا كان الامر يتعلق بتولية ملك من ملوك النواحي كمصر او غيرها فقد جرت العادة ان يجيز له التشريف من بغداد بواسطة رسول من جانب الخليفة وكان يتخلع عليه جبة اطلس اسود بطراز مذهب . وطوقاً من ذهب يحمله في عنقه وسوارين من ذهب يحملها في اليدين وسيفاً قربابه ملبس من ذهب وفرس وعلم ابيض مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة يشربونه على رأسه في الموكب الذي ينتقل فيه الى مقر ملكه . ولما تبع تجهيز الخليفة للسلطان خلع اخرى لوزيره اما اول من لقب بالوزارة في الاسلام فهو ابو سلمى حمص وزير ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس وجري الخلفاء على ذلك اتخذوا وزراً لهم الى ان زالت الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وسبعمائة . ثم اننا اذا القينا نظرة في عهد الخلفاء الفاطميين بصر نجد من مظاهر العظمة والالات للوكية المختصة بالموكب العظام ما يستوقف الانتباه . هناك جملة الآتي في مجموعها صورة رائقة في موكب رائع . هناك التاج الشريف وقضيب الملك والسيف الخاص والدواة والرمح والدرقة والحافر ثم المظلة والاعلام والسلاح والفساطيط .

ذلك التاج المنعوت بالشريف كان الخليفة يفضل على العمامة في المراكب العظام انما هو تاج مرصع بجوهرات ثمينة سمحها اليتيمة وقد كانت من النفاسة بحيث لا يظهر حولها جواهر اخرى دونها قيمة ونفاة وكان يحمل في يده وعداً لا يتجاوز طوله شبراً ونصف ملبساً بالذهب مرصعاً بالدر والجوهر . اما السيف الخاص فكان يحمله امير من اعظم الامراء عند ركوب الخليفة في الموكب . وقد قال بعضهم في هذا السيف انه مصنوع من صاعدة وقمت في حين القتال وكان وقوعها مدعاة للظفر وهو في خويطة مرقومة بالذهب ولا يظهر منه الا رأسه . اما الدواة فكان يحملها شخص من الاستاذين في الموكب امام الخليفة وهي مصنوعة من الذهب وحليتها من المرجان . وكان يحمل الرمح شخص مختص به وهو في غلاف منظوم باللؤلؤ وعليه غشا من حرير . اما الدرقة فكان يحملها امير من اكابر الامراء وهي على الراجح

الترس او الدرع وقالوا انها درقة حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يكن الخافر سوى قطعة ياقوت احمر في شكل آلة منقطعة
 النظير جرت العادة ان تلتصق على رقعة من حرير كانوا يميلونها في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب الخافقة . وهناك في مثل
 هذه المواكب الخافقة تبدو قبة في شكل خيمة قائمة على رأس عمود وانما هذه هي المظلة وهي مصنوعة من حرير اصفر مزركش بالذهب
 وفي اعلاها طائر من فضة مطلاة بالذهب . وكانوا يميلونها على رأس السلطان في العيدين المباركين - عيد الفطر وعيد الاضحى -
 اما الاعلام فينفسح المجال واسعاً للتشكلم بها . ونكتتي هنا بالاشارة الى اللوائين المعروفين بلوائى الحمد وهما عبارة عن رحين طويلين
 ملبسين بالنابيب من ذهب وفي اعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب ووراهما رايت لطف مألوفة من الحرير مرقوم عليها
 نصر من الله وفتح قريب . ويبلغ عددها على وجه التقريب احدى وعشرين راية يعلما واحد وعشرون فارساً من صبيان الخليفة .
 ويرى الناظر ايضاً في مواكب الخليفة مذببتين والمذبة كالمروحة محمولتين على فرس الخليفة وهما ملويتان كالنخلتين . وهناك انواع مختلفة
 من السلاح كانوا يميلونها ورا . الخليفة في موكبه كالصاهم . واللوان اخرى لا ينفسح المجال لذكرها .

ونكتتي بالاشارة هنا الى سيوف الدم وهي عشرة سيوف في خوائط ديباج احمر واصفر إشرايب
 يقال لها سيوف الدم تكون في اعقاب الموكب يستخدمها الخليفة لضرب الاعناق عندما يريد ان يقتل احداً .
 أما رسوم الملك وآياته فمنها ما كان عاماً متداولاً بين الملوك ومنها ما كان خاصاً بمملكة دون سواها
 فسرير الملك هو من الآلات العامة الاستعمال وأول من اتخذ موقبة للجلوس عليها معاوية وسار الخفاه
 على اثره متنافسين حتى ضرب المثل في اسرة بني العباس وكان ارتفاعها عن الارض نحو سبعة اذرع وقد
 جعلوا السرير على هيئة منبر الجامع يجلس عليه السلطان في يوم عظيم . اما في الياوم العادية فكان يجلس
 على كرسي من خشب مغشى بالحرير ويجلس في داخل قصوره على كرسي صغير من حديد يحمل معه
 الى حيث يريد . وكذلك اول من اتخذ مقصورة للصلاة في الجامع هو معاوية . وقد سارت بعدئذ سنة
 يتبعها الخلفاء . ويظهر ان نقش اسم السلطان على ما ينسج من الكسوة كانت العلية منه تميز الثياب
 السلطانية عن سواها واعلاء لقدرة من يشرف السلطان عليهم عند تقليد ولاية او ترقية او
 انعام . وان في الاسكندرية داراً معروفة بالاسكندرية كانت تسمى دار الخليفة . وكانت الطليخانات من الآلات العامة لجميع الملوك
 متعددة نذكر منها باليجاز الفاشية والزقبة والخفنة . وكانت الطليخانات من الآلات العامة لجميع الملوك
 تحمل غالباً في الاسفار والحروب لها تأثير كبير وقيمة كبيرة فقد قيل ان الاسكندر كان مصحوباً
 باربعين حملاً من الطليخانات ونجد في كتاب السياسة الذي وضعه ارسطو للاسكندر ان السر في استعمال
 الطليخانات ارباب العدو في الحرب كما ان لابن خلدون كلمة في هذا الصدد فلما تعاهها ان استعمال الطليخانات
 والايوات يثير الشبهة في مزاج الروح . نكتتي بذكر هذه الجملة من رسوم الملك والآلات الموكية وهناك
 الآت اخرى ورسوم اخرى بطول ذكرها ويعسر استيعابها . ولذلك اقف بكم في نهاية هذا المقال
 عند الفساطيط . وما ادر اكما الفساطيط هي خيام عظيمة تردد ذكرها في اشعار العرب وقصصهم وامثالهم
 مصنوعة من القطن الشامي الملون بالابيض والاحمر والازرق وكذلك من الجوخ المتخالف الالوان حتى ان الخيام
 كانت تليق باقامة الامراء . والملوك على جمال صنعها ودقة اتقانها . ولعل الخيمة المعروفة بالقاتول هي
 اعظم الخيم التي يصح الاستشهاد بها . فقد كانت هذه الخيمة تستند الى عمود لا يقل عن سبعين ذراعاً
 طوله تقوم في اعلاه سفرة فضة واسعة . وفي النتيجة يستطيع الناظر ان يبين من شعار الخلافة والملك في
 عردها الاولى عناوين مدنية وسلطان وابهة مملكة وشعار ملك وتزعة الى التمييز
 والتسامي

نسب بزيك



الادب التركي الحديث

بنلم غطوس الرامي



نقلنا

في عدد سابق مختارات شعرية لـ أحمد هاشم بعد لحة وجيزة شاملة عن الادب التركي الحديث وتدخل اليوم جنباً إلى جنب مع كمال لتتطوّر ما شهرو من غارها . وكل ما فيها شعبي لذيذ .

يحيى كمال ، ولد سنة ١٨٨٥ . بدأ حياته الادبية ، بعد ظهور عصبة « فجري آتي » او « فجر الغد » بسنوات معدودة ، ونشرت قصائده في مجلات ادبية عديدة ولكنها لم تجمع بعد بديوان . ونشر يحيى كمال من النثر صفحات رائعة . بيد انه يظل شاعراً قبل كل شيء . وشاعراً من عيون الشعراء ، وتقليبون هم الشعراء . الترك الذين جمعوا في ادبهم ، بين الغرب والشرق ، روحاً وحساسية واسلوباً مثل يحيى كمال . وهو مدين بهذه الخاصة البديعة لثقافته الكلاسيكية العالية ولتذوقه على السواء روائع الشرق والغرب .

فاسمعه . بنول في منظومة « لقاء »

« نضب النور في هبي ، وانا ارقب الدروب .
« وانا الشبح بها ، . كيف تكون ؟
« وانا في قناديل ناظرها صفة من القيد
« ويسر لها سحر يستوقف احلام .
« فقلت ، آلت التي اجلس معها منذ الاول الى وليلة
« وفي الفم وردة حمراء وفي اليد كأس ،
« ونشرب الى طاولة واحدة ، تلب كلنا رغبات واحدة ؟
« فنظرت الي كأنها صحت من غفوة ، واصفرت .

وفي منظومة « تخانه »

« وحيدا الى قلبي ، جلست في هذه المطارح ، تحتاني الكتابة .
« اين انت ، يا حبيبي ، واين ايام الصيف ؟
« كنا نتجاذب الاحاديث على الروابي ، ساعة طلوع النهار على الجبال .
« اين انت ؟ واين الجبال التي كان يفتن الفجر في تلويها ؟
« اقبل المساء ، فاهت الشمس الآن ، في الافق البحري .
« والشاردون وحدهم كالاشباح هبطوا القرية .
« وانا باقى . خفت ، في البعد ، جلبات النهار .
« وانا ، وحدي ، باقى الى قلبي في هذه المطارح ، أشبه بشبح . »



وفي مغلوعة « اغنية »

« احتفالاً اليوم اعراسنا الأولى ، املت رجلك الخلوة قبلاً .
« ولعرسنا في سعد آباد دعوت بالسر ضوء القمر . لنشاهد ممّا القمر كيف يدردر شمره
« يننا تدافقين بين اناملك وردة . وردة كالكناس اللاهية .
« وبيننا يتهد ، في الليل ، طير الربيع .
« ولكي نشرب نخب الفرح في هذا العيد الكئيب ، دعوت لعرسنا ضوء القمر »

وفي اسطويزة الاميرة « مرهلاكة »

« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكة
« اجتازوا ليلاً بوابة المدينة
« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكة
« كانوا سبعة مغرمين ، مدققين .
« ومنذ ان خطرت جملة الجحيلات
« كالطيف في احلامهم
« قصدوا جميعاً ، مسجورين ، جبل قاف
« ليشاهدوا الجمال الساحر
« طرحوا معاطنهم على اكتافهم . ومضوا . وتوالت الايام .
« مضوا وعلل قلوبهم جنين .
« وعندما كان النهار يتلف بالفسق .
« كان يقول بعضهم لبعض : « قد يكون هذا المساء هو الاخير » .
« لكن منفي الشوق لا حدود له .
« فالدرب تستطيل باطراذ . والقلب يتشتت .
« ويؤت في الطريق قبل ان يبلغ الهدف .

« الفتيان عشاق الاميرة مهلاكة
« وصلوا امام بشر .
« نظروا في الماء بعين الوجمل .
« شاهدوا في مرآته عالمًا مسجوراً .
« كانت شجرات السرو الناحيات ، وحدها تحجب بالافق .
« وغيل الهم برهة اثم يبصرون فيها
« هذه الجنة ذات البنيين النجلوين والشعر الطويل .
« وتأمل اصفر الفامرين الباشيين برهة في مجاهل البشر المتهدمة .
« ثم انتزع من اصبغه خافقاً من الفضة وزماه في الماء .
« فنارت المياه كالخلم .
« لقد ادرك الفتيان الساعة الاخيرة من رحلتهم .
« حينئذ طهر عالم الخلم .
« والى عالم الخلم هذا ولجوا جميعاً .
« والفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكة .
« لم يودوا ، على فوات الستين .
« وقيل اثم لن يودوا من هنالك .
« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكة



ابو الاسكندريين

نشرت

«الاديب» في سنتها الاولى فصولاً عن الحركة الفكرية في العالم وستبدأ منذ هذا الجزء من سنتها الثانية بكتابة فصول عن ادباء فرنسا الذين يمثلون الحركة الفكرية التي عكبت الحروب النابوليونية وكان لها اثرها البارز ليس في تطور الاتجاه الادبي في فرنسا فحسب بل في مستهل النهضة الفكرية والادبية في الشرق ايضاً ومعلوم ان الجيل الفرنسي في اواخر الثلث الاول من القرن التاسع عشر طالب بسلوك سياسية تنمى وتغالىد الثورة الكبرى . ويدعي ان تجد هذه السياسة مسرح توسعها في الشرق ، ولا سيما في مصر اذ كان محمد علي ، وارث خطط بوناپرت ومجده ، لا يشد الا التناؤن الفرنسي . وكان ان الناشئة الشرقية تأثرت بذلك الاحتكاك المباشر بين فرنسا والشرق فالت الى النفاقة الفرنسية وراحت تنرف من مئينها على يد الرسائل الاجنبية التي مهّد لها محمد علي سبيل الاحتكاك بالشرق . وكانت حركة الرومانتزم في مستهلها وعلى رأسها لامرتين وهوغو وفينيي وادكار كينه واسكندر دياس وبلازاك وسنت بوف وبلاش وشارل نوديه واوغست باربيه وميشله وموتاليير والفرد ده مويه وجورج سند وغيرهم ، فنأثر بهادباء الشرق ولا تزال المسجلة الرومنطيقية متغلبة على ادجم حتى يومنا هذا . وقد رأت مجلة «الاديب» ان تتناول الصقوة المختارة من ابطال الحركة الرومنطيقية في فرنسا مبتدئة باسكندر دياس الذي كان لعصه المشهورة : الحراس الثلاثة ، والفيكوت دي براجيلون ، وموتكريستو ، وعقد الملكة وغيرها من القصص المشهورة التي نقلت الى اللغة العربية اثرها العظيم في توجيه الادباء العرب الى القصة يومنا اناسكندر دياس يمتاز عن سائر الادباء الرومنطيقين بتعذرهم من صلب لب عظيم قد يهله الشطر الاكبر من قراء العربية فقد رأينا ان نتحدث عنه في هذا الجزء . وان نرجى الحديث عن سيد كتاب القصة في ذلك المهد الى الجزء المقبل .

بعد ان أنى الجزاء دياس والد اسكندر الاب واسكندر الابن بلاد حيفا في معارك الثورة كالجوى عين قائداً أعلى لجيش اليونانية العريقة قائم قائداً أعلى لجيش الغرب وليس الاب ، ثم قائد فرقة في ايطاليا تحت اوامر ماسينا وبوناپرت ، وفي التيرول تحت اوامر جويير ، وفي مصر تحت اوامر بوناپرت . وكانت قوة الجسدية مضرب الامثال حتى لقد كان يستطيع ان يحمل على فخذه المطوية رجلين ويمشي بهما على رجل واحدة .

والقريب ان هذا القائد لم يكن يدعى دياس ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ترك المركز انطوان اسكندر دافيه دلابايتري بلاط الامير ده كورنفي فباع املاكه وهاجر الى سان دومنك . وما لبث ان تزوج فتاة حسنة تدعى ماري كوسيت دياس ، ومن هذا القران ولد غلام سمي توماس الكسندر . وبعد مرور عشر سنوات افتقر المركزين زوجته فترك سان دومنك وعاد الى فرنسا مع ابنه . وما عم الامر ان تزوج من جديد وهو في الرابعة والسبعين من عمره . على ان هذا الزواج الغريب لم يرق الشاب فاستأذن والده ان ينخرط في الجندية ، فلم يأب عليه والده هذه الرغبة ولكنه اشترط عليه



الى مغنية

لصالح الاسير

من رونقِ غصن الملا
مح في ذرى حلم مضن
خطرت فاین يدُ القرا
ر تهم بالطفیف المغني
وتزود ملعبه المدل
على ربي ابتكار عدن
نهلت له الاسحار كأس
غدي تضج على ثمنی
وتلفت شهب، وهأت
ديعة في رجم لحن
فعلى ضفاف « الآه » تحلم خفقة منه ومني
شجو البعيد من المنى في اضلعي، وصدى التجني

وانا نحيك يا بخيلة بعد امرح مل اذني
قربت النجوى اقترلا
ترققين سكبت ذلك في العروق فكان دني
فكان عهد الارض بي وببوحك المغناج يعني
أمرعت صحراء الدجي فسل الطيوب تجبك عني
وسلي وشاحك عن خيوط الوجد حولك كيف تضني
بفهم تحير كالعقيق ومقلتي طفل اغن

لصالح الاسير



مملكة العيون

فلم الدكتور قولوا فاض

حقاً انها لنعمة كبرى للانسان ، هذه العيون التي تحملها على جناح خفاق وتعطيه ملك الافاق . واي ملك ابعد سلطاناً وارفح بنياناً واجل تيجاناً؟ وهذه الجبال المسكلة بالثلوج ، وهذه الربى الضاحكة بالازهار ، وهذه الامواج التي تداعب الشاطئ . ، وأوان الخريف في الكروم والغابات ، والجواهر محمولة على اجنحة العصفير والغراش ، ولائلي الندى ، وزمر الماء ، وياقوت السماء الاخضر ورماد الضياء بذرته القدر على السواقي والحقول ، لمن كل هذه اذا لم يكن لذي عينين يعرف ان يحيلها فيها ؟ اغضض ايها الرجل عينيك حيناً وفكر بهذه المعجزة وجواب ان تعرف اين انت منها ومن العالم تدرك مقدار القوة التي تحمل بين اجفانك وتشعر بمدى الوحشة التي يعيش فيها معظم البشر . ان شئ ، الشاعر الألماني ، رأى نفسه عاجزاً عن الذهاب الى ايطاليا لمشاهدة ما في متاحفها من جميل الآثار فصاح : هنيئاً للفقير المنسول القاعد على ابواب سانت انج لانه يرى عن كثب روما الخالدة . ولكن في الطبيعة والعالم الاف من روما يمكن كل انسان ان يكمل طرفه بآهاده ان يتكبد مشاق الاسفار ، على شرط ان يعرف ان ينظر . وكمن الذين يرون امام الجمال ولا يفهمونه لانهم لا يعرفون كيف ينظرون . مثل هؤلاء ، قر الصور الجميلة في عيونهم دون ان تترك اثرأ ، ولا عجب بعد ذلك اذا رأوا هذه الاشياء العظيمة وبقيت نفوسهم حقيرة . مثل هؤلاء ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فلا يدركون وحى النجوم ولا يسمعون نحيوى الليالي ولا يفتقون معنى الروض والتدير والجبال المحلة بالوقار ، وما في الليل والقاب والموج من اسرار . مثل هؤلاء تجري الينابيع الصافية من امامهم ونفوسهم لا تنسل من ادرانها ، وتسقبلهم ابتسامة الصباح الطاهرة ولا يبحى الخبث من صدورهم وترعاهم القبة الزرقاء ، ولا تسمو اليها اخلاقهم . فهم كالعُميان لا

اسمع لي ايها القارىء الكروميان ادعوك اليوم صاحب الجلالة واستغفر الله ان يكون في هذه التسمية شي . من السخربة والمزاح فنان لك بفضل عينيك ملكاً واسعاً لا يعد شيئاً بالنسبة اليه ملك روما في اوج عظمتها وملك الاسكندر وشارلكان . والشمس والنجوم تبعث اليك سفراء من عندها ، اقول سفراء ، لاني لم اجد لقباً احسن لتلك الاشعة الجليسة التي تملأ البصر بهجة والتي اجتازت للوصول اليك مسافات شاسعة لا يحلم سفير اية دولة باحتيازها .

وقفت امس على احدى الروابي التي تتبرج اجبال واسرح الطرف فيما حولي من جمال وجلال : جبال وهاد من غابات الصنوبر تمتد على مدى النظر ، ترتفع عن جوانبها قمم شام تتعاقب متعاقبة في السماء حتى تتصل بجبل الشيخ وصنين ، ويترقها الى الغرب شباب تكشف عن مروج خضراء تنحدر نحو البحر الازرق الرابض على الشاطي . والمنبسط نحو الافق البعيد . ومن الاعماق النائية ضباب خفيف يتصاعد نحو ببطى . واطمئنان كأنه روح الوادي حاملا في طياته رشاشاً لازوردياً من اشعة الشمس الغاربة ، حتى اذا ما اخذ الضباب بالانحلاء كست تلك الاشعة رؤوس الجبال ورؤوس الاشجار حللا زاهية مختلفة الالوان يحار القلم في وصفها . فبدا لي هذا العالم الفسيح كأنه في قبضة يدي ، وخلفتني في حلم وكسدت لا اصدق نفسي ، انا الحقير العاجز المرتبط بالارض ، الواقف على نقطة ضيقة منها ، ان اشرف على هذه المشاهد جميعاً في آن واحد كأنها ملكي لا يتعني شئ . من التمتع بمنظرها الساحر الخلاب ، واكبت حاسة النظر التي اودعها الخالق في الانسان وجعلها اوسع من الجبال والبحار واسرع من برق ، فستطيع في اقل من لحظة ان تجوب الارض والسماء وتحيط بالقاصي والداني كاعظم الفاتحين . وقلت في نفسي :

تنتفعهم عيونهم بل ربما كانوا أكثر شقاء. لأن من العميان من يفضل
البصرين . وكمن ضرير يدرك سر الجمال أحسن منسا ، يحاول
تفهم الأشياء ، باللس وبأ في حواسه من تنبه خاص لا قبل للآخرين
به ، وكثير من الذين هجر النور عيونهم فأشرفت في قلوبهم وضأثرهم :
هو ميروس وابو الملا ، وملتون وغيرهم . وقد عسر بعض الشعراء
أبا الملا . بالعمى فقال :

قالوا العمى منظره قبيح قلت بفقدى لكم بهون
والله ما في الوجود شي . تأسى على فقده العيون

وهو قول فيه كثير من المبالغة ، ولعل الشاعر أراد أن يعزي
نفسه بإفحام خصمه فكأنه يقول العمى ولا رؤية الناس وما فيهم
من شر وحسد وحقارة . ومن هذا القبيل قول الحوراني في آخر :

ما انت عائن الضرير حقيقة

بل انت ذو النورين في أيامه

لكنها اغضت من هذا الوري

كي لا ترى ذا الجهل فوق مقامه

والحقيقة أن في الطبيعة شي . لا تحصى يجلب النظر إليها لذة
كبرى للإنسان وما خلا بعض الأحوال النادرة كما عند النوراني
فالحياة لا معنى لها بدون العيون . وقد عرف الناس ذلك حتى في
أبعد العصور الهمجية فكان في فقدها اعظم قصاص الجرم .
يروى عن نينوس باني نينوى أنه هدد زوج حيراميس بالعمى إن لم
يطلق زوجته لتكون له فشتى الزوج نفسه ومثراً الموت على ذلك .

ويذكر التاريخ أن زالكوس المشرع اليوناني للقرن السادس قبل المسيح
أضاع إحدى عينيه لأنه سن قانوناً لمدينة لوكرا يقضي بقطع عيني
الفاسق ، وحدث أن ولدأ لاستحق هذا العقاب فلم يكن منه إلا أن
تقدم نحو القضاة وقال ان القانون يطلب عيتين فانا أقدم عيناً من
عندي وعيناً من ولدي فيستوفي القانون حقه ويستوفي حناني الأبوي
حقه فأحفظ البصر لأبني .

ولست العيون للنظر فحسب ففيها كما قال أرسطو ترجمان
الإنسان ، بها تعرف البلاهة من الذكاء ، والحاقة من الحياء ، والبغض
من الحب والشكر من الخير والمرض من الصحة . هي مرآة النفس
التي لا تتحدع والتي تتجملع على الوجوه ملامحها الحقيقية . في عيون

الأطفال طهارة واطمئنان وظلماً إلى المعرفة ، وفي عيون الأمهات تاريخ
حبهن الوالدي وما فيه من ألم وتضحية . هناك عيون شريرة وعيون
محتالة وعيون صادقة وعيون مفاتنسية ذات سلطان قاهر فتجذب
او تدفع وتؤلم او تؤاسى ونحيي او تميت .

ان العيون التي في طرفها حور

قتلتنا ثم لا يحيين قتلتنا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن اضعف خلق الله انسانا

ولكلمة العين في اللغة العربية معاني كثيرة غير البصر أهمها
الينبوع ، وهو تجانس في اللفظ والمعنى ، أو ايس الينبوع عيناً زرقاء .
مفتوحة نحو الماء ، يتعكس فيها النخيل وبياض المناظر والغيوم
السارحة ، كما ان العين ينبوع يسيل منه دمع الفرح والحزن ويشع
منها الجمال وتنعكس عليها احلام النفس الحائرة ؟ وقد كان للعرب
جولة واسعة في العيون فنظموا فيها ما لا تحده عند غيرهم من الشعراء .
ونفقوا بحجاستها وتوسعوا في وصفها فتعوتها بالنماس والذبول والغنج
والغثور والصحة والسقام ونقطنوا ما شاء . التفنن فشهوها بالسيف
كما شهوا الاجفانك للأغاد واستعاروا السماء لزرقتها والليل لسوادها
وجعلوا فيها معاني للبحر والزهو ومناظر الطيور والبحور الى آخر
ما هنالك بين منظوم ومشور .

تلك هي العيون وهذا سلطانها الواسع ولهذا كان الواجب
علينا ان نعتي بها ما ممكن العناية وحفاظاً على صحتها وقوتها
والعناية لا تقف عند حد النظافة وحمايتها من القبار والذباب وما
شاكل بل تتناول الاقتصاد في كل الاعمال التي تجهد العين والاعتدال
في الحياة والعفة في المأكل والمشرب وما اجتنب السهر الطويل والنور
القوي . مملكة العيون نعمة الانسان على الارض لا تحتاج في حمايتها
الى السلاح والجند بل الى مراعاة شروط الصحة ، والاحصا فينا قول
الشاعر :

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته

وكل من لا يوس الملك مجامه

نقود قباض

العساكر الذين يقتلون همسهم



ليس في الإديا. والمتأديين من يجهل قصة الشاعر ديك الجن الذي قتل حبسته وشرب دمه وقال فيها هذه الايات :

ياطلعة طالع الحسام عليها
رويت من دمها الثرى ولطالما
قد باتت سيني في مجال وشاحها
فوحق نعلها هو، او طلى الثرى
ما كان قتليها لاني لم اكن
لكن ضللت على العيون بحسها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
روى الهوى شفتي من شفتيها
ومدامي تجري على خديها
شيء اعز علي من نعلها
أبكي اذا سقط الذباب عليها
وانفت من نظير الحسود اليها

وقد قال اوسكار ويلد ان كل ادرى. يقتل من يجب اما بالسيف او بالكلاب. والواقع ان معظم أبطال المسرحيات المشهورة في الادب لا يقتلون بل يقتلون الحبلى. والفرق بين القتل والقتل هو ان القتل يقتل الجسد فقط، بينما القتل يقتل الجسد والروح. وروكسان لم تقتل مزاحمتها أناليد بل قتلت بيازيد الذي تحبه ثم قتلت نفسها. واذا راجعنا مآسي شكسبير تقع على عشاق يقتلون عشقاتهم. ومن لا يعرف مأساة «عطيل المغربي» شاعر الانكليز؟

تذكرون ان ديدمونه، ابنة احد اشراف البندقية، تترك والدها برابنتيو لتلحق بعطيل المغربي، وتذكرون ايضا ان برابنتيو هذا يشكو الماشق الحافظ امام مجلس الشيوخ، سوى ان مجلس الشيوخ كان بحاجة الى القائد عطيل لمقاتلة الترك الذين يهددون قبرص فيصرف النظر عن جرمته. وقيل ذهب عطيل الى قبرص يذره والد زوجته بقوله: «كن على حذر ايها المغربي، وانظر بعينيك، فالتى خدعت والدعا قد لا تحجم عن ان تحمداك». فيقول له المغربي: «اني مؤمن بها». سوى ان الوالد يكون قد زرع اولى بذور الشك في نفسه.

ويذهب عطيل عاهداً بزوجته الى صديقه الضابط ياغو. وكان احرى به ان يعهد بها الى الضابط كاسيو لانه كان قد رقاها ولم يعبأ بياغو، فتشور نفس هذا الاخير ويضمر الانتقام لمن عهد اليه بزوجته. واليكهم خطته الرجيمة. قال ياغو في نفسه: «اية غرابة في ان يحب كاسيو



اوفيليا حبيبة هملت

ليتمن وفاءها .

وإذا نحن استبيننا الحادثة الفاجعة التي انتهت إليها مسرحية عطيل واحفظنا بالنسيئة كان لنا قصة جنيفاء ده برايان التي حكم عليها بالموت وضاعت في مجاهل الغابات . وهذه القصة أشهر من أن نسرد موضوعها هنا .

وإذا انتقلنا إلى سواحل الدانمارك رأينا قصرأ فسيح الاراجا . من قصور عبد الانبعاث بشرف على البحر في شمالي كوبنهاغن . في هذا القصر جرت مأساة هملت الذي قتل جبه هو كذلك . وأي اديب لا يعرف قصة هملت وجيئته اوفيليا في مسرحية شكسبير ؟ كان الامير هملت يحب اوفيليا وكانت اوفيليا تبادلها حبه . على ان شقيقها لا يرت لم يكن . ومما يحب الامير لاخته فيحذرهما قبيل سفره الى فرنسا قائلا . « ان حبه لك عطر دقيقة واحدة ثم يتلاشى » ويسمع والدها بولونيوس الفترة الاخيرة . من حديثهما فيحذرهما هو بدورهم لكن على طريقة الخطي الذي . قال : « ماذا يرتك وبينه ؟ » قالت : « انه ما يرح منذ زمن يكاشفني بحبه وحانه » قال : « أتصدقني ؟ » قالت مضطربة : « لا أعرف يا سيدي ما ذا يجب علي أن أعتقد » قال : « انك لابنة غافلة فقد قبضت نقدك المزيف على انه نقد حقيقي » قالت : « ولكنه أقسم لي » قال : « لاتصدقني على انه نقد حقيقي » قالت : « فالتسم ليس سوى حلف كاذب غابته اخاء . مقاصد مخيعة » وأمرها بان تكف عن محادثة هملت فأذعنت . ومنذ تلك الساعة حرمّت على هملت الاقتراب منها واعرضت عن فتح رسائله إليها . وفي تلك الاثناء يرى هملت خيال ابية القتييل ، واول ما يخطر في باله ان يسرع الى اوفيليا فتصدده . وتحجر والدها بالامر قائلة : « كنت منهيكة في مخدعي عندما دنا مني السيد هملت مبعثر الشعر مرتعش الاعضاء . قدر الشيبا كأنه هارب من الحجم ليقول اشياء مخيفة . »

فيقول لولونيوس : « لقد جن بك . » فتصدقه المسكين . ويهرول بولونيوس الى الملك ، هم هملت ، ويحججه كيف انه هملت احب اوفيليا وكيف ان اوفيليا ابت ان تستقبله وان تتناول رسائله . وتلقى اوفيليا هملت في الساعة التي كان يفكر فيها بقتال والده ويختلس عرشه فيقول لانه لا يحبها وانها لم يشعر نحوها بأي حب .

ديدمونه ، وان تحب ديدمونه كاسيو . ٠٠٩ فنفسي ان تشعب ما لم اوقع عطيل في اعنق لحج الغيرة القاتلة .

ولا يعم الامر حتى يتمكن ياغو من استدراج كاسيو السريع الغضب الى امتشاق سيفه في مشاجرة يدبرها ياغو قصداً ، فيعزله عطيل ، واذا يقطن كاسيو من غفو قائده يوسط ياغو في الامر فيقول له هذا الاخير : اذهب الى ديدمونه .

ويقول في نفسه : « سأفرد بعطيل واجعله يرى بام عينه كاسيو يتوسل الى زوجته ديدمونه . ٠٠ »

ولكن عطيل لا يحمل توسل كاسيو على يحمل الشر لشدة ثقته بزوجه ، فيواصل ياغو زرع الشك في نفسه حتى يسمع عطيل يقول له : « اعتقد ان زوجتي امرأة صالحة واعتقد انها غير صالحة . فانا بحاجة الى برهان قاطع » . فيعطيه ياغو هذا البرهان وهو مندبل كان عطيل قد اعطاه لديدمونه . وقد كنه هذه الاخيرة ، ويرغم ياغو انه رآه مع كاسيو . فيصدق عطيل الخبر ويقول لياغو : « انظر الي يا ياغو ، انظر كيف اني اقلص بنفخة من حبي الاحمق واذريه في الويسج . ألا فليترك الانتقام في صديري وليسبح يوم افعل به » وهكذا تقدر موت ديدمونه . سوى ان عطيل يدعي انه اصبح لا يجب التي صح عزمه على قتلها . فيأخذ بيده كاسيو ويدفعها عنه صارخاً : « لماذا تضجين هكذا يا حب . كنت اود لو لم تلدي . » ثم يهوي عليها يتنازعه الغضب والشفقة والحب . ٠٠٠ ويقول لها : « اذا اطلقت شلعة حياتك يا اجمل ماصنعت بدلا لطبيعة لا اعرف أين اجد تلك الشرارة الناموية التي تستطيع ان تحييك . يجب ان تقوي . واريد ان انشقك بعد وانت حية . هذه قبلة وهذه اخرى . سأقتلك ثم احبك . »

وهكذا يقتل الحب الساخط الممقظ . على ان الحب السعيد ليس دون الحب الشقي عسفاً وجوراً فهو لا يلبث في وسط سعادته الكاملة النقية ان يشعر بحاجة ملحة الى وضع الحبيب موضع التجربة والامتحان . فيأخذ بتعذيبه بدون هواده ليأخذه بعدئذ بين ذراعيه ويعجده لما ذاق من الالم . وهكذا يتصلص ذو الغيرة من شكوكه على نحو ما جاء في اسطورة كورنيليديس ، الراعية الحسناء التي تزوجها المركز ده سالوس واذاقها جميع الوان العذاب

وفياً لا يصدق بسرعة كعطيل المغربي ، ولا يساوره القلق كزوج كوريز بليديس ، ولا يذهب الى الحرب كزوج جنيفاف ، ولا يكون شرها كفوست ، بل يجب بقاب صادق وبكل روحه فاذا يكون ؟

يكون ان الحب نفسه يرقى الى الموت كشعلة تصعد الى العلا . في

سما صافية الاديم . وقد لا

يكون فينا من يمسح حب

ترستان وايزولت . فقد احبت

ايزولت قاتل خطيبها وهو قرصان

يدعى مور هول . وكانت تعتقد

ان هذا القاتل يدعى تنقريس ،

ولما علمت انه يدعى ترستان

وانه جاء يطلب يدها لعمه

الشيخ الملك ، اترك جنت من

يهر الغضب وحاولت ان تقتله .

ولكن احدى الوصيفات دارحت

الشراب السام من القدح الذي

اعدته ايزولت ووضعت مكانه

شراب الحب .

وحينئذ ادرك الحبيبان ان

الحب البشري لا يطفى . الغليل

فهر يخلق الحياة البشرية ولكنه

يتجاوزها ، ولا يعجل نبضات

القلوب الا ليوقفها في القبضة العظمى ، في القبضة الابدسية ،

فكل ما نعرف من الحب ليس سوى الدرجة الاولى من سلمه .

فهر لا يكمل الا في ما وراء هذا العالم الناقص . والى ذلك العالم

الكامل ، العالم الجديد ، اراد ترستان الذهاب فقال لحبيته :

« اتبعيني يا ايزولت ؟ » وهل يوسع ايزولت ان لا تتبعه الى ذلك

العالم الذي يعيش فيه الحب حياة ابدية ، الى ذلك العالم الذي لا

يبقى فيه معنى لا للحياة ولا للموت ؟

وبعني بذلك ان الحب في هذا العالم البعث ليس سوى وهم من الاوهام وانه هو لم يبت من عالم الاحياء . ولكن اوفيليا لاتدرك مغزى كلام هملت . وحين يقتل هملت والدها تصاب هي بالجنون وتقع في نهر قتموت . وهكذا قتل هملت حبيبته اوفيليا .

وبديهي ان مأساة هملت

او بالاحرى مأساة اوفيليا غريبة

معقدة . فالعاشقة المسكينة

تؤخذ بدسائس والدها التي

تطعمه كالآلة وتصير حبيبها في

الوقت نفسه . وفي هذا طريقة

اخرى من طرق قتل المحبين

لاحباؤهم وهي تضحية الحبيب

بجنيده في مسامرة مصيره

المحتوم .

واذا راجعنا مأساة

« فوست » اتوني نفع فيها على

مثل هذا الحب القاتل . فني امرأة

سحرية يرى فوست على حين فجأة

اجل وجهه في العالم . ويكون

فوست قد تعاقد مع الشيطان فغيتو

وشرب شراباً سحرياً فيقول له

مفستو : « هذا الشراب ساتي

في كل امرأة وجهاً كوجه هيلانة هذه » ولا يعم الاثر ان يرى

مرغريت فيؤخذ بجياله ويقع في حبها . على ان مرغريت طاهرة

نقية فيوجب فوست على الشيطان ان يأتيه بها في الحال . فيطاب

الشيطان فرصة لان الفتاة طاهرة بريئة ليس له عليها اي سلطان .

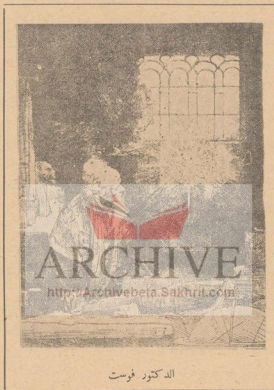
ويذهب مفستو فيجني بجقته جواهر ويقدمها الى مرغريت

مهدداً لحديثه بكلمات معسولة خداعة . وهكذا يقتل فوست

طاهرة مرغريت ، على ان الحب يواصل طريقه المحفوف بالمصائب

والعراقيل والاحاييل .

ورب قائل : واذا تصورنا حباً كاملاً . اذا تصورنا حبياً



الدكتور فوست

تعالوا

معي تزر رئيس التحرير ، في الذ دقائق نهاره ، في الملاحظة الذروة التي تكال جهوده وجهود مموليه . نحن في مكتب فخم هو جزء من بنا ضخم يمثل شارعاً من اكبر الشوارع ، في احدى عوادم العالم ، نرى احد الكتبة يدخل على رئيس التحرير ويضع امامه الجريدة وهي لا تزال طازجة رطبة ، باضتها المطبعة منذ هنية ، فياقي عليها رب المكتب نفارة فطنة عجي ، ويهرها بتوقيع راضياً . تبهجاً . ويقدم الكتاب المتظار ان التجربة الاخيرة ناجحة ، وان يوسع هذه النسخة الاولى ان تتوالد وتتكاثر وتتناقل : مليوناً ومليونين وثلاثة ملايين حتى غلاء الدنيا . . . فيحصل الى حيث المطبعة ، في مكان بعيد على الاعاب ، شاسع يستوعب ما شا . من الورق وربنا مصنع ورق بامه واويه . ويتدفق شلال المطابع بجرائد مطوية تكون في انتظارها السيارات والدراجات والطائرات وتوزعها في شتى انحاء العالم . ويقف هذا الشلال بين حين وحين ، ليضاف الى الباي آتور ساعة وآتور دقيقة ، فخر انقلاب او زلزال او فيضان نقلته الملاحظة اسلاك البرق او امواج الاثير

ويغادر رئيس التحرير مكتبه وقد انتهت مهمته . ويقصد الى البيت او النادي ، وقد القى عبثه عن كفيه وهو واثق بان هذا الـ الحافل يشق المشاكل والوان ، المستطى ظهر صحيفته ، سيصيب اهدافه كلها . فقد سخر له ابرع الاقلام ، وجابه باحسن التنسيق والتنسيق وزوده بأسرع الاخبار واهم الحوادث وزانه بامت الصور ، غير ناس اشهى الموضوعات واشوقاً ، وغير مهمل على الاخص ما يهيم المواطن اساليب التجميل والخطاطة والطبي وقصص الحب والمغامرة . ولا يتقاعساً عن اشباع فضول رجل المال وبطل البورصة وهاوي الرياضة وفارس الملاهي والسهرة . انه على يقين من ان قيمته السائلة هذه ستلبيها عقول القراء . هاجت كل ما فيها . واي بأس ان دس بض الدم في الدم ، واي بأس ان مزج بعض الزيف والبطلان بالحق ، دام قد حرص على الدسم والحق في الدرجة الاولى . وكال السم والزيف بقدر محبوم خالفاً عليها بحكمة وفن كل برافع المنطق وحل الافعال ؟

لا ، انه يعرف جمهوره ويدرك ادواقه الى حد بعيد ، فهو يعلم اننا نحب وما نكره . فلا عجب ان اعطاه اكبر قسط مما يجب ، واقنعه تدريجاً بـ ما يكره ، مجرد اياه المر باصفاء الجرمات والاعمال

<http://Archive.org/details/1911-1912>

ويتسأل صاحبنا رئيس التحرير ، وهو في طريقه الى البيت او النادي ، عن الاهداف التي سيخترقها في الصدم مستعرضاً حوادث اليوم : ضربة كسوف لموتة ابن حزبه او نصيره او مرشحه السياسي فلان ، بعرض مهمة او مائة له عرضاً طنائاً يكسبها اكبر نصيب من الاهتمام والانتباه ، وضربة معمول في خصمه بشر فضيحة صغيرة او محتلفة اختلافاً فنياً ، ومقال لاديب كبير او اقتصادي ذي شهرة في تحجيد مشروع او الخط منه ، وعرض سياسي يثير الفتلى والشبهات حول حادث حدود طارى . ، صاعداً او هابطاً بقم البورصة واسمها . وغير ذلك كثير ، موضوعة كلها في الاطار الحكم الجليل الذي تحدثنا عنه اعلاه ، من الاخبار السريعة الصحيحة التي لا تقبل الجدل ، والموضوعات المتنوعة الشائكة التي لا تبتقي على ملل . ثم تلك الاعلانات التي لا تحيا بدونها جريدة لكثرة ما تدل من لبن وعسل . . .

ويصل صاحبنا الى النادي - نعم الى النادي لا الى البيت - فخير لنا ان نراه في النادي . وما يدخل القاعة الكبرى حتى تشخص اليه الابصار ، وتبرع اليه الحسان من كبريات السيدات ذوات المطامع في الشريرة والجاهلن اولبعولتهن او لاختدانهن ، وليس الرجال في الترحاب به واحاطته باقل اكراماً منهن . كيف لا وصحفيها صاحب حول وطول ، بيده الخير والشر ، يمزج شر ويوصل من يشاء ، ويذل ويحبل ويبقي حيث هو ، من يشاء . انه ليس برئيس ولا يصنع الرؤسا ، وليس بوزير ولكنه يخلق الوزراء ، وليس بنائب ولكنه يوصل النواب .

ذلك هو الصحفي ، وتلك هي الصحافة في الامم المتقدمة هذا العصر . انها لم تبق السلطة الرابعة في الدولة بل السلطة الاولى . لانها الاداة الوحيدة الاعراب عن هذه القوة الكامنة الجديدة التي يسمونها الرأي العام ، في الشعوب الراشدة . بل ان الصحافة لا تكتفي بالاعراب عن رغبات الرأي العام ، لانها تسيره وتقوده او توقفه وتلجمه احياناً كثيرة ، بفضل الثقة التي يولياها ايها . وهي على هذا الاساس منشار صقالة ، رابع في الالب مع الرأي العام وعليه ، طامعاً وتزلاً . . .

ان الجريدة في عصرنا ، دليل على اكتساح الثقافة وانتشار التعليم ، وتزايد قوة الفكر . وهي الصف الاخير الذي لا ينهي المدرسة . وهي لذلك تتناسب في رقيها مع المدرسة في كل بلد ، فحيث تؤدي المدرسة رسالتها التثقيفية والتثقيفية خير ادا ، تقوم الصحافة بمهمتها التكميلية احسن قيام .

قلنا ان الجريدة مظهر من مظاهر قوة الفكر . بل هي اهم هذه المظاهر وان لم تكن ارقاها واناقاها كالكتب . مثلاً . فالكتب تتطلب جهداً ووقتاً لمطالعها ، كما تتطلب وقتاً وجهداً في تحريرها . والوقت في عصرنا نادر ثمين ، والجهد غير متوفر دائماً ، لانه مشغول في شؤون الحياة الشتى . وليس الانسان الجديد الرغب في غذا . معنوي يومي غذا . يرضي نهشته الفكرية الملحة دون كبير عنا . وبقدم له في الوقت نفسه مؤونة تنفعه مباشرة في امور معيشته ، ليس له الا الاخذ بهذه الكتب الصغيرة الدورية المصنوعة على عجل ، التي يسمونها صحفاً ، يجد فيها ان لم نقل الغذاء الروحي المطلوب ، فضلاً على الاقل لهذا الغذاء ، وسراباً يعطى غلة الظلمة من بعيد . وهكذا باتت الجريدة اليومية صنو الخبر اليومي ، لا مفر منها للانسان العصري الاخذ بنصيب من الثقافة . ومن هنا مصدر قوة الصحافة التي لا تضبط . فكما يحتمل الخبر من اطعمتنا المكانية الاساسية ، رغم انه ليس بالذها ولا افيدها ، كذلك الجريدة كسبت جبروتها من العادة والتكرار ، فهي آخذة بخناق قارئها صباح مساء ، غير تاركة له فرصة في النفس او الانفلات ، لا تنفك تجره بطابعها وتلقي عليه ارادتها وتفرض وجهات نظرها . كل ذلك وهي تاركة له الوهم ، بانه السيد ، وانها لا تصدر الا عن رايه ، ولا تتوخى الا التعبير عما يجول في نفسه من عواطف ورغبات . وقدرة الصحافة هذه ، لا تخضع للعادي . في كل بلد ، بل هي كاية مطلقة حيثما كانت ، لا فرق بين ديوقراطية وديكتاتورية . والفرق الوحيد انها طليقة حرة في الاولى ، مقيدة مغلوطة في الثانية . فالدكتاتور لم يستطع القضاء على الصحافة او عدم المبالاة بها او الاستغناء عنها ، بل اشتراها دفعة واحدة ، واستقلها لمازبه وكانت المروج الاول ، والدعامة الاساسية رغم انها مغلوطة . ولا شك ان الصحافة الحرة افضل في الاقتناع . ولكن الصحافة خير لابده منه ، وكما يقع احدنا بخير اسود او مخلوط في الشدائد وبعثاده ويتذوقه في النهاية بعد ان يكون صدف عنه بادي الامر ، كذلك الجريدة ينفع بها مكروهاً كيفما كانت ، مادامت تؤمن له نصيبه المعتاد من القوت الفكري المستعجل .

وبينا نرى الصحف في البلدان الديكتاتورية ذات لون واحد ، ومزجي واحد ، كخبر الموحد في اكثر بلدان العالم هذه الايام ، للقمع فيه نصيب معين ، والذرة والشعر نصيب معين ، وقد تكون نسبة الشعر فيه اكبر من نسبة القمع ، نرى ان الصحف في البلدان المتمتعة بحرية القول ، كثيرة الالوان . فهناك جرائد العقيدة وهناك جرائد الاحزاب ، وغالباً ما يلتجئ جرائد العقيدة بجرائد الاحزاب ، لان الجريدة تكون لسان حال الحزب ، وللحزب عقيدته المعينة . وهناك جرائد يسمونها جرائد اخبارية ، اي انها خلو من كل نزعة ولون ، مستقلة عن سائر الاحزاب . ولا يعني ذلك انها زاهدة في العقائد والاحزاب . ولكنها تحتمل العقائد بشروط معينة ، وحسبما يترأى لها او حسبما يروق الجمهور . وهي لا تحتمل حزبا معيناً ، ولكنها لا تضن بجداماتها على كل الاحزاب مسترشدة ، اما بالصلحة العامة ، واما بالصلحة الخاصة .

ولجرائد العقيدة او الراي قيمة واحترام اعظم . ولكن قراءها اقل ، ومواردها اهل ، فاصحاب الراي الثابتون على آرائهم الذين لا ينجحون منها مهما تقلبت الظروف قلة في العالم . كما ان استمرار الجريدة سنين طويلا على مناصرة رأي معلوم ، والنظر الى سائر مرافق الحياة وتطوراتها من خلال نافذة هذا الراي ، قد يشيع الملل في القراء . لا سيما وان السواد الاعظم ميل الى التنوع والتغيير . أما اذا كان مثل هذه الصحيفة حزب وراها ، يشد من ازرها بشتى الوسائل المعنوية والمادية ، فرواجها يتوقف عندئذ على مبلغ قوة الحزب ، واتساع ، وارده . والى جانب هذه الصحف ، تقوم الصحف الاخبارية التي يمكن ان نسميها « تجسارية » . فهي لا ترمى الا مصلحة انتشارها ، ولا يهملها الا ارضا . اكبر عدد ممكن من القراء . وهي مقبلة على كل ما من شأنه ان يميز بموازنتها ، ويزيد مواردها .

تلكم هي الصحافة في العصر الحاضر وفي العالم المتقدم ، وان سألتموني عنها في بلادنا وانا احذر استخدامها اجبتكم : تطلعوا الى المدرسة والى نسبة الامية ، والى ما وصل اليه الراي العام من درجة الرشد والى مبلغ جوع الفرد للطلعة والاطلاع ، ثم احكموا اصحافتنا وعليها . ولكن ما من شك انها تسير قدماً نحو العلاء وانها آخذة في بسط سلطانها . ما دامت البلاد في نهضة ، والشعب في تفتح والثقافة العامة في ارتقاء .

الشعر النبطي في نجد

فلم أحمد عبد الجبار

وسكوناً غريبين .

واما اغراض هذا الشعر فتباينة مختلفة تبعاً للاظرف الذي يحيط به غير انها لم تعد اصول المدرسة القديمة من الغزل والمديح والهجاء والرائة الى ما هنالك من ابواب الشعر المختلفة ولكن مدرسة النجديين لها قوانين متبعة تفرض على الشاعر نفسها فرةً فالغزلي لا بد له ان يكون سلس اللفظ جزله حلو العبارة قادراً على الاتيان بتشابهيه جذابة تحمل السامع على المقارنة وتدنيه من شيء حسي ملموس .

وإذا اردنا ان نتحدث عن غزل النبط وجب علينا الحديث عن (الديس) تلك الشاعرة الواقعة التي يناشد اهل الجزيرة قصائدناها ويعطرون لانعامها وتلخص قصتها في انها احبت رجلاً له مكانته في قبيلته وتحول القوارى الاجتماعية بينها وبينه فتندب حظها العاثر وتخطف مولده فطلي منحاى اعطف وتور نفسها فتقول:

أنا هواي عليم (١) من مع الهور (٢)
هو عشقتي من ناكلين (٣) اتفاقه (٤)
شوق الظلم (٥) اللي تحذر مع الغور (٦)
دم القرى (٧) مجرى على كرش ساقه (٨)
هو صار لي عوقن (٩) وأنا ضرت عاثور (١٠)
والكل منّا صار شوقه شفاقه (١١)
يلعب بقلبي لعبة البوش (١٢) بالبور (١٣)
ويومي (١٤) به أوماى (١٥) العصار بالعلاقة (١٦)

ومعنى الآيات نشرحه كما يلي :

انا حبيني غلام من جنوب العراق (لابعاد الشبهه) ومن حملة البنادق يكر كذكر النعام مع رأس الخليج وعلى ساقه آثار دم الصيد ولقد اصبح عاثراً لي وصرت عثرة له وشوقنا لبعض جد عظم وهو يلعب بقلبي كما يلعب الضمار لعبة البور ويطرح به

ان امر الشعر لغريب . هذا المزهر المشدود على قلوب العرب منذ فجر تاريخهم حتى اليوم . هذا اللحن الخفي الذي تترنح له نفوسهم وتحن به افئدتهم وانك لتلزل بالحاضرة فلا تسمع الا الشعر وترد البادية فتجده بانتظارك ، وفي كل بلد له رقة ، وفي كل حي له ضرب آخر من الفن . وكـ من قبيلة شنت الغارة على رفيقتها لبنت من الشعر وكـ من حزازات تأصلت بسبب الشعراء ان هذا السر الخفي يكاد ينصب على وقته حياة بني الصحراء .

ولقد عرفت النجديين كمن عرفت من العرب فوجدتهم اشد حساسة للقبض ولست فيهم من دقة الحاسة ورهافة الشعور ما ذكرني بالاجداد الاوائل فالنجدى اذا تحدث عن الحرب لا يفوته ذكر اناشيدها وإذا استملح شيئاً حرص كل الحرص على التسلل الى بيت فلان وفلان واعم الشعر في نجد ما يسمونه بالنبطي وهو لا يمت لانباط البقاء ومدائن صالح ومعان بصلة وانما هي صفة اطلقت عليه نسبة الى نبض الانسان واختلاف دقاته وقد قلبت « الضاد » الى « طاء » مراعاة لهجة القوم المتبعة ويقال له لدى اهل الحجاز الشعر « الخنبي » وهذا النوع من الشعر ، اي النبطي ، هو دون الفضيح وارتقى من العاصي في سبكه وحبكه وهو موزون تراعى فيه القافية ويلتزم الصدر بالصدر والعجز بالعجز في اكثر الاحيان ، ولغته هي لغة الحياة اليومية مع حقل وتقن واما الوزن فانه مستمد من ضروب سير الابل وسمى بحسب نوع السير فهناك الذميل والوجيف وهناك الوخد والرسيم وعندما تسمع نغمة الذميل تشعر بشي الناقة اللين وتحس باضطرابها في التبعويد وعدوها في الرتكان الى غير ذلك من المألوف ولا بد لي ان اذكر بان السيارة لما اخترقت حدود الجزيرة وعرفها النجديون استنبطوا اوزاناً للشعر يشبه وقعا سير السيارة وان اجداد الجبل اخذت تطور الى انعام جديدة فيها من الروعة والفن ما يبعث في النفس طمأنينة

كالحبل المعقود بالعا .

وهذه الصورة لا تتناسخ الا اذا فبت جيداً وجمالها في سذاجتها وتبليها الحياة البسيطة وما تحمل من تفكير بسيط . وقد نالت الدقبس بسبب غرامها كثيراً من الذل والهوان ولكنها منحت عطف القبيلة ووالد الحبيب وبسم لها الحظ فتزوجته وبهذا انتهى الفصل الاخير من روايتها .

وعندما تدق طبول الحرب ويرن صدها لا تجد تجديا يتوانى عن غوص غمارها انهم سيعفون بالقتال الى حد بعيد ويعتبرونه ضرباً من الرياضة وفي مثل هذا الحال يتبادر الشعراء لالهاب النفوس والحامسة ويتسابقون في وضع الاناشيد الحربية والترنم بها لتسري بين القبائل . والثناء عامل كبير في نشر هذا النوع من الشعر ولكل آلة موسيقية وزن خاص واليك البيت التالي فقد سمعته يغنى على الرابابة :

يَا نَاشِدِ عَنِّي تَرَانِي أَشْلِي وَيُحِبُّ

ذُئِبَ عَلَى قَطْعِ الْخَرَائِمِ عَزُومِي

اي ايها السائل عني اني كثير التنقل والاسفار كذئب لهزم على قطع المسافات الشاسعة .

وعندما وقعت الحرب اليمنية السعودية الاخير كان الجيش السعودي يتنم بالبيتين التاليين :

ذُئِبَ عَوَى يَدِيَارَنَا

وَدِيَارَ حَيِينَا وَرَاهَ

يَا ذُئِبَ جُوكَ خِيَارَنَا

يَمْزِجُ يَوْضِي سَنَاهَ

ومن النبطي الحائلي الايات التالية :

اَنَا عَلَى لَانَ وَرَبْعِي عَلَى لَانَ

وخالف ويسري ويسر الجماعة

أَضْرَبَ عَلَى الْقَاسِي وَلَوْ صَرَّتْ بَلْشَانَ

وعند الولي وصل الجبل وانقطاعه

أَمَا تَحِي عَقُودَ لَوُؤْ وَمَرْجَانَ

والآ فعي ليمس يطير يشعاعه

النَّاسَ مَا تَسْقِيكَ لَوْ كُنْتَ عَطْشَانٌ

لَعَادَ مَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْ ذِرَاعِهِ

لاني ولد شاوي ارضع من الضآن

وَلَا أَقْبِلُ لَطْمَنَ النَّفْسِ عَقَبَ ارْتِفَاعِهِ

هنا مضاء العزبة وثبت النفس على رأى سنته لما فيقول الشاعر

انه على رأى يخالفه فيه بنو قومه وهو مصمم على المضي بما يعتقد

صوابا فاما عقود لؤؤ ومرجان واما نهاية مرة وعلى كل فالانسان

اذا عطش لا تسقيه الا يدها وشاعرنا ليس رضيعاً حتى يتردد . انه

يأبى اذلال نفسه ما دامت في عزها وهذه الايات البسيطة تمثل

النفس العربية الالية باجلى مظاهرها وخصوصاً في فرديتها واتانيتها .

وفي الشعر النبطي حكم بالغة ووصايا جمة اشهرها لاني مالك

وبه مراني جميلة وهو يشتمل على كل الاغراض ويشل جميع وجوه

الحياة ولست ادري الملة حقاً في انتشار هذا النوع من القريض الا

لانه اقرب الى نفوس الاعراب دون سواء فهم يفهمونه جيداً

ويحفظونه غيباً ويتناشدونه في مجالسهم واذا بان بدو العراق واليمن

وسوريا والبقية الباقية من الجزيرة يفهمون النبطي على انواعه المختلفة

ويطربون لتأليده وصوره الاخاذة رغم تباين اللهجات واختلافها .

وهناك نوع جديد من المملقات يأخذ فيه الشاعر بنظم كل بيت على

كل طرف من طرفي البيت اهجاء سواء في القول او في المديح .

وفي الشعر النبطي حذاء الصحراء وحسن الكشبان وغناء

السراويل وصليل السيوف وكنت اود ان اشرح بأسهاب عن شعراء

أرياض وشعراء عنيزة وبريدة والعجبان ومطير وغيرهم وغيرهم وأريدك

كيف تتور بهؤلاء القوم نفسية مثلية حتى تتأخذ الوعة كبيرهم

فتسمعه يدهم بالنبطي وتحاب النعمة جفسيهم فيجدو بالنبطي

وتندفع القبلة كلها فتدرد البادية صدى الذميل والرسم والرتكان

كل ذلك من النبطي ولكن اني لي ذاك وقد نأت الدار ووهنت

الذاكرة وانستني الايام ما كان يجب ان لا انسى

والخلاصة ان الشعر النبطي في نجد هو ادبها ولا ريب فيه ثرة

افكار شعرائها وبه تدرك نفوسهم وتتجلى ابصارهم ويطل لهم

الامل من كوة الابعاد .

احمد عبد الجبار

(١) غلام (٢) من قبائل العراق (٣) حاملين (٤) البنادق (٥) ذكر النعام (٦) رأس الخيل (٧) الصيد (٨) مقدمة (٩) عائق (١٠) عشرة (١١) منية (١٢) الاطفال (١٣) اللعبة المرفوعة لدى السوريين (بالصفورة) (١٤) يطوح (١٥) إياء او تطويح (١٦) القعدة او المفلح .

مصدور

يستقبل العام الجديد

بنظم

الدكتور حسين سري الدين

هوذا الساعة تدق ، فاصغي يا اماء اذا كانت تبلغ الثالثة عشرة ، ها قد بلغت الحادية عشرة وكأني بثلث المطرقة ترتفع لتضرب الضربة الاخيرة ، واخافس الان متأرجحة في الهواء . تشرف من عليائها على عامين احدهما يولي الادبار بين هتاف الفرحين واثاث التآلئين وثانيهما يشد رحاله ليسير في موكب الاجيال . وهذه المطرقة لم ترل ماضية في اهوائها لا تلوي على شي . وجل ما تبتغي هو ان تضع رأسها المثلث بهوم العام على صدر ذلك الجرس الصبور الذي لا يغير الضربة التي ستقض عليه عن غيرها من الضربات ذوات الميزة التاريخية .

اصغي جيداً يا اماء ها قد دنت من الجرس وانا الذي تقاس حياته بالايام وربما بالساعات اتكمن من قياس هذه اللحظة القصيرة التي تمر بين ارتفاع المطرقة وانقضائها كأني بذلك احاسب الدهر على ما اقيمت له من الوقت في نظر الاصحاء . ذوي الاعمار الطويلة ، وهكذا يشخص الكثيرون ايضاً من رفقائي في هذا العالم وفي هذه اللحظة الحاسمة من العام الى ساعاتهم كأن بيننا سلكاً حساساً غير منظور يصل عواطفنا ويوحّد نظريتنا في الحياة ويكسبها لوناً خاصاً من فلسفة لا يمكن الانسان ادراك كنهها مالم يدفع الثمن غالياً وهل اثن من الحياة يا اماء .

والآن قد وصلت المطرقة الى الهدف الذي تبتغيه واصبح بوسك وبوسع غيرك من الاصحاء سماع صوت هذا الاحتكاك ، وهما هي ، تلتصق بالجرس فتدنون بذلك آخر لحظة من حياة العام المحتضر المثقل بالمتاعب والالام بما في تلك المتاعب من حلاوة وما في تلك الالام من لذة . ومن هنا ضلّاه العالم بكامله ليقول لنا اذا كان للحياة معنى ان لم تتخلل حلاوتها مرارة ولذتها الالام وصحتها مرض وعسرها يسر ؟

هنا هو قلب المطرقة التي تلتصق بالجرس كأنها نشوانة بالجمر التي تسيل في الحما العالم بمنزوجة بالدهاء والدموع ، وسنقي ملتصقة به ساعة كاملة تفتتح بها عاماً جديداً ، فن منا قاس الاجيال ينبتنا عما اذا كانت هذه الفترة التي تتخلل انخفاض المطرقة وارتفاعها ليست اطول من العام الكامل بالنسبة الى الاجيال المارة في معابر التاريخ . وكأني بجوارتيها قد تفاعلت احداها بالاخري على اختلاف المعادن والميزات الطبيعة واصبحا كأنهما جسم واحد ، فن منا يدرك اذا كنا متعاقبين ام يمنا في بعضها نهشاً كما تمن الجرائم في نهش خلايا رثي دون تردد ولا هواة .

ألا ترين يا اماء ان هذه الجرائم السفاكة لا تنشر رثي الا طعماً بقوتها الضروي وانها برينة بالنسبة لنا نحن الذين نمن في الحيوانات قتلاً وتعذيباً ليس طمعاً بالقوت فحسب بل تشغيلاً وتعديلاً لا مبر له في غاب الاحيان ، ولا ترين ان تلك الجرائم تثار لاختوائها الحيوانات العجاء منا ؟ وما اعذل الجزاء لو كن من نفس العمل .

لماذا لا تطفئين هذا النور الضليل يا اماء كما يفعل سائر الناس الذين يستقبلون العام الجديد ألا ترين ان بهذا تتحول البصائر الى التحديق بالتصاق المطرقة بالجرس ؟ او لا ترين بالرغم من هذا التحديق الموحّد وجهات النظر كثيرة الاختلاف أليس لان حاسة النظر في داخل الناظر تدل على ظاهر المنظور ، وان باختلاف تلك الحواس واختلاف العوامل المؤثرة عليها تختلف الجهات وتنوع التفسير والتقاويل ؟ ومن منا



كان مجرداً من العوامل الداخلية خالياً من الأهواء الخاصة ليكون صالحاً بان يرجع اليه في الحكم بين القبلة والنهضة؟ ولا يشعر احدنا
بوقع قبلة على شفتيه كوقع سهم يخرق احشاه. بينما يتلذذ بنهضة حادة تسيل دمه. قتيده نشوة ولذة!

هل ما زلت تسمعين يا امامه صدى الضربة الاخيرة من ساعات العام المنصرم ذلك الانين المتوجع الذي يصل العام المدير بالعام المقبل
والذي يؤلف اعذب حلقة في سلسلة حياة الاصحاء. ويشد اذيال المصدورين مثلي الى عالم الابدية؟ وقبل ان يقف الارتعاش الناتج عن
اصطدام المطرقة بالجرس يكون ذلك الصدى قد تلاشى في اذان السامعين المطبلين المزورين الصاخبين اللاعبين تلك الاجواق البشرية التي
يسخرها الدهر مرة في بداية كل عام ليسخر من ضحايا بني الانسان. اما عندي وعند امثالي من الذين شغلت مخيلاتهم الآلام والذين
لا يعكس صفو سمعهم ضجج الصاخبين ولا هتاف المتهوسين فذلك الانين المنبعث من شفتي العام المحتضر الذي ترك وراءه اوتاراً متقطعة
وضلوعاً مكسرة وكؤوساً محطمة واشلاء مبعثرة ومهجأة دامية لم يزل ين في اذاننا ويتجاوب صده في رئاتنا المحبوة وهياكلنا الخالية.

والان تقدمي يا امامه وارفعي الورقة البيضاء. عن صدر هذا التقويم السنوي الجديد لتبدو من تحتها الصفحة التي تحمل الرقم الاول من
العام الوليد ثم قوللي يا ماذا عساى ان ادون عليها اسوة بسائر الاصحاء. ألا تعلمين ان هذا يدون عليها تاريخ زواجه وذلك تاريخ خطبته
وذلك تاريخ مزاولته احدى المهن التي تفتح امامه ابواب الكسب واللذة. اما انا فادون تاريخ العام الثاني لمرضي والشهر الثاني للانهنقي
الفراش واليوم الثالث لرؤيتي لسطر الفناء. تحط بدم مهجتي على مناديل يدي. ومع هذا فانا غير آسف على هذه الحياة. وفي هذين العامين
الاخيرين من حياتي قطعت شوطاً بعيداً في تفهم اسرار الحياة واني لذلك اسر في اذنك للمرة الاولى والاخيرة بان في علم الغيب سرأكلماً
لا يمكن للحياة ان يكون لها قيمة ومعنى دون الوقوف عليه. اما ان يبعث الانسان الى هذا الوجود ليضي عشرة اعوام في العزلة وعشرة
في المراهقة با هذين العقدتين من قيود وشروط وانظمة ومدارس وتعلم وعشرة اخرى في تفهم طرق الحياة والكسب. كل هذا ليتمتع

بعد ذلك بحياة اذا طال امدها. لا تعادل ما سبقها من فترة الاستعداد
لها. وهو الى جانب هذا لا ينفك يحارب ويناضل مقاوماً المدافع
والهجمات والقتال وكل مبتكرات التدمير والفناء. ثم يسقط فريسة
جريمة خفيفة حقيرة هي والملايين مثلها لا يمكن ان تبصرها بالعين
الحرية. هذه الميزة التي لا يملكها الا اقامة حفلات لاستقبال عام جديد
قد يكون شراً من الذي سبقه من سائر الاعوام.

وكأني باصوات التسابيح ترتفع من بين دخان البخور المحترق في
ساحات القتال وتشق طريقها الى السماء طالبة من الله ان يفتح هذا العام
بانتصارات باهرة تقني اعداء المحاربين اخوانهم بالانسانية واعادتهم
في الوطنية وابناء الله الذين يطلبون منه المعونة! وكأني بالمقسامين
والشاملين بنشوة الراح قد نهكت قواهم ومالوا الى الرقاد طمعاً
بالاحلام المعسولة والاماني العذبة. وارى عيني ايضاً قد قسبتا فاعجزها
لي باناء ملك الناعمة الحنونة طمعاً بان فاتحها ثانية في عالم الابدية حيث
لا السرار ولا الوهام ولا هموم.

الدكتور حسين سري الربيع

٤٣-١-١



راقصة

ليت تدرين انني بك معجب
يا ملاكاً طوراً وطوراً رجياً
يا هزارا اذا دعاك حبيب
يانسياً ان تسمحني عن رضا
انت شخصان في الحقيقة ضدا
او جنائان ، واحد لبني الطيد
لم يزدني هذا اللون الا
انت درس واي درس لم ضل
انت معني ، اما زال يحتاج شرحاً
يا فتاة اصبو اليها واطرب
وقطاة اذا اردت وعقرب
وغراباً لمن كرهتية ينعب
وهجيراً ان ترغمي يتلهب
ن وان بنت واحد يتقلب
ش مباح ، وآخر يتحجب
رغبة فيك ، انني اتقرب
بحواء هائماً يتعذب
وانا الشارح الدقيق المحرب

*

تفراحو ايامين شاك ومعجب
هم ضحاي اهاوى مشاع فيذهب
ظن كل هو الحبيب المقرب
بعثته عواطف تتلهب
محكم ليس منه للقوم مهرب
نام الهوى الذي كان يلعب
لم يعد في غرامهم لك مطلب
س ولكن بلا (ستار) و (ملعب)
بغداد - نعمانه ماهر الكنعاني



الاب الغريب ...

معلم: سربيل ادريس

.. كانت

ولم تكن «سلى» تستطع التفكير بالتخلص من زوجها «رسم» .. وذلك لأميرين ، أولهما ، انها ألزمت التزوج منه الزاماً وأخرها ان ثمة شابا في البيت هو الامسل والرجاء كله ... هو «ابنهما» الحبيب «فهمي» ..

وكان كل من الزوجين يعتقد انه يعيش لاجل هذا «الابن» ويدبر الاماني والاموال له وحده ... ولن يتحصل كلاهما ان يعتمد على يوماً ، بل ساعة ... واذن ، فقد قضي عليها ان يعيشا معاً ، وحرم على احدهما ان يفكر بالتخلص من الآخر ...

اما هو «فهمي» فيحب والديه كليهما . غير انه بأنس الى والده صوره لأبائهما الى والدته ، على الرغم من انها حفية به ، تكن له صداقة عميقة لا يمكنها ان تكون الاب ، وتغني به عناية لا تألها عنانية والده .

وكان تعليل «فهمي» في ذلك ان لوالدته من الطباع الشاذة والعادات الغريبة ، ما ليس لوالده ... ثم انها ضيقة الصدر ، سريعة الغضب ، ليس من سبيل الى ان تعضي عن اصغر اهتات ، ولا عن ايسر اهفوات ... وكانت - سبب او تغير سبب - تتوجه الى والده غضبي ، وتطلق لسانها السليط يلف كل ما يمسر عليه من جارحات الالفاظ ... ولا يجد الزوج بدأ من الاعضاء ، على مضض وان نفسه لتثور ، وعروقه تكاد تنفجر ... ولكننا لا نبحر جواباً لانه يحس احساساً قوياً بانها اقدر منه واقوى .. لهذه الاسباب ولغيرها ، كان فهمي يؤثر خلق والده على خلق والدته . غير انه لم يكن ليظهر احداهما على اية خليفة من خليجات فؤاده ، او اية بدوة من بدوات خفيته ... وهذا ما كان يدفع سلى لظهور اعجابها بولدها في اية مناسبة ، وابداء رضاها عن خلقه السهل المستقيم ... ولكنها كانت تخفي دوماً انها معجبة به لانه ... سر ماضيها ...

وكان فهمي يحيط «والده» بأنواع كثيرة من العنابة ، وهو

لا تفتأ تحس الشباب بضطرب في صدرها قويا زاعجاً بعمالي الفتوة ، فياضاً بوثبات الصبا ، على الرغم من كبره علتها ، فأوهنت قواها وفنت في عضدها ، وهموم نالت منها ، وانتثرت بها الى اليأس من الحياة ، والتبرع بالناس ... على انها مع كل ذلك لم تغتر عن انتظار شعاعة تنفذ الى حياتها ، فتضيقها بنور الحب والامل . ولعل منشأ هذا اليأس ، ومصدر ذلك التهم ، انما كانا من زوجها الذي هو مشف الان على الهلاك ، وليس هو الا هامة اليوم او غد ... فقد كان هذا الزوج المصدر الاول للشقاء ، بعد زوج من الزمن طافح بهوى والاماني ...

لقد جلب لها هذا الزوج الوثاق من المتاعب التي لا تملك ان تتخلص منها ، وأغرقتها في خضم من الالم واليأس لا شجوة منه ولا مناص . وكانت تثبت مشكاتها ، وتسري عن نفسها ، تجترى بالقول في اسي مرير ، وشجو مضطرم : «لم أخلق له ، ولم يخلق لي ..» وكانت على يقين ان الحياة برمتها تزيد هذا القول وتدعمه ... ذلك ان بينها هوة سحيقة من الفوارق في الحياة الاجتماعية ، فهو رجل غلف ، قاصر النظر ، خامل ذليل ، ساذج لا يحق اية مداورة ، همه الاوحد في الحياة ان يحصل قوته وقوت اولاده ... اما هي ... فامرأة صناع ، بعيدة النظر ، نشيطة ، عزيزة النفس داهية تحقق ضروباً من المراوغة ، معها في الحياة ان تكون سعيدة على الرغم مما يعترض سبيلها من مصاعب وهموم .. وكانت لا تغتر عن التردد ... آه .. لو انهم تركوني اعيش كما كنت ... مع من كنت .. ولعاني ان اعود يوماً .. ولا شك في ان هذه الفوارق كانت كافية لتوسيع شقة الخلاف بين «الزوجين» فشأ عن ذلك تباعض شديد ليس الى الحد منه سبيل ، وتنافر ان يجمعها يوماً على رأي او نظر ...

تترعرع في فكره معان لا يحبسها الا من خبر الناس وبلاهم ، وكان له في معاشرتهم تاريخ ...

ولكنه مع ذلك كله ، كان يخشى ان يسأل والدته سبب تركها المنزل تركاً متوصلاً ... حتى جاء يوم لم يستطع صبره الا ان ينفذ فيه ، قهره الى الباب ، الى حيث كانت والدته قبل ان تخرج ، وتشجع وسألها بغير وعي ، وبشيء من التأثر :

- هل لك ان تؤذني الى ان تنذهبن ؟!

فبعثت لساعتها ، واحست في صدرها ضيقاً ، فزالقته بنظرة عجي ، واجابته بجفاء :

- لا يعنيك ان تعرف ذلك ...

وانطلقت على عجل ، وخرجت من المنزل لا تروي ... وكانت الحفقات تندفع الى قاب فهي تتاليها ... ولبت لحظة سادراً ذاهلاً ، يتنازع شعور الخوف والاشفاق تارة ، وشعور التنبؤ والخوف تارة اخرى ... وجاءت بخيلته ساعة في الماضي ، ذلك التنازع اجتماع عليه والده طوال حياتها ، فلم يعرف لحظة اي قسط من الراحة مع والدته ، اي حظ من الوداد والهدوء ...

وانتلاف ... او تكون الظروف ابت الا ان تجمعها ، وهما في الحلق ابعدا ما يكونان عن إيجاد اللفة والتعاطف ؟!

وفي وقتها تلك ، كان يتطلع من خلال هذا كله ، الى خلق والديه كايهما ، فيعجز له صورة والدته متكبدة ، تغورا ، لم تشع عينها يوماً بعريق الخير والحلق ، ولم تحس نفسها عن الطيبة والكرم بل انطوت على سر مكتنون يزيدة تعقيداً ما هي عليه من شذوذ وبليان فهي نفسة نافرة من هذا الحلق مزودة عنه ، مستكبدة اياه ثم تطالع صورة والده وديعاً لطيفاً ، يتدفق الخير من عينيه تدفقاً ، وتجميع سياء الكرم والعطف على حبيبه . وايقن فهي اذ ذاك ان مساوي . والدته ، لم تكن الا لتجلب خصال والده ومجاهده ... وعلى هذه الذكرى المؤثرة ، لم يكن لهماي بدن ان تعين دموعه كبيرة محملة بايات الحسرة والخين الى ذلك الوالد الطيب الذكر ... وما كان دمه ليرقا الا بعد ساعات .

وكل ذلك كان يزيد يقيناً انه احب والده حباً لا يدانيه اي

يرجو بذلك ان يسر له في ايامه الاخيرة ، كل ضروب الراحة والامن ... ولم كان يلقي نفسه سعيداً اذ يركن الى « والده » فينخد الى حنانه ، ويستسلم الى عطفه ، فينعم بالايوة الرحيمة البارة ومثل هذا كان شعور « رستم » نحو فهي حب عميق ، وحجب بالغ . ويستيقق فهي ذات صباح فيجد والده قد قضى ... وكهم شق عليه ذلك ... كان لروحه الياف فيجرها ، وكان قلبه ند ، فابتعد الى غير عودة ...

ومع ان فهي كان يجد في كنف امه عزاء وتفريراً ، فانه كان شديد الاجساس يجلو قلبه ، ووحدة روحه ... وكان يأمل ان تمنحي ذكري « والده » رويداً على مر الايام ، ولكنها لم تمنح ، بل كانت ذات اثر بعيد النور في ضميره وفي حياته كلها ... وكانت اجلي ظاهرة من اثر تلك الذكرى ، انه كان في وجوم عميق ، وكسوف متصل ، وسهم لم تحف وطاته لحظة .

وكان فهي يرجو ان تشاطره والدته سلمى حزنه ، وتقاسمه اساه ... وتنتظر ذلك طويلاً ... ولكنها الفاه متحيرة من اسار ذلك الهم ، ناشطة من عقال الحداد ، حتى كانت تمر عليها ساعات خاصة من السرور والجلد ، كان لم يحدث ما هو حقيق ان يطبع نفسها بطابع العقل والروانة ...

وتمنحي من تخيلة « سلمى » ذكري « رستم » كان لم يكن بينهما يوماً لحمة من زواج ، او رباط من مودة ... وبينما نحن فهي في الذكوان ... كانت سلمى تمن في النسيان !! منذ ذلك التاريخ ، كان لا بد ان يبدأ شي ...

وشرع فهي يعجب من سلوك والدته ، كانت تحاول جهدها الا توجه اليه بكلام ، كانها تخشى ان تنطقي ، او كلفا لسانها قد عقل وعي عن الكلام ... وكانت اذا تكلمت دغته الى ان يصدف عن الحزن ، ويتجر من الهم ... وكهم امل عليه ذلك ودفعه الى الظن بوالدته شق الظنون ... ولم يكن من شك في ان الذي كان يضرم وقيد هذا الظن ان امه شرعت منذ وقت يسير بترك المنزل صباح مساء ...

وهكذا اصبح يشغل باله امر جديد ، فيرض نفسه ، ويترعها باليأس والحزن ... ولعل هذه الهموم تراكت عليه فاغرقت في جو كالح يزداد اسوداده يوماً بعد يوم ، هي التي جعلته يحس ان نفسه تنمو ، وضميره يكبر ... كان يشعر شعوراً قوياً انه قد اصبح رجلاً ، وهو ما زال في طليش الشباب ، ولابالاة الفتوة ... وكانت

هـب ... حباً تمكن في ضلوعه وعروقه تمكناً متيناً ...

*

ومكثت سلمى على حالتها في ترك المنزل صباح مساء دون ان تأبه لفضول ولدها ، او تكثرت افئذونه الجملة ... وكان طبيعياً ان تنمو جرأة فهمي ، ومع انه كان يرى شكه بطهارة امه رهيباً عظيماً لا يتجملها شاب في التاسعة عشرة من عمره ، فانه لم يكن يستكشف عن الثبات في تحري حقيقة هذا الظن ...

وذات يوم ، شاء فهمي ان يستدرج والدته الى النطق بتأشغلها خارج البيت ، فارد ان يتدرجها بالكلام حين عادت يومذاك بمبهجة النفس ، ممتعة بالحضور ... ولكن التيب ما لبث ان عاوده ، فأتى ان ينسئ خطته الى غير ذلك الاجل ... وركن الى غرفته عازماً ان يأوي الى فراشه باكراً ، وشرع يخلع ثيابه على هيئة ... فاذا امه قد برزت على الباب ، واخذت تبحث فيه طويلاً ... ثم تقدمت منه حتى اوضحت على قاذب قوس ... وامسكت بذراعه وقالت - وهي تتردد في التلطف بآية كلمة - :

- اسمع يا فهمي ...

وفجأة رآها فهمي تعض على شفتها ، وسكنت ، كأنها عدلت عن الكلام ، وخرجت من غرفته اثر ذلك ... الشاب مبهوئاً : عما كانت تروم ان تتكلم ، ولماذا عدلت بعد ذلك ؟ وكاد يوقن انها شامت ان تعترف بشي ، قنعها عزة الام ، وتكبر المرأة ان تعترف به ... وكان ما انتبه اليه الشاب في ذلك يزيد به يقيناً بان ظنه بامه يقترب من الحقيقة رويداً رويداً ... لم يزم تلك الليلة الا غراراً ... كان ضميره يعذبه ... كان ينبغي ان ينتهي الى شي ، محقق ليتخذ عزماً ... ومع ذلك ، فقد ازمع في اليوم التالي امراً ...

لم يشأ ان يستوقف امه اذ اوشكت ان تخرج في الموعد المعهود ، ولم يستفسرها عن شي ، بل تركها تبتمد قليلاً عن المنزل فهبط السلم ، وراح يتقصص آثارها على خفية واحتراس ، وكان دائم الحرس على ان يفصل بينها في الطريق ماثناً قدم على الاقل ... وكان حين يتوقع ان تلفت امه ، يجثي في منعطف ...

ونجحت المرحلة الاولى من الخطة ... وتوقف فهمي عند باب مقصورة فخمة ، دخلتها امه بكل هدوء وسكينة حتى اذا طورتها

الدار ، سارع الشاب يتتبع الطريق التي سلكت امه ... ومكث في منعطف السلم يرى والدته منتظرة ان يفتح الباب ... ولبثا لحظة ، واذا بالباب يفتح ، ويجوز رجل فارغ عليه سياه اليسر والترف ... وتدنو منه « سلمى » فتسقط ذراعيها ، فيتلقاها الرجل على صدره ويستغرقان في عناق ... ثم تتخلص سلمى من ذراعي الرجل ، وتزحف اليه بشفت قائلة :

- كيف اصبحت اليوم ياسامي ؟

فيجيبها الرجل بسهولة ودون تكلف :

- بخير ... الحمد لله ...

ثم يدنو منها ، ويسائلها بلهجة فيها تضرع ورجاء :

- متى تنتهي ياسلمى ... الى م هذا البعد ... متى نجتمع عائلة سعيدة ... لم تجهري له بالحقيقة ؟

- لا ... انني لآزت اخشي ...

وهوت على كنفها يد قوية منعته من ان تم جملتها ... ودوت في ارجاء السلم هذه الكلمة الواحدة :

الحي ...

فالتفت سلمى مرتاعة مذعورة ، فالتفت ولدها يجملى فيها والشرر يتطاير من عينييه ... ومع ذلك فقد قاسمت نفسها ، وحافظت على رباطة جأشها ، فالتفت الى الرجل الغريب وأشارت له ان يدخل ، ثم رددت بحفوت :

- فهمي ... فهمي ...

فكثت يمدح فيها ... وكادت شفتاه تقتران عن كلمة داوية ، لم تتح له والدته ان يلفظها ، اذ هربت اليه ، فقبضت على ذراعه ، وهبطت به السلم على عجل لم يعهد من امرأة ... وكان فهمي يحاول ان يتخلص منها ، فما يستطيع ...

وفي ثمة في البيت ، ركن فهمي الى غرفته ، وراح يذرف الدمع بلوعة وشجو ...

وما لبثت والدته سلمى ان دخلت عليه ، فالتفت مكاناً بجانبه ، ونهته اليها وهي تقول :

- اسمع يا فهمي ... فكشف دموعك ، وعد عن بكائك ،

فاسمع الى قصتي التي هي قصتك ...

فتنبه من غفلته ، وانتصب واقفاً ، وابتعد عن إمامه نافرأ
بكرة ، وسار نحو الباب لا يلتفت إليها ، فصاحت به .

— « فهمي ، اقرب مني ، فسأجهر لك بالحقية ! » .
فالتفت اليها مروعاً ، وحدث فيها بعيون ملتفة ، وقال بلهجة
غاضبة :

— لا .. لا فائدة من الجهر بالحقيقة .. فهي واضحة جلية ..
 لن استمع الى شيء .. فانك لست بعد امي !

لم يبد عليها جزع ، ولم يظهر اضطراب ، بل تقبلت هذا الكلام على رضى وعدو ، ونهضت على مهل ، فتوجهت نحوه ، واما سكنة بذراعها ، وجذبته الى مقعد قريب ، وجلست على مقربة منه ، ثم قالت دون ان تتوقف :

« الزموني الزمأ إن أتزوج من « رسم » . ولذلك فقط ،
 الزجينا العمر كله زوجين متبغاضين ، اكروهه ويكرهني .
 وشئت ان التحص منه وشاء ، وسعى وسيمت ، ولكننا كنا
 دوماً نضطدم بك . . فكان رسم بضه ان يصدق بقتلنا في
 ويخيل الي انه كان لاجلك وحدك يحاول دوماً ألا يلتص الي ،
 ليتخذ مجاهي عزماً يفترقا . . ذلك انه كان يحالوا عليك
 كان يرادوه شك في انك ابنه ، ولكنه خدع عن نفسه . . لم يمشأ
 ان يصدق انه كان عاقراً . . ولهذا اعتبرك ثمرته . . ولده . .
 حلمه ودمه . . وما انا ، فكنت اغشى ان ابوح له بالحقيقة ،
 واكشف له عن السر . . كنت اشفق ان يؤذيك او يؤذي . .
 فضعت حتى جأ ، اجسده . . وحاولت كثيراً ان اظارك على كل
 شي . ، ولكنني خشيت ان يكرن وقع الصدمة عليك قوياً ،
 أثرت ان أثرت وان . . »

... ولم يتيح لها فهمي ان تتم ، اذ قد دنا منها ، وامسك
بعاتقها مهتراً مضطرباً مذعوراً وقال :

— « ولكن .. اية حقيقة .. اي سر ، ماذا تقصدون بهذا الكلام ؟ »

فاستعادت «سلي» رزانتها ، ونظرت اليه نظره فاحصة ،
ثم استتلت :

— اجل ! أثرت ان أثريث .. يبيد انك تمجلت الحقيقة ،
وظننت في الفنون ، واتهمتي التهم الجمة ، فلم ازد الا اضطراباً ،
حتى تمحى من ذاكرتك صورة « رسم » .. صورة « ابيك
رسم » ..

ولكنك لبثت ذاهل العقل ، شارد الفكر ، حتى عنّ لك
اليوم ان تقتفر أثري ، فرايتني هناك .. وعرفت ما عرفت ...
والان ، ليس لي الا ان ابذل انك لست ثمرة « رسم » الرجل
الذي مات ... »

فالتنفس فمعي مذكوراً ، روعاً ، ونهض منتصباً يرتعش ، وصاح
في ارتعاد :

— لم يكن «رستم» والدي ... ومن ذا يكونه ؟ !
فتساقطت دموع كبيرة ، استمرت بها عين سليمى ، وقالت وقد
بدأ الحزن يهددها هداً ، والحشية تظهر على ملامحها ان باقى فهمي
محملاً لا محمد عظام ... قالت مرتعشة :

الرجل وأحبته منذ عشرين سنة ... وعلقت منه قبلاً ، ان
 أتزوج «سنة» ... إذا هو ... ذلك الرجل ، الذي رأيتني
 الساعة عنده ... سامي والدك الحقيقي ... الذي يذوب شوقاً
 إلى رؤيتك ، ورد ان ... »

... وكان فهمي باهت اللون ، مصفر الوجنتين ، منتفض الرأس كأنه فقد وعيه . وإذا به يتنفض مستعيداً حواسه ، فيتجدد نحو الباب ، فترع الله الله ، وتصرخ فيه مذعورة :

— فهمي .. الى اين .. فهمي ! ..
فتسمعه يتم اذ بلغ الباب :

والدان ۰۰ لا ۰۰ لا استطیع ۰۰ لن الحمل ان یکون لی
والدان ۰۰ !»

وهبط السلم ، وراح ينهب الارض نهباً .. الى مقصورة ذلك
الاب .. الغرب ..

زيتية



ARCHIVE

زيتية العينين.. لا تغلطي..
 يسلم' .. يا محبوبتي يسلم
 حبيتي.. عليك لا يعدم
 قيصك الاخضر.. من ياترى
 أمن خفاف «السين» خيطانه
 أم من صغير العشب للمته
 أم هو من شريان كل فتى
 زيتي .. يازيتي .. يار كعتي
 قل للعيون الخضرا نلقها:
 شقرا... هذا القلب مانفعه
 عينك.. ام لبنان.. احراجها
 ام كرمه «زحلية» تكي
 كأننا عينك وسط الضيا
 بحيرة خضراء في شطها

يسلم هذا الشفق الفسقي
 لغير هذي العين لم يلق
 وشأحك الوعد الذي لم يقي
 باعك هذا اللون قولني احدي
 واللون من «دانوبه» الازرق
 في سلة بيضاء من زنبق ؟
 ذبحته بالعين لم تشفقي ؟
 لعينها كالراهب المطرق ..
 يسلم هذا الشفق الفسقي
 ان كان في مثلك لم يعلق
 تضحك في موسم المورق
 عنقودها في الشمس لم يحرق
 صفافة تحت الضحى الزنبقي
 نامت صبايا النور لم تقبي

من قرية تركع في المشرق
 ما زال يشقى عندها زورقي
 بالفن .. بالاسرار .. بالرونق
 فيك وفي عالمك المغلق
 فكري وكم ضل بهامنطقي
 أعماقها حر الهوى المحرق ..
 بعاطفي .. اشقر .. احق ..
 او فكرة في العالم المطلق
 طوبينا العمر لم نعتق يوماً ولا نمت على مرفقي
 نامي فغفري الاحمر العصفري في ثغرك الناري لم يزلق
 نامي فهذا الناهد المخملي لم يعصر العطر ولم يدلُق
 كأننا نهدك يا حلوتي نافورة من ياسمين نقى
 نامي فحتي الان لم يحتمل عقلي اللقاء بعد الجفا المرهق
 نامي لقد اعتبتني في الهوى ياليت اني فيك لم التقي ..

زوار فاني - دس

الزواج في الامثال اللبنانية

بقلم شفيق طاهر

الزواج من اهم احداث الحياة وله في امثال اللبنانيين القديمة مكان مرموق . فاول ما يواجهك منه انه في انفسهم من التبعات الجسام والتكاليف الثقالة يتم على ذلك قولهم (اسمي في جنازه ولا اسمي في زواجه) وقولهم للفتاة (لا تفرحي بطي جهازك يا ما بذك تجلي قدور) وفي زعمهم ان فرح العرس لا يدوم اذ يقولون (لو كان فرح العرس يدومها كانت القيامة بتقوم) وفي امثالهم شواهد على ان طالع الزوجة اما خير او شر فيقولون (ثلاثة كسبهم ياخير ياشر : الدار والمرأ والفوس) ومن رأيهم ان الله تعالى يكتب نصيب الفتاة على الفتى منذ وجودها على الارض فيقولون (كل شي تسبب الا الزينة نصيب) وظاهر من هذا الكلام ان اللبنانيين قديرون كمائة الشرقيين فليس اكثر في امثالهم من التسليم للقدر . ومن امثالهم التي تتم على هذا المزاج قولهم (الف دعوة ما خوزت قيص والف زلوطهما زوجت عريس) ثم انهم يرون المال عصب الزواج اذ بدونه لا يتم شي . وان تم فلا يسلم المتزوج من المتاعب يفصح عن هذا قام الافصاح قولهم (رن الفلوس بتجيك العروس) والفقر في عرفهم يكشف عورات المتزوجين وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه في مدنه قول الانكسار (اذا نقر الفقر على الباب قفز الحب من النافذة) . وفي رأيهم ان الشاب الذي لا يمكنه دخله من القيام بنفقات الحياة الزوجية انما يجني على نفسه واولاده بزواجه ويعرض كرامته للاستهانة . ويؤكد ذلك قولهم (زوج الفقيرة للفقير بيكثر الشحادين) وقولهم (زواج شحادين ولاد عريانين) وقولهم (الي بيتزوج بالدين ييجو ولاده بالفايط) .

يبد انهم مع قدومهم متابع الحياة الزوجية لم يفهمم للزواج والشريك اليه اذ يقولون ما فحوا (لو كان الرجال فحمة وجوده بالبيت رحمه) و (المرأ بلا رجال مثل قلعه بلا جبال) وهم يقولون بزواج المسكين والمسكينة . والزواج المتأخر وينشدون في الزواج النسل تحليداً لذلك اذ يقولون (زوج ابنتك وهو ولد بسحك ولد) .

وقد اشتهر اللبنانيون بالسكن الى حياة الاسرة وحددوا حقوق الزوجين فقالوا (الرجال جنة والمرأ بنة) و (المرأ دولاب والرجال جلاب) و (ابو علي برق وام علي يترق) . ويستحسنون من الازواج اولاً : من ليس له ولد فيقولون محذرين الفتاة (ابرمي عكرا وارواد ولا تأخذي رجال عنده ولاد) وذلك مما يخاف من بلوى المنازعة . وثانياً : من لا تقضي عليه مهامه المعاشية بالتعيب عن المنزل لئلا تفتقر المرأة الى من يهتم بامرأها وقلما يرضي الفتاة من يعدها بالبقاء في مدينتها او بلدتها فيقولون (عمرك لا تأخذي مكاري ليلة عندك وعشرة باهاري) . وثالثاً : الرجل العامل وبفضائله على الفتى الباهل من لا عمل له . ذلك لانه قادر ان ينقذ على الاسرة ويكفل لها اسباب الحياة بعكس الامر مع من يعوله ابوه او تنفق عليه امه فيقولون (شب بالسوق ولا حلي بالصندوق) و (خذي الشغال ولا تأخذي بيت المال) ويلاحظ بصورة عامة في امثال اللبنانيين ميلاً عاماً الى وضع المولد الكريم في رأس صفات الزوجة الصالحة وما من ريب ان طيب الاصل ضمان لحسن الاخلاق وان الرجل كي يقر السعادة في بيته ينبغي ان يشد ذلت الشرف والنبل . يظهر ذلك في امثلة كثيرة منها (الاصل عون) ومنها (خذ الاصلي ولو على الحصيرة) ومنها (اسأل عن الاصول قبل الوصول) ومنها (دور الدورة ولو دارت خذ الحرة ولو دارت) .

ومن ادابهم ان يتزوجوا الجميلة الفقيرة ويفضلونها على المثوبة الدمية وذلك خشية ان تصح المرأة قيمة على الرجل وهذه اداب ترتكز على حفظ الكرامة واستقلال النفس فقالوا (خذوا فقرا والمغني هو الله) و (يا ما خذ الترد على ماله المال يبروح ويبقى القرد على حاله) . ولم ينسوا تأثير الام في تربية الفتاة فقالوا (قبل ما تله اسأل عن الام) . وربما زادنا علماً في تشبيه البنت بامرأها قولهم (طب الحرة على تمها بتطلع البنت لامها) وينفرون من المرأة الطائشة فيقولون (لا تأخذ النطاطة ولو كانت خياطها) .

واللبنانيون يؤثرون في الغالب الاهل والاقارب على زواج الاعداء والاجانب فيقولون (الي بيتزوج من غير ملته يموت بعلته غير علته)

و (بنت بلادك بتحملك على الخير والشر) ويرمزون عن ذلك قائلين (زوان بلدك ولا قمح الصايي) و (شعب من المسلة ولا دراع من المروق) و (القرب ان عليها ما يبرقها) ويعنون بذلك انه اذا وقع الشقاق بينه وبين زوجته فلا يطلقها .

ثم ان امثال اللبنايين حافلة بوصايا حسن المعاشرة واجتمع افضل ما قالوه حول هذا الغرض في قولهم للفتاة (زوجك على ما عودتيه واينك على ما ربيتية) . ولا ينكر ان الاعتقاد يوثق روابط الالفة والتفاهم ويوطد السعادة المنشودة في الحياة الزوجية فاشادوا الى ذلك بقولهم (اللي زوجها معها بتدري القمر باصبعها) . وفي رأيهم ان الزوجة تقتبس بالعمرة من زوجها كثيراً من الصفات والطباع وذلك ظاهر في قولهم (الما من ضلع الرجال) ومما جاء في اساطيرهم ان الله جل ثناؤه لما شاء ان يخلق حواء لم يخلق حواء لم يخلق حواء لم يخلق حواء لم يخلق حواء ولا من عينه ثلاثا تمتي فضولية ولا من اذنه ثلاثا تنصت الى الشر ولا من رجله ثلاثا تكسح خارج البيت ولا من رأسه ثلاثا تملو عليه ولما خلق الله حواء من وسط آدم رمزاً للمساواة . . .

ويرى اللبنايون ان سيرة الزوج كثيراً ما تصبح قدوة للزوجة فيقولون (الفرس من الفارس) و (الفرس من خيالها والمرا من رجالها) وتقول المرأة الصالحة على مثال زوجها (صلحت لي ولبقت لك والدهر وفق بيننا) و (بدرين على فرد بخده) . ومن اجل امثالهم في الامثال ومطامعة الرجل لزوجته قولهم (قالت له يا رجال بدي الخنى . قال لها : انا بمتنى) . وفي امثال نصوص على مراعاة اداب السلوك في جهات الحياة العامة منها الا يدخل الزائر احد المدعوين الا باذن من اهل الدار فيقولون (ان كنت من جهة الما عدي بلا مشورة وان كنت من جهة الرجال ارجع لورا) وذلك عملاً بالآية الشريفة القائلة « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأمنوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم والله بما تعملون عليم » .

واهل لبنان يسبقون الشعوب الشرقية المجاورة التي تماثلهم في الدين والنظم بمقت تعدد الزوجات ويندبون بسوء مغيبته شاعرين بما في الضرر من ظلم المرأة وجرح عزتها واذا شعروها فيقولون في الخنى على الا كفها . والامدة (الضرة مرة) و (بيت التنتين خرب من ستين وبيت الثلاثة للوراة) ويردفون قائلين (بين حنا ومانا ضاعت لحنا) واصل الخنى ان الرجل يبلغ الحميمين كان له زوجة ثانية . فالاولى واسمها حنا بلغت الاربعين والثانية اسمها مانا دون العشرين فكانت تسمى بالشيخوخة وقترع شعرات لحية السوداء مدعية ان في الشعرات البيضاء جمال الكبر ومهابة الشيخوخة . واذا بات عند مانا تمدح له الشباب وتقرع شعرات لحية البيضاء مدعية ان في الشعرات السوداء مظاهر الشباب والقوتة . ودام الحال على هذا المتوال مدة ظلت فيها اصابع الزوجتين تلعب في لحية الرجل نكتاً حتى وقف ذات يوم امام المرأة فاخذ ما تبقى من لحية ثم رفعها وقال (بين حنا ومانا ضاعت لحنا) وذهب قوله مثلاً بضرب لمن وقع في بلتين .

وللبنايين امثال في الزواج جرت على السنتهم مجرى الحكم الاجتماعية ومن اربع امثالهم في ذلك (الداية السريعة والمرا المطيعة والدار الوسيعة زيادة في العمر) و (البنت اللي يسكرثوا خطاها بتبور) و (يا ويل اللي ابنها زوجها) و (مرتك واينك الصغير يحمونك على كل شي . قدير) و (ثلاثة بدهم ثلاثة الدار الوسيعة تكون منيعه والمرا البديعه تكون مطيعه والفرس السريعة تكون خضوعه) و (اللي ربنا متم لها سعادتها بيطلع زوجها يجنازتها) و (اذا رحت بسطك وانسك تذكر ايام عرسك) .

ومن امثالهم المنتقاة في الندم قولهم (تزوجنا لنستمر رزق الله على العزوبية) وفي التصبر قول فتاة لم تتوفق في بيت زوجها (يا محلا نقل بيت ابني والنومه كلخ) وفي التأسف (حرام على الماوان الذهب يبطرق فيه مهباج حديد) وفي خيبة الامل (لا من بيت ابونا ولا من اللي تزوجونا) و (زوجت بنتي لارتاح من بلاها اجيتي واربعة وراها) ومن غاذج السخرية المطننة في امثالهم قولهم (ما كفنا هم ابونا قام ابونا جاب ابوه وقال خذوا جندكم ريوه) وقولهم (زوجت بنتي لارتاح من همها اجت واجابت ابن همها) وقولهم (زيجي زوجتك لكن حظ منين بدي جبلك) وقولهم لمن ذل بعد عز (بعد ما كان زوجها صار يبطل بعرسها) ولمن يتفاخر عن سلوك زوجته (يقول لموتو شو جبتي ما يقول لها وين كنتي) وتقول المرأة لمن لا يستطيع ان يعوها (لو بدي آكل من كيتي ما عملكك عريسي) والرجل المتقلب (يبرح مع ام العريس وييجي مع ام العروس) .

ومن كلامهم في الطلاق والمهر (اللي ما يقدر عليه وعليها يجبد عن طريقها) ويقولون عن المنطروس المتكبر (صار لجأ مرا وصار يحلف بالطلاق) وبهمون زوجة السوء قائلين (اول سنة عروس وثاني سنة جاسوس وثالث سنة حبة بسع روس) وفي الحيرة (حامض حلو طبحت لك وجوا وبرافرشت لك اما الميزان ما كان على البال) واصحابنا رجالاً في اخلاقه شراسمه كان يخلق اسباب الخصاص ليطرد امرأته الى بيت اهلها فأسأله يوماً : ما طبحت ؟ فقالت : بذخجان . فقال : يا اعينة الاترفين في احب البندوره ويوماً سألهما : اين فوشت . قالت : في الاوضة . فقال : الاترين الدنيا حر والسطح في الصيف افضل . فحارت الزوجة بامرها من اطوار الرجل القوية . ولما كان اليوم الاخر فوشت على السطح واقبل كعادته وعائن الاشياء فلم يجد ما يؤاخذها عليه فاستلقى الى جنبها على البساط وجعل يدير عينيه في النجوم الساطعة ثم قال لها : اتشاهدين النجوم السبعة تلك ؟ ان هذه النجوم اسمها في علم الفلك (بنات نعش) . ثم صحت لحظة ، وناداهما قائلاً : الاترين النجوم الستة هناك ؟ فهداه اسمها في علم الفلك (الدب الاكبر) . واخيراً قال لها : الاترين النجمتين فوق رأسي فهاتان هما (الميزان) قال الراوي : وما كاد ينتهي الى قوله الميزان حتى قال لها باعلى صوته : هل في الدنيا احد يعمل عملك ؟ قالت : ماذا علمت ؟ قال : فرشت تحت الميزان حتى تسقط (العيارات) على رأسي واموت . ثم وثب عليها واسحبها لكتفها فلم تر معه حيلة الى ان هربت وانشأت تقول : (حامض حلو طبحت لك وجوا وبرافرشت لك اما الميزان ما كان على البال) .

ويستعرض المتأمل في امثال اللبنانيين كثيراً من عادات القوم واحوال المجتمع فاذا قرأت قوهم (مثل العراسة بيروحوا على درب ويبرجموا على درب) علمت ان في موكب الزفاف لا يرجع المشيعون ادراجهم من الطريق الذي ذهبوا به تشاؤماً باعتقادهم ان العروس تعود الى اهلها غير موقفة ومن قوهم (من يوم جلوكي هيك القوكي) تلحظ ان جلاد العروس تربتها ليلة العرس ليظهر جمالها للعريس ومنها الجلويات وهي الاغاني التي تشد لها في تلك الليلة ومن قوهم (كل القط جابها ما بقي غير الشمدان) تعرف ان الجهاز هي الثياب التي تحضرها العروس الى بيت العريس ومن قوهم (العروس في مجلاها ما بتعرف مين يتولاها) تفهم ان من قديم عاداتهم خطف العروس اذا كانت من طبقة لا ترضي طبقتهم ان تتاهرها . ولهم اخبار من اختيار الفتاة يمحض ارادتها لا يتبعها مقال في مجلة وكها مليشة بالمفاجآت الطريفة ومن ذلك اشترى قوهم (همروس بالاكيل ما بتعرف مين يتشيل) و (طار طيرك واخذ غريك) و (واحد خطب والثاني تزوج) و (واحد تنفو والثاني لقفو) و (واحد طبخ ما داقو والثاني كبر مشداق) و (فاذ قرأت قوهم (اللي ما بسدو يعطي بنته بيطلي نفودها) ادركت ان النقد هو المهر وقوهم (شيوخ زفير مروتو وتديح) يوضح ان ثري كذا القوم سوسا يدعون فيه اصحابهم وجيرانهم الى غدا مري . ويمعمون بعده الشرائع عن الشيخ وهي الاغصان التي يحرك دود القز عليها الفياض . وقوهم (لاتمدح العروس الا امها والماشطة) يظهر ان الماشطة هي التي تعجز العروس ليلة العرس وقوهم (كل عرس وله قرص) يعرب انهم يفرقون اقراص الحلوى على جماعة المهنيين في حفلات الزفاف وقوهم (ليلة عرسك بييري قرصك وليلة زفك عيري ذفك) يعني . انهم ينقلون العروس في بعض القرى الى بيت العريس على الدابة ويؤفون العريس بنقر الدفوف . قوهم (بيكي وروح) يبين ان من عادة الفتيات ان يسكين ليلة العرس . ومن حكايات العوام في هذا الصدد ان احدها طفقت تمحش بالبكا لما قرب مجي عرسها فقال لها ابوها : يا ابنتي ان كان فراقنا يزع عليك اتركي العريس وابقي عندنا . فقالت له : بيكي وروح وذهب قولها مثلاً ويضرب لمن يضر غير ما يظهر . وكذلك قوهم (على الخطب كبيرة وعلى الزيجة صغيرة) يؤيد عادة ما زالت شائعة بين الاسر التي على النمط القديم وهي ان لا تزوج بناتها الا ابتداء بالكبيرة ثم الاصغر فالاصغر وما يحكي ان فتاة قد رفض اهلها ان يزوجوها قبل اختها الكبيرة مدعين انها حديثة السن ولما ذهب الخطاب جاءت الصغيرة تسأل عما حصل فجزرتها امها وامرتها بنقل الخطب الى مكان بعيد فهزت الفتاة رأسها وقالت (على الخطب كبيرة وعلى الزيجة صغيرة) وذهب قولها مثلاً ويضرب في الاعتذار السخيف .

هذا جل امثال اللبنانيين القديمة الشائعة في الزواج وهي كما ترى تعرب اعراباً صادقاً عن شعور اللبنانيين وتصف احوال المجتمع اللبناني وصفاً يمتاز بصدقته وبساطته وتسموي النفوس نظراً لما فيها من حقيقة الواقع وكما في الواقع من روعة لا يأتي بثلاث الخيال .

نفس طباره

لماذا نعيش؟

لماذا

نعيش؟ ولماذا نموت؟ لماذا نأتي الى الحياة من العدم ثم نعود الى العدم؟ هذه الفترة القصيرة كوميض برق بين ظلمتين أبديتين؟ نعيش برهة ٠٠٠ فيطوينا الاجل عاجلاً او آجلاً ونغشي سرعاً او ببطء الى حيث لا ندري ٠ أين كنا؟ ولماذا جئنا؟ وأين نعود؟ ولماذا نعود؟ ٠

هذه المبهمة المحيرات وكثير امثالها راودت العقول البشرية كبرها وضعفها وخالجت نفوس بني الانسان عظيمها وقهرها منذ ان فكر الانسان في الحياة حتى فارق الحياة ومنذ ان فكر في الموت حتى جاء الموت ٠ لقد اجاب فريق من هؤلاء المتحيرين بكلتين بسيطتين: « لا ادري! » واكتفى ٠ اما الفريق الاخر فقد قال: لقد جئنا صدفة ونعود عن طريق الصدفة ٠ أفلس المرض الذي يأتيك عارضاً يصادفك في طريق الحياة فينتطلق ويسلك الى ابدي الغناء؟ ثم أليست مفاجئنا هذه الحياة واقدها كما جئت اعياها وعن طريق مصادفات عجيبة، فنحن اذن لنبذل الصدفة ونحيا في الاقدار ومهما قيل عن مجيئنا من عالم اخر على طريق الصدفة وسقوطنا على الارض فان ذلك لم يكن الا تصادفاً عجيبياً اخر ٠

وعند ما يسألون ما غاية الحياة، يجيبون ان لا غاية لها ولو بلغت الانسانية في مرحلتها النهائية اسمى الاطوار ولو عمر الانسان في نتيجة التطور والرقى بفضل العلم والعقل الف عام او يزيد فان نتيجة المحنومة الغناء ٠ هكذا يقولون! ولكن قهرهم لا يتعدى ان يكون صورة المتشائمين ووحى اولئك الذين يلبسون مظانراً اسود كلما سئلوا عن الحياة واغراضها ومراميها ٠ اذا كان الامر على العكس من ذلك فلماذا اذن نعيش؟ نعيش لاننا ظاهرة طبيعية لا بد لها من ان تتجلى على مسرح الكون ٠ نعيش لاننا نعيش!! ٠

عجبا ٠٠٠ وهل تسأل الموجة لماذا تملو وتهبط والبرق لماذا يلمع والرياح لماذا تعصف والنيرون لماذا تضطرم، لكي يسأل الانسان لماذا يعيش؟ نحن جميعاً ظواهر طبيعية تدب على هذه الارض، تضحك وتبكي، تحب وتكره، تريد وتنفر، تتراقص وتضطرب ثم تهبط وتختفي وتزول ٠ وكذلك تفعل النيرون ٠ فغي تبدأ صغيرة ضئيلة ثم تتسع وتنمو فتأكل ما حوالها ثم تملو في الاجواء

مضطربة مترافقة مزهوة مأخوذة بجوارقها زهو الشاب بحراة الشباب وتعرض جالها المضي ٠ الدافئ ٠ للعالم وللكون برهة كما تفعل الشابة الجميلة في عنفوان العشرين او قبل ذلك او بعده بقليل ثم تتضال كما بدأت وتتضال ٠ وتزول تاركة لهذا العالم ان يتخيلها في اوج عزها وينتشي بصورتها الخشنة الفاتنة ٠ وكذلك هو الانسان: جنين، فصي، فتى، فشاب ثم كهل فشيخ ٠٠٠ حتى يطويه القبر ويواريه الرمس فيعود اثرأ بعد عين ٠ هذا امتد به الاجل ولم يتخلفه القدر قبل ذلك بقليل او كثير ٠ والان، لنسأل انفسنا: اني هذا غريبة؟ اذا كان، فني شعلة النار غريبة توازيبها ٠٠٠ والا فكلامها ظاهرة طبيعية سواء ٠ بسواء ٠ انها النتيجة محزنة حقاً ٠ حتى ولو تخيلنا الحياة ظاهرة طبيعية لها بداية ولها منتهى ٠ ولكن هذا الخزن يتلاشى ويضمحل عند ما نترك تفكيرنا الفردي في الحياة ونشعر باننا جزء من ظاهرة طبيعية أهم واعظم ٠٠٠ لها ماض ٠٠٠ ولها حاضر ٠٠٠ ولها استقبال، نشعر شعوراً واحداً كأنها جسم عظيم واحد ٠ والحق ان الانسانية هي كذلك! والا ما الذي يدفعنا الى ان ندرس التاريخ وننبش القبور ونبحث بين الاطلال والخرائب؟ ليس في هذا محاولة ان نربط ماضي الانسانية بمجازرها ونجمل للفاير من عهودها مكاناً في ذهننا؟ ٠٠٠ ثم ما الطموح وما الخيال الذي ينظر بعد الى المستقبل؟ ليس وسيلة اخرى لربط مستقبل الانسانية بمجازرها وماضيها، أو هو ايصال عالم الاجنة بعالم الاحياء وعالم الموتى واعتبار كل هاتيك العوالم اجزاء ٠ لكل، تلم كامل، لم يربداً من ان يظهر على هيشة افراد يموت بعضه ليبقى بعضه ويتوحد بعضه مع بعض لينتج فرداً جديداً آخر يحمل شعلة الحياة المقدسة ويسير بها دائماً الى الامام بقوى متجددة وجسم طاري غرض لم تتقل كاهله اعباء السنون ولا تمشت اليه ايدي الوهن والضعف حتى اذا ما احس ببداية همود وبادرة الضحلال وضع الشعلة المقدسة في هيكل آخر لتضي ٠ بنور جديد اشد تألقاً ولعلماً وخطافاً للابصار وهكذا الى ما لا نهاية ٠٠٠ فالحياة خالدة ما خلد الكون وما خلقت الطبيعة ومظاهرها ٠ واما — نحن — فلسنا خرباً من عبث ولا نوعاً من وهم ولا ضحكة الهية ولا مزلة مقدسة ولسنا نولد دون غاية ونموت الى غير عبث، فتكرر الحياة وتجدها هو البعث لاولئك الذين لا يؤمنون بعاد الانسان وبعثه، وكفانا غاية وقصداً باننا اقباس من نار الحياة الخالدة ٠

صفاء خلوصي — بغداد

الى اخي ...



على هضبة جميلة ينتهي إليها منجدد احدى « الثومتين » فوق وادي « كمرحونا » الطليل
ينتصب دير « المزرفة » بين الجنانين المحضر مصيفاً طيب الهواء ، عذب المساء ،
قريب الصفاء ... زارني فيه اخي وهو اعزب ثم اعقني عامسان فاذا هو في
« صور » يسم لي « فوزي » بكروه . وتتأخر عليه رسائلي فينتهي بالفتور
فكان الجواب :

لغ ثم وينتهي حر « صور »
ت كلانا طريق بحر قوبر
ينسب نوه وم الضحي جنب الامير . *

بجمل ، بين موحشات الصخور
ل في الوادي المضمين الوقور
ن وقعان اليوم وهج السيمر
اح قبل الدجى صلاة غورا
بيض ابغى لقاء « فوزي » الصمير
السته الامال حلية نور ،
ن وسلاوى الفواء ادخوى الضمير
بخاطر الغر في كراء الوثير
ي ، منافاة واله مسجور ،
الام لوعات سيدها المبرور ! *

بلحاط المجير المخسور ،
منفلات بجمان التضرير ،
ي ، حسانا ، بحيرة البرفير
ي البيض منها على الدم المبدور ،
أروم التناح في نصته الملهج اب اشعي من « الاخندي الصوري »
وايح البنان لس الحرير ،
ش والاف طيبات المعطور
ف جفا القلب صنعة التحجير
جنى المعبر بعض هذا الفتور !

حيث لا يرتقي السباد ولا يب
ما قللت في الكرى اوقلا
واظف جانت الظهيرة لم ينسب نوه وم الضحي جنب الامير . *

وبدت مني التفافة سبور
فتنبت ، والغروب مديد الظ
ورواوس ليلال ورغوة الدو
وكان العبد من شجر التفة
فما جفا القلب الا كرات لا
لم يكن حين جنتني غير حلم
وهو اليوم ما تفر به العير
ينثر البسة الخفية عفو لا
وتباغي الاملاك ، في هذه الواح
فيصري الهجوم عثك وينسي

لو تراني ، وقد رجعت افوتنا
او غل المحلو بين خضر الدوالي
واسج « الكبوش » بردها الف
يشق الطرف عند هصر التند
وأروم التناح في نصته الملهج اب اشعي من « الاخندي الصوري »
وايح البنان لس الحرير ،
ش والاف طيبات المعطور
ف جفا القلب صنعة التحجير
جنى المعبر بعض هذا الفتور !

انا في نشوة الغنى المحبور
لهو يغري فكن عليه عذيري
مذب والحلم والخيال التنيير
هر الى روح عابد مستجير

ح لبنان مستطاب المردور
قدس خضمه الى عبد البكور

كساء المبرورين الرور

له الدهر البكر
شبه وكن من جذعه المستدير ،
كالراسي مقنلات الجدور ،
مستخفا بزمها المردور ،
ب فراشي عند اشتداد الصجير
جدة طفيل مداعب مستجير
بحر سكري الخنين ربا العبير
طنف الدير ، غب هجر مرير ،
عمر الغض ، وابشام الثور ،
وار « في الوادي مستلذا القرير
راء للحلو من حديث سميري
لذة « اقرا باصاح بين السطور »
ب دلت على ملبح الشعور ،
الانس والقلب خففة من حبور ،
جلسات الصياء عند الغدير
راحة النوم في اعالي الطور

لا تمنني على تحادي الفتور
عزائي جنة التعم وبعض ال
معب النور غرقي والشم ال
وروي الليل ضاحكات من ال
والاريج الندي يبين من قنا
اغلاء موجه من عبير ال

لو تراني ، موكل شي ، حوالي
تحت جسد سديان عي ،
صامد فوق ربوة غاص فيها
نشت في جلاسد الصخر منه
فهو يستقبل الرياح مريدا
لو تراني ، وظله الدافق الزح
اعرض الكريات يحضرن في
بشهن نفحة من شطوط ال
فرجعت العامين اذ يحوتنا
في صفاء الليل العميق ، وانس ال
وانسياب الماء التنيير من « الذ
كضجكتنا واصفت الليلة الغد
للكات البريئة اللفظ فيها
لنواي الارجال من شعر العلي
لغناء « الحاك » المطروب ينادي
للتعيق الضفادع اليه يوحى
واوينا الى السرير فذقتا

غ . فرمات

في اعماق الصدور

بنم الاباس ابوسبحة

عندما

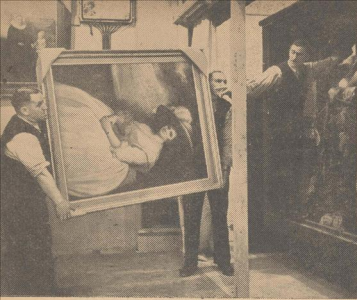
اعلنت هذه الحرب تجنّدها جميع ادبا فرنسا من بول فاليري الى دوهاميل الى جيد الى مودوري الى رومان رولان ، وأفرغوا ما في كنفاتهم من السخط على ذلك الرجل الذي بقي يساير جشعه واطمأنه الى ان وقع الواقعة الكبرى التي تُعصف اليوم بالملايين من خلائف الله . وفي ذلك الحين أجمع اولئك الادبا على التنبؤ للافاتية بالمصير الاليم الذي يسلك اليه اليوم ادمي سبيل عوفه فاتح في التاريخ . وفي طليعة اولئك الادبا الشاعر بول فاليري ، فقد أذاع من محطة الراديو على العالم خطاباً لا نشك في انه أبلغ رد على التأنيب الذي وجهته جريدة « الاب دوشيسن » السرية التي تولي الصدور في فرنسا ، الى خلفاء كورنيل وراسين وموليير وهوغو ولامرتين وفينيبي وبينيغ وفورنييه ، الى حفظة التراث العسكري في فرنسا ، الى ادبا هذا الزمن ، الى فاليري وجيد ودوهاميل وجيروود وغيرهم . قال فاليري : « يقتضي لفرنسا ولقيمتها ، وهي قضية كل امرى جدير باسم انسان ، ان يعرف العالم الظروف والاحوال التي جعلت هذه الحرب ممكنة ثم محتومة . وهذه الظروف والاحوال تلخص بضع كلمات وهي ان الحرب نشبت بين بلدان حرة وبدل لا يعرف الحرية . وما هو البلد الحر ؟ هو البلد الذي يتم فيه التبادل في الخدمة والواجبات بين الدولة والافراد . فالدولة في البلد الحر هي منظمة ضرورية يجب عليها في كل حين ان تبذل ضرور وجودها ولا تطلب من كل فرد من المواطنين الا ما يتطلبه غير المجموع . وكثيراً ما سخر بعض من هذه البلدان التي تتوازن فيها الحريات العامة مع سلطان الدولة ، واعتظروا القول فيها الى اقصى حد . ولكن اي ضرر يمكن عزوه الى حرياتنا والافراط فيها يتلافى على احوال الانتصار الحلي من هذه الشبهة اللامعة بغير شكل فاجع هذه الحقيقة الواضحة وهي ان البلد الحر هو البلد الذي يستحيل فيه على اهل البلد ان يتصرفوا بحرية في كل ما يشاءون ، وهو البلد الذي لا يقبل فيه اي امرى ان يتوقف السلم او الحرب على مزاج رجل واحد او على اعصابه او على امر يكون قد حله به . تصوروا هذا : من جهة رجل هو ما هو ويساوي ما يساوي ، ومن جهة اخرى شعب بكامله منوط مصيره باية اشارة يبدونها هذا الرجل . فهذا الرجل لا يحتاج الى اكثّر من ان يضغط على زر او ان يدير لولباً ليضرم النار في اوربا ويهوي على ملايين من الخلق بجميع ألوان الآلام والمصائب . اما نحن جماعة الفرنسيين والانكليز فاننا نحارب ما يضاد العقل والصواب ، اذ لا يمكننا ان نتصور شيئاً هو من ارقى الشعوب ثقافة وتفكيراً يخضع لسيطرة فرد منفرزل متوحش ويتبعه كالعادة الذلول الى ما يتجاوز حدود الرشاد . بيد ان هذا الشعب موجود ، ووجوده دليل على ان ما يحمل بلداً حراً على الوقوف في وجه بلد لا يعرف الحرية هو اختلاف في الطباع والسجايا اكثر منه في الانظمة السياسية . ولا بد لنا من الاعتراف باننا لا نفهم شيئاً عن الالمان . فاني شعب غريب هو هذا الشعب الذي انتج اعمالاً عالمية عجيبة ويستسلم لمن يضطهد الروح والفكر ؟ » ولكن كيف استطاع هذا المضطهد للروح والفكر ان يفرض سلطانه المتجاوز حد الافراط على امة بهذا المقدار من الثقافة ؟ فهو لم يكن قادراً على ان ينتزع منها حق التصرف بمصيرها ما لم يستعد فيها الافكار ان بدّلها . واذا بالادب والفلسفة والمعتقدات والفنون تسهيل في المانيا لا اعلم الى اية حال من البؤس والاضطراب ، وارتغت الكنائس والجامعات والمنبر وسائر الاصوات على الصمت كيلا يسمع الصوت واحد ، صوت اجش عنيف يدوي في جميع اوربا قاذفاً التهديد والوعيد والاورام والمسابات . وهذا الصوت كان يستهدف امراً متكرراً : بث الذعر في بعض القلوب او استهواء بعض الاقنعة او اغواء العجوة والآثرة والجشع المادي في الامة الى اقصى حد ممكن . » ولما انتصر هذا المقامر على جميع خصومه في الداخل - على اليهود والكاثوليك والبروتستانت ورجال الادب والفلسفة والعلم والفن وعلى رؤساء اركان الحرب انفسهم - أجل ، لما انتصر هذا المقامر على جميع هذه العناصر راح يحرب حظه في الخارج فأغار على البلدان الصغيرة القائمه على حدوده وابتلعها على اهون سبيل . وكان هذا الفوز السريع الذي لم يكلفه شيئاً والذي ينطبق على ما تكهن به في كتابه

أسكره بجمعة الغرور فراح يضارب بما كانت عليه البلدان الحرة من التعجب والمسالمة . وسرعان ما تجرد من مظاهر الولا ، فأنكر أمجادها ومزق عبوديه وامتلكته شهوة الفتح من قة رأسه الى باطن قدميه . وهكذا كثرت الحرب عن انبياءها ، وهذه الحرب لا تشبه أية مما سبقها ، فهي حرب العقل على الجنون ، حرب احترام اليهود على احتقارها ، حرب الحرية الفكرية على الضغط الفكري . ولكن هذه الحرب لا تضرر أي حد لتلك الكتل الالمانية الوادعة المطمئنة التي لا تهدي في نفسها الى أية قوة تقاوم بها ذلك الجنون الذي يسوق الى الدمار والموت . بهذا خاطب بول فاييري العالم عند نشوب هذه الحرب ، ويش هذا خاطبه جميع زملائه من حملة مشال الفكر في فرنسا . ولا يفيد قول جريدة « الاب دوشيسن » هؤلاء الادياب : « ماذا لا تتكلمون ؟ أعدو ! منصرف الى التجميع الفرنسيين واذلالهم وأنتم منصرفون الى اكبال القاموس » أن أديبا . فرنسا حالوا عن عهدهم بعد الانكسار واعتنقوا مبادئ المسيطر وصاروا من أشياع التعاون معه . واذ لم ترتفع أصواتهم كما ارتفع صوت هريو أخيراً فيسكون لهذه الاصوات عاجلاً أو آجلاً ذوي الدينونة في سامع الاجيال . ولا يسعى في معرض الحديث عن فاييري الا أن أرجع بالذاكرة الى مئة سنة سلت ، لائب ان المانيا الشاعرة الحاسمة ، المانية الفن والادب ، المانية غوتي وشيار وهوفان وبيتهوفن لم تتطلع عهد هتار التسخير الى امة مستعبدة في روحها وتفكيرها . فبذ مئة سنة نضبت العبقريه الالمانية في الشعر والفلسفة وحلت روح المعجزة والغرور محل الشعر والموهبة والابتكار . منذ مئة سنة توارى وجه المانيا الجليل ، ذلك الوجه الذي أحبه فيمن أحبه أديبا . فرنسا في العهد الرومنطيقي وأسرفوا في جبههم اياه اسرافاً مضى بهم الى العشق والهيام ، حتى اذا نسبت شهرة الفتح والعدا ، من الادب الالمني أبي الفرنسيون أن يصدقوا أن موطن الاحلام والخيال ، موطن الشعر والايمان والحب يتحول الى كهف مخيف لاصلال الغزو والحشم والشهوات .

في شهر كانون الثاني من العام ١٨٤٣ ، أي منذ خمسة بلاط ، عقد الفيلسوف الفرنسي ادكار كينيه في «مجلة العالمين» مقالا فيه الفرنسيين الى ان المانيا التي يجربونها قد انهارت وقامت على انقاضها المانيا اخرى لا تمت اليها بنسب ولا بقوى . وكرر الفيلسوف تحذيره مرات في الصحف وعلى المنابر . ولكن الفرنسيين «الشعوب» والقاد والكتاب ، وبدا لا يلتفت في خيالهم الجمل ، فجواب غوتي وشيلر وهوفمان وبتهوفن كانت قوية في نفوسهم . ولم يأتى لامرئتين السلم الطوية ان يرد على قصيدة الشاعر الالماني بيكر بقصيدة «موسلياز السلام» زاد ضلال اخوانه فاوا ان يروا في <http://www.sakulab.com> الفلاسفة المستبشرين المشغولين . في ابان ازمنة الشرق اذ كانت وزارة الرئيس تيرس تفكر في ان ترد باء لان الحرب على الانذار الذي وجهته انكلترا وروسيا وروسيا والنمسا الى محمد علي ، باشا مصر وحليف فرنسا ، ارسل الشاعر الالماني نيقولا بيكر قصيدة حماسية حربية يتحدى فيها فرنسا تحدياً منكرأ ، ولم يكتف الشاعر الالماني بنظمه هذه القصيدة بل بلغث به بلقث به الواقعة الى حد انه بعث بها الى الشاعر لامرئتين . ولكن لا مرتين السلم الطوية ابنى الا ان يجيبه بقصيدة مستوحاة من المبادئ ، الانسانية النبيلة قائلاً ان على الشعوب ان تتحد بدل ان يرق بعضها بعضاً وان تعمل معاً على ما فيه خير المجتمع الانساني وريقه . ذلك ان لامرئتين كان كبول فاليري مشع الروح بالعبقرية الالمانية الجميلة ، بعقوبة غوتي وشيلر وهوفمان وبتهوفن . ولكن قصيدة لامرئتين على جمالها البالغ لم تكن تلائم الظروف والاحوال ، فالتحدي الالماني كان يتطلب تحدياً مثله . واذا بالفرد دهمسه يكتب ابياته المشهورة ويوسله ابلغ رد على رعونته الشاعر الالماني :

« لقد وطنناه، ربنكم الالمانى، وسكبنه فى قدحنا . وهل تحب انشودة تقى هنا وهناك آثاراً جارة طبعها اقدام جيانا فى دمكم ؟
 « لقد وطنناه، ربنكم الالمانى . فصدره يحمل جرحاً فاغراً منذ اليوم الذى مضى فيه كونه الفاعل رداه الازرق . وحيثما مر الاب
 سيمير الابن » . ونحن اليوم على اكبر من اليقين اننا اذا سلمنا الى اعناق الادياء الفرنسين نقرأ فيها ايياتاً باسلة من هذا النسيج .

كنوز بريطانيا المخبوءة



إذا مرت اليوم على كاتدرائيات انكرا
ومتاحفها ومعارض الصور فيها رأيت كثيراً من
الاماكن الفارغة خالية من الرسوم الثمينة وبدائع
الفن التي كانت تزينها . هذه الكنوز المكددة من
جواهر العصور عندما هددتها غارات الالمان الجوية
بالتلف ازلت من اماكنها الرفيعة واودعت في
غرف معدة لها تحت الارض في سفوح بعض الجبال
الانكليزية حيث تكون امينة من اذى النازي
ولولا هذا الاسراع الى نقلها لما بقيت سليمة حتى الان .

وكانت التدابير لمثل هذا النقل قد رسمت من قبل الحرب . ولم تشمل الخطط التأمينية كنوز الفن وحدها بل بعض اعلام الفن
المشتغلين في شؤونها فنقلوا معها الى حيث يتابعون ايام اعمالهم المتعلقة بها والحفاظ على عليها .

لقد حفر الانكليزيون نفقا طويلا في جبل عظيم يصل بهم الى قلبه . وهناك وسموا الجحر وارجدوا كهوفا كبيرة عالية السقف . وفي

جدرانها الحنية البسيطة عن كل اذى علوا نفائس الرسوم وبدائع

الفنون . ثم اثاروا محل ذلك بالكهرباء . وجاؤوا باجهزة تعديل الهواء

ليوجدوا في هذه الكهوف الطقس الضروري لسلامة الصور وألوانها

وعينوا لها حراساً مسلحين ليل نهار .

قليل من الناس في انكلترا نفسها يعرفون اين توجد هذه

المستودعات . حتى اهالي القرى في المنطقة المحيطة بالجبل المحفور لا

يدرون عن محتوياته شيئاً .

والصور التي نشرها مع هذا المقال توضح الاعمال الجارية

للمحافظة على سلامة تلك الكنوز الفنية كي تكون مستعدة للتخلى

بزينتها والسفور بعد الحرب .

امين الغريب



جنانة قلب

بنم : محمد ماج مبن

لباناسيه في الاداب من جامعة فؤاد الاول واساتذ الاداب العربي بتجيز اللاذقية

متي في قريتي هاجني طيفها يتهمني ، ويبلبل احساسني : لقد غضب الدمع من عيوني المسهدة ، وجفت ماقي ، وادفني الاسى ، واضواني وغر الضمير ، يصرخ لي قاسياً ، يعان جرمي ، ويصفح عن خطيئتي ، بخطوط حمر ، ونقط مدهمة . وتكلمت المصابب تتأكلني ، فأصبحت لقس النفس ، أثور لكل شي . ومن غضون هذه الكرب ، لاحت قريتي الوديعه بكبره خاطفه ، فهرت اليها ، عاني اتلس بعض العزا . ولما جلست مع الفلاحين ، حول الموقدة والجر يسمر يشعله الشابه ، وتسلست الاحاديث الساذجه وتشابكت القصص الشيقه ، اندمجت فيها ، ولدت لي كثيراً ، على نغم المطر المتساقط ، وغزيف الرياح كموبل جن .



فجاءه عرائي ذهل شديد ، وتأتى الماضي فاندقت مني انة لاذعه ، تلتها صرخه فاتكه دار ائرها رأسي ، وانصبت مشيراً بيدي الى اواوية في المكان ، مغمضاً بوجل . انها هي عائده . . . وتلفت الجالسون ، يستطلعون خفي ، وقد دارت عيونهم في محارهم ، فأفوني بهيئة منكسمة وشعثها صفرة رهيبه . . . ارامق اواوية استقرت بها عائده بلباسها الابيض ، وألقي نغرها البسام تحول صرخه ، تخطو وتصبح : اين طلقني ؟ لماذا قتلتها ؟ وهجرت القريه الوردية ، مهد الطفولة ومسرح الصبا ، لاعود الى هذه المدينة ، التي تضح بكل غريبه . لماذا شامت الاقدار ان ادخل عند الظهيرة محلا كبيرا لاشترى حدا . ؟ واخذت البحث عن بغيتي ، اقلب الاحذية ، وتدخل امرأه على اثري تنطلق باحثه عن حدا . نسائي ، وانتقي حداي واحاول الخروج ، واذا بالما المتلبده باليوم تكفر ، ويندفع الودق ، يقطع على المارة سبلهم ، فأجبرت على المكوث في المخزن الكبير ، واستدارت المرأة ، تحظر بججها الذي اضفى على قامتها اللذنه فتوتاً ، وشورت ان هذا القوام الرائع ، والمشيئه النعجه ، قريبه مني ، ويا لدهشتي حين دنت مني ، وقد رفعت المنديل الشفاف الذي يلثم وجهي الوضاه وتبتف : اسعد .

وتمازجني الحيره والرهبة فيعرش جسدي ، واصرخ : عائده . وتصافنا بجراره ، وجلسنا على مقعد واحد ، وقد حبسنا المطر المنهجر ، فينه . . . تسبح في خلاها ، روحانا ، في عوالم لامتناهيه من الذكريات . وقالت عائده بلهجة تتعثر بانفعال بدا على وجهها : كيف انت يا اسعد ؟ شعرت ان سؤاها كان بارداً ، فأطرق وقد اكمد لونها . . . واجبت : اجتر حياتي يا عائده ، واتحامل عليها . . . ولم تحرج جواباً . . .

وخالجنني احساس غمش علي لاول وهلة ، واتضح بعد نهيه ، كنت لقي ، لو لم ارها ، فنظرها يشير ما غفا من آلامي التي برحتني ، ولا تزال جائئه في اعماقي ، تهب كلما عنت في خاطري وشأت الظروف ان تنتقل وظيقتي الى هذه المدينة التي تزوجت بها ، وتحاشيت رؤيتها او السعي اليها ، ولكن الصدوف ، تأبى الا ان تتلاقى ، بعد غيبه ثلاث سنوات . . . وتناهبني الهواجس ، وتراحت علي الوساوس ، وهي جالسه برشاقة ، بطرقه صامته ، حبيره الطرف ، تعمل بها افكار واهوا . . . يا الهي ما التعسفي في هذه اللحظه ، ان الفتاة التي سكبت على فؤادي قطرات الحب والرحمة ، تلاصقتني . . . عائده ، التي اوقدت شعله

الحب الاول في نفسي ، وطغرت في الى اجواء حية تتوقد بالنور وتتشع بالحياة ، والتي بادلتني الحب العنيف العنيف ، حتى اصبحت الامل
الريان الذي اهفو اليه ، عائدة ، حقي السليب ، ومناي الذابلات ، عائدة التي تلت بهواها ، عائدة تتزوج من غيري ، يستمتع بها ، جمالها
الخلوب ، ويستروح سحرها الغلاب ٠٠٠ ما اقنى الحياة ، وما اشد بطشها عند ما تجلبج في غضبتها ، تسحق وتمحق ٠٠
ورن صوت عائدة في مسعبي كجيتن الناي يقول : ألا تخرج يا ساعد ؟

وتركت لنفسي تتزوج في عالم وضي . من اللذائذ السامية ، متلذذة بصوتها الالهي ، كأنه وسوسة القلب ، تحف على ثعثر عبيدين ٠٠
هذا الصوت الفرد ، الذي طالما اشعلتني نيرانه ، وزينت لي الرؤى باهرة ، منسجمة الواقع ، تباهه الاثر ٠٠
واخرجني من ذهولي الشroud ونعمة صوتها الملائكي يتردد في ارجاء نفسي : ألا تخرج يا ساعد ؟
وانتصت واقعاً دون وعي : وأسليت المذبل الحريزي على وجهها الطافح بوهية الحسن ، وخرجننا بؤردة ، وكان المطر قد انقطع
بعض الشي . واخذ الرذاذ يتساقط وديعاً رقيقاً ، ينعش النفس ، ورأيتها تشير الى عربة يقودها جوادان مطهران ٠٠ وتشير الي بالضعود
الى العربة ، فانصاع لها مسلوب الارادة ، معطل الشعور .

وتقول عائدة : أتدري الى اين نذهب ؟ الى سكنك تتجاذب الحديث ، اعطني عنوانك ٠٠

ونطلقت باسم الشارع الذي اقلته ، وانا حاضراً كالغائب ، ويقظ كالنائم ، ولما وقفت العربة ، تجلت عائدة ، وتعتها بدوري ٠٠٠
وتغلغلنا بين البيوت المتراسة ، حتى دخلنا البيت الذي اسكنه ، وهو مؤلف من غرفتين ودرهة واسعة ، جمعت غرفة للزوم ، وضمت فيها
سريراً وخزانة للشباب ، ومراة صغيرة ، ألصقت بالحائط ٠٠ والغرفة الثانية ، تنتثر في فوضى عجيبة ، فخرانة الكتب ، مبعثرة ، وعلى
المقاعد والكتب ، تنتثر الكتب ، وتبني في كل مكان : والاوراق تتطاير في كل جهة ٠٠

وجلست عائدة على مقعد في غرفة المكتبة ، وضعت نظراتها تقليباً في الحمار الجردة ، وانا صامت تعقد في لواحي شتي ، تساقط في الذكريات
في تلك الامسية الصائفة ، عندما التقينا لأول مرة ، فقد كانت تصطف مع عائلتها في تلك القرية الشاهقة ، التي تولتها لامتكت بها
اسبوعاً واضطرتني عائدة الى المكوث طيلة الصيف ، لا استطعت مقابلة الحب الذي نشب في فؤادي واحتل كياني : كانت في السادسة
عشرة من عمرها ، تنهد بجبال فتان ، وعلى وجهها قهقهة طيارة القديس ، وتسوس بها روح مباحة يا فاتين التأثير : انها خيالية ، بعيدة المدى
في تصوراتها واحلامها ، تصور للحب العذري الذي تشبه في فؤادها ٠٠ وكنت بضرة بهجة ، الاوقات السعيدة التي كنا نعمل
على اختلاسها لنقرا في آفاق القرية بعيدين عن الناس نستمتع بهذا الحب الذي وطده الزمن ، وولفته الالفة ، وشجته امتراج روحي عمي .

كان حيننا اطهر من ندى الغام ، وأجل من عبقة الازهار ، ولكني كنت أقالم في اعماقي ، اعلمي ان المرأة التي تغفل بيننا بعيدة ،
فهي من عائلة ارستوقراطية ، واثبتها الثروة الضخمة ، ترتع في مجيوجتها ، وانا الفتى العادي ، الذي يحتاج الى كد الذراع وعرق الجبين ،
لعيش ، ولكنتها كانت تبسم ، محاولة تبديد مخاوفي ، برغبتي في الزواج مني ، ومسايرة حياتي معها كان ضربها ، وستعقرن في رغم العقبات
التي تتوالت في طريق حبنا ٠

واخرجني صوتها العذب السري ، من التاملات التي غرقت فيها : اسعد لماذا لم تسع كاستي وتغذها ؟ ؟

وحملت فيها بدعشة ، لا اعلم ماذا تبغي بسؤالها .

واستطردت : يبدو عليك انك لم تستوعب كلامي !

واطرقت هنيئة ، تمسكت بكتاب ، مقابلة صفحاته ، ثم قالت :

لماذا لم تحطيني من والدي ؟

واحسست بأنهم هذه الصفة ، فحدثنا عن لغتي الذكرى المبهضة ، التي غامت علي يوم كانت والديها في هذا الامر ، واعتصمت بالسكوت ٠٠٠

وزفرت قائلة : ان سكوتك يلقيني ويحرك كروان اشجاني ، تحدث ، وانقذني من بلايلي .

فتمتمت : ماذا تريدان ان اقول يا عائدة .

— اقم لك ، اذهب الى والدي وكلمه في خطوتي ٠٠ انتظرت كثيراً ليفاتني في هذه المسألة ، حتى سألته أخيراً ، رغم حرجي ،

فأجابني انك لم تحدثه ابداً ٠٠

واعتمدت رأسي بين يدي ، وعصرت جبتي ، وسجابه من الهم ذكناه قد قنعت وجهي .. واعصمت بسكوتي .
ووبئت ، حتى هبت انفاسها الندبة تلامسي ، وقالت متمعة : يبدو لي ان حبك كان كاذباً يهدف الى فو .
فأجبت : يشهد الله ان عاطفتي تحرك نغمة خاصة من كل شائبة . - ولم احجمت عن طاب يدي ؟
- تزويدن الحقيقة : ذهبت الى والدك متاكناً ، أقدم رجلاً وأخو آخرى ، علمي بمنهجته ورستوقراطيته ، ولما قابلته ، تحدثت بصراحة ، طالبا الاقتران بك ، فأريت حواجبه ترتفع غيظاً ويسفهه حتى شديد ويقروني بنظرة صارمة وهو يقول : ما ذا تطالب ؟
- الشرف ان اكون صورك .. - وقلب شفتيه احتقاراً وصرخ : أتعرف ما ذا تقول ؟
- بكل وضوح . اني اهوى ابنتك عائدة ، واريدها حلياً في لاسعدها .
وقذف قوه بالزبد وهو يندمدم : من انت وما هي الطبقة الاجتماعية التي نجمت منها ؟ أنتطلع الى اولئك الذين يسمون فوقك بدرجات .
انت الفقير الذي تعمل لتعيش تود الزواج من ربيبة القصور وبنت الجاه .. انت .. انت ..
وراح يرمي ازدراءه المحجل في وجهي ، وانا صابر مقرب ، تلاعب في آلام عاصفة ، وأغبراً رأيته يتخذ مقعده ويشعل سيجارة يقبضها بانهله الراجفة ، وتجرأت ان اقول : الست يا سيدي شاباً مثقلاً كريم الخصال أعمل يشرف واكسب حياتي بكدي .. فاذا تزوجت من ابنتك ستكون المعودة التي اجبرني في محرابي وسأندفع بكليتي لتوفير اللذائذ لها ، اليس همذا باجل من تزويجها رجل ثري قد سخرت جسده الرذائل يحترقها ويمذبا ويرمر حياتها ، الست نقش عن راحتها يا سيدي ؟ ؟
وترسم على فم ابنتها متمعة ، ويفتح درج المكتب يخرج منها قبضة من المال يعدها ويقبلها بنظراته الفاحشة ويقدمها لي قائلاً : ايها السيد ، اني ادفع لك عن طيبة خاطر هذا المال على شريطة ان يظل حديثك طي الكتمان .. انت تشوه سمعة ابنتي بمجرد تطلعك الى الزواج منها .. ونظرت اليه بعيون معذبة يلمع فيها بأس كالحج ، ولم تحرك ، ورددت لهجته وانحلت نبراته سمه الضراعة وهو يقول : ارجوك اتوسل اليك ان تقبل هذه الفكرة من رأسك .. انها تقص جناح ابنتي .. واجبت : عفوك يا سيدي لست هنا لارغك على امر تكرهه ... احفظ نفودك .. وتأكد اني انزعجك بسماع هذا الحديث وان تراني بعدها ابداً .. وخرجت لا أوي على شيء . ، وقد ادخمت الدنيا في ناظري .. ورأيت الرمس التي حفر لي ، لاشع به جنازة قلبي .
وكانت عائدة تضفي الي وملاحها تنغير حسب تيار الحديث الذي كادها وتراحت في مقعدها وقد نذت الديموع من مقلتها واستطاعت ان تقول : ان حظي التماس لاحقي ووأد حياتي ، ومنع غني النور والحياة ، لقد صدق حدسك ، ارغت على الزواج يا بشع حالة ، واضحت حياتي كابية خامدة ، فوالدي وقد ابى الا زواجي من رجل ارستوقراطي على حد تعبيره الالهوج فعل هذه الزئيمة التي جهمت حيلاتي بالوانها القاسمة ، خطبني زوجي فرفضته واعلنت التمرد وضربني والذي مرأاً وفي كل مرة كنت ارفض بشدة واثور وزيتك لي والذي المجد الذي سيحبني في من زواجي فأصررت على رأئي ، وعبثاً كنت اتسمم خبوك فقد ابتلعتك الارض في جوفها ..
واخيراً بعد عنف وصيال ، سبقت النجعة البرينة الى مخدع زوجها في هذه المدينة .. ويا هولاً ما رأيت ، فزوجي ، قد حطمت الزوائل وصعرت بنت الحان ، حتى اضحي وهو في الثلاثين ، كأنه شيخ مهذوم ، نهشته الامراض ، وانا الممرضة التي تعمهده لقرنه البر . النابع ، وكان مخدع الزئيمة مستشفى ، والزواج طريق الاعدام ، والمال الوافر الذي يملكه والضياح الحمة التي يقطنها ثرائر لي كحفرة تهيل ترابها علي .. ولم يمش شعر على زواجي المنكود ، رأيت في اثنائه ، الوان العذاب ، الذي اذبل نضارتي ، ومزق زهوتي ، حتى هوى زوجي طريق الفراش ، يهدده مرض قتال ، وظل في المستشفى ثلاثة اشهر ، تذوقت فيها الالوعة والحرقه والالان ، ولمسا شفي ورجع الى البيت ، كانت حياتنا في شقاء دائم ، فان اهتزازات عصبية ، دقت جسمي ، فاصبحت ضجرة ، انور لاتفه حاد ، وكما كانت احاديثه تحزنني وتدميني ، دائماً يتكلم بافاضته عن ثروته وامواله وذهبه ، فأضفي اليه شاردة الى احاديثك ، يا أسعد ، عن الزوانع التي تهرز المشاعر المشبعة بروح الخيال ، الملتبته بالشر والعاطفة .. ومسحت دموعه كبيرة تفرقت على وجنتيه الصافيتين ، وقالت : هذه هي المأساة التي قادني اليها والذي ، مندفعاً بجبه لئال والجاه ..

ومرت فترة صحت وجيزة ، طافت بها في رأسي الموقر افكار كتمتها وقلت محاولا التسرية عنها : يجب ان تتعلمي يا عائدة نصيبك في الحياة ، وصعقتني بنظرة مستطيلة وغمنمت : هناك على نظرتك الحرقا .

— عائدة اظن ان الوقت اذن لتذهبي الى البيت .

— ان ابرح من هنا .. فشركي لرؤيتك بالغ ، فكأنني كنت اضرب في صحراء جدبية ، حتى اهتديت اخيراً الى واحة ظليلة ، ألا يحق لي الاستمتاع بآنها وبردها وظلالها ..

— ولكن زوجك سيقلق على غيبتك ..

— لا تخشى شيئاً .. فهو بالقوية يجلب الفلاحين ، وينتزع اقمعتهم ليضيفها الى ذهبه الكثير .

وصبيحة اليوم التالي افقنا مذعورين فقد احتوا بنا ليل رهيب خفت باجنحة السفاد علينا ، وتيقظت عواطفنا المكبوتة . ولما خرجت الى بيتها ، اعنت نفسي الف مرة فان جرمني كان بالغاً عميقاً ، وعولت على عدم ملاقاتها مرة اخرى ، وأخذت ضميري يوجئني بقسوة ، وشعرت بخوف وندامة ، ولكنها جاءت مرة اخرى واعقبها مرات ، ومات ضميري ورأيت في اثنا شيئاً عادياً .. وكما كنا نتمنى لو نستطيع الخلاص من زوجها ، لتزوج بشرف امام الناس ونصبح منسجمين في وحدة تامة بعيدة عن كل ريبة .. ووعدتني انها ستسعى جاهدة لتنفيذ هذه الاربعة .. مهما كلفها الامر .. ولكنها لم تستطع مقابلة ارادة زوجها الذي يرى فيها متاعه الثمين وكثرة الغالي وشحه اللائمة ..

وقالت لي مرة : كم لقي يا اسعد ان اصبح امأ .. احب ان ارى لي طفلاً الاسمه واداعيه وادله ..
وجاءتني ذات يوم ووجهها متهلل القمحات طلاق الاسارير ، وبادرتني فوراً : البشري لك يا اسعد ، سأعذو امأ ، واحسنت بلذة : سأكون أباً .. ولكني لم البث طويلاً حتى ماجت ظلمة امامي :

ودخلت عائدة المستشفى لتضع ، وحسبت انفاصي ، استرق الاخبار ؟ ؟ ورحمت قائماً كلس حذر ، خشية ان يقتضض امره .. وعلت اخيراً انها وضعت اثني أطلقت عليها اسم منى ..

وياالشوقي القوي لرؤية منى ، التي حرمت رؤيتها .. وسرت برأسي الدائخ خاطرة استمت لها ، سأذهب الى المستشفى واراها رغم كل شيء ، ولكن هذه الفكرة لم تعشمش في ذهني طويلاً خشيت مغبتي الشائنة ، وافتضح امر عائدة التي ادفع حياتي فدية لها ، أأطاع سمعتها ؟ أخذت كرامتها ، وهكذا تقاذفتني الاوهام في حلها العاتية ، لا اعلم السبل الاصح الذي يبعد القورة المزجة التي تتأبني .

وتريثت ... ممللاً النفس بجيشها الى ... وانتصرت بجيشها بعد اسابيع من وضعها ولكنها لم تأت ، وطفقت الهوم والهواجس تصهري وتؤذني واخذت خيالي الفسيح يضرب في اودية التخمين ورحلت انسقوط عورها وبالهول الخبر الذي حز في اذني .. فالامال التي بنتها كان اساسها من رمل انهارت بسرعة : ولم اصدق الخبر لاول الامر وفزعت الى التكذيب تخدراً اعصابي الهائجة ولكن الخبر ذاع وشاع في المدينة ان عائدة قد جنت وستدخل المستشفى لمعالجتها وآية الامر ان عائدة لحناها الغامر على ابنتها كانت ترقدها دوماً بقربها على فراشها وكأنها غفت ذات ليلة فقلبت على ابنتها فصرت عودها الرخص ولفظت انفاسها .. بخفوت وسكينة ، ولما رأت ان حاشاشها فقدت روحها انتابتها ضربة قاتلة في الصمم فهاجت اعصابها وتلفظت فالضربة الكبيرة لم تتحملها ، وهي المتشوقة المتلقة دوماً الى طفل يغذي نهبتها ويسد جوعها اللامومة ..

وتناقلت الاسنة ، انها مزقت ثيابها ، وقطعت لحم جسدها ، وخرجت تصيح في كل مكان ، ان زوجها الذي قتل طفلتها ، لانه علم انها ليست ابنته ، ولما فحصها الاطباء ، قرروا انها عولت في عقلها ، وهي بحاجة للاستشفاء والمعالجة الحكيمة ، لتخرج من ازمته .

يا الهي ما اقوى الحياة .. لقد تلقينا القضاء العاجل ، فقدنا كل شيء ، الطفلة العريضة ، التي لم تجترح اية جريرة ، واضعنا الحب الذي كان يفرق باجنحة الفضة علينا ..

دخلت عائدة المستشفى ، ودخلت في دنيا الاشباح المروعة ، والالام اللاظية .. ففي كل مكان يرف شبحها يتهمني .

اجل لقد فقدت كل شيء ، وحالتي تدعو للارثا ، اكثر من حالتها .

الاذنوب — محمد عاج حنين



مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

- لندن ١ - كانون الثاني سنة ١٩٤٣ - أعلن سقوط فيلي كولوكي تحت هجمات الجيش الروسي وايدت حاميتها وأتت روستوف مهددة ورجيف بخطر الانزعاج . القاهرة - وصل القوج الاول من الحجاج عائداً من الديار الاسلامية المقدسة وقد استقبل بأخفاة التقليدية الرائعة . لندن - فهم ان الجنرال دبول لم يتلق جواباً خطياً رسمياً من الجنرال جبرو غير ان جبرو اعرب بأنه سيكون سعيداً بالاجتماع برئيس الفرنسيين المجاهدين .
- القاهرة ٢ - التحصنت قوات الحلفاء المتطردة جيش روميل المنهزم من جديد بالاعلاء في منطقة وادي الكبير ويشير تباً آخر ان قوات الجنرال لوكاير الفرنسية القادمة من شاد تقترب شيئاً فشيئاً من ميادين العمليات الحربية في منطقة طرابلس الغرب .
- واشنطن ٣ - صدر بيان مشترك من سبع وعشرين دولة متحالفة واللجنة الفرنسية القومية انذرت فيه دول المحور بأن حقوق المشتاكل التي عبت بها النازيون وتصرفوا بها في البلدان المحتلة ستعاد الى ما كانت عليه وإلى اصحابها الشرعيين . زوريج - اعترف الالمان بتفوق القوات الروسية التي عاجهم في مختلف جبهات القتال وكتبت صحيفة المانية بأن التفوق ليس في الرجال والذبابات فحسب بل بالطائرات أيضاً .
- استنبول ٤ - يقول القادمون من صوفيا ان موجة اعتقالات جديدة اجتاحت بلغاريا على اثر اكتشاف مؤامرة تستهدف اغتيال كثيرين من النازيين والقادة البلغاريين .
- الرباط ٥ - اداع مقر قيادة الحلفاء في افريقيا ان المحور قد في الشهرين الاولين لحملة افريقيا ٣٤٤ طائرة مقابل ١٤٧ طائرة خسرها الحلفاء . دمشق - استقال السيد حسني البرازي رئيس وزراء سوريا وخلفه في منصبه السيد جميل الاثري رئيس حكومة سوريا السابق في العام ١٩٣٠ . وبقي سائر اعضاء الوزارة في مناصبهم ما عدا دخول الامير مصطفى الشابي في الوزارة وزيراً للمالية .
- القاهرة ٨ - وصل الى القاهرة اربعة من النواب البريطانيين ومم قوام البعثة البريطانية التي زارت الصين وهي عائدة بطريق مصر وقد قابل اعضاء البعثة مع السفير البريطاني بمصر رئيس الوزارة المصرية . الجزائر - صرح الجنرال جبرو بقوله : اني - كما قال كليمنصو - احارب لاجل تحرير الوطن الاصلي ووضع حد لجنون العصر الاثاني القطيع ، لقد ولدت الزمزم على اتباع الطريق المسبب حتى النهاية . ووجه الجنرال كلامه الى الضباط فقال : سأهزم الالمان معكم وجيش ١٩٤٣ في كل مكان تأتي بهم تسكرهم ما فعلناه في العام ١٩١٨ .
- سان باولو ٩ - أعلنت الجالية الايطالية في البرازيل بذكره من اهل الايطاليين الاحرار بشجور ايطاليا قريباً من الفاشية والنازية وقالت ان الامم المتحدة لا تحارب الشعوب البرية انما تحارب الديكتاتوريات والاحرار الايطاليين في البرازيل يريدون الانضمام الى جيوش الحلفاء لتحرير بلادهم . لندن ١٠ - بعد ان استولت القوات الفرنسية المجاهدين اربعة من شاد على براغ وقعت السلم الفرنسي على ام الارباب والظفرون تشتر في تطهير منطقة فزان من الاعتداء . واشنطن - صرح السير جوناثان بورو وزير الدفاع الهندي في اجتماع المجلس التشريعي الهندي بأن ٥٣ بالمئة من رجال الاسطول الملكي الهندي من المسلمين ويميل عدد كبير من افئدة المسلمين في سلاح الطيران الهندي .
- واشنطن ١١ - يقدر عدد المسلمين الصينيين الذين يساهمون بالحرب مع الامم المتحدة بنحو مليوني رجل ويشترك عدد كبير من مسلمي الصين باعمال العصابات الصينية التي توجه الضربات القاصمة لليابانيين . لندن - ارسل فخامة الجنرال دبول برقية الى جلالة الملك عبد العزيز آل السعود جاء فيها : « بمناسبة ذكرى ارتقاء جلالتكم العرش ارجو التفضل بقبول تحنني الحارة واماني الخالصة لشخصكم ولرفاهية شعبكم .
- كافورنيا ١٢ - جرت لاول مرة طائرة من طراز لوكهيد مثقلة الذيل ذات جسم كجسم كلب البحر تستطيع ان تحمل دبابة خفيفة بادواخسا ومعداتها وان تدير بها المحيط وقد وصفها المهندسون بانها اكبر وامرع واغوى طائرة نقل بنيت حتى الآن .
- واشنطن ١١ - قدم الرئيس روزفلت الى مجلس الكونغرس اعظم مبرانية في تاريخ الولايات الاميركية المتحدة إذ يبلغ قدرها مائة الف مليون دولار تقتل اضخم برنامج وضع حتى الآن للسير بالحرب .
- مسكو ١٢ - استولى الثوار اليوغوسلافيون على حامية مدينة كبرى وكان بين الغنائم كثير من المدافع وثلاثة الاف بندقية ودها فاطرات مشحونة بالمون والعتاد الحربي وعدة مستودعات للذخيرة . ملبورن - خصصت الحكومة الاسترالية نصف ميزانيتها للحرب أي حوالي ٤٤٠ مليون با في ذلك مختلف اقروض الحرب .
- لندن ١٣ - انزلت الدمعة (لاكوبمانات) الجديدة وهي للفرنسيين المجاهدين من احد احواض السفن البريطانية الى البحر بحضور قائد القوات البحرية فرنسا المجاهدة وجميع البحارة من الفرنسيين . لندن - أعلنت اللجنة الفرنسية الوطنية اضمام الحزب الشيوعي الفرنسي الى الجنرال دبول . الجزائر - اداع راديو الجزائر ان اساحة من النوع الجديد الذي يستخدمه الاميركان قدمت في رباط الى الوحدات الفرنسية .
- لندن ١٤ - وصلت امدادات كندية هامة جديدة الى انكتارا .
- شونكيغ ١٥ - اداع المرشال شان كاي شك خطبة لراديو على اثر توقيع الاتفاقات بين الصين واميركا وانكتارا بشأن العام الانتبايزات الاقليمية في الصين جاء فيها « ان التوقيع على الاتفاقات لا يوافق مائة مائة تاريخ الصين فحسب بل يتبر مساهمة مجيدة من قبل اميركا وبريطانيا والدول الحليفة لنشر الحرية والسواة بين الجنس البشري . لندن - استقبل المستر ايند فخامة الجنرال كاترو ودارت بين الرجلين احاديث هامة وذلك في مكتب وزير الخارجية .
- لندن ١٦ - أعلن مقر قيادة فرنسا المجاهدين ان السلطات الانكليزية اعلمت سبعة من الفرنسيين في مدينة توراحاولتهم اغتيال مارسيل دبا الذي يؤيد

التعاون مع ألمانيا . لندن - قامت البعثة التركية التي سافرت الى بريطانيا للتدرب على اساليب الاتاج الحربي بجولة في مناطق الدفاع السليبي وزارات الملاحي ومراكز الاسعاف والانتفاذ كما اهتم حضروا بعض التمرينات في مراكز المطافي . . بغداد - اعلن العراق للحرب على دول المحور الثلاث ألمانيا وإيطاليا واليابان وقد صدر بلاغ بهذا الصدد جاء فيه بالنظر للسوق المادي الذي تنفقه دول المحور من العراق ومعلمها عدم الاستقلال وضغطها في الماضي على البرلمان العراقي في سبيل مصالحها واثارتها للقلق فقد رأت الحكومة العراقية ان تلحق الحرب على المحور وتشترك في الدفاع عن المثل العليا . سانتاغود دي شيلي ١٨ - اعلنت الصحف الشيلية ان حكومة شيلي قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع دول المحور الثلاث ألمانيا وإيطاليا واليابان وقد ابلغ هذا القرار الى اللجان الدبلوماسية في دمشق وسلمت اليهم جوازات سفرهم وذلك بناء على الاتفاقات المفعودة بين جمهوريات اميركا . واشنطن - اعلنت وزارة الداخلية ان ٥٥٠ شخصاً وملا تجارياً في بلاد اميركا اللاتينية سجلت في اللائحة السوداء . لندن - زار الجنرال دينول مرفأً على ساحل اكتوبرا الجنوبي وفش الوعدات البحرية الفرنسية حيث يخدم في احداها ولده كضايط . وقد ألقى الجنرال دينول خطاباً امام الالف الفرنسيين الذين وصلوا الى اكتوبرا بعد حادث دنكرك . دمشق - فجمت البلاد السورية بقدريش جمهوريتها الشيخ تاج الدين الحسيني فقد توفاه الله اثر علة دامت بضعة ايام فكان لنبا وفاته صدى أليم في سوريا والاقطار المجاورة وقد احتفل رسيماً بمأتمه ودفنه . واشنطن ١٩ - ترى الدوائر السليسة في اميركا ان انسحاب فنلندا من الحرب اصبح متوقفاً بعد ان حررت مدينة لنتنراد من الحصار الذي دام سنة ونصف . لندن - جاء في رسالة من مدينة الكاب ان المارشال سمطس صرح بأنه سيقدم للبرلمان قراراً يقضي بالسباح لجنود افريقيا الجنوبية بالعمل خارج حدود افريقيا .

بيروت ٣٠ - نشرت الصحافة اللبنانية نص البلاغ الذي اذاعته المدوية العامة وفيه قرار اللجنة الوطنية الفرنسية للتخاذل للتشاور مع السلطات البريطانية بشأن اعادة الحياة الدستورية الى لبنان . لندن - اغرت المصانع البريطانية اسرع طائره في العالم وتدعى الانصار وهي تسير بسرعة ٥٠٠ ميل في الساعة وقوة محركها ٢٠٠ حصان اي اكثر من قوة قاطرة سكة حديدية . وقد اشتركت في الفارات الأخيرة على ألمانيا . دمشق ٢١ - صدر مرسوم يقضي باستادراسة مجلس البيرة الى دولة رنسى الوزارة السورية وتعين حكمت بك الحراكي نائباً لمدوب الحكومة السورية في المجلس المذكور . واشنطن - اعلان المتر شمسون وزير الحرية الاميركية نأ احتلال القوات الامريكية لجزيرة وادي الكنتال من جزر سليمان كما اعلن نأ اغراق باخرة ألمانية في اليابسك .

لندن ٢٢ - اعلن ان خطأ حديدياً جديداً يجتاز صحراء العراق قد انشي. لتسهيل امداد التموينات والاعتدة الى روسيا وقد دشن هذا الخط في الشهر الماضي وبني بمساعدة الجيش الهندي . بغداد ٢٣ - وافق مجلس النواب والايان بالااجام بعد اعد الرأي بالمقادة على مشروع قانون ينول الحكومة العمل على اضماع العراق الى تصريح الامم المتحدة وميثاق الاطلنتيك . لندن - يعمل رنم البحرية الفرنسية الى جانب الحلفاء وستألف قوات فرنسا البحرية من خمسين باخرة ثقيلة الجحولة . القاهرة - انقضت محلة الاذاعة في طرابلس الحرب عن العمل ويجري التحليل عن المدينة بيسيرة . جنيف ٢٤ - تفيد الاباير ان المعارك ناشت في شوارع مرسيليا من جوار ام القليس باعتقالات عديدة بين العمال الذين رفضوا الذهاب للعمل في ألمانيا . القاهرة - اجتازت قوات الجيش الثامن خطوط الدفاع التي تحيط بطنجة طرابلس وقد دخلت الوحدات المتقدمة المدينة التي تلتهمها النيران وتهاجم القوات الفرنسية التي احتلت بالجيش الثامن قوات المحور .

لندن ٢٥ - وقدت حكومة بريطانيا وحكومة شيكوسلافكيا معاودة قاعة على مبدأ مستمد من مبدأ الاعارة والتأجير . لندن - انكر الناطق في لندن باسم فرنسا المقاتلة ونفي ما قيل ان الجنرال دينول وافق على تعيين بيرو تون في منصب الحاكم العام للجزائر . وقالت وكالة فرنسا المستقلة ان دينول لم يستشر ولم يصادق على هذا التعيين .

لندن ٢٦ - اذيع رسيماً ان القوات الاسترالية والاميركية افجحت ستاندا واستول عليها وهي اخر معقل لليابان في بابوا . استمبول - حيث الصحف التركية تجلس واجاب سقوط طرابلس الغرب معبرة سقوطها نصراً عظيماً للحلفاء . موسكو - وجه رئيس الاتحاد السوفياتي الرقيق ستالين امراً بوميأ الى الجنود الحمر . وبعد ان عدد فيه الانتصارات المتظافرة التي احزرها الروس في مختلف الجبهات ارسل حملة حارة الى ضباطه وجيوشه وخم الامر اليومى قائلا ان الامام لرحم الجيوش المنهزلة خائياً وطردوا من الاراضي السوفياتية .

لندن ٢٨ - قدم السير كليم رنم ووزر المالية مشرع الميزانية الخيرية الى مجلس العموم وقد بلغت ارقامها ١٨٠٠ مليون جنيه وذكر ان نفقات الحرب في اليوم الواحد تبلغ ١٢ مليوناً جنيه وكانت في الميزانية السابقة ١٤ مليوناً في اليوم الواحد . لندن - اعلن راديو فيشي ان الاحكام العرفية اعنت في مرسيليا على اثر الاوامر التي اصدرتها السلطات الاناتية بوجوب اخلاء منطقة الجناة وترحيل السكان الذين قدر عددهم باربعين الفا . لندن ٢٩ - اعلن رسيماً انتهاء مؤتمر الدار البيضاء . وقد حضره الرئيس شرشل والرئيس روزفلت وكبار رجال هيئات الحرب الامريكية والبريطانية والجنرال دينول والجنرال جيرو وعدد من عملي الجيوش المتحدة وقد دام عشرة ايام اعلن على اثره ان التواريخ لم يسجل اجتماعاً حرياً للامم المتحدة كهذا الاجتماع الذي اسفر عن اتفاق شامل تام على توجيه معارك ١٩٤٣ كلها ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان وتقرر التسك خطة الهجوم القملي، وقد اعتر ستالين من الاشتراك في هذا المؤتمر الخليلر بسبب انهماك شخصياً بالقيادة العليا الا ان سفيرى اميركا وبريطانيا في موسكو ابلغاه نتائج الممرات وكذلك املت في شأن كاي شك القائد الاعلى للقوات الصينية .

لندن ٢٩ - على اثر انتهاء مؤتمر الدار البيضاء اذاع الجنرال دينول والجنرال جيرو بياناً مشتركاً جاء فيه لقد قابلنا بعضنا وتباحثنا فاتفقنا على الهدف الواحد وهو تحرير فرنسا واحراز النصر التام على العدو العام يتعاون الفرنسيين جميعاً في الكنتاج الى جانب الحلفاء .

العلم

الغرض من التعليم تنبيه القوى العقلية وتدريبها ، وليس ثمة معلم يستطيع ان ينبه عقول تلاميذه ويدربها الا اذا استعمل عقله حراً من القيود . فاذا علم ما يؤمر بتعليمه كان هو وتلاميذه كالألة ، هو ينقل ما قيل له ان ينقله ، وهم يقبلونه من غير بحث ولا مناقشة وكان العلم والتعليم سطحيين . ومتى قيد المعلم كذلك فقد احترامه نفسه وما له من مقام وكرامة في نفوس تلاميذه ، واذا فقد مقامه في نفوسهم عجز عن التأثير في عقولهم . والتعليم الصحيح يتوقف على اشتراك المعلم والتلميذ في البحث اشتراكاً حراً وهو يعلم ما يجليه البحث والفكر وهم ينتقدون اليه لما في تدريبه من قوة فيقودهم في سبيل البحث والتنقيب ولا يستطيع احد ان يقود غيره اذا لم يكن كلامه خارجاً من اعماق نفسه .

والعلم المستبد بأرائه ، المتعصب لها ، ينشئ : طلبة جامدين ، والدولة التي تجري على نظام تعليمي هذا أساسه تنشئ : امة تهمل الحرية الفكرية اللازمة للارتقاء .
اننا لا نستطيع ان نجلس على مجلس تشريعي مستقل ما يجب ان يقر فيه . ان الرأي العام قوة عظيمة ولكننا لا نستطيع ان نكون اياً عاملاً ناضجاً من غير مناقشة ، ولا مناقشة صحيحة من غير تعليم صحيح حر ، وتدريب للعقول على التفكير المستقيم . فاذا حاول مجلس من المجالس التشريعية ان يقضي على حرية التعليم قضى على نفسه لانه قائم على حرية القول . واذا سعى الرأي العام الى طمس حرية الفكر والقول طمس صوته القوي ، لان الرأي العام ينشأ من حرية الفكر والقول . وما من دولة ديمقراطية تقدر ان تقضي على الحرية او تحمد حرية الفكر بدون ان تقضي على ذاتها وتحمد شعله حياتها .

ان العلم والديمقراطية ، من حيث لباب الصلة بينهما ، قوتان متفاعلتان : الديمقراطية تكفل للعلم الجو الذي يترعرع فيه ويزدهر . والعلم يدرّب العقول على التفكير الحر المستقيم ، وهو ما لا يبغي عنه في الدولة الديمقراطية . واذا صح ان صوت الشعب من صوت الله ، فيجب ان يكون صوتاً صادراً عن تفكير مستقيم ، والا صح فيه قول خصوم الديمقراطية : ان صوت الشعب صدى لصوت الشيطان ، وهم يقولونها تسويقاً لكبت هذا الصوت .

مهنتي واثرها في بناء الامة

١٠

المزارع

بفلم المهندس الزراعي عادل ابو النصر

تسمعون اليوم حديثاً زراعياً ، يبحث عن المزارع وتأثيره في بناء الامة . المزارع كلمة لا تعبرها اهمية كبيرة ولا تقدرها حق قدرها بل نزفها بشي . من الاستخفاف ، واحياناً بشي . من الازدراء . . . ولكنها كلمة لها اهميتها ، ومكانتها من الاحترام في البلدان الراقية التي تعرف ماهية الزراعة .

من المعلوم ان الارض اساس الثروات ، وحيثيتها من حياة الامة لما ينمو فيها من نباتات تمنطقنا الغذاء ، ويرى فيها من ميساه تروي الظلمة « وجعلنا من الماء كل شي . حيا » .

المزارع يلعب دوره بين هذه العوامل ، فيهي . الارض للزراع ، ويحافظ على مياه الامطار ، ويقدم للنباتات الغذاء ، ويعتني بالمزروعات لتصبح صالحة لبني الانسان . فالزراع روح البلاد ، وتافخ الحياة فيها ، ولذلك فهو يكرس اوقاته ليقدم لنا ما نحتاجه من غذاء . وملبس ومال وقوة ، وجاء . هو اداة الانتاج ، وهو يتحمل برد الشتاء ، وحاررة الصيف ، وضربات الطبيعة ، وهو العامل الاول في موارد الثروة ، وعمادها الاوحد . فالزراع يزرع لبلاده القمح ، وهو يفلح الارض ويبدد الحبوب ، ويحصد ، ويدرس ، ويكافح الاوقات . ويعمل من الحقول الجرداء . حقولاً ينبت فيها القمح ، فهو زغب الارض يغطي سطح التراب ويكسوها لوناً اخضر لاهماً ، يبهير الانتظار . ويفرح قلب الانسان . ويميل رونق الطبيعة ، فتدق الطيور تحلق فوق السهل المزروع فرحة ، والشمس ترسل اشعتها الذهبية لتعجل في غو هذا النبات والمزارع ينظر الى غو بدقة ، وصبر ، وجلد ، وينظر وقت الحصاد ووقت الحصول على المحصول . . فلا يأتي وقت الحصاد حتي يتغير اللون الاخضر ، ويصبح اصفر لاهماً ويمتلئ السنبال ، وتبيل نحو الارض تواضعاً وخشوعاً ، فبأني المزارع ويقطع هذه السنبال المتواضعة ، ويدرسها ويجمعها ويجزئها لتكون غذاء . بني قومه ، ونحن ننظر اليه بشي . من الفخر . والاستخفاف . انظر الى المزارع وهو يفلح ارضه بجرائه كيف يتصبب العرق من جبينه وكيف يتعذب حيناً تقسو الارض وحيناً يجرد صخوراً ، وحيناً ينظر الى المستقبل فلا يجد الا انوراً ضئيلاً . .

انظر الى المزارع الذي يفلح الاراضي الجبلية كيف يصعد الى سفوح الجبال ، وينقب الارض بموله ، وينسف الصخور التي يجدها امامه ويبي الجدران ، ويكون من الجبال الجرداء جبالاً صالحة للزراعة تدر الخيرات وتقدم المواد الغذائية اللازمة لحياة الامة . . وما الفلاحة في الحياة الزراعية ، وفي حياة الامم سوى منه للافراد . وما الخطوط التي يخطونها في الارض سوى طرق السعادة . .

فهو يزرع الخضروات ، ويزرع الاشجار المثمرة ، ويربي المواشي والطيور الداجنة ، ويزرع النباتات الليفية كالكتان ، والقطن ، لتعمل لباساً يقي الانسان من برد الشتاء ، وحاررة الصيف ، ويزرع النباتات الزيتية لاساكل والصناعات ، وهو يربي دود الحرير لتسج الالبسة الفاخرة . ويربي النحل لتجني العسل ، وناكله غذاء . لذيقاً وهو يقدم الى الصناعات المواد الاولى اللازمة .

ولولا المزارع لما استطاعت امة من الامم ان تحافظ على كيانها وكيان افرادها . ولولا المزارع لما رأينا افراد الامة تسير بصحة وقوة . لقد خلق المزارع ليسعد الامة ويقدم لها ما تحتاجه من مأكل وقوة ومال . قد خلق المزارع لبني المسدنية التي تؤمن راحة هذا الكون .

لقد خلق المزارع ليؤلف الاغاني الطبيعية ، وينشرها كما ينثر الحبوب ، ويعلم الانسانية الرأفة والرحمة فهو يستمد من الارض القوة ، ومن الطبيعة روح الاستقلال .

هذا شي . قليل عن مهمة المزارع ، وتأثيره في بناء الامة ، فامام هذه التضحيات نرى من الضروري ان نهي . له اسباب الهنا . وان نمجد له الطرق ليمكن من تعزيز قواه ، وتحسين حالته الصحية ، والحلقة ، والمادية ، والزراعية ، ولا يكون ذلك الا بتعقيق المسائل الآتية :

اولاً - من الضروري تحقيق مشروع النقابات الزراعية في البلاد لانقاذ طبقة المزارعين المجدة المائلة من حالة الضعف ، وانهاضه الى المركز اللاتنى بها ، وجعل وسائل الانتاج قريبة المثل من جميع طبقات الشعب .
وهذا النظام يحسن الزراعة ، ويجمع كلمة المزارعين ويعلمهم الاعتماد على انفسهم ويوجه قواهم نحو اصلاح حالتهم المادية والادبية وكل ما يرمي لهيضة الزراعة في البلاد .

ثانياً - ولا يمكن تحقيق الهضة الزراعية الا بالمعاونة مع النقابات الزراعية التي تقرب وجهة نظر الحكومة من اذهان المزارع .
والاوفق في هذه البلاد ان يتغير وجه التعليم الحاضر لانه يخرج ابنا. الزراعة عن افقهم ، ويلقي بهم متهاقنين على الوظائف كوسي.
الى البلاد ، ويهدم التوازن الذي عليه قوام الاعمال .
فالتعليم في بلادنا يجب ان يرتبى لذلك على الزراعة وان ينتشر التعليم الزراعي بين القرى والمزارع فتتقوى الاعمال الزراعية فتنتعش البلاد .
يجب ان نوجه انظار اصحاب الاراضي الى الاعمال الزراعية الحديثة ، ويجب ايجاد بيئة زراعية تحيي البلاد .
ثالثاً - لا يمكن لامة من الامم ان تتقدم وترتقي اذا كانت زراعتها منحلّة لا اثر فيها للفن الحديث .
ولا يمكن لاعمال المزارع ان تنجح اذا لم تقم على اساس العلم والاخلاص .

ان الاقدام على تحقيق المشاريع الزراعية يحتاج الى علم واسع والى دقة في العمل ، والى درس متين بحيث لا تنصح المزارع بزرع نوع من الاشجار المثمرة الا بعد ان تتأكد قداماً من نجاحه ، وان هذا النوع يوافق المناطق الباردة او المعتدلة او يوافق المناطق الشديدة الرياح ، ولا يتسنى لنا الحصول على المعلومات الا بانشاء مختبرات لختلّف الزراعات في مختلف المناطق لتساعد المزارع في مهمته وتقدم له ما يحتاجه من معلومات ، ونسوب ، ونباتات ، وبذار ، وسجاد .

ولا يمكن لهذه الاعمال الزراعية الجبارة ان ترتقي ، الا بدائرة زراعية جبارة مبنية على اساس الاختصاص والاخلاص .
ومن المصلحة وضع برنامج زراعي علم تسيّر عليه الدوائر الزراعية لان النظريات التي تنجح في مكان ما قد لا تنجح في مكان آخر .
والاعمال التي يمكن تطبيقها في محيط ما قبل يتخذ تطبيقها في مكان آخر .
لذلك من الضروري اختيار النظريات الصالحة للتطبيق ، وهذا الانتشار اذا لم يكن فيه شي . من العلم ، والتنظيم يكون مصيره الانهيار .
ليس العيش كما قال « روسو » ان نمش ونحن زقود ، ولكن العيش ان نعمل ، وان نستعمل كل اعضائنا وكل ما يعملنا نتمر باننا نمش » .

ليس العيش ان نهمل الزراعة بل العيش ان نشغل بانفسنا وان نعتمد على سواعدنا ، وان تقاوم المعثرات التي تقف امامنا . والطريق الى السعادة واضح ، نشغل في اراضينا المهملّة ، لنعتنّ بالبساتين ، لنعلم الاشجار ، لنخثر ارضها الملوثة بالاعشاب ، لنكافح الافات ، لنجعل الزراعة غرضنا الاسمى فنقوم لنا بمدينة حقيقية ومما الحرية والنور .

لقد آن لنا ان نقوم بحركة قوية نتمش الاكواخ الحقيقية ونقوم بالبساتين المهملّة وتهدي النفوس الحائرة .
لقد آن لنا ان نعلم ان لا حياة لنا الا بالزراعة ، فمن اللازم ان تسري هذه الروح بين الطبقات ، ومن اللازم ان نتبّس الاصول الحديثة والنظريات القوية ، ومن اللازم ان نزرع حق الصخور الصماء .
عند ذلك نقوم لنا بمدينة حقيقية مبنية على اساس متين .

عادل ابو النصر



الحکاتیب

بہارِ عمر فاہوری

يقول الرسام الفردي الثانية «دومية» وهو مخاطب بالطلع ، زملاؤه من ارباب الفن : « يجب ان تكون من زماننا . » Il faut être de son temps . بعبارة اوضح ، ان تكون من زماننا ، وفي زماننا . وازمننا . انما تضع سنوات افصح في البكالوريا ، وكل دورة اصبح مئات من الطلاب والطالبات ، اذا ما سئلوا عن الشعر الجاهلي يقولون علي هذه الامثلة : يقولون ان الشاعر الجاهلي كان خطيبه ، وحافظ انسابه ، وحامي اعراضه ، الى آخر ما هناك من السجاياء - بل الوظائف - الاجتماعية التي كان الشاعر في طرد (يزعمون انه الطور البدائي) من اطوار الادب العربي ، وموصوفاً وقتاً بما . ولا عجب ، فالادب مثل سائر الفنون الجميلة ، ظاهرة اجتماعية اصلاً ، ووظيفة اجتماعية فعلاً . في العصور البدائية رزى الفنون متصلة بالدين ، كفروع شجرة واحدة ، رسا اصلها ، وفروعها في السماء . من الرقص المقدس ، الى الفناء ، والترانيم ، الى النقش والتصوير على جدران المعابد والمياكل ، الى التشثيل الديني في افئنتها وحول ساحاتها . . . الدين ، تلك المجموعة من معارف الانسان الاولى ، او التفسير الاول للكون : بدايته ونهايته ، واطواره واسراره ، وجميع حالاته الحاضرة والمغيبه . . . وبين الآداب والفنون على اطلاقها من جهة ، والحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية من جهة ثانية ، تفاعل دائم مستمر ، لا يضره شيئاً ولا يفعله ولا يتأخر عنه .

لست أزعج أن الأدب العربي اليوم رجل غير مرتبط بزمته ، أو على الأقل بمواقفنا ، لأنه في الأغلب ، يزاول مهنة أغزى يتكسب بها ، كاصحافة أو التعليم أو عمل الدواوين ، ولا يستثنى في هذه المهن عن الساعة - الساعة الجامعية . لكن الأدب العربي ، إذا خرج إلى السوق ، فهو يضي في حاجاته المعاشية ، وفلا يذهب في حاجة أدبية أو فنية ، وإطلاقاً ، ليس في مجتمعاتنا أشياء كثيرة يرضى عنها ، بل كاد لا يكون فيه ما يرضى . مطلقاً ، في دنيا الكسح هذه ، في جميع مظاهر حياتنا ، ونحن طالبنا الأدب بأن « يتزل » إلى السوق حيناً بعد حين ، فقد طالبناه إذن ، بأن ينظر ويعرف ، أن يوفق ويثمر ، أن يعمل ويخلص ، وأن يبدع أيضاً ، وبالفصحى - إلا أن نلزمه القيام بعمل اجتماعي ، بينما هو بوثر الاعتدال في برجه العاجي ، في تفرد حصين . كيف - يا رعاكم الله - تربذونه على التنازل عن رسالة الأدب ، مستبدلاً بها وظيفة الأدب ؟

« رسالة الاديب » : لقد كان الانبياء وحدهم ، فيما نعرف من الازمنة ، ذوي رسالة . فاذا كل من عليها اليوم ، له رسالة : الطبيب والمعلم والصالح والمحامي ، ويتبعهم الاديب . حبذا لو ان هؤلاء جميعاً يقولون من التبحر برسالتهم اقل كثيراً ، ويكثرون من اداء وظائفهم اكثر قليلاً .

وقد اخذ بعضهم على ادب (او متأذب) ما ، اشتغاله بالسياسة ، زاهين انه يسخر منه او اذيه بل الفن والادب ، لاغراض لا ادري بم ينتوتها ، او هم لا ينتوتها بشي . مخافة ان يمحوا على الخروج من دائرة الموضوع والابهام التي يجود فيها راحة نفوسهم ، مكفين بماذا يبدونها ، او لهجة يتصنعونها . يقولون ان الكتاب والشعر هم حفظة القيم الانسانية الباقية ، وخالفوا الامثلة العليا في عصر من العصور ، لحيل من الناس ، فلا ينبغي لهم ان يسفوا ، او يبدلوا ، او يتعرضوا لما لا يعينهم . . . لكن ترى ، اية سياسة يعنون ؟ اذا كانت كل قيمة انسانية ، وكل مثل اعلى ، عرضة لاداهي خطر شهده التاريخ ، ببناء الامم والافراد في معسكرين اثنين ، في نضال مدجج بالحديد ، مضرج بالدم ، في ملحمة كملاحم الاساطير . . . ترى ، أمن « الاشتغال بالسياسة » ان ينظر الاديب ويعرف ، ويعقل ويشمر ، وينفعل ويحمس ، ثم يرسل صيحة ، او يصعد زفرة ، او يهتف لاحد المعسكرين ؟ اكبر الفنان ان « هؤلاء ، الاديا ، انما يعنون على « هذا » الادب ، اشتغاله « هكذا » بالسياسة ، لانهم في اقصى ضمائرهم لا يستطيعون « هم » ان يهتفوا المعسكر الآخر . فانا لم نهم يوماً وقد اخذ بعضهم على بعض ، انها كما في سياسة ما ، سياسة تعين الحائزين ، بله التواطؤ .

لن احدثكم عن القرآن واثره في بناء العالم العربي ، ولا عن شكيب واثره في بناء التمدن الانكلسوني ، ولا عن ذاتي واثره

المربية

بفلم الأستاذ روز غريب

منذ سنوات قليلة قررت وزارة المعارف في هذه البلاد ان تستبدل اسمها القديم باسم «وزارة التربية الوطنية». ولم يكن التبديل مجرد تجديد لعوي ولا جدناً مستغروباً في بابه، فقد سبقها اليه حكومات غربية. لكن هذا التبديل يهمننا بنوع خاص لانه يشير - ولو بصورة اسمية - الى تبدل خطير بل شديد الخطورة في تاريخ التربية، واتجاه حديث في فلسفتها، حملت لواء الحكومات الراقية وحاولت تطبيقه، لا بتبدل الاسماء فقط، بل باصلاح طرق التعليم في مدارسها وتعديل مناهجها وتجديد اساليبها باستخدام النتائج التي اقرها العلم التجريبي الحديث. أي فرق بين تلقيني «معارف» و«تربية»؟ ولماذا كانت الثانية اصح دلالة من الاولى؟... المنقني عليه عند الباحثين ان التعليم او نقل المعارف يعني تلقين الدروس او المواضيع المتنوعة كالحساب واللغة والطبيعات وما شاكلها من المواد التي لا يهم المعلم فيها - سوى ان يحفظ الطالب الدرس او يفهمه حتى اذا سئل في الموضوع يستطيع اجابة السائل - هذا اذا لم يكن قد نسي ما تعلمه. اما التربية فتتناول غير هذا: هي عمل ابعد واوسع جداً من تلقين المواد او حشو ذهن الطالب بها. التربية تعني بالانسان كله، لا بالذاكرة ولا بالعقل فقط. ولا تتخذ التعليم غاية بل وسيلة للنمو العقلي وسبيلاً للتغذية موهبة الخلق والابتكار. فان لم يحقق التعليم هذا النمو عدلت طريقته لينتهي بالنتيجة المطلوبة. التربية عملية متصلة تتناول العمر كله. لكن معطاهما يتم بين الولادة والبلوغ. وهي ترمي الى النمو المتصل المطارد في جميع نواحي الحياة العقلية والروحية والاجتماعية والبدنية. اما التعليم فبنا محدود في ناحية واحدة محدودة من حياة الفرد. هذا ما تميزه لفظة «تربية» اذا قيلت بلفظة «تعليم». ولذا كان استبدال لفظة «معارف» بلفظة «تربية» امراً مستحسناً، بل لازماً على شرط ان يكون التبديل فعلياً لا اسمياً فقط.

هدف التربية الحديثة اذاً - واعني هنا الابتدائية والثانوية لا التعليم المهني والاختصاصي الذي يليها - هو اولا ان لا تكون تعليمياً بل تربية شاملة متوازنة تتناول جميع نواحي حياة الطالب. ثانياً: ان تكون هذه التربية ذات صبغة وطنية. فكيف تحقق هذين الطرفين؟

في بناء الوحدة الإيطالية، الى اخر حلقات السلسلة، فهذا الاثر قد يختلف في نسبه الى العوامل الاخرى، او في مقارنتها، لكن لا جدال فيه، نجد ذاته. على انني لا اجد بداً من الإشارة هنا الى هذه الظاهرة العجيبة حقاً، وهي ان الكتاب العربي المبين، والطلسوف الانكليزية المخالدة، والتحقفة الإيطالية الرائعة، لمن حياة المجتمع وسياسته في الصميم... وهل كان الاديب او الفنان الا رجلاً من امة، وعضواً في مجتمع، يأخذ ويعطي؟ انه يتشكل بلغتنا، ويستمد من بيئتنا، ويعيش في جونا: هو ابن جغرافيته وتاريخه. فكل محاولة يأتينا كي ينساج من هذه الاصول الحية، خطوة يخطوها نحو الانتحار، انتحاره هو، ونظفل الحياة حياً - متطورة متبدلة متحركة - وما ادراك؟ قل هل هذا ما يشاء اكثر ادبائنا، اذا حملوا على الانغماس في الحياة العامة - والحياة على اطلاقها - او بالاقبل على الاتصال المباشر بها وببناياتها. ينجشون تطور تلك الحياة وتبدلها وتحوها، وان يضطروا الى اكتناه هذا التطور، او مساريته، او توجيهه، وفي الامر ما فيه من جهد، ادنى ما يقال في وصفه... انهم في غنى عنه، وكفى الله المؤمنين القتال. هكذا تنقطع الصلة بين الادب والحياة، وتبعد الشقة بين الاديب والمجتمع. لكن ينتهي الامر بان يستغني المجتمع عن ادب لا يجد نفسه فيه، اذ تلهو الامة بادابها العامية مثلاً.

ان في المجتمع حياة زاخرة لا تعد حياة اي فرد، مهما يكن عظيماً، بازاها شيئاً مذكوراً. فكيف اذا كان هذا الفرد ولا هم له الا ان يعيش متغاضاً منكمشاً على ذاته؟ وللاجاهير التي تتدب وتكدح مطامع وآمال. ولها امثلة عليا تتوق اليها وتتطلع نحوها، ويتم شطرها. قد يكون ذلك كله غامضاً في سرائها موعزاً في ضمايرها، يتلجلج في الافئدة، ويتمتع به على الاسنة، فهو ينظر من بين عنة ويعجزه في صدرته المني. اما اذا لم يوجد هذا الاديب او الفنان، فالاديب او الفنان يكون غير موجود، لكن المجتمع وحياته يظللان في الوجود... في دنيا العمل والكدح هذه، في دنيا الامل والفرح هذه...

عمر فافوري

لا يتسع لي المجال في هذه الدقائق القليلة لاتناول الجواب بالبحث المسهب، لكنني أشير الى ناحيتين من التربية جديرتين باهتمامنا الخاص، ومع هذا لا نغفلان منا سوى الإهمال، لانها لا تدخلان في منهج الدروس ولا في نطاق الكتب. اعني بهاتين الناحيتين: التربية الاجتماعية والتربية الخلقية. فكلتاها مكمل لا بد منه للتربية العقلية، وكلتاها تألف الجزء الأكبر من التربية الوطنية التي تزمي اليها.

اما التربية الاجتماعية فمعلمها درس عملي قلما يعتمد على الكتب او النظريات، وهي تعني ان يثمرن الطلاب تحت ارشاد معلمهم على درس محيطهم القريب، واكتشاف حاجاته المادية والمعنوية، ومعرفة ما فيه من امكانيات قابلة للاستغلال ومن ادوا، قابلة للاصلاح، فيخلق بذلك صلة بين المدرسة ومحيطها ويدفع الطلاب الى مساعدة المجتمع والاندماج به وهم بعد طلاب، فيزيد بذلك استعدادهم للحياة المنتجة. والتربية الاجتماعية تتناول ايضا تمرين الطالب على التكلم في المجتمع بجرأة وصدق. كما تتناول تربيته على العمل المجبوعي او التعاوني الذي يربي اخلاقه ويعان حسن السياسة والاهتمام بالمصلحة العامة. اما الاعمال التعاونية فهي الجمعيات المدرسية والنوادي التي يديرها الطلاب بانفسهم، والفرق الرياضية والمشاريع الادبية كالتمثيل والحفلات. وتقومها اهمية مشاريع الخدمة الاجتماعية كأشياء مكملة تسانية او مساهمة رياضية او القيام بمجلة صحية او تنظيمية او تهذيبية كتعليم الاميين وما شاكل ذلك. ويدخل في التربية الاجتماعية التثقيف المدني الذي يوقف الطلاب على احوال بلادهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبطلعه بطريقة المشاهدة والرحلات والدروس العملية على مشاكلكم وتقاليدها وتاريخها وجغرافيتها، فيشعوره انه ليس فرداً بل جزء من مجموع عليه ان يتعاون وياخذ على العمل والكتاح. والخلاصة ان التربية الاجتماعية تقضي ان لا نغزل الطالب عن الحياة، فتقيم بيننا وبينه حواجز ونزعه على الانزفال في عالم الكتب، حتى اذا ترك المدرسة وخرج الى الحياة الواقعية رأى الفرق شاسعاً بين حياته في المدرسة وحياته خارجها.

اما التربية الخلقية فتعد جزءاً من التربية الاجتماعية، لكنها تستوجب منا عناية خاصة، لانها دعامة التربية كلها واساس الاهداف جميعها. ولندكر هنا ان التربية الخلقية في المدارس الابتدائية والثانوية هي الغرض الاول من التربية الانكليزية وان هذه المكنانة التي نحتماها الاخلاق في مدارسهم سر من اسرار نجاحهم. فالتربية الخلقية هي اهم ما تربي اليه دروس العالم الطبيعي والمختبرات عندهم حيث يثمرن الطالب على الدقة في التحليل والتفكير والاداء، والتفكير العلمي المجرود من العاطفة وزون القول قبل القائه. فالعلم هناك ليس لمجرد المعرفة بل لتكوين الخلق. ومثل ذلك دروس الادب والتاريخ فيجسمها تربي الى الاصلاح الاخلاقي وتربية الذوق والشعر والمجال.

اما عندنا فالتربية، كثيراً ما تعتبر وسيلة لتحصيل الخبر، وقد فاقنا في تحصيل الخبر انما لم يوسيلة الاختصاص والمهنة، لا بالتربية الابتدائية او الثانوية. وان التعليم عندنا قليل الفائدة اذا كنا لا نتخذونه وسيلة لمحاكمة الشرور والافات التي اورثتنا ايها عصور الظلمة والانحطاط التي نحاول الخروج منها. فهناك التزعة الاتكالية التي نندعم بها مبدء الابتكار والاستقلال في التفكير والعمل. ثم التقليد العمى لما مضى او لما نراه حولنا. ومنها التفوق المذهبي الذي يشل فينا كل حركة. ومنها الميل الى الكذب والرياء، والخنوع من جهة والاستبداد من جهة اخرى وهي ميزات ازدهرت في عصور الذلل والعبودية ولا تزال فيسنا آثارها الواضحة. فالمرؤوس خانع للرئيس لكنه مستبد في بيته، والموظف ذليل امام مديره، والمرأة تذلل للرجل او تظهر امامه بظهور الرياء، والولد ذليل امام والديه والصغير مستبد بهما في الكعب. انيس من واجب التربية والحالة هذه ان تقوم بتصحيحها في محاربة هذه العلل. ولكن كيف يتسنى لما ذلك بالمواظ على الدروس النظرية ما بالتهديد الصارم؟ لا هذا ولا ذلك. فالتربية الخلقية في معظمها درس عملي يتوقف على طرق علمية منها تربي الطلاب على الحكم الذاتي والعمل المستقل لسكي يتعودوا تسيير امورهم ويمسوا التصرف في غياب المعلم لا في حضوره فقط. فالضبط والمراقبة الشديدة ينفردان الطالب من التمسك بالنظام ويدفعانه الى الاحتيال والمراوغة للتخلص من العقاص. ثانياً: تقوم التربية الخلقية على خلق الجو الصالح في المدرسة وهذا يتوقف على شخصية المدرس وطريقته في التدريس ومقدرته على اكتساب احترام الطلبة وتفهيمه وذلك بما يلبسونه من انصاف واستقامته وصرافته وصدقته وعدم محاباته، بحيث يسود المدرسة روح العدل والرحمة والوفاء والنظام. وهنا لا بد من تعاون اسرة الولد مع المعلم على خلق الجو الصالح التربية الاخلاق والا فان الوالدين بمثابة السي. يهدمون ما يبنيه المعلم.

والان يحق لنا ان نتساءل: هل يصلح كل فرد مثقف لمهنة التربية؟ والجواب هو ان مهنة التربية تكتملها من المهن تستدعي التعاليم المهني او التخصص في مؤسسات التربية ولا شك في ان بعض الناس اصبح لها من بعض اولئك الذين اتصفوا بشخصية قوية شاملة التكوين. ويرى البعض ان المرأة اصبح لها من الرجل. والواقع ان المرأة اصبح من الرجل تربية الطفل في سنه الاولى فقط. والمرأة

القاضي

فلم وفين القضاء
رئيس محكمة الاستئناف

القضاء ركن وطيد واس متين في صرح المجتمع الانساني الذي لا راحة فيه ولا هناء الا اذا اساده العدل واستتب فيه الامن واستقرت علائق الناس على اساس السلام والوئام واحترام الحقوق والقيام بالواجبات .
ومتي كان العدل اساس الملك وكان القضاء منفذه وحارسه بدت اهمية القضاء . واثره في حياة المجتمع ، ذلك ان الانسان على الرغم مما خصه الله به من نعمة العقل وبهجة الفكر وحضه عليه من عمل الخير واجتناب الشر لا يخلو من ضعف في النفس ، والنفس امامة بالسوء فيعتدي على حقوق اخيه الانسان مسوقاً بالطمع والجشع والحقد والانتقام .

اشد اقبالا على مهنة التربية من الرجل لان المهنة التي تحسن القيام بها قابلة لمحدودة والتربية واحدة منها . بخلاف الرجل الذي يتسع امامه مجال الاعمال بصورة لا حد لها .

والعلم الحديث يرى ان قصر تربية الولد على المرأة وحدها امر غير مستحسن فالولد يجب ان يشترك في تربيته الام والاب لا سيما اذا جاوز سني الطفولة ، ويجب ان يستفيد من خبرة المربي والمربية والمجتمع بأسره فلا تستبد بتربيته الام وحدها ولا الوالد وحده ولا المربية . لان لكل من الجنسين مميزات تشكل نصص الاخر . ولذا يصح القول ان الالمام ببعض اصول التربية يجب ان يكون جزءاً من الثقافة العامة للفتاة والفتى فان لم يصبح الرجل معلماً احتاج الى معارفه التربوية حين قيامه بدور الابوة والامومة يصدق على المرأة .

اما واهداف التربية كما رأينا من الدقة والشعب فقد أصبح مترتباً على من يتخذها مهنة ان يكون من اهل الثقافة الشاملة والخلق الرفيع والضمير الحي والغيرة على المصلحة العامة هذا عدا اختصاصه في فن التربية ، سواء في ذلك مملو الابتدائية والثانوية . ومن الخطأ ان نعتقد ان التربية الابتدائية يمكن تسليمها لاي كان فعني تتطلب من الكفاءة والاستعداد ما يتطلبه التعليم الثانوي . وليس من العدل ان تصح مهنة التعليم لمبدأ للعاطلين عن العمل او من سدت في وجوههم ابواب الارتفاق فليس كل من عرف القراءة صالحاً للتربية . ولا يجدر باولي الامر ان يتخذوا لهذه المهنة غير اهل الكفاءة . فما اوجونا الى توسيع ابواب العمل وتكثيف المهن في هذه البلاد لكي يجد كل المهنة التي تليق به ولا يقل على مهنة التربية الا من يليق بها . وانه ليقع على عاتق الحكومة ان ترفع مستوى التربية في هذه البلاد ورفع مستوى القاضين بها وذلك يتم اذا اعتمدت الحكومة بتقديمهم المهني ومن وسائله ان تنشئ لهم المكتبات الفنية بالكتب العامة والخاصة لا سيما في القرى النائية عن العاصمة التي يسود فيها الجور العفلي وتقل وسائل النمو الثقافي ثم بان تشجع نشوء المجلات التربوية فهي خير حافظ للمعلم على التقدم والتثقف المستمر سواء بمطالعتها ام بالاشتراك في انشائها .

ويدخل في نطاق التقدم المهني التقدم المادي فواتب المدرس يجب ان يتناسب مع الجهود الشاقة التي تنتظر منه . وكيف نتنظر من المعلم ان يقبل على عمله برغبة واخلاص وان يسعى للتقدم والابتكار اذا كان يشعر انه مغبون مهمل . وانه لا يلقى المعاملة التي يلقاها اهل طبقته من المثقفين ، فالتنظيم يحيط بمتطلباته الاجتماعية ويثني . فيه روح الذل والصناعة او يدفعه الى الجور والالام الا اذا كان من غير طينة البشر . وهذه الحالة تقف حائلاً دون تقدم التربية والمربين وتنعيمهم من توحيد صفوفهم وانشاء النقابات المنظمة القوية اسوة بالمحامين والصحافيين وامثالهم من اصحاب المهن الثقافية . فمضى ان نتنظر « وزارة التربية الوطنية » الى هذا الامر بعين الاهتمام فتتابع الاصلاح الذي بدأتها في مدارسها والمدارس الاجنبية والاهلية و تواصل الجهود لرفع مستوى المربين وتوفير سبل تقدمهم المعنوي والمادي .

الجندى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الدرك اللباني

يشوقنا ، نحن الجنود ، قبل ان يلو صرح الامة طامعاً بوجهه الجديد وينفض البناؤون فيه ايديهم من العمل بان يكون لنا شرف المساهمة في هذا البناء الجليل ولو قصرنا مهنتنا فيه على الترميم او جعلوا لنا من السلسلة حلقتها الاخيرة . فنحن ، اذا لم نكن متصلين مباشرة بالخلفات جميعاً ، مقيسون اقله عند حدود تألقها ، حريصون على حسن ارتباطها وناسكها . وليس من الزم في شيء ان ندلل على خطورة الدور الذي يمثله الجندى في قضية الامة اذا ما عصفت بها الارباح الموح وبعباءة الشر موقوفاً ثائراً ، فاعماله في هذا الميدان هي اليوم ، أكثر منها في أي زمن ، ملء الاساع والابصار . لكن بحثنا يدور حول الرحالة التي تؤدجها الجندية في زمن السلم ومدى تأثيرها في كيان الامة التي تفرض الخدمة العسكرية اجبارية على جميع ابنائها . فالجندية ارجاء السادة هي واجهة الوطن الشافة ومدرسته التزيينية الكبرى في البلدان التي لها تاريخها العسكري المجيد وحضارتها العريقة العامرة . فهي التي تنهض الناس . يجمع

ولم يكن الناس في زمن الازمان متساوين في القوة والبأس والمال والجاه بل كان وما يزال فيهم القوي والضعيف والكبير والصغير والغني والفقير والذي فكان لا بد لاحقا على الحق واقرار العدل بين الجميع على السواء . يمنع اعتداء القوي على الضعيف وتحكم الكبير بالضعيف واستغلال الغني للفقير وذلك صوناً للارواح والاعراض والاموال وضماناً للحريات على مختلف انواعها في نطاقها المشروع . فالقضاء سلاح الحق وسيف العدل المسلط فوق الرقاب يرهيه الظالم ويطمئن اليه المظلوم وهو مظهر من مظاهر تطور المجتمع الانساني وارتفاعه بل هو من ضرورات المجتمع ومقومات اموره لانه الحارس الالهي لجميع المصالح الاجتماعية والحكم العدل بين الناس . ولذا كانت مهمة القضاء سامية ومسؤوليته خطيرة تثقل الكواهل حتى كان الكثيرون من اهل العلم يزهدون بها ويهربون تحيل تباتها لا شيء سوى الخوف من مزالتي الخطأ في الحكم والتعرض لعقاب الضمير . وقد ادركت الامم في جميع ادوارها واطوارها اهمية القضاء واثره في حياتها الاجتماعية فعدلت دوماً الى تعزيز مكانته وتقويته شوكتة وجعلته سلطة من السلطات الثلاث التي يقوم عليها اليوم نظام الحكم في العالم المتحضر ونخصته بامتيازات ومنع لم تختص بامثالها سلطات الحكم الاخرى اذ اولت رجاله حفاصة يستمدون منها قوة للعمل بوحى الضمير وتأثير العدل لا يخشون في قول الحق نقمة او بأساً كيف لا والقضاء يتصرف باموال الناس واقدس حقوقهم واهمها حق الحياة بالحكم بالمرئ على من يستحقه من الائمة الاشرار من ابنائهم المجتمع والقضاء ملاذ المستفيثين من مظالم الحكام اذا ما تجاوزوا حدود القوانين وانتهكوا حرمتها فيطالهم حكمه العادل بها علامتهم واشتد بأسهم .

وهو فوق ذلك كله وفي بعض البلدان القريبة حامي الدستور يبطل عل ممثلي الامة باعلائه عدم شرعية ما يسنونه من النظم والقوانين اذا ما كانت مخالفة للدستور يناقضها للعقوبات والحريات المضمونة به .

والقضاء بعد ان كان وضعاً قومياً نبأ لم يلبث بغضل انتشار روح المسالمة بين بعض الامم ان اتخذ مظهراً دولياً بان اعتبر اداة سلم عالمي قبلت الدول رغم تمسكها بالسيادة القومية بانشاء محكمة عدل عليا في مدينة « لاهاي » لانظر في الخلافات التي كانت تحتكم فيها الامم اليها لضمان السلم ومنع اسباب الحرب

وسيمثل القضاء الدولي دوره باجلى مظهر وابلغ اثر بعد ان تضع هذه الحرب اوزارها فيقتص كما اعلن ذلك رؤساء وقادة الامم المتحالفة ، من مثيري هذه الحرب الطاحنة ومسببي هذه المجزرة البشرية الهائلة التي اغرقت العالم في نجيع من الدماء واتزت به الكوارث والاهوال . وخلاصة القول ان القضاء دعامة كبرى في المجتمع الانساني الزائر بالاطماع والعاصف بالاهوال البشرية وهو ركن وطيد في بتيان قومية الامة . فاذا ما شامت هذه البلاد ان تقوم استقلالها الناشي على قوائم راسخة الاساس فعليها ان تعزز قضاءها لان غرة القضاء واستقلاله مظهر من مظاهر غرة الامة وسيادتها .

وفى الفاضل

ومسائل التعميم ، وهو يد طري المظهر ندي المود ، وتحرق في بوتقتها التطهيرية جرائم الانشقاق والتفسيق قطع جميع أبناء البلاد ، على ما تنقله فيهم الحياة من تباين في التفرعات وتناثر في الميول والمكانات الاجتماعية ، ييسم الوطنية الصحيحة والمساواة واللغة والاياء الممكئين ، فيمدون الى صون فاتهم الشاملة ، وقد ثلثوا روح الانقياد وقنعوا من جب الواجب ، ويتيسون نهمهم شامعاً لحسن الانتظام في البيئة التي يعيشون فيها . فرعاية الكسنة توفت في هذا الباب جزءاً منها لعناية الاسرة وعمل المدرسة او هي تنوونها ثنائياً في اعداد العناصر الصالحة للبيان الاجاعي . ليس الجندية في بلادنا تاريخ ، ولا تقاليد وهي في نظر السود الاعظم من اللبنانيين مينة يصدون منها وينشرونها وايضاً غوثيتاً ، كما كتب لنا ان نيش على هامش الحياة فأنخذ منها اكثر مما نعطى ونجعل من البشر العقلي دستورنا الاساسي وعقنا المشروع . فباثنا اذاً ، مهيا على جدرانها وتوافرت له عناصر النشوء والانقضاء ، بطل ناقصاً ما لم يرتفع فيه جناح خاص للجندية ويثبت فيها ميل صحيح الى اعتناق هذه البيئة الشريفة فيقبل عليها جميع المواطنين على السواء . اما مجموعة الدرك ، وهي احدي فصائل الجندية التي لا تحرمها البلاد ، فاعا ترجع في تاريخ نشأتها الى اواسط القرن المنصرم . وهي ما تزال منذ ذلك العهد تغطي البيئة اللبنانية المتنقلة متأثرة بجميع التطورات التي طرأت عليها . وقد عهد اليها امر المحافظة على الامن الداخلي وصون حريات الناس وموازرة السلطات على اختلافها . بيد ان علاقتها بتشييد باننا القوي تتخطى حدود الصون والمحافظة . فالدرك حجر الاساسي في بناية المدل ، يكتب على نفسه ، اذ يرتدي الثوب العسكري صكاً بان يذلل راحته وحياته لكي يؤمن لاصحاب المهن جوّاً عادلاً لعلمهم . وله الى ذلك ، في كل مينة شعبة فرعية يقدم بها الراعي ويؤسس الرعية على قدم ما تتطلب ذلك خدمته ورعايته . ولقد يستغرب البعض ان يكون على الدرك في مئنته الرضعية ان يلم بشيء من علم المحامي ، ما يرفع والطبيب في ما يعالج والمهندس في ما يصمم والمصور في ما يرسم والصالح في ما ينشر والمرشد الاجتماعي في ما يسط ويرعد ويقيم ، واعلم ليستنبون اكثر من ذلك عندما يملكون انه قد لا يسع واحداً من كل هؤلاء ان يودي عمله بدون موازرة هذا الجند في ما يسئل . فهي في ذلك اشارة للسلطة العسكرية التي تأمره والسلطة الادارية التي تجملها جزاً متصلاً بها . والسلمة الادارية التي تقوم لها عمل بدونه لا يمكنها مساعدة ثقيلاً تنسب الى انه يد بجن عادلاً ضرورياً في حقل البناء القومي ، وعندها جوهرياً لا غنى عنه لجيود اللبنانيين . الا ان هذه المهمة التي تنقل كهل الدرك هي اكثر المام دفعة لانه يلاقي في ادائها عقبات وفرة كاداء . فهو يسير بحكم وظيفته المتشابهة في عمرات ضيقة وعرة احياناً ، ينظر معها ، اما الى القيام بالواجب وفيه غالباً ما ينضب الناس ، واما الى ارضائهم وقد يكون في ذلك ما يتناقض مع الواجب ، ناعيك بما يترض له من التفتحات وانكارا لثبات وما يلقاه في سيرهم من ظلف العيش ونشوة الحياة . واذا كانت وظيفة الدركي او في الوظائف شاقة فهي الى ذلك اكثرها غموراً واشدها خطورة . فالجنديون ينامونه العداوة ويحزنون القرض للايقاع به بلهيم روح الانتقام وثورة الخند ، وانما فيهم قسم كبير من صلاح الناس ولانف ، تصدم في وقت الخلافات اذ يولونه الشتم ازمام في كبرهم مبالغين ، الكره الوطنية الشاملة والمتفحة المامة التي يقف نفسه على صباتها . فهم بدلائلهم وروافدهم وجلا تلوح خدمته غشيمه وتجرد لحاية القانون الذي تسلم بسلامته من احوالهم ومصالحهم ، ينظرون فيه طفلياً سجعاً خبيث التيبي . الارادة . وليس من غريبة في كل هذا العقوق الذي يلقاه الدركي في عمله اذ ان احدكم كما بهيغت الناس لا ياتي في الغالب الا مع الناحية الشكوكية المزعجة من نره يوماً يكلف نقل البشري وحمل بقاتل الافراح . فيينا يكون يتناول اصرار الامانة وقاعدة الفكر فيها علماني على دفع مستورا الاجتماعي وتوجيهها نحو المثل العليا الملتزمة بها ، يسطو هو الى المحافظة على ما يصممون وتفكرهم ما يشيرون فيهم بغير انذار . اللبناني جرحاً على جرحاتهم من البعث والتهديم . فالعالم الذي يؤديه الى جانب هؤلاء يتناول التفرقة الجرمية المتأصلة في النفوس . وقد اثبت علم الاجتماع المصري انه مما تقدم الفكر البشري وتسامت الاخلاق فيه تظل شافة الشر كسكنة في الصدور كسبون للارواح . وهكذا ، فهناك الناس ، هم المجرمون والفتنة ، لا قيمة لانخيم الانسان في ضيهم من الظالم الا لا يتوفى له من مظهر خارجي ولاب جنسي . وقد نجد من امثال هؤلاء قرايين من حسنت تربيتهم وارتقى فكرهم يترعون الى الشر لحوى في النفس او اشباعاً لحدواو رغبة في الانتقام . فلنسلم اوصال الامانة من التفتك المرير والنوضى الفاتنة ، لا بد اذا من قيام عامل يفرض التوازن بين الافراد وهذا العامل هو القانون وعامل القانون هو رجل الامن الذي يقف عند مفترق المبادئ ، وهيب الطامع ، وفحيح المنازعات ، فيشير باصبعه الناحية الى الحدود التي تنهي فيها حقوق ابري . لتبدي حقوق سواء . واذا حذف هذا العامل من « ورشة » البيان القومي اثبتك الحصان واصدمك السامان وتوقضت جدران البناء . فكما انه لا يسع الا ان تدير قدماً في معارج الرقي ما لم يتر امامها الهداة مشاعلم الهواج كذلك لا يسع ان تسلم من الكبوات ما لم يكن هالكاً من يسئل على ثباتها من الواسع الجرمية ويتبع الوسوس الذي يترجسها ويضع مضاجعها . لا هاد كان للجنس الانساني بتاوتهم ومصالحون فان فيه هدابين وجرمين وينبغي ان يكون له الى ذلك مبرمون ومودبون .

فرجل الامن ، ذلك القانوني الذي يدير بين الناس منذراً واقياً ، هو الذي يوفيه نفقة الاستقار في الجواز الاجتماعي ويؤمن انسجام العمل فيهه الاعطاء الامنة كافة . وهو اذا ما اعتزل الجاني لا يهتص المجنى عليه فحسب بل انه يحمي المجتمع من الشر ودعائه ، واذا عمل على قمع خائفة صحيحة يساعهم في المحافظة على المواطنين من الارراض والاولية ، اوصان الشجرة من ايدي البائسين يحفظ بذلك للامة ثروتها ولوطن جماله . فليس هذا الرجل اذا اداة تنقص اكثر منه يدا تحمي . ومهنته المتشعبة الترابية اما لها مساس بجميع الناس على السواء ، وهو يتطوع لها مختاراً فيوضي في طريق العمل الاجتماعي تحمده عاطفة الواجب ويجزوه روح عسكري فيبل ، لا يثني الا وقد وفى ذلك الواجب كاملاً اوتبع مرياً في طريقه اليه .

الباس رزق الله

ملاحظة : بهذا الحديث الرابع عشر تمت سلسة احداث الشباب التي اذيت من محطة راдио الشرقي . بـيرتوت - بنواو : « بهتي واثراها في بنا الامة » والتي تولت مجلة « الادب » نشرها تباعاً . فشكل لمحطة راдио الشرقي عنايتها الكبرى بشؤون الثقافة في هذه البلاد ، واعتبارها بتوجيه الكتلة في مختلف ميادين الحياة توجهاً حقيقياً صحيحاً .

الى الحبيب الذي كبر عمه الصبا

يا صاحب المنزل القديم على
أقمت للحسن مأتماً عجيباً
أوحشتك الماء والرواء وما
فيا شريك البستان ان لنا
سنايل الحقل في تمايلها
وموقع الغيث وهو منتجع
انت كتاب للحسن مبسط
فلا تقطب على اربع ولا
وان للمسك في مداينه

ماضي الليالي وسالف السير
فكل واد يضح بالخبر
قد كان بين الحدود والطائر
طعم الحما من غير ما سكر
الف غنا عن خضرة الشجر
لا تكتسي حلة من الزهر
لم يبق في حاجة الى المطر
قد حكموا فيه رأي مختصر
تس الذي في مخابي الشمر
بقية من زمانه العطر

امين محمد

«التعليم القديم» وهالته الحاضرة في مدينة حلب

عبد جبار غوليه

تلخيص: رليف غوري

بظهر

المسيو جان غوليه اهتماماً نشيطاً بمختلف قضايا التعليم في سوريا . وقد اتاح له منصبه ، معشاً للمعارف ، قبل تولي مصلحة الانباء ، والأذاعة ، أن يطلع اطلاعاً دقيقاً على شؤون التهذيب في الوطن السوري . فكان من آثار جهوده في هذا السبيل دراسة علمية رجع فيها الكاتب الى مصادرها والى اختباره الشخصي ، واستعان بعدد كبير من سبقت لهم معرفة قيمة بالموضوع . وقد ساق البحث ، مذيلاً بمصادره ، مضبوطة ضبطاً علمياً ، وأيضاً بحيث يمكن القاري أن يرجع الى الاصول اذا شا . ولا يتسع المجال لسرد المصادر التي اعتمد عليها المسيو غوليه ، لتعريب بحثه كله تعريباً حرفياً ، فان الصفة العلمية الدقيقة التي غلبت على هذا البحث جعلته خاصاً بالعالم المستقضي لا بالقاري . المادي . ولذلك وجدنا من الخير ان نلخص المقال تلخيصاً مع تعريب الفقرات الضرورية منه .

يقصد المسيو غوليه بـ «التعليم القديم» ما كان قائماً على الطريقة الدينية الإسلامية وممارساً في المؤسسات التهذبية التابعة للماسجد والاقواف من كتابات الانبياء ، الصغيرة الى المدارس الكبيرة .

ويقول في مفتتح البحث ، عندما يجري ذكر التعليم في سوريا ، يتجه الفكر دائماً الى المؤسسات التي انشأتها وتوتنها الحكومة ، ار الى المعاهد الخاصة التي تتصل باصل اجني ، او الى المدارس التي اقامها سوريون على غودج من المعاهد الأوروبية . والكراس الذي طبعته وزارة المعارف السورية سنة ١٩٣٦ مناسبة «معروض دمشق» لا يشير الا اشارات سريعة متواضعة الى «المدارس القرآنية او الكتاب» ويتجاهل تام التجاهل نوع التعليم الذي يث وفق اصول الاسلام ، ولا يفسح الكراس لهذا النوع من التعليم الا مكاناً ضئيلاً في الاوائخ السنوية . ويزنثاي في سفره القيم عن التعليم في سنجق الاسكندرون لا يعتبر الا المدارس الرحمية . وبهجته شهيندر في دراسة له حول «مدارس المعارف بين الالاس واليوم» يكتبني بايامة مستعجلة الى المدارس الدينية .

والواقع ان هذه النظرة التي لا تتجاوز من استحصان لشأن التعليم القديم ومؤسساته ليست بالجديدة . فـ «السلامة» الرحمية التي اصدرتها الحكومة العثمانية لولاية حلب ، وهي اثر .لي . بالفوائد من كل نوع ، ساكنته قام السكوت عما يتعلق بالتعليم القديم . وهكذا القول في المسافرين الاوروبيين الذين طافوا البلاد العربية في اوقات مختلفة ، فقد بدا انهم لم يلحظوا الاهمية التي اخص بها التعليم القديم في كل العصور .

اننا نرى في الامر تفريطاً كبيراً فليس التعليم القديم موضوعاً من مواضيع الاهتمام التاريخي مجرداً عن الحياة وعن كل ما له ارتباط بالحياة ، كما يخال المديرون الاجانب الذين تضللهم وجهة نظر بعض المواطنين ، الاولى يتظاهرون تظاهراً باحتقار «التعليم القديم» . ويتابع المسيو غوليه حديثه ، فيلم بالاسباب التي علمت على اضعاف «التعليم القديم» رغم موارد الاواقف الغزيرة ، ورغم مدفوعات الطلاب . فينهي باللائمة على قلة الامانة عند بعض القائمين على امور هذا التعليم ويشجب بعض العوامل السياسية التي توخت اضعافه ، وينتقد نقاداً صريحاً سلوك الحكومة تجاهه .

ولكنه يعود فيلاحظ ان « التعاليم القديمة » في مدينة حلب يبدي انتعاشاً ونهوضاً ، وقويين الشبه بانتعاشه ونهوضه في مصر عقب حركة المنار (١) وفي تونس ومراكش والعراق حيث يبدو حرص قوي على احياء تعاليم اللغة العربية والتاريخ العربي يبدأ بيد الى جانب تعاليم الشريعة والاخلاق .

وبلاحظ الكاتب في ذلك كله جداً واضحاً يبذله الاسلام في سبيل عاشاة مقتضيات العصر وفي سبيل تركيز المطالب الوطنية في كل قطر على التراث الثقافي القديم . ولكن العامل السياسي ليس هو الوحيد في هذا الانتعاش والنهوض . « ان التعاليم القديمة قدمت دائماً بحب الشعب . ويكفني ان يراجع القاري . ذكريات الدكتور طه حسين من طفولته (٢) ليس مقدار الاجلال الذي تشتمع به العلوم الدينية في ارض الاسلام . وليدرك الامتناع المألوف الذي يظهره الجمهور نحو حملة الشهادات من المعاهد الحكومية . »

والذي يراه المسيو غوليه ان : الاساليب الاوربية التي اعوت كثيراً من المسلمين في مطلع القرن التاسع عشر ، قد فقدت قوتها على الاغوا . كما يظهر . . والمحل المتراضع الذي افرد لتأقبن العلوم الدينية في معاهد الدولة قد حمل المسلمين على الاستهجان . . وبرهان ذلك ان العلماء ما زالوا يراجعون الحكومة السورية مصرين على جعل الامتحان الديني شرطاً من شروط الشهادة الابتدائية بل شهادة البكالوريا نفسها . ثم يعرج الكاتب على مسألة يتسع فيها مجال التفكير ، فيقدر ان هذا الانصراف الملوس الى التعاليم الديني يتصل بالحياة السقي تحسب النفوس الظمأى التي تطاب اليقين ، فلا تعطيلاً العلوم الاوربية الا فريضات وتقريبيات ، فتدلل عنها الى الدين الذي يقرر الامور تقريراً قاطعاً . ثم يتسأل المسيو غوليه قائلاً : أليس من المشروع ان نرى بين المسلمين حركة اشبه بتلك الحركة التي رجعت منذ عهد قريب بكثير من النفوس الاوربية الطيبة الى الرياضات الفينية ؟ اما الدافع فواحد بالنتيجة وهو : ان مدينتنا قد انتظر منها الناس فوق طاقتها ، وقد اثارت كثيراً من الامال الواسعة التي لا تحلو من سذاجة ، ثم انكشف ان هذه المدينة عاجزة عن الوفاء .

ومن ثم يدخل المسيو غوليه في صاب البحث ، فيبدأ بفذلكرة عن « دار الارقم » .

دار الارقم (٣)

كان نشأ هذه المؤسسة ان عدداً من الطلاب المسلمين ، الذين التحقوا بالجامعة السورية في دمشق ، اجتمعوا ، حوالي سنة ١٩٣٤ ، فبحثوا الوسائل والاساليب التي تؤذي الى احياء ثقافتهم القديمة . وكانت الاجتماعات ، اولاً ، اشبه بجلسات ودبة من الاصدقاء لا يضبطها توقيت ونظام . فاليث ان انضم الى هذه الحلقات عدد من طلاب التجهيز ، فافسحت الحركة ، واصبحت الاجتماعات منظمة ، يؤمها « امام » من الطلاب ، تفتتح وتختتم بقراءات من القرآن . اما المحادلات فيها فكانت تدور حول شتي المواضيع من علمية ، وتهديبية ، يسودها نفس من روح الامام القرطبي .

وعاد نفر من هؤلاء الطلاب الى حلب ، فوجدوا من الواجب ان يواصلوا اجتماعاتهم بعد ان خيروا فوائدها . وآزرهم في ذلك شباب موظفون واساتذة في تجهيز الحكومة ، واعلموا وعمامون تحوجوا من اوربا . فكان ان تأسست في سنة ١٩٣٦ ندوة مرمضه لاهن الحكومة باسم دار الارقم تيمناً بالدار التي كان يجتمع فيها الرسول محمد باتباعه في مكة اول عهد الاسلام .

وقد تفرقت هذه الندوة الى لجان عدة تتقاسم الاعمال . فهناك اللجنة المختصة بالمسائل الاسلامية تقوم على تفهم الواجبات الدينية وتلقين ممارستها ، ومن واجباتها ايضاً ان تنشئ العلاقات بينها وبين سائر المنظمات الاسلامية حتى في اصقاع الارض النائية ، كجاوله وسو.مطرة . وهناك اللجنة المختصة باخبار المسلمين والعالم الاسلامي ، ثم اللجنة الموكلة بالسهر على الاخلاق ، واللجنة الموكلة ، بمكتبة الندوة ، واللجنة التي يرجع اليها في الخلافات بين اعضاء الندوة . وقد تألفت على سبيل القدوة بدار الارقم ، ندوات اخرى شبيهة بها في دمشق ، وحمص ، وبيروت ، واللاذقية . ويعرف مجموع هذه الندوات باسم « رابطة شباب محمد » التي تلتف جميعها حول دار الارقم في حلب . وتظهر ان القرض من هذه الدار انها هو روحي واخلاقي كما يبدو . فلا مجال فيها للسياسة ، ولا لمسل السياسي ، وان كان اعضاؤها لا يفتنون ميولهم الوطنية . ومن شاء ان يزداد اطلاعاً على هذه الدار واعمالها ، فليراجع مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية ، فهي لسان حالها .

الكلية الاسلامية

وقد كان الدافع اليها ما يشعر به مساهو مدينة حلب من النقص لعدم وجود مدرسة ثانوية تستطيع ان تنافس المدارس العصرية الاجنبية من جهة العلوم ، وتكون في الوقت نفسه مطبوعة بالطابع الاسلامي . والواقع ان بعض الاهالي كانوا قد قامو بتجربة في هذا السبيل ، فأنشأوا المدرسة الفاروقية والشرقية فجعل هذان المهدان وكدهما ان يجعما بين التعلم الديني والتثقيف العصري . ولكن التجربة لم تكن ناجحة لاسباب اهمها المزاجية والعنات الشخصية . فرأى مساهو المدينة ان يصرفوا جهدهم الى عمل جديد ، فقرروا انشاء كلية كبيرة تطبق برامج التعليم الرسمية حتى شهادة البكالوريا وتلقن العلوم الدينية ، كاللغة والاصول والحديث . وعلى ذلك تألفت لجنة من وجهاء حلب قوامها راغب الطباخ ومعروف الدوايبي والحج كامل هيكل وغيرهم ، فجمعت التبرعات الكبيرة من الاوقاف ومن الافراد فنجحت احدى قوابل قرية الباب ، شالي حلب ، التي ليرة ذهبية لمساعدة المشروع . ويوشى اقامة بنا . خاص بالكلية سنة ١٩٣٧ ، ولكن وقوع الحرب سنة ١٩٣٩ دعا الى تأجيل العمل على ان يعاد اليه حين ترجع الظروف العادية الى البلاد .

الكتاب في حلب

والكتاب في سلم التعليم القديم ، معادل المدرسة الابتدائية . وقد احصى المسيو غوليه كتابات حلب فاذا هي خمسة عشر كتاباً للذكور ، وسبعة للاثناث ، وسبعة اشبه بساتين الاطفال . ويقدر المسيو غوليه ان هذا العدد ضئيل جداً بالنسبة الى سكان المدينة الذين يبلغون على ٢٩٢٠٠٠ نسمة . فواضح ان كثيرين من احدث المدينة لا يستطيعون ان يجدوا مكاناً لتلقي العلوم ، بالرغم من المدارس الصغيرة التي تفتت في الاحياء . نباتاً عفواً يهيم من الاهالي لا تساهم فيها الحكومة . ولا شك ان النقص في عدد معاهد التعليم الابتدائي يفسر كثيراً من حرص الاهالي على الكتابات وتقديرهم خدماتها . وبجت المسيو غوليه مختلف النواحي المتعلقة بالكتابات بحثاً على قدر من الدقة والتفصيل . فنبسط . مواضع الكتابات وتوزعها في في الاحياء ، وذكر طلابها واساتذتها ، والناشبات المذكورين وموادهم والاقساط الشهري التي يؤدونها الطلاب .

المدارس

والمدرسة هي الدرجة الثانية بعد الكتاب في سلم التعليم القديم . ويقسم المسيو غوليه صنف المدارس في حلب الى قسمين ، قسم لا يزال ينتهج الاسلوب القديم بلا تعديل ولا تبديل ، وقسم طرأت عليه درجات متفاوتة من الاصلاح بعد الحرب العالمية الاولى وقيام عهد الانتداب .

اما المدارس التي دخل عليها الاصلاح ، فيعدد منها المسيو غوليه : المدرسة الاسماعيلية والقرطابية ودار الحفاظ والمدرسة الخسروية . ثم يورد فذلكلة من كل من هذه المدارس ، فيذكر منشأها ومركزها والاقواف التي تشتمل منها الخ . . . فالمدرسة الاسماعيلية انشأها على جامع قديم ، والي حلب اسماعيل بن محمد الحكمدار ، وكان والي المدينة . من قبل ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير بين سنة ١٨٣١ و ١٨٣٧ م . والمدرسة القرطابية بنهاا بكتجار القرطابي حوالي سنة ٧٧٠ هـ . ثم زاد عليها اسماعيل آغا بن عبد الرحمن الشريف حوالي سنة ١٢٢٩ هـ ، احدى عشرة غرفة .

ودار الحفاظ برزت الى الوجود عقيب تجمد المدرسة الخسروية ، حوالي سنة ١٩٢٠ م . وهي مؤسسة خاصة بتجويد القرآن . ويطلق المسيو غوليه حديثه عن المدرسة الخسروية باعتبارها اهم المدارس ، اسسها خسرو باشا سنة ١٥٣٧ م ، وكان والي حلب من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني . ولا يستطيع اي تلخيص ان يعني بمحدث المسيو غوليه عن هذه المؤسسة ، فيجيب . مراجعته في اصل المقال

ثم ينتقل الكتاب الى القسم الآخر من مدارس حلب اي : القسم الذي لم يطرأ عليه تعديل او تبديل ، بل هو باق على الاسلوب الموروث . ولا شك ان هذا القسم اشأل اهمية من القسم الاول . وبرز مدارس التي يعددها المسيو غوليه هي : دار الحديث ، والمدرسة الخلاوية ، والاحمدية ، والسيافية ، والبهائية ، والعثمانية ، والدليونية ، والشعبانية .
ويلاحظ المسيو غوليه ، بمجديته عن مدارس حلب فقرتين تتأان الى هذا الباب بصلة وثيقة احدهما تدور حول الحلقات المسجدية التي يجري فيها تلقين العلوم الدينية كما كان الامر ايام عصر الخلفاء الزاهرة في مساجد البصرة مثلاً . اما الفقرة الاخرى فتدور حول الوعظ الديني من على المنابر ايام الجمع والاعياد . وقد كانت المواعظ وما زالت تشبه بدروس يلقيها الامام لتفقيه الناس في امور دينهم .

خاتمة

وجدير بنا وبالقارى ، ان نقف وقفة غير مستعجلة عند الحلقة القصيرة التي ينهي بها الكتاب بحثه الدقيق . فهو لا يعتبر مقاله اكبر من فاتحة يتسنى ان تفتح قابلية المستشرقين وعلماء الاجتاع ليجشوا حالة التعليم القديم في الاقطار العربية وفي سوريا ، فانه موضوع من الاهمية بسكان كبير .

ويقول المسيو غوليه . انه لم يزم الى الدفاع فقط عن مؤسسات التعليم القديم . فهو يرى من الجلي انها لا تبتأ من قصور في تنظيمها . ويوجة انتقاده الى اسانذتها الذين يحضرون علمهم في نصوص متعارفة مشهورة ، يسلمون بقيمتها سلفاً وفق العرف والمادة ولا يكادون يخرجون في شرحها عن نطاق اللغة الى ميدان علاقتها بالحياة . فتكون النتيجة ان الثقافة التي يتلقاها الطلاب على ايديهم هي ثقافة كتابية منقطعة لا امتزاج لها بحقيقة الحياة ، وكان الواجب ان تكون هي المهر الامين عن هموم جيل ومطالبه .

ويشك المسيو غوليه في ان هؤلاء الاساتذة على تسرعهم ومعرفتهم ، قد هضموا ثقافتهم القديمة حق الهضم ، اي : نظفوا اليها في ضو الحياة التي صدرت عنها ثم في ضو الحياة الحاضرة في البلاد . وهو يجد من الضروري ان يعمد هؤلاء الاساتذة الى التآليف في العلوم القديمة بطريقة اقرب الى العصر تلافاً للضجر الذي يبعث فيه الطلاب ، وهو ضجر المحفوظ يحمل الطلاب متابعاً للدرس وليس همه الا النجاح في الامتحان لينال الشهادة ويكسب رزقه .

اقد كانت هذه المدارس في عصر العرب الزاهرة ، مباءة لتبجر لذيذ في الامور الانسانية فيجب ان تعود كذلك ، وانه لشيء غير مستحيل ، اذا غيرت الميئآت الجامعية والسلطات وقفها من هذه المؤسسات ، واخاص المشرفون على الاوقاف في اختيار المدرسين ، باعتبار كفاءتهم قبل كل اعتبار .

رؤف موري

(١) المثار اسم مجلة اسلامية ، انشأها الشيخ رشيد رضا وسار فيها على خطى الامامين الكبيرين محمد عبده وجمال الدين الافغاني .

(٢) المقصود كتاب الايام

(٣) في سيرة الرسول انه بينا كان سداً بن ابي وقاص في قعر من المسلمين - قبل الجهر بالاسلام - يسلمون في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم صلاحهم ، فلم يعبأوا بهم فازدادوا بالمشركين الطينتين حتى قاتلهم فضرب سداً بن ابي وقاص رجلاً منهم باحى بغير فشجه ، فكان اول دم اقرقه المسلمون من المشركين . وسبب ذلك دخل الرسول مع اصحابه دار الارقم في الاسفا سوهي معروفة الان بدار المخزبان - كان اشترى هذه الدار الخليفة ابو جعفر المنصور واعطاها ولده المهدي للخزيران ام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ، وسُميت باسمها من ذلك التاريخ الى اليوم . فكان الرسول واصحابه يقبضون الصلاة فيها سرّاً الى ان نزل الامر بالدعوة الى الاسلام جهاراً - - تلقين للمخلص .



الناسك



مَآذَا بوسع الزَّمن المدَّعي
ما دمت في شُري وفي أَضلي
لَنْ يُقطع الدهر لَنَا الدَّعة
مَآذَا يفرِّقنا الورى أَجْمع
تقول للنَّاس إذا صَبَّحُوا
مَآ قاله البلبُلُ ناصفَع



شبابُنا إنْ يَمُنْ بيقِ الهوى
فَتُفَى بِهِ كَالْمُحَنَّى في المِبدع
مَآذَا على الحبِّ إذا لمْ يُغْنِ
هل وعت الحسرةُ حتى تَمَي
رَأَيْتُني شَيْخاً مَدِيدَ الرُّوى
مُتَصِلُ السَّالِفِ بِالْمُزْمِع
على فَي انشودةٌ لَا تَقِي
وتنوءُ خُضراءُ في مَسْمِي
أَعِيشْ في الذِّكْرَى بِنِيوَيْتِ
سَكَا بَيْتِ الشُّفْلِ في المَرْضِع
طُيُورِ إِحْلَامِي وَحْيِ الهوى
من حُومِ حَوْلِي ومن وَقَع
إِنْ تُسَجِّلُ الدُّنْيَا وتَسِ لَنَا
فَأَيُّ اأَرْضِ فَبِكَ لَمْ تُجْرِع
عَظَمْتُ في عَيْنِكَ كُنْهُ المُنَى
فَالْكَونُ بِجِيسَا يِي وَيَقِي مَعِي

ابن عباس أبو سُبُكَّة

المسرح والاصلاح الاجتماعي

« لجنة من التقرير المرفوع إلى وزارة المعارف السورية »

بفلم الممثل علي مبرر كنج

١ - نشأة المسرح

ليس المسرح بحالته الحاضرة إلا نتيجة لتطورات كثيرة وجهود جمّة بذلتها البشرية منذ قديم الزمان . فالمسرح يتطور مع الحياة والفن المسرحي قابل للارتقاء . بنسبة صاعدة كمسائر الفنون جميعاً عندما كان الانسان يعيش في الغاب ، وجمال الحياة طبيعي غير مجلوب ، ابتدع المسرح ومارس الفن المسرحي ، ولم يكن الفن المسرحي اذ ذاك إلا جزءاً من حياة الافراد انفسهم فهو تمثيل طبيعي لحياة الانسان الابتدائي . كانت القبيلة تتلقى في مواسم معينة فتتعلق حلقات وتلبس كل واحد من افرادها ملابس زركشة فيضع على جسده اوراقاً من الشجر يقرن بها او يرسم عليها بعض النقوش والصور ثم يبدأ الرقص والعزف والانشاد التقليدي في حركات ونشوة عامة . فلهذه المواسم التي تجتمع فيها القبيلة لرقصاً اجماعياً وتندش وتغزف تشبه الان حفلات (الايرت) التي تقام في جميع بلدان العالم المتمدن وهي مزيج من الرقص والغناء . وقد كان المسرح (مسرح الفسافة) فسحة من الارض تجتمع فيها القبيلة وتظهر فيه عبقريتها الفنية . فمن اجل المسرح كانت القبيلة تارس سائر الفنون فنشأ التصوير من اجل المسرح ، اذ اضطرت القبيلة الى ان تزين الملابس وتخفر النقوش وتستخدم الدروع المزخرفة ، الى ما هنالك من استمدادات يتطلبها العمل حين ذلك . ومن اجل المسرح نشأ الغناء والموسيقى ونشأ الرقص اجماعي . وعند ما اخذ كل فن يستقل عن الفنون الاخرى ظل المسرح يحتفظ بكيانه واخذت تتحد من اجله غايات لم تكن تعرف من قبل . وبعد ان كان المسرح مكاناً تلتقي عنده سائر الفنون اصبح هنالك فن مسرحي له قواعد واهداف . ثم نشأ الفن المسرحي فيما بعد في حضن الكنيسة اذ اخبر الزهبان يثلون روايات مقتبسة عن الكتاب المقدس ، وكانت الغاية من تقديمها توجيه الناس الى حالة يقصد منها التأثير الروحاني والاجتماعي . وهكذا كان المسرح في بادئ الامر عبارة عن طقوس دينية هدفها استمطار رضا الالهة على القبيلة فانقلب الى فن قائم بذاته تقصد فيه حياة فنية خصة . حدث هذا التطور في زمن النهضة الاغريقية . فقد نشأ اذ ذاك مسرحيون موهوبون اخذوا الاساطير التي كانت تنداولها الالسن وصبوها في قوالب من الفن المسرحي والحوار اللذيذ .

٢ - المسرح وتأثيره على المجتمع

تطور المسرح بعد ذلك مع الحياة المسرحية الاجتماعية في القرن السابع عشر على يد « موليير » في ملامحه اللاذعة Comédies وقد كان موليير مصلحاً اجتماعياً يريد ان يعقم الحياة الاجتماعية على دعائم من الحقد والمحبة والاستقامة كما زى ان غاية المأساة Tragédies عند « كورناني » و « راسين » هي اجتماعية ايضاً فينبغي إيجاد كورناني البطولة ترى راسين يعمل من الحب مشلا اعلى ويريد ان ترتفع هذه العاطفة بالمرء حتى تجعل منه انساناً ممتازاً جليلاً لاخي والحقيقة . المسرح اذ لم يعد مجرد الهية فنية بل اصبح يتفاعل مع المجتمع واصبح الكتاب المسرحي يتحرى دوماً ان تأتي الغلظة الاجتماعية على افواه ابطال المسرحية عفواً ودون تكلف .

٣ - المسرحية والادب

احتلت المسرحية مكاناً ممتازاً في عالم الادب منذ القدم واذا كان هذا النوع من الانتاج الادبي لم يعرفه العرب بعنائه الواضح الصريح الا في مطلع هذا القرن - قرن العشرين - وبصورة ابتدائية فقد عرفه « الاغريق » قبل الميلاد بعدة قرون في مسرحياتهم الجميلة على يد « سوفوكلس » و « اسخيلوس » وغيرهما ثم اخذ هذا الفن الادبي منذ القرن السابع عشر يحتل مكانة كبرى في فرنسا وانكلترا فظهرت المسرحية الشعرية على يد « شكسبير » ثم على يد المسرحيين الافرنسيين ، واصبحت المسرحية فنساً يحرك المشاعر ويثير اهتمام

المشاهد ويجعله يشمر كأنه لا يسمع حواراً كالذي يسمعه في الحياة العادية ولذا قام فن يتطلب إرسال الكلام بصورة لا يلمح السامع ويهبط وهذا ما نسميه بفن الكتابة المسرحية .

وقد ارتقت المسرحية الادبية في القرن العشرين ارتقاءً عظيماً واصبح الكتاب المسرحي لا يتحرى من وراء الكتابة المسرحية ان تمثل على مسرح ما ، بل هو يكتب لمن يقرأ ويفكر ويتأمل . فنشأت المسرحية الرمزية التي تتحرى حقائق الحياة الفلسفية . وهكذا اخلفت أيضاً المسرحية العربية تحتل مكاناً لها في عالم الادب ولكن الجهود التي بذلت كانت ابتدائية فلم تشر ادباً عبيداً الا في العشرين سنة الاخيرة عندما نشر الكتاب المصريون امثال انطون يزبك ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحياتهم الباهرة التأليف وهكذا قل عن سوريا حيث ظهرت مسرحيات الاستاذ معروف الارناؤوط لم يكتب لها الظهور على مسارح دمشق لفقدان امکنتات الغنية .

٤- المسرح في الشرق العربي

ان لبنان هو اول قطر عربي جابو رسالة المدنية الغربية واول من تعرف الى هذا الفن لبنان . وتاريخ فن التمثيل في لبنان هو تاريخ محاولة كتابة المسرحية باللغة العربية وهو تاريخ قريب العهد بعز بين ثنائيه اسم (مارون نقاش) كاول مغامر خطر له ان يمتلي المسرح بمثل روايات غربية بعد ان عربها وتصرف فيها بنا يلائم الذوق العربي وقد مثل في عام ١٨٤٨ الرواية الاولى وهي البخيل في داره في بيروت . الا ان جهود (نقاش) لم تلبث ان ذوت بموته وهو في ريعان الشباب فاخفت فرقته باختفائه ولكن فكرة المسرح لم تمت فقام من ابنا لبنان من سار في طريق نقاش ، وهو اديب اسحق فغرب رواية اندروماك ثم رواية الظلام وعائده وغيرها من الروايات ولكن الظروف لم تسمح لهذه الحركة بان تأخذ المدى الذي اخذته حركة نقاش . لقد كان الفن المسرحي في سوريا اذ ذاك شيئاً جديداً وفي مثل هذه البيئة المحافظة التي تزخر تحت احمال من التقاليد والعادات ، كان بعد التمثيل بدعة من البدع ولذا انجبت انظار المشايخ وادباء المسرح من سوريين ولبنانيين الى مصر ، وهي اذ ذاك في ايان النهضة الفكرية والاجتماعية التي اذكاهم (الحديدي اسماعيل) وقد تنبه الى ما لفن التمثيل من اثر في الامم فأنشأ داراً فنية هي دار (الاوربا) على غرار اكبر المسارح الاروروبية وجعل افتتاحها مقربوناً بافتتاح قناة السويس واليه يرجع الفضل الاول في ارسال اول بمشة فنية لباريس لدراسة التمثيل ، كان فيها الاستاذ جورج ابيض (اللباني المولد) الذي بعد دراسته وعودته الى مصر ادخل نوع التراجيدي النوع غير المعروف بعد في مصر ، فمثل روايات شكسبير الخالدة التي ظلت مقرونة باسمه حتى الآن .

والحدث الذي سطره تاريخ النهضة التمثيلية في الشرق العربي بمداد من الفخر هو تاريخ مؤسس المسرح اللبناني في الشرق العربي والذي اليه يمزى اكبر فضل في تأسيس المسرح في مصر وهو المرحوم ابو خليل القباني اذ قلم هذا الدمشقي بوضع الروايات العربية التي يتخلها نوع من الرقص - رقص الجمجمة - ابدعه هذا المغامر الجديد ابداعاً موقفاً والروايات التي وضعها هذا الاديب والشاعر ومثل فيها تختلف عن روايات مارون نقاش ، اذ ان موضوعاتها مقبسة عما ورد في التاريخ العربي او الاساطير العربية وكتاب الف ليلة وليلة ولذا تعجب عربية قومية . وان الملاحظ فيها هو الاسلوب الذي نهجه المرحوم القباني بان دمج الحوار بالغثة وجعل الرقص عنصراً هاماً في هيكل الرواية . وخلاصة القول ان المسرحية اللبنانية (او جذها القباني) لحبته الموسيقية وبراعته في الارتفاع ، وان لم يكن صاحب صوت جميل . وكان يقدم رواياته في مكان معروف من اهالي دمشق باسم «خان الجمر» حيث اخرج فيه اروع وابدع ما كتبه ووضع . ومن رواياته هارون الرشيد والولادة ، عنزة ابن شداد ، السلطان حسن ، عفيفه ، الامير علي وغيرها من الروايات المشهورة التي تحمل اسمه حتى الان . ألا انه لاقى من اهالي دمشق الذين لم يألفوا بعد «الفن المسرحي» معارضة عنيفة اضطر معها الى الهجرة الى مصر التي استقبلته احسن استقبال ورجحت به كما رحبت بالكثيرين من غواة المسرح الذين لهم من شهرتهم الفنية ما تقتضيه بهم البلاد السورية واللبنانية . ولما شاهد اهالي مصر روايات القباني اقبلوا عليها باعجاب كبير (لا سيما الفنانين امثال الشيخ سلامة حجازي الذي رغب به ودرس عنه الكثير من التواشيع وعلم الضروب) وقد شجعه ذلك على السفر الى اميركا حيث قدم اجل رواياته وابدعها . وهو يعد بجي اول رسول سوري للاتقاة الفنية المسرحية اللبنانية في البلاد العربية واليه يمزى كثير من الفضل في تأسيس المسرح المصري .

علي جبر النج - دمشق

غرفة الاستقبال ...

بضم سرييل العربس



... وفرض

« فتحي » عن هذه الطاولة ، وصفت عليها الكتب رصفاً ، وكدست المعاجم تكديساً ، وانه لاساول حائر ، يستشعر روحاً من الهدوء ، وطرفاً من الطمأنينة ، فلا يتأتى له ذلك . . .

ان هذه الكتب في الحق ، قد اغرقته في لجة عميقة ، كم ود أن يكون حواجزها ، وان ينعتق من قيودها ، فيعترض دمه وان : أب يلح عليه ان يجد ويجهد ليبلغ من العلم كنهه ، ووازع من نفسه بمنزلة لنبيل الشهادات والكفالات تفصح له في آفاق الشهرة ، وتشق له في طريق المجد . . . انه متعطش الى تلك المناصب الرفيعة تنبئ له اليها النفوس ، وتتملأها الاعين ، وتبتدليها الاعناق . . . انها المناصب معتد الرجا ، ومناط الاماني . ومع ذلك ، فانه يشعر انه يحمل نفسه من الجد مالا قبل له به ، ويتكلف لها ما ليس في طاقها من الامان في الاستقصاء ، والعلو في التبهر . . . هذا مع انه كان يحس في ذلك كله نشوة العامل فيجد في عمله ، وراحة المومل يطامن الزمن لآماله ويدل .
نهض « فتحي » عن هذه الطاولة يبتغي لنفسه بعض التنوير . . . وما تقريره ؟ تطواف في غرف المنزل ، ينجلي على امه في غرفتها فيتجاذبان طرفاً من الحديث ، ويرجع على غرفة مكتبته ، فيقلب بعض الكتب ، ويتصفح بعض العناوين ، ثم هي بعد ذلك مكشاة على الشرفة ، يحيل طرفه في الحديقة حيناً ، وفي الطريق حيناً آخر . . .

ولا خفاء في انه يصيب في هذه المكشاة القصيرة من الامن والهدوء . ما لا يشعر له بوجود في اي مكان آخر ، ذلك انه حين يطالع السماء الزرقاء صافية حاملة ، تنبهر حواسه ، فيشعر بهذه الزرقة الحية الصافية تنساب رويداً رويداً الى صدره ، ثم تتسلل الى فؤاده انواراً شفة حلوة ، تثير الروح فتجده ، وتشرق على النفس فتبتهج لها بهجة رقيقة حاملة . . .

ذلك كان دأبه منذ ان حاز على شهادة « الكفاءة » في السنة الماضية (او كما في حديث تلك السنة) فانه انكب على مطالعة الروايات وتلاوة القصص ، وانغمس في تلك الرياض المتأونة فكثرت احلامه ، وانجست آماله تبعاً لفاضاً على حفاني فؤاده . . . كان يرى دوماً شادراً حالمًا ، ذاهل العينين ، متوشب الروح كأنها ينتظر ان تنهات عليه السعور فتبوءه من هذه الحياة الدنيا ، درجة رفيعة ، وذروة سامية . . . ولعل اقاصيص « الف ليلة وليلة » هي التي خلقت له هذا الجو المورج بفوح بالآمال عطرًا « مَذَابًا » وبفيض بالاحلام شوقًا وهبًا . . . كانت تخيلته تصور له النعيم اول الامر روضة غناء تروج بالناس السعداء ، لا يحسون المأ ولا هما ، يزجون الساعات في لهر مستمر ، وفروح متواصل . . . ثم جعلت تلك الاقاصيص من الف ليلة وليلة تتألل على خيلته تمثل له الابطال ينتظرون ان تطالع عليهم الحسود لتعجلهم الى جنان الحب والموى . . . ولم لذل ان يستعيد في خاطره رسم بطل القصة عائداً من تلك المتأونة الى داره . . . حتى اذا بانته جالس قليلاً ليستجم . . . وفي تلك الاثناء يزوده الشوق والحنين ، فيتمنى ان تمثل فتاة جميلة بين يديه ليتذوق على شفاهها خمر النعيم ولذة الخلود . . . وما يلبث حتى يطالع وجه فتاة لبوب مبرح ، هي من الجمال على ما ود ، ومن الفتنة على ما اشتهى . . . ويتقارب البطلان ، فيستغرقان في عناق طويل لا ينفصلان منه « قبل ان يطالع الصباح ، ويسكت العشاق عن الكلام المباح » ! . . . هنا كانت تنتهي كل قصة من قصص « الف ليلة » . . . ولم ود فتحي الا تنتهي عند هذا الحد . . . ذلك انه كان يحس احساساً عميقاً بان هو نفسه بطل هذه الاناضيص ، فكان لا يقنع بهذا الجزء من النعيم . . . كان يصور الى ابعد من ذلك ! . . . كل هذه الالوان من الاحاسيس والتصورات كانت تقرأ على ذهن فتحي حين كان جالساً الى طاولة يراجع دروسه ويبتظهرها لليوم التالي وكانت تتتابع عليه كاللحاح ، يروض حلقة ثم يغييه سطر . . . من الكتاب . . . حتى اذا احس فتحي انه سلخ وقتاً طويلاً في القراءة نهض على مهل ، وانصرف عن الدرس ، الى بعض الترويح عن النفس وخرج من غرفته فاذا هو في « داره » . . . وعرج حلقة على غرفة والدته فتكلماً هنيئاً ، ثم خرج ثانية الى الدار ، فعاين من « واجهتها » السماء زرقاء صافية تبث في النفس حلماً لداً . . . ومشى قليلاً ، فاذا هو امام غرفة الاستقبال . . . وكان كثيراً ما يعجب ان يلقي باب هذه الغرفة مغلقاً كما كان به . . . ولكنه مع

ذلك كان يسر كان يجب ان يراه مغلّقاً، لانه كان يشعر «شيء» جديد يمرّوه حين يفتحها، وينظر الى داخل الغرفة .. كان يحس ان نفحة حملة بالامل مثقلة بالرجاء تتجالح حتى تسرب الى قلبه .. ولكنه كان حين بلج الغرفة، وبطوف نظرها، بترجع رويداً رويداً فيخرج منها ويبلغ خلفه الباب، وقد عراه بعض الاسى .. كان يود ان تقع عينه على «شيء» جديد فيها، «شيء» جميل يحسن ان يلا النفس، ويبهج العين، ويهيج الروح .. ويومد فتحي الى طاولته حدير النفس، فيجلس على الكرسي، ويستعيد درسه ومطالفته .. ومضى عليه في تلك الحال ما يترتب من ستة اشهر، لا يتحدث نفسه ان يتبس خارج داره سلواناً او ترويحاً، ولا تزين له مغريات الدنيا ان يد احلامه الى خارج داره .. كان يوقن ان الركون الى البيت خير تفريح، واشقى عزاء .. ذلك كان ظنه .. ولا شك في انه لم يكن ليكون كذلك لو ان اهله مكثوه من التجرد من جذران هذه الدار، او اتاحوا له ان يلقي غيرهم! وائياً ما كان، فقد ارتضى تلك الحياة لانه تعودها، وترعرت آماله وافكاره بين جذرائها، وغت احلامه في زواياها .. وكان فتحي يحس ان حنينه يشتد يوماً عن يوم، وان شوقه يشب ساعة اثر ساعة .. وكان بين نهض كل يوم عن طاولته، ينهض منعم النفس بشعور الحنين، الى «شيء» جديد .. سترع الفؤاد باحساس الشوق الى جمال بيهر حواسه، ويجرد اعصابه فيفني فيه وله .. وبلغت الاحاسيس من نفسه يوماً انه نهض على رداء وسار الى غرفة الاستقبال كأنه لا يعي .. وقبل ان يبلغ بابها راودت فكره صورة فتاة جميلة .. فانساق على طوع منه، واذا هو امام الباب .. وكان مغلّقاً .. ولم التشرحت نفسه لهذا .. كاد يود الا يسارع في الوقوف عن هذا السر ليذب به الى هذه الغرفة، كان يروم ان يد ويجهد لمعرفته واذا ذاك يطيب نفساً بالتمتع به .. وكان يظن ان في كون هذا الباب مغلّقاً، بعض هذا الجذب والجهود .. واقتربت يده من القفل، ففتحته .. واذا نفحة عطرة تنبث اليه من هذه الغرفة فتستني حواسه، وتوقف مشاعره .. واحس بغشاوة على عينيه اخذت تحجب له ان في هذه الغرفة فتاة جميلة .. ولعلها تكون جالسة على احد هذه المقاعد الفضة واضعة تحت رقعها هذه الرسادة البيضاء .. واجال فتحي نظره في الغرفة، وخرج وقد تمارره بعض الاسى والحنينة، على ان نفسه مع ذلك لم تشأ ان تظن بان ذلك انه اقا هو اخوات احلام .. ذلك انه في اليوم التالي، غطرت بباله صورة فتاة جميلة يتدفق من بينها سحر هائم حالم، رقيقة الشفاء، بضة الجسد، فامرة الجمال .. ونهض عن هذه الطاولات الكثرية، فقادته قدمه الى غرفة الاستقبال .. وكانت الاحاسيس تتكاثف على ذهنه فتعذر حواسه .. وكان باب الغرفة مغلّقاً، فأحس بانه يتعجه على مهل، ونظر، فإذا هو يطالع على احد المقاعد جملة فتاة .. وكانت من الجمال الى ما ودد، ومن الفتنة على ما اشتهى .. وتقدم خطواتين، فأراها تبسم، فأولاهن ان يراها تبسم، واذت من المقعد، وانتهى الى جانبها مكاناً .. ثم امتدت ذراعها على هيئة، واحاطا بمتعها .. وجذبها فتحي الى صدره، فأحس بلدونة جسدها، وبضاضة اعضائها، ورقة لمسها .. وكان عظيم الفرح .. كان من السرور بحيث انه لم يستطع ان ينس بكلمة، او ينغم بحرف .. كان يوده قبل كل شيء، ان يحتفظ بها بين ذراعيه رداً من الزمن حتى اذا مضى عليه وقت طويل، التفت اليها وجعل يبشها لواعج فؤاده وحنين روحه، وجعل يتكاشفان الهوى الى ان يطالع الصباح، وبسكت العشاق عن الكلام المباح .. وبكث صدره الى صدرها طويلاً .. وانه لفي هذه العمرة، اذ بالباب يشق، فبصر بوالدته على العتبة، واحس بان نفحة من الحرارة تنبث من خديه خفراً واستحياء .. وشعر بان ذراعيه تسقطان عن عنق الفتاة، وبانسه ينض متمهلاً، ويتقدم من الباب خطوتين، ثم تفت شفتاه فيقول بصوت ضراعة وتذلل: امام .. انني ارها .. اعدها فلا يشني عن هذه الحب احد، لقد تنظرت مجيئها وقتاً طويلاً، حتى تحققت امنيته فلقيتها .. انها اجل .. ورفع فتحي نظره الى امه، فإذا على وجهها العجب واذا في عينها الاستغراب ولكنه استأنف بقول: اجل كنت اتوقع ان تعجبوا وتستغربوا لهذا الامر .. ولكن هو الواقع .. هي الحقيقة اني احبها حتى العبادة .. انها «شهر زاذي» اجل فتاة، وانا لا اخشى ان اجاهركم بالحقيقة! امام .. ارحمني حسبي .. ارحمني تلمي .. فلا .. وعاد فانحى بصره الى امه، فإذا هي جاحضة العينين من العجب والاستغراب، وراها تتقدم منه على عجل، ثم تزه هزة عنيفة وهي تقول له: ولكن .. من تعني يا فتحي؟ عن تتكلم؟ .. فإعني الحق بصره، ولبث هدية، ثم هس بصوت خفي: عن هذه الفتاة الجالسة على المقعد ورائي .. بالله عليك يا امي .. انظري الى هذا الجمال الساحر المتدفق .. امام ارحمني حبنا .. انها هي ابناً تهراني .. ونظرت الام فازدادت استغراباً، واستطاع فتحي ان يكبت من سروره، ويجد من حيائه حين التفت الى ورائه والبسمة تكسو محياه، ونظر، وامن في النظر .. انها الرسادة البيضاء!

الصورة القديمة



وجهرت

هذا الصباح صورة لك قديمة منسية في كتاب .
كان وجهك بلون الذكريات القديمة وكنت
تنظرن الي بعينين مفرورتين بالدموع ...
اذ لما كانت يدي في يدك رأيت زهرات الياحين الابيض تسقط
في الماء ...
لاني نشقت نفسك ...
لاني احب صوتك الرائق الذي كان يواسيني كتلك القبة التي
تعطى عند الافتراق .

لاني احب نظورك الذي كان يغلفني باشعة سحرية .
لاني احب صوتك الذي كان ييشي كآبته ... فيه كان قلبي
المضطرب يستكن ويؤخر بنغم شجي تسكر منه الصبايا كفتاب .
العندليب .
أيقدر المرء ان لا يجب مصدر عذابه ؟
حين افكر في جسدك المتأوج تسقي الدموع خدي ، وانا ذلك
الولد الذي فقد مطوقته الاليفة .
فها انا اذا افكر في صوتك وهو اعذب من لهات الصباح
في الازهار .

ها أنذا افكر في شعرك كتلك الغيوم الخفيفة تسحب عاليا
الشمس هنية اشعتها في الفسق .
ها أنذا افكر في عطر جسدك مغريا حتى الالم .
ها أنذا افكر في قبلك الربابة حين كان فك يقع على في
فيشالون في صدي تلوأنا يغرق حد الوصف كسيل بهيج ولكننه
مقطع بالدموع .



فيم لست الريح ، اذن لكنت حفت رداك في ليالي الشتاء .

الطويلة ... وربما كنت ارتعشت وانت تبسمين .
فيم لست أشعة القمر !
أفذكورين مساء اول لقاء لنا ؟
كانت السماء تطر بهدوء ... فشككت هنية في ان اراك
تأتين ... وفكرت في غزلة الذين يتألمون ...
فكرت في نفسي ، ثم فكرت في المساكين الذين يتلصون
الجدران ليتقوا العمد .
ولكن الاشجار كانت ترتجف من النبضة كقلب صبية ، وفي
تلك الأونة ربما كان على مقربة ولد يشرف على الموت ...
كنت افكر في الاشجار ...
وأؤمن الزمن حين رأيت عن بعد في النهار المحضن خيالاً
ولكن هذا الخيال لم يكن لسوء الحظ سوى خادم تلك الصغيرة .
فانقض قلبي ، ولعنت المساكين والاوراق .
قالت :

« ان سيدتي تنتظر على باب الحديقة ربما يطفئ الابل جميع
الأوراد .
فباركت عندئذ الزمن ... وارتحف قلبي كالاشجار ... »



ساعات ماضية ، مضمحلة ، شقية وثقيلة .
اين انت في هذه الساعة ايها الطبيعة الصغيرة الخنون ؟
لئن وجب علي ان اختار امنية لهذا النهار لرغبت ان اعرف
ماذا حل بك .
لقد جلت اليوم بالقرب من بابك ونظرت طويلا الى نافذة
الترفة التي كنت فيها تفكرين بنا من غير ان تعلمي ان ظل وجهك
يجب من العابر الحالم كل ماضيه .

امر راسم — الموريس

بين العلم والادب

فلم السيرة ودار سلكي

ما احسن العلم والادب بدلوليها الحديثين اذا انتلغا وتماونا على الخير للانسان وتوجيهه للبل الاعلى ا فكلاهما لا مندوحة عنه لحضارة
المادة والروح ، بل ان العلم من غير ادب كالارض المنبتة الياب لا صادق فيها ولا نبات .

يقول الثعالبون عن يواكير الانسان ان اول اثر ثقافي للامم كان الادب ، فقد ولدت مشاعرهم في عهد البداوة والسذاجة انغام الموسيقى
والانشاد ثم نسقوا بسائق الفطرة تناغمهم بالكلام الموزون المقفى فرحوا على ترديده ولعبوا ورقصوا ، وعلى تطاول الابد وتراخي الاحقاب
انفصل الشعر عن المجون فكانت القصائد المقطوعات .

في ذلك الدهر السحيق كان العلم جنباً لم يفتح عينيه على النور فوجد الانسان في الادب حاماً لفكره ومرآة لنفسه لان الادب كان
بادي الرأي سهلاً قريباً ، قبل ان تكون مهمته نقد الحياة وتصوير الطلائع وتبيان الجمال ، لقد كان بتلك السهولة سائفاً مستطاباً فأحب
الادب كثيرون ، واقبل هواته ورعاقته على فنونه ومجالاته فراجت سوقه اي رواج وكيف لا تروج وفيه من البهجة واللذة والنوامة ما
ينسي الهموم ويدهد الآلام ومن خلال مشوره ومظلمه تتلوح للناظرين فيه صفات الدنيا وبدائع الوجود ، ولما امتدت حضارة العرب
وازدهر فتحهم ازداد التفاهت على مناهل الادب وجال اهواره كل مجال في شابه الشجر ، واغوار الفناء فأودعوا صوره وبيانه كل طريقة
بدعة ومخطبة بلغة ومثل مأثور وقصص لطيفة ، اما الشعر فكان يحلى القرائح والخواطر ويوسيلة القربى والنزال من الملوك والامراء ،
وحين نجح فيهم العلماء على هاشم القرآن الكريم والحديث الشريف اخذوا بالتضلع من الفقه والتفسير واللغة ، وكان هؤلاء العلماء من
لمحة الادب . وانتمهم ، فكان حتماً لزاماً على محو العلم ان تشوبها نوادر الادب وطرائفه ، لان لغة العرب للشعر والانباء المروية ما زالت
متغلغلة في طبائعهم راسخة في نفوسهم ، فكان الادب الضرف ثقيل الوقع عليهم باعثاً لسا متهم حتى بعد ان انبسطت آفاقهم وتجددت
حياتهم وتمازجت ثقافتهم بثقافة الاعاجم واليونان والرومان وهذا ما اشار اليه الجاحظ في كتابه « الحيوان » الذي مزج فيه الجدل بالفضل
والادب بالعلم فقال : « وكنا ي يشبهه اللاب ذو الابر كما يشبهه المجد ذو الحزم » وقد كان ابو عيان يعمد الى الحيات فيقطع رؤوسها
والى العقارب فيجري عليها تجارب التحقيق العلمي ثم تعرض له نكتة او نادرة يصد بحمته وتجاربه فيرويه مطبوعة بأسلوبه الادبي المبرح
ليسرني عن قارئة غت الفكر وشغل البال ، وكان تناول الجاحظ وانداه كل صنف من اصناف الثقافة في عصر العرب الزاهرة ، وتأتيهم
اشتات الكتب كانا من خصائص الكتاب الافذاذ ، فالاحاطة بطائفة من العلوم العقلية والمادية امر لا مناص منه لمن شاء ان يكون من
العلماء الاعلام واي واحد من هؤلاء لم تكن له مشاركة في الادب ؟ هذا الادب الذي بسط سلطانه منذ التديم على كل ذي علم وفلسفة
فا استطاع ان يختص بما امن في درسه وبحمته عن ميل اليه دون المساهمة في سواه ، فالرئيس ابن سينا حين كتب عن النفس ونقب في اغوارها
ونفاها لم يسهف غير الادب في تصور النفس وتصويرها فنظم عينيته المشهورة التي قال فيها :

هبطت اليك من المكان الافرغ ورقاء ذات تمزق وتقسع

ولم يكن الجمع بين العلم والادب ذأب العلماء العرب فحسب ، فمن قبلهم اريسطو شيخ فلاسفة الاغريق وواضع علم الاخلاق كان ذا
فن وفلسفة ، وفيثاغورس واقليدس كانا رياضيين ولهما مناقب ادبية ، ومثلهم كثير في العصور القديعة عند الشرقيين والغربيين ، وقد بقي
هذا الجمع يدين المتعقبن حتى ذر القرن الحاضر الذي تبدلت فيه الثقافة اوجهاً ومذاهب وتبسطت آفاقاً ووسائل ، وصار من ابرز مزاياها

الاختصاص بنامية منها، والتجيز فيها لا الإحاطة بكل نواحيها إحاطة شاملة كلمة . وحجة الاختصاص ان الانسان قد يقف حياته ويدهها في التمس بفرع واحد من فروع الثقافة دون ان يجمع فيه او ينبغ فكيف اذا مارس فرعين او أكثر ؟ وهذه الظاهرة الجديدة صدت المتطافين عن سبل طالما اقتحموها وضلوا فيها واضلوا ، وقد افضى شيوخ الاختصاص لدى المتخصصين بعلم ما الى الاستقراء الذاتي والاستقصاء الدقيق ، وهكذا انفصل العلم عن الادب بعد ان اتصلا طويلاً فصار من العلماء الاطباء . من اختص بمرض العيون فحسب لا يعلم في بدن الانسان . واقع الداء ، وغدا في « الجيولوجيين » من درس طبقات الارض وبحت حياتها منذ خلقها الله الى يومنا هذا فعنده علم باطوار القرب وتقلباته وسجل الرمال وذراتها وباحث الجبال وهادتها ولو سألته عن نجم العقاب لما عرف مكانه وبات من الرياضيين من يجمل موقع ايزيون او غرناطة ، ولا غشاة عليه في هذا الجبل ما دام الاختصاص يشفع له احياناً عند بعض الناس ، وهما هنا يبدو الادب وضاح المعالم منطلق الافاق بعيد الاغوار الى جنب الاختصاص العامي الذي يظهر كدأ محدوداً ، ولقد تطورت ثقافة الاديب منذ شاع الاختصاص فصار لا يتيسر الابداع والبراعة فيما يكتب ويداع الا للموهوبين الاكفيا ، الذين احاطوا بابناء الفنون ولما ببعض العلوم التي تجدي عليهم وتوالي حاجتهم كعلم الاجتماع وعلم النفس فضلاً عن اداء المتوج بلغة متقنة ويسان مستحب ، وما عاد بعد ادبياً من ينظم الشعر وهو يجمل تزيين بلاغة ووقفاً من غشاة العلم ، ولو انصف الحاكسون قالوا ان العلم احوج الى الادب . من حاجة الادب الى العلم ، وكيف كان الحكم فان كثيراً من العلماء الذين اهرقوا مشاغل المادة لا ممدى لهم عن فنون الادب ، فرب رواية يشهد تمثيلها عالم اجد عيني في رؤية الجرائم بالمظهر ترد الى بصره الكليل تقاوت وقوته وتعيد الى نفسه بهجة الحياة وبشاشتها ، وصوت ندي رخم يسمع تلاحيته العالم بعد عكوفه على مختبره الطبيعي تمنش روحه وتنسبه عبارة البحث والتقيب ، أدريت ان العلم والادب صنوان لا ضدان ومها فاضلها الاختصاص فلا بد ان يتلاقيا لتنعيم الروح وترفيه الحياة ، ولو جف العلم من ريعان الادب لاقتورت رحابه وبدا كاشجرة العارية لا ورق فيها ولا ظل تحتها فما اعظم العالم الادب الذي احله الله مقدورة لما كوتن يعال من احداها على حدائق الادب ومن الثانية على مصانع العلم لا اجر من امثال هذا العالم قليل جداً في الفارين والمجاهرين في الشرقيين والغربيين ، فالشخص الذين اتوا هذه البسطة في المواهب والمعارك جذيرون بالحدود والتجديد ، فقد قلناهم العلم والادب حتى استقلال في دخلانهم واستقروا في ميولهم ، فاذا غاصوا على حقائق العلم طلوعوا على العالم بلال . الاختراع ، واذا استوهم الفن جالوا في رياضه الزاهرة فكان من قطفهم الطرافة والابداع وليس على الله بمسئكر ان يجمع المواهب في الاقلين عدداً من العلماء الادباء . وقد كان من حظ الشام في عهدها الحديث ان يكون فيها عالم نباتي طامع واديب مطبوع هو الامير مصطفى الشهابي الذي ساهم شبابه في سيرة التعاشيب واخبار الشجر والشعر وسر الجنود والبذور وما يزال معجبه الزراعي بين يديه يقطع على صفحاته جناباً من الليل في التحقيق عن لفظة يدعي بها نباتاً او وصفاً ينمت به بقلأ ، على ان الامير قد جمع الى علمه ادب الطبع وبلاغة الاسلوب وقوة اللمة ولو جمعت مقالاته الادبية لكانت ذخيرة قيمة وغنية لادبنا الحديث . ومن اشهر العلماء الادباء في الديار المصرية في ايماننا الدكتور احمد زكي متجزم « لادام او كاياليا » فاذا كتب عن الجرائم وصف فتكها بالاحياء او كان كلامه على الجمال ومعداتها عطف على الصحراء وقد اجري قلده البلع في اسلوب عربي مبدع . وكان من نصيب دولة الشعر على ضفاف النيل ان اعترت بالهندس علي محمود طه الذي جاء ملكة هو . يوس عازفا على قيثارة الشعر في « ليالي الملاحة الثالثة » ومن اطباء المصريين الادباء ابراهيم ناجي وابو شادي وقد كثر اشعرهما في دواوين . اما في لبنان فان غطيه المغرور الدكتور نقولا فياض قد آثر مغاني القريض ومنازل امرى . القيس على ساعة الانباض وكشف الداء ، فهجر الطب بصحرا الى ادب الجليل والاذاعة ونجوى القلم ، وهناك الطبيب حبيب ثابت يعالج الصحة والجمال وهو في بهرة العلم فلا يجد نفسه ببسداً عن الادب ، فاذا خلا الى فنه دخل دنيا عشرت ونظم الشعر في لاجمة الحب والفتون ، ولعل بين الباب والشعر نسباً عريقاً فان كثيراً من الاطباء تستمهم تهاويل الادب ، أدريت ان العلم والادب صنوان منشودان وعصران مفيدان على الرغم مما في بعض جناهما من خير وشمر وان لكل منهما هواء ورواد ، وعليهما تقوم ثقافة العصر وحضارته فلا غناء عنها التعرير الانسان ورفعته فالاول يعلم العقل ويسود الحياة والثاني يهذب النفس ويصل الذوق والروح .

أنسى ؟

بوسف الخال



انا في امسها ذكر هني .
يعيه ، اذا تناسته ، الرواء .

ينشره الصباح ، فكل صوب
يهش به ، وتقمرة السماء ،

ويهمسه العبير الى الاقاعي
فيذكر من نوافحه الفواء ،

وتحضنه مدى الآتي قواف
فلا في كل قافلة حذاء .

أتسى ، ليت ينعم التناهي ،
ولي انى تلفقت اعتبسا :

يلهلي السواد من الليالي ،
وينتري على الكون الضياء .

انا احببتها ومعى رجائي ،
وامضي الان ينكرني الرجاء ،

تعالي بها الذكرى وحسي
من الذكرى التعلل والعزاء

بوسف الخال

٢٨ يناير ١٩٩١

يرادها التمتع والجلاء ،
وتلقاني ، ولقيها ازدراء ،

وتبسم لي وبسمتها تداعت
يكفنها من الذكرى بقاء ،

تسبح بوجهها عني وتغني
مخافة ان يهم بها الحياء ،

تضن علي بالنعى وتناي :
وجود ، ام غنى ام كبرياء ؟

أتسى يوم افترقت الاءاني
يسربها من الحسنى وفا ،

ويوم حمت عن شفت صباحي
الى غدها وفي غدها مساء .

أتسى ؟ كيف تضى يوم كنا
وكان لها على صدري ارتقاء .

تتم لي لواعبها عنقا ،
وتقلني ادغدغ ما اشاء ،

واغرقي في الطيوب ولا نجاة ،
واشرد في المباح ولا نداء .

السلطانات الثلاث

فقال الاغا : لقد اوشك ان يفرغ صبري ، فحين ازجوها
تنطلق في الضحك والرقص .
واذ مثلت هذه الفتاة بين يدي السلطان اكدت له انها لا
تبالي باحد ، فقال لها : الا يشوقك ان تحسني في عين سليمان ؟
فقاتت على الفور : ابداً .

على ان السلطان لم يفض
لهذه الجسارة ، ومضت روكسلان
في العبث به وراحت تطوي
بلادها . قالت :

- اما في فرنسا فلا
يستنشق المرء الا المذاذ والحرية
والرخاء . وكل مواطن في فرنسا
ملك في ظل ملك . مواطن .

ولكي تقطع له الدليل
على ذلك دعته الى مأدبة عشاء.
على الطراز الفرنسي دعت اليها
ايضاً بضماً من السراي بينهن
دليا ذات الصوت الجليل وألمير
نفسها . وفي اثناء المأدبة بالعت
في عيشها مبالغة اغضبت سليمان

فانتهرها صارخاً : احتجني عن وجهي !

واصدر امره بان تدرج في عداد ادنى الامة . . ولكي يضاعف
العقوبة خول لالميرة حق التصرف بها كيف تشاء . . على انها لم تعباً

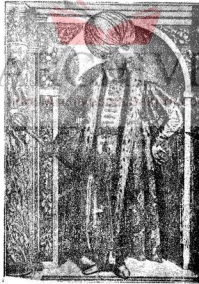
ليس في كل ما اخرجه افلام الكتاب المسرحيين في القرن
الثامن عشر اجل من مسرحية « السلطانات الثلاث » لشارل فافار
(Favart) . واليكهم موضوع هذه المسرحية بإيجاز :
عندما برّ السلطان سليمان الثاني الملقب بسليمان القانوني بوعده

فاطلق الحرية للحظية الاسبانية
الحسنا . ألميرة قامت في القصر
ضجة عظيمة بين السراي
الحمامية الطامحات كاهن الى
الحصول على عطف السلطان .
وكان الاغا عجايب يحث مولاه
على الاسراع في اختيار من
يخلف الميرة في حرمه الخاص .
قال :

- لقد اصبحت الحياة في
القصر لا تطاق ، فبين السراي
فتاة فرنسية فرفاعة ، مشككة ،
تضحك من كل شي . ولا تخاف
احداً .

فقال السلطان : اظنها
روكسلان فهذه الفتاة ما زلت
اراقها منذ اكثر من يوم .
انها القوية حقاً .

فقال الاغا : كأن انها المشرب يسخر من الحب
فقال السلطان : يجب كبح جماحها .



السلطان سليمان القانوني (١٤٩٥ - ١٥٦٦)

به وانطلقت في الضحك هازئة ساخرة قاهر السلطان الجميع بالخروج ، وبعد صمت مثقل بالوعيد والتهديد بدأ بينها الحوار التالي :

سليان : لو شئت ان استسلم لفضي لجعلتك في حالة اقصى من الموت . ولكنني ارحم ضعفك . فاحتقري نعمي ومجدي وعقلي ... اتضعكن ؟ اذن تستعطين اقصى عقاب قلوبك ما كان الا للدناءة والحسة .

روكسلان : (بلهجة فخرية) انك لفي ضلال ايها

السلطان ، فالقلب الذي هو القلب الذي يزرع تحت وطأة المصيبة . اما القلب الكبير فيعرف من اتضاعه بين مظاهر الالهة ومن طمأنينته وكبره في الشدة والضعف . (بارحة مريحة) العالم ، ايها السلطان ، مهزلة افو فيها وادرس مختلف السخافات . فقلنا انكم مساحرون ، وشاربكم وخطاطكم السحاب اطفال . وحين يرخي الستار على فصول هذه الكوميديا يصبح السلاطين والرعايا رفاقاً متساوين .

سليان : اكلي ! اكلي ! واقضي على آخر ما بقي من راحم سيدك . روكسلان : اجل ، انت سيدي ، فقد باعوني منك . ولكن هل اعطوك حقاً ما علي قلبي ؟ كن على ثقة باني لا اخاف ، ومن لا يخاف ليس عبداً .

سليان : روكسلان ! اتظننتي جليلاً قاسياً ؟ افهنيني يا روكسلان تدري ان سليمان ان يلبأ الى قوته وبطلته ليحصل على قلب ينفر منه . اذهبي ولا تحنني بأساً من حب تحتقرينه ، فانت حرة .

روكسلان : لا يبدو لي انك تقول ما تقول بلهجة النذب (بنفج) تعال ، تعال . اني اغفر لك ... فانا طيبة القلب .

سليان : ماذا تريدين ؟ روكسلان : اريد ان ارجع اليك رشداً واشفيك . من ضعفك .

سليان : من تكونين ؟ انك تجذبين قلبي وتردني الى واجبي . من تكونين ؟

روكسلان : لست سوى صديقة لك .

سليان : كوني دائماً تلك الصديقة . ولكن قلبك ... قلبك ... أأستطيع الحصول عليه ؟

روكسلان : ولكنني لست حاقدة عليك بل على اسرافك في استعمالك سلطانك .

وبقيت كذلك حتى افهمته ان لاحب بدون مساواة وانه اذا كان يريد ان يتخذها عشيقه له فليجعلها سلطانية . قالت : « لو ان حبيبي لا يملك الا كوخاً لاشاطرته هذا الكوخ وآسيته في اشجانه وكنت له عزاء . وعزداً ، ولرقت لاجله اجل تاج واعظم صولجان . ولكن حبيبي يملك عرشاً فاذا لم اشاطره اياه فلن يكون حبيبي . »

فقال سليمان : « ولكن القوانين لا تحمي في ذلك . » فقالت : « اتالا ابناً بهذه القوانين . » فقال : « والوزراء ؟ » فقالت : « اطردهم . »

فقال : « والشعب ؟ » فقالت : « لقد وفرت له سعادته فليوفر لك سعادتك . »

فلم يجد سليمان بداً من الانحنا . امام هذه الحجة الصادرة عن قلب كبير ففسادى اليه عيان وقال له : « ابلي الوزراء . وابلي رعايي انني اتخنت روكسلان زوجة لي . »

هذا موضوع مسرحية فافار اوردناه بايجاز . والغريب في هذه القصة انها صحيحة . على ان روكسلان لم تكن فرنسية كما زعم



السلطانة روكسلان زوجة سليمان القانوني

بل كانت تتعدى ذلك الى الزفاف معاً في غرفة واحدة . وقد يزول
استغراب هذه المودة حين نعلم ان ابراهيم كان محدثاً على جانب
كبير من الثقافة ويحيد فضلاً عن لغته اليونانية اللغات التركية
والفارسية والابيطالية ، وان السلطان كان مولماً بالموسيقى والادب
والشعر والتاريخ .

وبديهي ان تغلق هذه المودة روكلان فتبذل كل مساعيها
للقضاء على نفوذ ابراهيم . سوى ان الحظ العاثر شاء ان يتولى هو
نفسه هذه المهمة . ففي اثنا غزو السلطان سليمان بلاد العجم جرؤ

قائده الاعلى ابراهيم على اصدار امره
باعداد الدفتر دار اسكندر الشلي في احدى
ساحات بغداد . فبدأت الوسواس
تعمل عملها في رأس سليمان . وفي اليوم
التالي حلم السلطان ان الدفتر دار ظهر له
محاطاً بالالة صاوية ووجهه على خضوعه
الاعلى لوزيره ، وروى له ان الدفتر دار
انقض عليه ليقتله ، فاطلق صرخة وهب
مذهرباً من فراشه . على ان هذا الحلم
لم يمنع السلطان من ان يزور مع وزيره
قبر بنسداد وان يواصل الرقاد معه في
غرفة واحدة .

ولكن في الخامس من شهر اذار ١٥٣٦

توجه ابراهيم كعادته الى القصر ليتناول العشاء مع السلطان وينام
الى جانب سريره . وفي صباح اليوم التالي رُوي مخوفاً .
واذ قلنا ان روكلان زوجة سليمان القانوني ووالدة السلطان
سليم ، لم تكن فرنسية بل كانت روسية فكثير من القراء يجهل
ان فرنسا اعطت تركيا سلطانية بعد مرور مئتين وخمسين سنة
على عهد سليمان .

ففي الربع الاخير من القرن الثامن عشر كان في المارتينيك
نسيبان تدعى ادماسا جوزيفين تاشير ده لاجيري ، وتدعى
الاخرى اليه ديوك ده ريفري . وكانتا في نحو الثمانية عشرة من
العمر حين تلبت احدى العرافات لاحداهما جوزيفين بانها ستزوج

الشاعر فافار بل كانت روسية واسمها الحقيقي كوريم . فقد روي ان
فتاتين روسيتين على جانب عظيم من الجمال قدما احداهما الى
السلطان والاخرى الى أمه الولادة . واذا وهبت هذه الاخيرة
فتاتها لابنها ثارت غيرة روكلان وقامت قيامتها حتى اضطرت
السلطانية الولادة الى استرجاع الفتاة وتزويجها من احد الضباط .
وبقيت روكلان في القصر ترافق سياسته وتعين ما يجري
في الحرم . وكثيراً ما كانت شؤون الحرم تؤثر تأثيراً حاسماً في
سياسة السلطان . واليكم هذه القصة العريبة عن الداهية التي

تزلت بالصدر الاعظم ابراهيم باشا . في
السام ١٦٤١ ، اي بعد انقضاء قرن على
الحادثة ، وضمت الانسة ده سكوديري
قصة « ابراهيم » وزعت فيها ان الصدر
الاعظم كان جنوي المولد وانسه بيتي
خلال العهد الذي ملك فيه زمام السلطة
وفياً لحبه احدى فتيات بلاده وهي
اميرة من موناكو . ويدور مدار القصة
حول الدسائس التي كانت روكلان
تديرها في الخفاء للقضاء على نفوذ ابراهيم
الذي كان متميماً بحب اميرة جنوية مثله
تدعى ايزابيل غريالدي كان السلطان قد
وعده بتزويجه اياها .

والواقع ان ابراهيم لم يكن من نسل جنوي كما ادعت
الانسة ده سكوديري بل كان من رعابا اليونان خلفه بعض
القراصنة الترك وابعاه من احدى الارامل . وكان يحيد العزف على
الكمان . وشامت الصف ان يسمع سليمان ، وكان بعد ولياً
للمهد ، عزف الفتى ابراهيم فاخذ بجواذبه وقرّبه اليه فولا صعد
الى العرش عينه رئيساً للحجاب . وبعد ثلاث سنوات ولاء
منصب الصدارة العظمى . ومسا عثم الامر ان زوجه من
شقيقته .

وكانت المودة بين السلطان ووزيره تتجاوز كل مودة ، فلم
تكن مقتصرة على تناول الطعام معاً وقضاء السهرات وجماً لوجه



عمود الثاني (١٧٨٥ - ١٨٣٩) جل
عبد الحميد الاول

واهدت القنساء ايمه الى امير الجزائر
بابا محمد . وبما ان بابا محمد كان
طاعنا في السن فقد اهدى الاسيرة
بدوره الى مولاه السلطان عبد الحميد
الاول . وفي السنة التالية رزقت منه
ولداً رقي العرش فيما بعد باسم السلطان
محمود الثاني .

وكما رأينا السلطانة روكسلان
تدير سياسة القصر في الخفاء رأينا
السلطانة ايمه تدير سياسة تركيا
في ساعة عصية من تاريخها .

ومن يتصفح تاريخ بني عثمان لا
يمضي عن تلمس ذكاه ايمه الفرنسية
في سياسة التقارب بين فرنسا
وتركيا .

واليوم ، وقد مر مائة وست
وعشرون سنة على وفاة ايمه ، قد
يجهل الكثيرون ان اميرة باطورية
الفرنسيين كانت زينة للسلطانة الترك .



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رجلين احدهما اشقر والاخر اسمر وان
الاسمر سيلاً العالم بجده وينتهي
امره في المنفى . وتنبأت للاخري ريفري
بان قرصاناً من الجزائر سيخطفونها
وترزق ولداً يعظم شأنه في الدنيا .
وليس فينا من يجهل . اذا عمل زوج
جوزيفين نابوليون بونابرت . اما ايمه ده
ريفري فقد ارسلت الى اوربا لتعهي
دروسها في احد اديرة نانت ، وذلك
في العام ١٧٧٦ على ان حرب اميركا
حالت دون عودتها الى المارتينيك .

ولم يقدر لها ترك نانت الا في
المعام ١٧٨٤ . سوى ان عاصفة
هبت على المركب في خليج
غسكونيا وقبل ان يفرق . مرت باخرة
اسبانية متجهة الى ما جوركة وانفتحت
ركابه . وما عم الامر ان موت
باخرة قرصان جزائرية فهاجمت
الباخرة الاسبانية واسرت ركابه



شرح الصورة العليا :

ايمه دوبوك ده ريفري ، سلطانة
تركيا في عهد عبد الحميد الاول ووالدة
السلطان محمود الثاني .

شرح الصورة السفلى :

سلم الثاني ، نجل سليمان وروكسلان ،
وقد ارتقى سدة السلطنة في العام ١٥٦٦

رسالة الأديب بعد الحرب

فلم الدكتور قنوق فياض

عندما

اعلنت الهدنة سنة ١٩١٨م، تسكت المدفع
عاد القلب الى تعويده ولكن اصابه شبه
بجة ذهبت بالكثير من رونقه وجماله لان الحرب خلفت تعباً عاماً
لم ينحصر في الذين اشتركوا فيها بل تناورات القويوب والبعيد .
فأثر ذلك في الكتاب والقارى . معاً وحادث بالادب عن قصد
السبيل . لقد قلبت الحرب حياة الرجال المتمدن رأساً على عقب
وبدلت حالات المعيشة من أكل وشرب ونوم وعمل وفرو ، وبعت
في الاعصاب هياجاً غريباً فصرنا اقل صبراً واكثر الحاجة اشتغافاً
لمعرفة ما يجري من الحوادث ، نلتقط الأخبار باللاسلكي فيأتينام
هنا وهناك نبأ المجاعات والثورات والحروب الداخلية والازلازل وغير
ذلك فضلاً عما يحيط بنا من كتب من مصاعب الحياة اليومية
وغوف المجاعة وتعدد السرقات والاعتداء . وما اصاب الكثيرين من
الخسائر مباشرة في ثروتهم وسرقتهم ومركزهم الاجتماعي . كل
هذا خلق اضطراباً عصبياً لا عهد به من قبل فبدت آثاره في نتاج
القرايح والعقول . وظهر بين الكتاب من اراد استأثار هذا الفلق
النفسي والمتاجرة به . فأقدموا على التأليف في موضوعات غريبة
يريدون بها لفت الانظار وتقرير السذج من الناس في الاقبال عليها .
ولم يقو القارى . على مقاومة هذا التيار المتدفق عليه من المؤلفات
الضاربة بل اصبح يستطيع ما كان ينفر منه لما لم به من التعب في
الاخلاق والافكار . فكانت الروايات القصصية والتمثيلية لا
تدور الا على موضوع واحد كأنه لم يبق في العالم سوى فساد
واجرام . وكان الحرب خلقت استعداداً جديداً وميلاً لتذوق كل
ما هو مكروه وفظيع فلم يبق للفن الا ان يكون ستاراً لهذا
اللون الجديد من بعث الشهوات والاستسلام لكل ما خرج عن
نظام الطبيعة ، وصار الكتاب يتلذذ بالامعان في العنصرية دون

الاهتمام برأي الاكثورية المفكرة فيفسد قلبه في الانذار ولا يبحث
في الطبيعة الا عن اليوب والبشاعة وهو على يقين انه يرضي القارى .
الذي اصبح متعطشاً الى كل احساس غريب .
تلك حالة سيكولوجية لا دخل فيها للصحة والمرض رأى فيها
الفنان متسعاً للسير في طريق معوج ، مستنداً الى سكرات الحب
والالم والدم ، منصرفاً عن الذوق والآداب قائماً بما يمر في رأسه من
ظلال ، لا وثقة برسمها على الورق وليس فيها اثر للجمال او القوة .

ولهذا لا نجد في اكثر الكتب التي نشرت بعد الحرب الا
علام اليأس واللبلل والسودا . كما ان اكثر الكتاب لم يكونوا
يستحوون في كتاباتهم غير اهواء الجمهور ليفوزوا برضاهم . اما
الفنان الصريح الخلق بهذا الاسم فبقي مجهولاً يدوسه المنافسون
الذين لا يملكون جزءاً من احساسه وتقديره . لقد قام ادب ما
بعد الحرب على تمجيد الانانية وتأليه الانثم والدعارة والفساد ، وربما
كان شي . من هذا قبل الحرب ولكن عذاب سنوات فتح الباب
على مصراعيه وأرخص العنان للشهوات فصارت الحجة قسبة وتحول
الوشل الى مجر .

وفي ظلمة هذا الهذيان النائر كان يسطلح حيناً بعد حين فكرة
سامية نبيلة كأنها من طلائع الردة التي يتخض بها الغد في وجه
هذا التيار الجارف الخزي .

وبالجمله فقد هوت الاخلاق عن عروشها وتحول الجمال الى قبح
ونبت انواع الفضائل من تضحية وصبر واستقامة وصداقة ،
وارتفعت اصوات تقول بإباحة كل شي . وانه لا يمكن ادراج
عظمة الانسانية الا بالرجوع الى ادب الفتح وسلطة القوة اي ان
اشرف الانسان على نفسه وهو من عمل المراكز العصبية السامية
يجب ان يزول فيتل المفسر والكتاب والقياسوف عن طبقة

الانسانية ويعطي الافضلية للراكز العصبية الاخرى تلك التي تدير العزيمة والتي هي كل ما في البهيم من عصب ودماغ .

انهم واصل الحقي لمجرمون اولئك الذين يشعرون بالحاجة في نفوسهم الى الافساد ، عاملين بعكس المهمة الطبيعية المتقاء على كواهلهم فيمدحون ما يستحق الذم ويؤثرون الروائح الكريهة على عطر الازهار ويحولون الى الشر ويحترقونه في سواهم . ويدون فيه من الجمال ما لا يوجد الا في الخبز . وما الفرق بينهم وبين اللصوص وسفاسكي الدماء الا انهم قتلوا لافعالون فهم عبيد الخيال يحترقون من المذاهب الفلسفية ما يلائم طبايعهم . ويحلمون عليها حللاً من الكلام المزوق الخادع .

وقد اصاب الشعر من الخمول مثل ما اصاب النثر فنلهو شعراء كل اشعارهم آغاز مغميات وقامت فئة تقول ان المعاني غير ضرورية للشاعر وحسبه رنة الافاظ . مع ان الصوت لا يبلغ اقصى مداه من البيان باثنية وعدها ، ولا بد من اجادة التصوير والتعبير الذي يجعلك تلمس اليد عمل الفكر في اعلى قلبك . فالغنى هو الذي يجعل على الكلام جماله ويعطيه قوته لا الصوت ولا النغم .

كنت سنة ١٩٢٠ في جبال ايطاليا فتعرفت الى بعض الادباء وانشدني احدهم قصيدة لشاعر كبير من الجدد واذكر انه بدأ فيها بلفظة « يوم » . ثم انتقل الى معنى آخر وقد اراد بهذه الكلمة ذكر المدفع وبيان فعله دون شرح ولا تعليق طائفاً انها تكفي وحدها للدلالة على ما يريد الشاعر ، وتغني عن الشرح والاسهاب في الوصف . من مثل هذا الشعر وامثاله يريدون ان يبعثوا الصوت كل شيء في النظام . وفهم من اراد ان يعطي الكلمة معنى لونياً وهو ضرب من المزاح لا يمكن ان يتخذ قاعدة لافن الا عند المرضى .

انا اعلم ان هناك من قبل الحرب مذهباً في السمع المألون وان الاصوات توقظ عند بعض الناس احساسات اللون وتعليل هذا انه يوجد علاقة بين مراكز السمع والبصر والعصبية في الدماغ فاهترز الواحدة يؤثر في الثانية . ولكن هذا الاثر ضئيل مظلم

منحط ولا يمكنه ان يكون اساساً لمذهب جديد في النثر والشعر . وما انتقال التأثيرات التي نشعر بها بواسطة المراكز العصبية للنظر ابي من الصوت الى اللون الا رجوع الى اعمال العقل الاولى المشروطة التي كانت تجري في دماغ الحازنون حيث تختلط كل التأثيرات الالية من الخارج كالصوت واللون والشم واللمس وتكاد لا يتميز بعضها عن بعض . وان رجلاً يتمتع بالتمييز الكامل بين هذه التأثيرات ثم يخلط بينها وينقل هذه الى مكان تلك لمو رجل يتنازل برضى عن كل ما اكتسبه من الارتقاء . خلال الدهور ويتقهقر الى فجر النشوء . فيعط من شائق الكمال البشري الى مستوى الحيوانات الدنيا ويترك عن التمييز الراقى الصريح الى الشعور المظلم الذي كان عليه الحازنون وغيره من الاعداف .

والذين تؤثر بهم هذه الكتابات الجديدة فيحسبون آيات مقلات هم في الاكثر لم يمانوا شداًد الحرب وان شهدوها . اما الذين تأملوا حقيقة ولبوا نداء الارض والسموات والروابي والجبال والانهر والتناهب والمدن والقرى وجادوا بالدم في سبيلها فهؤلاء وحدهم يعرفون معنى الجمال وقوة الجمال ويهتدون بنجى له . وقد اتى على الحرب الماضية عشرون عاماً ولا يزال القم مستولياً على القرائح وما خلا القليل من الموهوبين فالشعر كالتنثر لا يزال في تقصير . وكمن وذنوع جليل فتحت الحرب لئسا ابوابه فوقفنا دونه حائرين حامتين .

ما يكون اثر الحرب الحاضرة في الافلام يا ترى ، وكيف تؤدي رسالة الادب الى العالم المقبل علينا ؟ ايعيد التاريخ نفسه ام ينبعث من افق المستقبل شعاع جديد يضيي الامل ويبعث الجمع ويطلق الافكار من عقلا ويكون من النظام الجديد الذي يسعى به البشر حافظ لهم يتاديهم حي على الصلاح حي على الفلاح ؟ هذا ما لا يمكن الجزم به في الساعة الحاضرة والجواب في ضمير الشعراء والكتاب .

نور فباض



في اغرول الذهب

بشم زكي الحامسي
استاذ العربية في تجهيز دمشق



ذا الذي ، يجب ان يسلك نفسه في غل من الذهب ؟ من هذا المسكين المغتر بمسمة عن السرور ، الخافق فؤاده بالحبور .
في يديه قيد ، سلاسله وهاجة وعقده براقعة . تعان اذا اصطفت حلقاتها بطنين الدنانير ، وحين تطالها الشمس ، يتلألأ لها بريق العسجد الابرئ .

سأراني بها أناد ، كصارع في الوادي . ولو جات البلاد انفرس اوجه العباد ، ادعوم الى هذي القيد ، لآثروا عليها الاحود .
ولاشاحوا عني ضاحكين . او ابردت سجناتهم غاضبين . ولرب طامع فيهم بجيل ، لو ادرك عهد اشعب لناقسه في الزمان ، وبذه في الشوط .
ولا فصح نقاد الواعين واسكت لوام الطفيلين . فقال :

— انا زعم بهذا القيد الذهبي على ان يصير لي مأكلاً . هاك يدي ورجلي ، وهاك عنقي ، قيد ثم قيد ، على ان يكون القيد في حوزتي كمالني ...

ليأخذني على هذا الطامع الغشوم ، خوف واشفاق . فقد تحمل من كلامي ظواهره ، وما غاص الى لبابه . لقد كنت اريد باغلال الذهب .
مشاكل من دنياها ، نجس انسانها فيها . وثقت بالاحقاد . ابتدأت الى اعتاقها قد ربطت ، وارجلنا الى تحير . مشية ولا تتدر على خطوة .
كانتنا في هذه المشاكل الدنيوية ، في جفحات من السجون فضيلة ، لها طاق صغير يشبت فيه قضبان الحديد . اعظم جوفه وضاق بابيه .
وعليه حارس . ورسل الشارين متجهم الناطورين يطارق بالفتح على دفت الباب بين حين وحين . اسما مقام رقيه انسان هو قيد محكم من الذهب .
ليس للعولل والناصرة والاسلامين في قيود مذهبة يرسفون فيها وهي غزال تقال . ثم ألم يزو في الدهر خبر الملوك الذين رغبوا عن هذا القيد فأثروا من اجله البعد عن العرش .

هذه الاغلال كثيرة في الدنيا . ما أحسب انسانا خلا من واحد منها . لقد عاش منها راضياً ، وبها قائماً ، ودعا الناس الى . ثلها ، وفي نفسه منها لوعة ، وبجلقه غصة

وأرى الوظيفة قيلاً من الذهب ، يغدو الموظف كل صباح الى عمله في الدولة . انه يبضي على سمح واحد . وباسمه متشابهة . اذا كان الصباح ارتدى لبوسه وسار الى قصر الحكومة . يوقر من فوقه ليوقره من دونه . هكذا يسبح عراً عشرين عاماً او ثلاثين ، وهو على فرد وقيرة ، وفي نغم واحد . ولو فتحت امام عينيه الحرية وانطلاقاً والراحة وانتاقها ، فابعدته عن الاحكام القاسية ، والنظام المقيم ، لبكى حينئذ الى حاله التي كان عليها . فاقدر خلق الوفا كأني الطيب مع . شبيه . هو يؤثر هذا القيد التليل المحبب ، لانه قيلاً من ذهب .
ثم الزواج ، هذا القيد الذهبي الكبير . النل الاقدس الذي وضعه الله في يدي آدم وزوجه ، وتواصل جلله في تزويج البشر الى اليوم ، ولولاه ، لما كان من اسيرة على الارض .

ان الزواج ضرورة مقضية للانسان وحكم ملازم له . شرعته الديانات منذ وجدت ، وابتكرته الجماعات من يوم كانت . اهرقت له دماء ، وكفت به دماء . ألم يقتل ابن آدم اخاه في سبيله . ألم تقترف الجنائيات في طوال العصور من جراء الزحام عليه ... قيد صنع حلقته الاولى ابو البشر ، وربط بها لرائته اليه . فدرج على غراره اولاده من بعده . بعضهم يفر من القيد فينعم او يشقى ، وبعضهم يملك فيه فيموت او يحيا .

حكم قاضي الحياة بوجوده ، لتبقى الحياة ، سالكة نظم المثل ، ماشية في سبيلها الاقوم . والزواج رباط فرضه المرء على نفسه

بكل ابدانه . من قلبه ولد ، وبعقله احكم . انه زهرة نبتت في جنة الكون ، رعاها هو ورواها واحد . نرسها وانفاها : فكانت منها الشجرة الشبية ، التي لا تاتي . باركه الله في التوراة ، ورزق اليه النصارى مجاثم . من ذهب يلبسه الزوجان بعد ان يسعما من الكاهن هذا القول ويردداه :

— رضيت بك زوجاً ابد الدهر . رضيت بك زوجة ابد الدهر .

وما الخاتم الا حلقة من سلسلة طويلة من الذهب .

يتزوج المسيحي فلا يفصله عن زوجته الا الموت او العار . شركة حاوة يغنى على جانبها العمر ، دون ان يحس صاحباه بفنائها . ولقد شرف الاسلام هذا القيد فكان . من قول القرآن الكريم فيه :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتكنوا اليها وجعلاً بينكم . وودة ورحة ان في ذلك لآيت ل قوم يتذكرون . »
بلى ، ان سكنى المرء الى زوجته ، آمن ورغد وراحة وجنة نعيم . وان المودة التي بينهما والرحمة المنزع في الملمات ، ووسعة دمع في الشجيات ، وبرد على القلوب وسلام .

ما احب الى قلوب المتزوجين طلمات ازواجهم . انهم يحولون صفات الدروب ، فيقبلون الاعين في اوجه الحسان وقدودهن . يقايسون بين اهل الجال ، فيفاضلون خالقاً على خالق . ويصبون او يتصابون . ولكن حين يزوبون الى بيوتهم فتلقاهم زوجاتهم بالوجوه الواضحة ، والعيون البعيدة ينسون كل فتون عرفوه ، خلف باب البيت . ويقبلون على زيفات الحياة وقربناك العمر ، فيغيبون على عواضين خير الصباحة ، وفي قدودهن كل الملاحة .

وحين يبيتون من مفارقين ، او عنين غائبين ، تهب نحوهم منهم القلوب . فيهم نادى على ، افرط . من خدام . وكل لديهم شتاق يود لو يقطع الشقة فيصل الى زوجته كالطائر . قيد ذهبي ، ما احبه الى النفوس الهنيئة التي عرفت القساعة في الحياة ، ولم تطالب ، الا الهدى والنجاح .

ما ابهج التفاف هذا الغل الذهبي على اصحابه . بين يكون لهم فيه اولاد . فيتلقونهم من اعلى السلم او عند رتاج الباب ، يرتقون بين الايدي الممتدة ، لا عنانهم ، او يتصابون تحت القنات المشرقة ، على خدودهم وجوهرهم . هذا يقول : هم جئت بليلاً ، وتلك تستضحك فوراً او تبكي غضباً . ثم قد تسمع في صحن البيت بكاء ، رضيع فيضيل اليك انه يزججك عن . مكانك ويطرحك في قاق وضجر ، ولو استمرت اذن الابوين سمعت فيه هديل الحمام او نغمت العندليب .

ولقد يدبر عليك مكان نومك غروب ، فينهضك من فراشك بصوته ، فتشور بوجهه ، لانه راعك او اطار النوم من عينيك . لكن ، حين ينهضك طلعك الساعات الطوال في الليالي العذاب تعود الى النوم وانت هاني . ذو رضا .

انظر الى هؤلاء ، الشباب وفيهم رجال . يقال هؤلاء هم الطلقاء السعداء . نجوا من اغلال الذهب . ان ذرت الشمس على دارهم في الصباح لم يجدوا داعياً ينهضهم الى عمل هو لايبت . وان امسوا الى قطع من الليل في وراح النفوس ، ورتع القلوب ، فعادوا الى المأوى لم يسعوا شكوى ، ولم يعابروا بلوى . ما امرأة تطالب منهم ثياباً ، ولا طعاماً ، وما ولد يتعاقب باذيالهم ، فيسهمهم موا . ولا نفا .
حين ارى هؤلاء ، اقول : اناس لم يجدوا انصافهم لبيوتها . واظهار ، ان ذوت فالت . على انهم ماضون في المركب ، ولا يسد صائرون الى ما صرنا اليه ، فحصدون في اصفاك الذهب .

هكذا سار بنو الانسان ، كما سار القطيع الى المرعى . لقد توافقوا على الزواج منذ كانوا فوجدوا فيه طول الاجيال ، وعلى واضي العصور ، بلسماً لجرح الحياة ، وسواة عن الفناء ، بالبقاء . هب « شونهور » في طريق موكبهم المزدحم الهدار ، فصاح بهم ، ان احذروا المرأة وكمن لهم « ابو العلا » في المنعطف الاخر فصرخ فوقهم ان انبذوا الزوجة ، ولا تلدوا الولد
فروا غير مكترئين ، تسمع ضحكاتهم من بعيد . مروا ازواجاً ، يحرون اولاداً ، قافلة تسير ، وستظل تسير ، حتى الزمن الاخير .

زكي الماسني — دمشق

هكذا كان ...

لقول بسنرس



ما احبلى القمر
من خلال الشجر
يتهادى سكران
بعبير الزهر
وبهمس التدران

لبنان
مسرحة التزلان
معقل النسر
مرقص البدور
نغمة الهوى
في فم المعصور

بروي على الليل شيئاً
من اوهس ، في شبه همس
وليس امس ، سوى
حكمة ، وغزة نفس

ما احبلى الصباح
فيه ، يرخي وشاح
من جمال
ودلال
فوق اكتاف التلال
وعنايد الدوالي
وعقود الاقاح

سفن تمخر البحار
واسود تحمي الذمار
وطباء ،
ربات حسن واحسان
هكذا كان
لبنان

والسما
عبقات من غنا
طيب ، حاو الاداء
وتصاوير والوان
وعصافير الى الاعشاش ،
اسراباً تطير
وصدى راع يسير
خلف قطعان

لقول بسنرس

ذكرى نابغيه : شاعر وعالم

فيلم ابن الغريب



الفريد تينسون

كرلايل : انه من اجمل رجال العالم قوي البنية يادي النشاط مع لطافة في الوجه يلبس ثيابه يستفيد منها لا يحفظ الاصول .
اما شعره فامتاز منه النوع الغنائي حتى عدّ . من ائمة هذا الفن في اللسان الانكليزي . وله ملاحم طويلة نثر فيها مقاطع غنائية لا يزال الناس يتناشدونها . «جبن» واكثرها في قصائد «البرنس»

و «مرد» وغيرها . ومما يؤثر عن تينسون ان ليس بين شعراء الانكليز من كشف مثله للاجانب عن نواح حية من الاخلاق البريطانية العالية . فكان بذلك شاعرهم الوطني الصريح ، ووصف باسهاب حبه للطبيعة واحقول والفضاء الواسع وتعلقهم المتين بالحرية .

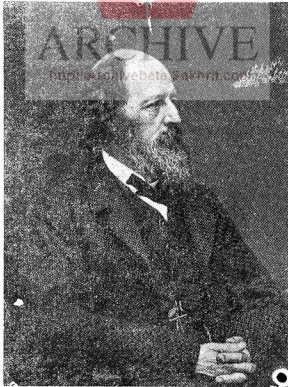
سنة ١٨٥٠ مات ولين وودسورث «الشاعر المكمل بالآثار» وهو لقب رسمي عند الانكليز يشبه لقب امير الشعراء فاختاروا له خلفاً تينسون وظل يحمل هذا اللقب الشريف مدة ٤٢ عاماً ولم يسبق لغيره مثل هذا الحظ . اما الذي يحمله اليوم

كان اليوم السادس من تشرين الاول الماضي ١٩٤٢ التذكار الحسيني لوفاء اللورد تينسون شاعر انكلترا الكبير في القرن التاسع عشر . هذا الرجل الذي بلغ من العمر ٨٣ عاماً أثرت اشعاره كل التأثير في معاصريه من جميع الطبقات .
كان عهد تينسون عهد الشكوك الدينية والاضطرابات

الفكرية . فأدخلت اشعاره في الميدان ايماناً قوياً ثابتاً بالله والاخرة ولا يزال بعضها حتى اليوم عماداً للباحثين في هذه الامور .

ولد هذا الشاعر سنة ١٨٠٩ واحداً من ١٢ ولداً وكان ابوه قساً بروتستانياً في لنكولنشير ، ومال الى الشعر منذ نعومة اظفاره . وقال في احدي قصائده : «انا الشاعر يولد في ارض عسجدية تحت كواكب من ذهب ومن ابرز مواهبه بغض البغض واحتقار الاحتقار وحُب الحب» .

وكان هذا الرأي خالفاً من اخلاقه . اما شككه الخارجي فقال عنه صديقه المؤرخ الفيلسوف توماس



الفريد تينسون

فاسمه جان مايسفيلد .

وفي سنة ١٨٥٠ نفسها نشر ديواناً عنوانه « الذكرى » . وهو مجموعة قصائد مؤثرة رثى بهاصديقه الحميم ارثر هالام وضنها عواطف قلبية سنية وقد اجاد في تعريبها شعراً صديقنا الاستاذ انيس اخوري المقدسي . معلم الاداب العربية في جامعة بيروت الاميركية . وكما تم على ايمان تينسون الذي يقول فيها ما تعريبه : « ان رجاءنا لو طريد بان يكون الخير في كل حال نهاية » للشعر . وكثيراً ما يتمثل الانكليزي في محادثاتهم بابيات من « الذكرى » .

وقد عمد تينسون دائماً الى تشريف الانسان وتذكيره انه احد رتبة بقليل من ملائكة السماء . وكثيراً ما خاطب الامة البريطانية جمعاً ، وناشدها ان تكون متحدة قوية حكيمة . ولعل خير ما نلحظ به الكلام عنه كلمات من شعره نجعلها اكايل غار له . وهي قوله : « عرفان النفس واحترام النفس وضبط النفس » هذه العوامل الثلاثة تؤدي الى قوة الاعتدال العليا »

اسحاق نيوتون

منذ ثلثمائة سنة ، يوم عيد الميلاد لملي في ٢٥ كانون الاول ١٦٤٢ ولد اسحاق نيوتون احد اكابر العلماء البريطانيين في قرية صغير . من الحبر في قرية ولستوب قرب غرانتام البلدة القائمة بين البطلح الزراعية في شرق الاراضي المتوسطة في انكلترا .

ولما بلغ سن الرابعة عشرة توفي ابوه فاخذ اسحاق يعاون امه في زراعة بستانه وحقله اما دروسه العلمية فباشرها تحت اخصان صف طويل من الشجر على طريقه من ولستوب الى غرانتام حيث كان يعاون ابيه في المساومة على اسعار المواشي والدواجن .

ومع ذلك هذا العالم الذي لم يقف على استاذ قط ، بل تعلم بنفسه ويحضر تفكيره ، لم يكنف باكتشافه المرقب (التلسكوب) الذي يعكس الاشعة وحساب التآلم والتفاضل المتفاوت ، بل اوضح وفسر حر كالت الكواكب بنظام ظلل هو الممول عليه في العالم كله ٢٥٠ سنة .

كتب ماکولاي المؤرخ الانكليزي الشهير يقول : « كان في اسحاق نيوتون نوعان من القدرة العقلية . متجدين كما لم يسبق لها اتحاد قبله ولا بعده مثل هذه الدرجة العليا من القوة . وكلاهما

متناه في الضرورة ولا سيما في اسمي العلوم الطبيعية وارقاها وهو علم الفلك . والواقع ان ليس من عقل معروف في الدنيا اجتمعت فيه قوة الاستقراء . وقوة البيان مثل هذا القدر من التوازن والامتزاج . ولقد بدت قوة البيان في نيوتون اولاً . فهو في ايام دراسته الابتدائية شاد مثالا ، مدهشاً للطاحون الهوائي في غرانتام . واوجد قناديل لالارة المدرسة . وانشأ ساعة كبيرة تدار بقوة الماء .

وبعد ما غادر المدرسة مضطراً قضى اربع سنوات في بيته فلم يظهر منه ميل الى الزراعة . ولذلك اقترح بعض من يعينهم امره ان يرسل الى جامعة كمبريدج . فاستعد للامتحان سنة ١٦٦٠ وسجل اسمه للدخول في العام التالي . فكان ادراكه السريع للعلوم الطبيعية والرياضيات مدهشاً لعلميه .

واحد الجوانب وقتنته في « حساب التآلم والتفاضل المتفاوت » الذي لم يكن بعد معروفًا الى تقرير امور يستدير بها الطليارون في الجرح حتى في ايامنا هذه .

ثم حول نيوتون عنايته الى علم النور والبصر والالوان . فادت اختراعاته المشهورة ايضاً في هذا المجال الى انتخابه عضواً في الجمعية العلمية الملكية . وهذا كان اعلى شرف يمكن ان يناله عالم في عصره . وقد اعتقد انفق ان يشاء . نزاجة ومشورة في سوق اقيمت في ستوربريدج فاخذ يفحص بها اللون وتركيب النور .

ثم امتحن نيوتون المرقب . وكان الجهد يجدون فيه مصاب . اذ تسجيل عليهم رؤية الاشياء واضحة لان عدساته كانت تكسر الاشعة عند بلوغها زوايا مختلفة . وهكذا اذا سدد المرقب باحكام لاجل النور الازرق خرجت الاشعة الحمر من دائرة هذا التسديد والعكس بالعكس . فعالج نيوتون هذا الخلل باستعمال مرآة عاكسة بدلا من العدسية الكسرة . وقد استحسن مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا هذا الرأي ونقش عليه في تركيب مرقبه الجبار .

روى بيجتون صديق نيوتون الحميم في خريف ١٦٦٥ : ان هذا العلامة كان جالسا مرة وحده في روضة مفكراً في موضوع ناموس الجاذبية . هذه القوة لاتتناقص مهما تبعد المسافة التي نستطيع الارتفاع اليها عن قلب الارض . فرأى من المعقول اذا ان يستنتج ان هذه القوة تمتد الى ابد ما يظن الناس . وقال في نفسه لماذا لا تبلغ القمر . واذا كان لها هذا التأثير اذا فهي مؤثرة في

دورة الأرض نفسها • وربما كانت الأرض باقية في نطاقها بسببها •

هذا ما نقله بعض الكتاب عن لسان بيجرون • والمشهور ان نيوتون كان منطرحاً تحت شجرة تفاح فسقطت منها تفاحة بجانبه، فاستوقفت افكاره • هذه التفاحة كانت بالطبع ثمرة ضئيلة فلم يجعلها نيوتون ولم يحتقرها بل رأى في وجعيتها لمعاناً ابدياً بعث الى ذهنه شعاعاً ازلياً فحدث فيها طويلاً وشق للعالم بواسطة سيلا • لماذا هذه التفاحة عند انقطاع القيد الذي يربطها بالغصن تسقط تحت امها بجانب نيوتون • ولا تذهب في اعالي الفضاء ؟

لان الأرض وهي اكبر منها تجذبها حتى اليها • اذاً والقمر اصغر من الأرض لماذا لا يسقط عليا • ما هو القيد الذي يربطه في مكانه كالعتق التي تربط التفاحة بغصنها • أليس هو وجود اجرام كبرى وراءه تتجاذبه تجاذباً سوياً وقته من ذلك السقوط • او ليست هذه الاجرام العظيمة



اسحاق نيوتون

باصطدام عنيف فلان وراءه قوة تحفظه كالتي تحفظ التفاحة المنجنية نحو الأرض معلقة بالغصن ولو انقطع قيد القمر • من خلفه يسقط حالا على الأرض كما فعلت تفاحة نيوتون عند انقطاع قيدها لكن قيد القمر لا ينقطع لتعلقه بكل قيود الاجرام السابجة في الجو • وهذا الكون يجري بقوة عامة شاملة تجذب الذرة الصغيرة في كل جسم حي او جامد الى جانب شقيقاتها كما تجذب المربخ والمشتري للدوران حول الشمس

قفز نيوتون من موضعه الحشن تحت شجرة ولستورب مبتهياً كما قفز من قبله ارخيدس في الحمام • والحلقة المقطوعة من سلسلة

اراء كوبرنيك البولندي وغاليلي الإيطالي وكبلر الألماني التي اثبتتها بعدئذ لفردي الفرنسي هي التي جعلت نيوتون الانكليزي يصيح كارخيدس في حمالة اليرباني : وجدتها • وجدتها • وجدتها • وقد عجب هذا العالم الكبير من نتائج حسابه حتى خاف من نفسه واضطربت افكاره • وحار

بين السرور والجزع •

كان نيوتون قد ولد عام ١٦٤٢ بعد بضعة اشهر من موت غاليلي قبل تقصص عقل هذا في جسم ذاك • ام هي العقول البشرية الكهري قوة متسلسلة متواصلة الحلقات

عند ذلك ارتقى علم الفلك من حكايات تقديرية مبعثرة الى حقائق حسابية ظاهرة • وتنسيقات هندسية مقررة • وهذه النجوم التي تعد بالمليارات وتكبد الأرض ملايين المرات • وتقطع في الدقائق الوف الكيلومترات • وترسل اشعتها في اقصر التواني الى ابعد المسافات • اصبحت تجري امامنا • بفضل تفاحة نيوتون •

السابجة في فضاء الانهابة • متأسكة بناموس واحد يحفظ نظامها الدقيق في سيرها الابدي • وهو ناموس الجاذبية •

التفاحة تسقط بجانب امها لان هذا ناموس الطبيعة العام • وجانب نيوتون لان الله مهندس الكون الاعظم يرمي في الحين المناسب خلقاته المتسككة في دياجي الجبل شرارة • من علمه الواسع فيجعل نيوتون يفكر • وتحطت افكاره المسافة التي بين الأرض والغصن الى اعالي السماء • هذه القوة التي تجذب التفاحة الى مركز ثقلها النوعي هي نفسها تجذب القمر لمرافقة الأرض في دورانه حول الشمس • وان كان القمر لا يسقط على الأرض ليتحطم وايها

سوانح

بالامس التقيت بصديق اشرف على الكهولة فأخذ يتأوه على الشباب الذي خلفه وراء ظهره ويتأسف على نضارة ايامه التي طواها الزمان . فقلت له : لاتأسف على شبابك الاقل ما دمت تستقبل فجراً جديداً - فجر الكهولة الذي يقودك الى التجدد في نضوج العقل والخبرة والعلم .

وغداً اذا احياك الله تتجاوز الكهولة والشيخوخة ممأ فلا تنزع من وطأة هرمك وتصاب شرابيك ورخاوة اعصابك حيث تتجدد فيك قوة خفية تعدو بك الى المصير الاخير .
وفي المصير الاخير تبلغ كمال التجدد .

*

تشابه المخلوقات في كل شيء . من اناها مرتبة الى اسمائها شأناً . فاذا لم تعمل الفأس عملها في تفريد الاشجار وقطع اعادها الشائخة وتشذيب اغصانها الماحلة فلا تتجدد فيها قوة الحُصْب والنضارة وحيوية التوليد والنمو . هكذا الناس اذا لم تعمل الحرب عملها في اهمهم وشعوبهم فلا تتجدد فيهم قوة الابداع في الثقافة والعلم وميزة الاندفاع وراء المثل العليا والمبادئ القوية .
غير ان الفرق لجسم بين عمل الفأس وعمل الحرب . فالفأس تقضي على شائع الشجر وضعيفه . اما الحرب فتقضي غالباً على الساعد الجبار والشباب الغض .

ان الانسانية تضحي على مذبح الحرب صفوة شبابها وتجاوز باغلي ما تمك في سبيل اندفاعها وراء سنة النمو والارتقاء . اما سائر المخلوقات فلا يضحي منها في هذا السبيل سوى الكائن الضعيف او الماخر الذي لا يصلح للبقاء .
هذه امثلة لو تعلمها الناس لكانوا اسرع خطى الى ما يرغبون واقل تضحية او مجازفة بالغالي مما يملكون .

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

بشر الامة بالنهضة والرخاء اذا استوى فيها اقدم الشباب ومجازفاتهم وحكمة الشيوخ وخبرتهم .

نوفيس حسن الشرنوبلي

وكان محتملاً ان يكتشف نيوتون اكتشافات اهم من هذه

لولا انه دخل السياسة . وهو اذا دخل السياسة لفائدة العلم ، اي ليعي جامعة كهبريدج من تعسيف بعض الحكام في ذلك الزمان .
فانتخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٦٨٩ ونال لقب « سير » عام ١٧٠٥ .

وما يؤثر عنه ان ابحائه العلمية كانت تشغله عن كل شيء . في الدنيا حتى اذا نهض من فراشه وقت احبائنا اربع ساعات او خمساً قرب سريره مطرقاً مفكراً تأسياً ان يلبس ثيابه .

ولم يتزوج نيوتون . بل مات عزوباً في شهر آذار ١٧٢٧ عن ٨٥ عاماً . ولم له لو تزوج لعاش اكثر ...

كصف منظم من المركبات والسيارات .

اما تصورات نيوتون في وقتها فلم تشمر . بل كان مقرباً على العالم ان ينتظر احدى وعشرين سنة حتى اثبت هذا الرجل بكتباته صحة نظرياته . وتمكن بعد ذلك على ضوء استنتاجاته في ناموس الجاذبية من التنبؤ . بخر كالت للكواك لم يكن الناس يفهمون كيفيةها واسبابها ففعل ذلك بضبط واحكام حتى عين الموعد لرجوع النجم المذنب الذي اكتشفه صديقه هالي .

ولم يقل احد بوجود اقل خلل في نظام نيوتون الفلسفي الى عام ١٩١٥ اذ تبين لانشطين غلط صغير في حساب ذلك النظام متعلق بالسيار عطارد . وقد فسر انشطين ذلك بطريقته الجديدة وهي « النسبية » .

امين الغريب

الجن في الادب

هداة الى الدكتور انور حاتم

بسم حكمت المر

والى اين تقصد ؟ قلت : انا الاعشى ، اقصد قيس بن معد يكرب .
فقال : حياك الله ! اظنك امتدحت بشعر ؟ قلت : نعم . قال :
فانشدنيه . فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سميحة غدوة اجملها غضباً عليك فا تقول بدالها !
« فلما انشدته هذا المطلع ، قال : حبك ! اهذه القصيدة لك ؟

قلت : نعم . قال : من سميحة التي تنسب بها ؟ قلت : لا اعرفها ،
وانما هو اسم القتي في روعي . فنادى : يا سميحة ، اخرجي . واذ

جارية خماسية (اي طولها خمسة اشبار) قد خرجت ، فوقفت وقالت :
ما تريد يا ابت ؟ قال : انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس

بن معد يكرب ونسبت بك في اولها . فاندفعت تنشد القصيدة
حتى آتت على آخرها لم تحرم منها حرفاً ، فلما انتهت قال : انصرفي .

ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بيني وبين
ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر ، ما يكون بين بني العم ، فهجاني

وهجرته فافحمت . قال : ماذا قلت فيه ؟ فقلت :
« فلما انشدته البيت الاول ، قال : حسبك ! من هزيمة هذه

التي نسبت بها ؟ قلت : لا اعرفها وسيلها سبيل التي قبلها . فنادى :
يا هزيمة ! فاذا جارية قوية السن من الاولى خرجت ، فقال : انشدي

عمك قصيدتي التي هجوت بها يزيد بن مسهر . فأنشدتها من اولها
الى آخرها لم تحرم منها حرفاً ، فسقط في يدي ونجرت وتشتيتي رعدة .

« فلما رأى ما تزل لي ، قال : ليفرخ روعك يا ابا بصير ، انا
هاجسك مسجل بن ائمة ، الذي القى على لسانك الشعر .

قال الاعشى : فسكنت نفسي ، ورجعت الي ، وسكن
المطر فلدني على الطريق ، وارانني سميت مقصدي . وقال : لا تمج
ميناً ولا شملاً حتى تقع ببلاد قيس » . (خزنة الادب ج ٣ ص .

٥٤٩)

للجن مكان كبير في ارضه الروافد من ادب التساية ليروي حول المدفأة
في ليالي الشتاء ، وفيما تنتجبه حيلات ابنا ، الشعب من ادب الاسطورة
تعلقاً على حادث عابر ، او تعريضاً بذى سلطان ، او كشوقاً الى امل
يمز طلابه . فهذا الادب الشعبي الذي يجمع حافظات جداتنا
والكتب التي يتداولها عامتنا ، حافل بالرائع من قصص الجن
وعجائبهم وتدخلهم في حياة البشر وتصريفها على ما تسول لهم
نفوسهم الامارة بالسوء . وهو ادب لا يتجلى من عبدة ولا يتجلى من متاع ، فمضى
ان يتوفر على جمه وتهذيبه من يحسن هذا الفن . اما ما نحن بسبيل
الحديث عنه ، فهو الادب العربي الذي ورثناه وتدارسناه جيلاً بعد
جيل . ففي هذا الادب ايضاً للجن نصيب ، لا ازمع انه جد كبير ،
لكنه جد طريف . كيف لا والجن قوامه ، عنهم يروي واليه

ينسب .

امتع بحكايات الجن في الادب العربي ما يروي عن شياطين
الشعر ، فقد كان بعض الاقدمين يعتقدون ان لكل شاعر نجحاً
يلقي اليه روائع الشعر . بل ذهب بعضهم الى ان لكل شاعر من الانس
إفغان . الجن يقول الشعر فيلقية في وهم الانسي ، ويقول الانسي الشعر فيأخذه
الجنني عنه . فيكون احدهما قائل القصيدة في عالم الانس ويكون
الثاني قائلاً في عالم الجن ! (راجع حديث علي بن الجهم للمتوكل عن
تابع زهير بن ابي سلمى ، في معجم الادباء ج ١٦ ص ١٨٠)

ولدت هذه الاسطورة في عهد الجاهلية وعاشت ردحاً من الزمن
في حضن الاسلام ، وقد تخضت بها تخيلات الشعراء . انفسهم ثم حاكمهم
الرواة فيها ، وبالع اولئك وهؤلاء . فزعموا انهم كانوا ينادون الجن
ويعاشرهم ، وهم في هذا الشأن اقاصيص آية في الطرافة وغاية
في الامتاع . قال ميمون بن قيس الاعشى احد فحول الجاهلية :

« خرجت اريد قيس بن معد يكرب بحضرموت ، فضلت في
اوائل ارض اليمن ، لاني لم اكن سلكت ذلك الطريق قبيل ،

فأصابني مطر ، فرميت يبصري اطاب مكاناً جالاً اليه ، فوقعت
عيني على خباء من شعر ، فقصدت نحوه ، واذ انا بشيخ على باب
الخباء ، فسلمت عليه ، فرد علي السلام ، وأدخل ناقتي خباء آخر

كان بجانب البيت ، فخطت رحلي وجلس . فقال : من انت ؟

ثماس . قال : وابن ابنك ؟ قال : خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك أن آتيا أنه في مناه فعدته أن مالا له في نزاهي بني يربوع لا يعلم به الا نجيح فضرب نجيح بطن فوسه وهو يقول :

أبطيني من قد عاني طلابه
فيا ليتني آفأك سعد بن خشرم
أتيت بني يربوع تبني لسانا
وقد جئت - كي الفاك - محي محلم
فلما دنا من محله استقبله سعد ، فقال له ايها الراكب ، هل لقيت سعداً في بني يربوع ؟ فقال : أنا سعد ، فهل تداني على نجيح ؟ فقال : انا نجيح ! وحدثه بالحدث ، ثم قال : الدال على الخير كفاعله .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ، فتورأى الرجل الاعمى حين ابصرهما ، وترك المال . فأخذ سعد كله . فقال له نجيح : يا سعد ، قاسمني . فقال له : اطوعن مالي كسحاً ! وأبني أن يعطيه شيئاً . فانتضى نجيح سيفه ، وجعل يضربه ، حتى برد . فلما وقع قتيلاً ، تحول الرجل الحافظ للآل سعاة ، وأعاد المال الى مكانه . ولما رأى نجيح ذلك ولي هارباً الى أهله .

وهناك حكايات شائقة أخرى ، منها قصة مالك بن الحويم وكان قد خرج في نفر من قومه يريدون عكاظ ، فاصطادوا ظلياً وأصابهم عطش شديد ، فانتهوا الى موضع قصدوا الظلي وجعلوا يشربون من دمه من العطش . فلما ذهب دمه ذبحوه ، وخرجوا في طلب الخطب ، ولكن مالك في خبائه ، فأثار بعضهم ثعباناً ، فأقبل مناسباً حتى دخل رجل مالك فلاذ به . وأقبل الرجل في أثره ، وقال : يا مالك استيقظ فان الثعبان عندك ، فاستيقظ مالك ونظر الى الثعبان فاذا هو يلوذ به . فقال للرجل عزمت عليك ألا تركته ؟ فكشف عنه وانساب الثعبان الى مأمنه . ثم ارتحلوا واشتد بهم العطش ، واذا بهاتف يهتف بهم مرشداً ايهم الى عين خوراة في اصل جبل ، فمشروا وسقوا ابهامهم ، وحملوا ربهيم حتى اتوا عكاظ . ثم اقبلوا حتى انتهوا الى ذلك الموضع ، فطلبوا العين فلم يجدوها ، لكنهم سمعوا هاتفاً يقول شمر ، فمروا منه ان الثعبان الذي اتجه مالك هو الذي فجر له تلك العين شكراً على صنيعه . (بلوغ الاراب ص ٣٦٢ ج ٢) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ج ٤ ص ٤٤٨) قصة عن رجل من كلب يقال له عبيد الله بن الحارث كان قد ارتحل الى وادي تيل فرأى روضة وغديراً ، فقتل هناك مع اهله . ثم صعد الى الجبل فرأى فتنة فرماها فقتلها وكان معها ولدها فارتبطه . فلما كان الليل هتف به هاتف من الجبل يقول له انه اساء جوارهم

مائلة لا قصورته . ففي الجمرة (ص ٢٣) إشارة الى لافظ صاحب امري . القيس ، وهاذر صاحب النابغة . وفي غير الجمرة إشارة الى غير هذين . لكن هذه الاقاصيص قد فقدت كما فقد غيرها من ادب الجاهلية . وان التمر البشير الذي وصلنا من هذا الادب ، يجلنا نأسف على ما لم يصلنا منه ، لا يمتاز به من براعة في الصنعة وروعة في الخيال . من ذلك ما جاء في الاغانى (ج ١٨ ص ٢٠٩) عن الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر الذي لقب بأبطل شرراً لانه ، فيما حكى ، لقي التول في ليلة ظلماء ، في موضع يقال له رعي بطان في بلاد هذيل ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلتها وبات عليها . فلما أصبح حملها تحت ابطه وجاء بها الى اصحابه ، فقالوا عنه : بأبطل شرراً ، وقال هو في وصف التول وصراعه لها :

الا من مبلغ فتيان فهم
واني قد لقيت التول تهوي
فقلت لها : كلانا نضو أين ،
فشدت شدة نحوي فأهوى
فأضربها بلا دهش فغرت
فقات : عد . فقلت لها : رويدا
فلم انفك مكتكاً عليها
اذا عيان في رأس قيسج
مسافاً محجداً وشواة كلب
بنا لاقيت عند رعي بطان
بسبب كالصفيحة صححان
اخو سفر ، فغلي لي مكاني
لها كني بصقول يمانى
صرباً للبيدين وللجيران
مكانك ا اني ثبت الجنان
لانظر مصعباً ماذا اتاني
كرواس المر مشرق اللسان
وثوب من عيا ، أو شقان

ومن ذلك أيضاً ما جاء في « المحاسن والاضداد » (ص ٦٩) عن نجيح اليربوعي الذي خرج يوماً الى الصيد ، فعرض له حمار وحش ، فأتبعه حتى دفع الى الكمة ، فاذا هو برجل اعمى اسود قاعد في اطراف ، وبين يديه ذهب وقضة ودر وياقوت . فدنا منه نجيح ، فتناول منها بعضها ، فلم يستطع ان يترك يده حتى ألقاها . فقال : يا هذا ، ما الذي بين يديك ؟ وكيف تستطيع حمل ؟ أنك هو ام لتريك ؟ فاني اعجب بما ارى ا اجواد انت فتجسود لنا ، ام بجيل فأعذر ؟ فقال الاعمى : كيف تطلب مال رجل قد غلب منذ ستين ، وهو سعد بن خشرم ، فاني بسعد يعطك ما يشاء .

فانطلق نجيح مسرعاً ، قد استطاع فزاده ، حتى وصل الى محله ودخل خبائه ، فوضع رأسه ونام لما به من النعم لا يدري من سعد ا فاتته في منامه آت ، فقال له : يا نجيح ، ان سعد بن خشرم في حي محلم من ولد ذهل بن شيان ، فخرج وسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم ، فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه ، فحياه نجيح فرد عليه . فقال له نجيح : من انت ؟ قال : خشرم بن

اذ قتل القنفذة وهي منهم . ويدور بين الهاتف والاعرابي حوار شعري طريف فيه عتاب وفخر ومروءة من الجني والانسي .
وهناك حكايات بطول سردها وتعدادها وكها في هذا المستوى العالي من البراعة والروعة .

الجن في الادب العربي بعد الاسلام

لا يخالو الادب العربي في صدر الاسلام وبعده من حكايات الجن . لكننا اتسمت في هذا العهد بنسج جديد ، ففي لم توضع قصة الاعشى وأبيات تأبط شراً لمجرد الرواية والامتناع والمفاخرة بل هي تنطوي اكثر الاحيان على عجة ينلب عليها طابع العصر النبوي . ولعل اقلها انطباعاً بهذه الروح واقرها الى روح العصر الجاهلي ، ما جاء في الجمرة (ص ٢٣) عن شيطان عبيد بن الابرص الاسدي ، على لسان راو مجهول ، قال :

« خرجت على بعير لي صعب ير لي لا يملكني من امر نفسي شيئاً ، حتى مر على جماعة ظباء ، في سفع جبل ، على قلته رجل عليه أطمار له . فلما رأني الظباء هربت ، فقال : ما اردت الى ما صنعت ؟ انكم لتعرضون بين لو شاء قذعكم عن ذلك ا فداخاني عليه من النبط ما لم اقدر أن احله ، فقلت : ان تعمل بي ذلك لا ارضى . فضحك ثم قال : امض عافاك الله لبالك لبالك .
« فبعثت اردد البعير في مراعي الظباء لاغضبه ، فنهض وهو يقول : انك جليلد القلب ا ثم اتاني فصاح ببعيري ضيعة ضرب بجرانه الارض ، فوثبت عنه الى الارض وعلمت انه جان ، فقلت : ايها الشيخ ، انك لاسوأ مني صنيعاً ا فقال : بل انت اظلم والام ، بدأت بالظلم ثم لؤمت في تركك الماضي . فقلت : أجل عرفت خطي . قال : فاذا ذكر الله فقد رعاك وبذكر الله تطمئن القلوب . فذكرت الله تعالى ، ثم قلت دهشاً : أتروي من اشعار العرب شيئاً ؟ فقال : نعم ، أروي واقول قولاً فانقأ . مهزأ . فقلت : فأرني من قولك ما احببت ، فأثنأ يقول :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي
من آل سلمى ولم يلهم ييماد
« فلما فرغ من انشاد القصيدة كلها ، قلت : لهذا الشعر اشهر في معد بن عدنان من ولد الفرس الاباني في الدم العرب . هذا لعبيد بن الابرص الاسدي . فقال : ومن عبيد لولا هيبه ا فقلت : ومن هيبه . فأثنأ يقول :

انا ابن الصلادم ادعى الهيب
حبوت التسواني قومي اسد
عبيداً حبسوت بآثورة
وانطلقت بشراً على غيرك
ولا لاقى بدرك رهط الكميث
ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد

منحنام الشعر عن قدسده . فهل تشكر اليوم هذا معد ؟
« فقلت : اما عن نفسك فقد اخبرني ، فاخبرني عن مدرك .

فقال : هو مدرك بن واعم صاحب الكميث ، وهو ابن عبي ، وكان الصلادم وواغم من اشعر الجن . ثم قال : لو انك اصبت من ابن عندنا . فقلت : هات ا اريد الانس به ، فذهب فأتني بس (اي انا) فيه ابن طلي ، فكرهته لزهومته (اي لرائحته) المتنتة . فقلت : اليك ا وبجبت ما كان في في منه . فأخذته ثم قال : امض راشداً مصاحباً ، فوليت منصرفاً ، فصاح في من خلفي : اما انك لو شربت ما في العس لاصبحت اشعر قومك .

قال : فندمت على اني لم اشرب ما في عسه في جوفي على ما كان من زهرمته وانشأت اقول في طريتي :

اسفت على عس الهيب وشربه
لقد حرمته صروف المقادر
ولو انني اذ ذاك كنت شربته
لاصحت في قومي لهم خير شاعر
اما اكثر حكايات الجن انطباعاً بروح العصر القوي واوفاهها دلالة على منحي الادب فيه ، فهي قصة سواد بن قارب . ففي « بلوغ الادب » (ص ٣٠٣ ج ٢) ان سواد بن قارب وقد على عمر بن الخطاب ، فطاب منه ان يجده بشي . من كرايته ، فغضب وقال : يا امير المؤمنين ، ما اظنك استقبلت بهذا الكلام غيري ، فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال : يا سواد ، ان الذي كنا عليه من عبادة الاوثان اعظم من الكراهة ، فحدثني بمحدث كنت استهي ان اسمه منك .

قال : نعم يا امير المؤمنين ، بينا انا في ابلي بالسرعة ، وكان لي نجي من الجن اذ اتاني في ليلة وانا كالنائم ، فركضني برجله ، ثم قال : قم يا سواد ، فقد ظهر بتهمة تنبي يدع الى الحق والى طريق مستقيم ، قلت : تنح عني فاني ناس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتطلباها
وشدها العيس باكوادها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفرة من هاشم
بين روايبها واجبارها
ثم لما كان في الليلة الثانية اتاني ، فقال مثل ذلك القول ، فقلت : تنح عني فاني ناس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتجارها
وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفرة من هاشم
ليس قدامها كاذنابها
ثم اتاني في الليلة الثالثة فقال مثل ذلك فقلت : اني ناس . فولى عني وهو يقول :

مدارس آيات خلت من تلاوة . وتزل وحى مقفر العرصات
ثم يقول له الجني بعد حوار قصير : مكنت حيناً اسمع بذكر
جعفر بن محمد ، فصرت الى المدينة فسمعت يقول : حدثني ابي
عن ابيه عن جده . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : علي
وشيعته هم الغائرون (الاغانى ج ٣٩ ص ١٧)

ولما بعد العهد بدشة العصر النبوي ، واستبحر العرب في
الترف والحضارة ، تطور الادب العربي تطوراً عظيماً وبانت اقايص
الجن الغاية في جمال الفن . فهذا ابو نواس مثلاً يتنكر له جبيسه
فيسال ابليلس ان يعطفه عليه ، ويهدده ان لم يقض له حاجته ان لا
يسأله بعدها مسألة ولا يقر عينه بمصبة ، فيأتيه ابليلس ويسترضيه .
(عصر المأمون ج ٣ ص ٢٣٣) . ويقول ابن هانئ . في ذلك :

لما جفاني الحبيب وامتنعت عني الرسالات منه واخبر
فاشدت شوقي فكاد يقتلني ذكر حبيبي والهـم والفكر
دعوت ابليلس ثم قلت له في خلوة ، والدروع تنجدر :
اما ترى كيف قدبلت وقد أقرح جفني البكا . والسهر ؟
ان انت لم تلق في المودة في صدر حبيبي ، وانت معتذر ،
لا قلت شعراً ولا سمحت غنا ولاجورى في مفاصلي السكر
فماضت بعد فاك نالكة حتى اثنى الحبيب بعذر ،
فيا لها منة الله عظمت عندي لا بليس ما لها خوار

وهذا الغريض يتلقى الغناء عن ابن سريج ثم يفوقه فيه ،
فينجيه هذا عن محالته . فيروح الغريض بدور على اصحابه ويقول
لهم : سمعت البارحة صوتاً من الجن يترجيع وتقلطع فينبت عليه
صوت كذا بشعر فلان . ثم يغنيهم صوتاً جديداً عجبياً (الاغانى
ج ٢ ص ٣٧٣)

لكن امتنع هذه الاقايص واطرفها ما رواه ابراهيم بن
اسحاق الموصلي عن زيارة ابليلس له . قال ابراهيم :

« سألت الرشيد ان يهب لي يوماً في الجملة لا يبعث فيه الي
يوجه ولا يسبب ، لاخلو فيه بتجاري واخواني ، فأذن لي يوم
السبت ، وقال لي هو يوم استقله ، فانه فيه با شئت . فاقت يوم
السبت يتزلي وتقدمت في اصلاح طعامي وشرائي با احتجت اليه ،
وامرت بواني فألقن الابواب وتقدمت اليه الاأذن عليّ لاحد .

« فيينا انا في مجلسي والمخدم قد حفوا بي وجواري يترددن
بين يدي ، اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه قبصان ناعمان

عجت للجن وايجاسها وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مسكة تنبني الهدى او ومنو الجن كأنفاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى رساسها

قال سواد : فلما اصبحت يا امير المؤمنين ارسلت لناقة من
ابلي فشدت عليها ، واتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلت
وباعيت ، وانشأت اقول :

اتاني نجي بعد هد . ورقدة ولم بك فيا قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليسة انك رسول من ازي بن غالب
فشورت عن ذيلي الازاروارقت بي الذعاب الوجنا بين الساسب
فاشهد ان الله لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرم . بن الاطاليب
الى آخر القصيدة . .

ففرح رسول الله واصحابه بمقاتي فرحاً شديداً حتى رؤي الفرح
في وجوههم ، فوثب اليه عمر فالتزمه (اي قبله) وقال : قد كنت
احب ان اسمع هذا الحديث منك ، فعمل يأتيك رثيك اليوم ؟ فقال :
منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن !

وهكذا اصبح للجن في الادب العربي شأن جديد ، واذا في
الجن مسلمون ومشركون ، ولهم شيع واحزاب ، وبنهم خصومات
وحروب . فهذا يميون الامدي يروي انه ركب بحر الحمر
فاستاقه ريح الشمال شهراً في الهجة فوقع هو ورجل من قريش الى
جزيرة في البحر ليس بها انيس . فجعلا يطوفان حتى اشرفا على
هرة ، واذا بشيخ يسألها عن قومها ونسبها ثم يسألها : اولد النبي
محمد بن عبدالله ؟ فيقولان انه توفي منذ اربعين سنة ، فيشيق حتى
يظنان ان نفسه قد خرجت ، وينخفض حتى يصير كالفرخ الخ . .
(المجرة ص ٢٦)

وهذا زياد بن النفر الحارثي ، يقص قصة قتاة فقدها اهلاً ايام
الجاهلية فلما كان زمن عمر بن الخطاب اذا هي قد جاءت وقد عفا
شعرها واطفارها وتغيرت حالها . فاسأله ايوها انى كانت ؟ فقالت
له ان جنياً قد اختطفها فذهب بها فلم تزل فيهم حتى غزا هو واهله
قوياً مشركين فجعل لله نذراً ان هم ظفروا بعدوهم ان يعتمها
ويردها الى اهله الخ . . (المتنقى من اخبار الاصمعي ص ١٣)

وهذا الشاعر دبل يزعم انه لما هرب من الخليفة بات ليسة
ببساورد فسمع جنياً يشده قصيدته :

من صوته ، ثم غنى .

ولي كبد . قروحة . من بيعني بها كبداً ليست بذات قروح
قال ابراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والايواب وكل ما
في البيت يبيعه ويغني معه من حسن غناؤه ، حتى خلت والله اني
اسمع اعضائي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا استطيع الكلام
ولا الجواب ولا الحركة لما غاظ قلبي ، ثم غنى .
ألا يا حمامات الاوى عدن عردة فاني الى اصواتكن حزين
فكاد عقلي ان يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعت ، ثم غنى .

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادني . سراك وجداً على وجد
« ثم قال : يا ابراهيم ، هذا الغنا ، فخذهُ وانح نحوهُ في غنائك
وعلمه جواريك . فقلت : اعدهُ علي . فقال : لست تحتاج ، قد
اخذه فرغت منه . ثم غاب من بين يدي ، فارتعت وقت الى
السيف فوجدته ، وعدت نحو ايواب الحوم فوجدتها مغلقة . فقلت
للجواني : اي شي سمعت عندي ؟ فقالن : سمعنا احسن غنا ، سمع
قط . فخرجت . فخرجت الى باب الدار فوجدته مغلقاً . فسألت
البواب عن الشيخ ، فقال لي : اي شيخ هو ؟ والله ما دخل اليك
اليوم احد . فرجوت لاتأمل امري ، فاذهو قد هتفتني . من بعض
جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا اسحاق أنا أبلِس وأنا كنت
جليسك ونديك اليوم ، فلا ترع » (ذيل زهر الآداب ص ٢٦٤) .

مكث المر

وغفان قصيران ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة ، ويده عكازة مقعمة
بفضة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار . فداخاني
بدخوله علي مع ما تقدمت فيه غيظ ما تداخلني قط . مثله ،
وصحمت بطارد يراي ومن حجبني لاجله . فسألم علي احسن سلام
فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس ، ثم اخذ لي في احاديث الناس
وايام العرب واحاديثها واشعارها حتى سلى مسالي من الغضب ،
وظننت ان غلاماني تحروا وسرقي بادخالهم . مثله علي لادبه وظرفه .
« فقلت : هل لك في الطعام ؟ فقال : لاجلج لي فيه .
فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك اليك . فشربت
رطلاً وسقيته مثله . فقال لي : يا أبا اسحاق ، هل لك ان تعني لنا
شيئاً من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام ؟ فغاظني
قوله ، ثم سهل علي نفسي امره ، فأخذت العود فجسسته ثم ضربت
فغيت . فقال احسن يا ابراهيم ! فازداد غيظي وقلت : ما رضي
بما فعله من دخوله علي بغير اذن واقتراحه ان اغنيه حتى سماني ولم
يسكتني ولم يحلم مخاطبتي ! ثم قال : هل لك ان تزيدنا ؟
فتذمت فاخذت العود فغيت ، فقال : اجبت يا أبا اسحاق ،
فإنتم حتى تكافئكم ونغنيكم . فأخذت العود ونغنت وتحفظت
وقت بما غنيته اياه قديماً تلاماً ما تحفظت مثله ، ولا قت بفننا . كما
قت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره ، لقوله لي اكافئكم . فطرب
وقال . احسن يا سيدي . ثم قال : اتأذن لبعذك بالغنا . فقلت .
شأنك . واستضعفت عقله في ان يغنيني بخضرتي بعد ما سمعته .
فأخذ العود وجسه ، فوالله خللته بنطق لسان عربي لحسن ما سمعته



وفاء

العصيدة التي نظمها شاعر الارز الأستاذ شبل بك الملاط وألغاهما نجله المعامي الأستاذ وجدي الملاط في الحلقة التي اقيمت في منتدى وست هول بالجامعة الاميركية احياء لذكرى الفقيد الأستاذ الكبير كامل بك حبيب . وقد شاء الشاعر ان ينص « بالادب »

شئت واحد في بعلبك
تسعت البلاد بساكينا
سلوا الفصحى اما بالامس قامت
محافظة على نطق صحيح
ومن كاليازجي ومعاصره
جهابذة فطاحلة أقاموا
واما اليوم فالفصحى يراها
اذا اصحابها هبوا رمتهم
شئت واحد في بعلبك
تسعت البلاد بساكينا
سلوا الفصحى اما بالامس قامت
محافظة على نطق صحيح
ومن كاليازجي ومعاصره
جهابذة فطاحلة أقاموا
واما اليوم فالفصحى يراها
اذا اصحابها هبوا رمتهم

اعز حياه من بيض الانوق
التي مر كاطيف الطروق
سوى ما للراب من الهريق

تخامر ذكره ربا المخلوق
بلا اسف ولا قاب مشوق
وكل السر بالقاضي الطليق
ومن يدنس فكالبعد الرقيق
تيسل به الي الطبع الرقيق
ياوح لعينك الامر الحقيقي
اذا اشتبكت حقوق في حقوق
رحيب الصدر ذا وجه طليق
بسه يهوي التزويق على التزويق
ولم تحسر بنهيك من صديق
يسدل على الفتى المرن اللبيق
وزاد المرء في السفر السحيق
عليه حنو والده الشقيق
احر الحزن في صدر الشقيق
بذكرك في صوبحي والعروق
وان غدا سيدكرني رفيقي

شبل الملاط

سيبك اللامى ذكرى رفيق
تمارنا قديماً تحت جو
يلقننا هوى لبنان آبا
قضيت وكلما زمناً توارى
تساقينا على السراء كاساً
على ماشاء عهد الود منا
ترعنا على عهد وثيق
نحب السنديانة في رباهما
وكروماً نور العنود فيه
فلا الانفاس تصدأ في ازدحام
ولا صخب المدينة مستفز
تصون نظامنا دول عظام
وغرح في فضاء مستقل
نهضنا نهضة للعلم غرا
وسرنا في ميادين الترقى
بشتنا النور من ادب وفن
وقلنا الشعر في الافاق سحرأ
لحنا خاطراً شرقاً وغرباً
وفضلنا الثقافة مع كفاف
والاداب بحجرة عليا
اذا جالت عيون في وجوه
وللغيتان والفتيات حد
ولا حاما على حوض الملاهي
وللناموس والدين احترام
ومال رأسه ثقة وصديق
والاحكام والشورى رجال
فلم يك عامل الا مزمى
فلا صدف يقوم مقام در
ولا غريد رابضة وسفع
ولا فوضى خليط في خليط
رضي شائل سلس رقيق
يعرف الود فواح عبوق
طبعناها على القلب الخفوق
كاحلام الكرى المستفيق
شربناها معاً في يوم ضيق
طوبنا صفحة العمر الوديق
وقد شبتا على العهد الوثيق
ونوح النهر في الوادي العميق
وحقلاً في كساء من شقيق
ولا الاخطار تكمن في الطريق
سكونك في القروب وفي الشروق
نحلمها الترح في فروق
غداة الغنى يوسف في مضيق
حملناها الى الملا الشقيق
على فرس بفارسه سبوق
على شقين من قلم صدوق
وابعدنا به عصر الرحيق
كان من الذكا خطف الهوق
من الدنيا على العيش الانيق
تفوح روائح المسك القنيق
فما وقعت على رجه صفيق
فلا يعدو الفريق على فويق
كما حام الفراش على الحريق
وعهد في كتابها العميق
كجوهرتين في العقد النسيق
طوال الباع في الامر الدقيق
ولا قاض سوى الكفو الخليق
ولا خوف بديل من عقيق
يحل محله صوت النعيق
وراي غير مجتمع مزيق

الغريزة

بضم محمد رومي فبصل



كان

رشاشاً متطايرواً الى بعيد ، يختلط مع غيره كرشاش النوفرة الفوارة
ثم يجدودب في قوس منكسر متأوج يسوت على طرف الطريق في
الساقية الجارية . وكانت الخيوط الهاسطة تنسل من بين الضباب
والريح على شكل مائل حاور رهيب ثم تكون لها على الحجارة
الصلدة ثكة حادة رقيقة الجرس في الاذن ذكرت القتي بصوت
حبيب طالما استمتع بحاله في بعض الساعات الخوالي ، فعاد بالخيال
الى الماضي ينبش من صدره صور اللقاء والنجوم والحنين . . وما
لبث ان فطن الى الحاضر المحفوف بالغرلة والمطر والبرد !!

القلب طماناً رغب ، لم يبق فيه الحب الذي مات غير الرقاد
للكالع المذرور على اللجم والشفاف ، وغير الفراغ تنزى على
اطلاله الاخزان والآلام . اذا طاف فيه طائف من الجمال بعد
حين ، هاجت كرامته الاولى ، وتجمدت غرامه بشكل عنيف ،
وطارت بلابله العردة تشد الاناشيد الحلوثة الرائحة . وكذلك كان
صوت الماء المذرور على الارض يشير لواعج القتي البائس ، كأنما
هبت على قلبه عاصفة من الشعور القوي لا تبقي في صدره عاطفة
الا وقد بعثت في جنباتها الحياة ، فازينت واهتدت وانبتت في كل
ضلع ألواناً من الزهر المتألق البهيج .

استيقظت نفس القتي على تكة المطر ، وتفتت لها منافذ
شعوره ، فهم ان يعود في هذه الدنيا المجنونة - والجربان من سبات
الحياة - ولكن انة ضعيفة خافتة وقعت في مسمعيه من الوراء
فامسكت به عن الانطلاق . وتلفت فاذا امرأة في زاوية من
الضيف ملتفة بالظلام ترتعد ركبتهما ويداعها ، وقد لوت جيدها
على بطنها كالمعوذة ، فبنت مستديرة كالكرة لولا هذه الارجل
النحيلة المتداعية التي تحملا على جهد ونصب . وخطا القتي نحوها
خطوتين قلقتين فما رفعت رأسها ولا نظرت اليه . فراه ان يكون
في الامر سر غير الجرد وغير المطر ، واحجم عن سؤالها عما بها فلم

الليل متجبر الصفا . والموا . حين صار القتي
المسافر الملول الى المقهى يلهو فيه على
عادته حيناً من الزمن بالدخان يتصعد حلقسات من رأس جاريلته
المقرقرة ، ويستمتع بالنظر الى الناس مجتمعين على أنس . وسمر ،
ولكن نفسه المنطوية لم تنبسط في الرحة والصب ، فضاقت صدره
حتى ليحسب ان أنفاسه ما تكاد تهبط او تملأ ، كأنما تحملت
اضلاعه وماد في مكانها ثم انحدرت تريد الالتصاق . وجي . له
بعد قليل بكوب من الشاي الساخن فدفعه في حلقه على جرعتين
سريعتين ما يبالي يا قد بصدبه من وراء سطوته القوية ثم تناول
معطفه وسدد حسابه وعم بالانصراف .

فا كاد يفتح باب المقهى حتى لغمت وجهه ريح نقيلة باردة
من رياح الشتاء ، يرافقها رذاذ من المطر الماطل على هون ، وضباب
معقود يلامس السطوح ويحطم على الارض ، فيسط مظلته من فوق
رأسه يتقي بقبتها البلب الخفيف ثم فكر في الوجبة التي هو موليا .
وكانت الساعة التاسعة لم تنتصف ، والنعام لم يتسلل الى معاقد
اجفانه ، فمشى الى الرصيف المسقوف يتدبر فراغ النفس التي تبتس
ووحشة الطبيعة التي تبكي .

كانت حواشي الافق تتلغف بأبوابك اليوم السرد ، ووجهه
السماء غضبان يرسل الماء خيوطاً غراضاً طوالاً ، وفجأة الليل
تروع بأخوف والبؤس والسر ، والزهر يوصفر في مشل غريف
الجن بالعراء ، ويلب الجرد دوره اللافح في كل هذه الظواهر
الكائبة ، حتى لكان الدنيا قد نشرت جلدها الاسحم المقلوب
تندرد بشر مستطير كبير .

حار القتي الغريب في حاله ، فوقف جامداً ما يعرف السبيل
الى الفندق الذي يأوي اليه . ونظر فاذا الارض تمور بنقط ثخينة
من الماء تقع كالسهم من الفضاء على صفحاتها المساء ، فتتنوزع

يسمى بكلام ، ولكن أنبأها الواهي قد اشتد وجيبه وارتفع
صوته ثم اجمشت بالبكاء الطويل اجمشة المخزون الذي اوفى
على الغاية من الالم المكظوم . فشجاه ان يرى في جوف هذا الليل
العجيب مخلوقاً يبكي ويتوجع في شكل من هو مقبل على شي .
من الموت .

وانحى عليها ببغى انهاضها ومواساتها برفق شديد ، فاكاد
يسبك بذراعها حتى زالت كفه الندية على لزوجة طرية ساخنة ،
وأراد ان يصرخ للذين يشون من بعيد ، ولكن عينيه جمدا في
محجرهما حين ابصرتا من خلال العتمة بقعاً من الدم تزرع الثوب
الممزق ومسابح منها قانية تمتد على الارض . وغفت الاثني بعض
الشي ، فاستحدثت المرأة وعيها ورشدها ثم نظرت الى الفتى عويدها
على صدرها ، وقالت بصوت الراجي الوديع

— سارة .. من فضلك !

هنالك عرف الفتى اثر الجرح الدامي ، وألم بطوف من القصة
الباكية . كانت المرأة ترتدي رداء ، وردياً لاه من اربعة السبرات
الليلية ، قد تزرعت فرجه المستديرة حول العتي بشرائط
بيضاء مجعدة ، وتآزر وسطه الرخو بنطاق من الجلد الاسود اللامع
وانتهت اطرافه العريضة بالوان من الزينة الاسترطابية . وكانت
قدمها تتعلمان حذاء دقيقاً من ذوي الاكعب الحجر المالية . وما
كادت تستوي على المقعد الخلفي من السيارة حتى طلبت الى الفتى
ان يصحبها الى بيت الطبيب برأس بيروت ثم تقطعت واسندت رأسها
الى الوراء ، واغنت تنفس الصعداء . مل ، رثتها وصدرها .

كانت الدماء غزيرة تنبش من اعلى ذراعها وتوزع على
ثوبها فاصاب الوجه الجميل منها رشاش خفيف زاد حمرة الخد
احمراراً . واراد الفتى ان يضد الجراح بتبديله قنبال ، واستبدله
بآخر من جيبه وبثاش من جيبها ، وكان الصمت يعقد اسنانه
كأنفا يواسي بعينيه وحركات يديه فحسب . وسأته في الطريق
كيف عرف بشأنها وكيف حبط اليها واين كان ومن يكون .
قال : ما ادري ياسيدي الا ان انبأنا ارتفع من خلفي على
ارصيف ، وعززه بكاء عميق ، وما صحت اول الامر فقد كنت
في غيبوبة من ألم الجراح ، والحمد لله على كل حال ، فأستطيع ان
أجتلي منك حقيقة الحادث ؟ قالت وعضت على شفتيها : آه .
آه من الحونة الفجرة ! ان في الرجال من هو شر من الذئاب
لا تنقيه النعاج الا بالثباتي في الخطائر . . وسكنت تجرت في نفسها
الندم والتفريط .

وقع في نفس الفتى ان المرأة ضحية السذاجة وفقدان التجربة ،
ورثا اليها من زاوية عينه ثم لم يصبر حيران مشدوها . رتاساً ،
لان الفتنة ما برزت في مكان بروزها في هذا الرأس الذي تحمله
بين كتفيها : جبين منبسطة كالامل ، يعلو عيني حرداوين كاللايل
قد تقاربت اطرافها القصوى على شكل زاوية حادة ، من فوقهم
أهداب صارت الى خيوط لامية مغفوفة في نصف دائرة الجفن
الندي . وانف دقيق يتوسط خدين حمراوين بتطرية العصر ،
ينتهيان بفرجة الفم الحلو وتنتو الذقن الاغبر ، تأطر كل هذا
استدارة الوجه وشعر امغر مغوش في اعلاه ومجدول بعد ذلك في
ضفائر مرسلة على الكتف المديد والظهر المستوي . وكأنها فطنت
الى جمالها فقالت للفتى الواجم : الذنب ذنبى انا بعد كل حساب . .
ثم ابتسمت في اجمال واضح وكبرياء مقصودة .

كانت تشعر بحسها شعور المالك لشي . ثمين ليس يتساه في
اللايل ولا في النهار . أتأله هذا الشعور من امها في الصغر ، ومن أترابها
في الملعب ، ومن النظر الى المرأة ، ومن كلام زوجها بين حين
 وآخر : انت جميلة ! وكانت تحرس على ان يبقى هذا الحسن
ساحراً قوياً ، تتابع له المساحيق والمماجين ، وتتأني به من الدخان
والنبا ، وتنتدي بالوان من الاطعمة والادوية . ولما وقفت السيارة
لمعلم بيت الطبيب ، تجلت بزهو حزين ، ودخل الفتى معها ساهماً
مطراً . وكان الطبيب من اصحاب الذوق والقطعة ، فيها ادوات
التضديد مع خادمه بأسرع من لمح البصر ، وقدعت الجريحة على
طاولة في صالة العمليات ، فبدت قامتها المديدة على ضوء المصابيح
الكهربائي كأجل ما تكون القامات في النساء : ولم ينس احد
بكلمة ، كأنها الدم المراق على صدر الجال يروع ويخرس ، وما
كان يشق هذا الصمت ال رهيب غير تسكة المطر دعوا . والريح من
الخارج . وتأملت النار في المدفأة تنشر الدف . والحاررة في أرجاء
الغرفة . وتحلق الجميع بنظرون ولا يتكلمون ، وفي نفوسهم هذا
الالم المذب والحرف الجبل ! كان الطبيب يسمح بدم المتجمد ،
ومحيط الجرح العميق ثم يضد الذراع بالقطن المعقم ويلفه بالباش
الابيض على عدة دورات . وما انقضت ساعة من الزمان حتى
ابتسم واعان الانتباه . فابتسم الفتى والخادم معه ابتسامات الطمانينة
ثم نهضت الحسان . مقرة الثغر متورمة الذراع من فرط الاقطة ،
واخذت تمشي وتتكلم كأن لم يمسه مصاب .

شكرت الطبيب وشكرت المعاون ، وبينما هي تسلم من
جيبها ورقة مالية من ذوات الحمدن قالت للفتى بلهجة الفخور

التادم : لو ان الرجال جميعاً في مثل طهرك وطهر هذين ، لماشت النساء في امان من القدر بالف خير وعافية !

واستأنفت السير بالسيادة في طريق النهر ، يصحبها الفتى الذي دفعه فضول الشوق الى الركوب معها الان من غير طلب حتى يعلم بقية القصة اوبدايتها كما نضر ، وحتى يتم ليانته العنقريه في ظلال الحسن والائونة المرأة في خيال الشباب نعم مبهمة تدور عليه دنيا الاماني والاحلام ، بعضه من الروح وبعضه من الغرائز ، ينهدج جوه الحلو من بخار الهواجس في الرأس المخطوف والقاب المشبوب . والفتى الذي ارتشف من النعم مصة او مصتين يسكر بالنشوة الكهري ولا يعينه ان يترصد المرأة في اغريات شؤنها . كان يجدها في الطريق من حيث لا يدرئ الساعات معنى الحديث ، يسري به عن نفسها بعض هذه الاشجان التي علقت بصدرها من اثر الحراح وغدر الرجال ، وكاد يفسح لولا ان السيادة وقفت امام بناية قمصة ، فتجرت وترجل معها على قنق واغتنام ، وود لو يتأذنها بالدخول فكانت اسرع منه في تحقيق مناه .

مشيا صامتين ، تتقدمه هي لتسعل الانوار في الابواب والحجرات وكانت الدار خالية الا من قطعة بيضا مقرورة اخذت غر يقرب سيدتها العائدة مراء شرق واستعطف ، فقصتها وموعد خدعها على خدعها ثم اشارت الى الفتى ان يجلس وقالت اقلا وسهلاً ! ونظر الى ما يحيط به من الرياش ورسوم الجدران فاذا هي تحذنه عن نعمة القراء واصالة الفن ، وكان السمرور بالم الحرمان أقوى ما اعتلج بنفسه في تلك اللحظات . وكأنها ألت سيدة البيت بجملته حاله فاقتربت منه تضاحكه على حذر وانشأت تقول :

الابطال ... الابطال في الاثم والفجور ثلاثة يا سيدي ، لا واحد ولا اثنان ، كانوا يجتثفون الى هذه الدار مجتمعين او منفردين منذ اكثر من عام . عرفهم زوجي في بعض اسفاره الى الشال . كان صغيرهم من اخف الناس ظلاً واكثرهم ذكاً . يجيئنا في الشهر مرتين او ثلاثة ومعه هدية السفر من موز وبرقال ، فيمشك قليلاً يسأل عن الصحة والحال ثم يضي . والاخران هما من رواد هذا المقهى الجاور لبيتنا يسمران مع زوجي هناك مرة وهنا مرات . وتوثقت عرى الافة بيننا وبينهم على الزمان ، حتى لقد اطمأن ابن عمي اليهم اطمئناناً كبيراً لا ريب فيه . على اني نهته يوماً الى ان اختلافهم الينا على هذا الشكل المتواتر مجلسه للشبهة وتقرير في الاختلاط ، فاجابني في صراحة القلب الجليل :

ان الصداقة لا تعرف الحدود ولا القيود !

جاءني فؤاد وهو كبيرهم ...

لا أجد السبيل الى النوم ،

وفي نيتي ان ارحل الى الجبيل . ما كلف الرجل واقتضى هناك المقام الطويل ، فلن شئت وشاء . زوجك فوافيا في المحصرين واقيا عندي نياماً واسابيع ، ناعم بطرارة الجو مع الاخوين الآخرين . وما شي . باعذب ان نفسي من هذه التزهة المشتركة والتفلة بين مراتع الابر و مناظر الطبيعة .

وحدثت زوجي بهذا الحديث فوقع من نفسه نوعاً جيلاً ، وما انقضت ساعة او ساعتان حتى كانت السيارة تنهب بنا الارض نهياً على هذه الطريق الصاعدة المتروية وقد خلقت من ورائها المدينة الكهري ملثقة بالظلمة من اطفاء الانوار ، تسفل اقدامها من فرط الحر في ما البحر . وكنا خائفين في الجبل لا اثاث ننقله ولا زاد نحمل معه ، شأننا في هذا شأن الأطلار يهيمرون الاعشاش الى الاعشاق على حال سرية طروبة . وكان الثلاثة المنتظرون يطهرون بنا لسرورهم من مسكان الى مكان كنا هبطنا عليهم من السماء ، وعلنا من قلوبهم في السويداء . أجل ما في حصرون ياسيدي ذهاب المومع الابر وما تطرف لونه ، وبقا . النفس في الحرية بها منفعت ، ظاهرها وبورها ، في الحال والجمال ، ثم وادعيت كنا تخلف اليه في اكثر الاجيان ، فابنتشق اذن عن نور الصباح حتى نكون جميعاً على احدى حفافيه الجرداء . نتناول طعام الفطور من شاي وزيتون وروكونور ، ثم يتفرق الرجال الى اعمالهم الخطيرة الخفيفة التي اخذوا انفسهم طول النهار بها من شراب وقار ، وابقى انا وحدي على الوادي اسرح الطرف في قاعه وحواطله وفيا يطير بجناحه من صنوف الطير والهوام .

كان الوادي احدى كوى الموت وقرى الارض بجانب حصرون له فم قد لا يكون عريضاً ولا واسعاً ولكنه من الطول والانسحاب بحيث لا ادري اين يتدى ولا أين ينتهي . وكان بعيد النور عظم القاع ، تنظر اليه فيفتقر فؤادك هلماً واضطراباً كلفاً ظننت انك هابط منه الى جهنم ركضاً . وتحشا فتباد بينك وبينه اول الامر ثم تألفه على هيئة ثم تأنس به وما تزال بين رغبة منه وحسب له حتى يصبح في نفسك حصرون كلها . وكان من عادي ان اجلس اليه لوحدي ساعات طوال اذفد شديقه بين حين وحين بالحجرة من الحجارة تنطلق في صوت رفيع طويل ما أعرف اعذب منه ولا أجل وقماً في الاذن ، حتى اذا لامست قاعه في بطن الارض تصاعد منها صوت آخر اجش غليظ يتسكسر على صخور الطريق فا يصل الى الا

ولم يوافقنا كأنه من بعض تجويز النفس وهو اجس الضمير . والى لذلك يوماً في عزاتي على الوادي ، والموا ، رخي طلسن ، والشمس فاترة الشامع مكسورة البها ، اذا بفؤاد من خلفي واقف لا يتحرك فما رأته حتى ابتسم ومشى تجويز ثم قال : ماذا تنظرون ؟ قلت : طير صغير لا يحسن التهويم بين جنبات هذا الوادي ، ولا يرى الى الخروج منه سبيلاً . قال : أوتسرك مشاهد الالم ؟ قلت : رب لذة خرجت من ألم . قال : لعلك قاسية على الحيوان ، فأذنت كذلك على الانسان ؟ قلت : لا افهم ما تقول . . . وسكنت سكونة من افهم بجواب ، وفهم عني وقد قصدت . . . ثم تناول حصاة فرمى بها الطير المضطرب فاصابه فاماته . وهو المسكين الى القاع تسبقه اليه الحصاة خفيفة مدوية . أرأيت الى الرجا الخاسر في الرأس الآلم ؟ كذلك قضى الطير الصغير عليه رحمة الله . وتحدث على عيني شي . كالدمع هو او معنى البكاء . فما رأيي فؤاد محزونة كالبكية حتى زحمتي بجسده ونفسه ثم قال : أتبكيين أم تبسكين ؟ قلت : لا هذا ولا هذا ، ولكنه الألم على الرجا . اذا أقل من الحياة ، والالم في القلب اذا قسا في الانسان قال : تناقض غريب تألين الان وقد اخرجت من قبل لذهن الالم . . . قلت : انك لتتعبد الابلام والانتارة والارواح . قال : ولم تنظري الى يهذه العين القوية الحادة التي تريد الايقاع ، وما سبب الايقاع غير ما هو نفس توت ؟ قلت : هو الطير اذا هوى والنفس حين توت ، يهبطان تاراً بالشعور الحصب الحزين ، ويهيجان العين الى النظر القاضب العنيف . قال : ديني من حديث الشعور وحديث العيون ، فاني لاحسن الفهم فيها كثيراً ولا قليلاً . .

ثم نظرت الي ونظرت اليه فقلت ان القضية واحدة بواحدة . وكان زوجي قد اقبل مع صاحبيه يهزم الشراب والقمار الى الحديث المتصل الصاحب الذي يدل على اضطراب الحال والبال . فما كادوا يفتقون منا حتى كان حديثهم قد علا وضجهم قد اشتد . وراغني ان يكون زوجي اكثرهم كلاماً واعنفهم اصعباً . فقيت اليه وامسكت بساعده ثم ضحككت في وجهه واصططعت له اللفظ الرطب والموضوع المحذّر ، حتى اذا استنالم لحديثي رجعت به الى البيت مدخولة الهم منطوية النفس من فوطاً . لاقيت هذا الصباح من عنت الزمان واهدات الرجال . فلما كان الاصيل والتحدث الشمس الى المنيب ، كنا جميعاً على الطاريق المكسوفة الضيقة الموصلة الى هذه القرية التي ترقد في ظل الارز منذ آلاف السنين . وما دخلنا بشري الا في الساعة الثامنة من الليل ثم افلنا راجعين

الى حصرون على مهل وصحت . فلما زوجي فطرق الى الارض يحجر حدثاً جرى في النهار ، واما الثلاثة الآخرون فناظرون المعايينهم من ظلة الوادي وتذامبي الافق . وودنا فؤاد . بني . وقال : انزورك قد فقد هذا الصباح مالا كثيراً ، واخشى ان يتنقل القار في دمه او يسفر الاراء عن حادث ، فمن الحيزان نتجدر الى بيروت ، فونتفرق على حال من الود باق صحيح غير مدخول . خدعتني هذا الكلام النصح عما يجتحي . وراه ، فأريت ان الرأي ما رأى فؤاد . وغت لياني تلك على قلق واكتئاب . فلما كان الغد همست في اذن زوجي ان الرحيل لا بد منه ، فبا وسعه غير الصدوع بالامر . وأقلت كليتنا سيارة كانت على وشك السردا ليعلمك ، فبلغناها ظهراً او بعد الظهر وما كان الليل الا ونحن في هذا البيت ننام على الفراش الذي هجرناه منذ عهد بعيد . اذا كانت ايامي بعد ذلك لا تؤرخ ، فلان الموم والاحزان لا تاربخ لها في سير الزمان ، وان كان لها كل التاريخ في حياة النفس . مال مفقود ، وزوج نصف مجنون ، ثم لا مواس ينشر الغراء ، ولا ولد يث الرجا . وما كان الصباح ينديه ابتسام ، ولا كان المساء يخفف عنه حديث او لقاء . وكذلك قضيت مع زوجي شهرين قاسيين كآسفي ما تكون المصائب على الناس . فلما كان الاسبوع الماضي ، وكنت أهيب . طلعام العشاء في الاصيل ، اذا بفؤاد يقبل على الدار كالرح اقبال الزائر الباش الذي يوافي بعد انقطاع الاتصال . وحسبته على مضض ، وقدمت له كرسيّاً من الحيزران ، فما استوى به المجلس حتى تمنعج وسعل ثم قال : ان اشوي قد ارادا مترددان ان يرجعا المال الى صاحبه ، وان يعيدا الحال الى سابق عهده . فمن المفيد ان نجتمع بينهما وبين زوجك على طاولة قد راق فيها الشراب ، وهصدأت القلوب ، ونشهد نحن على قرب مظاهر التصافي واقتدار الوجوه . قلت : اذا كان لابد من عودة المال وارجاع الحال ، فليكن الامر في هذا البيت الذي تسكنه . قال : ان الرجلين لينجلا من المحي . الى هنا بعد الذي كان بينهما وبين صاحبه . قلت : وماذا ترى انت يا فؤاد ؟ قال : أرى أن يكون الاجتماع في بيتي انما فاعل في ذلك توفيقاً بين الزوجتين من النظر . قلت : اتفقنا . . . فالامر موكل اليك . قال : ومتي ؟ قلت : بعد اسبوع . . . وذهب فؤاد كالمبتسم . فلما حضر زوجي في المساء اخبرته بالامر المجمع ، فتهلل وجهه وكاد يقبلي من الفرح . فلما كانت الليلة ضياء نفسي على ما ترى ، واصططعت زوجي ، ومضينا الى حي الاشرفية بما يلي الناصرة . كانت المائدة حقاً من النوع الذي راق فيها الشراب ، فانتصبت الكؤوس الملاى

وجهه

قص

عليّ هذه الحكاية كاهن شيخ في أيام طفولتي ولا زال اذكرها وافر في منشأه منذ بضع مئات من السنين كلف فنان كبير برسم لوحة زيتية حائط وسيع في كاتدرائية احدى مدن جزيرة صقلية . وكان موضوع تلك اللوحة حياة السيد المسيح . قضى صاحبنا الرسام سنين عديدة وهو يعمل نجد ونشاط حتى اذا اوشك ان ينهي لوحته الا الوجوه الرئيسيين فيها وهما : وجه المسيح الطفل ووجه يهوذا الاسخريوطي اخذ يبحث في طول البلاد وعرضها عن سجن يأخذ عنها ذبلك الوجوه . وفيما هو يطوف حياً قديماً من انحاء المدينة مرّ باطفال يلعبون في الشارع . ولم تكذب تقع عين الرسام على وجه احدثهم وهو في الثانية عشرة من عمره حتى خفق قلبه لذلك الوجه الملائكي اذ رأى فيه ، رغم قذارة الغلام ، الوجه الذي سعى وراءه . مضى الرسام بلفظه الى بيته وأخذ عنه وجه المسيح الطفل . سوى ان اللوحة بقيت ناقصة فقد اعصى الرسام الاهتداء الى الشخص الذي يأخذ عنه وجه يهوذا . وبقي سنين طويلة وهو في خوف مستديم من ان لا يستطيع اتمام تحفته النادرة . ولكنه لم يئأس بل دوام البحث والتفتيش . وذاع خبر اللوحة في طول الجزيرة وعرضها فكان الذين يرون في الاممهم المكر والخداع يغدون على الفنان ويعرضون عليه ان يأخذ عنهم وجه يهوذا . ولكنه لم يقع في احدهم على الوجه الذي يصح ان يتخذه غودبا لوجه يهوذا الذي كان في نظره رجلاً عطلته الحياة ونهكه الضياع لجسده وشهوته . وفي عصر يوم فيها هو جالس في المقهى يجتسي كأسه المعتادة رأى شخصاً هزلاً رث الثياب يدخل المقهى متنعماً ، ثم يقع على الارض مستغيثاً مستجدياً : « اعطوني خمراً ، اعطوني خمراً » فانهم الرسام هذا السكير وما كان عظم دهشته عند ما رأى الوجه الذي يريد . فقد ترات له على تلك السجدة البشرية جميع رذائل الانسان وعيوبه . بنشوة من الفرح رفع الرسام الشيخ ذلك الخيال المتهدم واوقفه على رجله . وقال : « تعال معي فاعطيك خمراً ، واعطيك طعاماً ولباساً » وراح الرسام يعمل بحماسة وحرارة . واصل الليل بالنهار لينجز لوحته الناقصة . وسرعان ما أخذ يلاحظ ان تبداً كبيراً بدأ يطرأ على الرجل الجالس امامه . فقد تحول ما كان محتوياً عليه من تراخ وذهول الى تنبه بل الى توتر غريب وتكررت نظراته الواجعة وعيناه الغزورتان على مثاله المرسوم في اللوحة . ولاحظ الرسام هذا الاضطراب البادي عابه فسأله قائلاً : « ما بك يا بني ؟ » فنهق الرجل ووارى وجهه بين يديه . ولمدة فترة طويلة رفع نظره الى وجه الرسام الشيخ وقال له مستعظماً : « ألا تذكر اني جلست امامك منذ سنوات فاخذت عني وجه المسيح الطفل ؟ ! » .

ابو تمام

(مربة بصرف)

عريضة اطبقت على في فكنت اختنق لولا اني انتفضت انتفاضة الحيتي من الاختناق وما الحيتي من الاغني . قال فؤاد : اسرعي . . . قلت : ماذا ؟ قال : اسرعي قبل ان ينالك ما لا تحبني اقلت : ان ما تطالبون الي ايها الانذال لابعده من نجم السماء . . .

ونظرت فاذا خنجر مشر فوق كفتي بكساد يسه بجده الدقيق الملتصع . هنالك جنت وتفرقت ثم لم اعلم ما حدث بعد ذلك شيئاً وما رأيتني الا راكضة تحت المطر بكل ما تملك ساقني من القوة على الركض . . . وتوقفت المرأة عن الكلام وقد بككت بكاء صاعماً الفتى مما دار في رأسه من احوال السود ، وتثقت له افاقيل العريضة في الشكل المروع الخسيس ثم بقى الى بعيد بصقة وقعت على الارض كافرش الكبير محمد رومي فبصل — حصن

وتخلقت حولها صحن المائلة والتوابل . فاما الوسيط فكان يكثر من الضحك والدعابة والكلام ، حتى قرأ ما بين النفوس من التنافر . نهض فؤاد وقال : كأن الحجة يا اخوان . فدفعت زوجي كل ما في الكأس الى جوفه ، وطرب من اثر الشراب ، ثم نظر فاذا الزجاجة قد فرغت ، فأقسم ليذهبن بنفسه الى السوق يشتري منها ما وجب . ففعل بظلمته ، وما كاد ظله يتوارى تحتها وراء الباب حتى ضحك فؤاد كأنها كان يكظم شيئاً يريد ان يقوله . . . قلت : المال يا فؤاد ا قال : انما المال حاضر ، لكن . . . فإعني بمد « لكن » الا واحد من الرجلين ينهض مسرعاً الي فيقلني قبله ما عرفت كيف انتزعت ، والا أعز يد يده الى صدري فيجل ازراه . فلما فؤاد فأفسك بي . هنالك حاولت ان اصرخ الصرعة التي تجمع الجيران او تردع الغزاة ، ولكن يسداً غليظة

كلمات سائرة

بلم نقب بلباره

طويل فتقدم الى الامير وقال له :

امسك بطرف الحيط لاشمعه والعب به لعبتي . فامثل الامير
واخذ المحتال يشمع الحيط ويتراجع قليلاً قليلاً حتى بعد واختفى
عن الانظار وعندما بحث عنه رجال الامير فلم يجدوه وبذلك تمت
لعبة المحتال وفاز بالمال ومن هنا نشأ هذا التعبير (شمع الحيط) .

كلام الليل بمحوه النهار

ومن المصطلحات التاريخية قولنا لمن يخلف الوعد (كلام الليل
يمحوه النهار) . واول من قال ذلك جارية لمحمد بن زبيدة الامين .
ففي كتاب العقد القويذ عن ابني جعفر انه قال : بينا محمد بن زبيدة
الامين يطوف في قصره اذ مر بجارية سكرى من جواريه وعليها
كساء خز تسحب اذياله فغازلها فقالت : - يا امير المؤمنين انا على
ما ترى ولكن الى غد ان شاء الله . فلما كان الغد مضى اليها فقالت
له : - يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار .
فضحك وخرج الى مجلسه ثم دخل عليه الشعراء ابو نواس ومصعب
وارقاشي في مرعهم فقال لهم : - ليل الان كل واحد منكم
شعراً يكون آخر شطر منه (كلام الليل يمحوه النهار) فقال
الرقاشي :

متى تصحر وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستمداً فناة لا تزود ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعداقت (كلام الليل يمحوه النهار)
وقال مصعب :

اتعداني وقلبي مستطار كتيب لا يقر له قرار
يجب مليحة صاحت فؤادي بالحاظ يحالطها احودار
ولما ان مددت يدي اليها لاسها بدا منها نفسار
فقلت لها عديني منك وعداً فقلت في غد منك المزار

تدور على السنة العوام في لبنان كليات نسمعا كل يوم في
مختلف المناسبات ومعلمنا لا يحيط بها خبرا وقد رأيت ان اعرض
فيما يلي بعض ما استقصيت منها وارجو ان يجد القراء في ذلك
متاعاً ولذة يخففان عنهم اقبال هذه الايام .

قرفته حاوه

ومن جملة ما نسمع على لسان العامة قولهم عن نستلطفه ان
(قرفته حاوه) والقرفة نوع من العيدان المطرة يستعمله البعض في
الشتاء مشروباً ساخناً كالشاي ومصدر هذا الاستعمال حكايات
الذكر وقد جرت العادة ان يقدم فيها للتشريف مشروب القرفة
وتقدمه دون نظام واتقان فالقرفة تصنع على عجل وتقدم حيناً
اتفق فهذا يناله فنجان سكره قليل وذاك سكره كثير وغيره
قرفته حاوه واخر غير حاوه . وحينما يتسلل السامرون يتجدثون
عن صاحب الدعوة ويذكرون نوع القرفة التي قدمها فيصفها كل
واحد حسب اذواقه في نجسائه وتحول المعنى مع الزمن وانتقل من
المذاق الحسي الى المذاق المعنوي فاصبح الناس يصفون اللطيف
المعاشره بان قرفته حاوه .

شمع الحيط

وبقال شمع الحيط لمن هرب في احتيال . واصله كما يروون
ان اميراً سمع بمهارة محال فاستدعاه وقال له : - اني اجزل لك
العطاء ان استطعت ان تحتال علي . فقال المحتال : اعطني مائة دينار
فاشتري بها (عدة الاحتال) فاطاعه وامر بن يرافقه لتلا هروب .
ثم حضر بوعده فغضب الامير فسطاعاً دعا اليه رهطاً من اصدقائه
ليشاهدوا اللعبة . وكان بما احضره المحتال بكثرة ذات خيط

شمر ملك عرب الشام حضرت احدى المعارك محضه لسكر ابيا
فزعت العرب ان التبار ارتفع يومئذ حتى سد عين الشمس فظهرت
الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس واخذ زباد بن ابي سفيان
فقال في احدى خطبه المشهورة عام ٤٥ هجرية حين كان في صف
علي وحرض الازد على نصره صاحبه وتحدى معاويه فقال : والله
لو اذن لي فيه او ناديني (اي الحسن) اليه (لارينه الكواكب
ظهراً) وبضرب في الوعيد .

انه شاء الله

وما تردده الالسنه بحكم العادة عبارة (ان شاء الله) تقال
بعد كل امر مشيئة . وكولة الى الله . وفي هذه الكلمة ايمان
بالقضاء والقدر ويري العربيون فيها كثيراً من تواكل الشرقيين .
وفي الكتاب المقدس رسالة يعقوب ص ٤ عدد ١٣ (ايها القائلون
نذهب اليوم او غدأ الى هذه المدينة او تلك وهناك تقضي سنة
واحدة ونحرق وزبح انتم الذين لا تعرفون امر العليوب ان تقولوا
ان شاء الله وعشنا نفعل هذا او ذاك) ويقول بعض المفسرين ان
اليهود سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن اهل الكهف فوعدهم بان يجيهم
في اليوم الثاني ولم يقل ان شاء الله فقلت الآية (ولا تقولن لشيء
انني فاعل ذلك غداً الا ان شاء الله) واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى
ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشداً) سورة الكهف ٢٣ .

للجباله آزاره

واصل هذا القول ان يشوع بن نون حاصر اسوار اريحا جيش
جرار واذا عياه الاستيلاء على المدينة امر جنده ان يدقوا الايواق
ولم يلبث قليلاً حتى دقت فسقطت اسوار المدينة على اصول
الايواق المزعجة وهذا السقوط هو ما يثبت لنا القول للسانور :
للجباله اذان وبضرب في موضع الحذر والتيقظ .

ماطد برو

وما يقال (ما فله) (لرجل ينكر الواقع او في موضع
السخر يرجل لحجمه عن الاتيان بعمل اما كسلاً او خوفاً او جهلاً
ويحكي ان هذا القول لاحد امراء الاساطول التركي قالوا ان في

فلما جئت مقتضياً اجابت (كلام الليل يحويه النهار)
وقال ابو نواس :
وغردا قبلت في القصر سكروى ولكن زين السكر الوقار
وهز المني اردافاً تقالا وغصناً فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبها من التخميش واخل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقلت (كلام الليل يحويه النهار)
فقال لهم الادي : اخراكم الله او كنتم معنا ومطالعين علينا . ثم
امر لكل منهم باربعة آلاف درهم .

فسر

ويقال في رد المعجب بنفسه (فسر) وهي كلمة مأخوذة
من فشار مختصر (خنفسار) . وخنفسار اسم احد المشايخ وكان
لا يسأل عن علم او فن الا اجاب عنه مستشهداً بكتب العلماء فذاع
صيته واعجب بعلمه قوم فدأبوا على التردد اليه حتى ارتبوا بصحة ما
كان يقوله فاجتمعوا وقالوا : يكتب كل منا حرفاً في قرطاس ثم
تجمع تلك الاحرف كلمة لا وجود لها في اللغة والاصطلاح ونختصم
بها فان اجاب عنها علمنا ان ما نؤمن به اختراع وان انكرها او
صرح بجهله اياها وقتنا بدهفكتبوا ثم جمعوا الاحرف فكانت خنفسار
فجأزوه وسألوه عنها فقال على الفور : هو تلك اليتيم في بشارتي
اليمين وهو بسط الساق دقيق الورق مستدير الزهر بضرب بياضه
الى حمرة قال ابن البطيار انه حار في الدرجة الثانية رطب في الاولى
وقال داود البصير انه يذهب الخفقان ويبلو آلام النفس وقد
جربته العرب في اردار اللبن فقال شاعرهم :

وقد جذبت مجتكم فؤادي كما جذب الحليب الخنفسار
ثم قال : وقد ورد في الحديث وكاد يذكره فقاطعوهم وقالوا
كفى يا شيخنا قد كذبت على الالبا . والعرب والشعرا . فلاتكنف
على الرسول ايضاً واخلعوه بما كان فضيل وانتقلوا عن سؤاله .
والفشار عند العامة هو كلام المهذبان والبطل والكذب وربما كان
اصل الفشار الخنفسار فخرت العامة تبت منها فصلاً فتقول فشرأ .

نفرميك نجوم الظهر

ويقال افريجك نجوم الظهر واصلا من الفضحى (لارينك
الكواكب ظهراً) روى المياني ان حليمة بنت الحرث بن ابي

وعلى هامان يا فرعون ؟

ويقال للفرط في كذبه (على هامان يا فرعون) وذكروا ان منشاء هذا القول قديم . وكان سبب ذلك ان فرعون الملك ادعى الالهوية وزعم ان في استطاعته ان يحيي الموتى وكان وزيره هامان شاعراً بالخطأ الذي يدعيه . وولاه فجاء ذات يوم احد الناس وطرق باب فرعون ففتح له الوزير هامان وسأله عن حاجته فقال :

— معي بقرة ميتة ارجو احياها . فقال له هامان :

— انا آسف لان الملك منهك الآن بجلى البشر لا البقر .

فذهب الرجل من حيث اتى فاقتل هامان الباب ودخل تواراً غرفة مولاه وحذثه عما كان من امر الرجل فاستاء الملك ووجّهه على فعله وقال : عندنا وقت يزيد عن عمليات احيا البشر فكهم خيبت رجاء . صاحب البقر ؟

فضحك هامان وقال : وعلى هامان يا فرعون ؟

وذهب مثلاً والمعنى ظاهر .

الطيبات اللطيفين

وهذا قول من الأقوال الرمزية التي كانت شائعة قديماً في الحظبة ويؤمنون ان اول من قال ذلك الامير محمد الشهباني ويذكرون ان والده تزل ضعفاً على الامير يوسف المعني سنة ١١٧٥م فخطب ابنته (طيبة) وذلك انه كان معه في حديقة جميلة الازهار فقال والده : المياه عذبة . فقال محمد : والارض (طيبة) فقال الامير يونس : وانت اطيب يا محمد . فقال الامير محمد : الطيبات للطيبين وذهبت مثلاً ويضرب المتوافقين .

سنتي طبارة

حرب سنة ١٨٠٠ صدرت الاوامر الى احد امراء البحر بالخروج الى جزيرة مالطة فساب باسطوليه مدة ثم اتى الاستانة ولما سئل عما فعل قال (مالطه يوقدر) يعني مالطه غير موجودة وذلك لانه لما جنّ الليل تجهز للقتال ونشر خريطة حرب كانت عنده مطوية وانار شمعة ووضعها على الخريطة وشرع يبحث عن الجزيرة ولكن بدون جدوى لان اسمها كان سهواً تحت الشمعة .

يسوي قعله من الذهب

وتقول (يسوي قعله من الذهب) لرجل ذي اخلاق . واصحابا ان العرب الاقدمين كانوا اذا قتل منهم قتيل يفرضون الدية على القاتل وتكون الدية مقدار وزن القتيل ذهباً او فضة وهي مساوي يودي الى اهل القتيل اخاداً للاخذ بالتأثر ومنعاً من الانتقام .

الي ما يجي معك نعا معر

وتقال (الي ما يجي معك نعا معر) في موضع التساهل ورويت عن رجل ادعى النبوة فاستدعاه لغير البلاد وسأله عن اهله نبوته فقال : ان في استطاعتي ان ادعو الشجرة ثلاثاً فتدعني وتاتي الي . فقال الامير : افعل لترى صدق قولك فدعا الرجل شجرة كانت هناك فما اتت . ثم دعاها ثانياً وثالثاً ولم تأت . عندئذ تقدم نحو الشجرة فقال له الامير : لم ذلك ؟ قال الرجل : ان هذا من رسالة التسامح الذي ادعوا اليه ومن آياتها يا سيدي : الي ما يجي معك نعا معر . فضحك الامير .

الادب الذركي الحديث

نظم حكمت

نظم حكمت ، صاحب مقتطفات شعرية عدة ، حمل معها الى الشعر التركي نغمة جديدة وحساسية قشبية . اجري ابياته على لغة سهلة يفهمها الكل وهو الفنان والكاتب المتمسك بأسلوبه الرفيع الرائع .

يقول في منظومة « الصمصافة الباكية »

« كان الماء يجري
« عاكساً في مرآته ظال شجرات الصمصاف .
« وكانت الصمصافات الباكيات تغزل شعرا في الماء .
« والفرسان الحمر الجادون صوب الغرب
« كانوا يمشقون سيوفهم ويضربون جذوع الصمصافات
« وفجأة ، كطائر هيف جناحه
« سقط احد هؤلاء الفرسان عن جواده ،
« لم يصرخ . ولم يتصرخ ورفاهه .
« انما كان يشبع بينه الجاحظين
« حوافر الجبل المرسة شرادات في مئذبات الابدان
« اواه ! هو ان يستنقع بعد اليوم
« أن يتنحي فوق لبنان جواده التريد
« ولا أن يلب بالحمام وراء الجيوش البيض .
« وكان وقع الحوافر يغث شيئا فشيئا .
« والفرسان ، أفرانه ، يتوارون اثر الشمس القارئة . .
« ايا الفرسان الحمر المجنحة شعورهم بالريح
« وجباهم مجنحة بالريح
« الحياذ . . الريح . .
« الحياذ . . .
« الجواد . . .
« والحياة تجري كالحياد المجنحة بالريح .
« خفت صوت الماء الجاري
« وتلاشت الاظلال واكفهرت الجبال
« والالوان اجمت .
« وانسلت ستائر سود على عيني الفارس المربع
« واغثت الصمصافات الباكيات على شعره الاشقر
« لا تبكي ايها الصمصافة الباكية
« لا تبكي
« ولا تتلوي على مرآة الماء .
« لا تتلوي
« ولا تبكي بعد اليوم . »

احمد قدسي

يحمل احمد قدسي بين شعراء الترك الشباب مثالة جد ومروقة . وهو الى علو المؤهبة الشعرية دقيق الحس على بعد في الخيال . جمع في ديوان أجمل قصائده .

في قصيدة « امام الموقد » يقول .

« سيطرق بابك ذات مساء طرقاً خفيفاً
« فتختلج الاشياء حولك فجأة .
« تنهضين فوق وساداتك الباردة
« وتنهضين الباب بيد مرجفة .
« ويظهر امامك شبح ليس غريباً عنك
« خذي بكتفيه وهزيه ،
« حتى لو كان هيكلاً عظيماً ،
« دعيه يطوقك ويترك بقبيلات خرس .
« وعندما يروو الشبح الى جحيمة
« اوصدي الباب وراءه
« وعودي الى الموقد واجلسي امامه ، وحدك ، مع نفسك
« صامته تدفئ يدك وتنظرن اليها . »

غفران الراعي

اسكندر ديماس الاب

ولد

اسكندر ديماس الاب في الخامس من ترميدور في السنة العاشرة للجمهورية (٢٤ جوز ١٨٠٢) وتوفي في الخامس من كانون الاول ١٨٧٠. وكان قوي البنية جلوداً على العمل. هبط باريس في العام ١٨٢٣ ليطلب معونة رفاق والده في الجندية فلم يرحب به الا الجنرال فوى الذي سعى لتعيينه خطاطاً في دوائر مستشارية الدوق دورليان براتب قدره الف ومئتا فرنك. ودامت الامور ان اخذ يمارس الكتابة فظلم قضيدة في وفاة الجنرال فوى (١٨٢٦) وأصدر مجموعة قصص (١٨٢٦) وفي العام ١٨٢٩ وضع مسرحية هريكسوس الثالث وبطله فانت اعجاباً كبيراً حتى في نظر الدوق دورليان الذي لم يكن كبير العطف على رؤوسه فرفع مرتبه الى الف وخمسة فرنك. وسرعان ما طالت شهرة ديماس حتى روي له انه قادر على مزاحمة فيكتور هوغو فترك الخدمة في دوائر الدوق دورليان وانصرف الى التأليف. ولما انطلقت ثورة ١٨٣٠ انضم الى الثوار وبار من لافاييت توجه الى سواسون لتنفيذ مهمة عسكرية ثم الى قائدته ليسانس على تأليف فرقة من الحرس. سوى انه لم يلبث طويلاً في الحياة العسكرية وعاد الى القلم. وشاء حسن الحظ ان يعيش السيدة ميلاني ولدور، زوجة احد الضباط. ومن هذا العشق استوحى بأساً «انطوني» التي مثلت اكثر من مئة مرة. وفي العام ١٨٣٤ فكرت لجنة «الكوميدي فرانسيز» في اعتماد هذه المسرحية، ولكن وزير الداخلية منعها بحجة انها تسيء الى الاخلاق. ولما اليوم فانطوني استرجعت مكانها في حلقة (اللائحة كلاسيك) بالادوين. وصفاً يقول ان اسكندر ديماس بقي من العام ١٨٣١ الى ١٨٤٣ يشغل مختلف مساح باريس بمسرحياته التالية: نابوليون يونابرت او ثلاثون سنة من تاريخ فرنسا، وهي في ستة فصول كتبها ديماس بثنائية ايام. وكارلوس السابع، وريكاردوس دافونتين، وتريزا، وزوج الادمه، وبرج فيل، (وهذه الاخيرة نالت فوزاً لم يبق مثله الى يومنا هذا، وقد اثارت بين فردريك كلابره، واضع الضممة الاخيلية، وجول جاتين الذي صحبها، وديماس الذي كتبها من جديد تراعاً ادبياً انتهى بيمارسة وباقامة دعوى). وكاترين هوارد، والحجيل، ودون جوان ده مارانيا او سقوط ملاك، وكين، ويبيكيلو، وكليكو لا وبنغو من ثلاثين مسرحية اخرى يضيق بنا المقام عن تعدادها. استلم ديماس الاب هذه الادبي بكتابة قصص صغيرة كانت الخطوة الاولى نحو اطلول اختراعات كتابية في الادب الحديث، في طليعتها الحراس الثلاثة وبلاش ده بوليو، وشروينزو وسلتيي، وماريا، والكبتيال بول، ومغامرات دون جوان، وفارس ارمنتال، وبعد عشرين سنة، والفيكونت ده براجيلون، والكونت ده وتسكرستو، وقدحتاج الى اكثر من ثلاث صفحات من هذه المجلة لتعداد كل ما اخرجته مخيلة هذا الكاتب العجيب. ولكن بالرغم من هذا الانتاج الذي لم يبق مثله في كل ما اخرجته الدماغ البشري واليد البشرية كان ديماس يجد متسعاً من الوقت لمراقبة ناص. قصر وتسكرستو الذي شيد بالقرب من سان جرمان واستغند قسماً كبيراً من المبالغ الهائلة التي درها عليه قلده، وللاقيام برحلات الى اسبانيا والجزائر مع ابنه ولوي يولانجه واوجين جيو، ولادارة مسرح «التياترو التاريخي» وغير ذلك. على ان ثورة ١٨٤٨ كانت شوماً على اسكندر ديماس، فقد سقط في الانتخابات وفشلت جريدته «الحرية» ومجلته «الشهر» ووضعت الحكومة ضريبة باهظة على القصص الشعبية هددته في صميم ثروته، فترك باريس الى بروكسل، عاصمة بلجيكا، وبقي فيها حتى العام ١٨٥٤. وفي بروكسل كتب جيل بلاس في كليفرنيا، ومذكراته، واستحق لالكديم (وهي من نوع اليهودي التائه لاجئين سو، وكان يوده ان يصدرها في ثلاثين مجلداً لم تعطها المراقبة الابداعية) وغيرها. ولما عاد الى فرنسا في العام ١٨٥٤ استأنف حياته الصحفية بدون انقطاع حتى توفاه الله في العام ١٨٧٠. فلم يشهد الكارثة المرحمة التي حلت بوطنه ولم تنسح هذه الكارثة السبيل الى تشييع جثائه بالابية اللانقطة به. وفي الرابع من تشرين الثاني ١٨٨٣ احتفل في ساحة الميشر بباريس بتدشين تمثاله الذي نحت غوستاف دوره. وقد نحت المثال المشهور على قدم التمثال معظم الاشخاص الذين خلقهم ديماس في قصصه.

مكتبة الاديب



ووفاء. توجه الى وزير الشباب اصدق وعاطفها سائلة
الله ان يبلغ الشباب في عهده اشهى امانيه وآماله .

الرواوس المنبره

حول كتاب جديد للاديب الالماني توماس مان

قضت النازية على المانيا والبلدان التي احتلتها
بقيط ادبي شديد . وقضت على كبار الادباء . والصامت والشرود .
ومن هؤلاء الكتاب الشهير توماس مان . فقد اضطر الى الانسلاخ
عن وطنه الام ، لما ضربت عليه النازية بظلمها القاتم . فالتجأ الى
سويسرا ثم الى الولايات المتحدة حيث استطاع ان يتابع انتاجه
الادبي وينشط نشاطاً فكرياً سياسياً لسناً بصدد مجته الان . ولا
شك في ان توماس مان نقطة من نقاط الناس التي يلتقي فيها الصير
الالماني بالصير الانساني المتمدن ، وقد كادت النازية تنجح في قطع
الصلة بينهما قطعاً باتاً . وما يدعو الى بعض العجب والانعجاب ان
توماس مان ، وهو في غار هذه الحرب الجارفة ، قد اصدر مؤخرأ
سفرأ روائياً صغيرأ لفت اليه الانظار لغتأ قوياً . اما اسمه فالرووس
المنبره . اسم غريب لموضوع غريب . ولقد تحا توماس مان في
مؤلفه معنى الوز ، ولا بد لنا من التمهيد بتلادة قصته ولو تلادة
مقتضوية . ومن الكتاب الالماني القاري . الى جو الهند ، وبطوف
به في الادب السنسكريتي ، فيني مؤلف على اسطورة مزينة عربية
في القدم . فيذكر الالهة كالي ، وهي آلهة هندية تمثل القوة التي تجمع
في طاقتها المتناقضات ، فتستطيع منح الحياة كما تستطيع منج
الموت ، وتقدر على هبة الحرة كما تقدر على فرض الرق والعبودية .

ويروي الكتاب حديث شخصين استهل امرها لما بدأ الناس
يقولون (ونحن بالطبع لا نعرف متى بدأ ذلك) وقامت بين
الاثنين صداقة صافية متينة . كان كلامهما في ميعه الشباب ، اسم
احدهما شريدمان واسم الآخر ناندا . اما شريدمان ، وهو الاكبر
سناً ، فكان اعظم ثروة واعرق مئنبأ . واما ناندا فكان وضي.
الطامعة ، جميل الراس ، منصرفاً الى ما ينصرف اليه عامة الناس من
مشاغل الحياة ومطالب المنة والمرح .

واتفق ان خرجا في تجارة ، فما زالا حتى اتيا معبد الالهة كالي
فعرجا عليه لرياضة روحية يشتد فيها تأملهما ويزداد تمازجها ، فقد
آيا ان يتقاربا حتى يصبغا - وهما الشخصان - كأنهم الشخص
الواحد الفة طباع وخالق . فلما احتوتها عمة المعبد واوغلا في

« اوراق » للدكتور منبر العجلاني

الاستاذ الدكتور منبر العجلاني ، وزير الشباب في سوريا ،
مفخرة من مفاخر الادب في هذه البقعة الطيبة من الشرق ، ليس
لانه يجيد الصياغة الى حد ، ويسن التفكير الى مدى ، ويجمع الى
ثقافته الشاملة ذوقاً لطيفاً وحساً مرقفأ بحسب - والا لكان كسواه
من جلة ادباء هذا البلد - بل لانه يضيف الى ذلك كله اخلاصاً
لرسالته الادبية ، واثباتاً أكيداً بها ، ومحبة عاملة لا تراخ في صدقها
تدرجه في عداد الصغرة النادرة من اركان النهضة الكريمة ، في هذا
الصعيد الكرم من الشرق العربي .

وبينما ان الوضع الجديد في شقيقتنا الباسة ما احسن
كاحسانه في اختيار العجلاني لمنظمة يرتكز عليها كيان الامة ،
ولو ان جميع الحكومات تحت هذه السماء الفتية وعلى هذا الصعيد
الاخضر تعتمد الانوار في الفكر والحل في القلب لغت الشكل
او اتت على الكثير من مصاعبه . فالشباب اذا لم يسع ولم يعمل لا
يسعى للناس ولا يعملون ، فهو قلب الحياة وهو يدها وفكرها .
وبين الشباب والعمل اتحاد وثيق لا غنى عنه لكل مجموعة بشرية
تصبو الى النهوض وترغب في البقاء . وهذه « الاوراق » التي صدرت
اخيراً للعجلاني تزخر بالشباب ، ففيها روحه واعراقه يده وفكره
بعضها جنود للفكرة الوطنية تعمل قبل اي شيء . على ايقاظ الامة
وتدويرها لذه الكرامة والاستقلال ، وبعضها جنود للفن تعمل على
المخزي به الى الكمال . فالعجلاني يستهدف الإصلاح في كل ما
يكتب ، يستهدف الإصلاح حتى في مباحثه الفنية الخالصة ، حتى
في « الاوراق » التي « يتعمق منها » او « ينكرها اليوم » بعد
العهد بين بيانه اليوم وبيانه أمس . وليست اوراقه الا صدق لما
يضطرب في نفوس الشباب ، او هي الشباب في آماله وطموحه ، في
هدوئه وثورته ، في روغته وجماله ، وهي فصحة صادقة من حياة
سوريا في السنوات الاخيرة المنصرمة وفي العهد الذي تعيشه اليوم .
فجلة « الاديب » التي تربطها بالدكتور العجلاني برابطة صداقة

مان : الرؤوس المستبدلة . ولا شك انه تحا فيها منحي الرمز كما قلنا ، فليس قصده ان يعالج مشكلة الزواج والحياة الزوجية وسير عينا ان يحزم ما رمى اليه مان . فمن شأن الرموز ان تحتمل التأويل لا التأويل ، وكل يفهم بها ما هو مهيأ لفهمه .

وقد نستطيع ان نقول : ان شريدمان مشال جمال العقل ، وناندا مثال جمال الجسم آثرته سينا (رمز الانسانية) بحبها . فقبل أحبه لجمال جسمه المجتمع سحره في رأسه ؟ لم اذن بقيت حائرة معذبة لما انتقل الرأس الى زوجها ، فلم تنتقل عاطفتها بانتقاله ولم تذكره ناندا ؟ وعلى ذلك فقد كانت ترى في راس زوجها ناحية ترضي جانباً من قلبها . ولكن ذلك كان غافياً عليها فلم يظهر ارتباطها الا حين وقع انتقال الرؤوس . وبتنتج من هذا كله ان الحب لا يمكن ان ينحصر في جمال بحت جسمي او بحت عقلي . واذا ذهبنا في الاستنتاج الى ابعد انتهينا الى ان الفضيلة عامة - لا الحب وحده - لا تقوم على محض العرض او الجوهر ، على الشكل وحده او المحتوى ، على المادة او المعنى ، على القالب او المضمون ، بل على مزيج متنسق من كل من الاطراف .

ولعل الكتاب الالماني الكبير قصد هذا . ولعله اذ ان يعلم وطنه ألمانيا والانسانية درساً في ضرورة الجمع بين المظاهر المادية والقيم الرفيعة .

رؤف فوري

الكتاب الذهبي

ذكرى مولد « الهلال »

غنمت المكتبة العربية بالكتاب الذهبي الذي اصدرته دار « الهلال » في القاهرة سفرنا نفساً بل اثرأ غالياً اشترك في اخراجه صفوة طلبة من مفكرين مصر وسائر الاقطار العربية . وقد تناول الكتاب كل محب اختصاصه تطور الحركة الادبية والسياسية والاقتصادية في الخمسين سنة التي انصرمت من حياة « الهلال » فكان لنا بحوث جليلة في « الحياة السياسية » للدكتور بهي الدين بركات باشا ، و « الجيش المصري » للفريق احمد حمدي سينا النصر باشا ، و « النهضة النسائية » للسيدة هدى شعراوي ، و « الحياة الاقتصادية » للدكتور حافظ عفيفي باشا ، و « التقدم الصناعي » لاسماعيل صديقي باشا ، و « التطور الزراعي » لغزاد انطه باشا ، و « القضاء والحمامة » لمحمد علي غلوبة باشا ، و « الدين ورجال الدين » للشيخ محمود ابو العيون ، و « النهضة الطبية » للدكتور علي ابراهيم

رياضته الروحية اذا بفنا ذرعة الشكرين تهجم عليها بحمال طلعها . وكان ناندا قد عرفنا من قبل في اسدى الحفلات وهي تدعى سينا . ولم تلبث الفتاة ان توارت . وقال شريدمان لصديقه : شد مساً احببت سينا بالنظرة الاولى . واست اكتمك اني يوم لا اجسد سبيلا الى زوجها ، سافارق الحياة كارهاً ومختاراً . فارتاع ناندا وقال له : ان يكون من ذلك شي . ويوم فوت انت فساموت انا . هذا مقطوع لك مني . واني لاعرف سينا ، وما اتقدري على تزويجك بها ، وانت الذي الماقل الكريم الاصل .

ومضى الصديقان الى والد الفتاة . فاسرع ما قبل ان ترف سينا الى شريدمان . وكان شريدمان عظيم السعادة . وانتقل زوجه الى قريته حوث بات ناندا يزورها . ثم خطر لثلاثة ان ينطلقوا يوماً لزيارة والد سينا . وفيها هم في الطريق مروا بعيد كالي حيث وقع اللقاء الاول بين الزوجين ، وحيث تم التعاقد بين الصديقين فرأى شريدمان ان يبسل الى المكان ولو لحظة . وكان لا يدع فرصة من رياضة روحية تقوته . فلما مثل وحده بين يدي الالهة شخص اليها ، وقد جعلت لها مقدراً خرزاته من جاجهم ، ومدت به ثيابي عذرة ذراعاً بسطت فيها كلها الفليفة . فضاوره ارتياح . واحس برائحة الدم تنفذ وتنتشر في خياشيمه . ففكر ذاك بحياته مع زوجته . وانتهى الى ان سينا لم تجد به من البطة والرضى ما وجد بها . واشترى في ذهنه معنى نظراتها الى حديقته ناندا وما تاستر وراءها من شعور . فعظم ذلك عليه واستسل سيفه فأطاح به راسه عند سفح تمثال الالهة ، وغر صريعاً .

واستبطل ناندا وسينا عودته . فلحق به فاذا هو يجده جثة مفصولة الرأس عن الجسد . فقبضه الحزن وتذكر عهد المقطوع لصديقه ، فأخذ سيفه وأطاح به رأسه هو الآخر . وانقض وقت فلحة ت بها سينا ، فارتاعت لما رأت ان هذا زوجها وهذا حبيبها ، كلاهما قتيل افسها شعور بانها المسؤولة عن المفاجعة . وصمتت الالهة تقول لها : انما اردت تأديبك . وما دمت قد ندمت ، فانك اذا عاهدتني ان ترشدي بعثت في الشخصين الحياة من جديد فعاهدتها سينا ، فامرت الالهة بان تأخذ الرايين وتلصقهما بالجسمين وكان سينا لم تكن خالصة النية في عهدها للالهة ، فنسيت في اضطرابها ان ترد كلاماً من الرايين الى صاحبه . فلما عاشا كان رأس حبيبها بين كتفي زوجها ، ورأس زوجها بين كتفي حبيبها . ولبثت حائرة ممزقة العاطفة تتسائل : الى ايها تبتل وظل عذابها صامتاً يتأكل قلبها . هذه هي خلاصة رواية توماس

باشا ، و « التطور الخلقى » للدكتور منصور فهمي بك ، و « التربية والتعليم » للاستاذ محمد رفعت بك ، و « الادب واطواره » للدكتور احمد ضيف بك ، و « الصحافة » للاستاذ عباس محمود العقاد ، و « الهندسة والعمران » لاحد رافع بك ، و « الاكتشافات الاسلامية » للاستاذ محمد عبد العزيز مروزق ، و « والاكتشافات الفرعونية » للاستاذ محرم كمال ، و « التمثيل العربي » للاستاذ خليل بك مطران ، و « الفنون الجميلة » للاستاذ محمد حسن ، و « جغرافية الشرق والغرب في خمسين سنة » للدكتور محمد عوض محمد ، و « تطور التفكير العالمي في خمسين سنة » للاستاذ سامي الجريديني ، و « احداث التاريخ في خمسين سنة » للاستاذ محمد عبدالله غنان ، و « العالم سنة ١٩٩٢ » للدكتور امير بقطر بك ، و « الادب بعد خمسين عاماً » للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، و « القضية العربية في خمسين سنة » للاستاذ جبيب جاهلي ، و « الادب والاداء » في العراق » للاستاذ محمد رضا الشبيبي ، و « النهضة الادبية في الديار الشامية » للاستاذ محمد كرد علي . وتناول الكتاب ايضاً اثر « الهلال » ومؤسسه في الحركة الثقافية خلال الخمسين سنة فكتب الاستاذ احمد امين بك في جرجي زيدان كمؤرخ واديب والدكتور طه حسين بك في اثر « الهلال » ومثمنه في الاجاب الحديث وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا عن عهده بالهلال والاستاذ انطون الجليل بك عن ذكرياته عن الهلال ونشئته ، والاستاذ انيس المقدسي عن رسالة الهلال في الشرق العربي ، وارسل الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري تحية بليغة ، وكتب الاستاذ فكري اباطه مقالاً عن صلته بالهلال طوال سبعة عشر عاماً ، والاستاذ طاهر الطنابي عن الهلال في نصف قرن ، والاستاذ عبد الوارث كبير عن مولد الهلال في العام ١٨٩٢ . واشتملت هذه البحوث على طائفة من الصور تمثل رجال النهضة المصرية ويختلف أطوارها . وقد افتتح « الكتاب الذهبي » بكلمة تفضل بها صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وبصورة كبيرة جلالاته ، وبكلمات لصاحب السمو الملكي الامير عبد الله ، الوصي على عرش العراق ، ولصاحب السمو الامير عبدالله ، امير شرق الاردن ، وللعفور له الشيخ تاج الدين الحسيني ، رئيس الجمهورية السورية ، ولصاحب السمو الامير عمر طوسون . وانطوى « الكتاب الذهبي » على جملة صور ملونة كبيرة للعفور له الملك فؤاد الاول ، وصاحبة الجلالة ملكة مصر وقاعة العرش بقصر عابدين ، والبعلمان المصري ، والعفور له سعد زغلول ، والعفور له محمد عبده ، والعفور له مصطفى كمال والعفور له

احمد شو قي ، والعفور له جرجي زيدان ، مؤسس الهلال ، وعلى صور كبيرة تمثل درساً دينياً في الجامع الازهر ، وخزان اسوان ، ونهضة مصر ، وجمال الريف المصري ، وتوت عشيخ آمون . اما الصور الاخرى التي ازدان بها هذا الاثر الجليل فزروعة في جميع صفحاته ببجوحة لم يسبق مثلاً ، حتى ينصح القول بان « الكتاب الذهبي » دائرة معارف وفنون لنصف قرن سلخ من حياة مصر . فبجلة « الاديب » تبنى . « الهلال » بعيدة الذهبي سائلة الله ان يد عمره زخراً للادب والعلم

يعني ونحن (١)

على اثر الكارثة التي حلت بغربنا في تلك الضعفة الموحمة التي انتابت الشعب الفرنسي ، قامت في الاوساط الادبية السني تاليت - في الوهلة الاولى - حول المراحل بيتان . متمسكة به كما يتمسك الفريق بجبال الهوا . حركة ترمي الى اصلاح فرنسا على الاسس التي بنتها الاجداد الفرنسية سواء في السياسة او في الادب . وسرعان ما تكرر حول المراحل طائفة من الادباء . راحت تقطري القيم الفرنسية زاعمة ان السبب في الانهيار الاخير يرجع الجسائب الاسكر منه الى صدوف الجمهورية عن هذه القيم واعتانها مبادئ . وتمايل لا تتفق وتقاليد فرنسا في الادب والسياسة . ويبدو ان هذه الحملة كانت مدبرة للخط من كرامة النظام الجمهوري واسقاط رعايته في عين الفرنسيين . وكان لامرئين ومباشرال وبيغي في طليعة الادباء الذين تساهم حواريو « الثورة الوطنية » المزعومة ، او رسل « الاسلام » على الاصح . فبعيت الاكاديمية جوائز لمن يدرس هؤلاء الادباء ، وتألقت في كل مكان اندية ادبية باسم اصدقاء بيغي ، وتماثلت الصحف بالاحاديث عن بيغي ، حتى لقد خيل الى من لم يعرف من هو بيغي وماذا كتب بيغي وماذا علم بيغي ان هذا الاديب الذي مات كما يتن ان يوت ، ميتة جديدة به ، ميتة الطل المدافع عن مثله الاعلى ، عن بلاده ، كان ابا « الثورة القيشية » والنافع في يومها قبل ان يذرها قرن بنجوم ست وعشرين سنة .

على ان الادباء الفرنسيين الذين كانوا حواربي فيشي بالمرصاد في الجانب الآخر من ساحة الجهاد لم يلبثوا مكتوفي الايدي حيال هذا الاحتلاس الذي لا عهد بثله في تاريخ الفكر ، على حد تعبير الاستاذ جان غوليه في المقدمة التي وضعها لختارات نثرية جمعاً من مختلف ما كتبه شارل بيغي واصدرها في كتاب حجة مفعمة على

« ان المانيا لن تستطيع ان تعمل فرنسا من جديد . فالقضية هي قضية نسل . ولن تستطيع ان تعمل حربية وطرقاً . فكل ما تستطيع انها تعمل سلطاناً وسيطرة . »

« حين يقول الفرنسيون انهم يبنون امبراطورية استعمارية لا ينبغي ان نصدقهم . فهم يبنون ويذبحون حريات . »

« ليست القضية قضية غلبة بل هي قضية استبدال . ليست القضية ان تسحق برلين باريس بل القضية ان تمحل برلين محل باريس . »

هذه امثلة خاطفة مما انتخبه الاستاذ جان غوليه للجموعة التي اصدرها باسم « بيني ونغن » وهي لمعري كافية لدحض المزاعم

الذليظة التي جرو . عليها محتلسو بيني ، فلاح وادي الاروا ، الذي يث بصلة قربي الى صوفية بول فراين وقدرته على التسلل الى اعانق

الاسرار البشرية بسذاجة في الشعور والتعبير لا عهد لنا بمثلا الا في ادب القرون الوسطى ، والذي كان يقول : « قل الحقيقة ، كل

الحقيقة ، ولا تقل الا الحقيقة . عبر ببلاهة عن الحقيقة البهلاء ، وجلل عن الحقيقة الملهة ، ونجزن وكأبة عن الحقيقة الخزينة الكنسية . »

هذا الشاعر الذي مات كما يقتنى ان يموت ، مدافعاً عن وطنه ، ومن عقيدته الجمهورية التي احال عنها يوماً ، هذا الشاعر الفلاح

الذي كان يحس ويرى كميستال وكتب ككورنيل ، هذا الشاعر الذي لم يكن من اصحاب المواهب - هذه العملة الدارحة -

بل من اصحاب النبوغ . ففي شعره اختراعات عجيبة ، فقد كان يبتكر الصور والرموز بالسهولة التي يبتكر بها سواه السخافات

والاراجيف ... ولم يكن ادبه الرمزي مقتصر على كاسمة مزخرفة بلها . او معنى مبهم غامض بل كان يرمز في ادبه الى الوجه

المادي في البشر والاشياء . ويمثل شعاع الروح منفذاً في هذا الوجه . ا. ل. س .

مجلة الطريق

بلغت زميلتنا مجلة (الطريق) البيروتية عامها الثاني ، وهي

المجلة التي انشأتها عصابة مكافحة النازية في لبنان وسوريا لتكون رسالة التحرير الفكري وتكثف عليها الجته ، ولتقدم الاساتذة عمر فاخوري

كامل عباد ، يوسف يزبك ، رفيف خوري وراس تحريرها الاستاذ قدري قلجبي . ومجلة الطريق ، باعنا لجن من مواضيع ادبية وسياسية

غنية عن الاسهاب في تعريفها . فلا زالت سائرة الى امام تؤذي الرسالة التي انشئت من اجلها .

مزاعم رجال فيشي . فقد عمد المجاهدون من ادبا . فرنسا الى دحض هذه المزاعم في صدهم ومجالاتهم ولم يسيروا على غرار الفيشيين في

اساليبهم التثويبية بل اعتمدوا البرهان القاطع والحجة الدامغة . وكان آخر هؤلاء . الاستاذ جان غوليه فترك الكلام لشارل بيني

نفسه يدمع به « شارحيه » الذين لم يقرأوه . . او لم يفهموه ولم يجروا على الاستشهاد بشي . من اقواله .

قال بيني في الجمهورية التي يجاربها « مجوه » او « متبنوه » : « يحدوننا دائماً عن الانحطاط الجمهوري . ولكن يجب ان نعدل .

فحين يراد المقابلة بين نظام ونظام يجب المقابلة بينهما على اساسين متجانسين . يجب المقابلة بين صوفية وصوفية كما يجب المقابلة بين

سياسة وسياسة . ولا ينبغي المقابلة بين صوفية وسياسة او بين سياسة وصوفية . . »

« ان القوة الوحيدة التي تتمتع بها الجمهورية هي ان لا للجمهورية من يجها . والحب هو القوة الوحيدة والقيمة الوحيدة . لئن يكن

ثم مقدار كهد : من الخلق عاش للجمهورية وشقي لاجلها كل ذلك العيش وذلك الشقاء ، وآمن بها كل هذا ايمان ، ومات في سبيلها

كل هذا الموت ، وتحمل لاجلها تلك المصائب كلها فهذا هو الامر الواقع الذي يجب له حساب ، وهذا هو الامر الذي يؤسس

نظاماً ويجهل مشروعا . حين اقع في « الاكسيون فرانسيز » على ذلك العتب وتلك السخرية وفي الغالب الكثير على تلك الشائيم

احس بالمر ، فأولئك الناس يريدون ترميم اقدم فضائل نسلنا ، ولكن اية ثقافة تؤسس على العتب والسخرية والشتمية ليست

سوى بريارت . « انا جمهوري . مستقيم وثوري قديم . وليس في زمن الحرب

الا سياسة واحدة هي سياسة الائتلاف الوطني . . واني لسياسة الائتلاف الوطني على سياسة مجلس بوردو . . فلذلك لا يستسلم حق

على الذي يستسلم . . »

« عندما ينجون اولئك الرجال فرنسا وفي فرنسا الجمهورية اجديني محمداً في ان اقول انهم لا ينجونون فرنسا فحسب بل ينجونون

الثورة نفسها والحركة . »

وقال بيني في الفروسية والظليان : « يمكن القول بان الفرنسيين لا يزالون في العالم الحديث الممثلين الفضلاء . لنسل الفروسية وان

الامان هم الممثلون المهددون لنسل السيطرة . ولذلك لا نبالغ اذا اعتقدنا ان العالم بأسره ينتقش معنا ، وان هذا العالم انما هو عالم الحرية نفسه ، وعالم الظرف والكنيسة . »

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

١. وتيفيدايو ١ شباط - علم ان التندابير تتخذ في البرازيل لتدريب بعثة عسكرية لتنضم هذا العام الى قوات الحلفاء التي تحارب في اوربوا وافريقيا . براين - اكد غوبلز في خطبته الاخيرة التي جاءت بعد خطبتي هتار وغورنغ بأن الخطر يهدد ألمانيا بالقاء، واعترف بوجود فئة من المتحدين بالصلح في ألمانيا، كما انه اعترف بخطورة الحالة في الميادين الروسية . ولكنه اعتذر بان الجنود الالمان معروضون فيها لخن وتجارب فوق طاقة البشر وانذر معطلي الجهود الحربية بالعقاب القاسي واعترف بان المرحلة الحالية هي اشد لحظة مؤثرة في عهد هذا النزاع التاريخي . لندن - عين الاميرال دونيتز الالمانى خلفاً للاميرال ريدر في القيادة البحرية العامة الالمانية والاميرال الجديد هو من الاختصاصيين في حرب الغواصات . روما - اقال موسوليني الجنرال كالبور وعين خلفاً له الجنرال فيتوريو امبروريو ويعزى سبب اقالة القائد العام للقوات الايطالية الى غضب موسوليني ازاء فشل قواته في جميع الميادين .

لندن ٣ - اعلن راديو براين انتهاء المقاومة في ستالينغراد وصرح احد كبار الضباط الالمان الذين وقعوا بالاسر بأنه كان للمجوريين في ستالينغراد ٣٠٠ الف رجل يتألف منهم الجيش السادس وعناصر الجيش الرابع الروماني، واعلان ان المارشال بولوس وقع اسيراً ، وقد قُدم المحور حتى ٣٠ كانون الثاني الماضي في ميدان ستالينغراد ١٥١٧ دبابه و ٧٥٠ طائرة و ٦٠ الف سيارة ومهلات واعتُدت حربية اخرى كثيرة . لشبونه - اعلن الصليب الاحمر للبروتستانتي ان الصليب الاحمر السويسري احدث فرماً خاصاً لاسعاف اطفال اليونان . وقد وزع حليب مجفف على ٢٥ الف طفل في اثينا والمدن اليونانية الاخرى . لندن ٤ - وصل الى لندن المسير ماسيفلي سفير فرنسا السابق في القنصلية لاجالات الوزارة الخارجية الفرنسية البارزين مدة خمس عشرة سنة وقد قوبل قدومه الى عاصمة انكلترا بارتياح واعان انضمامه الى فرنسا المحاربة .

انقرة ٥ - اعلنت وكالة افاضول التركية ان الرئيس كيرشيل سلم الرئيس اينونو قبل بدء المباحثات في مؤتمر اطنه رسالة ودية من جلالة الملك جورج السادس ، وسلمه المستر كيرشيل رسالة خاصة من الرئيس روزفلت يطلب الرئيس اينونو من المستر كيرشيل ان يقدم شكره لجلالة الملك جورج السادس كما انه ابرق للرئيس روزفلت شاكراً .

كلكتوتا ٦ - قامت بعثة الصحافة التركية بزيارة مصانع الاسلحة في منطقة « راولبندي » بالهند حيث شاهدوا الوف العمال المهنود يشتغلون ليلاً ونهاراً في سبيل الدفاع عن الهند كما شاهدوا مئات الدبابات والعتاد الحربية الهامة التي تخرجها مصانع الهند .

بيروت ٧ - عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الطبي العربي السادس الذي تقرر عقده في لبنان خلال الصيف القادم جلسة في ديوان وزير الصحة فتقرر عقد جلسات المؤتمر بين العاشر والثالث عشر من شهر تموز عام ١٩٤٣ اما الموضوعات التي ستطرح للبحث في المؤتمر فهي امراض الرئة طلياً وجراحياً ، مناخات لبنان ، مميزات مصايفه ومشايتيه والبحاث طليية اخرى هامة .

بغداد ٨ - قررت حكومة العراق ايفاد من يمثلها الى الهند لشراء مختلف البضائع لحساب دائرة التمويل . القاهرة - تتخذ وزارة المعارف المصرية التندابير اللازمة لانشاء المعهد الثقافي المصري في لندن على ان يكون هذا المعهد تحت اشراف السفارة المصرية وسيقوم المعهد بتنظيم محاضرات واحاديث ثقافية عن مصر والشرق العربي .

واشنطن ١٠ - صرح المستر جيمس سايس مدير الشؤون الاقتصادية العام الاميركية بان سنة ١٩٤٣ ستشاهد تطبيق الخطط المرسومة لنزو اوربوا وهذا النزو سيؤلف اعظم عملية حربية عرفها التاريخ حتى الان . واشنطن - اعلن تطهير جزيرة وادي الكنتار من القوات اليابانية وكانت غسائر اليابانيين في تلك الجزر وحدها ما يقارب الخمسين الف قتيل واكثر من الف ومائة طائرة واحدى وسبعين باخرة القاهرة ١١ - احتفلت الامة المصرية اليوم بعيد مولد جلالة الملك فاروق الاول ملك مصر .

موسكو - تبين ان اسباب ترك الالابان عدداً كبيراً من السيارات والطائرات اثناء الزحف الروسي ناتج عن قلة البنترول ويسرع الروس الان في الاستيلاء على منابع الفحم الغنية في حوض دونيتز .

روما ١٣ - اعلان رسمياً استقالة اعضاء وزارة البانيا ولم تذكر اسباب . واشنطن - اذاعت شركة ستاندرد اويل في نيويورك بيان انه يوشر انتاج المطاط الصناعي المستخرج من رواسب زيت البنترول في احد مصانعها وان معدل الانتاج السنوي في هذا المصنع سيكون مليون

أطار من اطارات السيارات في السنة ، وقال انه ينتظر تأسيس ثلاثة مصانع أخرى من هذا النوع في خلال الأشهر الثلاثة المقبلة .
انقره ١٤ - استدعت حكومة انقره سفراءها في روسيا ورومانيا وبلغاريا للاجتماع في العاصمة التركية . مدة ثلاثة ايام وذلك على اثر محادثات كشرشل اينونو في اطله .

واشنطن ١٥ - أعلنت وزارة الحربية الاميركية ان الجنرال مالك ارنور قائد جيوش الحلفاء في استراليا والباسيفيك اجتمع بالمارشال ويغل قائد جيوش الهند البريطانية لوضع خطط الهجوم الكبير على اليابان تشترك فيه جيوش الهند والصين وغيرها من قوات الحلفاء . لندن - صرح المستر ايدن خلال مناقشة في مجلس العموم بان الموقف يتحسن بنية توحيد الفرنسيين وقال انه يعتقد ان هناك دلائل شجعة فان الفرنسيين يتمكنون من تلقاء انفسهم وان اهم شي . لكسب الحرب هو ان يتحد الفرنسيون الذين يؤيدون القتال ضد المانيا واكد المستر ايدن انه لم تعقد في الدار البيضاء ولا في سواها اتفاقات سرية بين بريطانيا العظمى واي كان .

انقره ١٧ - يؤخذ من اقوال المقامات الروسية في انقره انه يتظار ان يصدر قريباً التصريح الذي يحدد العلاقات بين الروس والترك وسيكون ذلك فاتحة عهد جديد بين الدولتين . لندن - زار الوفد الصناعي التركي مصناً للطيران ف كلم رئيسه موريا عن اعجابه بالجهود الحربي الذي يبذله الشعب البريطاني ونوه بالصدقة القائمة بين تركيا وبريطانيا العظمى واتنى على العمال وروح التنظيم والطاعة في المصانع . بيروت ١٨ - وصل فضامة الجنرال كاترو عائداً من لندن بعد ان زار الجزائر وصرر فاستقبل بالحفاوة التي تليق بمثل فرنسا المحاربة في هذه البلاد ، وبارش استقبال المئين والزوار من مختلف الطبقات العالية .

نيويورك ١٩ - وصلت الى ميناء نيويورك البارجة الفرنسية ريشليو بالرغم من اصابتها باضرار ، وجاء ايضا الى هذا الميناء الطراداة الفرنسية مونشكام والمفهوم من الامدمرات الاميركية هي التي قامت بحراسة ريشليو ومونشكام . من دكار حتى الولايات المتحدة . واشنطن - اذاع المستر مالك ثات رئيس لجنة القوة في الرجال بانه بعد اسبوع سيكون لدينا سبع فرق وبمده شهر واحد سيكون لدينا ٢٨ فرقة وسيلبلغ عدد الرجال الذين انضموا الى الجيش هذه السنة وحدها يوازي عدد الذين انضموا الى الجيش الاميركي في العام ١٩١٧ و١٩١٨ ونتم قائلنا : اننا ننشي قوة مسلحة لم يسجل التاريخ مثلاً لان الحقائق الرائعة تبين حاجتنا لقيام بعملنا على افضل وجه .

واشنطن ٢٠ - اذيع ان الجنرال الكسندر في قائد اعلماً لجميع القوات الخليفة في تونس على ان يكون بمثابة مندوب للجنرال ايزنهاور الذي يتولى القيادة العامة في شمالي افريقيا وقد جاء الجنرال الكسندر الى ليبيا وبشر اعماله . واشنطن - تائفت لجنة خاصة من اعضاء الكونغرس الاميركي لدرس ما يجب تأمينه من القواعد في المحيطين الهادي والاطلسي فيسبل سلامة اميركا ومن المرجح ان تحتفظ اميركا بعدد كبير من القواعد بعد الحرب ايضاً . لندن ٢٢ - وصل الى عاصمة بريطانيا العظمى الجنرال شاديك دي لافالان عضو البعثة العسكرية الفرنسية لدى الجيش الهارزيلي وقد وضع نفسه تحت تصرف اللجنة الوطنية الفرنسية .

موسكو ٢٢ - وصلت القوات الروسية الزاحفة باتجاه دنبر - بتروفسك الى بعد ٣٠ ميلاً من هذه المدينة ومن منجنى الدنيبر وبدور قتال عنيف جداً في منطقة كراتوآرمسك وفي غربي كراتوندار تقدم الروس وانتزعوا مواقع جديدة وفي جنوبي اوريل عبر طابور روسي النهر واحتل عدة مواقع هامة ويزحف الجيش الروسي غرباً في منطقة خركوف .

باريس ٢٥ - اذيع على جميع الضباط والجنود المسرحين ان يسجلوا اسماءهم لدى البوليس . انقره - اذاع رئيس الجمهورية التركية عصمت اينونو بياناً على الشعب التركي اوضح فيه موقف تركيا من الحرب الحاضرة وقال اننا لا نضمر روح العداء لاية امة من الامم وهدفنا الوحيد هو حماية اراضيها وكيانها وشعبنا . لندن ٢٦ - ارسل ملك اليونان برقية وجهها الى الرئيس كاليبين يعهن فيها شخصياً ولسان شعبه عن اعجابه بالقوات السوفياتية الباسلة وعن ثقته بها ان يراها يوماً تسحق الباغيين الالمان الظالمين . لندن - تقيد التدفيرات الزحيجة ان اكثر من مائة الف طن من القنابل القيت على المانيا واطاليا وبعض اراضي اوروبا المحتلة من قبل سلاح الجو الملكي و ٥٠ الف طن استقطت على اهداف عدوة اخرى وذلك في خلال الاثني عشر شهراً الماضية .

لندن ٢٧ - المفهوم ان السيدة شان كاي شك دعيت لزيارة بريطانيا بعد انتهاء زيارتها لأميركا وهناك ما يبعث على الاعتقاد بانها تلي الدعوة . القدس - اعلن ان مدة السير هارولد ماكاييل قد انتهت في فلسطين وجاء من لندن ان مدته جددت عاماً اخر ابتداء من

٣ اذار القادم .

في تربية النفس

لا جدال في ان المعرفة هي خير مطية في مراحل المثل الاعلى ، لكن لله ، ما اكثر الذين يعرفون الخير ولا يتبعونه ... ما اكثر الذين تعوزهم الارادة الكافية لبلذ جهد دائم مستمر يكون من شأنه التغلب تغلباً حاسماً ، على الملكات الرديئة والاهواء السيئة . لذلك كان ما يطلب الى المري اولاً ، ان يعلم تلاميذه كيف يريدون ، فيجعل منهم اناساً يوسعمهم الحكم حكماً صحيحاً على الحوافز والاسباب الدافعة الى العمل ، والتمييز الواعي الحصيف بين السبل المختلفة المتعارضة ، لاختيار السبل الارشد . ويطلب الى المري ثانياً ، وقد علم تلاميذه كيف يريدون ، ان يعلمهم المحبة . فالشر كل الشر ان يعتقد الناس بأن ثمة حالات يستطيع الانسان فيها ان يعامل اخاه دون محبة . فهذه الحالات لا وجود لها مطلقاً . للمرء ان يقطع غصناً ، او يطحن حبة القمح او يحرق الحطبة ، دون ان يحتلج قلبه بشعور ما . اما ان تزل بأنسان قدمه ، على مشهد من انسان آخر - سواء أكان مجهولاً منه ام معروفاً - فتتطلق عفواً ، من اعماق المشاهد ، صرخة : « الله ا » ومعناها : « وقت شر العشار » فذلك امر طيبغي ، وتلك هي صرخة المحبة العفوية المتبادلة بين الانسان واخيه الانسان . الى انحاء هذه العاطفة العفوية وتغذيتها ، يجب ان تتوجه عناية المري ، حتى تصبح عاطفة حب خالص . ان المحبة هي القلب النابض في جثمان البشرية ، وسكون القلب النابض هو الموت في شر مظاهره .

وليس هذا النوع من التشويق او تربية الذات الانسانية حلاً من الاحلام ، او وهماً من الاوهام . ففي النفس البشرية مزيان تجملان ذلك في حكم المستطاع ، ان لم نقل في حكم الميسور : للانسان اولاً عقل يمتاز بالانطواء على ذاته ، والرجوع اليها بالتدبر والروية ، وهذه هي مزية درس الانسان لذاته . وثانياً يمتاز بحساسية النفس وتهذيبها واصلاحها ، وهذه هي مزية تكوين الذات .

وهكذا فالمرء الذي يستعيد ذكرى اعمال سلفت ، ويلاحظ اعمالاً تحصل في حاضره ، فيقابل بين ما فعل ويفعل ويهم ان يفعل ، يستطيع التعرف الى ذاته . لكن مزية الانسان الفضلى هي ، بعد تعرف ذاته ، قدرته على تكوينها وتوجيهها في سبل الخير والمحبة .

القول في هزلنا

بشعر محمد كرد علي

رئيس للجمع العلمي العربي بدمشق

الهزل ينفع في الاحايين ، والجذ نافع كل حين . والهزل يدخل المرح على النفوس المتعبة ولا يستغنى عنه الانسان وهو عون له على الجد ، فاذا استكثر منه يسمج ولا ينفع . ويقاب الهزل على من كان تحصيل الرزق هيناً في ارضه وهم بعض الفراغ يكونون فيه الى اصحابهم واهلهم ، وربما كانت الدعابة من شأن اهل المناطق الحارة اكثر من المناطق الباردة . والمرء على كل حال مغلوب لهوائه ودم آبائه .

يكثر الهزل في الحواضر لانها لا تحلو ابداً من متبطلين يعيشون على الهامش عيشاً اتكالياً او من اناس يكون عيشهم رغداً بدون سعي عظيم . ويدعوهم اعتدادهم بانفسهم الى الاسترسال في التهلكم ويساعدكم على ذلك دعواهم انهم تحضروا اكثر من سكان الاراضي والارياف والصحارى والجبال ، ودقت اخواقهم ورتقت حواشيه وحسن هندامهم وزينهم ، ولطفت مجالسهم واسماهم . يهزون بن لا يرضيهم شكله وثوبه ، ولا تروهم لهجته وحركته ، يسخرون من الفلاح والبديوي ، ومن الغريب والطاوي . ويتعاشون السخوية بن وقر في نفسه انه متمدد وجار من امة عرفت بانها من الشعوب الراقية .

دا . الاستهزاء . قديم في العرب . فقد حدثنا القرآن ان من ضربوا الايذاء الذي كانت قريش تؤذي به الرسول عليه الصلوة والسلام في مبدأ دعوته الاستهزاء . رد فكفاه الله شرهم . وبذلك المستهزئين . ورأينا اهل الشام اي العرب الذين تولوها في الفتح ، منذ القرن الاول للهجرة يستهزئون برجال الدولة ويقعون الخلفاء . فن دونهم القاباً غريبة يقصدون بها السخوية منهم والولع بهم .

ومن جعلوا الهزل ديدنهم واغرقوا في استهالة لا يلتفتون فيها الى حداثي يدأوا به ، وقد يؤدي هزلهم الى ايلام من يسخرون منه . ومنه وابداؤه باله وجسمه ، يخلون ما يخطر لهم من المساخر اتيح تمثيل ، يعيشون بين يهون عليهم العيب به لا يبالون عاقبة ما يجنون اذا كان في هزولهم ذريعة الى ضحكهم واضحاك رفاقهم . ومثال هذه السخوية المؤذية ما ارتكبه ضيفان الشاعر الواساني في قرية حمرايا غربي دمشق ووصفه في قصيدته الرائعة التي اوردها صاحب البيتمة . ومن الغريب ان معظم ما اجترحه اولئك الهازلون من قبل اكثر من ألف سنة مازال مألواً الى اليوم في بعض البيئات الشامية .

رأيت وصحت ان من الهازلين من يشق . معطف من يرزأ به او صدرته او قبعته او قفطانه او سراويله او طربوشه او عمامته او حذاءه او نعله او يزقها جميعاً . ومنهم من يقطع له لى تارجياته او يكسرها او يسرق له او يكسرها كأساً او اتا . او شوكة او معلقة او تحفة طريفة او يزق له قاشه او رباشه او لحافه او فراشه او طنفسه او ستارته او فوطته . ومنهم من يبلغ به حب الاذى اذا وجد صاحبه مستلقياً او نائمياً أن يشك احد اطرافه فيخط او دبوس فتتأثر بفعله بعض اعضائه متى تحرك ، ومنهم من يطعم المستهزأ منه لقمة مغموسة بشي . يضرب بصحنه او يثني نفسه او يشقه مادة يكثر بها سعاله وعطاسه الى آخر مخترعاتهم السفهية .

ان من لم يرزق خطأ من ادب النفس لا بدري كيف يهزل الهزل الجليل ، ولا كيف يتهمك التهلكم الذي يسر ولا يسو ، وهزل الناس فرع من ادبهم يسو يسوم وينشط بالخطاطة . ومن الهزل الفطحي ان بعض المفزطين في هزلهم قد يمتنعون اكاذيب مضرة تجوز على سامعها كأن ينعون اليه زوجته او اباه او امه او عزيزاً عليه وهم ينظرون الآسى على ما حل به فيلطمون وباطهم . وهذه (المقالب) واحدها مقالب كما يسميها المصريون او (التراكيب) واحدها (تركيبة) كما يدعوا الشاميون) خالية من النوق وفيها الغفظة والغفظة كلها ، لا يقدر فيها اصحاب الهزل مدى الخطر الذي ينشأ من هزلهم هذا .

عرفت رجلاً في مصر جمع الى نبل المحدث جميل الادب ، وعرف بابتداع (المقالب) يقصد بها ادخال المرح على اصحابه وتسليةهم فيما

لا تهتر له اعصابهم كثيراً . كأن يوم بالواسطة عقوبة صديق له ان سير زوجها هذه الايام فيه ما يدعو الى الزينة فتعذب عليه وتعاقيه وقد يدعو جماعة من معارفه الى تناول الطعام في دار صديق لهم يوم كذا فيخف المدعوون كلهم الى دار صاحب الدعوة المزينة في الوقت المعين .

ورأيت في دمشق رجلاً صرف عمره وهو يهزل بعض ساعات النهار والليل مع اصحابه ومعارفه ، واصحابه كثير تحتاف درجاتهم في المدينة والثقافة تجلب الباهم بما يسهم ، وما عرفت عنه انه اغضب انساناً بهزله ، ولا اسأله الى قريب ولا بعيد بنقده ، او ظهر من كلامه بذادة وهراء ، اذا اجتمعت اليه لا تحب ان تفارقه لكثرة ما يسهمك من تكلم ويورد على مسهمك من قصص ونوادير وبعضها واقعي تطيب بما يزعجها به من افواويه ويبرزها كلها في قالب شفاف من رقيق حسه وصائب نقده ، وينسب بعض قصصه الى نفسه على الاكثر مخافة ان يركب كبيرة الغيبة والنميمة ، وفي هزله درس اخلاق ونقله عادات .

ومن الهزل الذي يتعدى الخصوصيات الى العموميات ما اعتاده بعضهم من قلب الجدل الى هزل فيما يخالف افكارهم ويعملو عن تصوراتهم وعقولهم ، وهو من الفريق الذي يشق عليه ان يتفرد انسان بزية ويتقدم عليه ان يشاركه فيها . ولقد ينفع المستهزئون من هزؤ بهم فيكون استهزؤهم بهمازاً يدفع بهم الى التصاب في آرائهم ويتقدمون بالاعتاد ويكون نجاحهم في عنادهم وصبرهم على مرارة الاستهزاء . وربما اثر تهكم المتكلمين ببعض ضغاف النفوس فصدتهم عن مقاصدهم واتى على معنوياتهم او على مآذيتهم او عليهما معاً . وقد تفرغ هذه الفئة الخبيثة كلامها في قالب النصح والشقوة او التخويف والتخدير ، والقصد ما لتجمل له وضع العقبات في طريق من يزعجها عليها محالكتهم . وكل من قرينة ضاعت بفعل المستهزين فما انبعث الى الحد الذي كان مقدراً لها .

ادركت عهداً كانوا يعدون فيه الفسائين وارباب الحرف الحرة من اصحاب الصناعات الدنيئة فيبرزون بهم علناً . رأيتهم يتكلمون بالموسيقار والمغني والشاعر كما يسخرون من الممثل والصحافي والمحامي . ومن ثبت من ابنا هذه الحرفة وما بالي باجمع من عبارات السخرية ، يأت عليه عقد ان او ثلاثة من السنين حتى شهد بعيني رأسه اكثر اوائلك الماخذين يرجعون عن هزؤهم القديم ويقولون ان هذه الصناعات شريفة لا يباي بها احداً . لمن آس من نفسه استعداداً لها . وكنت استأثر . وانا اشهد قحة المستهزين بالموسيقارين والمغنيين والشاعرين ثم من المثاليين والصحافيين والمحامين لم لا يهزؤون يا ترى بالمرزوقين والمرتشين والمتجسسين والسارقين ، ولا من يذبحون باسم الذين يجتمعون ويظنون ويناقشون ؟ كانهم ما وصل اليهم حديث الموسيقى والفن والشعر وما كان لها من رفيع المثالة في الدول العربية الاولى ، وكانهم ما سمعوا ان التمثيل والصحافة والمحاكمة نوع جديد من الادب والتربية والقضاء ، يعدها له في الغرب من اعظم الناس ، ولكن كتب للشرقي ان يستريح الى هزله اكثر من جده وللغشقة . من اهله ان يجدوا سبيلاً الى العبث بن لا يستحقون الا الاحبار والاعظام .

لما شرع ابو خليل احمد القباني في دمشق باقامة بيان التمثيل العربي وانشأ بضع روايات مسرحية من تأليف ونظمه وتلحينه كان المستهزئون من اعداء التجدد ومن حساد فضله يصغرون باوصاف يضنونها معنى التعقير وما زال الاغبياء الباطل عليه حتي استصدروا ارادة سلطانية باقتال مسرحه فرحل الى القاهرة وهناك ظهر نبوغه . وقدما قالوا ازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه . ولاني خليل هذا قصة تبين بعض مكانته عند العقلاء حدثني الثقة ان احد اعيان دمشق احتفل لتلاوة قصة المولد النبوي ، وكان الولي مدحت ياشاً رأس تلك الحفلة وهو حامي السيد القباني والمعجب بأدبه .

ولما حان وقت تلاوة المولد نادى الولي صاحب الدار وقال له قل لاني خليل القباني - وكان في آخر صفوف المدعوين - ان يقرأ هو المولد . فدهش صاحب البيت من هذا الاقتراح ورأى فيه افتئاتاً على العلماء . وقد جرت عاداتهم ان يتكلموا بتلاوة هذه القصة في مثل هذا الحفل يقرأونها في نسخة مطبوعة . شكره ثم عاد الولي فأكد امره مرة ثانية فما وسع صاحب الدار الا ان يمثال امره ، فارتجل ابو خليل قصة المولد واخذ يعدد اعمال الرسول في هداية للشر بنعمة جميلة . واسلوب بديع فكان الباشا يبكي ويشق طوال ساعة المولد . اما هو فما قصد باختصاص القباني بقراءة السيرة النبوية الا ليقول لاولئك الشيوخ الرحيمين ان المسألة مسألة علم وادب لا مسألة القاب ورتب ، وان هذا المثل الذي تسخرون منه لا تلحقون غباره في كثير من الخصائص التي تفرد بها .

ويهزؤ القدم بن يجدون فيه مجالاً للهزل في نظائره واذ لم يظفروا يشي . من ذلك اختعروا واخفقوا . ومن قصصهم في ذلك ان

العقد الطويل



سألتُ له الله ان يهدأ
رفيق لحصرك ما ينثني
أطال على الصدر تعريجه
وراح وجاء فلما اهتدى
فيا ست عفواً فان الذي
على ربوتي لذّة واشتها
وعب من الأرج العنبري
وشارف عند سقيط القميص

فقد تعب العقد مما رأي
وكم قصر العقد كم إبطاً
ودار بكترين قد خبنا
تدلّى ولكنه أجلسا
تعلق بالصدر ما اخطأ
أطال الاقامة واستمرأ
مخافة في العمر ان يظلمأ
نعم العيون الذي لألا

ابن نخله

ARCHIVE

السيد محمد عابدين اعظم فقها القرن الماضي (كان ابوه تاجراً وثقته هو في الدين لا المتولي القضاء او الافتاء ، ولا لينال الخطوة من الرؤسا والامراء ، ثقته ليخدم الشريعة وينفع الناس بعلمه . ولا بدأ يؤلف وهو دون العشرين استعمل معه بعض المشطين طريقتهم في السخوية فكان يسلم لخرؤهم ويتجاهل ما يريدون من تكلم ، علماً منه بأنهم يكررون به ويحاولون صده عما عقد العزم على المضي فيه . وما زال يصم اذنه عن مهازلم حتى اشتهرت تأليفه وفتاواه في حياته وكتب له الخلود وللآخرين الحزي . ولو عبأ ابن عابدين بالمستترئين لضاع على الامة عالم عظيم نظم لها فقها المبعثر كما ضاع عشرات من العلماء بفعل المهازلين .

ولا ازال اذكر ما كان يلقي طلعت باشا حوب من سخوية بعض معاصريه عندما كان يغاضهم في انشاء مصرف يحفظ للمدبرين بعض ثروتهم ، ويطلبهم على مسائل اقتصادية ومالية كانت وفقاً على الاجانب يستأثرون وحدهم بشركاتها وكان كلما سخر الساخرون منه اشتد هو في جده حتى وفق الى انشاء بنك مصر ورفع عن امته عار الجهل بسياسة المال . وما افلح في الحقيقة الا لما جعل هزل المهازلين دبر اذنه ونحت قدمه .

ربما كان المهازلون في الشرع اقل فحة وسلطنة قد لا تعهد عند الغربيين ، هذا اذا حكمنا على هؤلاء ببجلاتهم وجرائدهم الفزلية وذلك لانهم يرون من سنن الادب ان يكتبوا افكارهم مع من لم يرتضوا حاله وقد افترأ أن يتركوا كل امري . وما يختار . فهم لا يمتقون عاملاً ولا يوزنون لانهم احتقار شي . يرجى ان يأتي منه نفع ويقولون ان لم يكن الامر الاستعداد الكافي يسقط علمه من ذاته ، فالاولى ان تلقى عليه تبعة ما يحاول القيام به ويهل وبطاول على الزمن يهديه الى ما لا يعلم . ثم هم لا يقطعون عاملاً من علمه ولا يقيمون امسامل عاثة في طريقه ، وهم ولا شك اقدر منا على ضبط النفس وكتمان العواطف ومراعاة الظواهر واستعمال الجسد بقدر والمزلة بقدر .

محمد كرد علي - دمشق

العلم الصحيح

بشر فدري حافظ طرفانه

عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجميعات العلوم في
انكلترا وامريكا ومجلس التعليم العالي في فلسطين

ليست

الشهادات والالقاب العلمية دليلاً على وجود روح علمي في حاملها ، وليست المطالعة والقراءة بما توجد هذه الروح ، فقد تكون لدى بعض الناس شهادات ، وقد يكون لدى بعضهم القاب ، لكن ليس من الضروري ان يكون في هذا ما يدل على انهم يحلون روح العلم الذي يرشد الى الحق والمغدى سائرهم على ما يقتضيه هذا الروح . من محل باخلاص سامية وتكسك بفضائل كريمة . وقد نجد انساناً يقرأون كثيراً ويصرفون معظم اوقاتهم في المطالعة ، لكنهم لا يخرجون من ذلك بما يوسع افهامهم آفاق الشعور والحكمة .

يدرس الانسان (ويجشو) دماغه بمعلومات مختلفة ، ويجادل ان يقف على تفصيلات في بعض نواحي المعرفة ، ولكن كل هذا لم يغير من روحه ولم يطلعه بالطابع الخاص الذي يمتاز به حمة العلم الصحيح ، ذلك لانه لم يهتم بالجوهر ولم يخلو ان يقتضي وان ينوص على الحقائق والمغاني ، فيخرج من هذا بعلم ناقص يكون وبالا عليه وعلى غيره ايضاً فيعتقد انه قد علم وانه قد احاط بما لم يحيط به غيره ، ولهذا فهو يحتفظ به ولا يخرجها الا بشئ ، ويباهي الناس به ويجعل من معلوماته وسيلة لتعويض جاه او مركز ، فيحقر من دونه ويمجد من فوقه ، وقد نسي ان هذا ليس من العلم في شيء ، وان نتاج العلم الصحيح هو خلق روح العلم الصحيح من تواضع الى تكبران للذات الى اخلاص للحقيقة الى تقان في الحق وتعبيد له ، ان العلم الصحيح يقضي على الانسان ان يعمل على نشره لان في ذلك اظهاراً للحقيقة واعلاء لشأن الحق .

ان العلم الصحيح يقضي على الانسان ان لا يحقر من دونه وان لا يمجس من فوقه وان لا يباري به السفاه . ان يعلم به وجوه الناس . قال عليه السلام : « من تعلم العلم لاربعة دخل النار : لياهي به العلم او يباري به السفاه . او يميل به وجوه الناس او يأخذ به الامراء . »

ان العلم الذي لا يخفى في صاحبه روحاً يحمله بأسمى الفضائل

ولا يجعل منه انساناً يبتغي الحق لوجه الحق وحده ، تواضعاً عاماً لا منتجاً يعمل على توسيع افق المعرفة بالدرس المتواصل والتفكير في خلق الله ، والسعي لتفهم ما يجري حوله ، اقول ان العلم الذي لا يخرج صاحبه بهذا كله ليس علماً صحيحاً بل هو علم ناقص زائف لا حياة معه ولا تأثير فيه ، ليس فيه منافع او نفع .

ان في العلم الصحيح حيوية وتأثيراً وان يستطيع انسان ان يحصل على هذه الحيوية وهذا التأثير الا اذا فكر وتعمق ودقق وتابع واهتم بالالباب ودرى بالقشور واخذ بالجواهر .

لا يقاس علم الانسان بقدر ، بل يقاس بما يجده من حيوية وتأثير على حامله ، فقد يكون علم الانسان محدوداً ولكنه نفذ به الى الجواهر وعاض على الحقيقة فوجدها ، وعندئذ نجد ان هذا المقدار المحدود (المقتل) من العلم عاد عليه بالسمو النفسي وبالاتقارب نحو الكمال الروحي ، وهر بذلك خير من ذلك الذي قطع شوطاً بعيداً في جمع المعلومات ولم يعرف كيف يعضها وكيف يستفيد منها ، فلم يخلق فيه روحاً علمياً ، وراح يظن انه قد علم وما درى ان الانسان ما يزال عالماً ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل . ان العلم الصحيح يخلق في الانسان فضيلة العلم بما ليس يعلم ، وهذه هي من اسمى الفضائل التي يورثها العلم لحامله ، تسمو بالانسان وترفع مستواه ، لو تكسك بها الناس لما تعقدت مشاكهم ولا زادت متابعهم ولكانوا انعم بالا وهدأ حالاً ، ولما تحبط العالم تحبطه الحاضر بالمرور والانانية .

فلأخذ الانسان العلم صحيحاً وليحاول ان يقف على ما بلغه العلم من كشف انظمة الكون ونواميس العالم ، وليسع ان يحيط به احاطة معرفة وتدقيق ، وليبذل في الانتاج العلمي اخصب مجهود واحكمه وليعمل على اعلاء شأن الحق وتعبيده وليسكن شعاره : الاخلاص للحقيقة . ففي هذا كله عبادة سامية تدفع بالانسانية الى حيث السمو والكمال .

فدري حافظ طرفانه — نابلس

عبد الملك بن مروان الاديب الناقد

بفلم عبد العزيز أحمد

رئيس قسم المعاجم بجمع فؤاد الاول
ومدير كلية داروق الاول الشرعية ببيروت

كان عبد الملك احد هؤلاء . وواسطة عقدهم با وهب من صفاء طبع ودقة حس وجميل تأديب وحسن ثقافة معروف كيف يستفيد من ادبه وثقافته ويستأجرها غير استغلال ، يرضى بذلك نزعتيه الفطرية وذوقه الفني ويحفظ بها على الدولة كرامتها وللخلافه هيبته وجلالها ويرعى العربية حقاً ، يحنى كل الحشية ان يوجه اليه نقد او يلاحظ عليه نقص ويحاسب نفسه حساباً دقيقاً بصدوره اجابته لمن سألته : عجل اليك الشيب يا امير المؤمنين فيقول .. كيف لا وانما اعرض عقلي على الناس كل جمعة .

وبلغ من شدة حرصه انه كان يغري الناس بتشذوق الادب وتغير الكرم من مآدته . ينتهز الفرصة وخلق البال من شؤون السلطان لينفوخ الى نفسه بينهما بطرف الادب وجيد الحديث ، فجعل من قصر ندوة أدبية يجتمع فيها كل من راققت بضاعته الفنية فلا يجد لها نقاقاً الا عنده . يقيم المآدب العامة يحضرها الناس من يعرف ومن لا يعرف .. فيتباح للعرب ان يرى قصر الخليفة ويتبها بزاده ، وان يمرض ما ادخره لسوق الادب هذه وكان هم الخليفة ان يستعرض ما عندهم من بضاعة ينتقل على موائدهم متحدثاً سائلاً ، فيذكر ناز المناقشة والمناصفة بين الحاضرين بآليقيه من سؤال ويقترحه من مسألة ، وكثيراً ما اختفروا في الجواب فكان قوله الفصل . واذا بهم قد افادوا ادباً غذى عقولهم كما استردوا طعماً تمتلته اجسامهم .

ومن لطيف ما يروى ان اعرابياً حضر مأدبة من هذه المآدب فانكره الخادم واتهمه بأنه جاسوس فيجالد الاعرابي محاولاً دفع التهمة عنه ولكن الخادم اصر عليها ونقض عليه زاده فلم ينقذه الا وقوف الخليفة يالذته وسؤاله الحضور عن معنى بيت من الشعر وقائله مغرباً لطيف بجازة . فاطمعت المكافأة الخادم واتيحت للاعرابي فرصة الانتقام ففكر بالخادم ولقنه جواباً خطأ .. مما صممه عبد الملك حتى اغرق في الضحك وسخر منه لسوء اجابته فاعتذر الخادم بتجديده الاعرابي اياه وبرر الاعرابي فعلته بان الخادم

حديثنا عن زعيم من زعماء العروبة وهادٍ من هدايتها عربي الاصل ، عربي البيئة ، عربي الشعور شديد التيرة على لغته نجد في اعلا شأنها ، ذلك هو عبد الملك بن مروان الخليفة الاوي ، لم يكن بالمستضعف او المدهان او المأفون كما قال عن نفسه . صارع الحوادث فصرعها ، واعترضته الصعاب فذلها ، لم شتات الامة وقد كادت الفرقة تهد كيانها وخفف من حدة العصية وقد اوشكت ان تضعضع بنيانها .

كان ذا رأي سديد وعقل حصيف وتدبير حكيم وقدرة على تصرف الامور وبصر باللغة والادب قل ان يجتمع لمثله . ولد بالمدينة في خلافة عثمان (٢٣) وقد ربي تربية عالية ونشأ نشأة دينية خالصة .. حفظ القرآن الكريم ووقف على اسراره وروى الحديث عن كثير من الصحابة فكان احد فقهاء المدينة المعدودين وشغل باللغة والادب شغلاً لازماً طول حياته . ثم ولي الخلافة فكان المصلح الماهر والسياسي المحدث والاديب الذي لا يبارى . حياة حافلة بجلال الاعمال ، اقتطعت من عمر الدولة الاموية زهاء عشرين عاماً ، عادت على اللغة والادب بالخير الجزيل . وهذا هو موضوع حديثنا ، فلننا نعرض للسياسة واحداً ، ولا ما بذل في سبيلها حتى تولد سلطانه واستقامت له الامور وانما نقتصر كلامنا على مساله اساس الادب او مظهر من مظاهر الحرص على اعلا شأن اللغة مصدر السيادة القومية ورمز العزة العربية .

ومن الحق ان عبد الملك لم يكن وحده الخليفة الذي عنى باللغة وادبها واهتم لاحياء ما كاد يندرس من تراثها بل هو احد ثلاثة كانوا اطول خلفاء تلك الدولة في الحكم وهم معاوية وعبد الملك وهشام ابنه فقد ولي كل منهم الخلافة نحواً من عشرين عاماً وكانت لهم مشاركة قوية في الادب وجهودا واستطاعوا في تشجيع الشعراء والادباء وحشهم على العناية بالجمع والزوينة حتى راجت بضاعته ونفقت سرقه .

نقص عليه ان يتهدأ بزاد امير المؤمنين ثم اجاب الخليفة الجواب الصحيح فظفر هو بالجائزة بعد ان اقترح عليه الا يدع مثل هذا ببابه فانه يشينه . هذا في مادبه العامة اما في مجالسه الخاصة فقد كان المجال فيها اوسع والنشاط اعم ومناحي القول منشعبة فكانت مدرسة ادبية يتبارى كل بها عنده من ذخائر الادب وطوائف اللغة ويتعلم من عبد الملك ما لم يكن له به علم .

وكان بعضها مجالس للادباء عامة والبعض مجالس سمر خاصة يجتمع فيها بولده واهل بيته وخاصته يجاورهمهم للمذاكرة والدرس يجلس من الجميع مجلس المرشد المثقف يستدري قرائهم طوراً ويمنع مخوفهم ويختبر بديهم حيناً . . وهو الى ذلك يحسن الاستماع لاحاديثهم حتى يملك عليه ذلك تفكيره ويصرفه الطريف منه عما بين يديه من طعام ولذا قال الشعي : ربما حدثت امير المؤمنين وقد هيا لعمدة فيسكها بيده مقبلاً علي فاقول : اجرها يا امير المؤمنين فان الحديث من ورثا فيقول الحديث اشهى الي منها وما كان ذلك قصور بضافته او ضعف مادته . فعنده منها الوفرة وقد عرف الشعي له ذلك وقد رده فقال : ما جالست احداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذا كرت حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه ذلك كان شأني وبلغ علمه فلا عجب ان رأيتاه يتجدي جلساءه بالمسألة فيعجزهم ثم يتفضل عليهم بالجواب .

فحينئذ يسألهم اي المناديل اشرف ، فيقول القائل مناديل مصر كأنها غرقى البيض وينهى آخر . . بل مناديل اليمن كأنها نور الزبيع فيبعدون عن الغرض ويلبسون الجواب فإذا بعبد الملك يذهب مذمهاً آخر بعيداً عما فكروا فيه فهي عنده اعراف الخيل المتناق تول عنها فرسانها للطعام والقرى ثم اعجبهم القتال فامتطوها مسرعين ولم يكن لهم ما يسجون فيه ايديهم الا شعورها المتهدل على اعناقها ولذلك قال اخاهي مناديل اخي بني سعد عبدة بن الطبيب التي قال فيها .

لا تزلنا نصبتا ظل اخيية وفار للقوم بالبحم المراجيل
ورد واشغر ما يؤبه طايحه ما غير التلى منه فوب . . أ كور
تحت قنا الى جرد مسومة اعرافين لا يديسا مناديل

فهي اذا ليست مناديل الزينة ولا تلك التي يتهدأ بها لحنها وبتدع وشيها وانما هو معنى امي وصورة شعرية ادوع ، فقد اراد ان ينسب الى جمال التشبيه وحسن الوصف وما في الشعر من معنى كرم في لفظ كرم . كرم وشجاعة .

او زاده يختبر بديهم فيسال جماعة من سماره وخواصه ايسكم يا اتني بجوروف المعجم في بدنه وله علي ما يتنى فيقول احدهم انا لها يا امير المؤمنين ويبدأ بالسرد فيقول . انت بطن ترقوة ثور حتى ينتهي الى آخر حروف الهجاء فيتم بوجه ، يد ، ويختر ذلك رجلاً آخر للقيام فيذكر على كل حرف من حروف الهجاء اسم ثلاثة اعضاء من جسم الانسان مبتدئاً بأنف ، اذن اسنان بطن بصرير ، حتى يصل الى الياء فيقول بين يدي يا فارخ ويهض مسرعاً فيقبل الارض بين يدي امير المؤمنين فيقول اعطوه ما تنني . وهو لا يصطلي في مجالسه الا اهل الادب بل كان يتجنب مجالسه غير الادباء فكان من جلسائه شعراء امثال عمر بن ابي ربيعة وجبل وكثير ، الذي احب الخليفة ان يكون من سماره لولا اعتذاره بدمامته ، الى جانب هؤلاء التزولين نرى جويراً والفردخت والاخلط وعمران ابن حطان وعامر الشعي وغير هؤلاء كثير من شعراء وادباء معروفين فضلاً عن ادب فأحسن تأديبه من الجواردي .

وقد كان عبد الملك يمثل الاديب الحق الذي ملك ناحية البيان وعرف . وارتى الكلام فعمل لكل مقام مقلاً فهو يجتري بالخطاطة والاشارة السريعة ويكتفي بالتلميح عن التصريح اما اطلسنا الى فطنة السامع او اغراء له بالتزود من الادب والمذاكرة فيه كما يجيد اختيار الشعر المناسب للمقام فيحسن استغلاله والاستشاد به فيقع به اجمل موقع .

من ذلك انه حين هم بالخروج لحرب مصعب بن الزبير وقد لاخت به زوجته عاتكة تسأله عدم الخروج وان يوجهه الى مصعب من يكفيه امره فيقول هيأت اما سمعت قول الاول .
قوم اذا ما غروا شدوا مأزوم دون النساء ولو بانت باطمار
فتسكي ويبكي معها جوارديا ، فيقول قاتل الله ابن ربيعة كأنه ينظر اليها حين يقول :

اذا ما اراد التز ولم ين عزه حصان عليها عقد دريزنيا
نهت فلما لم تر الهى عاقه بكت فبكي عما شجها قهنيها

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج .
كذلك كانت له ابيات يتشبه بها في بذل النفس عند اللقاء .

ويجب بها وهي قول شبيب بن الهراء .
دعاني حصن للفرار فسامني مواسن ان يتني علي فاشتا
فقلت لمسن نبح غشك اذا يذود اللقن عن حوشه ان يهدما
تأخرت اسبقني الهجاء فلم اغدا لنفسي حياة مثل ان انتفعا
سيكتيك اطراف الاسنة فارس اذا ريع ثاوى الجواد والحمى
اذا لزم لم ينش المكارة واشكت حبال الهويى بالفتي ان تجزما

بيان وادق المجاز (والأمثلة على ذلك كثيرة) فمن ذلك ان الحجاج
كتب اليه ينجيه بقوة ابن الاشعث فما زاد على ان وقع
(بضعفكم قوى)

وهذه وصية لبنيه حثهم فيها على التعاطف والاقدام والسير
بالناس وتخيير موضع الضيعة والموافق عن المسمى. يرجى منه
الحير ما يتضح فيها رأيه في رجاله الذي اخلصوا له وسياسة بنيته
نحوهم فقال اوصيكم بتقوى الله فانها ازين حلية وأحصن كنف ،
ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير
وانظروا سلمة فاصدروا عن رأيه فانه تابكم الذي عنه تقفرون
ومجنكم الذي عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذي وطأنكم
المنابر ودوخ البلاد واذل الاعداء ، وكونوا بنى ام بردة لا تدب
بينكم العقارب وكونوا في الحرب احراراً فان القتال لا يقرب
ميتة وكونوا للمعروف منسأراً فان المعروف يبقى اجره وذكره
واضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانهم اصون له واشكر
لما يؤتى اليهم منه وتعدوا ذنوب اهل الذنوب فان استقبلوا فاقبلوا
وان عادوا فانتقموا . وهاك كتاباً يصور سياسة عبد الملك . مع
رعيته ولولاه بعث به الى الحجاج وقد كتب اليه في شأن عروة
بن الزبير وكان عاملاً على اليمن اتهمه الحجاج بأكل الاموال فلجأ
الى عبد الملك فامنه وكان رأى الحجاج الايديته منه (فان الناس
عبيد العصا على الشبهة اشد استيافاً منهم على اللين) فرد عليه
عبد الملك : يمد الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فان امير المؤمنين
راك مع ثقته بصيحتك خابطاً في السياسة خبط عسواء الليل ،
فان رأيتك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذي اخرج
رجال العرب الى الوثوب عليك واذا اخرجت العامة بعنف السياسة
كان اوشك وثوباً عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون الى ضلال
الداعي ولا هداة ، اذا رجوا بذلك ادراك التأثر منك ، ولقد وليت
العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ احمى نفوقاً واقرب من عبياء ،
الجمالة وكانوا عليهم اصفح منهم عليك وللشدة واللين اهولن ،
والافراط في العفو افضل من الافراط في العقوبة والسالم .

عرضنا طرفاً من ادب عبد الملك ولمسنا جانباً من وفرة محصوره
وحسن اختباره قبل ندهش ان رأيناه ذوقاً ادبياً خاصاً يميز به
جيد القول من ضيقه ، وبصرنا بمواقف الكلام ووجدنا له نظرات
ثاقبة يتغذى بها الى صميم القول فاذا نقد شعراً عرف كيف يستخلص
جيده من رديته وخالصه من بهرجه وزائفه . واحسننا ان احكامه
الادبية تخضع لمقاييس دقيقة لنحفظها مرسومة . في ذهنه وان لم

بل زاده قد اتخذ له شعاراً اذا جلس مجلس القضاء . بين الناس
يذكرنا بما زاده في المحاكم الان شعاراً للعدل ومناراً للقاضي وهو
تلك الآية الكريمة « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »
انا اذا مالت دواعي الهوى وانت السامع للناقل
واصطرع النجوم بالبيام نفضي بحكم عادل فاضل
لا تجل البسائل حقاً ولا تاذ دون الحق بالبياتل
نخاف ان تشبه احلامنا فتجمل الدر مع الحمايل
اكان عبد الملك مضطراً الى اعلان هذا الشعار . وهل كان
من المناسب ان يكون شعراً .

الا انها التزعة الادبية قد سيطرت عليه فلم يستطع التحلل
منها حتى في ابعاد المجالس عن رواية الشعر والاستشهاد به .
هذه منزلة الشعر عنده وبراعته في الاستشهاد به في المناسبات .
اما اكتشافه بالامعة الخاطفة واجترأه بالاشارة المحيرة احياناً
فلا ادل عليا من انه كتب للحجاج مرة يقول . اما بعد فانت
كسالم والسلام . فلم يدرك ما هو ولم يفهم مغزاه فاطلق الرسل
يسأل المراد بهذه العبارة حتى اسعف بالجواب واذا به قول عبد الله
بن عمر وكان يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لاهم الناس فيه .
ياوموتي في سالم والورثهم وجالده بين الانف واليمين سالم
فكان اشارة رقيقة رفيقة الى عطف الخليفة على الحجاج
والرضا عنه على الرغم مما يكيده له الخصوم كذلك زاده ، وقد
كتب اليه الحجاج يعظم امر قطري بن العفاجة . يد عليه بحجة
محيرة ووصية لم يفهم منها شيئاً وتلك هي « اوصيك بما اوصى
به البكري زيدا »

يا لله من زيد هذا . ومن البكري . وما الوصية . هذا لغز
جديد حير مودعه الى ان يبعث من بنادي في الناس بمكافأة من يوفق
الى حله فيظفر بالجائزة رجل من امهاتهم ويعرف الحجاج ان الخليفة
اذا عنى رجلاً اسمه موسى بن جابر البكري اوصى ابن عمه
زيداً بوصية موضوعها اثاره الحرب ومن يكتوي بنارها اذا شئت
وينصحه ان لا يعرض نفسه لها الا اذا اكراه على ذلك حتى لا
يذهب ضحيتها اودحها وكانت الوصية هذه الايات .
اقول لزيد لا تترثر فاقهم برون المنايا دون تلك او فتني
فان وضعا حرباً فضعها وان ابوا فشب وقود الحرب باخطب الجزل
فان عضت الحرب الفروس بناها فعرضة نار الحرب مثلك او مثلي
فلما سمع الحجاج قال صدق امير المؤمنين عرضة نار الحرب مثله
وغيرها وغيرها كثير نكتفي منه بما تقدمنا .

اذا كان هذا ادبه وتلك تلميحاته فان له من النثر الكلمات
الرائعة والحكم البالغة المنبئة عن جودة رأي واصالة فكر وحسن

في المثل الأول وان يطيل عمود النسب في الثاني بذكر الآيا والاجداد حتى آدم ان استطاع فهي ملاحظة دقيقة وتهكم لطيف .

واللقافية عنده حظ كبير من العناية فإذا كان لموسيقى الشعر مجالها وروعتها فإن التخنث في اللقافية لا يليق ولهذا لم يعجبه من ابن قيس الرقيات أيضاً قافية قصيدته التي يقول فيها :
ان الحوادث بالمدينة قد اوجعتني وقر عن مرويته
وجبتني جب السقام ولم يترك ريشاً في مناكبيه
فلاحظ عليه انه غث في القافية وان كانت معاني القصيدة قد اعجبت .

وقد اراد الشاعر ان يدافع عن رأيه — طبعاً — فقال : ما عدوت كتاب الله « ما اغنى عني ما ليه هلك عني سلاطينه » وبما لا شك فيه انه لم يحسن الاحتذاء . فهناك تفاوت بين المذهبيين وشبان بين هذه الفواصل القرآنية في نسمتها وروحها وبين القافية ابن الرقيات هذه بعض ملاحظاته الدقيقة على اللفظ والصياغة وهذا مذهبه في تقديرها وتبليغها وهو كما نرى صادر عن فكرة واضحة وفهم دقيق وحسن مرهف .

وللألماني كذلك اعتبارها فهي من مظاهر الحسن والجودة فهو يمرض لها بالنقد فيرى فيها خروجاً على اللوق او ضعفاً يبعد بها عن الجمل على حين ينبغي ان تكون صفات الحسن متقاربة بدعوه بعضنا بعضاً فإذا لم نجد البيت المشهور :

هذا ابن عبي في دمشق خليفة لو شئت ساقمك الي قبلي
لا يرضى عنه ويقول ما زاد ابن المرافعة على ان جعلني شرطياً
اما والله لو قال : لو شاء ساقمك اسقهم اليه كما قال : كما ينفر من استهلال جرير ايضاً .

انصحوا ام فؤادك غير صاح عشة هم صحك بالروح
ويقول بل فؤادك انت ، مع علمه بان الشاعر يخاطب نفسه ولكنه استعمل هذه المواجهة .

ويقول يوماً لجلسائه اعلم ان الاحوص احق لقوله :
فا يرضه بات الظلم يحيا ويجهل بين الجناح وحوصله
باحسن منها يوم قالت تدلأ تدل خليلي اتني متنبهله

فا اعجبه وهي تقول هذه المقالة فهو يعيب عليه ان يصور دلالة المحبوبة بقولها : « اجث لك عن خليفة اخرى فاني مستبدلة بك غيرك ويجب ان في ذلك الدلال وهذه المداعبة حساناً كحسان الظلم وقد احاط بخصمه بالعناية والارابة فيجعلها بين جناحه وحوصلته . . . راية مداعبة هذه التي يتيسر لها ما يتهم مغرم وان شدة قول نصيب :

تكن مسطورة على الورق ونستطيع ان نقدر انه تصور قواعد للتقد تصد عنها آراؤه في الشعر والشعراء . ويمكن ان نرمس حدودها وتامسها واضحة جلية فلا نرى عنده تلك الآراء المبهمة والاحكام الغامضة التي جرت على السنة الادبا . والشعراء من العصر الجاهلي ، الى ذلك الوقت فنحن نعرف ان تقدمهم للشعر ورأيهم فيه لا يكاد يمدو قولهم اجل بيت كذا واشعر العرب الذي يقول الى غير ذلك من العبارات الغامضة وليدة الانفعال السريع والتأثير العارض ولم يشذ عن هؤلاء الا عمر بن الخطاب فقد كانت له نظرات وآراء في الشعر والشعراء . يبين علة تقديره ومواطن اعجابه . اما عبد الملك فقل ان يذهب مذهبه في النقد الا في النادر وظروف خاصة .

ومقاييس جمال الشعر وجودته عنده تعتمد على تحليل صياغته ومعانيه ورجاله تحليلها فيه عمق وفيه نظر متنوع وذوق في دقيق . فيجب ان تتخير الالفاظ ويحترى بها مكانها ومناسبتها للعالم فلا تعجبه كالتوضيح في غير موضعها او استعمال الفاظ غير شعرية كما يحتاج الى الاكثار من ذكر اسماء الرجال او الاكثار فلها موطن آخر غير الشعر .

ولهذا عاب على عبيد الله بن قيس الرقيات ورود كلمة البطن في شعره وقد اضيفت الى اسم مؤثر وذلك في قوله :

اسمع امير المؤمنين المدحج وشبانها
انتاب من تلجح البطاح كذبا وكدها
ولبلن عائشة التي فضلت ارميها بشانها

فلا يحتاج الى كلمة البطن هذه فليس مكانها الشعر وفي ذكرها نبو الذوق وانما محلها عند الكلام على القائل وفروها بما يتصل بالانسان . وان كان الرواة بعد ذلك قد غيروا في النص . لا يقف عند هذه الملاحظة بل يستبدل بكلمة البطن كلمة « نسل » فهي بهذا المكان اجدر واكرم كذلك زاه يعيب على دريد بن الصمه الاكثار من ذكر الاسماء في الشعر حين يسمع قوله حزينا بسني بس جزاء موفرا بمثل عبيد الله يوم الذئاب ولولا سواد الليل ادرك ركضنا بذى الرمت والادب يعاض بن ناشب قتنا ببداه خسر لدانه ذؤاب اساء بن زيد بن قارب ويقول كاد دريد ينسب ذؤاب اسماء الى آدم ثم يحتم ملاحظته بهذه الامنية الاطيفة : ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يدركه .

الا ترى في هذين المثلين دليلاً واضحاً على دقته في العنسية باللفظ وحسن اختياره ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام كما يقولون فلو كان الحديث عن القائل والانساب لجاز ان يقول بطن عائشة

اهم بعدد ما حبيت فان امت فواحرنا من ذا جيم بها بعدي
فقال بعض من حضر اساء القول - ايمنون لمن يهيم بها بعده
فقال عبد الملك : فلو كنت قائلاً ما كنت تقول - فقال :
اهم بعدد ما حبيت فان امت اوكل بعدد من يهيم بسدي
فقال عبد الملك انت والله اسوأ قولاً توكل من يهيم بها بعدك
ثم قال الجيد ان يقول :
فلا صلحت دعد الذي خلعة بعدي

ثم هو يفرق بين معنى يعجبه منه ما يتصل بالصفات النفسية
والسوء الخلقي ولا يقنع بالظواهر ولا يتجند بالعرض عن الجوهر
ويغضب لقول ابن قيس الرقيات :

يا ناني التاج فوق مفرقة على جبين كأنه الذهب
ويقول له قدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مدح صعب
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجه الظالم .

ثم يزيد الملاحظة ايضاً ويبين علة النقد فيقول - اعطيتيه
المدح بكشف العجم وجلال الظالم واعطيتني من المدح ما لا خير
فيه وهو اعتدال التاج فوق جبين الذي هو كالذهب في العضارة
ويذهب قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر الى ان علة النقد
ووجه العتب من اجل ان هذا المادح عدل يدعن بعض الفضائل
النفسية التي هي العقل والهمة والعدل والشجاعة الى ما يليق بوصف
الجسم من البهايم والزيعة .

بل نراه يعيب على الشعراء بعض تشبيهاتهم المبتذلة فيقول في
مجمع منهم يا معشر الشعراء تشبهونا بالاسد الانجر والجليل الوعر
والمخج الاجاج الا قلتم كما قال كعب الاشقر . ويروي ابياتاً من
الشعر تتصل بالصفات النفسية والخلق الكريم فيها صدق العاطفة
وصدق التصوير .

ونستطيع ان نرى امثلة مختلفة تصور نقده للعاني فجمال القول
فيها اوسع والحديث عنها كثير فهي من روح الشاعر وعقله وهي
صورة نفسية ووصف لشعوره وكثيراً ما يكون على ذلك مأخذ .
بل لقد فطن عبد الملك الى فروق ادق تتصل بالشعور والاحساس
هدام اليها ذوقه الفني وثقافته الادبية الواسعة . فالتفرقة بين شعر
وشعر قد يكون اساسها العاطفة الحادة . والاحساس الدقيق
وصدق الشعور ، فن الشعر ما هو رقيق يسحر الالب ويملأ بالقلب
من غير استئذان . وهناك عاطفة صادقة توحي بمدح او فخر ،
واحساس قوي بالجمال يلهم الابداع في التصوير فيكون ادوع
كما يتشكفه الناظم او يحاوله الشاعر .

ولهذا يعجب بشعر كثير لرقته وصدق عاطفته وهو عنده يسبق

السحر ويغلب الشعر وكان يخرجهم الى مذهب ولده محتوماً يرويههم
ايامه ويردده . ويوافق من يذهب الى ان عمران بن حطان افضل من
غيره لانه يقول وهو صادق فيقول غيره وهم كاذبون وحين يسمع
ابياتاً لشاعر اسمه ابن بن خزيم الاسدي في وصف النساء منها .
رأيت الفتوى شيئاً عجاباً لو آتس مني الفتوى الشبابا
ولكن جمع الغداری الحسن عناء شديد اذا للمرئ شابا
ولو كلت بالمدح للتأنيبات وضاعت فوق الثياب ثيابا

يقول ما وصف احد النساء مثل صفتك ولا عرفني احد
كمعرفتك . فاذا سمع بعد هذا قول علقمة بن عبدة
فان تسألوني بالنساء فاتي خير بداءه النساء طيب
يقول : قد لامعري صدقاً واحسناً

فافضل الشعر عنده اصدق ولا يعجبه ما كان عن رغبة او
رهبة فاذا سمع مدحا لاكثر سر به وقال : هذا المدح لا على
طمح او فوق ، ويبلغ منه الاعجاب بملفه فيقول : واسمر
الناس الاكثر

وميزان النقد عنده كما رأينا يتأثر بالشعور ويخضع لمعاني
المروءة والوفاء وكرم النفس والاعتدال بالكرامة وكل ما ينبي
عن سمات الرجولة . ولا يرضى عن شعر يشيع فيه خور النفس
وضعف المزة ولو كان جميل التصوير بدیع الخيال ، فجئنا يسمع
قول الشاعر لائقته وهو يلح عروانة بن اوس
اذا بلتني ولحمت رحلي عراة فاشركي بدم الوتين
فيقول : بنست المكافاة حملت رحله وبلغته بغيته فجعل
مكافأته نحرها

كما يقول لعمر بن ابى ربيعة عندها سمع قوله :
أترك ليل ليس بيني وبينها سوى ليلة اني اذا اصبر
بش الحب انت تركتها وبينك وبينها غدوة فيمتدبر عر
بقوله « يا امير المؤمنين انها من غدوات سلاطين غدوها شهر ورواحها
شهر » فيستسم عبد الملك ولا يقنع باطراب .
فهو قد رأى في الاول مظهراً من مظاهر عدم الاعتراف بالجميل
وسوء المكافاة في الثاني خلواً من معنى الملوعة ولواعج الشوق التي
تقض مضاجع المحبين وتوقد ليالهم .

كما لا يرضى عن قول شاعر تغنيق في الاسلام :
فامنك الشباب ولست منه اذا سأتكحت لحيتك الحضاها
الخ . . الايات ويفضل عليه شاعرهم في الجاهلية لانه يقول :
والشيب ان يهرق فان وراءه عمراً يكون خلاله متنفس
لم ينقص مني للشيب قلادة ولما بقي مني الب واكيس
فلا ينبغي ان يصور الشعر خور النفس وضعف الجسم وليس

من الضروري ان يصحب تقدم السن وهن القوة، فتتوزع القلب وصدق
الزينة لا يضعها شي . وقد رأينا انه يفضل ما يثل الاعتزاز بالنفس
او يشعر بالعلم ويحث عليه فتعجبه آيسات ممن بن اوس المزي
ويفضلها على غيرها مما سمع مرة في مجلسه لما تضحته من المعاني
الكثرة فانها هي رمز للحلم ومضادة المني. وصلة الرحم واين
الجانب حتى يسلس له قياد النافر ويكبح جماح الشارد .
وهذه الايات هي :

وذي رحم قللت افكار ضفته بحلي عنه وهو ليس له حلم
اذا سته وصل الغربة سامني قطعتبا تلك السقاة والنظام
ويسى اذا ابني ليدهم صالحي وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
يحاول دغمي ولا يحاول غيره وكلاوت عندي ان يحل به الرغم
فما زلت في لبن له وتعلم عليه كما ينو على الولد الام
لاستل منته الضن حتى سلاته وان كان ذا ضن يضيح به الحلم

وهكذا زى فيها صورة نفسه ورواة تنمكس عليها اخلاقه
ويوافق سياسته .

على انه ان ينسى ان اكل شي . حذا فلا يرضى ان يضع له
حق او ينال على ضم وزن الامور ويواجهها بما تستحق من عناية
وينفذ فيها رايه القاطع ويضع لكل شي . حذا ولذا يطرب اذا
سمع قول الاعشى ربيعة .

وما انا في امري ولا في خصومي يهتضم حتي ولا فراع عيني
ولا مسلم ولاي عند جنابة ولا خائف ولاي من شر ما احني
وان فواداً بين جنبي عالم با ابصر عيني وما سمعت ادني
وفضائي في الشر واللب انني اقول على علم واعرف من اعني
فاصبحت اذا فقلت مروان وابنه على التاسف فقلت خير اب وابن

ويقول : من يلاوني على هذا ويكافئه ، فقد عرف كيف
يصور عواطفه وشعوره وي رسم اخلاقه وتصرفاته . ويعجبه المعنى
الذي يحيط بالمدوح من جميع اطرافه فرداً او جماعة فيفضله على
سواه فعندما يسمع بيت زهير :

على سكرتهم ردى من يتبرجم وحشد مقليم الساحة والبذل
يقول : ما ترك زهير غنياً ولا فقيراً الا وصفه ومدحه ولم
يحل مكثراً او مقلداً من بر وفضل وزاد وقد اغرى جورياً والاختلال
والفرزدق بالمال ليقول كل اجود ما عنده في مدح نفسه ، يفضل
كذلك المعنى الشامل . فعندما يسمع قول الفرزدق :

انا الفطران والشراء جبري وفي الفطران الجبري شفاء

وقول الاختلال :

فان تلك زنى زامة فاني انا الطاعون ليس له ردا

وتعقيب جبري :

انا الموت الذي اتي عليكم ليس لحارب مني غيا

يكافي . جبرياً ويقول : لعدي ان الموت يأتي على كل شي .
فهو معجب بالمنى الاخير لانه ادق واتحل . وهو مبال الى المفاضلة
بين الشعراء وبين فنون خاصة من الشعر يجرح دائماً على المعنى
الكرام فهو في كرمه كمنصر الانسان كرمه يسأل عن اكرم
بيت وصف به رجل قومه في الحرب فيعجبه تصوير كعب بن
مالك . للشجاعة والاقدام بقوله :

نصل السيف اذا قصرن بخطونا قدماً وتلحقنا اذا لم تلحق

وهو كذلك حريص على ان يجمع كل فريق من الشعراء .
يمازون بذهب شعري خاص وفن معين فقراه مثلاً وقد اجتمع
بمجلسه عمر بن ابى ربيعة وجعل كثير يسألهم انشاد ارق ما قالوا

في العوافي فينشد جميل

حلفت غنياً ما بئنة صادقاً فان كنت فيها كاذباً فعميت
اذا كان جلد غير جلدك مسني وابشرني دون الشار شربت
ولو ان راقى الموت بقرى جنازتي بقطبها في الناطقين حيث

ويستمع لكثير وهو يقول :

ياي وامي انت من مقالومة طابن المدو لها فغير حالها

لو ان عزة خاضت شمس الضحى

في الحسن عند موفق لقننى لها في الحسن عند موفق لقننى لها
جعل المالك خدودهن فالحا

ثم يعشش الى عمر وهو ينشد :

الا لبيت قريبي يوم انقضى بيتي بتلك التي بين عينيك والهم
وليت طهوري كان ريتك كله وليت حوطني من شاكلك والهم
الا لبيت ام الفضل كانت قريبي هنا او هنا في جنة او جهنم

فيقول حاجبه : اعط كل واحد منهم الفين وصاحب جهنم
عشرة آلاف .

وليس من شك في ان لكل شراً طارفاً من الرقة والجمال
ولكنه لاحظ في الاخير الى جانب ذلك معنى آخر هو الوفاء وما
بدا من حرص على الاختلاط الوثيق والاتصال الشديد والمصاحبة
الدائمة لوالي جهنم .

هذه بعض المقاييس الادبية التي على اساسها كان عبد الملك
يفاضل بين الشعراء وهي كما رأيت مستنبطة من ملاحظاته على
شعرهم ومستدل عليها بما يرون من شعر .

فهل كانت المقاييس الفنية وحدها هي اساس الحكم بتفضيل
شاعر على آخر . وهل كانت مقاييسه لا تختلف . وهل يرى من
العصية . او لم تغلب عليه الزعة السياسية .

ليس من شك في ان هذه المقاييس الذهنية كانت ذات اثر
قوي في آرائه وما صدر عنه من احكام ادبية . ولكنها لم تكن

كل شيء . ولعلها كانت تختلف أحياناً .

فله أحكام عامة كغيره من سابقيه ومعاصره يحكمون بتفضيل شاعر لبيت تأثروا به او معنى اعجبهم هي الى الغموض والابهام اقرب .

كذلك كان للعصبة اثرها وللسياسة سلطانها فقبيلة تناصر الخليفة واخرى تنسك له فشاعر الاول اثير لديه مقرب منه والآخر معضوب عليه مقصى عنه فهو يعجب بشعر الاول ليكتب الخصوم وينيط الاعداء . ويميز له المكافأة ويؤثره باكرام العطاء . ولسنا نطيل بذكر الامثلة والاستشهاد لذلك باكثر من شاعر واحد ومثال واحد معروف لكل متأدب اما الشاعر فهو الاخطل التغلبي واما الشاهد فقصيدته المشهورة .

خف الغلغرين فراحوانك ابكروا
وازعجنهم نوى في فأها غير
لقد كانت هذه القصيدة حقاً من اقوى القصائد وابغها وكانت حملة شمرية سياسية على خصوم عبد الملك اخذ بها وطرب لها لما فيها من قوة بلاغية وثورة سياسية واعلاء ل شأن الدولة وقصم لظهور خصومها حتى ان عبد الملك لما سمع منها .

شمس الدقاة حتى يستعاد لهم
واعظم الناس احلاماً اذا قدروا
قال هذه المزمرة وانته لو وضعت على رير الحديد لاذابها
وكان يتناول عند سماعها ثم قال .

ويحك يا اخطل تريد ان اكتب الى الافاق تلك البشور العذب
ويقال ان مولى عبد الملك خرج به على الناس وهو يقول . هذا
شاعر امير المؤمنين هذا شاعر العرب .

فهل كان الاخطل يحق اشعر العرب . لا شك ان الاعجاب الشديد والتأثر البالغ : « دفعه الى الاسراع باعلان هذا الرأي ، والعصبة للشاعر اذكته وقوت من تأثيره . ولم يخل دون اعلان هذا الرأي والجر به تعصب ديني ولكن هل ينتقص هذا من قدر عبد الملك او يضع من قيمة آرائه في النقد ومذهبه فيه .

لا شك ان كل انسان يخضع للوثرات المارضة غير انها لا تصرفه غالباً عن الرأي السديد ولا تبعه به عن الصواب .

وبعد فما نحن قد المنا بطرف من سيرة عبد الملك الادبية وادركنا مقدار عنايته باللغة والادب وغيره عليها وعرفنا منهاجه في النقد ودقته فيه وتبيننا مقاييسه واهدافه فبقي كان ذلك .

لقد عرفناه نحو منتصف القرن الاول يوم كان النقد الادبي غير واضح المعالم ولا بين النهج او محدود الغاية وانما عرفناه خواطر سريعة وآراء مبهمه عابداها الماطقة والاستحسان المتأثر بطُوروف طارئة وعوامل وقتية غير مستقرة .

فيكون بذلك قد سبق عصر النقد الادبي باكثر من قرنين ومهد السبيل لمن بعده بزمن طويل فرسم لهم الاسس ودفعهم الى تجري الدقة في تدوين الملاحظات وضبط الاصول وتقييد القواعد . فاذا كان النقد قد ازدهر في القرن الرابع اي بعد مضي نحو ثلاثة قرون على عبد الملك فينبغي ان نذكر ان آرائه كانت دعامة قوية من دعائه وكان له فضل السبق في الإشارة الى مذهب .

وكذلك زى لزماً علينا قبل ان نختم هذا الحديث ان نقرر في ايجاز ونذكر في وضوح ان لعبد الملك فضلاً على العربية لا ينسى . وكان تعصبه لها وحرصه على ان تكون لها شخصيتها الواضحة وسلطانها القوي اثر فعال في سياسته العملية لانهوض بالدولة العربية .

فهو اول خليفة صبغ الادارة كلها بالصبغة العربية . فالدواوين نقلت من الرومية والفارسية الى العربية والتحرر الاقتصادي تم باستقلال العملة العربية عن الاجنبية فاصبحت النقود تقرب في البلاد مطبوعة بالسلابع العربي وما توشى به الثياب كتب باللغة العربية وكانت من قبل روميه وما ذلك الا حرصاً على ان تحتل العربية مكانتها الجديرة بها لعله ان اللغة من مقومات الدولة ومظهر من مظاهرها .

ذلك كان منذ ثلاثة عشر قرناً وها نحن اليوم نسمع صدى جديداً وصوتاً يتردد بالدعوة لمثل ما تم انفاذه من اجبال طال عليها العهد . وكان من آثار ذلك ان اصدرت مصر منذ عام قانوناً يقضي ان تكون التحريات الرسمية وحساب المصارف والشركات باللغة العربية . وها هي لغتنا العزيزة تظفر في هذا العهد بمثل تلك العناية وذلك الحرص القديم بفضل ادراك ذوي الرأي اثر احيائها والنهوض بها في كيان الامم وسيانها .

ولعل ذلك يغسر السبب الذي من اجله اخترنا هذه الناحية من تاريخ عبد الملك موضوعاً لبحثنا مع ان الحديث عنه متشعب ومناقبه لا نجد وما آثره لا يحصيها العد .

غير اننا تركنا كل هذه واثرنا ان نبرز الشطر الحي الحاشد ما بقي الدهر .

فجد اللغة وعز الادب يفوق مجد الملك وعز السلطان . ولاشك ان عزتنا في لغتنا ومجدينا اعزازها ورفعتنا في النهوض بها ، فذلك عنوان الكرامة ومظهر الشخصية القوية ورمز الوطنية السليمة الصادقة .

بيروت والبيروتيون في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بفلم شمس طباره

الفصل الاول

موقع المدينة - السور - الابواب

قطعة الارض القائم عليها سوق ابى النصر الحالي وبني فيها داراً جبيلة مؤلفة من طبقتين كان اهل العلم يعقدون حلقات للدراسة في الطبقة الاولى منها واقام الشيخ محمد في الطبقة الثانية وتزل بها فيما بعد الامير عبد القادر الجزائري عند مسوره بيروت وكان ذلك سنة ١٨٥٣ .

هذا فيما يتعلق بسور المدينة من جهة الشرق اما من جهة الجنوب فكان هناك (باب الدركة) اتفق البناء على الاركان بني كله بالرخام الملون ألواناً طيبيية منقوشة باحسن صنعة ومجلموبة من ارجاء البلاد . وكان رتباه مزداناً بكتابات قديمة وقد عد يومئذ اجل ابواب بيروت . وكان قائماً في موضع الزاوية الغربية من شارع اللبني . اما (باب يعقوب) فقيل ان بانيه الجزار والناس مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى طبيب من صيدا يدعى يعقوب ابيلا كان يسكن داراً تلاصق جداره والبعض ينسبه الى يعقوب الكسرواني الذي كان يسكن داراً فوقه .

اما من جهة الغرب فقد كان (باب ادريس) وعلى مقربة منه (باب السمطيه) وسبب تسمية هذا الباب بادريس ان رجلاً من اسرة ادريس كان يملك منزلاً يتصل به ويقع عند مفترق طرق تلك المحلة المعروفة الان . وقد هدمته الشركة الفرنسية عندما عهد اليها بشق طريق الشام وتوسيع اسواق المدينة . وكان (باب السمطيه) اصغر ابواب بيروت والى جانبه مقبرة السمطيه فذلك سمي باب السمطيه .

وكان (باب السلسلة) في الشمال وهو مبني بين برجين متقابلين قائمين على الصخور في مدخل المينا . هما برج الفنار وبرج السلسلة وعرف بهذا الاسم لان سلسلة حديد عظيمة كانت تفرش المينا وكان عليها الحراس الامنا .

لمات
بيروت في عصر ابراهيم باشا المصري مدينة صغيرة وادعة قائمة على منحدر يشكل مربع الاضلاع ويعد من الجنوب الشمالي اي من باب الدركة (جنوباً) الى مرفئها القديم (شمالاً) ومن باب السراي (شرقاً) الى باب ادريس (غرباً) وهي مسافة يبلغ طولها ٥٧٠ متراً ولا يزيد عرضها على ٣٧٠ متراً . وكانت كثيرها من مدن الشرق يحوطها من جهاتها الاربع سور بني بالحجارة الكبيرة سماها على مر الاجيال من خطر الغارات البحرية والبحرية . وكان لبيروت ثمانية ابواب مصفحة بصفايح من الحديد وهي : باب الدباغة وباب السراي وباب ابى النصر وباب الدركة وباب يعقوب وباب ادريس وباب السمطيه وباب السلسلة وبعلو السور ابراج متقاربة تقوم مقام الحصون لدفع الغزيرين منها عند هجومهم على المدينة .

وكان (باب الدباغة) في الشرق الشمالي من المدينة وسمي بذلك لانه على خطى قليلة من سوق الدباغين وكان هذا السبب اكثر الابواب ازدحاماً بالناسلة تجتارده القوافل التي تحمل المتاجر بين البحر والبحر لقربه من المينا . محاذرة اجتياز اسواق بيروت الخافلة ومنمطقاتها المتلوية . واتخذ يومئذ مركزاً رئيسياً لجباية المكوس على البضائع الصادرة والواردة . اما (باب السراي) فقد اطلق عليه هذا الاسم لانه يجاذي سراي الحكومة نحو الشمال ثم يليه (باب ابى النصر) نسبة الى الشيخ محمد ابى النصر الياني ابن الشيخ عمر ابى النصر وكان من كبار الصالحين وهب له السلطان عبد الحميد

الحالية نحو الشمال وسُميت بسراي فخر الدين لأن الأمير فخر الدين المعني كان قد شاهدها في آخر القرن السادس عشر يوم جعل بيروت عاصمةً لمملكته . وقد وصفها يومنذ سائح إنكليزي بقوله : «وجدنا امام باب قصر الحكومة حوض ماء في وسطه فواره من الرخام المنقوش لم نجد احسن منها في المدن التركية . وهذا القصر اقسام عدة وكانت هناك اسطبلات خيل الامير واربض الاسود وغيرها من الضواير مما لا نظير له الا في قصور الملوك . واحسن ما وقعت عيناي عليه بستان فخر الدين وهو حديقة رجة قسمت الى ستة عشر قسمًا غرس فيها شجر البرتقال المثقلة غصونه بالثمر . وحول الاقسام ماشاء مفروشة بالصفايح الحجرية تتخلها مجاري الماء اسقي الحديقة وفي الجانب الشرقي منها برمان عاليان احدهما فوق الاخر لكل منها درج مؤلف من اثنتي عشرة درجة والمسمران يفضيان الى ردهة فسيحة يطلها برج مرض جداره اثنا عشرة قدمًا وعلاه ستون قدمًا وقد بناه الامير المراقبة » اهـ

اما في عصر ابراهيم باشا فالدهر كان قد اخفى على سراي فخر الدين واصبح معظما خراباً . وفي السراي مقر رجال الحكم وهم : المتسلم والقاضي والمفتي والحاسب وضابط البلد او كما كان يسمى («امور الضابطية») . وكان المتسلم يقوم على تدبير امور البلد وشؤونه ويشرف على كل الاعمال الادارية نائباً في ذلك عن ولي الامر في البلاد وتحت سلطته الى منتهى غابة الصنوبر في ظاهر البلد حتى نهر بيروت . وكان متسلم بيروت يومنذ الامير محمود نامي بك جد سمو الداماد احمد نامي بك وهو جركسي تعلم في مدارس اوربا العسكرية مع اعضاء اول بعثة ارسالها محمد علي باشا الكبير الى هناك . وكان رحمه الله من خيار الرجال شهدت ببيروت في عهده كثيراً من ضروب الاصلاح والتجديد . منها : ان الناس كانوا قبل قدوم الحملة المصرية يتحاضرون الى القضاة . وكانت المحكمة تتداول شفاهاً وتبشّر المشاكل بين المتخاصمين في جلسة او جلستين وحكم القاضي غير قابل الفسخ يخضع احياناً في حدود معرفته للشرعية وغالباً اتقوى المفتي ويعتمد على الشهود وعلى ما استقر في رأسه من ذكاء وحكمة وما يراعيه من مصالح الناس اكثر من بنائه على المرافعات والمراجعات والاصول ويتبع بسلطة لاحد لها ويحيا لنفسه المدح ثارة والملامة تارة اخرى .

ومنما لتعدي القضاء في طغيانهم حدود السلطة التي خولهم اياها الشرع جعل المتسلم محمود نامي بك لاقضاء صبغة مدنيّة فأقام

يعنون المراكب من العبور الا ياذن منهم . وقد بنيت هذه الابواب ودمت في عصر مختلفة وتهدمت منذ حين واندرس رسمها ولم يبق الا اسمها فان بقيت الى يومنا قطرة باب يعقوب غربي شارع فخر الدين وما زالت المحلات التي كانت قائمة فيها الابواب تحمل اسماءها .

وكان كل عين من اعيان المحلة مولجاً بأمر باب منها فيقوم بنفقة مصباح معاق الى جانب الباب الخارجي بينه عشية النهار ويسد الباب ويودع المفتاح الى متسلم البلد حتى الصباح وهكذا كل يوم . وكان حفاظ الابواب يجرون شرفاً بذلك .

وكانت القوافل التي قد ليلاً على بيروت تضطر الى الانتظار خارج المدينة حتى ينتج الباب في الصباح . وكانت الاقامة في ظاهر بيروت خطراً . حدثني من اتى به ان اول اسيرة اقامت في دار خارج السور على متحدر (اوتيل بسول) الحالي ناحية الغرب اسيرة بسول وان اسم بسول مشتق من بسل اي شجاع ولما اطلق عليها هذا الاسم لهذا السبب . وهنا اذكر تادرة رواها لي بعض المعمرين : فقد اجتمع ذات مرة (مجلس المشورة) في بيروت وتفاوض اعضاؤه في امر الجباية على ما يجلبه التجار . وكان العجز في الجباية ظاهراً ليت المال ، فنهض احد الاعضاء . وقال : ما مقدار الدخل في هذا العام ؟ قالوا : ١٦٠٠٠ كيبا اي ثمانية ايرة دهاً عجزاً . قال : اذا كان دخل كل باب من ابواب المدينة مئة ايرة ذهبية في العام الواحد فافتحوا باباً تاسعاً فيصبح الدخل تسعمائة اسيرة . فضحك الاعضاء . . .

وحكي ان احد الاجانب وفد على بيروت وتزل ضيفاً على احد كبار التجار الموكول اليه امر باب السراي ونشأت بين البيروتي والغريب مودة وللاهم الاخير بالرحيل اسر الى مضيقه انه قاصد الى الباب العالي في الاستانة فقال له البيروتي : ان كنت تنوي مقابلة صاحب الباب العالي فان لي لديك حاجة . قال : وما هي . قال : ان تسعى لي لدى صاحب الباب العالي . . . باعاني من نفقة قنديل الزيت المضاء على هذا الباب . . . فضحك الغريب لبسطة الرجل . وما اخف ما كان هم رجال ذلك العصر فلو ان مثلهم عاش في عصرنا لما تردد عن طلب وزارة او نيابة والله اعلم .

الفصل الثاني

سراي الحكومة - رجال الحكم - نظام الحراسة - الحبس - غرائب الاحكام وكانت سراي الحكومة يومنذ قائمة في اول سوق سمرق

(الطواف) وكان هذا المنياغ الايدي يحول في الازقة وبذيع في الناس الاوامر والنواهي وسرعان ما كانت تذاع هذه فلا يمين العصر الا وقد ملأت جميع الاسماع .

ومما يروى في هذا الصدد ويدل على ان العادة طيبة ثانية ان المسلم بلغه ان من عادة اهل بيروت في حالة الغضب ان يسبوا الذين فاراد ان يقلع القوم عن هذه العادة الذميمة فدعا بالطواف وقال له : نادي بالناس ان من يسب الدين بغرم بدفع ربع مجيدي جزاء نقدياً فانصرف الرجل وجعل ينادي مكوراً في الاسواق : يا اهل بيروت الحاضر يعلم الغائب عن امر اخفدينا التسلم ممنوع سب الدين والذي يسب الدين يدفع ربع مجيدي جزاء نقدياً والذي لا يدفع اخفدينا التسلم يبحرق دين دينه . . . »

وكان التشهير من درجات العقاب فتشوه سجنه المحكوم عليه ويركبونه حماراً يلجم من جهة ذيله ويجولون وجه الراكب اليه ويثي امامه الطيال والزمار ويدار به في الاسواق معروضاً لسخرية الجمهور . ويذكر بعض اهل التاريخ ان هذه العقوبة كانت معروفة من قديم الزمان وقد ابطلت في العهد المصري وحكي ان بدوياً اسمه جنان قسم بيروت لأول مرة في حياته ولما كان المساء اصابه الجوع فخرج يلتمس ما يأكله فرأى الناس يدخلون دكان شواء فأتى دكاناً ثم يخرجون ففكر في امرهم وظن دكان الشواء بيتاً لرجل كريم ومضيف كبير فدخل وأكل ولا قضي اربه من الطعام سأل

عن صاحب البيت ليشكر له فضل ضيافته فدل على صاحب الدكان فطالبه هذا بشئ ما أكل فلم يفهم البدوي قصده لانه اتعود ان يدفع شيئاً للضيافة فاقفاده الى القاضي فحكم عليه بالتشهير فأركب حماراً على تلك الطريقة وانطلق الجند يعاقبون به شوارع المدينة والناس يتبعونه ويصفقون ويتشاحكون وبينما هو على تلك الحال عرض له بدوي من عشيرته فقال له : ما هذا المهرجان يا جنان فقال باهتة البدوية ووجهه يطلع بالبشر وعينه تشعان بهيئة البقلة : والله ياخوي لا اعرف بلداً اهل اهل اطيب من اهل بيروت فان الغريب يعيش بينهم مكوراً وبنمناً يأكل (الحماش) ويشرب (اخفاش) ويركب الجعاش . . . ثم التفت الى الطيال وقال : دق يا طيال دق

تسب طباره

(ديوان المشورة) واولاه حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه وبذلك قضى على ذبوع الرشوة وشهادة الزور . وكان هذا الديوان مجلساً حسيباً يفصل في القضايا الجنائي والحقوقية وقد كان له فوق ذلك صلاحية المجلس البلدي يرأسه المسلم ويتألف من اثني عشرة عضواً : ستة من المسلمين وستة من النصارى . من المسلمين : عبد الفتاح حماده وعمر بيهب وواحد العريس وحسن الجبريد وامين رمضان واحد جاول . ومن النصارى : جبرائيل حمدي وبشاره نصرالله والياس منسى وناصيف مطر ويوسف عيروت وموسى يسترس مختارين جميعاً من اهل بيروت المتحلين باكرم المواهب والصفات .

وكان المحاسب خازن اموال الحكومة يديم الدخول والخروج واليه ترجع شؤون بيروت المالية . وكانت مرتبات الموظفين توزع عليهم من مال الولاية وما فضل يحمل الى صاحب السلطان . وكان المحاسب في العهد العثماني تركياً ثم استبدل في العهد المصري برجل من اهل بيروت وكانت الرسوم الجمركية والضرائب خاضعة كلها لمراقبته وتختلف باختلاف السنين .

وكان ضابط البلد رئيس الشرطة المهتم على حفظ النظام يتتبع امور الرعية ويطلع على الدور والاسواق ويتطأ بالناس ويراقب احوالهم في دوراتهم الليلية وله سلطة في ضرب اي مذنب بلا محاكمة وذلك باخذ رذالة التي كان يضطربها في روحاته وغدواته .

ومقر الضابط في الطابق الارضي من السراي وكانت قشلة البلد في طرف سوق النورية الشرقي . وكان هناك مخفر (قراول) يباب الدركه وباب الدباغة وفي بعض الضواحي خارج السور . وكان ضابط البلد يتقاضى على المتهم بالسرقة او القتل وغير ذلك ويقوده للمحاكمة امام (ديوان المشورة) وعندما ينكر الجريمة الموجهة اليه ولم يكن هناك دليل على الادانة يجلد حلاً على الاعتراف .

وكان في السراي حسان اعد حوس الام للجرمين وكان على حالة زورية يقام في السجنا العقاب الايام ويعيش معظمهم من هبات اهل الخير المحسنين ومما يستعري النظر ان المدعي هو الذي سكان يترب عليه دفع نفقات المحاكمة سواء أكل محكوماً له او محكوماً عليه . وكان في البلاد كانت خالية من الصحافة والامية متمشية في سواد الامة فقد كان مناد ينتشر على الناس اوامر الحكومة ويسمى

ذكرى البحيرة

بلم الباس ابو سكة

لغة

وخمس وعشرين سنة ونلت على ضفة بحيرة بوردج ،
في مصيف اكس له بن ، أنقى قصيدة عرفتها اللغة
الفرنسية منذ ستة قرون الى اليوم . ولهذا القصيدة التي نقلها الى
النثر العربي اكثر من ثلاثين كتاباً ، والى الشعر العربي شعراء كثيرون
منهم شاعران من رجال النهضة في مستهل هذا القرن هما الاستاذ
شلي الملاط والدكتور نقولا فياض :

أهكذا تنفضي دوماً أمانيسا
فلوي الحياة وليل اللوت بطونيا
تجري بنا سفن الاعمار ماهرة
بحر الوجود ولا تلقى مراسينا
عبرة الحب حياك الحيا فلکم
كانت مباعثك بالنجوى فحيتنا
قد كنت أروحو ختام العالم يعمنا
واليوم للدمع لا يرحى كلابتنا

لهذه القصيدة قصة لا يمكن لمعرفتها
على وجهها الصحيح قراءة قصة « رفائيل »
التي كتبها لامرتين عن سيرة حبه لطويا
يوشو ونقلها الى اللسان العربي باقتضاب
المرحوم نجيب الحدياد باسم « غصن البان »
ثم نقلها كاملة الاستاذ الزيات ، صاحب
« الرسالة المصرية » .

لما بلغ لامرتين السادسة والعشرين
من عمره كان لا يزال في حيرة من امره اذ
كان يعف عن ان يجنحوا حدسو المثملين
الذين استطاعوا بجنوعهم وتسكهم ان
يصلوا الى المراكز التي طمحوا اليها وهم
دكونه علماء وذاك . سوى ان الصدف لم
تلبث ان وفرت له ازمة عاطفية اخلته بين ليلة
وضحاها اسمي محل في جامعة الادب بفرنسا .

وكان اساس هذه الازمة قلب امرأة اجبت الشاعر المغمور فضيرة
خالداً واحبها فخلدها . وهل في عرائس الشمر . أخذ من « الغيرة » ؟
كانت جوليا يوشو في الثانية والثلاثين حين اشار عليها الاطباء
بان تصرف اشهر الصيف في قرية اكس له بن ، وكان لامرتين في
السادسة والعشرين حين اشار عليه الاطباء بان يصرف اشهر الصيف
في هذه القرية . كانت هي مصابة بداء الصدر ، وكان هو ضعيفاً .
ففي احد الايام كان لامرتين يتنزه على ضفاف بحيرة بوردج فالتقى

زورقه زورقاً صغيراً فيه جوليا يوشو ، واذا بزوجة شديدة قلبت
الزورق الصغير وجعلت المرأة في خطر . أترأها سقطت في الماء .
فأنقذها لامرتين أم تراه أدر كها قبل ان تسقط وانعاشها على ما بها ؟
كل ما يعرف عن هذا أن لامرتين كتب الى صديقه لوي ديفينيت
يقول انه انقذ مدام شارل من الغرق وان هذه المخلوقة العذبة
أصبحت تلاً ايامه وتوشك ان تشفى من دائها .

وفي السادس والعشرين من تشرين الاول ١٨١٦ طوت جوليا
جناحها الملائكيين لتعود الى باريس فشيها لامرتين الى ماكون ،
ورجع الى ميلاني ينتظر الرسالة الاولى التي وعدته بها . وكانت
قد أكدت له انها ستسهر عليه كما تسهر
الام على ولدها وانها ستساعد على إيجاد
منصب يليق به لما كان لزوجها العالم الشهير
شارل من النفوذ في فرنسا .

وبعد ايام قلائل جا الشاعر الى باريس
وبقي ايأاً عديدة في دار جوليا ، كان كل
مساء يذهب بها الى التزهة فتتسكى على
ذراعها تحية صفراء ، وتسلم الى افكارها
الكثيرة . وكان العابرون يظنونها أختاً
وأختاً . على ان الفناء كان يقضم ذلك
المشكل المزيج ، فلا تطلع الشمس الا
على جسد أخذت الليلة الماضية حصتها منه .
ولما اضطر لامرتين ان يعود الى اشغاله
تواعدا ببقاء في « اكس » وأعطته دفترأ
صغيراً . الماروكين الاحمر ليملاء بايوحيه

اليه فراقها . كان لامرتين أميناً على الوعد ، ففي الواحد والعشرين
من شهر آب صعد الى « اكس » لينتظر جوليا ، الا ان آماله ذهبت
ادراج الرياح . فقد اتصل به ان الحى فتتلك بها فتسكاً ذريعاً ولا
سبيل الى وصولها اليه . فهام على نفسه ، ونفسه حزينة حتى الموت .
وكان في القرية ، او في الدار التي يسكنها ، فتاة حسنة تدعى
البينور كلوننجن تعرف اليها صديقة فلم يكرم عنها عذابه ويأسه ، ولم
يرفض رغبتها اليه في التزهد ساعة على ضفاف البحيرة .



الشاعر الفرنسي ده لامرتين

فاسترجع الى مخبئه « هاوز الجديدة » و « اتالا » . قال لامرتين في البحيرة : « ذات مساء ، أذكركين ؟ كنا نغوم بسكون ، ولم يكن يسمع في الابداء ، على الماء . وتحت السماء . الا دوي الجذافين الضارين بايقاع امواجك الموسيقية . » وقال روسو قبل سنوات عديدة : « كنا صامتين صمتاً عميقاً وكان دوي الجذاذيف ذات الايقاع المتوازن يهيج في قلوب الرغبة في الاحلام . » وقال شاتوبريان في اتالا : « كانت اتالا تشد فلا يقاطع شكاياتها الا دوي زورقنا على الماء . »

وبعد يومين ترك لامرتين « اكس » ليلحق بصديق له يدعى فيريو فيذرف بين ذراعيه بقايا دموعه . وكان الداء يسير مسيرته في جسد جوليا التي انقطعت الا عن الماء ، عملاً بإشارة الطبيب . ولم يكن لامرتين يعلم ان الموت يتأهب ليخطف المرأة التي اوحى اليه قصائده الخالدة ، فكتب الى الانسة كلوننج يقول : « ان التي احبها فوق كل انسان في هذا العالم تتلوى منذ اسابيع في ترع أليم . وأراني عاجزاً عن الوصول اليها » وفي الثالث عشر من كانون الاول فاضت روح جوليا بهل وسكون ، وشغتها لاصقنان بحليب صغير .

هذه قصة « البحيرة » التي خُصِّلَ بها لامرتين المرأة التي أخذت بيده في طريق الخلود . ولكن ... هل انتهت هذه القصة الغرامية بانتها . حياة جوليا ؟ لا ، بل على نقض ذلك ، فقد بدأت بتوتها . فن جوليا شارل ، من المرأة العذبة البكتية عمل لامرتين « الفير » اي عروس شعره . بل عمل منها اكثر من عروس شعر ، عمل منها امرأة الهية أوجب عبادتها على شعراء عصره وعلى عصره . وأوجب احترامها على بيته ، وعلى امرائه ، وعلى ابنته باسمها ، وعاش حياته في ظل وحيا ، ومات وعلى شفتيه الصليب الصغير الذي كان على شفتيها في ساعة الموت .

اباس ابو سبكت

كان الصيف يذب عواطفه العذبة على بحيرة « بورج » فاستلم لامرتين الى الذكريات ، وما هي الا هنيهة حتى شعر برعدة سرت في جميع مفاصله ، فاستأذن الانسة وانصرف عنها الى خلوة على الضفة الشالية من البحيرة . ولم تأذن الساعة السادسة من المساء . حتى كان الشاعر افرغ ما في قلبه من الدموع . وكأنه شعر بمصافاة تنطلق في صدره فاختلج هنيهة ، وغادرت عيناه في مجريهما ، ثم تناول من جيبه الدفتر الصغير الذي اعطته اياه جوليا وكتب على الصفحة التي عرضت له هذه الكلمات :

« انا جالس على صخرة الضفة الشمالية افكر فيك يا جوليا . » ولكنه تذكر ان جوليا توت وان الكلمات الفاجعة لم يتلفظ بها بعد فكتب : « تذكر الايام الجميلة التي صرفناها معاً على ضفة البحيرة . » واطبق الدفتر وأخذ يحلم ، واذا باغنية تسفيق في قلبه ، ففتح الدفتر وتأمل هنيهة وكتب :

« ذات مساء أذكركين ؟ كنا نغوم بسكون على احشاء امواجك المتضخمة بشوا القفر وعلى دوي الجذاذيف الضارين بايقاع . » ثم توقف فضرب على البيت الثاني واستبدل به هذه الايات :

« ولم يكن يسمع في الابداء ، على الماء . »

ولا دوي الجذاذفين الضارين بايقاع امواجك الموسيقية . »

ثم بدأ يقطع آخر : « ان مركبة ملكة الليالي الموسيقية كانت تنير بشآلة ، شواطئك القفر . » وتوقف كأنه امسك باعداب فكرة اخرى هي ان يمدج في القصيدة اغنية جوليا فكتب :

« تابع ، تابع مجرا الشاذا الزورق الشارد . »

ويظهر ان رفاقه في تلك القرية الصغيرة فاجأوه في تلك الآونة ، فأغنى الدفتر في جيبه وعاد معهم . وفي اليوم التالي رجع الى البحيرة من غير ان يشعر به احد واكمل قصيدته الالهية : « العميرة »

كان لامرتين قد تشبع من قراءة روسو وشاتوبريان ،



مسألة بيرون الشاعر الانكليزي

بحث لجنه بوربانك

تلخيص : رُفُف مغوري

يين

هذه هي المسألة البيرونية التي يدرسها الاستاذ بوربانك درساً وفق فيه الى حد بعيد .

الحق ان اللورد بيرون لم يكبد يحد قلوب الانكليز، مفتوحة له حتى وجدها مغلقة . ولعل الاصح ان نقول ان ابناء الطبقات الانكليزية العليا ما كادوا يمتثلون لبيرون وشعره حتى اداروا له له ظهورهم وحاربوه فقضى معظم حياته في خارج انكلترا .

ويحاول الاستاذ بوربانك ان يعمل هذه المسألة باسباب في شخصية بيرون ، وبموال وراثية وتربوية . فقد كان اللورد الشاعر اخذاً من منع الحياة بتصبب ، وكان اقرب اقربائه على غير قسط كبير من الضغط الاخلاقي ، اما امه فكانت امرأة ليست لها الكفاءة للشام على تربية ولد ولا سياً ولد كبير ويضاف الى ذلك عناده واعتداده بنفسه .

وجاءت حادثة انفصال زوجته عنه ، متممة لسلسلة الاسباب التي كان من شأنها ان توسع شقة التناوب بينه وبين الطبقات الانكليزية العليا المحافظة .

لقد تكشف الشاعر عن شذوذ غير مقبول في نظر الطبقات العليا في بلاده . ولو انه كان فرداً من افراد الشعب لما عابروا به ، ولكنه عضو من الارستوقراطية يخرج على راسيها ، وهذا ما لا يجوز التساهل فيه (ان كان بيرون بمن يهمهم تساهل احد)

والاستاذ بوربانك ، في كل هذا ، على صواب . ولكن شيئاً آخر لا بد من قوله بوضوح وهو ان الخلاف المازجي الاخلاقي بين بيرون وافراد طبقتهم له ايضاً صبغة التعارض الطبيعي بين الصراحة والتناقض . ومهما يكن من قول في اللورد بيرون ، فلا ريب انه كان رجلاً صريحاً يرى لذة في ان يظهر على حقيقته ، ويكره المراثين والمتصنعين . وهذا هو عامل من العوامل الاساسية التي تجلب قلوب القراء الاجانب تهمة لثغرات اوتاره ونحس بجرارة لا تكاد تحسها

ايدينا محاضرة متممة كتبها الناقد الادبي الانكليزي « جون بوربانك » المقيم حالياً بيننا عن اللورد بيرون والشاعر وأقاربه في مدينة بوخارست على « الجمعية الانكليزية - الرومانية » في ٢٠ اذار سنة ١٩٤٠ .

والاستاذ جون بوربانك من اساتذة الادب الانكليزي المحدثين اليوم . تولى تدريس آداب لغته في طائفة من الكليات والجمعيات في اميركا واليابان ورومانيا . وله كتب وابحاث ادبية معروفة في كبريات المجلات . ومن ابحاثه القيمة : « الادب الانكليزي والتقاليد الاجتماعية »
تقع محاضرة عن بيرون في اربع وعشرين صفحة ، دُرِس فيها ما سماه « مسألة بيرون » .
فما هي هذه المسألة .

كان غوته الشاعر الالماني الكبير يزعم ان بيرون اكبر شاعر انكليزي . والحق ان بيرون هو الذي اخراج الادب الانكليزي من « جزيرة » فجعله ادباً اوروبياً في عصره ، والشعراء اللورد بيرون الذين اعجبوا ببيرون وتأثروا به كثير من جداً .

لقد كانت شهرة بيرون بعيدة المدى ، وكان على اثره بالعماء بلغاء عظماء في انكلترا ، وفي القارة .

ولكن ما لبث ان وقع رد فعل كبير اذ قام الشاعر الانكليزي « سونغن » ومعه طائفة كبيرة ينكرون على بيرون ، مترتبة مقدمة . وتطرق الاستاذ « سينسبري » ، وهو من اعلام النقد الذين توفروا مؤخراً ، فأوشك ينكر على بيرون الشاعرية .

وما يلاحظ ان الشهرة البيرونية قد تقلصت جداً حتى في القارة الاوربية .

فكيف اتفق ان شاعراً ، ملاً عصره وشغل الناس جعل شأنه يصغر بتوالي الايام .

في غيره من شعراء انكلترا .

والذي يُستنتج من كلام الاستاذ بوربانك : ان المتعلمين على بيرون يستندون الى حجتين . اما الاولى فهي الحجة الاخلاقية التي تمسك بها ابنا الطباقات الانكليزية العليا . والمفهوم بالحجة الاخلاقية - طبعاً - هو الرفض للتقاليد والمراسم (ولو تظاهرياً) وغني عن البيان ان الحكم على شاعر باعتبار مسلكه الاخلاقي شيء لا يجوز في النقد الادبي الصميمي . فليس بضير ببيرون الشاعر ان زوجته وجدت طريقته لا تلائم طريقته فانقضت عنه . واما الحجة الاخرى التي تمسك بها جماعة « سوتنبرج » فهي ان اللورد الشاعر اميل في نظمه الى النثر ، بل ربما ارتكب الاخطاء الغريبة . ولا شك ان الناقد اللزيم لا يستطيع الا ان يعترف بوجاهة هذه الحجة . فلم يكن بيرون ممن يحرصون على سحر التعبير الشعري وبعد الخيال . وهو في منظوماته القصصية ناثراً كالناتر ، فيكثر من الاعتراض والحشو ، وقد يسف اسفاً ظاهراً فلا يقف ليتحاشاه بالاصلاح او بالخلف ، فضلاً عن ان لم يتسخر اي قالب شعري جديد .

ولكننا مع هذا كله - يقول الاستاذ بوربانك - يجب ان لا ننسى فضائل بيرون التي قد تكون هي مهيبة . فسهولته لا يكاد يدانيه فيها احد . وانا نستشعره بجمال الشعر الجمال ، وما اقل الذين استطاعوا - كما استطاع بيرون - ان يستعملوا البسيط ما في القاموس واسيع ما في حديث الناس ، فجعلوا اجنبية شعراً كشمعه ساعراً حياً رشيقياً . وقد لا يعبئنا التعبير من تمايزه ، اذا نحن تأملناه فنفشت عما يمكن ان يقوم مقامه فنعجز .

واذ قد جرى ذكر سفره وتهكمه ، فلا بد من القول ان سلاح الذرع والقرص كان احد سلاح لجأ اليه الشاعر في حياته التي كانت حروباً وكفاحاً . والحق انه كان يدفع خصومه الى مشل الجنون بمرارة سفره وتهكمه ، وكان يزيدهم لذنأً وقرصاً كلما زاحت اعصابهم توتراً . فانهزموا - آخر الامر - بالفراغ الروحي . فهو عندهم ليس الا رجلاً هستيرياً يضحك من كل شيء . ضحكاً حاقداً ، ويروون له شطرنج الشهيرة التي يقول فيها : « الحياة لا تساوي رأس بطاطا »

والذي يذهب اليه الاستاذ بوربانك ان اتهام بيرون بالفراغ الروحي ليس صحيحاً البتة . ولئن كان قد سفر وتهكم فمسل على أشياء معينة ، لا على كل شيء . وتكفينا برهانا لهجة الجسد الصادق التي نحسها من مقاومه الغزلية . فلقد احب اللورد بيرون الجمال حباً ، وانشده انشاداً ، يتحدث كل متحامل ان يجد فيه نهضة

من نبرات الحب والاستغفاف .

ثم لا يغرب عن بالنا ان اللورد الشاعر مات في بيسولونفي وهو يقاتل الى جانب اليونان في سبيل تحررهم من السيطرة الاجنبية . ولا يجوز ان يتهم بالفراغ الروحي انسان مات هذه الميتة المثالية وقال في الحرية شعراً من ادوع ما قيل فيها في العالم :

- وبرغم ذلك - اينها الحرية .

برغم ذلك ، ان علمك الممزق لا يزال ينجف ، وكأنه الصاعقة بنهاض الريح .

وهذا صوت يوفك ، وان يكن كسيفاً ، تلاشياً ، فلا يزال متغلباً على العاصفة .

ان شجرتك قد نفضت براعها ، وجذعك قد عضته الفأس فلا قيمة له كما يبدو .

ولكن العصور لا يزال يجري في العروق والبذرة عميقة وضع الغرس . وان ربيعاً احسن لا بد ان يطلع ، ومعه ثمرات اقل ، مرارة .

والحق - كما يقول الاستاذ بوربانك - ان قيمة بيرون قد قضيت على ملئها اذ اهرلم بنظر الى شخصيته من نواحيها المتعددة . فيرون - اولاً - شبه يملق على حوادث عصره واهل

جيله . نظم تعليقاته شعراً حاو الوقع بطييه دخر لاذع . وبيرون ثانياً - هو الشاعر ، طاب الحرية ، والمحارب من اجل الحرية .

وبيرون - ثالثاً - هو الشخصية المتجددة التي تقف بنفسها في وجه المجتمع ، وهو الشخصية القوية التي تقهر نفسها مكروهها و

مجبورته بما لها من اتصال وثيق وعميق بالحياة . ولكن اين نحن من مسألة بيرون التي تدور عليها المحاضرة ؟ كيف اتفق ان شاعرأماً

عصره وسفل الناس جعل شأنه يصغر بتوالي الايام ؟ يقول الاستاذ بوربانك : كان بيرون عبقير الانتماء في حياة عصره واهل جيله .

فجعلهم هذا ينصرفون الى الاهتمام به اكثر من الاجيال التالية . الا ان هناك سبباً آخر يلج اليه الاستاذ بوربانك ، وهو : ان اللورد

بيرون دار بشعره على « الانسانيات » على الحاجات والاماني والالام البشرية . وكان العصر الذي تلاه في اوربا عصر انصراف الله

الميكانيك شغل الناس على الغوص في انفسهم ، وواضع الرومانتيكية التي كان يمثلها اللورد الشاعر . على ان هذا الدور - دور طغيان

الميكانيك على القيم الانسانية يؤذن بانتهاء ، وسيمود بيرون الى احتلال المرتبة اللائقة به شهرة وقيمة ادبية . وسيل تأثير الدين

استطاعوا مقاومة نفوذهم وتضعيف شأنه لاسباب ليست محض فنية .

رؤف غوري

الخيال الرواهم

بفهم برسج عثمان

ليسانسيه بامتياز في الاداب من جامعة فؤاد الاول

يستطيع ان يحفظ أدق طبقات الاقشة التي تلعب عليها ريشته ،
والشاعر يدنو احساسات بعيدة عميقة في الزمن ٠٠ وفي كل هذا
الحشد المنوع في ذاكرة كل من هؤلاء ، يحول الخيال فيختار صورا
جديدة مبتكرة متناسقة ، قوية الاثر في النفس . ولكن ليس كل
انسان يستطيع ان يجعل دنياه الخيالية اروع من دنياه الواقعية ،
فيكون خياله ابتكاريا مبتدعاً ، بل قد يكون الخيال احيانا ،
بقطر شديد النشاط ، بهيم وبيته في اجواء شاسعة ، لا يحد من
نشاطه قوة عاقلة ، وعندئذ يقدم الخيال صورا غريبة منكورة ،
وتشبهات خارقة تتجدر الى السخف الشديد ٠٠ ولذلك كان اكثر
ما يعترى الانسان من هذه الصور في احواله ، فيرى احلاما جميلة
وصورا مبتكرة الفها خياله من تجاربه ، فاذا استيقظ واستبان
بقوته العاقلة على تمييز هذه الصور، شعر ببعدها عن الواقع والمألوف .
كان في حلمه قائدا خطيرا يأمر فيطاع ، وبهجم فينتصر ، فسادا
هو في يقظته يستهزأ من كل هذه الخوارق وينتهد لبعدها عن الحقيقة
القاسية ٠٠ وهذا طبيعي ما دام الانسان يقعد الموازنة بين قواه
المعنوية اثناء النوم ، فيعمل الخيال بحرية مطلقة في حين ان العقل
غامد نائم ٠٠ ومن هذا النوع من الخيال ، خيال الجنون ، يقدم
صورا شتى ، لا تناسق بينها ولا تقارب ، كلمة من هنا ومعنى من
هناك ، والغريب مجموعة من الصور رهيبية متناثرة لا يربطها رابط ،
سوى انها من عالم الخيال الرواهم .

وقد شغل بعض رجال الصوفية انفسهم بتفسير بعض العبارات
التي نطق بها كبارهم ، تلك العبارات التي تدعى « شطحات » ،
يؤولونها ويفسرونها ، ويتكلفون في ذلك تكلفا شديدا يدفع
بعضه بعضا الى البطالة ٠٠ ولا يملك نفس الناطقين بهذه الشطحات
تفسيرها او فهمها ، لانها جرت على السنتهم في احوال خاصة عليهم
فيها الوجد ، والذعة الروحية الخاصة ، فانطلقت منهم مثل تلك
الشطحات التي هي اوسع من العقل ، فلا يستطيع ان يحيط بها
ولا ان يدركها . ومهما جاول الصوفي المتمدل « الجنيد البغدادي »
ان يتكلف في تأويل شطحات « ابى يزيد البسطامي او الشبلي » ،
فانه لا يزال بعيدا عن ادراكها ادراكا صحيحا ، فهي كالمات
غامضة ، والواضح منها غير معقول ، وهي كلها تخالف آراء كل
منها ، التي كلما بصرحان بها في احوال عادية طبيعية ٠ وما بعض
هذه الشطحات في الواقع الا من شريرة الخيال الرواهم يسند بالعقل
فيشله عن العمل . واذا كان الخيال الرواهم قد لعب دوره في النوم ،
او في حال غيبوبة فكرية ، فلماذا يسرح فوق قطم حديثة ؟ وما

قد يشفق القارى . على بانس ما ، لا صلة له به ، ولم يعرفه
من قبل وانما عرضته عليه قصة رائعة ، ورويت له
تفاصيل كثيرة عن حياة هذا البانس ، وعن الازمات التي اعترضته ،
ويبلغ التأثير والخرن من نفس القارى ، مبالغاً بعيداً ، فيفكر فيه
ويقامه همومه ويمش حياته حيناً ٠٠
وما اكثر ما قرأ هذا القارى . نفسه في الصحف ان آلافا قد
هلكوا ضحية زلزال او سيل ، وما اكثر ما حملت محطات
الاذاعة اليه ان عشرين الفا قد ابيدوا عن آخرهم في معركة حامية ،
فلم يزد ان قال : وأأسفاه ٠٠ فلم تحس بهذه الكلفة الاشتباه ٠٠
فهذه القوة التي تصور الكارثة تصويراً ادبياً مشيراً هي
« الخيال » ، الذي هو عدة الكاتب ، والشاعر ، والخطيب ، او الفنان
مطلقاً ، وهو عنصر اصيل ، من عناصر الادب ، مهما تفاوت
حظ الادياب . منه ، ومهما اختلفت فروع الادب في استعانة به ، لانه
خير اداة لتصوير العاطفة التي هي العنصر الاول للفن الجميل .
والخيال هو القدرة على استحضار الصور المختلفة في الذهن
بعد ان تنتزع من الواقع المحسوس ، ثم التصرف بها تصرفاً متنوع
الاضلاع ، وهو يعين الادياب على ابراز الحقائق بوسائل مختلفة ،
ويقدم له قابلاً يسبك فيه ، موضوعة سبكاً خنيا ، ويساعده على
اضافه . رداً . من الجمال على ما ينشئ . فخر اذن لا يعدو الحقيقة
وانما يوضحها توضيحاً قوياً ، فيمتع النفس لما فيه من عرض جذاب
وقصص منسقة وتونع محبب ٠٠ ولولا الخيال وما يؤدي اليه من
آفاق واسعة واجواء جديدة لاضطر الفكر الانساني ان يتعثر في
سيره وان يدور في دائرة ضيقة وان يلزم الواقع المتجبر ٠٠٠
واقول « الفكر الانساني » لان العلم نفسه لا غنى له عن الاعتماد
على الخيال ، فاعلم عندما يفرض الفروض المختلفة ، ويضع مقدمات
متصورة ، ليصل اخيراً الى نتائجها النهائية ، انما يستعين بالخيال الذي
يخلق الفروض ويتصور المقدمات ، غير ان الخيال العلمي نتيجة دافع
عقلي محض ، في حين ان الخيال الادبي نتيجة الامزجة والعواطف .
ان ذاكرة رجل الفن مليئة بالتجارب الكثيرة ، فالموسيقي
لا ينسى اخفت النغمت التي سمعها في اوائل حياته ، والرسم

الخيال وان يقدم شعراً رائعاً كما رأينا في شعر المتنبي وأما من غلبت عنده ناعية من هاتين ولم تكن المقاومة بين العقل والخيال طبيعية فإنهم قدموا لنا قصائد لفظية فيها كل شيء. إلا الفن الأدبي والصولي غني بمثل هذه القصائد .. فالظاهرة التي نلاحظها في بعض شعر القرن الرابع تعود الآن على لون آخر وفي رداء جديد يوافق عصر النور الذي نحن فيه .. ولا اعارض في كلامي هذا بعض العوض في الشعر فما لا شك فيه ان حالة العوض التي نحيط ببعض الشعر تزيد النفس حباً له ولوعاً به ولكنه العوض الذي يشف عن معان كبيرة ويوصل اختياراً الى جو منير .. لا العوض الذي يؤدي الى غرض آخر .. ثم الى فروع .. وفراغ صحيح ..

واساس هذا الخيال الروام العاطفة فاذا كانت عاطفة رجل الفن عاطفة سطحية عابرة فالصور الخيالية الناشئة عنها تأتي باهتة فاترة، واذا كانت عاطفة كلابية مزرقة فصورها الخيالية متشككة مضطربة بعيدة عن الواقع وبعض من يدركون الجمال ادراكاً قريباً ساذجاً يسترون هذا القصور في الشعور بحشد من التشابه والاستعارات فالهلال الجليل الذي لا يوحى الى ابن نباته الا هذا القول :

كان شكل هلال العيد في يده قوس على مسج الاعدا. موتور او منجلج لحصاد قوم مختلف او خنجر مرهف الحدين مشهور او زورق حالي فيه العيد متحدرًا حيث الدجى كسباب البحر مسجود

فهو هلال لم يبتته بهيزة الى الشاعر ولم يحس به احساساً واضحاً يستطیع فيه ان يجزم بصورة واحدة قوية ولكن التردد بين صور متتابعة يدل دلالة اكيدة على ان الشاعر لم يجزم بعد بشعور معين فهلال العيد في يده قوس موتور او منجلج متعطف او خنجر مشهور او زورق المتحد فيه العيد .. او غير ذلك مما ترى عينك من اشكال نصف الدائرة التي تشبه الهلال .. وليس ذلك الا نوعاً من التمرين الذهني ليعمر القارىء بصور كثيرة .. فاذا كان الشاعر لم يعتمد على صورة ولم يطمئن الى معنى. عين قلن يصل من ذلك شيء الى القارىء ..

وبعثة الشعور بالجمال بين صور متعددة متنوعة هو نفس بعثته عندما تشعر شعوراً غامضاً غير مفهوم فهنا تضع ستاراً كثيفاً بين القارىء وبين المعنى ليفرض معاني كثيرة .. وهناك تضع له المعاني المتنوعة كماها وفي كل ذلك لا ينهي الخيال الادبي الى اصل عاطفي واحد ولا الى ادراك للجمال صادق صحيح ..

بهرج عثمان

باله يرتدي ثوب ترعة جديدة في بعض الشعر العربي الحديث ؟ لا استطیع ان اترجم بالشعر ولا ان اطرب له الا اذا احسست احساساً قوياً بنشوته ، وكيف احس بنشوته اذا لم يكن يثير في النفس غفقات واضحة ، ومعاني معينة ؟ اما ان اسمع كلمات عذبة حارة ، موسيقية النغم ، شربية الزين ، فهي ليست اكثر من اصداء سطحية ، مهمة تتقاذد النفس مع آخر صوت مسدوع من هذه الكلمات . وما اكثر ما يعتريني - وانا اقرأ الشعر - ما يشبه هذه التمايز : الجرح الاليع ، والرداء المحترق ، والصدى الذاهل ، والرعدة الصفراء .. وعشاً احاول تكوين معنى تدل عليه ، او على الاقل ، تكوين جو يدور هذا المعنى خلاله .. وقد تعدى هذا النوع من المجازات والاستعارات الى التكرار فقد قرأت مرة قطعة منوعة من الادب الحديث ، ففهمت كل شيء فيها ، غير ان العنوان وقف عثرة بيني وبين عقلي .. كان عنوان تلك القطعة « اللاحظة البلهاء » كنت احس بما يريد الكاتب ان يقول ، ولكنني لا احس ان هذا العنوان يؤدي هذا المعنى او يثير جواً ملائماً للمعنى . وقد يستعين الكاتب بقواعد البلاغة فيدعي ان هذا التعبير مما يسمونه « المجاز العقلي » ولكنه لا استطیع ابداً ان يطمئن الى ان هذا العنوان المجازي يحمل الى القارىء معنى محدداً واضحاً .. ولما اغرب من كل ذلك ان اقرأ تعبيراً مثل هذا : « انظفات شمس الفضول » فالخيال الروام هنا قد اعطى معنى مفهوماً ، ولكنه عبر عنه بعبارة واهية متدامية ..

واخشي ان يأتي حين يضع فيه تجار الكلام المنظوم ، مجموعة مختلفة من الكلمات المتداولة في النظم على اوراق صغيرة ثم تبعثر هذه الاوراق التي تحمل تلك الكلمات في صندوق وتختلط وهي تحمل كلمات مثل : معطاء ، طيف ، عراج اخضرار ، امل هفا ، غفوات .. واماثلها ، ثم تسحب واحدة تلو اخرى ، وترتب على غط متين ، فاذا هي شعر رفيع ، واذا هي شعر رمزي ، واذا هي من الشعر الحديث المنعق من سلطان العقل .. ومسكين القراء ! ولعل مما يؤلم هؤلاء المجددين على هذا النمط ، ان هذا الخيال الروام ليس مجديداً ، فقد فرض سلطاناه قديماً على أسنة بعض الكتاب اللغظيين في القرن الرابع الهجري ، عندما كانت عنساية ابن عباد وابن العميد وغيرهما في كتابتهم ، عناية بالافان حين تسمع وترقاً بالافاط ، وتشكلفا في التعبير ، ولم يسلم شعراء القرن الرابع انفسهم من هذه الظاهرة ، فاما من كان منهم موهوباً من نحو ، وقوى العقل لم نحو آخر استطاع ان يوفق بين قوة العقل وقوة

تنفسم

هذه المسرحية الخفيفة - وهي مأخوذة عن قصة « الرجل الذي يضحك » لفيكتور هوغو - الى قسمين : البحر والليل ، وبأمر الملك . وتبدأ حوادثها عام ١٦٦٠ في يورتلند بانكلترا ، وتنتهي في لندن عام ١٧٠٥ في عهد الملكة آن .

لم يسبق لفيكتور هوغو ان وصف المسخ البشري بمثل تلك السكرة البائية التي اظهرها في قصته الفريدة هذه . جعل هوغو لقصته الغريبة بطلاً مسخاً سماه جوانبيلين . وجوانبيلين هو اقطع من كازيميرود - وكازيميرود هو البطل المسخ لقصة « نوتردام دي باري » التي اخرجها هوغو في العام ١٨٣١ - اختلطت عصابة رهيبية من المتمردين الرجل الطفل جوانبيلين فشقت فيه حتى الاذنين وجعلت من وجهه سحنة مضحكة وخفيفة معاً بحيث يحيل الى من يراه انه يضحك . على ان هذا المسخ المسكين لم يعدم روحاً تحبه في هذه الحياة وقبلاً يطف عليه وبشاطره الآلام وسقاؤه . اما المرأة التي احبته فهي فتاة عمياء تدعى « ديا » ، طاهرة نقية كملاك السماء .

وينكشف لنا من ناحية اخرى ان جوانبيلين هو ابن شرعي لرجل من اللوردات لجأ الى سويسرا ومات فيها . اذن فهو لورد بدوره . ولقد بدأنا يدخل الى مجلس اللوردات يقف بين الضحك والسخرية موقف المحامي عن البائسين والذي الموحي بالديقراطية الصحية ويرتفع بكلامه الى بلاغة مدياو فيصرخ قائلاً : « اتا رمز الشعب فالتشعب هو اتا لان الشعب مسوخ . الكومبراشيكوس هو اسم لعصابة رحالة مخيفة اشتهرت في القرن السابع عشر وجهلها التاسع عشر . وهذه العصابة كانت تمثل البشاعة البشرية القديسة ، وقد تكون نشأت في اسبانيا ، فكومبراشيكوس كلمة اسبانية مزدوجة معناها « مشترى الضغار » وكانت هذه العصابة تتاجر بالاطفال فتشترتهم ويبيعهم . وماذا كانت تصنع بهم ؟ كانت تسوخهم ليضحك الناس . كان الشعب بحاجة الى الضحك ، والمالوك كذلك . ولم تكن هذه العصابة تكنني بسخ وجهه الطفل بل كانت تنزع منه الذاكرة بطريقة خفية لجعلها اليوم ، ليلتي الزمان المذبات التي قاساها ساعة تشويه وجهه .

في العام ١٦٦٠ ، أمر الملك غليوم الثالث بمطاردة هذه العصابة فهربت من انكلترا وانجز بعض رجالها اليورتلند في مساء يوم اشدت فيه البرد . وكان بين المصادين لهم على اعداد العدة للهروب ولد في نحو العاشرة من عمره تركوه على الشاطئ . ولم يصابوا به .

بقي الولد واقفاً على الصخرة لا يتحرك ولا يستنجد . وبعد هنية شعر بهرد قارس فاستغاث من جوده واخذ يفكر فصحت غزيبته على السير في الظلمة ، ولم يكذب قطع مسافة من الطرريق المغمورة بالتلوج حتى وقع نظره على آثار اقدام في الثلج وتبين له انها آثار اقدام امرأة لانها اصغر من قدم الرجل واكبر من قدم الطفل . وكانت التلوج تنهمر بفزارة فابلث آثار ان المحث . ولكنه واصل طريقه على غير هدى حتى خيل اليه انه يسمع صوتاً ضعيفاً يشبه الانين فأجأ نظره في الظلمة فلم يبصر شيئاً . وارتفع الانين من جديد وكان اوضح منه في المرة الاولى فخطا الولد بضع خطوات واداه به يقع على خيال يتنوج في الظلمة ، فذعر باذى ذي بد . ولكنه عاد فتقدم وحده الى التلج فانحط نظره على جثة هامدة فيه فأخذ يحرفه يبيديه حتى تكشف له التلج عن وجه امرأة شاحب ، الا ان الانين لم يكن صادراً عن هذه المرأة لانها كانت ميتة . وعاد الولد الى جرف التلج ، وما برز عنق المرأة والقسم الاعلى من صدرها حتى رأى طلة ترعد فرائصها من البرد ، طفلة عارية مطروحة على صدر المرأة الماري ولما لافلت الريح وجه الطفلة وهي في السنة الاول من عمرها اطلقت شققة عميقة . فحمل الولد الطفلة وبعد ان دفاها بقمشة رثة كانت معه واصل طريقه . وموت خمس عشرة سنة كان احد الفلاسفة قد حضن الولد والابنة خلافاً فماشاً في كنفه . وكان لهذا الفيلسوف الملقب بـ « اورسوس » اي « الاب » رفيق وحيد هو ذنب بدعي « هوو » اي « الرجل » اما الطفلة التي وجدت على صدر المرأة الميتة فأصبحت فتاة في السادسة عشرة ، شاحبة البشرة ، سمراء الشعر ، مخيفة البنية توشك ان ترتمش من الرقة والنحافة ، جميلة الوجه يلاً النور مقلتها ! فالابلية المشؤومة التي اضلت المرأة فرمتها صريعة التلج هي وابنتها انجزت طميتين في آن واحد فأدانت الام واعمت الابنة . وكان اورسوس قد سماها ديا اي « الالهة » اما الولد الذي اصبح رجلاً فكان يدعى جوانبيلين .

ولو استطاع البؤس البشري ان يتجسد لما اخذ لحمه ودمه الا من جوانبيلين وديا ، فكان كلا منهما ولد في قعر رهيب ، جوانبيلين في البشاعة وديا في الظلمة ، على انها كانا مسعدين اذ كان كل منهما يحب الآخر . كان جوانبيلين في نظر الشعب الذي كثرت رؤوسه فلم يبق

يفكر وفاض عدد اعينه فلم يبق يصبر رجلاً وحشياً فظاً محموراً . اما في نظريديا فكان جميلاً ، كان الخالص الذي انتقد حياتها من القهر ، والاعاء الصديق والزوج المحبب النير ، ذلك ان ديا العمياء لم تكن تبصر الا الروح . وكان جوانبيلين الذي سرقتة العصابة الرحالة ومسخت وجهه ابن اللورد كلاشرلي احد عظام . انكثروا ، فلما هربت العصابة حملت معها في زجاجة تذكرة نسبة الحقيقي مكتوبة يدها الذي تولى عملية المسخ ، ولكن الزجاجة سقطت في البحر فوجدتها على الشاطئ . احد الضباط الانكليزي وحملها الى الملكة فأمرت بان يرجع الى جوانبيلين لقبه واراضيه . في اليوم التالي لاكتشاف نسب جوانبيلين اجتمع مجلس اللوردات ليقرا اضافة مئة الف ليرة انكليزية كل سنة الى مرتب الامير زوج الملكة ، وكان على كل لورد ان يهنئ فيقول « اقبل » أو « لا اقبل » . فلما جاء دور جوانبيلين وقف وقال : « لا اقبل » . فتحولات جميع الرؤوس الى مصدر الصوت ، ولما انحطت الاعين على ذلك الوجه المسوخ المضحك سرت رعشة غريبة في الصدور ، واذا بصوت احد اللوردات يرتفع صارخاً : « ما معنى هذا ؟ من ادخل الرجل الى هذا المجلس ؟ » ثم التفت الى جوانبيلين وقال : « من انت ، ومن اين جئت ؟ » فاجابه جوانبيلين بصوت هادي : « من الحاجة ! »

ثم كتف ذراعيه واردف قائلاً : « من انا ؟ انا البؤس ايتها اللوردات ، جئت اخاطبكم ، جئت اطالعكم على نأب جديد وهو انا الجنس البشري كائن حي . اياها الاشراف ، انا الرجل الذي يصعد من الاعماق . واتم العظام ، والاعنفاء . اتم تستفيدون من الليل ، ولكن حذار ، فهناك سلطة عظمية هي الفجر . لست سوى صوت صارخ . الجنس البشري قم وانا صرخة . لقد جئت افتح امامكم اكواخ الشب ، فالشعب سلطان صبور ، ولكنه قاض محكوم عليه . لقد التفتت دفاعي من الواجه فاحترموه . انكم لا ترون من هذا العالم الفسيح الا القمة ولكن اطمو ان هناك ظلاماً . لقد اعطيت اسم اللورد فرمان كلاشرلي في مجلسكم هذا ، ولكن اسمي الحقيقي هو اسم بائس مسكين يدعى جوانبيلين . كثيرون منكم عرفوا والذي ، اما انا فلم اعرفه فهو ينتسب اليكم من ناحية الاقطاعية وانا انتسب اليه من ناحية المضطربة . لقد طرحت في الحفرة . ولماذا ؟ لكي اشاهد الاعاق وانترع من قمرها جوهر الحقيقة . اتسمعون اياها الاشراف ! لقد قاسيت كثيراً ورأيت كثيراً ! الفقر ، لقد كبرت فيه . الشتاء ، لقد ارتعدت فرائضي من برده . الجوع ، لقد ذقتة . الاحترار ، لقد حبلته . الطاعون ، لقد اصبت به . العار ، لقد شربته . وجئت استفرغ امامكم جميع ألوان البؤس هذه . اتعلمون ماذا شاهدت حين دخلت الجامعة البشرية ؟ لقد شاهدت الشريعة بشكل مقصد ، والفن بشكل امرأة مئة من الهدم والجوع ، والمستقبل بشكل طفل يجتضر ، والحقيقة والصلاح في لوحة متشرد لا خديق له ولا رقيق الاذناب ! »

وشعر جوانبيلين بان الفرات توشك ان تحنن صوته . ولكن الغروب المضحك انه انطلق في الضحك . فلما رأى اللوردات هذا المشهد اخذوا يصقون له بايديهم ، ويهتفون ضاحكين : « عث يا جوانبيلين ! يعيش الرجل الذي يضحك . اكمل . اكمل ! » فاستطرد جوانبيلين في عاصفة من الضحك قائلاً : « ان السخوية تقف في وجه القزع ، والمفز . يهين الحشرة . اياها الاشراف ، ان ملكاً باعني وقديراً احتضني . من الذي مسخني ؟ امير ! ومن غذاني ؟ جامع ! انا اللورد كلاشرلي ، ولكني سابقى جوانبيلين . انا بين قوم يفرحون ولكني مع المتألمين . فالحق الحق اقول لكم ان المجتمع الصحيح سيأتي فيستجيب الامراء والاسياد ولا يبقى الا الاحياء الاحرار ! وبقي جوانبيلين يتكلم والاشراف يضحكون حتى شعر بعجز وخود فصمت صمت القهر . ولما خرج من مجلس اللوردات لم يكن في قلبه الا رغبة واحدة وهي ان يرى ديا . الا ان الفيلسوف المتشرد اورسوس كان تلقى من الشرطة أمراً بمصادرة انكثرا لان ذنبه يحدث الضرر في الناس فركب هو وديا والذئب . وركب الى روتردام . وتكهن جوانبيلين بعد لأي من معرفة مكان ديا ، ولم يكن المركب قد ابتعد كثيراً عن الشاطئ . فركب زورقاً . وبعد دقائق كان مطروحاً بين ذراعي حبسته العمياء . على ان الموت كان يهيم باخفافا فقال : « باذا تشمرين يا ديا ؟ » فأجابته بصوت متلاش : « وداعاً يا جوانبيلين . لقد عشنا سعيدين على هذه الارض » واحس الان بالوت جاء يفصلني عنك . ستذكر غداً البكوح الارزق الذي رينا فيه وصغيرتك المسكينة ديا العمياء . ستذكر انشروتي ونجرات صوتي ، واللهاجة التي اقول لك بها : احبك ! » واغمي عليها . الى الابد ! فثارت آلام جوانبيلين واقبل اليأس ، اليأس الاسود ! فانتصبت قامت ورفع جبينه الى السماء محدقاً الى الظلمة ثم بسط ذراعيه نحو الحاجة الرهيبة وصرخ قائلاً : « انا آت ! انا آت ! انا آت ! » وابتلعت المياه ! كانت الليلة حالكة صماء ، والحاجة عميقة ! ولما استفاق اورسوس من انماه ولم ير جوانبيلين التفت الى حافة المركب فرأى هومو يعرج في الظلمة وعيناه غارقتان في البحر !

الى قاهرية

مهداة الى كامل الشناوي

سكر البدر ليلة ، اين « ايزيس »
وغناء الزمان في اذن الا
عصفت آهة بصدري فعيبي
اين « ايزيس » ههنا وقع خطو
تناجي ، فالنيل حران صادي
هرام شجو مخضب بالنهادي
دمعة تسكب الندى من سواد
وجنة الحلال دونه حلم حادي

♦ ♦ ♦

يا مراح الاضواء باقت نجوم الليل
قربت سحرها المسبح للرؤيا
تسأل الليل عن تلاقى حبيب
عن صدى قبلة برتها شفاه
وانا سامر ههنا ارقب السرا
جاء في وجدها ، ومالت خيالات
قرب الفجر اين « ايزيس » لا عين
تعبت اضلع القوافي ومهمت
وعلى الضفتين تشكو الحيللات
ردد الصمت بحة من ضييري
يسكب الدفء في العروق فغصب
اقيات تسرد ليلاً سلباً
واستجمت في عينها الشمس « اين الليل قالت ايجي في السهاد
لم ازل بعد قبلة تشهد الاسجار
تلهي بها فنحن دمي خرس
اقبل الان نترع الثور ، لا ليل
قبل ان يستيق وجه غريبي

♦ ♦ ♦

وجرى النيل مثقلاً بملأ الاجيال دنيا التوافي الجياد

صلاح الاسبر

معابد الغاب



فلم الدكتور قنزل فياض



ليست في القباب والابراج، وعمدة الممر والماج، ولا في ذخرف الحجر والناثيل والصور . هي في تلك الخالوات الرجة ، الفنية بأشجار الشوح والددار والسنديان والصنوبر والتين والزيتون ، تغساها اشعة الشمس نهارة وترعاها نجوم السماء ليلاً ، ويمررها السكوت والسكون في كل آن . كم دخلت هذه المياكل اناجي فيها روح الوجود وانشد غملة الخالق في غلمة الخالق ، واسائل الطبيعة عن اسرارها والاراد مع اوميس : اسمها فالصنوبر يعني ، اسمها فالنخيل يترجم فتحيل لي تلك الاغاني والتراجم صدى من كل شجرة : انا هو الحاضر والماضي والمستقبل

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

اقول الماضي لان الأشجار تاريخاً مكتوباً في قلب الارض خزنته الشمس فيها من الحياة قبل التاريخ، هناك في قبرها العميقة التي طوتها فيها تقابلت الارض في اطوارها الجيولوجية الاولى ، استجبر حطامها ليكون الفجر الحجري والماس . وبعد ان هدأت ثورة النار الداخلية واستقرت الارض على شكلها الاخير عادت الاشجار تغطي المساحات الكبيرة وروتها الارض بدما ودمها حتى صارت للانسان صديداً لا يميّز وحامياً لا يهون وخادماً لا يخلف الظنون .

واقول الحاضر لان آثارها تقرأ حياة الانسان أين كان في الشرق او الغرب ، في السهل او الجبل ، في البيت والسوق واندسية اللهو وميادين القتال . فالقعد الذي يستريح عليه والمائدة التي يجلس اليها ، والنافذة التي يستقبل منها الهواء والنور ، والنار التي يصطلي بها ، والعصا التي يتوكأ عليها والسفينة التي تطوي البحار والعائزة التي ينفذ بها الجو والورق الذي يودعه فكره واحلامه كله من خشبها او نشاربها . تلك سنة الشجر اخذ وعطا ، فهي لا تعطر الجو الا بعد ان تمتص من الجو ، ولا تظلل الارض الا بعد ان تأكل من الارض ثم تصير حياتها سلسلة من التضحيات فتقطع وتشر وتصلق والراحا وعمدانا وتقوم لحييا الانسان .

هل نقول انها لا تقوى بارادتها وانها كانت تفضل البقاء سالمة في غابها كسرب الهواء والنور والندى ؟ ان في هذا القول شيئاً من نكران الجليل لاننا نصور حينئذ كن ينظر الى حقائق الاشياء . نقولاً سطحياً ، ولا نستحق بعده ان يكون لنا مقعد للجلاس او مائدة للكتابة او سقف يحمي رؤوسنا ، والأواح مصقولة تشي عليها اقدارنا .

على ان الاشجار لا تنتظر الموت لتقدم لنا خدماتها فهي تذكرينا كل حين ان التراب الذي ندوسه في المدن ليس كل الارض وان من وراء الآفاق الضيقة التي نعيش فيها جبالا تدعونا وغابات تنتظرننا لتنسبنا ضواً المدن ودخانها، وتتشقنا عيرها وتسمنا نشيدها وتطعمنا من ثمارها . في الاشجار كفا في السفن والنجوم وامواج البحار اسرار قدسية هي شعر روحي وصحة وحورية وامان وسلاوان فمن يستطيع

ان يشكرو الفقر وعنده هذا الغنى او من يستطيع ان يدعي الغنى اذا كان في حاجة اليها .

انا هو الماضي والحاضر وانا هو المستقبل ، هكذا تقول الشجرة ، لان كل اخضرار في الورق هو اخضرار امل ولا يكاد الجرم يخرج من الارض ويفتح صدره لليرة الاولى حتى تحاله كالوليد في حضن امه ، واذا نجا وبلغ قامة الانسان اصبح كالثاب الضاحك في لعافه ورفقه ووثوبه ثم يأتي الربيع فيزهو والصيف فيشمر . ومن الشجر ما لا يعطيك ثمرأ فهو على حد قول الشاعر :

كم قائل لي ان عرسك عاقر لا غدوت متيباً بهواها
فأجبتك كم غارس من سرود لجليل قد لا يطيب جناها

• مايد الغاب ليست فقط للوحي والصلاة والتمتع بالراحة والهواء النقي بل هي مدرسة للانسان ومن فوق الماضي والحاضر والمستقبل تلقي الطبيعة علينا بواسطتها دروساً في الجمال والقوة وتعلمنا شرائعها الخالدة فالشجرة صورة الحياة ، الحياة الكبرى العالمة المنبئة في كل مكان . من نجدذور الى الاوراق عطلت وعبر تبنت ان لكل شي . قاعدة يقوم عليها نظامه وجماله وان من الاسباب ما يساعد على القوة والنجاح كما ان منها ما يؤدي الى الضعف والذبول وان الصبر لازم في كل امر حتى في غناء الشجر ونضج الثمر ، وان الانسان كالشجرة فصكاً تحتاج هذه الى تربة ونور ورياح وندي وتقلب فصول وحالات جوية يحتاج هو الى تعب وجد وان تجارب الزمان لازمة لنضجه فلولم الامطار للشجر والله ذو القائل :

قلب الفتى لا يستوي ان تكن صاؤه صافية كل حسين

ومن الاشجار ما هو قصير العمر فيسرع باعطاء ثمره ولا يطيع الوقت سدى فكأنه يقول ان قيمة الحياة ليس بطولها بل بنقصها . كذلك نجد ان الزارع يسهر على الشجرة الفتية فلا يسمح لها ان تكون مثقلة بالثمر لئلا تضعف ، والمربي كالزارع فعليه ان يشغل على الأولاد فلا يهدمهم بالعمل الباكر الكثير سواء في عقلمهم ام بدنههم .

ارأيت اية آفاق تفتح للانسان • مايد الغاب ؟ ان حفظ الانسان • وتربط بالشجرة ارتباط الشجرة بالتراب ولهذا كان الاعتداء عليها اعتداء على ثروة الانسان وهدماً لمعايد الشعر والغن والصحة . في بعض البلدان ذات الغابات الكثيفة الواسعة يبلغ حب الشجر درجة العبادة فتوى اشجاراً قديمة شجرها الزمان وجعل فيها اخاديد وحفرأ فيما جلونها من الدخال بالاطلا والطاين حفظاً لها من التهدم والانفكاك وينتمون من كل من يد اليها يد الاذى . فما بال الناس في لبنان يهاون قيمة غاباتهم ، فيشوهون بمحاسن الوجود ويستهنون بنعمة الموجود ويحلبون الضرر لانفسهم من حيث لا يشعرون . في كل يوم يقع بصري على اجمال من الخشب المقطوع وهي جزء . من حياة الجبل تذهب ولا يعوض عنها بزرع جديد . يا سبحان الله افكُتبت لهذا الجبل الخالد هذا الفناء ؟ فاذا بقينا على ما نحن عليه من خرق حرمة غاباته • محي الظل عن جبينه وذهب السحر من عيونه ولم يبق اثر للاهداب على جفونه . ازرع ولا تقطع كلمة جميلة لاصدقاء الشجرة لا يجوز ان نمر بها في منطفات الطرق ومداخل الغابات ولا نولها اعتناء ، ازرع ولا تقطع لان في الزرع ضائناً للمستقبل . ازرع ولا تقطع فالزرع جمال البلاد وثررة العباد وبركة الاولاد والاحفاد .

تقود فباض

الذكريات جردوح

بقلم السيدة ورداد سلاكي

مجهول وأجل من دون علم الله ... ولولا الذكرى ما كاد المريب
ان يقول خذوني .. ولا كان الحجر خائفاً مما افتقر في ماضيه ،
فاذا اغلى الحظ ثمنه وغفلت عنه الاقدار لم يدور عليه تاجر
الذكريات فيدعوه الى بيها بانحس الاثنان ؟ قلت هذا ونظرت
الى الناس فضيل الى اني ارى وراهم افواجا تبهم وظلالا تلتق
بهم ، انها الذكريات تنشي قدماً خلف اصحابها بل هي اتبع لهم
من ظلم لانها موصولة بجوارحهم مندسة في طبائعهم ، فيها نصب
لهم وشكوى او استجابة ونجوى ولذة وسلى ، ولو احصينا
اشتياها لآرادوا على السعادة ، على ان اجل الذكر وانقاها وابقاها
على الايام هي ذكريات الطفولة ومطالع الشباب ، فيسا من لم
ولمب وغرارة ومفارقة وفرح وروح ، ومن الذكريات افاع تنسل
خلال المواجه الى النفوس فتلسعها وتقب مسراتها وباهجها
كآبة ووجوماً ، وسكينتها ثورة وقلعاً ، مما يروى عن المحزون
العامري قيس ليلى ، سكونه الى كتمان الرمال وجاوسه على
ضفاف الآبار تحت ظلال النخيل فاذا مرت به طلبة نافرة او وقفت
على عدوة منه فلما لم تخوه جيداً اتاع ورنرت اليه بعينين سوداوين
كجيلتين ذكرت ليلي فهب نائراً خلفها فقاتته نافرة فاذا هو في
منعقد الرمل غمى مطروح .

وللذكريات ارواح ورياحين نهو البها بلدة ولحفة ، فتجبل
اتراحنا فرحاً ، وعبوسنا ابتسماً ، ومن يدري قرب ذكرى حارة
تطل بلعظها الساحر في غمة الهوم والفراخ فتجبل العذرات
وتتألق على الوجوه بشائر الرضى والسعادة كما جعلت الحاجاج
التقفي يردت الى نفسه بعد غضب عاصف ويتبسم ضاحكاً اذ
مثل في الذكرى حياته الاولى حين كان معلماً لصبيان الطائف
يعطوف عليهم ويبيده عصا يقرع بها الجدار ارباباً للاولاد ثم يده

وزار عبقري الملتحين انشودة الذكرى لالفريد

غنى

دو موسيه وهي اغنية مواجهة بالشعور بمزوجة بالشجو
والزنين بكى فيها الشاعر ايامه الخالية وأعوامه الباسمة ، فكان
يخيل لمزار من سحر طوته ان يحق القاب في متناوح اشجاره
وهذو الليل في بعيد اغواره يتادي بشعره : اذكرني .. وبقيت
قصيدة الشاعر هذه طارقة للذكريات وطن الأبد بتدو ويمزف
لايقاظ السلوان من جود الصمت وسكون الموت ، قلت لتفسي ما
الذكرى الا حياة ثانية فولاعا لكان لنا عيش واحد راتب غريبه
على هون وسامة ويضي بنسا كما شاء القدر ، فاذا غنى زى
الجديد فنؤخذ بفنتته ونحس بالحدث فنلوا بقلواته ثم الاشيا
بعدئذ يبقى منها في قرار نفوسنا ، ترى هل كانت تطيب لنا
حياة من غير ذكرى فلا احزان تشربنا مواضيا ولا افواح نأسى
على ما فاتنا منها ؟ ولعل العمر كان يخلو من كدر لولا الذكر ،
فالنسيان اذن من النعم كما يكون من النقم ، وما كان يقع
الكدر فيعكرو صفو حياتنا لولا تأثيره فينسا وتذكرنا اياه ، فاذا
مر وغير وسلوانه او نسيناه بننا هائنين متبطين ، صفحات قلوبنا
بيض لم تحط فيها الذكرى سطرأ اسود .

كان أبقي على ذماتنا واحلى اميشنا واسعد لحظنا لو لم تكن
الذكرى منغصة مؤلمة ، لا يشكو احد منا الى احد غدر صديق
او تنكرو زمان ولا تقص امرأة على اختها قصاً من فيجائهم
ومواجهها ، ولا ينطوي عزيز قوم ذل على الكتاب على مجد أقل فيرد
بالاحلام عهد الغار حين كان يتقلب على اعطاف النعمى والتف ،
ولا كان الشيوخ الضعاف او الشباب الاقوياء يضمهم الاسى على ما
مضى من سنين عايشوا ايامها في خير او شر فان ذكرى ما
ذوى من ازاهير شباههم تحجج واثل ايامهم وتندرمهم يستقبل

الواقع الى عصا كانت في يده وقد هزها منذ حين في وجوه قوم
من اقزام الرجال العصاة في منازل الكوفة ، تلك ذكرى ربما
طلوت بجأضه فحمد الله بعدها اذ صار امره الى طاعة ورفعة والى
مجد خالد وصيت بعيد .

ومن العجب اننا نذفن الذكريات في صميم صدورنا وكمين
اسرارنا ، فنحن احرا ، نحمل امواتاً ، وقد تلحد بعضها في اسفاط
وخزائن او ندرجها في الدروج ثم نتركها زمناً حتى تبعث حية
تهزنا حيناً بالسرور وحيناً بالالم والمساءة ولعل فيها كتاباً او
صورة او هنة او اداة وتكون ارواحنا في هجمة انس وطرب
فتمتد ايدينا بفتة الى هذا الدرج او ذاك الصندوق نبعث
اغفاه واطباقة عن حاجة نبتئها فتسك اناملنا بشي منه يشير الى
ذكرى ولا يكاد البصر ينصب عليه حتى تجمد العروق في
أفئتنا ويغرغر الدمع في اعيننا إذ أن في ما رأينا ذكريات
مضة منفضة هاجت منا المآثر والآلام فكانها القيت في
خواطرنا ومتاعنا لنحفظها ونحميها بها ألفتنا ونعينا على البقاء .
بقينا .

وبعد فليست كل الذكريات جروحاً ولا هموماً ، بل كثيراً
ما تكون بلسماً للجروح وفرجة للهموم ، وقد تندمل الذكرى
الجارحة وتلتئم او لا تندمل ، وكيف رمت او انسحب عليها
الغطاء فلا بد لها من ساعة او فجأة تنكزها وتكشف عنها فاذا
هي ما زالت دامية الية .

هكذا قدر للانسان ان يعيش مع امة من نفسه ، تتسل له
في آفاق حياته ألوان الظفر والسعادة او ضروب الحمية والشقاوة ،
وأى امري . خلعت حياته من اعباء الماضي وتكاليفه ؟ كلنا
مقلون يحمل ايامنا الفاتئة ، قلت او كثرت ، فليكن لنا من
ذكرياتنا عجرة وموعظة تنفع حياتنا وتوسم بها ارواحنا ، وحسب
الانسان منها ان يحلو اليها حيناً بعد حين فيجلوها ويناجيها ويشكو
المآثره وحزنه فقد نبشأ بينه وبين ذكرياته صداقة تنسيه ازم
الاصدقاء ، بل ما احرا اذا كان من الادباء ان يكتب من
الذكر ما هو حري بالتدوين والتسجيل ، فخير الادب الحديثة
ما اشتمل على ادب الذكريات ، هذا الادب الخالد يشعور

اصحابه ، الحافق بشؤونهم وشجونهم ، المبعوث بطرفة عين ويقلعة
فكر من اطباق الماضي العائد اليها وكاننا نعيش فيه ، فكتم
من استغراقه ذكرى خلعت علينا ما نضوته من ثياب الاعمار
وما اكثر ما استجابات الذكريات القرائح الشعرا .

حين ترك ابو العلاء عمرة النعنان وقد شد رحله الى طية
عراقية او شامية وقف به دليل ركبته على تراب يسوفه ففكر
اذ ذاك المعري بامامة وهي مربة الوطن فهاج ذكرها في نفسه
ذلك التراب ولعلها كانت فيه دفينة فقال :

ولقد ذكرتك يا امامة بعد ما

زُل الدليل الى التراب يسوفه

وقد عز على عنترة العنسي ان تحتويه الرقعة وتدور فوقه
الاسنة فتنسيه علة فقال عنها :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل

مني وببيض الصفح تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها

لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

ومن الشعراء من انتفض للذكرى فقال :

اذا ذكرت يحتاج قلبي لذكرها

كما انتفض العصفور بلله القطر

ومنهم الغريب الدار المنقطع الاخبار القائل :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم

رب ذكرى قربت من ترحنا

حتى اذا كان عهد شوقي يرحم الله قال :

ثلث في الذكرى هواك وفي الكرى

والذكريات صدى السنين الحالكى

وداد سلكي - دمشق

تحت اجنحة

الليل الازرق

الحلم الناعم للتأمل بدأ يُفترق حسي . .
وبقايا شجوب ذهبي يمر غلالاته على الرمال الصفراء .
ليس احب اليّ في هذه الساعة من ان اصحب هذه الاشراف بأناة لذيدة . . .
وان افرح بالي . . . الي الذي صار فيك فرحاً اكبر .
ان الحياة يا حبيبي ، لم خالق مرقي ، مفرح ، كأغصان هو يُنجز من قلب بكبر كل هذه
القلوب بحساسة الالم الذي يحمله . .
الحياة يا حبيبي زهرة عطرها فيك ، وسرها في اعماقك . . . ولكن سرعان ما يزول
هذا المطر ، وتولي تلك الزهور الحارة ، ويحل رماد الذكرى يدل تلك الفتون السياء ، فإذا
العين الباكية تسقط على بكاء الشيوخ ، وعويل الحريف ، وعمرى الاماليد . . .

بنلم

نوري الراوي

٢

ان ذراعي لا يفتشان بيتان لك ، ولذها ان يحسا نفساً من افاسك الماطرة . .
ولا يتخلي ان ترسي هذه البتلة من الاحار انسان على صدر من احيت . . .
وان تردني فية من هذه الشككة البائسة الى بحر اشجانه التي لا تنتهي . .
آ يا حبيبي . هذا الكأس الاجمر ، يتدلى بحفه زهرات الترفل ، كأغصان هي تمل طيفاً
من الوان روحك .
لقد امتلأ به ناظري ، ثم لم أعد ارى الآء . . هي ذي انت يا طيف الالوان . . أنت
يا حبيبة ، وجسمك الصغير وضيقرتان تلوحان على كنفك . . وبسة اودعها امك على خدين
بلون الجلتار ومسة غابرة تلوح بين شاطئين من جمال عينك . . ومسة صغيرة . . لا تتعدى
انفراج شفة مقلبة . .
فيها افراح حياة وآلامها . . .
مسة حب . . في ظلال حب لا غناء وزاد ولا امل فيه .

٣

غية من غيوم الليل تذوب في الكأس .
وأجل غمة فيها تنأق في عيني . .
لك حي أيها النجمة الثائبة . .
لك حي أيها البسة الطافية على ثمر الساء .
ها أنا مع الليل أنظر جدانك القضية وهي تضطرب في مسارب النور . .
لكم تبعتك بانظار قلبي أيها البسة الثائبة ، تبعتك وأنت لا تدرين . .
ثم ألفت لك جوده السلاسل من أعناق الورد ، لتربط قلبي في ظلال الصفائف الباي
ولكنها تاهت بين هوات الضباب الرمادي الرافضة فوق النهر المحبوب . .
ولم تصل إليك . . فيكبك على ظلول هذه الذكرى كالأطفال . .



مع الصبغة الباقية ، مع نثار عطرها الراجف .. في حنايا ريمها
الاجر ..

سمعت قلبك الطفل يوثب ..
لقد دسسته بين الاوراق اللينة ، فروعك غاية شهده الالم وهو
يشرع في لجة من العطر المفض بالورد ..
كانت ظلال الخوف الطفولي تبدو على وجهك الساذج ، تنبدل
كلاضواء الرفاقة ..

ثم تخفي في مثار هذا المرح الكبير الذي يوج في دمك ..
كنت تفرحين لانك اعطيت قلبك للرجل ..
كنت تفرحين وتخافين ..
ولكنك رصبت ان تعجى الامل والالم في ضجوة ريمك الميسون ..
آه يا صنيعة .. لقد وجدت قلبك ولكنني لم اجد فيه قلب حواء ..

على ذكرك يا صنيعة ..

على طاول ذاك الذكر العلوي ..
اسلت دمامي ، واسمذبت اليك ، في سيلك يا ابنة حواء ..
لشد ما تزييني هذه القطرات الحارة .. عندما ترصفني قرادعيني ..
ان سيليا الغصي ، ليرش دمائي ببلاته الباكية ..
فاشمر بثقل اهدائي وخفة جواغي ..
لقد فرغت الآن من تمرير هذا الكفن الطويل ..

ودفت اجل شاعري في حضن تلك الصنفاقة الجانية ..
ونحت هياذب اغصانها المرضى ، غرفت باحاساسي ، فسدت كل ما
حولني من ضحك وبكاء ..

لقد خلفت ورائي العالم ، وهو زين وبفضض ويرجف ويضحك ..
لقد خلفتك ورائي وقد اشغل اهدائك الطفلة حلم « شجي » بهيم ..
فتركت جبي الموهوم يسبح في مسرى غير تلك النظرات ..
آه لك يا ابنة حواء .. لقد بشت من جديدي ظلمة قبر جديد ..
فودعا ..

حبذا لو كنت بقرتي الآن .. لشد ما يشوقني ان عنأ هذه القرايب
بصداح بلبل غرد ..
لقد مللت سماع هذا النواح المتناطح تلفظه من اعل الاعمدة المهدمة
منافر البرم ..
لقد سأمت حتى نفسي .. فاردت ان اخرج عنها الى غير مأب ..

تاركاً في قرارة ظلمتنا الحارة ترقى شيايي الاول ..
ان ظلال النخل تمتد وتطول ..
وعير الليلة يفرق شاعري ..
وانت يا ذات الغداش الحم ، لا تسدين انك الان قرحين في قلب
هذا الشاعر القتون ..

اذا ما تاهت العين في مسار الاطواق الزرقاء ..
تاركة نثرات عادية من مباحج ألها المستنذب .. ترون في قرار
الليلة السكري ..
اذا ما تأودت الحان الصنفاقة في هذا الجو المستغرق حلمه ،
المستطاب سكونه ..

ورمت شباكها الى ذلك النهر العروپ ..
باحثة بيد لذغا الواجعة عن تأويه هاته الاثنان المنتصبة ..
بشت كل عيني وكل آلامي .. وداء قلبي ..
تبحث عنك ..

قد تكونين تحت ظلال سفة تنوس في صميم ليله قراء ..
قد تكونين يا ذات النذيرتين المغفودتين من ليل الاندلس قد لوبت
جيدك واسلمت للرقاد جفنيك ..
وربما .. ربما اسهرك هذا الخيال المرح ، فأخذت تنظيرين من خلال
سجوف احلامك الشائبة الى ذاك الحبيب ..
وهو يقف على لحن من ذكراك ...

هي ذي الاعمدة الفارغة يثائر عليها بكاء الانهر ..
وتنتنق فوقها سوايح النجوم ..
ان ظلا محموماً من ظلالك يا فنتني ير شجياً كالطيب ..
يعمل لذادة كبرى من لذادات عينيك ...
ولكنه لا يثأ ان يلاشي كالحب في نافورة من البلور ..
ان حطفاً من الحياة كهذا الحبيب يا فنتني ...
يقف ييمض اثر لفاء قصير ...
ويزول كنمنه من نوات النواوير ..
كل شي ييسم الآن ، ولكنها بسمه ما اسرع ان تحمي في تلك الاقواس
البنفسجية المتلاشية في الظلام الازرق ..

كل شي ييسم لي ...
وكان ثبور الاف الاطفال تنزوعيني ..
آه .. هو حلم ما اسرع ان يمحى ...
كعجب نافورة من البلور ..

نوري السراوي - بغداد

مكاذبة النفس

بقلم سربيل اربيس

كان

للشاعر الفرنسي « بوالو » فكرة خاصة به تتعلق بنظرية الابداع « L'originalité » فكان يسأل : « ما هي الفكرة البديعة ؟ » ويتلخص جوابه في « انها ليست هي الفكرة لم تختر الا لثانها ، ولم تنجح الا لذهنه ، بل هي ، بالنعيق ، فكرة خطرت على بال الناس ، وانجحت لادهانهم جميعاً ، ولكن المبدع فيه هو الذي تقدر له ان يجاها اول من يجاها . . . وان يكون المعنى جيداً ، والفكرة صالحة الا بقدر ما يجويان . من اشياء . يفكر بها كل شخص ، ويديرها في ذهنه . . . ولعل هذه النظرية لم تسبح لبوالو الا لانه فطن انه عاجز عن الابتكار والاختلاق . وان هذا لعل حظ من الصفة كبير . ومن ادلة ذلك قوله صراحة عن نفسه : « وحتى في التقليد ، اراني دوماً مبدعاً . » على ان هذا لا ينفي ان تكون النظرية صادقة . وانها كذلك . فقد اجمع على صحتها كثير من الكتاب ، ممن ابتكر ابتكاراً ، او قد تقليداً . . .

انما الاديب المبدع حقاً ، هو الذي يتبها له ان يحسر عن فكرة . مكونة تقود بها العقول ، ويكشف عن عاطفة تضمرها الجوانح ، وتضطرم بها الافئدة ، غير انها تجنحها عجزاً منها عن إيجاد سبيل الى اظهارها .

وانا في الحق احب الكتاب او الشاعر ، يفكر فيكون تفكيره صدى لما يبتازعني من فكر ، اكثر من حيي للكتاب او الشاعر ، يفكر فيبتكر افكاراً لم احسها ، ولو انها اثرت في قليلاً او كثيراً ، واعجبت بها الى حد من الحدود . . .

تلك مقدمة - واخلها قد طالت - سابقاً بيت واحد لشاعر لا تعني كتب الادب به العذابة الكافية ، واعني به التثريف الرضي . اما البيت فهو من تلك المعاني الخالدة الراسخة في النفس . . . فكرة بديعة لا يحارها الا من له هبة الكشف ، وميزة النفاذ :

وكاذب النفس يند الرجاء لها - ان الرجاء يصدق النفس يتفعل

http://Archivebeta.Sakhril.com

اقول انه معنى قد طبع في كل نفس ، ومثله كل قلب ، ولكن لم يتبها لكل عقل ان يشخص عنه . . . وهكذا كثيراً ما تكون المعاني التي تدرك بالحدس معاني صعبة الادراك بالعقل والقوي والتفكير . وتجري ذلك البيت يتلخص في ان الرجاء هو قسوام النفس ، وعائلة الفؤاد ، به يعيشان ، ومنه يتسنان غير الحياة . . . ولولا ان الرجاء يسبق كل عمل ويعقبه ، لتكشفت الحياة عن اليأس المطبق والاسى البالغ . . . واذاً ، فان اعمالنا منبوذة اول ما تكون بالرجاء . والتأويل . ولا شك في اننا لولا توقعنا الرجاء . قبل ان نأتي عملاً ، لاجعنا عن اي عمل ، ولانصرفنا عن كل اقدام ، لان النفس كما جبلت على التأويل والاستبصار ، جبلت على التحرز من الاخفاق والخطئة . من العجز . . . والتخوف لا شك عامل قوي الاثر في عدم اقدام على الاعمال .

وهذه حقيقة تجاهاها النفس في كل حين ، وهي حقيقة صعب عليها تحملها ، لانها كفيلة ان تصد عن كل مراد ، وتصرف عن كل غاية ، فكيف للنفس ان تواجهها ؟؟

هنا موضع بيت التثريف الرضي . فان النفس لما كانت تخوف وتتحرس ، وهي في الوقت نفسه راغبة ان تبلغ هدفاً او تصل الى حجة فانها لا بد لها ان تكاذب وترواغ . وليس العاقل من يصدق نفسه ، ومن لا يكذب ضميره ، فيضج للرجاء . حداً ينتهي عنده ، فلا يتعداه الى الامل الخلب ، بل هو بالنعيق من يكاذب نفسه ، ويجادع ضميره ، ليمتد له الرجاء . .

ذلك ان من يقطع الرجاء بصداقته نفسه ، يكون غير مؤمل من عمله اية ثمرة ، يكون قد اعتبر نفسه فاشلاً خائباً . ولقد اثبتت حوادث الزمن ان ذلك العمل كثيراً ما ينكشف عن ثمرة مفيدة ، ولو ان صاحبه كان قد تخاه عن ذهنه ، وقطع منه كل فائدة . وفي تلك الحال ان يغيب اليأس من تلك الثمرة شيئاً ، بل اعلمها ضميره وتؤذبه اذ قد يكون عمل عملاً آخر مخالفاً من حيث الفائدة لذلك العمل الاول وبغيتة في ذلك التماس سبيل آخر قد يضي الى مراده . . .

واذن ، فما على المرء ان يكاذب نفسه ، ليمتد لها الرجاء . ٩

وهنا نجهني بسؤالك ، يدور زمناً طويلاً في خلدك : « واية فائدة في امتداد رجاء النفس ؟ » اخن ان ذلك هو لب الموضوع .
لا ريب في ان الذي يرضى ان يكاذب نفسه ، فيمد لها في الرجاء ، سيكون راضي النفس هادئ ، الضيق . وهنا الفائدة عظيمة جداً ا
ذلك ان النفس يونسها ويتمها ان تفكر فيها لا تحب التفكير فيه ، اعني في الذي تخشى او ترون انه عقبة في سبيل . مبتغاها ، والا فهي
توقن انها عاجزة عن اي عمل ، مخففة في كل شي . . . وان ايقن صاحبها هذا اليقين ، فانه يصدف حتماً عن الاعمال ، ويتنكب - راضياً -
سبل الاقدام ، ويتراجع عما يخشى ان يقع فيه . وليس من شك ان في هذا التمداد الثقة ، وانتفا . الايمان . . . وان الذي يفقد ثقته بنفسه ،
وايمانه بتقدرته ، يفقد من الحياة اسمى ما تمعي ، يفقد الشخصية ، فيعيش في زاوية مظلمة من زوايا الجهل والحرمان . . . وفي ذلك كله ضرره
نفسه ، بل ضرر المجتمع الانساني قاطبة . . .

ونحن نعلم الان ان ذلك راجع الى انه صادق نفسه ، ففتحى الرجاء جانباً ، وصدف ان عمله لم يؤت ثمرة ، ففقد ثقته بنفسه ، ولم
يجترأ . على اتيان اي عمل بعد . . .

تلك حالة من يصادق نفسه ، فما حالة من يكاذبها ؟

اول ما يبدو لنا ان هذا الاخير ان يقدم على اي عمل قبل ان يترتب ويروني في اموره ويقتله بحثاً ودرساً ، حتى اذا رجح لديه الظن انه
سينجح في هذا العمل ، رأيتاه يقل عليه مجرأة وايمان وثقة ، ويثبت ينتظر نتائجها ، يمد الرجاء الواسع . ويسمعه الامل المريض . . .
ولكن ان يترتب على ذلك ان يكون النجاح مؤكداً ، بل هو قد يخفق اخفاقاً كبيراً ، ولكن ذلك الاخفاق لن يصرفه في حال من
الاحوال عن الاعمال ، بل يحتم عليه ان يقدم غير وجل ، ما دام الرجاء . يلاً قلبه ايماناً بالنجاح ، والامل يفيض في جوانحه ثقة . منه بنفسه .
ولاشك في ان كون عمل هذا « المؤمل » قد احتيط له ودرس طويلاً ونجت ، يقربه اكثر ما يمكن من النجاح ويؤمن له سبيل بلوغ الغاية .
وهكذا يتضح ان من كان يصدق نفسه وغيره ، فيقطع لها الرجاء ، يخشى ان يخفق في اعماله ، فيترجع عنها ، ويفقد قيمته في
الحياة . بينما زى من يكاذب نفسه وغيره فيمد لها في الرجاء ، عظم الاعتماد ، كثير الاعمال ، ناجحاً في الحياة وسعيداً .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

واود قبل ان اختم هذه الكلمة ان اروي قصة قصيرة وقعت لي بالذات ، اول ما بدأت اشتغل بالادب . فازلت اذكر اليوم الذي ارسلت
فيه اول مقال ادبي لاحدى الصحف الادبية ، منذ بضع سنين . ومكثت انتظر صدور الصحيفة تنظراً ، يجماني الشوق والرجاء ، الى
اجواء عاصرة بالاماني الخلابه . وصدرت الصحيفة ، فابتعتها واجف الصدر ، راجف الفؤاد . وقلبت الصفحة الاولى منها ، وسارعت
فقلبت الثانية كيلا ارى فهرست ، وذلك لاند نفسي في الرجاء . ومكثت اقلها صفحة اثر صفحة ، حتى انتهت الى آخرها ، ولم اجد
فيها مقالاً . . . فقلت في نفسي : « لاشك في ان المقال لم يصل ، فلا انتظر اسبوعاً آخر » وانتظرت اسبوعاً خلتها دهرًا ، وصدر العدد التالي
فكان خالياً . . . اعني خالياً من مقالتي ا قلت في نفسي : « لم يجد رئيس التحرير مكاناً ينسج له في هذا العدد ، فالى العدد القادم » وصدر
العدد التالي ، فرأيت فيه كثيراً من النافه (كذا) ولم ارم مقالتي . . . وصحت لحظة ، ثم قلت : الواقع هو ان المقال ضاع بالهرم !!
واطمأننت الى هذا كل الاطمئنان . وقاديت في مكاذبة نفسي ، ولم اجد على هذا السؤال « لماذا لم ينشر المقال » بحقيقته وهي
« لانه ليس جديراً بالشهر » . . .

وطفقت ارسل المقال تلو الآخر ، فارسلت اولاً وثانياً وثالثاً . . . الى ان نشر الرابع ! والشاهد هنا ، هو في انني لو لم اكاذب نفسي
لاقطع الرجاء ، ولو انقطع الرجاء ، اصدف عن روض الادب . . . وامل في ذلك خسارة لي . . . او . . . خسارة لروض الادب !!
فبيت الشريف الرضي حقيقة اولاً ، ونصيحة ثانياً . . .

اما انها حقيقة ، فكلنا نجس وانما في نفسه ، واما انها نصيحة ، فالطياة اكبر شاهد على صدقها :
وكاذب النفس يمد الرجاء لها
ان الرجاء يصدق النفس ينقطع

الى سومي

•

حنانك لا تكتمني
هواك ولا تندمي ،
فلي منك أمنية الجربج
من الباسم .
واغني - وما كنت قبلك
غير قتي معلم ،
شريد من امانيه
في افقر مظلم ،
ويجي على خاطر
عايل الرؤى مبهم .
حنانك ، لا رحمة
اذا انت لم ترحمي . . .
تعالى نفص المنهات
ملاى من المقم ،
ونجي منى هي من قبل
لم تجن في موسم ،
تحاك لنا من خفوق فؤادي
ولون دمي ،

فذهب اسطوره
رواها فم عن فم .
تعالى نفتق دينا ربيع
من البرعم ،
ونذبح حلأ أشد رواه
من الانجم ،
يهل الخلود ، يهل
ساح القد المنعم .
تعالى ، فوهج الوفا
يوج على مبسمي :
أنا لك أحلى من البرح
في مسع المعرم ،
وأطهر من توبة الاثيم
عن الماثم .
تعالى ، ولا تكتميني
هواك ، ولا تحجمني
فلن ارجعي رحمة ،
اذا انت لم ترحمي .

يوسف الخال

نوفمبر ١٩٨٠

المعبودة

بقلم محمد حاج حسين

ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول
واستاذ الادب العربي في التجدير ومعهد الفرير باللاذقية

أعجمت

وترددت كثيراً ، ثم أقدمت على سرد هذه القصة : خيال ، وهم ، حقيقة ، أي هوة تفصل بين هذه الاقانيم : الروح ، ألا تتراقص في عوالم ، لا يحدها مكان ولا يمدوها زمان ، الاجيال السحيقة والقرون الغابرة ، أليست لحظات أشرفت في صحو الحياة الجياشة ، ثم انطلقت كلحج البصر ، أمن . معقول ان الروح تذبل وتموت ؟ اليها كم يرعش الذعر في جسدي عندما تمر بي الذكري ، التي لم ينلني منها ، غير الوجد ومض الآلام . لقد مرت ثلاث سنوات على هذه العاطفة التي نشبت في اعماقي ، وعانقت فؤادي ، وهي لا تزال دفاعة متجددة ، فالاحداث لم تحقها بل زادتها احتداماً ، وأضفت عليها قبة من الجلال ، واشراقة من القداسة . . .

كان ذلك في مدينتي الحالية بالجمال النهم ، طرطوس ، الثالثة على شاطئ البحر الابيض المتوسط ، رابضة للاجبال ، مقهقة للدهور ، تضاحك الايام ، وكأنها ابتسامه الحب الطافحة بالنور . وانثقت حوادث قصتي هذه في خريف سنة ١٩٣٩ ، في ليل من ليالي كثرين الثاني ، وقد ضحكت نجومه في سمائه ، وشع القمر تياها غامراً الدنيا بسناه ، أصابني أرق جاهد ، لم أصب به غضة عين ، تحدر اعصابي المتناهية ، وتنفذ نفسي من نفسي . كنت في الثانية والعشرين من عمري ، وكان الايام القت علي وقر الثاين ، فأليس العريض احتلني ، وشعرت بتفاهة الحياة وفراغها ، وضقت بكل شي . . . وتغنت للموت ، الذي يخاضني من اوجالي .

ما ابرح الماضي القريب ! أي حياة رائحة هذه التي كنت احباها في القاهرة ، ولباتها الزهرة ، وغولها المتجددة ، أبعد هذه الحياة النامية ، الموشمة بافانين الالهو ، أعيش في هذه البلدة الضيقة الصغيرة ، وذلك الطرب الذي كان يشيع في اعطالي ، لجالها ، في صباي ، قد تلاشي ، وزادت لي كفضمة جمة ، تريد حيائي وتلونها بالأسى . . .

كانت امنيتي ، بعد ان نلت اللسانس ، الذهاب الى اوروبا ، لأنتلي . تجربة وحكمة من هذه الدنيا الفياحة ، وعمل خيالي في توشيته ، صورة ماجدة ، حياة بهية ، في اوروبا ، بعد ان تحورت نفسي من كل الاوهام ، ونفضت عنها كل الاعباء ، لتتوي من فيض الذائد ، وتوسع الحرب نيرانها الجرمية ، بعد فوزي بشادتي ، بثلاثة اشهر ، فأرغم على البقاء ، ونفسي ممزقة واحلامي مبعثرة . . .

وأصبحت استاذاً للادب العربي ، ورحت مندفعاً بكليتي في عمل لانسي هواجتي ، ولكنكسأ ترو وتزخر ، حتى تخيلني الى نضو خيال ، وايام القاهرة تنفض حيائي ، وتؤذيني ، فأبرم بكل شي . ، وتسبدي في نقمة طائفة ، حتى على اهلي الذين كانوا السبب في وجودي . فيحياتي باردة لا تستحق الحياة ، وانا غريب بين قومي . وانسلت من البيت في الفريغ الاخير من الليل كوطبت لجمال الليل الوحشي وشدهت للناس الذين يتامون ولا يستمعون بياهم هذا الليل ، الذي يريق القمر فيهضوه الغاتر على المدينة ، فتستجم في بركة من نوره . فالحياة قصيرة المدى ، أنقضي قسمها الاكبر في النوم ؟ وفي القاهرة تعومت السهر ، فلم ير علي ليل ، استطبت فيه لنومة اكثر من اربع ساعات .

كانت السكينة ترفرف على المدينة لا نامة ولا حركة ، كأن الطبيعة حزينة مثلي . وقادتنني قدامي الى البحر الذي يغني اطرطوس اغنية الابد ، ويحضنها بانغامه البكر . ورحت امشي وتبدأ على الرمال ، والبحر هادي . يرسل امواجه الشاجبة ، علي الشاطي . المسجور ، وقد دغدغت أشعة القمر الريقة قلثمه بحب ودلال . واستروحت لهذه الهدأة الغابرة ، ولثجت نفسي وافرغت فيها طابئة سرية عذبة . ورميت معطني على الرمال ، وجلست عليه واشعلت سيجارة تعقد امامي سحجاً من الدخان ، وفجأة ، ترامي الى اخني ، انقسام ثلاثة حاوة الوقع ، كانت الانعام الخالدة ، التي سمعتها لعباقرة الموسيقيين العالمين ، تموت ازاها ، فاستمتحت لحفها متلذذاً ناعماً قوياً .

وتنتي قلبي من الروع في صدري ، وازبار شعر رأسي ، ومشت رعدات في مغاصلي ، وكاد عقلي يشب من رأسي ، لهذه الفرجة النورانية

التي برقت وامضة في البحر ، فكأنني أرى غمامة نور تغرق على مآتي الأمواج ، بربرت واثقة ، ونفا اضطرابي عندما رأيت الغمامة تنفض على الشاطي . ويبدو منها شبح يتهدى في مشية رفيعة عجيبة ، لم ار مثلاً في وقها وجلالها وندواتها ، واوشكت ان أقذف صرخة من أعماقي الداعرة ، وما استطعت الى هذه سبيلاً . . . وشي الشبح ، يتجه صوبي ، وانا في شبه غيبوبة ، حتى خاذلي ورفعت عيني المذنبين ، فهاذا بنور هجج يأخذهما وبصرت بغداة شقيقة ، مرسله الشعر على كفتها العاريتين ، يتدلى حتى اقدها ، كانت عارية مجردة من كل لباس وجسم البضاض كمثل من نور . جلست فباتت تحدق في بعبرتها الكلاوية البعيدة القرار ، التي تجملت فيها كل معاني الانغراء والاعواء . وذهب الخوف عني بعض الشيء ، وحاولت الكلام فتخرج على شفتي ولكنه لم يلبث ان انتحر . وان لذتي في الروعة التي استجلبها من هذه الغادة الرواق ، لا يجدها وصف . ما اجل الدهر لو كنت عن الدوران ، لاغرق بين طيات هذا الصدر الذي يقفز فيه نهذان في فنتها الغافية ، ليكونا مشواي الاخير . . . ورجفت يدي بشدة ، عندما رفعت يدها النضرة ، اللألاء ، ومرتها على يدي ، فالنيران تضرمت في عروقي ، حتى استجلت الى وقيدوعزمت على تطويقها بذراعي المشتاقين ، ولكنني جمدت لا استطيع حراكا ولا بنسة ، ورفعت يدها النارية عن يدي ، وكنت اتقي ان تنعقد عليها حتى الابد لا يحرزها الزمن بأذى المدفع .

وخفق صوتها في اذني كأنه جلاء الربيع وبسمة اخريف ، وشحوب المساء ، ولم تتضح كلماتها لي لاول فينة ، وما عم الامر ، حتى انجلي صورتها كحكمة الناي في سحبي . تمتعت : يا ربتي عشتاروت ، يا الهة الحشب والحب والنا . يا ام الفضول ، ويا غذية الاجيال ، وسائلة الالهة ، اما حان لروحي ان تقر في لقادة مرجوة مع حببيها . عشتاروت ، يا ربة الدنيا ، ارحمي صالونا المذبة ، التي تنتظر ولادة حببيها ، لترقه الحب وتحنه بالمطف ، وتذيقه جلالها ، ديب الحب المتاعدة . . عشتاروت ، يا حبيبة الاله ادونيس ، انت التي اضجعتني على سرير من الحش ، وضدت كلامه ، ارحمي صالونا وعجبي لقامها بحبيبا عشتاروت ، يا ظفر الطبيعة ، يا ام الوجود ، عشتاروت ، ربتي ارحمني . . ولما آذنت بالسكوت ، طفر صدري بوجيف جبار . ووثبت تنجيه صوب البحر لتغرق في طياته ، ولست ادري كيف جاتني شجاعة عارمة فصروت اليها نظرات ضاربة وقت : ايها الملك لا تنهب . والتفتت الي غريرة ، وقد شمت عيناها بوعين قاتن : لا افهم ، اذارتد ، انا صالونا الفينيقية ، وجلست على الرمال برشاقة ، وقد غلقت بعض ذراتها على ظهرها المنسكب من النور ورفعت يدها حتى لامست جبوتي وسحبته بسرعة بعد ان مستني النيران وغيمفت : لست هو . . . وقلت : ومن هو ؟ فاطلقت هبة صامتة لاري الدموع النادرة تلالاً وجها الاسبح ، وارسلت تهمة تلتها باهة . زقت كيانتي وقالت : يا سافضي ، لك ايها الغريب بدخيلة نفسي وغيبنة خيمري لتري بلسن القسوة التي رقت علي طيلة القرون . لقد عشت في هذه البلدة ، انترادوس ، منذ آلاف السنين ، يوم كانت ترهب بالفينيقيين القرم ، مسلمي الشعوب المدنية ، وكنت من اسرة وافرة الثرى اثرت من التجارة ، تضرب في مناكب الارض ، لتمجيد فينيقيا ، ولما استوى عودي ، فتفتح قلبي على حب شاب رائع الجمال وعقد الموى نفسينا حتى استجلبنا الى روح واحدة . ما اجله ! ما ارق ثنائله . كم كان يتبد اخلاصاً ويشرق محبة لي ، وطفقنا نعد الالهة ، لبناء بيت جميل نجعله وكراً لرامانا وحياتنا المستقبلية ، ولم ندر ما نجني . لنا الايام المكفهرة وترامث الضجة في كل مكان تزدرد على شواطئنا فتذمر لها ، ولكنها لا تتخاذل ولا تستكين ، فان تحمست ملك مصر العظيم ، قد بشر اجزاء سوريا وافتتحت عنوة ، وها هو بعد العدة لاكتساح شواطئنا ، وتشاور شباب فينيقيا في هذا الامر ، واعتادوا المقاومة حتى النهاية . انجذبون لتحموتس ؟ ام يقاومون حتى الموت وآثروا الفكرة الاخيرة ؟ على دفع فينيقيا بالمار . وكان حببي ، اشد الناس حماسة وجبروتاً فاذا ما زرف الي في المساء . يجذني بلهجة تصبي الحواس ، عن واجب الدفاع عن انترادوس وارواد ، كيلا تلوث اققنا وتبقى عشتاروت بعيدة عن كل دنس ، فكنت اشجعه وان كنت اشر بخطر محدد ، وسيعرمني طلعتة السنية ، واكبرت شهامته وشجعتة بكل حواسي ، وبمسد ان تنكشف الغمة عن انترادوس ، ويعود الفاتح المنصب القهقري ، سنحتفل في المعبد بزواجنا .

وبعد مدة هل تحموتس بجيوشه الجرداة وعدده الزاخرة وهو اشد ما يكون ظمأ لبيع ارداد وانترادوس لقمة هينة لبننة . واكتسح انترادوس بعد مقاومة صاعدة ، سالت فيها الدماء ، مداراً ، واخذ المصريين قبحا الذي كان يلاً انترادوس ، وعابوا ستة آلاف جرة من خمورنا الشهية ولكننا لم نياس ولجانا الى جزيرة ارداد بعد ان حططنا الجسر العتيد الذي اقناه ليلص بين المدينتين البحرية والبرية بموشدد تحموتس الحصار علينا في ارداد وراح يذيقنا صنوف العذاب ويغن في ضربنا وازعاجنا ، وكان حببي يسير في مقدمة الجيش المستافع عن ارداد ، الصامد للهادي الدخيل ، وكلما رأى تخاذلا او برحاً من كد الحصار نفع في الفينيقيين من روحه الجبارة ما يوقد غريتهم ويجدد

قواهم ، حتى استعذبوا الشقاء ، ونعموا به كحياة راضية تسلمهم من الوضر . وترددت اغانيه الماتمة تتجاوب بها صخور فينيقيا ، مشجعة الفينيقيين الصكاة الدادة حتى لا يلينوا العدو المتعجم . وشعر المصريون بجهرت الفينيقيين وصرامة دفاعهم عن جزيرتهم ، فذب الوهن في عروقهم ، ولكن ملكهم نحموتس زار وزفر وصرخ : أأتبع الدنيا واسود العالم بجيشي وتقف يوجهي شرذمة من الفينيقيين يعصون دوني في جزيرتهم . سأهدم ارواد وسأدقها ، ونحسم جيشه الجرار ، فشدد الحصار ورمانا بالران العذاب وصوت حبيبي القائد يهدد مهيأً بالفينيقيين للصود امام العدو الغازي . فعشثرت تطلب اليهم بالحاح صد عادية العدو لانه لم يبق لها مكاناً في فينيقيا بريئاً ، دنس الفاتح الا ارواد ٠٠ عشثرت سبناركنا وستمنحننا الحب الدائم والمجد المكين .

وظل الحصار ستة اشهر ، ونحموتس يتحرق غيظاً ولما انتصر علينا ، بعد هذه المدة الطويلة ، ثارت موجدته ، وهدم جزءاً كبيراً من ارواد ، ووقع بنا مقتلة عظيمة ، وكان حبيبي ، والسفاه من الذين قتلوا ٠٠ ولما تراءى الي الحبر ، صمعت ، وعرتني لوعة ، وقنني شحوب وهزال وعسكت علي اشجان ، وطلعت في الاماكن المخربة اندبها ، واذفر عليها عبرات حري ، واتادي حبيبي في كل مكان ، ادال الموجة وأسأله الرحمة ، امرخ وجهي علي الصخور الناتئة ، اسألها عن حبيبي ، اجشو في احضان الليل اطلب منه ان يرق لحالي ويرسل لي حبيبي ، وفي كل مكان كنت انشده ولا اجد ، ولكن صورته ظلت منطبعة في نفسي ، متجرجة في ذهني واحبته اكثر من قبل اكبرت فيه تضحيته وفروسيته واغانيه ، غنت اشعاره ، بصوت طليعة ، وغنا ، بلغه الجزع وينفجر منه الالم . اراد في كل شي ، في شدو الصغور ، وغنج السمك ، وفي السماء ، سادراً بين النجوم يترها فاين ما اتجت تعرت امامي صورة حبيبي واستمتعت عن الطعام حتى ضويت بنيتي ، ورغبت في الموت ، ليعجل اوبتي الي حبيبي ، شاعر فينيقيا وسيد شبابها ، وبطلها الخلاخل المقدام .

وتقدم شباب انترادوس يخطبون ودي ، ورايتهم لطخات سوداء ، في جين فينيقيا الذي زهر زهره رائحة عجيبي ، وتلست الغرائبي في كل مكان ولكنه استعصي علي ، فحسبي يجتلي ويسكن في نفسي ، واصبحت ترثية امداري فينيقيا في اخلاصي وحي وسري اسي ، مشفوعاً بالجلجلة والاكبار وهمت الشفاه : صالونا نغمة فاجعة ، تعزف علي رمس حبيبا : صالونا ، روح حائرة ترقص علي جدت حبيبا : صالونا ، معذبة ، مدقعة ، تنوح علي حبيبا : صالونا ، ره جي للاخلاص والحب والاشيام . وهكذا تنال علي العنوت في كل مكان ، وانا في اتون من الاحزان ، لا يقر لي قرار ، ولا تنشف لي دموع ولا تجف لوعة ، وفي ليل عروس ، مطلقهم الطفلة ، ولوات الريح ، كواندفع المطر ثائراً مزمجراً ، خرجت ، أفتش عن حبيبي ، علي الشاطئ ، كويطلي المطر ونظمت لوجهي العاصفة تنفذي فيهنزها ، أبعد فقد حبيبي أغشى النواذب النازلة ووصلت الي الشاطئ . بعد ان اصبحت مشغوراً ، ولم اشمر بفخسارة حبيبي افقدت كل وعي . وترحت في سيري ، علي الشاطئ . اتادي من تهواه نفسي وانشد اغاني باكية ، اندفعت من اعماقي وروح في التعب ، فجلست علي صخرة مبردة ، ارسل اقدامي في المرح المصططب وفجأة كفت السماء عن البكاء ، وانقطع سيل المطر وهدأت العاصفة بعض الشيء . وخيل الي اني ارتع في جنة حادة مع حبيبي اغازله واعاطيه كؤوس الهوى . وفتحت ذراعي كاني استقبله وهفت قبلي في الهوا . بيقه ساخرأ منها . وتراى الي صوت ناعم فيه حنة لاجعة فارفعت اذني وفتحت روحي وتتجلى الانعام شبيهة الوقع وتقرع سمعي فخلتها روح حبيبي تتاجبني وتتجيب ندائي بعد عرفها عني . وتترجم الانعام اغنية حارة تنشدها عذاري فينيقيا في هيكل عشثرت ام الوجود . وتلذذت اصالي وافرخ روعي وغرقت في خلد لذ باسم وصمحت اسي بتردد فاضيت وكذت اقع منشياً علي . كان الصوت يقول : صالونا ايتهسا الفينيقيية المرزاة ، صالونا الوامقة التي افوهاها موت الحبيب وندت مني صرخة فاتكة في هذا الليل الاليل ٠٠ وتقترب الانعام تردد اشراقاً ووضوحاً فتصيب العرق من جبيني وجلأ والمات في جنة . وتدنو الانعام حتى تقع مباشرة في اذني عازقة بوله : صالونا ، ايتهسا العذراء ، الفينيقيية ، لا تخشي شيئاً ٠٠ تجدي ٠٠ ونفذي وصاتي انا الزبة عشثرت ، ام الفصول وروح الاحياء . ومبدعة الوجود ، صالونا ، انا افتك عشثرت حبية ادونيس ، لا تجزعي ، صالونا ، باقية شاطي . فينيقيا ككسفي من غلوانك لقد تالني ما نالك من اسي وكنت مستطارة الرب ، مجزونة الضمير كاسمة البال لقد حبيبي ادونيس الذي خضب دمه حاسده الذي كان بهواني ويريدني وانا اشد ما اكون عنه صدوقاً ، واخيراً اتخذ شكل خنزير بري وقته وملأ الارض بدمه الطليل الذكي ، صالونا اتندي في احزائك الهادة !

وافرك عيوني لمئاته مرثاة وسري رعدة في مفاصلي واحدت بالافق البعيد فتجلب الطفلة وتنسرح الغيمة لتسبح في رهبة ولاري طيف عشثرت يرنو الي غراراً ففرقت وكادت نفسي تطير شعاعاً وضجعت عينها الالهيتان فبددت ما ساورني من الخوف وقال طيف

الالهة : صالونا ان جمالك الرقراق اذوته الالام الدنفه وسحرك الفياض احرقته نار اللوعة الشاذية فجبديك مات لاجلي ليقيضي عني آلهة مصر فهو يرتع في سعادة بين احضان الابدية وسيدمت حياً بشبابه وحيوته وبهائه وستره الدنيا شعاعاً يضرر له الحمد اكيله .. وعليك يا صالونا ان تصبجي سراعاً كاهنة في .. جبدي لتطهر نفسك وتسمو بروحك في عوالم الصحو والترقد فامضيك البقاء الدائم ... لتلتقي بجبيك مرة ثانية على الارض تتجاذبا الحب وتتأاحا الذاذد ..

ودقت الربة عشقوت بجناحيها التنديتين فعلقت فوق النجوم تتبعها سحائب من نور وتحملها .. واكب آلهة فينيقيا .. ولما اصبحت ثملت لي الليلة العائرة بجولة عشقوت فهرعت الى معبدها .. الخنث وحرق اجزاء نفسي امام قناتيلها لترتل لها الاغاريده واسبح على متن عبادتها .. متحشنة ليلي ونهاري ، اصلي بجنش عاصمة اغفلن روحي في روياها وفتحت الربة مغاليق نفسي فومت الاسرار ورأت المستقبل واجترحت العجايب ووجدت تسليمة وتلهية عما يضطرم في قلبي من حب عنيف لطبيي ولكن صودره كانت منقطعة في رأسي افزع اليه كلما تضاعفت حرقه فيغي .. علي الراحة ويسكب البلم .. وانتظرت صابرة هادئة وعد الربة عشقوت لتتقذي من وساوسي وتطيري الى حيث حببي ينعم بحلقاً في اجواز الابدية ... تألم في البقاء السرمد ...

وتجلبت لي الربة عشقوت ومستني مسأ رفيقاً بيدعا الواضحة وقالت بصوتها الالهي : صالونا ، تبياني ، ستكوني روحاً رفوافة هائلة على هذه الشطان المباركة المضخمة بانفاسي ، ستراعيها ، وستقيمي عبادتي في كل عطفة من عطفات فينيقيا فسيأتي وقت يجعدي فيه ابناً .. فينيقيا ويكفروا بعبادتي وستظلين خالدة في .. هلاوي الزمن لن يداعيك الغنا ، وستضعفين الاغلال وستكون لك في كل قرن خروجة تجوبين بها شواطئ .. انترادوس تنقشين عن حبليك الذي سيولد مرة ثانية بلحمه ودمه في انترادوس .. وعندها تستقرين معه في رعدة ربانية مشوعة بالحب .. واصبحت روحاً هائلة على شواطئ .. فينيقيا اري كل شي .. ولا يراني احد ، واخرج الى الشاطئ .. كل قرن في مثل هذه الساعة الذي انجرح شوقاً لموآه .. لقد مرت علي اجيال مثقلة بالاعوام ولكن ما فقيتها بالنسبة للابد ، الذي لا يمحده حد ولا يصره امد ؟ سأتربث ، وسأعبد ربي عشقوت ، حتى اري حبيبي تنثر روحي في وداعتها .. وهفت صالونا على الزمال السورا ، باقدها بالمنعنة وهي تسكب في نظراتها النفاذة .. وابتلمت الصم المهادر وغاضت سحابة النور ، وهبنت الظلمة واندفعت طمر خفيف قمت والانفصالات تتلاهب في المواجهس تهجس برأسي وصالونا لا تزال عالقة في مسيطرة على اعصابي انلذذ بجبالها القريب وحديتها العاطف ..

وخفق قلبي ، يضرر بشدة ، مولها بين جوارحي الابدية .. وصرت عاشقاً لصالونا ، يستدني في حنين اليها .. وسكنت في نفسي ورحمت ازرع الشواطئ .. في الليالي عساي اقترها واستمتع بندواتها وعيا اثبت عنها ، ذهبت بعد ان سيطرت على حواسي وسلبتني ارادتي ونفذت الى عقلي وبداء علي شحوب ، وهزل جسمي واصبحت لا استطيع الانسلاخ عنها فهي تمثل لي في كل شي .. وكثيراً ما اراها تضحك بين الغيوم فأثبت نظراتي ثم لا أنشب ان اراها تطير فأدب بحب اعنف من الاول ..

يا الهي .. ما اقوى الحب الذي ملكني ، ولوحظ علي هزالي وغيبوبي وقال بعضهم : ان العشق يذبح قواه ، وعالوا وعالوا ، ألتطيع ان اقول لهم من احب ؟ وهل خلقت لي ان احب غير صالونا ؟

وعشت سنة في مارطوس مع صالونا اهم بها وعبدت لاجلها عشقوت ، ففي كل صباح اقم صلاة خافتة التريق على صالوناعي .. فمعادتي ان تسعد صالونا وتبدد روحها في لقاء مع حبيبها ، ولتعجل الاجيال بولادته ولالهم صالونا ، احببت شواطئ .. فينيقيا وغمضة عين وانتابها على سواحلها اللازوردية ، تبر كل ما في العالم من جليل ورائع .. واستنمت لحياطي متلذذاً ..

وكنت اذا سمعت بالبحث الفينيقي ، تشدد موجدتي على دعائه ، واحتق على مروجي هذه الفكرة ، ويا لدعشتي عندما رأيت ذاتي تتجرر ، وتنفض اريدتها المتوارثة المتأصلة لترتدي الثوب الفينيقي وبعدة وجيزة كتبت روايتي الكهري « شاطئ .. فينيقيا » وهي تربو على الاربعماية صفحة ، لتسجيد فينيقيا ، وبمت الحضارة الفينيقية الى الوجود ، ولست ادري كيف كتبتها وكل ما اعلمه ان دنوات صالونا كانت المرشدة لي في علي ، فلاجلها عبت عشقوت وكتبت « شاطئ .. فينيقيا » .. يا الهي لقد مرت على هذه الحادثة اكثر من ثلاث سنوات ، ولكني لا ازال محباً مستهماً بصالونا .. وتطوف بخاطري في كل لحظة ، حتى استحات الى جزء .. من كياني .. وسأصبر .. وسأصبر .. عسا ترق لي ..

محمد حاج صبيح — اللاذقية

على ارباض الجاهلية

بنليم زكي الخاسي
استاذ العربية في تجهيز دمشق

وساحب الكحل
بالرجل والوصل
مارحت بالجل
بالمجد منهل
ككواكب الليل

أهوى مباسها
يا عيش كيف لنا
يا جاهليتها
بل كنت في زمن
اطلعت أشمارا

سيري على الرمل

لاشي من ظلي
في نازح الرمل
منها بلا عدل
في غابر الاهل
طير لها قل لي
يا ناقتي سيري

جوزي على مهل
لا صوت اسمه
حب يبيتي
مترلسا
قل لي اذا غنى

يا ناقتي سيري !



الى
مطامن البداة، من دارات عيس وعبد شمس فإن كل المامة بك، تفهمني معنى من معاني اشعار العرب في الجاهلية . وكل زودة
من زوراتك تعلمني الادب الجاهلي في فطانه . فلئن كانت الصحراء ديار جذب ووادياً غير ذي زرع ما انبتت الا الشيح والقيصوم
ولانفتحت الا بالعرار الذي ودعه الشاعر في عشية من عشايا نجد ، فان رملها المروض ونسيبها اللافح وماها المندور قد اطلع ازاهير لايحورها
الزمان ، فراحة تفاحة ملأت بالطور مدى الدهر ، نبتت في رياض الشعر والسجع وحلو الحديث وال اخبار وكان اهلها دماً القيس وطرفة
ونابغة ذبيان واكشم ورفاتهم ...
يعد العصر الجاهلي اقدم عصور الادب العربي . ولقد بعثت الشقة بينه وبين عصر التأليف الذي تفتحت ازاهيره في حواضر العرب

منذ المائة الثانية للهجرة . فأقبل الجماعون للأنخاب وجلة الرواة على البادية فيجعلوها مصدراً للغة العرب وأديبهم وتاريخهم . فقلدوا أكثر هذا الأدب من أفواه العرب الأخص وجعلوه أسفاراً وطافوا به ماصداً وعقدوا له حلقات المساجد الجامعة وبيوت العلم ولم يغدوه عن الفقه والتفسير وحوادث التاريخ ، إلا طائفة منهم طبعوا على النظام العلمي وكانت لهم طرائق في البحث تقرّبهم من الوحدة في الموضوع كأبي الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني . ونحن أبناء العصر الحديث عندما نقبل على دراسة العصر الجاهلي نرى القرون قد حالت بيننا وبينه بنشأوات فليس بين أيدينا من تراث الجدود كتب تنفع الصدى في بحثنا عن أدب ذلك العصر البعيد بحثاً علمياً كالذي نراه في دراسة علماء الغرب لأدبهم ولغاتهم . وسبب ذلك أن العرب حين نشأت لغتهم وبان لهم أدب في الجاهلية لم يكن فيهم من يقيد تلك اللغة ويدون ذيك الأدب . وكان سوادهم على جهل بالقراءة والكتابة إلا نفرّاً من سادات العرب وأقربائهم وقسوس النصارى وأجبار اليهود كانوا تزرأ يسيراً في الحجاز أو اليمن . وهم بالرغم من ذلك قد حذقوا المعرفة بالنجوم من غير منظار . وعرفوا القياس بالقيافة والفراسة ، بدون « علم الإنسان » . وإنا عذري الأدب الجاهلي أن وصل إلينا منه القليل فإن أمته ابتدته ابتداءً . ولم تنفع فيه أو تتقبل غيرها من الأمم التي كانت تعاصرها . وهي لو قلدت أو اقتنت لكان لأدبنا اليوم شأن خطير قد يبيد به أدب الأقاليم جميعاً . فلقد كانت هذه الرقعة المتراصة بأطرافها التي عاش عليها الجاهليون ونسبها جزيرة العرب ، في شبه معتزل عن الأمم المجاورة ، فكان اعتزالها هذا سبباً في ابتعادها عن الأخذ بنهائج الثقافات الذي يكون بين الشعوب ، ويلعب به بعضها من بعض . فتكون الألوان الأدبية ، والوجهات الفكرية . كالذي كان من امتزاج اليونان بالفرس . وأرى سبب هذا أن أرض العرب لم تكن مطعماً للاثنتين اللتين كلتاهما تجارتهما وهما الفرس والروم . ولو أنها غزت أرض الجزيرة ونشبت بينهما وبين العرب حروب منظمة أو فتح لرأينا الثقافة الرومية والفارسية قد بلغت اعماق البلاد العربية قبل الإسلام . ولكان لنا أدب جاهلي منظم وضاح الملم بين الصور فيه شعر قصصي ومنه أدب تخييلي . لم يترك العرب المعتزلون آثاراً حجرية ولا كتباً جاهلية . وذهبوا غير تاركين إلا قصيداً طولاً حشواً فيها بعضاً من خطرات نفوسهم . وأجابت قلوبهم ونمّرت عقولهم . وكان الشعر عندهم ديوانهم الأعظم . كانوا يحتنون إيا احتفاء ، والشاعر ويعلمون غوره على جدران الكعبة مكتوبة بما . الذهب كانوا يمشون بأش الشعر ويعتصمون بكلامه . به كانوا يدرون عنهم عوادي الخصوم وبغائيه كانوا يجنون لقبيلهم الرفعة والمجد ، ولكم طاب للرواة أن يقصوا علينا نبأ مدح الخطيئة لبني أنف الناقة وكيف رفع من شأنهم . وكانوا خاملين ، وإذا بلغوا إلى الأعشى قدسوا بعدهم مع الحق وبنايته وهديته الحق التي لحقها بها حتى ، ينازل قومه وقول الشاعر فيه : وإني لئن اعتلج الحر والسمان في جوفني لأقولن فيه شعراً ما قالته العرب : وأرى الشعر الجاهلي على قلته وقلة شعرائه يكفي أن يربنا صرّة ولو فاقية عن قوم أقدمين اظلمهم الساء فوق أرض جرداء . ما عليها من ماء . إلا آثار تروء عند ظلال النخيل . أقرأ شعريهم فأرى فيه عيشهم وإحس بأعزائهم واسمع ديب آلامهم . أنه يصور لي ما اشجى بينهم من خصام ووثام وما يعتريهم في البعد والقرب وما يحف بهم من خير أو شر . وإن أكن أرى هذا من خلال سجون قلانة إلا أنها تشف عما تحتها فتيبن . لكن غير رادية باحثاً ولا ناقمة غليلاً . وما ابتغني من الكمال في أدب قوم ما عرفوا إلا الورب خيماً وكساء . ولا سكنوا إلا المدر بنا . لقد امتلأت قلوبهم في الحرب بالخيّل والرمح والسيف . أنست نفوسهم في السلم إلى البعير والشاة وطافت عيونهم بمنى المرأة وجيدها وميزهم من أهم الدنيا الكرم والمروءة . التي أجد كل هذا في شعرهم الجاهلي فلقد وصفوا فيه أنسهل الأمس ، والوادي السحيق ، والسحابة الوطاء ، والسهل المصبغة الصافية . وقفوا بأثار الإجاب بعد رحيلهم فذكروا النزي والحجارة والذئب والاطلال . صوروا الحرب وأهوالها وطعن القنّاء وضرب الحسام ونحر النوق والشاة للاضياف في الهالكي السود ذوات الهريز ، واندشوا المعرى والشباب مزامير ولحونا مذبذبة سابية وخلدوا ملاحه المرأة بأشبهه ونظائره . من كان يجمل بالهمى ، وبعباً بالفاغلة ، ولم يشبه شعراً الجاهلية عيون النساء ، بعين الظبا . ونفاز الجادّز بنغاز الرعابيب ؟ وطال بهم الحذب على الضيف وبذل المعروف له وجرت دماؤهم جداول في سبيل الشرف والوفاء . حسب شعر الجاهلية أن يعمل هذه الخناجات ليكون غير مقصر في المضار . . هذا أدب الجاهلية وقد وقعت على أرباض فوق الرمال المحرقة فوردته دافئاً أحس في روحي ادواهم العطاش . وتراى لي على صفحاته المتسعة صورهم وهم متلفعون بالعباءات ، يجررون أذرانهم مضطعة بالطيروب ، تحتهم أفراسهم السلاهب ، وبأيديهم عوامل الرياح ، والمبندبات البيض . وبنت لي نساؤهم على أبواب الخيام ، وتحت أروقة المضارب ، سوداوات العيون والشعور يتلفتن نحياد الظبا . ونحت أصواتهم من صميم الماضي ناطقة باللغة العربية الحلوة صافية الكلام واضحة العبارة اغادة الأسلوب .

نكي الحاسي - دمش

مناجاة

قالت ، لنا الزورقُ
والأرحبُ الأزرقُ
قلتُ ، لتياره
جنونه المطبقُ
قالت ، يعوم الهوى
بنا ، فلا نفرقُ



وقالت الليل ، مثل
البحر ، أو أعرقُ
قلت ، لنديمانه
في اليم ، ميا يرهقُ
قالت ، لنا عندهم
على الوفا موثقُ



ومر من عمرنا
شبابنا الريقُ
ما ضمنا فيه ، لا
ليل ولا زورقُ



ARCHIVE

http://ArchiBeta.Sakhrit.com

نقد و بررسی

عدو المرأة

اللمرد

رَبِّهَا

بِطَمِ امِينِ الْفَرَبِ

كان أوقع سؤال يمكن التقدم به من سيده على الإطلاق : كم عمرك يا سيده ؟
فالنساء في كل العالم يعددنه هاهنا مجانبية ، واعتدا . لا مسوغ له . وقد صار الرجال

المتمدنون يعرفون ذلك فيستجيبونه . بل يماذرون امام السيدات محض البحث في الاعمار . لان
العمر على ما يظهر الدَّعدو لهن . ينكرون حقيقته ، وينكرون على الناس حق ذكره امامهن .
ولماذا ؟ لان رأس مال المرأة الاساسي في الحياة جمالها . والعمر في رآها يقدها اياه . فيزيل
اللعان من عينها ، ويجعو النضارة والاحمرار من وجنتها . ويجفر الاخاديد والانثام في جبينها
ويدهبها . ولكن لماذا تدع الفتاة الجميلة النظيرة الوجه النساعة الملس للعمر سيلاً كي يدك
اركان جمالها ، ويجحد هذا التخريب في المستودع الرئيسي لرأس مالها ؟ سئل مرة بعض الرجال

الخبيرون في الموضوع : ما هي السن التي تبغ المرأة في اوج الجمال ؟ . ولو كان اولئك الرجال من صنف الشبان الذين يطلبون الزواج اليوم
لأجابوا جميعاً ان اجل ما تكون المرأة في سن ١٥ لان شبان اليوم لا يبحثون في الجمال الحقيقي الجذاب بل يريدون فتاة كاتفي ارادها
الانجيل المقدس اذ قال : « اتخذها عروساً بلهوبها » . اما الذين نعتهم الان فاناس عركهم الدهر وغر كوهوا اثبتوا في واقف عديدة حافة عقولهم وحكمتهم
ويكفي ان يكون بينهم بلزك الفيلسوف الفرنسي الذي قال : ان اشدهني المرأة خطراً على القلوب هي الحامسة والثلاثون . وقال غيرهم انها الثلاثون وقال

آخرون بل هي الاربعون . وعلى بعضهم ذلك بقوله ان المرأة قبل الثلاثين تكون اشدة ارباً بنفسها من ان تتاقق وتحتل . وبعد الاربعين قصير اما لزوجها
اكثر من رفيقة . وعلى ذلك يمكننا القول بان الجمال لكي يستوفي شروطه لا يكفي ان يكون تمام في السيدة نفسها بل يجب ان يؤثر في
النساظرين اليها . فرب امرأة متناهية في الجمال يشرق وجهها كالقدر المنير . وهذا الوجه مع ذلك لا يقول شيئاً للنساظرين اليه ، بل ان في
بعض الوجوه الباردة في الحسن شيئاً يصدم العين ويبعد القلب ويرمي بالتضايق والارتجاج . وقد حفظنا هذه الامور غالباً في الصبايا المتراوحت
بين سن ١٥ و ٢٠ و ٢٥ . فالفتاة في هذا العهد لا تكترث لا لراي الناس فيها ، ولا تقبل ان تكون عانساً الثالثة لديها موضوع بحث واستهلام
فهي جميلة جداً وكفى . ان لم يصرح بذلك لسانها غت عليه حر كانها ، وسكنتها ، وان لم يفصح به جنانها ، دأت عليه نظراتها ، ونهراتها .

والانسان في اعماق فكره حر ولو تظاهر بالعبودية . قد يحدض لسانه ويختم ويدب على الركبتين ، اما رأيه الداخلي فلا يعنو ولا يلتري ،
بل يميل دائماً الى الاستغناء عن كل من يستغني عنه . فالتى لا تكترث لحكمه لا يكثر لها ولا يجي . حكمه في مصلحتها . فاذا اتت
عليها السنون الثلاثون بدأت حرارة الكهيا ، في عروقها تهدد والافكار الفجة في دماغها تنضج وتخبو . وعادوها من السكينة والمهدوء .
ما كان ينقصها قبلاً لتصلح للامتحان . واشرب وجهها تلك النضارة الزاهية عنوان الشبع والارتواء ، كما تضر اوراق النبات وتتمش
بعد ان تجتاح العاصفة . وفي الحامسة والثلاثين يشتد تأثيرها في من يدانيها لانها تصير ادري بالاساليب الحربية واخبر باستعمال الاسلحة
واقاها . ولا يزال فيها من فضلات المرور السابق وبقاياه المصقولة ما يدفعها الى الهجوم ورمي الشباك . وهنا موضع الخطر . فاذا عدتها

الحجة الاربعون تم تضجها واكتدمات مآرأها وادركت ان الدنيا قادرة على الاستغناء عنها . وهذا سر اسرار الجمال . فهي بعد قوبة الجسم
مقولة الساعدين لكنها صارت اعلم بالحقائق . لا تقتر بايقسام ، ولا تسكرها كلمة ثناء ، ولا يبهرها التماق الكاذب ، ولا ترضى بغير
الحقيقة . واما الحقيقة هي الجمال كما قال يوالو الشاعر الفرنسي المعروف . اجل ان الجمال هبة من الله كما يقال . لكن الله كريم ، لم يرم
خلقه من خلأته بعض الجمال ، ولا ضن على مرحلة من مراحل هذا العمر بجمال خاص بها ترمو به على سواها . فالعجوز الباردة تشبه قصراً
منيفاً ما ذهبت عنه روعة الجديد حتى تحلى بغضامة القديم . كلنا نذكر المرحومة « ساره برنات » المشتهة الشهيرة التي نشرت اسم فرنسا عالياً
في اربعة اقطار الارض . رأيتها ببني في السبعين من عمرها تمثل بشكل مدهش دور ابن نوبليون في سن الثانية عشرة تركض وتقفز على
ركبتي جد ذلك الامير في القصر الامبراطوري كالولد المتلى قوة وحرارة وتقوم في بعض المشاهد بجر كالت بجواز الفتان المرافقين عن تقليدها .

وفي الولايات المتحدة مدينة تدعى ملووي في ولاية وسكنسن يضرب للثل هناك في جمال نساءها ، اقامت معرضاً لجمال الباهر سنة

١٩٢٥ تبارت فيه الفيد الحسن واشترك في الاقتراع الحظي ملايين من الناخبين فكان الفوز النهائي للسيدة « ماري لولوي » اذ نالت مليوناً وتسعمائة الف و ٢٥٠ صوتاً اي ما يزيد مائة الف صوت عن اقرب مزاحمة لها . وادرون كم كان عمرها يومئذ ٩-تسعة وستين سنة . وقد تقلبت الاكرام الذي غرما به الشعب في حفلة تتويجها بالزهر بغاية الهدو والسكينة فلم يمتلئ رأسها طيشاً وغروراً ولا حسبت لعروش الجمال قيمة غير قيمته الاسمية . سنة ١٩٢٩ ماتت السيدة للي لنتراي التي خلبت عقول الناس في صباها ولم تكن ، وهي في السادسة والسبعين تفوق عنها في الثلاثين . والسيدة مارغو اسكويث قريبة رئيس الوزارة الهيرطاني الشهير المعروفة في عالم الاقلام بالمت من العمر عتياً وظالت تطاول السنين بقدها المياس وقوامها الهيف حتى قيل ان الذي لا يعرفها في انكلترا يشبه الفرنسي الذي لا يعرف برج ايفل ، واللباساني الذي لم يسمع بارز لبنان . ان من يرى غابة الارز الباسقة في لبنان ، وجذوعها المائلة قد تحجرت كالصخور لا يقول انها شجرات شايخة هرمة . بل ينظر الى الاخضرار الابدي في رؤوسها الشائخة في الجو ويقول انها شجرات جميلة تدعونا نضارة غصونها رغم عشرات القرون الى الامان في جبا واحترامها . لكننا لا نبالي بالشجيرات الصغيرة على ما في جذوعها من طراوة ، وفي غصونها من خضرة .

وهكذا الحال مع البشر . فمن يكبر ويحتفظ بقواه العقلية والجسدية ينال من احترامنا وبحبنا اكبر نصيب وفي بلادنا من هي المرأة التي تعد نفسها صبية بعد الخمسين - اجال الخمسين سن لا تعترف ببلوغها سيدة على الاطلاق . لاعمري . لكنهن يبلغن رغم انوهن الجميلة . وغالباً يحسن جبل الحياة الجوهرى قد تصرم . مع ان المثلة الفرنسية « مستحيات » التي امنت جمال ساقها عند احدى الشر كات بخمسة ملايين فرنك ، وكاتي شروت التي خلبت عقول الناس لما اختارتها الامبراطورة الياصابات النمسية لتقرأ للامبراطور فرانسوا جوزيف ، والسيدة جازر الروسية والسيدة اوليفر هريان الاميركية ، يعان بكل صراحة قائلات : « ان محاسن الحقيقة ولذي في الحياة ابتدأت بعد سن الخمسين » . والدوقة تزلند الانكليزية جدة لربعة عشر حفيداً كانت تقول انهم هم الذين حالوا بينها وبين الهرم . فاحتفظت بعدسن الخامسة والسبعين بجبال فضلها الناس فبعد على ابنتها التي كانت آية الجلال الساحر في رواية « العجوبة » على مساح نيويورك . وهيلانة الطروادية شبيهة فيثوس الالهة الجمال ، على الارض . كانت قد جاوزت سن الشباب لا خطفها ابن ملك طروادة وحشد اليونان السفينة لاسترجاعها بعد حروب طالت عشر سنوات واهلكت الملايين والملايين .

ونينون دلتكلو الفرنسية حام الشبان حولها وهي عجوز كما حالوا حولها وهي فتاة . حتى ان احدهم وهو في سن الحادية والعشرين انتحر لرفضها الاقتران به وهي في الثانية والسبعين . ولجميع هؤلاء الجيلات لا يعتقد ان التهج يزيل آثار الهرم . بل ترى السيدة هريان خصوصاً ان الصباغ الاحمر لا يدل على الشباب . بل على عكسه . وان النوم الباكر العميق سبع ليال متواصلة يقوم مقامه تماماً .

فادرسى ياسيدة هذه الامور . واعلم ان ما يطلو على الوجه من تجعد وانكماش لا ينتج من العمر بل عن عوامل كالمية في النفس . واسباب هذا التجعد في وجهك ، ليست في سنك بل في طباعك . ان بعضها قد تأتي عليك من تعب العيون او الافراط في الشغل . او الهزال بعد السن . كما ان للحالات العقلية المخصوصة علاقة كبيرة بتجعد الوجه وتكسش الجلد . منها الحزن والغضب ، ومنها البغض والحقد والحسد ، ومنها اللوم وحب الذات والغيرة الشاملة المحرقة ، ومنها التكمم والاحتيايل والبخل والطمع . هذه الصفات النفسية تنقش مع الايام آثارها العميقة في وجوه اصحابها فيستطيع المتأملون قراءتها بسهولة . فالتجعد في الوجه كالباردوة لثلاخا . ينسج بها ويجهرها كالنقش في الحجر . على اننا لا نرضى ان نحلو وجهنا تماماً من كل اثر للتجعد . لان الحيزيين في هذا الفن الذين يفسرون لنا معاني التجعد المختلفة في الوجه يؤكدون ان الوجه المسطح الاملس قد يخفي وراءه دماغاً مسطحاً املس ، وبعض التجعد معان سامية تجله مرغوباً فيه غير مستنكر . مثال ذلك ان ميلاً واحداً بين الحاجبين يدل على شخص جري يتقد نفسه اكثر من الآخرين . ويتم على عمن التفكير مع محبة للاحق والانصاف والنظام . كما ان الميادين الاقبيين فوق الحاجبين معن متع . بارز ما بينها يدلان على اللطافة وحبا الخير . ثم ان الايالي النجيلة عند زاوية العين قرب الصدغ تشير الى ابتهاج القلب والطمانينة . فعلى جمدة الوجه اذن ان تنسج الى هذه الامور وتدرسها درس الزاغب في ازالة القبيح منها والاحتفاظ باحسن . واعمري ان الفهم المقطب الذي تضيق به حيلة اطباء الجمال يتغير حالا بجض التغيير في بعض الطباع النفسية . وهكذا التجعد . اما العمر فلا يؤثر في جمال الوجه واعتدال القوام ، بدليل ان الاوقات على اسرار الحسن الطبيعي الماشيات على قواعد الصحة ظان حاملات اصولان الحكم على القلوب الى سن متأخرة جداً . فكوفي دائماً بشوشة . واذا دب الهرم في صدرك ، فادفعيه وراء ظهورك . تبقي جملة طول عمرك .

ابن الغرب

الادب التركي الحديث

نبأ فاض

شاعر شاب استأثر بذوق الكثيرين منذ جرى قلمه في شعر ، لما تفرّد به من جدّة وابداع في الاسلوب . ورؤية الفرنسيين تخطر في كل بيت من ابياته .
أروع مجموعاته الشعرية تلك التي أحمأها « بلاط الشوارع » . انتقل منها هذه المقتطفات :

« بلاط الشوارع »

« أنا في الشارع في وسط شارع ، موحش ،
« أدلج ، أدلج ، ولا التفت خلفي ،
« وعلى مائل دربي الذي يماثل التهمة ،
« ألمح طيفاً ، كأنه بانتظاري ،
« السماء السوداء ، مظلة بيوم برش ،
« والصواعق تحدد مداخن البيوت .
« إن روحي تنهران في حضن هذا الليل :
« أنا والبلاطات الممددات .
« خوفٌ يتزل على نفسي قطرة قطرة .
« يترأى لي مارد ، ينتظري في منطف كل شارع .
« والبيوت ، كالعميان القارعة مجازم .
« تحدني بزجاج نوافذها الأسود .
« والبلاطات ، أمهات من يتألمون ،
« البلاطات ، هي المخلوقات التي تشعر بالآلام وتنتقبه بجنون
« وورثتها التي تنسع في السكون ،
« هي اللثة التي تقمر كل ذاتي .

« لم أكن لأسلم روحي فوق صدر دافي ،
« أنا الولد الذي ترغب فيه هذه البلاطات .
« أودّ ألا يطلّ الفجر على هذا الشارع .
« وألاّ تنتهي رحلتي عبر هذه الدرب المطلمة .
« أريد أن أمشي وأن غني الدرب معي ،
« وأن تنهمر المصاحب عن الجانبين كالسيل .
« أريد أن تسع الكلاب وقع أقدامي ،
« وأن تنصب بعيداً في الظلام اقواس الحجر .
« لا أريد أن أظهر النور ولا أن ترائي عين ،
« أترك لكم النهار قائم كروا لي الظلمات ،
« أريد أن التفت بما اتفاني بنظاء بيل
« عفاوني ، عفاوني بالظلمات البليلة .
« أريد أن ينطرح جسدي بطلو على الحجارة
« وأن تلطف برودة هذه الحجارة نار جيبني
« وأن أغرق في سيات عجيب كسنيات الشوارع
« فينسب الموت كالهدى الى جسدي وأنا فوق البلاطات رقيقاتي .

وفي قصيدة « نهر »

« وقولي لنفسك : « هذا هو الذي يجزّ زجاج النافذة وليس الريح
الزجر ، هذا هو » .
« ان السّم الذي ينشع صدي في الهواء سيؤدي حياتك كإندوي الوردة .
« امري ، يا شئت ، من مدينة الى مدينة
« أذا مآيك فالي في اليوم الاخير .
« اذا كانت حياتك كنهني ، أبدية
« فأني سأتحدي سر الموت ، وانتظر ،
« واذا انتزلت القراب من عمي
« فساكون بلاطة على فبرك ، وانتظر ... »

« انت الظبية الشاردة في الجبال
« وانا القول الذي يتأردك .
« يمكنك ، اذا شئت ، ان تستغيثي بالملم كله .
« غير انه لن يكون سوى انت وانا على الارض .
« واللدروب التي تسلكيتها ستلوّك رعدة .
« ان وطء خطواتي سيتبعك .
« وأذرع أشباح خلّوق جسديك .
« في ليالي الشتاء ، ضمن غرفتكم الموحشة
« فكزري في عندما تحتاجك قسمة خفية

شيلي وبروونه مصدر الرمزية بفرنسا

نجم شيلي من بيت غني ونبل فادخله اهله الى مدرسة تون الاشراف ، الا ان طبيعته الارستوقراطية وروح الحساس ، بل المفرط في الاحساس ، لم يتفقا وذلك الوسط المتعجرف فاعتزل رفاقه واخذ يلصق على جدران المدرسة اوراقاً مخمناً آراءه الفلسفية في الحياة فاستحق بذلك القاباً مختلفة منحه اياها رفاقه منها « شيلي المجنون » و « شيلي الكافر » .

ثم انتقل الى جامعة اوكسفورد فانصرف الى الدرس باجتهاد كبير ، وحاول ان يث مبادئه في اساتذته ورفاقه ، فطرد من الجامعة ، وما عم الامر ان طرد من البيت ايضاً فهم على نفسه في شوارع لندن ، واتفق ان اخذ نيجال امرأة مثقفة ثقافة عالية هي ماري كودوين فسافر معها الى فرنسا وسويسرا ، وهناك تعرف الى بيرون ، ثم الى ايطاليا .

وفي العام ١٨٢٠ انتقل الى بيرده تعرف فيها الى فتاة اضلعتها اهلها هي اميليا فينياتي فاوحت اليه حباً صوفياً لم يشمر به شاعر منذ عهد دنتي ، وفي العام ١٨٢٢ فجا هو يشتره في البحر انتقل به الزورق فغرق ، ولما وجدت جثته على الشاطئ ، احرقت على الطريقة القديسة بحضر من بيرون .

وكان في الثلاثين من عمره .

اما اشهر مؤلفاته الشعرية فهي : الملكة ماب ، وهي قصيدة تخر بالخيال وتميد الى الذاكرة عهد الملكة اليصابات ، والدستور وهي قصيدة صوفية ، وخلص بروميته ، وهي دراما غنائية ترمز الى انتفاذ العقل البشري وانتصار الافة الكونية ، واييسيدون وهي قصيدة في الحب الطاهر نظمها الشاعر تكريماً لروح اميليا فينياتي . قال احد المفكرين ان الشعر الانكليزي هو انقى روحانية من سواه ، وشبهه بالزوى التي تتلون في احلام النائم . فهذا التعبير ينطبق على شعر شيلي ، الشاعر الذي لا يجارى على حد قول الانكليز .

عرف شيلي ان يلبس جميع المخالقات الوفاً من الارواح المتبدلة ، من النبتة الصغيرة ، الى النجم ، الى الكواكب ، ومن هذه الاولوف من الارواح تتكون روح عامة هي الله الذي هو جمال وحب . شيلي هو شاعر الحب ، والحب والد الجمال وملك العالم الذي

سينعش يوماً الانسانية المثألة .

وقصارى القول ان شاعرية هذا الشاعر العذب التي تسمو كثيراً على شاعرية بيرون من حيث الصياغة ليست فناً مقدار ما هي وحي والهالم .

بروون

بقي معاصرو بروون زمناً طويلاً يقولون عنه انه « رجل غامض زفت اليه امرأة شاعرة » ، هي اليصابات بروون الشاعرة الانكليزية الشهيرة . ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره كان لا يزال مجهولاً . ولم يذع صيته الا بعد وفاة زوجته فحصله الوسط الراقي الى التيوم . اما مؤلفاته الشعرية فتبلغ نحواً من ثلاثين مجلداً .

قال الشاعر الانكليزي تنيسون ان بروون شاعر غامض . فبعد ان ترسم بروون خطي شيلي بقصائده الغنائية اللاهوتية ابدع الشعر الدرامي او الدرامي النفسي . وقد اراد الشاعر بطريقته الجديدة هذه ان يظهر للناس تأثير النفس المحجوب فتسال الى الارواح ليدرسا ويكشف خفاياها .

تسال غوس ان موهبة بروون تقوم على الدروس النفسية العميقة التي لا تشبه لها الا في مؤلفات شكسبير .

وبروون هو شاعر منطقي عميق يميل الى بحث المسائل المتعلقة بالخير ، وهو اذك فيلسوف متقاتل يؤمن بان الانسانية سائرة الى مستقبل جميل .

شيلي وبروون

وقد ترجم شيلي الى اللغة الفرنسية فتذوقته صغرة الادباء الفرنسيين وبينهم الكاتب الشهير بول بورجه الذي استوحى شعر شيلي في اولى قصائده التي نشرها عام ١٨٨٢ في مجموعة سماها « التمنيات » .

وكان تأثير الادباء الانكليز شديداً في فرنسا ولا حياً تأثير شيلي وبروون فانها مثلاً دوراً مطلقاً في الحركة الرمزية ظهر اثره في جميع شعراء هذا المذهب . ومن يقرأ قصائد الشاعر الفرنسي بول فور يجد فيها طابع الشعراء الانكليز . وما يقال عن فور يقال عن مالارمه ، زعيم المذهب الرمزي في فرنسا ، ومن فولرين الذي نجد في شعره الرمزي عذوبة الليريسم الانكليزي التي .

وقصارى القول ان الشعراء الانكليز نهروا شعراء المذهب الرمزي في فرنسا الى ان الشعر يجب ان يترج بالاحلام .

في التربية الاميركية

بفلم الالف روز غريب

للمدرسة بكليّة البناات الاميركية بيروت

١ - السّاق الدّيمقراطيّة

نشأت التربية الاميركية بفضل جهود فردية محلية اي بساعي افراد مستقلين عن الحكومة فكان اساسها ديمقراطياً محلياً ولا تزال حتى الان تصطبغ بصبغة الديمقراطية والنّفوذ المحلي . فليس في اميركا نظام واحد بل ان كلامن الولايات قد انشأت نظامها الخاص وليس للحكومة المركزية في واشنطن سلطة مباشرة على المعاهد بل ان اهل المنطقة الواحدة يختلفون بحرية واسعة في وضع مناهجهم . واكثر الولايات الثمانية والغربية والوسطى اعتمدت نظام « المدرسة المحلية المستقلة » وهو يعطي كل مدرسة استلاماً تاداً في انتخاب معلمها وتعيين منيجها وجمع ماليها . وقد حدث في المدة الاخيرة تداير ترمي الى ايجاد الصلة او الوحدة بين الكليات المختلفة فانشرت جمعية تمثل كليات الولايات الثمانية واخرى تمثل كليات الولايات الجنوبية وتألّفت لجان فاحصة لاجراء امتحانات عامة . ووحدة بين الطلاب . ولكن رغم هذا لا يزال النّفوذ قوياً والرأي العام في كل منطقة تأثّر كبير في مدارسها . اما الجامعات الاميركية فلا تديرها السلطات الحكومية كما في اوروبا بل هيئات تربوية خاصة لا تعد مسؤولاً امام الحكومة الا في مقدار قليل جداً . وهذه الهيئات تدعى مجالس امناء . وسؤلة مباشرة امام الشعب الذي انتخبها . ان هذا النظام اللامركزي يستند الى النظرية القائلة بتحرير التربية على قدر الامكان من سلطة الحكومة . فوجعل مديرها مسؤولاً راساً لدى الشعب تعزيراً لمبدأ الحكم الذاتي ومنعاً للاهواء . من ان تعد اصابعها وتلمب دوراً في شؤون التربية او تسخر معاهد العلم لغايات ودعايات حزبية ضيقة . على ان قوة النّفوذ المحلي في المدارس لا تعني اهمال التربية القومية بل الامور بالعكس فاهتمام المدارس الاميركية بالشؤون الاجتماعية لمعروف . وتدرّسها العلوم الاجتماعية والمدنية والسياسية يؤلف جزءاً شديداً الاسمية . من ربحها . والاعمال اللامنهجية التي توجه الطلاب الى الخدمة والاشراك الفعلي في تربية المجتمع من ابرز مظاهر هذه الثقافة . وزيادة على هذا نجد ان غو لا تفرق الوطنية في الولايات المتحدة بعد الحروب العظمى جعل بين النظامين الاميركي والاروپي بعض التقارب . وبالطّام الاميركي الى بعض التّركيز وزاد تدخل السلطات التشريعية في شؤون التربية والتضامن بين دوائرها ودوائر الادارة الحكومية . ومن مظاهر هذه التّرة الوطنية ان مدارس الجاليات النازحة حديثاً الى اميركا - التي اعطيت في هذه الايام حرية تامة في انشاء مدارسها وادارتها - اصحت الان تخضع لتسريع بقضي يعمل اللغة الانكليزية وحدها لغة التدريس فيها ويفرض عليها تدريس تاريخ البلاد وجغرافيتها واحوالها المدنية . على ان هناك توازناً بين نفوذ السلطين المحلية والمركزية . وليس للحكومة سبيل الى الافراط في التنفيذ بل ان حقوق المجتمعات المحلية مضمونة رغم تدخل الحكومة .

٢ - علاقه الكنيسة والادب بالمدارس

في اميركا - كما في غيرها - نشأت اكثر المدارس بساعي الاكايوس والجمعيات الدينية ثم تحورت هذه المدارس تدريجاً من نفوذ رجال الدين كما في اوروبا . لكن الطوائف تتخفّض بحق التعليم الديني في مدارسها والدستور الاميركي ينص على مبادئ حرية الدين . وفصل الكنيسة عن الدولة . على ان التدريس الديني يكاد يقتصر على اجتماعات الصلح با فيها قراءة التوراة وديننا نجد اكثر الولايات تعتنق القانون الذي يحرم التدريس الطائفي زى من جهة ثانية حركة ترمي الى ادخال تدريس التوراة في المدارس وجعله درساً انتخابياً كما في الكليات والجامعات . بنا . على الحرية المتبعة في مسائل الدين وبما ان تدريس الاخلاق او ادب النفس بواسطة الكتب يتنافى ومبادئ التربية الاميركية . زى البعض ينتقدون المدارس الاميركية ويتهمونها بالادينية . ومع هذا فالمدراس الاميركية اكثر المدارس جماعاً في تكوين الاخلاق بشهادة الادريين انفسهم . ذلك لان هذه الناحية تشتمل المحل الاول في مناهجها اما تدريس الاخلاق فلا يتم بواسطة الكتب او المواظ بل بالارتباط الوثيق بين دروس الطالب وحياته والاهتمام الشديد بالاعمال التطبيقية والتربية العملية . ثم ان المعلم يشعر ان تكوين الاخلاق اهم مشاغل المدرسة تسمى لخلق بيئة مناسبة لتكوين الاخلاق وذلك بالتشديد على اهمية التعاون والمسؤولية عند الطلاب

٣ - طرق التدريس

تحتل العلوم الاجتماعية - ومنها علم النفس وعلم التربية - مكانة هامة في الثقافة الاميركية الحديثة . والاميركيون ينفقون الاموال

الطائفة على انشاء وتجهيز مختبرات علم النفس والتربية وترويج التأليف في هذه العلوم وتطبيقها في معاهد التربية والمؤسسات الاجتماعية ولذا نجد في المدارس الاميركية مجالا واسعا لتنوع الانظمة والطرق التدريسية وبما ان ادارتها في ايدي السلطات المحلية لا المركزية فليس ما يجبرها على التقييد بتوحيد الطرق ولا تضارعا مدارس اخرى في الاقبال على اختبار الطرق الجديدة وبحيث المشاكل التربوية والسعي لحلها بمختلف التجارب وعقد المؤتمرات التربوية وتشجيع المقترحات الجديدة واخراج النظريات الى حيز العمل . فكان نظام التعليم الاميركي مختبرا ضخم تجرب فيه انواع الطرق والاساليب ليتوصل من ذلك الى افضلها . والهيئات التدريسية قد اوجدت لهذه الغاية مئات المحلات التربوية وخلقت للعلمين في اناء عملهم فرض الدرس المهني والاستفادة من التطورات التربوية الحديثة . وهيأت لهم المؤتمرات والمدارس الصيفية . وفي تحضير المدرسين وتلقينهم اصول التعليم يشغل موضوع الطرق التدريسية محلاتا وابوشتد الاهتمام بتدريس علم النفس وطرق الملاحظة والتعمق على التدريس قبل اتخاذ منهج أو اتفاقا للموضوع المنوي تدريسه ، والاشارة الى اهمية النمو المستمر في شخصية المدرس . فغود في فهم الطلاب وفهم موضوعه . اما في اورويافيلقن طلاب الفن التعليم ما يسمى بالطريقة المثلى للتدريس وعلمهم اتباعها والتقيدها وليس لهذا اثر في مدارس التربية الاميركية فهناك تهم الدوائر بالاهداف المدرسية اكثر من اهتمامها بالطرق . والطريقة المول عليها بصورة عامة هي حالة الطالب على جهوده الذاتية ودفعه الى العمل الشخصي وتحمل المسؤولية ومن هنا كان اعتاده على الكتب يفوق اعتاده على المعلم . والتدريس في غرف الدراسة يفسح للطالب مجال اظهار مواهبه بطريقة السؤال والجواب والمناقشة الحرة بين المعلم وطلابه . وقد يطلب المعلم من الطلاب ان يتخذوا طريقتهم في التدريس ولا يأنف من العمل باقتراحاتهم او بعضها اذا وافقته . كما ان المعاهد الكبرى تسأل طلابها احيانا ان يحلوا اليها انتقاداتهم واقتراحاتهم بشأن اهدافها واعمالها .

٤ - مناهج الدرس

يتألف التدريس الاميركي من ثماني سنوات درس ابتدائي بعد دور الحضانة وروضة الاطفال تليها اربع سنوات تدريس ثانوي ثم اربع سنوات في الكلية . وطلاب المهن الحرة يكتفون بستة استعداد في الكلية ينسحب المهن التي دونها طبقة لا تستلزم اكثر من التعليم الثانوي . وجميع المدارس الابتدائية والثانوية تعطى الطالب استعداده واحدا ودرسا واحدة في اساسها اي لا تختلف الا في بعض التفاصيل وهذه الوحدة المنهجية تنشأ عن وحدة المول للبيوتقراطية عند الشعب الاميركي . وان هضم المول العامة الشديدة البروز هي التي جعلت عند الاميركيين رغم اختلافاتهم العنصرية وحدة بارزة في اخلاقهم وطرق معيشتهم . تتميز مناهج الدرس عند الاميركيين بالتنوع والمرونة او قابلية التغير والتكيف وللمدرس حق التصرف الى حد ما في الدرس الذي يلقنه والزيادة على المواد الاساسية المقررة وتوسيعها وتعزيزها باستعمال المراجع المتنوعة ودفع الطلاب الى المطالعة الخارجية في الموضوع . والتربية الحديثة تعتبر تنوع المناهج من حق المدارس والطلاب ايضا لان لكل طالب تزعاته الفردية وميوله الخاصة . وبما ان مادة الدرس تعتبر وسيلة لا غاية والغاية الواحدة يمكن بلوغها بوسائل متنوعة فلماذا تقصرها على درس دون آخر ؟ وتتماز المناهج الاميركية باهتمامها الشديد بالعلوم الاجتماعية كاصحة وعلم النفس والعلوم المدنية والاقتصادية وتدبير المنزل وتجهيز النسل والعلاقات العائلية وما اشبهها . وقد جرت في تدريس هذه العلوم شروطا لم تبلغه مدارس اخرى . ومن مميزات تقديم الدرس العلمي على النظري والتطبيق على القواعد وهي لهذا تحاول ربط دروس الطالب بحياته اليومية وعلى هذا الاساس تعتني اشد الاعتناء بمختبرات العلوم الطبيعية والاجتماعية حيث ينفق الطلاب ساعات طويلة في التطبيق العملي . وتشجع طالدها على التنقيب الشخصي والرحلات العلمية والتأليف القصصي والمسرحي وانشاء المحلات وان لم ينتجوا شيئا ذا اهمية في هذا الباب . وتدفعهم الى العمل الاجتماعي وهم طلاب فيقومون باشاء المدارس المجانية والصيفية وتعليم الاميين ومقابلة الزائرين ومخالطة المجتمع ويقومون برحلات ومقابلات ثقافية وزيارات الاماكن العامة والمتاحف والمعاهد والمحاكم وينظمون الحفلات الخيرية ويمسجون التبرعات وهكذا يعيشون في المدرسة عيشتهم في المستقبل الذين يلبوا . والخلاصة ان الميزات البارزة في الثقافة الاميركية هي : الاكتثار من المواضيع العملية والاجتماعية وتوسيع مادة الدرس القانوني بالمطالعات الخارجية واستخدام المكتبات والمحلات بصورة واسعة . ثم قيام الطلاب انفسهم بالاعمال والمشاريع الثقافية والاهتمام الكثير بالرياضة البدنية باعتبارها وسيلة تقوية الاخلاق والجسم معا . وتشجيع الابتكار والاعتماد على النفس والتعاون والمخندة الاجتماعية .

الزورق السكران



يا زورقي السكران ، يا زورقي
ارجوحه ؟ ام حلم هاشم ??
الرياح تحميك الاماني التي
تحمل امالي الى مغرب
فذاك هذا الموج لو مسه
تنساب مجنوناً على صدره
يا سان تقضي العمر في حيرة
يا زورقي بألك يا سي انا
وحبك الزلّة في لجّة
يا زورقي دونك ما تشتهي
هيا الى دنيا تنبسه الى
هيا معي نفسل اقدارنا

يا زورقي السكران
ضاقت بي الشيطان
عوي شفاء ملائق
قاي غدا - طمان
والعمر كالدهان
يا زورقي السكران
هيا بنا بحري

يا زورقي السكران يا زورقي
شراكت الايض من حاكمه؟
بجذافت الاسمر من يا ترى؟
يا زورقي السكران هيا اضلق
وارصد معي الانجيم في افقها
- لا تلقى مراسلك يا زورقي
واجبر معي نرتاد حبلو المني
يا زورقي دونك عبر الروى
نرتاده طيفين في غفلة
يا زورقي للنسب في مامن
تجنب الانواء حاقت بنا
التيب يدعوني الى رحلة

محمود عيسى - حمص

أيهما على حق ؟

بضم الـ وفتح فـ كـ طـ رـ

يتراءى لك في الحالة الثانية وقد فقد جميع هذه الميزات او جلها :
فقد فرديته وتفكيره وفقد استقلاله الشخصي فيصبح منقاداً لا
قائداً ، منقاداً لهذه الجماهير التي تهتف وتصفق دون ان تدري في
معظم الاحيان الداعي لهذا الحزاف والتصفيق ، وهو ايضاً يجارها
في هذا العمل ، دون ان يدري الباعث عليه ، سوى ان الحلاس
الذي المهيا قد الهبه ايضاً فاندفع متحمساً لها ، يهتف ويصفق .
وكثيراً ما يسخر مماهت له وصفق عند عودته الى نفسه واسترجاعه
سلطان عقله وملكاتة . وقد قال احد السياسيين : « بقدر ما
تسهل الخطابة على الخطيب السياسي ، كلما تكاثرت الجماهير
وتزفر عددها ، تصعب هذه الخطابة عليه وتعتقد ان قلت
وتضائلت . » ولهذا تستعين الدكتاتوريات بالجماهير لتأييد
مذهبها وتشبته . ثم ينفج بمالج المفكر فكرته من كافة نواحيها ،
لانه يتحدث الى الفرد من حيث هو انسان يصل حاضر نفسه
واماضيا بمستقبلها ، يضطر رجل السياسة احياناً ان لا يتوجه الى
الفرد ويتحدث اليه سوى من حيث هو سبيل يضمن لمذهبه
السياسي النجاح ، ويهدله بلوغ الهدف . ولهذا قلدا يعيش الفكر
الحري في ظل سياسة مسيطرة قائمة لغاية معينة ، لا مبنية على اسس
الفكر الحر الصريح .

فان قال ريتان ان الانسان يدين بجميع المذاهب وذلك حسب
وضع الظروف والخال الذين يوجد فيهما او يجتازهما فلا يوجه قوله
هذا الى نفس معينة من النفوس وظرف معين من ظروف الزمن :
بل يوجهه الى كل نفس ايا كان ميلها وتزعتها ، والى جميع الازمان
ايا كان طابعها وصفتها . وليس ثبات الانسان على المبدأ والفكرة
وليس خضوعه لمعظم ما تخضع اليه الجماعة الا نتيجة من نتائج
حياته مع هذه الجماعة ، وخضوعه لقوانين الاجتماع التي تحظر عليه

ابرز الميزات التي يتصف بها كبار الكتاب ، ميزة
تجعلهم مقربين الى كل نفس انسانية مهما كان لونها
وصفتها ، ومهما كان طابع العصر الذي تعيش فيه ، وذلك لان
هؤلاء الكتاب يترفعون ، لو انهم يميلون الى جهة دون جهة ، عن
كل ما يسمى قبيحاً او ترعة عند ما يجهون عن فكرة او يصورون
رأياً او يرمحون الخواطر .

ميزتهم انهم لا يفرضون ميلهم او رأيهم فرضاً عليك ، بل
يعرضون لك هذا الرأي دون ان تلس في هذا العرض تعصباً
يزعجك او االحاحاً في فرضه وادلائه يؤذك . هم يبيشرونه من
كافة وجوهه ويمثلونه ، ثم يضعونك محكماً قائداً ان تحكم له واما
ان تحكم عليه . وهنا يختلف رجل الفكر عن رجل السياسة :
فبينما يتحدث رجل الفكر الى الانسان بصفته انساناً مكافئاً كادل
حواسه وملكات عقله وتفكيره ، وبينما تنطلق اشته الفكر
من اعماق نفسه التي يجتمع فيها كل ما ترخر به الحياء ومخاوفاتها
فتتوزع الانفس شظاياها ، وتتحول الشظية شملة في كل نفس
تصيحها ، يضطر رجل السياسة ان يتحدث احياناً الى الفرد وهو
جماهير . والفرد يفقد سلطانه على نفسه ، وتضمحل شخصيته
عندهما يخرج من نطاق وحدته ويتحول الى جماهير ، لان هذه
تغنيه فيها ، وتعدهه شخصيته بل شخصيتها تعدم ايضاً وتذوب
في شخصية قائدها السياسي . وان شئت ان تثبت من صحة هذا
الامر فتأمل هذا الفرد في الحالتين : في وحدته وفي اندماجه
بالجماهير . ثم ميز بين وضعه هنا ووضعه هناك ، يتجل لك الفرق
واضحاً بين الرضمين اللذين يلبس لباسهما في كتا الحالين : فبينما
تراه في الحالة الاولى متمسكاً بكامل استقلاله الشخصي : متمسكاً
باستقلال تفكيره وفرديته ، متمسكاً بحرية المفاضلة والتمييز ،

فيلسوفاً اي مصباحاً يدور حول الفكرة ويدور حتى يسهر غورها ،
وينفذ الى دخيلة الاسرار التي تكتنفها . فالفيلسوف اذن يكون
في كل مفكر باحثاً كان أم قصصياً يتحرى الحقيقة زينتها انترعاً
من صميم الاشياء والنفس . ولا يطلق اسم الفيلسوف على
اصحاب النظريات الفلسفية فحسب : انما هو يطلق على كل كاتب
تجلى من خلال سطورده ، محاولة المثور على الحقيقة

اما التساؤل : ايها على حق ؟ فهو لا يتناول بالمفاضلة رجل
الفكر ورجل السياسة . بعد ان قارنت بينهما . انما يتناول
فكرتين جسمهما هوغو بشخصين مثالان مذهبين يتشابهان من
ناحية ، ويختلفان من نواح : يتشابهان من حيث سمعها وراء
غاية واحدة : هي بث فكرة الاغا . والمساواة بين الناس جميعاً .
والاخذ بنصرة الضعيف والنهوض بالمستوى الاجتماعي الى الحد
الذي يؤمن له مصالحه وحاجاته المادية والروحية ، ويختلفان من حيث
طرق التنفيذ : اما الاول ، فسيبليه الى هذه الغاية هو سبيل كله
سلام ، بغمر النفس بالطمأنينة لانه سبيل الدين والامان . واما
الاخر فسيبليه سبيل الاهوال والمخاطرة الذي بغمر النفس قلقاً
ورعباً ، سبيل يشق فيه نظامان : نظام رجعي محافظ ونظام
تطوروي ، وتضلعلم فيه عقليتان : عقلية تأبى الخضوع للتطور
وتأبى الانعتاق من الماضي وتقاليد ، وعقلية تتخذ من العنف
وسيلة لكسر القيود والاغلال والانطلاق الى حيث الحرية والنور ،
وسبيلاً تندلع من جوانبه النيران وتأبى على ما فيه لتتحول نوراً
يكشف عن تطور المستقبل ، ذلك هو سبيل الثورة الذي يتخسر
سبلاً ويقدم تطور الامم . وذلك ما فعلته الثورة الافرونية في
التاريخ .

اما الحديث عن هذين الشخصين وما دار بينهما من حوار
ونقاش ، فلعلني احدث به الى القارى . في مناسبة ثانية فانقل
اليه بعض ما تملكنني من هذا السحر الفني الذي تضمنه ذلك
المقطع من كتاب « البؤسا »

فلك طرزي — دمش

كل ما من شأنه الاخلال بنظمها وقواعدها . فلانسان شخصيتان :
شخصية مستقلة تكمن في دخلة ذاته . وشخصية اجتماعية
عامة ، هي الشخصية التي تتصل بالجماعة وتتفاهم معها ، وتخضع لما
يخضعون اليه من انظمة وقوانين . ومعظم عمل الانسان في الحياة
قائم على التوفيق بين هاتين الشخصيتين ، وخلق الصلات بينهما .

وان قال آرسطو ان عقلية الانسان ووجهة نظره يختلفان
باختلاف الاوضاع الاجتماعية والسياسية والبيئة والزمن ؟ فهو يعبر
بقوله هذا عن حقيقة خالدة لم تستطع احدث نظريات العلم والاجتماع
ان تنال منها بل جميع هذه النظريات جاءت بتأييدها واقوارها .
ولم الثورة الاقتصادية التي عقت الاكتشافات العلمية ، والفتوحات
الجغرافية والتقدم الصناعي ، هذا التقدم الذي احدث انقلاباً في
كافة نواحي الحياة ، سواء في حياة الامم الداخلية أم في علاقاتها
الخارجية بعضها مع بعض ، لم هذه الثورة كانت اكبر دعامة
لتأييد نظرية المعلم الاول في التطور . فالاقرار بالتحول ، وتوخي
الحقائق البشرية الخالدة ، ثم مزجها بالمثل العليا المختلفة ، كل هذا
يصل المفكر بكل نفس ، ويغمله حياً على ، والعصور .

فعمل المفكر اذن هو التوفيق بين المثل الاعلى والرفعي ،
بينما ينحصر عمل السياسي ورجل الدولة الحيان في تشكيل عمل
حسب الواقع . حتى اغنف الاراء السياسية تتخذ طابعاً من السمو
والجمال يعلو بها عن مشا كل الحزبية وعنعاتها ، عند ما يعالجها
المفكر الحر بالبحث والتجليل . ثم ان رجل السياسة يدين في
معظم الاحيان المفكرين والشعرا بتسجيل وتحقيد ما قام به
خلال حياته من عمل وما نشر من مذهب . ومثالنا البارز على هذا
الامر ، هو صلة المتنبي بسيف الدولة وما نتج عن هذه الصلة من
النتائج التي كان لما اثرها العظيم في طبع انتاج شاعرنا الكبير بطابع
خاص . فلا يذكر اسم هذا الامير العربي الا مقرونا باسم المتنبي ،
بل كثيراً ما تجوز شخصية سيف الدولة وتوضع من خلال
شخصية المتنبي . . .

وان خضع المفكر في مختلف اطوار حياته لكل ما يخضع
اليه الانسان من اهواء وتزعزعات فهو في تفكيره لا يكون غالباً الا

مناهل وسنابل



إنا عبيدك ، وانت عبد غيري ، وغيري عبد غيره ، إذا فكلنا عبيد !
الفترة تستعمر بالخوف ، والعمل والجلال يستعمران بالاحترام !
الآباء ، والذلل غريزتان : فلا تجرب أن تجعل من الآلي ذليلاً ومن
الذليل آلياً !

مات ممدماً ، فقدموا لضريحه أكيل زهر بألف ليرة ، وطلب منهم
ليرة واحدة في حياته فأعرضوا عنه : أليس هذا تنازع البقاء ، وتكالب
البشر ، وفقدان الحب للجرّد ؟
لا فرق بين الكرم والبخل : لأن لذة البخل يبخزن المال تساوي
لذة الكرم بصرفه !
يوجع فنجب الطعام ، ونشبع فنكرهه : لذلك فنحن مكارهون
لكل جبل !

لا نتعمر من ليس له أعداء !
جال المالوس خلاصة قبح الغرباء !
الحساف لا يقع بين اثنين منفردين ، وإذا وقع فتكون جرثوته
الاولى وجود ثالث !
ما هذا الكون الذي كتب الجحيم لاسراق الدجاجة ، والتميم لاسراق
للإثنين ؟

قال احدم : مات الحق ! فقلت له : متى وُلِدَ ليسوت ؟
كل الحبوب الوجودية في البشر موجودة فيك : فنتهى الفلسفة ان
تنتقل نفسك فتصيب كل البشر !
سمعت ثامناً يروي ، فقلت : رحمة الله على الكلب !
الظاهر يمدح حب الظهور وحب الظهور منظر !
لما وجد الكون طليعة الخليفة ان تكون عارضة فحزمت هذه النعمة ،
وظلت لكي الى اليوم يوماً لئلا تسار !

المطلبة القيمة يجذبها طموحي الى السفح !
البشر عجوزون ببقار العادة والتصلب ، والعادة والتصلب عدو الحق !
عدم الصراحة ارجع البشرية الف قرن الى الوراء ، في كل يوم !
للمساواة كلمة خيالية لفظاً قوي فتسلك بها الضعفاء !
للحسن امام الناس طالب عظمة امام الناس ، وللحسن امام نفسه
طالب عظمة امام نفسه !

الناس يتوصون في الدقائق ويبشرون بالفضائل !
رايت بشراً يقول يد آخر ، فقلت : هذا صاحب نفوذ ، وذلك محتاج !
من لم يكن من البشر فيلسوفاً كان جلا محملاً !
اصحاب الشهرة ما كل طيبة يتراحم عليها الماثون على الشهرة !
ان شهرة الانتماء كاتمة في كل نفس ، والنفوذ عند المندرة أضعف انتقام
عرفته البشرية !

إذا قوي الضعيف نسي الذين ساعدوه في محنته واحترم !
ان صاحب الاحساس الناعم يصبغ في تصورات الى درجة الخطأ الفادح !
لا تطلب ثغراً لمعروف توديه ، لأن كبرياءك دفعت لك هذا الثمن
عند التأدية !

الورم عدو المواهب !
الاجتماع بين العبقري والمهجين به يبرد حديد بأكل درجات البقرية !
منذ البدء ، والبشر يشرون المواقف ، ومنذ البدء الى اليوم لم ينطق احد !

وليم صعب

ليس للمسكين ذلك الذي يسقط يده لىستجدي اكف الجسدين ،
انما للمسكين ذلك الذي لا يتمكن من بسط يده مستجدياً - وهو
المحتاج - فإذا كنت انسانياً ، فتام لحالة هذا ، ولا تفكر بذلك !
لم تجرم الطبيعة اكثر مما اجرت على صانع قران جانغ وخادم
خياط هريان !

ما احقر الاسد الذي يحكم الحمار على مقدرة او ضعفه !
كل ابي النفس شجاع ، والفرق بين بطل وبطل ذئبة عصفور !
لا تدع صداقة من لا ينفق له قلبك مرتشاً !
الصداقة كلمة يتلى بها البشر حتى لا يشجروا من الوقت الممتد بين
للهد والحمد !

وراء كل حركة من كل انسان غاية وأمر !
الاياء وتنازع البقاء لا يجتمعان !
وجود النفس عالم الجزار الشجاع !
ما أسخف من يريد ان يشتري قلباً بصحن فول !
لا فرق في شرع الخلود بين المزايا : فكما اشتهر حاتم بكرمه اشتهر
الحطيتي ببخله .

كل مخلوق مستعمر ومستعمر من آدم الى الكلب !
الفتاعة بنت العجز !
لا فرق في شريعة التنازع بين لحم البشر ولحم البقر !
الحياة ممزلة تنتهي على باب الدفن !
لولا الخوف لكان كل بشري سارقاً وزانياً وسفاك دماء ، في وقت واحد !
قصة الذئب والحمل على مجرى الماء تنتهي في كل زمان ومكان !
البشر سألوا الواسطة حتى في ملكة السماء !

لا فضل لمن ينفع البشر : لأن لذته في خدمتهم تفوق لذة من يخدمهم ،
وتحقّق له السيطرة عليهم !
الشهرة قتل لصاحبها في الحياة ، وحياة له في المات !
شجاعة عنتره وكرم حاتم ذو بكر شجاعة وكل كرم في كل بشري
ظهر بعدهما !

يحب الناس بعضهم للأرب شخصية ، وأشرف تلك المآرب اللذة
الروحية المتبادلة ، وهي أشرف الحب ومتنعي الحب !
يجذب الارواح بعضها الى بعض سلك غريب مجهول !
كثيرون من الذين يجفلون من الناس ، ولكن الذين يجفلون من
ضئارهم قذال ، فلا تضع يدك الا بيد من يجفل من ضميره !
انا ، اليوم ، ابن امس ، وغداً ابن اليوم !
أكلت اللحم في الفرج فلم اشبع ، وأكلت الخبز اليابس في الضيق
فانتحمت ، فهل اعتبر ؟

الوقاف ابن الكبرياء وحب الذات !
ليس في الارض والسماء واحد مستل الا فرد واحد : هو الله !



من الادارة

- ١ - ثمن الجزء ٥٠ غ. ل.
- ٢ - بدل الاشتراك لسوريا ولبنان ٦ ليرات لبنانية
- ٣ - لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر كانون الثاني (يناير)
- ٤ - بدل الاشتراك للخارج عموماً جنيه مصري. وبعملي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة
- ٥ - يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل
<http://Archiyebeta.Sakhril.com>
- ٦ - احتفظت الادارة ببعض اعداد من السنة الاولى (ما عدا الجزء الاول والثاني) فمن ينقصه شي. منها يمكنه ان يطلبها من الادارة.
- ٧ - الادارة مستعدة لشراء أي جزء من اعداد السنة الاولى وتدفع ثمنه ٧٥ غرشاً لبنانياً اذا كان بحالة جيدة.
- ٨ - كل المقالات والابحاث التي ترسل الى «الاديب» لا ترسل الى اصحابها سنواً. نشرت أو لم تنشر
- ٩ - توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة «الاديب» صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان.

ظماً



أشرب حتى يمد الكون
وتحتلج زفرة الأبد العابت
وتنتهي الصلاة في الميكل العظيم
وتشيخ الوردة البيضاء
ويروق الدم الأحمر
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
ويجشع القدر للأزل الصامد

وترف المنى حول المنى
في رقصة الحوالك
أشرب حتى تتلاشى الكأس
في النفس الأخير

البراديب

الوجوه البشرية

كلها فبعضها ، اي انه اذا لم يبق على اصلاح ما افسدته الايام فهو قادر على الاقل ان يستر تأثيراته متسكلاً بالانقسام في حالة الحزن ، والبوسة لدى الفرح كما يفعل الممثل على الماعب او كما يجري ايام الاعياد والمراوغ با يضع الناس على وجوههم من الالفة . يحق للانسان ان يغار على مكونات نفسه فلا يبيعها لها لاي كان ولا يدع للفضولي سبيلاً الى الاطسلاع عليها ولكن ان يكون القناع للريا، والكذب والخداع فهذا ما لا يتفق والنساية من المجتمع الانساني ، ان لغة النطق التي يتعامل بها الناس اختلا لا تقل عنها اهمية هي تلك اللمة الصامتة التي تقوم على الملامح والنظرات واذا كان لا بد من قناع فلاخفاء الكتابة والمثل التي تبث على نفور الناس منك وتجعلهم يستقلون وجودك بينهم . وعلى الانسان ان يكون ذا فراسة ليحرف الصريح من المقنع فلا يؤخذ بجرائل المتناقضين ولا تقرب عنه تماسة الصادقين فيطير الى حاجتهم وما الفائدة من رجل لا يهتم بغيره ولا يسعى ان يعرف ما به من الم وشقاء .

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسلبك او يتوجع على كل حال فالباشاشة لازمة للوجه مهما تكن الحالة النفسية لان لها منافع كثيرة فهي توحى الصبر والشجاعة والامل وتخلق من حولك جواً حاراً وفي هذا تغذية لك اما الكتابة وانكشاش الاسرة فهي تؤذي صاحبها وتؤذي من حوله ولا ازال اذكر حادثة من هذا القبيل فقد رافقتني في القطار يوماً رجل غريب كانت ظواهره كلها تدل على عراك عنيف في نفسه فاسترني منظره وسكوته وبث طوال تلك السفرة مأخوذاً باضطراب غني لا اعرف ما هو واحسست بحرق ثقيل من حولي ورافقتني هذا الشعور اياماً ففسداً كل عمل . ان باشاشة الوجه تزيد في حسنه لان الحسن نسبي وكمن الذين لم يقسم لهم حظ كبير من الجمال ويعرفون ان يجدوا سبيلاً الى القلوب فاذا نظروا اليك او حاذوك تجلبت روحهم في حركاتهم

اقول الوجوه بصيغة الجمع لان لكل فرد من الناس وجهاً خاصاً يختلف به عن سواه اختلافاً كبيراً او يسيراً . وقلاً يتفق للامر . ان يجد وجهين متشابهين كل التشابه الا عند التواضع . قال الشاعر :

اننا نحن في اختلاف عقول مثلنا نحن في اختلاف وجوه وهذا الاختلاف لا ينحصر بعمر من الاعمار او شعب من الشعوب ولهذا كان الوجه اصدق طابع يحمله الانسان للدلالة على شخصيته كما انه غير مرآة تعطيك صورة عن حالات النفس وتأثيراتها . قد يؤخذ رسم الوجه بالتصوير الشمسي او برشة الصانع الماهر فينقل بدقة ملامح العينين والانف والفم ولكنه لا يقبض على حركات النفس كلها ولا يمل من الحياة الداخلية الا لحظة قصيرة فتنبئ الصورة جامدة بينا الوجه يبدل من دقيقة الى اخرى ما يترأى فيه من اشباح الدوافع والاختلالات ان زيدا الباكى غير زيد الضاحك على انه يبكي ويضحك بوجه واحد . وبين الرضى والغضب والوجل والحجل حالات شتى يتنقل فيها الوجه من الاحمرار الى الاصفرار ومن الصفاء الى الكدورة عاكساً في مرآته ما يمر في النفس من مختلف الحواطر ، فهو كآلة التعرف او البرق بل اغرب منها لانك تجد فيه اشكالاً من الاشارات والعلامم والرموز لا تعجزها في الآلة وليست حركات النفس من سرور وكسود هي التي تؤثر وحدها في الوجه فان هذه الصفحة التي تكون بيضاء في بداية الحياة لا تلبث الايام ان تحط فيها رسوماً ، وكلما مرضى وكبرت عشية تركز اثرها حول العيون والشفاة وفوق الجبين والحدود فتبدو على الحيا آثار الالم والحيرة والتعب كأنها ندوب جراح قديمة حتى يظهر الوجه احياناً كأنه من المخطوطات البالية تتردد فيها خيالات الماضي وتذكراته .

من الناس من يستطيع اخفاء ملامحه الحقيقية ، ان لم يكن

وأشاراتهم ونظراتهم فسارت عيوب الوجه وخلعت عليهم برداً
من الجمال تشيياً .

وقد كان لوجهه حظ من كلام العرب واملأهم فقليل الدنيا
اعتاب ووجوه اي هذا بيت عنتبه سعد ، وهذا رجل وجهه خير .
وقيل وجوه المحر اقبح . ويقولون بيض الله وجهه لمن اتى امرأ
يحمده عليه ، قال الشاعر مادحاً :

بيض الوجوه كروية احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
وقال ابن الرومي :

وقل من ضنت خيراً طوبته الا وفي وجهه الخير عنوان
له محيا جميل يستدل به على جميل وللبلطان ظهوران
وتنزل العرب بالوجه بقوم اكثره على تشبيهه بالشمس والقمر .

قال الواحد :

رأيت الهلال على وجهه فلم ادر ايها انور

وقال الآخر :

نظرت الى من زين الله وجهه فيا نظرة كادت على عاشق تقضي
وكبرت عشرا ثم قلت اصاحبي متى تزل البدر المنير الى الارض
وقال غيره :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر

فلم ادر في حيرتي فيها هلال الدجى من هلال البشر
فالولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب وكنت اظن الحبيب القمر

وقال ابن المعتز :

يا مفردا في الحسن والشكل من دل عينيك على قتلي
البرد من شمس الضحى نوره والشمس من وجهك تستلي

وقال ابو نواس يصف صفاء الوجه ورقة البشرة :

نظرت الى وجهه نظرة فابصرت وجهي في وجهه
وقال آخر :

راق ما ، الحياة من وجنتيه فهو مرآة في اوجه المشاق

والذي يسمع هذا البيت :

واستمرت لؤلؤاً من زجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

يخيل اليه ان وجه الانسان حديقة من حداثتي الجنان
فيها من كل فاكهة زوجان

ان الكلام عن وجوه البشر يسوقنا الى الكلام عن وجوه
اخرى هي بشرية ايضاً غير انها لا تنقيد بالمادة ولا ترتبط بالاحم
والدم . تلك هي الصور الادبية التي تقص لنا حياة الناس واعمالهم .
يمكنكم ان تروا رجلاً عظيماً ككثير مثل او روزفلت او ستالين
لانهم من المعاصرين ولكن اوميرس والاسكندر وافلاطون ومن
على شاكلتهم اين تستطيعون ان تروهم وكيف السبيل الى التعرف
اليهم ان لم يكن بصورتهم الادبية . هذا هو وجههم الحقيقي
الذي يرسمه لنا التاريخ . قد يخطئ المؤرخ كما يخطئ المصور
فيأتي الرسم ناقصاً او مشوهاً واذا امكن اصلاح رسم المصور في
حينه فرسم التاريخ يستحيل اصلاحه بعد انقطاع العهد ولهذا كان
من الواجب على المؤرخ الامانة والدقة فلا يلبس الحقيقة غير لباسها
وكم من الكتب والنقاد في عصرنا هذا من لا يتقيد بهذه الشروط
فاذا كتب او انتقد جار عن قصد السبيل وجعل بين الصورة الادبية
والحقيقة يوماً نازحاً . رأيت في باريس جملة من المراتي المعروضة في
المقاهي والاكاديمية لتسلية الناس فهذه مرآة محدبة وهذه مقعرة وتلك
مستطيلة اذ يضاهية الشكل فاذا نظر اليها الانسان ارتد وجهه
مستديراً كقالب الجبن او مسطحاً « كالبنادورة » او مستطيلة
كالشمع او مفلطحاً تبدو فيه العينان كالسطور والشم كقش يتدمن
الاذن الى الاذن . هذه المراتي التي تشعر بالامح الوجه هي كالكتائب
الذين يشوهون باقلامهم كل ما يرون . فاني ، الله ، في الحقيقة ايها
الناس وحسب المرء ما يناله من اذى الايام في وجهه المادي التزدوا
عليه في صورته الادبية . ان وجوه البشر ستبقى وكل الصور المختلفة
الالوان المعلقة في المتاحف والتأثيل المنصوبة في الساحات العمومية
ستلغى باصحابها تحت الثرى فاذا هي حجاجم خرساء متشابهة اما
الوجوه الادبية فهي ميراث العصور الخالدة ، مقامها في جدار القلوب
وساحات الضمائر ، تردد حديث الزمن النابر وتنقل خبرة الماضي
الى الحاضر .



مركب الحياة

هدية المتخلف - القاهرة

كان ثلاثون قصة ، من آداب عالمية شتى ، ومن الزمنية متفاوتة ، تتجمع على اختلاف ألوانها وتباين عيائها لتمثل طائفاً واحداً هو طابع الفكر الانساني الذي يبالغ تصوير النفس البشرية في « مركب الحياة » . هذا هو الكتاب الذي اختارته مجلة المتخلف هدية لقراءنا لسنة ١٩٨٢ . لقد جمعت بعض ما نقرأ من القصص على صفحاتها في كتاب وقدمته لمارسارى . متاعاً وسأوى ، وترعة طويلة بين مذاهب التأليف القصصي في العالم ، منذ القرن الثامن عشر الى الآن .

وتبدأ هذه التزينة التأريخية خلال القصص « منذ الوقت الذي حاولت فيه القصة ، مع بقية الفنون الادبية ، التحرر من عبودية الارستقراطية عندما كانت غاية القصص تسلية الملوك وتجهيزاً للإبطال . وبعد ان مرت القرون الادبية في عهد العصر الفكتوري في انكلترا بالتقرب الى الشعب بما هو مرغوب عند الجماهير كالاخلاق والذلة والدين وباصطلاح التزينة الخيالية في التعبير ، انتقلت هذه الفنون الى عهد جديد مشرق ازدهت فيه الانواع الشعرية عن عفاق الحياة ، فتحدثت القصص عن البهائم والوحوش بما يحلها من آسأل وآلام ، آسأل الفرد وطاوار ، وآلام البساکي الحزين معها تأنف .

عني الادب بالفرد وتحليل واطوافه وميوله ، غير ان هذا التحليل وإن كان في الاصل واحداً ، تختلف مظاهره باختلاف البيئات وتقدم الزمن ، فتحليل النفس البشرية بدأ أولاً فلسفياً ككباراً في قصة « الفيلسوف » لقولتير ، عندما ينادي في قصته بقرية العمل ويتحدث عن استغلال الناس للكمال في الحكمة والثروة والقدرة والسعادة .

وترقى علم النفس وأصبحت له أرباب السلبية وموسوعات الخاصة ، وإبتدع رويداً « رويداً » عن الفلسفة حتى اقتضل عنها ، واتخذها المؤرقون أداة يخلون بها النفس البشرية ويهيمون بها على ضوء علمي ، الى ان ظهرت « القصة السيكولوجية » في الادب الحديث وتنتج صراخ التحليل الميكولوجي وجرأته في قصة « غرور الوهم » لثوماس هاردى فتيما تصوير متع عن جهاد النفس عندما يجيب امها في شي . عزيز لديها ، وعن استبداد كثير من الانواع بقول بعض الضعفاء حتى يثدرو عليهم الافلات منها . وقد أصبحت الفكرة السيكولوجية لازمة للقصة الحديثة فهي وصف للرغبات النفسية وتحقيق الصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد رافق هذا النوع من تناول للنفس البشرية اهداف خاصة تقوم بها القصة مدافعة عن فكرة ميتة ، اجتماعية او انسانية ، فالقصة كما احما في اهتمامها بأشد مظاهر الحياة الانسانية تنافه ، وفي دراستها لآلام الساذجين والبالشين كما تدرسها في نفوس الوجوه والمفتنين ، تؤدي واجباً انسانياً

وتقوم بخدمة فكرة نبيلة ، فاقام كذلك تناول هذا الهدف الاجتماعي للصود وتدور حوله حتى تخلصه بحيا الناس قريباً منهم . ويكثر هذا النوع من القصص في ما يكتبه الروس ، قصة آسرحدون لتوستوي وقصة الرهان لتشيكوف ثورتان في وجهه اليهودية والطنبان والجاه . ومن هذا النوع ايضاً قصة « وكانت الذئاب توي » حسين جاهد التركي في دفاعه المجيد عن الحرية الانسانية .

والاساطير نفسها التي كانت قديماً ببدعة الحياة الواقعية اقبلت الان في قصص كبار الكتاب لتؤدي افكاراً انسانية بيعة ولتوضح مشاكل اجتماعية ، ففي اسطورة « راحيل امام الله » يصف استيفان زفيج مثلاً رائعاً من امثلة التضحية عندما تزول البقرة من ثمن راحيل تجاه اقوى مشير لهذه النبرة وعندما يحاول الراسخي في الحاضر . ويتخذ « كالدرون » اسطورة بجايلون وسيلة لعلاج مشكلة الحال الانساني الذي لا بد ان يزول بعد زمن قصير او طويل . . وسيلة لعلاج مشكلة الحياة التي لا يجد الفنان سبيلاً الى التخلص منها مهما كان ناجحاً في فنه . وفي اسطورة « جنه الامايه » اساطير الهندية مالمية للشرا والخير وانها اكثر تقبلاً لدى الانسان ، وتصور لفة المرأة بالزينة والتجلى .

والقصة الحديثة التي وجدت مادة طريفة في حياة الدهماء والسذج ، الذين هم في الواقع اطفال كبار ، عيت بالاطفال الصغار الذين تحمل حياهم باثبات العواطف الحرة والفرار الانسانية التي لم تلوثها الحياة بمظاهر مسطحة . وفي كل ذلك مساعدة على فهم الطبع الانساني عارياً بحدوده . وفي « جواجات المحبة » لا سكار وابلد ، حديث رائع عن الطفل للرح البري .

وفي هذا الكتاب قسم كبير للقصص العربية وإن شئت ، للقصص المصرية لانه لم يسم قصصاً لكتاب غير مصريين ويشعر القارى . لهذا القسم بالعلود القصصي في مصر منذ الحرب العالمية الاولى شموراً واضحاً ، فن النهاية اللغظية والاسلوب البليغ ، وتتحير سير القصة في توليد الدرامي واحترامها الخيالي . . عند الراسمي ، الى اهتمام العلم ونظراتها لتزويها الى فهم القاري ، مثل السلام عن الاستواء والعلل الباطن ومسلكت ادمان الكوكبين ، في قصص يعقوب معروف . حتى نصل الى القصة الثانية عند محمود تيمور في « الجنائز » تلك القصة التي تبالغ أزمة بين شخص وبين دية خشية في مخزن من مخازن القاهرة ثم تنبع لحياة هذه الدمية الى ان قوت . . وحتى نصل الى بشر فارس حيث القصة الرمزية .

وان كانت المسرحية قد هضم حقا ، فلم نجد لها مكاناً بين انواع القصص المختلفة في مركب الحياة . فلا شك ان المتخلف حين يقوم مسع قارنه بهذه التزينة الفكرية الممتدة بين روايات القصص العالمية وبين ازعار شتى من قصص عربية ، بدله على غير تصور المتخلف الادبي منذ سنة ١٩٠٠ ، هذا التطور الذي كان عاملاً قوياً في رقي الادب العربي الحديث .

وبجة الاديب ، اذ تشكر المتخلف على هديتها ، ترجوا ان يطرد هذا التطور في سبل العلم والاداب .

ازهار الذكرى

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرى - القاهرة

علم العربية

للاستاذ رامى رامى - بيروت

هذا كتاب مدرسى وضعه الأستاذ رامى رامى في أربعة أجزاء ، صدر منها الجزء الاول ، وقد اراد مؤلف هذا الكتاب ان يميل تلم اللغة العربية قريب التناول ، مشوقاً الطالب ، فوضع كتابه على اسلوب حديث سهل .
ويقسم المؤلف كل جزء من اجزائه الى اربعة اقسام : القسم الاول « الاصواتية » (والصحيح الصوتية لان النسبة تؤخذ من اللورد) ويريد بها ذلك القسم الذي يدرس فيه الطالب لفظ الكلمة وكذا بنائها الصريحة . والقسم الثاني اوزان الكلمة اي تركيبها الحرفي . والقسم الثالث الحرف ، والقسم الرابع النحو .
وهو خطوة حميدة في سبيل تبسيط دراسة القواعد العربية وتقديمها الى الطالب الابتدائي على اعون طريقة وايسر اسلوب .

مجلة الجمعية اللبنانية للمهندسين - بيروت

تشكل جمعية المهندسين اللبنانية على توثيق الروابط بين الفئتين بنمعيد اسباب الاتصال ومبادلة الاراء فيما بينهم ، وتسعى في سبيل اعلاء شأن الهيئة المهنية وتحسين حالة المهندسين ومساعدتهم في الظروف الاستثنائية ، وتشتجع انتشار العلم التي اقامتها ، والبحوث العلمية المبني على اساس فني ، وتندافع عن مصالح مهنة المهندسين المادية والمعنوية .
ومن وسائل تحقيق هذه الاهداف اذاعة مجلة تكون لسان حال الجمعية ومسرحة لآراء اعضائها ، فصدر العدد الاول من هذه المجلة حافلاً بالموضوعات التي تهم المهندسين ، والانظمة والقوانين التي تتعلق بالمهنة .
فترحب بهذه المجلة اجل ترحيب راجين لها التوفيق في مهمتها .

الانبا في طربس الانوار

تحية العرب الى الشعوب التي حلت السلاح على المانيا

صدر في كراس الخطباء الذين القاها الاستاذ فرح المالح والاساتذ خالد بكداش ، في بيروت ، في مناسبة الاحتفال بالذكرى اثناء الجيش الامم . وتنب على كتابة الاستاذ المالح صيغة منطقية ولهجة هادئة . اما اسلوب الاستاذ بكداش فمروءة وفوقه . ولا شك ان في مادة هذا الكراس ما يكافي كل من يظالمه .

اصناف النسخ في « الصباح »

توالي زيارتنا « الصباح » جودها في سبيل خدمة الادب والافوض في دمشق ، فقد خصصت عددا لاخير (٣٩ اذار سنة ١٩٦٣) لدراسة تحليلية عن الشاعر الكبير احمد الصافي الجفني قديها الاستاذ فؤاد الشاب ، وافاض فيها عن اطوار حياة الشاعر ومزاجه والمؤثرات المختلفة التي وجهته في شعره . والمخلص التي اقتدر بها الشاعر .
وقد تحلل هذه الدراسة بعض النماذج من شعر الصافي الجديد .

خطرات من احدثات الحياة ونفحات من تأملات الطبيعة ، نظمها المحامي الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرى في باقة شعرية وقدمها تحت عنوان « ازهار الذكرى » وقد انتخبها بصدر بارع الدكتور احمد زكي ابوشادي . فعمل الديوان غليل قارئ . معجب اشد الاعجاب بقصائد « السحرى » . وكان مما لاحظته ان المؤلف شاعر مفكر ذو رسالة رفيعة هي رسالة الانسانية التي يؤمن بها ايماناً عميقاً ، يدل على ذلك الشعر الانساني الذي يملئ به الديوان .

ويجلس في شعره التامل الصوفي على الطبيعة في سذاجة لطيفة ، ولا شك ان المعطف الانساني مرافق غالباً لتلقى بروج الطبيعة .
ويتبادل السحرى روح الاصلاح الاجتماعي والذي تناولاً شعرياً بوزلث من آثار روحه الانسانية ، ويضع ذلك في قصائده : الربعة العذراء ، والذكار . وهو في قصائده « كتاب العاريق ، والشرير ، وابن الام ، ووحيدة ، شديد المعطف على الضعفاء ، والباشرين .

ويضم هذا الديوان شعراً وطنياً بعيداً عن التشاؤم والانانية — لانه لون من شعره الانساني — وصفاً سامعاً على مظاهر الرذيلة في بيئته . وقصائده كلها مقطوعات قصيرة يتخللها بعض القصائد التي لا تتنبد بفاعية واحدة ولا تعتمد على الوزن الموسيقي المؤلف .
وديون ازهار الذكرى — كما يقول الدكتور ابوشادي — صلات عالية سلة سائنة لما برادة الطفولة ، واخيبتها اللجنة وحللتها الاغلبية .

نرمج الطفول

للاستاذة خليل هندواي ، عبد الوهاب العجيلي ولطفي الصقال

شعر بعض الادباء في مدينة حلب بالنص الذي يترى العصف المدرسية حتى تيمم الطفل عنها ، لانه لا يجد فيها ما يجذبه الى قرائتها او يجيبه الى الاعلام عليها ، ومن هنا التفتوا الى محاولة ايجاد « قصص للطفل » تستاز بالسهولة لتجذب الطفل اليها ، وتحمله بالترغيب ووسائل (التثقيب) على المطالعة وحسب الكتب .

وقد جعلوا هذه السلسلة ثلاث حلقات ، استل كل استاذ من المؤلفين بجلقة ، فتناول الاستاذ خليل هندواي الحلقة الاولى ، والاستاذ عبد الوهاب العجيلي الحلقة الثانية ، والاستاذ لطفي الصقال الحلقة العلمية .
وبين بدنيا الآن جزء من الحلقة الثانية تدور قصته عن حياة محمد (ص) مرسوعة عرضاً قريباً تتوالى ، بأسلوب يليق .

على ان الكاتب قد يلو عن مسدراك الطفل في اسلوبه فيورد بعض المبادئ التي يضل الطفل ان يتنفس عن مناعها ، فترقه عن متابعة القصة ، مثل قوله « تدفع نغم غائلة الجوع وعادة الشفاء » ، او قد يصرف احياناً الى وصف الطبيعة وصفاً عملاً للطفل في قصة غائبة التثريب من نفس الطفل . وهذه الملاحظات تزيد من قيمتها اذا صدرت من لسان مطلق قدما له هذه القصة ليراعها .

نترجو من المؤلفين ان يتابعوا عملهم في هذا المشروع القيم ، وان لا ينسوا حياة الطفل اللبينة ، وما فيها من حوادث غنية تكون تهاداة وفيرة

تطلب مجلة « الاديب »

| | | |
|----------------|---|---|
| بيروت | » | السيد خنجر النحاس وعموم الباعة |
| طرابلس | » | مكتبة زبليط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف بويديب |
| حلبا | » | السيد عبدالله محفوض |
| عاليه | » | مكتبة السيد نجيب سلمان |
| زحلة | » | السيد جوزف مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الرومي وعموم الباعة والمكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طباع |
| حصص | » | السيد عبد السلام الباعجي |
| | » | السيد توفيق الشامي |
| دير الزور | » | السيد ادب اوج |
| اللافتة | » | السيد حنا نصره |
| | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان رزق الله كردي |
| الباب | » | الشهاب لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي |
| | » | السادة حنا وجورج بوري |
| يافا | » | السيد توفيق زعبلوي |
| حيفا | » | السيد ماجد العقب |
| نابلس | » | عموم المكاتب والباعة |
| فلسطين عامة | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| | » | وفروعها |
| بغداد | » | عموم المكاتب والباعة |
| الموصل والبصرة | » | عموم المكاتب والباعة |
| مصر | » | عموم المكاتب والباعة |

وهي تباع : في سوريا ولبنان ٥٠ قرشاً لبنانياً في العراق ٦٠
تلساً في فلسطين ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان ١٠٠ غروش مصرية
الادارة بحاجة الى وكلاء في سائر الجهات

لندن ٢١ - بدأ الجنرال مونتغمري هجومه على خط ماريت وتوسعه
امره - جرى تبادل الاسرى بين الانكليز من جهة والالمان والفيان من
جهة ثانية . لندن ٢٢ - حصلت اضطرابات جديدة في « ليون » بفرنسا
قتل خلالها الويتيون عدة ضباط من الالمان . وقد نظم هذه المظاهرات
شباباً فرنسيات . لندن - شن الالمان هجوماً جديداً في الوقت الذي كان
الجيش الثامن البريطاني يقوم بهجومه برون ٢٣ - اذاعت وكالة الد.ن.ب ان
المصليات توقفت عن جبهة الدونتير . وهذا التباطؤ يتفق ويتواءم عن سنو كولوم
يقيد ان الروس مهاجمون بجزء من ناحية تشونغياغ بعينين محاولات اثنان
امير الدونتير . لندن - هاجمت الطائرات الاميركية قاعدة ولهاشاغن
الالمانية بنجاح . زورديخ - شافت الانصار الفرنسيون المحاربون في الساقوى
الاعدادات الحربية والمذاقية . لندن - زارت البعثة العسكرية التركية
التي وصلت الى افريقيا الجنرال انزوغوير وانيرال كوتشنام ومرشال
الجوتيدير ومقر القيادة الفرنسية العامة . لندن ٢٤ - اغارت ٣٠٠ قاذفة
ذات اربعة محركات على قاعدة سان لاور وكانت القاذبة ناجحة . نيويورك -
خرقت القوات البريطانية خط ماريت برونس .

لندن - قطع وزير فيشي في ستوكهولم جميع موقوفى القضية علاقا
مع فيشي . لندن - اعلن راديو بلجيكا ان عدد الفرنسيين الانصار الذين بقوا
في جبال الساقوى بلغ ١٢٠٠٠ مقاتل ضد المحتل . لندن - وصل السيد
الير فيجي امير سر اتحاد العمل العام من فرنسا الى لندن واعان انضمامه
وانضمام الطبقة العاملة الى الجنرال ديغول . استنبول - تعترف الصحف
الرومانية بنجاح مظاهرات ضد الحرب ويسود هذا الروح كحروب رومانيا ،
وشعور التشاؤم ينسر نفوس الشباب وتوزع منشائر مادية اللان في كل انحاء
البلاد الرومانية . دمشق ٢٥ - اعلن الجنرال كاترو عودته الحياة الدستورية
الى سوريا وكلف عملاً بالكيان في رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة للشراف
على الانتخابات المقبلة . مدريد - استعمل عدة موظفين كيان في سفارة
فيشي بدمرد والناصل الفيشيون في برناتو وديلاور وفالديلاور وقطوف
علاقاتهم مع فيشي . لندن - عاد سفير اسبانيا في برناتو الى لندن
بعد غياب ثلاثة اشهر . شونغ كنف - لأول مرة في التاريخ يحاول
التجديد للنساء في الصين . ويشمل هذا القانون النساء المقترحة امامهن
بين ١٨ و ٤٥ سنة للدخول في المصالح الاضافية للجيش لمدة الحرب .

استنبول - حصلت اضطرابات خطيرة في اثينا على اثر محاولة ارسال
عمال يونانيين الى ألمانيا . وقد تظاهر جمهور كبير من العمال والطلاب
قائلي جنود الاحتلال عليهم النار وقتلوا منهم بضع عشرات . لندن -
اكتشفت الفستابون منظمة جاسوسية متنازعة التجسس في قلب الوزارة الخارجية
الالمانية وكانت تعمل لحساب روسيا . لندن - وصل من فرنسا الى لندن
الجنرال بييه ووضع نفسه حالاً تحت تصرف اللجنة القومية واستقبله
الجنرال ديغول . لندن ٢٦ - احتج الملك ليوبولد ادى هتلر على ارسال
العمال البلجيكيين الى ألمانيا الفاعرة - قام الملك فيصل الثاني عامل العراق
مع حاشيته بزيارة الى مصر . انقره - جرت مظاهرات ودية غوتركيا
في مجلس العموم والوردات البريطانيين . واعلان زعيم مجلس العموم البريطاني
انه تلقى برقية من السيد سراج اوغلو يلته فيها انبر تاج حكومتها الجديدة
يقوم على الصداقة الانكليزية - التركية . حلب ٢٧ - اعلان راديو أجه
ان الجنرال كاترو وصل الى مطار البيت الأبيض فحياه الجنرال جبرو .
فيشي - اعلن راديو فيشي ان اربعة وزراء قد استقالوا من حكومة
لالال . لندن ٣٠ - احتل الجيش الثامن خط ماريت بكتله .

نوّار

نوّار خامس شهور السنة ، وكأنّه يد الطبيعة السخية مبسّطة
بأصابعها الخمس وعليها خيرات الارض وبهجة السماء .

ونوّار هو الينبوع تفجّر من اعاصير الشتاء وسيوله ، وثلجه
ووحوله ، مستحباً من التراب دماءه ، ومن الصخر رواه ، ومن
المعدن دواؤه .

هو للنحل ، حلم العسل ، وللحقل ، آخر امل . اذا أعطى احيى ،
واذا امسك أَمَات . ففي يده الموت والحياة .

وهو في البستان ، قلب لسان ، ينفرج الاول عن اسرار آذار
وينكشف الثاني عن اساطير نيسان .

ونوّار ، بلبل هنا وهناك كنار . للشمر قافية وللموسيقى قرار .
تستمدّ من الارض زهورها ، والزهور عطورها ، والقلوب نورها .

لربيع آخر قطرة ، وللصيف اول جرة .
هو شاعر الشهور ، وحكيم البذور ، غناها طفلة ، ويرعاها جلي .

تلعثمت الطبيعة في آذار ، وأفصحت في نوّار .
نوّار ، نونه نضار ، وواده ولاه ، ألفه أمل وراؤه رجا .

هو الشباب اكتمل ، على شفّتيه نضجت من الشمس القبل ،
واختمت على وجنتيه الغزل .

وهو الحب في كاله ، جمع بهجة شعوره الى اتزان خياله ، ومشى
من فورة الفتوة ، الى هدوء القوة .

فنوّار ، عاشق جبار ، على وشاحه المخضب بالارجوان ، دماء
نيسان ، وعلى صولجانه ، طغراء سلطانه .

نوّار ، حلم النبات والازهار ، وسيد الطبيعة المختار .

الباس ابو سبكه

اديب في السوق

بقلم عمر فاغوري

تفاريق في دقة ووضوح .

لقد كان ذلك اليوم يوماً تاريخياً في حياتي . انا رهين الكتاب ، ساعرف الهواء الطلق . سأخرج من عبي ، كما تخرج فراشة الحريز من شرنقتها . . . وجلست في الترام مزهواً مبتهجاً ، انظر بئنة ، ثم انظر بسرعة ، كمن يفتح على الكون عيني طفل جديدتين . ماذا كانت نتيجة صيدي ، في ذلك اليوم السعيد من ايام العمر ؟ لقد دونت خبرتي الاولى ، كما يملق الصياد على جدران بيته رؤساً وجلوداً من حيوانات اصطادها . . . او لم يصطدها هو . دونتها في ورقيات طفت على اج الزمن ، كما تغلفو حطام السفينة القريبة — قلت :

« اني منذ اسبوع ، اذهب كل يوم ، الى قهوة « الحلاج داود » كي امته النظر بصورة معروضة في ركن من اركانها : هذا المعجوز الجالس الى طاولة ، وهو يبكي . . . يبكي باصرار ، حتى اني ، اول مرة رأيت ، كنت لشهقة ما رثيت له ، لا اقض يدي التي حمت اني تبسط الى وجهه ، فتزها باطلف ، معزبة مشاركة في المصيبة . هو حزين ، جد حزين ، كأننا نعت اليه نفسه . . . ولعل بالترد ، ولا يسمح دموعه . ماذا ؟ أتريدوني على ان اصف لكم ذلك الحزين بلا حزن ، الباكي من غير دموع ؟ . ان لسانى لعاجز عن تمثيل تلك الصورة الفنية البديعة ، بل عن تساؤلها بشي . من الوصف . . . حسبكم ان تشبهوا شجرة من الصفصاف المتهدل الاعصاب ، الذي يلقبه الفرنسيين بـ « البسكا » . او ان تصوروا سما قطر ولا ماء . . . فهذا وحده قد يوحي الى الدهن بعضاً من مزاي الآية المخارقة . »

ويجب الان ان اتسلح بكل صفات الرحولة ، كي اقول لكم كيف انتهى ذلك العرض . من صور اصطدتها ، لأول عهدي بالآداب « الحي » المستمد من الواقع او « الطبيعة » . قلت بصوت بعيد القرار : « هنالك المستحي ولا حياء ، والمتعجب من غير عجب ، وهنا . . . هنا سمحت فقهة ، فالتفت ، فاذا بالمعجوز الباكي ولادوع ، كانه يضحك — بل هو حقاً يضحك من غصه في الترد . بل كيف اقول انه يضحك ، بينما هو لا يزال يبكي ، ولا يني يزيد بكاء ،

منذ خطر لي ان اجعل عنوان هذا الحديث : « اديب في السوق — او صيد يوم (١) » واستقر هذا الخاطري ذهني ، تملثني مسلحاً بكل اداة صيد : صيد اله وصيد البحر ، اعدو في زحمة المدينة ، خلف طيور وشخوص ، واساطير ووقائع ، ورموز وحقائق ، مما تتألف منه هذه الحياة التي نحياها ، او هذا الوجود الذي تضطرب فيه . ثم رأيتني ، وقد ادركتني العتمة ، عائداً ادراجي الى البيت ، وانا مثقل كالنحلة ، بنجحة جديدة من دنياوات لا عهد لي بها من قبل . وبالفعل ، طاوعت تروة خاطري ، انا المتردد الكسول الذي لم يخرج عمره مرة ، الى الصيد . . . وهكذا وجدتي على الرصيف ، باسرع من لمح البصر ، مدفوعاً بقوة لا راد لها ، كأننا تخرجت في سويديا بقتة ، طباع آبائنا الأولين الذين كانوا ، على حد قول العلماء ، قناصة صيادين ، قبل ان يارسوا الفلاحة والصناعة والتجارة والتوظيف والجندية ، وسواها من المهن — حشوة غير حرة . . . كان منها حراً ففي دائرة ما ، وما لم يكن حراً قالى حدم . . . ولكن ائذنوا لي هنا ان اقطع سياق الحديث لاقتضائكم نبأ تجربة اولي من هذا النوع ، لست ازعم انها كانت موفقة الا اذا كان الصياد الذي يخاف السماتة اذا رجع خالي الجراب ، فهو يشترى صيده شراء . بدراهم معدودات ، يعد موقفاً . هي تجربة دفعت اليها بعامل بسيط جداً ، لاصلة له بالكبت ولا بوراة الطباع الوحشية عن انسان العالبات والكبوف : لقد اغترقت بهما هذه النظارات التي ركبت انفي ، وتعلقت باذني ، واصلت بذاتي ، حتى لا كاد انسى احياناً انها من اشياء ، مستعارة في حياتي .

كان ذلك لسنوات خلت . وكان اول عهدي بحمل النظارات اعالج ضعفاً في البصر طال العهد به ، واعتقدت اعتقاداً جازماً ، بانه حرمي فوائده ومزاياه عديدة ، لا يصحها المدا . ما اكثر ما منيت النفس بان اشهدا ، بفضل زجاجاتي الخادنة ، ما لم تكن تشهد من حالات وحر كالت ، وان ادريسا ما لم تكن ترى من خطوط والوان ، فكأنها كانت تعرف الحياة جملة ، فتسرعها تفصيلاً ، او كانت تسكنه الوجود مختلطاً في ابهام وغوض ، فتسكنه

(١) من كتاب هذا العنوان يصدر قريباً في منشورات مجلة « الطريق »

كالصفاص المتبدل الاغصان .. بكنت السماء وقهقه الرعد !
وليت القصة انتهت عند هذا الحد . لا ، اذ يلوح ان صاحبا
الصيد لم يرجع الى بيته الا ليعود الى الكتاب ، كما تعود فراشة
الى شرنقتها ، وهو ما لم يشهد مشله التاريخ الطبيعي . عاد الى
الكتاب ، فقرأ في « الفائق » للزخشرى ما نصه : « الحجاج -
كان قصيراً أصغر كما كها . والكها كه ، لغة ، الذي اذا نظرت اليه
كانه يضحك وليس بضاحك . من الكهكهكة . » فصرخ بل فيه :
« اوربكاه .. وجدته . كانه يضحك وليس بضاحك .. كأنه يبكي
وليس يباك .. هي الصورة التي اصطلدتها من قهوة «الحاج داود» على
سيف الابيض المتوسط . الآن عرفته ، لاني وجدت له اسماً يعني عن
جميع الاوصاف التي لم أجدها . » ستهفون بي : « انها عبقرية الامة
العربية . » هي ، على الاقل ، طبيعتها وطبيعة سائر اللغات ، على
ما ترجع . ولو شئت ان تمثل انساناً يبكي او يتصنع البكاء ، تقول :
« ككه ككه ككه » برنة حزن .. ولو شئت ان تمثل انساناً يضحك
او يتصنع الضحك ، تقول ايضاً : « ككه ككه ككه » برنة فرح .
وطالما رأينا المغرب في الضحك تقوروق بالدمع عيناه ، كما نشهد
على الشاشة البيضاء ، الممثل القادر الذي يبلغ الحزن منه ضرورة
الموقف ، آخذاً في القهقهة (او الكهكهكة) ويسوس هذا النوع
بالضحك المستعري .

ذلك ما كان من شأن تجربتي الاولى في الصيد الادبي . فل
اكن متواضعاً اذ قلت لكم منذ البداية ، انها لم تكن «موقفة الا
بقدر ما ينسب الى التوفيق ، صيد الصياد المشتري فالصياد المشتري
يعد موفقاً اذا لم يدفع عن ما .. لم يصد ، غالباً . وكانت خاتمة
هذه التجربة ، اني وقعت في شباك الفاضل الزخشرى ، فوق ذلك
الكها كه ينظر ، ويضحك حقاً وصدقاً ، بين دفقي القاموس .

لنعد الان اذا اذنتم ، الى نفسي التي تركناها على الرصيف ،
معمرة المضي في تجربتها الثانية ، فقد املنا الانتظار ، بينا طباع
انسان الغابات والكهوف تجيش في سويدائنا ، كما لم يسبق له مثيل .
.. اذن ما كنت اخطو خطوة على الرصيف ، حتى رايت الى
جانبي ، على غير انتظار ، جارنا المصور الارمني احوال ، وكأنه بكرو
على غير عادة ، لينافسي في مهنتي الجديدة ، منافسة غير حميدة ،
وهو حامل تلك « السياء » المشؤمة التي يشق عليها صور الحلق او
اشباحهم .. وطفق يوازن بين مشيته ومشيقي ، وحسب حيناً انه
ينظر الى شي من الاستغفاف ، فتحوالت لغوري ، الى الرصيف
الاخر .

وهالك بصرت بأدمي حسن السم والهيئة ، يثني على طرف
الرصيف كهلوان على جبل ، متباطئاً ، تزيئاً ، بخطى قصيرة ، مترنة ،
كالمفرج بكل معنى الكلمة - المتفرج الذي لا شيء وراءه ، ولا
شيء قدامه ، لكن عنده كل الوقت . ولما حاذيته رأيته يفرك
يداً بيد ، في حركة طويلة طبيعية ، لاتدري اتنسها الى الاضطراب
الشديد ام الى الفرح ببقية ثمينه . وسمعتة يتم بين شفتيه بكلام
لم اتبينه ، اول وهلة ، خيل الي اني انه قريب من سبع الكهان ..
كان هذا الأدمي يقول بصوته الخافت كمن يخاطب نفسه : « في دنيا
الكدح هذه .. ليست الحياة لهواً ولعباً .. في دنيا الكدح هذه ..
ليست الحياة لهواً ولعباً .. » وهو يخافت بهذا الكلام ، ثم يرجعه ، كالصوت
وصداه . لعل حقيقة يريد ان ترسخ في ذهنه ، لشدة ما آذته واجمعت في
الماضي ، فكانه يطمع بان يشبها الان في صفة الكون ، فلا هو
ينساها ، ولا يغفل عنها احد . بل لعله موسوس تلقف هذه العبارة
من واعظ او ناسك او معلم اخلاق ، فهو ينسئ بها كالمسبحه ..
وهذا ، كأنه احس وجودي ، وفطن الى ما يدور بخاطري ، فالتفت
ثموي متبسماً ، ونظر بعينه غزراً غفياً يكاد لا يرى ، كأنه يسألي :
« ماذا ؟ » ويسألي : « كيف ؟ » ويسألي : « متى ؟ » في وقت
واحد . فكنيتي وبألم على موعده ، كي يطرح علي جميع هذه
الاسئلة دفعة واحدة في ظل ابتسامه على وجهه النيف ، وفي
البريق غزوة ، ان عيني الساجية . وكان الجو حوانسا متراً
بكهربائية ذلك الكلام الغريب : « في دنيا الكدح هذه ..
ليست الحياة لهواً ولعباً .. » فشعرت بجراحة الموقف ، وخجلت من
فضولي ، وخفت سر العاقبة . اخذت البحث ، بكل قواي ، عن
الخروج . قلت بعد تردد قصير : « كم الساعة ، ارجوك ؟ » فذهبت
ابتسامته عرضاً حتى هم ان يضحك ، وازداد بريق عينيه حتى اوشك
ان يطرو ، وكاد لا يملك نفسه من الفرح ، كأنه يترقب هذا السؤال
ليثار من فضولي .. قال متلطفاً : « الساعة ؟ » على وقتكم او
على وقتنا ؟ » قلت : « فهمت .. » وانصرفت عائداً ادرامي .
وبعد دقائق كنت في البيت . حسبي من صيد النهار هذا الأدمي
الذي لا يقدم ساعته ولا يؤخرها ، رغم قوانين الحكومة .. هذا
الأدمي العجيب الذي يبدو غير مرتبط بزمنا . لله ما اعظمها
وانفسها واغورها صيدة !

ثلاثيات

في النقر



يا ثغرها يا ورقتي وردة
رقت عليها بسمة هاجها
حراء ارواها ندى عاطر
شوق الى عهد مضي خاطر
ممن احبت نسم عابر
أو قبله بالوهم جاء بها

يا قوتة نادرة شقها
لم يرسم الفن شيئا لها
على لآل صائغ ماهر
مما يأتها في الروى شاعر
يفتر في حرقها مبسم
كل وقاه للهوي ساحر

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يا دعوة للحب ، وعدا بما
مأدبة انقامها والطلا
يصبو اليه الشرب والسم
منها ، ومنها الطيب والكوثر
ورفرق من شعرها أشقر
وكوبها والورد من حولها

يا ثغرها الریان يا فتنة
أودتها التفاح طيباً على
قائمة من عهد حواء
طيب وتغريراً واغوا
بل أخذت بالسر اشياء
لم تترك الجنة صفر يد

يوسف غصوب

ثورة الموالى

بفلم مارون عبود
مدير الجامعة الوطنية بعلبك



فانك

ماء الورد ان ذهب الورد . ما اصدق هذا القول على ال ادب . فالادب خلاصة عقل الامة يسدل الاواخر على السبل التي اختطتها اوائلهم ، وما مروا به من اطوار . يبدو المحرم ويستولي الفناء على آثار الامة ويقاياها ما خلا الاصيل من ادبها فهو لا تقارقه نضارة الشباب لانه ابن الحياة الحي . ان هذه الثورات التي تضطرم في كل جمعة تدل على ان ال ادب كائن حي فهو ابدى في تفاعل كعناصر الحياة الاخرى . اذا وابتدأ الانواء برعت غصونه الهاجعة وازهرت واثرت ما يموت وما يعيش . سنة الحياة الخالدة التي تحارب ابناها فلا يثبت في جبهة النضال الا الاشدا الاشد .

يتأثر ال ادب بالحياة لانه وليدها ويصعب الاختراع فيه لانه صورة عنها وهي لا تتغير الا بقدر ، ولهذا تقل الاكتشافات فيه ، ويظل قديمه متصلاً بجديده ، فهو يمتشي تمشي السلالات والانواع ، وينمو غواً حسابياً لا هندسياً . فالادب الحق هو المصور الخافق تلتقط ويشته المشاهد الرائعة فتعسي في بحس الفن لتتبع بجملها الحواس دائماً وايداً . فانك ماء الورد ان ذهب الورد .

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوق العلماء باق هكذا قال شاعرنا . وان آثرنا الصدق ولم نذهب مع الشعراء في كل واد قلنا اخذ الملوك واسيرهم ذكراً من نفقت عنده بضاعة ال ادب . وليست الدول العظمى احرص على ذكر ملوكها منها على ذكر ادبائها ، فهم سجل مجدها الباقي ومولود ملكها ، بحيث تلقى بذور اداب امة بينت النفوذ والسيطرة فماتت بعض الامم ببعضها

تجارياً وصناعياً باقل منه عقلياً ، ففي الحياة مجار خفية كالمناجاة لا يتقطعا الا ذهن ال ادب لانه اشد احساساً من زجاجة المصور الشفي .

تقع الثورة في ال ادب فتظنها طوفاناً عروماً وتحسب ان الساعة قد دنت حتى اذا لفظت الماصفة آخر انفاسها وطلمت الشمس شاحكة بدا لك عروماً ما كنت تتوهم انه كائن . فهذا الثبات يدلك على خلوص ال ادب فلا تأخذ منه الثورات الا كما تأخذ السيول من الجبال الصاعدة فالادب الحق ، وهو نذر جداً ، هو آخر صفحة تمحوها العوادي من توارخ الامم والشعوب . وهي اشد آثارها الاخرى صبراً عليها .

قد يقول قائل هنيئاً له ما افضى باله ، يحدثنا عن ال ادب وثوراته في هذه المعامع . الدنيا قائمة قاعدة وهو غارق في هذره وسفحه . فليحدثنا عن المفاجآت الجبرية ، عن الجبر والملح ، عن الرز والسكر .

اما الجواب فهو اني لا صلح لهذه ولا تلك . تعني الثورات الادبية ، فأصحابها هم الذين وضعوا المثل العليا التي تناضل عنها الدنيا خائبة ، وتقوم الحروب في كل عصر تحت الوتيا .

كل ادب ناثر ، والادب الهادي . لا يهدم ولا يبني بل هو من الذين تجرفهم شبكة الصياد فتخرجهم من بحر الحياة المعجاج الى الملقى او الى القرن ليتغذى بهم الحيتان الصالحون للبقاء .

ان اول ثورة ادبية عربية اوقد نارها ادب اعمى مستعرب ، وكأنه تظفر بعين الغيب الى اثره في ال ادب فقال بيته الذي تمثل

به الآن .

اعنى يقود بصيراً ، لا اياً اياً لكم قد ضل من كانت العميان تهديه
لا يا بشار ، ما ضل من يقوده اعنى مثلك ، وكمن اعنى
قبلك وبعدك رأى مسالم ز نحن البصرا . فانتم بالآ .

اصح الكثيرين يقولون لماذا زعم القداما ، بشاراً ، وماذا رأوا
فيه حتى اقروا له بزعامه لا خلاف فيها . فالذين لا يدركون
ما غرض ودق يقولون كان بشار لسان كالسوط فاقى الرعب في
نفوس الملأ ، والرواة - والرواة هم نقاد ذلك العصر - فاعترفوا له
بالسبق خوفاً ورهبة . ثم صار الباطل حقاً كما يصح الكذب في
رأس قائله متى تقادم عهده ، هكذا ثبتت زعامه بشار كما ثبتت
زعامة الحريزي مثلاً .

ان هنالك شيئاً غير ذلك ، ان هنالك افتناً ليس رمية من
غير رام ، فبشار زعيم ادبي رغمنا عن وطأته الثقيلة . ففي ذلك
الجسم الجاموسي نفس فتية ما رأى الادب العربي مثلها . نفس
ادركت غمواً ان الادب ابن البيشة فتجست بيئتها تحساً فكان
لها من كل اصبع الف عين . رأى بشار بانفقه واذنيه وسائله ما لم
تره ملايين الناس باعينهم ، وهو من العباقرة الذين سبقوا دهرهم
دهوراً .

اراد بشار ان يكون عصره ادب غير ادب الجاهليين والامويين
فتعمد ذلك ووضع معالم فنه صامتاً . لم تكن له نفوس الجاهليين
المرحة ولا حوريته الواسعة ، ضيق عليه عماء فانطوى على نفسه متأملاً
فاخرج فناً شاميه عليه ابو نواس وغيره فكان ادب المولدين ،
وهذه الحكاية تزيد ما تزعم :

قال الاصمعي كنت اشد خائف من ابي عمرو بن العلاء
وخلعاً الاحمر يأتان بشاراً ويسلمان عليه بغاية التعظيم ، ثم يقولان
يا ابا معاذ ، ما احدثت . فيضربهما وينشداهما . ويسألانه ويكتبان
عنه . فاتياه يوماً فقالا له ما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن
قتيبة ، قال هي التي بلغتكما . قالوا بلغنا انك اكثرت فيها من
القرىب . قال نعم ، بلغني ان سلاً يتباصر بالقرىب فاجبت ان
اورد عليه ما لا يعرفه . ثم انشداهما القصيدة ومطلعا :

بكروا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير
فقال له خلف الاحمر لو قلت يا ابا معاذ مكان (ان ذاك
النجاح) (بكروا فالنجاح) كان احسن .

فقال بشار اني بنيتها اعرابية وحشية فقلت (ان ذاك النجاح)
كما يقول الاعراب . ولو قلت (بكروا فالنجاح) كان هذا من

كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة .
فقام خلف وقبله بين عيني . وشاء خلف الاخر ابن ابي عمرو
بن العلاء بمزاخه بشار فقال له : لو كان علائكة والدك يا ابا معاذ ،
- اي لو كان عربياً - فلعلت كما فعل اخي ، ولكنك مولى .
فد بشار يده فغضب بها فخذ عمرو بن العلاء ، وقال :

ارفتك بعمرو اذا حركت نسبته فانه عربي من قوادير
ما زال في كبر حداد يردده حتى بدا عربياً مظلم النور
ان جاز البازة الانذال في مضر جازت فلوس بخاري في الدنانير
ارأيت مثلي ان يشاراً كان في فنه متمعداً وانه زعيم مدرسة
حقاً ، انه لا ينظر ابدأ الى مواد الجاهليين في هجوهم ، فكل
مواده مأخوذة من بيئته وما تتناوله يده من محيطه . انظر كيف
تناول صورته من زمانه واخرج منها هجاء . مرأ . فلبشار مدرسة
زاهرة لا بأس علينا ان نسيناها مدرسة الخلماء فلا ادب العربي
كغيره من الادب الاخرى شعراء ملعونون ، وقد ذكرهم ابو
الادب العربي فقال :

كان والبة بن الجباب ومطيع بن اياس وابن المقفع وحماة
عجود وبشار المرث وابان اللاحقي الخ ندما يجتمعون على الشرب
يقولون الشعر لا يكسبون يقترون ، يهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعدماً
وكاهم . منهم في بيئته
فجاءوا فيهم اليهم ابا نواس واتراه هم الذين احدثوا اول
ثورة في الادب العربي ، اما وقد تارها فبشار . وسنترك في قابل
اثر بشار وزعامته فيها ، ثم كيف خدمت تارها قروناً حتى اتقدت
في هذا العصر .

مارود عبود - غالب

صدر كتاب

دي غول الاديب

من منشورات الاديب

نصف ٥٠ قرناً بتانياً

اطلبه من جميع المطابع

خطرات ساذج

« خطرات ساذج » كتاب ادب وتأمل وتفكير يده الاستاذ خليل تقي الدين ويسر الاديب ان تقرأ منه هذه الصفحات .

الواحة والجلب

ما اجل الواحة في قلب الصحراء !

هي الظل الوارف في الجحيم المحرق ، واري المحي في الظلمة القتال ، ودنيا الحياة على تخوم الموت ، والشاطي . الامين للساري والسائر .

الواحة ا حديقة غنسا في خضم من الرمال ، وهبة النسيم في السمر اللاهب ، وابسامة الخضرة في عسبة الجفاف .

ما المروج والجداول والرياح سوى كلال مشورة افقت عنها شفتا الخالق .

واما قصيدة الله الكبرى فهي الواحة .

هي الطريقة في ما خلق وابدع .

حسب الواحة انها خصب في الجلب ، والخضرة في اليوسفة ، وحقيقة في السراب !

والجب هو الواحة في صحراء الحياة !

وفا الارض

الارض ، من دون سائر الكائنات ، لا تكذب ، ولا تراوغ ، ولا تخنجر اليهود .

قد تكذب السبا ، فلا تخر ، وتروغ الرياح فتقتلع الاشجار ، وتعمي الابصار ، ولا تبقي ولا تذر ، وتخنجر البحر عهد راكبيه فاذا صفحته الهادئة جبال تماوها جبال ، وامواجه اكفان ، ولججه رموس ، وشطآناته الهائنة شفاء مزبدة تلفظ الجثث الباليات .

ويكذب الجدول فيغور ، والينبوع فيجف ، والفضن فلا يورق ، والزهرة فلا تبق ، ولا تمعد ، ولا تشر .

وتكذب الشمس فتتوارى ، والقمر فلا يطلع ، والنجوم فتعيب .

ويغدر الورد فيقدم لك الشوك والوخز بدلان الحسن والشذى

واما الارض ، الارض وحدها ، فهي التي لا تتبدل ، ولا

تروغ ، ولا تكذب ، ولا تخون .

المزلة الذي تأوي اليه قد تتداعى جدرانها فيتهدم على رأسك .

واللقمة التي ترددها قد تخفي في طياتها السم الزعاف .

والقيص الذي تلبسه قد يخنقك ، والحذاء الذي تشتملر جلاك

قد يسير بك الى الهاوية ، والسري الذي يضمك قد يصبح لحدك .

الولد الذي تغدق من احشائك قد يسد اليك الطلعة في الظهر

او في الصميم .

والصديق الذي محضته الود قد يتغير ويغفوك ، والحبيب الذي

احرقك البخور على قدميه في هيكل الحب قد يسلك وينسلك .

والشكرة في الناس الذي جعلت منه انسانا قد ينقلب عليك

ذنباً ينهش ويفتوس .

واما الارض ، الارض وحدها ، فهي الامينة الوفية ، وهي

التي لا تنسى ولا تخون .

انظر الى الموت ، والزمان كيف يأتيان على كل شي . وكل

احد من دون الارض .

كلما عصف الموت بجبل من الاجيال وطوى الزمان بعض

صنعاظه وقبائله الارض تقول : هنا وقف قصير ، وهنا مورت

جبال من هلال ، وقبائل طارئة الفاتحين !

تقن على الارض ، ونستشهد بالارض ، والارض تضحك ،

وتحفظ وتحجب !

واعظم ما في الارض انها البداية والنهاية . فليها نقبل حين

نستقبل الحياة ، واليهما نأوي حين يستقبلنا الموت ، وهي في

حالي الاقبال والادبار ، لا تضحك ولا تسمت ، ولا تحول .

ايتها الارض !

قد يكون اعظم ما فيك انك كلما امعنا في عمقك زدت ثروة

وجوهاً وعطفاً ، فما ابعد الشبه بينك وبين بني الانسان او قد يكون

اروع مناظر لك على روعيتا كلها منظر اخراب والدمار يساو

سطحك والنار تلتهم كل ما عليك ، والقتل والجرحى متناثرين

هنا وهناك ، وانت ، في جلالك المهيب ، تهزأين بذلك كله ،

وتفتحين ذراعيك لكل واقع وساقط ، وتسمعين اكل شي .

وكل انسان .

ليس عجباً ان القبلة التي تنفجر عليك تعمور بالموت كل شي .

فاذا فتحت فيك اثلاذاً سخرت منها فتفجرت منك الحياة !

انت امنا حقاً ايتها الارض !

الى القراء

اصبح ثمن الجزء من الادياب ٧٥ غرشاً لبنانياً
ابتداءً من هذا الجزء . وذلك ثرولاً عند قرار جمعية
الصحف الاسبوعية والمجلات بشأن رفع اسعار
الصحف . فخرج من قرائنا الكرام المصدرة .

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوؤها من شهر
كانون الثاني (يناير) .
- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .
- قيمة الاشتراك :
- في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل
الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي
لا تباع فيها المجلة .

في الخارج :

- مصر واحد . ولصاحب الاشتراك في
الخارج الحق في الحصول على منشورات الادياب
التي تصدر خلال السنة .
- الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد
في البريد .
- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا
الجزأين الاول والثاني) فن شاء . من هذه الاجزاء .
فليطلبها من الادارة .
- الادارة مستعدة لثراء اي جزء من اجزاء السنة
الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحسالة جيدة .
وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن الجزء الاول او
الثاني من السنة الاولى .
- المقالات التي ترسل الى الادياب ، لا ترد الى اصحابها
سواء نشرت ام لم تنشر .
- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
- مجلة الادياب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

« الدائرة »

رباه ! ما الذي اسكت الكنار في هذا الصباح ، وكناري
يقوط الشمس غناؤه ، وينبذ الليث تغريده ويجمع على النهار الطالع ،
تصفق جناحيه ، وترجع كراته ، يشرى ومرحاً وجوراً .
وقاك الله السوء يا حبيبي ، وحاك من كل ضار وكاسر ، وخفف
عنك عذاب الاسر ، وتمتلك بنعمة السلوان ، في ففصك النجاسي
هذا ، المعلق على الشرفة ، امام الاجواء الطلقة ، والحدائق الفناء .
ولما طال به السكوت قت اليه ، فبارعني الاسكون في
القفص لا عهد لي به ، وعهدي بكناري دائم القفز ، سريع الحركة ،
ينقل بين الجدران الاربعة ، والسقف ، والارض ، ككرة لاتهدأ
ولا تستريح ، الا ان يزل عليه الرحي ، فيقف ريثما يرسل الفناء ،
ثم لا يلبث ان يعود سيرته الاولى .
ما لهذا القفص يعمو بالسكون بعد ان كان يعمو بالحركة
والحياة ؟

ورأيتني امشي الى القفص ، وفي قلبي وحذر ، كأنني امشي
الى قبر !

حتى اذا اخذت القفص بكتلتا يدي ، وادنته مني تحققت
المصيبة ، وفداحة الخطب .
رأيت الكنار ملقى على ظهره في ارض القفص ، ورؤيت
مسيلتان ، كما ينام الاطفال ، لا كما تنام الطيور . والقيت القفص
من يدي ، فانفتح بابه الصغير ، وما عليه اذا انفتح ، فلن يهرب
الكنار بعد اليوم .
ثم حفرت للكنار حفرة صغيرة في الحديقة ودفنته بين الازهار
والحائل والاوراق ، وقلت : امل الموت يعطيه ما سلبته اياه الحياة .
يا كناري الراحل !

أتراك مت غماً ، ام انتحرت ، ام لج بك حب الحرية
والانفلات فلم تقط على حياة المبردية صبراً ؟
ولكن ، يخبرني امر ، ويشقيني سؤال : أكانت تلك الاناريد
تلاها بها ارجاء ، متلي اياماً وايالي وشهوراً برمتها غشاً . جذلان ،
وزقزقة طروب ، ام كانت ، ونحن لاندرى ، ترجيع كتيب ، ورائات
محزون ، وآهات يصدها قلب دام فيطرب لها الناس ، ينابذ تذبذب
حشاشة الكنار ؟

بالله خبرني يا كناري الحبيب ؟

فليل نقبي العديم

مشكلة المواصلات في المانيا

مختلار براندت

تلخيص : ريثف خوري ، عن « مجلة الشؤون الخارجية »
عدد كانون الثاني ١٩٤٣

بين هذه الحرب والحرب الماضية

لا يكاد يحتاج الى ذكر ان قضية المواصلات هي من اشد القضايا اهمية في الحروب ، ولا سيما هذه الحرب . ولذلك نرى جميع الزعماء والقادة يؤكدون خطورة شأنها في كل مناسبة . وما من شك ان ناحية الحوادث العسكرية ، في هذه الحرب ، قد غطت بعض النقط على ناحية اخرى منها هي : ناحية الحصار ، فما ينبغي ان ننسى ان الحلفاء يضرعون حصاراً متواصل على المانيا ، بينما تحاول المانيا بدورها ان تضرب عليهم ، ولا سيما على بريطانيا — شيئاً من الحصار ، وكل حصار لا بد له من توجيه الجهد على ضرب طرق المواصلات ووسائلها عند العدو ضربات شديدة فتاكة ،

وفي الحرب الماضية لما دخلت الولايات المتحدة في المعركة ضد المانيا صرح الجنرال لوندنورف ، سنة ١٩١٧ ، بان حرب المواصلات ستقطع الشرايين عبر الاتلنطيك بين اميركا وبريطانيا ، وذلك يقع الحصار على الجزر الانكليزية . ولكن المانيا ما لبثت ان خسرت حرب الغواصات ، ثم ضعفت طرق مواصلاتها وتضعضعت وسائلها .

فيمكن القول : ان مشكلة النقل والمواصلات عند المانيا كانت « القشة » التي قصمت ظهر الجمل في آخر الحرب الماضية . وشعور النازيين بهذه الحقيقة الخطيرة كان عاملاً من اهم العوامل التي حملتهم على الاخذ بنظرية الحرب الخاطفة وقطيعتها . لقد خالوا ان ضجة سرعة تطرح اوروبا على اقدامهم وتعرض طرق المواصلات في الجزر البريطانية وفي الاتلنطيك لهجوم كثيف من الجو يكفل لهم كسب الحرب في الجبهة الغربية ، ويقعهم شر حرب طويلة ينهار فيها جهازهم ، ولا سيما جهاز مواصلاتهم ، تحت عبثها الباهظ . على اننا نعلم الان انهم اخطأوا التقدير على جبهة الغرب ، كما اخطأوا التقدير على جبهة الشرق . قد اخطأوا — على الاقل — تقدير الوقت .

وها هو التاريخ ، في هذه الحرب يكاد يكرر نفسه . فالمانيا لم تستطع ان تفرض على الحلفاء الحصار الذي كانت تتوخاه او لم

تستطع ان تقطع شرايين مواصلاتهم في الداخل والخارج ، فخسرت معركة الجزر وخسرت معركة الاتلنطيك وعجزت عن ان تشل روسيا التي انقلبت فكات لها ضربات مضعضة . والان ، كما في اخر الحرب العظمى الماضية ، تجد المانيا نفسها محصورة وامامها مشكلة في مواصلاتها تشتد وترداد تعقداً واخذاً بجذاتها .

تقسيم المشكلة

فلنبحث هذه المشكلة ولنقسمها الى اقسامها ، ففي ذلك ما يسهل علينا تناولها وفهم حقيقتها .

ان المانيا بلاد صناعية بلغ مدى صناعيتها شأواً بعيداً جداً . وكل بلاد صناعية لا تستغني قط عن طرق مواصلات ووسائل النقل هي شرايين الحياة في البلدان الصناعية المتطورة .

وتنقسم طرق المواصلات ووسائل النقل الى اقسام ، بحسب ميدانها الذي تكون فيه ، أهر البر ، أم البحر ، أم البحر أم الجو . ولما كان الجو لم يصبح ميداناً للشحن كغيره من الميادين فنسقطه من البحث فنقسم حديثنا عن مشكلة المواصلات في المانيا الى ما يتعلق بالبحر ، ثم بالانهار ، ثم بالجو .

المواصلات البحرية ووسائلها عند المانيا

لا شك ان المانيا واوروبا النازية قد انفلقت في وجهها بحملاتها على ان تقدر كبراً مسن الشحن البحري لا يزال مستمر . فلدى المانيا البلطيك وجنوب بحر الشمال ، والقنال وشواطئ فرنسا جبهة الاطلنطيك ، وبعض المتوسط والبحر الاسود . وكل هذه نقاط لا تزال تتناولها البحرية الالمانية وان تكن اساطيل الحلفاء تعمل فيها علماً القوي .

فما هو مقدار البحرية الالمانية ؟

لقد كانت المانيا تتوقع ان تستولي على مجموع اساطيل اوروبا التجارية على الاقل . وهذه الاساطيل يبلغ مجموع حمولتها حسب احصاءات سنة ١٩٣٩ ما يزيد على خمس وعشرين مليوناً وثلاثمائة ألف طن . ولكنها حسب احصاءات سنة ١٩٤١ ، لم تجد لديها من هذا الرقم سوى اثني عشر مليوناً وخمسمائة وثلاثمائة ألف طن . ولكنها حسب احصاءات سنة ١٩٤١ ، لم تجد لديها مسن هذا الرقم الضخم سوى اثني عشر مليوناً وخمسمائة وثلاثمائة ألف طن . ولا بد ان تكون بنت ، حسب معدل البناء عندها ، ما تقرب حمولته من ثلاثة ملايين طن . على ان خسائرها البحرية ، حسب الاحصاءات وما استطاع ان يستنفذه الحلفاء من اساطيل اوروبا ،

ضال الرقم الى ما لا يزيد الآن عن تسعة ملايين طن .

والسلم به سلفاً ان فقدان المانيا لقواعد افريقيا الشمالية ، في هذه المرحلة من الحرب ، سيقتل في وجهها الملاحه في المتوسط ، لان الاسطول التجاري - ولا سيما الالمانى - يعتمد على حماية الطيران . ولا تبقى للطيران الالمانى بعد خروج المحور من افريقيا الا قواعده في سردينيا وشواطئ ايطاليا ، وهذه تصبح معرضة اشد التعرض للضربات الفتاكة من الطيران العدو .

المواصلات النهرية في المانيا واوروبا المحتلة

ومهما يكن من شأن المواصلات البحرية ، عند المانيا فيجب ان لا ننسى الدور الخطير الذي تمثله طرق المواصلات النهرية ووسائلها في داخل الريبخ واوروبا المحتلة . ولقد انتهت المانيا اثنا نهضتها الصناعية الى شق عدد من القنوات تصل ارض الرين و « ستغاليا » ببحر الشمال والبلطيك والانهار الكبيرة والبلدان المجاورة حتى البحر الاسود نفسه .

وتشكل مجموعة المشحونات التي تنقل عبر طرق المواصلات المائية في المانيا حوالي ربع المشحون على طرق المواصلات الداخلية جميعاً ، بما فيها السكك الحديدية . وفي سنة ١٩٣٩ كانت المانيا تملك ستة آلاف مركب من مراكب الملاحة النهرية ، وهذا العدد في تزايد لان السكك الحديدية تقل طاقاتها عن النهوض ما تقوضه عليها ظروف الحرب ، وقلة وقود السيارات يجعل النقل « بالاناريات » صعباً جداً .

والذي يعنيننا هنا ، هو ان ندرك قيمة طرق المواصلات المائية في داخل المانيا ، ونعلم ان اهم هذه الشرايين الحيوية يقع على مدى ٤٥٠ ميلاً من الشاطئ . الانكليزي يبحث يستطيع الطيران ان يسدد اليه ضرباته . ولقد قذف سلاح الطيران الملكي قنابله اثنين وعشرين مرة في اربعة اشهر من عام ١٩٤٠ على مرفأ « دوتزوغ وورورت » وهو اعظم مرفأ داخلي في المانيا لا يقل عمله عن مرفأ نيوروك او « ليفربول » او بونايس . ولكن لا يزال بالامكان تشديد الهجوم الجوي على هذه الشرايين الحيوية في المانيا .

المواصلات البرية - سكك الحديد

ولا ريب ان مسألة السكك الحديدية هي اخطر المسائل واشدها صعوبة بالنسبة الى مواصلات المانيا كلها . ومعروف ان المانيا هي من ارقى بلاد العالم في كثرة سككها الحديدية وضبطها واتقانها . ولقد زادت هذه السكك باستيلاء النازيين

على معظم اوروبا ووضع مقدراتها تحت تصرفهم ، فاصبح مجموع طول الخطوط الحديدية التي يسيطر عليها « الريبخ » حوالي ٢٥٩٩٠٠ ميلاً ، ومجموع القطر ٧٣٨٠٠ قطاراً . ولم تكند المانيا تجد نفسها امام عائق في استعمال السكك الحديدية التي استولت عليها ، الا السكك الروسية لان منفرجها اوسع من منفرج السكك الاوروبية بثلاثة قرايط ونصف القيراط ، مما يستدعى تغيير القطر عند بلوغ الحدود ونقل المشحونات الى عربات اخرى ، وبناء عربات جديدة في حالة اتلاف الجيش المنسحب للعربات القديمة كما هو المألوف في الحرب الروسية .

كان النازيون كما قلنا يعتمدون على نظرية الحرب المخاطفة ويتوقعون انتهاء المعارك في امد قصير . على انهم اخطأوا التقدير ، وما لبثوا ان احشوا بضعف مشكلة السكك الحديدية عليهم رغم جميع ما غنوه في اوروبا . وهذا الضغط ظاهر في قلة القطر المعدة للركاب ، في جميع البلدان المحتلة ، وظاهر ايضاً في تحميل السكك فوق ما تطيق من الاتقال وعدد العربات .

ويشترك في تعقيد هذه المشكلة انصراف الطيران البريطاني الى ضرب الخطوط الحديدية الالمانية انصرافاً منظماً بعد ان انحبت تقديرات الخبراء الى ان تخزيق شرايين المواصلات في داخل المانيا من الجو ، يصيبها في مقتل اكيد او يشلها ويؤذيها على الزرع

وليس بعيد مكان تلاقي السكك الحديدية ، وتشابكانها في المانيا ، عن شواطئ الجزر البريطانية الا ٤٥٠ ميلاً ، وقد بلغ ما استطاع ان يتلفه سلاح الطيران الملكي من القطر الالمانية في سنة ١٩٤٢ ، ما لا يقل عن انتاج المانيا لفرنسا في القطر مدى سنتين .

ملاحظة

قال لوتدورف في مذكراته ، وهو يريد ان يعطي هزعة المانيا في حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ : « اصبح الناس والآلات في بلادنا منهوكين ولا نسيا مصلحة القطر والسكك الحديدية » . وان اتجاه الحوادث يدل على ان المانيا سائرة الى مجابهة الموقف نفسه . اما سرعة سيرها فتتوقف على مدى الاثر الذي يجدره تدخل عوامل حربية من الخارج ، وفي مقدمتها ، عامل الغارات الجوية على طرق مواصلاتها .

رؤف خوري

الثالوث البكر

الحب والجر يا ليل والشعر
 نالوثنا البكر
 كان الهوى قبلنا من بعض ما يقتنى
 وخدعة في اللسان
 والشعر يا ليل كان شيطانه بهوان
 حتى تغنى بنا

جننا فجاء الخيال ممطرًا بالجمال
 ملوئًا بالنسج
 هذي الربي من تكون يا ليل الا عيون
 ترتفع هيامًا لنا
 جننا ففما والزمنا <http://Archivebeta.Scribd.com> مهرجان
 والارض صارت جنى

لا تنظري ، فالسما، محجوبة بالدماء
 والجبل يري الوري
 أما بنينا بناء يا ليل ، فوق الفناء
 فيه السما والثرى
 والحب والجر يا ليل ، والشعر
 نالوثنا البكر ؟

الباس ابو بكه

مع أريئب

بقلم الشيخ عبد الله العبدولي

ومال يربط على كنف ترب من اترابه ضاحكاً منتشياً ، ويتأبط ذراع هذا حبناً وحبناً يدفع ذاك لاهياً عاباً ، انه يحس بمجاة جديدة ودينا جديدة ،

راح يتنقل بين المجموع وفي اثره «سرجون» داعي طفولته وصبياه ، ولكنه وقف فجأة عند سرادق منيف عرف انه سرادق امير العراق عبد الله بن سلام القرشي ، فقد اخذته بنته وجه غالية نصف ، كبيتة بدر انشق عنه العام واستمرى دونه ليل يوم حالته ، فرح نفسه رجلاً عتيقاً وتلبسه دوار الجبال الذي مال بتلاش بيتيلاً بيتياً ، ليتكشف عن غفوة في حب القلب وتلف العقل السليب ، غده يطفه في الفرائز المعجمة .

كان في خياله وجه يتنفس بثلث عبق الزهر ، وعينان تثاقن مثل السحرة ، وشفتان تتلفان بثلث ذوب الغرام . وزاده بما ان قلبها لا يتجاوب بصدى عواطفه ، فتدور عاطفته نصف دورة وتكسر متلاشية فلا تتم دورها ، بل تعجز رسوماً في انهمام كالح ، وتعرض يائس متجهم ، وتكون في ضجيج الاحتجار .

والله ان تريد فيها حاذية الانوثة نصفاً ورواء اذا اصححت زوجة ، فقد انحسرت اكرام طبيعتها المخلقة تنشر اوجها كألحزة مياسة ناعمة في الهواء . ان المرأة تحس بشي . منهم وهو جورة الانوثة في اقصى كبريائها ، فهي تراءع لسلح الحياة ، كما غنضت بكلك ، فاذا استجالت زوجة غدت استجالت الانوثة ، فاشي كلمة البني . لانه ما كان متهوراً في اقصى الكيان ومملوءاً بالفرح والسرور والحيوية ، واضحت لؤلؤة الانوثة الحية في حقها . وبما هي في حيايتها ، وهي حليمة مشورة . فيها بعد عرف «يزيد» في عروس احلامه هذه ، اخا «ارباب ابنة اسحق» قريبة الامير وسيدة السراذق . فعرضت في خاطره كانت متعلمة هاذية ، فراح يحدث نفسه : كيف لي بما ؟ . بيني وبينها هوة سحرية ومسافة تزيد مع الايام تائباً . وبعداً . . وتلبت زمناً ليس بالصغير ، يرود منهاوا ويرود قلبها ، ولكنها غريبة الاعراق وان كان هو الشاب الصغير ، فيها وبين قريبها ما شاء الهوى البقي وما شئت سعادة الأزواج المخطأ .

بات كصفناً أرقاً يردد ولا يفتأ :

(وفي الحى «نعم» قرة العين والوفى واحسن من يثني على قدم «نعم») وتقف مريه «سرجون» فزين له الرجوع الى الشام لعله يساو فأجابه واداب بصحبه يريدون دمشق وبينما هو تأخذ بمجازي السحر ، ومباقرها ، حانت من يده لمسة وقتت على قوسه الذي فصل في غدوه بصيده به الظباء ، فتذكر ربه الذي صاده فشد القوس اليه ، وانعصره بين يديه في ثورة قلب : حطم القوس على صخراته وانكسرت يمينه من ماء الشكاة أحسذا القوس . أنت مثل قلبي ، حطمتها بالصفاء . وسأحييك بنبش الدمع انك لن تدع الحنين حياة .

لم يزد بهاده في دمشق الا كسداً وأسى ، ولم يورث الهجران الا لفحة وجوى ، شأن الذين يحبون بثر اثمهم ، فعواظهم ابدأ تكون عتيقة مهتاجة الى الذكرى لئلا وهي الاعصاب .

تناهى امر «يزيد» الى ضمور وسلى المنع ، والانكماش على نفسه

هناك (1) على شاطئ دجلة في زاوية خليج البصرة ، كانت الاباسة مهوى متاجنين ومتاجنات ، ومهب وحى الهوى والشيباب ، ولهى كل فتي وفناة بلور المرح طبيعتها ما اطل ينظر الى صورته فيها .

وليس في حس هؤلاء من الحياة سوى احاسي . ينو ويلو ، كانداء السحر في شفاء الاقاح والياسين ، وكلاوات الطلل في حدود الورود والرابحين ، فهم ينشوتها سكرى مرح ونشأوى مجون ، ولا يتكيف بسمعهم سوى نجات تنهاى متلاشية في هذا الفراق :

(يا للشباب المرح الصافي روائح الجنة في الشباب)

ففي اعاقهم صوت يجب بهم الى التنجين في فضاء المراح ، والثناء في في لآوعي الطرف الغزل . ولعل الحياة من واجبة الشيباب سوى اغراء تقوم في اللولو العايب ، الى اخرى تستوي في المجاة للآية ؟ .

ثم هل الدنيا سوى اغراء متجانب باغراء يبالغ في اسره ، حتى ليستدني اليه من احضر الشباب في قلوبهم بالمر او بالفكر ، فيستوهج وربما استقام ايضاً بما يتفلس به من غلب . . .

هذه قصة شاب احضر الشباب بين يديه بفكرة التوفى ، ولكنه اطل الى الحياة من كوة العبد المتكامل بالصلب الوفور ، فرأى ما يجيش به من اغراء وما يتوسج فيها من فتون . فلبث عليه نفسه واستوت بطوقها في نظريه ، فاستبط شيا به الغافي وشئت روح الشيباب تتراقص في قلبه سكري .

معنى في ظنه ساعراً يهرب هذا للجون حيناً فقط ، ويردري طرفة الصبا المبكج ثم يعود فيحمل كتاب تغواه . يبعث في الحيايات لا تشكف الا عن مجون ، وكما قضت نوباً منه لسة فتون ، ودب في حناياه من سواط الشيباب طائف جنون ، فكان طبيعياً ان ركن . واذا بفكرة التوفى ادره تنقلب هي التجربة ، ويستيق مسترخياً على متن موجة مزبدة ، من مجاة هذا الوجود المسود . . جداً كان يتحدث «الدلال» في جمع من طرفاء الحجاز ، مجهم التصادف في الالة بينهم «أشبه» .

كان يوماً ممعاً يسيل من غرائق الفتيان وغواني الفتيات ، هذا التبروز . حتى كأن الحياة اتخذت فيه مرضها ، فأطلمت أقصى ما في ابداعه الفتي ، من آيات الجمال الشاطلة بالهوى ، والداعية بألقى الاغراء الى الحب والشخير بأسر السحر في العيون والشقاء الى فردوس الخلد السيد . ولا عجب ففهر الالة ، معدود أحد مساح الجنان في الارض في حسن هؤلاء . وكان «يزيد» الشاب الطرير الذي بالغ فيه ترقى الشباب وذاب في لماره ، قد ذهب موعلاً في الصحراء منذ حين يصيد الظباء ، ويضع آثار السوانح من الجأذرا والآرام والوعول والا يائل كيتما ذهبت وانعرجت . ولذته المااردة واخذته نشوة فضى يابو ، وزمرة لوه تبعه انه لا يلوي على شيء في مده .

لم يشعر الا وهو بين جموع الالاهين عند خسر الالة ، فالنت يضحك الى رفاقه متجنباً : لقد قلعتنا سحراً الشام الى العراق ونحن لم ندر .

(1) هذه القصة توفت فضلاً من كتاب يبعده الاساذ الكتب عن حياه الحسين . وكل الجمل التي بين قوسين هي من الرواية التاريخية .

ونخشي مجازته ، فأمر الى والدته «ميسون ابنة جدك الكلبية» بكل خبره . فأطردت برأسها وقالت :

فذه علة اذن . . وكان يزيد ولدها القندي فلم تلق آلامه في سبيل امرأة ، ولم تلق ابداً رجل مما كان خطره ومترله أن يحول بين ابنا وربغاته ، فحالت تغافل سرجون : ومن هذا ابن سراج زوجها .

قال : هو امير العراق من قبل الملك . . فاعلمت ضاحكة تقول : يكون من مهلتنا ويقيم له يزيد كل هذا الوزن ؟ . اتا نحن نرفعه أو نخفضه . ثم هل هو الا منفذ لرغباتنا عليه ، هو ضيفتنا فيجب ان تكون زوجته احدي اماتنا ، تصرف فيه وفيها كيفما شئى . انني لا اطلق ان اري يزيد واجها من أجل امرأة ، ولست اطيق ان اسمع انه يمنع عنها بالغة ما بلغت متراتها .

بلغ الملك اني لا اطيع ان اري يزيد محزونا يسكي ، بلغة ان هذه المرأة يجب ان تكون في حلة اماء يزيد بيت بها ويأوى .

قال سرجون : لعل زوجها لا يرضيه تركها ، ولعلها هي لا ترضى ان كان منه ذلك .

قالت وضربت يدها على وسادة جنب مقعدها : وما قيمة رضاها ؟ . اتا تريد ذلك وكفى . فأبسم سرجون وقال : أأمن الاميرة لا تخفي قاسماً ، ما تقول اولا تجد كل احد . فلان سلام خطره ، ولو لم يكن يذو خطره فلما فلما اتها كته انها كان مكشوفة وتحديه في شرقه ، ولكن نستأني في غير شعور منه .

قالت متافهة متبرمة وهي تحز كتنها : انني لا افهم معنى لثيكتك . فقال : ولثيكتك تربيني ان افهم فقط معنى خدش كرامة الرجل ؟ . قالت : اذا كنت تترى في ذلك بأساً فاستأني كيف شئت ، فانا اريد ان يصل يزيد الى عرضه كيفما كان ، وليست تخشى الطريقة التي ستخضع اليها اني اريد ان تفرعين يزيد بها ، ولا يبتني ما وراء ذلك . . فاستأني سرجون على عقبيه وهو يقول :

أما كذلك فتم . . .

دخل سرجون مجلس الملك ومن حوله حاشيته يتدبرون أمر يزيد وما عساه ان يكون طراً عليه ، وبدا «ماوية» مفتاً فبر لا يطيع سماع ان يزيد مكتئب . وهو بكر الامارة المترع بالدلال وفي قرارة نفسه ان يفر به عينا وهو وفي عهده . كان فيما يسيطر على المجلس من وجوم ، ما جعل سرجون يقف طويلاً قبل أن أسر الى ماوية بشأن ولده البكر ، رغم قربه من ماوية ومترله المرفوعة الحجاب لديه . وقلل واجها هو ايضاً ، فقد عدته روح المجلس وسيطر عليه جوه حتى قطع الوجوم «محروبن العاص» بقوله : وماذا تظنون اصابه وهو في جسم القبريل ونسطة النسر ؟ وابسم . لعل احدي غاياته الملدلات فاركته وقلمت اسباب وده .

قال ماوية : ما هذا يا محروم ؟ .

قال : لم يقع في مدى خاطري سوى هذا ، وعلى كل (فهو امر لا يوقف عليه الا من قبل والدته) ، لعلنا نتزعج من بين شفتيه كلمة سره الرقيب . وأطالها كالساخر . . وهذا وجد سرجون مناسبة الاضواء الى ماوية فقال له ان تيساره وما ليت ما كان ليبت ما ضحك وهو يقول : عند تلك يا محروم ، ولكنها غاية جديدة . . فأبسم الحضور وطلب

في اي مكان اشتمل عليه . فهذا الذي كان يلا الفصر لهواً ومرحاً ، ويقطع الليل عريدة سكري ، ويبداني الان شاشنة وجوراً ، والذي لم يكن من همه الا ان يطفئ من رياض النواحي الكوعاب باقالت زنايتك وورود ، ويصتر من فضوتك لدته ، غذا ذاهلاً ذهول المليل على اللوت ، ضاويماً كأنه نعو فلاه او مترقد دما ، حيس هوى وميلس خيسال ، غير شعير الى شي . من ملاهيه التي كان لا يستطيع عنها سبراً ، ولها مجانية وفي انتهائها احتشاماً .

أما اليوم فهو مدنف كاف مسروق الهوى ، لا يرى الا متنجياً الى نفسه في ظل شجيرات كان يشبه فيها ساعة غزل او طرب .

وكان «سرجون» مريه يراقبه من بعيد ، ويلرسه دون ان يراه او يلمسه ، فأنشئ الى سمعه من نغوى «يزيد» لنفسه :

أواه . أديب . يا من لا تشمرين بوجودي والآمي وخلصات قلبي وادارك مل الدنيا لذاته ومتمه ونصياً . أه لثيكتك تشعيرين . اذن لكنت سعيداً .

آه . هل تصدق احلامي فأراك عند يدي ، تنحين علي فتضمدين جراح قوايدي ، وتقتين بوجودي اشرافاً بأستجك البقري الحسن . حلم سعيد ، ولكن دونه مفاوز الجميع البغرية الاشواك والاعوال ايضاً . ثم اطرق وتأنى به الاطراق ، وليت طويلاً كأفا ابتلعه ضباب المساء في ليلة رجا من الشتاء في الماعفة . .

أديب ! أنت حلم سعيد وقد بت متمه قرية المثال مني . أديب ! لنقم في سيلك سيول الدماء ورايات الجراح والاشلاء ، فاني سأسير عليها اليك في اربامة النسوة وقهقهة جبروت البش . ان اثنين التبرية - وعظماها تنفض بين فكي الاسد - يطره ويثب . لانه مقاطع من انشودة كبرياء الذات ، ولذا كان الاسد لا يسلم الا على ألعان ناي الاشلاء .

أديب : أنت عروبي احلامي . سوف الهويك امدك كاهرة ترودها النحال تنال الى الانتصاف ، ثم سيان عندي اذكرتك ام نسيكت بعد ، ثم أليست النساء في النوع رياحين كما قيل ، وهي تذهب في شبات او دوما وتبلى فتتها ، فاعتنيتها فرصة لذاته كبرياء مرادة ، وانت فيها فواحة بالمعير .

آه . ان ثلثني لا يرويه الا سيل من دماء ، اذا وقت في وجهي ابن سلام . انني احسن باسانيما تناسل كان عليها حكمة كبر . سوف ابازره فأقلته او اتصدده فأعده فيه وراه السيف يدي . . ولم يزل مسع طويوه التي أخذت تتجسم له ، فبراه قرية منه دانية اليه ، وكان ليف ابن سلام عرض له في بعض البيوت فب يمتدط سيفه ويقتض على قائته ، وعزه في الهواء هزات ضحك في اثرها ضحكاً عصبياً . وفجأة تنقلت تقاطيع وجهه وارتد الى الوراء فقرا متعدي الايدي ، يسول فقد عرض له طيف الدالة :

«اني يزيد . يزيد الامير . .» ولكنه لم يزل يرتد الى الوراء في ذعر يقول : لست . لست انما . هي هي أغرتني . . وعراه دوار فقد اخذته اعراض حمى خبيثة ، وكان يجدي تحت وطأة الداء . فوجعل سرجون وحلا شديداً ، ولم يجد بداً من ان يعرض له ويقطع عليه ما هو فيه من خيلات . أفاق بعد حين ، وزاله ما كان فيه من هذيان فقد غاشل نحو الشفاء والبرال من الداء . وبني في تصميته ثاباً اقبال الرجل واتراع مشوقته انتراماً ، رضيت أم بيت . وعرف منه سرجون ذلك الغرم

ماوية ان يخلو نفسه سوى عمرو . فقال :
من اريب : وهل تعرف عنها شيئاً ؟

قال عمر : نعم . هي من (آخرق الحجازيات نسباً ، وأكثرهن
مالاً ، ومثل في الجبال بين غرار زامخا) ، كانت عند عدي بن حاتم من
قبل ، ثم صارت الى عبد الله بن سلام امير العراق اليوم .

قال : ترى انه عزيز علينا استيادها .

قال : هو ذاك ، وانتم ما تكونون .

قال : ولكن كيف برفية يزيد الحارثية ، فانه يخر على نفسي ان يبيت
أسقاً لا يقضي لباته ويشع شوة نفسه ويروي ظأ قلبه .

قال : وما هذا ؟؟ أنت ايضاً تسايهه في مجونه وعيئه ، وما يدريك
امل ما يتظاهر به من كسده هوم من حيله على اللجون ومن دلاله على التنويل ،
كي يعمل منا مغانا شيوات وأوطار . ان الناس قد يتحسبون منا ضراوة
في السياسة وضراوة في الاموال ، الى ضراوة وضراوة في الاحكام ،
ولا ادرام الا تائرين بنا اذا جئنا بيومهم هدفاً لضراوة شيواتنا ايضاً .
قال ماوية : هو ذاك . ولكن كيف في بالترفيه عن يزيد فاني لا
اقدِر ان اراه كاسفاً ، الا ففكر ممي وتحليل ما وسعتك لباقة الحيلة . .
ففكرا ملياً وكان عمرو أسبغها فنهت :

لقد وجدتها ، وان كان فيها تسخيرك اباي حتى لولدك ايضاً .

قال ماوية ببطيئة : هات . هات .

قال : رأيت ان تستدرج ابن سلام بالانصاف (وكان اسم الاموال
والخلق) ، وتزبه جانب الود منك وتزبه بزيارتك والقدوم عليك .

قال ماوية : وبعد .

قال عمرو : ذلك علي حيتنه .

فصل عبد الله بن سلام مذ اقترن بأريب وهو يرى حيلة سعادته ينشر
ليجتمع في حدودها ، فأحلبها من عمل القلب ، فكان اذا خلا الى قلبه
وجد اريب ، واذا خلا الى اريب وجد قلبه . وكثيراً ما كان
يقول لها :

ليجلب الي انك لست سوى قلبي مصوراً ، وشاء ان يتجسد في شكل
بنات المخذ ، فيرتبي كم هو سادة وكم يجب ان اكون به سيداً . لوددت
يا اريب اني اتحول حالة في ابدية عينيك الفانتين .

آه . يا ما أسعد الازواج اذا كان لكلم مثل عبد الله . . .

قالت له صباح يوم وقد قصفا اشر الاشراف من شاعة الشمس : لا
ادري لماذا . لماذا ياودي في أقصى هواجسي العصفية الخفية منذ ليل ،
انك لم تعد لي . وتنادي طيوط خبيثة أثل منها في رهبة . . . وتلفت
به . اني خائفة .

ترقرقت في عينيها دمعان كبيرتان ، تراخت احداها ساقطة
واستعصمت الاخرى متبلورة بين جنبتي اللذين كانا في نصف اعماخه .
فأهوى يضمها اليه ضماً عنيقاً كأنه يحاذر ، فقد عراه مثل جاحسها او شر
منه ، عراه ان هناك من يحاول اختطافها ، فهو يشدها اليه يضمن
جا ويندسها .

استويا في مقدمه ثم لم يمشوا الا قليلا في حديقة القصر ، حتى استأذن
حامل البريد يسلمه كتاب الملك .

استلمير طرباً واستخفى الامام الملكي عليه ، وكان مفاجئاً حتى لقد
ذهل عن انه غادر زوجته الخفية عنده دون ان يلقي عليها نظرة واقصة ،

تشير الى انه يسود اليها بعد شمة قصيرة بالنظر الى ما اهدى اليه .
وقفت تنظر باعثة وعادتها هواجس ، فلم تخلق وقوفها طويلا فاشتت
الى مقعد ، قامت فوقه متناقبات البيوراي في شكل جعل منه وكن عاشقين
او طيري حب . وقالت تناجي نفسها :

آه . لقد وقع ما كنت ارجس به في خاطري ، والذي كان عيك
في صدرتي من وسوس . ليت الهدايا التي استخفنت كانت عند قدمي لأطأها
مستخفنة بانفس ما فيها ، ولا اقطع على نفسي لحظة قلب كان ينفق فيها بمني
الحب وهو كل الحياة وكل السعادة .

انقطعه عني هدايا صغيرة ، مما بلغت فاستبا فلن تكون الا صغيرة
يجنب ما هو دون حسوة طائر من نشوة ما كنا فيه ، بل يجنب خلجة
رابعة من تلك المخلجات الملعنة .

الآن فقط . بدلي لي طفلا تفتنه لعبة من لعبة ، وبأخذ اينا وقع عليه
بكل بصره . ان لم يكن الا طفلا ، ولم اكن كل هذا الوقت سوى
لعبة كبيرة يلعبها ، ومدية تمتع قلبه البارد بمرارة انفسها المنداة .
وهؤلاء الذين يرون المرأة دمية ذات حرارات ، هم باردو القلوب وانما
يطلبون فيها الاصطلاح والدف . فقط . اما انا واحس بقلبي مشتتلا ، فأريد
قلباً مشتتلا ايضاً يفتيان على بضها في تاهب حبيماً .

آف الرجل . انه طفل في حس القلب ولا يزيد ، ثم لا يشعر من
العاطف الا على مقدار الحب ، وليست للأشياء قيمة عنده الا على قدر ما
تلك من اجاء اللو عليه وتنشيه فيه .

لا لا . لست ارضي ان اكون عنده متاعاً صنو هذه الهدايا ، بل
خيل الي اني اسفر منها في نظره . فنادرتي ينف اليها ولم يترك عنده
موقفنا انما اشتعل حباً حتى يوبس ، اما اخذت بكل هواه حتى لم اعد
شيئاً الا كوكب .

اف الرجل . انه في دنيا القلب طفل ، ذو طبع بليد خشن .
يا لث من هدايا مشومة ، انك هدايا فيك كل ما في السموم من
روح ، وكل ما في الافاعي من مفعن يخيف ووجود رهيب . وما يدريني
قلبي حبات وشاك مسوجة من حمات العنارب وأوبارها . وما هو حتى
رأته مغفلا متنبهاً ، تشع الاشماسة المشعة في وجهه ، يحمل بين يديه كرام
الجواهر وعقود اللاكيه البعيدة السطوع ، المتأوجة بالنسي والساء ، يقول
وهو يلفها في كفيه :

اليك . اليك . لقد جاءت كأتاحاً تقول كنت بيئمة حتى وجدتك
اما تسمين . اما تسمينها . وراح في نشوة ضاحكة ، ولكنك ظلت
جامدة لا تحير جواباً . فبغت وعراه خدر الكذلوع ، فاسترخى ككاه
وتناقص ما استوى عليها من ثمين الاحجار الكريمة وهو لم يشعر . وكانت
اريب تنظره وترى ، فأثمت باعراه فاضطبت ، ولم تلبث حتى اخذته
بين ذراعيها نشوى . . .

عند شرفة الصباح بعد ايام حيث كانا واقعين ينظران الى الافاق البعيد ،
قال وهو يمس يميناً من انفسه التي احس باها تفرج جملة ثم لا تعود :
لعل لا افيب عنك طويلا ، وسوف . . . قالت مرتدة :

تقيب عني . ماذا تقول ؟ . والى اين ؟ .

قال : رأيت منك يوم الهدايا انك غير متبينة فلم اخبرك ، جاء في
كتاب الملك ايضاً انه يزم علي بال حضور ، ولا ادري لماذا ؟ . هدايا
مفاجئة ودعوة مفاجئة . ولكني اظن ان سعادتي بك جذبت الى سعادة
اخرى . ودبت على كفتها .

انتفتحت اوداج وغشت الكلات في حلقها ، ولكنها حاولتها كأخا
تلوك حروفها لوكا :

(أيتها النفس اجلي جزعا فان ما تحذرين قد وحقا)

فقال بداعيا : هذا قول أوس بن حجر يرثي به . وهما انا فحسي
يدي . قالت اني لست ارثي سوى نفسي الى نفسي وحاول الكلام فغمضته
عليه قولها :

لست متنبئة بسفرك ، وبودي انك لا تدعب بل بودي ان ترد عليه
عمله وتمتلل . في من اموالي الكثيرة ودنياء ما يتيك عن امواله ودنياء
ولك من سيادتك وشبك ما يتيك عن التسود به .

قال : هو ذاك . ولكني لا ادري كيف ارد عليه . ان هي الا
ايام قصيرات المدى ، اعود اليك على اثرها واصير الى رغبتيك باعتبار
عمله . . . ولكنها قلت ترغب اليه ان لا يرحل ، وحانت منها لفظة فرأت
افراس الوادي جاءت تحمله . فلم تعلق تراه يسيير ، فذهبت تدفن وجهها
في راحتها ونجش في شئج موير . وردد عبداؤه وقد قادى به المسير :
(وكم تشئت في يوم الرجل ضحى وادمي مستهلات وادمه
ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياصة ، واني لا اودعه)

كان عند معاوية بعد ايام لم تكن طويلة في غير حبس ارباب وحس
عبد الله ، فغلفاه بالانطاف والانس التامع ، فمجب كثيرا وفكر كثيرا
ولكنه لم يجد لوجه الامر ، وقهر به تقديره فلم يطمئن الى اي وجه انصرف
اليه . بيد انه مع ذلك كان متعبا ، وترايد به الاضطراب فجاء ما يلي من
حفاوة واحترام ورعاية مقام ، حتى لم يعد يفكر بشئ . لم يدرك كنهه الا
انه وجه بشرى على اي حال . لم يكن يرى الا مدحوا على مجلس اهل
معاوية والوادي السمر النزيلى ، والادمنشيا على اهل الطليح في ليالي
العصور الشرقية المانحة ، التي كانت ذات نسب قريب ليلي الف ليلة .
استيقظت في نفس ابن سلام صوبة لم يكن يظن ان لها صلة بالخيال في يوم
الصبوات الحادة ، فلم يعد يفكر في مدى انغلاقها بالارواها ، ودارت
فيه ضمة كأخا انظرت من طبيعة الظلم . فغمد هبط من فردوس الحب
الغالي السعيد ، والبهت حياصة عليه تزوات كان يكتبها الغلب في نشواته
البعفيرة الالتباب ، وللظلمة بالشل الحمراء .

كان في هذا الجو اخصري الذوات المسود بمجائل الشبوات ، ما أحال
ارباب في جو نفسه الى ذكرى من الضباب لم ترل تنلبد وتحتجب .
وعاد لا يذكر الا ما هو فيه ، وحتى لو طال امد هذه المنمة اللازوردية في
لسان الحب ، فغير منذ قريب لا يستطيع ساعة بداء عن ارباب ، هامة
الثابضة بالطرير في وثبات الحب الغالي الخالص .

انه أسف مجزعا في محيط من الحماة البعيد الفراء ، وفاضت على ناظره
الحوول فلم يعد يرى ، وانما بات يحس في طراوة الحوول نغومة الزبد ،
فراح يحس في خيال الوحول .

تملك ابن سلام في ليالي العصر المسجور ، انفعالات حب طالب معها
التهادي في دنيا الشبوات . . .

في ليلة ماضة من ليالي العصر الراعية العبية ، ادناه معاوية منه وعاطاه
حديثا مذهب الاطراف مغري البدوات . وقال له فما قال :

علم لك زوجة ؟

قال : نعم . فضرب بدأ على يد واصاب وجهه ببعض يده ، قال
على اذنه صر ووقد أظهر انه اغتم من اجابته ، وصار :

يا عبد الله ! ان لللك اراد ان يزولك ابنته لا عرف من شركك ،
(وانت تعرف ان بنات الملوك لا تدخل على ضرائر) .

فقال عمرو : (كيف الحيلة) ؟

قال له : اذا دخلت غدا ومالك ، (فقل ليس لي زوجة فقد طلقنا)
واشهدت ابا هريرة و ابا الدرداء .

بات ليلته ارقا ، فقد استيقظت ذكرى ارباب العاقبة في اعناق نفسه
قوية عتقة ، واخذته طيرها البادية كاللائك في اثواب طيارها . . فراح
يشتم : أنا أخوها . أنا . كلا يا ملاكي ان أقل من اجل شبوات
رعاء تدوب لاذعا سريعا ، وتبني آلامها مستطيرة مستفحلة . . واذا
به يبدو ميمنا فقد باركه طيفها . . ولكن لا يلبث حتى تستجيب به
شبوات مودة ، تربه الدنيا والسعادة والهاء وكبرياء الحكم تنسوا امام
قديمه ، اذا استجاب الى معاوية ورضي منه بالاقتران الى ابنته . . وقم
حسب ارباب بكرة خالد . وانا اذا ملتها فلم افارقها والى الابد ،
فصلة بيننا ابدًا ولبدنا العزيز . وصمت قليلا وعاد يناجي نفسه :

وانا اذا فعلت ألت أخون خالداً ايضاً فوق خياني امه ؟ ألت
أكون قد دفنته الى الخلد في ؟ وكيف أطيق هذا ولو في التصور
والخيال ؟ اني لا أطيق . وبدا له طيف ولده خالد في طقونه
الساذجة اللوحية بالحب ، كأنه يرجو اليه ان لا يفعل . وساورته عاقبة
قلبه مساوردة صرخ بها :

لا ! ان أقل . واستغرق في ساعة عجوم انكشفت له فيها
دوايا المجهول من المستقبل ، لم استاق وهل لسانه :

أليس في هذا التسود الشامخ ما يندم ولدي في مستقبل امره ، فلا
يملك له بطر في خياني ، ولا شك ان ارباب تنفرها من ايضاً . . .
فاصبح قد فزع على الحيلة يال نسه : بانه لم ينجها خيانة قلب ، ولذلك
هو ان ينشأ ، وعمل الفؤاد ، بقية وداع من بعيد ، فهذا آخر العهد بأرباب
الملكوت والظلال رافضة من بدوات الاطام الكبري ، فسار في
جيجتها كأنه يهيج طائرًا ، وكان يهتد ان لا يذكر شيئًا ، يهتد ان يشر
بانه مخلوق اليوم وليس له عهد سابق بالوجود .

سار عليل مثل بأية ذكرى من التاريخ واية فكرة تتصل بماضيه ،
انه وليد صدفة جديدة ووليد جعجة جديدة ، يقبل عليها بما نشأ من
جبعات . فكان منه ما اشار عليه به عمرو بن العاص ، فقال معاوية لابي
الدرداء و ابي هريرة :

(ادخل على ابنتي فاعلمها بالامر على وجهه) . فخطا طرقت لديسا
بالاهتمام والسرور ، وصرفتها لئال عن دغيسة امره ، (واثنت على
ابن سلام) .

ولكن ابن سلام سر فور طلافه ارباب ، ان معاوية لم يعد له كما
كان بل قد يافاه بقدر نفس وانكاش لقاء . فأرجس شرًا (وارسع
الى ابي الدرداء وصاحبه يستجيبها) ، فأبى ابنة معاوية قالت :

(أخا سألت عنه فوجدته غير موافق لما تريد) . . فلما بلغاه جن جنونه
واسقط في يده ، وعلم انه ذهب ضحية خدعة ليس يدري غايتها .

اعلم الى الدار التي اعدت لتزوله فوجدعا متج الاشباح المخيفة
وترار في مثل تجاوب الذئاب ، فاستطير ذعرا وشي في انقاسه هلع
تكبر . ففر يبدو الى الخلاء ، وقد انضمت الاشباح في عينيه ، والتفت
الاصوات ففر في اذنيه ، فراح يفضض وكناه على اذنيه يري ،
انه يريد ان لا يرى ولا يسمع ، يريد غفوة في الذمول ولا هذه البقعة

المجنونة . وما استرخت كفاها عن أذنيه حتى استوى به صوت :
خائن . خائن . وعلى يدك دماء الجريئة ، قشي عليها أرواح ضحايا
ثلاث . قلب زوجة جي قتال الاخلاص في الحب ، وقلب غلام هو قتال
الأحلام البريئة البيضاء . والثالثة هو قلبك أنت . . .

بعد ذلك أضحي بطنك كالذي دار في خياله جنون ، ينقل الواقعة
وربث الشكاسة وينثر اللعن ثلثاً دون رهبة إيوحي . وتسامع الناس
بالبحر وعلفوا عليه بأشترأز وفنور ، وبات الكثير ينظر بهمهم الى بعض
في شفاء مغلوبه وتنكر ، (وهكذا شاع امره وذاع ، وتناقله الناس الى
الاصار وتحدثوا به في الاسرار) .

وتناهت بعبء الله الخال الى حيرة باشة وذهول ثقي يائس ، تلاخفه
طيروف وتنشكر له الاشباح ، وتترسل له خيلات وتفتقر من حوله آلام ،
وكان لا يفتأ يقول ينساجي نفسه : لوددت اني افر الى ارباب ،
ولكن هيبات .

انا الذي نكيتها واشقيتها ، أزيدها شقاء بوجعي الذي فدا قتال
الحياة الزوجية على اقبح صورها .

فلا تجمع آلام قلبي ، وغصص ضميري ومرارتي ، وحيداً منعزلاً .
كيف أعثر عليها ؟ كيف الفاها ؟ كيف استغفر وليدي
الصغير ؟ . . .

رحماك ربي وحنائيك ، ابق على قلبي لا يسترخ . . .

* * *

ظلت اربيب منذ غادرها زوجها الحبيب ، لا تمنع قلبي كفتها الا
إبتسامه متواترة اذا لاحت عليها احاديث وصالها بالاشواق .
وكان الاكثاب يترايديها يوماً بعد يوم ، في احساس يلح عليها حول
غامض تشر به في اعماقها يذر الوبيل .

وكانت لها في كل يوم جلسة ، تارة منذ معدد اصطحابها في أضياف
البواري المخيمات وتواترة في شرفة المساء تودع النهار وتستقبل كواكب الليل
شبهاً لغواها وزفرافعا ، وتوئله الى وقفة في ذوب الشفق الذي كأنه
ذوب قلبها .

وفي يوم على عادتها وهي في شرفة المساء ، رأت عند أقصى الصحراء
التي تسترخي مبتكئة على هيبات دارها وفي ظاهها ، قافلة كأنها مقبلة من
جانب الشام . فلبثت تأتدب فيها لبها ، وان لم تلمح به فلا اقل من ان
ترسم هذه القافلة في نفسها رسوماً مبهمة الا احاساً مفرحة ايضاً ، تلتفت في
فوقها مبدى . . . مرث القافلة تجب تحت شرفها ، وكان حادي الابل يسجي
الركب بصوته الذئب التناجات :

اربيب . ليتني وُصِدْتُ قَبْرًا
لنعدت ندامة الكسبي لما
يبيغ على قوادري روح آه
اربيب . انت ذكرتي من نعم
اربيب . هل ترف لي ، ذكيا
ذكرت- واني قوادري نوح اياك
وعل قدّر بيلعنا بفجر
فستمد ، والاصيل له اقتدار
ونشئ ، والنوول له ازدهار

فسقطت على نفسها هلكتي ، ولم تلك الا أيام من حلول الركب حتى
شاع خبر عبء الله في الرماق وتناهي الى سمها ، فلم تدب شي . وكانت
لا ترى الا موقفة حتى من جحدها اللقيد ، والامتتعة له تشده اليها
مدفئة كأنها تطلب فيه رياء ، ولكنها ظلت ظاري كأنها لاهثة
تطلب الندى والري .

لم تعلق بقاء في العراق بعد ، فقد اسودت نواحيه في نواحي نفسها ،
فانطلقت بجيشها وذوبها الى المدينة تطلب فيها دنيا جديدة ، وترى خيالها
في أنها سوف تصبح مخلوقاً جديداً ، احضر في نفسه الماضي والذكريات .
رثت لها نساء المدينة وذهبن يواسينها بكل ما عند المرأة من خصب
عاطفة ، والساء يحسن بالأمسي بنوع خاص مكبرة ذات مبالغات ، وفي
شعورهن شيوخ . فبن يحسن بأغشن في كل مأساة تنع ، ويجدون قلوبهن
في النكبات . وهذا الشيوخ في الشور جملان يشمرن بأحداث الآلام قبل
وقوعها ، وجملان أصدق تمثلاً وأرفع حساً ، بالمليحجات الصاعدات من
أعماق المجهول والغاربات المظلمات في أعماقه .

تجاوبت المدينة بمأساة اربيب على ما اضاف اليها النساء من روحهن
الآسية ، فكانت مأساة لازمة الوقع وقبضة الاثر شائكة في نواحي الضمير .
أرسل ماوية أبا الدرداء وأبا هريرة رسولين من قبله يطمئنان
اربيب على ابنه يزيد ، فذهبا الى العراق قبلهما أنها انتقلت الى المدينة ،
فتسار رواحها اليها .

وكان الحسين قبس الهداية وقبلة الانظار ، ومفرج الحارين وملجأ
الضغائن . فذا من أحد الا وبيس في أعماقه بأن واجباً عليه أن يجمع
المثول بين يديه ، بل يشرون فوق ذلك بأنه رأس الواجبات . فلم
يجد كل من في الدرداء ، وصاحبه حيناً هبط المدينة بدأ من أن يبدأ
تزيارته قبل أن يواجب آخر ما همت به قبعة ، فلا مثلاً بين يديه
يقدمان اليه أنواع الاحترام تجلسية قدمنها ، انس اليها وقبلها بخصنيته
التي تودها الناس على اختلاف منازلهم من . وكانت فيها خليفة وطيبة .
لكنه أحسن مع ذلك بأن في مقدمتها المتأجبي . حدثاً عاماً ، فقال لها :

الأمر قديم ؟

قالا نعم . قال : وما هو ؟ . . . فأكثاه أن ماوية وجها في خطبة
اربيب على ابنه يزيد ، فابستم الحزين ابتساماً من قد أدرك كل شيء ،
ونفى الى نفسه (خدعه حتى طلق امرأته ، وأثا اردها لابنه) وواصل :
ان تهنأ لي حياة الا باعادة مباه حياتها لي مجزأها ، ولن تفر عيناها
وأستد الا قرت عيناها بالعودة وسعدا ، ففي سعادة قلوبها غلصني
بينضان بالحب وغفغان بالمطافة البريئة سر سعادتي ، فعلي أن أهدم عليه
أحاييله وأحيدوه بشيا كه . قال الحسين لها : لقد كنت أردت المقد
عليها (وقصدت الارسال اليها ، فاطفيا على وعليه ، واعتليها من اللبر
مما ملأ بابل ماوية عن ابنه واستغفر) . . . استأذناها بالدخول ، وبعد
أن استوى بهما بعددها ، قال ابو الدرداء :

أي بنية : انك لثري شابة في عفوان الشباب ونبعة الشفاء ،
وأنا بك جد ضنين أن تنهي نهي الخواطر ، وتذهب فضاوتك شعاعاً في
اكتئاب . واذا ساءك من ابن سلام ما ليس من الوفاء . وما لم تكوني
به جديرة ، فمسي أن يكون لك في سواه بدلا خيراً .

قالت : ساءاً الله يا أبت ، فقد خبرت الرجال وبلوت عاطفة قلوبهم

فأحمدتها ، وبسبي فتاي أرحامه .

قال ابو هريرة : تحيتُ لو كنتك ، وفعلت ما يشير به أبو الدرداء .
فأبستت وهي لا تنتظر من مثله مداعبة

وواصل : وهل مثل أبي الدرداء يرد ويختلف عليه .. ولم يزالا
بها ، وترضت لما خيأت عبد الله قالت إلى التكاوية ورغبت بالانتماء .

قالت : وبعد .. ففرقا بذلك أجابها .

فقال أبو الدرداء : أي بنية . أراذك لنفسه (أمير هذه الامة وابن
ملكها وولي عهده والليك من بعده يزيد بن معاوية ، وكذلك أرادك
الحسين بن علي سبط النبي وسيد الشباب . وقد جشاك خاطبين عليها ،
فاختاري أيهما شئت) .. وهي ما سمعت اسم معاوية ويزيد حتى
وجمت وكظمت بركان حفيظتها ، وهل هدم سعادتها وهناء ما كانت
فيه الا هذان . فبل تلقى نفسها بكل اختيار وطواعية في قبضة يزيد
الفساسية الرهيبة ، فتعصر لا لا ، اني لست قاعلة ولو إوطائي يزيد
الديباج واخاطني بثل زغب النعام .. وطال بها الصمت وهي في معرض
خوارطرها فقال أبو الدرداء : علام عولت ؟ وأيها اخترت ؟ فقد خيل
لي صمتك أنك غفوت دمية لا تطعنين .. فانتظمت سلسلة خوارطرها
وكرهت رد وساطعتها فالت : ومن تخار أنت ؟

قال : الامر اليك فالت بحرجة له وعظمت انه ان يضل يزيد
بجال : لو ان (هذا الامر جاءني وانت غائب ، لاشتغيت فيه المرسل
اليك واتبعت فيه رايك ، فكيف وانت المرسل اليك فلو كنت امري اليك)
فاختر لي ارضاها .

فقال : أي بنية . ان (ابن بنت النبي احب الي طبعاً وارضى عندي
واؤه اعلم بخبرها لك) .. فابنت ابو هريرة يقول : نعم نعم . وانا
واؤه (لا اقدم احداً على صاحب فم قبله النبي) ، فيا لميتك هذا الفم
وهاتين الشفتين ، ليني كنت اريبن اذن اسأل لساني . وتناظ ..
فالتت وهي تضحك من قوله :

قد اخترته .. فترجوها الحسين وساق لها مبراً عظيماً ، وبلغ ذلك
ساوية فتناظره ولانها اشد ادم ، ولكنه انقلب مع ذلك يردد (ان الباطل
كان ذموقاً) ..

كان جهد الحسين بعد ذلك مما انه يواسيها ، واذا ذكرت ابن سلام
وما سمته خيانتة زوجية ، أتني عليه وهون فقلته . واتمها ايها على غير
الوجه الذي راحت تفهمها عليه ، وابان لما ان الحادثة ان كان فيه ما
هو عظيم تكبير ، فاذا هو اقدم من ميا لها اسباب الشفاء .

فاذا جاء تنتظر الى ما اقترفت ابن سلام من افق جديد ، واذا جاء

تري فيه انه لم يكن الا ضحية اغراض واهواء مثلها ، واذا جاء تدرك
ان من واجها ان تواسيه جدها وقد باتت شغياً . فبدأت تحن اليه ،
وبدأت تلوذها ذكراً في رغبة قلب .

وكان الحسين يحس جدا منها ، فيفيض بشراً ويفتح بشاشة واشراقاً ،
فقد نبح وأدنى قلباً بأن نفوراً من قلب بات وقد تشاعر وبلا وثيوداً ..

أما عبد الله بن سلام فقد ظل في الشاتم يرمي الهيئة الحاكمة بكل
شمار وعار ، ويعطن عليها ابلغ ما وسعه الطعن ، وهو لا يبالي بغضب ولا
رضى ، انه مفعوج موتور .

فأطرحه معاوية لمكان هذا الطعن والتمريض بالشنيع ، وعزله من
إدارة العراق وقطع عنه روافده ، فلما في يديه قلة بات معها معدماً ،
وغدا مثلاً للبؤس المالي والشقاء النفسي .

وتحت المحام البؤس عليه ، تذكر أنه كان قد استودع ارباب مالا
عظيماً ، وتذكر أنها اصبحت في عصمة الحسين وهو ان يدع لها سبيلاً
للاتهام منه (فتجده اياه اخلاقاً من غير شيء) . فانتقل الى المدينة
ولحق الحسين وذكر له ذلك ، وهو في شكل الصحبة الشقية والفريسة
الطرية ، التي لم تزل آثار آنياب السبع باردة فيها ، واسمة أنكسر آيات
وحديثها ، فرش لمرأه ورق له كثيراً وواساه كثيراً . فدخل الحسين
عليها وحصلها على ردماء له اليه ، فالتت :

(ما هو بطبعك لم اسمعه) .. وقصد الحسين ان يدخله عليها بشقاته ،
فلا يلاذ بها ولا يتألفها . وجناتها دون غلظة اوجنوة ، وكذلك كان .
فتلأقيا واستميرا طويلاً في ذعول ووجوم ، وغنلا عن وجود الحسين
بفرجها ، فتواقفت نظراتهما مشعة بالحب والدعة عاطفية ، يميل لمن
راهما أن من وراء عينيها قلبين بطلان ، ولقد تدابنا كثيراً حتى رسا
دائرة تدور فيها لحظة حب نشوى .

وكانت عينا الحسين تمشان بالسرور ، وتشيع البقلة في نفسه ..

أليس قد عادا سعيدين وهذه كل سعادتني ؟ ..

اما نفخت في الضحايا روح الحياة وهذا هدف حياتي ؟ ..

اما انتقلت للفريسة من آنياب الذئاب ، وهذه غاية الانسانية
الكبرى وفيها كل هناءة المخلد ؟

هكذا راح يقول بيته وسبين نفسه ، فخلأها في نشووا الحالة وقد
تقلع عنها ..

عبد الله العلوي

فيكتور هوغو



اصداؤه يلتقونه بـ « البارون » على سبيل المزح ، ويلقبون زوجته بـ « البارونة »

كان سنت يوف يتردد كثيراً على دار الشاعر حتى أصبح « من البيت » ففي حين يكون هوغو منهمكاً - خارج البيت - في اعداد قصائده ومناظر روياته يكون سنت يوف ملازماً زوجته اديل يحدّثها في شؤون مختلفة ، تارة في الادب وطوراً في الفلسفة فن تحليل فكرة اجتماعية الى تحليل الجمال والحل والفن والى غير ذلك ، وكانت تطرب لحديثه من غير ان تخالجا اية ريبة حتى تعودت مجلسه وصارت تحس بانها لا تستطيع الاستغناء عنه .

وكان هوغو كعظم الرجال يحب زوجته جزءاً منه فلا يرى حاجة الى التحدث معها في غير المواضيع الزوجية ، الا ان المرأة قبل بفطرتها الى الرجل الذي ينظر اليها كما ينظر الى نفسه ، لا سيما اذا كان هذا الرجل ذكياً وادبياً كسنت يوف .

بقيت الصداقة بين سنت يوف وزوجة هوغو ثلاث سنوات لم يطرأ عليها ما يعكس صفوها ، وبديهي ان الشاعر كان يجمل

في العام ١٨٢٧ اصدر فيكتور هوغو طبعة جديدة من ديوانه الاول Odes et Ballades فتناولها سنت

يوف بنقدتي في جريدة « الكرة » Le Globe رضي بهما الشاعر

- وفي الندر ما كان يتحمل وغذ الدبابيس - وصور له ان درساً صينياً كهذا يستحق منه زيارة شكر ، ولم يكن يعلم ان كاتب النقدتين اصغر منه بثلاث سنوات .

كان فيكتور هينغو في الخامسة والعشرين وسنت يوف في الثانية والعشرين حين تبادلوا الزيارات الاولى التي مكنت بينهما روابط الادب والاغا . ولا بد لنا بهذه المناسبة من القول ان هوغو تزوج من اديل فوشه في العشرين من عمره ، فكانت على اهتمامها بولديها وبما تتطلبه منها مشاغل البيت تفتح باب منزلها على مصراعيه للادباء الناشئين الذين كانوا

يترددون على الشاعر ليسمعوا قراءة مؤلفاته كسنت يوف والرسام لوي بولانجه ، والادباء مريمه ودهلاكروا والفرد ده فينيي وشارل نوديه والفرد ده موسه وجيرار ده زفال واسكندر دياس ، والحفار دايفيد دانجر وغيرهم . واذا كان هوغو على رأس هذه المدرسة الجديدة التي عرفت بالرومانطيقية فقد كان



فيكتور هوغو في صباه

ندفن صداقتنا بل يجب علينا ان نحافظ عليها نقية مقدسة كما كانت،
وليكن كل منا رحوماً ، لك جرحك ولي جرحي ، فلندع الوقت
يُشفيهما .»

كانت رسائل سنت بوف جميلة لانها طافحة بالعذاب والالم ،
وكانت اجوبة هوغو جميلة ايضاً لانها طافحة بالتعزية المزوجة
بالالم !

قال رودانباخ في حديث له عن فيكتور هوغو نشره في جريدة
الفيغارو في ٢٨ من كانون الاول سنة ١٨٩٦ : كما بنت انسا
اشخاص كورنيل فوق الطبيعة هكذا رأينا هوغو يتمسك بحب
امراته التي لم يشك فيها ويتمسك في الوقت نفسه بصداقة سنت

بوف الذي يشفق عليه ويحبه ويؤثره
على جميع اصدقائه .»

والواقع ان هوغو المسكين
رأى نفسه مضطراً لان يتبدل حتى
الى الوقوف في وجه اغز اصدقائه
لاتخاذ شرف بيته . ولقد سمعناه
يقول لسنت بوف في رسالة بعث بها
اليه في ١٨ من اذار ١٨٣١ : لقد
اضطرت في وقت من الاوقات لان
اختار بينك وبينها .»

ويتعقد الكتاب غوستاف

سيمون ان فيكتور هوغو اقترح على سنت بوف ان يدع زوجته
تختار بين الاثنين ..

وفي اثناء ذلك كان هوغو على وشك الانتهاء من رواية
« نوردام ده باري » . وفي ١٧ من آذار صدرت هذه الرواية
فكتب الى سنت بوف يقول : « ان سنة ١٨٢٠ مريت يا صديقي ،
فتعال بعد غد تناول الغداء معاً على «أندري» . ولكن الحديث
الذي جرى بين الاثنين في ذلك الوقت لم يجل من ذكر الرسائل
التي تبادلها قبل سنة ، غير ان سنت بوف لم يجد بداً من الرجوع
الى الوراء ليحظى بالفتات ادبل ، زوجة الشاعر ، فتناسى الماضي
وتزل على طلب صديقه بان كتب مقالا طيباً في « نوردام ده باري »

شعور سنت بوف نحو زوجته اذ لم يكن يشك فيه بل كان يستديده
من الزيارات اليومية . ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً فها لبث
هوغو ان لاحظ ان الملايق بين صديقه وزوجته لا تقتصر على
صداقة بريئة فاختل بسنت بوف ورجامته ان يطاعه على خفايا نفسه
فلم يكتف عنه صديقه الحقيقة الموحمة . سوى ان الشاعر كان من نبل
الاخلاق بحيث لم يغضب على صديقه بل اخذ يتوسل اليه ان يسعى
لقمع عاطفته وارجاع الراحة والسلام الى بيته . سوى ان الملم كان
صادراً عن جرح عميق في قلب سنت بوف فلم يقو على محوه والسيطرة
على نفسه فكتب الى الشاعر رسالة قال فيها :

« لا استطيع ان املك نفسي يا صديقي . فلو عرفت كيف

اصرف ليالي واي عوامل تلتاني
لاشفتت علي وتنتيتي ميتاً ..
وأحسرتاه اوسعك ان تصور ماذا
احس كلما ذكر اسمك امامي وكلما
انتهى الى مسمعي حديث عن
زوجتك ؟ تخيل اليّ احياناً اني بقي
ساعة من اليأس المزوج بالغضب
تحدثني بان امتلك قتلاً : اغفر تلك
الساعة الفظيعة ، ولكن فكر
قليلاً في الفراغ الذي تتركه محبة
كهنه . ماذا تقول ؟ لم يبق يحق

لي ان ازورك او ان اضع قدمي على عتبة بيتك ؟ لا اجمل اني
استحققت منك ساعة ولج الشك الى اعماق نفسك ، ومنذ صارت
زوجتك لا تستطيع ان تنظر الي ما لم تستشر غيرتك في ذلك ، لم
يبق لي الا تعزية واحدة وهي انني عندما اصبح في العالم لا ام لي
اتهددها ولا حب امرأة ارجوه ، عندما اشيخ وتشيخ زوجتك
- من يعلم ؟ - واعدو الى الدين النقي الصارم والممارسة الفضائل
تسمح لي - يا صديقي - بعد ان تفرض عليّ التكفير - بان
اصرف اواغسر ايامي تحت سقلك بالقرب من امرأتك وهي
وحدها جديرة بك ، وداعاً .»

فأجابه هوغو في اليوم التالي برسالة جاء فيها : « لا ينبغي لنا ان



قُسم الشاعر سروراً عظيماً لامتقاده ان مقالاً خطيراً من قلم سنت بوف يؤثر في شهرته ويضيف حلقة الى سلسلة مجده .

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٨٣١ اصدر هوغو ديوان « اوراق الخريف » فلما تناول سنت بوف نسخة منه خف الى كتابة مقال عنه نشر في « مجلة المالمين » ولم تلبث الصداقة ان اخذت تتشج بوشاح من الغفر . وسرعان ما قطع بين هوغو وسنت بوف من جهة وبين الشاعر وزوجته من جهة اخرى ، لان هوغو ترك نفسه تستسلم الى حب ممثلة تدعى جوليت دروه . ومنذ ذلك الحين بدأت اديل فوشه -- زوجة الشاعر -- ترى الجلجلة امام

عينها . سوى ان خيانة هوغو لزوجته كانت امرأ متظسراً لان « محبة » زوجته لسنت بوف و « حب » سنت بوف لزوجته كانتا قد خلقا وساس وشكوكاً احتماها طويلاً حتى صار يعجز عن احتماها . اما السبب الحقيقي الذي دفع الشاعر الى حب جوليت دروه فكان الظلم الشديد الى حب لم يكن يُدبه في زوجته او في الزواج .

قال ليون بلوم : « ان علاقة فيكتور هوغو وجوليت دروه دفعت اديل هوغو لان تسلم نفسها الى سنت بوف تسليماً مطلقاً » . ويريد بلوم بهذا أن علاقة سنت بوف بزوجة الشاعر كانت مقتصرة على محبة عفيفة

حتى سنة ١٨٣٣ ، اي حتى السنة التي استحكم فيها الحب بين هوغو وجوليت .

في منتصف شهر آذار من سنة ١٨٣٤ نقل احد الادباء الى سنت بوف كلمات قالها هوغو بحقه فأرسل النقاد الى الشاعر كتاباً جاء فيه : « ارجو منك ان تقف عند حذك ولا تتعداه ، فانا لا اريد ان استعمل الفاظك في اهانة الغير ، الا في اقوالك : » انظام لنا قصائد جميلة وسأسعى لكتابة نقدات رصينة . . . عد الى عملك

واعود الى مهنتي » . فاستياء الشاعر من هذه اللمجة فأجابه برسالة قال فيها : « وداعاً يا صاحبي ، ولیدفن كل منا في السكون انت الذي مات فيك وانا الذي قتلته رسالتك في » . . .

وظهر ديوان « اغاني الشفق » فتناول سنت بوف بصفحة هي في الواقع سهم سام رشقه النقاد بيد وثيقة من فنها في الرواية ، الا ان هوغو لم يستطع الرد او انه لم يتدل الى ذلك . وبعد مرور بضعة ايام التقى سنت بوف وفيكتور هوغو في وزارة المعارف فاجتنب النقادة المرور بالقرب من صديقه وقال لاحد رفاقه : « كنت وددت ان ارمي شيئاً على رأسه . » فلغ الشاعر هذا الكلام

فأرسل الى سنت بسوف شهوداً يطلبونه الى العراز ، غير ان اديل هوغو تدخلت في الامر وحالت دون هذا العراز . واكتنفا كانت قد استاءت جداً من مقال سنت بوف في « اغاني الشفق » وتبين لها ان حببها لم يبق صديق العالم ١٨٣٠ وشعرت بصارفة ذلك الذي احبته في الماضي ولا تزال تحبه .

ومنذ ذلك الحين ، اي منذ العام ١٨٣٧ ، وضع الحد الفاصل بين سنت بوف واديل هوغو . وقد قال النقاد لاحد اصدقائه : ولقد اصبحت امقتها . . . اما زوجها فقد تمر مياه ألاوقيانوس على الجرح الذي سببه لي من غير ان تفسد » .

ومنذ ذلك الوقت ايضاً اخذ سنت بوف بنظام قصائد من الأشعر الغرامي ضمها حياته مع اديل هوغو ومن يقرأ هذا الديوان الذي سماه « كتاب الحب » يرى ان سنت بوف ملك اديل هوغو من جميع اطرافها . ويتضح له ان النقاد لم ينشر كتابه الا انتقاماً من هوغو المسكين وزوجته المسكينه ، ولا يشك في انه انتقاماً لطفلة الصغيرة ، العاطفة الخسيسة .

كان هوغو جميلاً مائتاً بلطف الشبان وفي اوج مجده ، وكان



زوجة هوغو

وقد تحقق هذا القسم طوال خمسين سنة ، فكانت جوليت دروه
الزوجة الحقيقية لفيكتور هوغو ، الزوجة الناجحة الوفية ، كاتبة
اسرار الشاعر ومشارته .

ومر زمن فاذا الشاعر على قمة الشهرة ، واذا جوليت دروه
المرأة الحساسة الرقيقة الحسنة ، عشيقته الناصقة ، نجمة المنيرة ،
وملجأ حياته الامين .

كان كل سنة يقوم
معه بسياحة تستغرق
بضعة اسابيع .
ولكي لا يفسح سببلا
للاظنون كان يصحب
معه في سياحته صديقاً
له يدعى ساسن
نانتويل ويلبسه ثوب
الزوج لجوليت .

وصعد نابوليون
الثالث الى العرش ،
وكان عدواً لدوداً
لهوغو ، فهرب الشاعر
الى جزيرة جروني
بانكلترا صاحباً معه
اولاده وزوجته اديل
التي كانت تقلا عليه
وعشيقتة او رفيقته
الامينة جوليت دروه
وكانت الدار التي

سكنها الشاعر منقسمة الى جانبين فاقامت زوجته وولده وابنته
بواحد منها واقام هو بالاخر . ذلك انه منذ حادثة سنت بوف
قطع بينه وبين زوجته الى حد انها كانتا يتراسلان تراسلا اذا عرض
امر يتعلق بالاسرة .

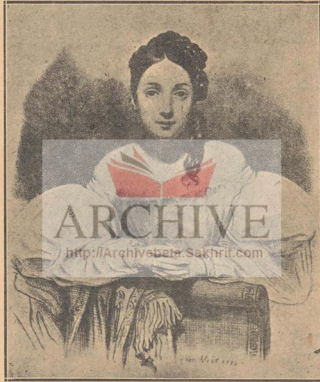
كان الشاعر ينهض في الساعة الخامسة والنصف او السادسة
صباحاً فيذهب الى غرفة صغيرة في اعلى الدار فيقف امام لوحة من

سنت بوف يشعاً ورددي الاخلاق ففي احد الايام كان هوغو في
حفلة من الادياء فسمع احد البلهاء يقول : « ان الزوج المخدوع رجل
مضحك » فضرب المضد بيده وقاطع الحديث بقوله : « اعلم يا هذا
ان جميع الرجال العظماء مخدوعون لقد خدع نابوليون وخدعت انا
كذلك » فلا شك ان رجلا كهذا يحتاج دائماً الى قلب يتكئ عليه .
واعيد تمثيل مسرحية « لوكريس بورجيا » للشاعر ، وكان

دور الاميرة نيسكروني
بيد ممثلة جميلة جداً
تدعى جوليت دروه .
وجوليت دروه هي
الزوجة الحقيقية التي
صادفها فيكتور هوغو
فقد شاء ان ينتم
من زوجته الضعيفة فلم
يجد لذلك افضل من
جوليت التي اخلصت
له الحب حتى آخر
ايامها :

قال هوغو لمدام
دروه : « لقد استسلمت
في الحياة استسلاماً
مطلقاً للمخلوقة التي
احببتها والتي كانت
تقول انها تحبني .
ولكنني خدعت ولا
اريد ان اخدع مرة
اخرى . ولذلك

احب ان اختبك . لديك كثير من الدراهم وكثير من الرجال الذين
يتبنون نظرة عطف منك ، عدا انك حصلت مر كزاً فنياً قد يزيد مع
الوقت كبراً . ولكنني اريد ان تترك كل هذا وان تعلقني في تعلقاً
مطلقاً اريد ان تسلكني مدة سنتين حياة صارمة لا تزين فيها سواي .
فاذا اتضح لنا اننا نستطيع السير في الحياة يداً واحدة كان ذلك
غير ما تمنني فتدسين لي ان لا تتركيني واقسم لك ان لا تتركك »



جوليت دروه



الحشب وينصرف الى الكتابة حتى الظهور .
ثم ينحدر الى غرفة الزينة فيمسح جسمه
« جاء الكولونيا » من رأسه الى قدميه على
نحر ما كان يفعل بونابرت ، ثم يرتدي ثيابه
ويتناول الطعام . اما عدد الصفحات التي كان
يأكلها كل صباح فكان يتراوح بين السبعين والمئة
وبعد الغداء . يذهب الشاعر الى مأوى
« العشيقة » فيبقى عندها حتى التاسعة ليلاً ثم
يعود الى المأوى الذي لا يخفى لنا ان نسميه
بـ « المأوى الزوجي » .

استمرت هذه الحياة التي سببتها هفوة
اديل هورغو ثمانى عشرة سنة ، الى وفاة
اديل . ومنذ ذلك الوقت سكنت جوليت
درويه مع الشاعر فكانت بالقرب منه ما
كانت المركزه ده مانتون بالقرب من لويس
الرابع عشر ، اي المرأة المغزية الحكيمه .
وكانت تبعده بكل ما في عروقها من الحب
وما في روحها من الرعدة .

هورغو في مكتبه .

ARCHIVE

<http://Archive.net.Sakhril.com>

بستان

الصبا مياس
في ظلال الشجر
والهوى انقاس
جوها استمر

وشوشات الصبا
وعناق الورق
واخضرار الربى
سكرات الشفق

الامان في السواقي
رمز شوق وتلاقي
للحسان
صاح هيا بنا
نشد الانسان
الروائي لنا
ولنا نيسان

فبيب م . البستاني

راقسي نيسان
في ربي لبسان
والضحى بسان
يوقظم الاكام

الشذا الفواح
ينثر الجنات
وكؤوس الراح
تنزل الآيات

النسيم في الورود
يتهادى ويود
للسقيم
فيرى الانوار
من نغصاب الالم
ومن الاطيار
يستمد النعم

دخيلة الاديب

بضم الالف فلك طرزي

التاريخ . فاعظم النهضة التي قامت في الامم فأجرت تطوراً فيها قد بشر بها ادبا . وتبدأوا بجداتها فكانوا خلال عصرهم مثال السخرية لدى بعض الناس وموضع السخط لدى البعض الاخر . غير ان الالام التي عقت تبشيرهم ونبوأتهم ثم التطورات المختلفة التي جرت خلالها ايدت جميعا هذه الاقوال والنبوءات ودعمتها بأقوى واصدق الدعام . ولست اريد بقولي هذا تعجيد الاديب الى حد ارجاعي اليه الفضل في احداث كل تطور ونهضة فان امره متعلق بسبب شتى منها المباشرة وغير المباشرة قد اشتركت عدة عوامل في بعثها واجراءها كعامل توسع العالم مثلاً بسبب القوافل الجغرافية او كعامل رقي الصناعة وازدياد الانتاج بسبب التطور الاقتصادي . فأريد قوله هو ان الاعلان عن هذا الحدث والتنبأ به لا يمكن ان يأتي به سوى الاديب وذلك لان رفاة حواسه واحساسه قدرة على ان تلتقط كل ما تنشر الطبيعة في الجو من رائحة وهمس وقدرة على ان تصل بكل ما تنبض فيها من حياة وما يمكن من امكانية وخيومة . وهل من نبوة اروع من هذه النبوة التي اجراها هوغو على لسان بطل من اباطال روايته التي عنوانها بتاريخ ثورة ١٧٩٣ فقال : « ان بطون الارض لمفمة بالكنوز والثروات ، فافضوا شرايينها بتدقيق لكم منها السوائل والموارد المتنوعة التي بإمكانها ان تقوي مدنيتكم وان تمكن الاواصر بينكم ، وتقدر عليكم من خيراتها ما يحيل حياة جميع الناس في مأمن من الفاقة والجوع . اخرجوا منها المياه ثم جروها في قنابا تنظم سيرها وتوزيها على البيوت . اخرجوا من احشائها المحروقات المختلفة التي تصل الالام بعضها ببعض . ما هو الاوقيانوس ؟ قوة جبارة وثورة لا حد لها ولكنها وبالفلسف غير مستمرة . »

كثيراً ما يسأل الناس : كيف يعيش الاديب وكيف ينتج آثاره وكيف تنبعث منه هذه المعاني التي لا تنبعث ولا يمكن ان تنبعث من غيره ، بل كيف تتخلل الحياة في قلبه وهل لهذا القلب ميزة أو فردية تجعل للحياة صورة خاصة فيه . فهو ابدأ موضع تساؤلهم واستغرابهم كأن الفطرة التي جبل بها هي غير فطرتهم ، وكأن الروح التي كونته هي من نوع غير ذلك الذي كونهم ، وكأن مادة الحياة عند انصباها فيه تستحيل مادة اخرى تختلف عن تلك التي فيها . حقا ان حياة الاديب واطوار الاديب ، وخصائص الاديب امور شتى تسأل الناس ودهشتهم وملاهم احياناً وتحمل اولئك التساؤلات الناس البواعث الاساسية عليها تحملهم على التعجب من سيرته واستغراب امره ، غير ان ذلك العجب يبطل وهذه السيرة تجر عندما يعلمون ان حياته ليست الا نتيجة لاطواره وخصائصه ، وان هذه الاطوار ليست الا قاعدة من القواعد التي يتركز عليها انتاجه . بين حياته واطواره اذن صلة يوضحها هذا الانتاج ، وبين نفسه وهذا الانتاج رابطة تنقل الحياة من احدها الاخر وتوجد بينهما تلك الوحدة الفنية المثبتة الاواصر والاسباب .

ان فردية الاديب واختلافه عن بقية الناس قائمان على فوارق اساسية بينهم : قائمان على تفوق حواسه على حواسهم من حيث القوة والرعاة وسرعة التأثر ، ومن حيث التقاط المعاني والمحسوسات التي ترشده اليها كل من هذه الحواس . فما يراه الاديب لا يراه غيره ، وما يسمعه الاديب لا يسمعه سواه ، اذ كل شيء يقع عليه بصره يتوارى خلفه معنى وورا . كل معنى يخفي نعم وايقاع لها في نفسه صدى وترجيع . وقد يكون هذا الامر في طبيعة الاسباب التي تجعل من الاديب المشعل الذي ينير مراحل التطور في

فأنت ترى بل يدرك لك من أقوال هوغو هذه ان الاديب موسوم بطابعين اساسيين : طابع الرؤية وطابع السمع ، فوهو بنبؤاته هذه كان يرى بعينه النافذة دنيا المستقبل وما يلاها من تلك المعامل الشاعية التي تصقل فيها وتذبذب انواع المواد الاولية المنتزعة من بطون الارض ومعادنها . وكان يسمع باذنه المرفهة ازيف الآلات وهي تدوي داخل هذه المعامل وتنفث دخانها القائم في الجو ، كان يسمع صوت المعاول وهي تعمل في الارض نبشاً وحفرأ لتستخرج منها كنوزها او لتسد عليها الخطوط الحديدية التي تصل مشرق العالم بغربه وتربط اذناه باقصاه . ثم ان الخصائص التي يتميز بها الاديب من سواه من الناس تجعل منه كونا آخر مستقلاً عن الكون ومتصلاً به فيما ينطوي على نفس الصفات والمميزات : تجيش فيها نفس عناصر اخلق والابداع وتتنازعها نفس ميول الانطلاق والثورة والاعتناق من كل جامد بال .

الاديب كون بأسره يسير ويتحرك ، كون يجارحه وحياله ، يستعته وضيقه ، بقوة وضعفه ، بعواصفه وسكاته ، وبشكل نوع من انواع شائره ومخاوفاته الاديب كون يسير متحلاً بمحتويات الطبيعة : بما يثي فوق ارضه ، ويملح في اجوائها ، وينشر في فضاءها ، متحلاً بالانهاية التي تضمها « نراه محدود » هي نهاية جسده ، متحلاً بالرؤى والاشباح وشتى الحيات التي تضطرب فيه ويصطدم بعضها ببعض !

يحتاز الاديب كما تحتاز كل نفس اطواراً مختلفة في حياته ، وتضطرب فيه كما تضطرب في كل نفس انفعاالات ومشاعر ، غير ان هذه جميعاً تتحول فيه الى قوى هائلة ، يمتسبها كل ما تتكون منه مجموعة نفسه من حواس وادراك وحسوية التي تخضع الى سلطانها لكي تنميها وتضخمها لكي تفرجها حقائق انسانية خالدة ، بعد ان تكون قد مزجت بها وجعلتها قطعة حية منبثقة من صميمها . وكما ان الاديب كون يمتنع فيه جميع محتويات الكون فنفسه ايضاً يتوزع اجزاءها هذا الكون ، فيلقط كل جزء منها ما يعلق به منه ، ثم يسله الى اللاوعي فيها لكي تحتبس في ظلماته المنيرة وكما يسري ديب الحياة في العروس وهو بعد جنين في احشاء الارض يتص ما هذه الحياة منها حتى اذا اكتمل فيه تكوينها شق سبيله الى النور من صميم هذه الاحشاء كذلك تتكون اجزاء ما تلتقطه النفس ويسري ديب الحياة فتتمو التجربة - على حد التعبير الفلسفي - وتزعر في دخلة هذا اللاوعي الى ان تشق سبيلها الى النور من اعماق الظلمات .

فاطوار الاديب اذن ليست كاطوار بقية الناس وسيرته لا تشبهها سيرة بقية الناس لان كل نفس من هؤلاء الناس لا تحمل سوى ذاتها وحياتها بلها نفسه تحمل حياة كل نفس ونفس كل انسان وقوله تعالى تجاوب فيه اصدا . كل قلب واللاوعي فيه ميدان لكل نبت ولكل غرس . ثم ان الاديب ليس الروح التي ترجم من معالم عصره وتسجل مختلف اطواره واحداثه فحسب ، افقا هو روح الانسانية المثألة الحيرة التي يفيض ينبوعها ابدأ زغم اضطرابها وآلامها بالأمم والعزائم . الاديب قادر على النفاذ الى العميق من اعماقك ليكشف عن كل خفية من خفايا نفسك بعد ان يعربها من انواع الالسة والاقنعة التي فرضت عليك الاوضاع والتقاليد الاجتماعية حملها وارداهاها وذلك دون ان يعرفك او تعرفه سوى انك نفس انسانية تتشى فيها الحياة ويصطرع فيها ابدأ عنصر الروح والمادة ! هو رفيق المظالم والبائس ، ومرشد الظالم بانعم الاساليب الى سبل العدل والحلم . هو رفيق حياتك ونفسك بل هو متصل بك ابدأ لان نفسك وما تنأى به من انواع المؤثرات كامنة فيه . هو يتحدث الى كل شيء ويسأل كل شيء . لان كل شيء من حوله له حياة ونجوى وله ضحك وركا . افكم من مشهد يراى للمعين تأمل فلا تأبهه ولا تكثرث لكنه تتحول لحظة فتمضى بالروعة والجلال عندهما يظرك عليه الاديب وقد انغمس بطابع فنه وعبقريته . وكمن قصص وتخف وتزخر بالحياة والخيال والوانها النبشت من هذه المشاهد حين انطمت صورتها في نفس الاديب وحين اخذت توسع فيه افق التصور والخيال والابداع . ولولا ضيق المجال لاوردت لكم الامثلة الكثيرة التي تؤيد هذه الحقيقة .

اذكروا كلما حدثتكم نفوسكم بالخلق على الاديب ولوم اطواره ، البسوعات والاسباب التي تجعل له هذه الاطوار على الرغم منه ، واذكروا ان شفيعة لديكم هو مشاركتهم اياكم ازماتكم المعنوية وتزعات قلوبكم وانفعالات ضماؤكم ، اذكروا انه معكم في كل حين ومكان ، يشرف على كل حال من حالاتكم النفسية فلا يتقيد في حكمه عليها بالقيود بل ينطلق الى ما وراء حدود العقل والمنطق لكي ينظر اليها بعين ارحم وارحب من بقية الاعين ، عين يشع منها بريق الصفا والتسامح ، اذكروا انه يشعر بالهم كل انسان وارجاعه ، ويمس ذل الدائيل واضطهاده فيحاول بكل وسيلة رفع انيسار الذل عنه في سبيل صيانة الكرامة الانسانية التي هي في طبيعة ما يصبو اليه من اهداف ومثل عليا .

فلك طرزي - دوشي

التقبيل

بضم الدكتور نقول قباض

الدهر لتقدم العهد عليها ، وصارت مرتبطة بالوجود ارتباطاً بالجسم بعضائه؟ وإذا بهم إذا ساء الناس استعمالها فها مضى فصلها وحصة عارهم وجملوها وسيلة الغدر والخيانة فباع بها يهوذا المسيح وقتل بروتوس القيصر ، وجرمها كاثون على الزوج امام البنين ، ونفي من اجلها احد حكام روما . ألم تكن القبلة عربون المحبة والحنى والسلام وعرفان الجميل ؟ كم من الرجال من عاشت به الحدة والغضب فأرجعه الى الصواب قبلة من المرأة وكم دمة هؤلا الصغار نشفتها قبلة الام ؟

في حروفنا القديمة ان فانوس او عشتروت رأيت حفيدها الضمير تماماً بين الانهار فأعاد الى ذهنها تذكرا حبيبها ادونيس وأحست بالحاجة الى تقبيله ولكنها خافت ان يستيقظ مسدوداً فدارت من حوله على الورد تقبيلها بحجارة الى ان ثلث بشدا هذه القبلات وعادت كالسكري وحيدت اقبلت الحمام البيض وحملتها على اجنحتها تطوف بها العالم فتدفع في سكرها قبلة في كل مكان . وكما انزل الله على اسرائيل المين والساوى في التيه اطلمت الارض مكان الزرع من القبل المنحدرة فضارت القبلة سلاوى العاشقين وتقزية المبشرين .

ليست القبلة لساناً ولا عيناً ولا روحاً ولا دماً ولكن فيها شيئاً من العين واللسان والدم والروح لانها لغة القلوب الشريرة وترجمان معانيه الخالدة ، ولكم اعربت عما تضيق عنه فسحة الكون فهي للعواطف المضطومة كاللاتوب الذي يندفع منه البخار اماناً للوجل من ان يتصدع وتريد ان تحرمنا ايها .

ثم ماذا تترك للمصورين والشعراء اذا تزعت هذه الحلقة الجميلة من سلسلة تصوراتهم ؟ قال المعري :

دعيربط فيلسوف يوناني للقرن الرابع او الخامس قبل المسيح جاب بلاد فارس ومصر ودرس الرياضيات والطب والفلك والحيوان والنبات وانتهى في ابحاثه الى الجواهر الفردة فجعلها اخر ما اتصل اليه المادة في تجزئها ومنها تتألف العوالم والكائنات حتى الروح فهي مركبة من جواهر فردة تستطيع بشكلها الكروي وما فيها من خاصة السائل ان تدور خلال الجسم ومتى تبددت وذهبت ذهبت معها الروح . وله ادب خاص يضاف الى هذا العلم الوضي قوامه الارادة فعلى الانسان ان لا يغرم بشي . ولا يخاف من شي . وان يطلب الخير الاسمي في هدوء النفس وضفاء الحظائر .

وليس قصدي الان ان اشرح مذهب هذا الفيلسوف ولكن تذكرت في عرض موضوعي عن التقبيل عملاً غريباً يرويه التاريخ عنه وهو انه انتقل عيني كي لا يرى النساء فيشغلته عن تأملاته الفلسفية . وهو عمل ان صح فللمرأة الحق بالثيه والمباهاة لانه يدل على بعد اثرها وسعة سلطاتها . على انه قد يمكن ان يكون جلبه العمى لنفسه ليهرب من رؤية القبح والشناعة او نفوراً وتقرزاً من النساء بعد ما رأى وقاسى منهن . وكما يكون لذهاب عيني شأن في عيون الناس واعجاب ما بعده اعجاب لو انه فعل ما فعل حسباً بامرأته الجميلة وضناً بصورتها لتبقى في ذهنه كما عرفها ولا يرى فيها اثر اً لبست السنين ومساوى الهرم . سواء طلب العمى اعتقاداً او كراهة او غيرة فهو قد تخلص به من سلطة اهم الحواس على العقل وهو البصر الذي يفوق الشم والذوق والامس والسمع فيوسوس له كاشيطان ويدخله في التجربة ، تجوبة القبل .

وقد كتبت قبل اليوم في هذا الموضوع ولا يزال المجال واسعاً للعودة اليه . رب معتز يقول ماذا تريد من عادة دخلت في ذمة

كم قبله لك في الضائر لم يُقد
فيها الحساب لانها لم تكتب
وقال آخر :

دنوت وقد ابدى من السكر ما ابدى
فقبلته في الخد تسعين او احدى

وقال ثالث :

عذرت في الرشف منه شفة
مصها اطيب من نيل الامل
وعليها حمرة في لس
تستعيد اللون من صبح الخجل
هي فيما خلّت آثار دم
من فؤاد علّ فيها ونهل

وقال رابع :

يا ضاحكاً يستهل مضحكته
عن برد واضح وعن شب
اعطيتي قبله رشف بها
الشهد مشوبا بدمعة العنب
كانني اذ لست فاك بها
لثمت تقاحة من الذهب

وقال خامس :

البدر لا يفنيك منها اذا
غابت وتفتيك عن البدر
في فها مسك ومشولة
صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للصبغة والخمر
للاريقة والواؤل للثغر

ولكن ما العمل بالاطباء فقد وجدوا للتدخل في كل امر
فلا طعام ولا شراب ولا حركة ولا لباس الا لهم فيه رأي ونظر
فهم على حدة قال مولير يدخلون اصبعهم في الشجرة بين القشرة
واللباب . لقد طلعوا علينا بقصة هذه الكائنات المنتهية في الصغر
المنتهة بالمكروب . وخوفوا الناس من دهياء مظلمة اذا تراءت
لهم اشباحا وقالوا ان فهم الانسان ملتقى الملايين منها حتى في حال
الصحة من مكروب السل الى التيفويد الى الخناق وغيره . واذا
كنا لا نتأثر بها كل حين فلان فيها قوى طبيعية للدفاع تسهر
علينا . بل ذهبوا الى ابدع وقالوا ان في الفم جراثيم لا اذى منها
وبعضها نافع في الهضم لتأثيره فيما يخاطط الطعام من المواد النشوية
والزلاية والسكرية بين تدوير وتحليل ولكن هذه الميكروبات
النافعة عينها قد يتقلب نفعها ضرراً اذا فسدت البيئة فتسبب بخر
النفس وربما شاركتها غيرها فاضاف الى خبث الرائحة توسل الانسان
وحالات شتى من التسمم . وبعد هذا اذا اتيت اليوم طبيباً تشكو
اليه صداعاً في الرأس أو آلاماً في الرجل أو غير ذلك اشار عليك قبل
كل شيء . بفحص اسنانك وقامها اذا اقتضت الحال .

فاذا عرفت هذا عرفت وجه الحكمة في اجتناب التقبيل
والسعي في ابطال هذه العادة الكثيرة الخطر على القبل والمقبل .

واليس خطر العدوى وحده ما يدعونا الى خلع نير التقبيل فاني لا
اجد معنى ادبياً او اجتماعياً في هذه القبل التي يتبادلها الناس عند
السلام والتوديع او في الزيارات فتصير الحدود مباحة والشفاة
تماسح . ومن ينظر الى النساء يقبلن بعضهن بعضاً كلما اجتمعن
وافترقن لا يتأكل من الاستغراب والاستفاقة فقد تكون المسكينة
من تؤذيهن رائحة البخور فكيف برائحة العرق وانفاس الفم
السكرية .

ايك ان تعتقد ان ابطال هذه العادة مستحيل فهي على قدم
عندها يجهلها نصف العالم فان جزائر ما وراء « هاتي » في المحيط
وأهل واستراليا والجهات الشمالية من اميركا لا يعرفونها وبعض قبائل
العبيد في غرب افريقيا لم يطفوا خشونة عواطفهم باقبل وكذا قل
في القبائل التي اصطاحت على قطع شفاهاها وابدال قطعة خشب منها كما
في بعض جهات الجزائر والسودان واوراسيا . والمغول يتعاضون
عن التقبيل بالشم وسكان جزائر الهند وملقا وكوجا واسكيمو
يتصافحون بحك الانف على الانف .

وقد ادعى بعض العلماء ان التقبيل بقية من بقايا التوحش ايام
كان الانسان يأكل الانسان وكان المصارع يداب مغلوبه باعض
الشديد . فالبقية عضفولكنها خفيفة حسن حظ خدودنا وشفاهاها
ورثناها عن اللافهم الذين كانوا يدللون بها على رقة عواطفهم
كما يفعل الحيوان . فان الحيوان يبدأ باعض الشديد بالاسنان
ثم ضعيفاً بحك الشفاة او المنقر ثم خفيفاً بلس اللسان وهل كان
للس الكلب ليد صاحبه الا تقبيل .

ولو القينا النظر من ورائنا لرأينا في التاريخ شواهد على
كراهة الناس للتقبيل قبل ان يعرفوا اضراره فقد كانت في روما
حملاً تقبيل على الطبقة الوسطى واهل لندن يستحقونه ويعيرون
به الفلاحين ولا يزال الانكليزي الى اليوم يستعرون تقبيل الاوربيين
اولادهم عند السفر او العودة .

ونحن اذا لم نتقدر على نسخ القبله من عاداتنا وتركها جهراً
على ورق كما يقال « غ تقبيل ايديكم » فلا اقل من ان
نصونها من الابتدال فلتقبل كل قبله يدفع اليها الزيا . والتراف
والجمالة الكاذبة وتجرى قبله الحب والزواج لان الحب والزواج
اساس المجتمع .

نور فياض

غفوة !!!

هدأ الموج على صدرك والخاطر اغفى
غير حلم عابر في ثغرك الاحمر رؤاً

آه منه جانح يغنج او منقر زهو
صامت اللحن يلاوي الريش في أعمق صحو



الجلال الخلو واللغز على الوجه الجليب

كقوافٍ ملهيات في فم هاني غريب

ARCHIVE

انا في شاطئ معتك غريق في ذهولي

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

زور في المخطوم لا يسمع في القاع عويلي

كيف ؟

من اين ؟

ويدعوني الى النور العباب

غص في ريقتي ولي شوق يمنيته الشراب

آه ملء الأبد المجهول ملء الأزل

كل شيء لك لكن كل شيء ليس لي

علي محمد سلق - صبرا

العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني

بفلم محمود البليدي

في عدد أغسطس ١٩٤٢ من مجلة « الحديث » الحلبية ، تناول صديقنا الاستاذ خليل هنداي (ملحة) الشاعر المصري علي محمود طه « ارواح واشباح » فعلق عليها بملاحظات عديدة ، كلها ثناء . وأعجاب لأحد لها ، حتى انه حكم بأن هذه القصيدة ، هي أول قصيدة شعرية بلغت من السمو والدقة ، ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل .
ويعمل توفيق الشاعر ، باختياره لقصيدته الجو اليوناني لا الجو العربي ، لأن الجو العربي محدود المشاعر بمحور الخيال ، ولولا هذا الجو اليوناني لما استطاع الشاعر ان يوفق هذا التوفيق العظيم .
ثم ينتهي الى القول والحكم بأن الفن اليوناني كان اشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية ! ويقترح على « الحديث » ان تضع موضوع البحث هذا السؤال : « أكان غيراً للعرب تناولهم الفلسفة اليونانية كما فعلوا ؟ ام الادب اليوناني ؟ » . وانا تعرض كلمتنا في هذا الموضوع على صفحات الادب الأغر .



المعروف ان أول عقل عربي مسلم ، اتصل بالثقافة اليونانية ، فاعجب بها ، وعكف على درسها ، وأمر بنقل بعض كتبها ، كان عقل امير أموي ، طمع في الخلافة فصرّف عنها ، فلم يجد ما يشغله عنها ، الا ان يستزيد منها حتى يبلغ آفاقها . كان هذا الامير حفيد معاوية الاول خالد بن يزيد المتوفى عام ٨٥ هـ .
ويحدثنا محسن ابن اسحق النديم (الفهرست) عن الامير خالد بن يزيد (الذي كان اول من امر بنقل كتب الطب والفلك والكيمياء في الاسلام ، وانه اشتغل بها كثيراً ، ومع هذا فقد كان خطيباً ، شاعراً ، فصيحاً ، ذارياً ، جواداً ، حتى قيل له : لقد فعلت اكثر شغلك في طلب الصنعة (الكيمياء) . فقال : ما اطلب بذلك الا ان اغني اصحابي واخواني ، اني طمعت في الخلافة ، فاختارت دوني ، فلم اجد عنها عوضاً الا ان ابلغ آخر هذه الصناعة ، فلا اخرج احداً عرفني يوماً أو عرفته ، الى ان يقف بباب سلطان رغبة او رهبة .

ويقول ده بوير (تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٢١) لقد كان اشتغال الامير خالد بالكيمياء . بإرشاد راهب مسيحي . ويسمي ابن خلكان (الوفيات ج ١ ص ٢١١) هذا الراهب ماريانوس .

اذن كان البلاط الاموي لا يتخلو من رهبان السريان يكتشفون للامراء اسرار الفكر اليوناني ويغويهم في درسه ، وليس من المعقول ان تقصر هذا على العلوم الكونية ، فلا بد وان الادب اليوناني والفن اليوناني والشعر اليوناني قد جاء ذكرها والحديث عنها في مجلس هذا الامير وفي مجالس غيره من الخاصة ، مرة بل مرات ، وليس من المعقول كذلك ان لا تحجي . المقارنة بين الشعر اليوناني والشعر العربي ويأتي ذكر شعراء اليونانية الى جانب شعراء العربية ، وهذا شيء مفروغ منه في نظري وان كان الشائع غير ما ذكرت .

واذا اقرر ما قررت اجد ان البداة تؤيده ، فالغالبون العرب لما وطئت اقدامهم ارض سورية ، وجدوا اليونانية لغة البلاد الرحمة ، فاقصوها عن كافة دوائر الدولة ، الا دوائر المالية ، فانهم ابقوا موظفيها ، وتبهيوا نقل سجلاتها الى العربية ، حتى جاء عبد الملك بن مروان فأمر بنقلها وتعريب ، ومن هنا نستطيع القول بأن اليونانية بقيت حية تسعى من قلب الحكومة العربية طول حكم الراشدين وصدرأ من عصر الدولة الاموية ، وبقي نفوذها ونفوذ ابنائها قائماً رديحاً من الزمن الى جنب البلاط الاموي ، مما يشجع على تصور ما ذهبت اليه حقيقة راهنة وليس عروجا في ملكوت الخيال .

ويظهر ان اليونانية طالت قائمة متجسدة في المجتمع الاسلامي الى ان انتقل الحكم الى الدولة العباسية ، لا كما يتصورها بعض الكتاب مبعوثة في العصر العباسي نتيجة قيام حركة النقل والتعريب ، بل ان غاء اليونانية الى هذا العهد وتأثيرها في المجتمع الاسلامي ، هو الذي يمت حركة الترجمة هذه .

ويسري ان أجد تقريراً للعلاقة سليمان البستاني معرب الالفاذة (انظر ص ٢٦ مقدمة الالفاذة) يساعد على تقوية تصور بقاء اليونانية حية متصلة الناء . من العهد الاموي الى العهد العباسي هذه خلاصته : « ان ديوان هوميروس كان معروفاً عند العلماء في بغداد امهـد العباسيين ، اذ كان يتناشده الادباء من نقلة الكتب المقربين من خلفاء . بأصله اليوناني ونقله السرياني ، ويظهر ان الالفاذة كانت منتشرة بين الخاصة ايضاً من بلاد الفرس والكلدان في زمن الدولة العباسية لان «تافوليس» الذي نظمها بالسريانية كان منجم الهدي ثالث خلفائهم» ويستدل العلامة البستاني من حادثة ذكرها ابن ابي اصيبعة في كتابه «طبقات الاطباء» ج ١ ص ١٨٥ « على ان اليونانية كانت معروفة لعهد الرشيد في بغداد ، تقرأ وتدرس حتى في بيوت الخلفاء . وان منظومات هوميروس كانت معروفة فيها بين المشتغلين بلغات الاجانب ومعظمهم اذ ذاك من النصارى .

كل هذا يدل — كما قلنا — على ان اليونانية بقيت حية متصلة الناء الى العهد العباسي حيث قوي نفوذ ثقافتها فبرزت حركة النقل .

٢

هذه مقدمة لا مفر منها اذا اردنا ان نواجه موضوعنا ، ولكي نصل الى بغيثنا ، علينا ان نضيف على سؤال الاستاذ الهنداوي سؤالاً آخر لا بد منه قبل الاجابة على سؤاله الاول وهو :

لماذا اختار العرب دراسة الفلاسفة اليونانية واملأوا الادب اليوناني ؟ نضع هذا السؤال ونجيب عليه بما يأتي :

لم يكن للعرب — في الحقيقة والواقع — مثل هذا الاختيار عندما عكفوا على دراسة الفلاسفة اليونانية واشاعوا بوجودهم عن الادب اليوناني ، لان المسألة لا تدل في الاختيار والتجسس ، وإنما هي حاجات طوعية في الأمة تدفع بها قسراً لسبوك الطريق التي تؤديها الى تلك الحاجات . والعرب كما هو معلوم اذ لم يأتوا الى الاسلام معقروا علوم طبيعية وفلسفة . وبما ان الفلسفة كانت قديماً تضم اليها مجموعة العلوم ، فن الطبيعي ان يكون العرب في حاجة الى الفلسفة التي هي في الحقيقة في طريق الفلسفة يدنوا على انهم اهتموا اليها بهدي السليقة والفطرة ، هذي الحاجة الطبيعية التي قلنا نحطها .

ثم ان اهتمام الادب اليوناني يجب ان يرد الى اسباب معقولة يومئذ ، وهو ان للعرب ادباً خاصاً هو وليد البيئة التي يعيشون فيها ، فليسوا بحاجة الى ادب امة اخرى ، ولأن مثل الادب اليوناني المتعدد الالوان لا يمكن ان يغذي تلك النفوس العائقة على اوقيانوس الصحراء العربية ، فلم يجد العرب ما يدفعهم الى اعتناء الادب اليوناني ، بخلاف الفلسفة . ثم ان الفلسفة بما يستعار وليس الادب كذلك اذ العقل في الفلسفة اداة المعرفة وهذا شيء مشترك بين الامم . اما وسيلة الادب وهي العاطفة فما يختلف كثيراً بين امة واخرى وتوسع له الفروع والمقاييس ، فلا يمكن ان يحتذى الا بعد ان تقارب تلك الامم في الحياة الاجتماعية .

وبما على ما تقدم نستطيع ان نقول ان العرب لم يكونوا يختارون في تفضيلهم دراسة الفلاسفة اليونانية على الادب اليوناني ، بل سيقوا اليها من انوفهم بدافع طبيعي هو الحاجة .

٣

واذا كان الامر كذلك ، فهل يمكن ان نقول ان استهـداء الأمة حاجاتها يمكن ان يستتبع منه ان هذه الحاجات تسوقها حتاً الى ما هو غير لها ؟ لا اكاد اتردد في الجواب على ذلك ، بل اني اجزم ان العرب سيقوا الى ما كان لهم فيه الخير كل الخير عن طريق الحاجة التي هي عامل من اكبر العوامل في الحركة نحو الخير الذي تشدوه من غير وعي اكيد .

وللدلالة على ذلك استعين بتقرير للدكتور لوبون وجدته في كتابه «الاراء والمعتقدات» أوردته في معرض بحثه عن تأثير الحاجات التي تتولد في الفرد والامة ، قال : « ان الاحتياجات هي من اكبر العوامل في تكوين الرأي ، وكل تطور اجتماعي ، ولننصد الجوع اكثرها

شدة ، فهو الذي ساق ايجادنا الاولين من الكهوف والمغاور الى سلم الحضارة . . . وكلما تقدمت الحضارة فانه يضاف الى قافلة الاحتياجات القديمة احتياجات جديدة . وما الاحتياج الى الأكل والتناسل واللباس والدين والأمور الادبية والكيال سوى عناوين لمقتضيات الحياة . « قبل باستطاعتني ان اقرر ان من جملة حاجات العرب قبل اتصالهم بالفلسفة اليونانية ، كان جوعاً ذهنياً شديداً ، وتعطشاً فكرياً عميقاً ؟ أجل ، دل على ذلك القرآن ، حين وصف بعضاً منهم بالتفكير وحين لفت البعض الآخر الى التفكير في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واختلاف السهتم وتصريف الرياح ، وكل ما حوى هذا الكون . فلما وضعوا ايديهم على تراث اليونان العلمي دون ادبيهم ، كان ذلك - في الواقع - استجابة دالة على مقتضيات حياتهم يومذاك ، ودل ذلك من جهة ثانية على ان عزوف العرب عن الادب اليوناني نتيجة طبيعية لعدم حاجتهم اليه .

ولما كانت الحاجة الطبيعية تدسوق الى الحضارة كما قرر الدكتور لوبون آنفاً فلما ان نعلم بأنه كان خيراً للعرب اقتباسهم الفلسفة اليونانية دون الادب اليوناني كما فعلوا .

٤

هنا نلقي القلم قليلاً لنجيب على سؤالين لصاحب « الحديث » ما الذي افاده العرب من الفلسفة اليونانية ؟ ثم ما هي الفوائد التي كان بإمكان الأدب العربي ان يجنيها ، لو انه انكب على الأدب اليوناني ؟

هكذا يضعنا صاحب الحديث امام سؤالين متلازمين ، فيدلنا ذلك الى المفاضلة بين الفلسفة والأدب ، خصوصاً على مفهوم الفلسفة قديماً ، لان مفهومها اليوم غير مفهومها بالانس . « الفلسفة اليوم تدرس مع الاعراب في شعبة واحدة اي في كلية الآداب لارتباطها به ولانها مثله ليست علماً Paulquie — Précis de philosophie I. P. 9 بينما مفهوم الفلسفة بالانس كان على انها علم من العلوم ، ولذا كان ينضوي تحت جناحيها مجموعة العلوم بأسرها ، فهي من هذا الوجه - اي على المفهوم القديم - تختلف عن الادب كما يختلف اليوم اي علم من العلوم عن الادب .

وقد اوجز العلماء الفرق بين العلم Science والادب Literature من ان موضوع الأول قابل للقياس كما قال العلامة فيليكس لودانتك Il n'y a de Science que de mesurable بينما موضوع الثاني لا يسمح بهذا القياس .

فقالوا خذ مثلاً موضوع اي علم من العلوم (علم الطبيعة او الكيمياء) تجد انها لا يسمحان بجعل للتقديرات الشخصية ، فالسرعة في سقوط الاجسام المطلق مقيسة ، والنسبة بين خليط من المواد الكيميائية لاخراج مادة جديدة محددة . وهذه القاييس بالنسبة لجميع الناس واحدة لا تتبدل ولا يمكن ان يختلفوا فيها . ولكن على الضد من ذلك ما تجد في الادب ، فان زخم احساس ما ، وكذلك جلاء براهين ما ، يتبع غالباً حالة النفس عند كل شخص ، كما هو ثابت من تباین الاحكام في المؤلفات الفنية أو الادبية . (انظر : فولكليه ، المصدر السابق)

اذن فالفرق بين الفلسفة (قديماً) وبين الادب ، هو الفرق بين العلم والادب . ونخرج من ذلك للقول بأن العرب قد فضلو العلم على الادب ، حين فضلو الفلسفة اليونانية على الادب اليوناني .

١ - فما الذي افاده العرب من الفلسفة اليونانية هذه ؟

قلنا قبل ان العرب كانوا امة ادب لاساني ، ولم يكنوا اهل علم وفلسفة ، وبعبارة اخرى انهم كانوا امة يتقضا التثقيف العقلي والعلمي . فلما انفتحو الى الفلسفة اليونانية واقتبسوها وتوسعوا فيها على ما هو معلوم في تاريخ حضارتهم ، عرفنا انهم قد سدوا هذا النقص واستكملوا عدتهم للحياة في اسمى درجاتها . ومعنى هذا ان الفلسفة اليونانية قد اكملت للعرب حياتهم المثلى ، ذلك لانهم كانوا قبلها يعيشون على الادب وهو العاطفة والشعور فحسب ، وتلك حياة ناقصة ، فأصبحوا معها يعيشون على العلم ايضاً وهو حياة العقل والفكر . وهذه ، مظاهر الحياة التامة في الامة ، اي يقطعة القلب والعقل معاً ، واشتراكهما في مدها باسباب الحياة الكاملة .

لقد صبح عن النبي العربي الكريم انه قال يصف العرب « انا امة لا تكتب ولا تحسب » فقدوا بعد قليل من الزمن اساتذة اوروبا في الرياضيات وسائر العلوم . قال الدكتور سارطون « ان العقل يدهش ، عندما يرى ما عمله العرب في الجبر » ويقول الدكتور

ماكس مايرهوف « لقد اسدى العرب جليل الخدمات الى علم البصريات - الضوء - الذي تجلّى لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامي » ويقول كاجوري « ان حل المعادلات التكميلية بواسطة قطوع المخروط ، من اعظم الاعمال التي قام بها العرب » . ويقول الدكتور لويون « ان العرب هم الذين وضعوا اساس الكيمياء ، الحديثة باكتشافاتهم وتجاربهم » ويقول فلورين « كان للعرب عصر مجيد ، عرفوا فيه بانكسابهم على الدرس وسعهم في تقدم العلم والفن ، ولاننا نبالغ اذا قلنا ان اوروبا مدينة لهم بخدمتهم العلمية » ويقول العالم الفرنسي المعروف سديرو « ان نتاج افكار العرب الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد انهم اساتذة اهل اوروبا في جميع المرافق » .

هذه صورة موجزة لتبدل حال العرب - عن طريق الفلسفة اليونانية - من حياة ناقصة الى حياة كاملة ، فلتأت بصورة اوضح . يقول درابر في كتابه « تاريخ الارتقاء العقلي في اوروبا » : ومن عادة العرب ان يراقبوا ويتجنّبوا ، وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس به وما تجدر ملاحظته انهم لم يستندوا فيها كتبهم في الميكانيكيات والساعات والبصريات على مجرد النظر ، بل اعتمدوا على المراقبة والامتحان ، بما كان لديهم من الآلات ، وذلك ما هيأهم سبيل ابتداع الكيمياء ، وقادهم لاختراع ادوات التصفية والتبخير ورفع الانتقال ، ودعاهم استعمال المربع والاصطلاب في علم الفلك ، واستخدام الموازنة من الكيمياء ، مما خصوا به دون غيرهم ، وهيأ لهم صنع جداول للجاذبية النوعية وعلم الفلك كاتي اصطنعت في بغداد والاندلس وسمروند ، مما فتح لهم باب تحسين عظيم في الهندسة وحساب المثالث واختراع الجبر واستعمال الارقام من الحساب . وكان هذا كله من نتائج استعمالهم طريقة الاستدلال والامتحان ، ولم يقرروا في علم الفلك لوائح فقط ، بل رسموا خرائط النجوم المنظورة في فلكهم ايضاً ، مطلقين على القدر الاعظم اسما . عربية لا تزال تردّد على كراتنا الفلكية ، وقد عرفوا حجم الارض بقياس درجة سطحها وعينوا الكسوف والخسوف ، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة وقرروا طول السنة ، وادركوا الاعتدالين ، ولاحظوا امورا بعثت نوراً باهراً على نظام العالم ، واختص علماء الفلك منهم باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة ، وكانوا السابقيين الى استعمال الساعة الرقاعة لذلك . وهم الذين انشأوا في العلوم العملية علم الكيمياء ، وكشفوا بعض اجزائها المهمة كالحامض الكبريتيك والحامض النتريك (الفضة) والكحول وهم الذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية ، فكانوا اول من نشر تركيب الادوية والسموم المعدنية وهم الذين قرروا في الميكانيكيات نواميس سقوط الاجسام ، وكان لهم رأي في طبيعة الجاذبية ، ورأي سديد في القوت الميكانيكية ، واصطنعوا في نقل المواضع وموازنتها الجداول للجاذبية النوعية ، وكتبوا في الاركان في بوزن الاجسام ووزنها في الماء ، واهمهم في علم البصريات خطاً اليونان بكون الشعاع يصدر من العين وليس المرئي فيظهره ، فقالوا ان الشعاع يمر من المرئي للعين ، وفيهم اساس انعكاس النور وانكساره ، وكشفوا عن طريق الشعاع المنحني في الهواء ، وبرهنوا على اننا نرى الشمس والقمر قبل الشروق وبعد الغروب . ويتابع درابر كلامه فيقول : والذي يدهش كثيراً ان نتصور اشياء نفاخر بانها من الوالد وقتنا ، ثم لا نلبث ان نراهم سبقونا اليها . فتعلمنا الحاضر في النشو . والارتقاء . كان يدرس في مدارسهم ، وحقاً انهم وصلوا به الى الاشياء الآلية وغير الآلية ، فكان المبدأ الرئيسي في الكيمياء . عندهم والمظهر الطبيعي للاجسام المعدنية . »

واذا لم تكن هذه الصورة تامة في بعض وجوها ، فلنستعين بما يقوله العالم ريسون لاكمال هذه الصورة ، قال ريسون في كتابه « العرب والتجارة » :

لقد احرز العرب فضل سبق دون غيرهم في مضار التجارة ، ففرقوا الصناعة البحرية ، ووضعوا قوانين حقوق الملاحة ، واقتبسوا استعمال ابرة السفينة من الصينيين ، وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر اي ضبط ، وشرعوا الكفالة وانشأوا المصارف للقروا ، ووضعوا السفاتج (الكيميالات) المألوفة ورددوا التمسك « البرونستو » وبعثوا الحركة في مصارف الغرب الحديثة . وكنت تراهم حيث تزلوا يهدون السبل ، ويعمرون المرافى ، ويصلحون القنصادق والرباطات ، ويرتبون سائر القوافل . وكانت المدن الاسلامية اوساطاً تجارية كبرى . وان تعجب فاعجب للعرب كيف نبع بينهم لاسفارهم المترامية اساتذة جغرافيون هذبوا في وقت قصير كتاب بطليموس وكشفوا بلاداً اخرى بغير اقدامهم لم توطأ ، ووسعوا المصدرات للغربيين ووجعوا اليهم التنقل والترحال .

ثم يقول : وان استبحار العرب في العمران مع سرعة انتشار سلطتهم في المعمور ، هيأ لنا ادراك مكانة المدنية العربية ، فكانت هذه الحضارة الباهرة في القرون الوسطى مزيجاً من المدنية البيزنطية والفارسية ، وقد تم هذا المزيج المدني بامر من : عشق العرب للتجارة

وغرامهم بالاستعمار ، واصبحوا لذلكهم الوقاد ، ولما غرس فيهم من حب الاطلاع على كل شئ ، يخوضون غمار العلوم الطبيعية والرياضية ، فابتدعوا الكيمياء ، وبرعوا بها ، وطبقوا تلك العلوم على الزراعة والصناعة ، ولهم المنة على جميع الامم بارقامهم العربية .

وقال شارل ستيفيوس في كتابه « تاريخ الحضارة » : لقد جرى امراء العرب على قاعدة اسقاء الارضين بفتح الترع ، فحفروا الآبار ، وجازوا بالمال الكثير من عثروا على ينابيع جديدة ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران ، ونقلوا الى اسبانيا اسلوب النواير لتمتيع المياه ، والسواقي التي توزعها ، وان سهل بلنسية الذي جاء كانه حديقه واحدة ، هو من بقايا عمل العرب وعنايتهم بالسيا . وقد نظم العرب مصلحة للمياه كان يرجع اليها في مسائل الري .

ويقول ويليم ديلكوس من اعظم مهندسي اري في هذا العصر ، ان عمل الخلفاء في ري العراق في الايام الماضية ، يشبه اعمال اري في مصر والولايات المتحدة الاميركية واستراليا في هذا العصر .

الى هنا يمكن ان تكون الصورة التي اردنا رسمها للعرب في دورهم العلمي تامة الى حد ما ، ومنها ننقل الى القول بان ما افاده العرب من الفلسفة اليونانية هي الحصول على هذه الصورة التامة صورة حية باقائها العقل العربي وطبعه بالطابع العلمي وتورثته تراث الحضارات القديمة واستخدامها في المصالح العامة .

نعم لقد طبعت الفلسفة اليونانية العقل العربي بالطابع العلمي وهذه حقيقة لا يصعب الاستدلال عليها فقد قال سخاو Sachaw في محمد ابني الريحان البيروني « انه اكبر عقلية عرفها التاريخ » وقال الرياضي الايطالي كاردانو في الكندي يعقوب « انه احد من الانبياء عشر عقرباً الذين ظهروا في العالم » وقال الدكتور سارطون في الحسن بن الهيثم « انه اعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم » ويقول الدكتور سارطون هذا في ابن سينا « انه من اشهر مشاهير العلماء العالميين » ويقول (لالاند) في ابني عبادة البستاني « انه واحد من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله » ومثل هؤلاء الاعلام كثيرون تخرجوا على الفلسفة اليونانية واستغادوا منها اكثر ما استغاد اصحابها فكانوا فخر الامة العربية بل فخر الجنس البشري .

وللادلة على ان العرب قد افادوا من مبادئ الفلسفة اليونانية اكثر مما افاد اليونان انفسهم ، ابتكارهم قانون التجربة والملاحظة *Loi de l'expérience et de l'observation* قال الدكتور بيرون في كتابه « حضارة العرب » : ان خزائن الكتب والمخطوطات والآلات هي مواد للتعليم والبحث اللازم ، ولكنها ليست الا ادوات ، وفيها مناهج الطريقة التي تتعامل لها ، وقد يتلف المرمم علم غيره وهو عاجز عن ان يفكر بنفسه ويوجد شيئاً ، ويكون تقليداً دون ان يوفق الى ان يصبح اساتذاً . اما العرب فبعد ان كانوا تلاميذ عاديين ، اساتذتهم تأليف اليونان ، ادركوا للحال ان التجربة والملاحظة تساويان اكثر من احسن الكتب . هذه الحقيقة اليوم معروفة لا يبعد العمل بها بدءاً ، ولم تكن كذلك في الدهر السالف . فقد ظل علماء القرون الوسطى يشتغلون الف سنة قبل ان يدركوها . وينسب الناس الى (باكون) هذه القاعدة ، وهي في الاصل اساس البحث العلمي الحديث ، بيد ان الواجب ان نتعرف اليوم ان هذه الطريقة كلها من مبتدعات العرب .

هذا بعض ما افاده العرب من الفلسفة اليونانية ، وعرجنا عنه بافظ القلة ، لان ما عرضناه لا يصور فضل هذه الفلسفة تصويراً شاملاً ، لان مثل هذا المقال لا يمكن ان يتسم لهذا الغرض . بيد اننا لانعدم قولاً يدل على مبلغ تقديرنا لهذا الفضل قلناه قبلاً ، وهو انه اذا لم يكن للفلسفة اليونانية من فضل على العرب ، الا انها اعطت العقل العربي وطبعته بالطابع العلمي واورثته تراث الحضارات القديمة ، حتى جعلت العرب يتبنون مقام الاستاذية لاوروبا ، لكفى بذلك فائدة ونفعاً .

ب - اذن ما هي الفوائد التي كان بإمكان الادب العربي ان يجنيها لو ان العرب انكبوا على الادب اليوناني ؟ لا نقالي اذا قلنا انه لم يكن في استطاعة العرب ان ينكبوا على الادب اليوناني ويقدوا منه الافادة المثلى ، التي ربما تصورهما الاستاذ صاحب الحديث . اذ المعروف ان عوامل كثيرة صدت العرب عن دراسة الادب اليوناني واحتذائه .

واكبر هذه العوامل فيما اعلم ، عامل مزاج ، فقد ثبت ان العرب تأثروا بنوع خاص من الادب اليوناني « القصص والحكم » لم يتأثروا بغيره كأدب الملاحة وادب الحوار ، فأذا قلت صفحات الفهرست لابن النديم وجدت اسماء كتب نقلت الى العربية في الاسمار والملح والنواير ورأيت شيئاً من محتويات هذه الكتب مبسوطاً في مثل كتاب الحيوان للجاحظ والبيان والتبيين وعيون الاخبار من كتب الادب العربي ،

ولكنك لا تقع. طلقاً على نقل شعر الملاحم ولا للشعر التشبيلي ولا للخطب الرائعة ولا لبحث من أبحاث أرسطو الوافية في الكتابة والخطابة وعلى البيان ، ذلك لأن هذا النوع من الادب اليوناني ، شعر قومي وادب اقليمي يطغى عليه عاطفة وشعور خاص ، يصف ويصور أهـل اليونان في حروبهم وحياتهم الاجتماعية ، لا يمكن للعربي ان يتذوقه او يستسيغه ، للفروق العظيمة بين حياة الشعين . فقد ألف العربي حالة من الغزو لا تشبه حروب طروادة بحال من الأحوال ، فلا آلات القتال ولا نظام الكر والفر ولا وسائل النقل ولا البسة الحرب بتشابه . مثل ذلك في ساحة الحياة الاجتماعية ، فانها تختلف الواحدة عن الاخرى كل الاختلاف ، فلا يتسنى للعربي ان يقبل على ادب اليونان مثل اقباله على فلسفتهم كما ذكرنا قبلاً .

والعامل الثاني ، عامل التعصب للادب القومي : فقد كان العربي يتعصب لادبه اي تعصب ، فلا يسمح لنفسه بالاعتقاد بوجود امـة تدانيه بادبها وشعرها ، بل انه ليلظن ان قومه قد انفردوا من بين الامم بالقصاحة والبلاغة ، حتى ليشك بوجود شعر متقن كشعرهم ، فان وجد ، لم ينعقد انه يدانيه صفاء ومتانة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان لهذا التعصب وجه آخر ، فقد اصبحوا لا يسمحون بابتكار فيه لا في الشكل ولا في الموضوع حتى ولا في القياس ، ومن يفعل ، فقد انتهك حرمتهم .

يقول ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » : وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام ، فيقف على منزل عامر او يبكي على مشيد البنين ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي ، او يرحل على حمار او بغل ويصفها ، لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير « ويفتحي الشاعر هذا ، ان اراد ان يصف مركوبه بها كان نوعه في ايماننا ، قطاراً او سيارة او طائرة ، ان يقول ركبت ناقه او بعيراً وهو لم يركب الا سفينة تجارية او كهربائية ! ومثل هذه النزعة التعصبية للادب العربي وعليه لا تتسامح بالاعتباس من الوان الادب اليوناني شيئاً .

والعامل الثالث ، عامل الدين : فقد كان الادب اليوناني ، اذاً وثقافة لا تتفق مع الاخلاق الزودة بخصائص الانسان ، فهي تعصب وتعتاصد وتحب وتعشق وتبازر وتزهر وتفسد ، والعرب حين احتسكوا بالادب اليونانية امـة مسلمة تعبد الها واحداً ، تزهوا عن الصفات الانسانية ، تؤدي له فروض الاحترام المثالي .

والعامل الرابع ، عامل الجهل باليونانية : فقد وضح انه لم يكن بين شعراء العرب او ادبائهم من يحسن فهم اليونانية ، فلم يسمع بينهم من يصلح لمهمة نقل الشعر اليوناني او نقل قطعه الادبية الرائعة الى العربية ، على خلاف ما وقع للادب الفارسي .

لا سيما وان مغربي خلفاء كائن اخشي وابن حنبل وآل مجتيشوع وامثالهم كانوا في نظر العرب ، علماء اكثر منهم ادباء .
والعامل الخامس ، عامل الحاجة : فقد لاح للعرب يوم وقفوا على التراث اليوناني ، انهم في حاجة الى العلوم اليونانية ، فصاروا الى الفلسفة ، ولكنهم اغتياها عن الادب ، او قل لقد هدتهم الرغابة الداخلية الى هذا . وفي وسعنا ان ندين ذلك من اهتمامهم اولا بالطب والكيمياء والمنطق ، فمروا كتبها واهملوا كتب الادب اجمالاً بكاد يكون مطلقاً . فقد كانت حاجتهم الى الطب حاجة عامة ومعروفة ، وحاجتهم الى الكيمياء ، حاجة الفير الى المال ١٢٠ المنطق فقد اعتنوا فيه للمناضلة عن الدين واحكام الدفاع عنه ، تجاه العناصر الجديدة التي دحمت الاسلام ، ثم استمتع ذلك عكوفهم على الفلسفة وسائر العلوم لتقضية عقولهم واروا حاجتها . ولما الادب فليس لهم به حاجة ، لانه كان لهم شعر زاخر وادب قومي رائق يسد حاجتهم .

هذه هي العوامل الرئيسية التي عمت على صد العرب عن الادب اليوناني . ولو فرضنا وصح لافراد من العرب ان يتناولوا بعض روائع هذا الادب الى العربية لما كان نصيهم — على ما نظن الا الفشل ، لان هذه العوامل كانت قوية وفعالة الى درجة كبيرة . وهذا هو الجواب الطبيعى لسؤال الاستاذ صاحب الحديث . اما اذا اردنا ان نحاريه ونخفف من تأثير بعض هذه العوامل فبوسعنا ان نؤمن ان الفائدة الوحيدة التي كان من الممكن ان يجنيها الادب العربي من الادب اليوناني ولكن على التدريج ، هي التأمل الاشارة واللمحة ، وتوحيدهم على الادب

التفصيلي وأدب الحوار Dialogue . فإن العرب لذلكهم وصفا . قرائنهم وفراغ نفوسهم من كثير من لوئاث الأمم ، جاء أدبهم معتدلاً على كثير من الإيجاز بعيداً عن التفصيل ، حتى أنهم عدوا الإطناب من العيوب المحلة بالبلاغة .

أما سائر مميزات الأدب اليوناني فمن العسير أن نلجم أن العرب كان باستطاعتهم أن يعضوها ، وما زلنا حتى اليوم — وقد زالت قوة كثير من تلك العوامل — في ريب من هذا إذا اردنا أن نطبقها اليوم ولكن هذا لا يمنعنا من أن نحرب .

وإذا كان الأمر كذلك ، فهل يمكن أن ترجح هذه الفوائد الأدبية للعرب على بعض الفوائد التي ذكرناها للفلسفة ؟ كلا ! وحتى أن العرب لو استطاعوا أن يعضوا أغلب مميزات الأدب اليوناني لما رجحناها لهم . اقر ذلك وأنا شديد الاعتقاد بأن ما كسبه العرب لانفسهم وللعالم من طريق الفلسفة اليونانية لا يمكن أن يقاس بحال من الاحوال على ما كان يوسعهم أن يربحوه من الأدب اليوناني على ما فيه من غير كثير . فوالجبال كالحسن بن الهيثم والكندي والبيروني والبتاني والرازي وجابر الكوفي وابن نفيس وابن سينا وابناء موسى بن شاكر وغيرهم وغيرهم علماء عالميون في نظر علماء أوروبا المصنفين اليوم ولولاهم لتأخر عصر النهضة في أوروبا قرونًا كما يقول (ليفي) . نستطيع أن نزعم بأنه كان بإمكان الأدب اليوناني أن يخرج رجالاً من العرب فهم هذه المكتبة في العالم ، ولهم ذلك التأثير الواضح في سير العلم في أوروبا ! ثم بعد هذا ننسأل ، أكان من طوق الأدب اليوناني — لو حصل محل الفلسفة اليونانية في توجيه العرب — أن يهب هؤلاء على الأقل قاعدة كالقاعدة التي وضعوا بها للعلم الحديث أساسه المكين ، قاعدة : « جرب واحكم » فضلاً عما وهبتهم الفلسفة من اسلحة أخرى ؟ لا اظن ذلك ، ولا احسب أن أحداً يستطيع أن يجيب بالإيجاب ، إلا أن يكون الأستاذ الهنداوي ، بعد أن سبق وقرر أن الأدب اليوناني كان أشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية !

ولكن هل يحسب الأستاذ أن الأدب اليوناني بما اشتمل عليه من قوة ونور ، كان في حوله مثلاً أن يهدي العرب الى تصحيح خطأ واحد من أخطاء اليونان في ساحات العلوم الإيجابية ؟ ولكن الفلسفة قد استغفرتهم الى بعض تلك الأخطاء . وصححوها .

أم حسب أن بيتاً من الشعر أو قصيداً من قصائد أرسطو كانت من الظواهر الخالدة تستطيع أن تقيم لها مائلاً ، أو تبني حوضاً للسفن ، أو تجر أثقالاً ، أو تهب دوا ، شافياً أو تقدم مصباحاً ؟ ولكن الفلسفة قد استغفرتهم من تلك الأعمال الممرانية وأعظمها .

أم حسب أن العرب أو اليونان ، يكون لهم ذكر في تاريخ الشعوب ، لو أنهم اقتصرنا على شعرهم وأدبهم ولم يجاوزوها الى الفلسفة ؟ نحن لا زبد أن نهضم الأدب حق ، فالأدب روح عالية ، ونور يبهج القلوب ، ولكنه لا يدوم إلا ما دام القدرح متراً . بيد أن الفلسفة روح أعلى ونور أقوى ، يشعد العقول وييسر على الدنيا المادية فيكمل عمل الطبيعة ويزدها خيراً ، ويدوم بدوام الإنسان . وقد كسب اليونان والعرب اسماً خالداً بين الخالدين عن طريق الفلسفة لا عن طريق الأدب .

واخيراً أشهد بأن الفلسفة اليونانية قد طمعت القرب بطسابع العلم ، وكان هذا هو الخير الأكبر الذي اهتموا اليه عن طريق الفطرة والحاجة ، ولو أنهم لم يوقفوا الى هذا وانساقوا في طريق آخر ، لو أنه طريق الأدب اليوناني ، لما كانت النتيجة إلا أدنى كثيراً مما وصلوا اليه ولما كان ذلك خيراً لهم .

وإزاء هذه النتيجة التي وصلت اليها ، اقول لك يا صديقي خليل هنداوي ، انك تجاوزت وجه الصواب حين قررت عجلًا ، أن الأدب اليوناني كان أشد ضرورة لقومك العرب من الفلسفة اليونانية ، راجياً منك أن تبصر على رأيك هذا ، أن كنت بقيت مصرأ عليه ، كما أحب منك أن لا تقرر ذلك الى طلابك قبل أن تدع علينا هذا البرهان .

محمد اللبيري — حلب

زورق الحياة



انا لي في اليم زورق ابيض الاحلام ازرق
يتهادى في ربي الامواج ، كالصب المؤرق
اتخطى فيه آفاق الغد الحلو المؤلق
تارة يعلو مع الموج ، وطوراً يتزلق
وانا امضي الى « المجهول » في الافق المنسق
لا ابالي ، لي بجذاف ، له المرصود ينشق
من ابي السوري رب البحر « قدموس » واعتق
وهنا ، سار المسيح ابن بلادي ، وترفق
وعلى عيني نور المصطفى الهادي ، تدفق
ويميني بيد الله ، فلا اهوي بمزلق
لست اخشى هوة اللججيات ، فالمجهول اعمق
يا شرعي ، سر مع الريح فسر انا موقوف
وهناك الامل الممرح ، كالفردوس اشرق
طائراً ، في غمرة الابعاد ، غنائنا وصفق
وتخطى السحب في الأجواء تياهاً ، وحلق
لك في الشمس محل ، من رمال الشط ارفق
فامتطى الشمس ، فنها لطريق الخلد مفرق
قبل ان تربد احلامي ، وباب النور يغلق
قبل ان ترحل شمسي ، وسواد الليل يهرق
فالشرع المطلق الاطراف ، في الليل ، يمزق
والذي يسري ، مع العتمة ، في الايام ، يفرق
يزدري الموت ويمضي من له في اليم زورق

محمد يوسف حمود

نهاية فيلسوف ...

(بكرة ندية من بكر الربيع ... تبشير الصباح
المشرق شرمت تلوّن الافق بألوان متواجبة عبقريّة .
الأرض فتح زكسي والهواء خمره ترشها الروح)

العصفور : يا لك من غصن رطيب تهتر تحتي كأرجوحة ورحّة!
الفنن : اهتر ؟ العصفور : نعم تهتر تحتي وترقص ،
وتصفق بأوراقك كأنك تنتشي من وقع ألحاني :
الفنن : يا لك من مغرور . اتظني أبه لك ؟
العصفور : اذن لماذا ترتش هكذا وتتأود كعاشقة سميت
الحان الهوى ؟ الفنن : انا اغني ...

العصفور : ان اذني الرهيفتين لا تلتقطان اي جرس من غنائك
الفنن : ان غنائي لا يتخذ الصمم سبيلا الى القلب بل ...
العصفور (مقاطعاً) : يسلك طريق العين ؟
الفنن : هو ذاك . انا اغني باخضراراي ورونقي .
العصفور : ولكي لا اسمع شيئاً من هذا الغناء .

الفنن : ما كنت في هذه الغمرة من النشوة لم تقف الى
خضرتي وبهجتي . العصفور : يالك من مغرور اتظني أبداً ؟
يدنو الفيلسوف متوكلًا على عكازه وعلى ملاج وجهه علام
التفكير العميق .

الفيلسوف : كفانما غروراً . ما انتا الا العوبتان في كف
الطبيعة تقذف عليكما حين نشأ . وتسلبكما لما نشأ . لئن
غضلك الربيع بدف . انقاسه ابها الزر فسيحريك الخريف برياحه
الموجاء . وستيس من برد الشتاء القارص . وان اطلق الربيع
حجرتك بالاعاريد ابها العصفور الطائش فسيجمد الشاح جناحك ،
وستخسر الى الابد . ما انتا الا العوبتان في كف الطبيعة المحتالة .
الطبيعة : دع مخلوقاتي ولا تحاول ان تعكس سباهن الصافية
واحلامهن الساجية ونشوتهن العميقة .
الفيلسوف : انا افتح لمن ابوابي .

الطبيعة : على الشك ؟ على التمرد ؟ على القلق ؟ على الحجم ؟
الفيلسوف : على اليقظة لانهن غايات في سبات عميق . على
النور لانهن غارقات في ظلمة حالكة . على الحرية لانهن عاشقات في
شرائق وقواق واقاص .

الطبيعة : دع مخلوقاتي يزقزن لآلاً الحياة وينعمن بدفئها
وخيراتها ولا تقطع بصوتك الاجش شдохن الرخم .

الفيلسوف : انظري الى الشجرة الناشبة جذورها في اعماق
التراب . انها تستصرخ السماء لتفك عقالها الارضي . . . والأفلاك
ملت الدوران في طوبقها الهرمدي الرتيب . وثورة البحر الهائج
على الشطآن ما هي الا ثورة الاسد الحبيس يعض قضبان الحديد .
كل ما في الكون مصفد ببقود غلاظ ، فهو يرسل الاسي والانين
ولا يبعث الغناء والحنين . .

الطبيعة : ان قيدي حرة لمن يطيعني . سلاسل اجنحة خفاقة
لمن يرتع في حقلي . فالشمس مقيدة ولكن اشعتها تطوي السهل
والوعر ، وتثير الخفي والظاهر ، والشجرة مربوطة الى ظلام الارض
ولكنها مشرّبة زهراً الى جبين الدماء ، وعرفها يحجب الفضاء ،
وغذاؤها الهواء والضياء . .

الفيلسوف : يا لك من خداعة حتى في تعاليمك . .
الطبيعة : يا لك من وداعة ! كأنني حين نفخت في ضلوعك
الحياة ، خلقت آلة تدمر ، لا يداً ترين العالم ، وشعلة تحرق ذاتها ،
لا فتحوها يعني . للكاننات . . .

الفيلسوف : ايها الام ! ليكن لك ان ترفعي طرفك عالياً لآل
ابدعتني . . ابدعت من يشرد عليك لانه يهيك ، ومن تقمين عليه
لأن في احداً نوراً ساطعاً لا كسك عيانك . .
الطبيعة : احسن منه خشرة مذهبة ترفرف على العشب .
وكذا تدب في الشفاق قوتها . وغصن أعريه فلا يتعاضدني وبلسه
فلا يشمخ علي . أشرف منه عنكبوت ينسج في الظلام . . .
وجبل هاجع في سلام . (في حنان) : اما أنّ لك ان تدخل جنتي
وتسبح في غبطتي ونفعتي ؟ .

الفيلسوف : زبني وجهك باروع ما ابدعته قريحتك الحسبة
من المساحيق ، واكتسي اجل وشاح ، واجعلي شراكك لطافاً
رقاقاً كخيوط الشفق . فلن تصلادي دماغاً يهقهقه ساخراً
في جمجمته . الطبيعة : اغشى عليك ان تحترق . .
الفيلسوف : ولكن الاحتراق لذيد . الطبيعة : تلك لذة
الوهم والضللال . . الفيلسوف : لذة الفراشة حين تقترب من لهيب
النار . الطبيعة : لانا تجري في ناهوسي .

يشعر الفيلسوف بجفاف في عروقه ، وغليان في دماغه . فيسحق
فؤاده ندم أليم وتطلق علي الرغم منه هذه الحشرات :
وافهاته ليتني ذاك العصفور الطائش ، او ذاك الفنن الغريز .
لقد عاشا في وهم ولكن عاشا في لذة . .

عارف قباسه — دمس

مرك توأين

الفيلسوف المازح

في

فلم امين الغرب

الحادي والعشرين من شهر نيسان الماضي انقضت ٣٣ سنة على وفاة مرك توأين و٥٨

سنة على طبع اول كتاب من تأليفه الممتازة . ومئة وثلاث سنوات على مولده .

فهو قد عاش خمسة وسبعين عاماً . ولم نقل انه امير كي لان الولايات المتحدة التي انجبتته وهبته للعالم اجمع بتفككه جميع الناس بطرفه النادرة وحكمه الباهرة كما وهبت قبله وبعده افراداً كباراً من المحترمين النافعين .

ولا غرو ان يكون العصر الذي عاش مرك توأين فيه موسوماً بطابعه . لان شهرته الذائعة لم تقف بموته بل تزايدت انتشاراً . مع ان الملوك والرؤسا الذين اتوا مثله منذ ثلث قرن اصبحوا الآن نسبياً منسياً .

يستدل على امتياز الكاتب في نظر الجمهور بشكائر الطلاب على كتبه في المكتاب العامة . وتؤكد جرائد الولايات المتحدة ان اكثر الطلاب في جميع المكتاب الكبري والصغرى على كتب مرك توأين ، سواء في ذلك نيويورك وبوسطن وشيكاغو وست لويس . وقد جاء في تقرير مكتبة نيوار . من ولاية نيو جيرسي ان فيها لمرك توأين الفاً وثلاثمئة مجلد تكون غالباً كلها دفعة واحدة بين ايدي المطالعين . وهكذا الحال في سائر المكتاب ، فالجميع يجرون مرك توأين ويقبلون على كتاباته الاخوية لاقصى الحد في ارق المزاوح .

اما الكتب التي وضعت نقداً لمرك توأين وكتاباته فتقرب على ما كتب عن شكسبير . ولذلك يصعب الالام بمخالصة من هذه الاراء المتراكمة . لكن توافت الناس المستمر على مطالعته افضل دليل عليه . فهو محبوب من قرائه جداً وكفاه ذلك مجداً .

في سنة ١٨٨٠ كان مرك توأين في قمة شهرته اذ قال صديق له (دين هاول) احد اعلام الادب الاميريكي : « ان عبارة (كما قال مرك توأين) تتردد على رؤوس جميع اقلام والاسنة » . ولا تزال اطالفة اليوم كما في سنة ١٨٨٠ .

اول مزية لمرك توأين انه يصور في كتاباته الاخوية (كما قال صديق له) (دين هاول) احد اعلام الادب الاميريكي عن احد الابطال في روايات مرك توأين : « ان طام صوير شخص حقيقي في نظري انا على الاقل » تكلم بلسان كل الناس في كل العصور .

كان مرك توأين رجلاً ضحكاً . طرق الموضوعات المتناهية في الجلال والعظمة والاهمية — بوجه طافح بشراً وقاب مقتبط جبراً . وفي اصعب المشاهد التي وضعها ينتهي الزانعة بيد القاري . منغذاً الى الضحك والانبساط . ولعمري ان هذا منتهى البسالة في رجل نشأ فقيراً وظل يعلو الى ان تبوأ مركزاً في اماره الادب بياضه اليوم فيه . مولير الفرنسي وسرفانتس الاسباني وسوبوت وفيلدينج الانكليزيان . ولا ننسى ان ادواق الناس تختلف . فكما حرم اليابان مرة . ولير الفرنسي من دخول بلادها بحجة انها غير لائقة واضحكت العالم الادبي باجمعه من هذا الرأي ، هكذا بقيت بعض المكتاب الاميريكية الى عام ١٩٠٦ ترفض كتب مرك توأين !

وزيداً ما يقال فيه انه فات جميع معاصريه من الكتاب في نزاهة الفكر والقول والعمل . وقصد النزاهة في كتاباته حتى قال « انها

وحدها ترد عن الجلس البشري اللعنة التي يستعها » وقال الزياء والنفاق بكل قواه . واضلح الناس على المتعصبين وبددون ان يعرف اللغة العربية ايد بكل اعماله قول الامام علي بن ابي طالب : « التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه » .

وكان ساحراً يجذب اليه القلوب ويجردها من همومها دون ان ينسى مركزه العالي في نظرها فلا يتنزل الى الصحافة . ومما قاله مرة : « ليس قليلاً ان نستطيع تعزية هذا العالم الحزين : فتعزيته افضل من معاونته على الامور الاخرى »

لكنه عند الطعن كان لطيفاً حتى ليضحك المظومين انفسهم . وكان قوي الحجة ساس التعير حتى ليجرح ويسيل الدم بسدون ان يؤلم . ومع انه ابغض في الاشراق والتبلا . غطرسهم الفارغة ومظاهرهم السخيفة رفعه قومه الى درجة امير في الادب . وخاطبه ولسم دين هاول الشهير مرة بقوله : « لا اقول لك يا ملك عش الى الابد بل اقول لك عش الى ما تشاء » . وكتب عنه صديقه هذا سلسلة

تذكرات شخصية في مجلة هاربرز بعد موته سنة ١٩١٠ .

كان رجب الصدر متساهلاً يحب الناس وإخلائهم جميعاً. وبحث احماضه نتيجي حلالة الثمائل والخلق الرزين والمبدأ السامي والرغبة في الافادة . وكانت مضحكاته على طراز طرف سرفنتس لا تحاو من بطانة حزينة . ونظير وموليير كان في منزله يفتك التصنع والتظاهر بغير الواقع ويغضض المكر والتلون الى درجة الغضب . ونظير سرفنتس وموليير معاً كان دائم الصدق والاخلاص على ما تشهد به بكل صراحة دائرة المعارف البريطانية . وكان مثل كافان احد مؤسسي الشيعة البهوتستانية يكتب كل كتاباته وهو في سريره . وكان ينسك على القنطرة في منزله حقاً في افتراس العصاير المفردة . وقد اعياه اثنائها بالتخلي عن هذا الجور فعلق باعناقها اجراساً صغيرة تنغيز للعصاير من رنينها عند تحنر القنطرة للوتوب . ونقل اليه احد اصحابه مرة ان بعض الجرائد اشاعت خبر موته فضحك وقال : « هذا من بائالت الجرائد وقال مرة عن الجواز عند الاوربيين » ان اشد ما فيه من خطر ان يأخذ المتبارزان برداً . وقال يرثي آدم ابا البشر : « رحماتك عليه انعم بعش ايرى بعض ابنائه بعينه ولعل ذلك خير له » ترجمه حياته ولد مرك توين في فلوريدا - موزوي يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٨٣٥ فاتفق بحبيته الى هذا العالم مع نجم هالي ابني الذنب . ومات عند رجوع هذا الشباب الثاقب بعد ٢٥ عاماً في ٢١ نيسان ١٩١٠ وقد استوفى الانتظار وخلب العقول نظير ذلك المذهب .

وكان اسمه الاصلي صونيل كليمنس . اما لقب « مرك توين » فأتخذه لنفسه اسماً قليماً من عبارة كانت تقول له اثنا عمله بحراً في نهر مسيسيبي اذ كان يسبح غور الماء . في النهر فيقال له « مرك توين » اي (سجل موتين) . كان ابوه تاجرأ عادياً وغادره يتيماً في الثانية عشر من عمره فانقطع فوراً عن الدراسة ليستغل كي يعيش . وعاش في طفولته ابناً البعيد في جنوب الولايات المتحدة واطلع في بيوتهم على مفعول شراسة المتشددين في التسامح المتوحشين . تعلم رصف الحروف وطاف في القري طبعاً صغيراً حتى وصل الى نيويورك . وفي سن ١٧ اعتمد الذهاب الى وادي الامازون في البرازيل للبناء في سبيل الاثراء من تجارة التاراجيل . لكن نهر المسيسيبي استوفقه ثانية فصار رباناً لسفينة صغيرة . وبعد قليل ذهب الى نيفادا حيث كان اخوه نائب الحاكم ويبحث في مجاهلها عن الذهب بالرش والمعل . ومن هناك اخذ بكتابة الجرائد فيقطرب قرواها بمستطرفاته . لكن المضحكات تطوري احواناً على خطر . فعاد احد المؤمنين به الى المبارزة . لكنه فضل على ذلك ان يذهب الى كاليفورنيا حيث وجد ابواب كل الصنف مفتوحة امامه . فأرسلته جريدة من سان فرانسيسكو مع وفد صحافي الى بحرها المتوسط . وكتب رسائل من هناك شهرت اسمه في امريكا وانكلترا . وفي سنة ١٨٦١ في كتاب عنوانه « الاطهار في الخارج » فلقني رواجاً سريعاً . وجعل الولايات المتحدة من اولها الى آخرها تضحك لطائفه وتناقضها في المجالس . ولما كان في البحر المتوسط تعرف الى اسرة لندون الاميركية وفيها صبية حسنة تدعى اوليفيا فخطبها ثلاث مرات قبل ان رضى به زوجاً . وعاشت معه ٣٤ عاماً . فلما توفاه الله سنة ١٩٠٤ رثاها قائلاً بلسان آدم على قبره حوا : « حيث كانت كان الفردوس الارضي » . كان فامراً أُنسج له الفرس فيلتقطها او يهملها بدون انتباه . جاءه « اسكندر غراهام بل » مخترع التليفون مرة برزمة اسهم كبيرة فغناها خمسمئة دولار فوفضاها مع انها في ايامه صارت تساوي خمسة ملايين . وكان خطيباً ساحراً بجر كبراته ونعراته وعذوبة صوته وخصوصاً ببنكاته . دعي مرة للخطابة في حضرة امراء الادب الاميركيين الثلاثة امرسون وهولمز ولونغو في بوسطن مدينة العلم . فأراد مداعبتهم بطرفة مضحكة . لكنهم لم يضحكوا لها بل سكتوا سكوتاً قاسياً فقال « مرك توين » ان هذا السكوت ثقل عليه جداً حتى كان يعادل عدة اطنان على كل انش ربع من جسمه . وكانت تآليقه تتوالى واسمه يزداد انتشاراً واشتهاراً وزار اوربا وكتب عن زيارته كتاباً كله احماض سنة ١٨٨٠ دعا « المتشرد في الخارج » . وحول كتابه السابق بعنوان « العصر المذهب » الى رواية مثلث مثاث من الاموار . واتبع ذلك سنة ١٨٨٢ بكتاب « الامير والصلوك » وبعد سنة نشر كتاب « الحياة في المسيحي » . وبعد ٧ سنوات كتاب « ينكي من كوناتيكت في بلاط الملك ارثر » ثم « المدعي الاميركي » . لكن المطبعة اقلت وتكرت نفقات هذا الكتاب ديوناً ثقيلة عليه فدفعها ضاحكاً . ونشر كتباً كثيرة غيرها منها واحد عن « جان درك » ذكر فيه عذرا . اورليان ينتهي العطف والاجترام . ثم طاف حول الارض لاجل الربيع من خطاب ومحاضرات كان يلقيها بفوز باهر . وجلبت له كتاباته ثروة كبيرة . وبلغ عدد الكتب المستقلة التي ألّفها نيفاً وعشرين كتاباً .

وتوفاه الله في رندنج من ولاية كوناتيكت في ٢١ نيسان ١٩١٠ ومن بناته الاربع لم تمش الى ما بعد موته الا واحدة هي كلارا قريبة جبريلوفتش الروسي الماهر في ضرب البيان (البيان)

رحم الله من خفف هموم الناس واضحكهم في هذا الوادي وادي الدموع .

المعارف الطبيعية عند العرب وأهميتها في العصر الحاضر

بفلم الدكتور محمد عبيد الرباسي

استاذ العلوم في تجهيز حلب

ولكني رغم ذلك فأني أرى ضرورة الاهتمام في معارف السلف
الإيجابية للأمور الآتية :

١ - تقدير قيمة الحضارة العربية حق قدرها لاننا لا يمكننا
معرفة ما أبدعه سلفنا الا بادراك الانتاج العربي في الطبيعيات ،
ولدى التدقيق يتبين لنا ان العلوم هي سلسلة متواصلة يبدأ اولها
بتاريخ البشر ولا تنتهي هذه السلسلة الا بانتهاء العالم . فمعرفة ما
لعبته الامة العربية على المسرح العالمي في الطبيعيات للتعمق في
مجري التاريخ لا بد لنا من ان ندقق في هذا الانتاج .

٢ - ان كثيراً من الاكتشافات عرفت في الحضارة العربية
قبل ان تعرف في اوربا كيفية دوران الدم وتأثيرات الحمض في
المعادن (١) وكيفية تأثير المواد المعصية في الاملاح المعدنية (٢)
وكالدواوي في العقاقير النباتية التي بعثت اليوم الى عالم الطب
من جديد (٣) وبكلمة المادة وخاصة نظرية وحدة العناصر (٤)
وبعض نظريات الجزء الفرد التي سادت عقلية علماء الكلام (٥)

وليس من الانصاف ان نبخس المكتشفين حقوقهم وان
تقدم بهم العهد وبها كان هذا الاكتشاف تأقياً صغيراً . فاذا
قدرنا السلف حق قدرهم استطعنا ان نقدر الخلف حق قدرهم والا
كان هذا المطلاع لا بهر له .

٣ - وكما انه لا طرفة في الطبيعة كذلك لا طرفة في تاريخ
الفكر البشري . فليس هناك من اكتشاف او اختراع نشأ فجأة
بصورة كاملة بل الترتيلا بد ان يحصل حسب قانون التطور بالتدرج .
فهذا التطور التدريجي يسود تاريخ الفكر البشري ، فلا دراك
قيمة هذا الرقي من الضروري متابعة ذلك التطور في جميع مراحله .
حتى اننا لو رأينا الاخفاق رائد علم ما يجب ان لا نبخسه حقه لان
ميدان العلوم كما يقول ناشر كتاب قصص العلماء والمخترعين
« كميديان الحروب » يخر فيه بعض العلماء صرعى الاخفاق ، كما
يتقدم فيه علماء الى الاختراع الذي يشدونه ، وهم في ذلك
يصارعون الصعوبات فيصرعونها بدلا من ان تصرعهم ويثالبسون

اذا اردنا ان نحلل وضعية شبابنا في زماننا الحاضر ،
وجدنا شتى التيارات تتجاذبهم ، فمن متغال في حب
القديم لا يعبأ بالتطورات الحديثة ولتطلبات الزمن الذي نعيش فيه ،
ومن ضارب بمول التهديم لكل شئ . يت الى السلف كان هناك
لا يوجد قيم جوهرية لا يقضى عليها كرا الايام والعصور . هذه
هي روحية كثيرين منا ، وقلما نجد شخصاً معتدلا في تزعتة يود
مجاراة الزمن وفي الوقت نفسه يبذل جهده لاكتساب ما خلفه
الاجداد من التراث القيم . فالقو يسود اكثرتنا ، والشباب الذي لم
ينضج بعد ، تتقاذفه شتى الالهواء الى ان يجري في تيار من التيارات
القوية التي لا قبل له في الكفاح ضدها واطناً شخصيته وجميع
مواهبه الذاتية .

نحن نحري وراء العواطف ، وقلما نسمي باثرنا نفسي ان
نحلل القضايا على ضوء الحقيقة متبين عن آثار الاقدارين ، نعم ما
يصلح وما لا يصلح . وبذلك نحول وجهتنا من الجدل الفارغ الى
الدراسة الجدية المشورة . لان الدراسة الجدية وحدها هي التي تعلمنا
الى اي حد تقدر ان نفتحن اثر الاجداد واي شئ . من التراث يلزم
اهماله لانه لا قيمة له ولا شأن له اليوم . وفي زعمي ان اهم موضوع
طريف يجب التقيب عنه ، هو علوم الاوائل الإيجابية او المعارف
الطبيعية التي قل من اهتم بها من افراد امتنا العربية . والسبب في
قلة الاهتمام ، هو ان من يعتني بالآداب العربية القديمة لاتعنيه المعارف
الطبيعية ، ومن وقف اوقاته لكشف سر الابداع الادبي القديم لا
يعبأ بالعلوم الواقعية . وامل الجميع متفقون على ان هذه المعارف القديمة
لا شأن لها اليوم ولا تنفعنا في وقتنا الحاضر شيئاً . لان تلك العلوم
البائدة قضى عليها كرا العداة ومر العشي . واذا قارنا بين علوم
الاولائل وعلوم الصريرين الحديثة لوجدنا المسافة شاسعة يكاد لا
يصدها العقل . نعم ان الشقصة بعيدة وبعيدة جداً بين تدقيقات
السلف واختراعات واكتشافات رجال الغرب الهانسة التي نفتق
ازاءها نحن الشرقيين محتارين متعجبين من ذلك الابداع والابتكار

العقبات فيتعابون عليها بدلا من ان تقلبهم (٦) وفي الاخفاق نفسه فائدة . ففي اخفاق المتقدم عمدة للتأخر وتقصير الطريق لاكتشاف اسرار الطبيعة .

٤ - ان العصر الحاضر معها كان براقاً في الطبيعيات ، فلا يزال البحث في بعض المواضيع بكمراً فقد اصدر في الوقت الحاضر السيد حسن عبد السلام مفتش الكيمياء بوزارة المعارف في مصر كتاباً عنوانه ذخيرة العطار او تذكرة داود في ضوء العلم الحديث (٧) ذكر هذا الكيمياء في المصري انه عندما كان صبياً كان يعرف الشيء الكثير عن العطارة والعطارين لاتصاله بهم . ولما دارت الايام دورتها وذهب لدراسة الكيمياء في احدى الجاهات بانكلترا كان استاذ الكيمياء الطوية عالماً روسياً يقوم بالبحاث خاصة في الكيمياء من الاعشاب التي استخرجها من جزر الهند الشرقية ، فطلب من الكيمياء في المصري ان يأتي ببعض الكتب عن العطارات المصرية لانه في اعتقاده ان هذه الكتب لا تزال لها اهمية حتى يومنا هذا ، وفيها كما يقول العالم المصري نفسه تراث عظيم وتكون ثمينة من مؤلفات اجدادنا العرب تخرج بذخيرة من المعلومات وهذه الوثائق كان منها ما هو خطأ او مشكوك فيه ، فلما قبلها ما يستحق الطبع والنشر . وفيها مجال للزيادة والتجديد .

ثم لا ننسى ان هناك مناجم عديدة لبعض المعادن اصبحت نسبياً منسياً بعثت الى الوجود ثانية اعتماداً على هذه الوثائق (٨) فلا يبعد ان يكون هناك مناجم لم يصل اليها المنقبون بعد .

٥ - هناك ايضاً صناعات قديمة ربما احتيج اليها في ظروف خاصة وسأضرب على سبيل المثال حادثة جرت معي . سألني بعض الطلاب في وقتنا الحاضر عن المواد الاولية الضرورية لصناعة الخرف ففضلت لهم ذلك - ولما تعذر عليهم استحضار فلونور الكلس اللازم لتعكير الطلاء اتوني ثانية يطلبون اللون . فكرت في الامر ملياً بيني وبين نفسي واخيراً خطرت على بالي قضية فتحت لؤلؤا الطلاب المحدثين طريقاً جديداً . تبين لي ان هذه الصنعة هي من ايجاد الصينيين وان العرب تعلموها منهم . ودونها في كتبهم وقد كانوا استعاضوا عن الفلونور بمادة ثانية . وهكذا من مطالعة كتب الاوائل توقفت الى معرفة ما يمكن الاستعاضة عنها وهديتهم

لما كانوا يروجونه . نعم لم يتوقفوا في الصنعة الى الذروة بل خطوا بها الخطوة الاولى . واول الغيث قطره ينسكب . فلم لم يكن عندي المام بتاريخ الصنعة نفسها لما تمكنت من اسماهم ابداً .

٦ - شاهد تياراً خاصاً في العهد القديم وفي القرون الوسطى في البحث في الطبيعة ، ذلك التيار هو البحث بالفكر والعاطفة ، اما في العصر الحاضر فلا يود الباحثون الولوج في سر الطبيعة الا عن طريق ظاهري الحواس والمحكمة . ان هذه الطريقة افادت من ناحية واضرت من ناحية اخرى . افادت في تجريد البحث ، وجعله على قدر الامكان خالداً قاعاً . ولكنها اضرت في تعويد الانسان على القسوة . نعم لقد حصلنا على علم غزير ولكن بهذا المنهج القاسي اضاع الانسان نفسه في تجريد العاطفة عن الفكر في اكتشاف اسرار الطبيعة . نعم قد اضاع نفسه ، فوغمنا عن كل ما عمل المعلم ليدرك الانسان ظاهره وباطنه فهو لا يريد ان يرى فيه الا كما يرى في الآلة الميكانيكية التي تطبق عليها قوانين المادة الظاهرية ولعل كثيراً من القساوت الشريرة ووطأ الانسان لاجنه الانسان بدون رحمة ولا شفقة . ان تجريد النفس البشرية من العاطفة .

ان قدر ان استفيد من التبعات العلمية ما يذهب العاطفة ، في الضرورية في الحساب واعادة شي . من الشعور حتى في تدقيق الطبيعة .

٧ - يظهر لكثيرين منا ان العلوم الطبيعية هي من احتكارات الغرب . وان الابتكار من خصائصه فقط . فاذا علمنا ان سلفنا لعب فيها دوره ، فلماذا تعود لنا الثقة . وهذه الثقة نحننا على العمل في سبيل البحث .

٨ - واخيراً فانا لا ننسى الاهمية اللغوية فكثير من الاصطلاحات موجودة في كتب السلف . حتى اذا لم يكن هناك كلمات قديمة فانا نستطيع على قاعدة الاشتقاق ايجاد كلمات جديدة . ولا يخفى ما للقضية اللغوية من الاهمية العظيمة ونحن بعد لم نحل هذه المشكلة ولا تزال ترتبك في ايجاد لغة علمية تناسب حضارتنا وتتدرج مع افئسا وتسهل تعميم الثقافة باحتياز العقبة السكاداء بين القديم والحديث ولا يكون ذلك الا بالوقوف على العلوم العصرية حق الوقوف ودراسة ما كان يعرفه السلف (٩)

نفخه قديماً الاسكندر الكبير . ولقد برهن السوري واللبناني في جميع عصور التاريخ على قابليته في مجاراة الأمم الناهضة ولكن الاهمال وعدم التشجيع يشبط الهمم ويقتل النشاط ، فحبذا لو اقتلت حكوماتنا بصر معيدة بذلك الامل الى النفوس .

محمد مجي الراسمي - حلب

اتنا اذا تمكنا من حل هذه العقدة نكون قد هبنا
الخطوة الاولى للسير في مضمار الوعي الحديث والافانغيش على هامش الحياة الى الابد .

ان حكومة مصر تسمى جهدها للاخذ بيد العلماء . وقبلاً
في وسعها في ترقية السوية الثقافية . ولقد قام ملكها فاروق الاول في تأسيس جامعة الاسكندرية . معيداً مجد تلك المدينة العلمي الذي

(١) من المعلوم ان العرب عرفوا أكثر الحفوس المدنية وتأثيرها في المعادن وزيادة الايضاح راجع محفوظات جابر بن حيان المحفوظة في المكتبة التيمورية في القاهرة ومخطوطه سر الاسرار للرازي الموجودة في أكثر العواصم الغربية .

(٢) ينسب اكتشاف استخراج الحديد من قشر البلوط والاملاح الحديدية للطبيب الاندلسي ابي المنصور الذي عاش في القرن العاشر للميلاد كما ذكر ذلك الدكتور ترير Trier في كتاب له «الكيمياء والصباغة» الذي يقول في مقدمته المخررة عام ١٩٣٤ ان الصباغة - هلمها اهل اوربا من الشرقيين

(٣) يوجد اليوم في الغرب تيار قوي للعودة الى العقائير الشعبية الثابتة الفائدة التي ترجى منها .

(٤) انظر رسالتي الصغيرة الخاصة للمدارس الثانوية عن مقدمة الكيمياء - حلب ١٩٣٤ ص ٥

(٥) كان لنظرية الجزء الفرد تأثير عظيم في علوم الفيزياء والكيمياء الحديثة وقد ساهم فيها مفكرو العرب ، وزيادة للايضاح راجع تاريخ الفلسفة في الاسلام للاستاذ دي بور الهولندي ترجمة ابو زيد ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٩٧ ، ملحقه (٦)

(٦) قصص العلماء والمخترعين ، محمد عاطف البرقوقي ج ١ ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ١٠٤

(٧) القاهرة ١٩٤٣ ص ٧٠ و٧١ بعدها .

(٨) في القرن الثامن عشر جهز نابوليون الاول بعثة علمية لاكتشاف مناجم الزمرد في مصر العليا ، وقد وجدوا أيضاً مناجم في جوار الاسكندرية كما ذكر التنفائي المتوفى في القرن الثالث عشر للميلاد في شال افريقيا ذكر ذلك اوسكار شتايدر في رسالة عنوانها زمرد مصر ، نشرت في مجلة اتولوجيا عام ١٨٧٩ ص ٤١ - ٣٣ ومجدتاً ايضاً البيروني الذي طبع كتابه في حيدر آباد ١٣٥٥ هـ بوجود النهر في منابع نهر السند ، لا اعراف مصدراً عصبياً لذلك ولكن جلب هذا الخبر دقة نظر الباحثين ولا يخفى ما لكتاب صفة جزيرة العرب للهمداني طبع اوروباً ذلك المؤلف الذي توفي في سجن صماء سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥) من الامهية في التنقيب عن كنوز البين المعدنية .

(٩) يقوم المجمع القومي للكتاب في مصر والمجمع العلمي العربي في دمشق بمل هذه القضية ولكن من غير جدوى فما لا يقوم ان ينشر هذه الكتب بصورة عملية فاذا لم يعمل هذا العمل التيموري فبعت كل مجهود في هذا السبيل . ولقد بينت اهمية هذه المصادر في مناسبات عديدة وذلك في عدة مقالات نشرتها في مصر وسوريا والعراق . واخيراً تمت تحرير مقال عن الماوم الطبيعية عند العرب وموقفها من المصادر اليونانية نشرتها مجلة الحديث في حلب تباعاً ابتداء من شهر كانون الثاني ينت فيه ما هو للفتنر والمبتكر جهد طاقتي وحسب المصادر التي هي في متناول يدي .

صلاة

هزني صاحبي ، وقال : أفق . فالصبحُ نديانُ ، ناعمُ ، يتفتحُ
 قم تفرج . لعل هذا الرواء النضر يوحى اليك شعراً فتصدق
 فتشابتُ ، والسكرى في جفوني . وتناهضتُ نحوه اترجح
 فاذا الصبح ، في غلاته الزرقاء ، ساج . ينهل طيباً ويلمح
 رف وانسل من براعمه الخضر ، طرياً مهيف الخطو أفيح
 بين هديبه من عطور الليالي ، حلُم هزه الضحى فتفتح .
 طار ملء الآفاق . في فمه الليل ، ذبج على الوهاد بجرح
 فاستهأت له الرياض . ومهد الورد خديه للجب ، ولوح
 واستفاقت سمر الظلال ، فلفته بأهدابها ، فاغفى وصوح
 طلع الصبح ، قال لها : مدي عينيكَ ، عطر ماني ، ونور مجنح
 عرس الشفق ، في قلبك ، في قلبك ، في قلبك ، فترنج
 نفضت كفه على الأرض الواناً عذاباً ، من سرّة الشرق ، تنزع
 وكان السماء شقت عراها ، واستطارت في دفر الشمس تسبح
 وعلى الأرض نفحة من لهاث الأرض ، هبت ، تندى عبراً وتنضج
 غسلت غرة الصباح ومالت بالروابي ، ترْفُهْن ، وتفسح
 والطيور استقلت الجو اسراباً ، وراحت تدغدغ الجو ، صدح
 مشهد يعقل اللسان . وذنبا ترسل النفس في الفضاء فتسرح
 لذّة كالنسيم ، ناعمة ، بيضاء ، تنساب في الصدور فتسرح
 قلت يا صبح مرحباً . وسألت الشعر ، ماذا ترى ؟ فصلي ، وسبح
 وصفي فرنقلي — مهن

بيروت والبير ونيوه

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

قلم نقيب طباره

الفصل الثالث

المجلس الصحي - اماله - الحراسة - الطب والتطبيب - معالجات غربية

في عصر ابراهيم باشا انشا مساهم بيروت مجلساً صحياً كان من اعماله بناء المحجر الصحي القائم في عملة الكرنيتينا فوقى به المدينة وصانها من الكوليرا وسواها من الابدوة التي كانت تنتشر عاماً بعد عام فتفتك بالوفى السكون . وفي ذلك الحين اعني في سنة ثمانية اعوام من حكم الامير محمود نامي بك باسم عزيز مصر رصفت الازقة بالحجارة واصاح جسر بيروت وادخل نظام الرش والكنس ونظام العس بالليل والحراسة فيسجون قوانين هذه الانظمة اجار الاهلين بكس الاوصاف من اسقام الامراض وكان دكاكينهم واكواه اصحاب البيوت على تسوية المحاري . وكان نظام الحراسة يشبه من بعض الوجوه النظام المتبع في القاهرة ومن مقتضياته ان يحمل السالكون في الطرقات ليلاً فوانيس ولو في ليلة مقمرة ويوجه اخفراء النداء الى كل من نظروه من ابنا السبل ويقولون : من هذا ؟ فيجيب السائر : ابن البلد فيصبح الخفير : وحد الله او وحد فقط فيقول المسيحي : لا اله الا الله . ويجيب المسلم : لا اله الا الله محمد رسول الله .

وكان الضرب عقاباً لمن يلقاه الحارس بلا فانوس . وقلما كان يرى سائر بعد ساعتين او ثلاث من الغروب .

ولم يكن يومئذ في بيروت سوى طبييين اجنبيين هما (فانديك) و (بطرس لوردا) .

وكان الثاني قنصل النمساوغرندوقيه توسكانا في المدينة وهو اول من ادخل فن القاق (التطعيم) ضد الجدري الى لبنان على طريقة مكتشفه الطبيب الانكليزي جفر وذلك انه حمل القاق في سنة ١٨١٠ الى الامير بشير فجز به بعض خاصته اولاً وارساه الى

(برجا) ليخالطوا المجدورين هناك فلما تحقق نجاحهم من العدوى تلقح هو واهل بيته وكان الدكتور يوسف برتران الملقح .

وكانت بيروت خالية من الصيدليات والملاحي . والمستشفيات وانما كانت صحنو المساجد والكنائس مأوى للفقراء والمنقطعين الى الله واصحاب العاهات والمسنين يعيشون من صدقات المحسنين . وكان اطباؤون صيادلة ذلك الزمن لما كانوا يبيعون من العقاقير .

وكان اهل بيروت يعتقدون ان الطب تجربة واختبار وتلك قالوا في اصطلاح العامة (اسأل مجرب ولا تسأل حكيم) وكان الحجابون يقصدون التوضي في فصل الربيع ويستعملون الحرقاات في معالجة الامراض . وينوب الحلاقون مناب اطباء الاسنان فيقلعون الاضراس بكلايب حديد ويبيعون دود العلق ويقومون بعمليات السكي والختان . ويتماطى بعض المعاجز وصف الادوية من الاعشاب . وكان بعض الدراويش يطوفون المدينة بالعقاقير ويكثبون الاعجبة والتعاويد للصابين تيمناً بزوال الالم . وكان اذا الم باجدهم صداد يحيشون بدرويش فيمر يده على رأس المصاب ثم يتشم في سره بعض الادعية واهمين ان في ذلك زوال الالم وحصول البركة .

ومن غريب معالجاتهم كي الرأس لازالة الصداع والبشور التي تظهر في الوجه ويستعملون التمسيد لسفا . وجع المعدة ويجرعون المصدور ابن اتان ويستخرجون السم من لدغة عقرب او افعى بجحر السم في خواتهم ويستشيرون بذلك الحساوي الذي يربط احبه ويشفي من لدغته . وكان بعض المحسنين يركبون العقاقير الطبية ويوزعونها صدقة . ولتقدير ما كان يستحوذ على عقول الاهالي من خرافات العاقله في الاذهان في صناعة الطب والتطبيب اکتني بذكر بعض الامثلة وهي قليل من كثير مما

كان قد رسخ في عقول ذلك العصر من الاوهام . ومن ذلك انهم يدلكون ظهر المومع بزيت قنديل من المساجد أو الكنائس وينفون الحشايش الثابتة على جدران المعابد وزعمون ان من شربها لا تصيبه عاهة مرض . وكانوا يذهبون الى اضرحة بعض الاقباس (المزارات) ويندرون النذور كالزيت والشع والبخور ويأتون اليها بالخلي او بالنقد فتتفق في مصالح المزار وعلى خدامه وكذلك عاداتهم ان يبطحوا المريض على ارض المزار ويستعينوا بمجدة يدحرجونها مرات على ظهره وبذلك كانوا يعاجون داء المفاصل . وقد يتركون بعض الامراض بدون علاج كالنعالج ويقولون (فالج لا تعالج) وكان القالب على اهل بيروت وقتئذ رجالاتنا . الامراض الجلدية وكان المصابون بها يستشفون بالمحامات العمومية ويردونهم من الضواحي ويدهنون اجسامهم بالادوية الكبريتية الرائحة . ومن غريب عادة الامهات ان يملن اطفالهن ويقصدن لدار كان يقطنها شيخ صالح من آل المحذوب وهذه الدار كانت معظمة عندهم يأتون اليها غداً وعشياً فيقبلون عتبة تهرأ رجا . ان عين الله على اطفالنا بالشفاء من مرض الهقمة . وهذه العادة لا تخار من الايمان وتطبق على مأثور قولهم (آوون بالحجر تهرأ) . وقد ذكر لي من اعتمدته من العارفين بخباير السابقين انه لما باع قلة المحذوب دارهم في المدينة ظلت عتبة الدار وقفاً وعدت يومئذ من المنافع العامة . . . ومن طريف العلاجات انهم كانوا يستعملون قشر البصل وخيوط الزيتلا كضمادات يضعونها على الجرح او الدمل بعد بلها بالزيت . وكان اذا ظهرت على جفن احدهم بثرة يشد من فون الحلي فيعبراً ولذلك سموها (الشعاذ) واشترطوا ان يطعم ما يشد على كلب اسود . ومن ذلك ايضا انهم كانوا يسقون المذعور بول انسان ايزول ما به ويمتد ملزاجه ويداوون (الحازوقة) باغضاب المصاب بها كأن يقال له : سرقت . سرقت مما يوغر صدره ويعالجون (الوتاب) بالقبض على عرق بين الكتفين . وكانوا يجرقون شعر كلب ويضمونه على جرح من عقره كلب ويساهرون من عضه كلب سبعه ليال او اربعين ليلة وفي فجر الاربعين يذهبون به الى البحر وهناك يترقبون الشمس حتى اذا اشرقت دفعوه فجأة الى الماء . وما ان من عادة المبثلي بهذا الداء ان ترتعد نفسه لمنظر المياه كانوا يعتقدون ان الرعدة التي

تحصل له آتئذ مما يبعث به على الشفاء . وكانت اصابات الكلب فاشية في الاهلين وذلك لكثرة الكلاب المنتشرة في المدينة . ومن طريف ما رواه هنري غويس قنصل فرنسا يومئذ في كتابه (بيروت ولبان) ان غريباً قدم بيروت فخرج يطوف الازقة ممتطياً صهوة حصانه فازعجه سرب من الكلاب كانت تنبح وتقرض سبيله فلقي ضابط البلد فقال له في استكراه : ما اكثر الكلاب في هذا البلد . فقال الضابط على الفور : نعم الكلاب كثيرة في بيروت ولكن اكثرها غريب . . .

والخلاصة ان الجهل الذي كان مستولياً على عقول الناس في ذلك الزمن وذبوع الامراض المعدية وغير المعدية مما اهاب ابراهيم باشا والامير بشير على ايقاد اول بعثة من اهل البلاد الى مصر لتعلم الطب في (القصر العيني) . وكان ذلك خير فاتحة لما حدث فيما بعد من اقبال اخواننا على هذه المينة ونبرغ اطباء اكفاء بيننا امدوا الطب بشعير الوقائي والعلاجي بضروب مختلفة من التحسين والتهديب .

الفصل الرابع

المكتبة - المكتبات - التعليم - المحاسبة - المدارس
الاراساليات الدينية

لم يكن في بيروت في العصر الذي اكتب عنه مكتبة عمومية واذا كان لكل جامع ولكل دير خزانة كتب دينية مما يحتاج اليه رجال الدين في مطالعاتهم . وكان جمهور الشعب غارقاً في الامية يوجه همه الى التجارة والصناعة فيزاولها على اساليبها التقليدية فيخلف الولد اباه او عمه في مهنته وينهج نهجه فيها دون زيادة ولا نقصان . وكان الصبيان يتلقون عن ابايهم فرائض الوضوء والصلاة وغير ذلك من الواجبات الدينية اما البنات فكانت - بحسنة البيت مع امها تتلقى عنها اعمال المنزل كالطهي والغسل والكنس وتندرب على الامومة مشتركة في حمل الاطفال من اخوانها واخواتها ورعاية الصغار وخدمة الكبار وقد تتعلم بعض البنات الحياطة والتطريز ويعهد الى (معلصة) تعلمن تلك الاشغال اليدوية في منازلهن .

يقصد للجامع الاموي في دمشق واللازهر في القاهرة . ومنهم من كان يتلقى النحر او الحديث على بعض النحاة او الفقهاء اما ابناء الطوائف الاخرى فكانت كتاباتهم قائمة في اديار الرهبان وبجانب الكنائس ولا تختلف عن الاولى في شؤونها وكان كل سكان معلماً وكثيراً ما كانت الاسر البيرونية الغنية ترسل ابناءها الى مدارس الجبل وفي قرى الجبل يومئذ مدرسة (عين ورقة) يدرس فيها الخوري ارسانيوس الفاخوري ، ومدرسة (مشموشة) يدرس فيها الشيخ ابراهيم الاحدب . ومدرسة (عين طورا) للعاذرين ومدرسة (عيبه) للهيوتستانت برأسها المستشرق الدكتور فان ديك ويدرس فيها المعلم بطرس البستاني ومدرسة (غزير) للاباء اليسوعيين وقد دفع المخطاط مستوى التعليم في المدينة البعثات الاجنبية الدينية على اختلاف مذاهبها فاحدثت من الجبل واستقرت في بيروت فكن اول ما سكن الرهبان للعاذرين في شرق ساحة الشهداء وقطن الهيوتستانت قرب باب يعقوب واقتنى الرهبان اليسوعيون ملكاً في حي الصيغي المعروف وبنا فيه ديراً لهم ومدرسة للاحداث ولا يزال يرى بعض اثاره ويعرف في وقتنا باسمه في تلك الحقبة

وبفضل وجود البعثات اللاتينية من جانب والهيوتستانتية من آخر تعددت المدارس واتسع نطاق التعليم وكان ذلك توطئة لانشاء الماهد التعليمية المختلفة فيما بعد وعاملاً قفالا في محور الامية وبعث الحركة العلمية التي نرى اثرها باديأ في هذه البلاد

نفس طباره

قريباً

كتاب جديد في منشورات الاديب

« الواحة »

مجموعة شعر

لصالح الاسير

ولم يكن للمسلمين ولا لغير المسلمين في بيروت سوى بعض كتابات مخصوصة بالبنين . والكتاب حجرة صغيرة واقعة في الزقاق يزدحم فيها الاحداث ضحى الى العصر على حصر بمزة يجلسون فيها متربعين ويكتبون دروسهم على الواح حجرية سوداء ويقرأون جزءاً من القرآن الكريم او ينشدونه بصوت واحد عال هازين رؤوسهم واجسامهم هزاً الى الامام والى الخلف ويتبع اغلب قراء القرآن هذه العادة ظناً انها تساعد التذكر . والمعلم الذي اصطلاحوا على تسميته (بالشيخ) او (الملا) يتلو عليهم في صوت جهوري . با . واو . يو . يا . الف - با . يا . يا . في . ويردد الاطفال هذه المقاطع في تنميم وترنيم حتى اذا اتقنوا هذا المران اللفظي تدرجوا على الانجيدية وعلى قواعد الحساب الاربعة وعلى قراءة اسماء الله الحسنى وبعد ذلك يحفظ التلميذ الفاتحة فيكررها حتى يعيدها تماماً ثم يأخذ يحفظ السور الاخرى وعند ما يتم قراءة القرآن من اوله الى اخره تردد الالسنه ان الولد النجيب والطالب اللبيب فلان بن فلان حتم القرآن اشارة الى انه قضى مدة الدراسة واستوفى علم الزمان ...

وكان اغلب معلمي الكتابات لا تعتمد على مساهمهم بعض الاناشيد والادعية وقراءة القرآن الكريم . وكان الضرب بالفاق والبطشة عقاباً للتلاميذ المذنبين وكانت عادة الملا ان يجلس في صدر الكتاب ويحمل بيده عصا طويلة يهش بها على الاحداث ويختمهم على هواظية الدرس كلما رأى احدهم يتكاثب ، او يتعاس او يتلهى باي هو كان . وكان الاحداث يجابون معهم طامهم في ارغفة ملفوفة بتناذيل ويتشدون في الكتاب وعند العصر يقبلون يد الملا واحداً واحداً وينصرفون .

كذلك كان التعلم في الكتابات مقصوراً على حفظ واستظهار بعض القراءات الدينية وقليل من الحساب للحاجة اليها في مواقيت الصلاة والمعاملات وكانت كتابات المسلمين بعضها ملصقة بالمساجد يديرها معلم يتقاضى مرتبه من الوقف والبعض الاخر يعلم لقاء اجرة معلومة يقبضها من اولياء الاطفال كل خميس وتسمى (الخميسية) وكان من يطيب له ان يأخذ يحفظ من اللغة والعلوم الدينية

وراء الجدار

ما وراء الجدار ، كيف كنا
وجهك العنبري وجهي على العمر
فاذا تغمضين عيناً فعيبي
تتملي اذني الهدوء وتشدو
ما الذي تضررين ، اي رياح
خفق العرق بالدماء وثأت
وانا مطلب غريب الاسارير
ارقب البث ههنا من شفاء
بان لي وجهها وراء الجدار
وانقضى دوننا المزعج وألوى
تستجيبين للنداء ، اراك اليوم
أمسك المستفيق ، يلهو بقلبينا
ام تغضين دمية من دمي الهندوس
تنهل الظهر من عروق الافاعي
قربتها يد القساة نذورا

مين وبني لآقاء دنيا انتظار
توازي في المخدع المتوازي
في التفات الى شقوق الجدار
غصة الوجد في الحديث المعار
تتولى هواك ، اي انهيار
رغبة منك في السواد المدايري
هويت الحريف في آذاري
ترسل البوح في الضمير المعاري
ما الذي قلته فكان نهاري
سحر حلم كنفة في قرار
في حيرة وحر احتضار
فتندي المني حراراً عواري
مات على لهيب النار
وتريق السموم في اسجاري
خضبت بالجراح قدس المزار

*

ما وراء الجدار انت انتظار
مترف الدف ، اروع الاسرار

صلاح الاسير

التوقيعات في الادب العربي

بضم بروج عثمان
ليسانسيه بامتياز في الاداب من جامعة فؤاد الاول

التوقيع هو تلك الكلمات الموجزة التي يكتبها خليفة او وزير أو رئيس ديوان ، في شأن من شؤون الدولة . وكانت تكتب عادة في آخر الكتب الواردة من الولايات ، فييدي الموقع رأيه في الكتاب ، ويؤري عليه حكمه ، سواء كان ذلك الحكم انصافاً لمظلوم من حيث وقع عليه او تحقيقاً لرغبة صاحب الكتاب ، او رفضاً لطلب طلبه . فالتوقيع اذن دلالة على ان الرسالة قولت من ناحية ، وجواب وجوز عليها من ناحية اخرى .

عني الخلفاء والوزراء ، والولاة بالتوقيع عناية شديدة وكلف بعضهم به اشد الكلف ، حتى اصبح في حين من الدهر فناً من فنون الانشاء يتبارى في اجادته الخلفاء والوزراء ، ويترقب المتشوقون صدورهم من الذين برعوا فيه ، وكانوا يبذلون قدراً من الدراهم في سبيل التوقيع الواحد .

وليس التوقيع بدءاً في الادب العربي بل تروي كتب الادب الشيعي . الكثير من توقيعات اردشير وكسرى وغيرهما من ملوك الفرس . ولم ينتج للتوقيع شأن عظيم في التاريخ الا في العرب كما اتبع للحكم والامثال والوصايا ، فلم يدرس دراسة اسلوبية بل اعمل اهمالاً لعله يرجع الى ان التوقيع كان عملاً رسمياً من اعمال الدولة ، فيه جو المنصب وتفكير الموظفين . . . ولكن التوقيع مع هذا ، او من اجل هذا ، فن من فنون الكتابة يمثل ناحية خاصة من نواحي الانشاء ، ووجهاً من وجوه التفكير . . .

يروي التاريخ العربي ، ان اول توقيع عرف ، كان لعمر بن الخطاب ، فقد كتب الى سعد بن ابي وقاص يحثه في بيان : « ابن ما يكنك من المهاجر واذى المطر » . وقع كنفك لعمر بن العاص « من امرتك كتابك ان يكون لك اميرك » . واشتهر التوقيع بعد ذلك بين الخلفاء الراشدين والامويين ، والباسط من اثار الخلفاء التي احدثت في اواخر القرن الاول اقتضت التغفيم ، والاتساع في تجويده ، فان كثرة الاعمال من ناحية ثانية ادعى الخلفاء والممالئ ان يقولوا في الياجاز في ردودهم ، او فيما يبدونه من آراء عن ما يقدم لهم من ظلمات او مطالب ، وهم مضطرون اذا ما وقعوا ان يجيبوا على الكلام الذي قرأوا ، وهم مضطرون ان يتخلصوا من بعض الطلبات التي ترفع اليهم ، بالأن من التخلص قد تكون طريفة احياناً ، فهذا علي ابن ابي طالب يوقع في كتاب سلمان الفارسي عندما سأله كيف يجاسب الناس يوم القيامة ؟ يوقع « يجاسبون كما يرزقون » ، وهذا ابو جعفر المنصور لا يريد ان يدفع شيئاً لهذا الرجل الذي يشكو الفقر ويطلب المساعدة فوقع « سل الله من رزقه » وكذلك وقع في قصة رجل سأله ان يبي له منزلاً بقربة لان مصلاه بعيد عن مسكنه ، فقال : « ذلك اعظم ثوابك » .

واذا كان الموقع يحاول في مثل هذه التوقيعات ان يتهرب من كتابة الجواب كتابه واضحة لا لب فيها ولا دوران ، فان بعض التوقيعات كانت توجه الى الموقع اليه توجيهاً عنيفاً قاسياً ، فنتهمه مرة وتأمرة مرة اخرى ، وتهدهه في كليهما جميعاً . . .

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان ينحدر بقوة ابن الاشعث ، وعظم جيشه ، فوقع له عبد الملك : « بضعفك قوي » وكانت هذه الكلمة الموجزة ، خيراً من كتاب طويل مفصل ، واقوي من مجموعة من الاتهامات تصب في رسالة من الرسائل .

واذا اراد زياد ان يوقع الى صاحب خراسان في امر خالفه فيه ، لم يجد خيراً من هذا التوقيع بما فيه من قوة وشدة وعنف . قال : استر بعض دينك ببعض والا ذهب كله . . .

ومثله توقيع يزيد بن الوليد الى مروان ، الذي كان مترددأ في مبايعته للخليفة : « اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى ، فاذا جاك كتابي هذا فاقمده على ايها شئت . . . »

على ان هذا الياجاز المعجز الذي كان ملاك التوقيع في العصر الاسلامي الاول لم يستطع ان يعيش طويلاً في ظل العصر العباسي ، فقد تبدلت الوان الحياة ، وتمعدت مراقبها ، وطراً على الامة العربية شعوب لم تستطع ان تتذوق حلالة الياجاز التي تذوقها العرب ، ووجدوا

شيئاً من المنا. في فهم هذه الجوامع من الكلم المختصرة ، ثم كانت لهذه الشعوب من نحو آخر ثقافات خاصة ومناهج في الكتابة مختلفة فلم يأفوا الإيجاز ولم يودعوا على الاختصار . ومرت فترة كان فيها بعض كتاب اللغة العربية من هؤلاء الدخلاء. فأثروا في الكتابة العربية تأثيراً بعيداً وحل التطويل والأسباب رويداً رويداً محل الإيجاز والاجال .

وقد اتخذ التطور في التوقيع اشكالا متعددة لعل أهمها انه كان نوعاً من الاستشهاد والاعتباس وانه كان صناعة انيقة ليس فيها شيء من قوة الارتجال ولا اثر من اندفاع البدئية بل اجهاد فكري واعداد جل ، وتدييج كلمات ..

وقع السفاح في قصة عامل ظلم الناس بأية من القرآن الكريم هي : « وما كنت متخذ المضلين عضداً » ووقع المنصور لعامل ظلم الناس أيضاً بأية « لا ينال عهدي الظالمين » ووقع المنصور أيضاً لأهل الكوفة عند ما شكروا اليه عاملهم « كما تكونون يؤمر عليكم »

وراجت طريقة الاعتباس من القرآن والاستشهاد بأياته في توقيعات الخلفاء. رواجاً عظيماً حتى أصبحت بعض الآيات تتردد دائماً في توقيعات خاصة كهذه الآيات التي سرناها . وبديهي ان البراعة ليست في جمال معنى الآية او حكمة البالغة وانما في القدرة على الاختيار وفي مدى التوفيق الذي يصيبه الموقع في ايجاد قوة العلاقة بين الآية المستشهد بها وبين موضوع الكتاب نفسه .

والى جانب هذا الاستشهاد حاول بعض الموقعين ان يأتوا بالتوقيع الموجز والمعمن في الإيجاز أحياناً ولكن هذا الإيجاز المصنوع والتأني المتكلف لم يكن في شيء . كما يجاز التوقيعات الاموية شدة وارسالا : فقد وقع الفضل بن سهل الى صاحب الشرطة : « ترفق توق » وقال عمرو بن مسعدة : كتبت الى عامل كتاباً اطلته ، فاخذه المأمون من بين يدي وكتب : « كثر شاكوكك وقل شاكوكك فاما اعتدت واما اعتزلت ... »

حاول المأمون ان يقول كلاماً قليلاً نافعاً ، وموجزاً مؤثراً ، فاقل واوجز ولكنه اضطر ان يتكلف ويتأني ...

وقد اتبع للاصاحب بن عباد بعد ما ان تكون توقيعاته موجزة بعض الشيء . ولكننا لم تكن تجل أحياناً من بعض التأني ، وبما يروى له انه كتب اليه شخص رقة سرق فيها كثيراً من تماديه وجهه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردت اليها » ووقع في قصة استنصهها « افسح هذا ام اتم لا تبصرون » ...

ويلاحظ من ان هذه التوقيعات كانت قصداً أكثر مما تصادف عن الخلفاء . فقد نخل بعض الملوك روحه وجو طلق بعيد عن جو الحكم والسلطان ، جا. التوقيع بعد ذلك جلاً طويلاً رويها كثيراً . فكتب الخليفة بن اسمعيل الى ابن عبد الملك يتهدده بالخلع فلم يزد سليمان في توقيع عن ذكر بيت جرير المشهور الذي يمثل الاستهزاء. القاتل والتحكم المريع ، حتى يصح لهذا التهديد بالخلع معان اخرى هي الاطمئنان على منصب الخلافة والارتياح الى بقائه الى مدى طويل ... فوقع :

زعم الفردق ان سيقتل مريعاً
ابشر بطول سلامة يا مريع

ومن اطرف هذه التوقيعات التي تشيع فيها الروح المرحة والجواب الرحب توقيع معاوية ابن ابي سفيان عند ما كتب اليه ربيعة بن عسل البربري يسأله ان يعينه بن بناء. داره بالبصرة بالتني عشر الف جذع ، فوقع على رسالته :
« دارك في البصرة او البصرة في دارك ! »

تلك غاذج متنوعة من التوقيعات التي انتشرت بين الخلفاء. والعالم ، والتي كانت تمثل الادب الارستوقراطي والرمحي جميعاً ، فلم يكن شعبياً ، وان اغرم الناس بسماحه وتلفوا اصدوره .

ومن اجل هذا لم يحافظ التوقيع على قيمته الادبية ، وعلى ايجازه المعجز ، مدى طويلا ، فلم يكده العصر العباسي الاول يتقضي حتى اصبح اكثر الخلفاء اشخاصا لا يجيدون الكتابة ولا يشرفون على امور الدولة بانفسهم ، واصبحت التوقيعات من عمل كتاب معينين ، وما زالت التوقيعات في ايدي هؤلاء. الكتاب حتى اصبح لها فيما بعد طرائق في كتابتها خاصة ، ومناهج لا ينبغي الوقوع ان يتعداها ، واختلقت انواع التوقيعات ، فالتوقيع المرسل الى عامل خراسان غير التوقيع المرسل الى صاحب البعيد مثلاً ويطلق صبح الاعشى في ذكر الهيكل ورسم الناذج التي يجب ان يسر عليها كتاب الدواوين في التوقيعات وبذلك تضال فن من فنون الكتابة ، واصبح رسالة مثل بقية الوسائل لا يكاد يختلف عنها .

برسم عثمان

عاصفة صوفية

ORAGE MYSTIQUE

أبوسع مخلوق حي ان يرى اغراءه بعد موعده وان يحاطبهم ؟

هو بدوره ان يلتحق بشعب الاموات بعد ان يكون قد اورث خلائق مقبلة بضاً من ذراته . فكم من مخلوق يعيش في كل منا ! والشاعر ، ألا يزداد عظمة حين يجيل اليه انه يذعن الى اصوات قديمة سرية غلي عليه كاهل جديدة ؟ فالاحلام التي تقيم بجبال روبر بتربل وتود ان تحيا يخلقها موت زوجته من جديد . ولذلك يعتقد انه رآها في ثوب العرس ، في انقى وجهه من وجوه الشباب . على ان الدكتور توبال يؤكد انها لم تكن سوى انعكاس خارجي من احلام روبر الشاعر الذي ولد ليحيي احلامه ، ولكن من يدري ما هو صحيح وما هو غير صحيح .

قال روبر لصديقه توبال في الفصل الثاني من هذه المسرحية :

— لا اخالك تجهل كيف كان شهري العسل مع كاوتيد . فقد كان قصيدة لذينة . وفي مساء يوم قالت لي كاوتيد : « ان جننا لاقوى بكثير من ان يستطيع الموت فصل احداثنا الآخر . فاقسم لي انك اذا رحلت قبلي من هذا العالم تحافظ على وفائك لي في العالم الآخر . » فاقسمت لها بدون تردد . واقسمت هي القسم نفسه ،

ثم قالت : « هذا لا يعني ، فلتتق علي ان نمرع عن هذا الوفاء . بندا . يعقب الاثنتي عشرة ساعة التي تلتو النفس الاخير بعد . روبر سنة على الوفاء » . وها قد مرت سنة كاملة على موت زوجتي ، وفي الساعة الواحدة والثلاث من الصباح يجب ان اسمع نداها وان اراها .

يدور موضوع هذه المسرحية التي وضعها الكاتب الفرنسي فرانسوى ده كوريل في العام ١٩٢٧ حول مسألة الحياة بعد الموت ، لاحول خلود النفس بل حول امكان الاحياء الاتصال بالاموات . وقد اوضح المؤلف فكرته بلسان الدكتور توبال ، احد ابطال مسرحيته ، فقال ان الاشباح ليست في الحقيقة سوى انعكاسات خارجية لما يجول في الفكر ، واورد تحليلاً دقيقاً للعوامل التي حملت الشاعر روبر بتربل ، بطل المسرحية ، على الاعتقاد بانه رأى بام عينيه خيال زوجته الميتة .

ويملنا المؤلف على التفكير في الشخصية البشرية ، وفي القوى السرية التي تحرك العقل الباطن ، وفي مجموعة العناصر الغامضة التي يتألف منها الفرد ، فنحن يجيل البنا اننا نحن انفسنا في حين اننا عبارة عن الوفا الارواح التي تستمر فينا وهي من عنصرنا ومن دننا .

أبوسع مخلوق حي ان يرى اغراءه بعد موته وان يحاطبهم ؟ فالسيد فرانسوى ده كوريل يذهب الى ان الشخص الحقيقي — اذا كان حقاً ان الانسان شخص حقيقي — لا يجب شيئاً لافي الموت ولا في الحب . فهو

ليس سوى علة لتلك الاحلام ، لتلك الامال والاماني التي يبينها القلب والفكر وتخلص الى خلق شخصية من المشتبهات والتزعات والادهام ومن الغلظة والادراك والجل .

وماذا يعرف الاحياء ؟ فالاحياء متكونون من ملايين الاموات ، من اجزاء الماضي التي تؤلف من جديد ولعدة سنوات مخلوقاً لا يلبث



روبر بتربل امام طيف زوجته الميتة



توبال : ترى كلوتيلد ؟

روبر : ولم لا ؟ أنت غريب ؟

توبال : لا ، فكثيراً ما رأيتك بألم عيني وانت تكتب دائماً على حشد ذكرياتك لتشق لنفسك طريقاً الى الرؤيا . والآن ، في هذه الساعة ، اراك منقاداً الى العقل الباطن الذي يعاونك في عملك .

روبر : صحيح ، فاشخاص قصصي او قصائدي كثيراً ما تتجاوزني .

توبال : ذلك ان عقلك الباطن يصرفك ليتولى هو نفسه العمل

مكانك ،

فعقلك الباطن

هو الوسيط

(الميد يوم)

بينك وبين

احلامك . ألم

يتفق لك ان

خاطبت ميتاً

في حلمك ؟

روبر : بلى

توبال : ان

ان احلامنا تمر

في عقلنا الباطن

المتأثر باجسادنا

وهم بعد احياء

بالوراسة وان

ماتوا ، ويفضي

بنا اذ دواجهم

الروحي والجسدي الى ان نخرج الاموات والاحياء في حلم واحد .

روبر : ماذا يهمني اكنت خيالياً مستغرقاً في حلم ام وسيطاً

بشرط ان ارى كلوتيلد . انت تعتقد انه اذا تم الاعبوبة اكون

لعبة بيد عقلي الباطن . ولكن العلم اثبت ظهور عدد كبير من

الارواح .

توبال : لا شك انك قرأت مؤلفات مييرس ولودج وباريت

وليام جيمس وسوام . هؤلاء العلماء كانوا مستقيمين ، ولكن لي

عليهم اعتراض كبير . فحوادث ظهور الارواح كثيرة في بلادهم

على ان الارواح في ايرلندا تظهر دائماً حزينة شاحبة . فلم الحزن والشعوب ما دامت الروح تنتقل الى حياة جديدة ؟ او ليس الحزن في بحلة الرائي لا على سبيل الشبح ؟ سوى ان امثال هذه الرؤى لا تظهر في شعوب اوربا الغربية .

ولنتنقل الى الفصل الثالث والاخير فترى توبال وروبر وقد جاوا الى المقبرة تلبية للموعد المضروب بين روبر وزوجته الميتة .

روبر : (مشيراً الى القبر) اجل ، انها تنتظري .

توبال : وستراها ، ولكنها ان تكون هي .

روبر : تريد ان تقول ان كلوتيلد ستخرج من دماغي وتقف

امامي اتقول

لي ما اقول انا

بنفسي ولكني

سأرى كلوتيلد

بألم عيني .

توبال : ان

العيون ادوات

بصر ذات

غرضين ، فعي

تدخل الينا

المنافس

الخارجية من

جهة ، وتطرح

من جهة اخرى

الى الخارج

رؤى مضطربة

لاشراكها في

جسدنا وتأثرها

روبر بتربل والدكتور توبال في المقبرة



باهواننا ومشتياتنا .

روبر : اذن انت تعتقد ان فكري يضع في حذقي صورة

مكروسكوبية تطرحها ارادتي على هذه الدفلة مثلاً كما تطرح

الصور على الشاشة البيضاء .

توبال : كان اجدادنا قبل اختراع التصوير الشمسي بالآل السنين

يذهبون الى ان صورة القتال تبقى مطبوعة في اعماق عيني الضحية .

روبر : بعد كل هذه الافتراضات الخاذقة التي تهدم كل

اعتقادي الا ان تجد لي افتراضاً يحلني على الاعتقاد بان كلوتيلد

سمحضر ؟

توبال : جني بدليل قاطع على ظهور حقيقي فأكون اسعد خلق الله .

روبر : وكيف اجبتك بهذا الدليل ؟

توبال : بمراقبة دقيقة الاشياء التي ستشدها ، فكل ما يقوله لك الشبح لا ينبغي ان تأخذه اذا كان ثمة رابطة ما بينه وبين افكار اخذت بها اوبين حوادث كان لك صلة بها . يجب ان تطلب من الشبح ان يكشف لك سرأ من الاسرار الخطيرة التي ادر كما في الكون .

واذ يشهد توبال بضع روبر جبينه على القبر وينادي :

- كلوتيلدا ! ها أنذا قدجنت برأ بقسمنا القديم . أسمعيني من اعماق سجنك الهميب ؟

صوت كلوتيلدا : (لهاثاً وكأنه صادر من غر بعيد كروبر ! روبر !

روبر : (مذكوراً وعيناه ممدحتان الى القبر) انها حية !

صوت كلوتيلدا : (ير كحفيف الاوراق) انا حرة تحت النجوم .

روبر : كلوتيلدا ! أين انت ؟ أتوسا اليك ان تظهر لي .

كلوتيلدا : ها أنذا .. (تظهر بشوب النسيم في الدفلة التي كان روبر قد اشار اليها)

روبر : (مذكوراً متلشاً) كلوتيلدا ! انت لا .. لا .. لا ..

كلوتيلدا (مبتسمة) روبر ! ..

روبر : آه ! ابنسامتك ! .. انها تسكن قليلاً من روعي !

اذن فالقسم يجتاز عبثة المقدور ! .. كلوتيلدا ! .. ابن حلقة الزواج ، وقد وضعت معك في التابوت .

كلوتيلدا : (تبسط يدها) انظر ! انك ترى جسداً وروحاً المرأة التي بارك الكاهن اتحاداً بك كيلا نصح الا جسداً واحداً . ولقد استمدت جالبي في الشرين لتري بام عينك الصورة التي في حلمك روبر : حلمي ! .. ألم يحطني سمي ؟ حلمي .. الصورة . أكلوتيلدا انت ام لست كلوتيلدا ؟

كلوتيلدا : أضغ الي . سأقطع لك دليلاً مادياً على وجودي . (تتناول عرقاً من الدفلة وتقصه) أترى هذا الغصن الصغير الذي قطعته ؟ عاين موضعه من الدفلة . وعين يهتك الطيب بالهذيان اسأله متى كان للوهم قدرة على قطع الخشب ؟

روبر : آه ! كلوتيلدا ، انك تغذي بي . من شكوكي فشكراً لك واذا تخفني كلوتيلدا بقم روبر على ركبتيه ويستقر في بحران

عميق . وبعد هنية يعود توبال فيز كسف صديقه ويوقظه .

روبر : لا ازال تحت تأثير ما شهدت . لقد شهدت كلوتيلدا وهي في عفوان شبابها وجمالها ، وفي انا اكلمها خطفتها يد قادرة .

توبال : خطفتها ؟ وهل رأيت اليد ؟

روبر : لا ، ولكن خاطفها لم يدعها تكمل عبارتها الاخيرة .

توبال : وهل حدثت عن الله ؟

روبر : ابدأ .

توبال : وانت ، اكنث تفكر في الله ؟

روبر : دائماً ! وهل يوسع امري . يخاطب ميتاً ان لا يفكر

في الله ؟

توبال : لقد انكشف سر اليد القادرة التي خطفت زوجك .

روبر : قل ما شئت ، فقد رأيت كلوتيلدا وخاطبتها وخاطباني وتركت لي دليلاً قاطعاً على حضورها .

توبال : واين هو هذا الدليل ؟

روبر : لقد قصفت يديها غصناً من هذه الدفلة .

توبال : ان ما تقوله املي جانب كبير من الهمية . (يخرج مصباحه من جيبه) اين الغصن المقصوف ؟

روبر : (يضيئ بتوبال الى الدفلة) كانت كلوتيلدا واقفة هنا .

والغصن المقصوف . هذا هو !

توبال : (يتفحص الغصن) غريب ! عجب ! (يتسم) ولكن

هذا غصن آخر . وهذا آخر . ثلاثة اغصان متشابهة ! فأباً منها تختار ؟

روبر : (مرتبكاً) ! صحيح ولكني لن ادعك تقتل بجججك

الصارمة الزوجة التي رأيتها بام عيني حية . . فتعال نذهب .

وهكذا يختم فرانسويده كوريل مسرحيته «عاصفة صوفية»

التي كتبها ليشت ان الانسان ينقل الى لوحة من الاحلام الاشباح

التي يكونها فكره ، ويطلق على هذه اللوحة اسم العالم الخارجي ،

فتجن لانفسنا سجن دائم ، وكل منا يزين سجنه المصنوع من قناعات

صابون بغرائب الصور التي يجترعها بدون انقطاع . وهو لا يرى الا

هذه الصور . والواقع اننا نعيش بين اشباح ولا نعلم انها اشباح .

نعيش بين اصدقاتنا واعدائنا واعذب الوجوه جاهلين انهم اخيلة باطلة ،

رويا من روى الفكر ، بخار نسيجهم بانفسنا . فالذين نسبيهم

احياء . ليسوا اكثر حقيقة من الموتى . واعيننا التي نعتقد انها

خلقت لتدخل البنا العالم ليست في الحقيقة الا ادوات تخرج

العالم منا . وهكذا الوهم العظيم لا يزول الا حين القناعات ونفض

اعيننا الى الابد !

الادب النركي الحديث



« باشا نبي »

من الشعراء الترك الشباب المجددين • ولد في اوسكوب وهاجرها مع عائلته ليقيم في استنبول حيث تخرج في كبريات معاهدنا • سنة ١٩٣٧
نشر ، مع ستة من اصدقائه ، مؤلفاً سمي « للشايعيل السبعة » • احدث ضجة عالية في عالم الادب •
ولباشا نبي مجموعات شعرية عدة اروعها : « الابطال » « والمشاريات » • وله ايضاً مؤلفات قصصية منها : « آدم وحواء » « وامرأة تنكحكم »
كما له مسرحيات وترجمات •
من « عشارياته » هاتان المقطوعتان •

« الزمانه امدم »

« امام المصور »

- ١ - « استوي هكذا ، لا تتحركي ، استوي هكذا برهة بعد •
« ان السائر التي تحجب السنين العديدة
« هي هذه وقتك • هذه هي اهل وقتك
« نعم هكذا • فانتك ارفع وقذك الين •
« ووجهك الانور يشع بهاء مقدس ، اشلم وجهك في البهجة •
« والمصباح الازرق المدلي خيوط النور على شعرك يصبه بالفلون
« والكهرياء ، ثنائك كرداء خطلي •
« والضحكة للنبيلة من ثفرك لا تقو اسادر حبياك •
« اتيجي لناظري ، بعد ، روعة هذا المشهد •
« فتي لا تتحركي كشمسك من الرغام الابيض •
« استوي هكذا برهة بعد ، برهة بعد هكذا •

- ٢ - « بينا ترش الصور برات المحضر شاعات الغمر على الساقية •
« اترك يدك بتودة لتيار الماء القاتر
« وتلوي بدورك مثلي ، ادركي بدورك
« انه الوقت ، وليس الماء ، يجري من راحتك •
« ليس على وجه الماء اي اثر للرب ولا اخاديد •
« ووجهك صاف صفاء البحر الذي تظاين عليه •
« ان الذكريات ، هذه الليلة ، عالم يتخلج فينا •
« واذا اصنيت سمعت كلمات لم تتحرك بها شفتاي •
« ان البحر ، هذه الليلة ، يرتش في عينيك
« وانت غمت وراء عينك الزرقاوين ، وغام البحر فيك
« انت بادنيا خضراء •

غفل من الرامي

على حواشي افقك الخيلي طيوف افراح ، وحلم طلي
احسه وهماً فيا السنى .. ويا لهذا الجامع الدول ..
هامت به الآلام مجنونة فاخلأ منها وكان الخلي ..
كأننا دنياه اغماء عميقة الآباد لا تنجلي ..
تغيب فيا النفس عن وعيها خرسا لاتصحو الى أمل ..
لها من الآهات أرجوحة دبالها في مهده الاول ..
ترنحت فازينت لهفة واغرورقت عين فلم تبخل ..
ما ضرها والفجر يهفو لها لو صفق المحزون للبلبل ..
اكلها ثارت عذاباتها .. قالت لحادي المم لا ترحل ..
وأني قلب لم يذق لومة ولم يضق بالبارد السائل ..
حزني عليها حزن معشوقة ولت وفي الاحنا شوق حلي ..
وداعها كان على غفلة وطوقها النديان لم ينقل ..

الى مؤنسي

فا احلاك في قلبي
بصوت مسكر عذب
حديث الصب للصب
ل في جو من الحب

تعالى واجلسي قربي
تعالى غنسي حنأ
تعالى حديثي قلبي
حديث الحاني المسرور

من الاعياء والجهد
تعطيني لاجع الوجد
وهذا الشفق الوردي
تشق غياهب الالحد

تعالى فالدجى غاف
تعالى غمض ساعات
فهذا البدر يدعونا
وذى آمالنا الوفي

فانسم الطالق ههنا
بسام بلقيانا
تضم الزهر الواسا
عليه واهداني آنا

وهذا الروض يا حسنا
ففيه خيلة سكرى
اليك القلب فاتكثري

مصطفى الهدار - الباب

انور الجزائري - السليمة

العالم بعد الحرب

كما يراه المفكرون ورجال العلم

ان هذا قبل كل شيء ، يجب ان يكون واضحاً وموضع ثقة :

همبرو الزوجي

وكتب همبرو ، احد اعلام الفكر الزوجي ، كتاباً كبيراً
عن تنظيم العالم بعد الحرب ، جاء فيه :

« كل طريق من الطرق تستهدف الوصول بنا الى مستقبل
اصلح يجب ان نعبدها ونبطلها بالكلام الصريح وبالتعامل الخاص
الصادق . والسلام - السلام الحي ! لا يقوم الا على ازالة لقلة
الانصاف بين هيئات المجتمع الواحد ، وبين امة وامة . ان حقوق
الامم الصغيرة مقدسة كحقوق الامم الكبيرة ، سواء بسواء .
ومبدأ تقديم حقوق الدول القوية على غيرها هو في الواقع شقيق
البدا المفكري . والحقبة لم تقل يوماً اكثر من هذا : ان المانيا
كبيرة وقوية فلها حق ابتلاع الشعوب الصغيرة ! »

اميل لودفيج الاطاني

وقال الكاتب الالماني اميل لودفيج ، في كتابه الاخير :
« الالمان » ما يلي :

« ان الفكرة التي تقول بمعاينة المانيا بعد هزيمتها ، من غير
ما تبديل في البناء العالمي يركزه على اسس من العدل انفا هي
فكرة ساذجة ، او هي فكرة لا تستهدف حل المشكل العالمي
وما اجدرها ان تسوق الى حرب جديدة يدعي فيها قوم انهم
ينتقمون من قوم . يجب ان تحطخ الاسس العادلة لعائلة شاملة من
الامم تشترك فيها المانيا وبتزع السلاح ، فتصبح المانيا عاجزة عن
اثارة حرب كولاية كاليفورنيا مثلاً .

كبلسي الادب الفرنسي

وقال كيلنسي الكاتب الفرنسي المعروف من مقال له :
« ان قوة فرنسا اليوم اكثر منها كل يوم ، هي بقوة مبادي
الحرية التي تسجلت في تاريخنا بالدماء . وسنبنا يكافح وهدفه

انصرف كثيرون من الزعماء وروساء الحكومات الى بحث
العالم وتنظيمه بعد الحرب ، ولا يزال البحث مستمراً ، لما يتصل
بالموضوع من شعاب وفروع متشابكة لا عداد لها .

ولسنا ننزي هنا ، ان زافق الرؤساء والزعماء في انجاتهم ،
قليل من الحق ان نتجه باهتمامنا الى طوائف المفكرين ورجال
العلم ، لان هؤلاء عرضة للانسيان في غارات الصحافة اليومية ، مع
ان لا رآتهم قيمتها العظيمة اذ ان المفكرين الكبار ورجال القلم
البارزين تكون صلتهم وثيقة بضاير شعوبهم ورغباتها .

والذي يطالع اقوال هؤلاء المفكرين ورجال القلم ، يرى انهم
على وجه عام ، يقسمون مشكلة العالم بعد الحرب الى قسمين رئيسيين
يتناول احدهما مسألة الاصلاح الداخلي والانصاف الاجتماعي في
كل امة ، ويتناول الاخر مسألة العلاقة بين الدول القوية والشعوب
المغلوبة على امرها ، وهذه الشعوب تقع في فئتين : الفئة المغلوبة
لالمانيا ، والفئة التي تتعلق مشاكها باحدى دول الحلفاء . ونرى من
الخير ان نترك الكلام لعدد من هؤلاء المفكرين انفسهم :

فرانيس ب. سايري الاميريكي

كتب فرانيس ب . سايري المفكر الاميريكي المعروف في
مجلة نيويورك تايمس (عدد ٥ تموز ١٩٤٢) يقول :

« يجب ان يوضح موقف اميركا ان الباعث الاساسي على
انتهاج اليابان خطة اعتدائية هو طرب الاستعمار والاستثمار . ولكن
اليابان ماهرة في ستمير ما ردها الحقيقة زعمها انها انما تحارب الاستثمار
الاميريكي والاوروبي في سبيل مصلحة آسيا . آسيا الاسيويين اهذا
هو شعارها . فواجب على اميركا ان تقابل هذا السلاح بسلاح
فكري يكون هو الحقيقة . ان منيع حركات اليابان هو الاستعمار
باقبح اشكاله . واميركا والامم المتحدة تحارب من اجل الديمقراطية
وحقوق الانسانية - حقوق الاسيويين وحقوق الاميركيين والاوروبيين

الاول هو الحرية : حريته وحرية الجميع .

ه.ج. وزر الانكليزي

وقال الكاتب الانكليزي الشهير ه.ج. وزر في محاضراته التي افتتح بها سلسلة المحاضرات من محطة لندن عن تنظيم العالم بعد الحرب : « لا اريد ان اعين شكلاً لتنظيم العالم بعد المجزرة منذ الان ، فقد لا يكون هذا في استطاعة احد . على اني اقطع بانذهب العرقية لا يصح اساساً لبناء عالمي عادل وطييد . وليس هذا المذهب الا ستاراً لانا اناس طفيليين ينوون الحياة على حساب غيرهم فهم يسترون هذه النية الخبيثة بضباب الفلسفات والمذاهب . وانا واثق بان يد العلم قد وسعت الافاق امام الناس جميعاً بحيث يستطيع ان يعيش حياة حرة مكفية كل فرد وكل بلاد وكل قوم دون ان يحس فريق بضياح حقوقه المعقولة »

نور - شوي الصيني

وقال الكاتب الصيني « نور - شوي » في كتابه الذي صدر مؤخراً : « تاريخ الحضارة الصينية : «
« للانكليز مثل يجب ان يكون للمحبيين الاخر : على ودع غيرك يعيش اثنان امة مسألة ، ولكل من هؤلاء ان يقاتل طويلاً ، من أجل الحرية . والحرية هي الحرية ، لا استبدال قيد بقيد ! »

« ملك راج ماندر » الهندي

وقال الكاتب الهندي « ملك راج ماندر » وهو كاتب شهير باللغة الانكليزية : « ننظر الهند الى جرائمها وننظر الى جرائم العالم ايضاً . وتعرف الشر الاصغر وتعرف الشر الاكبر . وتريد العالم الذي قل الشر فيه ما امكن . ولها مفهوم واحد بالرياسة سواء اذ كان ذلك في نطاق الاخلاق والاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة . الرذيلة هي العبودية وما اشتق منها »

الكسي نولوسوي الروسي

وقال الكسي نولوسوي كاتب روسي الكبير : سيكون هناك عالم بعد الحرب . وسيكون تنظيمًا من الفاشستية . هذا كل ما نستطيع ان نقوله . وهو كثير !

نطلب مجلة « الاديب »

| | | |
|----------------|----|--|
| بيروت | من | السيد خضر النحاس وعموم الباعة |
| طرابلس | » | مكتبة زبلط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف بو ديب |
| حلبا | » | السيد عبدالله محفوض |
| عاليه | » | مكتبة السيد نجيب سلمان |
| زحلة | » | السيد جوزف مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طباع |
| حماص | » | السيد عبد السلام السباعي |
| دير الزور | » | السيد توفيق الشامي |
| اللاذقية | » | السيد ادب ماموح |
| طرطوس | » | السيد حنا نصره |
| حلب | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متلجي |
| الباب | » | الاستاذ صالح علي |
| يافا | » | السيد جان رزق الله كردي |
| حيفا | » | الشهاب لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي |
| نابلس | » | السادة حنا وجورج بوري |
| فلسطين عامة | » | السيد توفيق زغبلاوي |
| بغداد | » | السيد ماجد القطب |
| الموصل والبصرة | » | عموم المكاتب والباعة |
| مصر | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد وفروعها |
| | » | عموم المكاتب والباعة |

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرناً لبنانياً في العراق بـ ٦٠ فلساً في فلسطين بـ ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان بـ ٥٠ غروش مصرية الادارة بجاجة الى وكلاء في سائر الجهات

مَجْلَدُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

دوبيان - ١ - تحدث المونسنيور سيلان الى السيد دي فاليرا رئيس ايرلندا .
لوغانون - فر من أحد معتقلات ايطاليا قائدان نيوزيلنديان ووصلا الى سويسرا .
لندن - قال الراديو الالمانى : « لم يتخل العدو بعد عن فكرة الغزو ، ولا يزال عازماً على فتح ميدان حربي جديد في اوربا . وحليفنا ايطاليا
بجدها العدو على الابواب » .

بوغوتا - وقعت كولومبيا وفتروبل الاتفاق النهائي حول حدودها المشتركة .
شيكاغو - قال مدير الانتاج الحربي العام ان الولايات المتحدة ستصنع هذه السنة ٩٠ ألف طائرة .
لندن - ان هيئة التفتيات التي شكلت لتفعل العتاد والتونين عبر ايران استمادت الاشراف على السكة الحديدية عبر ايران التي كان يشرف عليها الجيش
البريطاني حتى الآن . وقد وصل اول قطار اميركي ينقل عتاداً اميركياً معدداً لروسيا بعد ان اجتاز ١٠٥٠ كيلومتراً قايماً من احد مرافق الخليج الفارسي
واشنطن - صرح الرئيس روزفلت بقوله : خلال الحادثات بينه وبين السيد ايدن حصل انسجام تام في وجهات النظر بين واشنطن ولندن كما
تحقق التفاهم على الوجه الاكمل . و اشار الرئيس الاميركي الى ان تفاهماً تاماً واتفاقاً عاماً يعمان بين الحلفاء حول ٩٥ ٪ من القضايا .
نيورك - بلغ مجموع ما ارسلته اميركا من المواد الغذائية الى افريقيا الشالية ما قيمته ٢٦ مليون ليرة وذلك خلال شهر كانون الثاني فقط .
لندن - ٢ - تنفيذ التامس ان السادة بول ديتو وما نديل وبوم موجودون الان في سجن كوينيكسبورغ في بروسيا الشرقية .

لندن - تقدر حمولة البواخر التجارية الالمانية التي أغرقت أو صودرت منذ بدء الحرب بثلاثة ملايين و ٣٦٦ ألف طن . وفقدت ايطاليا اربعة
ملايين و ٢٧٠ ألف طن والبلاد التابعة للبحر ٦٢٢ ألف طن . هذا عدا ما أغرقه الروس . اما اليابانيون فقد فقدوا ١٨٥٧٠٠٠ طن .
موسكو - قبلت الحكومة الروسية دعوة حكومة الولايات المتحدة بارسال من طائرها في مؤتمر الأمم للتحدة لمواجهة قضايا التدمير بعد الحرب .
اوتواوا - توجه السيد ايدن الى الشعب الكندي من الراديو فقال ان انكلترا ستواصل الحرب حتى تجر يد المانيا وايطاليا واليابان من السلاح تجر يداً
تاماً . من أجل ذلك يجب التعاون الوثيق بين جميع الأمم المتحدة . وسنخرج الحرب كما سخرج السلم . من واجبتنا ان نضع بين ايدي ابائنا علماً
تستطيع الحرية ان تعيش فيه وكل دولة ان تحكم نفسها بحرية .

لندن - انتهت المرحلة الأولى من معركة مجلس الحلفاء بطلب الحلفاء
موسكو - نشرت القيادة السوفيتية بلاغاً خاصاً جاء فيه انتهت الجيوش الروسية من حملة الشتاء ضد القوات الجرمانية - الفاشستية . وقد ألحق
الجيش الأحمر خلالها بالجيش المجري هزيمة لا مثيل لها .
لندن - ادّاع راديو بلج رسالة مفتوحة الى الافال يذره فيها بان فرنسا ناضت عنها الاكفان . « الجاود الذين جردم لافال من الجنسية الفرنسية
يتمتعون بصحة طيبة وهم يقاتلون الى جانب الحلفاء » .

لندن - دخلت القوات الفرنسية المحاربة القادمة من التشاد الى قابس مع النيوزيلنديين .
لندن - تدور ثلاث معارك هائلة من أجل رقيات جسور على الدونتر الاعلى والدونتر الأوسط والكوبان . ولا تتوقف الاعمال دقيقة واحدة .
لندن - ٥ - قام الطيران البريطاني بقيادة كاسحة وشاملة الى ايسن . فوقعت الاضرار الجسيمة باقرار الراديو الالمانى . وقد قذفت ٩٠٠ طن من القنابل
القاهرة - سبراس السيد كازاي ، وزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط مؤخراً هاماً يضم ثمانين مع جميع بلدان الشرق الأوسط لمواجهة
مشكلة التدمير بواسطة التفجيات في كل هذه المنطقة . لندن - صرح الملك بطرس اليوغسلافي بقوله : يوم يترك الحلفاء في البلقان سيجدون الشعب
اليوغسلافي متأهلاً تماماً لحمايتهم في مهمة طرد المحتاج . لندن - عاد السيد ايدن الى انكلترا بعد زيارته للولايات المتحدة وكندا . ومن المحتمل
ان تعقب زيارة السيد ايدن لاميركا زيارة السيد سميث الى بريطانيا العظمى .

جنيف - استرد الانتصار اليوغوسلافيون مدينة « غلاداش » في بولنيا ويدور القتال على جبهة طولها ١٥٠ كيلومتراً
لندن - طلب الجنرال ايزاحور الى الجنرال ديول ان يرجمه سفره الى افريقيا الشالية .
القدس - مرت بقلسطين بقعة تركيبة عسكرية مؤلفة من ١٣ ضابطاً وهي يطرقها الى مصر ومنها تسليح بالبعثة العسكرية التركية الاولى الموجودة
في افريقيا الشالية . لندن - استقبل المستر تشرشل الجنرال ديول وابلته ان بريطانيا ستقف مع الجنرال ايزاحور في وجهة النظر فيما يتعلق بتأجيل
رحلة الجنرال ديول الى الجزائر . واشنطن - قرر مجلس الدفاع في بولينا اعتبار بلاده بحالة حرب مع دول المجرور من الان الى ان يقنع الكونفرس
اجتماعه وبوافقي في ذلك رسمياً . واشنطن - طلب الرئيس روزفلت من الكونفرس اقرار اتحاد يبلغ ٣٤ ٥٥١ ٠٧٠ ٠٠٠ دولار للاسطول لسنة
١٩٤٤ المالية . زوريخ - حصل اجتماع بين موسوليني ومترفي عمر البرنز وقد حضره عدد من رجال الدولتين المانيا وايطاليا .

زوريخ - تجمع التعداد الواردة من فرنسا وايطاليا الى ان حركة اخلاء شديدة تجري في صقلية وسردينيا تحت اشراف الالان وقد بقي البعض
على اربعماية شخص في صقلية وخمماية شخص في سردينيا . واشنطن - بنق الشعب الاميركي ٢٣٨ مليار دولار لتنفيذ اعظم برنامج حربي عرفه التاريخ
وقد خصص مبلغ ٤٤ مليار لاتاج الطائرات والسفن الحربية والمقاتلات البحرية والاجرة لثليكة لثليكة واولاد الامم المتحدة للحرب الكيمائية والسفن التجارية وغيرها .

الجزائر - ١١ - سافر الجنرال كاترون من الجزائر الى لندن لكي يبلغ الجنرال ديغول نتيجة محادثاته مع الجنرال جيرهو واللجنة الوطنية ثم يدرس الظروف التي تمكن من الوصول الى اتحاد جميع الفرنسيين الذين يجاورون بجانب الحلفاء في اقرب وقت مستطاع .

ستوكهولم - نقول الانباء . اللاتينية ان اروس يطوق مدينة نونوفروسيسك ، وسيطرون سيطرة تامة على الشواحي الجنوبية من المدينة .

لندن - ١٢ - قالت « الدايلي اكسپرس » ان روميل اخذ برحله كبار رجاله الفتيين عن تونس وان طائرات النقل الكبيرة تحمل ليلاً بين مينا وصقلية وقواعد المحور في تونس ، وازادت الجريدة بان طائرات الحلفاء اسقطت عدداً غير قليل من طائرات النقل المحورية .

برن - اذاع راديو فيني انه في اثر المحادثات التي جرت بين لافال وسيوكي سيطلت سراح ٢٥٠ الف اسير فرنسي ولكن لا يسمح لهم بالرجوع الى فرنسا بل يبقون في المانيا كعمال احرار . القاهرة - وصل الجنرال كوليه ترافقه السيدة عيقله الى مصر ليعيش فيها بضعة ايام .

القاهرة - ١٣ - تألفت لجنة لجمع التبرعات لانشاء نادى جديد الى الجيش الثامن وجميع الاسلحة المحاربة في الجو او البحر فجهدا لذلك الانتصار الذي احرزته في الصحراء . وسيطلي على النادى اسم « نادى العلمين » على ان يظل رمزاً لاولئك الذين خاضوا موقعة الحربة وداروا بشجاعة واقدام .

وستنستر - ١٤ - قدم وزير خزانة الدولة السير كينجزلي وود للبرلمان اصخم واكبر موازنة مرتفها بريطانيا في تاريخها فقد بلغ مجموعها ستة آلاف مليون جنيه استرليني وكانت مصروفات العام الماضي ٣٣٠ مليون جنيه استرليني وقال ان بريطانيا انفق ١٥٠٠ مليون جنيه في الولايات الاميركية المتحدة على المون والذخائر والمهمات الرئيسية منذ بدء الحرب وان قيمة ما ارسل الى روسيا من الذخائر بلغت ١٧٠ مليون جنيه .

الجزائر - ١٥ - ابقى مراسل روتر من مقر قيادة الحلفاء في افريقيا الشمالية يقول ان الجيش الثامن وحده اسر اكثر من عشرين الف اسير محوري منذ عشرين اذار الماضي الى اليوم . واذاع راديو الجزائر بان فرقة فيكتوريا الايطالية قد اسرت كلها لان الانان سرقوا وسائل النقل منها .

جنيف - ١٦ - اعلنت المفوضية السودانية في فيني وينظر ان يرى مثل فيني في جده نفسه امام امرين اما العودة الى فرنسا او الانضمام الى الجنرال ديغول وقد عين فواد عمره ثلث اربعين السنين في السودان في فرنسا وزيرا مؤقتا للمملكة السودانية في اقتره .

بيروت - اعلن سكرتير المؤتمر الطبي الذي تعقد عقده في بيروت بين ١٠ و ١٣ تموز القادم بان اللجنة التحضيرية قد اتهمت من وضع برنامج المؤتمر وبعث به الى سكرتيرية الجمعية الطبية بالقاهرة التصديق عليه واعلان بان السلطات المختصة اعربت عن رغبتها في تسهيل التأشير على جوازات سفر اعضاء المؤتمر وعائلاتهم وان الحكومة اللبنانية تستعد لاستقبال اعضاء با يليق بغيرهم .

لندن - ١٨ - اكد مراسل روتر في زيورخ النبا القائل ان روميل ترك صقلية الى المانيا ومعه الجنرال امبروزيو رئيس اركان حرب الجيش الايطالي واذاع راديو الجزائر ان جيش روميل تقص اكثر من ثلثه في الرجال والشاد بعد احتلال الحلفاء .

اقتره - ١٩ - وصل الجنرال ولسن قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط الى اقتره وقد قابل كبار رجال الجمهورية التركية .

نيويورك - اعلن المستر كوردول هول تلميحا على ان الشاعات القائل بان الجيش احدث استعدادا للتوسط بغفاوضات الصلح بان امريكا والدول الحليفة لن تبذل اي صلح الا اذا تم دون قيد او شرط . لندن - ٢٠ - عرفت علاقات عالية المستوى تتشعب عندما اعلن في مجلس العموم انه بسبب الظروف الجديدة يسمح بفتح الاجراس اعتبارا من عيد الفصح .

مكسيكو - ٢١ - اجتمع الرئيس روزفيلت في واشنطن مع وزير الخارجية ايسن هاو ورئيس المخابرات جيمس ج. هوفر وتناول حديثها الاحداث العسكرية والتعاون بين الجمهوريتين . لندن - شن الطيران البريطاني غارة شاملة وكاسحة على سياتروروستوك . والاضرار جسيمة .

لندن - نقل ليون بلوم الى احد معسكرات الاعتقال الالمانية . بغداد - ٢٢ - توجه الوصي الامير عبد الله الى القدس حيث تجري عملية للملكة الام .

لندن - نشر المهر العام لفرنسا للمحاربة ردود اللجنة القومية على المقترحات الواردة في مذكرة الجنرال جيرهو . وقد حمل الجنرال كاترون تلك الردود معه الى الجح حيث يناقش فيها ويدرسها الآن رؤساء ادارة الجنرال جيرهو .

القاهرة - ٢٣ - دعا السيد كازي ، وزير الدولة البريطانية ، رجال الصحافة فتحدث بهم عن رحلته الاخيرة الى الشرق الاوسط . وقد صرح بان موسم المحاد الذي اتمى قريبا جدا سيكون احسن المواسم التي مرتفها بلاد الشرق الاوسط حتى الآن .

القاهرة - ٢٤ - دعوا محامي حسين باشا استقالته من رئاسة الديوان الملكي ، وقد تقصص جلالة الملك فاروق فطلب منه الاستمرار في رئاسة الديوان .

موسكو - قدم روملي جريدة النجم الاخر ان مدينة تونيت قد تحولت الى كومة من نيران بعد هاجمها الطيران السوفياتي ليلة ٢١ نيسان .

لندن - اثار اعدام الطيارين الاميركيين اسقيا عاماً في الولايات المتحدة . والشعب الاميركي يطالب بزيادة التعاريف على اليابان .

لندن - يزداد الاقبال في لندن على الكتب التي لها علاقة بالشرق الاوسط ، كما يزداد خافت الغراء في المكاتب العمومية على المؤلفات التي تعالج شؤون الشرق . وهناك اهتمام متزايد ايضا بالاداب الحديثة في تركيا والمملكة السودانية العربية والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، وبروايات الرحلات الى الشرق الاوسط .

الفايتكان - ٢٦ - اقام الاب الاقدس قداس الفصح بحضور اعضاء السلك القنصلي المفوضين لدى الكرسي الرسولي ولم يلق اي خطاب فصيح خلال الذبيحة العظمى . ستوكهولم - لا تزال الصحف الفنلندية تبدي قلقها حيال انسحاب الجيش الديبلوماسية الاميركية من هلسنكي عددا المكثف بالاعمال .

القاهرة - وجه النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية رسالة غتة الى الجنود البريطانية وصانر الحلفاء .

موسكو - ٢٧ - اذاع راديو موسكو ان الحكومة السوفياتية قررت قطع العلاقات الديبلوماسية مع الحكومة البولونية . وقد سلم الرفيق مولوتوف للسفير البولوني في ٢٥ نيسان مذكرة جاء فيها ان حكومتهم موسكو لا يسعها ان تبقي على العلاقات الديبلوماسية مع الحكومة البولونية ، بعد ان اخذت هذه الحكومة بالايجابيات الالمانية بشأن اعدام عدد من الشباط والجنود البولونيين في منطقة سمولنسك .

القاهرة - ٢٨ - ان الغارة التي شنتها طائرات الحليفة صار الاثنين الثالث على باري المدينة الالمانية اغا قام جا اعظم سرب من طائرات الليراتور في مبادي الشرق الاوسط وسرح المهر العام لقيادة الطيران الاميركية بأن باري هذه قد احدث من الحطارة .

العين والمحرز

الحق - الاماندر - على دين الواقع او الحالة الراهنة . والقاعدة المشهورة ، المتردية برداء العلم :
« الناس على دين ملوكهم » لا تمنى في النتيجة غير هذا . فالواقع هنا هو السلطان - اي السلطة القائمة
اصولاً وفروعاً ، اركاناً وشيعاً ، شخصاً وظلالاً .

وليس في طبيعة الوجود ان يعمل السلطان على تبديل الواقع ، او يطالب به ، او يدعو اليه . ففي
كل تبديل عنصر ثوري ، ولا يصح ان تثور السلطة القائمة على نفسها ، او الواقع على ذاته : السلطان
(اساساً وتعريفاً) قوة ، بل مجموعة قوى تحافظ على الحقوق والمراكز « المكتسبة » . فاذا جاء السلطان
يعبث بها ، حقت عليه تهمة الخيانة - خيانة مهمته ووظيفته ومنطق الاشياء .

على ان السلطان قد يثور على الواقع او الحالة الراهنة احياناً ، فيتناولها بالتبديل والتجوير ، لكن
ليعود بها للثبات ، تمكيناً وتوكيداً لتلك الحقوق والمراكز المهددة ، كلما آس اقترب العاصفة ، وما كانت
الفرصة . حينئذ يذر قرن الرجعية من ثوب المحافظة ، او من اثمها . واخر مظاهر هذه النزعة الويلية
الحركة النازية التي اوشكت ان تغطي على العالم ، معرضة الرقي الانساني لادهي داهية عرفها التاريخ ،
ليس بما عدت من قوى ضيقة ، وسنت من سنن خطيرة ، بل بما شجعت النزعة الرجعية ايضاً في
سائر اقطار الدنيا ، واغرقت بتقليدها ذوي الحقوق والمراكز المكتسبة جميعاً - المكتسبة المهددة .

ان تكن القاعدة المشهورة : « الناس على دين ملوكهم » ، متجذبة برداء العلم ، فالحكمه المأثورة :
« ليس في الامكان ، ابداع مما كان » تنجلي بجملة التصوف . . . وانها ، في لطف وقمها على الآذان ، وعلى
الاذهان ، لاشبه بالقرانيم التي يراد بها التنويم . ففي الامكان ، دوماً على مدار الزمان ، غير - اذا لم نقل :
ابدع - مما هو كائن . وليست سنة الوجود المحافظة ولا البقاء ، ولا الجود ، بل التطور والتحول والصيرورة .
وهل كان التاريخ الانساني الا حكاية النزاع المستمر المستمر بين قوى الرجعية ونزعة التقدم ، في فكر
الانسان وفي اوضاعه . هي قصة - حسن الحظ - كالقصص التي تحتزم ذاتها ، يفوز فيها اخيراً ، في كل
مرحلة ، الحق على الباطل ، واخير على الشر - نعي : الرقي على الرجعية . سوى ان هذا العاقل في التنازل
ما هو كائن ، وفي التطير الى اليأس مما يمكن او يجب ان « يصير » ، ليس من اختصاص الشرق وحده .
فقد نال فولتير من « ليس في الامكان ، ابداع مما كان » هذه ، في فجر الثورة الفرنسية ، احدى مراحل
التاريخ الكبري ، بامتع سخر والدعه .

*

يقولون لنا ايضاً : « هي القوة ، لا قبل لنا بها . » كمن يشكو ضيق صدره : « هو الجبل ، لا منزعج
له » بل كمن يتأهب ليعط في نومه : « هو القضاء ، فن يدفعه » . وكأني بهم يخشون ان لا تفهم على احسن
وجه واكمل ، ضرورة الرضى والقناعة والخنوع والتسليم ، فهم يأتوننا بجهان لا يقطع قطعاً ، لكن
يخنز وخنزاً . يقولون لنا : « ان العين ان تقاوم المحرز . » اما التاريخ فقد عرف حواراً يدور بين تلك العين
وذلك المحرز . . . ودائماً كان ينبت للعين ظفر وناب .

عمر فاخوري

في وحشة الليل والسكون
الى ليل مضت ، عذاب
ورشفة من رحيق ثغر
ذي لثغة بعضها دلال
ألفاظه ضمخت بطيب
من حقتي صدره وفل
يلقني ، عادني الحنين
يسوقها للهو والمجون
مفأج ، حبه فنون
ومبهم كله فتون
يشه سوسن مصون
على التراقي وباسمين

* *

نشوان والكأس في يديه
يتحم القول ما يبالي
فكلما زاده غموضاً
تداركت شرحه العيون
تكد تهوي فيستعين
أوبهم القول ام يبين

* *

وسادتي حبه يبيع
في مرتع دافئ
تدب طياشة فتقسو
ومشلي خاره معين
في سكرة الحب او تلين

* *

عيناك والشعر في افتراء
تظل كالنور في اختلاج
قيارة هاجها اشتياق
ازهى من الفجر والجين
من بعض ما كان اويكون
فكل اوتارها رنين

* *

يفيض ليلى بذكريات
كانما في يدي وقلبي
ليست مدى الليل تستكين
مسك واغنية دفين

* *

يا ضيعة العمر في اعتزال
يلفه الليل والسكون

بوسف غصوب

بشار بن برد

بقلم مارون عبود

مدير الجامعة العربية بعاليه



د

فجاء الجاحظ بعد قليل وقال : ومن خطباء الامصار وشعراهم والمولدين منهم بشار الاعمى ، كان شاعراً راجزاً سجعاً خطيباً صاحب منشور ومزدوج ، وله رسائل معروفة ، وهو اطبع شعراً زمانه كله . ثم جاء ابو الفرج فاقتفى اثر يوحنا الانجيلي في تدوين سلسلة نسب بشار فبلغ به الى ادريوس بن يشتاسب بن بهراسب الملك . وقال اخرون بشار مولى وابوه طيان . وسواء عندي أكان ابن طيان ام صنو كسرى انوشروان فقد كان هوراس ابن مولى وفرجيل ابن خطاب . يعني بما ذكره ابو الفرج هذه الكلمة التي ختم بها تلك السلسلة الملكية «ويكنى بشار ابا مصاد وبحله في الشعر وتقدمه في طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك » .

فكيف اتته الرياسة منقاداً ، وما هي الحصال التي جعلت منه زعيماً لاختلاف فيه ، قال تين : الشاعر ابن العرق والزمان والبيئة وبشار هو حقاً ابن عرقه وزمانه ومحيطه . قد نعلم عصر بشار اذا جعلنا هذا الفاجر الفاسق مثالا له . كان في ذلك الزمان اتاس فضلاء يقولون : اما هذا الاعمى من يبيع بطنه ، قد نكون - اذا اتخذنا بشاراً وعصائب غوذجاً لعصره = كن يزور مواخير بيوت وملاهيها ولا يلم بكنائسها ومساجدها ومدارسها وجامعاتها وديورتها ونواديها الادبية ثم يقول بيوت مدينة هو ودعارة - لسنا نظهر ذاك المحيط فضيلة زياد تكذبنا ، وهذه النواة - اي بشار - لم تصادف تربة

متسع لدرس عصر بشار ومحيطه اللذين يعرفهما كل متأرب ، ناهيك ان بشاراً ابن الفريزة العمياء المودودة ، فما رأينا له ضرباً الا نفراً تلهذوا له فاعداهم . ليست الادبنة النفسانية باقل عدوى من الامراض السارية ، وليس بشار اول المتكلمين ولا آخرهم ولكنهم تلقوا على كل من تقدموه بثروته الشاملة كل ما تواضع الناس الى طغيانه فكان يزدي تقليدهم ، وعرفهم ، وعاداتهم ، ونواميسهم ولولا نفسه الاصيل لأحصناه مع السفلة الرعاع .

ولكن فن هذا الاعمى الوقح ، ونظراته البعيدة المدى تستهويني فاعلو في تقديره . يدهشني قوله عدم النظر بقوي ذكا القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء . فيتوفر حسه وتذكر قريحته . وازداد دهشة اذ اقبل قوله هذا بقرول بول فاليري زعيم الشعر المحكك في فرنسا ، ففاليري يدعو الشاعر والكاتب الى الخلوة في العرفة السوداء . تأمل ما تصور وكتب .

اما بشار فكان في غرفة ابدية الظلام ، لم يش قط الى ضوء النار التي قدسها وقدمها على الطين قضى عمره بين تارين . شهواته وفنه . فلننظر اذن في سجاياه قبل فنه لان هذا ابن تلك وان كانت جميعها لا ترضي فما رأيت فناً خلا من كوعة مثل الشيخ بشار .

كان بشار خائفاً على شعره فقال : ازرى بشعري الاذان .

شاب وما تلب ، طلعت نفسه خضراء في السبعين ، أذن في الضحى وهو سكران فكأن المتنبي يعنيه بقوله :

شيخ يرى الصلوات الحس نافلة ويستل دم الحجاج في الحرم
الحياة عنده هوى عاصف وشهوات كالتنور المسجور . وهكذا
كان له مدرستان واحدة علت الجسرة والفكك ، وأخرى علت الفن
لم يثبت الا على مكروسة واحدة وهي رعاية الصديق ، ولكنهما
كقول الدهري . خلق الله السموات والارض ، لانه لم يكن له
صديق ولم يزع عهداً .

يصوب مدفع فنه الى حصنين : المرأة والصندوق .
عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا
تعطي القريرة درهما فاذا أبت كانت ملامتها على الخلاب
هو لا يمدح ريمانة قبل شم ، هائج كالكبركان . الحياة عنده
مأدبة يجب ان تتنوع الوانها لتقوي شهوة النهم ، وقد قال لبعضهم
لا تصبروا مجلسنا هذا شراً كله ، ولا حديثاً كله ، ولا غناء كله
فلا العيش فرص ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا لتتناهب
العيش نهياً . قوي الميل حتى الغضب والبهيمية .

الصح في طرفة خشت ذات سواد كأنه الابور
يشع هذه القريرة كما يتبع الملاح نجمة القطب ، شعاره

من راقب الناس لم يظفر بجاحته وفاز بالطييات الفاتك الابهج
اذا كان الانسان اضعاف ميول كما يعلم علم النفس فيقول بشار
نطاحة . يقولون ان الميل قوة عظيمة اذا وجهته الارادة واداره
العقل ، ولكن ميل بشار عنيف خلق منه اص اعراض وبحرماً خطراً
على المجتمع . تاهيك ان ميل بشار لم يعرف الشيخة فسكران في
السبعين ، طرد السأم والمهرم ، كأنه ابن مشرين . كل شي محل
وصاحبنا جوعان دائماً ، ينطاح الزاد سكران ، زودينا يا عبد قبل
الفرار . وقد عرف اوجاجه هذا فاعتصم (بالهجوية) فقتال
مجهناً نفسه .

طلعت على ما في غير مخير هوي ولو خيرت كنت المهديا
لم بقعد ولم يتوان عن طلب المال فلم يمل عمه دون الاسفار
والزيارات المثمرة .
يسقط الطير حيث يبتثر الحب وتتشى منازل الكرماء .
وقد اعترف بهذا اذ قال : دخلت على الهيثم بن معاوية ، وهو
امير البصرة فأنشدته :

ذات حرارة ورطوبة ملائتين لاحضانها لما انفلتت وجنت جنونا
ورأينا لها اخوات .

لا يعنيننا ان يكون بشار خفيف الظل او ثقيله ، وسواء عندنا
احبه الناس ام ابغضوه ، ولا يهنا صدقه أو كذبه فالن كذب
كله . ولست اطلب ديواناً ضحاً لأحكم على فن بشار فحسي
ما وصلي من شعره . رب كتاب صغير يضم بين دفتيه نفساً كاملة
تامة الخطوط صادقة الالوان .

يرينا شعر بشار شيتين في وقت ممأ : ااحية بشار والمخطاطه ،
وسحر قريحته وفنه . فبشار بن برد اناني من الطراز الاول ، كأنه
انسان لارشفو كولود الذي لا يهدأ ابداً ، فلا يقف عند الآخرين
الا كما يقف النحل على الزهر ليمتص منه ما هو بحاجة اليه . بشار
ممعجب بنفسه معتد بها وحسبك بابر طيان يصبح نداء لكسرى
لنوشروان فيقول وهو من عرفنا .

نبئت بانع عرضه يقتابني عند الامير ، وهل علي امير
ناري محرقة وبتي واسع للعقنين ، وبجلي معمر
ادع فاسق ، شموس حرون ، غضوب جسر كناقعة عترة .
لا تردعه النصيحة ولا يتأثر باحد . عدو الجميع نائر على النظم
جميعاً قديماً لشهراته المتأججة . فأتك جسد ولا يشين عن غيب طام
ولا تكبحه الخزامة .

أمانة قدوصفت لنا بحسن واذا لا يوافق
فكان من امرهم ما كان ولكن بشاراً خلي من حساسات
الحيا ، والحيا ، بالنظر . يشهر بالمعائب وكره الناس . ما احب
الابنية . متقلب كالني برفاش . يخفر ذمة بني عقيل كما يزدرى
الدين والمعتقد . بهجو الخليفة كرا بهجو الحيا ساط والقصار يذرتي
كيفنا طابت له الريح ولا كبير عنده الا اجل . هو على حد قول
رابليه يسكني كالبرقة ويضحك كالعجل . لا يحرص على شي .
حتى على فنه ، يبيذه ارضا ، لربابة ربة البيت وطمعاً بأكل البيض
طازجاً . فلسفته در مع الزمان كيفا دار .

وما الا كالزمان اذا صحا صحوت ، وان مات الزمان اموت
مادي ممثلي . شقاً ، زنديق اذا خاف ، ملحد حتى الهذيان اذا
اطأن . ليس الدين عنده شيئاً ولا الفروض ولا الصلاة . من يقبلها
تفارق لا يرفضها جملة . الحياة عنده في اللحم والعظم . لا يردعه
الا الخوف على جلده .
انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

ان السلام ايها الامير عليك والرحمة والسرور

فسمعه يقول : ان هذا الاعمى لا يدعنا او يأخذ من دراهمنا شيئاً ، فطمعت فيه فما برحت حتى انصرفت بجائزة . ان حجة بشار تعمل دائماً لانقام رعايته ، فما هجا الا ليستدر ، وما نظم شعراً لثائفة او مغنية الا ليغزو منها بشي . وما تقول الا لستهوي ويغوي وما مدح الا ليجاز . كان فته اجمولة صيد ، والفن مكار ، قد يكون للتقاليد والعرق يد ظمى في توجيهه فما عصمه اسلام ، ولا حجة شرع او حد . اما اجاب جوارى المهدي ونحن على دين كسرى ، حين قلنا له انت ابونا .

ان بشار عبد اللحم والعظم ، قد كان مصاباً بحمى الحياة ولم يفارقه الدور حتى ضربه المهدي ضرب التلف والتي في البطيحة وقد يدلنا خلقه على خلقه ان كان كما وصفه حماد عجرد واعى يشبه القرد اذا ما عمى القرد او كما قال فيه آخر .
ان بشار بن برد قيس اعى في سفينة

الطاقة البشرية

روي الاصمغاني عن بشار فقال : لما دخلت على المهدي قال لي : فيمن تعد يا بشار ، فقلت : اما الانسان الذي اغوى قلبه واما الاصل فعجمي كما قلت يا امير المؤمنين :

نمت في الكرام بني عامر فروعي واصلي قريش العجم واني لآغسي مقام الفتى واصبي الفتاة فلا تهضم وكان ابو دلامة حاضراً فقال : كلا ، لوجهك اقبح من ذلك ووجهي مع وجهك . فقلت : والله ، ما رأيت رجلاً اصدق على نفسه واكتب على جلبيه منك . والله ، اني اطويل القائمة عظيم الهامة ، تام الاواح اسجيع الحدين . ولرب مسترخي المزورين للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة . وجلست منها حيث اريد . فانت مثلي يا مرقعان . لم يكن بشار ابو دلامة ، وقد رحم الله بشاراً فأعماه لئلا يفهمه برؤية قبحه .

وان قيل من كان هذا شكله وتلك سجاياه ، فاي فن سام يفرج منه . قلت : الوردة والتفاحة والبيضة من نبات المزابل . ومن هذه الدمنة التي سميت بشاراً بسقت فروع الشعير مخضلة ، فنبعثت عن الطاقة Energie البشرية .

لا يفرق علم النفس بين جهد وجهه ، فسيان عنده جريبع ويتجدد في سبيل المحد والوطن ، واصي يصبر على جرحه خوفاً من الفضيحة والسجن . فأزى توجهت كاثبات طاقة بشار فهي طاقة ولها الاولوية بين خصاله . فاولا جهده الغنيم المستمر لظل لعبة الصبيان وكرة يتلقاها من لا يرحمون ذاعة بل يقولون : « اضرب الاعمى واكسر عصاه ما انت خير من ربه الذي اعماه » . ان هذه الطاقة المتقدة قد سيرت بشاراً نحو الابداع المستمر والدليل قوله : لم ازل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيتين بشيتين في بيتين حيث يقول :

كان قلوب الطير رطباً وياساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

حتى قلت :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا

واسافنا ليل تهاوى كواكبه

لا يعني هذا انه سرق امرأ القيس كما ظن احدهم فانتزح لا يبدع عادة جديدة بل يقتصر على جمع بعض الصور الى بعض ، فيجعل ويركب ويضفر ويكبح كما هل بشار . ان ارادة بشار مساجلة بقرينة عجيبة وقوة بادرة ، وشدة عارضة يخففها العقل الذي الزمه عود التفكير فيما نظم . اضف الى هذا كله ذوقاً موهباً يمكنه من نقد شعره ادق نقد فجاء كلامه نقياً كأنه الفضة المسبوكة ، ففطرت قصائده ولم تشعب اغراضها ، وقد قال بشار في هذا : لم اقبل كل ما تورده علي قرينتي وبناجني به طاعسي وبيعه فكري . نظرت الى مغارس الفطن ومادن الحقائق ولطف التشبيات فمرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية فأحكمت سيرها وانتقيت حرها ، واحتزنت من متكلها .

لا بد للشاعر الكبير من محبة قوية ، ومحبة بشار اشبه بطائر يطير بنجاحي الحساسة Sensibilité والانتباه . وان قيل ماذا يدرك الاعمى المسكين اجنبا مع علماء النفس ان الانسان مدرك بغير عينيه . وقد دلنا بشار على هذا قبل علم النفس الحديث فقال : ان سلمي ، والله يكملوها . كالسكر زداده على السكر بلأمت عنها شكلاً فأعجبني والسمع يكفكف غيبة البصر

ثم قوله لبعده :

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارضى

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحجب

فما تبصر العيان في موضع الهوى

ولا تسمع الاذان الا من القلب

وقلت : تقتلني . فقال : هو ما اقول لك . ثم قدمت عليه فأشددته (طرقتك زائرة فحي خيالها) فقال : تغطي عليها مئة الف درهم . ثم عدت الى البصرة فأخبرته بخالي في المرتين وقلت له : ما رأيت اعجب من حديثك . فقال : يا بني ، اما علمت انه لم يبق احد اعلم بالغيب من علك .

اما تبصره بالغريب فامكنه من فهم سر كل لفظة فحملها ما تستطيع تأديته واحلم محلها بين اخواتها لتزدي فكرته التي بدت كالبحر الهادئ ، تبصر قعره بعينيك وهو عنك بعيد .

واذا كان لمركب النقص عمل في الانسان كما زعموا فعمى بشار وحبس منظره حلا على التسامي Sublimation في فنه ، فشأنه في حبس منظره وعماه شأن عترة . ذاك استقل سواده فنياً وهذا اندفع ليذ الكاملين . اما تراكبه على المذات فقد اذا كاه الكبت Refoulement فلذات بشار بقيت منقوصة ولم يو غلته كل ما ارتكب من الموبقات . ولئن بقيت طاقته فنية في المرم فجا اخلفة وسب الوزير فلاح هذا الرجل لسانه ، وبه رد القلاء عنه ولم يثبت له ابواب القصور .

خبرونا انه كان يعطي ابا الشمعق منقي درهم في كل سنة . وبلغ ابا الشمعق ان اشاراً اعطى عشرة آلاف درهم فوفاه فقال له يا ابا معاذ ، اني مررت بصبيان فسمعتهم يشدون . طعن قثاة ثلثه ان بشار بن برد تيس اعمى في سفينة .

فاخرج اليه بشار منقي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن رابوة الصبيان يا ابا الشمعق .

لا تعجب ان رأينا الشاعر الكبير المبوب يخاف هو أجا كذا فن يسقط من عل في صفه لا يجزؤ في كبره على تسود حائط عال فجا بعد . وشاعرنا ذاق طعم عبث الضبيان صغيراً فآثر ارضاء من يهوشهم .

واذا صح قول ابيقور في ان السعادة في الجود وفقدان الشهوات فبشار لم يسعد يوماً في حياته ، فهو من المتفانين ولا شك ان نفسه لم ينقص عن سبع عشرة مرة في الدقيقة ، ولم يكن تبضه قط عاديا فهو رجل ملاذ وسرات . ظل من فنه في جهد جهيد ينفق من طاقة لا تنضب ، فكان كالدجاجة الرخمة لا تعبد ولو طمرتها بالثلاج بل تنفض وتعود الى بيضا تحضنه .

مارود عبود — عابيه

اقلا يؤيد كل ما جاء في عالم النفس عن الهوى والهيجان والتخيل والاحساس وغير ذلك من فصول ، وما علينا لو اتقننا هذا الشيخ المعظم بين جيس وريبو وبرغن وغيرهم ، فقد خلق بذكائه وانتباهه الشديدين ما لم يخلقه الملايين من البصراء .

الانتباه خاصة اولى في العيان يدالك عليها تقلص عضلات جباههم وارتفاع حواجبهم والاخاديد الاقية . ولكن ليس كل اعمى قوي الخيلة فياض الذهن والقرينة كبشار يخلق مثله . وما يضر فقد البصر فلسع والشم والذوق وغيرها من الحواس الاخرى صور تالية (Image consécutive) كما بالنظر ، والصور التالية بنت الاحساس وهو من اصدق صفات بشار التي اثبتت خيلته . روى ابو الفرج قال : مر ابن اخ بشار ببشار ومعه قوم . فقال بشار لرجل معه : من هذا . قال : هذا ابن اخيك . فقال بشار : اشهد ان اصحابه سفل . قال : وكيف علمت . قال : ليس عليهم نعال .

ليس الان وقت القاء درس في الانتباه وانما في الفن ولكننا نقول ما لا بد منه لموضوعنا اي انه يجمع ملكات العقل حصول نقطة واحدة . وانتباه بشار تجمع كله حول مخيلته فصح في بشار ما زعموه عن العبقرية ، اي انها القدرة على جمع الفكر حول موضوع واحد مدة طويلة .

ومن يميز بشار الحبس البديعي Sentiment esthétique فالهيكل البشاري (دينو) احساسات مختلفة تخلق طاقته قوى وانواراً مدهشة . وهذا الحبس البديعي الذي تعب في مسراده الاجسام حل بشاراً على تسمية (الرقيق) و (البردان) ، وعلى تصوير الطيور في جامه . وهو الذي وجهه صوب السخر السلاخ واستطابة النوادر وابداعها .

هذه عناصر بشار الغريزية اما عناصره الاكتسابية فهي ثقافته الشاملة ، ان صح التعبير ، والا قلنا اطلاعه الواسع على معارف عصره ومقدرته الخدلية ، فقد كان شيخنا من ابطال هذا العراك وله فيه حجاج وبراهين شرراً ونوراً . اما الادب فعرف منه العالي والرخيص ونقد نقداً عجيباً . قال مروان بن ابي حفصة : قدمت البصرة فأشددت بشاراً قصيدة لي واستصحتني فيها . فقال لي : تقدم بعداد فتغطي عليها عشرة الاف درهم . فجزعت من ذلك

الصالونات الادبية عند العرب

بنهم عبد العزيز احمد

رئيس قسم المعاجم بجميع فوؤاد الاول
ومدير كلية فارقو الاول الشريعة ببيروت

ادبنا العربي الفينا الظاهرة نفسها واضحة بينة ورأينا الندوات والمجالس الادبية تحتل منه منزلة رفيعة ، ولكنها ليست حديثة حداثة نظيرتها في الادب الاوروي بل هي بعيدة العهد طويلة العمر على قدر ما قطع الادب العربي من اجيال ومرو به من تطورات فلا عجب ان قلنا ان اقدم هذه الندوات يرجع الى ابدن من اربعة عشر قرناً غير انها لن نعوض للجاهلية وما عرف عنها ، ولن نتحدث عن قصور الخلفاء والامراء واشباههم وما كان لهم من فضل وما بذلوا من عناية . سنعدل عن كل اولئك الى بيئة تتصل بصميم الشعب رجاله ونسائه ، يمكن ان زى صوراً منها في عصور التاريخ الادبي من قلب الجزيرة العربية الى الاندلس بيئة الفن العربي الجليل والادب الرفيع .

وقد يكون من الخير ان نبدأ بالحديث عن النساء في العصر الاسلامي الاول في قلب الجزيرة العربية وما تاحها لدفع توهم ان المرأة العربية في ذلك العهد لم تعرف هذا النشاط ولم تساهم او تؤثر فيه ، ونفي مظنة ان الجوازي وحدهن كن يبعث ذلك النشاط ويجور كثير من الخرافات الادبية ، فان هذه فكرة خاطئة لو اجالت برأسك لعديتها وجود العدد الكثير من العربيات الحرائر اللاتي افاضن اللين سبك في خلق او دين لو ضربناه مثلاً .

وكما سنعدل عن ذلك ونعبر بحر الزم الى الاندلس حيث مدينة قرطبة الزهراء ، وارجو الا يرى المستمع الكريم في هذا الانتقال ايماناً في البعد عن موطن العرب الاول ومبد لغتهم وادبهم فلم ينس احد ان ابناء هذه البلاد هم نسل اولئك ، فهم خلاصة العرب السنية والعلمانية ، وان الدولة الاموية ان زال سلطانها من الشرق فقد بسطت ظلالها على الاندلس قروناً ، على ان الهم في فظناهم ما كان لاندلس من اثر في نقل الحضارة العربية الى الغرب وما لها من فضل في بعث النهضة الاوربية ، فكانت منارة يشع نوره على الشرق والغرب معاً .

فاذا سمنا قد اشترنا الى الصالونات الادبية في الغرب المقابلة والموازنة فلا علينا ان نحددنا عن بعضها في اقرب الاقطار اليه واشدها اتصالا به وتأثيراً فيه ، واختارنا ادبية اندلسية تتجسد ، عاشت حياتها في قرطبة حاضرة وعاصمة وعاصمه ، اخريات عهد الدولة الاموية ، فادركت انهيار سلطانها وبدد عهد ملوك الطوائف اوائل القرن الخامس الهجري (او القرن الحادي عشر المسيحي)

عرف العالم العربي نشاطاً ادبياً خصباً في جميع العصور والاقطار الافتراات وجيزة انتابته فيها الاحداث وكأنها كانت لحظيات استجمام وتحفر نوبسة جديدة كادت تبلغ به الازوج في العصر الحديث . والادب العربي حافل بالصور الرائعة من مظاهر هذا النشاط واثاره والبيئات التي اثر فيها . على ان الذي زيد ان تتيهه هو حظ المرأة من كل هذا ، ومقدار مساهمتها فيه واثرا في توجيهه فضلاً عن المشاركة فيه ، واية امرأة يمكن ان نتخذهها مثلاً للنشاط ورمزاً للنهضة الادبية النسائية ؟ ثم هل كان له من الظواهر والآثار في ادبنا مثل ما عرف العالم الاوروي للمرأة من مساهمة في ادبهم ونشاط في سبيل احيائه ؟

تلك امئلة رجا جالت بالخطر وقد يكون الجواب عن بعضها حاضراً ، وبعضها الاخر يحتاج الى فضل تأمل . اما في الغرب فقد لهج الاورويون بفضل المرأة على الادب واثراها ونفوذها في الحياة وفيها صوره الصالونات الادبية ونسبه مجالس الادب والندوات الادبية . وكتب الادب الاجنبي حافلة بانواع شتى لهذه الصالونات وصور مختلفة لها في الممالك الاوروية . والذي يعينها هو الاجتماعات التي كانت تعقدتها سيدات الطبقة الراقية في قصورهن يتخلف اليها الادباء والشعراء وذو الرأي ، تدور فيها المناقشات الادبية وتثار المشاكل الاجتماعية وتحول فيها الآراء . وتصل في شتى الموضوعات ، ويخرج كل وقد ادر كنهه نفقة زكية من نفحات تلك المجالس فاستوحى فكرة جديدة او عدل عن رأي اطمان اليه ، او مذهب اعتنقه . ونحن نعرف ان اقدم هذه الصالونات كان خير اداة لنقل اداب الامم الاخرى وتدوهم . كان ذلك في انكسلا والسويد وغيرها من الاقطار الاوروية . ولعل الكثير لا يجهل هذه الصالونات التي عرفتها فرنسا وكان لها اثر عظيم في احياء الادب الفرنسي وازدهاره على ان شيئاً واحداً جدير بالملاحظة وهوان اقدم هذه الصالونات لا يبعد به العهد الى اكثر من اربعة قرون ، اعني انها عاصرت نهضة الادب الاوروي وظهر اثرها مع ظهور شخصيته . فاذا التفتنا الى

تلك هي ولادة بنت المستكفي

عرفت قرطبة وهي جنة الدنيا تجلت فيها قدرة الخالق وبديع صنعه وعملت فيها يد التنسيق والتجميل ، فاجتمع لها من العظمة والجلال ، والروعة والبهاء ، ما جعلها حديث العالم ، واشتهر أهلها بالتأني في اللبس والعناية بالمظهر ونجلى فيها حسن الذوق ، واتسموا بالراحة والظرف ، ونعموا ما شاؤوا في ظلال العز وتنعوا بلذائذ الحياة وبباهجها ، كما كانت قرطبة مركز العلماء ومبني الادباء واليا رحلة الكتاب والشعراء على حد تعبير نفع الطيب وغيره . في هذه التربة الزكية وفي هذا الجو المرح الجميل نشأت ولادة وترعرعت حتى لمع في سما قرطبة نجمها بعد ان افل نجم ابيها المستكفي الخليفة الاموي يزول سلطانه وانقضاء دولته وقيام حكم ابن جهور من ملوك الطوائف .

جمعت ولادة الى بارع جامها وخفة روحها وحلاوة نكتتها ، سعة اطلاع في الادب وشغفها به وغراما بنظم القريض . فكانت اديبة بين الادباء ، وشاعرة في عدادهم ، تتذوق البناء وتحسن صنعه فاختل بها مشيت من جال خلق ومليج دل . عاشت عذرا حتى بلغت الثمانين ، ذاق في حلو الحياة ومرورها وتقلبته بين اعطاف النعم حيناً وذاق مرارة الهم آثماً . فاما غرامان يكون قصرها حافلاً برجال الادب وكعبة للشعراء . ينسب اليه ابيسان قرطبة واشرافها ، يسمون في ناصيا ويبنارون في حضرتها اساجهم ويساجلونهم ومحاضرمهم وينشئونهم ويبتدرون بالنكتة ويروون عن النفس بما يشنف الاذان ويضطرب القواد . فكانت مصدر وحي والهام لفرق ، ومثار الحسد والنصرة لآخرين ، ولكنهم يحنون اليها ويبتغون عليها على كل حال . وكان اشدهم ظهوراً في مجلسها واقوامهم اتصالاً وتأثر بها فتاة اجبتها واصطفها ، تلك هي مهجة القرطبية من اجل نساء زمانها وصاحبة ولادة وتلميذتها ، تادبت بابديها وشربت من دها وافادت من خفة روحها فامع نجمها الى جانب ولادة في مجالسها .

اما الرجال فبل نسي منهم الوزير بن عبدوس من كبار رجال قرطبة واعيانها ؟ او ابا عبد الله البطليوسي من سادة ذلك العصر ؟ او نجمل ذا الوزارتين ابا الوليد بن زيدون الشاعر النائر ، قد دعاهما ويحيا وحاول كل الاستئثار بوجهها ، فجرت بينهما المناقشات ومشت السبايات ، وكان لولادة معهم نوادر وحوادث ولها بهم صلات ، انطلقت ابن زيدون باروع الشعر واتارت في نفسه ارق العواطف واوقعت بينه وبين ابن عبدوس انفض فرقة ، وكان ذلك مصدر

عبث ودعابة تارة وتهكم لاذع وهجاء مر تارة اخرى

وما كان اثنين ابن زيدون في شعره الا صدى لهجرها ، وغناؤه وحنينه الا شوقا الى دها ، وعيشه الا امن وحي خاطرها ، ولهوه الا صورة طيلة عصره وادب جيله . واذا كنا نحفظ لابن زيدون قوله :
ودع الصبر عب ودعك ذائق من مره ما استودعك
او سمعنا قوله :

بنم وبنا فما ابات جواغنا شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
تكد حين تاجيكم ضائرتا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
او مناجاته الليل :

يا ليل ليل لا انتهي الا بوصول قصرك
لو كان عسدي قري ما بت ارضي قرك
او اقبنته :

ما الذي ضرك لو سر يراك الحزين
وتلفت لاصب حينه فيك يحين

فيجب ان نذكر ان ولادة هي طيف خياله ومصدر احلامه ومبعث آلامه . واذا قرأنا رسالته المخرولة يعث فيها بابن عبدوس وتهكم عليه ، فلعلنا ان ولادة هي التي اوحى بها ودفعته الى تحيدها . واذا كنا نحفظ لاني نواس في مدح الخفيف والى مصر قوله :
فلقد ذكر ان ولادة احسنت الاقتباس وبرعت في قلب المعنى
من المبح الى النمر . عرفت كيف تعبت بابن عبدوس حين رآته امام داره بلاؤه الكبر والعجب بين جلالة ، وامامه بركة تجمعت فيها مياه الامطار وتلاوت بالاقذار . رأت ولادة هذا المنظر القبيح فنادته : يا ابن عبدوس ! فابتهج واقبل عليها بسمعه وبصره فاذت على ان اشارت الى العرصة واشتدت البيت :

انت الخفيف وهذه مصر فندقا فكلانا غر

فبعت لبعاءه ونجبل من جلالة وكثيراً ما نظمت الشعر شوقاً لمن تحب ، او هجاء لمن تبغض وهي دائماً في كل قلب ومن . كل سمع وبصر ، هذه ولادة الاديبة الشاعرة التي استطاعت ان تؤثر في جيلها وان تلهم الشعراء اعذب الشعر وان تشاركهم في اديهم واحاديثهم وتفتح دأرها لاستقبالهم . فتي كان ذلك ؟ لقد كان في القرن الخامس الهجري او الحادي عشر للمسيحي كما قدمنا . فهل بعد هذا نكسون مباتين ان قورنا ان العرب عرفوا الصالون الادي قبل غيرهم وان المرأة العربية كانت سيده صالون بالمعنى الصحيح ، وان مجالسها لم تكن انتقل روعة وجلالاً عن ارقى الصالونات الشهيرات النساء في العصر الحديث ؟

عبد العزيز احمد



رسالة



يا هاجري أين الزمان العتيقُ وموعدُ حلولِ وعهد وثيقُ
أيام رويتنا الليالي منى والصوت في أقصى الفضل السحيق
تعبث بالصبح مواعيدنا فالصبح في ما نتمنى غريق
أيام ينهل على رغبة منا فضاء بالضياء الدقيق
أو يخفى حرامته أغراسنا خلف ستار من غمام رقيق
أما ذلك الحب الذي لم يزل يفتق فجر شعر طليق
واطفئت شعلتنا وارتوت منا الليالي والصباح الفتيق
وأقبل العمر شتاء على أجوائنا والثلج عرض الطريق
يا هاجري ما زلت صنو الصبا أرفل من اردائه بالعقيق
ليلي كأسُ وأنا الشارب الحب رحيقاً قبل كون الرحيق
فعد إلى مضاكك واشرب كما كنت بكأس وتل البريق
عد يسعد الوردُ بنا مرة أخرى ويندى طيبه المستفيق

صلاح بكري

الحرب والادب

فلم جانه غوليه



بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ كثر نقاش نقدة الادب ومؤرخيه في موضوع التنويرات البليغة التي ستحدثها الحرب ، ولا مراء ، في اساليب التفكير والتعبير . وكان من المتوقع ان نشهد تجديداً بعيد الأثر في الانواع الادبسية ، اذ يستحيل ان لا يكون لتلك السنوات الاربع التي تمرت الشربة خلالها باشدالتجارب وادماها ، اثر ما في احساس الناس ونغياهم .

لكن - وبالعجب - لم يكن من هذا شي .

ان الناظر الى المحصول الادبي في مختلف البلدان الاوروبية بين عامي ١٩١٩ و ١٩٣٩ (ما خلا روسيا التي انتجت ادباً جديداً خاصاً) ليحسب ان الحرب العظمى الماضية لم تقع . فقد كانت حتى المؤلفات التي تعنى باحداث الحرب ، بالغة من الركافة عابثها ، خلواً من المتاع الفني . ولا يذكر في فرنسا من تلك المؤلفات سوى ما اخرجه جورج دوهامل وكتاب « النار » لماري بلويس . اما ما بقي من قصص وضعت بعجلة ، او بمحور تاريخية غير مستوفية التحقيق ، فقد سقط ، بحت ، في هاوية النسيان . كتاب الادب في الحرب بكتابت كبير واحد ، فان امة الادب الفرنسي في ذلك العهد ، وهم بروس واندريه جيد وبول مكودل وفاليري ، نشأوا وذاع صيتهم قبل سنة ١٩١٤ . اما الكتاب الشباب ، امثال جول رومان وجيروودو وموريك ومودرو ، فليسوا مبدعين شي من فئهم ، لتلك الحرب التي اجتازوها بحاربي . وقد ظلت القصة اكثر انواع الادب شيواعاً ، شأنها قبل سنة ١٩١٤ .

فهل يكون الامر كذلك هذه المرة ايضاً ؟ ترى ، أن نشهد في ختام هذه الازمة التي يتخطى فيها العالم ، ازدهار مواهب ادبية جديدة ؟ هذا سؤال جدير ان يطرح اليوم على الكتاب واهل النظر ، كي يدلو فيه بأرائهم .

اما انا فتعتقد اعتقاداً جازماً بان هذه الحرب ستفتح فرنسا على الاقل ، التجديد العظيم المتظفر . فان ثمة عدة انواع من الحروب . بعضها نزاع بين شعبين على اقليم او على مصلحة مادية ما ، ولكن البعض الآخر يكون بالصد ، بشابة انقلاب اجتماعي حق ، او زوبعة فكرية او مبدئية يخرج الانسان منها متغيراً في اعتم اعاقه .

فالنوع الاول من الحروب لا يكون له اثر بليغ في الادب كحروب لويس الرابع عشر مثلاً . فان ادب القرن السابع عشر لا يذكرها مطلقاً ولم يفعل بها . ان موليارد وراسين وبوالووسويه كانوا يبقون هم هم ، حتى لو لم يقم لويس الرابع عشر بحرب هولانده او حرب اسبانيا ، وكذلك كانت حروب القرن الثامن عشر وحرب السبعين التي لم يكن لها في الادب الا اثر ضئيل . فالرمزيون والواقعيون ، وما لارمه وتولا ليسوا مبدعين نتيجة الممارك الحربية بشي . كذلك حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ اذا نظرو اليها في ذاتها ، فهي من هذا القبيل الى حد ما ، الامر الذي يفهمنا كيف اتهم لم تحدث في الازدهان ذلك التجديد الاساسي المنشود .

وتختلف عن هذا الضرب من الحروب ، النزعات العالمية التي لا تبرز الممالك فحسب ، بل الافراد ايضاً ، فدارات البرابرة التي نشأ عنها القتل الامبراطورية الرومانية ، وحروب القرن السادس عشر الدينية ، وحروب الثورة الفرنسية هي ضرب آخر من الحروب . وكذلك حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ التي لم تكن - كما قال دوغول - وقد اصاب - سوى القسم الاول من حوب الثلاثين سنة الحاضرة ، فينبغي ان ينظر اليها مع كل لواحقها التي غنى اليوم بتجارها الشديدة .

ان كلا من تلك الانقلابات الفكرية او المذهبية ، سواء القومية او الفردية ، ادى بعد استتباب السلم الى طريقة جديدة في الاحساس والتفكير فقيب القرن السادس عشر الدامي العجيب الهائج شهدنا الازدهار الكلاسيكي وعقيب المصافة الثورية كان المذهب الرومانطقي . وعقيب الثورة الروسية نشأ الادب الجرويتاري او ادب المال ، ولا بد ، بعد حرب الثلاثين هذه من ان نشهد حركة ماثلة . قال ديدرو متنبهاً با سيحصل تلباً صادقا : « انما يولد الشعراء بعد الحروب العظمى . فأكليل البولون لايزدهر الا في الدم . »

والان ، ترى كيف تكون الحركة الآتية ؟ من العسير الاجابة على هذا السؤال بدقة . لكن الماجرب ان نحسّد حسداً . بنياً على العناصر

محاضرة

بو دب

انت سماء خريف رائحة ، صافية ، زهراء
غير أن الكتابة تصعد في نفسي كالبحر
وتترك ، عند الجزر ، على شفتي العجرتين
ذكرى مؤلمة من مائها الاجاج

— عبثاً تدب يدك الى صدي الواهي
فان ما تطاب يدك ايها الصديقة ان هو الا طلل
منزلة نخل المرأة واسنانها الضاربة
لا تفتشني من قاي فقد افترسته السباع

قاي تمر عاث فيه القوعاء
فهم يعربدون فيه ويعتلون ويأخذ بعضهم بشعر البعض
— يحوم طيب حول نهديك العارين

ايها الجمال . يا آفة النفوس . ماذا تبتهين ؟
أن تحرق بنار عينيك المبرتين كلالعياذ
ما ابتقه الوحوش من فذات في صدي ؟!
فافعلي

ي غ

المتعلقة التي يصح ان نستخلصها مما يصل اليها من اصداء الاحداث
الاوربية .

فأولا ، اري ان القصة ستخسر من اهميتها ، او بالاقل بعض
صيغها التقليدية ، ان ادب القرن العشرين سيكون ادب اناس
مجهلين ، وسيكون اشد اتصالا بالنوع الصحفي منه بالنوع الكتي
لهذا سنشهد شيوع الحكايات والقصص القصيرة اكثر من القصص
الطويلة العريضة .

وثانياً ان الشعر سينبث ، كل القرائن تني . بهذا الانبثا
في فرنسا حيث ينبغ نفر من الشعراء الشباب الجمهوريين بالامس ،
والذين سيكونون لوطاهم الجديد صوته المدوي . شعر بسيط ،
مفعم احساساً بفعل ضروب البؤس الطارئة ، مولود بالاغاب في
معسكرات الاسرى او في سجون العلوان الفاشستي .

كذلك سيتسع المجال في الشعر والقصص ، للطبقة العاملة التي
جهلها الكتاب حتى اليوم اكثر مما ينبغي . ان الروس وحدهم ،
منذ سنة ١٩٢٠ ، سبقوا الى استنار هذا الحقل الخصب الجديد
المتع ، وكنت ورفاقي من دعاة الحركة « الشعبية » جيولوجيا الكتاب
الفلاح ، وراموز الجلي السويسري ، نعمل على ان ندخل في الادب
الغربية هذه التزعة « الانسانية » الجديدة . موسمين المجال لخدم
الانسان ومشاغله الاساسية وفي رأسها مهنة وعائلته . على ان
الحركة الشعبية التي انتجت بعض الثمار اليلانة انا نسير في العاريق
السوي التي اختطها المذهب الواقعي في فرنسا ، لقد كان موليبار
ولافونتين من خيرة المنشئين الواقعيين في وصفهم البورجوازية .
وبلزاك ، فلووير ، ثم موبسان مشوا في هذه السبيل نفسها . بقي
ان ندخل في الادب الان ، عامة الشعب : رغباتهم وكراهياتهم ،
مسراتهم الساذجة او المركبة ، همومهم اليومية وآمالهم الجسام
هكذا سيكون ادب الفد : تزعمة انسانية جديدة تعث القيم
الروحية والخالقية القديمة في صيغ جديدة . عصر ذهبي يقوم فيه
العمل الراضي المرضي مقام الهوس والسهولة اللذين يشعان في ادوار
الانحطاط . اقل بهجة واثاقه شكلية وبهلوانية الفاظ وزخرفة
انشاء . لكن اقرب الى التعمق والجد وحن البصيرة
نحن في مطلع عصر تعادل وانسجام يكون فيه لكل شعب
ابتعته التجارب القاسية التي يجناها اليوم ، شأن يقوم به وفق تقاليده
لخير النوع الانساني .

«1»

تريستان وايزوت

مسرح ساره برنار في باريس .

اما موضوع هذه القصة فيمكن تلخيصه في ان الفولين، ملك ليونوي، يذهب الى الحرب لنجدة جاره الملك مارك، ملك كورنوايل، فيكافئه هذا الاخير بتزويجه من شقيقته بلانش فلور . ثم يقتل الملك ريفواين في الحروب وتوت

بلانش فلور هي ايضا فيا هي تضع ولداً سمي تريستان فيحتضن خادم امين لذلك المتوفي هذا الولد ويربيه تربية صالحة فيشبه على الجواراة والفضيلة . ولا يعم الامر حتى يتخطفه تجار من زوج تخرج بهم البساحرة على شواطئ كورنوايل فيساق تريستان

الى قصر الملك مارك في تنتجيل ، فيؤخذ الملك بطرف الامير الشاب وبجواحه ، ولا يلبث ان يعرف انه ابن شقيقته بلانش فلور فيعطف عليه عطف الاب على ابنه . ويصبح تريستان ايسل فوسان الملك ويقوم بتأثير محبته ويفتك بالعلاقات مورهوت الذي كان ينشر

هي اجل قصة حب عرفتها العصور ، ويرجع عهدها الى القرون الوسطى . ويقول مؤرخو الادب ان في فرنسا خمس قصائد طويلة عن تريستان وايزوت اقدمها قصيدة نظمها احد الشعراء الطوافين في العام ١١٤٠ واذا عاها في قصور الامراء الانكليز . ومن ذلك العهد الى اليوم ما فتى

الادباء والشعراء سواء في فرنسا وانكلترا والمانيا وزوج وايطاليا يستخرجون من هذه الاسطورة قصصاً وقصائد ومآسي وغنايات اذا اختلفت في الشكل لا تختلف في الجوهر . وقد تكون القصة التي سواها جوزيف بيديه، من اعضاء

الاكاديمية الفرنسية ثلاث اربعين سنة خلت احكم هذه الالف الايدية جميعاً واجملها .

وفي العام ١٦٢٩ استخرج بيديه نفسه بالتعاون مع لوي ارتوس من قصته هذه مسرحية ذات ثلاثة فصول مثلت للمرة الاولى على



البروفيسور جوزيف بيديه، مؤلف تريستان وايزوت

الدعر في البلاد .

هذا الاخير ، واذا نتضح له الحيانة يشور غضبه فيهرب الحبيبان الى غابة موروى .

تريستان - أجل ، انت لي وسأحتفظ بك ، في حق عليك .
لي حق عليك فقد طاردونا في غابة موروى هذه .

ايزوت - اني لبارك قساوتهم وظلمهم . فحين سجنونا في هذه الغابة أطلقوا سراح قليبنا .

تريستان - بما انهم يطاردوننا كأننا ، من وحوش الغاب فليحب كل منا الاخر كما يحب وحوش الغاب البرية بعضها بعضاً .

ايزوت - ان حبنالذي يطاردونه يستنشق من الاعشاب البرية اريجاً عطرياً .

تريستان - ألا فليحب حينا .

ايزوت - لنحب حينا ،

فاي عاشق وهب حبيبته مثل هذه الهبة ؟ لقد أعطيتني هذه الغابة ، وهذا النبع ، وهذا الوادي ، واعطيتني الازهار التي لن تقطعها يد .

تريستان - واعطيتني جسدك المغطى بالخرق ، وهاتين اليدين الممزقتين ، وهاتين القدمين الداميتين ، وهذه الجفون المتهدلة بوصفرة هاتين الشفتين . . .

ايزوت - اعطيتني اشجار مثقلة بالثمار ، بالطيور وبالعتاقيد واراضاً معطرة عليها كوخني المزر

بالحب ، عليا بيتي .

تريستان - وبينك هذا اقوى من حصن منيع اذ ان يهدمه الا الموت .

ايزوت - هذه الغابة تلفنا .

تريستان - نجحنا ونحرسنا .

ايزوت - والرياح تقني لنا وحدنا .

تريستان - كأن الله خلقنا في حديقة عدن .

وبديهي ان تثير هذه المآثر الباهرة الحسد في نفوس الاشراف من رفاق الملك مارك فيتهموا تريستان بأنه يسعى للقبض على زمام الملك بعد وفاة خاله . فيدرك تريستان عندئذ ان احسن وسيلة للقضاء على اراجيف هؤلاء الاشراف هي ان يجعل الملك على الزواج .

وفي اليوم نفسه يدخل طائران من السنون الى غرفة الملك وهما يقتتلان ، ولا يلبثان ان يفرا مذعورين تاركين خصلة ذهبية . من شعر امرأة تسقط من منقرهما . فيتناول الملك هذه الخصلة ويدخل

اليه الاشراف وتريستان ويقول

لهم : « ما دمتم ترغبون في ان اتزوج فقد صبح عزمي على اختيار المرأة التي انفصلت من شعرها هذه الخصلة الذهبية ولن اتخذ سواها زوجة لي » .

فيقول الاشراف : « ومن اين جاءتك هذه الخصلة الذهبية ايها الملك الجليل من جاك بها ومن اي بلد ؟ » .

فيجيب الملك : « لقد جاءني من الحساء ذات الشعر الذهبي ومن البلد الذي يعرفه السنون » .

فيقطع تريستان عهداً على نفسه ان يجيى بالحساء ذات الشعر

الذهبي ، وبهد جهد يصل الى ايرلندا ويختطف من قصر ملكها ايزوت الشقراء ابنة الملك ، وغادمتها براغمين . وتكون هذه الاخيرة قد حملت معها شرايباً سرية تضرم به الحب في عروق الملك مارك ، فيكتشف تريستان وايزوت هذا الشراب السمين ويرويان منه وهما عائدان الى تنجيل فتدب فيها حرارة لاعهد بئها لحي على الارض واذا هما حبيبان ين استطيع فصلهما الحياة ولا الموت . وما ان ترف ايزوت الى الملك مارك حتى تدب الغيرة في نفس



ايزوت ذات الشعر الاشر

ايزوت - لم يبق على الارض سواكيا ترستان ، وسراي .
ولا يلبث الملك ان يغفو عن ايزوت ويسترجعها بعد ان يغفي
ترستان .

الفصل الثالث

قاعة في قصر تنجيل . (ايزوت جالسة وفي يدها عود تنزف
عليه وعلى قدميها خادمتها براغين)

ايزوت - ان يعود ... لقد مرت سنتان طويلتان ... !
ان يعود ...

براغين - انسيه ! ... فالملك يكرمك ويحبك .
ايزوت - وماذا يعني من كرمه وحبه ، ماذا يعني من
عفوه وغفرانه ؟

براغين - واكنها ليست بحاجة هذه التي تعيشها
في هذه الغرف المقفلة
لياليك بدون رقاد
ونهاراتك بدون نور
كأنك في مية مزينة
للعب .

ايزوت - لا
تستطيع ان تحيا الا
في ترستان ولا
تستطيع ان قوت الا
فيه .

« ثم تطلق انامها
في العود »

براغين - اعزني يا مولائي ، اعزني ، فالخناك عذبة شجيرة
وانامك جميلة ، كأنني بسرب من الطيور يطم على هذه الاوتار .
ايزوت - هي طيور غابة موري ياجيني . فترستان تعود
من صفوه تقليد اصوات الطيور ، فكان اذا ناداها في النسابة
خفت اليه تقني ...

ولا يطم الامر حتى يتصل بايزوت ان ترستان تزوج في الغربة
وان اسم زوجته هو ايزوت ذات اليبدين البيضاءين . وفي احد
الايام فيما الملك مارك يصطاد في البقاع البعيدة يدخل الى القصر

رجل متنكر بزي مجنون ويدعي انه مجنن قراءة البخت . واذ
يلج في الدخول على الملكة تلاحظ براغين ان في الامر سرا
وتجهر مولاتها فتقول لها ايزوت ادخليه .

ولا يكاد المجنون يمثل بين يدي الملكة حتى تبادلوه
بقولها :

- ألا تدري ايها المجنون ان الموت يهدوك في هذا المكان ؟
فيحييها : ألا حبذا الموت !
فتقول له : هذا الصورت ! هذه الكلمات كم سمعتها منك
يا ترستان ؟

والواقع ان ترستان حين يبلغه ما تقاسيه ايزوت من اجله
يصح عزمه على اقتراق فربة تنرس في قلبها الصكره والبضاه.
فتنساه وتسترخ بما بها ولا تلبث ان تحيا مغبولة سعيدة . ولا
يجد لذلك افضل من
ان يتزوج . على ان
حبسه لايزوت كان
يزداد اضطراباً ولبياً
حتى اورثه داء النجاسة
منه وشعر بحاجة ملحة
الى ان يتزوج نظرة
منها قبل ان يموت
فيتكلف الجنون
متنكراً بزي عراف
ترستان - لست
ترستان . لم ابق
ترستان كما كنت

مشهد الشراب السحري من مسرحية ترستان وايزوت

بل انا الرجل الذي خانك .

ايزوت - لا ، فترستان لا يستطيع ان يخون ايزوت .
ترستان - انا الرجل الذي تزوج ابنة الدوق هوبل .
ايزوت - لا بأس ، ولكن قلبك لم يستطع ان يخونني
ولا جسديك ايضاً ، فقد شربنا ذلك الشراب ... وسنشررب
مما البأساء او البقلة .

ايزوت - لا قيمة للكلام الذي يخرج من فمك ، فقد
عرفت صوت قلبك واية قيمة لما بقي ؟ !



كنت تحبني . اما الان فساموت لانك لم تبق في قيد الحياة .

ثم تقبل عينيه وتتمدد الى جنبه وتطلق آخر انفاسها .
واذ يتصل هذا النبا بالملك مارك يأمر باحضار الجثتين الى
تنتجيل وبان يبني لكل منهما قبر بعيد عن الآخر . ولكن
في الليل ينبت غصن مزهر على قبر ترستان ويمتد في الجو

ترستان - ايزوت ، ساموت قريباً بعيداً عنك .
ايزوت - خذني اليك يا ترستان ، وضمني الى صدرك ضمة
ينسحق لها قلبانا وتتخرج روحانا .
خذني اليك ، ولنبعد عن رائحة الدم ودنيا الاراجيف خذني
الى الوطن السعيد الذي لا يعود منه احد .
ترستان - الساعة تقترب يا ايزوت ، فاذا ناديتك فهل تأتيني ؟



ترستان وايزوت في غابة مورو

فيدور دورة الكنيسة وينشب في قبر ايزوت . فيقص سكان
المحلة القصص ثلاث مرات وثلاث مرات يعود فينبت ويمتد
قوساً مزهراً عطراً من قبر ترستان الى قبر ايزوت .
واذ يجهر الملك مارك بالامر بصدور امره بان لا يقص القصص
بعد اليوم .

ايزوت - نادني يا ترستان فاجي . اسرع اليك .
ويعود ترستان الى منفاه ولا يلبث ان تشتد عليه الحى
ويوت . وفي الليلة التي فاضت فيها روح ترستان تسمع ايزوت
صوتاً يناديهما فتهرب من القصر وتصل اليه في الصباح .
ايزوت - « تدنو من سريري حبيبها وتكشف عن وجهه »
لقد ناديتني يا ترستان فما انذا ، لم اعش حتى اليوم الا لانك

بيروت والبيرونيون

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بقلم نقيب طائفة

الفصل السادس

الحفلات الشعبية • حفلة الختم • حفلة الختان • حفلة الصمد • زفة العريس

كان اهل بيروت يحتفلون بختام القرآن الكريم ويوم الختم عند تلايد تلك الايام اجمالاً ايام السنة الدراسية يخرج فيه الاحداث من الكتاب في صفتين يرتلون الاناشيد يتقدمهم رجلان يلعبان بالسيف والترس او كما يسمى (لعب الحكم) او (المشاقبة) ويأتي بعدهم رجل يحمل فوق رأسه كوسية ذات فتحتين عليه القرآن الكريم مغطى بغولة حورية مزركشة ومن وراءه الختفي به ورفاقه مرتدون الملابس الجديدة المحلاة بقطر من الفضة يمشي المعلم بين الطلاب متقلداً حول عنقه سحرة طويلة وفي يده عصا غليظة يضرب بها الارض وينشد باعلى صوته بعض المدائح النبوية ويتلوه جماعة من الاهل والاصدقاء بينا المعجرات يزغردن من وراء حجابهن من حين الى آخر • وحينما يصل الموكب الى منزل الطفل يوزع اهل الدار على الاحداث قراطين (النعومة) او (المعال) او اقراص (التمويه) او (الخبيصة) او التين اليابس مع الجوز وحيثما بعض قطع من النقود اذا كان اهل الطفل من ذوي اليسار • وجرت العادة في تلك المناسبة ان يهب والد الختفي به للمعلم كبسوة كاملة للدلالة على التقدير والكسوة او (الخلعة) في الغالب قطعة من الموصايف الازيضية للعباءة وشقه من الكتان او الخام للجنة او الصروال •

وكان ختان الوند في سن الخامسة او السادسة وحيثما قبيل ذلك او بعينه ويحتفل بختان ولدين معاً او اكثر اقتصاداً بالنفقات وتسمى حفلة الختان (الطهور) فليس الولد المراد ختانه الثياب الحريزية الفضاضة الزينة بالعقب ويقلد الحلى والتأتم اتقاء لشر

العين ويركب فوساً باجل سرج وعشي امامه الطبال والزمار ورجل يحمل سيفان برأس كل منهما زهرة ويتلو الموكب الاهل والاصدقاء. وعندما يبلغون البيت يقوم الحلاق بعملية الختان بينا جماعة يقرعون الدفوف ذات جلاجل نحاس يضربونها بمتنهى جهدهم وبذكرون الله تعالى باصوات عالية مرددين (الله هو الله هو) انحاء اصراخ الولد المتوجع •

ويحتفلون بنقل جهاز العروس الى بيت العريس في يوم مخصوص والجهاز اباني بتيبة ونياب يتفاخر بها اهل العروس ولذا كان يسير موكب (الصمد) في نصف طويل يحمل المشتركون فيه قطع الجهاز على رؤسهم او على ايديهم كل واحد منهم مسك قطعة فهذا يحمل امرأة وذاك فواشاً وآخر خدعة وغيره طستاً وابريقاً او صندوق وبقعة مزركشة وبعض اوان مطبخية واشغال يدوية في اطباق وصواني واوعية مكشوفة ليراهها الناس •

وعندما تضع المرأة غلاماً يأتي اطفال الكتاب ويقفون بباب دار المولود ويهتفون :

ام المولود حليت لولا الصبي ما جيتا

وبعد ان يدخلوا البيت وتفرق عليهم اطباق النقل ينشدون :

يارب يانشي العظام احفظ لنا هذا الغلام
وانشؤه نشاء صالحاً ابن الاصايل والكرام

واذا كانت ليلة العرس يذهب العريس في موكب الى دار العروس واصدقاؤه يحملون المشاعل والشموع فيصّب اهل البيوت ماء الورد او ماء الزهر على المارين صباً من مزاهر فضية خاصة وحينما يخرج العريس من منزله ويطل عليهم يصيح احدهم (ضوا يا جماعة) وفي الطريق يقفون فينادي بعضهم :

يا اهل الحمية وعزائم الله القوية
يا سامعين الصوت لايقطع لكم ذرية
بجاه طه خير البرية لايقطع لكم ذرية
بجاه طه خير البرية وان كان هاريا البيضاء المحلبة
راية (فلان) العربي بيض الله وجهه
فيصيح الجميع صيحة واحدة : بيض الله وجهه ...

الفصل السابع

عدد السكان والطوائف . المساجد . الزوايا . الكنائس

لم يكن لبيروت يومئذ احصاء رسمي لأهل بالضبط مدد المسلمين والنصارى وغيرهم من ابناء الطوائف الاخرى من اجل هذا فاني أستعني في تقدير السكان حسباً وردت في الاحصاءات الصادرة عن قنصل الدولة الفرنسية آنئذ ويتضح منها ان عدد سكان بيروت كان يربو على خمسة عشر ألفاً وخمسة مئتين موزعين كما يأتي :

• سبعة الاف مسلم .

• اربعة الاف روم ارتودوكس .

• الف وخمسة مائتي .

• الف ومئتا كاثوليكي .

• ثمانمائة درزي .

• اربعمائة ارمني سرياني .

• مئتا يهودي .

• اربعمائة اجني من بلاد اوروبية مختلفة .

وهذا العدد زاد فيما بعد وظل في زيادة مضطردة لاضطراب الاحوال السياسية في الجبل وتزول اهلبيلى الى المدينة حتى بلغ عدد سكان بيروت الان مائة وستون الف نفس . وكانت تحاثل اكثوية السكان وعاداتهم ، نزيجاً من تلك الشائيل والعادات التي كانت تسود الجزيرة العربية وسوريا ومحال افريقيا .

• وكان يومئذ للمسلمين خمسة مساجد : الجامع العمري الكبير .

• وجامع السراي . وجامع الزنوفة وجامع شمس الدين . والجامع المعلق (وسمي بذلك لانه كان يصعد له على درج خلافاً لسائر مساجد المدينة) وكان قائماً في سوق الخضرة . فضلاً عن ذلك فقد كان هناك زاوية المجدوب قائمة بزا دار الكتب الحالية عمرها بعض الصالحين من آل المجدوب . وزاوية الاوزاعي في مدخل سوق الطويلة وقد درس بها الامام الاوزاعي (٧٠٧م -

٧٧٤) وتهدمت وقام في مكانها اليوم مخزن خصص دبره للوقوف الاسلامي ثم زاوية المغاربة عمرها احد الاتقياء المغاربة وزاوية بني الحمر . لاورا . بني الحمر . ومنهم المؤرخ صالح بن يحيى صاحب كتاب (تاريخ بيروت) وكانت قرب جامع السراي . وزاوية ابي النصر عمرها العالم الشيخ محمد ابو النصر اليسافي جد عائلة ابي النصر المعروفة وحفيد المرشد الاكبر ابو الوفاء الشيخ عمر ابي النصر اليسافي . وزاوية القصار في آخر سوق البزر كان وهذه الزوايا مع جامع شمس الدين والجامع المعلق توارث بطوارى . الايمان ما عدا زاوية ابي النصر فهي ما زالت الى يومنا ورا . مقهى القزاز قرب ساحة الشهداء .

• وكان نظام الزوايا معروفاً في البلاد الاسلامية ومن مقتضاها ان يقوم الذي يعمر الزاوية من عباد الله الصالحين بتأجيل اليه . من نفقات يومية من طعام يقدم للفقراء . وبعض ويريد طوبقته وشيخ الزاوية يصلي بالناس الاوقات الحس ويعظمهم كل جمعة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وكثيراً ما يقيم الورد ويعيد الذكر في حلقات ليلية يدعواها (حلقات الذكر) .

• وكانت مساجد بيروت والزوايا كلها متشابهة في قيامها على عقود كثيرة وقباب ولها عيال ابوابها من السائر وكان للسحيين ثلاث كنائس وهي : كنيسة مار جريس للروم الارثوذكس كنيسة مار الياس الخازم الكاثوليك وكنيسة مار جريس القديسة الموارنة وقائمة على عشرين درج الاربعين شهيداً وردت فيما بعد وقام اقامها الى ناحية اليمين كنيسة مار جريس الجديدة التي شاهدها المطران يوسف الدبس . وكان هناك كنيسة (الارض المقدسة) (Terra Santa) للرومان الفرنسيين وكنيسة الروم الارثوذكس معظمة عند الروم بقصدون لها من بلاد كثيرة وحسبت من ابداع كنائس المملكة العثمانية .

نفس طباره

الاديب تقدم

«الواحة»

مجموعة شعر لصالح الاسير

قريباً جداً

قبلة!

يا نعمة 'زود'تها زاداً على السفر الطويل
شفعت بما صنع الرحيل، فكنت اغفر للرحيل
ومشيت في قيط، وفي ماء، وفي شجر ظليل
القي تنفس جرة بتنفس الورد البليل
هي قبلة، برد الليل وان تكن حر الليل
قالت فارتكت سبيلاً ان أقول، وان تقولي

*

يا نغرها بعد التمتع بحبذا كرم البخل!
قد كنت اجمع بالرجاء الحبي والياس القتل
حتى خلت الطيبات 'مجمن في النور الجميل
هي قبلة قالت، ولكن ما قليلك بالليل
المستحيل اذا هفت شفتك غير المستحيل!

ربيف فوري

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بنف رشاد المغربي دارغوث

المسرحية بين العامة والفصحى

من حق الاديب على الناس ان يطالعوا مايتحفظهم به من عصارة قلبه وذوب نفسه فيقول الذين يستطيعون منهم القول رأيهم في ذلك
النتاج . كما ان من حق الاديب ان يخلص هؤلاء له فلا يراؤون في القول او يبخسونه اشياء وخصائمه .
وان كنا نأسف لامر فلان الذين ينصبون انفسهم للنقد عندنا واحد من اثنين ، كلاهما مغرض : صديق يدعو او يشد دعاوة فيها عاطفة
مشوبة واما مصلطع ، وحاسد يصد او يعمل للعبالة بين الناس ورؤية الحق ، يسيره فقد ارتطبت بلباس الاغلاص للفن او الفيرة عليه .
ويقيني اننا لن نخرج بالادب من بين هذين ، وبالتالي ان يتبوأ الاديب فينا المآلة التي ترجع اليه في مجتمع سليم الا يرم يقضى على هذه
السطحية التي غمرت الناس وجرفت في تيارها الارعن كل شي . وصارت او تكاد طبيعة يستعصي على الفرد خروجه منها او تخرده عليها .
بين يدي اربعة كتب : ثلاث مسرحيات ونجدة من القصص آتفا اديب سبق ان قلت فيه ان ادبه سيؤرخ عصره ، عتيت الاستاذ
محمد تيمور صاحب مكتوب على الجبين وقلب غانية وتداء المجهول . . وسواها من القصص الكثيرة .

اما المسرحيات فهي عروس النيل والحيا رقم ١٣ وعوالي . واما الكتاب الرابع فمجموعة من الحكايات والقصص خص بها المؤلف
النش . والاسرة : فهي من هذه الناحية كتاب مدرسي وادبي معاً يطالعها الطالب في المدرسة وفي البيت ويقرأه من يشاء . حث يشاء .
هذه الكتب الاربعة وصلت الى علي مرتين : احداها عن طريق الصحف وما كتب فيها النقاد ، والثانية بعد ان طالعها وقدهبطات

عليّ مقدمة من مؤلفها الكريم .

وهذه إحدى مقطعات الادبا . والمثابرين او احدى مظاهر الحياة الادبية في الشرق . فنحن لا ننفي على هذه الاقوال بالتقدير الذي تستلزمه حاجتنا او لا نستطيع ان ننفي . واذا فن واجب المؤلف ان يهدي نصف ما يطبعه ، لوجه الله ووجه الادب . ولا ضير من بعد اذا خرج من حساب كتابه المنشور صفر الدين . فاجره على الله وعلى التاريخ . . .

ولعلي قد لمست جرحاً يكاد يبرأ في بيئة كصر او هو تحت عصابه وخماداته في طريق الهند . تعني به ايد مبسولة ويسهر عليه خلق كثير . الا اننا هنا في هذه الناحية من الشرق العربي ما برحت جروحنا تنجّ صديداً ونجماً . . .

وليكن ، ما كان او سيكون قصة الاديب العربي - والاديب الناشئ - اعني - قصة فاجعة سواء . أكان في بيروت أم في القاهرة وبغداد . واغرب ما فيها هذا الحقد الذي يبيته المتزعمون والمستقطبون وهم ينادون بوجود التعاون بين الاجيال المتعاقبة وضرورة التضامن . ولا ادري لم اذكر دوماً كلما استعرضت حياة الاديب المسكين في هذا الشرق الافنيح الغني ما يروى في معرض التشجيع على المثني . من قسّمه مع بائع البطيخ والرجل المؤثري ، وما كان من قسم الشاعر الناشئ . ليجمعن مئة الف الف درهم . . . الا انني ادري شيئاً واحداً هو ان على الاديب او من يود الاضطلاع برسالة الادب ان يكون ذا مئة الف الف . والا فخير له والادب ان يكون (مساراً) او . . .

ماسح احذية (كفتوش) في الحجاب رقم ١٣ .

وما دنا قد عدنا الى الحجاب فاود ان اعلان ما استعمره من غبطة اذ ارى دور الطباعة تنشر على الناس في الظروف العصيبة الراهنة مثل هذا الكتاب وامثاله كأنما يرح تيمور الماجي فؤق متناسول الطائرات ومدى دوي القنابل .

واننا نحمد الله على ذلك فهذه الحرب التي تحصد ثمراتها في اليوم الواحد الالوف من الارباء . قد طعنت الفكر البشري طعنة في الصميم فحرمته غذا . لا يقل شأناً عن القوت للابدان وثلت بالتالي قوته المنتجة لا سيما في الشرق الحاضر بين امه البعيد وغده الغاض .

ثم تبنته اخرى الى الادب القاص الاستاذ تيمور متصلة بالنبطة والاعجاب والتقدير . فنحن اوج ما نكون في ادبنا الى هذا اللون الذي ما يرح المؤلف يطعم علينا به ، لون اقل ما يقال فيه انه ادب توجيهي يستهدف غرضاً معيناً . ويسير على بسط سطوة من الفن الى غاياته فهو من الحياة والى الحياة لا ادبا متكلفاً ونتاجاً . صانعاً كذلك الذي يتخبرونه به باسم « الفن للفن » .

ان قراء العربية والجمتمع العربي في شتى القارة هم الذين يتفهمون ويجمعون بين حياتهم الفاضلة من السائع في اذواقهم هذا القدر المتبصر ولا من المرغوب فيه هذه الكماليات العقلية .

وغير هذا فكيف تريد واحداً من الناس على غش ما لا يقبله امعاؤه ولا يستقر فيها اذا اشربه قسراً . فكيف تريد على القفز الى قمة هم قبل ان يستكمل عدته للشئ العادي .

ان الفن للفن وسائر ما تخضت عنه التزعزعات الادبية الحديثة في الغرب اغراض زائلة ، تدب على رجلها حتى تتعارج أرضاً . ويرجع الناس بمهدا الى الطبيعة يستوحونها والى القطرة يستلهمونها والى الحاجة يستولدونها . وهذه الرواية التي انتشر فيها وبؤها في السنوات الاخيرة قد اغتنت في مهدها هناك قبل ان تستقر في احضان الشرق وتعمر كسرافاته او تخضعها لتقاليد الابدية .

ليس من غرضي هذا كله . وانما هي خواطر ما برحت تمروني منذ امد بعيد فاعلمنا حياءً واكتهم احياءً . غير ان كتب الاستياد تيمور المسرحية قد اقمتمني مرة اخرى بصحة عقائدي هذه . فرائتي اكتب مما تقرأ مسيراً هذه المرة بقوة لا ادري اهي باعث الايمان ام سحر البيان .

انني وان كنت عدواً للهجات العامية منذ نشأت بفطرتي وأثر بينتي وبعامل آخر لا يقل خطراً في تأثيره مما ذكرت - انني وان كنت أمقت للهجات العامية لاجد في اللهجة المحكية في مصر غزوبة تلتف من ذلك البفس . في اللهجة المصرية موسيقى ناعمة وجوس رائق ومرونة بديعة فضلاً عن ان فسادها - بالاضافة الى اللغة الصحيحة لم يتعد حدود التجريف والتصحيف والقلب وما اليها . . .

اقول انني على الرغم من ذلك كله قد شعرت ولما اقرأ مسرحتي الاستاذ تيمور الحجاب رقم ١٣ وعروس النيل انني اقرأ نتاجاً عربياً لا تشوبه شائبة . في حين انني ممن لم يتج لهم حتى الآن صجة مصري صميم بله الاقلمة في مصر او السياحة فيها .

لا شك في ان لغة الاستاذ تيمور المحكية كصري يعيش في هذا القطر تسمو عن مستوى لهجة العامة . ولا شك في ان الاديب تيمور

غير عاجز عن كتابة مسرحية بلغة الأدب - وقد فعل في عوالي وسواها - ولكنه شاء، ان يكتب للناس بلهجتهم الدارجة ليكون الأثر المرجو فيهم ابلغ وأصدق . ونحن في بلاد لم يتج بعد اللاديب فيها ان يهبط من سماه الى ارض الناس كما لم يتج هؤلاء الناس ان يتساموا الى سما الاديب أو يشرفوا على آفاقه .

ان في هذا الغرض وحده مهراً لعدول اديب كالاستاذ تيمور عن لغة الكتابة الى لغة الحديث . ولكن ألم يكن بالإمكان أيضاً ان يقف الكاتب موقفاً وسطاً . . . يشد بالناس اليه بأحدى يديه ويضبط بالثانية على قلبه فتخرج المسرحية صحيحة الكلمات متنا وصورة وبقواها من يشاء . كيف يشاء . باللهجة التي تعودها أو يستأنس بها ، فلا تأتي المسرحية ذات طابع عامي خاص الا حيث يجب ذلك والبديعي المقرر ان يقرأ المسرحيات مكتوبة من كان على قسط من الثقافة وشي . من الذوق لا رجل الشارع ؟

وفي الشرق اليوم طبقات لا تختلف لثتها المحكية عن لغة الكتابة في شي . يذكر . وبقي ان المؤلف المسرحي انما يكتب لتقرأ هذه الطبقات . فليس عليه اذن ان يتجسم تعريب ما تلجج به العامة - والعامة اذا حضرت تمثيل رواية أو شريط لا تقرأ تلك الرواية ولا يهمل ان تقاطع على قصة ذلك الشريط المكتوبة . كما لا يؤذي الطبقات التي تتسامى لثتها المحكية باستمرار ان تستمع الى مثل يمزج عامي التعابير بصحيح الكلام ليصنع حديثه باللون المحلي وبكسبه مرونة وحياء لم تتوفرها للغة المكتوبة اذا ما نطقنا بها حتى الآن .

وعلى هذا فليس من بأس في كتابة المسرحية باللغة العربية الصحيحة - ويودي ان احذف هذه الصفة الأخيرة فنراك لغة واحدة ليست باللهجات العامة الا صرداً منها مشوهة - وتقبلها بلهجة الناس المحكية كلما تنافرت اللغة المكتوبة مع الاصطلاح المحلي .

ولقد قرأنا كتباً كثيرة من مسرحيات وروايات الفها الغربيين وصوروا بها حياسة نفر من الناس في بقعة معينة من الارض ، يتكلمون اهلها لغة البلاد مشوهة . فوجدنا لغة المؤلفين صحيحة الا حيث يريدون ان يعجزوا لهجة القوم المحكية الخاصة وفي مناسبات معدودة فيختلف الكاتب الفرنسي مثلاً من متن الكلمة ما يفهم به المتكلم (البرونوتي) بالفرنسية او (الماريسي) بلهجة باريس او يضيف بالحروف المائلة تعبيراً محلياً صرفاً لا يشوه الكل الصحيح وانما يكسبه روعة خاصة تزيد شعورك بصدق التصوير وبثقلك الى الجو الذي يحاول المؤلف خلقه .

وعندئذ لا يبقى من حاجة الى اخراج الكتاب مؤثراً وطابعته بلهجتين كما لا يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً . . . فيقول نافذ كالدكتور بشر فارس ان (صوت فأري) خطأ وان (صوت فماني) قريب الى الدارجة وأصح في النسبة الى الفأر عند السوقة . فإرد عليه . من يرد النسبة في التعبير المذكور في الصفحة ٨ من المخطأ رقم ١٣ السطر ١٥ الى (الفقر) باللهجة المصرية لا الى الفقر باللهجة الصحيحة .

وتخدم الحركة حول الفقر والفأر . . . كلنا احوال الحرب وولاياتها بعض نتائجها . . . ويحيل الي ان في سرد القصة التالية خير ما اعتمد به كلمتي هذه . . .

فقد زعموا ان (فلانا) المتقرر قد طلب وهو في مجلسه المعتاد من (متزوله) شربة من الماء بقوله . . . « يا غلام اثني بكأس من ماء او كما تقول العامة ما . . . »

وكان في الحضور سفسطاني مرح كهجبت الناعم عند تيمور في المخطأ رقم ١٣ فانجزى للقول على البداعة . . . « اخطئ مولانا قيده الله واصابت العامة . . . »

ونحن سواء اكان القصد من جملة قشقوش . . . «توت توت» اعوذ بالله من صوتها الفأري يا سعادة البية (وبعني صفارة الإنذار) - سواء اكان المقصود النسبة الى الفقر ام الى الفأر في قلب المؤلف فاننا لنرجو ان يكون قد اخطأ واصاب الدكتور بشر . فالنسبة هنا الى الفأر اصح في الدلالة على صفة الصوت الكركبة الذي نسمعه كلما زعقت هذه الصفارة المكونة من النسبة الى الفقر الذي ليس ما يروح له في الحديث اصلاً .

كما زجرو ان يتابع الاستاذ تيمور تحاف المكتبة العربية بهذه الدرد الغوالي - على الرغم من كل شي . - وهذه المحاولات الموقفة في المسرحية الحديثة شرط الا يتجسم كتابتها مرتين وبلهجتين . فان ما بين الفصحى والعامية المصرية اضيق . من ان يتسع لهذا الجهد او يبيح هذا التشكف .

رسالة المغربي دارغوث

هل اعرف يوماً ؟



هل اعرف يوماً (١) لماذا ، في ساعة الصلاة الخامسة حين يتلقى النهار التعب جفته يهدوء ، سكبتُ عطر زجاجة قديمة سائبة على هذا
هل المتدليل الخفيف الباقي في منك ؟

ففي أنا أطبق يدي على النسيجة الغائرة نشفت طويلا عطر الماضي .

فيا ايجا الكتان الخفيف ان ما تعيده هذا المساء الى الذّاكرة فوشارع طويل مقفر كانت الاشعة السّاحبة المتبينة من مصباح ضعيف
قوت فيه على أظافيرها فيا انا احدثنا عن نرجس السّماء الذي يصده الهلال كما يصد سيف اهداجا زهرة قالي . . وكان ظفرها الوردي
الصغير يانع ، هذا الظفر الصغير من تلك الاصبع الصغيرة التي أعيدها .

ان هذا العطر القديم يحلمي على التفكير في تلك الغرفة ، في ذلك الحب القديم الذي قر ذكرياته للمتسللة يهدوء في نفسي كرف
من الحمام ايض .

فأرى حبيبي الصغيرة مضجعة بين ذراعي كولد مريض . . . ويخيل اليّ اني اسمع صوحا الحريري يذمر من يدي . . . ويخيل
اليّ اني اشعر بلهاثا على جفني الملقى .

واحس عنها الصغير يرتمش في يدي كصفور خائف ، كطائر ازغب رخص تحت مطرة في الصيف .

سأكتب يوماً قصيدة كبرى اخلد فيها من هذه الحبيبة الثانية انسانتها الميودة وصوغها المنوي .

وبأمانة اصغ جالها الذي يزدرى بجمال الازهار . . . وانشد شعرها . هذا الليل الطويل الذي كثيراً ما سهرت فيه عيناى . . .

انشد شعرها . وانشد عينها ، عينها الساعرين ، انشد سواداً من سعادتي . . . وانشد بشرها . . .

انشد بشرها الشفافة اعذب من شرفات الورد ، وثيا ، قوس الباقوت هذا المترنل باللوّل الذي طلما فثك بقلوب . . . سأفشد
بشرها .

وانشد عنها المذهب كطل فرائش على الماء . لا يدجا لي شعوبها روح صورة من الكتاب .

وانشد صدرها الذي يبره ثديان سحران من تحت خديّ .

وانشد قائمتها الهيفا . كخصن مزهر ، وفخذيها اجل زنبقتين خلفتا . . .

ثم انشد ايضاً قديمها الصغيرتين . ولو ان حبيبي كان لها قلب لكنت بدون رب انشدته هو كذلك بيضة ايات موزونة .
سأكتب يوماً قصيدة كبرى يوحها اليّ اليوم هذا المتدليل من الكتان ، اذاريد ان يتألم الناس كما أتألم كلا فكرت في السقي
احبيتها ذلك الحب وخطفها القدر الصادم . في الى الابد . . .

اين تراها تكون تلك الحبيبة العذبة الصغيرة وماذا تراها تفعل الان ؟

ايتفق لها ان تفكر بي ؟

اذا ولا شك تحب شجرات لا اعرفها وترتدي حلا اجهلا . وهكذا صرت ذلك الغريب الذي اصبح لا يعرف ماذا يمل بها ولا
يجرؤ ان يسأل عنها اذا ولا شك نسييت كل النسيان ، ونسيت كذلك زواجنا الاخيرة التي وضعت فيها قبتين واحكنا سدها قبل
ان تنلقيا في النيل خشية ان تطيرا الى السماء مع ارواح الاطفال . مسكينة هي هذه الزجاجة الصغيرة ! فكثيراً ما اتساءل ماذا
حل بها . . . هل حطمت من ذلك الحين كما حطم قلبي ، ام تراها ما تزال عاقلة في المساء تحت اغنية النجوم الزرقاء ؟

كثيراً ما افكر في زواجنا الصغيرة . وفي الزوارق الزرقاء . وكثيراً ما افكر . . .

كثيراً ما افكر في الزوارق الصغيرة وفي انعكاسها الوردي على الماء . . .

وكثيراً ما افكر في علي الملاح . . .

كثيراً ما افكر فيك يا علي .

كثيراً ما افكر في اخيك عبد الرحمن . . .

ايجا الرجال الطوفان . . . ايجا الثمينان !

أحمد راسم — الرين

شعراء الحرب عند العرب

نظم الهيرة ودار سطايني

القرن العشرين ، ولست بمؤدية لمن يعزو تقريظ الاولين في ترجمة الالباضة الى خشيتهم فساد الطوايا بذكر الالهة المزعومة او الموهومة لان العرب في عصور العباسيين كانوا في بقطة فكرية لا ياتيا الباطل ولا تشوبها آداب الوثنية العتيقة ، فقد مالوا للفلسفة وللعلوم فترجموا كتب اليونان فيها واملوا الادب ، فلم نر في تراثهم المنقول عن الالام القديمة مسرحيات سوفوكل ولا ملاحم هوميرو ولا مآسي فرجيل ، على ان العرب في جاهليتهم واسلامهم حوربا وغزوات شاب من هولاء الولدان ، ولكن شعراءهم سواء خاضوا غمرة الحرب واملوا او قارواهم تملوا بالاهام والخيال فانهم لم يفتنوا بوصفها وتصويرها كما حقق بها القدماء والفرييون ، ولا اذعم انهم قصروا في هذا المشاء لخشوب في خواطرهاهم ووجود في مشاعرهم وانما لاختلاف الحياة وتفاوت العقائد والطبائع بينهم وبين غيرهم ، غير ان المطالع على آدابهم المتنوع لتاريخهم يجد اكثر شعراء الحاحية قد تصدوا لوصف الحرب ونكباتها ونعتها باشتات النعت كالحجاء والكويبة وكان زهير ابن ابي سلمى من اشد المحذرين والمصورين لفظاتها وما هي عن قومه بالحدث المرمج ، فقد علموا خطوبها وذاقوا وبالها . ومنهم عمرو بن كلثوم الذي علا بعشيرته علوا كبيرا ، وغلا في تصوير عصمتهم وبطولاتهم وتصوير نضالهم للاعداء ، وسفك الدماء ، فقال :

وقد علم القبائل من معد اذا قيب باطلها بيتنا
بانا العاصون اذا قدرنا وانا العارمون اذا عصينا
نضامن ما تراخي الناس عنا ونضرب بالسيف اذا غشنا
نخذ رؤوسهم في غير بر فما يدرون ماذا يتعونا
بشبان يرون القتل مجدا وشعب في الحروب مجربنا
الا لا يسلم الاقوام انا نضضنا وانا قد وثينا

ومن الشعراء الذين عرفوا بالشجاعة والفروسية فزوها ببأسهم

سلام على آسبل . وسلا سهاه يشق بها كبد الفضاء ، فيصبا كالسبل المرم على اعدائه في ساح طروادة ، وتحية الى آغا ممنون وهو متدرع بالترسكة متترس بالحن يصد ضربات السيوف وطعنات الرماح ، وهدي لمولس ، لهذا الضائع الشريد في عرض اليم ، الهام على وجهه فوق اثباح البحر .

نظم هوميروس شاعر الاغريق القديم ملحمة الرائعة وسهاها الالباضة وقد حشر فيها بدائع الوصف لروائع الحرب ، ومزج كلماتها باللحم والدم ، ونقروها اليوم فيأخذنا العجب وبهرتنا الاعجاب ، اذ نرى فيها حومة لاوغى تقوم وحمما تطرم ، ويسمع زمازم المسكون وصليل البيض وخفق البنود ، وموجة بمجملات الصافات الجياد ، ولقد يحيل الينا من سحر ما نقرأ انسا نضل الى شرفة الالهة على أبطال الملحمة فنسمع تحاورهم ونشهد غمواتهم ومواكبهم ، هؤلاء الشغوص المعائب من ذرية الالهة وأرباب الالوب كما زعت اساطير الاغريق التي جمع شملها هوميرو في قصيده الفني الحافل ، ولطالما سالت نفسي : ترى كيف كان اليونان الاقدمون الذين عاصروا منشى . الالباضة او الذين جاؤا بعده من المنشدين يرددون تلك الاغاريذ التي صاغها شاعرهم الاكبر من جوهر قريحته فبقيت ساطعة في سماء الشعر الى اليوم ، من نورها اقتبس الشعراء . ومن فيض وحيا نهل الادباء . واهل القنون اجمل الصور والتأثيل .

ان في اناشيد الالباضة ميروا لليونان لا ببلى ، وثروة لا تنفى ، فيها مجدهم الاتيل وتاريخهم العريق ودينهاهم التليدة التي ابدع في آفاقها هوميرو لاهوتا عجيبا ، وقتنا غريبا ، فلا غرو اذا رأينا الالام تننافس في شرف الانتا . اليه وتتداول ملحمة الخالدة جيلا بعد جيل . وكلما تأملت في آدابنا العربية كان في نقدي لبعض نواحيها وألوانها حيف على الاقدمين الذين لم ينقلوا الى لغتنا هذه الملحمة حتى أقدم سليمان البستاني من اعلام لبنان على ترجمتها في مستهل

ولما وقع أسيراً على أبواب «خرشنة» واحتيط بالأعداء قال في

سجنه :

إن زرت «خرشنة» أسيراً فلقد حلت بها مفرا
ولقد رأيت النار تشب المنازل والفصولا
ولئن رميت بجاذث فلانفين له صبورا
من كان مثلي لم يمت الا قتيلاً أو أسيراً

أما أبو الطيب فقد نجد عنده ما لم نجد عند أبي فراس وغيره
من شعراء الحرب ، ولعله أكبر شاعر حربي عرفه العرب فقد ساهم
في غزوات سيف الدولة وقرس بالأقات واقتحم العقبسات ، ولا
تكدأ تحلو قصيدة من ذكر الخيل والسيف والرمح والدروع حتى
في مواقف غزله وصباه فكانه خلقاً للفتك والطعان اذ قال
عن نفسه :

فلا تصنع الحرب عندي فاحشا طعامي مذ بعت الصبي وشرابي
ولتسمع له يمدح سيف الدولة ويصور غمرة الحدث وصناديد
الجيش منها :

يكلف سيف الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش المضمار
على الحدث الجمراء شرف لوفا وتعلم أي الساقين الغام
خمس يترى الأرض والثوب زحنه وفي اذن الجوزاء منه دمام
ومن طلب التبع الخليل فاعفا مغاتيحه البيض الخفاف الصوامر

لو أنسا الله في أجل المتنبي ومكن له في ذنياه لأورث العرب
شعراً في المصارع والملاعب يكاد يكون في عداد الملاحم فاذا اغد
أبو الطيب سيف البتار في «العاقل» تناوله منه بعد ألف عام شاعر على
ضفاف النيل هو محمود سامي البارودي الذي روى شعر العرب
بقصائد حربية طافحة بالحماسة والبطولة حتى كانت الحرب العالمية
الغائرة التي حولت الشعراء عن التفتي ببطولة الغزاة والفتاحين إلى
التنديد بقطاعة الحرب وويلاتها فكان منهم شوقي ومطران وحافظ
وبشاره الخوري والرصافي وغيرهم ، ولكن الحرب المعونة ما برحت
سجلاً منذ الازل ، لان طبائع البشر لم تتغير يسبق شعر الحرب
من ادب العالم ، ومن يدري فقد تكون هذه الحرب التي تأخذ
بتلايب الدنيا من انائها إلى اقصائها وحياً جديداً لشعراء العصر
من مجددين ومحافظين قوياً ظهر بينهم هوميير جديد يسجل هذه
الحزرة البشرية في منظومة فنية تكون البأذة الدهر الحديث .

وداد سكاكيني - دمشق

وبأهوا بغشيان الرغى وخوض المارك الحموأ عنبرة الحبسي القائل :

خلفت للحرب احبها اذا بردت واصطلي نارها في شدة اليب
وقد طليت من العليا منزلة بدارمي لا بأبي ، لا ولا بأبي

وقال :

واذا حمت على الكريمة لم أقل بيد الكريمة ليتني لم أقل
والخيل تعلم والقوارس اني فرقت مجهم بشرة فصل

ولم تخل المعلقات لفحول الشعراء . من ذكر الحرب ، كما ان
في بعض ابياتها دعوة إلى السلم وحقن الدماء ، وهكذا شعراء بني
امية المهازون كانوا ينظمون القصائد الطوال منوهين بمسألة
الفرسان وذيادهم عن القبيلة وصد المدوان فاذا دالت دولة الامويين
وازدهر عصر العباسيين الذي تمازجت فيه الثقافة بين الامم العربية
والفارسية والرومية ، وطمت حضارة جديدة ، رأينا شعر الحرب
عند العرب ما زال جارياً على النمط الذي كان عليه في الايام الحالية
وفي هذه الحقبة كان ابو تمام يمثل الوجهة القومية في شعره ، فلما فتح
العرب «عمورية» هاجت حمية الطائي واهتزت شاعريته فقال
قصيدته المشهورة :

السيف اصدق اتباء من الكتب في حده الحد بين الجد والمحب
وكأني بأخيال اشهد «عمورية» وقد علمت المصير بعفتها بعد
ان صرخت حمية سجنها : وامتعصها افجع الخليفة حشنة وسار
بجيلة ورجله نحو بلاد الروم ، ولما رجع مظفرأ من هذه الحرب وقف
الشاعر ابو تمام يمدح الخليفة ويصف فتحه المبين فقال :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المني خلا بمسولة الخلب
لقد تركت امير المؤمنين جا للثار يوم اذ ليل الصخر والحشب
غادرت فيها جهم الليل وهوضي يله وسطها صبح من اللب
لما راى الحرب راى العين توفس والحرب مشتقة المني من الحرب
ولى وقد أجم الخيل منقعه بسكة تحبها الاحشاء في صخب

على ان الايام التي تعاقبت بعد ابني قام لم تخل من اصطدام
العرب بالروان فاخذ الشعراء الذين عاشوا في هذا العهد يصفون
المارك والملاعب وكان ابو فراس وابو الطيب اشعرهم وأشهرهم ،
وقد عاش كلاهما في عصر واحد وحملوا السيف والقلم فجمعما
بين قريحة الشاعر وطموح البطل ، بيد ان ابنا فراس فضل ان
يكون فارساً مغواراً على ان يكون شاعراً عبقرياً فقال :

وصنعتي ضرب السيوف وانني معرض في الشعر بالشعراء

وقال مزهواً بنجاحته وبطولته :

تطالبي يبيض الصوامر وتفتا بما وعدت جدي في المخاليل

سؤال

باكرلك الشجو انت من أنت ؟ أسطورة المحال
 أفكرة من غد براها غداة الدجى ابتهاج
 أم دية وفرة الندى في ظلها أعشبت رمال
 يا طيب ما بي فحيرتي دفء على النقلة الظلال
 أبعد مرمى من اليقين وأنغى من الخيال
 سرحة حلمي افتراض حلم وملهي خطرة ببال
 وأتلى ذوب نعمة ولهي على معزف الزوال
 تسأل ارض عن الشذى ويسكر الورد بالسؤال

ARCHIVE

<http://Archiveeta.Sahrhit.com>

خاطر اذرق

نقول : ترى ظنني
 شطايه غور الفراء
 وامنية بعضها
 قرايين عشنا لها
 وغضي فيقدو الصدى
 كأن نداء الصباح
 فيا فكرة كالسراب
 على خاطر اذرق
 ر من النعم المهرق
 انقطار غدر موقر
 ولعندم المصدق
 أراجيج حلم شقي
 حرام على المشرق
 سألتك لا تنقي

صالح الاسير

نزعَات الفكر العربی

فلم نیم بربك

یری

اما تزعتهم الى التقليد والتشبه فقد اضعفت في نفوسهم بعض الشي. روح الابتكار والابداع في جهات معينة وانهشت فيها من جهات أخرى قوة الحركة وحس الاستطلاع والتجديد .

لقد اطلت الديانات الثلاث على العالم من صحراء سيناء وفلسطين ومن صحراء العرب حيث نشأ الفكر العربي وأطل في جلابب من الوحي على الشرق وامتد منه الى الغرب بتعاليم وبادى. جاءت لاكتنا في هكل المشقة الحديثة ولذلك يرى العربي في الصحراء رمزاً بارها من رموز الوحي المقدس والحوية المقدسة بل مكن العرب والمسلمين الانتماء الى الله تعالى لا يتألك من ان يرفع نظره الى السماء مردداً اسم الرحمن الرحيم وقول القائل لا شي. في الصحراء. من صنع الانسان بل كل شي. من صنع الله .

لقد حمل الفكر العربي في صدر الاسلام رسالة الوحي والحوية والتمدن، حملها الى مشارق الارض ومغاربها داعياً للاخاء والمساواة والتعارف بين الناس بالحق والواجب ، فظهر الفكر العربي فكراً عالمياً منطبقاً بطابع الاطاحة والشور في امة تنبئن وجهها الصحيح من خلال عقائدها وتقاليدها ، وهي امة يشهد لها التاريخ انها لم تبئن آمالها على ويلات الشعوب المستضعفة او المغالوبة ولم تقل ببدأ تأليه الدولة وعبادة الوطن عبادة مطلقة وتنسك قول القائلين ما من شي. فوق الوطن لا العدل ولا الحقيقة . فالفكر العربي بنى عن تعاليم كهذه تحالف الدعوة الروحانية التي حمل لواءها عالياً مظفراً فكانت دعوته انسانية عالمية تقضي على الرجل المتمدن ان يفكر في مقدمة كل امر انه انسان .

واذا خرجنا بالزعات العربية من حدود الدعوة الى اطوار

الناظر ان الامم والشعوب تقف على درجات مختلفة من سلم الرقي والتفكير ، وان نزعاتها تختلف على الجملة باختلاف عوامل الوراثية والتربية والدين ، وتتمثل جليلة واضحة في مظاهر كثيرة لعل ادعاها للذكر التعاليم السياسية والعسكرية على تباين اشكالها واهدافها .

هناك شعوب وشعوب تضطرب في تيارات متعارضة بعضها يترجى الى الحكم الفردي المطلق والبعض الآخر الى الحكم الدستوري المقيد ، ففرق يختص نفسه باختلافات الاسياد ويقول بحق التفوق والتسيطر لعنصر دون سواء من النفاذ والفرق آخر يرى ان القول بثل هذا الحق وهذه الامتيازات هو نكسوان صريح للمبادئ الانسانية والروحانية .

ان للفكر العربي مقامه في معترك الافكار العالمية واما نزاعه فقد استقرت في شرائع العرب الروحانية قبل ان تستقر في علومهم ومدنيتهم وصناعاتهم ، ونحن الآن نقرأ هذه النزعات واضحة جليلة من خلال الاجيال على الواح مقدسة وفي كتب مثزلة وعلى صفحات تاريخ العرب وفي اشعارهم وقصصهم واماثلهم ، يتزعمون الى الروحانية والحوية والجمال في صور تقف بها الشاعر والبديوي سائق الاظمان وانطلق بها قلم الكاتب ولسان الخطيب وانبعثت صلوات وتسابيح من افواه المتصوفة والنسائك .

لقد جاء الاسلام بما هو عليه من بساطة واختصار . ووفقاً كل الموافقة لمزاج العرب الذين يزعمون بالظفرة والطبع الى الاشياء. السهلة المأخذ ، القرية المنال ، الخالية من التعقيد مما لا يستازم ادراكها كثيراً من العناء والمكابدة .

الحياة المشتركة والاتجاهات الذهنية نستطيع ان نشبين درجة الابداع والابتكار عند العرب ومستوى التفكير الجامع والنظر الشامل . يبدو على الجملة ان الفكر العربي سريع الاتجاه والتأثر بما يحركه الشاعر وبثير الاعجاب في رسم صوراً نهائية في الدقة والطلاوة يرددها في اشكال لا تتخلو من ايات الانسجام والابداع ولكن الموضوع الجميل في الشيء قد يشغله عن النظر في الشيء ذاته من جميع نواحيه فهو ينتقل من غصن الى غصن ومن زهرة الى زهرة ومن رابية الى رابية فيحمل منها الواناً جميلة تزلف مجموعة ذات لون وجاذب ومعنى انما ينقصها شيء من التسلسل والارتباط وشيء اخر من النظرة العامة او النظر الشامل وقد يرى الناظر في هذه المجموعة مجالي الخيال متمثلة في تقابير واساليب رائمة لكنها لا تخرج عن دائرة محدودة التطاق . مما يجعلنا على القول ان التفكير العربي في مختلف نواحي الشعر والعلم والادب يجمع من الطلاوة والدقة والرواق ما لا نجد مثيلاً له عند كتاب الغرب كما اننا نلاحظ في التفكير العربي من الوان الاحاطة والشمول ما لا نلاحظه على النسبة ذاتها في اتجاهات الفكر العربي .

ان حدة الذكاء وسرعة الاقتباس والقدرة على التقليد وما الى هذا كله من عوامل واعتبارات جعلت الفكر العربي كثير الاعتماد بهذه المزايا على الفطرة والطبع وعلى الارتجال كانه وحي يوحى فالاميون يحفظون ما علق بقلوبهم واتصل بقولهم من غير تكلف ، كل شيء . للعرب بديهة وارتجال كما يقول الجاحظ .

ان للفكر العربي خيالا مبدعاً لا يخرج عن دائرة معينة يايوس من صور واستعارات وتشابه ولذلك لم يرتق بصورة عامة في مدارج الخيال ولم ينسبط في افاقه انبساط الفكر اليوناني بالياذة هوميروس الشهيرة وانبساط الفكر الفارسي يشاهنابة الفردوسي

الواقع ان الفكر العربي يتزعزع عالمية بل انه يرتدي طابع الاحاطة والشمول في مسائل الدين والايمان اما في مجاري التفكير العامة فالعربي يتأثر تأثراً بالغاً بجبال الجزئيات والحريات فيقف امام الجمال والحرية موقف المستوحى المأخوذ لا سيما وان الحرية في نظره منحة غالية له من منحة الطبيعة التي تعرض في احضانها من غير ان يخضع في ادوار معينة لنظام قاهر او قوة عاتية .

وان منحة الطبيعة هذه اصبحت منحة السماء مع ظهور الاسلام الذي جاء موافقاً كل الموافقة للفكر العربي على قواعده الشورى فكانت الحرية ولا تزال مرمى ابصار الحضري في حاضرتو البدوي في باديته .

وهنا ينفسح مجال القول واسعاً ان الفكر العربي الذي آمن بما اتزل على محمد صلى الله عليه وسلم قد حل رسالته الى العالم رسالة حق وعدل واخا ومساواة كما حل اعظم الفلاسفة قديماً وحديثاً رسالة الديوقراطية السمحاء المنطوية على المبادئ ذاتها . وهكذا نرى ان اجداد العرب واولئك الفلاسفة الاعظم مشتركون في فكرة عالمية واحدة ترمي الى اقامة العدل الاجتماعي وتوثيق بنیان الانسانية على اسس التضامن والمساواة ونرى في شذائذ المعتزك الحاضر ان الامة العربية تشترك من اجل ذلك مع امة الشورى في حب الحرية بل في ارادة الدفاع عنها ان لم يكن بالسيف فبالقلم واللسان .

غير ان رابطة الحرية التي تشد امة العرب في الشرق الى امة الديمقراطية في الغرب تستدعي بعض ملاحظات من بعض وجوه نشين . مما ادى الى الغالب ابرز ما يجتلي في نفس العربي من ميول واثق ما يرتبط به الفكر العربي من نزعات .

قد يكون حب الحرية ناشئاً عن احكام الفطرة والطبع او عن احكام الجهد والاكتساب لناخذ مثلاً اهل اثينا الاقدمين فقد بلغ بهم احترام الحرية مبلغ التقديس فعمدوا الى تأليهها واقاموا لها تمثالا معصوب الرأس بقبعة حمرى ووقفوا على خدمتها الفكر والقلم واللسان حتى كان لها في سقراط اعظم خادم واعظم ضحية على وجه التقريب . ولا مجال للاكتسار ان العرب احبوا الحرية كأهل اثينا فكان لها اثر بارز في جميع نواحي تفكيرهم ولكنه حب مقصور على كثير من المظاهر والاثار التي تحملنا على القول ان تأثيرات الفطرة والطبع تختلف بعض الشيء عن تأثيرات الجهد والاكتساب اختلاف اليونان عن العرب . ثم انه اذا اجلنا النظر في مصادر الحريات وتطوراتها هنا وهناك في الامة العربية الصابرة وفي الاوم الديمقراطية المجاهدة . نجد جملة حقائق وملاحظات تصح ان تكون دليلاً على نزعات الفكر العربي واتجاهاته بوضوح القوة فيه ووضوح الضعف . فالحرية التي نشأت في الغرب وزاها اليوم شعاراً للتحلفاء.

وما ينشأ عن هذا كله من نتائج لا تتفق مع النظم الاجتماعية العامة بل انها تجعل الارتباط بين العناصر الاجتماعية صعب التحقيق غير قروب المناسل . فترتبك مع ذلك سلطة الحكم والاثرام . وتضعف القدرة على القيادة والحماية حماية الروح والفكر والمادة ومن اجل هذه الاسباب رى ان الفكر العربي لم يعجز عن تشييد ملك واسع كملك الرومان ولكنه عجز عن توليد سلطان نافذ ثابت . طاع كسلطانهم وانما هذه بعض الانثار والنتائج التي حصلت عن تردد العرب بين الحرية الشخصية والحرية الاجتماعية .

وجما لا ريب فيه ان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عهد الحرية الاجتماعية والسلطان المودع على اسس الشورى بصورة خاصة فاحسن تقييد الحرية بالنظام وصرف العرب عن المشاكل والفتن الداخلية الى الجهاد في سبيل الدعوة .

لقد جعل الاسلام للعرب فكراً وكياناً ودولة وكان الفكر العربي نتيجة الاختلاط الذي حصل بين افكار مختلفة من روم وفرنس وغيرهم فجيوية العنصر العربي التي ظهرت في الاسلام قد اجتذبت هغريات الجنية ونفخت فيها روحاً عجيباً ساحواً ولخرجتها من قوايا النسيان والحوال الى مراتب الخلود والابداع فظهر من القرن كتاب في ظل الفكر العربي قل ما ظهر لهم اشباه ونظائر في بلاد فارس نفسها وفي النهاية لا بد من القول ان الفكر العربي يحمل على الجمل غبار الاجيال والتقاليد وآثار الاضطهاد على مر الالام بمحمل صدا الالام واليالي ولكنه لا يزال صاعداً مجوهره مؤمناً بالحرية والكرامة القومية ايمانه بالسلم . فاذا توافرت للعرب عوامل التوجيه والتحرير لا شك في انهم يضرعون المثل الاعلى في التضحية والتضامن ويمدون سيرة اولى من سيرة المجد والتقدم ونحاذر ان يبقى الفكر العربي في حالة تردد تحت مؤثرات الانانية والفردية والعصبية الخاصة من غير توجيه او تحوير تلك المؤثرات التي ادت الى هدم ملك العرب والتي تجد فيها تعليلاً لسلسلة الجرائم التي شغلت اكبر جزء من تاريخهم .

نسب بريك

انما هي نتيجة محتومة من نتائج الضرورات الاجتماعية واتساع المدارك واشتراك المصالح فكان من نتيجة ذلك ان اصبح للحرية هناك دساتير مكتوبة على اثر ثورات دامية اما الحرية عند العرب فقد تختلف بعض الشيء من حيث نشوءها والعوامل التي احاطت بها فقد سبق القول انها منحة غالية في نظر العربي من منح الارض العربية المنعزلة بصحراها وواحاتها وجبالها وسهولها فالبيئة الطبيعية قد ساهمت في توجيه الفكر العربي الى الحرية وساندتها بيئة اجتماعية في عصر لا سلطان فيه غير سلطان العصبية ولا قبله غير قيد التقاليد .

وهكذا رى ان فكرة الحرية ظهرت منذ القدم . ورتبطة بفطرة العربي وطبعه من غير نظام ولا دستور وظلت على هذه الحال حتى اتزها الله في كتابه المبين آيات بينات فاصبحت الحرية عند العرب حقاً مقدساً من حقوق الانسان مسطراً في دستور ساموي ركنه الايمان والحديث والسنة وسياحه العدل والافاء والمساواة ثم قامت الى جانب هذا الدستور الساموي في بلاد العرب دساتير على نحو مناهج انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة . فلا بد من القول مع هذا كله ان نزعة الفكر العربي الى الحرية الاجتماعية جاءت متأخرة وظلت مقفورة الى التوجيه والتنظيم والاستقرار ، لقد آمن العربي اولا بالحرية الشخصية وكان ايمانها بها قوياً جامعاً جموح العصبية التي جرت على ملك العرب اخطر المشاكل وادت بالفكر العربي الى حالات تمثر وجود في ادوار معينة . واذا القينا نظرة على صفحات التاريخ نجد ان الفكر العربي سار في بعض المراحل ببطئاً متردداً بين الحرية الشخصية والحرية الاجتماعية . وكان لهذا التردد آثار ونتائج . وانما نجد في الاولى وجهاً من وجوه الانانية والفردية وفي الثانية اشكال التضامن والتساند وروح الاجتماع والتعاون والتضحية .

ان الفكر العربي يخفي في جوهره اسباب قوته وارتقائه با فيه من حيوية كامنة وتقدير للحرية ومن التأثير الخيالي والابداع والميل الى الاصلاح والتجديد ، ويخفي في ذاتيته اسباب ضعفه ونحطاطه با فيه من نزعات الى الفردية والانانية والتقليد المفرط

قصيرة منسية للشاعر الاعشى

علم سامي الكلباني
صاحب مجلة الحديث

لا بد اذ في معارضة ولا يخشى ان يناله اذى او يسه اي ضرر اي كان من هؤلاء الشعراء السياسيين الذين يناصبون خصومهم العداء بقوة وإيمان دون ان يحسبوا للاضطهاد الذي يتوغل بهم اي حساب . وبعد فقد يقول القساري . من هو هذا الشاعر المائي الذي يريد الكاتب ان يكشف اخباره ؟ ولا ادعي قدرة الكشف واخباره المبصرة منشورة هنا وهناك في كتبنا الادبية والتاريخية ولكنني اقول ان الادباء المعاصرين قد اهلوه مع انه يستحق ان يفضل على الكثيرين من الشعراء الذين درس شعرهم ودرست حياتهم ، ونالوا اوفى رعاية من مباحث الكتاب وعنايتهم ، وهذا ما يزيد ان نلج اليه انصافاً لهذا الشاعر المغمور .

● شاعرنا المائي هذا ، هو الخريبي او الخريبي ، او الشاعر الاعشى . وفي رواية الاعراب واسمه اسحق يعقوب ، عاش في عصر الرشيد ونزل بمكة من مصر بن زباد كاتب البرامكة ، وشهد هذا الشاعر المائي الذي قام بين الامين والمأمون ، كما شهد هذه الثورات العاصفة التي اثارها الشعب من جهة والعصبيات من جهة اخرى ، ومطامع القواد من جهة ثالثة ، فكان له رأي امل هذا الذي اوتر عليه صدر السلطان ، فقد سجل في شعره بليغ ثورة بغداد حين وقعت فريسة المطامع والشهوات فكان من ابلاغ الشعراء الذين عرضوا لوصف مظاهر الفتنة فاستطاع ان يجمع بين « الموضوعية » و « الذاتية » في شعره صين ممتاز الى سمولته بالقوة وان يرسم صورا نفسية تدفع العيني وتمز النفس هزاً .

وقصيدته في فتنة بغداد هي التي اثارتنا للبحث عن سيرته وعن شعره المبعثر هنا وهناك دون ان يضمه ديوان . ● ومن المؤلف ان لا تعرض له كتبنا الادبية هذا العرض الشامل ، فقد رجعت الى الاغاني ، والى البيان والتبيين ، والى الكامل والى الامالي ، والى معجم الادباء فاذا جميعاً تذكره في سطور مستشيدة ببعض مقطوعات من شعره ، على ان المؤرخ الطبري قد استغل شعره السياسي في وصف فتنة بغداد فشر قصيدته الكبرى ، وهي نون من شعر الملاحم ، تدل دلالة بليغة على

● تميزت النهضة الادبية المعاصرة بهذه الدراسات التي حاولها الباحثون عن ادبائنا وشعرائنا منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا هذا واذا لم يخطئي الظن قلت انه ما من شاعر او ناثر او مفكر الا وعرض له الباحثون باكثر من دراسة واحدة ، وبصرف النظر عن قيمة هذه الدراسات التي يتميز بعضها بالقوة ويعتبر اكثرها الضف فليس هذا ما اريد ان اشير اليه بل اريد ان اقول ان تراثنا الفكري القديم قد عرض مجدداً على القراء في هذه الكتب والرسائل التي توفر الادباء المعاصرون على اخراجها وساعدت « المطبعة » على نشرها . ويلاحظ المتعمق بدراسة الادب العربي القديم ان بعض الشعراء قد اهلوا ولم ينالوا هذه العناية التي نالها زملاؤهم . والشعراء ، كالفنانيين ، وككل فرد في هذه الحياة ، منهم

المحظوظ ومنهم المحذور ، منهم من يطوى وهو حي ، ومنهم من ينشر وهو ميت فمن اي فئة هذا الشاعر المائي . لقد حاولت السياسة ان تطويه وهو حي ، والادب حاول ان يبعث ذكره وهو ميت .

كان من خصوم السلطان فتعرض لما يتعرض له كل مفكر يروح برأيه ، ويعان عن ميوله وهواجسه ، فطغت السياسة ذكره وحاولت ان تطمس ادبه .

وجناية السياسة على الادب بما تعرفه كل العصور وكل الامم ولكن لا ثالث ان تتلاشي تلك البثور ويظل الادب قوي المظهر ، قوي الطابع ، لا تؤثر عليه العواصف مهما تارت ومهما حاولت ان تقلل من روائه وجماله .

ويظهر ان شاعرنا هذا كان من خصوم كل سلطة ثقيل مسع الفرى ، فكان من البديهي ان تناوئه السياسة ، وان لا ييسر احد من ادباء عصره الذين اشتغلوا بالتدوين ان يحضوه بدراسة او يبحث او ان يعرضوا الى ذكره بالتطويل فضاع شعره او ضاع اكثره ولم يبق منه الا التثر اليسير ، على ان ما وصلنا منه يدل على ان الشاعر كان جياش العاطفة ، صادق الاحساس ، قوي التصوير ، وكان الى هذا ناقداً لاذعاً ، كثير التهكم ، كثير المزح والسخرية

هذه الصور التي صممتها قصيدته .

● أحب الرشيد قبل ان تدنو منيته ان يولد دماغه الملك لولديه الامين والمأمون ، ولكن وازعاً نفسياً كان يقول له ان خلافاً سينشب بين الاخوان على الملك ، والقصة التي يرويها المسعودي في تاريخه «مروج الذهب» لتنتي ، عن ذلك . فقد مثل الامين والمأمون في يوم ما ، بين يدي الرشيد ، وكان عنده الكسائي فطاب اليه ان يتجنها فاشتمن الكسائي ذكائها وادبها ودرابتهما فكان منه الا ان وصفها بقوله :

« ارى قري مجد وفرعي خلافة يزينا عرق كريم ومجد

يامير المؤمنين : هما فروع زكا اصله ، وطالب مغرسة ، وغسكت في الثرى عروقه ، وعذبت مشاربه ، ابوها امر تافض الامر ، واسع العلم ، عظيم الحلم ، يمكن بحكمه ، ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، ويتقابلان في سعاده ، فامتع الله امير المؤمنين بها كواكس جميع الامة ببقائه وبقائها » .

وقد سر الرشيد من وصف الكسائي ، وضم ولديه ثم جمع بينهما ، ولم يسطعها حتى انحدرت الدعوى على صدره ، ثم امرها بالخروج فلما خرجا خلل الكسائي يراقب هذا الموقف الغريب الذي

الرشيد بقوله :

« كانت بها وقد جم القضاء ، وزلت مقادير السماء ، وبلغ الكسائي اجله ، وقد تشقت كاتهما ، واختلف امرها وظهر تماديهما ثم لم يرح بها حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الاحياء ، انهم في عداد الموتى » .

وقد صدقت نبوءة الرشيد ، فما كاد يدورع الدنيا حتى شب بينها الخلاف على الملك رغم البيعة التي علقها في الكعبة والتي عقد فيها الامر لبعدها للمأمون بعد اخيه محمد الامين ، وكألفا التاريخ اراد ان يعيد نفسه في قصة «هابيل وقابيل» وما صراع الامين والمأمون الا بعض تلك المأساة الدامية الكبرى .

يوسع الامين بالخلافة في اليوم الذي مات فيه هرون الرشيد ، ودامت خلافته اربع سنين وستة اشهر ، وكان اصغر من المأمون بنصف عام ، وكانت ايامه من خلعه الى مقتله سنة ونصف وثلاثة عشر يوماً حبس فيها يومين .

فما هي الاحداث الدامية التي مثلت على مسرح العراق خلال هذه الفترة القصيرة .

اول ما فكر به الامين خلع اخيه للمأمون من ولاية العهد وقد استطلع رأي القواد الذين كانوا يحيطون به فأدلى كل واحد

شاعرية الشاعر ، كما تدل على صدق احساسه ودقة تصويره ، على انفته وكبريائه ، على صدى خصوصته السياسية وتزعته الانسانية معاً ، وهذه القصيدة في اكثر من مئة بيت ، وهي سهلة واضحة ، قوية السبك ، مشرقة اللفظ ، ذات جرس موسيقي ، وهي الى سهولتها والى عذوبتها والى جلالها الفني لا بد لهما من الرجوع الى هذه البحوث التي كتبها المؤرخون عن الخلاف بين الاخوان الامين والمأمون وصراعها الدامي في سبيل الملك .

● كيف استوى الامين على دست الخلافة ؟

كيف لعبت السياسة دورها فأوغرت صدر الاخ على اخيه ؟ ثم كيف مدت الطائفة شباكها فزينت للامين ان ينكث عهد ابيه ويحمل ولاية العهد من بعده الى ابنه موسى ؟ وكيف هبّت للمأمون ان يقابل الثرثار وروان يبرح قواده على قتل اخيه ويحمل الخلافة من حقه ؟

ثم كيف قامت الاضطرابات والثورات والفتن ؟ من ثورة الجند والقواد على الامين مطالبينه بالمال والارزاق بعد ان ضعف سلطانه بمقتل قائده علي بن عيسى ، الى هذه الخصومة العنيفة بين قواد المأمون ووزرائه - بين طاهر بن الحسين والفضل بن سهل واتباعها ، الى هذه الفتن التي قامت ببغداد والتي ظلت مجهولة نشطت خلالها عصابات الاصوص وشراذمة الصالحين ، فكان السلب وكان السلب حتى طامى سيل غاراتهم على تلك المدينة المحروقة

وكان السلب حتى طامى سيل غاراتهم على تلك المدينة المحروقة . نعم لا بد لمن يريد ان يفهم قصيدة الحزبي في نكبة بغداد من ان يرجع الى هذه النصوص التاريخية قليلاً ، ولست ارد ان اقول ان القصيدة من العموض بحيث تدق معانيها على فهم القاري . فهي سهلة كل سهولة ، واضحة كل الوضوح ، ولكن الرجوع الى حوادث التاريخ يملك اكثر فيها روح الشاعر ، واكثر ايماناً بشاعريته ، فقد شهد الحزبي الحروب الكلامية والحروب الدموية التي تقدمت تسلم المأمون صرحان الملك وشهد اندلاع الثورة في بغداد وفي اطراف بغداد ، وكيف اغار الرعا والجند المرتقة على العاصمة ينهبونها ويهدمون قصورها ، ويستبيحون حرمانها ويعتدون على نساها فكان من ابلغ الشعراء العباسيين الذين وصفوا هذه المآسي ادق وصف وابلغه ، ومن يدري ؟ فقد يكون الحزبي من انصار المأمون ، وقد يكون ممن ينتمي الى احدى هذه المذاهب والفرق التي كافها الامين ، وقد تكون التهمة الانسانية هي التي اوجت اليه ان يرسم تلك القوابع وان يرسم تلك اللعنت الحزبية . كل هذا جائز وهذا ما سنتبينه من سجون

برأيه حسب أهوائه ومطامعه ، فمنهم من حذره من نكث العهد ، ومنهم من وافقه على الخلفه ، وكان في طليعة القواد الذين وافقوه على خلع اخيه علي بن عيسى ، فسيره في جيش عظيم نحو المأمون ، ولم يكذب يفتب جيش ابن عيسى حتى اصطدم مع طاهر بن الحسين - وهو من اعظم قواد المأمون - بقتال عنيف انتهى بهزيمة جيش الامين وانهاير امانيه ، وما كانت هذه الصدمة لتجسم الخلاف بين الاخوين بل تجدد الصراع الدامي وما زال حتى حوصرت بغداد حصاراً عنيفاً انتهى بانهاير سلطة الامين وتحميد الطريق لينتقل المأمون من خواسان الى بغداد ويتسلم صولجان الملك .

● يصف المسمودي ، الاثر الذي تركه حصار بغداد على عهد الامين بقوله : « وقد خربت الديار ، وغت الأثار ، وقاتل الاخ ، اخاه ، والابن اياه ، هؤلاء محبديه وهؤلاء مأمونية وهدمت المنازل واحرقت الديار وانتهت الاموال » .

وبعد ان يصف الحصار يقول :

« وظلت الحرب بين الفريقين اربعة عشر شهراً ، فضاقت بغداد بأهلها وتعطلت المساجد ، وترك الصلاة وتزل بها ما لم يزل بها قط . مثله ما بناها المنصور » وهذا الذي اثار الشعراء ليصفوا مدحيات هذه الفتنة العمياء ، فكان الخوري بلنهم وادقهم فافتتح قصيدته الكبرى بوصف بغداد في ايام زهرها بقوله :

قالوا ولم يلب الزمان ببغداد وعثر عوازمها
اذ هي مثل العروس بادها ببول كواثرها
حنة دنيا ، ودار مغيلة قل من الثنائيات واثراها (١)
درت خلوف الدنيا لساكنها فيها بلذاخا حواضرها
فالقوم منها في روضة أنسقر أشرق غب القنان زائرها
ومنها :

دار ملوك رست قواعدها فيها وفرت عما منارها
فلم يزل والزمان ذو غير يفتح في ملكها اصغارها
حتى تسافت كأساً مشملة من فتنة لا يقال غاثرها
وافترقت بعد الفة شيعاً مقلوعة بينها اواصرها

وبعد هذا العرض الخاطف في وصف الشرر المتطايير من الفتنة يقف الشاعر وقفة الرجل الابي الذي صهرته الحياة ليقرع اولي الامر بوخراته الاليمه وروحه الشاعرة فيقول :

يا هل رأيت الاملاك (٢) ما صنعت اذ لم يزعا بالنصح زاجرها
ما ضرها لو وقت بوقها (٣) واستحكمت في الثغى بجانرها
ولم تأسفك دماء شيعها وتعتدل فتية تكابرها

(١) مغزعا

(٢) الملوك

(٣) يشير الى البيعة التي علها الرشيد لولديه في الكعبة سنة ١٨٦ هـ

يا هل رأيت الجنان زاهرة يروق عين البصير زاهرها
وهل رأيت الفصور شارعة تكن مثل الذي مقاصرها
وهل رأيت القرى التي غرس الاملاك مخضرة دساكرها
مخوفة بالكردم والتخل والريمان قد دببت مجاخرها
فانما اصبت خلايا من الانسان قد دببت مجاخرها
قراً خلا ، تقوى الكلاب بها يشكر منها الرسوم ذاتها
واصح البؤس ما يافرقها الفأ لها والدرور هاجرها

وبعد ان يصف الامكنة التي اشتد فيها القتال يسائل نفسه مشدوها .

اين الظباء الابكار في روضة الملك عاды بها غراثرها
اين غضارها ولذتها اين مجبورها وحابرها
كانما اصبت باحتهم عاد ، وسنتهم صرارها
لا تعلم النفس ما يباينها من حادث الدهر اوبياكرها

ولا يكاد ينهي الشاعر من وصف هذه الصور المخرتة حتى يلجأ الى حكيمته وثائب نظره فيرفع الامر من يدي القضاء والقدر ليلقيه على عاتق بغداد المعسوة في حانة الترف والجلل ، النافذة عن مجدها الناشي . فتجبر عن هذه الصرخة المتهمة صيحات حزينة حيث يقول :

يا بؤس بغداد دار علكة دارت على اهلها دوائرها
امليها الله ثم عاقبها لا احاطت بها كباثرها
يا بؤس بغداد دار علكة دارت على اهلها دوائرها
امليها الله ثم عاقبها لا احاطت بها كباثرها
يا بؤس بغداد دار علكة دارت على اهلها دوائرها
امليها الله ثم عاقبها لا احاطت بها كباثرها

● يصف الخوري التي دارت في ارض بغداد وفي اطرافها نصف هول القتال ، وحيل المحاربين وعدد الحرب وهذه القوضى السبي انبثقت في كل ناحية فيقول :

من بر بغداد والجنود بها قد ربت حولها عساكرها
كل طعون شبيهاً بالسهل تسقط احيائها طاجرها
تافي بني الردى اوانسا رهنها للناء طاجرها
والشيخ بسدحزماً كنانيه يفتح اعجازها باورها
كتاب الموت تحت ألوية ابرح منصورها وناصرها
يلام ان الاقدار واقعة وقعا على ما احب قادرها

● وهكذا يعني الخوري في وصف الحرب وصفاً واقعيًا . وفي وصف فتنة بغداد ، فلا يترك ناحية من نواحيها الا ويمرر لها ، فن وصف مظاهر الثورة ، الى مكائد البطانة والقراء ، الى التحام الجيشين ، الى هذه المواقف التي جرى فيها القتال الى وقوف الاعمال واضطراب المتاجر ، الى هجوم الزعاع على اسواق بغداد ، الى هذا الذعر الذي شمل قلب المدينة واطرافها ، وكأنه كان يؤرخ ببزعة الفتنة ما يسجله المؤرخ بلسان الواقع من ارتفاع اثمان القوت مثلاً ، الى هذا الحصار الذي دام طويلاً حتى اصبح الاثرياء والتجار

يشتمون لو غذل الامين وانتصر المأمون ليستب الامن وتسود
الطائفة، الى غير ذلك من الكوارث والفق التي انصبت على
عاصمة الخلافة الاسلامية في تلك الايام السود .

وقد كان الخويزمي دقيق الحس ، بارع الوصف ، حتى لم يسهل
في وصفه اهل « عدد القتال » فقد ذكر « المقلع » كما ذكر
« المنجنيق » :

في كل درب وكل ناحية خطارة يستهل خاطرها
يمل هام الرجال من فلق الصخر يزود المقلع بانرها
كنا فوق عابها عذف من القنا الكدر عاج نافرهما
والثوم من تحتها لم رجول وهي تراس بما غواطرها

أرأيت كيف يصف هذه الاحجار التي يقذفها المقلع او التي
تقذفها سواعد الطرازين العراء — جنود الهرش ! ! .

يشير المسموعي الى هذه الحادثة بقوله :

جا قائد خراساني الى طاهر بن الحسين ، اكبر قواد المأمون ،
وطلب اليه ان يخضه بحرب يوم ، فاجابه الى طلبه بعد ان حذرته من
جماعة الامين ، ولكن الخراساني لم يهتم لهذا التحذير وقال :
« ما يبلغ من كيد هؤلاء ، ولا سلاح معهم — مع ذوي البأس
والنجدة والسلاح والعدة ؟ »

ونزل الى ساحة القتال بما لديه من بأس ونجدة وسلاح وعدة .
فاذا لقي ؟ لقد بصر به بعض العراء فرمته رمدة طارية حتى قتلت
سهام القائد . . . وظن هو ان المويان قتلت حجارتهن ، فرمته احداهن
بمحجر بقيت في الخلاه ، فعمل عليه القائد ، فما اخطأ عينه ، وثناه
بمحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ، ففكر راجعاً
وهو يقول :

« يا ابا طاهر ، ليس هؤلاء بناس ، هؤلاء شياطين » هؤلاء
الشياطين الذين اعتد بهم الامين لمقاتلة جيش اخيه المزود باقوى عدد
القتال في ذلك العصر وقفوا وقفة الكاة في هذه الحرب التي شنتها
الشعرية الاعجمية على العصبية العربية .

لقد حاربوا اربعة عشر شهراً ، ثم وقعت المأساة بعد ان
حوصرت بغداد حصارها الطويل ومنعت عنها الارزاق وارتفع عن
القوت عشرين مرة عما هو عليه في المناطق التي كانت في حوزة المأمون
وقد ضاقت الناس ببغداد وكان اكثرهم ضيقاً وبرماً المولون واصحاب
الثروات الذين فرضت عليهم الاموال والودائع لمتابعة الحرب ،
فما كاد ذريع والهرش قائدا الامين يباشران جمع الاموال حتى
هرب اكثرهم الى خارج بغداد .

ان الخويزمي لا يعرض الى هذه الامور التي عرضت لها كتب

التاريخ ، اي انه لا يؤرخ هذه الاحداث الا بقرعته الفنية حتى
لكأنك تقرأ قصة من قصص التاريخ ، وهو الى بكائه لا يشعرك
بقرعته السياسية اي لا تستطيع ان تعرف لونه الحزبي وعما اذا كان
يشايخ الامين او يميل الى المأمون — ان هذه النزعة لا تظهر الا في
القسم الاخير من القصيدة التي حين تهدأ الثورة . . فهو هنا يميل
الى المأمون وان كان قد اخذ على الاثنين ان يجعلا ببغداد هذه العروس
الجميلة التي يصنها في مطلع قصيدته بانها جنة الدنيا — اتون هذه
الفننة اللاهبة .

ويخال لنا ان الخويزمي نظم قصيدته هذه في عدة فترات من
حياته ، في اجتدام اوارها ، في نهايتها الحزنة التي انتهت بصرع
الامين وارتقاء المأمون سدة الملك ، وتركنا الان هذه الاستطرادات
لتتابع الشاعر في وصفه هذه الفننة في اسواق ببغداد .

بل هل رأيت السبوف مصنة اشهرها في الاسواق شاعرها
والخيل تستل في ازقتها بالترك مستنونة خناجرها
والنقطة والشار في طرائفها وهاباً للدخان غامرهما
ويذهب تدو به الرجال وقد ابدت خلايلها حرائرها

ثم انظر الى دقة الاراء وروعة البيان حين يصف الذعر الذي
احصا فتيات ببغداد .

سبوفيات وما الازقة قد ابروها للبيوت سائرهما
كل رفقو الصبح بخاة لم تبعد في اهلها عاجرها
للناس مشورة غدايرها كبة خيل زيت حوافرها
تغر في ثوبها وتجلجلها وتعال ابن الطريق والمهـ
لم تجمل الشمس حسن بهجتها حتى اجتنبا حرب تبايرها

وهكذا فان النزعات الانسانية تبدو صادقة عند هذا الشاعر
الذي تثيره هذه الفواجع التي كان وقودها فتيات محدرات ،
وعذارى مصوصات ، وما اظن ان لوحة من لوحات امهر الرسامين
تبلغ في الدقة من تصوير « الملع » او « الذعر » الذي صوره الخويزمي
قبل الف عام ونيف بقوله :

تعال ابن الطريق والمهـ والشار من خلفها تبادرها

وايس يستغرب ان تتألى هذه الصور قوية في شعر الخويزمي ،
فهو الى تزعته الفنية الصادقة في الوصف والتصوير قد عاش في قلب
هذه الفننة او على كل كنب منها يوقب احداثها وقطاراتها ، ويشاهد
جشها وقتلاها ويعرف رجالاتها وموقدي نارها ، فهو في كل ساعة
امام منظر محزن يفتت القاب ويهز مكاسن الشور ، ولا تعجب
بعد هذا ان يمشد هذه الصور الانسانية المتتابعة ، وان تسمع هذا
الصوت الخزين المنبعث من اعماق امرأة تسكي لتول كالجذوة .

يا هل رأيت الشكى مولدة في الطرق تسمى والمجد باهرها
في اثر نش عليه واحدها في صدره طنة يساورها
فرغاء تلقى النار من بدنا حمزا بالستان شاجرهما
تنظر في وجهه وعنف بالشكل ومن الدبوع خامرها
غرغر بالناس ثم اسلمها مطولة لا يخاف ثائرها

وكما بكى الخزي لهذه الشكى الخزينة التي ارتفع صوتها
بالولولة حين دنا مصرع ابنها وقد غرغ بالنفس - فقد بكى ذلك
المعوار الذي قضى في قلب المعركة دون ان تبكي عليه ام او دون
ان يبكيه اب او اخ او ولد او ذورحم او صديق - جثة ملقاة
في الطريق تنهشه الكلاب باظفارها الحادة - وقد خضبت بدمه .
وقد رأيت الفتان في عضة المراك مغفورة مناخرها
كل فني مناع حقيقته تنقى به في الوغى مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه مخضوية من دم اقاتلها

وتزخر عاطفته فيرسم الصورة تلو الصورة بمضوعات تشيع
اللاوعة الباكية في كل كلمة من كلماتها ، وهو لا يقف عند
هذا الوصف المثير لادق تزوات الالم بل يرسم ما هو ابغ واقرى
أثراً في النفس . وكأنه في وصفه بعض صدر هذه الفتنة العيا.
يصف الحقد الانساني بأشنع مظاهره ، بل يصف هجيرة القتال
وبداوته الاولى حين يشير الى الخيل التي قدوس يستلجها
جثث القتلى ، وهو لا يستعمل كلمة الخيل ولا القتلى بل
يقول « اكباد فتية » اي يستعمل اصفى الكلمات وارقها لئلا
على شاعريته الموهبة التي لا تتجرب به الى اللفظ الماهل معها
تعددت صور القصيدة بل تتناول مرقعة وهنا تبدو براعته الفنية .

اما رأيت الخيول جائنة بالقوم منكوبة دوائرها
تعر بالوجه الحسان من القتل وغائت دماً اشاعرها
يطان اكباد فتية تجرد يفلق هانم حوافرها
ثم يعود الى وصف المرأة البغدادية - تلك المرأة التي كانت
تراول شؤون الحياة كما كان يزاولها بعلها قبل ذهابه الى الحرب .
اما رأيت النساء تحت المجانيق تادى شعثاً فذاقها
يميلن قوتاً من الطحين الى الاكتاف منصوبة مساجرها
وذات عيش ضحك ومغسة تشدخها صخرة تاورها
تسال عن اهلها وقد سلبت وابتر عن رأسها فذاقها

كأنني باخري في قصيدته هذه يسجل هذه الاحداث في يوميات
فهو لم يترك ظاهرة الارهاق بريشته حتى تلك المنكودة التي
ترلت السوق لتبيع ما لديها من متاع تقنات به ، فاهي هنية حتى
تنهال عليها الاحجار وتساق وتبتر الفغاز عن رأسها فتصبح حائرة
وهي لا تدري ما تفعل !

ثم يقف الخزي عند هذا الحد من وصف مظاهر هذه الفتنة

واطوارها يلتفت الى المأمون بعد دخوله بغداد فيخاطبه مخاطبة
الند للند . وينصحه ان يبعد عنه بطانة السوء وان يأسس الامور
بعدل وحزم ، وان يتوقف عن هذا الذي تجدر اليه قواده وعماله ،
ويطالب اليه اخيراً ان يؤذي رجاله الذين عاشوا في المملوكة وقدسوا
وبصاحبه بما يشمر به ويمسه دون هجمة او خوف . فهو شاعر
مستقل ، وهو ينقل الى الخليفة ما يشعر به الجمهور ، ومن اولى
واجباته وقد اسدل الستار على هذه المسألة ان يودع سلطانه على
العدل وان يشيع الرحمة بين الجميع ، وان يعيد ابتداء روتنهما
وجمالهما ، وان يكون مليكاً للكل وللجميع لا لفئة دون
اخرى فيخاطبه بقوله :

اصبحت في امة اوائلها قد فارقت هذبا واخرها
ادب رجالا رأيت سرغم خالف حكم الكتاب سائرهما
وامدد الى الناس كفى مرحمة تشد منهم بما مفارقهما
اسكنك العدل اذ حمت به ووافقت مده مفادرها

الى ان قال :

كم فندنا من نصيحة لك في الله وقربى عزت زوافرها
دوت غراء كالزينة (١) لا تغد في بلاد سواترها
لا طينا قنتها ولا بطرا لكل نفس نفس ثؤامرها
امتك شكي الامور كما ينشر بز التجار ناشرها
حكمتها صاحبها ثقة يفل عجباً بما يحاضرها

واذا لناس اتفة الشاعر وكرامته وترفعه عن الإحذار الى
هذه الانانيات التي تركت بغداد ورجالها سنة وبعض سنة في
تورة لاهية وقتال شديد . نعم ، اننا لننسى هذا الايا . وهذا
الشمع بهذه الابيات التي ختم بها قصيدته والتي اعلن فيها عن
شخصيته القوية التي عرفت مكانتها دون ان تتجدر الى هذا
الصغار الذي اعتاد ترديده شعرا المديح . مثل هذه المواقف
فارسل قصيدته الكبرى مع احد اصدقائه ، ولعل هذا الذي
أوتر عليه صدر السلطان او صدر بطانته فضاء اكثر شوره ، ولم
تحفظ لنا الايام غير هذه القصيدة وقطوعات في اغراض شتى لوجبت
لما بلغت قصيدة كاملة ، وما نظن ان شاعراً قوياً له مثل هذا النفس
ثم لا يكون له ديوان ضخم كدواوين من مساصره من شعراء
الزلفى والمديح الا ان تكون السياسة قد طمس آثاره الادبية ،
وهذا ما يغيب اليه كما المعنا في صدر هذا البحث .

سامي الكبيسي - حلب

النظام واثرة في الحياة

فلم منبر عانوني

ذكانه ولاحظته ودراسته .

والاديان على اختلاف مصادرها ومذاهبها والمبادئ الفلسفية على تباين ميولها ونظرياتها هي شرائع وضعت لتنظيم حياة الناس والسياسيين واحكام مداركهم الى افق يتضال فيه ظل المادة ويخفت صوت الغرزة ويتكشف فيه الوجود عن الحقيقة المثلى .

هذا فيما يتعلق بالعلم والدين واما في الاجتماع والنظام منه هو ثابته السالك من العفة فلا يستقيم امر جماعة من الناس ولا يسعد عالمهم ولا يورثون الحياة النوروز والتقدم الا اذا كان النظام متمكناً من نفوسهم وقوانينه مرغية في كل امر من امور معاشهم .

ولا بد للامة في تنظيم شبابها واعمالها ومواردها من ان تشرى ابناءها على حب النظام وتقديسه وعمارته منذ نعومة اظفارهم ف قضية التنظيم الاجتماعي يجب ان تبدأ بالفرد اولا . ا دام الفرد من الامة بمثابة القاعدة من البناء . ولا شك في ان تربية الفرد خلقية وجسدية فاضلة وتنشئته على اسلوب منظم من العيش هما المرحلة الاولى من تربية الامة كلها وتنظيمها .

وتنظيم حياة الفرد انما تكون بتهديب ميوله وغوازه وتنمية مواهبه العقلية والجسدية وتعميده العيش على اسلوب واحد مشترك بين سائر افراد الامة يتفق مع رغباتها واهدافها الوطنية المنشودة ، وهذا التنظيم ان كان من واجب الحكومات ان تساهم فيه اكبر مساهمة فملى الفرد اولا بصفته مواطن وانسان اجتماعي بالاطمع ، ان يروض نفسه على ان يحيا في بيته او في مدرسته او في متجره

النظام . فظهر من مظاهر الرقي في الحياة الاجتماعية ، وقياس من اصدق المقاييس لعقلية الافراد والجماعات . وكما ان البناء يزيد في رونقه وقيمتة احكام الوضع ، ودقة الصنع ، وجمال التخطيط ، فكذلك المجتمع الذي يبين النظام على كل فرد من افرادة ، وكل طبقة من طبقاته ، وكل ناحية من نواحي الحياة فيه .

وكما كان الفرد او المجتمع اعلى بالنظام واحسن على التقييد بآدائه عن رضى وطواعية ، كان ذلك ادل على رسوخ قدمه في الحضارة وعلى سمو مستواه الفكري والثقافي . وائس النظام صفة موقوفة على المجتمع الانساني وحده فكل ما في الوجود من حيوان ونبات انما يخلق ويحيا ويتطور ويفنى ، تبعاً لنظام خاص لا يتطرق اليه الفساد ابداً . وكل بادرة تجري حوله من بوادر الطبيعة وكل حدث من احداثها انما يتبع في عذوقه منهجاً ثابتاً لا يتبدل . فالنظام الشمسي مثلاً مع ما يتميز به من عدد الأجرام وسرعة جريه ودرجة حرارته ومقدار احبائها وابعادها واسلوب دوراتها بعضها حول بعض ، كل ذلك يبلغ من الدقة والانتظام حداً لا يدلف معه اخلل الى اي جزء من اجزائه ولو حدث شيء من ذلك لفسد النظام بأكمله .

والاعدام التي درسها العلماء واكتشفوا اسرارها وقوانينها ، كالكيمياء والطبيعات والكهرباء والفلك والرياضيات وغيرها ليس كل واحد منها الا مجموعة نظم لناعية خاصة من نواحي الطبيعة او لمظهر واحد من مظاهر الوجود عرفها الانسان بفضل

أو في مصنعه عيشة مثقنة منظملة .

وإذا ظل الفرد عاجزاً عن السير بجراحته في الاتجاه الذي ترسمه له الحقيقة والمصلحة وعاجزاً عن ان يتصرف بشؤونه الخاصة تصرفاً حكماً فالجموع الذي يتألف من امثال هذا الفرد سيظل أيضاً بعيداً عن النظام والحكمة في تصرفاته .

وليس من العسير على اي فرد سليم التفكير ان يعرف كيف يتجر بجراحته الشخصية منحي النظام والاعتدال في كل شي . فينظم مثلاً طعامه في اوقات وكميات معينة تفي بحاجة جسمه من الغذاء ، ويحدد ساعات نومه ويقظته ويوافق بين لباسه وبين فصول السنة ، ويميز علمه ولحمه ورياضته اوقاتاً لا يزيد عليها ولا ينقص منها ، ويسلك في اعماله ونفقاته مسلماً يتسلاخ مع قدرته على العمل والانفاق ، وينهج في معاملاته مع اهلل والاصدقاء وسائر الناس منهجاً يتفق مع نفسية كل واحد من هؤلاء .

وعلى نظام الفرد يقوم نظام المجموع ، والانظمة الاجتماعية على كثرتها وتشم اغراضها لا تتحجج كلها لقوانين مدونة تشرف الحكومات على تنفيذها واقامتها بين الناس كما تتحجج مثلاً انظمة الاخلاق والسير والبناء والاجتماعات ونظام المعاملات التجارية والقضائية وغيرها . بل ان هنالك كثيراً من النظم الاجتماعية غير وتدري في طريق العرف والادب الاجتماعي فحسب .

فليس من النظم والادب الاجتماعيين مثلاً ان تراحم من تقدموك لشراء تذكرة للسبنا وطابع للبريد ، او لدفع اشتراك الى احدى الشركات او لايصال مبلغ الى احد المصارف ، فالنظام الذي يقضي عليك ان تثرب حتى يجي دورك هو نظام يقضي به الذوق الاجتماعي اكثر مما يقضي به قانون الحكومة او الشر كواو المصروف والنظام الاجتماعي هو الذي يجهرك ان تجلس في سيارة عامة فلا تنبسط في جلستك ، ولا تسوفي من المقعد اكثر من نصيبك ، وان تجلس في القطار فلا تضع حوائجك ورجليك على المقعد المقابل وان تدخل للملهى فلا تنفخ دخان لفافتك في وجوه الجلسا ، ولا تشرب بعنفك حتى تجبب النظر عن بليك ، ولا تأخذ مقعداً غير مقعدك عنوة .

كل هذه النظم اداب اجتماعية تواضع عليها الناس وعرفوها

بالملاحظة والاختلاط والانتقاء . ولكن فوقاً من هؤلاء الافراد لا يتقيد بهذه النظم ولا يراعيسها في حياته الاجتماعية ذلك بان هؤلاء لم يملك نفوسهم حب النظام ولم يتفهموا معانيه واغراضه ، ولم ينشئوا في البيئة التي درجوا فيها تشنة اخلاقية منظملة . هؤلاء الافراد الذين يريدون ان تكون لهم الاسبقية في كل محفل ، والنصيب الاوفر من كل مقصد ، ان دل تصرفهم على شي غير الميل الى الفوضى ، والتمرن على النظم المألوفة والاستهتار بالاداب الاجتماعية والمثل العليا فافا يدل على جشعهم وانانيتهم . وهناك نظام الامة الذي يتصل مباشرة بقضاياها الحيوية الكبرى كنظام الحكم والجندية والتعليم والتربية الوطنية والنظام الاقتصادي والقضائي وغيرها .

ومن اول واجباب الامة التي تريد ان ترسخ قدمها في الاستقلال وان تتبوأ مكانة مرموقة بين الامم القوية المتحضرة ان تختار لنفسها من بين النظم الحكم نظاماً ديمقراطياً يحترم صفو الانسان وحرية الشخصية ويضمن لها بقاها وسلطانها .

واما التعليم فهو السبيل الاوحد لتثقيف النش وتربيته تربية وطنية رهيبة وتوجيه الشباب وجهة صالحة شريفة تتفق مع نزواتهم في الحياة ولا بد لذلك من ان تبني معاهد العلم واذنية الرياضة في كل بقعة من بقاع الوطن وتوحد برامج التعليم والتربية فيها ويعهد بالاشراف عليها الى الاخصائيين والمربين . وصفوة القول ان النظام فضيلة اجتماعية لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد والمجتمع ومن اجل نتائجها الاقتصادية في الوقت والنفقات والمتاعب فضلاً عما في التنظيم من مجال وقوة .

ولزاماً على الامة التي تريد ان تنهض الى مستوى الشعوب الراقية ان تلقن ابناءها النظام منذ الطفولة وان تنشئهم على حبه وتقديسه والتقيد به في كل شأن من شؤونهم الخاصة والعامة ، في المأكل والملبس والعمل والراحة ، والنوم والهوى والتفكير والقول ، وكل امة لا تتحجج بافرادها ومجموعها بنظام قروي صالح هي امة سائرة حتماً الى الفوضى ، والفوضى سبيلها الدمار .

منبر عاونوي

« الشاعر »



انا فكرة الأزل المبهمة انا شدو قشاره المبهمة
 انا شذرات ضياء سراج تشع على جدث مظلم
 انا جولة الدمع في مقلة انا همسة الليل في الانجم
 انا فم لقمان في مصحف انا سحر هاروت في مرقم
 انا رعشة الشعر في شاعر نحي الملائك عذب الفم
 سلافي نشيدي من عبقر فاشرب من كوبها المقعم
 بها شعله من عيون العذاري ومن ادونيس نقاط دم

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

انا رعشات من الذكريات ورجع الصلاة وزهو الربيع
 نشيد يحوم فوق الباب وكأس بكف الندامي صديق
 وقلب يرف يحفن حنون وقلب وثيد يرمس الضلوع
 شجي الشكاة، عميق الجراحة يقطر منه دم ودموع
 انا بسات الهوى والشباب ولوعة ليلى وقبس الصريع
 انا في خيالك افق الخيال ورويا الجمال وحلم بديع
 عرائس فجر لبسن الغياب بهيكل وحي يضمن الشموع

« الشاعر المجهول »

الحماقة البشرية

بفلم الدكتور فتولا فباض

ادكر اين قرأت ان احد القواد العظام واضنه فيليكوس امبراطور القسطنطينية كان كلما اشرف على معركة واوقت ساعة القتال يذفر الدمع سخياً حزناً على من سيقتل فيها . من الرجال . وسوا . اكانت دموع تمساح راحة ام افراط في التعبد فهي شاهد على حقارة الانسان الذي لا يحجم عن قتل اخيه الانسان .

من يدري عدد الضحايا التي تقاسمها الحرب من كل جيل منذ وجد الانسان على هذه الارض الى يومنا هذا ؟ يقول فلاماريون ان الحرب السبعينية وحدها طاعت بنصف مليون رجل ، وحرب الانتقام في اميركا بـ مليون وحروب الامبراطورية بنحسة ملايين واذا اضفنا الى ذلك من قتل في حروب ايطاليا والنمسا وغيرها بلغ مجموع القتل ١٩ مليوناً .

وهكذا منذ بداية التاريخ لا ينقضي جيل دون أن تبعد الحرب منه مثل هذا العدد وقد يبلغ عدد القتلى في المعركة الواحدة مئتي ألف شخص كما في غارات أتاتراو المواقع التي هزم فيها ماريش الروماني قبائل التتار والهنود والسلاجقة والمغول والبيكيات وكان هؤلاء ملك الذين كانوا يقيان في كل محلة من طريق الفتوحات إهراماً من رؤوس القتلى - فيكون مجموع من يوت في كل عصر من العصور الحروب الدينية والسياسية والأهلية على تقدير فلامارين أربعين مليوناً .

منذ تروادة وداود وسيميراميس وسوسوتريس وكسرى وقبيز والاسكندر اربعون مليوناً .
رجال تراق دماؤهم كل مئة سنة ، وكثيراً ما يرافق هذه الدماء الحان المرتلين والتسابيح الالهة
اربعون مليوناً كل مئة سنة لوجعت . معاً بلغ عددها ملياراً وربع المليار اي ما يقرب من عدد سكان
الارض اليوم . ياله من رقم هائل . اربعون مليوناً كل مئة سنة اي ٤٠٠ الف كل سنة اي ٣٠ الفاً
كل شهر اي ١١٠٠ كل يوم أي واحد في الدقيقة . فكان البشرية قائمة للذبح ابد الدهر لا تسقط
السكين من يدها دقيقة واحدة . لقد ورث الانسان الحروب عن الحالة الحيوانية ولا يريد ان يتخلص
منها . مئة الف من السنين على حساب البعض ومئتا الف على حساب البعض الآخر اتت على هذا الموجد
منذ اتسع له الوجود وهو يناضل ويقاقل وهذا ما يسمونه تنازع القاء .

تبدلت الوسائل ولم تبدل الطباع وتحوت اسلحته من النباييت والسهام الحجرية الى المدافع والمتفجرات وشهوة الدم باقية كما هي .

يقدر فلامايرين ما اريق من الدماء في هذا المدى الطويل من التاريخ بنحو من عشرين مايوناً من الامتار المكعبة اي ما يجعل منها نهراً كنهو السين يجري وانت تنظر اليه من مكانك يومين متواصلين قبل ان ينتهي ، وتسير مواكب البحار على امواجه الحمراء كما تسير اليوم في السين ، تصاعد منها

نحو المآبني والقصور من الروائع ما يتضاعف من الحفر في جحيم دائني ،
ولو بعث هذا المليار وربيع المليار من القتلى ونصبت ربهيم الواحدة
فوق الاخرى لكان منها سلم بشري يصل الى القمر ويدور . من
حوله ويوالي صعوده في الانهائية الى ابعد من مليون من الاليمال .
ولو اغتنت الرؤوس وحدها وصف الواحد الى جنب الآخر
لانتظمت عقداً يحيط بالكرة الارضية ست مرات .

أضف الى هذه الخسائر في الاجسام والارواح ما يلحقها
من الخسائر الادبية باتلاف منتجات الفكر البشري كما فعل
هولاكو عندما خرب بغداد فقد أقام جسراً من الكتب في دجلة
لتمر عليه جنوده .

واذا نظرنا الى اسباب الحروب وجدناها تافهة على حد قول
الشاعر يثير « صغيرات الامور كبيرها » . فن حروب تروادة التي
كان سببها اختطاف امرأة الى ما عبقها من الحروب الى حربنا هذه
التي لم يعرف لها مثيل لم يكن السبب يوماً على قدر المسبب .
ولكن الطمع لا ينفك يلعب بالرؤوس فتختار البشرية افضل
اولادها واقوامهم ترضعهم وتقديهم وتقديهم حتى اذا بالغوا زهرة
الشباب ارسلتهم الى الموت . طمع جنوبي يجيش في رأس الواحد
فيجر القطيع البشري الى الذبح .
ويضطر الباقون الى الدفاع عن انفسهم فيجاءونهم مكبرين .

اين هذا من الحياة الهادئة العامة المفكرة البهيمية وريها الانسانية
ويجعله عنها الانسان .

وقد بظن ، وبعض الظن اثم ، ان الحروب ضرورية لمنع
الازدهار وتكاثر البشر تكاثراً هائلاً يضيّق عنه وجه البسيطة
على حد قول الشاعر :

سُبِقْنَا الى الدنيا فلو عاش اهلها

منعنا بها من جنة وذهب

مع انه في امكان الارض ان تقضي شررة اضعاف من عليها ،
كما ان التقليل لا يؤثر في تخفيف العدد لان الانسانية في تكاثر
مستمر على نسبة مولود واحد في الثانية .

فال حرب في كل حال آفة على البشرية ولو قد قدر الانسان ان
يتخلص منها واستغنى عن ضرورة الاستعداد لها وعما يسمونه
السلم المسلح لاستطاع ان يبني دعوة امه الارض بالاكتثار من
الايدي العاملة فتندر عليه خيرات لا تحصى . ناهيك بالاموال التي
تنفق على ميزانية الحرب في كل دولة فقد قدروا ما انفق منها في
المنة الماضية بسبع مئة مليار ولا تتكلم عن ما ينفق في هذه الحرب

الحاضرة . هذه الاموال لو انفق معشارها فيما ينفع كتعميم التعليم
المجاني في كل صقع وتحسين وسائل المواصلات بين البلدان باسرع
واوفى مما هي عليه الآن وازالة الحدود الجركية بين الممالك
وانشاء المستشفيات الكثيرة واعداد الباحثين والحقّرين بما يتاجونه
لوفرت للانسان اسباب هئائه واستطاع ان يتغلب على الامراض
المستعصية وان يطيل حياته الى اقصى ما يمكن ان لم يتمكن من
التغلب على الموت .

حلم جميل لا ادري ولا احد في الناس يدري اذا كان في
الامكان استجائته حقيقة . وبيننا العقلاء من الناس يفكرون في
تحقيقه كله او بعضه فالارض لا تزال تدور وتشهد حماقة البشر
وتجمل التفطيع والتخريب وتلبس الحداد وتقصف بدم ابنائها
المهراق على صدرها ولسان حالها ينادي :

الى م الى م يا عاتي تحول عنك خيراتي
وتفرق بالدم الزاهي بساتني وجنسائي
وتجحد نعمة الله

لقد غارت في الحرب بأموالي وآسالي
وكانت معك في حال فلم تثبت على حال
ولم تشفق على شعبي

فلم تقدر الفداي بعيد الي احمادي
ويبشر في دجى الحقد على السابقين من ولدي
شعاع الرحمة الهادي

نقول فياض

اطلبوا من جميع المطالب

روابط الفكر والروح

بين العرب والفرنجية

بقلم اباس ابو بركة

مشرقات دار المسكون

بعد الامتحان ...

بلم سربل ادرين

... عرته رعدة خفيفة حين نظر الى ، وفطن الى انني كنت الخطه ... وعا هو يعيد الى جيبه ذلك الرسم الذي كان ينظر اليه بعاطفة مشوبة مكتونة ، ويضعه انه غير مبال ولا مكترث لما حدث ... وخشيت ان احرجه فكشفت - انا الآخر - انني لم افقه شيئاً ، ولم آبه شيء ، واستمرت في الاصغاء للعلم بلقي علينا الدرس .
وتسألني هل كان زميلك وصديقك « راضي » ... معنياً بما يقول المعلم ، فاجيبك انه كان يصني اليه ، ولكنه لم يكن ليفهم مما يقول شيئاً ، لا لأن الدرس غامض مبهم ، او لانه صعب المثلث لعقده ، بل لان « راضي » لم يكن متبهاً له ، وان كان مصغياً ...
ان السر لاشك ، يكنه هذا الرسم وحده ، ويطوي عليه جوارحه ، والى الان لم يتقدم لي ان اتبينه جلياً ، فافهم سره ، واستكنه غوره ... وقصاري ما عرفت منه ، انه يثل فتاة لم ادر اهي من الجمال على غاية ، ام هي ليست كذلك .
ولا تحل انه كان من اليسر ان اعرف هذا القدر من قصة الرسم ، فها اني قد قضيت ستة اشهر أحاول ان اتعرف الى اكثر من ذلك فلم اقدر ... رسم فتاة : ذلك منتهى ما بلغ اليه جهدي في تتبع صديقي « راضي » .
ولكنني اطلمت على حظ غير ضئيل من المظاهر ، جعلني احس بان في نفس « راضي » هوى يلك عليه فؤاده ، وينقله الى دنيا هي اقرب الى الخيال منها الى الواقع ...

عرفت « راضي » ووددته منذ سنتين ، لازمته فيها ملازمة الظل صاحبه ، وكنت آبي وبأبي مثلي ان يلزم في غرفة الدرس مجلساً غير الذي اترم ، فزاملته على مقعد واحد طوال هاتين السنتين ، كنس به وأنس بي ، ويجد كلانا في صاحبه مستودع مشاعره ... وكان هذان العالمان زعيمين ان يستغدا اعجابي بصديقي الاعجاب كله ، وحي اياه حباً لم اكف لاحد مثله . كنت احبه صديقاً على غاية من الوداد والصدق وزميلاً على ذروة من الاحترام والتفصيل ...
لم يعرف مدرسوننا في العام الماضي الخط من « راضي » اجساداً ، ولا اكثر منه تحصيلاً ، فكانوا يعلقون عليه الآمال الكبيرة ، ويتوهمون له المستقبل الزاهر الحصب ... ولكن اكثرهم لم يفهموا ان القيد المادي ليس به ان يستوعب كل ما يقولون ، فكانوا اذا اتقوا بعض الاسئلة في اختبار ذاكرة التلميذ ، كان « راضي » اسرعهم الى التلبس ، واحرصهم على الاجابة جواباً صائباً صحيحاً ...
ولم يكن من عجب ان يجوز « راضي » في آخر السنة امتحان البكالوريا (القسم الاول) بنجاح وامتياز ، وهكذا اصبح موضع فخر مدرسيننا ، ومحقق آمالهم ... ولقد علمت ان صديقي انصرف في عطلة الصيف الماضية الى المطالعة المشورة ، والتفكير المنتج ، حتى لوحظ عليه تطور في ذهنه ، وتعمق في بصيرته ، ونفاذ في رأيه ... ولبث راضي موضع اعجاب زملائه طوال هذين الشهرين من السنة الجديدة التي تستعد فيها جميعاً للتقدم الى امتحان البكالوريا (القسم الثاني) ... ثم تلت اربعة اشهر بعد ذينك الشهرين ، فاذا « راضي » فيها غير ما كان ... لقد اضحي الطالب النشط العامل ، طالباً بليداً خاملاً ، وغداً التلميذ المفكر المروي . تلميذاً تساهم عليه ايسر المعاني ، وتستغلق اسهل الافكار ... لقد اصبح راضي المتنبه البقظ على غاية من الشرود والسهر ... - ماذا دهاه ؟؟

تاهمتنا بها نحن الرفاق ، وانطلقنا نقول ونستنج ونعلل كيفما تأتى لنا ، وكنت اسرع زملائي الى الاطلاع على بعض سره لانني كنت اقربهم منه وادناهم الى قلبه ... بيد انني لم انت من هذا السر كاملة ولم انقم بحرف ... فاكنته بين جوارحي ، وانسه لا يفتر يشغل فكركي ، ولايني يمرض نفسي ... كنت احب راضي حباً لم ترتض نفسي معه ان اراه يكابد تلك اللوعة المحرقة التي تضطرم بها روحه ، وينضهر فؤاده ... كانت عاطفته الصادقة تبعث في الشفقة عليه حيناً ، ورغبة مقامته ألمه حيناً آخر .

كنت استشعر في الحق بعض الضيق اذ اراه في غرفة الدرس معلق الانظار بالنفاذة ، لا يبادرها الا حين يتبته الى المعلم بغير جلسته او يصمت قليلاً ليعاود كلامه ... واذا ذاك ادى يدي صديقي تشبكيان ، واصابعه تتوشج ، فتضبط بقوة وسرعة على طاولته ... ثم يلبث هنية على هذه الحال ، حتى تتلاشى قواه فيتراخى على مقدمه ، وتورق عيناه وتسدران ، فافطن اذ ذاك انه دخل في حالة اللاوعي حيث يتجمع فكره واحساساته في شيء واحد . وكثيراً ما تمتد يده في هذه الحال ، الى جيب صدرته ، فتخرج ذلك الرسم الصغير الذي كنت

احاول ان اتبينه جلياً لادرس خطوطه وملاحمه ، فلا يتهيأ لي ذلك ، اذ يكون صديقي راضي قد استعاد وعيه ، واخفى الرسم في جيبه ، وهو ينظر الي بعض الارتداد والارتباك .

مكثنا نلعم من امر "راضي" غير الذي علنا ، وكان الطلاب كثيراً ما ينتهزون فرصة الاستراحة ليقضوها في التحدث عن ذلك الشاب السادر في اقصى الملعب . . . وكان اكثر ما يجذبني عن تلك الروايات التي ما يرح يقرؤها منذ اول السنة ، ويعبر لي عن اعجابه بقدرة المؤلف في تصوير العاطفة الجروح تتناب بطل الرواية او بطلتها ، وانا اضفي اليه ، اخشى ان تقلت مني كلمة تؤذيه ، فازم الصمت . ولم افطن الى ان هذا الشاب مفتقر الى من يشه سره ، ويغضي اليه بمكنون فؤاده ، الا بعد حين الزمن .

ذلك انا دخلنا غرفة الصف بعد ظهر يوم مطير ، فبادر مدرس الفرنسية صديقي راضي بسؤال رغب اليه فيه ان يستعيد درس الامس ، فبهت الطالب ، واستغلت عليه الافكار ، والتأملت الاقوال ، فلم يقدر ان يسطق بكلمة ، وظل صامتاً كأنه لسانه عقد ، وفكره عي ولبنا ننظر ان ينطق هو معتذراً ، او المعلم مائتاً كما اعتاد ، ولكن اهدأ منها لم يفقه بكلمة . ونظرنا الى المدرس فاذا هو مستغرق يفكر ، ونحن بصرتنا الى راضي فاذا هو معلق البصر بطاولته . ثم تحرك مدرس الفرنسية بينة وبسرة ثم قال :

— يبدو لي انك عاشق . . . فليقرأ الدرس طالب آخر .

وادار راضي عينيه في محجوبه ، وحدث في المدرس وقد اصغرت منه الاساور

وكان الطلاب زملاؤه يميلون على شفاهم بسمات خفيات ويلحظون اليه بطرف ساخر . . . اما انا فلن انبس ولم ارم ، وأيقنت اذ ذلك انني لن اتألم لراضي كما اتألم الآن وعصفت بي رغبة جوح ان استبشه سره ، عأني أقدر ان اسري عنه ، او افرح من كربه وكنت اسرع للحاق به في الطريق بعد الانصراف ، حين توقف والتفت ، فسمعت اذ رأيته ، ولما بلغت ، رفع خذاعه ووضعها على عاتقي بصداقة وحنان ، ولقت في صدقاً ، ثم انحنى عني بصره وقال بصوت متقطع : — سامي ان ما قاله المدرس عني لم يمد الواقع فعرفت حينئذ ان راضي لم يعد في طوقه ان يكتم بعد سره ، فاقبل اليي فحدثني بعض هذا اللعب ناه يجعله طوال خمسة اشهر وعلمت اذ باح لي بكل شيء وقص علي كل تافركه ان هذا الصبر كان يغضي به عني الى الهلاك ، ولو انه ابقى عليه ، ودأب على اكنائه .

وكانت لا اسمع غير عبارات التحويل والتهيب يسطق بها كل طالب ونجني على قلماته ولم يكن حديث غير حديث الامتحان فالامتحان بعد عشرة ايام ، بل بعد خمسة ، بل بعد ثلاثة واذا فلا ندحة لكل طالب عن تشجيع زميل له ، وبث روح الامل والرجاء في نفسه والحق ان كل طالب لم يكن الا ليشجع نفسه اذ يشجع زميله ذلك ان كل تلك العبارات التي يوجهها لي صديقه كانت مصحوبة بالتعهدات الطويلة يمشها صدر بلح في الخفق ما مرت الساعات بل الدقائق وكانت طالبات القيد قد ارسلت الى " المعارف " فصادقت عليها وجعلت لكل راغب في الامتحان رقماً خاصاً يعرف به وكان رقمي العدد " ٩٠ " ورقم صديقي راضي العدد " ٩١ " وكان يفضلنا عن الامتحان بضع دقائق حين اخذنا ننزدر ، فزعم كل منا صاحبه ان رقه نحس ، وتطير منه واذا نحن بعد دقائق في غرف الامتحان مستغرقين في حل ما عرض علينا ورغم ان احدنا لم يكن ليملك ان يلتفت الى غير ما هو فيه من كتابة ، فلم اكن اقصر في الالتفات بين آن وأن الى صديقي راضي لاطمن ان كان مستغرقاً في التفكير والكتابة وسررت اول الامر ان بصرت به لا ينقل بصره عن ورقته ، غير اني علت فالفيت بعد حين شارداً لا يكتب ولا يتأمل ، فاشرت اليه استلفته الى ما ينبغي ان يشغل به باله ولم يفتسن الى مرادي الا بعد حين ، فنظر اليي باسئامة صفراء باهتة واجلت عليه غيب الانتهاء بالسؤال عما اذا كان قد وفق في الامتحان التحريري ، فأجابني بعد لأي وتردد : " ارجو ان اكون قد وفقت " فدخلني بعض الغم ، وودعته على ان نلتقي بعد ثلاثة ايام ، في قاعة الامتحان حيث تعلق النتائج

وانصرفت بعد الى المراجعة استعداداً للامتحان الشفهي في اليوم الذي يعقب اعلان النتائج وما زادني رغبة في الدرس والاستعادة تقني بالنجاح في الامتحان التحريري ، وبقيتي اني وقت فيه الى غايته غير اني لم ادرع نفسي ولم احلمها ما لا قبل لها به ، بل كنت حريصاً على ان اتفرج من عناء الجهد بانتهاز الفرص اقصيا في التلهي والتفكير غير ان ذكرى صديقي راضي لم تقرب لحظة عن ذهني ، بل لازمتني تستثير اهتمامي وتسبعت في عواطف شتى ، وكان اهتمامي يزداد كلما تقضت الساعات التي تفصلنا عن موعد اعلان

النتائج ... ذلك ان قصة صديقي راضي ستأنف مرحلة جديدة في ذلك الحين بعد طول ركود ومهود . سيري صديقي راضي « منى
علام » مرة ثانية ...

« في اوائل السنة المدرسية خرج صديقي راضي اصيل يوم هادي . رائع متأبطاً كتابه . وكان يذرع له ان يذرع طريقاً بعينها تتوسط
حديقة زاهرة غير منسقة يتيسر لمن فيها ان يرى البحر . ولكنه حين بانها اصيل ذلك اليوم ، بصر فيها بقناة مستقيمة على العشب الاخضر
تقرأ هي الاخرى في كتاب ، فلم يلق اليها باله ، وطلق يذرع الطريق على عادته لا يكتشر لها ولا يثني . وكان لم يقطع تلك الطريق
اكثر من مرتين حين سمعها تقول عندما حاذها : - لم تنب من السير ؟ فلفت فيها بشي . من الانهات ، ونظر بعينين محدقتين وهو يقول
بارتباك : - نعم ؟ ماذا تقولين ؟
فاجابته بصوت هادي ، رزين :

- اسألك ان كنت تعبت من السير ؟ ثم ... الا ترى ان من الخير لي ولك ان تجلس ، فلا انت تنب ولا انا يزيغ بصري !! ...
فاجابها بشي . من السرور : « الحق معك ... انما ... تعودت كل يوم ان اذرع هذه الطريق اقرأ في كتاب ... »
فلم تجب ، ولم يزد ... وسار خطوتين واتحى مكاناً جلس فيه وكان يراها منه وتراه ... ولم يقدر ان يتابع القراءة ، ولم تقدر
هي الاخرى . وكان كل منهما يهبط الى الثاني بطرف خفي . ثم تشجعت هي فاستوت ، ودارت بعينها فيها حولها حتى استقر عليه
بصرها ، فبادرته قائلة : - في اي كتاب تقرأ ؟ فاجاب بصوت لا اتران فيه :

- في « التصوف الاسلامي » للدكتور زكي مبارك ... حقاً انه كتاب قيم ...
- « التصوف الاسلامي » ؟ كتاب غين جداً لولا ما فيه احياناً من استطراد مل ... قرائه فاعتاني عن جميع الكتب ، ولن اقرأ
غيره الى أن يحين الامتحان »

وسأله اي امتحان تقصد ، فاعلمته انها تستعد لللكالوريا (القسم الثاني) ... واخبرها هو الآخر خبره ... فهبت بعد ان بهت ،
وما لبث ان أنس اليها وأنتت ... وطفقا يتكلمان عن المدرسة والدراس ، وسمعة الدروس ، وصمودية بعض مواده ، والوقت الذي
يقضيه كل منهما في اعداد دروسه ...
وكان على وفاق معها في جل ما تقول ... واحصل كل منهما انه قارب الى الآخر بطبعه وخصائصه وتفكيره . ثم افتقرا عن رضى
وصداقة ، وعادا فاجعتهما في اليوم التالي فقتلوا في الحديث . وبينما كانا لم يسمعوا براح . والتقى يوماً ثالثاً قل فيه حديثهما نسبة
الى اليومين الاولين . ولبثا اسبوعاً يلتقيان في تلك الحديقة وان حديثهما ليقتصر يوماً اثر يوم ... حتى كان اجتماعهما السابع حين تصافعا
بحرارة وشوق فخانتهما نظراتهما اذ احمرت الوجنات ، ورفت الجفون ، وتبودلت البسمات ... وسمعتها انها سعيدة به ، راضية بقلائه ، فلم
يجد كلاماً يقول به ، بل حمل يدها الى ثمره وطبع عليها قبلة اودعها نار شوقه وتدمر حنينه . ثم ودأ الافتراق ، ولكنهما توقفا وفي فكره
ما في فكرها ... مكثا حيناً لا ينسان . كان في فؤاد كل منهما رغبة في التلاقي بعد ، ورغبة عنه ... واخيراً عزماً عزمياً اكيداً ان
يفترقا ، والآن يجتمعان الا بعد ان يؤديا الامتحان ... بعد سبعة اشهر ...

وافترقا من غير ان يعلم منها الا انها « منى علام » ومن غير ان تعلم منه الا انه « راضي ... » . واستلم طرفاً من الطريق ، واستلمت
هي الطرف المقابل ... ثم انه بلغ داره مقعم الفؤاد بالرضى والامن ، زاهر الروح بالهدوء والراحة ، وبات ليلته ، تداعب مخيلته
ساجيات الاحلام ، وموسولات الالامني ... ولكنه اذ نهض في الصباح كانت كل حاسة فيه تردد - « اية لحظة جنونية هي تلك التي
عزما فيها الافتراق ، وان قليهما ليذوبان بالورى والكلف ... » ولم يستطع ان يبقى على عهده ، ففاد في المساء الى الحديقة ، وثمة حيث
كانا يجلسان وجد رهما : الذكري الوحيدة عاش سبعة اشهر في ظلالها ...

اتراها قصدت ان تترك الرسم ليأخذ فلا تقرب عن باله ؟ ام سقط الرسم منها عفواً ... لم يهتد الى الحل ... ولكنه كان لا
ينفك ينحني على نفسه باللائمة ان بدا اقل منها وفا . لا عهد ، وصبراً على التهريج ... وارتفعت في عينه الى تلة رفيعة ، هي مثلة
التقديس والاجلال ، الى الحب العميق الخائف ، والورى الممذب اللانع . ولم ينقطع عن المدرسة ، ولكنه كان فيها كالغاشم الشارد في
صعواء ، وهو يظن ان لا بد دالته الى واحة ...
وفطنت الى حيزته في ذلك الجمع الزاخر ينتظر نتائج الامتحان ... كان راضي لا يني يلتفت بئمة ويسرة ويتشوق متعاولاً ، ويميسل

بصره في كل مكان يبحث عن ذلك التي سلبته هاني. العيش .. انها لا شك بين هؤلاء المتلهفين لمعرفة نتائجهم .. واخا ان صديقي انقطع عن هذا التفكير المذهب حين وقف احد الاساتذة يعلن نتائج الامتحان .. وما كنت لتري بين آن وآن الا يداً ترتفع في الفضاء ، تصيحها احياناً صرخة ناقية ، فاعلم ان صاحب اليد قد جاز الامتحان بنجاح اذ قد سمع رقه بعان ، واسمه ينطق به .. او ترى حينئذ قضبان بعد ان كالتنا محدقتين منتظرتين ، فاعلم ان صاحبها قد اخفق اذ لم يسمع اسمه ولا رقه .. وكان الاستاذ يعلن النتائج يقرأ الارقام متتالية حيناً ومتقطعة حيناً آخر ، حتى بلغ الرقم (٧٠) فبلغ تنهبي وتنبه صديقي كتبها .. وفي هذه الغمرة سمعنا الاستاذ ينطق بالرقم (٧٥) ويتبعه باسم مني علام ثم يتوقف قليلاً يقول : « مع رتبة جيد جداً » فضغتي قلبي شديداً ماضاً ، ونحوت وشكناً نظري الى راضي فاذا قبضته منبسطة ، واذا عيناه مشرقتان ، واذا شفتاه مفرتان عن شبه ابتسامة تحوى معاني الحزن المضموم والشوق الرغيب .. واتجهه بصره جهة ما ، فاذا به فجأة يتخطى الناس ويسفح لنفسه بينهم ، واذا انا اراه قد توقف امام فتاة كانت تنتظر قدومه .. وبرغبة الفضول ، شغقت لنفسي طريقاً اليه حتى صرت على بعد يسير عنهما .. ونظرت فاذا راضي يد اليها يده ، ويصافحها بشوق وحرارة بهزات متتاليات ، ثم ينطلق هسماً بهذه الكلمات : « اهنتك يا مني من كل قلبي على نجاحك الباهر .. »

فتبر الفتاة رأسها شاكراً ، وما زالت يدها في يده .. ثم تسارع في سؤاله بالجاح ولهفة : « وانت يا راضي .. انني انتظر ان ينطق باسمك .. » وهزت يده بحمارة .. ثم رفع بصره بعد ان رفعت بصري فاذا الاستاذ يلفظ الرقم (٨٨) ثم يتبعه بالرقم (٩٠) وينطلق معه باسمي ، فيلتفت راضي بحيرة ، وأن يده ما تزال في يد الفتاة ، حتى اذا رأي خلفه هز رأسه مهيناً .. وانصتنا بانتباه فاذا الاستاذ ينطلق مباشرة بعد رقي بالرقم (١٠٠) ونظرت فاذا قبضت راضي قد حلت ، واذا عيناه قد سكنتا فارتقان الالمام ، واذا يده قد جدت في يد الفتاة التي احسنت راحتيه فذنت منه وقالت : « راضي .. لم يلفظ اسمك ؟ اما نجحت ؟ » وكنت ادنو منها حين نحسا راضي اليها بصره شارداً ، وكانت كني تمتد الى عاتقه فتربت عليه بتمطيط .. واذا انا الفظ هذه الكلمات برصانة اود بها ان افرح عنه : - لا بأس عليك يا راضي .. تجدد واصبر ، فانك ناجح في الدورة التالية ، في كسرين الاول ، اذا عنت في الصيف بتقوية ضعفك » وبصرت بالفتاة تقضي الى الارض نظرها ، وتقول كذلك هنيهة تحدي فيها بسووم ، وقد افلقت يدها من يده .. واذا بصديقي راضي يغم كفه الى كفه الاخرى ، فتشوش اصابعه ، ويضبط اذ فاكها جميعاً على جذع شجرة كانت مستنداً اليها .. فظفرت الى ذهني صورة راضي التليذ يضغط بقوة وسمر على طاولته ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ونظرت اليه ونظرت الفتاة وقد تنهبت ، فرائيانه يزد ويتراخى على صخرة كانت خلفه .. وتغور عيناه وتسدان ، ففطنت انه داخل في حالة اللاوعي حيث يغرب عن ذهنه كل شيء .. ويتجمع فكره كله واحساساته في شيء واحد كانت يده تمتد رويداً رويداً الى صدره فتخرج ذلك الرسم الصغير الذي كاد يبلى ولبث راضي مطبقاً عليه يده لا ينأى ولا يتحرك ، سادر العينين لا يعي بما حوله شيئاً وكانت الفتاة قد بدأت تنظر اليه بشيء من الدهول والاستغراب .. ورأيتها كأنها تروم ان تلفظ بشيء ، بكلمة او باسمه ، فأشرت اليها ان تازم صمتها وتقرص قليلاً .. وكان قد مضى على راضي ما يزيد عن الدقيقتين وهو في تلك الغمرة ، حين ارقعت بالرم كفه ، فظفر اليه نظرة شاردة ، ثم رفعه الى خده ، واطبقه عليه بتأن وهدوء .. وافترقت شفتاه لتلفظان بوداعة ورقة : « مني »

وحينئذ فقط ، استعاد وعيه وحواسه ، فالتفت حوله فرأنا .. رأيت احداً ، فظفر الى الفتاة فاقفاها ، ووجهه رأسها الى الناحية المقابلة .. وانتصب على مهل ، وقد اخفى الرسم في جيب صدرته .. وكان يتقدم من الفتاة حين التفتت اليه ، فاذا على خده دامة كبيرة تتدحرج ملتصقة براقه .. وكانت بعد لحظة تلتقط هذه الدمة بيد ، وقد اليد الاخرى فتربت بها على كتف راضي بشوق وتحنان .. وصمتها تقول وقد عادت اليها حيويتها : « ما عليك يا راضي .. سوف تنجح في دورة كسرين الاول .. ان تحمل المم بعد الان .. فاني سوف اهتم بك ، واعني بتقوية الضعف فيك .. سوف نتعاون على الدرس ، ولعلني ان اكون قادرة على هذا المطلوب »

.. وكان الدم قد طفر الى خديها ، فكساحها بحمرة قانية اظفرت غاية فتنتها وسحرها .. والتفت الى راضي ، فاذا في عينيه نور الامل ، واذا على جبينه اشراقه الرجا .. ورأيت الفتاة الجميلة المائلة تنطلق على عجل ، فيتعينها الشاب الواله « راضي » كأنه حل وديع ..

صحو بعير ...

سكرانُ هذا الليل ، لا تنفك ترعش مقلته
شرب النهار ، وثأثرت منه الثمالة راحتاه
لهثاته سكرى بصمت لم تلجلجه الشفاه
غرقت بها اذني وأصفي في الضمير الاتجاه
انا شارد في الشاطي: المجهول مخنوق هداه
ودمي يعربد بالذهول خضيبه فيه رواه
أنتى لمحت فكأني المحموم مسفوح لياه
تتموج الآهات فيه فكل أنق فيه آه
شربت سكون الليل بالطاس الذي استرخى مداه

ياهدأ فوفها بالسكر يزو في خطاه
انا شارب الليل الغميق يضيع في نفسي سراه
في شاطي يغفو الصباح وينطفئ منه سناه

يا ايها الدن المنور سكر نفسي من شذاه
سكرت به الارياح واستخذى عليه الانتباه
والبحر صهبا المدى بح الزمان وما حساه

الكون عريضة من المجهول غامضة لغاه
الكون لون السكر لم يخطر على حدي سواه
في الغيب شارب القديم بسكرة هوجا وعاه
خدرت بمعناه الفهوم ومات فيه الاكتناه

علي محمد شلو - صبرا

فيكتور هوغو

الشعر الغنائي . وفي العام التالي ظهرت مسرحية « كروويل » التي وطأ لها الشاعر بمقدمة كانت شعاعاً ساطعاً في الحركة الادبية الجديدة قال عنها الشاعر تيوفيل غوتييه انها تضيء في الاعين كشرائع الله على جبل سيناء .

بدأ هوغو ينظم مسرحيته الشعرية هذه السنة ١٨٢٦ ولم يكبد ينهي الفصلين الاولين منها حتى قرأها على « تالما » اعظم ممثل في عصره فهتف تالما قائلاً : « عجل مسرحيتك يا سيد هوغو فلم يبق لي صبر على الانتظار ! » على ان الموت ما لبث ان اختطف ذلك الممثل العظيم .

وفي العام ١٨٢٩ صدرت مجموعة جديدة باسم « الشرقيات » تفوق بها الشاعر على القصائد الغنائية الاولى لان الشرق الذي احسن وصفه كان قد شغل اوربا

منذ بدت تمرد الامة اليونانية (١٨٢١) . وفي العام نفسه ظهرت قصة « آخر يوم من ايام محكوم عليه بالاعدام » ضمنها اغراضاً اجتماعية ودافع بها عن رجل حكم عليه بالموت تأثراً مع آلام الشعب على الجور والفساد ، واتبعها بدرس بليغ عن ميرو . وفي العام ١٨٣٠ ظهرت مسرحية شعبية باسم « هرناني » اضرم بها الشاعر حرباً على المذهب الانشائي القديم (الكلاسيك) . وفي السنة التالية ظهرت مسرحية شعبية اخرى باسم « ماريون دهلوم » قال عنها

لما بلغ فيكتور هوغو الخامسة عشرة من سنه ، اي في العام ١٨١٧ منحه الاكاديمية الفرنسية جائزة لنظمه قصيدة عنوانها « فوائد الدروس » وفي العام ١٨١٩ احرز جائزتين من جمعية « جوفلورو » وهي اقدم حلقة ادبية في اوربا لنظمه قصيدتين من الشعر الغنائي مدح بهما الملكية . وفي العام ١٨٢٠ انتخب عضواً في تلك الجمعية لنظمه قصيدة « موسى على النيل » .

ولما بلغ الشاعر العشرين اعطى العالم الادبي باكورة اشعاره وهي مجموعة من الشعر الغنائي فنال من نوبس الثالث عشر مرتباً قدره خمسون ليرة ذهبية ، وما لبث ان تزوج اديل فوشه التي كان يحبها من زمن طويل وورث منها ولدين سمها شارل ، وفرانسوي فيكتور ، وابيتين سمها ليوبولدين واديل ، ورث منهن ولداً آخر عاش شهريين ومات .

ولما بلغ الواحدة والعشرين اضاف الملك الى مرتبه الاول مرتباً آخر قدره مئة ليرة ذهبية فھر الادب بقصته الغريبة « هان ديسلند » وبمجموعة اخرى من الشعر الغنائي . وما ان ادرك الثالثة والعشرين حتى منحه كارلوس العاشر وسم فارس من جوقه الشرف في الوقت الذي منحه فيه لاورتين هذا الوسام . وفي العام ١٨٢٦ ظهرت قصته « بوكجوكال » وبمجموعة ثالثة من



موسى على النيل

وهي مسرحية شعورية فيها مقاطع موسيقية لم يرق الشاعر الى اجل منها . على ان هذه المسرحية لم تكند تمثل حتى اخفقت ، ذلك ان انقلاباً فجائياً كان يهيأ في اذواق الجمهور ، فالمثلة الدائمة الصيت « راشيل » كانت منذ العام ١٨٣٨ قد ارجعت الشعب الى المذهب الكلاسيكي ، اي الى كورنيل وراسين ، وفي العام ١٩٠٢ أعيد تمثيل « لوبورغراف » مناسبة مرور مئة سنة على ولد الشاعر فأحرزت انتصاراً باهراً . وقد قال الشاعر الفرنسي الكبير ليكونت ده ليل في الخطاب الذي لفظه في ردهة الاكاديمية الفرنسية حين خلف فيكتور هوغو : « ان اشعار لوبورغراف » هي اعذب وارقي ما سمعته المسارح من مؤلفات هوغو .

ولم يكن الشاعر قد دخل بعد في الطور الجمهوري ، سوى انه كان قد عرف مجريته وتزعمته الى تحطم القيود . فحين كان هوغو ملكياً حارب بشدة لاجل حزبه بنظمه اغانيه الشعرية « اود » التي كانت اشد وقفاً من مقال ينشر في جريدة او خطاب يلقي في ردهة المجلس . لقد انشد رجوع البوريون الى العرش وغنى الابطال الغالبيين وسفر خضوم الملكية . ولم يكتف بذلك بل اضاف الى مجده مجد المنابر التي كان زيملا شاتوبريان ولامرت ينسمان منها صوتها العظيم . وقد مثل الشاعر مراراً امام القضاء بسبب خطبه السياسية ، وبقي مدة ثلاث سنوات يناقش حافواً القداما ، في حزب الشال ولاسيا الكوننت ده وونتلير ، ولم يوضع لذلك حد الا عند الانقلاب في شهر كانون الاول من العام ١٨٥١ .

وحين راح الشاعر يقاوم انتخاب لويس بوناپرت شغل المنابر مدة طويلة تجلّت فيها بلاغته الخطابية ، ولم يتهيب ذلك الذي كان قد عزم على قتله فوجهه بالصفارة وسخر منه وهما نابوليون الصغير وهما لا شك فيه ان الخطاب التي لفظها في شهر كانون الاول من العام ١٨٥٩ ، ولا سيما الخطاب الذي بقي خمس ساعات يدارب به اعادة الملكية والذي اغني عليه في آخره اغناهي اعظم واشرف موافقه السياسية . ولا حدث الانقلاب كان اسم فيكتور هوغو في رأس قائمة المحكوم عليهم فهرب الى بلجيكا ثم الى جزيرة جبرسي زى في المقدمة التي كتبها لدراسته « شكبير » وصفاً للشاعر في ذلك المنفى وهو يخاطب ابنه فرانسوى بجملات نظرات كالحة في جدران منزله . فلما سأل فرانسوى رأيه في هذا المنفى اجاب : « سيطول » فقال : « وماذا تنوي ان تعمل اذا ؟ » فاجاب : « وسأستقي بالنظر الى الاقويانوس » .

ولكنه لم يكتف بذلك بل اخرج للعالم من منفاه روائع

بول ده سن فيكتور انها اقرب ما كتب الشاعر الى العاطفة . وفي السنة نفسها بدأ بطبع قصته « نوتردام دي باري » وهي تاريخية وقعت حوادثها في عهد لويس الحادي عشر قال عنها نقاد الأدب في ذلك الحين انها اعظم اثر ادبي ظهر في العصر .

وفي تلك السنة نشر الشاعر مجموعة شعرية باسم « اوراق الخريف » واتبعها في العام ١٨٣٢ بمسرحيته الشعرية « الملك يهزل » على ان وزارة المعارف منعت تمثيلها بحجة انها تتضمن اهانة للملك وتقرظاً لقاتله ، فرفع الشاعر القضية الى المحكمة سائلاً أنيجوز لوزير ان يعطل تمثيل مسرحيته ؟ فودت المحكمة احتجاجه بعد ان سمحت بدفاعه وقد استغرق ساعتين ، وفي السنة ١٨٨٢ ، اي بعد مرور خمسين سنة على الحادث وقبل وفاة الشاعر بثلاث سنوات عادت الكوميدي فرانسيز الى تمثيل « الملك يهزل » فهوروات باريس بأسرها اليها هائلة للشاعر مصفقة لانتصاره .

وفي العام ١٨٣٣ ظهرت مسرحية « لوكراس بوجيا » وهي اجل مسرحياته الثرية ، وفي العام نفسه مسرحية شعرية باسم « ماري تيدور » ومسرحية أخرى باسم « انجلو » ، ومجموعة تحتوي فصولاً في الادب والفلسفة ، وكتاب يحتوي قصة اجتماعية باسم « كلود » ومجموعة شعرية باسم « اغاني الشفق » ، فخصها آراءه السياسية في الحكم البونابرتي ، ومجموعة شعرية أخرى باسم « الاصوات الداخلية » .

وفي السنة ١٨٤٠ أصدر الشاعر مجموعة شعرية باسم « الاشعة والظلمات » كانت آخر ما اصدر من الدواوين الشعرية قبل نفيه وزى في هذه المجموعة بعض قصائد من اجل ما نظم فيكتور هوغو حتى لقد فضل بعض النقاد وآخرهم فرنان غريغ في محاضرة له القاها في ردهة الاذال لعشر سنوات خلت قصيدة « اشجان اولميو على « ذكرى » الفرد ده موسه و « بحيرة » لامرتين .

وقد حاول هوغو في « الاشعة والظلمات » ان يظهر فكفكر ساوي فوض اليه ان يكون دليل الانسانية ونبيا الهادي . وكان هوغو قد عاد في العام ١٨٣٨ الى الملاعب بمسرحيته الشعرية « ري بلاس » التي وطأ لها بقدمه بليقة جا فيها : « ان موضوع المسرحية الفلسفي هو الشعب الراغب في الصعود من دركات الانحطاط الى الذروة العليا ، وموضوعها الانساني هو حب رجل لامائة ، وموضوعها الفاجعي هو حب خادم لملكة » . وفي العام ١٨٤١ انتخب الشاعر عضواً في الاكاديمية الفرنسية . وفي العام التالي أصدر كتاباً باسم « الرين » فحنه قصص اسفاره ، وفي العام ١٨٤٣ ظهرت « لوبورغراف »

خالدة ، فكان أفكاره اتسعت وامتدت لدى انطلاقة عواطف الاوقيانوس العجاج .

الرثماتن الاوليان ها « نابوليون الصغير » و « العقوبات » صدرت الاولى في العام ١٨٥٢ والاخيرة في العام ١٨٥٣ ، وكتلتها تحتوي قتابل حقد وسخرية اطلقها الشاعر على سياسة نابوليون الثالث . فاما العقوبات فمجموعة شعرية تتضمن سبعة آلاف بيت نظمها هورغو في . مغماء وهو جالس على كرسية امام المحيط المصطبغ والصخور الجردا . كما يجلس القاضي العادل على كرسى الحكم . هي نفثات غضب وحقد اوحاها شيطان السياسة فجاءت اعظم اثر للشاعر . وفي العام ١٨٥٦ اصدر مجموعة شعرية جديدة باسم « الثاملات » وبعد مرور ثلاثة سنوات اصدر « اسطورة العصور » وهي اعظم اثر شعري خطه قام هورغو ، وقد دافع فيه عن الحرية

وقاتل القسوة والجلادين ، وفي هذا الديوان الواسع النطاق نجد الفلسفة والدين والتاريخ والاقاصيص والعلوم .

وفي العام ١٨٦٢ ظهرت قصة « البؤساء » وهي اعظم اثر نشري لفكتور هورغو . وبعد اربع سنوات صدرت قصة « الرجل الذي

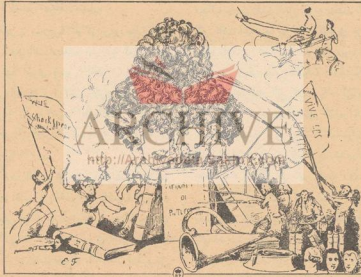
يضحك » وكان قبل سنة اصدر مجموعة شعرية باسم « اغاني السبل والغابات » قال عنها تيوفيل غوتييه انها تحتل في مؤلفاته مقاماً ثانوياً ، فكان الشاعر مل السكين في مخدعة الصغير فيخرج يركض في السبل والغابات وراء الصراخ والفرشاة .

وفي سنة ١٨٦٢ ، اي حين بلغ الشاعر السبعين من عمره ، اصدر مجموعة شعرية باسم « السنة الزهية » كتب قصائدها في ساعات الغضب وتدفقت واحدة اثر واحدة من فوهاد الاحداث التي كانت تتأجج في صدر الشاعر . ولما بلغ السادسة والسبعين اصدر مجموعة

شعرية اخرى باسم « الخليفة » تصور الشاعر ان الخليفة ترك في احد الليالي قصره وراح يرش احد بطارق كة الشرق بلحب الصحيح لاعناً جلادى العالم ، محطماً خشبات المشائق ، موقناً الحروب عن اجتياح البشر وفي السنة التالية نشر هورغو مجموعة شعرية اخرى باسم « الرحمة الالهية » اطلق فيها عواصف الاعتناء على القتل والجلادين . وفي العام ١٨٨٠ اصدر مجموعة شعرية باسم « ديانة واديان » وفي السنة نفسها اصدر مجموعة شعرية فلسفية باسم « الحمار » حارب بها الفلاسفة والعلوم . وفي السنة التالية نشر مجموعة اخرى باسم « اهواء الفكر الاربعة » قسمها الى اربعة اقسام سمي الاول منها « العصر » والرابع « الثورة » .

وبعد مرور سنة على وفاة الشاعر ، اي في العام ١٨٨٦ ، ظهر ديوان جديد باسم « نهاية الشيطان » بدأ به هورغو في العام ١٨٥٢

واعلن عنه في مقدمة « اسطورة العصور » وقسمه الى ثلاثة اقسام : السيف ، المشنقة ، السجن ، وهذا الاخير بقي غير كامل . وقد ضمن الاول مشهداً رهيباً من مشاهد فظائع حرب أظهر فيه ابنة الشيطان تملن حرباً على الله ، وضمن الثاني الانقلاب الذي



جماعة الرومانتم تحاول احراق شعر راسين المستعار ، وجماعة الكلاسيك تسمى لفظاً الحريق

الارض وتكفير الشيطان بعد ان شعر بنجب الطبيعة والانسان والخالق ، وارانا ابنة الشيطان تستحيل الى ملاك الحرية ، وهي امرأة ولدت من ريشة سقطت من جناح ابليس فهدت السجن الذي هو الباسل . حين ترك الشاعر فرنسا لفظ كلمته المشهورة : « ان ادخل فرنسا حتى يدخلها العدل » وبقي في مغماء يحارب الامبراطور نابوليون الثالث الى ان سقط هذا الاخير في ايلول ١٨٧٠ فتعظم ذلك المنفى الذي عاش فيه عشرين سنة . ولما عاد الى باريس جرى له استقبال منقطع النظير .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

نسيم الام

لصالح الدبر

لنحين محبي الدبر سلام

الام : انا الآلام أبني الدهر من روحي ومن جسمي
خافت وفي من الاسرار وجد الليل للنجم
احس الهم من قلبي ربيعاً اخضر الحلم
واللهي الله قربي في نداء الطفل يا امي
انا الآلام معي ان اظلل أليفة معي
هنا العمر شبي لم يفاق طيفه ومعني

الابنة : انا الآمال سر منك أفنى ملء احلامي
على عيني اوهام تظلل سود ايامي
فيما أمي انا الدهر وانت الشاطئ الحساني
توول بي خيالات الفد المتوئب السداسي
ولولا وجهك المسبح / لم كنت لآلئ

الى القراء

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر
كانون الثاني (يناير) .

- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .
- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل
الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي
لا تباع فيها المجلة .
في الخارج :

جنه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في
الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب
التي تصدر خلال السنة .

- الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد
في البريد .

- احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا
الجزأين الاول والثاني) فن شا . من هذه الاجزاء
فيطلبها من الادارة .

- الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة
الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة .
وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن الجزء الاول او
الثاني من السنة الاولى .

- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها
سواء نشرت ام لم تنشر .

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الادارة

ابن الغريب

المرأة في الحياة الزراعية

بسم السيدة نازك العابديهم

كنت

ومن الظلم ان يحمل الرجل مثل المرأة الاعلى حيازة قبوله ورضاه ثم يتدب بالتالي بانعالمها عند ما يراها لا تفكر الا في الزينة واللباس وتتطلب الكثير في سبيل ذلك .

حبسوا اليها الاعمال النافسة اجمالوها تعقّد بانها خلقت ، كما خلق الرجل ، قادرة على كل عمل ، كي لا تشعر بحطّة في نفسها فتسكون امهات اولادكم بثابة الخادّات ، ليس من الغبن ان تميت في هذا الخلق اللطيف النساب غرائز طبيعية ربما كانت مصدر سعادة الاسرة والمجتمع .

اجل ان المرأة مدعاة السرور ومجبة الهناء وفي انسابها روح اللطافة وفي عيالاتها الحب والوجود ولكن على ما تتعلّى به من رقة الشجون ودقّة الواطاف وحنو الفؤاد وعلى امتياز به من التواضع والصبر والعفاف هي باشد الحاجة الى كرامة الذات وكبر النفس باشد الحاجة الى المحافظة على شعورها ، كل ذلك لتحفظ باخلاصها وليكون حبا حبا طبيعياً : حب الحر للحر .

كنت اشعر بكل هذا خلال تفتح عيني للحياة ، اشعر بواجبي نحو وطني بواجبي نحو قومي وبواجبي نحو بنات جنسي فاردت ان اتخذ من الصحافة لسانا لي ويداً استعين بها على تحقيق هذه الاملاني القاليسة فعمدت الى نشر مجلة خاصة هي مجلة نور الفيجاء . وكانت اسبق المجلات النسائية الاسلامية في سوريا ثم اشتركت في كثير من الجمعيات ولكن بالرغم مما اشعر به من اطمئنان وجدان وارتياح ضيق لم اجد السعادة التي اشدها الا على بعد عشرين كيلومتر من دمشق هناك في مزرعتي الريفية التي رايت بها آثار خدماتي وشملت بنسيمي اريج الثناء على مجهودي اجل هناك حيث ماقت بواجب الا وكوفت باحسن منه فالشجرة التي اوليتها عنايتي ملأت بيتي بثمارها الشهية والحبة التي زرعتها بمطفي عوضت على روحي بعديها . وهناك حيث تعمري في المواشي بكرونها فاشرب من اطياب البانها

اشعر منذ الصغر بميل قوي الى مواولة الاعمال الحميدة (١) . ولما اتيج لي ان ارفع صوتي في المجتمع كان اول ما يخطر لي اذا وقفت خطيبة او كتبت مقالاً موضوع العمل وما يجب ان يكون موقف المرأة منه .

وما اعنت التفكير في رقي بلادي الا وثبت عندي ان السبيل الى ذلك يكون بتأمين اقتصادياتها وتخوير شؤونها الشخصية ثم ما تدبرت امر المرأة ومصيرها الا وتأكد لدي انها عيشاً تطالب مساواتها وتخورها وعيشاً تتوخى بلوغها مرتبة الشقيف اذ بقيت على عليه في حياتها .

وكم كنت خلال ذلك اشعر بالهم وبسيرة حياتي كسيرة الرجل بعد المرة مقالات حدد كاتبها وظيفة المرأة ضمن نطاق المنزل : ادارة المنزل ، تربية الاولاد ، تأمين راحة الرجل - تلك واجبات مقدسة لا ننكرها ، ولكنها واجبات لا تشمل كل اوقات المرأة فاذا حاول الرجل ان لا تخرج ابنة حواء عن نطاقها الى اعمال اخرى مفيدة للبيت والمجتمع فكانه ان تبقى عضواً اشل في المجتمع لا وظيفة لها الا الخدمة البيئية .

المرأة صنو الرجل بل لولا التواضع لزعمت انها تمتاز عليه بدقة الشعور ورقة الاحساس . فاذا كان الباري اهلها لان تكون عضواً عاملاً في موافق الحياة وجعها كفواً لتحصيل كل علم وفن فلماذا يضيّق عليها الانسان في تحديد الحقوق والواجبات . الا يرى الرجل بان المرأة تصرف الشطر الكبير من يومها وهي تتحرى عن عمل يلاً الفراغ من وقتها ، الا يراها انها حيناً لا تجد وانها حيناً تفرق في لجج الاعتقاد بانها مخلوقة المعبدة فحسب تنصرف الى الزينة والتبرج

(١) حديث آتته السيدة نازك العابد بيهم في اجتماع اقامته جمعية اخوان الثقافة في بيروت

وانعم بعلطفها الطبيعي وشموها بالجميل .

ان يجرب طموحي في مزرعة له ولما انتت من نفسي النجاح وددت ان تكون جهودي مبدولة في مزرعة خاصة لي دون سواي . فلكني مزرعة كبيرة المساحة ولكنها سبعة الارض كانت قد استعصت على جدي .

أهداني هذه المزرعة وهو على يقين اني سأجد فيها السلوى وسأجد فيها الميدان الفسيح لطامعي وهو على يقين ايضا بانني سأنتفح عليها دون ان استطع تذليلها واستئثارها واني سأزول في النهاية عند رأيه واهجر الزراعة أمام ما القاه من الصعاب ، اما انا فقد مضيت في عزمي واستهنت بالصعاب وبعد مضي بضع سنين استطعت ان ابشر ذوي بياني فكنت من تذليل الارض دون ان تذليلي وطالما شددت يدي على المحراث ، وكنت التيران بنفسي وقت على العناية بها وكنت نهضت من فراشي في ظلام الليل للاشراف على ري الحقول . وانا ارى خلال ذلك السعادة تراقفني واشهر براحة الضمير تعمورني . وتزوجت بعد هذا واصبحت ربة منزل وعندي ابنتان يتيمتان

ابنتي . ومع ذلك فان حبي لزوجي واخلاصي له وواجبي نحو بيتي لم يضعف الحب الشديد الراسخ في قلبي لمزيجتي ، ولم يحل بيني وبين تخصيصها بعنايتي فلا تسنح فرصة الارهاول اليها تاركة المدينة بكل ما فيها من اشر واجتماعات وراحة ورفاهية ، موسموري ان استغل في ظل الاشغال التي غرستها بيدي وان استشوق غير الازهار التي ارويها بالقلبي ، وان اسمع اصوات الابقار التي ربتها بعطفي

وحبذا ابنتي الفتيات لو شاهدت معي سحر الشروق ودعوة الغروب في تلك الناحية الخضراء ، وحبذا لو رأيت ملكة السماء خلال سكون الليل وساهمت معي في مشاهدة فنتة الفجر والطيور تغزف موسيقى الطبيعة على نغمت الحياة وحبذا منظر المواشي تغادر منازلها في الصباح وفي المساء وتبتعد عنها جماعات كأنها امواج البحر المتلاطم وهما يترصان من اقواف صفارها حين الوداع وحين الاقار . وحبذا وحبذا . . . انه لسحر والهام وشعر وغياث وانه فوق ذلك لكفاف واستقلال .

وهناك يا سيداتي لا تحتاج المرأة للرياضة الفنية تقوى للابدان ولا تلجأ للتجميل طمعاً بظواهر الصحة وجمرة الالوان . لا ضرورة هناك للانس والفوتبول ولا لزوم للاصباغ ادراكا للجميل وانا الطبيعة تكفيها مؤونة التنكف والصناعة الى ما تمنحنا فوق كل ذلك من صحة الاجسام .

نأزك العابد يريم

فاذا دعوت بنسات جنسي الى العمل فمذري اني اجني ثمراته واذا دعوتهم الى الحقول فمذري اني اتذوق لذتها . والزراعة هي المورد الاهم لبلادنا وعلى قدر عنايتنا فيها تتمتع في ما يزيد وتتمنى من رعاء وان ادعوكن يا اخواني الى الارض فانا لا ارتكب بدعة فلا بل ان المرأة كانت منذ الخليقة شريكة الرجل في استئثارها ولا تزال حتى الان . واما ترك القرية ومغادرتها الى المدينة لتتجري عن العمل فهذا عارض او علة اجتماعية يشكو الغرب منه ويوجس خيفة من مقبته كل من الشرق والغرب . وما دامت المرأة العربية قد بدأت تفكر في العمل المجدد شتتاً ام اينساً مراعاة للحياة الاقتصادية ومجارية لروح العصر فارى المجال متمسكاً امامي لان اناديا بلغة الحب والحنان فادعوها الى الحقول ، الى الزراعة ، الى الارض . فهنا نجد الكفاف وهنا نجد الثروة وهنا نجد الاستقلال وفي الارض وحدها نكاد نذكر السعادة المشدودة . واما الاعمال الحرة الاخرى كالطبابة والصيدلة والادب والفن والصحافة فهي اعمال محدودة المدى فلا يضي وقت قصير حتى نرفع اصواتنا قائلين كفانا ادبيات كفانا طبيبات كفانا معلمات ولكن ان نقول ابداً كفانا فالحات زارعات ولن نقول حسناً للدواجن من مربيات .

والزراعة هي البق الممن المرأة التي حباها الله بفرائضها الخاصة للآتية والتمنية : الحنان والعطف والصبر وهي مربية ذرية تتجبع بها المرأة فتسبل عليها القيام بوظيفة الامومة . وهي مبررات يحتاج اليها مزاولة الزراعة فالنبات والشجرة والزهرة والماشية والدواجن يعوزها كلها ما يعوز الطفل من رعاية وعطف وطول اناة .

وكأني ببعضكم يستخف بدعوتي . وكأني ببعض الفتيات المتعلمات يهزأن بتبنياتي قائلات أمثل هذا قضينا الاعوام الطوال في الدرس والتحصيل ؟ على مثل هذا عقدنا الأسال الكبار المستقبل ؟

ثم هن ينفرن من حياة تراقفها العزلة وتقاصها الوساخة والالوم اهدأ على اجتباذه وانسا اود ان اعلن بان ما نشاهده من المخطاط شروط الحياة الزراعية بيننا ليس شرطاً ملازماً لهذه المهمة فالفلاح في العالم العربي رفيع المستوى نظيف البيئة . اما المخطاط مستوى الحياة الزراعية عندنا فهو تابع للمخطاط العاملين عليها . ولو عنيت بها الطبقة المتعلمة فانها تملو الى مستواها وان التي تحذركم هي على يقين بما تقول فقد اختبرت الحياة العملية الزراعية اذ زاولتها بنفسي منذ عشرين سنة وها أنا اتنعم بشمرة جهودي ، اراد المرحوم والدي

الادب التركي الحديث

أوردت « لباشار ني » في العدد السابق مقطوعتين ، ورغبت في أن استرشد من هذا الشاعر الشاب الموفق فانقتبته له أيضاً بعضاً من مختاراته :

« انظار »

« بعيداً عن الشطّ على متن موجة زائفة بالاحلام البيض

« أنطلق بزورق مجنح بالامل بعيداً عن الشطّ .

« اريد ان ابتعد يوماً فيوماً .

« الى مطرح مجهول منعكس في عينيك الذاهبتين — فلا اعود .

« ولكن لا الشمس ولا القمر يتبديان أفق مطرحي المظلم هذا .

« وامواج هذا البحر تلتطم دائماً بالتيوم التي تطلّله .

« وحيناً أرقب هود الدافئة .

« فوق هذا البحر حيث تدب أحلك الظلمات .

« أرقب الاسحار الثيرة الساحرة .

« وأملئ مشرع كشرع زورقي الخالم .

« على أنية الاعتماد هو الامانة الباعدة .

« أنا أرقب ، من أجل هذه المسجود وهوداً وبنادماً



« عيناك »

« عيناك شذا ولحن يهمراني

« عيناك المشعثان في كل برهة بحس جديد ،

« سحّ الشهوة منها والناعما في ما نهما

« شهوة محرقة تلتهم اضري نهم .

« وهكذا عندما اطليل النظر الى عينيك

« يحترق العالم كممثل الخلم ، من عيني

« ويبدأ خاطري برهة ، والزمان برهة يبدأ

« وتنتاب من حولي مياه لا لون لها ولا حس .

« هيني عينيك كما لو كنت غيبين نفسك .

« انظري اليّ هنيئة كما لو كنت تذهبين لذة

« وسيان في نظراتك ، اللذة والموت

« وكلهما من ثثار عينيك .

غفران الرامي

« التوات »

« تغرغ الخالق زمناً طويلاً

« وانكب على الطين يسقيه من ماء جينه

« ليلعب بشكلك أوج الكمال .

« فأخذ من ضوئه النهار لونك

« ومن اعماق البحار هدوء عينك

« ولكن خالفك نسي ان يبل في قلبك قليلاً من الختان .

« وأنا الذي كرمت بيدي هذه ، اصاب المادون

« وخلفت من الحجر شكلاً

« ومررت الرخام كما تمرى البرقالة

« اسأل نفسي : أباستطاعني ان أغت هذا القلب ايضاً ؟

« لقد تبيت وسنحت ماء جبيني

« وسدى ذهبت جهودي

« ردي اليّ ، ردي اليّ رخامي

« فكنت اللحم هذه اقصى من الحجر . !

مكتبة الاديب



المقامة ليست قصة وإن كان قالبها قصصياً ، فهي خالية من ام مميزات القصة ، خالية من « الحادثة » وخالية من شخصيات روائية قوية .

ويبين ان نلاحظ أيضاً ان تطور المقامة لم يكن اول درجاته القصص - كما حدثنا المؤلف - لان تطور القصص استمر مع نشوء المقامة جنباً الى جنب .

وفي فصل « فن المقامة » عرف الدكتور سلطان فن المقامة وتحدث هذا المعنى من الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، ورأى ان المقامة قد تطورت من معناها الجاهلي الاول بمعنى « الندى أو المجلس » الى ان اصبحت تعني زمن الراشدين والامويين وصدر العباسيين « اما للمجلس والمجتمع يستمع فيه الخليفة الى الزهاد الصالحين ثم توسع معناها من ضائع الزهاد ومواعظ الفقهاء حتى شملت القصة الطريفة يتحدث بها الراوية ويوقع فيها المفاصل فيحدثه بالسر والمثل والموعظة الحسنة ويتكلم عن الحرب ومشاهداته . ثم صارت « خطبة ومواعظ وكلاماً بخشاً تجري به السنة المتكففين السالطين ، يملأون به الاسواق والمساجد والمجتمعات » .

وعلى هذا النحو تتلغا يدرب الى ان هذا الحداثي ، واخرجه في قالب آخر ، هو القالب الذي لا تزال ترونه الى الان للغة .

واذا صح ان كلمة « مقامات » تنطبق على هذه المجموعة من الالوان التي تضم الزهد والمواظف في الحديث عن الحروب ، ثم وصف احوال السالطين المكدون ، فاني لا اري ان هذا المدرج هو الذي سلكته المقامة التي عرفناها عند بديع الزمان والي من بعدها وجود الرواية ، والبطل والملكوتي ، هذا الشخص الجاهلي ، الشاعر الخطيب الذي يدوانه تاعس باش منشرود

فالوضع الطبيعي لمرة نواة المقامات في التاريخ الادبي هو ان نرجع الى الجاهلية بهذه المميزات ، وعندئذ نلتقي جماعة من الشعراء يرفعهم صفات التشرد والصلوكة ، كما جمعت ابطال المقامات صفات الكدبة والسؤال ، ويرافقهم بعض الخواصق وايتان المعجائب والمغامرات ، كما يصف ابطال المقامات بذلك ، ويشركون جميعاً بان عنصر الخيال يمتلئ من شخصيات الفربين حتى تضطر الى ان تكرر وجود شخصيات منهم ، او ان تكرر صفاتهم هذه على الاقل .

وهؤلاء الشعراء الجاهليون ، الذين يسون « بالصاعديك » هم جماعة من فقراء القبائل خرجوا على قوانين قبائلهم واجتمعوا ليغزوا وينهبوا ، ويتمازوا في بيوتهم . فيهم شي من التشرد وفيهم شي من الشجاعة ، وفيهم شي من التعاون والنواصي ، والشارك الاجاهلي ، وكذلك فيهم شي من الامالة في جميع المال ، فلا يحمضون لغايتهم متارف ولا يكثر ثول للاقامة بين اعلم اقامة مستقرة .

فهم - كما نرى - ليسوا لوصوفاً كما يتبادر من تسميتهم بالصاعديك بل بعضهم شرب يدل على عزة النفس وحب الايتار ، والدفاع عن حقوق الفقراء كما كان عروة بن الورد ، او عروة الصاعديك - كما كان يسمى - حين كان يقصد من غاراته انصاف الفقراء من الانبياء واعطاهم هؤلاء الناس الذين ليس لهم مورد رزق وكان يمسهم ويوم مرامهم ويقول :

اني امروء عاني اثاني شركة وانت امروء عاني اناك واحد

فن القصة والمقامة

للدكتور جميل سلطان - ٥٦ صفحة - دمشق - مطبعة الترتي ١٩٤٣

ألنا دراسة الادب العربي في شخصيات اعلامه ، في الجاهلية امروء القيس وزهير وطرفة وعنترة ، وبعد الاسلام فلان وفلان . ثم ندرس كل شاعر على حدة ، حياته وآثاره ، ولعل في هذا النوع من الدراسة شيئاً من الغبن للادب ، حين نفهمه مشوعاً ، وللقارى ، عندما يضع وقته في تفاصيل تافهة من حياة عشرات الشعراء والكتاب . . .

وللدارس الادبية لا تمش في شخص واحد حياة كاملة ، فهي قد تكون في عصر واحد لدى افراد كثيرين ، وقد تكون في عصور مختلفة متباعدة . . . وربما يولد المذهب الفكري في الجاهلية ، مثلاً ، ثم ينمو لدى شاعر اسلامي . ثم يتطور عند عباسي ، ويختق ويؤثر مع شاعر اندلسي . ومن اجل هذا كانت دراسة الادب العربي لطلاب المساعدة الثانوية على اساس الموضوعات والمعاني خلال عصور الادب العربي كتاب اجدى واكمل . . . اما ان نتناول فلاناً الشاعر فنفسه هم « كرجل » ثم « كشاعر » ونتركه بعد ذلك مرمي الى غيره لتناوله على هذا النحو ، فهي طريقة قاصرة . . . نعلم فيها الشاعر متصلاً عن غيره ولا نعلم فيها الموضوع ، والشاعر جزء منه .

وقد احسن الدكتور جميل سلطان في كتابه « فن القصة والمقامة » عندما سلك سبيل « الموضوع » فدرس « المقامة » منذ ان تكونت ، وماز معها تتطور وتنمو وتتأخر بخصائص وتنب فيها خصائص ، الى ان اجتاز بها كل من ألف فيها في عصور مختلفة وبشأن متباعدة .

وصدر كتابه ببحث عن القصة وتطورها التاريخي فاعلم انها اقدم الانواع الادبية واكثرها ذبوعاً وقد تدرجت في احوال شتى حتى اقبل القرن التاسع عشر على شروط واضحة واسس ضرورية للقصة الفنية ، فكان من هذه الشروط البساطة الواقعية والحيوية والتحليل النفسي ، وحاول ان يطبق هذه الشروط على قصصنا العربي القديم فرأى انه يحتوي من هذه الشروط على قسط وافر ، في القصص العربي البساطة الواقعية والحيوية ، واذاً « فاقصة العربية - على رأي المؤلف - تتفق والقصة الحديثة في الشروط والاداء » .

ولعل هذا غلو منا في فهم القصة العربية ، وتساهل في بعض الشروط ، ففرق بين ان يكون في بعض النقط الادبية او التاريخية نفس قصصي ، وبين ان يكون قصصاً خالصاً له شروطه الفنية وعبراته .

وقد اجهت المؤلف نفسه حين صور ان التطور « القصصي » منذ الجاهلية الى القرن الرابع يؤدي الى « المقامة » على النحو الذي ذكره من اقصيص الزهاد في المساجد الى قصص الجاحظ الى المقامة . ذلك لان

أعزى ما أن سمعتَ وإن ترى جسمي مس الحق والحق جاهد
أفرك جسمي في جوسم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد
فيوضح عروة المالك مذهب في الحياة وبين قصده من الزور، فهو
أن غزا من أجل هؤلاء القراء، وفي سبيل تقدم الطعام والنعائم لهم .
وليس عروة وحده في هذه الصفات بل يشترك معه أكثر الصعاليك
ومنهما الشفري، ومنهم تائب شر، وهو الذي يقول بدم أكثرات
بالمال واضح :

عاذني أن بعض اليوم معفة وهل متاع، وإن أقبته، بأن
لتفرعن علي السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض اخلاقي
فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى أبي الفتح الأسكندري، يطل مقامات الهذاني
فمنجده يمثل مجموعة من الأدباء المثرثرين الذين كانوا على حظ وافر من
معرفة اللغة والأدب وقوة الحيلة وحدة الذهن والتقلب حسب الظروف،
ولا يتردد أن يجمع للتناقضات في نفسه، ولا يبالي بغير مايريد . . .
وكذلك يطل مقامات الحريري المسمى « أبو زبد المروحي » فهو
رجل شريد مناس، له أحوال مختلفة، فتارة خليع، محتال، يسأل وباقحة
وتارة زاهد متشقق، يستحي من التكفف . . .

ثم إذا لاحظنا بعد ذلك أن أبا بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) -
ويقال إن الهزاني هذا حذوه في إنشاء المقامات - قد قتل بعض أخبار
هؤلاء الشعراء والصعاليك ومنعراهم ومقابلات بعضهم بالروح الكسرة،
وتحدث عما يعترضهم في البوادي، وكل ذلك في لغة حوشية ولغز غريب،
تبين لنا أنه لا بد أن يكون تحت صلة بين صليكه الجاهليين، وشعرهم من
أغرب الشعر وأصعبه لاهم يبعدون عن مواطن الدين والتفكير، ولكن
صلكه المكدن الذين يخلطون دور البطولة في المقامات، وفي المقامات التي
التكفف المأزق بالانفاظ التي فرضت قرصاً على الخلق . . .
وتحدث المؤلف عن خصائص المقامات فهي أنها ترمي إلى شواردلالة
وتدور حول بطل للنص ورواية، وحادثة أو طرفة، ولعل من أهم خصائص
للمقامة التي يبدكرها المؤلف، هي هذه الوحدة المكاتبة الضيقة التي تسيد
المقامة فيها نفسها، فلا تدور حوادثها إلا في مجلس واحد لا تكاد تتعداه .

وانتقل إلى فصل آخر حرص فيه على جمع بعض خصائص « عيسى بن
هشام » رواية الهذاني في مقامات، فهي لنا وجوهاً من هذه الشخصية،
وكثيراً ما تكون هذه الوجوه مختلفة متناقضة، ذلك، لأن شخصية
الراوي - وإن سميت باسم واحد - متعددة فهي في مقامة غيرها في المقامة
الأخرى، وعندئذ يزول العجب من نفس المؤلف عندما يرى بعض المقالات
الزمانية التي تصور هذا الراوية يحضر مجلس سيف الدولة في حلب، مع
أنه في مقامة أخرى قد أدرك ذروة الأمة الشاعر الأموي . . . ومن يدرى،
لعل الهذاني أقبس اسم « عيسى بن هشام » رواية مقامات من اسمي
روائيين كبيرين هما عيسى بن دأب وهشام الكلبي، وهما مؤلفا أكبر
مجموعة من قصص الغزاليين وأخبار الشجعان في الحروب، وهما اللذان
رويا قصص مجنون ليلى ومجمل بيته وقيس ليلى، وليس هذا ببعيد إذا
عرفنا أن الحريري أخذ اسم روايته « الخارث بن هشام » من الخديث
الشريف « كذلك حارت وكلهم هام » أي كذلك كاسب ساع في الرزق،
وكذلك كثير الاهتمام بالأمور .

وذكر الدكتور سلطان غايات البديع فحصر أظرفها حصراً موفقاً،
سواء كانت تلك المقامات دينية مذهبية أو اجتماعية أو أدبية . وعرض في

فصل ثالث لبعض الذين ألفوا مقامات على غط الهذاني، إلى أن وصل إلى
الحريري فاقاض في الحديث عنه في عدة فصول، وحاول فيها ما حاوله
مع الهذاني، فقد جمع « الخاصص » وأطلقها على شخصية « الخارث بن
هام » رواية مقامات الحريري، ولكنها ليست شخصية واحدة، وأما
هي مجموعة من الشخصيات أخذت لها اسماً واحداً، فالخارث بن هام في
مقامة ليس الخارث بن هام نفسه في المقامات الأخرى، وهو في المقامتين
الشمسية والديلمية رجل ذو مال وخيل و « صاحب سفار الثراء »
بيناً يبدو في المقامة « الصنانية » فقيراً « تنلوح به طوايح الزمن خاوي
الرفاض يادي الانعاض » وهكذا في كثير من الصفات الأخرى التي
تتباين تبايناً واسعاً في كل مقامة . . .

وختم المؤلف كتابه بمرض جامع للذين ألفوا مقامات بعد الحريري،
وتحدث حديثاً عابراً عن المقامات منذ غير العرب . وتم بذلك إحاطته
بموضوعه إحاطة دقيقة شاملة، معروضة على أساس من البحث العلمي المنظم .

بهيج عثمان

من أمالي الوحدة

للاستاذ علي الزين - ٢٨٨ صفحة - مطبعة العرفان صيدا

في هذه الفترة من حياة العالم الصاحبة الفاضلة، يخرج الأستاذ علي الزين
كتاباً هذا تأسراً آمالي وحدته، التي يظهر أنها صاحبة شاذية أيضاً، فهو
أول من أن يعطينا هذا الاسم فليس لها معنى الوحدة وهدووها، وإن تكن
لها جوانبها ومزاياها . . .
بعض الكتاب « تجاوزت كلمة » موضوع « إلى كلمة مضامين، لأن
الكتاب لا يجمع بين مجوّه ظرف واحد في الفكر، وأما هي مجوّه ترجع
إلى أزمان متباعدة، وفوق هذا ترجع إلى حالات متباينة من حالات
تطوره الذي هو ميل مستمر من التجدد والصيرورة ككل كائن . ولكن
يظهر مع ذلك أنه راض عنها، فملئنا إلى أشتائها، ولذا راح نطعمها في نسق
وبعضه في كتاب .

وعل كل فالكاتب يدور في أكبر أقسامه على النقد الأدب في ناحية
عزيزة من هذا الوطن، وهو جيل عامل أوجيال عاملة على حد تعبير
للمؤلف ص ٩ .

يبدأ الكاتب فيقسم الأدب العام إلى ادوار ثلاثة ويفرض قاعدة لهذا
التقسيم حلة الجزار سنة ١٩١٥ هـ، ثم يضي في درس كل دور ومميزاته
والخصائص الأدبية في مجموعة من الاتجاه الأدبي المنطوق من ص ١٥ - ٥٨
وهي دراسة طريقة تجمع إلى إحسان العرض جذة الموضوع، رغم ما
وقع فيه المؤلف من إخطاء . وهذه الإخطاء الشائعة في طائفة من نتائجه
تنبع من نوم الكاتب إن المفايس النقدية هي مفايس نهائية . ولذا ذهب
في تطبيقه تطبيقاً عاماً، ولذا هو يخطئ أحياناً، ولذا هو يخطئ في الخطأ
أيضاً، شأن كبير من النقاد الذين استسلموا هذا الاستسلام للطلق إلى
المفايس . بينا جهر التنس الذي هو يربو الأداب وكل عمل في والذي
هو في تكيف مستمر، يعلن كل نظرية تقول بالتجديد وتقوم على المفايس
النهائية الثالثة . إذن يجب - إذا تناولنا آثار الاتجاه الأدبي في الصور -
أن نحدد تكيفات الإحباب فيها أولاً التي يشتق منها اللثل الأعلى للمصر في

ايضاً كثيراً من الاسراف في الحكم على ادبه خاصة في درجة يخرج منها عن التمدد الى التجديد ص ٢٨ - ٣٩ . وهذا ما ليس ينبغي له ويمس به ككتاب يدبرم الاخلاص للمثل الادبية والحقيقة الفنية على حد ما يقول في ص ٩ . وما هذا الشيء الذي يأخذ به الخوماي ؟ . يقول (ان الشيء الذي اصبح موضوعاً للتناول ، هو هذا النزول الوافي الذي انتهى اليه في الخوماي في « حواء » . فانه على ما فيه من جزالة وعدوبة لفظ لا يشترك بشيء سوى الشوق العائية ، اما ان يشترك بهذه العاطفة الوجدانية الملتببة ، كما يشترك الشاعر التشرقي الوجداني في ، فهذا ما لا يكاد يظفر به القارئ لذلك الديوان الجديد . ويسوق مثلاً مقطوعة « صوفية الحب » :

كلما ادبتي منها جسدي
فكان الجسر احب دمي
وكان الاقرب لما قبلي
سأنتقي : ما ترى ؟ قلت : فلما
وشفاها يترضين دمي
وهوى يسمدني حق ارضي
تحقق الارواح في هيكله
لصفت في وتلكت شفتها
فدوت عينين واحمرت شفاها
فجره شمس الضحى قرأها
حفت عيني به اسى رؤاها
ويلون الخى حتى ارامها
مل عيني مع الله الها
ويلون حوايك الجباها
فهل يطربك منها غير هذه الرنة الموسيقية وغير هذه المنازلة المسرحية

في الخن الذي يطر في هذه القطوعة غير ما ذهب يذكر من قوت او من بد رشم انما تنكر عليه اخذه الخوماي بقسمة واحدة من شعره الحب ، انما لشعر في جنب هذه القطعة ما يثبتها حقيقة ، وبما يستحقها غير مبالغة او ماتي . ليست تعرض امامنا شيئاً شرياً في ولا يلقى شيئاً شرياً من صميم الحياة العنوية الانسانية ، بدأت فيه العاطفة الملوثة وبعثت تحتها طالبة السمو ، حتى آلتى بها التنجيس في هذه صوفية واقفاة تجريد واطلاق . ان شاعرنا الخوماي لم يوفق الى اعطائنا غزلاً صوفياً فقط ، بل وفق ايضاً الى اعطائنا صورة من اتصالات العاطفة في مذبح سموها ومدى مثاليها .

أليس يضع امامنا عاطفة تضطرم في جديدين يالت فيها باثرها الى درجة الاشتغال ، فتعرض حينئذ لانسياق شعور جديد فيها غلاً جو هذه العاطفة البارز ، التي ترداد الماشق تعرضاً وتجنباً ، فاذاً به بمسها قريبة حتى لتخالطه ، واذاً بناظره بمحققاً متجسدة حتى ليبدو رانيساً ، والهو يعلو ويصعد به ايضاً فاذاً مل عينيه اطلاقاً تحقق في هيكله الروح .

أليس في هذا الادب حياة ؟ . أليس فيه فكر ؟ . أليس فيه تجديد ؟ ان صح ان هذا ادب انطاز ، فلما نعرف ادب المتي كيف يكون . وظهر ان المؤلف بعد عرضه نقد الادب العالي ، شاء ان يرف بمقاييس النقد الذي اتزجه فعضها فصل جيد التفكير حسن العرض ص ٦ . وبقية فصل المواعظ المصطنعة وفصل الترمين التجديد والتلديد وتصول اخرى جيدة مجموعها فيها جمال وتأنيق في بنى الكتاب مطابقة من شعره اسلوبه : معاً كان لنا من رأي يتفق او يخالف مع المؤلف في نظراته وغوايرها التي اتسع كتابها لها ، فلا يسمن الا الاعجاب باسلوبه الناصع الديباجة المشرق الرف ، وهو الى ذلك فصيح في غير صنع ، يحكم في غير تعبد ، واضح البيان في غير اسفاف ، وفي جملة غير يجمع عليه الرصانة والوضوح ، ويضع بين تائرين قلابين في هذا البلد .

ع . الملايلي

الادب والفكر والحياة ، ثم تنقد تلك الاكار على صونها ، فان المفايس الفنية تشكيف تشكيف الكائن الحي نفسه في كل ما يلاسه ويتصل به من فكر وحياة واجتماع .

ولما نتي بهذا ان النظرة النقدية ينبغي ان تتحلل من المفايس وتحلو منها ، بل نفي ان مفايسها ليست بدرجة واحدة من الاعتبار ، وانما هي تقع في مثل دوامر دواخل في بعضها ، فذا كان ينبغي ان يقاس بدائرة صغرى لا يتفق او لا يصح ابدأ ان يقاس بدائرة اوسع منها .

وهذا يظهرنا على انه ما كان المؤلف - وهو يبع باعتاد مقاييس نقدية اعتاداً فيه آلية - الا ان تقع في نتائج واحكامه جملة تجاوزات . خذ هذه حيناً بقاويل في ص ٢٦ قصيدة الشيخ عبد الحسين صادق في وصف الفلك ، تركب يأخذها أخذاً عتيقاً في انه لم يقل من شيء في وصف الفلك وانقال كل شيء في وصف الناقه .

وغن من جانبنا تلمس طرف التعامل في حكمه ، وذلك عندما نترل على طريقته فنضع كلمة في مقام كلمة سواها ولا نجد صدق ما قال ، ونكتفي بهذا البيت منها :

فهي ارسى اذا رست من ثبير
ليس يدرى جرت ام الماء جار
يقول المؤلف اننا لا نرى في هذا البيت بسببية فخر الباب ، بل نناق تطوي الصحراء ونحب في الزمال . ولقطع كل ريب في صدق ما يقول يشير علينا بان نضع في محل كلمة « ماء » كلمة « نغم » ، وغن بسد الاتقان بطريقته ومحاولة تجربته نجد انفسنا مع ذلك حبال شديدة لافاقه . فان الصورة التي وعالها الشاعر بكلمة ارسى وهي تعيد عدا عظم المحجم شدة الاستغراق او لا تستقيم في الناقه ابدأ ولذا ناسب عند القوي في التعبير عن وقوف الصوفية باراء الشاطي . من مائة راء دوني الناقه . اما المؤلف فقد آتي في نظراتنا من احد امرين ، اما انه لم يعل القصيدة من سرياً ، واما انه قليل التحقق من دلالة الالفاظ لغوياً ومن الالفاظ ايضاً .

على ان الطريقة المذكورة اي وضع كلمة في مقام اخرى من اسما فاسدة ، فاننا حين نعرف ان الماشع كثير ما تشاك وتداخل وكثيراً ما تشابه في السرور مثلاً في الخزن ، نذكر اننا باخذ هذه الطريقة نستطيع تحويل كل الماهي (كوميدي) الى ماسي وقواجم (تراجمدي) والمؤلف وان يكن قد اجفف في احكامه خصوصاً على ادباء الدور الثاني فقد انصدم ايضاً فيما كان لهم من اسلوب مشرق ، دقيق الاداء ناصع الديباجة ص ٣٥ .

ولما عند المؤلف ايضاً على خطأ آخر لا نحمد من ناقد مثله ، فهو يضع في كل دور اشخاصاً لا يبرر لعدم الا اهم وجدوا فيه ، ثم يقرض عليهم البقاء . في حدوده ابدأ وان امتد بهم الزمن وشدهم بتلوونه وبأور فيهم حاسة الفن واعتيمهم ايماناً جديداً . قبل يكني ان لا نعد الاعامل الصغير شاعر كبيراً في الربع الثاني من القرن العشرين لانه كان شاعر كبيراً في الربع الاول من هذا القرن ، ان حاسة الفن لا تعرف الزمن وان كانت تستفيد منه .

يعد المؤلف في ص ٣٦ الى عد الاستاذ الخوماي الشاعر المحب في جملة من حفل بهم الدور الثاني الذي دعاه دور التطور والاتقال ، لا شيء الا انه ادر هذا الدور ، ثم يعود فيدفعه بنف ويحول بينه وبين دور التجديد وان يكن من احص المتجسبين فيه على الوانه . كما نلاحظ

روابط الفكر والروح

دليل الصحافة اللبنانية

لقابة محمدي الصحافة اللبنانية - ٩٦ صفحة - بيروت

لا تزال لقابة محمدي الصحافة اللبنانية حية نقيها الرميل الاستاذ روبر ايلا ، دائمة على كل منبه من الاعمال التي تلت الى الصحافة والى الحياة الفكرية في البلاد باكثر من سبب ، وقد عودتنا للقابة ، الى جانب الفجلات الموفقة الشائفة التي تعبقها في غضون سنة نقابية ، ان كتفنا بين الحين والاخر ، بكتاب بن « منشوراعا النقابية » ، مما سبق لنسا قلعنا الى به حينه .

واخر ما وصل الينا « دليل الصحافة اللبنانية » ، « بعض اعمال نقابية وصحافية » وهو كتاب رائع حقاً ، اردفه المؤلف بلحق بلخص ما مهم ارباب التحرير والصحافة في لبنان والاقطار العربية الاطلاع عليه ، من مثل اسماء الصحف السياسية الصادرة في لبنان حتى تاريخه ، بوميوواسيوية وشهرة وبورية عربية وفرنسية وانكليزية وارنسية ، في بيروت والمنحفات مع اسماء اصحابها وتاريخ تأسيسها وارقام تليفوناتها ، ثم اسماء محمدي الصحافة اللبنانية والصحف التي يملكون فيها بموجب جدول قاعاتهم الجمعية العمومية ، فنبذة عن اركان جمعية الصحافة الحسارحية ، وجمعية ارباب الصحف الدورية ، وكذلك اركان مصالح المطبوعات في لبنان ، من لثانية وفرنسية وبريطانية واميركية مع ما يلحق بها من دوائر اذاعة ودعاية وانباء وتصوير وسنما ، وملحق بمجلد بالصحف العربية السياسية اليومية الصادرة في سوريا ولبنان ، واخيراً مقابلة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري لسنة ١٩٦٨ م - ١٣٦٦ هـ .

ويتم الكتاب على صورة كاريكاتورية رائعة تفتن بشكل طريف رسم بعض أعضاء اعلام المطبوعات في مواقف مناسبة .

ويضمن الكتاب بياناً عن اللجنة التحضيرية للنقابة ، وبذرة عن جهود النقابة وسماحيها ، والمذكرات الهامة التي وضعتها دفاعاً عن حقوق التحرير والفجلات الصحفية التي اقامتها ، مما لا تحصى فائدته الكبرى على كل ذي علاقة . وكل ذلك مزين بالرسوم الكثيرة على ورق مصقول ناصع البياض متن الطبع .

انتا تحمي الرميل النقيب هذا المجنود المتواصل وتأمّل لقابة محمدي الصحافة اللبنانية اطراد النشاط والتجاح .

« نوابت » في فن التجميل المصري

للاستاذ محمود الراوي - ١٣٠ صفحة - المطبعة الحديثة - طعنا

عني الاستاذ محمود الراوي بتأحيصة التجميل الطبيعي فوضع كتاباً طريفاً في الجال والتجميل ، وهو اول كتاب من نوعه في العربية ، وقد اعتمد مؤلفه على دراسة اربع الاخلاصاتين الادرين ، وازاف الى ذلك كثيراً من ابحاثه وتجاربته الشخصية ، وكثيراً من معلوماته التي درسها عن الصالونات التي تعالج فن التجميل ، واهل كل ما يخالف النظريات العلمية والطبية الحديثة ، حتى جاء الكتاب خير دليل تعتمد عليه من

بين العرب والفرنجية - ١٣٦ صفحة - مطبعة - الكشاف

... من الخرافة ان يصدى اليوم ادبي عربي ليجت على ضوء هذه الخلفية المضطربة روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجية ، ذلك ان الناس الفكري الموزع بين تراث وتراث كان حتى اليوم موضوعاً يبورته الشمول والتبصر ، وما ينبني فيه اصدار حكم مبرم او رأي قاطع ، لكثرة الخلافات المغفوعة في سلسة الفكر البشري ، والذي بقي لنا اليوم ضعيف الاسانيد ، لذلك أكثر الاديب الموفق الاستاذ الياس ابو شيكة ان يحضم في احماق ما قرأ ويقرأ ، وان يسجل في دخيلته ما انعقد عنده من صلات بين امة وامة وعالم وعالم ، جانحاً الى ما تأخر من الصور لتوفر الادلة المكتوبة ، كل ذلك بأسلوب الاديب القاهم والقاري .

روابط الفكر والروح ، رحلة سريعة موفقة المصير ، بل قل رحلة خاطفة ، تبدأ بفرنسا ، وفي هذا الفصل « فرنسا الادبية » يبدو حماس ابو شيكة وإيمانه بالدور العظيم الذي مثله فرنسا على مسرح الفكر ، وكيف تأثرت ادب الامم الاوربية والاميركية والعربية بنور الشعلة التي اضرمها عبقارة الادب الفرنسي ويكشف في اناة على انوار الاول بين العرب والفرنجية ، كأديب حق لا كسوموخ ، وكما احببت قوله : « قلت ان ذوال اخذارة العربية كان شوماً على اسبانيا واودوبا ، فالاندلس لم تعرف السعادة الا في ظل الامراء العرب ، وحالاً ذهب العرب بل الدمار على القرا والجل والتهيب ، ذلك ان الملوك المسيحيين الذين عاقبوا ملوك العرب كانوا على جانب كبير من المارة السياسية ، ولكنهم لم يضارعوا مهارة العرب في الادارة والتنظيم » ويعلق على قوله هذا جملتان الدور الهام الذي لعبته اسبانيا في اوروبا من الناحية الفكرية ايمان الحكم العربي ، وفي « منابع الثقافة الفرنسية » عرض جميل لمختلف الأشخاص والتبادلات التي اغدقت للمعرفة على العالم ، وكيف بدأ الاتصال المباشر بين الفرنسيين والبلاد العربية منذ احتلال جيش نابليون لمصر .

وفي « تأثر الشرقين بمبادئ الثورة » غوص على التاريخ ، وكيف اثرت الثورة في عياض الروح الشرقية الراضعة الناعمة ، وما كان لهذه اللفظة من اثر ضال في وثنية الفكر العربي من الركود الى الحركة ، وعندما تحدث في « بتلون ما به ودب » عن حمى الترجمة والنقل ، في سنهل القرن العشرين ، صور العقيدة العربية التي اطلت على الروائع الفرنسية ، عللاً لظرائق طائوس عيده ومصطفى لطفي المنفلوطي وفرح انطون في مسرحياته ، وتكلم كذلك عن محاولات نقل الشعر من الفرنسية الى العربية ، بينا كانت طلائع المهجر تتمتعش بادب حسق وخيال منسرح .

ما فصلة الاخير « التموض دخيل على الاديين » فهو ولا ريب موضوع جدل كبير ، اترك به لقراءة مؤأفة قريية ، لانه يتضمن هو وبجمله الاخر « الادب العربي في تحضة المباركة » اراء جد شخصية تصدر عن اديب له فونة الحماص وانجابه الملم وطريقته الصارخة . هذه كلمة خاطفة في كتاب جدير بالقراءة والبحث والتدقيق والتفقد وحسبه فضلاً ان يجد سبيله الى القاري ، رغم غيبات الحرب ، مؤكداً ببقية الفكر العربي ، وتفتنه الدائم نحو الحركة .

صلاح الاسير

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

لندن ١ - نور - صدر بلاغ أذاعه الراديو الألماني جاء فيه : « أن هتلر استقبل لأقال في قصر قيادته . لندن - كتب مراسل روتر في ميدان تونس يقول : أن القوات الفرنسية في المنطقة الساحلية على طول البحر المتوسط تستعيج الإن أن ترى بحيرة ومدينة بقرت الواقعة على أقل من ٢٠ ميلا . موسكو - أذاع الرقيق ستالين رسالة مناسبة أول نوار هنا فيها الشعب والجيش الأحمر وأشار إلى انشراح الهائلة التي انزلت بالجيش الألماني في أثناء حملة شتاء ١٩٤٣ - ١٩٤٣ ، وتحذرتا عن هزيمة المحور من ليبيا وطرابلس ثم قال : أن الألمان يتوقون لبرام صليح مع بريطانيا والولايات المتحدة بشرط أن تتخلى هاتان الدولتان عن روسيا السوفياتية ، أو م يتوقون من ناحية أخرى لأن يقدوا صالحا مع روسيا على أن تتخلى عن بريطانيا والولايات المتحدة . والواقع أن انصار الاستمرار الألماني يحكمون على الحلفاء بالمقايبس الألمانية على أمل أن دولة من دول الحلفاء على الأقل قد تقع في الشرك . ثم تحدثت الرقيق ستالين عن واجب الحلفاء ، والروس لكي يوزموا العدو هزيمة نهائية فيمهدوا الطريق له لكي يسقام بلا قيد ولا شرط .

بيروت - وصل إلى بيروت المستر كبري وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط وزار برقة الجنرال سيرس الوزير المفوض البريطاني في سوريا ولبنان مكتب الإحصاء والتسوين حيث قابل القافين بشوونه ، كما اجتمع مع وكيل وزارة التسوين اللبنانية .

بيروت ٢ - أقام الجنرال سيرس حفلة استقبال في دمشق وبادى سروره بأن يكون أول وزير مفوض بريطاني يتخذ دمشق مقراً له وإن تكون لبريطانيا العظمى في دمشق مفوضية سياسية ترمز رمزاً حلياً إلى الاعتراف باستقلال سوريا ، ثم أعرب عن تقيساته في أن يكون لسوريا وقد رسمي في مؤتمر الصلح بعد الحرب ينشئ عن حكومة شرعية ديمقراطية وليدة انتخابات حرة إلى أقصى حدود الحرية .

لندن ٣ - فقد المحور في الأسبوع الثقات ٩٨ طائرة كما فقد في شهر نيسان ٨٧٣ طائرة . وقد فقدت ٦٣٣ فوق أفريقيا الشمالية و ٣٠٠ فوق الشرق الأوسط . أما لقسائر الحليفة فقد كات في الأسبوع الماضي ١٢١ طائرة وفي شهر نيسان ٥٦٦ طائرة وبلغت الخسائر فوق أفريقيا ١٩٥ طائرة . لندن - أعان رايدو الجبه إلى جبرو سيميل مفوضاً مستجيلاً وشاملاً من جميع المستقلين السياسيين وقتاً لقراراته ونداءاته الأخيرة .

لندن ٤ - بلغ الخليف العام في أفريقيا الشمالية أن القوات الأميركية احتلت مطاور صياح امس .

موسكو ٥ - احتلت القوات السوفياتية كرتسكايا التي تبعد ٣٠ كيلومتراً عن نوفوروسيسك إلى الشمال . وقد جاء من برلين أن الـ « د. ب. » أعلنت هذه البيلة جلاء القوات الألمانية عن كرتسكايا - نيويورك - أعلن رايدو نيويورك أن المدفعية الحليفة الضخمة تغرب بنف فوفيل ويترت في الميدان التونسي . لندن - صرح الملقق الأميركي في رايدو أنه هذا الصباح قتالاً : لقد انزلت الجبهة الشمالية لرقية البحر المحوري في تونس . موريل - بلغ رسمياً أنه قد ضرب رقم قياسي جديد في قطع المسافة بين ثلاثين وانكتر وذلك في مائة ساعة و ١٢ دقيقة . لندن - قتل الجنرال فرنك مسكوبيل اندروز الذي يقود القوات الأميركية في إيطاليا الشمالية و <http://www.alukah.net> .

بيروت ٦ - احتفلت بيروت حكومة وشعباً بعيد الشهداء الأبرار ، وكل سنة في مثل هذه الذكرى غصت ساحة الشهداء بالجواهر الواقعة من العاصمة ومن كل أنحاء الجبل ، وعند الساعة التاسعة والنصف قدم الساحة حضرات رئيس الدولة اللبنانية الدكتور أيوب تائب والوزيرين الأمير خالد شهاب وجواد بولس وسير ورامم موكب من موظفي الحكومة ، وعند وصول رئيس الدولة أمام النصب التذكاري وضع أكبلا من الزهر ، وقد خطب الأمير خالد شهاب باسم الحكومة والاساذ جورج عقل باسم عصبة تكريم الشهداء . ومهد الاساذ فاضل سعيد بلبنة عن حياة الشهداء ، ثم توجهه الموكب إلى أحداث الشهداء في رمل بيروت حيث ادوا واجب التكريم .

موسكو - احتل الجيش الأحمر ١٢ موقفاً هاماً في الكوبان ودخل ضواحي نوفوروسيسك . نيويورك - ادلى الرقيق ستالين بتصريح جريده نيويورك تيمس تحدث فيه عن العلاقات البولونية الروسية قتالاً : أن الاتحاد السوفياتي يرغب في أن تقوم بعد الحرب دولة بولونية قوية ومستقلة ، فلق الجنرال سيكورسكي موافقاً على عقد تحالف بولوني - روسي ضد ألمانيا .

لندن ٧ - احتل الحلفاء في تونس جبل شتيق وجبل العفل وجبل بوع كز وبرج الفرنج ومدينة ماسيكو . وشن الجيش البريطاني هجوماً كبيراً فخرق خطوط العدو . وانهارت الجبهة الألمانية في تونس الشمالية - ألج - صرح الجنرال جبرو مندوب الوكالة الفرنسية للأستقاة بأن مقاومة الجيوش المحورية في تونس انطلول أن ما بعد اوائل شهر حزيران . وامتدح الجيش الفرنسي الذي سيكون مؤلفاً من نصف مليون رجل في نهاية هذه السنة ، وادى اعجابه بالجيش الثامن وامتدح كذلك الجيش الأول والقوات الأميركية ، وقال أن المحادثات ما تزال مستمرة بينه وبين الجنرال كاترو ، ونوه بدور أميركا وفرنسا في إعادة بناء أوروبا بعد الحرب .

لندن ٨ - احتل الجيش البريطاني الأول بقيادة الجنرال اندرسون تونس العاصمة عقب مبارك عنيفة في الشوارع بعد مرور ٣٦ ساعة على بدء الهجوم الخليف الكبير و٦ أشهر قائماً بعد نزول الحلفاء إلى أفريقيا الشمالية في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ . أما القوات الأميركية التي كانت قد احتلت قرقيشيل في الساعة الواحدة بعد الظهر فقد عادت قدخلت إلى قاعدة بقرت البحرية بعد ساعة من الزمن .

لندن ١٠ - يستعمل الجيش الأميركي في غاراته الجوية على أوروبا نوعاً جديداً من الطائرات تبلغ سرعتها ٤٠٠ ميل في الساعة وهي مجهزة بمائة مدافع رشاشة ويطلق المدفع الواحد المدفع ٦٤٠٠ رصاصة في الدقيقة . لندن - بلغ عدد الغواد الألمان الذين اسروا في تونس ستة لند ١١ - بلغ عدد الاسرى المحوريين بعد تونس ويترت ثمانين ألفاً . ستوكهولم - احتل الجيش الأحمر هجوم جديد جنوبي غربي فليكي لوكي على بعد ١٣٣ كيلومتراً عن حدود

ليبتوانيا . وقد تغفل الروس بسعي في المراكز الامامية واحتلوا تحصينات كان الالمان قد صرفوا سنة اشهر في بنائها .
لندن - عقبته انباء الانتصارات الحليقة في تونس موجة من الاعتلالات في البلقان من ذلك القا شيوعي مزعوم اوقفوا في بلغاريا وكذلك في اليونان
حيث قطعت المواصلات مع الخارج .

نيويورك - توقفت المعارك في جميع انحاء تونس ما عدا جوار رأس بون - عمان - ألف توفيق باشا ابو الهدى وزارته الجديدة في شرق الاردن .
القاهرة - ادلى النجاشي باشا رئيس الوزارة المصرية بتصريح الى مراسل رويتر الخاص اعلن فيه اعجابه بالجيش الحليقة بمناسبة انتصارات تونس الاخيرة .
بيروت - اداع الدكتور ايوب ثابت رئيس الحكومة اللبنانية كلمة من راديو الشرق حيا فيها الجيوش الحليقة التي تحارب لتمد العالم ان يعيش
بحرية وسلام .

ولشنتون ١٢ - وصل جبراً الرئيس تشرشل الى واشنطن برفقه الجنرال وبيل السير أن بروك والسير دودني واوند والسير شارل بورتال والاميرال
سومرفيل والسير ريشارد بيرس وقد بدأت محادثاته مع الرئيس ووزلقت بينها كان الزعماء العسكريون يهتدون اجتماعاً آخر . ووصل ايضا الدكتور بنينش
رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا وحل ضيفاً على البيت الابيض .

لندن ١٣ - انتهت حملة تونس بالقضاء على كل مقاومة محورية في الاراضي الافريقية ، وقد استسلم حتى هذا التاريخ ١٧ قائداً محورياً بينهم الجنرال فون
ارنيم القائد الاعلى للقوات المحورية في تونس والمارشال ميسي الاجالي ومارشال آخر وسقط في الاسر ايضا ١٨٠ ألف جندي محوري ، ثلثهم من الالمان .

القاهرة ١٤ - انتهى في القاهرة مؤتمر الزعماء للمدنيين والعسكريين البريطانيين في الشرق الاوسط وقد اشترك فيه ستة قواد اعليين وثلاثة سفراء . وثلاثة
وزراء ، وثلاثة حكم ومفوض سام . وقد تم الاتفاق حول جميع القضايا التي عرضت للدرس في هذا المؤتمر .

لندن - هني اكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل السريعة الانفجار والمحترقة على مدينة دويسبورغ الالمانية ، والاضرار فادحة .
لندن ١٥ - هني الجنرال جيرو سيدي المصنف باشا ناي تونس من العرش وذلك لانه عرض سلامة البلاد التونسية للخطر . وقد تم اختيار سيد

الامين بك ليخلف الباي السابق على عرش تونس طبقاً لتقاليد أسرة الحسين المالكة في تونس . وقد غادر الباي السابق الارض التونسية الى دمشق
لندن ١٦ - دمرت الغارات البريطانية سدي الحزازيين المطبخين على بحري الجرح والادود بالماليا . ويعتري الاول على ١٨٣ طن من المياء والثاني

على ٣٠٢ مليون الاطنان . وقد وقعت على أثر ذلك كارثة حقيقية اذ طفت المياء كطوفان مرمر على مجاري النهرين فجرفت كل ما كان قائماً في وجهها
من مصانع كهربائية ومعامل وغيرها عدا القرى والساكن . وقد احمي من الضحايا ١٢ ألف ومن الذير اصبحوا بدون مأوى ١٢٠ ألف . - لندن -
اعتزل الالمان ابنة الجنرال جيرو واطفالها واقتادهم وعائلان الى ماليا .

اقرة ١٧ - وصل المنصور سيلان رئيس اساقفة نيويورك الى افريقية وسيتلقى يوماً في شبابة المستعمرين سيتهارت سفير اميركا ثم يعود الى سوريا .
واشنطن ١٨ - احتلت القوات الاميركية احتلالاً تاماً تقريبا جزيرة أو بعد مرور اسبوع واحد على نشوب المعارك النتيقة فيها . وسيجعل احتلال

آكو احتلالاً جزئياً موقف اليابانيين حرجاً في جزيرة كوكا .
روما - هني الطيران البريطاني الملكي المشاير على اسطاليا داعياً السكان الى اعلان الثورة والتظاهر علانية في الشوارع .

لندن ٢٠ - احتلت القوات البحرية الفرنسية جزيرة غاليث التي تبعد نحو عشرين ميلا عن رأس «سيرات» الى الشمال الغربي بسين الساحل التونسي
وجزيرة صقلية . سنيافو - قطعت حكومة شيبي علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع فيشي . موسكو - وصل الى موسكو السيد جوزف دافيس موقف
الرئيس روزفلت الخاص حاملا رسالة شخصية من الرئيس الاميركي الى ستالين .

لندن ٢١ - يواصل الجنرال جيرو هني قوانين فيشي ليس فقط في المبادئ السياسية بل ايضا في المبدأ الاقتصادي عندما لا تكون متلائمة مع المبادئ
التي كانت مرعية الاجراء في فرنسا قبل عقد الهدنة .

موسكو ٢٢ - مصدر رسوم من اللجنة التنفيذية الشيوعية الدولية الشيوعية يوسي جل الشيوعية الدولية واذاغت رئاسة الشيوعية الدولية في موسكو
بيانا طويلا بسطت فيه الموقف فقالت ان القرار يستند الى الخليفة الراعته وهي ان احوال العالم تبدلت الى حد كبير منذ تأسست هذه الدولية وان هذا

الشكل من نظام طبقات العمل الدولي لم يعد يتفق به الان مع احوال العالم .
لندن ٢٣ - اغار الطيران الحليق على مدينة ودرغوت الصناعية الالمانية فغذف عليها بالنبي طن من القنابل وكانت الغارة كاسحة .

لندن ٢٤ - انقضت اللجنة القومية الفرنسية في ٢٤ نوار برئاسة الجنرال ديغول واستمعت الى تقرير الجنرال كاترو بصدد مهمته في افريقيا الشمالية .
ولمحت انه لم يعد هنالك تباين في وجهات نظر اللجنة القومية ، والنظريات الواردة في رسالة الجنرال جيرو بتاريخ ١٧ نوار ، وانه لم يعد يثق ما يجوز

دون تشكيل اللجنة التنفيذية المركزية في الهج
القاهرة ٢٥ - نشر مفتي الديار المصرية الاكبر فتوى بناء على طلب وزير التموين قرر فيها ان المسلمين الذين يهرون عنكموي البضائع وبرشدون
السلطات اليهم لا يهتبرون أكين .

روما ٢٦ - اعلن راديو روما استناداً الى مصدر محايد ان ٨ ملايين رجل قد احتشدوا في الميادين الكبير من الجبهة الشرقية الممتدة بين لينتفرد
والبحر الاسود . القاهرة - استوف السيد الهادي بن مصر وتونس والجزائر ومراكش وكذلك المواصلات البحرية . لندن - وصلت الى احد

المراقبي البريطانية نجدة اضافية من الجيش الكندي مؤلفة من مشاة ومدفيعين وطباء واخصائين بفرع الهندسة .

ربيعي الاول

- ١ -

منذ اغويت نفسي بان تتحدث عن الربيع فأجابت بعد لآي ، وانا اكتشف اشياء واشياء ، وكأني لا عهد لي بها من قبل . ففي جنيته البيت ابصرت فجأة شجرة مشمس (يؤمنون انها حضرت مولدي) اعجبني منها ، اول وهلة ، هذا الزهر الاحمر الضارب الى صفرة ، عالقاً باغصانها قناديل صغيرة مضامة في رائحة النهار ، لاطفال في عيد . لكن ما لبثت ان عرفت سر القناديل ، فاذا كل واحد منها حلقة عتب ساخر ، ترمقني به الزهراء ، شراً ، وهي تقول : « الان رأيتني ؟ الان رأيتني ؟ » تقولها وهي تعتمد صدي ، كأنها يسؤها ان اتقدم ، فاشارك الاطفال افواح عيدهم .

وخطر ليالي ان اذكر الشجرة ، أمسها القريب ، حين لم تكن سوى عيدان جرداء ممتدة في الافق القاسي ، ابادي تبسطها الفاقة في السؤال لا لحم عليها ولا دم . ففاظني انها صدفت عني غير مبالية ، وطفقت ترفل في خيالها ، كاهلية الحسناء ليلة عرسها ، ترسل آخر نظرة صادقة على حلتها ، متهادية ذات اليمين وذات الشمال - ، وودعتني بنفحة من ارج ساطع خيل الي ان تقهقه به ضاحكة .

وسوت لي نفسي ان اتألفها . فخرجت الى الجنيته ، وأخذت بحجر الشجرة السميدة ، فهزته وهزته مضطرباً ، فتساقطت المسكينة على رأسي ، وفوق كتفي ، وبين اقدامي ، زهرات يتامى . وفيما كنت واقفاً ارجو ان اراها تجهبش في البكاء ، اذا بها تتعلم باسرع من لاح البصر كأن لم يكن شيء . فتصلح زينا الذي تشعث قليلاً ، ثم تعود في خيالها ، مضامة بانوار الربيع .

قلت لنفسي وانا اتكلم سروراً فافهم : « علي بنا في هذا اليوم المشرق من ايام البعث ! » لنطرح الكتاب جانباً ولننضم الى الضاحية ، فنتعجل بشان الربيع .

فتبعتني نفسي ، وكنت اقلقت ورائي ، حيناً بعد حين ، لأنظر اين هي . ومشيت على مهل ، وانا اسرح الطرف ممتعاً ، كأني افتح على الكون عينين جديدتين لم يسبق ان استعملهما احد ، كمثل نافذتين في دار مهجورة اقلقتا زمناً طويلاً ، فلما آتت الى الدار اهله ، وفتحت النافذتان ، اخذتا تنظوران وكان الارض تبدلت ، والسما غير السما .

وفيا كنا في الضاحية ، نبحت عن موكب للربيع تدق فيه البشائر ، اذ تجهم وجه الدنيا وتربد بالسحاب ، ثم ازل المطر علينا مدراراً .

وهكذا عدنا من حيث اتينا ، ونحن نقص على الناس اننا رأينا الربيع بدخل البلد متنكرأ في ثوب الشتاء ، مشمراً اذياله بين الوحل والماء . . .

- ٢ -

ذهب ربيع وجاء ربيع . . .

قالت ماري لاختها : « تما لي . . انظري الى هذه الشجرة الزاهرة في جنيته الجيران . . سألني : ما هذه الشجرة يا ماري ؟ اجبت : شجرة مشمس ، يا معلمي . قال : أأنت واثقة ؟ اجبت : نعم . . وأعاد علي السؤال . . ثم اخذ في الكتابة ليلة بطولها . ففرق كثيراً من الورق قبل ان يلاً صفحة واحدة . .

عمر فاخوري

(من كتاب يصدر قريباً : ادب في السوف)

الان

من ديوان « همس الجفون » ، الذي صدر قريباً



غداً اردّ هبات الناس للناس وعن غناهم استغني بأفلاسي
واسترد رهوناً لي بذمتهم فقد رهننت لهم فكري واحساسي
ورحت اتجر في اسواق كسبهم فما كسبت سوى همّ ووسواس
وكم فتحت لهم قلبي فما لبثوا ان نصبوا بعلهم في قدس اقداسي

غداً اعيد بقايا الطين للطين واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للوحي ومن ولدوا والخير والشر للدنيا وللدن
وألبس العري درعاً لا تحطى ايدي الملائكة او ايدي الشياطين
فلا تروّعني نار الجحيم ولا مجالس الخور في الفردوس تغريبي

* * *

غداً اجوز حدود السمع والبصر فادرك المبتدا المكنون في خبري
فلا كواكب الاكان لي سبل فيها ، ولا تربة الا بها اثري
لي في القضاء قضاء والمنون مني وفي ملاحمة الاقدار لي قدري
غداً؟ .. ولا امس لي حتى اقول غداً فلتضحها الود من نطقي ومن فكري

مجايل نعمه

نحو الانبعاث الادبي في فرنسا

بنلم جان غوليه



سنة اخرى مع كل ما يرافقها من آلام وشقاء.
في حرب الثلاثين السابقة اشرفت فرنسا على التلف اكثر من
مرة ، رغم غزوة ريشيليو الصاذقة . ففي سنة ١٦٣٤ مثلاً ، لما سحق
التمساويون والاسبان حلفاءهما الاسوجيين في نوردنجن - كما
سحق حلفاؤنا البولنديون سنة ١٦٣٩ - ، وكذلك سنة ١٦٣٦ لما
دخلت الجيوش الامبراطورية بورغونيا ، بينما كان الاسبان
يحتاحون ببيكارديا ويتحدرون حتى البواب باريس ، كانت
الصدمة عنيفة جداً ، وكانت ايقاف العدو
اكبر عناء . في ذلك الزمن الاسود
المشعوب بالخن اصاب الفكر الفرنسي
ما اصاب الوطن الفرنسي . من ضغط جيرانه
الساحق . ففي عهد الوصية ماري دي
مدشي كانت السيطرة للروح الايطالي .
ثم في عهد الملكة حنيدة تريش للروح
الاسباني ، بذلك الميل الفطري الذي
يحمل الشعوب على مجارة القوي حتى في
عادات تفكيره السينة . فليس عجباً
ان يكون الكتاب قد انصرفوا عهد
ذاك الى اقتباس السخافات الايطالية
والاكتار من المقطوعات الشعرية المنسقة ،
يرون فيها اتانفاً وتندراً ، في حين انها ليست
الاتقليد - سخيلاً لاظرف الايطالي المصطنع
وفي وقت معاً ظهر في فرنسا التأثير الاسباني كما ظهر التأثير
الايطالي . سوى ان اسبانيا لم تدفع كتابتها الى مثل العاطفية
الهزلية التي لازمت الادب الايطالي في كل عصوره ، انما جوتهم
الى ضرب من النلو والاطناب والفخفة ، غلب على جمهرة من
المؤلفين الاردباء ، حتى انه افسد على كورناني اجل مسرحياته .
وهكذا نجد في « السيد » بقايا من فخفة اسبانية تصم الاذان
لكن لا طائل تحتها .

ان حوادث حزيران ١٩٤٠ وسياسة فيشي اغرت الفرنسيين
واصدقا ، فرنسا ، بان يجسبوا في حين ، ان الثقافة الفرنسية قد
قضت نجيبها ، وانه بعد ان سطع منها نور لا مثيل له ، اصابها ما
اصاب الثقافتين اليونانية واللاتينية من قبل ، ففاجأتها داهية دهايا .
بضربة مميتة

هذا الحكم سطحي ضعيف ، فالحقيقة هي ان حالة فرنسا
في هذا الشطر الاول من القرن العشرين قاتل ، مماثلة عجيبة ،

مطلع القرن السابع عشر الذي لم يكن
باجمعه - كما يُظن غالباً - عن خطأ -
عصر توازن ونظام وانسجام ، بل عهد
قلق واضطراب في نصفه الاول ، اي
حتى عام ١٦٤٣ و هو عام معركة كروا
التي استبقت فيها الغلبة لفرنسا على الحلف
الاوروبي ، وسُئلت فيها الادب الفرنسي
من سيطرة الطليان والاسبان ، وهذا
له السبيل الى تحقيق توازنه الكلاسيكي
المشهور .

كانت الدولة الاسبانية عهد ذاك
في اوج عظمتها . فكان ملك اسبانيا
باسطاً سلطانها على روسيليون وبريينان
في الجنوب ، وعلى الاتروا في الشمال ، وعلى
الفرانك كونتته في الشرق . فكانت

فرنسا محصورة من كل جانب ، ولا سيما ان هذه البلدان كانت
منذ ١٦٢٠ خليفة امبراطور النمسا فردينان الثاني الذي امتدت
ممتلكاته من هولندا الى اليابان . فكانها صورة مسبقة لاوروبا
المنكورة المهولة التي بعثها المحرور من الدم وعرضها لانظارنا . وكما
احتجج الى حرب ٣٠ سنة لتعطيل الطغيان الاسباني وانقاذ فرنسا
من كل خطر والحصول على حسنة معاهدة وستغاليا ، فتمن اليوم
- كما يقول شارل ديغول - نعانى منذ ١٩١٨ احوال حرب ثلاثين



الاستاذ جان غوليه

حقاً إن «التشكل اللاتيني» لا يصلح للفكر الفرنسي ، فقد كاد يخنقه ويقتضي عليه الى الابد .

لكن فرنسا التي انهكت قواها عهدذاك وبيلات الحرب فاقبت الرسام « كالدو » صوراً منها لا تنسى ، فرنسا التي ابرشت ان يقذف بها في هابوية الدمار الشامل ملكها لويس الثالث عشر المتوفى بعد حكم استغرقته مظاهر الضعف والتردد والمكائيد والمؤامرات ، فرنسا التي وقفت في ايدي العجز من الشيخ والمحافظين « والعلميين الكاذبين » . لقد بقيت في فرنسا هذه التي نال منها الفساد اليطالي والاسباني حتى بلغ العظم ، آمال في النهوض غير مكذوبة .

ففي سنة ١٦٣٧ اصدر ديكارت « كتاب المنهج » وهو المؤلف الاساسي للفكر الفرنسي ، وجلبت ثمة اجيال متعاقبة قواعد التفكير الصحيح والعمل الحكيم . وفي سنة ١٦٣٧ بينما كان العدو يقترب من باريس ، تفنى كورتاى باجل قصائد البطولة التي تشد لحبوة الروح الفرنسي بالخلود . وفي سنة ١٦٤٣ قضى كوندو بانتصاره في رو كروا على آغرامل للتمسويين والاسبان الذين كانوا يحبسون ان فرنسا المنبوكة المأجزة عن مقاومة طابورهم الخامس من فنانين وشعراء ، وكذلك جيوشهم الحاراة ، واقعية حتماً في ايديهم .

في رو كروا انتصرت فرنسا الفتية التي لم تسطع اعظم المحن ان تنال منها ، فهي تنهض دائماً من عثرتها ، وعيون الأعداء رومعها بدهوة ووجل .

ففي نوار ١٦٤٣ عقد التمسويين والاسبان عزيمتهم على القيام بغارة صاعقة على باريس ، يريدون تسديد الطعنة القاضية الى صدر الفرنسية المجيلة التي كان يحيل اليهم انها أصبحت في مطلق تصرفهم . فزحفوا الى رو كروا على تحوم اقليم الاردين الفرنسي ، في جيش عظيم بالقياس الى ذلك الزمن ، مؤلف من ٢٦ الف رجل يقودهم الدوق ده مللو حاكم هولندا وكبير اسبانيا بذاته . فذهب ملاقاته جيش فرنسي اقل عدداً يقوده الدوق داتنن وهو اذ ذاك في الثانية والعشرين من سنه . ورغم نصائح الحكومة الممثلة في شخص المارشال دي لوسيتال العجوز الضعيف الانهزامي - ايضاً - باشر الجيش الفرنسي القتال بعزيمة صادقة افسدت على العدو خطته المدبرة .

لقد كانت باريس في خطر . وقد قال الجزرال ديغول في كتابه القيم « الجيش المحترق » : ان معركة واحدة تخسرهما الفرنسيون على الحدود تعرض العاصمة : بهذا يقضي وضعها .

ان مصير باريس وفورسا في الميزان . يجب اذن الاضفاء الى تسويات المارشال العجوز «الانهزامي» الذي وضع في كفتي الميزان دواعي الاقدام والاحجام ولا سيما الاحجام ؟ ان كوندو له ير ، من خلال حاسته الشابة ، هذا الرأي ، فصلى امر المارشال بحمجة : انه عاص نازر ، لكنه انتقذ فرنسا .

اذا كانا رجلان مختلفان جداً في تفكيرهما كبوسويه وفولتير قد اثبتا - كل واحد بأسلوبه الخاص - عظيمة ذاك الانتصار ، فلأن كلا منهما ادرك اهميته التي لا تحدد . لقد كان من رو كروا ضبان تحمر العقل الفرنسي ، وفوز الشبيبة الفرنسية ، والفجر الطالع لأنه اعظم عصر عرفه الفن والفكر في فرنسا .

لولا انتصار رو كروا لم يكن من سبيل في فرنسا ، الى ازدهار العبقرية الكلاسيكية ، اي ذلك التوازن المنسجم لقوى النفس جميعاً ، الذي يمتاز به الذوق الفرنسي . ذلك ان الاستقلال او السيادة القومية شرط لا بد منه لنهضة الفن والفكر اللذين لا موضع لهما اذا قلنى على البلاد الاحتلال الاجنبي وما يلزمه من مظاهر الاستعداد والاضطهاد . ومن حالة فرنسا اليوم ، اذ تتكاثر صنف الارقاء بين حفة الاقاليم ، امثال الفونس ده شاتو بريان الذي يقعد ارجال النظام كالتفرد ، وديرو لاروشيل وبرازيلاك وغيرهما من الحقى الذين يريدون ايهام الناس بان على هنرمهم سمة العبقرية - من حالة فرنسا اليوم يمكن ان تنصور دون عناء ، الحالة التي كانت تصل اليها لولا انتصار كوندو في رو كروا . فلا موليارد ولا راسين ولا بوال ولا لافونتين كانوا يتحفوننا ، لولا ذلك الانتصار ، بما تحفوناه به من الطرائف القوية والمطيفة على السواء ، والتي يحق لفرنسا ان تباهي بها سائر الامم . ان مؤرخي الادب الفرنسي ، في رغبتهم بان يعرضوا لانظارنا العصر الذهبي بمجموعه كقطعة من الزغام المشرق لا عيب فيها ، يهلون الاشارة الى التضاد القاطع الذي يفصل بين حكم لويس الثالث عشر الذي كانت ترققه الفوضى والاندفاع الارعن والتفرد المفرط ، وبين حكم لويس الرابع عشر الذي اقام بلاطه على اسس دولة متوازنة منسجمة عرفت اخيراً معنى الطاعة والنظام .

ويبدو ان هذه الفوضى التي تتقدم النظام هي ضرورة لنشأة الروح الكلاسيكي ، بل اذا اردنا التعميم لمحي . عصر كلاسيكي . فالمصر الكلاسيكي يستل بل تنهذ المستريح . وهو يميل الى اظهار رضاه عن ذاته واكتفائه بها ، كان المؤلفين والمجهر على السواء . يشعرون بانهم قد تحققوا اخيراً تقدم ذو شأن بعد محاض غير .

سراع

سراع بصور تودّ الصور
لو ان لها منه في التيه نور

غنيا كالقدر
خضيب الصور
بواكب ماضيه
في المنتظر

ويرسل في اليه اشرعة الفكر قبل الضياء
غنياً كبنسان ، طوداً شمالي ، وارضاً سما

حسانك صور
واي شراع ..
يتولون : ضاع
سلي قرطجة
الم بك منك
على الدهر منه

الذري انتفاض الثرى
لشكر في السفح طيفاً سرى

سخي اليد
بروي الصدي
على الاس ظل
له سرمدى

تري يذكر' الكون انا بنيانه قدماً فكان
مدائن هزت عروشاً وغنى ندها الزمان

تري يذكر'
سقى الاحرف
وكفّ القني
ولبنان هل
دراه المسدى
صباح الازل

صلاح الاسير

فهم يعيشون في عهد ايمد عن القوضى وادنى الى النظام من العهد
السابق ، كأن الاجيال السالفة التي جمعت من اجهلهم مآرِفها
واختباراتها المتراكمة قد اورثتهم اياها مادة « خاماً » وان عليهم
« صنعها »

وما زيد الاشارة اليه بنوع خاص هو الامل الكبير الذي
يصح ان تعلقه فرنسا ومعها اوروبا ، على نصر روكروا . ان فرنسا
بين عامي ١٩١٩ و ١٩٣٩ عاشت ليس في زمن سلم بل في زمن
هذنة ، خلال حرب الثلاثين الجديدة . ولقد اثبت هذا العهد في عالمي
الفن والادب على السواء عدداً جماً من الكفاليات ، وربما من
العقريات المتعاسكة في طرائق ووجاهات شتى ، الامر الذي يلازمه
شي . من القوضى . أفقة ما هو اشد اختلافاً من آثار كاترين
ككلودل وجيروود ، او كفايري وفونسيس جام ، وكاندرد
جيد وجول رومان ؟ ان هذا الثراء الطائل والتنوع الخاطيط والتفتح
الرحب للاداب الاجنبية ، قيمته وفقته لا مرا ، لكن الروح
الفرنسي كان يموهه كي يبلغ مداه ، ذلك الانتظام الاسمي ، وهي
مزبة العصور الذهبية العظمى التي تندمج فيها كل الجهود الشخصية
في وحدة غنية منسجمة عميقة ، دون ان تحس شيئاً من طابعها الخاص
وفي نظر كل ملاحظ منصف ان فرنسا التي رايت الى نفسها
ستفيد من هذه المحن الحاضرة ولا شك ، توازناً جديداً ، بل
كلاسيكية قوية مشعرة . ان فرنسا في ربيع ١٩٤٣ ليست اشد
اغلاقاً واكبر ذنباً منها في نوار ١٩٤٣ . لكنها اليوم في مثل تلك
المحنة ، ليس غير

وكما ان انتصار روكروا ، بل انتصار الفترة ، بل انتصار
امة تريد الحياة قد فتح للفكر الفرنسي آفاقاً لا حدود لها ،
فكذلك سيضم من النصر القريب الذي يطهر ارض الوطن من كل
فساد اجنبي انبعاث ذلك الادب الرحب مجالاً ، البعيد غورا ، حيث
يجد الناس جميعاً غذاء لنفوسهم

ان هتلر وموسوليني سيذهبان دون ان يخلفا اثرأ من الآثار ،
وسيمحي اصاصهما من حافظلة الاجيال المقبلة كما محى اسم فردينان
الثاني من قبل . فابنيانه ليس اثبت اساساً مما شيده شارلكان .
لكن هذه القفظة المعجبة التي تبدو من الفكر الفرنسي ، وسط
هذا السيل من الدموع والدماء ، جذيرة بان تفهم المان القذ وطليانته ،
بل من يأتي بعدهم ايضاً ، ان « فرنسا لن ينتهي ابداً امرها . »

جاده غورله

اهواك

عريدة نشوة امس بعيد

وصدى نغم ابخ في الخاطر

ضلت به الايام وغاب

وقلت لن يرجع

فعلى ضيق من ربح الوهم وواسع الخيال

تلاقينا على غير موعد

فهو ينك اشد مما نودين

في ليل حوران يشكو للسم

وهو ينك اعنف مما ترغين

على الرغم من ماضينا القبي

وتلاشيت بين اناملك ، شدى بنفسجي الاربج

فمطرت به الوهم ، كبرياء لك

وأضعت انا ، الورد والعبق الطيب

فان تجاهلت شيئاً تجهلين

فاي تفسير لك ؟

سكرت ولم تسكري

فان عدت انا الى الماضي

فانت ، لن ترجعي

بيننا



لادبير ادب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

اللغة بين الفكر والخيال

بسم الله الرحمن الرحيم



البيئة طبيعية كانت او صناعية ، ثبت ان جوهر النكر في
المجاميع البشرية يختلف باختلاف المحرضات البيئية نفسها ، فليس
هناك وحدة في جوهر الفكر وبالتالي ان تكون هناك وحدة في
في جوهر اللغة .

ومن المستحسن ان نشرح مقدمات هذا الرأي: يقول العلامة
(يونس) ان الخصائص المادية والمعنوية انما هي استجابات عضوية
على محرضات خاصة ، فسراد البشرة مثلاً استجابة عضوية على
محرض طبيعي وهو الحرارة ، وظهور المسام بهيئتها البارزة على
سطح البشرة استجابة عضوية على محرض طبيعي وهو خاصية الحرارة
في تنديد الاجسام ، وجفاف الصرداوي استجابة نفسية على محرض
طبيعي وهو نضوب الصغراء ، وحذر البدوي وقناعتها استجابة
نفسية على محرضات بيئية في الصحراء . ولما كان العارض العضوي
يتحول الى عارض نفسي ، كان كل ما نعهده في الفكر والضمير
ينحل ويبرع الى عناصر بيئية متحولة تحولا معنوياً ، ولذلك
كان حيث تقل مظاهر الجمال ينحط المثل الاعلى او لا يوجد .

لذلك نستطيع ان نعطي هذا التعميم ، بفهم البيئة لكل امة
ومحرضاتها نستطيع ان نفهم حقيقة ما ينبغي لها ان تفكر به .

ولما كانت البيئات تختلف محرضاتها اختلافاً كبيراً ، كان لابد
من اختلاف الفكر ايضاً ، واللغة كما سبق وقررنا احد وجهي
الفكر ، فلا بد ان تكون فيها خصائص روحية من نوع خصائص
الفكر فقد يكون بين مجموع من البشر وآخو اشتراك في اللغة ،

اردت ان اشير في الناس شيئاً فكان موضوع اللغة اول ما
نشرت ، ورغبت في ان اذيع على اجماع الناس حديثاً فكان
موضوع اللغة اول ما اذعت وسيظل موضوعاً اول كل ما اعانيه ،
لان اللغة احد وجهي الفكر كأحد وجهي الدينار على حد تعبير
(ماكس مولر) ، فاذا لم تكن لنا لغة قومية قلنا صريحة فلي
يكون لنا فكر قومي تم صحيح .

ان يكون لنا فكر قومي صحيح ، والى ان يكون لنا لغة قومية
مطموس العالم . ويظهر لنا صدق هذا الرأي اذا ذهبنا ندرس
علاقة الهامي بالانفاظ في حيز الفكر من وجهة نفسية خاصة ، فان
احدنا لا يمكنه التفكير اذا لم تكن له لغة ذهنية ، والفكرة
انما تتكون في رؤوسنا بكلمات او بمسارعة ادق باشباح هذه
الكلمات الثابتة في جوهر النفس . فامكانية التفكير اولا وآخراً
تستند الى اللغة التي يتأتى للعالم استخدامها في جمع عناصر الفكر ،
ففرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر ، ولا
يسعني ان اتبسط في شرح هذا الرأي وسرد شواهدة فقد اصبح
بعد تحقيقات امثال (مولر) الذين درسوا اللغة من وجهتها النفسية
بديهياً جداً . ولكن الذي اراني في حاجة الى الكلام عليه ، هو
علاقة اللغة القومية بالفكر القومي .

بعد ما ثبت لنا من علاقة اللغة بالفكر علاقة تجعلها كالكل
البسيط ، وبعدما اثبت العلماء ان العارض العضوي يتحول الى عارض
نفسي يهتز به المخ اهتزازات خاصة ، وبعد ما اثبتوا ايضاً ان
المعارض العضوية في حقيقتها ليست الا استجابات على محرضات

ولكن لن يكون بينها اشتراك في روحية اللغة .

فالمروية حيناً تبنى لها ان تمتد على شعوب مختلفة بدا الاختلاف في روحيتها ، وان كانت واحدة في مفرداتها ، حتى المفردات لاتبقى واحدة في نكهتها واحساس النفس بها ، لان خيال الانساق في الفكر يختلف باختلاف الفكر نفسه . وتذوق الانفاظ اكثر ما يظهر اليوم اختلافه بين فروع العمامية ، فاللبناني يحس ببعض الكلمات التي اكسبها خياله ألواناً خاصة ، احساساً لا يشاركه فيه أبناء العربية الاخرى . انهم يفهمون معناها ولكنهم لا يتذوقون طعمها ، ذلك الطعم الذي هو روحية الكلمة .

وان محرضات البيئة الصناعية التي تختلف باختلاف العصور ودرجة النشوء الاجتماعي والعمراني ، تؤثر عين هذا الاثر في روحية الانفاظ . فان اللفظة يكون لها من الصور في عصر ما لا يكون لها في عصر آخر ، مع انها لا تزال حافظة لعمائها نفسه .

واليك هذا المثل من الادب العربي القديم ، كانت لدى العرب القدامى فكرة خاصة عن الاحساب ، ولها قداسة يستشعرونها استعماراً نبيلاً قوياً ، وكانت هذه الفكرة او هذا الخيال الذي يصفو حول كلمة الاحساب لا يزال حياً في ذهن عربنا في ربيعة فذهب يعمر عن طهر الهوى وان اخذ ظاهرة الحبابة يقول :
وحساناً جواريا خفرت
حافظات عنك اقول احبابي

فكلمة الاحساب يتذوقون فيها كل ما نشاء ان نتذوق اليوم من كلمة فضيلة او اخلاق .

وبدا عامل جديد الى جانب عامل الاحساب يأخذ محله في خيال العرب ويكون لنفسه هالة من القداسة وهو الاسلام ، ولكنه لم يصل بعد الى قمة القداسة فقال عمر نفسه :

طلبن الصبا حتى اذا ما اصبته نزعن وهن المسلمات الظولم

ودار الزمن دورته وتركز خيال الجديد حول كلمة الاسلام وغدت قداسته تحجي . في الدرجة الاولى من اشياء النفس ، فقال بشار بن برد يعمر عن الصورة نفسها التي اراد عمر التعبير عنها :

أنس غرائز ما همم بريئة كظلبا . مكة صيدهن حرام يحسن من اين الحديث زوانياً وبصدهن عن اخنا الاسلام

فيشار كعمر يريد ان يقول كان غن سياج دون صوبتين ، ولكن ما كان يسلع بشار مبلغاً ما من حاسة الناس الفنية لو قال (وبصدهن عن اخنا الاحساب) ، لانه لم يعد لها ذلك الاسر والخب والتقدس . يدل لهذا صوره الاسلامية التي اجتهد بإبرازها

وانتقائها في قوله (كظلبا . مكة صيدهن حرام) ، مما يشير الى ان العصر استحال فيه معنوية الاسلام الى حد القداسة المطلقة .

ونحن اليوم لا نتذوق في كلمة احساب واسلام ما كان يتذوقه اولئك الماضون ، وربما كان ادخل في ذوقنا وأفضل في احساسنا كلمة اخلاق او فضيلة .

واذكر أنني قرأت لابن شرف الشاعر الافريقي ، ان بشاراً كان اولي به ان يقول (أنس غرائز ما تزن بريئة) أي تهتم بدل (ما همم) ، لانها تقيد انهن لا يتهمن فضلاً عن انهن لم يهمن . وهذا صحيح اذا وازنا فقط بين كلمة وكلمة وأطلقنا للفكر الناظر المجرد ، فان كلمة (تزن) تصلح ان تضاف الى عصر عمر بن ابي ربيعة الذي لم يكن فيه ذلك النوع الشديد من التزمت وغل بحاجة المرأة باغفال فرضها المجتمع ، ولكن في مثل عصر بشار وقد بدأ يستنكر هذا النوع من الإباحة وقد بدأ بالفعل يتهمن هذا السلوك الذي ظهر عنه بقوله (يحسن من اين الحديث زوانياً) لا تقوم كلمة ما مقام (همم) .

ومحرضات البيئة الصناعية التي تختلف في العصر الواحد والمحيط الواحد باختلاف الطبقات والوانها المترابكة تترك اثرًا أيضاً في اللغة والادب ، فالحسن به ابتداء طلبة ويتذوقونه لا يحس به الآخرون وقد لا يحفظ هذا الشاعر ابن الرومي حيناً قبل له انك لا تحسن ان تقول مثل قول ابن المعتز الامير العباسي :

وبدا الهلال كزورق من فضة قد القلتسه بحولة من عنبر

فقال انه لم يأت بشي . انها صودة من الصور العسادية التي يراها في قصره ، أتروني أدرج في مثل قصره ولا افقره .

قال بعض النقاد ان استطاع ان ارد كل شخص الى طبقته من لته ، والى نوع الفن الذي يزاوله .

ذكر ابن منظور في كتابه اخبار ابني نواس (١) ان الجاحظ اصعب ابا شبيب القلال وكان بصيراً بالادب ، شعراً لا بني نواس . فقال هذا شعر لو نقر عليه لطن ، فقال الجاحظ تأبني ان تفارص صنعة القلال حتى في الادب .

اذن فلكل كلمة جوها الخاص في شعور النفس واحساس الفكر ، وهذا الجو تصطنعه القومية وبيئتها الطبيعية والصناعية وبعبارة اخرى المعنوية ودرجة النشوء . والتكليف الحضاري والطبقي فليس في الناحية اللفظية وحده نقدية وانما يراعى فيها اختلاف

اشهر العلماء

الاستاذ هالدين

من

المراكز التي يشغلها الاستاذ ج. ب. س هالدين في الوقت الحاضر . مركز استاذ علم الاحصائيات الحيوية بجامعة لندن . وهذا باب من أفلم حديث ، لم يسمع به كثير من الناس ، حتى العلماء انفسهم على عظم اهميته . وهو - باختصار - عبارة عن تطبيق العلوم الرياضية العالية على دراسة الكائنات الحية . وانه لمن المدهش حقاً ان نعرف مقدار ما امكن اكتشافه فيما يتعلق بالحياة عن طريق استخدام علم الاحصاء والتفاضل والتكامل ، وقوانين الاحتمالات الحسابية .

ولقد تم تطبيق هذا العلم على الوراثة ، بصفة خاصة ، وكان ذلك ثمة جهود لـ جوردون الاستاذ هالدين . اما علم الوراثة فهو الدراسة الفنية للقوانين القريبة والوراثة . وقد تخصص به الاستاذ هالدين فاستطاع منذ سنوات عدة ان يكتشف ان الميوزات الخاصة بكل كائن حي تتوقف على وجود اجسام دقيقة جداً في الخلايا التناسلية تعرف بـ « الجينات » . والجينات هي الدقائق الاساسية التي يتوقف عليها نمو الجسم واتجاهاته في تطوره . فاحدى الجينات تعطيك عيوناً زرقاء ، واخرى تعطيك ذهناً رياضياً ، وهكذا . . . ويمكننا ان نتصور ان دراسة الحالات المحتملة التي يجوز ان تتبادل بها الـاف الجينات عند الايون هي احدى المشاكل التي تتطلب تطبيق العلوم الرياضية المتقدمة .

ولنضرب مثلاً آخر على علم الاحصائيات الحيوية . . . فالاستاذ هالدين يقوم الان بالبحث عن دراسة بعض امراض معينة ، كقصر النظر ، ومرض الميموفيليا ، وبعض انواع الشلل . ودراسة تفاصيل مئات الحالات ، وتحليل نتائجها تجديلاً رياضياً ، يمكنه ان يكشف السن التي يظهر فيها هذا المرض ، في شخص تعاني عائلته احدى هذه الملل .

والاستاذ هالدين قد جاوز سن الخدمة في سلك الجندية . في الحرب الحاضرة ، اذ بلغ الحسين بيده انه يقوم بعمل لا يقل اهمية

اجواء الافلاط ، والوحدة النقدية لما تظهر في كليات المعاني فقط ومقدار تفاوت المثل العليا للامم عنها .

وهذه القاعدة النقدية التي تستند على ملاحظة اجواء الافلاط تفيدنا فائدة خاصة في تفهم طبيعة عصر الادب وما اجتمع فيه من العوامل ، وبها نتصل بطبيعة عصر ابي نواس مثلاً من ادبه وان كانت وثائق التاريخ عنه نادرة قليلة ، كما تفيدنا فائدة اخرى في نقد الوثائق اذا جاءت مخالفة لاجواء الكلمات التي افرغ فيها العصر روحه وتناولها الادب لتتزل في علما من الاداء .

وانا لا اسمح لنفسي ان اتخذ في بحث يتعلق بالنقد ، وانما اريد ان اصل الى ان هناك علاقة قوية بين اللغة القومية والفكر القومي حتى تجاوز بعض العلماء الان ان يفرغوا ان اللغة تتصل بالعصر وهو اغراق بالغ في الوهم . واما رأني الذي اجد الشواهد عليه ويمكنني ان اتقنع به ، فهو ان اللغة تتصل بالقومية اتصالاً تاماً . فلوغة في غير قوتها مشوهة لا روحية لها وفيها روحية جديدة من روحية القوم . فلفافرسية في الجزائر روحية وتذوق لا يبلغ ادق الاحساس بـعند الافرنسيين على ما ملاحظه الدكتور غوستاف ايون في كتابه الاختلال التوازن العالمي ، وكذلك شأن الانكليزية في امريكا فانها انكليزية اللفظ ولكنها اميركانية الروحية ولها تذوقها الخاص .

وبعد هذا ارى الكثيرين يؤمنون بمقياس بمقدار ما يبدل التعريب (اي نقل الافلاط من لغة الى اخرى) سلامة اللفظة في وحدتها وروحيتها ، فقد عرفنا ان في الكلمة الواحدة فكراً وخيالاً . والتعريب اذا نحن نقل الفكر فيها فانه يعجز ابدأ عن نقل خيالها . ومن المهم ان نلاحظ ان الادب وكل ما يتصل به من النتاج فني يستند الى جانب الخيال في الكلمات . فلوغة تقسح للتعريب في وجودها تضمحل اديباً وتبور فنياً .

ولتنا التي نجتهد بد ادبها اليوم ، تتصل بقوميتنا او هي نقطة ارتكازها . فيجب ان تكون عربية خالصة في كل كلمة في كل اصطلاح ، لانها اذا لم تكن كذلك فلن يكون لها ذلك الجو الاخاذ الرائع في خيالنا ، كما انه ان يتألف لنا اسلوب علمي يشير اليها فتذهب كفاتنا افراداً وجماعات دون ان تترك لها اثرأ بارزاً في اللغة .

عبد الله الهادي

وخطورة . ولقد قام حديثاً بإبحاث عدة عن التسمم بغاز النيتروجين
وانه لموضوع ذو اهمية حيوية في حرب الغواصات ، قام ببحثه بنا .
على طلب وزارة البحرية البريطانية .

وليس غاز النيتروجين غازاً ساماً في المآلوف المعتاد ، والا لمتنا
جميعاً ، لانه هو المكون الرئيسي للهواء ، اذ ان اربعة اخماس حجم
الهواء عبارة عن غاز النيتروجين . الا ان هذا الغاز يذوب في الدم
سبباً للاختناق ، اذا ما كان الانسان تحت ضغط كبير ، كما يحدث
عادة في اعماق البحار .

وفي احدى سلسلة التجارب الحديثة ، التي قام بها الاستاذ
هالدين ، وضع نفسه في اسطوانة من الفولاذ يبلغ طولها مترين
ونصفاً ، وقطرها متراً . وربما . ثم حشد فيها الهواء حتى بلغ ضغطه
عشرة امثال ضغط الجو العادي . وفي مثل هذا الضغط لا تستطيع
اي ذبابة ان تطير ، ويمكن الانسان ان يمس بكثافة الهواء وتقله
اذا حرك يديه . ومن الغريب انه كان يسمع صوت عالٍ شتى
مفاصل الاستاذ اثنا حركته ، وذلك لان العظام قد انضغطت بعضاها على
بعض انضغاطاً يبلغ عشرة امثال ما كان عليه من قبل . وكانت
لها ملامس القطيعة ، وبات يتذوق شتاء طعماً معدنياً لاذعاً في فمه ،
نتيجة لغاز النيتروجين المتكاثف . وبعد بضع دقائق ، طارت عليه
حالة وصفها بانها تغير في الوعي ، فضغعت قدرته ذهنية على التفكير
وبدأت تساوره احلام الطفولة ، وميل الى الاعتراف بالذنوب ،
واخذت المذاكرت التي كان يذوقها تنقل في قيمتها ومعناها . فاستنتج
ان الذكاء الانساني يقل الى حد كبير جداً ، تحت هذا الضغط
واشابهه .

وفي مثل هذه التجارب ، لا بد من تخفيف الضغط تخفيفاً تدريجياً
وعلى ببطء شديد خلال فترة تطول ساعات عدة ، والا فان غاز
النيتروجين المذاب في الدم يتدفع منه بصورة فقاعات ، كما تندفع
الفقايع الغازية من احدى زجاجات المياه المعدنية ، اذ يخفف عنها
الضغط فجأة اثر انتراع سدادتها ، وقد تلحق تلك الفقاعات اضراراً
خطيرة في الجسم . وحدث ذات مرة ان ازيل الضغط بسرعة كبيرة
فصادف ذلك ان استقرت احدى فقاعات غاز النيتروجين في احدى
المراكز العصبية من النخاع الشوكي عند الاستاذ هالدين . فكانت
العاقبة ان عانى بسبب ذلك آلاماً شديدة دامت ثلاثة اسابيع على
ان شفاؤه قد تم الان .

والاستاذ هالدين رجل شجاع ، طالما خاطر بحياته ، وقد كابد

كثيراً من انواع المتاعب فاق بها ما كابداه غيره في سبيل العلم ، في
العصر الحديث . وانفق جهوداً مشكورة في كتابة الكتب المحببة
الى الجمهور يعالج بها كثيراً من المواضيع العلمية . ذلك كله الى جانب
اجتهاده النفسية التي يقوم بها .

اما تنبؤات الاستاذ هالدين بشأن المستقبل فهي ذات اهمية
كبيرة ، والى القارىء بعضاً منها :

(١) ان الانسان سوف يتمكن في المستقبل غير البعيد ان
يستخرج غذائه من الحشب والقش .

(٢) سوف نتسكن ، بواسطة الموجات اللاسلكية ، من
رؤية الاشياء التي لا نستطيع العين البشرية المجردة ان تراها في
الوقت الحاضر .

(٣) سوف يأتي وقت نستطيع فيه تنمية اللحم في محلول
كيميائي ، كما نستطيع ان نقطع قطعة من اللحم كلما احتجنا اليها

(٤) واخيراً تنبأ الاستاذ هالدين عن نهاية العالم ، فيتصور
ان القمر سوف يقترب من الارض حتى يبدو اكبر من الشمس
بخمسة وعشرين ضعفاً . ويتخيل كذلك ، ان القمر سوف يقترب
شيئاً فشيئاً بمرور القرون ، محدثاً مدأ كبيراً وزلازل عظيمة ، حتى
تتغير من سطحه الموجة للارض ، حجم بركانية تحيط بالحركة
الارضية نتيجة من التآثرية والنيران المشتعلة ، فلا يلبث القمر ان
يحمى ، وتدفن الارض ومن عليها تحت الاحجار وضباب الانجزة
والادخنة الناجمة عن تناثر اجزاء القمر . . .

بيد ان الاستاذ هالدين يسارع الى تعزيزنا ، فيقول ان العلماء
سوف يتمكنون - قبل حدوث الفاجعة بتلايين السنين - من
استثمار الكوكب المسمى فينوس . وذلك بان يربوا نوعاً من البشر
يصالحون للسكنى في الكوكب البعيد وعلى هذا فنهاية الارض
والقمر ان تكون نهاية الجنس البشري .

وبالطبع ان تنبؤات الاستاذ هالدين ليست الا مجرد ظنون
او امور تخيلية ، على انه يقرر امراً آخر يحمل بين طياته قسماً او فر
من الحقيقة .

فهو يقول : « لو ان البشرية استطاعت ان توسع نطاق ارادتها
الحسنة ، كما وسعت نطاقها الفكري فالجنس البشري يستطيع ان
يثبت ان مصيره الى الخلود والبقاء . فاما اذا لم يتمكن ذلك ، فان
هذا العالم الصغير الخاص بالانسان لا بد ان يصير الى نهاية محزنة »

تصور المستقبل

فلم سربل اربين



ليس

تصور الشيء . امرأ غير احيائه في الدهن ، واستدعائه الى الذاكرة ، ان هو الا تخيل بكلمة واحدة . فتصور الماضي هو احياءه ثانية بفضل قوة الابداع وهو استدعاء حوادثه وصوره وبجاليه ، وتخيل صفحاته وسطوره . ولن نعرض في هذا البحث العاجل الى المشكلة التي انعم فيها علماء النفس والفلاسفة الى فريدين : اعني مشكلة الذاكرة وهل هي قابلة لان تستبث الماضي مع عواطفه وقوانينه ، ام ان هذه الاخيرة اذا احست فانما هي عواطف وقوانين جديدة عفا الحاضر ، واوجدتها الحالة الراهنة . فهذه المشكلة لا تحل هنا ، والذي نعرفه ان التخيل هو تذكر الشيء . الماضي ، فكيف لنا بتصور المستقبل وتخيله ؟ سربل علينا كل السهولة ان نعبد في ذهننا الماضي لانه شيء . عرفناه ، ومررنا به ، واثقنا قليلاً او كثيراً ، اما المستقبل فهو الذي سيكون ، وكيف لنا بتصور الذي سيكون ؟ جوابنا على ذلك ان التصور في هذا المعنى الاخير ليس الانوعاً من " الخلق " ، انما هو عمل الخيلة المبدعة الخالقة ، عمل قوة فاعلة مولدة ونستطيع ان نختصر ذلك كله وندرجه في كلمة واحدة هو عمل الاختراع يمناه الصحيح الواسع . وعلى مقتضى هذا المعنى نستطيع ان نفهم ان نقطة بدء الاختراع العملي الالهي هي الاختراع التفكير في الحاضر . وينبغي لنا بعد هذا التعريف ان ندرس تركيب هذا التصور وان نتعرف الى تكوينه وكيفية نشوئه .

والذي يبدو في حكم المقرر الذي لا مشاحة فيه ان تصور المستقبل ليس نتيجة سهلة لتذكر بسيط . وبعبارة اخرى ينبغي ان نسلّم ان ذلك التصور مسبق حتماً بمرحلة طويلة الامد شغلها قوة عاقلة ومحسوسة . وعلى هذا الاساس فني وسعنا ان نرض ذلك

الرأي القائل بأن هذا الاختراع متصف وموسوم بسمة الفجاءة او البدهاء او البغته . والذي يؤيد هذا الرض ويدعمه ان عدة مؤثرات ودوافع تتعامل وتتكاثر لتكوين ذلك التصور ، تصور المستقبل . وهذه المؤثرات تتطلب وقتاً ليس بالقصير لتأخذ مكانها في نظر المتصور وعقله . واذاً فلسنا نقبل ذلك الرأي لانه يخالف الواقع بله الحقيقة .

ولكني نعرف الى كيفية تكون التصور يجب علينا ان نعرف الى الذي يستعمله هذا التصور ليتكون تكويناً كاملاً . ولما كنا قد سلمنا ان التخيل يتطلب قوة فاعلة للخلق ، وان هذه القوة تستعمل معطيات التجربة الماضية ، فنستطيع ان نتنبى الى القول ان من الضروري الذي لا غنى عنه ان يستخدم الماضي لتصور المستقبل . وهذا امر لا خلاف فيه ، فان كل احد منا يهتم بما فيه ويعتبر به وهو يتصور مستقبله ، وقد ندر ان نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان هذا التصور مشروط بجالة الماضي : فالماضي هو في الحق قائد في السبيل الى المستقبل وهو دليل امين .

ذلك انه يتيح لنا ان نعرف قوتنا ، ونسلم ان نطلع عيسى قدرتنا وطاقتنا ، كما يتيح لنا ان نكشف عن ضعفنا ونحسر عن عدم استحقاقنا وعدم استهانتنا في الامور التي تعرض لنا . فحين ان نحز ، بل ان نؤم آتيان عمل اثبت لنا التجربة انه غير محمود العواقب ، او انه - على الاقل - لا يؤتي الثمرة التي رجوناها اذ قبلنا عليه ، واذاً فلن نرضي ان نتصور هذا العمل نفسه في تكوين المستقبل الذي هو محط رجائنا ومعتقد آمالنا ، والذي نسعى دوماً الى ان نعمل له ونخيله لا شائبة تشوبه ، ولا نقص يعتريه . وعلى العكس من ذلك ، ان تراءنا نرد العمل ونعيد العمل الذي اثبت لنا

تجربته انه مفيد وصالح ومؤت الثمرة المرجوة

وهكذا يضعي نبأ نتج من مائه لخلق بحيرة المستقبل . وهو ، الى كونه هذا النوع الذي لا ينضب ، دليل امين ، ومرشد لا يخون .

ولا ريب في ان الماضي عامل واحد في خلق تصور هذا المستقبل وليس هو كل شي . فلما نستطيع الانكار بان الزواج والجيله اثرأ كبيراً في تركيب هذا التصور الذي زدد انه يحصل في الحقل العاطفي الشعوري .

فان الشاب المتهدم الجسم ، الضعيف البنية ، البدن الاعضاء ، لن يتخيل يوماً ما انه سيصبح مصارعاً جباراً ، او ملاكماً مقتدراً . هذا من حرج التكوين الجسدي . ولا شك في ان للتكوين العقلي نصيبه من هذا الاثر . فارجل العامي الذي تستهيم عليه المعاني ، وتستغل الافكار البسيطة الفنية ، متيقن كل التيقن انه لن يكون فيا يأتي من ايده مفكراً متعمقاً او فيلسوفاً متبحراً .

ولا يعزب عن فكرنا الاثر الوراثي ، فان له نصيباً لا يستهان به ، فكثيراً ما يمس ابن معجب بابيه بعض الاعجاب او كله ، بأن يتخيل نفسه كآبيه . واكثر من ذلك كله ، فانه يراه معقوداً الى تقليده ومحاكاته واقتصاص آثاره دون ان يضره هذا القدر العظيم من الاعجاب والاكبار . وبوسعنا ان نتحقق نتيجة هذا الاثر

الفعلية في تكون الاسر الكسالة التي تنهين مهنة الاب في الموسيقى وعلى الاخص القديمة منها . فنحن نعرف اسرة « باخ » الموسيقية العظيمة ، ونعرف انواعاً من الشعوب : الشعب الصياد ، والشعب الراعي ... الخ ... ليس من شك في ان مجرد الوراثة في هذه الانواع من الشعوب يساعد كثيراً على تحقيق تصور المستقبل .

ونومي هنا ايضاً الى عامل التربية ، فهو ايضاً عامل فعال فيا نحن بصدده فالشاب الذي ينشأ على الفضيلة يعز عليه كثيراً ان يتصور نفسه في مستقبله رجل زذبة وفساد ، والشاب الذي ينشأ بالعكس على مقارفة الشهوات واتباع الاهواء ، يد خياله المنان في التخيل الفاسد .

ثم ان الاهل اذا افضوا الى ولدهم رغبتهم في ان يكون بعد طبيباً او محامياً ، لم يترع هذا الابن تلك الرغبة ذاتها من نفسه .

بيد ان المؤثر الذي يظهر اوضح هذه المؤثرات جميعاً واجلاها هو المؤثر الاجتماعي ، فان كل تصور ينبغي ان يحل اموراً يعرضها المجتمع ، وان يوافق نزعات يبدئها هذا المجتمع الانساني العظيم . والحق ان ميولنا ونزعاتنا وحاجتنا وتمنياتنا مقيدة بالمجتمع الذي

نعيش فيه ، ومحاطة من كل جانب بتقاليده وعصائمه . فقلماً يتخيل رجل نفسه ملجداً زنديقاً في وسط يدعو وبشر بالايمان واليقين . والحقيقة ان كل شي . راجع الى نمط المعيشة ، وطراز الحياة . في عهد الثورة يرغب كل مواطن في ان يكون جندياً ، ويجعل تحقيق هذا التصور غاية ومطلبه . وكذلك زى ان كل شاب قرأ مسرحية هينو « Hernani » على اثر صدورها كان يجد السعادة كلها في ان يتخيل نفسه بطلاً رومانياً كبطلها . وفي عهد النبي محمد عليه السلام كان كل مسلم يتحرق شوقاً الى ان يكون شهيداً في معركة من معارك المسلمين حتى ينال اجره ويدخل الجنة

واذن ، فانا نعلق اهمية كبيرة على اثر المجتمع في تكوين هذا التصور . والاثر الذي يهينا هنا بنوع خاص هو العامل النفساني (البسيكولوجي) . فان تلك القوة الخالقة ، التي هي التصور المبدع ، هي فعل نفسي قبل كل شي . اذ انها تبع الفاني اولافقر الشعوري العاطفي ، وان جهود الفكر التي تستهدف تطبيق التجربة او توفيقها مع التصور مقدومة بؤثرات شعورية . ويرى « ريبو Ribot » في هذا « الاختراع او الخلق » - « غريزة حقيقية شريفة بطبيعتها ونوع هذه القوة المقدورة التي تولد كل قوة خالقة وتسير بها الى كمالها ونهايتها ... »

وهكذا يتبين لنا ان تعامل جميع هذه المؤثرات يكشف لنا عن تعقد تصور المستقبل الذي يتطلب تفكيراً مستطيلاً وجهداً دائماً . واما فائدة تصور المستقبل فتتلخص في انه محرك للحبوبة الفكرية ، ثم هو يستحث الحياة النفسانية كلها فيجعلها في تيقظ مستمر ، وحيوية دافقة ...

سربل ادريس

الواحة

مجموعة شعر لصلاح الاسير

نصدر في شهر غوان

مفكرات الاديب

الشعرة البيضاء

لفؤاد باشا الخطيب

يا شيبُ، ليت قنبر الشيب لم يبين
وإن حَقَّقْتُ على القودين مَحْنَةً
فكيف إخطأت سير الدهر مستقيماً
فكيف خأت وشرخ العمر لم يَحْنُ

أصبحت أضحك من نقي واجعدها
فالعيش ما سود شعري أبيض بيبس في
أون من الحسن تربد الوجوه له
فهل سمعت يحسن ليس الحسن

وإن شكوتُ من يضاء سفرة
كانت ليالي بيضاء وهي قاحمة
واندثرت اقتراب الحين ضاحكة
ودبت إلى السر فافاضته بالحن

فانظر إلى «الشعرة البيضاء» أن لها
كأنا «إرابة البيضاء» برقعها
في الخراب من يطق سيرا على الحن
ومن الخربة والسلام للزمن

يا فائز بن فائزكم من يضاء سفرة
أليتهم من وفود غدم حشد
فاستغرق الدهر واسخر منه متعباً
بالعمر قرع دأب القادح الأرن

إن التواني إن بأنس منك هوى
وظفن حولك لا يحذرن غائلة
ولا اختلال عود مرهف الأذن
شعرن غوك عن لصور وعن ددن

وإن دعوتك عما تارة وابتأ
فخذ بمظ من القربى وإن بعدت
وباسمها انتم التقييل واحتضن
رمن بالقول رمي الساعر الحن

وما يترك إن يضجكن عن طرب
وإن يقن، وقد أصبحت نسيلة
وقد يظن بأن الشيخ مؤنن
وشرتب اليك الحور من عدن

فإن لمحت العيون التجل بمرشة
وارشف من الزيق علا شت أو خلا
وخل عريدة الإهين بمنتماً
فإن شرخ الهوى في شينها البين

مهم وراء يياض الشيب في جن

وقل لمن ذم عهد الشيب مفتشاً
فكيف يطلع لون الصبح لابسه
وصكيف يدل عن لون الحمام الى
وهل احسنت غصون البان ما حملت

مهلاً ففي الشيب من بعد الصبي عظة
يدعى الوقار ولكن تلك تعمية
تلج على الرأس لم تترك برودته

لا تنفل الخطو الا نقل مثد
وترسل اللحظة البلباء مدقة

جررت رجلك في الدنيا فن غرض
كان كل الذي كابدت من نصب
فان بكيت على الايام غابرة
وان طمعت ملجاً تسشف غداً
فاقم حذنة دهر قد ظفرت بها

اني احتجيت عن الخلان قاطبة
وكم حملت هموم الدهر من مضت
وكم رأيت رقيق القوم يدم
مرأى تنجست الابصار من نظر
http://ArchiveBeta.Sakhril.com

ما احفر الخي عندي بد تجربة
فأسأل به الطلل العظمى منخلتاً
هل الشناعة الا فيه حجة
وهل عدت حاله الانبوب متصلاً
يتاح من تلك ما يليقه بأسرناً

وكل ما فيه من غيال ومترخص
ولو هبطت بها الاسواق تنفعا
فذره للودود زعن اللحد ممتنناً

ولا ازيدك بالانسان معرفة
كشفت عن نظرة الدنيا اليه فان
هناك تلم ما للخي من خطير
يسم به الروح فوق الكون قاطبة

فؤاد الخليل

بشار بن برد

بنم مارود عبود

مدير الجامعة العربية بعمان



فن بشار

فشار شيخ الرثافة وفاقح باب السخرية بالاقدمين للذرية . راز
بشار شعر القدماء فاستخفه وجرو عليه ، فانكب على خلق صور
جديدة من عمل وطن الف ليلة وليلة فهز نفوس الرواة والسامعين
بشعر يطلع بصور حياتهم المتحركة ، فاعجب به الاصمعي وفضله
على ابن ابي حصه المحبوس في قفص زهير .

جاري بشار الاقدمين وسأل الطلل مثلهم ولكنه حدثهم بروح

بشارية ولغة مولدة فقال :

ابى طلل بالجزع ان يتكلما وماذا عليه لو اجاب متيا
فهو لا يدع ابداً اسلوبه ومنطقه ، يطلع شجرة الجاهلية
بالهرام الباسية المشربة ، وبلقع ذلك الهيكل الموم بدم جديد ،
يقوده في ذلك المترك الفني ذوق نقدي مرهف يحسن به الانتقاء .
والاختيار ، فلا يضع حجراً في بنيانه ما لم يقبله على جميع وجوهه
عارضاً اياه على بركاره وزاويلته . أنشد بشار مروان بن ابي حفصة
هذا البيت :

واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم

فقال مروان : جعلني الله فداك ، يا ابا معاذ ، هلا قلت خرس
بالصمت . فأجابه بشار : اذن انا في عقلت فض الله فاك ! أنطير على
على من احب بالخرس « فانظر الى اي اقق من آفاق الفن يذهب
ببشار ذوقه ونقده .

شعر بشار مديح وهجو وغزل . اما مديحه فنصائح وحض على

عاش الشعراء الجاهليون على الانعام فاحتلت صورها ساحة
مخيلتهم واستأثرت بشعورهم . فكان الله لم يخلق الفرات ليعطي
الفردوس الارضي كما جاء في كتابه المقدس ، بل ليشبه به النابتة
ابا قابوسه ربيع الناس . . والاخطل سيده عبد الملك ، خليفة في
الذي يستقى به المطر . لم يهمس بردي في اذن التغابي حرفاً ، ولم
تومي . اليه (القوطة) باصع . فلولا ذلك (الجهر) الذي اتى ابن
مروان ، ما ذكر اسمها شاعر (خف القطين) . فازدهور عند قدمائنا
محمل وارجوان ، والشقيق اعلام ياقوت شعرن على رماح من زبرجد ،
والورد والتفاح خدولاً وطعماً ورائحة . وقطر الندى لاكي . ،
والنجوم ددر مشرقة على بساط ازرق ، والأعشاب بساط زمردي ،
وبعض الثمار كرات ذهبية ، والبعض الآخر كمرمان ، والحليب
كزهر والمياه فضة سائلة الخ . ما هنالك من صور جافة ولا عجب
في هذا فخيال الجاهلي خيال طفل كبير .

لم يعجب هذا النوع بشار بن برد فشار عليه فقال مستهزئاً
بزعمهم امزي . القيس . لم يطل ليلى ولكن لم انم . ثم احمى
بسوطه على قفا زهير ، مخوف الاعراب بيوم الحساب فقال :

كيف يبكي المحبس في طاول من سيفضي لجس يوم طويل
ان في البعث والحساب لثغلا عن وقوف برسم دار محيل

فلا يظن من ظن من دارسي اشار ان بشاراً مؤمن هنساً ،

الجود ، وإيما الى الجائزة ، وتهديد ان ابطأ المدح . واما الهجو
فيعد الالهام فيه فن يشار ايما مدد وبغلي مرجل سخطه ، وتبلغ
حساسته حد الغوران اذا حرم . واما غزله فمشوق مغر بالفسق والفجور
اقض على العلماء الصالحين مضاجعهم فحملوا الخليفة على نعيي بشار
عنه ففعل .

ادرك بشار الجمال بعين الغريزة العمياء ، فتخيّل المرأة مسادة
غذائية لا غنى عن استهلاكها ، كالسكر والرز ، فقال مستعظفاً
عبدة :

نقسي يا عبد ، عني واعلمي اني يا عبد من لحم ودم
صورة رائعة نادرة خلقتها بخيلة بشار من اتفه المواد وأحسها .
رأى نفسه محقونة في زق الجسد ، وخشي ان ينشئ ذاك الزق
البشاري ان لم ينفس عنه ، فانطق كل حور من بيته باستعطاف
صارخ بلغ به ذروة الفن الرفيع . تعالى عن العوام وظل بينهم ،
وهذا سر فنه وموضع التعجب منه . فحلاوة فن بشار هي في
استعاره هذه الصور التي لم يمل بها القدماء ، وكسوتها بالفاظ بحليّة
وضعت في مكانها الملائم ، يحوطها الشاعر بهالة فنية شافقة فتبدو
كوجه الحسناء من خلال البقع . وهكذا يجمع شعره صفات
قوة ، وموسيقى مع شدة ، فيغذي الذوق والمطابقة معاً . انظر
الى هذه الصور التي اخرجها في مدحه خالد بن برمك :

لعمرى لقد اجدى عليّ ابن برمك ،
وما كل من كان الفنى عنده يجدي
حلبت بشعري راحتيه ، فدرتاً
تماماً ، ككادر السحاب مع الرد
اذا جنته للحمى اشرق وجهه
اليك ، واعطاك الكرامة بالحد
له نعم في القوم ، لا يستثيما
جزاء ، وكيل الساجر المد بالمد
مفيد ومتلاف ، سيبيل ترائيه ،

اذا ما غدا او راح ، كالجزر والمد
لمست بكففي كفّه ابتقي الفنى ،
ولم اد ان الجود من كفّه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذؤوب الفنى
افدت ، واعسداني فأتلفت ما عندي
وكفوله لا آخر :

اورق بخير ترجى للنوال ، فسبا
ترجى السمار ، اذا لم يورق العود

فهذه الصور ، وهذا الاسلوب يقبلان على شعر بشار الذي
خاطب الناس بلقمتهم فنهتهم ، واراننا انه اقدر الشعراء على تأليف
الكلام حقيقة وبجازا . والقرآن الذي جملة العرب ملاك الشعر
تداوله يد بشار متى شاء . تأمل كيف اخرج هذه الفكرة
باسلوبه الحلي الناصع :

خذي من يدي ما قل ، ان زماننا

شمس ، وممزوف الرجال رقيق
ففي كل مجال يده هذا النفس الفني فيبعد شعره عن اليبوسة
والجمود اذ يغفل بالكلمات التي تهيج اعنى طبع الشعور . قال بشار
يهجو باهلة :

قد هجاني معشر كلهم حق ، دام لهم ذاك الحق
ليس من شي ، ولكن غاظمهم شرفي (العارض) قدسد الافق
فانظر كم حل كلمة (العارض) من افعال ، ثم دعها
بعد سد الافق فنهضت بفكرته نهوضاً عجيباً موعاً قول الاصمعي :
ويلي على هذا العبد الفن ابن الفن . أجل ان يشاراً فن ابن
فن ، ولكفه في فنه ابن الارواح وشرفه الفني قد طبق الافاق .

فهذه الصورة الفنية الجاذبة تلب نفس بشار في كل غرض من
اغراض شعره وخصوصاً متى هجا ، وحين لا يهجو بشار فهو يتعاسف
هاجياً ، ويتمنطق هاجياً ويتمذهب هاجياً وبأكل ويشرب هاجياً ،
لا يطيب له عيش الا اذا سب . واخرج شعره مغزلاً . ان رقعة
بشار في افاظها تلك لافي صوره التي يضخمها ، ففي خزنة مصنوعات
لدنة شافقة واخرى قاسية جافة كقوله : والشمس في خدر امها ،
وبنو الموت ، وام المنايا ، وقناديل ابواب السماوات تهر . ولكل
منها موضع وابعها واشدها يأتيه متى احتاج . واذا رأيت وهو
الاعمى ، يتحدث عن النور ويشبه بالسراج ، ويشق العمى بالسرووف
فاذكر انه مجوسي النبعة ، وعرق الاصل نواز .

قال لاورتين حين قرأ مجموعة هيفو (العقاب) : ثلاثة الاف
في البغض ، هذا شي . كثير . فما تراه كان يقول لو سمع ابن برد
يذكر ان له اثني عشر الف قصيدة ، ابتدأها بهجو آدم ، وختمها
بهجو الخليفة الذي يلعب بالدبوق والصولجان واشياء اخرى .

ولشعر بشار خواص اخرى منها حرارة متقدمة تنتشر في كل
مقطع ، وسرعة كأنها البرق . اقروا ارجوزته العجيبة التي مطلعها :

يا طلل الحلي بذات الصمد بالله خبر كيف صرت بعدي

فتخال ان صخوراً تتدهور ورعوداً تقصف ، ومدافع رشاشة تنصب قذائفها على الهدف . فشعره يجري كأنهار لبنان فيه جمال وموسيقى يخرجها الشاعر من تراوج أنفاظ ذات مخارج ملائمة وحروف شديدة غير متنافرة . وفي كل غرض تحس هذه السرعة . اقرأ قصيدته : قد لأمني في خليتي عر ، ترانه لا يعقني اثرامري . القيس كابن ابني ربيعة . بل ترى على قصيدته الطابع البشاري الذي لا يقلد . وحسب بشار تميره الناصع واتباع قصيدته خطلة مثلي لا دوران فيها ولا لب ، كمتنة وزهير ، ولا تلهي بالافاظ كالبحثري ، ولا يقلق قارئه بشروحه الباردة كابن الرومي ولا يستغيث مثله بالله ورسوله من مهجوه بل بضربه ضربة تقررص اللحم وتكسر العظم . له في هذه الوغى سلاحان : اما تصوير مضحك كما في قصيدة الشاة ، واما نكتة موجهة كقوله :

كيف لا تحمل الامانة ارض حملت فوقها ايا سفيان يعضده في هذا العمل الشاق دقة تفكير وحدة شعور وحسن اداء ، كما يطلب بيغون . وزد على ذلك ذكاء عجيبي ، وبديهة وثابة ، واردة نهضة لا تقنع بما دون التام .

غارات بشار العجيب

لبشار غارات فنية تصدق قول الاخطل ، الشعراء اسرق من الصاغة . فرغم كل دفاع سلمي يصيب بشار اهدافه ويعود ، كالشعري ، والليل اليل . انظر ما فعلت يده بيت الثانية المشهور : ولست بمسبوق احا لا تله على شعث ، اي الرجال المهذب . فقد طرق الصائغ اخاذق هذه الشبكة الذهبية ومددها وصيرها اشكالاً وانماطاً طريفة تقرر له بالاستاذية . قال :

اذا كنت في كل الامور معاتباً
صديقك لا تلقى الذي لا تعاتبه
فعلت واحداً ، او صل اخاك فانه
مقارف ذنب تارة ومجانبه
وان انت لم تكرب مراراً على القذى
ظلمت واي الناس تصفو مشارب
ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

لست نستدل بهذين النظمين الادبيين على عقلية شاعرين كبيرين بل على عقلية امتين مختلفتين . فعروبة بشار لم تجرده من فارسيته فيفكر تفكيراً عربياً خالصاً . العربي يوجز ، اما بشار قارئ عرق منطقي مطبوع على التبسط والاسهاب . ولكن منطق بشار منطق مجنح يغفر في المأزق فلا يعرقل سير الفن ، ولا يفسد اسفاف ابن الرومي في بسط الصور وعرضها . والغريب العجيب ان الكلام المتعقبي يرك حين يصفه ابن الرومي ، والافظة المتبدلة تره وتسمو في شعر بشار . فكلم من عبارة تلو كما الانسان كل ساعة ادخلها بشار في شعره الرصين فسانبت ولا اشتكت غربة . فهو يقول دار البلى ، ومن لحم ودم ، ومحسن ومجمل ، وكم نسمع حتى الساعة من يقول يا محسن يا مجمل . فكان لدى هذا الرجل اكسيراً فنياً عجيبياً يلامس الحجر فيجعله كالذهب الابيض . انظر كيف امسى بيت الفرزدق الاعجب لنا ناضراً كأنه من الرطيب .

وكنا اذا الجبار صغر خده
مشيتا اليه بالسيوف نعاتبه
انها سرقة صيرها ذوق بشار الرفع حلالاً زلالاً . اما من راخذون عن بشار فيقصرون عنه تقصيراً فاضحاً . قال بشار في جارية احبها رحمه الله :

يا اطمين القلبين بغير مختبر
الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في العمر واحدة
ثني ولا تحمليها بيضة الديك
يا رحمة الله حلي في منازلنا
حسي برائحة الفردوس من فيك
فاخذ البيت ابو نؤاس يقول :

يا رحمة الله حلي في منازلنا
وجاورينا فذلك النفس من جار
فشتان والف شتان بين (رائحة الفردوس) وبين (جاورينا) في ملائمتها لرحمة الله . ناهيك ان فذلك النفس من جار ، من سقط المتاع . ولست محتاجا بعد الى ذلك على استدراك بشار للدقيق بقوله غير مختبر ، ولا على بيضة الديك وهي بضاعة بشارية ذات (ماركة مسجلة) . ولا تعجب ان رأيت بشاراً مولعاً بالرائحة فسلحه من الحواس سم ولس وذوق وشم . فالحديث العذب عنده ثمر الجنان ، او قطع الرياض كسين زهراً ، وهو يرى باذنيه واصابعه كقوله مخاطباً سهيلاً :

توكم يا سهيل ، در وهل يبط
مع في الدرد من يدي متعتي
فاجني يا سهيل ، من ذلك التث
ر نواة تكون قرطاً لبتي

فزاده سهيل قرأ على ان لا يزيد بهار هجاء . وبشار فنان في كل موقف حتى الحديث وله في هذا الباب آيات تثير الضحك وتستدعي التفكير ، وكان غرزة بهار الفنية واطلاعه الواسع وبصره بالغة أوحى اليه فاعل من التشايب ولم يخرج الصور في قولها المعبودة فاستغنى عن كأن والكاف وما اشبههما . والشيع بهار من كبار علماء الكلام يظهر ذلك من اخذه بيت لبيد القائل :
وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوماً ان ترد الودائع
قطعه على غراره المعهود مخاطباً خالد بن برمك :

أخالد ، ان الحمد يبقى لاهله جلالاً ولا يبقى الكون على الكد فأطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقا ، ان العواري لارد لم يقل ودعة لعله ان الودائع لا تس شرعاً بل تعاد عيناً ، اما العارية فلها دواء اذا هلك . وزاد بهار (اطعم وكل) موافقة لغزة المولد ، وتحويضاً على الجائزة التي يحمل بها شيخنا دائماً ، ويدور معها كعباد الشمس . نبتنا عن ذلك صوره التي اصطفاها وآثرها في مديحه .

يعقوب ، قد ورد العاة شعية متعرضين لبيت المتناب فسقيتهم وحسيتي كدونة نبتت لودعها بغير شرف كانت ملامتها على الخلاب تعطي الغزيرة درها واذا ابت وكقوله :

دعاني الى عمر جوده وقول العشرة بحر خضم ولولا الذي ذكروا لم اكن لأمدح ربحانة قبل شم واخيراً :

كانفا جنته اشهر ولم اجي . رغباً ومحتلباً وهذا البيت الاخير من غنائم بهار في احدى غاراته على زهير وكلمة (محتلباً) هي الطابع البشاري الذي لا يقدل . ولم يسلم الاخطل من غزوات ابي معاذ ولكنه لم يوفق فاسف في خروجه التي مطلعها «يا ابن موسى ، ماذا يقول الامام » وقصر في تشبيه الرق يسحب على الارض ، فما ابعد قول بهار : وكان الرق زنجي سرق ، من قول شاعر تغلب .

انما فوجروا شواصيات كانوا رجال من السودان لم يسربلوا واذا طلبنا لبشار مثلاً بين شعراء الفرنجة فما نجد غير بودايه .

الشاعران يتفقان في الصناعة الفنية ، والاخلاق الصاخبة المعقدة ، والرعاة الادبية ، وفي الثورة على ايقده الناس ، وصداقة ابليس وحب العبد السودا ، واستغاط الرأي العام واغضاب الحكومة والمجتمع .

واذا كان لا بد من خلاصة لكل بحث فاقول ما يأتي :
١ - يقوم فن بهار على خلق صور حضرية لا صلة لها بالجاهلية

يخيط لها من فصح المولدين ثيابا مغرية ، مفصلة على قدها .
٢ - على السرعة والموسيقى المطردة يتوسل الى ذلك بانثقا.

الالفاظ الملائمة وتجنب التقديم والتأخير والجل الاعراضية ، وتقسيم اجزاء شعره تقسماً دقيقاً كما ترى في هذا البيت :

اوجش كجش الليل ينعف بالحا صا والشوك واخطي جر تعاليه
فالباغة العربية لا تعتمد على الحروف الصوتية كما توهم المتشرق بلاشير ، بل لها موسيقى تجدها في الحروف الساكنة ، والفتان الاصيل يختار منها غير متعمد ما يلائم غرضه ، كما فعل بهار في البيت السابق . فلانغرض الواحد احرف متعددة عندنا ، تتناوب ضخامة وصوتا كالطاء ، والتاء ، والصاد والسين والثاء .
وله جواب

منه شعر بهار ويشد حين يماكي المتقدمين ويقال سهلاً لانه يجنب العاظم الوحشية وطرق تعبيرهم

٤ - لم يخفى . الجاحظ حين اخذ ابن برد بين مشاهير خطباء عصره ، فشعره كله موصغ صياغة خطابية ، وقصائده مبنية تهيئة منطقية لا تطفي . من حدة العاطفة ولا تنحسر شيئاً من سمات الفن

وبعد ، فتارة بهار التي افضنا في الحديث عنها لم تتناول كل ما نطلبه نحن اليوم ، ولكنه فك اغلالا وعظم قيوداً تخلى بها بعده البحتري وابو تمام فماد الشعر العربي سيرته الاولى .

اما ابو نواس ، ونه من يفضل ، فما اراد الا تليد بهار النجيب وحسي الجهمان قول الجاحظ : بهار وابو نواس معنساها واحد والعدة اثنان ، قد يكون ابو نواس اخف ظلالا ، واخرف ثلثة وارشق ، اما بهار ففنان لا يضاها ، والكلمة العامية (شيخ كار) لا تنطبق الا عليه .

مارونه عبود - عاليه

أركيلتي (١) تمددت صفاتها
جليسني في وحدتي ، انيسني
من نسل طهاز (٢) رأيت كسري على
يسبح منها الغلب في قارورة
يمتد من صميمه بهريشها (٣)
تنوحت بالنار فهي علم
فاعجب لها معشوقة غريبة
واستحكمت من اضلي لذاها
تطرب مني النفس ككركرها
ايوانه ، موزونة دقاها
تحف في مياها اناها
فتجلي عن صدرها كبرياها
تأتم ان ضلت به هداها
في الماء والنار انقضت حياها

أخلو من الصبح جا وأغتدي
ألثمها ثم أعضّ فيها
فلتني انقاسا في لذة
ولول الدخان ترتاح به
وتفرّج الحوم منها نقشة
والنفس تلقى في السكون راحة
في نشوة تمنيني قبلاها
حتى تروي شفتي لهاها
اما ضلت ، انقضت جراحها
نفس عليها ازدهت علاها
تكثر في سكوحها عطاها
اذا الحوم استحكمت حلقها

قضت على بالنسوار (٤) مداعة
فكننت اخفي الوقت مع اركيلتي
أشها من فاني عدها
فتنسا من وكلا صامت
وان أحدث سكنت راضة
رفيلة مطواعة ، نديها
ترق ان رق لها جلسها
يا ليت كل امرأة تأخذ ما
فتسمع الحديث ان دار ، ولا
سبابة تمددت لوثاها
لي شكاتي ولها شكاها
روحاً بروحي امتزجت زراها
فان نجت عذبت نفاعها
لا تقطع الحديث شغفها
في راحة توتنه جلسها
وان قسا ، لانت وطابت ذاها
اضلوت على عموده صفاها
تقطعه بالصف ثراها

سبدي عوا فاني هازل
اذا بدت اركيلتي لي بججة
والنفس في الهزل لها سقاها
فانت الدنيا ، ولي ، بجهاها

أركيلتي

لجرايه نوبتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrj.com

(١) هي تحريف عامي للفظه الفارسية « تارجيلة » وتسمى في مصر « شيشة » مأخوذة عن الاصطلاح التركي ، ويسمونها اهل اليمن « مداعة » وفيها يقول شاعرهم : مداعني انيسني جليسني في وحدتي تفول في كركرها بالله خذني بالتي ..

(٢) تفول الاسطورة انه مخترع التارجيلة (٣) ويسمى في مصر « لي » (٤) اشارة الى الايام التي توارى فيها الناظم عن رجال الامن الذين سموا الى اعتقاله قبل دخول الحلفاء الى هذه البلاد لسبب سياسي ، فنظم قصيدة الاركيلة فيها نظمه من مقطوعات

السخرية في الأدب

بسم الدكتور قنول فياض

ألقى

التغير في المدن الكبرى فهو مضطرب لهمز قريحته واستقرال الوحي عليها ان يظل على اتصال دائم بالانسانية على اختلاف طبقاتها ووسائل ذلك معدومة لديه . واذا وجد بين مشاهير الادباء في انحاء العالم من يسم له الخط واعتنى فلا بد من اسباب اخرى غير القلم والقلم والقرطاس .

ولقد بحثت عن العامل الاساسي في تمتع الثروة على الاديب فوجدته في هذا الخطأ الذي يقع فيه حملة الاقلام بخططهم بين الرسالة والمهنة ، فالاديب كرسالة للتعبير عن الحق والجمال والاحلام النبيلة وأشواق النفس السالفة لا ينظر من ورائه ربح مادي . حسب صاحبه ما يقدمه من الخدمة لحاضر الاجيال وآتيها . واما ان يكون وسيلة الاسترزاق فامر يتطلب شروطاً للنجاح كسكل مهنة ولا سيما لان الادب من الكباليات . تدخل على بائع العطور فتستقبلك الزوايح الذكية المنعشة وبفمك الشذى العابق في كل ناحية من ارضه وجوه وتود ان لا تبجح مكانك ، ولكن العطار شي . كمالى قد تستغني عنه بينما انت لا تستغني عن الملبس والمطعم وما اليهما من ضروريات الحياة . والاديب كالعطر فالاقبال عليه على نسبة الحاجة اليه نعم ان له عاقلاً ولكنهم قلائل وما اكثر الذين يفضلون الفنا . على كل شعر ينشد او خطبة تقال او رسالة تقرأ . ما العمل ، كذا خلق العالم فان الاديب يصرف شبابه بين المحابر والدفاتر ويسكب على الورق انوار الخلق ويذيب روحه كالشمعة وقلما تنقشع عن فؤاده ظلمة اليأس وظلمة الفاقة . بينما نجد رجلاً امياً يكاد لا يعرف ان يقرأ او يكتب اسمه ولكن الطبيعة حبته عضلاً قويا او صوتاً شجياً فاذا بالثروة تنهال عليه والنجاح يؤاتيه من كل صوب .

علي امس احد الادباء . هذا السؤال الذي لم اكن اتوقمه : لقد مضى عليك اكثر من ثلاثين عاماً وانت تكتب وتحطب في الذي ربحته من ادبك وخطبك ؟ وكأنه ادرك الجواب قبل ان تتحرك به فتاتي فأضاف : هذا موضوع جديد يمكنك ان تتخف به قراء الاديب « السخرية في الادب » وملكك تعيد الكثير من ناشئة اليوم الذين يتلقاهم هذا السراب الغرار لدى خروجهم من المدرسة فيعلقون عليه من الامال ما لا تحققة الاعمال .

الادب ، والمقصود به هنا صناعة القلم ونثر كان ولم يزل الحبيب الاول لكل تلميذ ، وقلما تجد بين الطلاب المتهين من لم تستهوه عروس الشعر او يستهوه شيطان الكتابة . ولم من الذين هجروا مقاعد الدرس وظلوا على امانتهم لهذا المعشوق وابتاعهم به وهم لا يدرون ما يجبا لهم المستقبل من الخيبة في آمالهم واحلامهم اقول الخيبة لاني لا اعرف اديباً اترى يادبه . كنت حديث السن وكان ابني يقول لي كلما رايت اقباب في دواوين الشعراء دع عنك هذا يا بني فليس من شاعر على « خيrote طحين » ويرد على مسمعي قول الشاعر :

خص بالمال واليسار اناس واراني خصصت بالاملاق
انا لا شك من بقية قوم خلقوا بعد قسمة الارزاق

ولما كهت حق الخبز اخبز وعرفت ان للادب اشقياء في كل بلاد ولا اعددهم لكم فهم كثر حسبي ان اذكر كاتباً من ابلغ كتاب العرب وشاعراً من اعظم شعراء الافرنج اليازجي ولا مارتين فكلاهما مات فقيراً ، كما ان بلزك خفي عمره تحت اقبال الديون وكما شكرا توماس كارليل من المصائب التي يتخبط فيها الاديب

ثم هناك سبب آخر في كساد الادب فقد تعود الناس ان لا يقابلوا بالسخا، ما لا يعطيهم مباشرة تلك اللذة التي تشبع النظر والاعصاب فتراهم ينفقون بلا حساب في سبيل المقامرة والزهان والحجرة، ويصعب عليهم شراء كتاب للطالعة او حضور حفلة ادبية تقضي عليهم بان يملؤا الكيس . بل اذهب الى ابعد فاقول ان من الاشياء ما هو في الناية من الاهمية كالصصة مثلاً ومع ذلك ترى المرء يدفع بطيية خاطر غماً باهظاً للابسة التي تعطيه الاناقة او طعامه الذي يشبع نهمه ويأطل الطبيب في دفع أجرته ويحاسب الصيدي بالباردة على غن الدواء .

كثير من الناس يلذ لهم سماع الشعر واخطب ويصدفون عنها كما يصدف الموريس عن المعالجة بخلاً وشحاً . هم يقدرون الادب قدره كواسطة للترويح عن النفس بما فيه من اللذة الادبية ولكنهم ما تعودوا بذل المال في سبيله . يدعى الخطباء والشعراء للكلام في الحميات والمحافل ويعلم انداعون ان بهجة الحفلة لا تم الا بتأسيسه او يقال ومع ذلك فهم لا يفكرون لحظة بالتعويض على المتكلمين كانوا امر بسيط عادي . او واجب يحتم . واذا رفضت الدعوة قالوا لك كفاك ذلك لا لا فاطخطب او القصيدة لا تكلفك عتلاً ساعة . كذا كان يقول لي فيماضي بعض رضائي عندهم طبعهم بالخطب : «وماذا علمت انت؟ وصفت دواء لم يأخذ من وقتك سوى دقاتي . مدوداتي اما الدروس السابقة واللاحقة ، اما التلب الدائم ، اما الخطب اما المدوي ، اما انشغال البال الذي لا يفارق الطبيب فهذا كله لا حساب له .

ومن غرائب الاتفاق انني عندما كنت اكتب هذه السطور ووصلت الى هذه النقطة قرع جرس التلفون فاذا بدعوة لي للكلام في حفلة عومية ، ثم قرع الجرس ثانياً وثالثاً ورابعاً . اربع دعوات في يوم واحد وساعة واحدة لاربع حفلات في اربع جهات ، كاذني معها على ميعاد لاستشهاد بها في عرض هذا الحديث . وما ذكرت هذا الا لتأنيب في النفس فانه يعلم ان عندي اسباباً اخرى تحماني على الاعتذار عن قبول هذه الدعوات ، ولكن لا اريكم من كتب الى ابن تيمية السخرة في الادب .

زارني احد هم منذ ايام يسأني تاريخاً شعرياً ينقش على ضريح نسيب له فامتذرت ودلالته على شاعر يلبي طلبه لقاء . مبلغ زهيد من المال فبدلت على حيائه علامة الدهش لانه لم يتصوره يوماً . بل ان للشعر غمماً قتل له علام الاستعراب يا صاح، فهذه الاشبار من الارض التي اقت المدفن عليها وهذه القطعة من البلاط التي تريد ان تحل

فيها اسم من تحب ألم تدفع عنها فكيف يصعب عليك ان تعطي الشاعر حقه ؟ والظاهر ان كلامي لم يرضه فانصرف غير شاكر وعرفت بعد ذلك انه اهتدى الى من قبل بالسخرة فنظم له التاريخ بدافع الحياء .

وقد ذكرني هذا الحادث بابيات في الموضوع لصديقي جرجي سعد التاجر المعروف نظمها منذ ثلاثين عاماً وهي :

احب الشعر مدعاة المسرة

ومن يروي على اذني شعوره

واي ان اخذت عليه اجرة بعثت به كمارق النسيم
ولما كان جمل النظم سخرة ستمتلك ايها العيش القديم
لقد طلق جرجي سعد الشعر منذ ذلك الحين فضهره الادب وكان هو من الراجحين .

وخلاصة القول يجب الفضل في الادب بين المنة والرسالة فن اراد رسالة فعليه ان يكون قادراً على الاستزاق من غريقت القصبة . وكما تكون قيمة الادب عظيمة ومنتهمة شاملة لو كانت بسطة العيش مضومة لمن يعطاه فيتجر من قيود المادة ومهم الحياة وشواغلها اليومية لينصرف بكليته الى العمل الجليل . وهنا يجد صديق الجواب على سؤاله الوارد في صدر هذا المقال ، فاذا كنت لم اربع من ادبي فلأني انجذبت الى الادب مهنة بل جملته على هامش المهنة فكنت طبيياً قبل ان اكون ادبياً وكنت احسب ان التنا . وتضييق الاستحسان غاية ما يمكن الحصول عليه ، ولما حدثتني النفس ان امثل بالطلع كتاباً على نفقتي الخاصة متكللاً في ترويجه على الشهرة وتشجيع الاخوان وعودهم لي استرجع نصف ما انفقته وذعبت اكثر نسخ الكتاب « هدايا الاحباب » .

واما من يتنحل الادب حرفة للتعرض فقد تحتم عليه ما يتحتم على كل صاحب مهنة من توفير العوامل التي تجلب اليه الناس . ان قصة من قصص الجاسوسية او البوليس مثلاً تفعل في القاري اكثر من المباحث السلفية والاجامالية . فعليه ان يفهم روح معاصره وقاريه ويتوخى الاجادة فيها يكتب وينظم ويصون بنات افكاره من الابتذال هاربا من السخرة في الادب . واذا لم يصب النجاح بعد ذلك فله اسوة بالكثير من ارباب الحرف والصناعات . فما كان التوفيق مكتوباً لكل انسان وحسبه انه ادى الواجب عليه فيقول مع الشاعر :

اذا المال عاداني فذنب عثرتي وما كان من عاداني المجد والذكر
قولوا فياض

غري ...

غدي كأمي ، صدى همس ، في قرارة نفسي
سمعت قبل ميلادي ، بين جدران جبني
كأنه كان شيئاً من قزع كأس بكأس
او نزع طيب ونور على زغاريد عرس

صلاة ...

يا رب ، اطلقني غنا ، يغمر الدنيا هناء .
او فاستجني ادمعاً ، تطفو على الدنيا دماء .
ضاقت بي الدنيا ، فلا ، تسع الرجال او الغراء .
أظلل في الدنيا قريباً منك ، التمس الغناء .
وسوي في الدنيا ، غريب عنك ، يقتسم البقاء .

نغزلو بنرس



قفل بئر مفتاح

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

بئر البيرة ودراد سلكيني

منذ

القديم والمرأة في الشرق والغرب متهمه بأشاعة الاخبار موصوفة بفضح الاسرار ، وهذه التهمة الفاشحة قد وصمها بها رجل ، هذا الانسان القوي المكين الذي ما زال يتجنى على النساء . ليشأ منهن وينال ، فصرن لدى سواد الرجال بعد تلك الوحشة لا يصلحن للسر كائنات ولا للغيب حافظات ، ولو تبنينا صحائف التاريخ لتراحمنا اماننا الاحداث الجسام واطلت منها الاسباب ، فوأيئنا فيها المرأة اكتم للسر وأعلم بمواضعه وأقدر على اخفائه . قال الرجال الذين كتبوا عن « ماتا هاري » انها مثلت بسين ابدي القضاة العسكريين في فرنسا ابان الحرب العائرة بنفس قفلة الجبل ، فلم يستطع واحد من دهاة التحقيق يومئذ ان يستل منها سرأ من الاسرار التي دفنته معها ولو هي باحت بمكنون الضمير لوفرت على الاعداء . عديداً من مصايد الدمار ولاغيتهم عن حصون أعدوها لسفك الدماء ، وكانت المرأة من قبلها ذات حفاظ على السر في الملمات والمحطوب ، ألم تحفظ جوديت سر قومها وتقتل به هولوفرن في ليلة من ليلالي الحصار في بيت المقدس ؟ وما بالي أذهب بعيداً ولدينا في تاريخ المآثر النسوية صفة غراء . مشرقة لاسماء بنت الصديق ابي بكر ، فقد أعجل الرسول عليه السلام صاحبه عن ابتنا . الزاد في طريقهما مهاجرين الى يثرب ، فسارعا الى غار في جبل ثور اخفا . لامرهما وقضيلاً لمن يقني على اثرهما ، لكي يصدما عن سبيل الهجرة الى المدينة المنورة فكانت اسما . بنت ابي بكر توافيها تحت جناح الليل بالزاد والماء . وديا استشفت واستيقنت من احاديث الاعداء . المتربصين ونيات المتآمرين على رسول الله وصديقه الصديق ، ولقد أحاط بها هؤلاء ذات يوم اذ شبه عليهم امرها ، فسألوها عن ابيا فتجاهلت خجده وكنتم سره ثم أخبرا بالسؤال مهديين ومتوعدين وهي معتصة بالكتان حتى لطمها ابو جهل لطمه أليمة طار لها قوطها ، فاجزعت ولا دمت ، وانفا استمدت من الايمان صبراً على هذا الهوان وكانت حاملاً متاً ، فصامدت صم الجابرة والمذاويد في وجوه المعتدين المرتصدين حفاظاً على سر محمد ...

حين تسأل القلوب اين مكان الاسرار وآبار الكتان تردد الجواب أفدة النساء الحصيقات قائلة : هاهنا في صدورنا الائمة الحصينة ،

فني نوازع الالهوا . كم ذا لقيت الشقاء . قلوب بنات حواء اذا آثرن الكتمان ولو من غير أمان ، ولولا الموائل والكاشجون لاستسرت في ثنايا هاتيك الخوافي اخبار وسير وحفظت عهود وضمم ، ولو أحصينا في الناس من اخلف الوعود ونقض العهد وفضح السرائر ومستور الضائر لوجدنا الرجال اكثر عدداً وابعد اشواطاً من النساء . في هذا المضمار ، على ان المرأة لم تسلم في اي عصر من العصور من رجال تندروا عليها واصطنعوها للهمز والبرز في كل نكتة ونهزة ، وقد زعموا ان ألد الاشياء عند النساء كشف الخفايا ثم اذاعة ما فيها من اسرار واخبار ، وتزديدوا في تهكمهم هذا فقالوا ان المرأة لا تكتم امرأ ولا تحفظ سرأ الا اذا كان لهذا السر مساس بعمروها وقد كان لافونتين صاحب الحكايات الحيوانية بمن عيروا المرأة بفضح الاسرار فركب في شعره اسطورة عنها ، تصور فيها امرأة فضحت زوجها حين ولد بيضة ونسج خياله سيرة رجل كان يباهي بحفاظ زوجته على الاسرار فقال له صاحبه : ان شئت لها ابتلاء وامتحان فثلك من يتليها بهذا السر : أظهر الليلة ما تظهره المرأة وقد جاءها الخاض ثم قل لزوجتك بعد قليل لقد ولدت بيضة واطلب منها ان تكتم هذه الحادثة وانظر بعد فعلتها ، فقام الرجل بما وصى به صديقه ، اما المرأة فقد ضاق صدرها بهذا الخبر فلم تستطع ان تطويه في أعناقها ، بل حملته الى الخيران ، وسرعان ما شاع في كل مكان ، وهكذا بلغ الرجل في المساء انه ولد مائة بيضة وهذه الاسطورة التي وضعا لافونتين شاء فيها التندر على المرأة والسخر منها ، وهو الساطي بغته القصصي على اديبنا ابن المقفع الذي كان يغلو في نصح الرجل بكتمان الاسرار حتى ادار حواراً بسين اربعة ملوك في موضوع السر فقال ملك الصين : - انا على ما لم أقدر مني على رد ما قلت .

وقال ملك الهند : - عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته .

وقال ملك فارس : - انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها .

وقال ملك الروم : - ما ندمت على ما لم اتكلم به قط وقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً .

لقد أجرى ابن المقفع على لسان ام الاسد مثل هذه المواقف بقولها : انني لم اجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يسدخل على الرجل من العار في اذاعته الاسرار فكان ذكر الرجل في هذا التحذير والموعظة مدعاة لتألمه هو - كما تهتم المرأة - بكشف الستار عن خطير الاسرار . فكم سر افضى به الرجل ، وكانت المرأة قد عيشته في عطارتي الخط ، ابقاء على صمة أو سعادة ! أليس في الرجل اصحاب حور ومن قد حلفوهم الايمان في عييل الكتمان ، وما لبثوا ان كشفوا الاسرار الخفية من خبايا صدورهم واغوار ضائرتهم طوعاً او كرهاً وكانوا لغيرهم سبب شقاء وعذاب .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ولقد بلا الكهرا والروسا في ايماننا وفي ما غير من الزمان مزايا بعض النساء في الحفاظ والكتمان ، فاتخذوا منهن دون الرجال عيونا وآذانا ، وجعلوا من بعضهن لاسر أمينات وللهجات حصينات فافحموا المتندرين واسكتوا المستنزين ، ولو لم يستبقوا من امانة المرأة وكفايتها لما وكلا اليها في ايام الحروب اخطار الانباء والرسوم تؤذيها مكفوت من الجن ، ولكم دهمتها من جرائم النكبات والاهوال فتقبلتها بالصبر والرضى والسكينة ، ولم تقاذفتها ايدي النوى وانتزعتها من بين اهلها وترامت بها المغازات والامصار ، مستعينة على قضاء الحاجات بالكتمان وكان لسان حالها ينشد مع المتنبي :

والسر عندي موضع لا يناله

فذكرني هذا البيت رجالاتا يأتي عليهم العد كانت اسرار الناس واخبارهم ساكنة كلمته في اعناق نفوسهم فلما رشقوا كؤوس الخمرة

ودارت بهم نشوة الصبابة وعبث الدعاية ، فضحوا الاسرار المستورة وباحوا بها رخيصة هينة وكانوا هم الظالمين .

لقد افترقا على المرأة فزعموا انها لا تصلح للسر موضعاً ولا للخبر كفاً ، ولست زاعمة مثلهم او مدعية في مقالتي هذا ان كل النساء سواء ، فبين الطيشة المذارة التي لا تطيق السكوت عن كل ما يحيط بها او يضطرب في بيتها او يقع في سمعها كيف باخبار غيرها ؟ كما ان في الرجال للنفاحين الذين لا يكتفون مرة ، بل يباهون بكل صغيرة وكبيرة ، لا تطنن جنوبهم ولا تقهرهم قرارة على سر حتى يبيعوه طائعين راضين ، فاذا هم اخف احلاماً من العصافير ، ومن عجب ان يرى الرجل المرأة يواحه الاخبار شفاقة الاستار وينسي ان الله اختصا بسحر فيه مقاصد الاسرار - وهو الذي القى سلاحه منذ الازل دون سرها الموصد وبابه المروص حتى قال اساطير الحكمة من الرجال هذا القول المأثور « المرأة سر معلق » ويجسي ان اجيب عن الكتامة الزان من بنات جنسي يقول الشاعر :

والسر عندي في بيت له غلق

قد ضاع مفتاحه والقفل موجود

وداد سكاكيني - دمشق

حسان اللاهي

بقلم غلدونه السكافى

مفتش معارف جبل الدروز

كثير

فيها العبر والمسلح في صحاف الفضة والذهب ، ويرقد فيها العود
المندى في الشتاء ، ويجعل فيها الثلج في الصيف ، ويجلس فيها للشرب
والغناء ومغازلة الحسان .

في هذه المجالس تعرف حسان الى النساء المغريات المنتشيات ،
فاحبين ولذصحيتهن ، ونقل قلبه بين قلوبهن .

ولعل طول صحبته لاولئك الماجنات المستهويات هو الذي جعله
يصور المرأة في شعره ، كأنها متعة من متع اللذة ، وباعت من يواث
السرور ، فيجده من الهوى والزينة والجمال الظاهر والحسن الملموس :
هذه القهر والشهوات ، ويملو ما يلين ولو لم ينظم
روايتهم الملوحة ، ولد الذر عليها لانتدبها الكلام
لم تقها شمس النهار يشي . غير ان الشباب ليس يدوم

ولعل طول صحبته لاولئك الماجنات الخليليات هو الذي جعله
- ايضاً - لا يقيم على حب واحدة منهن حيناً حتى ينتقل الى غيرها
ليتعلم بفوحة التجديد ولذة التبديل . وكيف يقيم على الود الصادق
فتى أن المجالس التي تدور فيها المدامة ، وتوزع فيها القيان على
الندمان ؟

ظل حولي قياته عازقات
مثل آدم كرواني وعواط
طفن بكأس بين شرب كرام
هدوا حر صالح الاطاف
ساعة ثم قال : هن بداد
ينكم غير سمعة الاعتلاط
وقد قيل انه احب شعلاً جاً شديداً مهجراً ، واكثر من
ذكرها ، واتخذ في مخاطبتها لهجة الاخلاص والصدق ، وبلغ من
تعلقه بها انه قال يخاطبها :

اني ورب الخبيات وما
ماحت عن غير ما عهدت ولا
يظعن من كل سريع جدد
احببت حي اياك من احد

غير ان الفتى الذي يأبى العيشة الماجنة لا يستمتع ببلاذها الا
اذا دفع عنها فضحي بالحب المفرد السنين الصحيح . وفي الواقع ،

من الناس من عاشوا حياتين : حياة غافلة لاهية تنعم
بالنور والزهو والحب ، وتصحب برنة الاوتار وضحك
الفرح وعريضة السكر ، ثم انقلبوا الى حياة راشدة رزينة تغذيها
الحكمة ويزينها التقى وبنيها النظر الثاقب .

وأشهر الشعراء الذين أساءوا عيشتي الهزل والجد ، واللام والثرية
حسان بن ثابت والفردوس وأبو العتاهية .

وقد بلغ من تغير حسان في حياته الثانية انه اشبع لاي كساد
يذكر في كتب الادب الا لغظه بالاسلام ، ومديحه ورفائه الذي
صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين ، وهجائه للكفار المعلنين . اما
حياته اللاهية الطويلة التي عاشها قبل الاسلام ، فلم تكن - حتى
اليوم - موضوع دراسة موفية .

وهذا امر مستغرب في حياة شاعر أحب الدنيا ، وركض
ورا. الذات ، وفاز منها باوفر نصيب

فمسي ان نوفق في هذه الكلمة ، الى تبيان الخطوط الكبرى
لتلك الحياة الصاغية الماجنة .

*

أحب حسان من الحياة هذا الضرب الغصم الذي توفر فيه النعيم
والرفاهية ، وتعودته قصور الفسافة في الشام ، ومقت حياة الحدو.
والبساطة التي كان يجيها البدوي في صحرائه ، وحياة النكد
والهجا. والحضام التي كان يعيشها مواطنوه في يثرب ، فسارع الى
ترك بلده واللاحاق بأقاربه الفسافة .

طابت له في الشام عشرة الملوك والامراء . وحاشيتهم ، وتأتق
في المأكل والمشرب والملبس والصباغ تأتقهم ، وشهد عندهم تلك
المجالس التي كانت تفرش بالاس والياصمين والانواع الياصين ، ويضرب

لقد احب حسان غير شئنا . نساء كثيرات ، وخطابهن خطاب الصدق
والوجد والبقاء على العهد . قال في (نضير) :

أضهر ! ما يسيى وبينكم صرم وما أحدث من هجر
وحلفت لا أنساكم ابداً ما رد طرف العين ذو شفر
وحلفت لا أنسى حديثك ما ذكر الغوي لاذة الحمر

وقال في ليل :
فان تلك ليل قد تأتت ديارها وضئت بجابت القروا للتم
فا حيلها بالرت عدي ولا الذي بغيره نأي وان لم تكلم
ولا ضقت ذرعاً بالهوى إذ ضمته ولا كط صدري بالحديث المكتم

بل لقد بلغ حظ شئنا . منه في نهاية الامر مبلغاً لا تحسدها
عليه النساء :

فأنى تلاقيا اذا حل اهلها بوادٍ مانٍ من غفار وأسلما
سأعدي لها في كل عام قصيدة واقدمسكنياً يترقب مكرما

محاسن الشام السامرة اللعبة التي علمت حسان حب المرأة
المتبذلة علمته ايضاً حب الحجرة والسمر مع التندمان . بل كان تعلقه
بالحجرة أوثق من تعلقه بالنساء وأصدق . فلم تستطع شئنا . على دفا
وجاهلنا ، ان تلبيه عن الحمر وإدامة السكر :

تقول شئنا : لو نفيق من الكأ س لاليت مشري العدد
أمرى حديث التندمان في حق الصبح وصوت القمار القرد

ولم يعد يفضل الروح في عينيه شراب :
اذا ما الأشراب ذكرن يوماً فبن الطير بالليل الغفيل
وقد بلغ من شغفه بالحمر انه كان يرى الحياة بلا سكر
كالموت سواء . بسواء :

ومسك بصداع الرأس من سكر ناديه ، وهو مغلوب فخذاني
لما صجوا تراخي العيش قلت له : ان الحياة وإن الموت مثلان
فاشرب من الحمر ما أتاك مشربه واعلم بان : كل غيث صالح فان
وكان يزيد هوى للخمرة انه كان يرى فيها رمزاً لتدوينه
ورفعته ، فهو من القوم الذين هم :

من جزم غسان مسترخ حائلهم لا يقبضون من المزى اذا أبوا
كانوا اذا حضر واثناب العفارهم وطيف فيهم بأكراس واكواب
وكان يزيد حساناً في عينيه انها كانت تحقق له في عالم الهم
والخيال كل الاماني والراغبات التي عجز عن تحقيقها واقع الحياة :

ونشراً فتتركنا ملوكاً وأسداً ما يهيننا اللعاب
ولع حسان بجمالة الذلة والمرح الذي حب اليه المرأة والحجرة ،
هر الذي صرفه عن حياة المسابقة والحضام ، وكره اليه الحرب
والهجاء .

فلقد عرف عن سيفه النبوي في المعارك ، وانسه ليس له يوم في

القتال مشهور ، كما عرف عنه قبل الاسلام صدوق عن الهجاء . وقرار
منه الى الغفر الذي هو ضرب من الهجو الماسلم الوديع . هجاء قيس بن
الخطيم بقصيدة طويلة فيها عشرة أبيات موجمة . وعيده بالتياب عن
الحروب والتجديدات ، وقال له :
اذا المرء لم يفضل ولم يلق نجدة مع القوم فليقعد بصغر وببعد
فرد عليه حسان بقصيدة كاساً فخر وليس فيها سوى ثلاثة
أبيات من الهجاء .

وكانه عرف في نفسه العجز عن مصالحة قيس بن الخطيم في
هذا الباب : فالتجأ الى الخساء ، الى هذه الشاعرة التي لم تمتد
المهاجاة ، وحرضا على هجو خصه فأبى عليه كل الايام .

هذه هي سمات حياة حسان اللاهي ، قبل الاسلام : حب للنعيم
والحجرة والنساء ، وكره للهجاء . فلما أسلم وندب نفسه للدفاع عن
حومة الدين ، أسدل على ذكرياته الجاهليات حجاب النسيان ،
وهجر الزواني والسراويل الزاح ، وطلق يدح الدين وبغفر بنصرة سيد
المؤمنين ، وبهجو التكفار أمر الهجاء ، ويرد اقوالهم المقدعة في
وجوههم .

وهو انه كان في حياته الشعرية الجديدة جاداً كل الجد مخلصاً
كل الاخلاص ، متصرفاً عن فتنة الدنيا بعد ان عرفها حتى العرفان
وتبينت له عقارتها ، فلقد كانت ذكرى ايامه الحساسة ، ومتعها
الراقصة تظهر في مطالع قصائده واساطها لماعة كالشمس من خلال
السحاب ، مشرقة باسمه كوجوه الاطفال . بل كانت ، في اواخر
عمره ، تظلم ، بعض المرات على نفسه ، وتلك عليه تفكيره ، فيجن
اليها ويتر لذكراها ويسكي عليها .

وكان ابنه عبد الرحمن عرف منه هذا الغرى الدفين ، فكان
اذا حضر ابوه الغاني الضريع مجلس هو ، وشق وجوده على قتيان
قروش ، طلب عبد الرحمن من القينة ان تقني :
اولاد جفنة حول قديارهم قبر ابن مارية الكريم المنفل
فيسكي حسان بكاء شديداً ثم ينصرف قائلاً : لعمرى لقد
كرهتم مجلسي سائر اليوم .

وإذا كان حسان يبيك الحياة التي احبها وقد انقضت ، والاحظات
اللامعات العذاب التي ذهبت الى حيث لا تعود .

خُدودوه الكسافي - السويدي

وجوه الموت وألوانه

نظم رامي الراعي

وتهدم له عروش اعلامه هو الميت الاكبر الذي لا يعلوه ميت ..
هذا في الخلائق اما ما خرج عنها فما اكثر الموت فيه كأن
الحياة والموت يشيان في كل ساحة من ساحات الوجود جنباً الى
جنب فلا يخطو احدهما خطرة حتى يخطو الآخر مثلهما فها الخلفان
الابديان عقدا بينهما ميثاقاً منذ كان النور وقبل ان انبثى النور
ولكن ان عقدا ذلك الميثاق وكيف عقدا وما هو ميعده ؟ ذلك
هو السر الاكبر غرت وعلامته على جباهنا ..

دع الخلق وادخل الى اعماق هذه القوة الباطنية التي تحيا بها
حياتنا الروحية والجسدية تر من الموت ووجوهه والوانه ما يدهشك
ويبديك فهذه عجايبها على بقايا عاطفة توت وهذا حلم اقام بوجهه
العاجية على انقاض الف قصر من قصور الحقيقة والواقع ، وفي اعرق
تلك الاعماق ضير يتنقل في سما العقل الباطن بين الظلمة والنور
فيموت ثم ينهض ثم يموت ، وفي فم تلك المساوية القائمة في جسيم
الفرازداء الانسانية التي تغرنا الحيوانية على مذابح الشهوات ،
ووراء تلك القمة من قمم النفس هيكلان من عظام تصف
فيها رياح الموت : اليأس والزهد .. والصبر جبل تخبئ من جبال
الموت يلتف على اعناق الالة .. والعبقريه توت في يومها لتحيي في
غدها .. والحسد من ينساب في العروق .. والحقد موت يتسكن
ويتعزز لاوثوب .. والوقادشي .. من الموت .. وانوع حفة من
تراب تنهل على العزة والكرامة .. والكتابة لون من ألوان
الموت .. والهذيان سكرة من سكراته .. والحرقه لسان من
ناره .. والدمة قطرة من كاسه .. وفي دمك ورنيتك وكل
جزء من اجزاء آتاك الجسدية عراك بين الموت والحياة مستديم
لا يطفئ .. اواره .. والطبيعة المتأسلة اءامك انظر اليها تر الموت
مثلاً في كل وجه من وجوهها فهذه الشجرة الشاحبة لو تم تدفن

يتوهم الناس ان الموت لا يكون الا في العيين المتضتين
والقلب الساكن والجثة الهامدة ، اقول انهم يتوهمون ، فللموت
اكثر من لون واحد ، ان له الواناً عديدة ووجوها تطل عليك
من غير نافذة القهر .. والى جانب هذه الاحود المنشرة هنا وهناك
في جميع ساحات الدنيا لحد اخرى لم يفرها الحفار ولم تبين لها
الاحجار ولكنها قائمة في غير هذه الساحات التي ينشي اليها بين القينة
والقينة لتدفن موتانا ..

الموت انواع وفي الخلائق موتى وقوف لم تشق حركة قلوبهم
غير انهم جثت حية وما اكثر تلك الجثث التي لا يلف عليها
رداء التراب .. ما اكثرها في هذا القرن الحاضر ..

ان الموت كثير وليس لك الا ان غد يدرك في ظلمة هذا
الكون تقع على ميت يتنفس ويتحرك في لحده ..

الجنون عقل مات .. والاقلاس موت ادبي .. والمحرم رجل
ميت في نظر الشرعية .. والقاب الذي لا يعرف الحب ولا يتطلع
للحب جثة يحمالها الصدر .. والبله شعلة الذكاء .. انطفأت والاعى
ميت يتأمل .. والاصم رجل توارى عن الدنيا .. والابكم رجل
ماتت فيه الكلمة .. والمقعده رجل تحاذبته الحياة والموت واقتداته
والجاهل ميت سقط في ساحة العلم .. والحائر المتردد قتيل يسيل
الدم من ارادته المطعونة .. ورجل الطامع والجشع قتيل آخر ترثيه
الفلسفة والحكمة .. والعانس قتيلة في ساحة الغرام تتضرع بغير
دمها الذي خلق للحب .. والمعاقر قتيلة في ساحة الامومة ..
والشاب قتيل طيشه وروعته .. والشيوخه موت الشباب ..
والانتحار موت قبل الموت .. والعليل الذي لا يبرأ يبني لنفسه
في كل يوم لحداً ريثما يواريه المجد الاخير .. ومن طال ظلامه ووجوهه
وعريه مات موتاً .. والشاعر الحالم الطموح الذي تحذله الحياة

الفراشة

خلع الصبح عليها من سنا الفجر وشاح
ورنا الورد اليها والخزامى والاقصاح

...

في جناحيها اثر من ليال ماضيات
ونخال مبكر حافل بالذكريات

...

أضمرت في الزهر نيران القبل
وأباحت نشوة بين الثنور
واستعجت في هجرات الامل
وتفتت بصبايات العصور

...

اي سر لا تضيع بين اضياف الربيع
حسبها عرض الجمال فوق اكثاف التلال

...

حرة مثل النظير ترزع الروض عبر
والمداري في حاهها يتقلدن حلاها

...

عرفت لبنان مذ كان الوجود
واستعارت منه ألوان البهاء
ومضت في الكون تشدو بزها
ان في لبنان ألوان الخلود

فليب م. البستاني

بذورها في الارض لما حلت ثمارها ففي ثمارها الشهية رائحة التراب
وهذه المياه الجارية التي تحسبها رمز الحياة ، انها هي ايضاً بدورها
من حلة لواء الموت فالينابيع تموت في الانهار التي تموت في البحور ..
وفي هذا الفضاء الذي يرتد عن آخره الطرف والفكر نجمة تموت
في نجمة تحيا وكوكب ينطفئ في كوكب يضي .. والحجر
وجه من وجوه الموت .. والجبال ملأى بما مات في سليل تكوينها
من البذور .. والصعراء جثة قديمة لبحر جف ومات منذ القديم
وغروب الشمس وكسوفها وتحجب القمر وغسوفه من الالوان
التي ينعكس بها الموت .. والأرعد زجيرة الموت ، والصاعقة غضبته
التي لاغضبة بعدها .. واخريف حشرة الشتاء الذي هو الموت ..
وما جف من الماء وبيس من الزرع وذبل من الزهر آثار من وقع
اقدام الموت السائر في طريقه يخطئ لا ترحم ... والسهم والمرارة
من ألعاب الموت .. وفي حصد السيف ووثبة النمر وتاب الاسد
والأقوى بروق تالوح في سما الموت ..

وللموت انسابه وحلفاؤه في الارض واقربهم اليه قاطع
الاشجار وحفار القبور والجلاد قاطع الرؤوس والاعناق .. وله
هواياته وساعاته ولغه ودورانه وهزؤه ووقاحه التي لا مثيل لها
فاذا لم يظفر بك في جلة الماء وبين أسنة اللبيب وعلى حد السيف
سقط عليك في ليلة ليلا وباعتك وانت في قرأك فأخسر قلبك
وتركتك جثة تقتل على منحني الليل الاخير قبيل الفجر ..

وهو مع الوانه التي لا تعد ولا تحصى لا ترى له لوناً يثبت فيه
فبينما هو يواليك صباح يومك اذا به ينقض عليك في المساء فهو هو
الحديمة تجسست فيه وفي الحرب كما هي حالنا اليوم يضم جميع
الوانه في اطار واحد ويطيح بها من ساحة الى ساحة وهو نشوان
فخور ويتفتن وهو فتان الفناء ما شاء له فنه وفتاؤه ان
يتفتن ..

تلك هي بعض وجوه الموت والوانه التي خاطرت لي الان
وله غيرها فساحة الفناء ارحب الساعات ورداء التراب هو
اطول رداء ترتديه الدهور وهذه الكائنات السائرة في
ظلالها ..

تلك هي بعض وجوه الموت والوانه .. اما معنى الموت فله
حديث آخر قد لا اجد له الاغلاظ الا في معجم الآخرة اطال الله
ما بيننا وبينها ومد ما شامت له الرحمة في آجالنا .. انه الرحيم ..

رامي الراعي

بيروت والبيروتيون

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بفلم نقي طباره

الاسلام انهضوا شيخ الاسلام . . .

الفصل السابع

ازياء السكان : ملابس الرجال والنساء . معالم الرينة عند الحسين

اما نساء الطوائف فكان ينهجن نهجاً واحداً في مذاهب العيش والملبس ويتشابهن في كثير من العادات والشاغل وتتألف ملابس النساء الخاصة عادة من سروال فضفاض يشد بشكة حول الوركين وينتهي الى القدمين ويلبس فوقه قيصاً واسع الصدر وفوقه صدره قصيرة تصل الى الوسط بقليل مشقوقة من الامام ويمتد الى الوسط بشال او منديل مطرز ويربط في استخاء وينتدلي طرفاه خلف الظهر وينتدري بعضهن في الشتاء بمعطف من الجوخ او الحميل او الخريز مطرز بالذهب او بالحرير المألون ويصل الى الركبتين ويتكون غطاء رأسهن من طاقية من القماش الثمين المزركش تسمى (عصبة) تعلق عليها القطع الذهبية او الفضية ويزين صدورهن بالحق الذهبية ويتحلين بالاقراط والمعقود والاساور . وقليل من يلبسن الحواري وكن يتعلمن البانوج وهو من الجلد الاحمر المطرز بالفضة ويستعملن قبقبا يعالو عشرة سنتيمترات معلماً بالاصفر او بالفضة . اما خارج البيت فكان يتدثرن فوق كل ذلك بدثار كبير فضفاض ويسمى (ملامة) وهي من قاش عتيق مزركش بالقصبي اعلاها من اللدخال رباط يشد حول الرأس ويستتر وجهه المسلمات منديل كشيء وتتناز ملابس نساء الخاصة بنجال نسيجا واثافة زهبا . اما ملابس العوام فكانت بسيطة تتألف من قبض وشيتان او تنسوره فوقها ثوب طويل يصل الى كاحل الرجل وحيث لا يستطيع لبس الخجيرة كن يلبسن عوضاً عنها (ازراراً) وهو قطعة بيضاء من القطن على شكل الخجيرة ويلبسن مثلها . وتغطي المرأة وجهها بمنديل اسود قائم او ملون اذا كانت مسلمة . اما الخذا فهو خف من الجلد يدخل في

في ذلك الزمن كان الجائل في اسواق بيروت يرى الشكل المغربي زياً غالباً في الرجال يلبسون سروالاً فضفاضاً فوقه ثوب مشقوق من الرقبة الى الصدر ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء او مونة او يتخيم بجزم عريض فيه كيس النقود ويرتدون جبة بكمام والسمة او عباءة في فصل الشتاء وغطاء الرأس عمامة من الشاش بيضاء اللون وزرقاء او سوداء لغيره . وكان الفقراء يلبسون المبدعة كعمامة اخدم والتجار اقل حجماً من عمامة العلماء ورجال الدين . وكان الطربوش المغربي لرأس بعض الخاصة ورجال الادب . وكان لونه احمر مستديراً له شراية (طرة) زرقاء امر ابراهيم باشا بلبسه في سنة ١٨٣٨ فلبسه الامير بشير وافراد أسرته وعم بعد ذلك . وكانت اشكال العمام تختلف بعض الاختلاف فالعمامة التركية اكثر اثافة من غيرها . والبيوتية تمتاز بسعتها والمصرية ذات تلافيف حازونية مدرجة . وكانت العمامة مدعاة احترام واجلال وقد ذكر المستشرق الانكليزي ادورد وليامز في كتابه (المصريون المحدثون) المؤلف في النصف الاول من القرن التاسع عشر وتشره تباعاً بمجلة الرسالة المصرية نادرة سابقها كمشال للاعتراف الذي كان يكنسه اهل ذلك العصر للعمامة . قال : سقط عالم عن حمارة في شارع من شوارع القاهرة فتدحرجت عمامته بعيداً عنه فجمع المارون وجعلوا يجرؤون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الاسلام ارفعوا تاج الاسلام بينما كان العالم المسكين طريق الارض يناديهم منظاراً : قبل تاج

بقتله ويتباهون . ومن علامات الرجولة عندهم انهم كانوا يقولون فلان يغط على شواربه السر ويعنون ان شاربيه طويلان وانه من الشجعان . ومن طرف ما قرأت عن مآلة الالحى في عهد الصليبيين ما رواه غليم الصوري عن القائد (بودان دادس) انه اى القائد لما عجز عن نقد رواتب جنوده لم يجد شيئاً لديه اغز من لحيتهم ففرها عند قواده وحيفاً استحق الدين هم الدائنون بقصها لولا ان تدخل حموه (جبرائيل ده الميئين) ودفع عنه ديونه وقد اخذ عليه المهد والميثاق ان لا يعود الى مثل هذا العمل الشائن .

وما حكى ان رجلاً متعبداً كبير اللحية كان شديد العناية بها يحبوها ليلاً عند نومه في كيس (حذر من الاصوص) فقام بعض الاتباع المريدين في الليل وهو نائم فقصوا من الاذن الى الاذن فشكا المتعبد ما داه الى الشيخ الذي غاظه ذلك فجمع الاتباع وسأهم فقال احدهم : انا قصصتها فقال : ما حلك على هذاويلك قال : ايها الشيخ انها كانت صنعة وكان يعيدها . من دون الله فانكرت ذلك بقلي وارتد ان ابعده عبداً لله لا عبداً للحية . . . وحلني بعضهم انه لما زجت الحكومة في السجن رهطاً من الرجال ذوي الالحى وارادت قص لحاهم اجابها هؤلاء : اذا كنا مجرمين ناقطعوا رؤوسنا ولا نقصو لحانا .

وحكى عن الامير بشير الشهابي انه كان مرسل للحيوة وكان اذا اراد التفكير في امر تخالفاً باصابعه حتى يهتدي الى ما يريد وكان اهل لبنان الاقدمون يصفرون شعرات لحاهم بخيوط من الذهب الابرز وكتب الادب عامرة بالنكات والافاكه التي تدور على الالحى واني لتجاوز عن ذكرها هنا لتلا يطول الحديث خالياً من الجليد مقتصراً على الحقائق التي دونتها وان في بعض الحقائق ما هو اغرب من تلفيقات الخيال

الفصل الثامن

مياه المدينة - احواض وعيون المياه - الحمامات العمومية - حمام البحر

كانت بيروت تستقي قديماً من مصدرين من آبارها التي ينتسب اليها اسمها بيروت وهي لفضلة عيرانية مركبة من كلمتين (بير) و (ورت) اي الآبار الكثيرة او جمع بئر ومن نبع العرعار بين قريتي برمانا وبيت مري وقر المياه من ضفة النهر الشمالية الى الضفة الجنوبية على قطار بخوار (الفاضية) تنقل مياه الجبل الى

وكانت ملابس الاطفال كملابس الوالدين ويلاحظ ان البنات الصغيرات كن يغطين رؤوسهن بتبديل شاش ابيض يستعملنه (كطراحة) ويرى البيروتيات تغطية الرأس واجبة حتى على الصغيرات وتقتار ازياء ذلك العصر بانها كثيرة القطع تعوق المشي وتحفي تحتها تقاطيع الجسم فلا يبين من الاطراف شي .

وكانت البيروتيات يكنحن ويستعملن لذلك مروداً صغيراً من الخشب او العاج او الفضة دقيق الطرف كليل الحد بنفس في المسحوق الاسود وغير بين الجفتين . والوعاء الزجاجي الذي يوضع فيه الكحل يسمى (مكحلة) وعادة النكحل كانت شائعة في بلدان الشرق منذ قديم الزمان وهي ظاهرة في نقوش المابد والمغاوير ورسومها وكثيراً ما اكتشف في مغاور الجبل القديمة مكاحل فيها آثار الكحل ومراوده

وكن يحضن ايديهن واقدامهن بالحناء فتكسب اطرافهن لوناً احمر مشرباً بالصفرة او زيتونياً مشرباً بالسواد وكثير منهن يصبغن الاظفار والامثال والاصابع والايدي الى المصم ويرسمن خطوطاً هندسية باشكال مختلفة والخضاب يكون يسحق لودان الحناء المحلوكة من مصر وعجنه بالمال ثم تسطر راحة اليد والجزء اليد وتقلي ثم تلف بخيوط وتربط برباط من الكتان لينة كاملة . وهذا الخضاب يبقى نحواً من شهر . اما الوشم فلم يستعمله البيروتيون ولا البيروتيات بل كانوا يستدلون من الوشم ان صاحبه قروي او غريب . وكان بعض النساء يمدن الى نتف الشعر عن خدودهن واطرافهن بمادة من السكر المطبوخ يوضع على الجلد بارداً . اما الشعر فيضفر ضغائر ويضاف الى كل جديدة خيوط من الحرير الاسود يعلق بطرفها قطع ذهبية صغيرة وبعضهن يرفعن الشعر فوق الجبهة وتسمى الفرة او (الشنيور) ويتعطرن بالروائح القوية .

ومن معالم الزينة عند عامة الرجال انهم كانوا يكحلون عيونهم معتدلين استعادة العين من الكحل ويحضن لحاهم . وللحية عند اهل ذلك العصر القدر المحلى يتزين بها رجال الدين وبعض اهل العلم ويعودونها بحبله للبية مدعاة للوقار . ولقرط تعظيمهم للحي كانوا يقسمون بها عند مسيس الحاجة وكانت سيدة المآل اذا ارغبت في اكرام ضيف تذر ماء الورد على لحيتهم . اما الشبان فكانوا يخلقون لحاهم ويستعوضون عنها بالشرايين . وكان الشارب في نظره زينة وجه الشاب كما ان اللحية زينة وجه الشيخ ويعنون

المدينة يزعمون انها خربت في الزلزال التي دهمت بيروت في عهد
يُسْتَتِيان الروماني . وكانت هذه القناطر من اجل ماصنعه الاقدمون
في لبنان من الابنية تجري فيها المياه على قناطر ذات اربعة طبقات
مرتفعة بعضها فوق بعض بلغ علوها (٥٠) متراً وطولها (٢٤٠)
متراً . والعاملة تنسب هذه القناطر للملكة تدور ولزبيدة زوج
هارون الرشيد وسُميت قناطر زبيدة ويقال ان الرومان هم الذين
شيدوها بنحيت الحجارة الكبيرة ولحموا بينها بالملاط الروماني المتين
وكانت المياه الجارية فوقها تنفذ في سرب منقور في الجبل الى
ضواحي المدينة فتسرب في منطف تلال الشرف فوق الطريق الحديدية
الحالية حتى تبلغ البلد مارة من مدرسة الحكمة . وقيل ان مقدار
الماء الجاري فيها كان يبلغ كل ثانية متراً مكعباً .

اما في العصر الذي اكتب عنه فكانت المدينة تستقي من
ماء يقال ان منبعه الحلة المعروفة برأس النبع فينتقل في جوف
الارض الى محلة الكراويا ثم يسرب الى المدينة لينتهي في ناحية
الدركة وهناك كان يجري في انبوب الى حوض منحوت في الصخر
يسرب منه الاهالي ويستقي الوارد والصادر . وقد انقطعت مياه
النبع عن الحوض منذ زمن بيدا انها ما زالت تتسرب في محلة الكراويا
الى وقتنا الحاضر . وقضلا عن ذلك فقد كان بين البيوت آثار تنبع
ومياه جمع واحواض ماء . منها عين قرب باب يعقوب خارج السور
وحوض على غطى قليلة من باب يعقوب خارج السور . وحوض آخر
في محلة المريسة (المرسى) المعروفة اليوم بمحلة (عين المريسة)
وعين التينة في رأس بيروت وغريها . وكان من عادتهم ان يشيدوا
احواضاً يسمى واحدها سبيلاً تذكاراً لمنوفى عزيز فيسرب منه عابر
السبيل متراحاً على صاحبه . وكانوا ينقشون عليه بعض الكتابات
فيكتب المسلمون :

الفاحة

وجعلنا من الماء كل شيء حي

شيد هذا السبيل عن روح المرحوم فلان في سنة كذا

وكان في بيروت حمامات عمومية بناها الامير فخر الدين المعني
على نسق حمامات دمشق وتهدمت ولم يظل منها في العهد المصري
الا حمامان . احدهما (الحمام الصغير) والاخر (الحمام الكبير)
والحمام العمومي مقسوم على خلوات كثيرة وفي داخل كل خلوة
حوض من الرخام فيه انبوبان من احدهما يجري الماء الحار ومن الاخر

الماء البارد فيدخل الانسان الخلوة منفرداً لا يشاركه احد الا اذا
شاء . وفي زاوية كل خلوة ايضاً حوض آخر كبير للاغتسال ومن
عادة صاحب الحمام ان يقدم ثلاث فوط اكل داخل يتر باحداها
عند دخوله وبالاخرى عند خروجه والثالثة ينشف بها بدنه . والحمام
في ذلك العصر ملتقى جميع طبقات الناس لان البيوت كانت يومئذ
خالية من الحمام وبعض الناس يقصدون الى الحمام العمومي استشفاء من
الامراض الجلدية او الراحة والتسليه . وقد خصص الحمام في النهار للنساء
وفي الليل للرجال يجتمع فيه المواطنين على وداد . وكان من عادة النساء
على اختلاف الطوائف ان يلبن بعض الماء اكل والحار ويقضين النهار
بشكله على صفا . ويظهر هذا الوثام جلياً في ان بعض الطائفتين من المسلمين
اخواناً في الرضاة بين المسيحيين المعاصرين . وكان من عادتهن
ان يجتمعن في الحمام العمومي قبل العرس بأسبوع ويجلبن المغنيات
(جوق المتاني) وبعد الاستحمام تلبس العروس افخر الثياب وتجلى
في صورة الحمام . وقد افاض الشاعر لامارتين في وصف ما كان
يجري يومئذ في حمام بيروت بكتابه (رحلة الى المشرق) .

وكان بعض الرجال عند اشتداد الحر يقصدون الى البحر
ويستحمون في موضع القهى المسمى اليوم (مقهى الحاج داود)
فوقه من المياه الصاعدة .

الفصل التاسع

المقاهي : اسباب التسلية فيها . شرب القهوة . تدخين الشبقي والتاراجيلة
كرأكوز الحكواتي

كان اكل سوق من اسواق بيروت مقهى يسمى باسم سوقه
والمقهى حجرة كبيرة بني حول جدرانها دكة فرشها الحصر يجلس
عليها وعلى كراسي صغيرة واطليه حلقات من الناس يتناقلون احاديث
الانس ويشربون القهوة . ولقاهرة عند البيروتيين شأن كبير ولا
يعدلون بها شرايا وتضع على نوعين الواحد محلى والاخر بسدون
سكر ويسمى قهوة (سادة) او (عقالية) نسبة الى العرب اهل
العقال . وكثيراً ما يرضون فيها حب المال . والنوع الاول يقدم
غالباً في البيوت اما الثاني في المقاهي والمآتم . يحمل الساقى الاثاء
(الدلة) او (الزكوة) في اليسرى ويقدم فنجاناً من اخرفا يلمني
فيأخذ الشارب الفنجان يمينه فيشربه ويدفعه اليه ويصّب فيه

الساقي دفعات حتى يكتفي الشاب . والدفعة رشقة تقل عن ربع الفنجان واخيراً يمسح الساقي الفنجان بقطعة من الكتان ويدور به في حلقات الجالسين .

وفي المقي كان عوام البيوتيين يرفهون عنهم الشواغل اليومية بتدخين الشبق وكلمة شبق من التركية (شيق) وهو انبوب رفيع يبلغ طوله عادة اربعة او خمسة اشبار وبعضه اقصر او اطول يصنع غالباً من خشب الكرز وينتهي بججر من الآخر وهو موضع التبغ والنار ، بينما الغم في الطرف الآخر ويتألف من قطعتين او اكثر من الكبريتان او غير ذلك من الاحجار الكريمة او المعادن النفيسة اذا كان المدخن من الغواة او من الاغنياء .

ومن عادة المدخن ان يجعل لاستعماله اليومي من التبغ في كيس صغير يحمله في عب قصيصه . وكان بعض الاهالي يعيش على صنع الشبق وتنظيفه بخيوط ليفية لان استعماله كان اكثر شيوعاً من النارجيلة المعروفة اليوم والتي كانت يومئذ مختصة بالطبقة الفنية . والنارجيلة كلمة فارسية معناها (ناركيل) اي النار بجوزة هند وزعموا انها وجدت على زمن احد ملوك الفرس القدماء . وكان هذا الملك مصاب بالفتق يسمع له صوت فاستشار احد اخصائه في الامر فاخترع له النارجيلة ليتعاطى شربها في الخس اخفا . بقرقرتها لصوت موضه . . . ثم انتشرت في ملكها على يد في كل بلدان الشرق الادنى . واستبدلت الجوزة فيا بعد بوزاء . زجاجي على شكلها وسميت الشيشه وهي كلمة فارسية ايضاً بمعنى زجاجة .

وكان التبغ المستعمل يومئذ رائحة زكية ويحلب اكثره من مدينة اللاذقية ولا شك ان استنشاق النارجيلة يضر بالرئة الضعيفة لان المدخن يشرق سهم الدخان (النيكوتين) الى رئتيه مثلاً يستنشق الهواء النقي . ولعل اكثر امراض الكبد في بلادنا ناشئة عن استعمال هذا النوع من التدخين .

سئل بعض الظرفاء المومنين بالنارجيلة : ماذا يجني المرء من التدخين بها فقال : ثلاث منافع . اولها الكلاب لا تمضه . ثانياً الاصوص لا يسطون على منزله . ثالثاً لا يشيب طول عمره . ثم فر قوله : ان من اكثر التدخين بها يعرض فيضطر الى حمل العصا (البكاز) وتحاف منه الكلاب فلا تمضه . ومن اشتداد السعال عليه في الليل يظل ساهراً فلا تجر الاصوص على دخول منزله . ولا يدرك

الشيخوخة لانه يموت في صباه . . .

وفي المساء كان رواد المقاهي يتفرجون على غيالات (كرا كوز) ورفيقة (عيواظ) المعروفين يومئذ في بلدان الشرق الادنى وشمال افريقيا وبلاد اليونان . وخيمة كرا كوز قطعة من القماش الابيض تنصب في ركن المقهى وتنازل خلفها شجرة بعد اطفاء السرج ولا يبين حينئذ الا الشاشة البيضاء واخيال الذي يعرضه اللاعب من خلف الستار ويمثل اشخاصاً وحيوانات مختلفة وكان يتحدث بلسان اشخاصه ويتناول مشاكل العصر بالمذبح او القدح ويتعرض لبعض الكبرياء المعروفين يومئذ بطرف من الدعابة الخلوة ويجعلها حديث السمر . وحينما ينتهي دوره يأتي القصاص او (الحكواتي) فيحدث الحاضرين عن ابطال الحرب وابطال الجود وابطال القرام فعزلا منقولة من سيرة عنتر بن شداد والوزير المهمل والي زيد الهلالي سلامة ويوقع حديثه - احياناً - في لباقة ولطف اداء على الرماية . وكانت هذه القصص محببة الى قلوب الاهالي يتبعون صمخ فصولها يشعشع سليل ويثيرون لاولئك الابطال . فقد ذكروا عن رجل من العامة انه كان شديد الإعجاب بعنتر فيحضر كل مساء لسمع اخباره وحلث ان يقدم المقهى على عذوته فانتهى القصص من السيرة الى فصل وقع عنتر فيه اسيراً وانصرف الرجل الى بيته كئيباً حزيناً فسالته زوجته غايه فقال لها : ان عنتراً بطل الابطال وقع اليلة اسيراً بيد اعدائه فلن يرتاح بالي حتى يطلق سبيله ومضى هزيع من الليل وهو يقظان يفكر بعنتر ويتحسر عليه فجاءه الرقاد وجلس مطرقاً ثم لبس ثيابه وخرج تحت جنح الظلام الى بيت القصاص واطلعه على ما اصابه فقال القصاص : اني اطلق سراح عنتر اذا انتقدتي شيئاً من المال . فقبل الرجل وانطلق القصاص يسرد الفصل الثاني والثالث حتى انتهى الى الفصل الرابع الذي فيه تحصل عنتر من الاسر فاطمان الرجل وعاد مهنولاً الى داره ووجهه يطلع بالسر معتقداً انه بذلك اطلق عنتر من الاسر .

تلك كانت اسباب التسلية والتفريج عن النفس شأن ابن يدوت في ذلك العصر ان يختلف في آخر النهار الى بعض المقاهي ويستمتع لحديث القصص ويتفرج على غيال الظل وينفس عن كربه بالشبق ثم يأوي ليلاً الى بيته هادي . النفس ناعم البال بعد ان يضع في يد صاحب المقهى نحاسين قيمتهما قرشين بعملة هذه الايام .

شخص طيارة

عابرة

انشودة' لم تحتلج في خاطر الوتر اليتيم
تجتاز عابرة رفيف الحلم في وجه النعيم
لمعت ادھاري العتاق وغصت في الامد القديم
فاذا بوجهك صورة عذراء للقدر الحكيم
والفن انت لديه في غده تهاويل الرسوم

تضيق ، بالبشرية التعبي . بانقال المهوم
وتزيني الابد المطلق بمقلة الازل الوسيم
والله يطالع في الدم المبحوح فجراً ذا وجوم

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تمضين راعشة وأمضي في الضباب الى جحيمي
انا هارب بالكون اوهاماً الى كوني الكتوم
انا هارب منه اليه عند وهم مستديم
واذا رأيتك أجفلت عيناى للرسم المقيم

وثن أرى الهدآت في عينيه احلام النجوم
فأغيب في هدرات كأس لم يسلسلها نديي
شطء على صدر الغيوب يموج في كف المديم

علي محمد شمس - صيدا

صاحب السمك الاعور

قصة

بنلم رشاد المغربي دارغوث

كنا

نصاف في عاليه هذه السنة - فلا نجد لنا في هذا الحي الكبير المقطع من صميم بيروت ساوى سوى الجلوس قبيل القروب في المقهى ، نودع الشمس تنحدر الى ماوها وراء العاصمة الفارقة في لجج الضباب ، ثم نتقل الى الجهة المقابلة نستعرض المارين على الطريق العام ، وخاصة بعض « المارات » في زيتنتهن الرائعة وعدوبتهن المعرية .

وجئت اليوم على عادتي اكمل الطرف برأى هذه الودبة المحضوثة تقوم بين مقهانا في المصيف ومسرح حياتنا في المدينة كمايقوم المثل الاعلى بين

القهر والجد، يركب جراح ذلك ويندي وجه هذا ، فلم اجد أرفاق ، وظللت ردها من الزمن اتاجي الطبيعية في فتنها وتنوع الوانها وتنافر مظاهرها وظلاها. احاول ان اركز بصري على مشهد بعينه فيترجى الى آخر حتى يستقر هناك في المدينة ، على مقربة من هذا البحر الذي يغسل اقدامه دون ملل .

ولم يرض غير قليل حتى اقبل ثلاثة اشخاص ، منهم امرأة في مقبل العمر ، تركت لرفيقها مهمة انتقال المكان، وجات فوقفت الى جانبي تطل على الوادي الخالم في هداة العشية وما وراءه . ثم سمعتها تتنم بكلكت علت بعدها انها حلبية ، وانها تعد على لبنان للمرة الاولى في حياتها .

ولا ادري متى عادت المرأة واقعدت كرسيا بين رفيقها ، ولا متى جلست بدوري على اقرب كرسى وجدته ، ولكنني اعلم اني فضلت البقاء حيث كنت ولم انتقل هذه اللبلة الى الشرفة الملاصقة للطريق العام .

وسمعت احدهم يقول :

« هل رأيت نهر الاردن ؟ »

فيستدرك الثاني مستبقاً جواب المرأة :

« نهر الشريعة .. الذي اغتسل في مياهه السيد المسيح . »

وسمعت المرأة تحجب بدورها :

« لا .. ولكنني درست في الكتاب انه يأخذ مياهه من

سفوح لبنان الشرقي .. وان هذه الجداول تنحدر شال بحيرة الحولة لتؤلف النهر المقدس .

فيستأنف الاول قائلاً :

« والذي يعنينا

هو احد هذه التبايع ..

الحاصباني المنسوب الى قرية

بهذا الاسم .. هذا النهر

يا آتسي عجيب حقاً لا

بكمية مياهه الضئيلة

نسباً ، ولا في منبعه العادي

وانا في نوع من السمك

يعيش عند النبع هو من

الغرابية بكان .. »

لست بمن يسترقون

السمع او النظر .. ولكنني اعترف انني تعمدت الاصفاء هذه المرة

ولم يفارق نظري هذه التي حسبتها سيدة لحظة واحدة . وفي وجهها

معنى غريب يزيد اثر (الحبة) فتنة كما يغربك بتناجاته طرف ناعس

ييسم ابداً ولا يعرف معنى الحجل .

وتابع الرجل يتعمد استثارة الاعجاب في سامعيه :

« سنذهب الى حاصبيا وسترين .. هذا النهر ينبع في بقعة

لا تتجاوز مساحتها الهكتار الا قليلاً .. تنفجر مياهه وسط الحجارة

والحصى لتتجمع في شكل بركة قريبة الغور .. ثم تسيل وتصب

في مجرى النهر بمحاذة بعض الصخور التي تعترض سبيلها بشكل شلالات

فتضاحك الفتاة ساخرة : - كشلالات نابغا .. »



— وفي هذه الحركة يعيش ذاك النوع العجيب من السمك .
ان الواحدة منه لا تتجاوز طول ما بين الأبرام والسبابة اذا انفجرت .
وهو اسمر اللون في سواد عند ظهره . واذا امسكت بسمكة وجعلتها
بحيث يكون ذنبها اليك رأيت ان ليس لها عين في الجهة اليمنى .
او ان تلك العين مفلأة قد حجبتها جفنان لم يخفيا شكل الباصرة
ولا تكوينا .

فتقول الفتاة :

— انه سمك اعور !

ويتوقف صاحبنا بهز رأسه هزاً متتابعاً وهو يستطلع اثر
اسطورتته في نفوس سامعيه . ولما اطمان الى ما بعث فيههم تابع
حديثه وكأنه يأتي فصلاً تشلياً :

— « هذه سمكة ! انها تتجه نحو مجرى النهر . التيار يجرفها —
على ضعفه — فنكاد تنسكب مع مياهه في المجرى . ولكن لا !
انها تغتر من فوق المياه وتعلو في الهواء بحركة بالوانية ثم تقطس
في الحركة لتعود فتسبح في عالم المحدود . اما مجرى النهر نفسه ففيه
من الاسماك ما في سواه من الانهار . سمك عادي يضرب لونه الى الحمرة
اذا بلغ سنامية ! »

لم تكن دهشة السامعين دون اعجابي بهذا قصة القورية يورينا
رجل قدل مظاهره على ثقافة شاملة ويتم حديثه عن عقل متين .
غير ان الفتاة سبقت الى التساؤل كأنها قرأت الحيرة في عيني اللتين
لم تعرجا غارتين بين اهداب المتكسرة :

— « ولكن الم لا يكبر هذا السمك ولم هذا العور في احدي
عينيه ؟ »

فيتضاحك احد الرجلين محبباً بلهجة هادئة — لهجة استاذ في
الفلسفة عتيق — :

— « جواب سؤالك الاول معاد فيه : انه نوع من السمك
لا يكبر .. »

ويقاطعه الثاني بسيل من حديثه الفياض وفجته (المتحصرة) :

— ... او جوابه عند اهل القورية وما جاورها . فهم يصطادون
اسماك الحاصباني باستمرار . . . يطلقون في البركة اصابع من الديناميت
تفجر وسط مياهها المادنة لتعكر على اولئك الضعفاء صفو الحياة
وتقتضي على الثالث منهم دفعة واحدة . »
وتقول الفتاة ماجنة :

— « انه يكبر في معد البشر ... »

ويضعك الرفيقان بدورها للسنكة ويخيل الي انا الآخر انني

ضحكت كما لم افعل منذ ان باعد جد الحياة بيني وبين مرح الصبا
وعبت القفرة . فبهذه الفتاة تشع من حولها ما يستغفك ويبعث في
النفس ما لا ادري من نشوة تذهل المرء عما هو فيه .

ويتابع صاحبنا سرد حقايقه بلإقافة المحدث البار :

— « والغريب ان يحدثك اهل الناحية عن سمكهم العجيب
بلهجة من لا يرى في الامر كبير غرابة . انهم يملكون ذلك منذ
اجيال ويرون تلك الاسماك منذ شبوا عن السراويل القصيرة . .
فهي منهم بمنزلة البحر من سكان السواحل يفقده الجوار ووعته
في العيون وبهرجه في القلوب وعظمته في النفوس . »

ثم بعد وقت قصير تعمد :

— ... هي العادة ! انها تحول بين المرء وبين تذوق الجمال
التكرار فتقصر حياته معنى وان اطالها حساً .

فخيل الي عندئذ ان وجعت الفتاة قد اصطفتا بلون لم اتينيه
على نور الكهيا . وراء السحر الذي تنفثه هاتان العيناان الحضراوان
في فضاء من الحنان والطف على كل شيء . . حتى على هذه
المجربات التي حملها غلام المقهى فقطع على الجماعة لذة الاستمتاع بما
بعثه (الاسطورة) في نفوسهم من دهشة واعجاب .

غير ان صاحبنا لا يتراجع فعاد يكمل حديثه بين الجرعة
والجرعة . . . فيقول لعل الهم الزوال :

— كنا — انا وجماعة — نساءل عن سر ذلك العور عند
بركة النبع منذ عشر سنوات ساعة اقبل رجل وامرأة في سيارة
فضية . انهما يترجلان ويسرعان الى النهر يشيران ويلاكل منهما
قنينة كان يحملها فيحكم سدها . ثم تنجي المرأة وتجمع عن قلب
المياه حصى تضعها في منديل حوري ناعم وتلتفت الي — وكنت
قد اصبحت على مقربة منها اتابع سمكة تجاذي الضفة — وتبسم
بسمه القريب يحاول الاسترشاد والسؤال عن امر يهيم . ثم تحاطبني
بلتها بعد التحية :

— هل تتكلم الانكليزية ؟

— نعم . . . قليلاً .

— اريد علبه من (تنك) فهل اجد في حاصبيا ؟

— بالطبع . . . ولكن لاي غرض ؟

— لاحفظ فيها هذه الحصى !

لك ان تبسمي كما ابتسمت انا اذ ذاك وكنت يافماً او في
مطلع الشباب . ولكن تني ان ما اشعر به الان اذ اذكر هذه

سمراء

سمراء!! يا أملي الجريح على فم الصبح الجريح
يا بسملة العيش الكئيب على بحياه الشحيح
طلعي على دنياي بالقسمات باسمه وبوحي
واستتر في الآهات من قلبي تذيب ومن جروحي

سمراء!! يا أملي البعيد على غدي الدامي البعيد
في خصرك المتعيل آيات الجمال فلا تريدي
تذيب من الأحلام احضنها من النظر الشريد
واحس آلام الدهور بمزلق بين النهود

سمراء!! يا زهو الشباب وروعة الحب الطليق
دنياك عابقة المنى بالروح، بالذكرى - افيق
ذكراك تملأ جانحي وخطوقي ضلت طريقي
فأهيم أعثر - والرجاء يفر من قلبي الرقيق

محمود عيسى - مصر

المراة التقية المؤمنة حتى بالحجر يعبد الى نفسي شيئاً من
الطرائفة كلها رأيت الناس ينغمسون في المادّة حتى اعناقهم !
وكان علي ان ابدأ الحديث هذه المرة :

- هل رأيت يا آتسة - وكانت حديثه السن عذبة عذوبة
اختصت بها الامريكيات - هذا السمك الذي له عين واحدة (ولم
اجد لفظة اعور بالانجليزية) ؟
- انه اعور ! صحيح ؟

وانحتت تمنع النظر في سمكة عابرة ثم نادت بصوت المأخوذ :
- يايا ! تعال وانظر ! سمك اعور !

ويقبل الاب يهتف شوقاً الى رؤية هذه الاعجوبة ... ويكسب
مثلنا على الماء يخلق النظر ثم يقول بعبودة معهودة - حقاً انه اعورا
ويسير متأبطاً ذراع ابنته بعد ان تعارفنا وقدم الي بطاقته كما
قدمت اليه بطاقتي ... ونحدثنا عن (دارون) ونظريته في التطور
كان ذلك عام ١٩٢٦ . ومنذ ذلك الحين ما يروح السمك الاعور
والآتسة د . ل . م . س . الاميركية في مخيلتي . حتى كان
الاسبوع المنصرم فحمل الى البريد كتاباً فتحتة فاذا به منها .
تكتب الي لتذكرني بالسمك الاعور وبغسها وابيها وتقول :

- « ... » وكان قبيل وفاته يتحدث عن بلادكم المقدسة الجليلة
... وعن السمك الاعور . وقد اوصاني بان اعود مرة ثانية ...
وحدي اذا فاجأه الموت واحمل معي بضع حبات من الملح
« سأزور فلسطين في الربيع القادم وارجو ان اتابع سيرتي الى
لبنان والى منابع النهر المقدس ... وان اراك ! »

لم يصل صاحبنا الى هذا الحد حتى غر الحلقه الصغيرة جو من
الاضطراب وغاصت في عيني الفتاة تلك الشعلة الاخاذة وعسدت
بدوري استمع الى جلبة الناس في الجهة المقابلة . فاسعني الا ان
اقوم الى مجلي المتاد استمرض من ير في شارع القصبه الاوحد
فلا ادرى سوى تبتك المئين الخضراوين على الرغمة من ازدحام
الطريق بالآف المتزهات والمتزهين ازدحاماً يحيل اليك معه ان
بيروت بأسرها قد انتقلت في هذه الليلة الخائقة الى هذا الحي
الصاحب الماجن .

ولقد رأيت الفتاة بعد ذلك وحيدة مرات متعددة ولكنني لم ار
فيها سوى ما اثارته في نفسها نهاية حديث صاحبنا ... صاحب
السمك الاعور !

رسالة المغربي دارغوث

الادب العربي في ما عليه^(١)

التكلف . الافراط في السجع . تراحم الجناس . نبذة للكاتب الفرنسي فيلنون في المدق الادبي

فلم ادوار مرفص
عضو المجمع العلمي العربي

من

« ان كل هذا العناء بتشيل صراط يوم الدين في وعد مخلوق آدمي واشتال ثيابه على جنة الفردوس تحتها وغصة النجوم حسين تراه لحسدها اياه وموت غصون البان غما نحن ترى اعتدال قواه لا يفعل شيئاً في نفس الاديب الناضج لظهور الكلفة عليه واستصعاب الذهن ان يتصور له صورة حسية . هذا مع ان ناظم البيتين اشهر بالركة والسلاسة . » واين قوله المستقل هذا من رشاقته وكياسته في قوله :

ياشرك الالاب كن بجملاً واستحي من منظرك الاجل
اخشى عليك المار من قولهم مستدل القامة لم يعدل

ومن التكلف التلاطم في الانفاظ عن طريق الجانسان والطباق ونحوه ما هو قد يجي . التكلف دليل مهارة في الصنعة ولا يكون لفظه مستقلاً فليس من الحق حينئذ ان يحسب قبيحاً وان لم يثر نفساً ويرفع حساً بل يعد في مثل هذه الحالة مقبولا او محتملاً . ومن امثلة ذلك ما قاله ابو القاسم الحويري صاحب

المقامات المشهورة :

واحوى حوى رقي بركة ثغره وغازدي الف السهاد بقدره
تصدى لغنسي بالصدود واتي لقي اسره مذحاز قلبي بأسره
اصدق منه الزورخوف ازوراده وارضى استع المجر خيفة هجره
واستعذب التعذيب منه وكلنا اجده عذابي جد لي حب بره
تناسى ذممي والتناسي مذمة واحفظ قلبي وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهي بهجبه واكبره عن ان افرو بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ولي منه طي الودن بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى علي وغيري يعني رشف ثغره
ولو لا تثنيه ثنيت اعني بدادراً الى من اجنلي نور بدره
واي على تصريف امري وامره اري للمر حلوا في اعبادي لاسره

فلو اقتصر على بيت او بيتين على هذا النمط لكان الامر اقرب الى القبول لا بدعو القاري الى السامة والى التهكم على الناظم شعراً بان الصنعة اللفظية وحدها دعت الى ما قال لا عاطفة حب صحيحة . وعلى كل حال فهذه الابيات وامثاله غير مما كان فيه مع التكلف خشونة لفظ وعسر نطق كقول المتنبي :

مطاعن الادب العربي اجمالاً التكلف والافراط في السجع وفي الجناس والغوالي الافراط في المباشرة ، وطول المقدمات والاستطرادات . ونظم قواعد العلوم شعراً ، والاقذاع في الهجاء اي الافحاش فيه ، وبذاءة التمييز خارج باب الهجاء ، والافراط في المدح ، وتصدير قصائد المدح والتهنئة بالقرول والنسيب والتشبيب ، وتحويل الخصومة الادبية او المناظرة الادبية الى عداوة صريحة ، وعودة التركيب . وقد خصص الفصل الحاضر بالعيوب الثلاثة الاولى اي التكلف والافراط في السجع وتراحم الجناس لانتها اوضاعها اثرأ واعظمها نزقة لاقلام الادباء . واما سائر العيوب والمطاعن فقد تناولنا الجانبا في فصول اخرى .

فن التكلف عن طريق الغلو قول المتنبي :
قد كان في كفى في العجز
وشكيتي فخذ السلام لانه
ومن التكلف قوله ايضاً :
لم تحك نائلك السحاب وانما
حمت به فصيلها الرحاض

الرحاض هي عرق الحموم . خاطب الشاعر مدحوه قائلاً : ان السحاب لم تحك كرمك حين هطلها بل اسابها الحسد لتقصيرها عنه فامرضها واعتقتها الحى وما الماء الذي تسج به الا عرق الحى . - فتأمل هذا التكلف البارد وهذا الاغراب المضحك . ان البيت يدل على دقة تفكير وعلى فساد ذوق معاً . ومن هذا القبيل قول ابراهيم بن سهل الاشبيلي واصفاً جمال محبوبه :

يثل لي ضج الصراط بوعده ففي جنة الفردوس في طي برده
تنص بمرآة النجوم وربنا قوت غصون البان غما بقدرة
واعيد هنا بشأن هذين البيتين ما قلته في بحث ادبي قديم :

(١) كان الكاتب منذ بضع سنوات قد وضع ونشر رسالة عنوانها : « الادب العربي في ما له وفي ما عليه » وبعد نقاد نسخها نشط على ان يولي الموضوع ما يستحقه من العناية واشاع البحث وتوسيع نطاقه فضم الى ما كتبه غزائره اضافته حتى اصبح كتاباً منسوخاً وهو اليوم من مخطوطات المؤلف . ومن هذا الكتاب اخذ الفصل الحاضر اقراء بحلة الاديب .

فعلقت بالشوق الذي فقل الحنى
قلقل عيس كلبن قلقل
ومن التكلف المتراحم غير المستحب ما قاله كاتب هذا المقال
في احد مطالعه باوائل نشأته الادبية :

وطيها به النسر حباً قائم
يا ابن الهوى اذ خاله الحسنه
اي : ورب غزال رفض النسيان ان يتخذ حبيباً فاقصده يا
صاحب الهوى لان شامته السوداء احاط الحسن بها . ولكن ناظم
هذا البيت كان تكلفه في التلاعب باللفظ سهل المأخذ مغتفراً وربما

استعلاء كثيرون عند قوله في ختام قصيدة نسب له قديمة :
تفتنني ابي اوحده حيك
فلم تصالوا قلعاً ونشاة وحسداً
فواعباً من مسلمي القلب الجوى
يدون صباً عيسوياً موحداً

ومن قبيح ما رجز به احد الشعراء في انشاء وصفه لبلز من
بزا الصيد وقد اراد الاستطراء من ذلك الى ذكر ممدوحه جعفر :
منقاده جم اذا ما صوراً
يقول فيها من يحقق فكراً
لو لخبثا الدين مع قاء ورا
فاصلت بالجم صارت جعفر

ولا نفلن من اهل الحذق العظم والفكر الدقيق من يعلم ان
الجم اذا تبعها العين والفاء والراء تألف منها « جعفر » واورد من
هذه الفلسفة تحكم الناظم فلماذا يطالب الناس ان يسوقوا الجم الى

اسم جعفر مع امكان سرقها الى كل لفظة مصدرة بالجم بحيث
يتسنى الحصول على جم او جوعان او جرب او جوبن الخ .

وانما يقبل هذا النمط ويستحسن في مقام الغزل والفكاهة لا
في مقام الجد . ومن ذلك ان صاحب هذا البحث قال ذات يوم
على سبيل المداعبة والتكميم : لغزاً باسم صديق :

اصدقني املنز بك فاجتهد
في حل لغزي فهو امر غاف
ما اسم رباعي به صاد فدا
ل ثم ياء تنعني بالفاف

وبما ان التي ياشي . يذكر نقول ان سخافة القول قد تكون
على طريق تكلف الجناس كما تقدم ايراده وقد تكون السخافة
على غير هذه الطريق بذكر ما لا طائل تحته فهو من قبيل تحصيل

الحاصل بقول بعضهم :
الليل ليل والهار همار
وقول الآخر :
كأنا والماء من حولنا
قوم جلوس حولهم ماء .

*

ومن التكلف الافراط في السجع وهو اوضح واشيع من ان
يحتاج الى تمثيل اذ لم يكذب ينجو منه كاتب كبير اوصير من ادبا .
المولدين . ولا شك ان كثيرين منهم اجادوه فيجازوا به راسخاً في
موضع غير مترعر . واحكامهم له على هذه الصورة غف سامة
القاري . منه ولكنه لم يرها . لان النظم الطويلة من الكلام اذا

سجعت جملا كلها احس لها السامع ببعض الثقل وود لو تستريح اذنه
من قسم فيها الى الكلام المرسل . هذا ولو جاء سجعاً حسنناً قصيداً .
واما اذا كان ركناً كيميافاك البلا الذي لا يطابق اذا كان من
نمط مخاطبة ذلك السيد لخادمه : « من بابايب . ايها الهاب »

ان السجع الطيب في ادبا العربي كثير . واكثر منه السجع
المتوسط الحسن . وللسجع القبيح في كتبنا زوايا غير قليلة . واذا
اسرف الكاتب في السجع اتعب الاذن والذهن ولو جاء به حسنأ
رشيلاً وهكذا كان شأن من وصلت اليها آثارهم من جماعة من
فحول منشئنا كالوزير المهلبى والصاحب بن عباد والي بكر
الخوارزمي وديدع الزمان الهذلي والصاني . وابن العميد والحريري
واضرابهم . واذا كانت مقدرة الكاتب المسجع دون طبقة
هؤلاء . وابناء طبقتهم قليلون جداً في كل عصر . وجد القاري .
المتوسط الفهم كثيراً من فقره جاءت حشواً او لغواً اذ ساقها
السجع ان تكون مرادفات لما قبلها بحيث يستغنى عنها . وهذه
الزيادة تناقض البلاغة ويسميا البيانيون اسباباً . وطالما عهدنا
الزيادات في امور كثيرة انقلب الى نقائص .

ومن السجع الطيب الخفيف الظل المتلى . حلاوة وطلاوة ما
قاله ديدع الزمان الهذلي في ذم احد القضاة :

غير السبال . ولا يعرف من ادواته غير الاعتلال . ولي القضاء . من لا يملك من آتته
الا الاستحلال . ولا يحسن من الفقه غير جمع المال . ولا يتقن

من القرائض الا القلة الاحتفال . ولا يدرس من ابواب الجدال .
الا قبيح الفعال وزور المقال . ذاك ابو بكر القاضي اضاع الله كما

اضاع امامته . وخان خزائنه (الى ان قال) . ابيكني ان يصح
المرو بين الرق والورد . ويمني بينه وجبات الحدود . حتى يكمل

شبابه . وتشبب اترابه . ثم يلبس دينته . ليخلع دينيته . او
يسوي طيلسانه . ليعرف يده ولسانه . ويقصر سباله . ليطيل

جباله . وييدي شفاقة . ليستر مخارقه . ويبيض حليته ليسود
صفحته . ويظهر ورعه . ليخفي ظلمه . ويغشى حمرابه . ليملا

جرابه . ويكثر دعاه . ليشعر دعاه . لا شاهد عنده اعدله .
السلة والجام . يدي يهما الى الحكم . ولا مزيكي لديه اصدق من
الصفو . التي ترقص على الظفر . ولا وثيقة احب اليه من غزرات
الحصوم . على الكيس الخنوم . ولا حكومة ابغض اليه من
حكومة المجلس . ولا خصومة اوحش لديه من خصومة الناس .
وما ظنك بقوم يحملون الامانة على متونهم . وما يكون الناس في

بطونهم .

فمن وثق من نفسه بثقل هذه العراة في التقية فلا بأس من ان يستخدهم بها في شيء . من مشوره . ولكن المولدين اولما بالسجع الى حد صاروا يعدون غيبابه دليل عجز وتقصير ولو في تسمية كتاب او فصل من كتاب وتسمية قصيدة او خطاب او نبذة قصيرة . وهذا الاصطلاح في التسمية لا يزال اكثرنا يجري عليه في عصرنا الحاضر مع ان التخلص من اسره اجسدر بنا وادل على قوة التميز فينا ومن ثم بننا نرى بين اسماء الكتب - طيب العرف . في علم الصرف - عقود الجمان . في المعاني والبيان - ضوء المشرق . في علم المنطق - كشف الحجاب . في علم الحساب - قطف الزهور في تاريخ الدهور - الخ .

وما سمعت به ان رجلاً من ابنا عصرنا وقد انتقل الى رحمة ربه كان يعد نفسه من المطاعين على اللغة العربية وعلومها حتى هم بتأليف كتاب في النحو . فها هو جدسكم في التسمية المسجعة التي اختارها له . . . سماه : « الكتاب المنطق في علم الخوف فقط » ونحن نحيي التسمية المسجعة بثلاثا قائلين : الدهر لم يرتكب العاطف . باخفا . كتاب من هذا النمط .

وادعى الى الغرابة بما ذكر ان رجلاً اراد ان يزين صديق له اسمه فليس . وكان المؤن ضعيفاً حتى في محادثة اعتيادية فضلاً عن الخطابة . وكل ما يعلمه ان التقية شرط واجب اداؤه على كل خطيب وكتاب . فقام في الحشد وقال :

« ايها السادة . واسأله مات الكريم الفاضل صديقنا فليس . نعم نعم مات حبيب قلوبنا فليس . . . اجد هو زحطلي كلن » ثم نزل عن المنبر وقد اصاب واظهر خفة روح بسرعة هربه . فلو صبر الى فقرة ثالثة في تأنيده البليغ لهرب المنبر منه . ويقال - والتبعة على من سمع وروى - ان الخطيب لما عاد الى مجلسه بين القوم سأله احدهم : ما بالك اختصرت التأنيث كل هذا الاختصار . فاجابه شامخاً بانفه : خير الكلام ما قل ودل . ولم يزل .

وادعى من هذا ان رجلاً من ادعياء الادب كان يتدح ويقول انه سريع الخاطر في كل قافية ارادها او اريدت منه ولو كانت صعبة مستصعبة . فقال له بعض خلانه ذات يوم : هات لنا شيئاً من القوافي على حرف الثا . ففكر فنتية فقال : « لم ازل على فعل الخبر حثاثاً . وناقني ترعى من البيدا . قيصوماً وجشجاثاً ثم ارتج عليه وتوقف فتمضاحكوا وقالوا له : زدنا من هذه القافية . فقال : « وام عمرو طالع ثلاثا » يريد بام عمرو امرأته فطلعت منه . واقبل

اهله واهله يلومونه ويقولون له : « ما ذنبها اليك وكانت ساعة طلقها تحدم بيتك وتتظلمه وتطبخ طعاماً لك ولاولادك . فاجابهم : « بل الذنب ذنبها لا ذنبي فلماذا استهدفت للاخطار ووقفت في وجه قافتي » .

واما تراحم الجناس والتكلف فيه فهو ايضاً كثير في آثارنا الادبية فليس من الحسن ان يقال مثلاً :

امالك عن صدأ امالك عن صدأ لظلمك ظالم منك بيل لطفة

هذا البيت يشتمل على تقديم وتأخير في غير مواضعها مما جعله وعراً معقداً . كل ذلك اكروماً لخطر المجانسة بين « امالك » اي ليس لك . و « امالك » من الفعل امال . وبين صد بتشديد الدال وضد بتوئين الدال غير شديدة ومعناها عطشان . وبين ظلم بفتح الظاء ومعناه ريق وظلم بضم الظاء . وهو تقيض المدل . وحل البيت نقرأ على وجه صحيح يكون هكذا : « اما لك ميل عن صدح فالتة وهو صد لظلمك اي متمطش لريقك » وازيدكم علماً ان البيت لرجل عظيم من اشعر شعرائنا واقدريهم في صناعة الكلام وحسن سبكهم واعجبهم توفيقاً في انواع البديع ولا سيما الجناس نابغة والطباق . اريد به عربين الغرض . ولكن افراطه في هذه انواع قد يشبهه فيه التوفيق ويولجوه الى ما نذكره . هذا شأنه في افراطه في القول في من دونه من الادباء . اذا استرسلوا الى مثل هذه التخاريف الفظية . وابن موقع الجناس في البيت المذكور من حسن موقعه وموقع الطباق والتعمديد في الايات التالية لابن الغرض نفسه من قصيدته الثانية الكبرى المسماة نظم السلوك حيث قال :

وقالوا جرت حمراً دموعك قلت من
امور جرت في جانب الشوق قلت
نحرت لعنف الطيف في جفني الكرى
قرى فجري دمي دماً فوق وجتي
ومنها قوله :

وابعدني عن ارضي بعد اربع شباي وعقلي وارتاحي وصحني
فني بعد اوطاني سكنوا الى اهلا والوحش انسي اذن الانس وحشي
ومن الشكاك المروية بشأن الجناس ان اميراً كان شديد الولوج به ففكر ذات يوم انه يمكن ايراد جناس تام بين قه فعل امر من قام وقه اسم بلدة تابعة لامارته وهي من اعمال فارس فنزل قاضيا كاتباً اليه : « ايها القاضي بقم » قد عزنا لك قه . فقال القاضي : والله ما عزني الا محبة الامير لتجنيس والقافية . فلي تأمل القارئ تكلفاً في القول يعزل قاضياً فضلاً من منصبه ويطلق امرأة

عرضة أكثر من سواهم الاصطدام بتلك الصخرة المتجرة صخرة
 الافراط من المظاهر العقلية . فاذا قال قائل : ان عييبم الذلوعين
 يقعون فيه لا يجب الاعيأ جيلاً معجاً نادر المثال . اجبتاه : قد
 يكون الامر كما ذكرت ولكنه على كل حال عيب بسل عيب
 حقيقي من اصعب المصاعب تداركه واصلاحه . فاذا تحمل الشاعر
 خسارة الزخارف الزائفة مستغنياً عنها بالحن الطبعي الخلي البسيط
 الى حد يوم الاحمال وليس هناك اهل . اذا تحمل تلك الخسارة
 الخفيفة كان له من وراء خسارته ربح عظيم . وفن الشعر كفن
 الهندسة ينبغي ان تكون اجزأؤه جميعاً مزيينات طبيعية فاذا وجدت
 بيننا زينة لا يقصد منها الا الزخرف فهي حشو اذا ازيل لا يزول
 معه شيء . الا الغرور وحسب الظهور . وكل ادب يسرف في اظهار
 عقله والظهور به يتعب عقلي منه ويل فلا اريده ولا اميل اليه .
 ولو قلل من تحذلقه لارضائي واراحني وتنفس امامه الصعداء .
 اني لاصح ضيقاً بمطالعة شعره فكأنها درس فيه عنا . واعانت .
 وكان همانيه ومراميه انوار عنيفة وهاجة تهر عيني وتؤذيها
 فأحاول الهرب منها الى نور لطيف بطيعة نظري وبأسى به وبهتدي .
 وبحيل القول اني اريد شاعر أخيف الفل قريب المثال من اخهان
 الناس يبدل جمع مسامحه لاجلهم ولا يبدل منها مسمي واحداً لاجل
 نفسه . اريد عظيمة عقول مألوفة فيها دعة وبساطة من دباحاطمع فيها
 وطن نفسه قادراً على مثلها وهيأت ان يلحق لها غباراً فهي
 السهل المتنع . اني اختار اللطيف على المدهش الغريب . لا احب ان
 اتبين ذاتية الاديب من خلال اثره الادبي بل احب ان انسأها .
 فاذا وصف فلأحاً يخاف على غلته الاقات وراعياً لا يعرف الا
 قريته وقطيعه واما مريضاً تحنو على طفلها فلا اريد ان افكر
 بالواصف بسل بل يصفه . صدقوني ان للشاعر وللأكاتب سمو شأن
 وتبلاً حقيقياً باخفائه وراء ما ينظمه و يكتبه تاركاً الجوال كله لما
 يعالجه قلعه . صدقوني انه لا عظم من مظاهر العقل التي يحرص عليها
 غيره وهو يتنازل عن جانب منها لاجل قراءته فلا يفقد عليهم لذتهم
 ولا يعترضهم في طريقتهم . ولسن يكون الكتاب جيلاً جليلاً
 الا اذا تناسى المؤلف فيه نفسه وسمح لي ان انسأه ردياً افروغ منه .

• اذوار مرفص — اللادوقية

برينة من يعلها . وروي بعضهم ان عازل القاضي في هذه الحادثة
 هو ذو الزارتين صاحب بن عباد فاذا صحت الرواية كانت بادرة
 سنية تستغرب ممن كأل مثله على فضله وحصافة عقله . والصاحب
 من كبار المنشئين وامراء السجع .

ومن دواعي الدهشة والاستغراب ان هذه الترويقات اللفظية التي
 ايس تحتها طائل استهوت كثيرين من جبارة العقول بسين ادبا .
 العرب وقادتهم الى ميدانها اسارى اذلا . وهم يحسبون انفسهم
 احراراً وفي جلتهم شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ابو العلاء
 المعري فان تعقيد بنوع الاتزام في القوافي لا يخرج عن كونه نوعاً
 من تلك الانواع اللفظية وقد بنى عليه معظم شعره فوصل اليها
 ديوانه الزويمات مسمى بهذا النوع . ولو لم يتعبد به لأراح
 نفسه من عنا . كبير وجلأ تعيره ارسخ واسلس قياداً في مواضع
 كثيرة ولما خسر الادب العربي بهذا الاقتتان شيئاً من الفائدة
 والذقة . ومحصل ما يقال في التحذير من التكلف على اختلاف
 ضروبه ان كلاً من الشاعر والكتاب واخطيب يجب عليه ان
 يسخر الالفاظ للعاني ويجيد استخدامها لما لا ان يسخر العاني
 الالفاظ ويستخدما لاجلها .

وقبل ان نخرج من هذا الفصل في التكلف فلينبه ولاشارة
 الى بعض انواعه من سجع بارد وتوعر لفظ او معنى وتقييد القلم في
 دائرة معينة لاجل الظفر بتجنيس او زينة لفظية اخرى نعرض على
 القارئ . كلاماً رصيناً يزيد رغبة في اجتناب هذه المراتق وتبيين
 مواضعها والشعور بقبحها . هذا الكلام هو ما عربناه من قول
 الكتابات الفرنسيون الشير فيليون مؤلف سيرة تلياك وقد اودعه
 رسالة ارسلها الى المجمع العلمي الفرنسي . وجعل عنوانه « سلامة
 النوق في الادب » قال فيليون :

« ان الذوق السليم يمتحى الافراط في كل شيء . حتى في استعمال
 العقل فاذا تكلف المر . مظاهر العقل واسرف في استعمالها كانت
 مدعاة سامة وضجر واذا اعتدل فيها كان صاحب عقل صحيح لانه
 علم كيف يراعي مستوى الجمهور ويمد له طريقتي الفهم ومسن ثم
 كان عبارة الشعراء وذو القرائع الفياضة والافكار الواسعة الشاسعة

روح وراح

اسقنيها يا شقيقي
فهي زادي وطريقي
الضمير الله

هاتها في عجل من خلال القبل
بيننا لاه
صيص عابا ورخاما

سكر الليل وناما
وسرى طيب الخزامى
فتداعت كل كأس فوق راحات الندامى
ابها الساقى آخر شعمت في راحتك
من دم المسلق
سلسلت خرا حراما

سكر الليل وناما
فتسامت كل كأس فوق راحات الندامى
خمرة تأبى التجلي في كؤوسا وبشكل
عافت الالوان
جلبت فيها الليالي وتبنتها الدوالي
وغلاها الجان
فزكت طعما وجاما

دبت النشوة نشوى في عروقي تتلوى
لبتي أفني
مهجتي في مقتليك ودمي في وجنتيك
قم وغيبني
فيك حتى الانعدام

تعب الليل وناما
وسمت روح الخزامى
فاستراحت كل خر في حشاشات الندامى

علي السعد

الشاعر الإصحاح

بمعلم سامي الكلباني
صاحب مجلة الحديث

ماذا

ونوادهم ويرينا نواحي طريفة من ذكائهم ودقة حسهم وهو كتاب على غاية من الغرابة والطرافة .

وقدمت هذه التوطئة لاعاد الحديث عن الحربي - عن هذا الشاعر المنسي الذي انكرته السياسة في عهد المأمون والذي الممت الى قصيدته الكبرى في « فتنة بغداد » . فهذا الشاعر يختلف في فقد بصره من غيره من الشعراء فهو لم يولد اعمى كبشار ، ولم يكن بصره في الرابعة من عمره كالعمري وطه حسين بل درج في الحياة كما درج البصرون ، فقد رأى النور حتى مات . وعب من رحمت الحياة حتى الثالثة وشهد عن كثب اضطراب الدنيا - دنيا بغداد - وقطائل اركانها واضطراب ترات ابنائها وشبهات اسيادها ، ونعمت عيشة مشرق الشمس وغروبها وبجبال الطبيعة وجلالها ، ورأى الناس يختلفون في حياتهم وتباؤيلهم حتى اذا انحدرت به الكولة الى وادي الشيخوخة العميق فجعله القدر بصره فتألم اشد الألم ، ولكنه ما لبث ان تعزى عن فقد بصره بنور بصيرته وانشد هذين البيتين :

فان تلك عيني خبا نورها فكم قبلها نور عين خبا
فلم يسم قلبي ولكنا ارى نورعيني قلبي سري

وهذا غراء اكثر المكفوفين

وقد ردد هذا المعنى كثيرون وما قاله ابن عباس :

ان ياخذ الله من عيني نورها ففي لساني وسمعي منها نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي في صادم كالليف مأثور

وقال بشار :

ان القواد يرى ما لا يرى البصر

وقال :

فيا للب لا بالعين يصر ذو اللب

وهذا طه حسين في كتابه « مع اني العلاء في سجنه » يشير الى هذا في غير موضع واحد ويقول ان المكافيف اكثر احساساً في نفس جمال الطبيعة من البصيرين .

يشير فينا نحن البصيرين ، فقد بصر شاعر او فنان او اي انسان ذي موهبة فكرية .
اننا نحس نحوه الاعجاب اولاً ، ثم الشفقة والألم ، لا سيما حين ننعم بما لا ينعم به من رؤية هذه العوالم التي تفيض بالسحر والفنون ، وسرعان ما يذوب هذا الألم حين نعلم ان القدر الذي سلب المكفوفين بريق عيونهم لم يتركهم يتخبطون في دياجير الظلمة ، بل فتح لهم في اعماق بصيرتهم منافذ أرتهم صور الكون بأشكال والوان ان لم تكن بحقيقتها العارية فهي قوية منها لا يسترها غير غلاظ شفاقة تكاد لا تفوق عن الواقع شيء ، فالنهار المشرق والليل الساجي ، والشمس المشعة والبدر المتبر والنجم الساطع ، والطبيعة الناعمة ، والاشجار والانهار والجبال والوديان وما الى ذلك من ترات حسنة غير ملوسة كالحب والوجد والشوق والحزن والألم والامل والحزن والغفرح - كل هذه المظاهر لها عند الادباء المكفوفين صورها التي لا تنأى عن حقيقتها .

وقد عرفت البشرية طائفة منهم تركوا في تاريخ الفكر الانساني آثاراً خالدة ، وصدروا عن امنية رائعة وصور جميلة يقف البصرون ازاءها حيارى ، فن عهد هوميروس ، الى عهد العمري الى عهد ملتون ، الى طه حسين ، الى كثيرين ممن عرفتهم شتى الامة في مختلف العصور - منذ تلك الامم البعيدة وتاريخ الفكر يحفظ للمكفوفين روائع الآيات في الادب والشعر والموسيقى - وفي تاريخ الادب العربي طائفة كبيرة تركت ثروة ضخمة من الشعر والقصص في مختلف نواحي الحياة وقد حفزت هذه المظاهر الغدة اكثر من ادب واحد لان يعقدوا فصولاً خاصة في كتبهم عن ذكائهم ونوادهم كابن قتيبة وابن الجوزي وابن بانه والي بكر الخطيب وغيرهم وغيرهم . ورأينا اديباً من ادباء القرن السابع الهجري - صلاح الدين ايبك الصفدي - يكتب كتاباً ضخماً عن نكت العميان فيؤرخ لهم وينقل غاذج من ادبهم وشعرهم ونكاتهم

« ان المصريين الذين يرون ما لا يري ويشهدون ما لا تشهد ويمشعون من جمال الدنيا بما لا يستمتع به انما يأخذون من اسباب هذا كله باهوتها واضعفا ٠٠٠ وانهم لو حققوا ما يرون - وانني لهم ذلك - لما وجدوا بين ما يرسمون في نفوسهم من الصور وبين الحقائق الواقعة الا ايسر الاسباب وابعدها من المثانة والقوة ومن الصدق والمصانة فحقائق الاشياء وجمال الطبيعة ابعد مثالا مما يظن المبحرون وغير المبحرين » (١) .

فالدكتور طه يتخريجه هذا يتحدث عن هذه الظاهرة من جانبها الفلسفي وكأنه يسدل الستار على هذه الفروق الوهمية بين المبحرين والمكتوفين .

وهذه ماري كايير العمياء الصماء قد قرأنا لها احاديث عجيبة عن تذوقها اقارب الحياة وتلمسها اسرار الكون وتخيها بين الظلمة والنور وبين مختلف الالوان بما لا يبيئه المبحرون فهي تتحدث عن فلسفة الالوان حديث الاديب الفنان العميق الاحساس فاللون الاحمر عندها شبه بالدم الدافئ . في الجسم السلم والاسمر بقية الارض او يسبقان الاشجار المسنة التي تحورها السوس والبرتقالي بالانتهاج والسعادة والاصفر بالوفرة والخضوية وباحتداد الشمس والخضرة بالزكوة وبرودة الظل والسواد باليأس والظلمة بالامل والالوان اخفئ بالامل والازرق الغامق بالزعمة (٢) .

والحال يتسع لو اردنا ان نكتب عن هذه المفردات البصرية التي تشع اشعاعات باهرة في سماء الادب والفن - ولكننا لم نعزض الى ذلك الاستطراداً تقييداً للكلام عن الشاعر الخوري الذي فقد بصره في اخريات ايامه .

من هو هذا الشاعر المنسي الذي استهوينا دراسته بعد ان المعنا في الجزء السابق من « الاديب » الى قصيدته عن فتنه بغداد؟ وما مكانته ومقامه بين ادباء عصره ؟

تتفق كتب الادب على انسه من فارس تزح الى الجزيرة والشام اولاً ، ثم الى بغداد حيث اتخذها سكناً وطناً . اي انه فارسي المولد ، شامي النشأة ، بغدادي الموطن ، اتصل منذ هجر وطنه الاول بجزير بن عامر المري وآله ، فنسب اليه ، وقيل انه اتصل بعمان بن غويم ، وكان قائداً جليلاً ، وسيداً شريفاً وهو الموصوف بالناعم (٣) ، وعرف في البيئات الادبية بكنيته الجديدة :

ابو يعقوب الخوري اكثر مما عرف باسمه : اسحق بن حسان بن قوهي - هذا الشاعر الذي عاش اكثر ايامه في الشام وبغداد والذي صهرته العربية ببونقتها ورفعتها الى اعلى سماواتها ظل كثير التبحر الى موطنه الاول كثير التناثر بعرقه الاعجمي ، وكان الايام لم تستطع ان تجتث من اعناق صدره ريس هواء الفارسي ، والى هذا اشار بقوله :

اتي امرؤ من سراف الصند البستي عرق الاعاجم جلداً طيب المبر

لقد تنفى الخوري كثيراً ببغداد ، واحبها اصدق حب ، وبكها ايام محنتها بشعر خزين ومع كل ذلك فلم ينس وطنه الاول - بلاد الصدد - فما بلاد الصدد هذه ؟ واين تقع من بلاد الله الواسعة الارجاء .

لقد ذكرها الفردوسي عرضاً في قصص الشاهنامه ، ووصفها ياقوت في معجم البلدان وصفاً دقيقاً واذا هي :

« ناحة كثيرة المياه ، نضرة الاشجار ، متجاوبة الاطيار ، مؤنقة الرياض والازهار ، ملتفة الغصان ، خضرة الجنان ، تمتد مسيرة خمسة ايام لا تقع الشمس على كثير من اراضيها ولا تبين القرى من خلال اشجارها موقفاً يقرى كثيرة بين بخارى وسمرقند ، وقصبتها « سمرقند » وبها قيلت باصا (١) .

ان الشاعر من بلاد قد لوثتها الطبيعة باجل الوانها ، ومن قول الشاعر الخوري الاقراقي ، والذي زججه انه عاش فقرة من حياته في هذه المواطن السحرية التي وصفها ياقوت حتى اذا جاوز عهد الطفولة نزل الجزيرة والشام ثم استقر في بلاد الرافدين ليأخذ العربية من ينابيعها فهل يلام الشاعر اذا رجع الى الماضي يذكر قومه ويذكر احلام طفولته وتلك المغالي السحرية من ربوع بلادهم ؟

في اية سنة ولد الخوري ؟

ان المصادر الادبية والتاريخية لا تعرض الى ذلك اهاناً ، فهي تلج اليه الماعاً وتذكر مقطوعات من شعره واجاديت مبتسرة عنه ، فنعلم منها انه عاصر الرشيد واتصل بكتاب الهرامكة محمد بن منصور بن زياد ، وشهد هذا الصراع الدامي بين الاخوين : الامين والمأمون وعاش ابا ذلف وابا الهندام من قواد الرشيد وغيرهم وغيرهم من الادباء والشعراء ورجال الفقه وكبار المتهمدين . واذا كانت فتنه بغداد قد وقعت سنة ١٩٧ هـ وكان الشاعر قد قال قصيدته في اخريات ايامه اي في العقد السابع مثلاً فنكون ولادته في حدود سنة ١٣٠ هـ ووفاته في سنة ٢١٠ هـ على اقرب

(١) مع ابي العلاء في سجنه ص ١١

(٢) المجلة الجديدة السنة ١ مجلد ١١ ص ١٣٧٥

(٣) ابن عساکر ج ٢ ص ٤٣٦ - ٤٣٧

وقالوا : كان يجب ان يقول كما قال الحريري :
 اذا ثمر منهم تنور او خبا بدا قر في جانب الانق يلمع
 فإذا نستدل من هذه القصة نستدل على ان الصولي انحاز
 الى ابي تمام - وكان من المعجبين به - بينما كثير من النقاد كانوا
 يفضلون الحريري عليه وعلى غيره من الشعراء .

والواقع ان شعر الحريري يفرض بالقوة والوضوح ، بل يفرض
 بهذه الالوان التي انشأت بين مقاطعه ، فهو كثير الصور قد طبعته
 العربية بسرهما الازلي ، وكان لنشأته الاولى وتزوله في غططان اثره
 القوي في تكوين عقليته فتراجعت سليلته الآرية وعقليته السامية ،
 وكان منها هذا الفيض الاخاذ الذي لمسه في شعره .

وفي ادبنا اكثر من شاعر واحد نشأوا نشأة فارسية ثم صبغتهم
 العربية بالوانها فكان لهم من هذا التزاوج العجيب هذه الدقة في
 الوصف والنفاذ الى اعماق الاشياء ، وكانت « الموضوعية » في شعرهم
 اظهر من « الذاتية » التي يتميز بها اكثر شعراء العربية القدامى .

فأرعة الاستقراء والاختيار والملاحظة ، وحس التوزيع والقدرة
 على الجمع بين المتناقضات ، وهذه العقلية الانحائية التي تنظر الى
 الحقائق كما هي حق الحجر والمدرج - كل هذا بعض ما انصف به
 شعر شار ومبارك والرومي (١) . وهذا ما يمتاز به الحريري ، وهو
 يختلف عن هؤلاء الشعراء - عدا ابن الرومي - بطول نفسه ،
 حذر بشار مثلاً ، في شعره من متانة التركيب وحسن
 السبك ما لا تجده في كثيرين من شعراء عصره الذين انتموا
 الى البيئة التي احتسوتها ، غير ان طول نفسه في قصائده
 قد يضيع عليه شيئاً من قوة الانسجام وحسن السبك وجمال النسق
 (٢) ، بخلاف الحريري فانك تجده مجوداً في الفنين : في قصائده
 الطويلة ومقطوعاته القصيرة ، وقصيدته في فتنه بفساد من قوة
 الانسجام وحسن السبك ووفرة الصور وقوة الواقعية ما يجعلها من
 انفس ما كتب في تصوير اعنف المارك التي اثارها المطامع الانسانية .
 ومن الحساسة يمكن ان يضع شعر هذا الشاعر وان لا تعرف سوى
 بعض مقطوعات وقصيدته الكبرى التي هدتنا الى تاريخ حياته بهذه
 الالمامة الموجزة التي تزج ان تكون توطئة لبحث اوسع واشمل
 في يوم ما .

سامي الكلباني - حلب

تقدير ، ونحن لا نجزم بهذا التحديد بل نفترضه افتراضاً . وبعد
 فإدري لماذا يهتم الباحثون بهذه النواحي الدقيقة من حياة
 الكتاب والشعراء ، فحبصنا ان نعرف العصر الذي ولد فيه الشاعر
 والبيئة التي عاش في صميمها وما علينا بعد ذلك ان تكون ولادته
 قبل ستة مما افتراضناه او بعد خمس او عشر سنوات مثلاً .

وقد يهم القارى ان يعلم رأي ائمة الادب في هذا الشاعر
 المنسي . وانا مردون نقاً من اقوالهم لنذل على قيمة شعره -
 هذا الشاعر الذي امله الكتاب المعاصرون مع انهم خصوا
 الكثيرين ممن ليسوا بكتابته يباحث ودراسات على غاية من
 القيمة والاسهاب .

فالحريري في رأي المهجد جميل الشعر ، مقبول عند الكتاب .
 له كلام قوي ومذهب مبسوط (١) وهو في رأي ابي حاتم السجستاني
 اشعر المولدين ، ووصفه الامير ابو نصر بن ماكولا بانسه من
 شعراء الدولة العباسية المجيدين (٢) وروى الجاحظ بعض شعره
 مدالاً بقيمته وبلاغته كما اورد ابن المعتز رأياً للمهجد في كتابه
 طبقات الشعراء لا يختلف عن رأيه السابق فقال : كان الحريري
 شاعراً مقلداً مطبوعاً ، مقتدرأ على الشعر ، وكان يدح الخلفاء
 والوزراء والاشراف فيعطي الكثير ، وله في القول ملح كشيرة
 ومحاسن جم (٣) .

وقد كان مذهبه في الادب البساطة في الالوان والخيال .
 اجاب على سؤال وجهه اليه احد الادباء : ما بال شعرك لا يسمعه
 احد الا استحسنه قال :

« اني لا اجاهب الكلام الا ان يساهاني عفواً ، فإذا سمعته انسان
 سهل عليه استحسنه » .

وكأننا نتحدث لحريري في كلمته هذه ، وضوح الاسلوب
 وادب الطبع وهما من اقوى عناصر الاديب في اداء فكرته
 ودرس خواجه وشعره .

وكما عرف ائمة الادب للحريري مكانته السامية في الشعر فقد
 اعترف بها كبار النقاد فوأيننا الصولي في كتابه اخبار ابي تمام يورد
 آراء النقاد في تفضيل شعره على شعر ابي تمام فيقول :

« ومن اعجب العجب وافتلع المنكر ان قوماً عابوا قوله - اي
 قول ابي تمام - »
 كان في نهبان يوم وفاته نجوم ساء خر من بينها البدر

- (١) ابن عساكر ج ٢ ص ٤٣٦ - ٤٣٧
- (٢) الانساب للسمعاني طبع ليدن ص ١٩٦ ب فوتوغراف .
- (٣) طبقات الشعراء لابن المعتز طبع لندن .

(١) تاريخ الفكر العربي ص ١٥٠ - ١٧٣

(٢) نفس المصدر ص ١٥٤

تعالى ...

تعالى .. هناك وراء النجوم
وراء السلال ، وراء النجوم
وراء النظر
هناك هناك ، وراء النجوم
وراء محط ظنون البشر
مكان .. لعل هناك مكانا
نبش حدودا به وإمانا
ونلقي الحذر
هنا ، في بياض عيون البشر !
تعالى ! .. لعل وراء النجوم
وراء النجوم
وراء النجوم
هناك ديار العيون والصمم
ديار البكم
ديار انعدام الخواص
فانّ الفهم
في الجبال الرواس
لنجدل ما تفسح الضفدة
من الفرقة
على السفح .. توردية وجناس !

تعالى الى سلسيل صفاء
وفي رصق قبه الضياء
ودوح وفوح وبوح برا
وطير تفر « حاء » و « باء »
فتنصب « حاء » وترفع « حاء »
سواء ، سواء ! ..

تعالى ! .. لعل وراء النجوم
وراء النجوم
وراء النجوم
هناك ديار العيون والصمم
ديار البكم
ديار انعدام الخواص
فانّ الفهم
في الجبال الرواس
لنجدل ما تفسح الضفدة
من الفرقة
على السفح .. توردية وجناس !

سليم جبر



نظرة في مسائل مدنية

علم نسيم بريك



والشرف والكرامة هناك من يقتحم خطر الموت لانتقاذ مواطن
او مؤسسة جريح وهناك من يضع ثروته تحت تصرف الدولة ويعمل
للقراء والمنسكبين حقاً في امواله، هناك من يخدم السلطات والقوانين
لأنها تعبير للإرادة العامة وسياج للصلحة العامة حتى ولو جاءت
مخالفة لمصلحة الشخصية . هذه بعض وجوه للفضائل المدنية التي
تجعل من المواطنين جماعة عضواً يتأثر بعضه ببعض في جميع الحالات
الطوارئ وتحمّل الفرد على ان يفكر في مقدمة كل امره مواطن
اي عضو عامل في المجتمع السياسي له قيمة وكرامة وحقوق الى
باب رسالة واجبات ومسؤوليات اذكرها الرومان - كما اذكرها
الغرب في أيام سلطانهم - فصنعوا من ورق السنديان تاجاً سموه تاج
المدنية كان لا يخلو من اربعة اركان هي : -
اعمال التضحية والبطولة . وعلى هذا القياس لا بد من القول ان
الوجه السياسي والاخلاقي للامة يتمثل صراحة في مجموع المواطنين
كهيئة سياسية تمارس السيادة بالاقتراع العام وتنبأ المناصب وترعى
القوانين وتتخذ بالخدمة العسكرية هكذا وما تقدم نستنتج ان التربية
المدنية هي ابغ وسيلة من الوسائل المؤدية الى ترسيخ الشعور
الوطني وتنظيم الدفاع الاجتماعي على اساليب صحيحة وانها حجر
الزاوية في البيان القومي بما يتفرع عنه من اوضاع وسلطات واحزاب
واذا كانت الفكرة المدنية ترتبط بالفكرة الوطنية كوجهين لجسم
واحد فهذا الارتباط لا ينبغي وجود بعض الفوارق باعتبار ان الفكرة
المدنية اكثر اتصلاً بقانون محكمة الوجدان منها بقانون السلطات
المنظمة فهي على الغالب فريضة اخلاقية تحمل المواطن على الاخلاص
لوطنه والتضحية في سبيله وسيله مواطنيه وما يزيد في اهميتها ان
القوانين الاخلاقية التي تقرض التضحية والاخلاص فريضة هي اوسع
دائرة وأبعد مرمى من القوانين الاخرى لانها تنفذ الى خوالج العقل

تكفي نظرة عامة في احوال الشعوب التي تقف على درجات
مختلفة من سلم الحضارة لنقول ان هناك عوامل ظاهرة وخفية يتوقف
عليها تقدم المجتمع السياسي وانتظام شؤونه وفي مقدمة هذه العوامل
تأتي الفكرة المدنية التي نعرض لها الان فقد تبرأت مكاناً بارزاً
في كل دولة متقدمة او ناشئة تصبو الى الحياة السياسية الحرة
فكانت ولا تزال هذه الفكرة رابطة تآليف بين المواطنين وعامل
تقويم للاعضاء التي يتألف منها الجهاز السياسي للدولة بل انها وسيلة
في جلة الوسائل المؤدية الى التدريب الاجتماعي الشامل . الواقع ان
التمدن القائم على الافكار والتقاليد والتقاليد يستلزم على الجملة
اوضاعاً سياسية وادارية ونظماً اخلاقية واقتصادية تسري على
المواطنين فتفرض لهم وعليهم حقوقاً واجبات في الحياة
المدنية تبدو بازاء هذه الاوضاع والنظم ضرورة من الضرورات
المحتومة لانها نتيجة مباشرة من نتائج الاتحاد بالشعور والاماني تحفز
ابناء الوطن الواحد للتضحية في سبيل المصلحة العامة وتقضي بالاخلاص
لها والخضوع للشرائع الموضوعة واحترام الرأية التي تظلل البلاد وما
لا ريب فيه ان البيئة السياسية كالبينة الاخلاقية لا يستقر لها قرار
ولا تستقيم لها قاعدة الا على نسبة ما توافر فيها من فضائل مدنية،
الحق ان هذه الفضائل ترسم جليلة واضحة في ميادين الحياة العامة
حيث تشترك مصالح الافراد في ظل القوانين والتقاليد وحيث تلتقي
تزعزعات الشعب وامانيه في نطاق الحياة المشتركة فالالزامات والمشاكل
التي تعترض حياة الافراد والجماعات كالثورات الاهلية التي تضطرم
في سبيل هدف اسمي انا هي جميعاً ابغ حرك للفضائل والزايا التي
تتألف منها منويات الجمهور وكذلك الحروب التي تشب بين الدول
فانها تقسم بحالا واسماً بالاخلاص والتضحية واعمال البطولة وان
شئت قل لتكرار المذات والاستهانة بالحياة تلبية لداعي الوطن

الحب والجمجمة

لبودلير

على جمجمة البشرية
جثم الحب
ومن أعلى هذا العرش
أخذ ذاك الولد التي الوقاح
بضحك بطراً
وبنغت قفاز مستديرة
تذهب في الفضاء صعداً
كانها تطالب الالتحاق بالعالم
في اعماق الأثير

ترفع القفاز اللامعة الواهية
ارتفاعاً سريعاً
ثم تنفجر وتلفظ روحها الضئيلة
كحلم ذهبي
وانا كلها أرسل قفازة
اصبح الجمجمة تنن وتضرع قائلة :
« متى ينتهي هذا اللعب الوحشي السمج !
فان ما ينثر فك القاسي في الهواء
ايها المسخ السفاك
ان هو الالهي ودي

ي غ

L'Amour et le Crâne — Poème de Baudelaire

والقلب على حين ان القوانين العادية تنحصر بما يصدر عن الفكر والشعور من افعال معينة توجب العقوبة ، اما الفكرة الوطنية فهي من الوجهة البدئية فكرة سامية لكنها قد تتخذ اشكالا مختلفة بحسب التيارات المعارضة ودرجة الاستعداد في الشعب وحكامه ولذلك كثيراً ما نرى في الدول الصغيرة الناشئة خاصة رجال السياسة يستمرون الوطنية لما رب شخصية او حزبية وهكذا فالحقيقة التي لا مرد لها ان الوعي المدني شرط لا بد منه لتقديم المجتمعات السياسية التي تنزع الى الاستقرار على اساليب الحكم الجيد . اما الدول الناشئة في الشرق الاوسط فهي شديدة الحاجة الى هذا اللون من الوان التدريب الاخلاقي بل انه ضرورة لا غنى عنها في الحياة الدستورية والبرلمانية حيث تستمد الدولة سلطاتها من الشعب وحيث يتمتع المواطنون بالاقتراع العام وحيث النواب يمثلون الامة بوكالات مطلقة لا ضوابط لها ولا قيود على الجمله الا ضوابط الوجدان وقيود الفضائل المدنية ولذلك نرى رجال السياسة في الدول الديمقراطية يعنون عناية خاصة بنشر الفكرة المدنية وترسيخها كقاعدة من الدعام التي تستقيم معها نظم الحياة الدستورية والبرلمانية . وقد اثبت هؤلاء في غير موقف ان التربية المدنية هي من الوسائل الكافية لتعصب الحزبي والتفرقة الطائفية والسياسية التي قد يتدبر بها رجال الحكم ليعتظروا بالسلطة . والواقع ان هذه الوسائل لا تفي في التدريب في الحياة المشتركة يقتضي على روح التعصب الطائفي والحزبي او الاقليمي وانه خير علاج لهذه العلل التي نعرفها نحن في اشكال والوان مختلفة تضطرنا للعمل على نشر هذه المبادئ حتى تنكشف بعد حين على مسرح الحياة السامة عن حقائق مشورة فالحياة التي نعيشها الان با فيها من زخرف المظهر وازدحام الدستور والبرلمان لا تستقيم عندها قبل ان يستقيم فينا الوعي المدني ويتمركز ، فهذه الاوضاع يجب ان تستند الى مجموع المواطنين كجسم عضوي يتغذى بالفضائل المدنية لا كافراد متفرقين بالانقياد لزعزعات الفردية والانانية اما الشرائع والقوانين فقد تبوء بالفشل معها يبلغ بها الامر من القسوة والتشدد ، حيث لا يبقه الناس معنى صحيحاً للشعور المدني ، وعسى اننا هذه البلاد الخصبية بالاثار والابحار ان يستكملوا نهضتهم القومية بتعزيز هذه الفكرة حتى يستقر مجتمعا السياسي على اسس غير مزعزعة .

نسر بنك

اخلاق الربيع

بفلم الـآنسة فلوك طرزي

قد

يكون مستغروباً اختياري عنواناً لهذا العنوان ، فالربيع الذي يوزع فنتته في كل طرف ، ويث انفاسه وعيره في كل مكان يبدو لنا مظهراً من مظاهر التحرر المطلق المحتل من جميع القيود فتقييده بالاخلاق اذن خطأ لان الربيع ليس الا انطلاقاً . وحصره ضمن نطاق محدود خطأ ايضاً لان من صفاته البارزات السعة والتحرر . او ليس هو ابن الثورة والعنف ووليد الشدة والعواصف . والحياة ابدأ بنت الثورة ووليدة الشدة ورغبة التمرد والانطلاق ؟ .

فقد كان من الارجح التحدث عن اثر الربيع في ادب الادباء او شعر الشعراء . وقد كان من المستحسن التحدث بالوصف والتصور عن كل مشهد وسحر يجاوه الربيع لابصارنا المفتونة في مثل هذا اليوم . هذا ان شئنا محاربة من يقيس الاخلاق بالمقاييس السلبية ، ويأبى اعتبار الايجابية كأساس لها . ان الاخلاق في نظر السليبيين بعيدة عن الربيع وعن كل ما ينبت وينشأ عن اربيع لانها والتمرد على طرفي نقى . او ليس كل ما في الطبيعة من ثمر وخرس وزهر وورق يشق طبقات الارض والياب الشجر والبراعم المستتقة الجوارح من حيث يصير الربيع من الزهور ، فليس هو ابن من الاخلاق وهذه تخالف جميع تلك المظاهر التي هي من صميم التمرد . غير ان هؤلاء يفوتهم امر جوهري يفوتهم ان السليبي هو النظري ، والايجاباني



هو العملي ، وان الاخلاق الايجابية هي الاخلاق العملية التي بني على اساسها كل عمل في الحياة سواء . كان هذا العمل عمل الطبيعة ام عمل الانسان ، فالربيع اذن نظم واخلاق ، لان عمل الربيع في الطبيعة هو عمل ايجابي حتى الثورة - ان كان الربيع ثورة لها نظمها واخلاقها التي تديرها وتسيرها .

اخلاق الربيع تتجلى في كل مظهر من مظاهر انطلاقه من القيود وتبدو في كل صورة وبادرة من صوره وبوداره . فقد يستهويننا منظر الزهرة النضرة وهي تتمايل بزهر وتبه فوق عودها . ولكننا قلنا نكتثرت بالفعل الايجابي الذي يجري في دخيلة هذا العود في حال تكوينها ونمو بذورها .

وقلنا تمتد ملاحظتنا الى معرفة النظم التي تكون هذه البذور وتنميتها . غير ان قصر ملاحظتنا عن النفاذ الى ما يمكن ويجري خلف مفاتيح الربيع لا يمنع ان يكون لكل عنصر من عناصره نظم وقواعد تسيره فينمو ويتكون حسب قوانينها التي لا يستطيع ان يشذ عنها او يهيد . فكل ما يجري في الطبيعة خلال الربيع من انفجار المياه من ينابيعها وانطلاق الزهرة من برعمها الى التفاف الفصن بالاخضر العراق واكتساء الارض بالستندس كل هذه احوال تسيرها في الخفاء نظم وقواعد ، ونجملها اخلاقاً خاصة بها . وتوزع هذه الاخلاق فصول السنة الاربعة : ففي الشتاء تعصف الطبيعة وتثور لان جنين الحياة يتكون فيها من جديد ، ثم تنطلق في الربيع مبتسمة باشرقا لان الشباب يتماثل في كل مظهر من مظاهرها ، ومن شبابها وانفعاالاته هذه يتولد الصيف حيث تعطي الثمر والانتاج ، وحيث تأخذ





اخلاق النضج تتكون فيتمم الخريف عمل النضج هذا حيث تسلم فيه باطنان الى نهايتها . غير ان ابرز فصل تتجلى فيه الحياة بكامل معانيها ، بجبالها وقوتها وحيويتها ، هو بلا ريب فصل الربيع لان الحياة خلاله تضحك وتناق في الارض والماء والشجر والسماء فحسب بل لان جميع هذه الصور والروائع هي سماء وملامح طور هو في طبيعة اطوار العمر ، عمر الطبيعة وعمر الانسان واغني به طور الشباب فعمل الربيع اذن هو عمل اخلاقي ايجابي لانه عمل الشباب في الطبيعة ولانه تمهيد لعمل النضج والانتاج .

ربيع الطبيعة وربيع الانسان كلاهما شباب يمنح الروح لكل شيء . ويوزع الحياة على كل شيء .

ربيع الطبيعة وربيع الانسان كلاهما حيوية وخصب واريحية يهبان من ذاتها وبشران النفع الجديد والحوالهبج في كل مكان . ولكن هنا ايضاً يتبادر الى اذهان السالين - اولئك الذين يريدون تسيير شؤون العالم من اعالي صوامعهم - ان شباب الانسان في جميع مظاهره كشباب الطبيعة ليس الا تحملاً من انواع القيود وانطلاقاً من المؤلف المعروف الى ما وراءه . اوليست الثورة كانت مرادفة لمعان ؟ اوليست انفعااته الجامعة وما يتفق من مواقف وليلة هذه الحرارة المثيرة التي تضطرم فيه وتطعمه بطابع الحدة والقوة اللتين هما من ابرز صفاته ؟ فلا اخلاق اذن في نظره بعيدة عنه ولا صلة لها به لانه رمز التمرد . غير ان الانبياء فيقولون النبوة في نظريتهم ان الله وليه يرون ان للشباب كما للربيع اخلاقاً ايجابية تجعل له خصائصه التي يتميز بها من بقية اطوار العمر ، اوليس الامل والعزم والهمة والطموح في طبيعة الصفات المشتقة من اخلاقه ، اوليس الجد والحزم والخوض في غمار الجهاد في سبيل انشاء حياة ترتكز على قواعد جديدة من ابرز صفاته ؟ الشباب نور متألقي وجهاد مستمر كما ان الربيع زهو وسحر وخضير . . . الشباب صلة تربط حلقات السلسلة الاجتماعية بعضها ببعض كما ان الربيع رابطة تصل مختلف عناصر الطبيعة بعضها ببعض .

فيا أيها الشباب فتياً وفتيات ! ان رسالتكم الى الامة التي انبعثت منها هي كرسالة الربيع الى الطبيعة ! رسالتكم اليها هي رسالة الحضارة والتطور رسالتكم هي رسالة الحياة وما تحمل من معاني الجد والفرح والعمل ، وكما تستمد الطبيعة القوة والحيوية من قوة الربيع وحيويته كذلك تستمد الامة قوتها وحياتها من قوتكم وحياتكم .

ايها الشباب فتياً وفتيات ! ان سبل العمل مشبوهة أمامكم تنادى بكم وترقب منكم ان تسلكوها ولكن لا يذهب بظنونكم ان هذه السبل قد تكون مخوفة بالو رود والرياحين كذلك التي تكتنف الرياض والروابي وتخف بها الان ، اذ لا تنسوا ان تطور الطبيعة الذي تشاهدون معاملة في كل مكان قد مهدت له العواصف والاعاصير وفسحت له قوة الخرق كل حجب قفقت على كل واد وفان .

فلك طرزي - دمشق

ابن بجماليون

بقلم محمد ماح حبيب

ليسانسيه في الاداب من جامعة فؤاد الاول
واستاذ الادب العربي في التجهيز ومعهد الفرير باللاذقية

قصر بجماليون في قبرص

الخمر ، فعلت ان شابة ناضرة قد ماتت ، بعد ان خلفت الحسرة في كل جانحة ، ولما تساقط علي الليل ، واحتوتني ظلمته ترات لي اشباح الموت ، واستوعبت سره ، وادركت ان الموت سيقطني ، وسيطوفني في ظلمة الرمس الدامسة .

بجماليون : غلاطيا ، الموت واي موت تعنين ؟ انت عصية علي الموت ، شامسة علي الانحلال . . . ستفيض البحار ، وتنطفئ الشمس ، ويغنى القمر في لجة العدم ، وتقر النجوم ، ولكنك ستظلين وحدك وامضة بالحياة تحطفين في قلب الحياة علي كثر الدهور ومر الايام .

غلاطيا : افزعني ! ان رجفات تميد بي ، فلو ثلاثك .

بجماليون : غلاطيا !

غلاطيا : اخبروني ان في الموت راحة غامرة ، وهنا ، سرمداً ، واني وثاقة الي هذه الراحة . . .

بجماليون : الموت لا يجرأ ان يدنو منك . . .

غلاطيا : أصبو الي الموت لاري ولدي باخوس .

بجماليون : ان ولدنا باخوس لم يمت . . .

غلاطيا : ولكنه ذهب منذ امد قصي ، ولم يعد ، واحسرتاه علي طوبى القصة .

بجماليون : سيؤوب قريباً ، وسيحكم هذه الجزيرة الخالدة ، وليلا لا اله الا الله .

غلاطيا : اماني خداعة ، طاماً منيتي بها .

بجماليون : ستعرف طلعتك البهية علي هذه البوع الحاملة ، فتقف اليه القلوب ، وسيني مدينة فضيمة تعرف باسمه . . .

غلاطيا : منذ اختطافه لم اذق هناءة ، فهو دوماً يراود خيالي ويسكن في نفسي ، ابصره في كل مكان ، يتساق الشجرة الفرعاء ، ويطفو علي الينابيع الثرة ، ويشدو مع الصغور النرد ، وبشل بانءاء الطليعة ، ويغفر علي الصخور الممردة ، ولكن واسفاء ، عند ما اتقراه ، ابني ضمه الي صدي ، لاسكن اخافق الملتاح ، لا أثبت ان تجلي الحقيقة القاسية امامي ، واذا بجياله الذي يطوف بي ، يذبو كما تتلاشي هشة الريد .

بجماليون : كسفتني من حزنك يا مبدوتي .

غلاطيا : ان نداء الامومة يذودني لذيد الحياة . . . كنت قرة مغتبطة بفنذتي باخوس ادابعه وادله واري في نظراته سر البقاء وروعة الوجود ، واسفاء علي الغابر الخفي ، الذي كنت اعاب فيه من مرأه .

غلاطيا : بجماليون !

بجماليون : مبدوتي غلاطيا .

غلاطيا : لماذا تتاديني بمبدوتي ؟

بجماليون : انت شعة النور في حياتي ، وومضة الالهام في رأسي ونبعة الحق ، تتفجر علي جنابتي . . . غلاطيا يا مبدوتي . . . ساطل التجدد في الفناء بجبك ، حتى يموت في كل عرق ينبض .

غلاطيا : اكاد لا اعي شيئاً مما تقوله . . .

بجماليون : رحماك يا غلاطيا ، النور الذي ابصر به ، والمنة التي اجتليها ، والحب الذي يلامسني ، كل هذه النعم ، دقيقة من اعصابك المحرقة . . . فاذا ما عبدتك ، ومزقت اجرا ، نقدي علي مذبحك ، لا اكون اجترحت شيئاً عجيباً . . .

غلاطيا : والالهة ، ألا تخشى ان تسار لعبادتك لي ، فتجهم حياتك ، وتنتقم منك . . . لجودك وكفرك . . .

بجماليون : لتصب شواظها المحرقة ، ولتسل عذابها القتال ، ولتسفع ايامي بالضباب الادكن ، ولتسلط علي الافاعي ، فانا لا اهابها ، ما دمت الي جانبي ، أنهل الرحمة والنور من عينيك الصافيتين الطهورين .

غلاطيا : ألا تخشى ان تتعزني منك ؟

بجماليون : غلاطيا . . . ماذا تقولين ؟

غلاطيا : ان الالهة ، اذا ثارت لكرامتها الجريجة عسافة بطاشة ، تجبل بقوة ، وتحقق بلا رحمة . . .

بجماليون : انها حرة . . . لتعمل ما تشاء .

غلاطيا : البساحة سمحت عويلاً يرتفع في اجواز الفضاء ، وشهقات تتردد وزفرات تصعد ، ورأيت اناساً يذرفون الدموع ، ويلدبون الصدور ، وقد صوح الحزن وجوههم الشاحبة فاستطاعت

وتتبدل منها عقائده ذهبية ، لم تلبث حتى اختمرت وسال منها عصير
رشفاه ، فيقدر اغصانها ، وتسري فيها زهرة راضعة ، تجمل الدنيا
وتبهجها لنا .

غلاطيا : اجل اذكر .

بجاليون : هذا الصغور ، قد هرب من ذرى الاولاب ، مرتع
الالهة ، وحل في منقاره ، بذرة العنب ، شراب الالهة ، الذي
اختصت به وحدها ، فاذا به شراب سائح ، حلو المذاق ، يستمتع
به الناس ، فغضبت الالهة وصعقت لهذه الفعلة ، وراح باخوس ، اله
الحمر ، في ثورة ، يجتاحه النعمة . . لسرقة هذا الشراب .

غلاطيا : ومن هو باخوس هذا ؟

بجاليون : اله الحمر ، ولد من جوبيتر ، وبميلييا ، ولقد انقضت
صاعقة على امه ، فحرقها ، فانثرت اوده جوبيتر من جوفها ، ووضع
بين جوانحه ، حتى اكتمل نضجه ، وجاء الى الاولاب ، ومنحه
اوده رتبة الالهة .

غلاطيا : الان قهمت . .

بجاليون : ان نسا باخوس لعجيب ، وهو يأبى ان يرد الينا
ولنا ، ولقد اشتهر نزاع بين الالهة ، فبعضهم يود ان يعيد الينا
باخوس ، ولكن اله الحمر شديد الرعونة ، يأبى تحقيق هذه الرغبة .
غلاطيا : سأضرم اليه حتى يرحم ذاتي ويعطف على بؤسي .
بجاليون : انه قاس ، جامد الاحساس ، عادم الرحمة .

غلاطيا : ولكن ذموم الام ، تستطيع ان تنزق قسوة الجبال
بجاليون : ان غضي مدة طويلة ، حتى ترى جزيرة قهرص ،
ولنا باخوس ، يتخطر في ربوعها ، وقد افعم حكمة وتجربة .

غلاطيا : الا يمكن ان اطير الى الاولاب لارى ولدي .

بجاليون : ابدأ . . هناك مقر الالهة .

غلاطيا : لماذا اختص الاولاب بالالهة .

بجاليون : لانهم خالقون . . والخالق اسى من المخلوق . .

غلاطيا : اهم الذين خلقوني ؟ ولماذا ارى البشر يموت على حياك ؟

بجاليون : غلاطيا . . ذرنا من هذا الحديث .

غلاطيا : انت ساعم الوجه ، تنسح حدقتك ، وتنسح صفة
رهية في وجهك . . وان فرائصك ترعد ، وجسمك يهتز ،
أفقدت وعيك ؟

بجاليون : غلاطيا ، هذا المساء الساجي الذي نسبح فيه ، فاقد
الجمال ، يارد الروح ، اذا لم تؤنسبه بقامتك الغناج .

غلاطيا : أجب . . هل الالهة خلقت كل شي . ؟

بجاليون : المحبين ان حي باخوس يقل عن حبك . . اراه
يضطرب دائما في كيباني ولكن عزائي في اوبته الماحلة .

غلاطيا : لقد تصبرت وتربثت وانتظرت . . ولكن الذكري
تحرقي ، والذرة تغضي والشوق يرهقي ، ان حباتي بعيدة عن
ولدي باخوس ماحلة خالية من العطر .

بجاليون : بقي يا معبودتي ان ولنا باخوس ينعم بحياة ترفة ،
وسعادة راضية ، على ذرى الاولاب .

غلاطيا : لماذا ذهب الى الاولاب ؟

بجاليون : لقد تلافت الالهة غيظاً عند ما عزفت عن عبادتها
لاعبدك عوضاً عنها . . ان الغيرة سم زعاف ، ما تسربت الى شي .
الا ونحتره . . فتخطفت ولنا باخوس .

غلاطيا : وما جزيرة باخوس في هذا ؟

بجاليون : انتقلت الالهة وحاولت ان تفيجنا بشمرة حننا
باخوس الشعامة التي تثير حلكمة حياتنا ، والزهرة البانعة ، التي تعطر
ارجاننا ، فانثرت مننا ليكون قصاصاً صارماً عنيماً .

غلاطيا : طوح بعبادتي الى الم عسى الالهة ان ترق فقدت الي
ولدي ؟

بجاليون : ا استطع ان اجث عبادتك لانت التي سكبت
على روحي قطرات المحبة ، وارتفعت بي الى السماء ، واسغت على
النعم الضافية . .

غلاطيا : اتريد ان اغزل اسوانة على ولدي ، اكابد غصص
فراقه الذي يميزني ، الحياة بلا باخوس غليظة جافة .

بجاليون : غلاطيا . . كانت حياتي خالية من الروح والعبير ،
حتى اذا ما اشرفت في وجودي ، تبددت النجوم التي كانت تكدر
حواشي حياتي لأمتي . بفرحة هي مزيج من الطائفة والروعة .
غلاطيا : ابتل الى الالهة اتحمم ضعفنا .

سأجئ في معبد جوبيتر ، ليلي نهاري ، ضارة اليه ان يرجع
لي حشاشتي . .

بجاليون : الا تذكرين يوم هل علينا باخوس برشاقتة المغربية
متהל القعالت منطلق الاسارير ودفع الينا ذلك الطائر الصغير ذي
الالوان الزاهية العجيبة ، والسقطة العذبة وحدتنا ان طائر كبيراً
جارحاً طارد هذا الصغور الفرد لينقض عليه وبغيبه في جوفه لقمة
هينة وكيف صده عنه وانقذه من مخالبه . . ألم يدفع الينا ذلك
الطائر المهرجش ، بذرة عجيبة ، القيناها في الارض ، حتى غث ودرت
وترعرعت في ضوء الشمس ، فاذا بها دالية خضراء تعرش في السماء .

نجاليون : الالهة خلقت كل شي . . .

غلاطيا : حق انا وانت . . .

نجاليون : انا مخلوق ، وهبته الحياة ، امرأة فأصلت فيها الروح
وتجمعت فيها ألوان العنبرية فدمعتني الى الوجود ، أمور بالمجاد ،
وأخفق بنعم .

غلاطيا : ومن هذه المرأة ؟

نجاليون : هي اروع من الشمس عند ما تطفل الى الشفق ،
وتحضبه بالوانها القانية ، وابرع من القمر الذي يسبح في ثبح السماء .
غلاطيا : غموض يغلف ظلامك ، ان الوجود جميل ، والحقيقة
تبدو وضيفة ، في عريها وجلالها . . .

نجاليون : كلايي بعيد عن اللبس ، لا يجرسه الايام .

غلاطيا : لم افهم شيئاً بما ترددده . اكاد اخنق ، وأحس
اصابع حديدية ، تضغط عني ، أزع عني هذه الفشاوة التي تتلبد
في أعيني ، وتجعلني اغيم بوجف أليم .

نجاليون : ماذا تبغين ؟

غلاطيا : العصفور الذي يسبح على مساليج الشجر ، ويهتف
باغانيه للصباح الفتيق ، المشمع بالندى ، يعرف له اماً وابناً . . .
اما انا ، واحسراته ، فقرمضي نعمة ، فاجعة ، فلا أعرف أسره ،
انتصي اليها ولا اذكرك طفولتي . . .

نجاليون : أنت سر الابد ، وصدحة الطبيعة ، وبسمة النور .

أملك الحياة ، وأبوك الفن ، وطفولتك الابتكار . . .

غلاطيا : من هي المرأة التي تعنينا في حديثك ؟

نجاليون : اية امرأة ؟

غلاطيا : تلك التي ترع منها ابني من البهاء ، المرأة التي
منحتك سر الحياة ، المرأة التي خلقتك . . .

نجاليون : هي غلاطيا . . .

غلاطيا : (مذهولة) أنا ؟ . . .

نجاليون : غلاطيا ، الامل الريان الذي اهفو اليه ، والطمح الهني ،
الذي أطمأن عليه ، والدعة الرقيقة التي امتاحتها ، والمهدة الرضية
التي تسيطر على اعصابي ، كلها نجت منك ، فانا منحة غلاطيا .

غلاطيا : الالهة وحدها التي تخلق ، علام ، اذن لا استطيع ان
اصعد الى الالوب ، لاري ولدي ؟ .

نجاليون : لست الهة حتى تتعقق لك هذه المنية . . .

غلاطيا : كيف خلقتك اذا لم اكن الهة ؟ ؟ .

نجاليون : انت اسمي من الالهة كلها ، تجمعت فيك اشياء .

لا ترفوف على سكان الالوب . . .

غلاطيا : ومن خلقتي اذن ؟

نجاليون : انت التي خلقت نفسك .

غلاطيا : لا تهذي ولا تهرف ، ولا تجعلني هزاة . واذا لم تتر
امامي الطريق ، قذفت نفسي الى البحر تتكسر علي امواجه ،
لا تعذبني . . . نجاليون . . .

نجاليون : سأفضي لك بكل شي . . . أصبحت حاكماً على
جزيرة قهرص ، التي اخلصت لها الحب ، واعتزمت على خدمتها بما
أوتيت من حذاقة وكياسة ، لاجلها جنة فيحاء ، في جمال التنسيق
والتنظيم ، وافرغت عليها كل واهبي وخليت ان اعمالها هذه تهمد
الفورة المحرقة التي تتناهي ، ولكن الشعلة المقدسة التي ازجتها
الالهة في صدي ، اخذت نجم على ذهني ، كنت بربماً تسرب الي
اليأس المم ، واغبرت الجزيرة الجميلة في ناظري ، حتى قميت ان
يعطى عليها البحر اللاجي ، وينقرها ويميلها اثرأ بعد عين .

غلاطيا : ما سر اليأس ، الذي تراقص امامك ، يرتق حياتك
بكدرات ، ويسلك الى هذه الحالة البائسة ، التي تستدر الشفقة
وتجملني دسمة .

نجاليون : ما نبل العواطف التي تنداح فيك . . . انك تأسين
على الماضي الخزين ، الذي حبست فيه ، ولو كنت معي ، لحببت
علي ، ومسحت كلومي ، بنجال روحك .

غلاطيا : لم لم اكن معك ؟

نجاليون : كنت فكرة في خيبر الغيب لم يتمخض بك رأسي . . .

غلاطيا : ووتى تخضت برأسك ؟

نجاليون : كانت حياتي في قهرص ذابلة ، واجتوبت السياسة
وجدفت عليها الف مرة ، وحبست نفسي الى عزلة ، في شفاف الجبل
أسامر الوحوش واتاجي الطيور ، واغزف للنجوم ، واغني للقمر .
غلاطيا : لماذا لم تتزوج من امرأة في جزيرتنا ؟

نجاليون : كرهت من النساء هذا الاستهتار الفاضح والازلاق
في مهادي الائم ، والفسق الذي يارسنه قاري بام عيني خيانة الزوجات
تصفع الأزواج .

غلاطيا : او تخون المرأة زوجها الذي يضمها الى كنفه ؟

نجاليون : ما أبرأك ، انك السذاجة المجسمة والطهارة الكاملة
وانني لذهنك الالهي ان يسرب اليه فكرة الزفيلة .

غلاطيا : ولماذا تخون المرأة زوجها ؟

نجاليون : كنت في وحدتي القاتلة ، احاول التسرية عن نفسي

في خضم السياسة فلم اجد في غمارها الا البلا.
غلاطيا : كيف وجدت اخيراً التعزية .

بجاليون : اهرب من السياسة الى احضان الفن ، الذي كنت
مغمري به ، ففي مصنعي اذيب اترامي ، فاندمج في عملي مخلصاً ،
فأنتس ما يحدقني من بشاعة ، ان حال الفن يريق على الحياة فتوراً وبحبة .
غلاطيا : الفن ، الذي أنقذك من الآلام .

بجاليون : الفن ، النشوة الروحية الصافية ، التي كنت افزع
اليها اذا لدعتني الحياة ، ففي مصنعي ، اهرع الى مخلوقاتنا الجميلة اجاذبها
الحديث وأفني فيها لقد وهبني الالهة نزوة الفن التي تطفر بالكائن
الحي الى السماء وتجعله اقرب للناس الى الالهة لان موهبة الخلق تكون
عنده متدفقة . كنت أخت التآثيل من قلبي ، فتبدو جيشة
بالحركة والاحساس لا ينقصها الا الروح تدب فيها ... وأظل
الساعات الطوال في مصنعي ذاهلاً عن الحياة والجمجم ، لا أسس
الا الجمال يحوطني ويفيض علي نعمه ، ثم ترات لي الحقيقة ، فاذا
بي معذب بأثس ، فقد احسست بغواغ حياتي ، لاستقر على فكرة
حتى تعقر لي غيرها ، ولا اجنح الى ادع الحياة تسري فيه حتى
يبس لي نقصه فاضجر منه واحطمه :

غلاطيا : او حطمت تآثيلك ؟ بجاليون : تراءى لي مصنعي
كفصحة .. ونشدت الكمال الفني فبلغته وكشفت به ذراعاً فني كل
لحظة تتجدد افكاره عثاً احاول الاستقرار بماذا اريد لا اعرف ..
غلاطيا : او هجرت الفن ؟

بجاليون : ترات لي تآثيلي ، حباً لا من نار تشد على عنقي
لتخففني ، وقعدت على صدري اهدوم وطلبت من الالهة ان تستل
روحي .. وهزل جسمي حتى اصبح خيلاً حائلاً ولوناً زائفاً وهفت
من اعماقي ابنتها الالهة خلصيني .. ولكننا سدت سمها دوني ..
غلاطيا : تغرني بهذا اليأس الذي لفتك ..

بجاليون : غلاطيا ، تقى الى المخلوقة التي تشاركني مصيري ،
كان نداء الزوجية يلح على عواطفني وصرخت ابنتها الالهة : خذوا
فني وامنحوني امرأة تنسق مع فكري هبوني المرأة الجميلة التي تكمل
جمال حياتي حطمو فني وادفعوا الي المرآة التي تهنيني وتضجر الحياة لي ..
غلاطيا : وكيف حصلت علي ؟

بجاليون : عشت في رأسي كمشل اعلى ورحمتك في تخليقي
وخلفتك اخيراً .. غلاطيا : انت الذي خلقتني ؟ أنت اله ..
بجاليون : فنان بالمخواقتي ، قلبت المرمر في يدي ورحمت اعمل
في اللدعية التي عاشت في ذهني .. وذهلت عن كل شيء . حتى برأت

صورة المرأة التي طالما تشوقت اليها فخرجت مثلاً بطلع بالفن ، فيه
كل الألوان التي سيطرت على حسي .
غلاطيا : ماذا حدث بعدئذ ؟

بجاليون : اذا فرغت من عملي السياسي الناصب سميت الى
التمثال الذي صنمته يدي التجهد في عبادته والتم الفهم الذي يعتر عن
لؤلؤ تضيد وأطلقت على التمثال الجيب اسم غلاطيا .
غلاطيا : اسمي انا ؟

بجاليون : كنت التمثال يا مبدوتي . عبدتك مراً .. افذا
افعل اذا تمشت فيك الحياة ؟
غلاطيا : أنبث من الحجر ؟

بجاليون : وترات لي التآثيل الكفيلة في مصنعي ديدانا ساءاً
فهويت علياً تحطياً وتكسيراً حتى لا تصانع عينا يترك يا غلاطيا .
ورأيت تماثلك الي في جهة الحياة ، افزع اليه كما احزنني الام
وأنتى ان تدب فيه الحياة ، وجشوت ذات يوم في معبد فينيوس ،
أنتصرع اليها بدعوي المكتومة ، ان تجمل الحياة تمشي في التمثال
ولما أوبت الى التمثال في المساء . اخذت اعانقه بجرادة ويا لدهشتي
اذ رأيت المرمر يتشمل وكاد قلبي يثب من ضلوعي عند ما رأيت
الذراعين المتوحيتين ، ترعشان وتضخان علي .
غلاطيا : جعرت سري ..

بجاليون : اوضح لي التمثال الذي تحته ، امرأة حية وقروحتها
ونسلت منها ولدي ياخوس .. ان السعادة تشرق على حياتي ،
وخمدت الجذوة التي كانت تعذبني ..

غلاطيا : اريد ولدي .
بجاليون : ميرجع يا مبدوتي ..
غلاطيا : لا تناديني هكذا لتلا تعذب الالهة .
بجاليون : ماذا يعني من الالهة ؟ ان مبتغاي رضاك ..
غلاطيا : أحس هزة تسري في جسمي . تكاد انفاسي تختنق
في صدري ..

(ويتطلع اليها بجاليون ، ويصق لمرآها ، فان عينيها تتلفتان ، وجسها
يضطرب واعضاؤها تنقلص .. واذا بها تخر على الارض مثلاً جامداً
فاقد الحياة .. فيدون منها وجزها .. فلقد فارقتها الحياة ، فيظلم الوجود
امامه ويبرق سمعه صوت يزأر من بعيد : الويل لك يا بجاليون اجم
المجدف على الالهة . الذي عبد مثلاً .. وهبتا لتماثلك الروح فكفرت
بنصمتا فانقرضتها منك ورددتا اليك صنمك الجاف .. اجم الفنان ..
ستبقى معذباً .. لانك لا تستحق الا العذاب .. فيقع بجاليون مشكياً عليه)

محمد حاج حسين — الدرافة

توماس جفرسون

مساحة املاكه على ٢٧٥٠ فداناً .

كان عمر توماس وقتئذ ١٤ سنة فدخل بمسد قليل كلية وليم وماري في وليسبرج عاصمة المستعمرة عملاً بشينة والده قبل الموت وانصرف الى تعلم الاداب وتعمق في درس مشاهير الكتاب اليونان والرومان . وبعد فوزه بالشهادة عكف على درس القانون مدة ٥ سنوات وهو عهد طويل في تلك الايام لان بعض زملائه كبريتريك هنري استحصلوا اجازة الممارسة بعد استعداد ٦ اسابيع لكن تاريخه التالي اوما نظم فيه من قوانين دل على فائدة تعمقه في الشريعة .

كان جفرسون غير جميل المنظر ولكن مقبولا ومحجوباً ومع ان السكر والقمار كانا لهراً عاماً لشباب عهده فهو لم يشرب مسكراً ولم يقامر . اجل انه لم يبالغ في التحفظ بل كان عسوراً يرضى ويعترف على الرباب في الاجتماعات العائلية . وسنة ١٧٧٢ اقترن بالشابة الارملة مونتسكلتون فاضافت الى املاكه مساحة كبيرة جديدة . واقتنى مكتبة حسنة . ولما قصرت احواله المالية باعها من الحكومة فصارت اساساً لمكتبة المجمع

النيابي الحاضرة العقلية . وكانت اهتماماته العلمية متنوعة بين سياسية واجتماعية وعلمية واختراعات . وتوفيت زوجته سنة ١٧٨٢ فحضر عنايته بابنتيه ماري وميرتا اللتين عاشتا من بين اولاد الى سن الرشاد . ورافقته ميرتا دائماً وصحبه الى اورليان في مهنة الدبلوماسية واطبقت عينيه لمهمات في مونتيسيليو . وقد اشترك جفرسون بطبيعة حاله في الجهاد ضد اعمال السلطة في ذلك العهد عدتها المستعمرات الثلاث عشرة تعدياً على حريتها وانتهى به الامر وبرفاقه بتريك هنري

في ١٣ نيسان (١٩٤٣) احتفلت الولايات المتحدة بمرور مئتي سنة على مولد توماس جفرسون الرئيس الثالث لجمهوريةها . وهو من اكبر الرجال الاميركيين ، مثل دوراً مهماً في عهد جهود الولايات المتحدة في سبيل الاستقلال وكانت نظرياته في الحياة الديمقراطية من اشد المؤثرات وابقاها في تكوين ممالك تلك الدولة السياسي .

على ان اسم جفرسون محترم في الولايات المتحدة لكنه غير



مشهور على الاسنة كجورج واشنطن او بنجامين فرنكلان . وهو لم يكن خطيباً ملساناً نظائر بتريك هنري . بل كان في المجمع النيابي الذي انتدبه للكتابة اعلان الاستقلال معروفاً بلقب « العضو الصامت » . كان بارعاً في اعمال الالجان . واكثر ما شعر الناس بفوقه في اقصاءاته الشخصية ومراسلاته وكتاباته . وفوق ذلك احب العزلة والسكون وحياته الخاصة منفصلة تماماً عن حياته العامة .

ولد جفرسون في ١٣ نيسان ١٩٤٣ في شادويل فوجينيا وامه جاين رندوالت تجددر

نسباً من الموردم وداي الشقيق الصفي للملكة ماري الاسكتلندية . اما ابوه بطرس جفرسون فينسقي الى عنصر نومان القوي . وكان بطرس هذا نظير جورج واشنطن مخططاً الاراضي ثم قاضي صلح ثم عضواً في مجلس نواب المستعمرة وبالغا رتبة كولونل في الحرس الوطني . وقد تلك ارضاً واسعة على الحدود القريبة واخرز بقاءاً اخرى بواسطة نسيب لزوجته . ولما مات عن ٨ اولاد سنة ١٧٥٧ ل ميرته بحسب الشريعة البريطانية الى اكبرهم توماس وقد اربت

غيره في الندوة الثنائية الى اعلان الثورة . وقد ظل جفرسون عضواً في الندوة الى انذالت من الوجود . وكان روح الحركة في تنظيم لجنة مراسلات فرجينيا التي تعاونت مع امثالها في المستعمرات الباقية على توحيد الافكار . وساهم في كتابة رفض الندوة لمفاوضات المصالحة . وألح بدعوة مجلس نيابي الى الاجتماع في فيلادلفيا . ولما اجتمع هذا المجلس كان جفرسون من اعضائه نائباً عن فرجينيا . وفي حزيران ١٧٧٦ انتدبه المجلس مع اربعة آخرين لكتابة اعلان الاستقلال . فقرر الاربعة تكليف جفرسون لقيام بهذا العمل . فأنه طبقاً لمهامه . وانتخب حاكماً لولاية فرجينيا مرتين متواليتين اي سنتين . وياشر حالا تنظيم قوانين جديدة لتحل محل القوانين القديمة ورسم خطة ثمة للتعليم العام . واخذ يمد القانون مقبل يسر لانقاذ الرقيق . فتحرير العبيد كان شغل افكاره الشاغل وقد بدأ في نفسه فافخذ يعامل عبيده بانسانية تامة . واحبه حباً جماً . وقد فاض كثيراً من اصدقائه في هذا الموضوع . وواجه مراراً بوجوب تحريرهم وتعليمهم واعدادهم لتحمل الاعباء الوطنية . فظفر باقي اخوانهم من البشر فلم يلق اقتراحه التحريري للعبيد قبولا بين قوانين فرجينيا . لكن كتب الشرع التمثيل على كثير من نظوياته . اما اقتراحه للحرية الدينية فقبل قانوناً في حكم صديقه جيمس ماديسون . وكان هذا القانون المتعلق بحرية الافعال والحرية العمل الذي تائق جفرسون الى ان تذكره به الذرية

لما كان توماس جفرسون حاكماً على فرجينيا سعى لتأليف الاتحاد الاول بين المستعمرات السابقة بإخاذه على فرجينيا بان تتخلى عن دعواها في الاراضي الواقعة في غربها . فحصل هذا العمل الولايات المجاورة على الاقتداء بها وكان شرطاً لدخولهن في سلك الاتحاد الاميركي . وبعد ان اتهمته حاكماً عاد الى مونتيسلو آملاً ترميم مزارعه الخربة والبيت زراعاً في فرجينيا . لكن زوجته توفيت سنة ١٧٨٢ فلم يجد وسيلة لتسليه قلبه الكسير الا بالعودة الى الميدان السياسي . فانتخب عضواً في الجمع النيابي ، ووضع اسلوباً لادارة الاراضي الغربية وانشاء الولايات منها . وللانساء الرقيق فيها . فقبل الجميع كل اقتراحاته ما عدا الغاء الرقيق . ولو قرر هذا الانقاذ لامكن اجتذاب الحرب الاهلية التي دارت في عهد لتسكولن . وفي عام ١٧٨٤ ذهب مع بنيامين فرنسكلان وجان ادمس الى اوربا لعقد معاهدات مع الدول الاوربية . ولما تقاعد فرنسكلان

وبعد ان قضى جفرسون عهدين في الرئاسة تخلى عن كل عمل عام لكنه بقي يشرى على اوليا الامر بارائه . فهو الذي ارسل في تشرين الاول ١٨٢٣ مذكرة الى الرئيس جيمس مونرو يشرح بها اقتراحاً ضرورياً لفتح هذا بضعته وتبنيه وصار معروفاً في التاريخ باسم « عقيدة مونرو » هذه العقيدة خلاصتها ان اميركا للاميركيين . وقضى جفرسون اعوامه الاخيرة في مونتيسلو بعدما ذابت ثروته الخاصة في الحطالة قيمة الاملاك الزراعية بسبب منع السفن من ارتقاد المياه الاوربية . ومع ذلك اصر على دفع ديونه لثلاثي زوجته . ومات جفرسون يوم عيد الاستقلال الاميركي في ٤ قور ١٨٢٦ في سن الثالثة والثلاثين . اما معاصره الشهير الذي كان في البداية خصمه السياسي وفي النهاية صديقه الحمى جان ادمس فأت بعده بساعات قلائد .

اصين الغريب

عريب



ولكن حينما نعرف ان الثلاثي ليس اصلا طائفة هذه المعاني بل الثنائي ، نطمئن اعظمائنا أكيدا . فان ضرر يعني جرى يجمع الى ثنائي (هر) والمرمرة صوت الماء الكثير ، وضرر يعني زجر يجمع الى ثنائي (نه) والتهية زجر الأبل والزرع عامة ، وضرر يعني اضاء يرجع الى ثنائي (نو) ومنه النور والنار .

وعلى سنة هذا المرجح يعني في تحليل وعرض طائفة كبيرة من الامثلة والمفردات .

٢ - ان الكتاب يقوم على التطبيق دون العرض والتقرير ، وهذا اسلوب رياضي يستعمل في دائرة المسائل العقلية ، وايتوصل به الى التقرير . ففي مقدمة الكتاب اشارة سرية الى نظرية الثنائية ، دون تفريغ الى عرضها بحيث تعرف : كيف انتقل من الثنائية الى الثلاثية ؟ واية الوسائل هي التي استعملها العربي وعبارة اشمل السامي للتوصل في حلقات الى الثلاثي فالرباعي الخ . في الوسائل آتية لاختلاف ، ام كانت عفوية خالصة عرضة للتكيف والاختلاف ؟ وهل العمل اللغوي الذي قاعدته الثنائية خضع للانتخاب الصناعي ، فهو وليد عقلية او ارادة لغوية . ام خضع للانتخاب الطبيعي ، فهو وليد سنة طبيعية تعمل في اللغة كما تعمل في الاحياء . صفة غير مشور بها ؟ الخ . ولكن كما يتضح من المقدمة ان في بنته جلاء نظرية الثنائية من كل الوجوه ، وحيداً هذا في موضوع قل باحثوه .

٣ - يعني بوجد عام تطبيقه في بحث الكلمات اللغوية لخواص علم الاصناف . واجهده في التفرجيع على الطبيعة الجغرافية كما فعل في بحث الكلمات العربية (١٩٤١) ، ٢٠ ، وعلى الطبيعة الموضوية كما فعل في كلمة (حج) ٣٦-٥١ . وهكذا من كل ما يتصل بالبيئة والطابع ، هذا المتني الذي يرضينا نحن اصحاب التفرعة التطورية في اللغة .

٤ - يرف الكثيرون من رأني في الثنائي على ما فعلته في كتاب مقدمة لدرس لغة العرب ، التي أقم الحركات اكبر الفمية في الدرس اللغوي اللثوي . ولو احدثنا قاعاً الى سر الحركات لانكشف لنا اعظم اللماق التي لا يزال اللغويون يثبون في مجاهلها . وحينما نجد اليوم بعض اللغات غير المرتقبة كالصينية تعتمد على الحركات في اختلاف المعاني وهي بدائية ، ننقل بالنظر سريعاً الى ان لغتنا العربية كانت في مراحلها الاولى كذلك .

ومن رأني ان الواو والياء . والهمزة وحروف الخلق عامة حركات وليست حروفاً ، وانما في دور من ادوار اللغة وهو دور الانتقال من الثنائية للثلاثية ، جمدوا هذه الحركات في حروف واعطوها مبالغاً . وعليه فلي نعرف قدام المعاني للثنائي ، يبنى ان تدور في دائرة واسعة على الثنائي وعلى المل وعلى المصنف وعلى الثلاثي الخلفي . وكثيراً ما يوجد في معاني لثاني حلق مثلاً ، ما هو الاصل طائفة المعاني المتطورة والمتجولة التي حفظها ارباب المعاجم وادرجوها تحت الثلاثي المضعف . وساردي فرصة اخرى رأني في بعض الكلمات التي يجهل المؤلف في كتابه الثنين .

عبدالله العلايلي

المقدمة العربية

على ضوء الثنائية والولسية الباعية

للأب أ. س. مرموجي الدومني - ٢٣٥ صفحة - القدس - مطبعة الآباء الفرنسيس

قبل كل شيء . لا يعني الا ان أقدم بخالص شكري على هدية الثمنية ، ثم لا يعني ايضاً الا ان اعنه على توفيقه في البحث والصدق في الاستنتاج ، وانما بين سرور واعجاب .

اما سروري فلاننا تلقني في كثير من المقدمات الى كثير من النتائج ، واما اعجابي فلان كتابه يولف حلقة في سلسلة كتب نواردي في العربية ، امتازت بتمام الفكر والتجرد والاسلوب المنطق . وما أخلصاً لدينا ، ولعلها تكون فاتحة سيدة في فجر حضنتنا تفرى بالانتاج العفري .

وبعد فانا استمحيه عذراً في ان اضع بين يديه ويدي القراء . نتائج معاني لكتابه القيم ، ولاهمية النظرية التي يدافعها من وجه ، ووليفية الكتاب في النظرية نفسها ، عني بدرسه درساً . فالتحليلية عند كل سطر عند كل فقرة .

ويسرني كثيراً ان يسلمها بحمل التطارح بين صديقين ، جمعت بينهما فكرة ، وشئت واصررها الفيرة على اللغة ، والنفور من التقليد الذي لا يستحق التقليد . وانا اورد هذه النتائج في سرد واختصار :

١ - ان فكرة الكتاب جديدة في الدراسات العربية اللغائية (الفيلولوجية) ، فهي تعتمد الثنائي اساساً للاشتقاق دون الثنائي الذي درج الباحثون حتى اليوم على اعتاده . وهما كما يقول في ص ٦ :

(مذهب غير مأوف بين علماء العربية ، الا وهو مذهب الثنائيين bilittéralistes المما كس لمذهب الثلاثيين trilitéralistes . والثنائية هي النظرية الغائلة بان الاصول في العربية وكذلك في اخوانها السامية ، ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين ، اذن فثنائي الثلاثيات ان ترد الى الثنائيات) . والعلامة المؤلف ذهب مع هذه النظرية حتى اقضى حدودها ، فاقنني الى نتائج بالغة الامة بالغة الدقة ، وهي تعلن الزم الغائل ان المنرد العربي غلو من المنطق في المعاني . واكتني من شواهده الكثيرة هذا الشاهد الذي يرجع اليه فضل تحقيقه والكشف عنه . فقد ذكر في ص ١٣٥-١٤١ كلمة (ضر) وانما وردت في العربية يعني جرى ومنه الضر ، ووردت كذلك يعني اضاء ومنه النهار ، ووردت ايضاً يعني زجر ومنه الاتزار . ونحن جبال هذا الشاغر تأخذنا المجرة ،

لرمن الحرب

للاستاذ فاضل سعيد عل - ١٢٨ صفحة - منشورات الشعلة - بيروت

جمال عبارة واحدة، للخبرة، في كل ما كتب. أين فلسفة وحكمة أم عن تشف وزهد.. وكانت الخبرة.. حتى غشية مطالعي مؤلف فاضل، ينظري ونظر فاضل ومن لف لفنا، هي الفلسفة كل الفلسفة والحكمة جل الحكمة، وكان الزهد والتشف لها.. وبخاصة.. زمن الحرب..

غناطوس الرامي

مذاهب الادب العربي

للاستاذ غدة فتحي صفوة - ٦١ صفحة - مطبعة الرشيد ينداد .

يحتوي هذا الكتاب على خمس محاضرات القاها الاستاذ غدة فتحي صفوة من محلة الاذاعة ينداد، وتناول فيها مذاهب الادب الاربوي بالتسلسل الذي ظهرت به، فبدأ بالمذهب الكلاسيكي الذي شاع في اوروبا منذ القرن السادس عشر، وانتشر على الخصوص في فرنسا، بعد ان تخلصت اوروبا من نظم القرون الوسطى وغلبتها، وتطور التفكير في الادب، وانتشرت حركة احياء العلوم امتثالاً لما بدأ ثم تحدث عن اثر الكلاسيكية في المسرح الفرنسي هذا الاثر الذي كانت مسرحيات كورناي وراسين بعض غاذه، وما لبث المذهب الكلاسيكي ان حُمد وأصبح قبولاً ثقيلاً وحجر عثرة، فوجد الشعراء، والكتاب انهم أمام قوالب ضيقة ومناهج مرسومة، فاستجلب الشعر والكتابة الى صنعة تقليدية، فتمت الترتبة المتحررة المجردة شيئاً فشيئاً حتى صارت مذهباً له بمزاها، وهو المذهب الرومانسي، وألغى شخصياته في الادب الفرنسي لامرئين وهينو ودي موسيه وهي فتيين مخلصين. وفي الادب الانكليزي وردسورث وكولريدج وبيرون وكلي وكيتس.

والاظهرت المحاضرات في القرن التاسع عشر انتشاراً واسعاً فاقشت في الادب الرومانسي، واستخدم البخار، أثر كل ذلك في الفكر تأثيراً بعيداً وقربه من المادية وجعله علمياً أكثر من ذي قبل، وقد امتد هذا الاثر الى الفلسفة فظهر فيها مذهب جديد يدعوا الى الاكتفاء بدراسة الماشهد الخارجية والظواهر المادية، وهكذا خالفت «الواقعية» المذهب الرومانسي الذي كان أدب عاطفة وخيال قبل كل شيء. وكانت الرواية الطويلة Roman خير مظهر الادب الواقعي لما تصوره مشاهدات واقعة وظواهر عادية لا مبالغة فيها، وأبرز اساندة الواقعيين في الادب الفرنسي غونكور وجول، واميل زولا والفونس دوديه وجي دي موسان.

وعن المؤلف كتابه يبيح عن المذهب الرمزي، الذي كان ترعة تم تل مدارس غنية كسائر المذاهب الادبية، وقوام هذه التركة ان علماء النفس أجعلوا ان الفن العقل الواعي ما هو الا مظهر ضمير خفي من مظاهر العقل الباطن، فمن الحق ان أذن ان يتقيد الفنان بالعقل الواعي، وان يضع حكمه المطلق، فنبالك في زوايا النفس، وراء عالم المحسوسات، وعالم اخرى تنطرب فيها الملهجات وترحم الاحاساس، وهي عوالم غامضة مبهمة يتلاقى فيها الفكر بالظلمة واليبسان بالغموض والشعور باللاشعور. ويرى الرمزيون ان الفن ان يتوص في تلك العوالم الغامضة والا يتل في ايمان النفس البشرية، والتعبير عما في هذه الاماكن تمييزاً فنياً.. ومن اجل هذا، كان من العبث - يقول الرمزيون - ان نبحث عن الوضوح في الفن لان نفس هذه الملهجات النفسية مبهمة لا تستطيع وصفها، فالظلمة الفنية لا يمكنها ان تنقل الفكرة وانما توحي بها ايماء

لرمن الحرب: هو عنوان الكتاب الذي اصدره الاستاذ فاضل سعيد عل في منتصف هذا الشهر.. تناولت الابواب الاولى من هذا الموهب المتكثري الموهبات التي عرفت وتذوقت في فاضل روحه المفتح بالتناول بل المتغص في المجهن، عرته يتطلع الى الدنيا من وراء «نظارات وردية» يرى الموجود وردياً جميلاً. ألفت فاضلاً بين آيا نوايس في تنوؤه واين الي ربيعة في مجونه. ولولا خلقت كتاب فاضل من «برميل سيار» و«عند وتين» لقلت: والله لقد بحث دويجينوس وابو العلاء حين

اجل لقد تنكر في فاضل حين بوب كتابه بنواين هي سلسلة تشاوم متأسكة الخلفات: «ياس، جنون، انتقام، غيبة، يلاطوس، احتضار» الخ ما فيه من موضوعات كلها تتفتح جراحاً ولماً. ولكن.. ولكن ليس في ما قلته حتى الان، للحكم على كتاب فاضل وادب فاضل حكماً جدياً او صائباً، وجل النقد، ارسال بعض قرسات لوم، بل التشديد تلك الفلسفة والحكمة والعلة التي لى فاضل دعوتها، قبل الاوان وهو بعد دون ربع القرن من العمر، وترك وراءه نفرا من كانوا يلقون لفة في الادب الضحك للمعرب اللامبالي، بدلجون في وادي المجهن والمريدة واللامبالاة..

جميلة هي الفلسفة او الحكمة او العلة تخرج من «برميل» او «خردوب» ولكن ان تجرى من «حانة» - من حيث جربنا كثيراً وراينا ولم ندر كذا - فبنا الميانة.

وعب قول هذا.. اين الفلسفة في كتاب الاستاذ فاضل عل؟ - الفلسفة، في قوله: «الحرب» «ميتة حليقة».. وما الخفي

هذه الفلسفة اذا ما عرفنا ان الانسانية في ارتفاعها الاكبر.. كانت - في كل ادوارها - تتمسك على هياكل الناس.

وقوله: «ان حرب السلام عند اندحار الطغاة ستكون اشد من حرب السلاح».

واين الحكمة؟ - الحكمة، في قوله: «لا عزاء للانسان لانفسه» وقوله: «اذا سكنا ريعنا حرب الجسم، منذ الان، فحرب الاخلاق ما تزال تليجتها القاصمة في مطاوي المجهول.. وقوله: «ما اغل الصديق في الايام السود.. فلا نشر بأخيلة الا اذا قسناها بالفراغ الذي يتركه صديق يموت»

ولا يبيح الاستاذ عل المرأة حفا في هذا الكتاب: فهي عنده كبهذه الحرب الشكراء المحفوفة بالاسرار والنواض.

ويشكل عن «المثل العليا» فيقول: «اية خرافة نحن في صدها ما دامت انفسنا ملصوقة باجسادنا والمال شريرة العلاقات الانسانية» «والجريمة الكبرى» في نظر فاضل لا ترمى فقط الى صاحب «الانانية» والفرور والحلم الباطل الذي يرح البشرية في مجرة، بل ايضاً الى من يصف لهذه الانانية وهذا الفرور ويوجب بها.

وزيدة القول ان الحروب، كما يراها الاستاذ فاضل سعيد عل، هي جريمة بعد ذنبا، وهي اشرقو قتل اذا ما قيس حاضرها بندها، وهي اخيراً سأم ارتكاز مر كورة رجلها في الاس.. لعد، اخيراً، على يد.. فالذي آتني وشجاني - كثيراً - اثناء مطالعي كتاب «لرمن الحرب» هو ان فاضلاً لم يترك «مدى حيوية»

وقد وجدت هذه الترميزية عند دي فيتزي وبودلير قبل انتشار هذا المذهب في فرنسا ، فكانت قصائد المبحث الفوي في اعجاب الناس بهذا الاسلوب الرمزي ، وفي ذبوع الرمزية في فرنسا ، الى ان ظهر بول فرلين رافع لواء الرمزية .

وبلاط على المؤلف ، هذا العرض السريع والتلخيص العابر للمذاهب الفكرية والادبية ، بدون ان يف وقفة طويلة عند تفاصيل كل مذهب ، وعن خصائص رجاله ، وعن التيارات المختلفة التي كانت تنجذب هذا المذهب اوزاك ، ودون ان يبحث على تفصيل - عن صورة المذهب في كل شخص من شخصيات الادب ، هذه الصورة التي تتغير في كل شخصية ويختلف اتجاهها . ولعل في كتابة هذه الابحاث لتلقى على الجماهير من الاذاعة ما يبرر هذه النظرة الطائفة .

وقد ألق الكاتب ، أكثر من مرة ، بشروط اتصال ادبنا العربي بالآداب الغربية ، اذا اراد ان يبتلى وان يكون ادباً عالياً ، والتاريخ يربنا ان كل حضرة ادبية وفكرية سبقت بحركة ترجمة واسعة للثقافة وهذه الدعوة جلية الاثر ، جد قديمة ، غير انها محققة منذ امد بعيد ، وقد جنينا ، ولا تزال نجني ، غناها فيما نقرأ من الروايات الجديدة عند ادبائنا المعاصرين .

بأخوس

للاستاذ عبد الرحمن ابو قوس - ١٣٥ صفحة - حلب

في اماطير اليونان ان بحاليون الفنان الباربي في جزيرة كريت ، اصرف عن الحياة وصدف من زيتها وماذلا يعيش مع قومه وحده ، ونظر من استدار للنساء في اعياد آلهة الحب فينوي - فيلنيدو هذا الفنان العاجي - غالاطيا - الذي يرى فيه غصة الجيلة العجائبية ، تحركت في نفس بحاليون نزعات الحياة فضرر الى الآلهة ان تنفخ في النشال الروح . فاستجاب ، فاذا النشال الرخامي امرأة حقيقية ، واستمرت عواطف بحاليون نحو غالاطيا المرأة تنمو وترداد كما كانت عندما كانت غالاطيا حبيرا فتروج منها ، ثم ولد له منها ابنه « بأخوس » آله القمر ، الذي يقبضه الحب المشهورة باسمه في جزيرة كريت .

ومن هذه الاسطورة استوحى كثير من الكتّاب موضوعات للمصمم فكتب برناردشو « بحاليون » عواضا فيها حياة فتاة حية بنها بحاليون بئرا جديدا ، فقد كانت فطيرة بائسة لا تعرف شيئا من ألوان الحياة اراهية فلم يكذب بحاليون بئرا حتى لقننا وهذا وانار لها طرق حياة التلاذ . وعندما وجدنا نمرة للإعصار اقلقل حبه لنفسه لنجاحه بهذا العمل ، الى ان يجف على غير وعي منه اولا ، ثم على وعي قوي أخيرا .

وفي أدبنا العربي الحديث ، كتب الاستاذ توفيق الحكيم بحاليون معتمداً على هذه الاسطورة اليونانية بعد ان جمع بينها وبين اسطورة يونانية اخرى وصور فيها مشكلة الفنان بين حياتين : حياة الناس التي يجب ان يخالصه منها ، وحياة الفن التي تجذبه لينغمس فيها .

وهذه للمرحية ، بأخوس ، كتبها الاستاذ عبد الرحمن ابو قوس احد ادباء سوريا الثمانية الشباب معتمداً على اسطورة بحاليون ، وتبدأ بحوار يدور في شارع من شوارع مدينة بأخوس - وهي المدينة التي بناها بأخوس نفسه - بين مجموعة من النساء ، فيحدثن عن احتفالي بأخوس للنساء وعصمه لحقوقهن ، لانه قال في دستور يوصي كل رجل : اذ لم تكن

زوجتك كالتمثال الرائع الجميل ، فحطها . ويتنادى الذهاب الى بأخوس امام ساحة قصره ويرقن اليه رأمين ، الذي فيه دفاع رائع عن المرأة ، التي لا تريد ان تكون من المرمر امام قن يظن انه يستطيع ان يكيف هذا المرمر كما يشاء ، وله ميزة الفنان المالحق دائما .

ثم تقبل اعداهم فتخبرهم بان بأخوس برئ من دستوره وان صاحب الدستور هو النحات وهو صاحب التمثال وعدده في « الابداع » الشمروالزن والفلسفة ، ويعاود « الشعر » اقتاع النساء ، فلا يستطيع ، ويقوم « الفن » فيخفق ، ولم يكد « الفلسفة » انتقم حتى افسد بأخوس نفسه هذا الاقتاع ، فقد اتهم النساء بالكفر وهددهن بالانقاص الشديد .

ويبحث الرجال عن النساء فيعلمون انهن قد هجرن المدينة فيسبرون الى بأخوس يسألونه ، ويخضعون بناسهم ، ويتجدون للمطالبة جدد واحد : ان لا يكون اكتشاف الجبال غاية الانسان ، وان لا تكون الشهوة غاية الذة ، وان يكون الجبال ينبوع الذة .

ويغتنق بأخوس بان التماثيل رمز الاثرية وحسب الذات وان النحاتين عشاق انفسهم ، لانهم يرون عملهم فينحتون من قائل ، وان الذي يشرق قلب المرأة ليكون له قتالا كالذي يشرق قوت الجامع ليكون له ثروة . وهكذا استطاعوا ان يحرروا من كل شيء ، واسدلوا الستار على الاساطير التي لم يبق لها الا الذكرى ثم النسيان .

وعلى شخصيات المسرحية افكارا وروما انسانية يحيا القاري . احساساً قويا . واسلوبا موسيقي مشرق ، ويكثر في حياها وفقرها الحكم والافكار المستقيمة التي تصح ان تكون قطعاً قاعة بذاها . ويستوي القاري . طريقة العرض المسرحي ، التي احكمها المؤلف واجاد فيها اجدادة جذابة مشوقة .

الاجنحة المتكسرة

للاستاذ وليم صب - ٣٢ صفحة - المطبعة الحديثة - بيروت

« الاجنحة المتكسرة » قصة نثرية وقصها نائبة الادب العربي الحديث جبران خليل جبران ، نقل فيها حادثة من حوادث حياته . وسكب فيها ادق عواطفه واصدقها .

ولما رأى الاستاذ وليم صب روعة هذه القصة وجمالها ، ورأى ان تأثيرها في نفوس عامة الشعب يزداد فينوي اذا سمعها الشعب بلنته التي يتكلمها وشعره الذي ينبته ، اقتبس منها مسرحية زجلية ذات خمسة فصول .

وان اول ما يقادد الى القاري ، هذا التوفيق الذي اصابه الايتاذ وليم صب في سر غور جبران وفيه روحية واطار عواطفه ، ناقلاً ما في جبران الى عشاق فن الرجل بلنة شبيهة حلوة .

ولا يكاد ينتهي القاري من المسرحية حتى يردد قول جبران نفسه : « عندي ان في المواليا والازل والعتاب » والملي » من الكتابات المستجدة والتاثير الرشيقة المتنبية والاستعارات المستملحة ما لو وضعنا بجانب تلك القصائد المنظمة بلغة فصيحة ، والتي غلا جبرائلا وعلقاتنا ، لباينت كبرياء من الراجلين بقرب رايسته من الخطب ، او كسر من الصبايا الرافضات الترامعة قبالة مجموعة من الجثث المحنطة »

ما اصدق هذا الكلام على زجل الاجنحة المتكسرة تجاه بعض الناضجين باللغة الفصحى .

برامج التجاني

الاستاذ فرج الله الحلو - بيروت

اصبح الناخب اللبناني على حذو وافر من النصح في فهم الغاية التي يتجه اليها عندما يضع صوته في صندوق الانتخاب ، فهو يدرك ادراكا واضحا انه ينتخب ميذا معيناً له منهاجه ، ويفضل على مبدأ آخر له منهاجه ، فالكتل الانتخابية بدأت تقدم للشعب برامج شاملة مفصلة تتناول جميعا خير هذه البلاد العزيزة ومستقبلها القريب ، وتختلف في بينها في الوسائل التي تسلك للوصول الى هذه الغاية .

ومن بين هذه البرامج تقرير واف قدمه الاستاذ فرج الله الحلو الى الشعب يتحدث فيه عن مقي عودة الحياة الدستورية ، وعن مرحلة الحرب الخامسة ، وقد تناول خطوط البرنامج الاساسية فقال ان ادراك خطر آفة النازية والفاشية على حرية وطننا وكيان بلادنا ، وكفاح هذا المحتر كفافاً لا هوادة فيه هو اول ما يجب ان يتناز به رجال المجلس اللبناني المقبل في لبنان .

ثم يبين رأيه في تنظيم الاعاشة والتسوين وتشجيع الصناعة الوطنية والراشال الوطني ، وهذا التشجيع يكون اولاً بالدفاع عن العمال الذين تقوم على سواعدهم الصناعة الوطنية وتردهم حياة البلاد الاقتصادية . وثروة البلاد تعتمد على الزراعة اعتماداً رئيسياً ، لذلك سيكون السعي لمعاونة الفلاحين والمزارعين حتى يتمكنوا من تحسين ارضهم وترقية زراعتهم ، فمن طريق المساعدات الفنية وبواسطة تميم الري في جميع الاراضي عنصرنا من عناصر المتاحج الاصلاحى .

ولم ينس الاستاذ فرج الله الحلو اصلاح النعام ويمكنه التلخيص وتوزيع الضرائب ، وتنشيط التجارة الوطنية ، ولتأهيل العمل في سبل ذلك من فائدة وغيره للبنان في عهده الجديد .

العصامي جزار بك رعد

للاستاذ نجيب نجم محرم - ٦٢ صفحة - بيروت

من الناس من لا يمتد بالمستحيل ، هؤلاء هم اصحاب الارادة القوية التي تدفعهم الى الاقدام بنف ، فيقدّمون رغم كل شيء ورغم كل العراقيل والكبوات والصدمات ، الى ان يتنجحوا بعد جهاد طويل كله ثبات وعزم ومثابرة .

ولتسجيل حياة هذا النوع من العصاميين الذين جعلوا من انفسهم رجالا كباراً ، ولترجمة تفاصيل حياتهم واجتيازهم المصائب ، آثار فمالة تعلم الجيل من الشباب روح الاقدام على العمل ، ومغالبة الصعاب حتى الانتصار عليها .

وقد رأى الاستاذ نجيب نجم كرم ان يقوم بتقديم سلسلة من تاريخ رجالات لبنان العصاميين ، الى الشباب ، وبدا هذه السلسلة بجزار بك رعد متحدثاً عن رحلته الشاقة الطريقية الى اميركا ، وكيف دافع مدى اربعين عاماً قساوة القدر وخشونة البش حتى استطاع باعتراده على نفسه وثباته وجده وحسن سربرته وقوة صراحته ، ان يجمع ثروة خدم بما وطنه بعد ذلك ، ويصنف على من حوله من الانسانية المتألة المحتاجة ، واقام بها مشاريع حيوية .

وهذا الكتاب صفحات رائعة عن الكفاح المستمر المنتج في حياة رجل .

تطلب مجلة « الاديب »

| | | |
|---------------|----|---|
| بيروت | من | السيد خضر النحاس وعموم الباعة |
| طرابلس | » | مكتبة زبيلط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف بويوب |
| حلبا | » | السيد عبدالله عفوض |
| عاليه | » | مكتبة السيد نجيب سلمان |
| زحلة | » | السيد جوزف مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة المكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طباع |
| حصص | » | السيد عبد السلام السباعي |
| | » | السيد توفيق الشامي |
| در الزور | » | السيد اديب مابوح |
| | » | السيد حنا نصره |
| اللاذقية | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متجلي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان رزق الله كردي |
| الباب | » | الشباب لصاحبها السيد محمد سعيد المكسي |
| يافا | » | السادة حنا وجورج بوري |
| حيفا | » | السيد توفيق زعلابي |
| نابلس | » | السيد ماجد القطب |
| فلسطين عامة | » | عموم المكاتب والباعة |
| بغداد والبصرة | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| الموصل | » | مكتبة الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد |
| مصر | » | عموم المكاتب والباعة |

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً في العراق بـ ٦٠ نلماً (الموصل بـ ٦٥) في فلسطين بـ ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان بـ ٩٥ غرشاً مصرية .

مَجْلُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

القاهرة ٣ حزيران - اقيمت علاقات سياسية واقتصادية بين مصر والاتحاد السوفياتي على اساس عدم تدخل احدي الدولتين في شئون الدولة الاخرى الداخلية . دمشق - قدم قنصل المملكة السعودية العربية العام في سوريا اوراق اعتماده الى وزارة الخارجية السورية .

ألمج ٣ - تشكلت اللجنة الفرنسية لتحرير الوطن الفرنسي وهي تتألف من الفاندين ديول وجيرويليسين ، والفاندين كاترو وجورج والسادة رينه ماسيفلي ، جورج مونييه ، اندريه فيليب ، اعضاء . وعين الجنرال كاترو مفوضاً لتنسيق الشؤون الاسلامية وحكاماً عاماً للجزائر . وعين الجنرال بوسكا قائداً اعلى لقوات الجبهة في افريقيا الشمالية والفرنسية .

القاهرة - جرى تعديل وزاري في الحكومة المصرية باضافة وزيرين جديدين هما امين عثمان باشا لوزارة المالية وقمعي وبصا بك لوزارة الوقاية المدنية .

لندن ٤ - نشبت ثورة اهلية في الأرجنتين ، اذ قامت فرق عسكرية مسلحة بالانقضاض على الحكومة بقيادة الجنرال « بادرو راميريز » .

وقد دخل الثوار العاصمة بونس ايرس فقادها الرئيس كاستيلو هارباً الى الاوروغواي .

لندن ٥ - توفي جورج مانديل الوزير الفرنسي السابق في احد المعتقلات الالمانية . بيروت - توفي حكمت بك جنبلاط النائب والوزير السابق في الحكومة اللبنانية .

موسكو ٦ - اغار الطيران السوفياتي بأسراب تتألف من ٥٠ طائرة على القاعدة الالمانية اوبلر ولم يتخلف من هذه القوة الجوية الجبارة سوى طائرة واحدة .

بيروت ٧ - عين فخامة السيد جان فيليو ، سفير فرنسا ، مندوباً عاماً مطلق الصلاحية لفرنسا في الشرق خلفاً للجنرال كاترو .

بونس ايرس ٨ - تشكلت الحكومة الأرجنتينية برئاسة الجنرال راميريز كما يلي :

ألفنس اميرال ستورني للخارجية ، الكونويل جيلبرت للداخلية ، الاميرال غيليس للبلدية ، الكونويل انايا للتربية الوطنية ، الجنرال فاريل للحرية ، الكونويل اميرال سورو للبحرية .

ألمج ٩ - عزلت جزيرة باقيلاريا عن سائر ايطاليا بفضل الحصار الذي ضربه الحلفاء حول الجزيرة . ولم تعد تتلقى اي غوين .

القدس - قام زهرة النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية بزيارة الى فلسطين وقصدها رحمة به البلاد الفلسطينية اجل ترحيب .

لندن ١٠ - اعترفت حكومة الاوروغواي بالسلطة التحريرية الفرنسية الوطنية . لندن - وقعت جزيرة باقيلاريا في ايدي الحلفاء بعد مقاومة دامت اسبوعين وقد اسر فيها نحو ١١ الف جندي ايطالي . القاهرة ١١ - سقطت الحكومة المصرية في يد القوات البريطانية .

لندن ١٢ - سقطت جزيرة لايبيدوزا ايطالية في ايدي الحلفاء . تلك الضيافة للحكومات البلجيكية والهولندية واليوغوسلافية والبولونية .

لندن ١٣ - استسلمت جزيرة لينوزا للحلفاء بدون مقاومة . القدس - وصل الى القدس وفد تجاري من للمملكة العربية السعودية للاتصال بالدوائر التجارية في فلسطين وتنظيم شؤونه التبادل التجاري بين المملكة السعودية وفلسطين .

لندن ١٤ - استولت البحرية البريطانية على جزيرة لامبيوني ، وهي آخر جزيرة في مجموعة جزر بلاجي في مضيق صقلية وتقع على بعد ثمانية اميال من شال غرب لايبيدوزا . ويبلغ طولها ثلاثة ابراع الميل وعرضها نصف ميل .

لندن ١٥ - بلغ عدد من اخذوا من الاسرى في باقيلاريا وليدوزا ولينوزا (١٨) الف اسير .

شونغتونغ ١٦ - احتلت القوات الصينية جزيرة باليشوف الواقعة في وسط بحر ياتسسي واستردت القوات الصينية مدينة توهو في على ضفة ياتسسي الغربية مقابلة بالياباتين خسائر فادحة .

لندن ١٨ - وصل الملك جورج السادس ملك انكلترا برفقه وزيرا الحرية والطيران الى افريقيا الشمالية وقام بزيارة الجيشين الاول والثاني والبحرية الملكية والطيران الملكي البريطاني وبينت جلالاته هذه الفرصة ليزور جيش الولايات المتحدة والجيش الفرنسي اللذين ساهما مساهمة فعالة في انتصار تونس . بيروت - وصل الجنرال سيكوسكي الوزير البولوني الاول برفقة رئيس اركان حربه .

ألمج - اجتمعت اللجنة الفرنسية للتحريرية بكامل هيئتها برئاسة الجنرال جيروود وقد وافق الاعضاء على اساليب العمل الواجب اتباعها من اجل سير المصالح سيراً حسناً وتسوية المسائل المتعلقة المختلفة التي تستدعي حلاً سريعاً ، وقد تبادل الاعضاء الاراء حول المشاكل الخاصة بتنظيم القوة الفرنسية .

لندن - احتفل الفرنسيون المناضلون في سائر اقطار العالم بذكرى نداء الجنرال ديول الى وجوب المثابرة على القتال . روما ١٩ - اذادت وكالة سبغالي ان موسوليني اعلن مقاطعات فوجيا وباري وبرينديزي ووليشي وتوراتو وكوساترا وكاتانزارو وريجيو والكالاب ومطرا مناطق محذورة . لندن - عين المرشال واغل نائباً للملك في الهند خلفاً للسير كيردي « لينليفاو » . وسيخلفه في القيادة في الهند الجنرال اوكنل .

لندن ٢٠ - قرر المسلمون المقيمون في مانشستر خلال الاجتماع السنوي الذي عقده فرع الجمعية الاسلامية بناء مسجد في ولاية لانكشير . وعند صدور هذا القرار بلغت تبرعات الحضور من اجل ذلك ٣٥٠ جنيه .

الى القراء

— لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

— قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الحسار :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في المخرج الحق في الحصول على منشورات الادب التي تصدر خلال السنة .

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

— احتفلت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزئين الاول والثاني) فن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة .

— الادارة مستعدة لتسرا اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غوشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة . وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين عن الجزء الاول او الثاني من السنة الاولى .

— المقالات التي ترسل الى الادب ، لا ترد الى اصحابها . سواء نشرت ام لم تنشر .

— توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الادب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الدارة

انقرة ٢١ - حدث زلزال عنيف كان محوره مدينة « آده زار » حيث دمر نحو خمسة الاف منزل وتهدد الضحايا المسمورة تحت الانقاض باكثر من خمسة الاف . سان باولو - صرح الممثل العسكري للصحف في سان باولو بقوله : ان قوة الحامية البرازيلية مشتركة في غزو الحلفاء لأوروبا وهي تستعد الان للسفر الى ما وراء البحار . لندن - بلغ مجموع ما فقدته المانيا من النواصات خلال مدة الحرب ٢٥٠ قطعة .

لندن ٢٢ - اشتركت ٧٠٠ ذافعة بريطانية بصوم عنيف على كريتيلد في شال المانيا . لافاليت - وصل للملك جورج السادس يوم الاحد الى مالطة على متن طراد « اورورا » فرار الجزيرة الاميرال كوتنجهام . وقلد النبيلدس شال غورث عصا فيلد للمارشالية .

موسكو - بمناسبة الذكرى الثانية لهجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي اذاع ادايو موسكو تصريحاً خاصاً جاء فيه :

بلغت الخسائر الالمانية خلال سنتي الحرب ٦٤٠٠٠ رجل بين قتيل واسير ، بينما بلغت الخسائر السوفياتية ٦٢٠٠٠٠٠ بين قتيل ومفقود وفي الفترة نفسها فقد الالمان ٥٦٥٠٠ مدفع و ٦٣٠٠٠ طائرة و ١٢٨٠٠٠ دبابة . وكانت الخسائر السوفياتية ٣٥٠٠٠ مدفع و ٣٠٠٠٠ دبابة و ٢٣٠٠٠٠ طائرة . وقد اباد الانصار فوق ذلك ٣٠٠٠٠٠٠ هنري ودهوروا ما لا يقل عن ٢٠٠٠ قنار ونسفوا واحرقوا ٨٩٥ مستودعاً للخشيرة ودهروا ٣٢٦٣ جبراً للسلك الحديدية وعدة مئات من الدبابات .

الجزيرة ٢٣ - اعلان رسمياً في أجه ان لجنة التحرير وافقت على قرار يتعلق بتنظيم القوات المسلحة الفرنسية وينص هذا القرار على تشكيل لجنة دائمة من الجنرال ديغول والجنرال جيرو وروسا . هذه الازكان جرسما تكون مهمتها العمل لدمج جيوش البر والبحر والجو الفرنسية لتأليف جيش جديد واحد . وسيكون للجنة امين سر دائم . وقد عين الجنرال ديغول والجنرال جيرو قناتين اعليين للجيوش الفرنسية في افريقيا الشمالية وافريقيا الغربية وافريقيا الاستوائية وسائر الاقطار التابعة لكل منهما .

بنداد ٣٤ - طرأ تعديل على الوزارة العراقية وقد ألف نورسي السعيد باشا وزارته الثالثة على الصورة التالية : للرئاسة والدفاع نوري السعيد ، للدخالية : صالح جبر ، للخارجية : نصرت الفارسي ، المالية : جلال بابان ، للمدلية : مختار بابان ، للاشغال العامة : تحسين العسكري ، للاقتصاد : ساهن البراك ، للمعارف عبدالآله حافظ .

لندن ٣٥ - عاد الملك جورج السادس الى انكلترا بعد قيامه برحلة الى افريقيا الشمالية ومالطة ، قطع خلالها اكثر من ستة آلاف كيلو متراً .

بيروت ٣٦ - استقبل حضرة رئيس الدولة رئيس الحكومة اللبنانية الدكتور ايوب ثابت في السراي الجنرال سيكورسكي رئيس الحكومة البولونية .

لندن ٣٧ - جاء عن الحدود الفرنسية ان شقيق الجنرال ديغول الذي كان قد اعتقله رجال الفستاب وارساوه الى المانيا ، انما قد فر من معتقله وفي نأ آخر ان السيد فرانسوا بونسيف سفير فرنسا سابقاً بـ رلبن قد اعتقل مؤخراً .

لندن - اذيع ان الجنرال جيرو سيتوجه قريباً الى الولايات المتحدة

يُرِّبُ بِي مِنْهَا شَذَىَّ مَرِسلُ
أَسْأَلُهُ الْعُودَةَ مَا أَسْأَلُ

يَهْمِسُ فِي أذْنِي صَدَى قَبْلَةٍ
يَاثَغُرْهَا ابْنُ نَائِي الْمَنْهَلِ

وَكُنَّ لِي رَوْضٌ عَلَى صَدْرِهَا
يَضْحَكُ فِي أَرْجَائِهِ الْجَدُولُ

مُخْفُوضٌ غَضٌّ عَلَى سِمَةٍ
بُجَّتْ عَلَى لَأْلَائِهِ الْأَنْغَلُ

يُرِّبُ بِي مِنْهَا شَذَىَّ لَوْنِهِ
وَجَدِي بِهَا أَوْ حَبِهَا الْأَوَّلُ

أَوْ رَفَةٌ سَكْرَى عَلَى هَدْيِهَا
ضَائِعَةٌ لَمَّا تَزَلُ تُعْوَلُ

فِي غَابَةِ دَكْنَاءٍ لَمْ يُغْرِهَا
ضَوْؤُهَا وَلَمْ يَنْفَقْ لَهَا بَلِيلُ

فِيَا شَذَاهَا بَادِرْتُكَ لِلْمَنَى
وَالرَّغْبَةَ الْخُرْسَاءَ وَالْمَأْمَلُ

عُودُكَ عَوْدَ لَوْحِي حُلُوةٍ
وَفِي حَوَاشِيكَ غَدٌ نَحْلُ

شَذَى

لصالح الأسير

ابن خلدون ومطانه في تاريخ الفكر

فلم جبرائيل جبر

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

الواحدة والعشرين عين كاتب العلامة في البلاط التونسي ودخل في دور جديد من حياته ، ولكنه كان يطمح الى منصب اعلى فبا كادت الفتنة تقع في تونس حتى هجرها بجيسته وتحوّل الى سبّنة وتزلّ على صاحبها ابن عبدون فاستدعاه سلطان مراکش ونظّمه في اهل مجله العلمي واستعمله في كتابته . وما زال يرقى في علمه ومكانته حتى اوقع عليه عيون الحساد فكثّر منافسوه وكثرت السعايات به فغاص في مؤامرات السياسة حتى الركب . فمرة "يُدسّ" عليه ومرة "يدسّ" هو على غيره وثلة يمتقل وطوراً يطلق سراحه وأوثة يظاهر اميراً وأخرى يظاهر خصم هذا الامير وحينئذ يتولّ بلداً وحينئذ آخر يهجره الى غيره وهو في كل هذا يعمل في مختلف المناصب السياسية والعلمية حتى دفعت به الاقدار الى الاندلس فعزل غرناطة ضعيفاً مكرماً على ملكها ابي عبد الله بن الاحمر ووزيره ابن الخطيب ، ثم أوفد الى ملك قشتالة المسيحي بهمة من قبل ملكه فقام بها خير قيام ولكنه ما لبث ان عاد الى المغرب بدعوة من سلطانها فعين رئيساً للوزارة وظل يتقلب في المناصب العليا عند مختلف السلاطين والامراء . طيلة ايام الفتنة في تونس والمغرب والاندلس حتى انهى الدور الثاني من حياته ساحلاً ثلاثاً وعشرين اخرى من سني عمره مقسماً بين وظائف العلم والسياسة يتخبط في مدرسة العالم الكبير بين عز المناصب وذل الاضطهاد والسماس حتى انضجته السنون وعلمه الاختبار وما هوها في الرابعة والاربعين في مطلع الدور الثالث من حياته يسأم الزارات ويمتزل المناصب ويهجر المدن قاصداً صبأً له من آل عريف فيتزل مع اهله وولده في قلعة لهم تخلياً عن مشاغل السياسة اربع سنوات بكاملها تنقّت

في اواسط القرن الثالث للهجرة دخل الاندلس فيمن تزح اليها من الجزيرة العربية ايام الفتح دجل عربي حضرمي كندني يتسب الى وائل بن حجر من اقبال اليمن اسمه خالد بن عثمان فقتل بقرموته ثم انتقلت أسرته الى اشيلية وعرفت بأل خلدون على طريقة الاندلسيين في الالقاب كعبدون وزيدون .

واصبح لهذه الاسرة في اشيلية سيادة وسلطان تقابلت في احضانها نحو اربعائة سنة ثم اخذت دعائم سلطانهم تتصدع واخذ نفوذ امراء قشتالة النصراري يقوى فجلا هؤلاء الخلافة عن الاندلس كلها وتزلوا بتونس ، فقمهم امراؤها ورتقوا الكثير منهم مناصب في البلاط والدواوين ونسج طائفة منهم في العلم والفقه والدين .

وفي غرة رمضان من سنة ٧٣٢ نقل البشير نبأ ولادة خلدوني جديد سمّي بعبد الرحمن وكسّي حين صار اباً بأبي زيد ولقب حين اصبح قاضياً للقضاة بولي الدين وعرف بعبد موته بابن خلدون ، وهكذا فقد طغى اسمه على سائر آل خلدون قبله وبعده وازاد الى ماثر اسرته - ملوك كندة - ماثره من مغاخر ما خلف العلماء قاطبة في علم الاجتماع والتاريخ فكانت اياه عنى الشاعر حين قال :

والجد كندة والبنون هم فذكا البنون وأنجب الجد

ولد بتونس وبها نشأ وترعرع ، فدرس على ابيه محمد وغيره من علماء تلك المدينة اللغة والفقه والادب وبعض المنطق والفلسفة الى ان كان الطاعون الجارف فلبث والداه وكثير من شيوخه وهو لا يزال في الثامنة عشرة فلم تصرفه هذه المحنة عن متابعة علمه والاتصال بن بيتي من شيوخه او بن وفد من العلماء على بلده وفي

فيها اكمل عبقرته فيضع مقدمته الشهيرة وشيئاً من تاريخه الكبير، وهنا نشأت فيه النزعة للدرس والعلم فيعود الى تونس مسقط رأسه ويقضي اربع سنوات آخر بالتدريس والتأليف فينضم عليه مفتي تونس ويوزر صدر السلطان ويشهر ابن خلدون بالامر فيستأذن السلطان بالمهجرتة مئذنة بالبحر فيأذن له دون اهل وبصدهم عن الانحاق به . فيصل الاسكندرية ويفوته الحج فينتقل الى القاهرة، هوذا في عاصمة العالم الاسلامي وقد سبقه اليها ذكر وصيت ، يفد عليه الطلبة من كل فج وحوب فيجلس في الازهر للتدريس ويقضي بامر الملك فيحسن القضاء ، وعالوده الحنين الى اهل وولده فاسترحم سلطان مصر ان يشفع لدى سلطان تونس بقتيرهم اليه فشفع لهم ما لبث ان اثار عليه منافسوه وتآثروا عليه عند السلطان فتشكر عليه وعزله عن القضاء ، وانه لبي محنته والاقدار تكريده وتسخر منه اذ بنياً يضل بهيد ان السفينة التي كانت تنقل اهل قد غرقت بين فيها جميعاً ، فقد كمال المال والسعادة والدين .

وذكر الله فحج ثم عاد الى مصر ، وظهر تيمورلنك مهدداً الشام فسار اليه ابن خلدون مع وفد من علماء بتوسطون لصيانة المدينة وحوصرت دمشق وانسل ابن خلدون سراً وقابل تيمورلنك ونال اجازة وجواز منه ولكنه لم يفلح في غرضه واستباحت الشام على ايدي التتر ثم صرفه الطاغية التتري الى مصر فيقي فيها عاكفاً على الدرس والتأليف يرسل الادباء وترد اليه رسائلهم الى ان مات سنة ٨٠٨ وهو في حدود الخامسة والسبعين .

وهكذا فقد تقسمت حياته في رقة العالم الاسلامي الواسعة من اشيلية الى مكة والشام فلس بنفسه حركات البربر فيها وضغط اثر عليها وهجبت ملوك النصارى ثمالها وشهد الخذلان امرائها وسلطانها وانقسام كلمتهم وفسادهم ومؤامراتهم حين عصفت بهم رياح الاقدار .

وتفرقوا شيئاً فكل جزيرة فيها امير المؤمنين ومنبر فكان له من هذا كله خير معلم وافضل اختبار ، وظهر اثره في هذه المقدمة التي وضعها لتاريخه الكبير وهي وحدها كتاب شامل كبير ينطوي القسم الاول منه على توطئة هامة في علم التاريخ وتحقيق مذاهبه او ان شئت فقل مصطلح التاريخ ويدور القسم الثاني وهو الاكبر على علم الاجتماع والعمران كما يسميه هوبزيت فيه اثر العمران في التاريخ وتأثير البيئة والاقلع في احوال المجتمع

ويعرض للتطور البشري في مختلف المراحل غير مهمل الالتفات الى بعض المشاكل الاقتصادية هذا حين كان العالم العربي مبدأً عن فهم هذه القضايا لا يكاد يبقا اكثر علانه حتى معنى هذه الاسماء .

وقد وضع حين بحث غاية التاريخ ومذاهبه نظريات فذة صائبة يكاد يحار العلماء اليوم كيف استطاع مثله ان يتوصل اليها وقد حاول فيها ان ينجو بالتاريخ الى منهج جديد يخرج به ١٤ اوصاله اليه المؤرخون السابقون ولكنه مع الاسف لم يطبق هو نفسه هذه النظريات في تاريخه فتورط ببث ما تورط به اسلافه على ان هذا لا يمنع ان يكون تاريخه من خير المصادر العربية لا سيما فيما يتعلق باخبار البربر . وان يكون بحثه في مصطلح التاريخ او فقه التاريخ اذا شئت اجدر بمحاولة حتى زمنه وكذلك قل في نظرياته في علم الاجتماع والاقتصاد .

وليس من شك في ان علماء الحديث قبل ابن خلدون قد وضعوا لرواية الحديث شروطاً تنطبق الى حد كبير على التاريخ ولكن احداً قبل ابن خلدون لم يضع شيئاً في مصطلح التاريخ ، وفلسفته وتقدم مذاهبه ، وليس من شك في ان بعض علماء العرب قد عرضوا لبعض نظريات العمران او الاجتماع ولكن احداً قبله لم يضع درساً وافياً فيها ونظماً وافعة له ، وليس من شك في ان العرب قبله انتابوا الى بعض شؤون الاقتصاد ولكن احداً لم يتطرق ببث هذا العمق في التفكير الى الاسس الاقتصادية التي عرض لها ابن خلدون : انها لعقوبة عربية فذة : ونوبغ عربي عظيم ! ماذا اقول ؟ لقد سبق ابن خلدون علماء العرب انفسهم في هذا المضمار وحسي شهادة المتخصصين منهم في هذا السبيل . خذوا مثلاً فلسفة التاريخ وانظروا ما كتبه في هذا الموضوع الاستاذ الانكليزي روبرت فلنت في كتابه تاريخ فلسفة التاريخ : وها انا انقل كلامه كما عربه الاستاذ ساطع بك الحصري في كتابه الجديد القيم - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - قال فلنت : « من وجهة علم التاريخ او فلسفة التاريخ يتجلى الادب العربي باسم من المبع الاصنام - فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيع ان يقدم اصناماً يضاهي في لمعانه ذلك الاسم . » (١) « ان كل من يقرأ مقدمته باخلاص وتواضع لا يستطيع الا ان يعترف بان حق ابن خلدون في ادعاء هذا الشرف - شرف التسمية باسم مؤسس علم التاريخ وفلسفة التاريخ اقوى واثبت من حق كل كاتب آخر

سَبَقَ فَيَكُونُ» . (١) « ليس افلاطون ولا ارسطو ولا القديس اوغسطين بانداد له واما الية فعلا يستحقون حتى الذكر بجانبه» . (٢) وقال : « لو عرف ابن خلدون العالمين الكلاسيكي والمسيحي ومجت وعَمَمَ فيها ايضاً بعين الاستقلال الفكري ونفوذ النظر لجاءت رسالته من اعظم واثن الرسائل في الادب العالمي وعلى كل حال فان الكتاب الذي تركه لنا من العظمة والاهمية ما يمكن للاحتفاظ باسمه وشهرته الى آخر الاجيال » . (٣) وقد علق الاستاذ على هذه الملاحظات بقوله : « ان صدور مثل هذه الكلمات التقديرية من المؤلف المشار اليه بالرغم من تزعمه الدينية الشديدة يدل دلالة واضحة على شدة إعجابه بقدرة ابن خلدون عند اطلاعه عليها بعد اكبابه على درس جميع المؤلفات التي تقوم حول فلسفة التاريخ منذ بدء التفكير في العالم القديم حتى اواخر القرن الاخير » . (٤)

اما آراؤه الاقتصادية فقد عرض لها الدكتور صبحي المحصاني بكتابه القيم في الافرنسية - آراء ابن خلدون الاقتصادية - وأشار الى فضل ابن خلدون في هذا المضمار . وحينما اخذ المستشرقون يتعرفون الى آدابنا اسمى هامس « Hammer » ابن خلدون بـ « منتسكيو العرب او منتسكيو الشرق » وشاعت هذه التسمية حتى ان رفاة بك الطوطاوي اشار في كتابه « تخليص الابرار » الى تليخيص باريز « (٥) الى هذا القاب لابن خلدون ولم يفته ان يذكر ان بعضهم يلقب « منتسكيو نفسه » « بابن خلدون الافرنجي » وعدي انه كان الاولى ان يسمى « منتسكيو وحده » بابن خلدون الافرنجي فان إدخال الاقتصاد في التاريخ والانتقاس الى اهميته واثره في تطور المجتمع البشري قد وصل اليه ابن خلدون قبل « منتسكيو وغيره » بعدة قرون .

بقي علم الاجتماع هذا العلم الحديث في نظر الغربيين ، اجل ان القسم الاكبر من المقدمة يدور عليه فقد اشتهر العمران البشري والاجتماع الانساني وذكر صلته بالتاريخ ولكنه اعتبره علماً مستقلاً بذاته ذاكراً خواصه ونظمه عارضاً فيه حالات البدو والحضر ، مفنداً ما يعرض في العمران من عوارض وعقل - من

- (١) ص ١٤١
- (٢) ص ١٤١
- (٣) ص ١٤٢
- (٤) ص ١٤٢
- (٥) ص ١٥٠

كسب الى صناعة وعلم وما يتجمله البشر منها بالعلم ومسايعيم (١) بل كان تيهاً غوراً بما يضع . شاعراً انه ينتكر شيئاً جديداً ويضع اسساً لعلم جديد مستحدث الصنعة غريب القرعة غزير الفائدة ، فقال ولعمري لم اقف على الكلام في مناجاة لاحد من الخليفة ، ما ادري ألغائتم عن ذلك وليس الظن بهم . او لعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصلنا (٢) . ولقد تابه علماء الغرب ايضاً الى فضل ابن خلدون في هذا العلم « فنتشر ثنائيل تيمت الاستاذ في جامعة كورنيل في اميركا سنة ١٩٣٠ كتاباً بعنوان « ابن خلدون مؤرخ واجتماعي وفيلسوف » قال فيه : ان ابن خلدون تقدم في علم الاجتماع المحدود الى يصل اليها اوغوست كونت نفسه في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ثم قال ان المفكرين الذين وضعوا اساس علم الاجتماع من جديد ، لو كانوا قد اطلموا على مقدمة ابن خلدون في حينها ، فاستغنوا بالرائي التي كان قد اكتشفها والطرائق التي كان قد اوجدها ذلك العبقري العربي قلم بده طويلاً لاستطاعوا ان يتقدموا بهذا العلم الجديد بسرعة اعظم مما تقدموا به فعلاً » (٣)

ومن الجدير ان نلاحظ ان ابن خلدون لم يهمل علاقة هذا العلم الذي ابتدعه بفروعه اللازمة من سياسة واقتصاد وغيرها من نواحي الحياة وعلى هذا النحو يفهم اليوم هذا العلم علماء الاجتماع .

واود لو يوسع المجال لتجليل فضل ابن خلدون في التهذيب وعلم النفس فقد مارس حرفة التعليم ودرس كما لاحظنا في عدة مدارس منها الازهر وعرض الى طارق التهذيب ونظمه المعروفة في زمنه وادلى بأراء . في تعاضيف مقدمته تدل على انه عالم نفساني يفهم اسرار هذه الحرفة ولا بد لمن يدرس تاريخ التهذيب عند العرب ان يراجع مقدمة ابن خلدون للاطلاع على رأيه هذا العالم الجليل ، واود لو كان المقام يسمح لي الآن ان استعرض آراء المؤلفين فيه من عرب ومستعربين ولكن الغاية من كلامي هي التوجيه لا التعليم وحسي ان انبهكم الى قيمة هذا التراث العظيم .

جبرائيل جبر

- (١) المقدمة - الطبعة المشكلة سنة ١٩٠٠ ص ٣٥
- (٢) المقدمة : الطبعة المشكلة سنة ١٩٠٠ ص ٣٨
- (٣) ص ٢١٤ و ص ٢١٥ من كتاب ساطع بك المصري

لقهر أصبحت عبداً للناس منذ تصوّرت في البطن ، وتقيدت بسلاسل مشيتهم حين دفعت يدي
اول مرة نحو الدماء . ضابقي فضولهم منذ تحركت اول مرة في ذلك الزندان ، فتهافتوا على
والدتي ساعة عرفوا ان عديمهم سيّداد واحداً . هذا يبدي برأي طي ورثه عن جدّ جدّه ، وتلك تنسّر
نصائحها وارشاداتها الصحية ، وهكذا توالت العلاقات بيني وبين اصحاب وصاحبات المروءة - ارسلاوا
إليّ نجدة تلو نجدة ليحفظوا حياتي الغالية فلا اذهب طرْحاً وتحسر الانسانية واحداً ، ليته لم يكن .

وبعد آلام استمرت ثلاثة ايام غير كاملة ولدت اخيراً . . . ولو عرفت ان نساء القرية في انتظاري واني
سأعرض عليهن مرة واحدة لموت ، ولكن ، اين المفر ؟ ما أرسلت اول صرخة حسرتي وقتت عليّ
عيونهن وامتدت اليّ ايديهن . كل واحدة تحاول ان تستلم الحبلر الأسود . . . كان معرض قصير الامد
عقبه النقد المرّ . هذه تروّني وتقلب شفتها السفلى ، وتلك تنظر اليّ التي جدّها رافعة حاجبها وجفّينها
الى العلما ، واخرى تدمر بعينها ، وواحدة تقرص جارتها قرصة خفية . هاتيسك تقول : دم ، وتلك
تقول : مليح ، ونجّر اليا . وتقطع الحاء ، واخرى تقول : بشع ولكن إشاعته حاوة . . . وغيرها تقول
جبراً لحاطر الوالدة : الولد يتغير ويتقلب ، منجّلة لي العذر كأنني انا افرغت نفسي في القالب الذي يعجبنا
لم تقتل : اسم الله حوله وحوايله ، يئزي العين عنه الا واحدة فقط تعرفون من هي . هذه امتلا ذوا
ضحكاً وقلبا فرحاً ، وحشي صدرها رجاء ، وأملأ ، وكيف لا ، أما صارت أمّاً ؟

وتعددت النذور الى قديسين وقديسات وسيدات اختصاصيات فلم ينفعني الا السيدة « المكبوسين »
فاستويت على قدمي . . . تحنّت هذه السيدة على الوالدة فشي ابنها « المكبوس » مشية الجواد المشكور
ولكنه رأى حوله سوراً من الناس اطول من سور الصين ، سوراً لا يفر منه الا ليصطلم بمجدرانه ، إن
يظنّ انه أفلت من حيطانه اذا هو فيه . فكأنه عين خبير قاي .

الناس ، وما اشدّ فضول الناس ، هذا يزجّري وتلك توشّني ، وذاك يرشّديني ، فكيفما اتجهت
اضابقيهم وضابقيوني . كأنني ابنتهم جميعاً برؤسهم كاهلهم اوليا . عليّ !

وازداد تقيدي بالناس لما صرّت افهم عن ابني وامي . ان تحركت قال الوالد : يا امرأة ، ربي ابنك
مثل الناس . وإذا توحشت قالت هي : اليس ثيابك مثل الناس . اسمع هذا فلا آخذ ولا اعطي . ويعلمو
صياحي وضجيجي فتصرخ بي : اسمع من الناس . والتفت فلا أرى حولي احداً غيرها ، فأرفع عيني
هاثقاً : وأين الناس يا أمي ؟ فتقول لي : لا ترفع صوتك ، انا طرشاء ، احك مثل البشر . وإذا تراقت
في مشية مدفوعاً بآثر الصوت صاحت : امش مثل الناس يا صبي ، واخيراً تنهيري فأركض وتركض
خلفي فتعجبها خفتي فتنفخ ضاحكة فتصيح بها جارتنا العنيفة : عافاك يام مارون اضحكي له اضحكي برؤيته . مثل
الناس . اما الوالد ، رحمة الله على توابه ، فكان له اذنان يسبحكني بواسطتهما في قالب الناس . قضيب
ولسان كالقضيب ، اذا تحركت في مقعدي وقف حاجباه على سلاحهما استعداداً للأطواري ، ثم يصيح بي
اقتد مثل الناس . وان ترمت صباحاً ، وصوتي رخم كما تعرفون ، انتهرني قائلاً : سبح ربك مثل الناس
بهم انت ، لا صلاة ولا صليب ؟ وإن مددت يدي الى ائزاد قبلهم ، او كسّبت لعتبي انتهرني بقوله :
كل مثل الناس . واذا ضحكت ضحكة ليست على الوزن والقافية المفروضين قال لي : اضحك مثل
الناس ، و كثيراً ما كان ينهاني عن الضحك عملاً بالمادة المشهورة من قانون آداب المجالس ضحك بلا عجب من
قلة الادب . هكذا كانت كلمة الناس حملاً ثقيلًا على ظهري . وشريطاً شائكاً في طريقي . اصطلم به اربنا
اتجهت ، فنشأت عبداً للناس يسيطرون عليّ . ويسيروني كما تشاء اهوأهم وعرفهم وتآلدهم ، كأنني
لا أعيش لنفسي بل لهم ، كأنني مرتبط بهم بناموس اشد من ناموس الجاذبية ، لا يحول ولا يزول . ولو

الناس

بضم مارونه عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه

مات أحد الاجرام كالقمر مثلاً . كلما قلت احطام هذه السلسلة التي يسمونها الناس اجدني متقيداً بها من جديد ، انها لاغرب من اساطير الف ليلة وليلة

اجل ان كلمة الناس أثقل عبء يلقى على ظهور الناس . فمن منا لا يستجدي اعجابهم ؟ وكف فينا من يحذل نفسه فوق طاقتها ليظهر بظهور يرضيهم ويلفت انتباههم اليه فيقضي العذر وشح الملم عايشه كظله ، يأكل كل معه في صحنه ، وينام معه في فراشه . وكف من امرأة خربت بيتها لتكون على حد قولها مثل الناس ولا بأس . اتجمعوا تحاطب زوجاً : ماذا يقول عنا الناس اذا رأوا بنظائركم فو ؟ اشتر غيري ، وماذا يقول عنا البشر اذا جاء العيد وليس لابننا طلم جديد ولبتنا فسطان من احدث طراز ، وماذا يقول عنا الناس اذا لم نشتري كذا وكذا ولم نأكل كذا وكذا ، ولم نعمل Soirée - Mipi - Après . وهكذا تظل تقول الناس حتى تدك البيت من الاساس .

غريبة كلمة الناس ، ما اعظم سلطانها على العقول . لا اقول الناس بلا . الناس كما يقولون ولكنني اقول الناس تسيير الناس وليس احد منا حراً في ذاته فمن يزعم انه لا يبايئ بهم يجنح نفسه ، انه اشدنا تهاطلاً عليهم ، ومن حسب انه مطلعهم فهو احد تلاميذ مدرستهم ، ان شاءوا منحوه الشهادة بالمتياز والآن عاد محترق القواد يردد : ما اصعب مرضاة الناس .

ان كلمة الناس نطّار منصوب في مثانة الانسانية لترد عنها الثعالب ، وهي الخفي الدائم على ابواب كهوف التعاليد ، حالت وتحول دون ردائل كثيرة ما كنا نتأبها لولا آعين الناس ، واقتصرنا نظراً من ظن انه يتشب على الناس بغير الناس ، في كل عبقرية اثر من عبودية الناس ، فأننا وآنت وهو جميعنا عبيد الناس ولا نحيا الا بهم . فهل ألوم أبي واممي اذا كانت كلمة الناس نجمة القطب عندهما يراعيانها في بحر الحياة خوفاً من التيهو السقوط في الالة .

في خلوتنا الخرساء نسمع بنجيج الناس الصالحين ، وفي عزلةنا نجس انهم حولنا يتجرون في مخيلتنا جولان اشباح الوغاء . على الشاشة البيضاء . كانوا في انتظاري عند المهسد وسيجدون قاذبي ليليل مينا . الاعد ، وان حسبت يومذاك اني نجوت منهم لاني نمت عنهم فشاكمهم ستلحقني الى بحر الظلمات .

كل امري رهن غربلهم ، سنبصون ميزانهم ساعة ينفضون يدهم من ترائي ، ويأوليتي ان شلت في ذلك الميزان . فإن كنت تحب السنة الخلق وتحسب انها اقلام الحق فاعمل بلثل القاتل : كل ما تشبهه نفسك ، واليس ما يعجب الناس ، ومعناه وقوف الدولاب ، وليس هذا من نواويس الطبيعة ، فهي لا ترفع عرشاً الا لتجعله شعله لاحدئ ث رات اليوم الثامن . قد تقول وما هو اليوم الثامن ؟ اتجمع فأعرسك بهذا المخلوق الجديد : في ستة ايام خلق ربك المبالوات والارض وفي اليوم السابع استراح الجبار وتنفس الصعداء . اما اليوم الثامن فهو يوم الناس . يوم صباحه الازل ومشاؤه الابد ، لا يكون مساء . حتى تجبل الارادة الانسانية وتلد العجائب . اليوم الثامن جبهة سرمدية لا تهدأ جنودها ولا ينفد عتادها . تنقض صواعق الايام السبعة فتقتل حماراً او ترزع جداراً ، وتهبط صواعق اليوم الثامن فيغير المسدن طوفان النار والماء . لم يسترح ربك الا لانه خلق عاملاً على صورته ومثاله ، فسبحانه في ملكه فهو الذي جعل كلمة « الناس » قوامة على الناس ، فدع المنطق وذو القياس ، فالغرض لازم لحل المعضلات وادراك المحبولات .

مارونه عبود - عايبه

كتمان

•

أحبك بالسر لا أدعي ،
أموت ويدفن سرتي معي .
وكل الحكايا التي بيننا تموت كذلك في مسمعي .

* *

وسكراتنا الموج حتى الجنون
تظل - على السكر - ملي الظنون
وكاساتنا سأحطمها وأخفي الحطام عن الشارين .

* *

وشامات جسمك ومني القبل
تظل بسرّ الياالي الأول
ليالٍ تغلف عريك ، غب أدلوا الشفاء وغب الملل .

* *

سأبتك بالحب هذا ، الدفين
دعيه دفيناً ، ولا تذكريني
فيبقى كلانا ، على الدهر سرّاً ، كأن لم أكن وكأن لم تكوني

غظنوس الرامحي

١٤ تموز عيد الحرية

بفلم مانه غوليه

١٤ تموز ١٧٨٩

تراكض ليشهد للمركه . وقد صُدت العربات في الساحة الملكية ومن هناك ذهب الناس شيئاً على الاقدام الى مراكز الاستطلاع . وكان يمتد جهور غفير في جادة سانت انطوان . والمستشار العتيق بلسكيه كان يرافق الميثة الشهيرة الانسة كورتنا . لم يكن بالامكان مشاهدة ميدان المعترك جلياً ، غير انه كان يترأى بعض الاشباح من فوجات الاسوار
وذلك النهار كان الملك لويس السادس عشر في الصيد . وقد دون في مذكرته اليومية الخاصة : ١٤ تموز : لاشي . . .
يبد ان علماً جديداً قد ولد .

يوم الثلاثاء . ١٤ تموز ١٧٨٩ لمر فترة حاسمة ليس في تاريخ ان فرنسا فحسب بل في تاريخ الإنسانية ايضاً . ان الاحداث التي دارت ، ذلك النهار في باريس كان لها عدا اعميتها التاريخية ، قيمة رمزية : فالشعب ، وقد شغف بالحرية ، اقتحم الباستيل ، وهي قلعة قديمة يرجع عهدها الى القرن الخامس عشر ، متبعة الجوانديا ، المحمض طيلة ثلاث مئة سنة فوق العاصمة ، كابوساً مقيماً ابداً ورمزاً للاستبدادية الملكية .

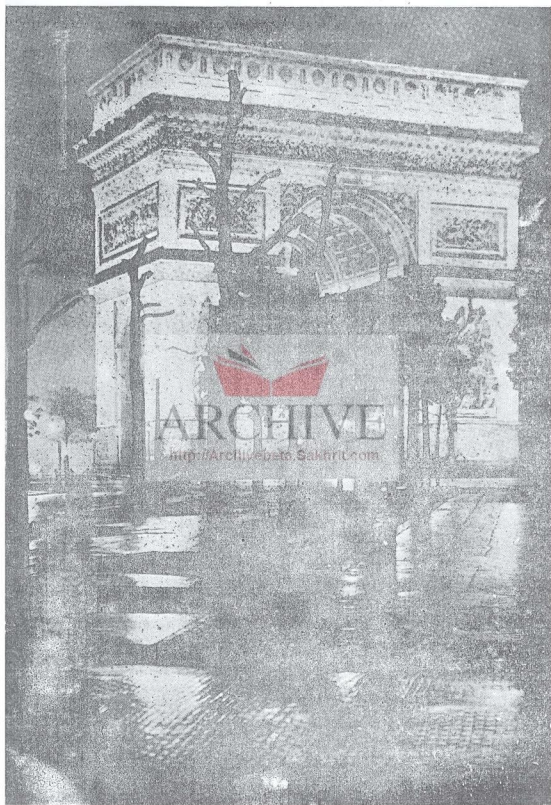
١٤ تموز ١٧٩٠

لم يكن لفرنسا ، عهد النظام القديم ، من وحدة سوى تلك الرابطة التي كانت تشد مختلف المقاطعات الى شخص الملك . فكان من ابرز ما في الثورة ان احلت محل احترام الملك الشعور الوطني ، اي : نلق الوطنية العصرية .

يوم ١٤ تموز ١٧٩٠ احتفل ، باية كبرى ، بالاتحاد الوطني لجميع المقاطعات التي ألف بينها بنديبياً ، حب الحرية والمساواة .
لقد جرت يومذاك اجل المظاهرات الثورية ، واشدها حماسة .
وحصلت في الشان ده مارس ، وقد حولها آلاف العمال الى سرادق

ان ليلة ١٣ الى ١٤ تموز كانت فاجعة . الاجراس تفرع . والشعب المحتاج ، حيال اقالة لويس السادس عشر الوزير نيكيد ، يشعل السلاح . وذكر احد مؤرخي تلك الفترة ان « المطارق تضرب ، والحديد يمدد ويحني . وكل الادوات النحاسية تصبح ذات قبضات » . يقتحمون ابواب مستودعات السلاح : الارسينال والانفليد . وينهبون حوانيت الاسلحة ، ان سقوط القلعة كان ابعد من ان يصدق . عند الساعة الحادية عشر صباحاً ، وبعد طلقات نارية معدودة ، بدأت المفاوضات . واستؤنف اطلاق النار حوالي الساعة الواحدة والنصف . وعند الساعة الخامسة سقطت الباستيل .
لم تبد القلعة دفاعاً حقيقياً : فالجود كانوا ضحياً ، متضايين مع الشعب ، كما اوضح ذلك رومان رولان في كتاب وضعه خاصة عبن ١٤ تموز . ومن اطرف المظاهر الباريسية ، هو ان الجمهور

يثل الرسم في الصفحة المقابلة
قوس النصر في باريس



السادس .

ولكن حيال هذه الاحتفالات الرسمية التي لا تزال الطبقة المتكيفة تتكلف دونها الحرد ، تجري لمناسبات ١٤ تموز اعياد شعبية . في كل مدينة وفي كل دسكرة تزدهن المنازل بالاعلام وفي الليل ترقص الشوارع والسوح العامة بن فيها ببادة بدسية . وتضاء الانوار الاخاذة طيلة ذلك اليوم ايل نهار . وفي باريس مثلاً ، في كل حي ، وبخاصة ، في حي الباسيل يرقصون على بانغام تقرب من هنا ومن هنا . والاضواء التي تشق حجب الليل تنطلق من يارك ونسوري وبوت شومون وساحة دوفين القائمة على طرف الجزيرة الباريسية . مشهد لا يثل الجن ادوع منه : ضفاف نهر السين تلتهب بالف جذوة ساطعة ومياهه الحاملة تلتسع بالف لون عجيب .

ويوم ١٤ تموز ، اكثر الاعياد الوطنية شعبية واجزله ديوقراطية يشعر الفرنسيون ، انى كانوا ، بعد دليان المتلابة الفاشيستية ، يشعرون بغرة حنين تجتاحهم وتنفذ حتى الصميم . والوطن المزدان بالاعلام المثلثة الالوان والمستحيم بالايالي الناعمة المزركشة بأغرب الاضواء ، ذلك الوطن يسدو الى قلوبهم احب .

والفرنسيون الذين تحذوهم ذكرى مجد ١٤ تموز ، تموز ١٩١٩ الذي شهد جوف وفوش يقودان دفقة الجيوش الظافرة الى قوس النصر وسط هتافات تشق الجو ، ان الفرنسيين هؤلاء يرقبون ١٤ تموز قريباً تجتاز فيه جيوش الحرية هي ايضاً ، شوارع باريس المأهولة من الظلم والحيانة . والرغم الذي لم يقنط ابداً سيستعرض على مقع عربة قتال جحافل الجيش الفرنسي التي على انغام المادسيلياد الخالدة .

مبارك غوليه

فسيح . وفي وسط هذا الساح التاسع ، المحاط برائى العشب ، قام هيكل الوطن حيث احتفل استقفاوتون بقداص صارخ امام ٤٠٠٠٠٠ مستمع تهاوتوا وفوداً من جميع مقاطعات فرنسا . وكانت كل مقاطعة قد ارسلت تمثيلاً ويرقها . وبعد القداس يارك الاسقف البيارق الثلاثة والمائتين ثم تقدم لافاييت باسم الحرس الوطني ورئيس المجلس باسم جميع النواب واقاميين الاخلاص للدستور . وقد شارك الملك لويس السادس عشر والملكة وولي العهد ، الشعب في حماسه ولم تآك يوماً متدقة مثلها في ذلك النهار . وكان يمتاح الجروع شعور طاري طر اوة الربيع ومجنج كالمارسيلياد تحقق لها خفقة واحدة قلوب فرنسا .

١٤ تموز في القرن التاسع عشر

في عهد الامبراطورية ثم في عهد إعادة «الملكية» وفي عهد «ملكية تموز» والامبراطورية الثانية ، لم يحتفل ، طيلة ، بعيد ١٤ تموز . وقد اختار البونابرتيون عيداً وطنياً يوم ١٥ آب وهو عيد القديس نابليون ، وعاد البوريون الى الاحتفال بالاعياد الكاثوليكية .

وسنة ١٨٩٧ اختار الجمهوريون ١٤ تموز عيداً وطنياً في عهد رئاسة جول غربي .

ولقد صوت المجلس على هذا القرار ، تحت انف المحافظين

والمكبيين على اختلاف الانهم ، وكان في ذلك نصر حاسم للجمهورية على الرجعية .

وابتداء من سنة ١٨٨٠ كان ١٤ تموز في كل سنة موضوعاً لمظاهرات رسمية ، وبخاصة لاستعراضات عسكرية . وحتى حرب ١٩١٤ كان يستعرض الجيوش رئيس الجمهورية بباريس في ميدان لونشان . وبعد الحرب العالمية كان الاستعراض يجري عادة في شارع الشاتيلزه . وآخر استعراض كان استعراض ١٤ تموز ١٩٣٩ الخالد الذكري اذ كانت الجماهير الفعيرة تتهنئ بمجرمة محجمة للجيوش الفرنسية التي كانت تمر امام الرئيس لوران وامام الملك جورج



شارل دي غول

الطب عبر العصور

بقلم الدكتور عفيف منرج

مدرس في القسم الطبي في جامعة بيروت الاميركية

غير طبيعياً، وما أكثر شبه هذه الفكرة بفكرتنا الحديثة عن الجراثيم وعلاقتها بالمرض . وقد اعتمد المصريون كثيراً على السحر في مداواهم ولكنهم ادخلوا بعض الادوية النباتية والمعدنية وذلك حوالي ١٥٠٠ ق.م . واشتهرت مصر بالاختصاصيين في القرن الخامس ق.م . وصرفت جهود عظيمة في درس علم الوقاية فوصل علم الصحة عندهم آنذاك الى مستوى عال جداً فعوت شريعتهم قوانين صحية تشمل ما يخص الفرد والبيت والمدينة كأحدث ما لدينا اليوم . ومن اهم رسالات الطب البابلي شرعية حامو دالي المعروفة ويرجع ترحيها الى الالف سنة ق.م . وهي مجموعة قيمة من الشرائع المدنية والدينية ومعظمها يتعلق بالمهنة الطبية .

وانتهى علم الطب في هذا العهد الى اليونان فتعرفوا الى الطبيعة ودرسوها ونجشوا عن جوهر الامور فوضعوا اساساً متيناً للعلم وسجلوا في صفحات سجل الانسانية الثابت خدمة اعطاهها التاريخ ما مما تستحق وقد انبثق الطب عند اليونانيين من الفلسفة والدين . ولا يمكننا ان نبحث عن الطب اليوناني الا ونأتي على ذكر « ابقراط » « اب الطب » الذي ولد سنة ٤٦٠ ق.م . في عصر كان للفلسفة فيه المقام الاول . ولعمري ان ما قاله كالمبارتخه في القسم الطبي الاقراطي هو احسن وصف له اذ قال انه « على المثل في الانسانية وتاريخ الذئبة » وقال البرت موراي بهذا الصدد ان التحريض على خدمة الانسانية عند اليونان كان اشد وابرز مما هو عليه في عصرنا هذا فاسعوا برجل ادب او رجل علم الا وسألوا عنه « ايدأب على انشاء رجال اصلح؟ » وهل يعمل لجعل الحياة أسعد واوفر ؟ فتلهم الاعلى رفع مستوى الانسانية وتحسين الحياة .

وحرر اليونان الطب من الوهم والسحر وشيدوه على اساس الدرس والتنقيب والملاحظات الصحية فجازوا على معلومات قيمة في التشريح وعلم الجنين وعلمي النبات والحيوان والفسيولوجيا . وفي سنة ٣٠٠ ق.م . اسسوا مدرسة طبية في الاسكندرية بلغت المحترات والمكتات والمستوصفات فيها درجة عالية من الاتقان والتزيت والدقة ولعل ابرز صفة في الطب اليوناني كسبح الانسان ميئاً ودرس الحيوان حياً فكان ان ولجوا بذلك باباً من ابواب علم الطب .

انتهى العصر اليوناني الزاهر وانتضى الطب القديم واطلت العصور الوسطى ، العصور المظلمة في اوربوا . فانحطت المدنية وشعثت اضواء العلم لدرجة الانطفاء . فتمتع المعروف وطمى الجبل وهبت دريح الفساد فكان الضعف والوهن بين الناس . وبعد

قال المؤرخ العلمي جورج سارتن : الوطني الحقيقي هو الذي يفهم جيداً تاريخ بلاده ، ولا يستطيع العالم ان يقوم بواجباته نحو علمه الا اذا عرف تاريخ ما اختص به وكيفية نشوئه . فقد نشأ علم الطب من عطف الانسان على الانسان ومن الرغبة لمساعدة ذوي الحاجة والمرضى او من ابتلوا بالاحزان . فلا نجد هيئة اجتماعية ، مهما كانت عليه من التأخر والانحطاط ، الا وقد حيك بكباياتها نوع من مظاهر التطبيب فاصح هذا مع مرور الزمن عضواً حياً في نظامها . ولقد تلقن الانسان القديم دروسه الاليسية في التطبيب بالاختبار عن طريق ما اصابه من الاضرار والالام وتندي الحيوانات المفترسة ، فمرت عليه اجيال عديدة احتمل الاماً مسجحة قبل ان تتمكن عقليته الضعيفة ومعرفته المحدودة من تقدير الامور وفهم الومضات واخذ الاحتياط لدرد الاضرار وتخفيف الالام . فباتجربة والاختبار فهم الانسان العلاقة بين السبب والنتيجة وعرف كيف يساعد المريض ثم تجمعت اختياراته هذه رويداً رويداً ونظمت لمعرفة استخدمها صاحبها لاسعاد الانسان واصلاحه .

ولم يكن الطب في العصور الماضية اذياً في تقدمه للثقافة والفنون الجميلة بل بني لاحقاً بها حتى اواسط القرن التاسع عشر حيث اتجهت الافكار نحو دراسة العلوم الطبيعية فاستخدمت الجهود لدراسة قامت على التجربة والاختبار فكانت « اليقظة العظيمة » التي على اثرها دخل علم الطب في طوره الجديد . فيقسم الطب اذاً من الوجهة التاريخية الى ثلاثة اقسام :

١) الطب القديم ٢) والطب المتوسط ٣) والطب الحديث ويشمل عهد الطب القديم : الطب المصري ، والطب البابلي ، والطب اليوناني .

فامتاز الطب المصري باندماج الطب مع الدين والاعتقاد ان ما يسبب المرض والموت قوة خبيثة خفية يمكن تجنبها ، لانها شي .

الادوية المعدنية الى الصيدلة . وقد كتب احد المؤرخين فقال : ان اعظم منفعة في القديم ترجع للبرغ اليوناني واعظم منفعة في العصور الوسطى ترجع للبرغ العربي . وزاد على ذلك فقال ان افيد ما كتب واعظم ما ابتكر وانضج ما عرف يرجع الى العرب . فن القرن الثامن الى الحادي عشر كانت اللغة العربية لغة المدنية وارتقى لغة يتداولها بنو الانسان فكان على كل من اراد التعمق بالعلوم ان يتقن اللغة العربية : لغة العلم والثقافة .

وان اشهر بعض مؤرخي العصور الوسطى فكرة مناوئة ومشوهة من حالة العلم في ذلك العصر فذاك لانهم حصروا اهتمامهم ومعرفتهم بمجاله القرب وتعالموا عن كل ما يتعلق بالشرق . فبينما كان الغرب يتخبط في دياجير الجهل والانحطاط في تلك العصور كان الشرق قد امتلأ أوج المجد والرفي . فقام ابنناؤه باعمال هي حتى وقتنا هذا موضع دهشة العالم كله . ومنهم الرازي والقرابي وابن الجزار وابن سينا والغزالي . . .

لا يزال كثير من اهل العلم يعتقد ان هارفي هو الذي كشف الدورة الدموية ودرس حقيقتها في اواسط القرن السابع عشر بيد ان دراسة صفحات التاريخ المهمله كشفت القناع عن حقيقة نغى ان العربي ابن نفيس الذي عاش في القرن الثالث عشر « اي حوالي اربعة قرون قبل هارفي » هو اول من شرح الدورة الدموية . وابن نفيس كان عييد مستشفى المنصورية في القاهرة وقد درس الطب في الشام .

ان درس التاريخ يوضح تماماً ان صرح العلم لم يكن الا على التضحيات الغالية وعلى نكران الذات وكل هذا يحتاج لاقصى حد من الشجاعة الادبية والتفسي والفكرة . فكلم من الذين لم يقفوا عند حد التضحية المادية بل عرضوا بارواحهم واسترخصوها ليجيروا العدالة والحق والعلم .

ولترجع قبل ان نتبع لنفسنا التبعج بما وصلنا اليه من رقي العلم وعق المعرفة في هذا العصر الى ما قال نيوتن وهو على فراش الموت : « لا اعلم تماماً كيف ينظر العالم الي ولكن انا اعرف نفسي فانا انا الا كولد صغير يلعب على الشاطي . مأخوذاً بمظهر الاصداف الجلية بينما يتدب ويقع امامي اوقيانوس عظيم من الحقيقة التي لم ادركها ولا ازال اجعلها » .

غضب مفرج

ان فاض سيل العلم مدة نيف والفسنة في سهل المدنية اليونانية الفسيحة ابتداءً يتقلص ويضيق في فوهات العصور الوسطى ولكنه لم يمتدح الحظ ، بقيت منه بعض الفروع الصغيرة التي استمر سبيلها حتى العصور الوسطى . ومن هذه الفروع الطب البيزنطي الذي نقل الطب اليوناني الى العصور الحديثة عن طريق الامبراطورية الشرقية . انما هم هذه الفروع على الاطلاق الطب العربي . كتب لاكلارك فقال : ان العالم شاهد ما اثار اشد اعجابه وتقديره واحترامه مرة واحدة في التاريخ ، وذلك في القرن التاسع حينما انتهى العرب من تأسيس مملكتهم الشاسعة وتبنيها فسانكبوا بطايتهم على اكتساب العلم الضو الضعيف في كيان عظمتهم . ففي ختام القرن الثامن الميلادي كان كل ما في حوزة العرب من العلوم ترجمة مؤلف في الطب وبضعة كتب في علم الكيمياء ولكن ما كاد القرن التاسع يتقارب الانتهاء حتى كان العرب قد امتلكوا ناصية كل العلوم اليونانية وثقافة الاقدمين ونبع منهم عدد عظيم من العلماء والمؤلفين . ففهم « الرازي » امام المؤلفين في الطب ويمد في درجة ابتراق . كان شديد الملاحظة دقيق المشاهدات والتجارب . درس الرازي في مستشفى بغداد العظيم في اواسط القرن التاسع وقدم للطب مؤلفات عديدة قيمة قوله يرجع الفضل في التفريق بين الجدي والحصى .

واعظم طبيب عربي عرف في القرون الوسطى الشيخ الرئيس ابن سينا . بلغت به العلوم العربية قمة مجدها وكان مؤلفاته تأثيرها العليم في اوربا . ولد ابن سينا سنة ٩٨٠ م . ومن اهم مؤلفاته « القانون » الذي كان بمثابة « فزارة للطب » وقد بقي هذا المؤلف زمناً طويلاً المرجع الاخير وكان يدرس في اوربا باعتباره اهم جزء في منهاج الدراسة الطبية وقد فاق ابن سينا كلا من ارسطو وجالينوس في دقة المناقشة والبحث

وتسرب الطب العربي الى المغرب بواسطة الصليبيين وعن طريق اسبانيا . وكتب داونس في كتابه تاريخ الطب قال : ان المدنية الاوروبية وبالاحرى المدنية الغربية كلها مدينة للعرب ببعيراث حكماء الاقدمين . وقد تميز القرن الثالث عشر بظهور الجامعات ومنها جامعة « موناباليا » التي يرجع سبب شهرتها ونجاحها الى قربها من الحدود الاسبانية حيث كان النفوذ العربي قوياً . اشتهر العرب بنشاطهم وحماستهم ووفرة معرفتهم ومواردهم في طرق المعالجة وكانت اكثر ادويتهم من النباتات وقد ادخلوا عدداً مهاباً جداً من

النمو الروحي عند هكسلي

والولايات المتحدة لعاطفة طيبة ولقاصد نبيلة كان بإمكان الناس من ذوي الرصانة والحكمة الاستفادة منها لخلق تقايم دولي عام يكون أساساً وطيداً للسلام العالمي، ولكننا نعلم ان الفرصة لم تشر وان البائدة الطيبة لم تستغل. وازدادت الحال سوءاً عام ١٩٢٩ فقدت الناس تلك الروح التي كانت ترجي خطاهم، روح خلق عالم احسن وأتم، وهؤلاء الكثيرون بالنيات الطيبة وجزع الكثيرون لدى رؤيتهم الصدوع تتزايد اتساعاً في صرح التغايم الانساني فأصبح شعار المرء لما أولاً ولا يعني سواي!

تلك كانت برهة تقوض فيها الآي في السامية ورجع المرء ابناً الى افانته الخاصة بانشأ قانطاً من الوصول الى ما تصور اليه البشرية من ونام وثقة متبادلة. فأظهر هكسلي عندها كتابين يرمزان الى تلك الحالة الروحية البائسة اولها اسماء «أفل مائش» والآخر «بيلاطس الفراء». «أولاً البحث عن الحقيقة خالة العصور المنشودة في ننايا تلك التطورات القريبة فأدى به تحريه الى نتيجة سداها الشؤم ولحمها اليأس، وهكذا امتست الحقيقة في عرفه نرباً من الخيالات والتجاذب النفسية التي لا قيمة لها البتة.

وما ساعده على التوصل الى هذه الفكرة تتبعه لاراء «فرويد وجنك وادلر» البسيكولوجية، تلك البحوث التي يجتازها القرن العشرون والتي حملت البعض على نغمة بليل البسيكولوجي.

فازنوى عن العالم ليدرسه عن كتب ولكن ذكاه الموروث ومقدرته الفائقة لم يرضيا له هذا الاتواء. ورأى انه لا مناص له من سبر غور المجتمع في ميدان المجتمع نفسه لا خارجه فكانت نتيجة كل ذلك كتابه الذي اياه «بريف نيورلد».

في هذا الكتاب الحائل بلجالي استرسل الدوس هكسلي في سرد الفكر التي كانت ترمي الى التفكك في العالم الغربي سرداً علياً دقيقاً ذهب الى ان غاية مجهودات البشر التوصل الى ابراز شخصية بشرية تكون في حيز منيع وحمى امين من ثورات العواطف

كان بشري ورث ماضيه البعيد ونتاج محيطه وعائلته وبلاده وزمنه. وما ألدوس هكسلي الا دليل حي على صحة هذه النظرة، وهو من ابرز ما يمكن الاستشهاد به بين كبار الكتاب والفلاسفة الانكليز المعاصرين بهذا الصدد.

واذا ما تصفح اجنبي ما ثلاثة من مؤلفات هكسلي الاولى وهي «الكروم الاصفر» و«الانتيك هاي» و«الغراي امينس» فانه ولا شك يتساءل عن الرابطة الذهنية التي تصل الواحد بالآخر فالاول منها يذهب الى ان الحياة ليست سوى سلسلة متقطعة من الاعمال لا قيمة خاصة لها بنفسها والآخر يشكك في مقدرة المرء الروحية وفي سيطرتها على مناحي حياته.

وما الدوس هكسلي الا اسليل عصر الملكية فكتوريا ورت عنه حب البحث العقلي والذمة التامة بالمسكبات العلم ونماجه كما انه ورت الشك بالروحيات المسيطر على العصر الحديث وما بشرت به الاديان وما كتبه فلاسفة العصور السابقة. لقد كان العصر الذي ورت هكسلي مزايه عصرأ كثرت فيه الاختراعات المادية العلمية فسيطرت القيم المادية فيه على الروحية، فزار على التقاليد والعقائد كما تألم من النتائج التي جر اليها فشل الصلح عام ١٩١٨.

وفي عام ١٩٢٥ اصبح الدوس هكسلي العالم المعالمة والخطيب المصنع والمحدث الفكه والكتاب الذي احبه الجمهور وفضله على غيره في القارتين والسبب في ذلك انشاقه من قيود عصر الملكية فكتوريا الكتابية وهجرة التكلف المصطنع والمواضيع التي تتردد على اقلام الكتاب في كل مناسبة او غير مناسبة يبرزون فيها الى الوجود تلك المثل البشرية الفائقة ويصورون طبقة من طبقات المجتمع دون غيرها. هجر كل هذه الحقائق الجزئية واخذ يصف بخلاس غير مؤلف الانحطاط الاخلاقي والروحي في الفترة التي عقت الحرب الماضية وسبقت الحرب الحاضرة.

لقد افسحت حرب ١٩١٤-١٩١٨ المجال في بريطانيا العظمى

الفردية

بودلير

لكل رجل حقان
باطن تربتها خصب غني
فعلية ، لقداء نفسه
ان يحرث هذه التربة ويحييها بعزل قلبه
فهو لا ينبغي مهاجر من الورد
ولا يحد مهاضول من السنابل
الا اذا ثابر على سقايتها
بالدموع السخينة من جبينه الشاحب

حقن الفل وحقل الحب
فاذا جاء يوم الدينونة الرهيب
ونصب ميزان العدل
وجب على ذلك الرجل ليفوز بعطف الديان

ان يريه اهراء ملائ من الحصاد
وازهرا

اشكالها والوانها
ترضي الملائكة

ي . غ

*) Poème de Baudelaire ; La Raçon

ومن التحيز الى جهة دون سواها ومن العنف والبغضاء والآلام
الطبيعية والمرض والفناء . . . ولقد ابرز نظريته هذه في مجموعة غنية
من التفاصيل استنوت البعض ونفرت الآخرين .

ومنذ عام ١٨٣٢ تقاتب الروح الاخلاقية في الدوس هكسلي
على روح الادب والكتابة فبدأ يتوصل الى نتائج ملاحظاته العلمية
الدقيقة وسادت عليه روحية الاصلاح الخاطي وهكذا فازت اخيراً
عوامل الوراثية فيه وارجسته الى ما تأصل فيه منها .

فألف عام ١٨٣٧ كتاباً اسماه « الغاية والواسطة » يث فيه
المدنية الاخلاقية والغايات التي توخاها اعظم مفكري البشر من
كل الاجناس لاسعاد العالم ، علماً من اختباراته الواسعة ومن حوادث
عصره ان الشخصية المتألية البشرية ليست الرجل المادي الذي يكتفيه
ان تتوفر لديه الحاجيات والكماليات المادية ليكون سعيداً انما هو
ذلك الرجل الذي يشر به الرسل والانبياء وكبار المفكرين ،
الرجل الذي يستطيع التحرر من القيود الارضية والابتعاد عن
المطامع والتزاع المادي ، وللتوصل الى هذا يجب على البشر ان يتدبروا
باسباب التربية الصحيحة ، والارادة البشرية القوية يزعج خطاها
ويشير حقيتها غاية خارجية عنها .

وهكذا زى ان هكسلي الذي بدأ حياته في معالم الشك
واللا ادرية قاده بحسب اخيراً ، وادت به ملاحظاته الدقيقة الواسعة
الى الانحراف في صفوف كبار رجال البشر ومفكرهم الذين كانوا
ولا يزالون يؤمنون ويشرون بان المادة وحدها تقتل نفسها بنفسها
وان الروحيات واذا شئت لها بعبارة ايسط فالاخلاق انما هي الاساس
المعول عليه والغاية التي يسعى البشر وسط آلام هائلة واضطرابات
كونية الى التوصل اليها .

وبالاختصار اننا اذا ما رمنا تتبع النمو الروحي في هكسلي
فاننا نراه يتطور تطوراً اثر فيه العوامل الوراثية والحوادث العالمية
فبدأ بالنظر الى الانسان كخلق لا اهمية له ، او كمضو حقير في آلة
كبيرة هائلة ، الى ان ادى به بحسب وتفكيره الى نبذ هذه الخرافة
جانباً والاعتقاد الراسخ الوليد باهمية الفرد الوحيدة في العالم ، اهمية
لا تستطيع خنقها اية سلطة حكومية او سياسية ، او تضحي بها
في شئيل غايات اخرى .

THE
UNIVERSITY
OF CHINA

ضياع ...

مشى معي . . .

له جناحان على مقلتي
ومنقر ألف على متولي
يوج الاحلام في خاطري
وفي دروب الليل يغفو النهي
أطيب ما في العمر حلم إذا
نبتته استرخى ولم يسع

علي محمد شلو

*

كم عابر في البدء، لذر الرؤى
يقفز بالأوهام من مهيبي
وتستريح في غفلة وثبة
فتختلج الألوان في صحتها

*

ولي مع الفجر، ريب المني
دغدغته بين مهود الهوى
ولم يستقر لها ريشية
وطار لم يخلف حلوناً على
وكان ملء النفس ملء الدنيا
والآن في نفسي فراغ المدى
مشى معي بين ذهول السنا

*

واكثر الاحلام وجه الثرى
وان صفا فهو باعاقنا
فهو القند المحبوب ليكنه

*

والحلم إن حققت رجعت صدى
ينداح في النفس الى عقسها
وتارة يبتاز آماننا
يماو للثأل التي كرمض السنا
هكذا دليل الله في عالم

الحاج سمع في عرس عنترة !

نظم رشاد المغربي دارغوث



من البذر يقبض عليها الحاج بيده فتبرز من بين أصابعه وهو يسارع إلى القائها في جيب الولد متناولا منه باليد الأخرى مثليكم أو مثليكمين مردداً كلمته التي اشتق منها لقبه :

— صم ... صم ... صم ... صم ... صم ... صم ...
او يقول آخر :

— « كنت اتقدي في المدرسة ، عند جزع شجرة في الملعب . فجاء الحاج ضم ... ضم ... وقال لي : انني جاع يا ولدي . هل تبادلني رغيفك هذه التمرسات اللذيذة ؟ »

كنت اسمع هذه الاحاديث وسواها فلا يخطر لي ببال — وانا غريب عن تلك البلدة جتتها يافماً بعيد الحرب مع اهلي النازحين عن فلسطين — لم يكن يخطر لي ببال ان الحاج سمع هو الحاج ابو سعد نفسه جازنا الذي اسمعه في كل صباح يتلو القرآن ويقوم الصلاة وتبديع الله بجرادة وخشوع .

حتى كان مساء ابتقلنا فيه من غفوتنا صراخ تصالي في منزل الجار اعقبه بكاء . وشقيق وانين .

وكان الحاج ولدان احدهما دركي جن واقتيد منذ عام الى مستشفى العصفورية مكبلاً بالجلديد . وآخر ورث مهنة ابيه في المدرسة التي انقلبت كلية كبرى في تطورها السريع . فقلنا اذا كان المحزون هو الذي يثير هذه الجلبة والضوضاء في سكرون الليل ، وقد انقضى أكثر من ساعة على أذان العشاء ، فلا بد ان يكون اخوه قد اتخذ الاحتياطات للحيلولة بينه وبين امه وابيه ، وضربها كما كان يفعل .

خرج الحاج ابو سعد من الحرب الماضية ينز باعباء الستين ، وبثروة ضخمة اتاحت له سكنى دار ابتاعها في حي من احياء المدينة الاستقرابية .

ولكن ابو سعد لم يشأ أن يبدل في زيه شيئاً . فقد فتح الله عليه ببركة ذلك اثرى المتواضع في حين مات آلاف الناس جوعاً . وآلاف آخرون ذاقوا مرارة العري والام والامراض والاسقام . فهو ما برح يرتدي سراويله الحلبية وصبارته الكشميرية يشدها على وسطه بشملة من الصوف الاسود منذ كان يواً في كتاب الشيخ معتوق حتى صار بائعاً في المدرسة المذكورة وامسى غنياً من اغنيا البلدة وبالتالي وجيهاً من وجهائها المحترمين .

وهو لا يذكر انه تزع هذه الاثواب عن جسده الا في ايام مناسك الحج عقيب انتهاء الحرب الكونية .

فقد شعر ابو سعد ان من واجبه الديني وقد اغدق الله عليه نعمه ان يحج إلى بيته الحرام مسقطاً بذلك ذنوبه ما ظهر منها وما استتر . وشاء ان يستصحب معه ام سعد اتقية الزرة وادى الزوجان ذلك القرض على اهرن سليل . وعاد الحاج ابو سعد معتملاً مرشحاً لحينه لا تفارق انامله سبعة ابتاعها في بطحاء مكة ، يثي بين الناس غاضاً من بصره متمسكاً صلوات لا ينقطع سليلها .

وكشئت صديقاً في ذلك العهد اجتمع الى رفاقي من الصديان في نزعات الى النهر المجاور اوفي ساحات البلدة ايام الاعياد . فوجدني رفاقي حديث بواب كان في مدرستهم يديهم الترمس والقضامة والبذر : عشر حبات من الترمس او عشر حبات من القضامة ومثلاً

غير اننا لم نقتن اول وهلة عمر الصارخ المرعوب من خلال نبواته التي تتجاوب في القاعة الرحبية الملاصقة لمنزلنا . فلم نشك لحظة في ان لصاً او مجرمأ دخل على الحاج الحاجة بيتهما منتبهاً فرصة انفرادها ليسلها ما تبقي لها من المال بعد الحج وشراء هذه الدار . والناس في البلدة مجمعون على القول بان ثروة الحاج ابو سعد النقدي لا تقفل عن خمس مئة ليرة ذهباً . فاذا كان قد انفق منها خمسين في سبيل اداء الفريضة وابتاع الدار بتسعين ، ففي حوزته لا شك مثل ذلك عدأ .

غير ان جميع الجيران اذ يتحدثون في سهراتهم واجتماعهم عن ثروة هذا الغني الجديد لا يستطيعون ان يعينوا المكان الذي خبأها فيه : هو في الجدار كما يزعم اقربا . الحاجة ام سعد ، ام تحت بلاط (الساحة) كما يقول اخو الحاج الفقيير المدمم ، ام في (كره) الغليظ تحت الشملة كما يقول آخرون .

وقد اتيج لي ان ادخل منزل الحاج ابو سعد مرة كابن جيران لاأخذ طابقي التي وقمت عن سطحها الى ساحة داره المكشوفة . فلم اجد في البيت خزانة تصلح لاختفاء مثل هذه الثروة (الضخمة) . ولم اشعر ان احدى بلاطات الساحة متقلبة ترن تحت الاقدام كما ترن بلاطات الكنوز في حكايات مريبتنا .

وانقضت فترة سكن فيها الصراخ والعويل . ثم ارتفع صوت الحاج يهدر وهو يقول :

— انت طالق حتى يتزوج عترة !

فيضحك والذي ضحكة زنانة فتبسم امي بسمة حائرة تتسأل بها عن معنى الكلام الذي سمعته وعما لعنرة وزواجه من دخل في خلاف ينشب بين الحاج والحاجة .

وتقول امرأة الحاج ابو سعد وهي كسرت بدعها :

— « يا ظالم ! طلقتي عشر مرات حتى الان اكرماً لعنرة ! الله يجازيك ويجازي الذي كان السب !

ويقول ابي شارحاً وهو يعود ادرابه الى غرفة نومه :

— هذا الحاج يستمع في كل ليلة الى قصص « الحكواتي » في مقهى « البحر » . . . وعترة يحب عيلة . والظاهر ان الحكواتي وقف عندما رفض ابوها ان يزوجه منه .

ويملو صوت الحاج مرة ثانية وهو يقول :

— علي الطلاق بالثلاثة بالاربعة بالخسة اذا ما تزوج عترة عيلة

وتسئن الحاجة ام سعد بدورها :

— « يا ظالم ! اين دينك وصلاتك وصومك . . . شو ذنبني انا حتى تطلقني ؟

ويتابع الحاج ابو سعد متمسلاً :

« قال الراوي : وجاء عترة كأنه الاسد الضئيفر ، فضربه ضربة على رأسه ، شقته حتى تككة لباسه . . . قال الراوي . . . ولما رأى عيلة كأنها العروس شق عترة من صدره القميص ومشي اليها مشية الخندريس . . . ثم صرخ وزجر وقال الله اكبر . . . »

وظل الحاج ابو سعد يروي لزوجته (المطلقة) ما علق بذاكرته من اقوال « الحكواتي » ابو لسانين وما استطاع ان يفهمه من قصة البعد البطل وابنة عمه الحرة الناعمة ، والحاجة تبكي وتتنجب ونحن في فراشنا نحاول ان نستجيب داعي الناس ، فينبهنا صوت يرتفع فجأة من بيت الجار العزيز ، او لبطة في الحاصرة من اخ صغير تعود ان ينام الى جانبي ثائرة الى جانب اخستي ثائرة ، حتى صاح الديك وانقضى المزيغ الاول من الليل .

لم كسرت شمس اليوم التالي حتى شاع الخبر في اوساط الجيران جيمهم . فقد زادت ام احمد الحاجة ام سعد متسكرة بنقاب ابيض داخل بيتها . فخشيت اول الاسر ان تكون قد فقدت احد اقاربها فلنبت عليه الحداد . ولما سألت ام احمد الحاجة ام سعد عن سر ذلك اجابتها وهي تتضاح :

— طلقني الحاج . . . حتى يتزوج عترة !

وراحت أم أحمد تعزي جارتها برأه مصطنع وهي التي سمعت الحاجة تقولن شائتها بها لاشهر خلت عندما طلقها ابو احمد ، بسبب كثرة الملح في طعم اعدته له . ولم تحض دقائق حتى انتقل الخبر الى ام علي ومنها الى ام حسين ومنها الى الست عيوش . وتكفلت هذه الاخيرة بنشره في المدينة .

فلم تكن تمر ذاك الصباح في احدي (الحارات) حتى ترى رأسين يطلان من كورتين ، وبهما ماسان بالبحر الجديد الرائع . وما جاء المساء حتى احاط بالحاج ابو سعد جميع عشارته وجلسائه في مقهى البحر : هذا يتهه معجاً وذاك يالومه معناً والحاج يردد :

— والله لا اقرب ام سعد حتى ينال عترة وطره ! هو عترة والا اثنين !

ويعاؤ في المقهى ضجيج وضوضاء، وتختلط التباهيات باستهانة الاستهانة ترسلها الأنواء من كل ناحية، ويسارع صاحب المقهى إلى تهدئة الحاج وتطبيب خاطره متنازلاً عن غنى النارجيلة المحطمة بقوله :

— «فذاك يا حاج ! وفذا عترة !

وجاء «الحكرواتي» في موعده المتأخر بعد صلاة العشاء وجلس على أريكته وسط المقهى، واخذ الزبائن يتجمعون حوله في حلقات يستمعون إليه وإلى كركرة نارجيلتهم، واطفلة (الكسرات) يتسلى بها بعض الحضور والحاج سمع على رأس الجماعة يعلن إعجابه بكرة بقوله :

— الله اكبر ! الله اكبر !

وبغضب تارة أخرى مغمفاً :

— عليهم يا عترة !

والحكرواتي يتشدق بالقصة تشدقاً يُحيل اليك معه انه ابو اربعة أسنن لا أسننين فصوب . ثم يضرب بعصاه المنسج فيرتج المقهى بكامله وتهتز اجنحة السامعين فيصرخون بصوت واحد :

هلا هلا يا عترة يا ابو الفوارس !

وكان ابو أسننين قد شاء ان يطيل عذاب الحاجة ام سعد . فإذ كان يصل إلى (العبدة) التي أراد الرواة ان يتم عندها زواج عترة الفرسان بعبلة احسان حتى يعود إلى رواية الاشعار منشداً مما تسمع به ذاكرته من ابيات يستقيم بعضها ولا يستقيم البعض الآخر ، ثم يعقبها بازجال ما حفظ او ارتجل في خليط لا تتبين معه وحدة القصة او هدفاً معيناً للوضع .

وفي الليلة الثالثة افقنا هذه المرة على جلبة تعاو من ناحية الجار الحاج ابو سعد، واهاز بهج ترددها افواه كثيرة وتكبيرات واناشيد تلوكها أسنن لا تحسن التعلق بها . ثم يتلو ذلك زغاريده من نساء الحلي وقد اجتمعن في نوافذهن المظلة على (الحسارة) خاف (الشعريرات) . واذا بصوت يعاؤ تلك الضوضاء صرخاً مفهوماً الاداء يقول :

= مبارك يا عريس . . . تنهنا يا حاج سمع !

فعلنا ان عترة قد تزوج عبلة . وابتقت ان الحاج ابوسعد هو الحاج سمع . وغت تلك الليلة افكر : كيف يتزوج الرجل بالمرأة ؟

رسالة المغربي دارغوت

فيؤداد المعبون حاسمة ويشعرون بما يتحسسه الرجل يؤن مقدساته ووطنه في حضرة وطني صادق راح يبعد الاخلاص وبعد ذلك الوطن . ولكنه شعور غامض لا يستقر في النفس غير لحظات تنصرف الجماعة بعدها إلى ميع النارجيلات واحسان القوة والشاي وهم مسترون على كراسيهم في جلسة مسترخية، لا يخرجون سوى طرابيشهم او لباداتهم (بشرنقاتها) بين الحين والحين : يدفعون بها إلى الامام تارة حتى كسرف على بطونهم مائلة كأنها بروج (بيزا) او تطل على اقفيتهم في وضع افقي ، تعجب معه كيف تستقر تلك العلامات على تلك الرؤوس الحليقة الفارغة .

والنارجيلات (تكركر) باستمرار، وصاحب المقهى يروح ويحيي . في ثيابه الرثة القدرة في حركة دائمة لا يقف الا (ليستر) رأس نارجيلة او يقدها إلى زبون جديد .

وقد ضاق الحاج ابو سعد هذه الليلة ذرعاً بمجلسه . فهذا يتحدث عما يطبخ من طعام وذلك عما اشترى من متاع وذلك عن مات او ولد وآخرون عن خطب وتزوج . والجميع في مزج يؤذي الحاج في مسائه هذا ويقبض صدره . فيتمنى ان لو بصمت الكل ويريه من جعبتهم ، او ان تؤخذ العشاء فينصرفوا عنه ويتكلموا لاحلامه .

فالحاج في واد وهؤلاء الناس في واد . انه يتنقل مع عترة من غابة إلى غابة يصرع الاسود وبصارع الاناعي . ومن حي الحي ينازل الابطال ويقارع الرجال . فيضرب بالسيف رأس هذا فيحطه في لحة بصر ويرمي بالنبل عين ذاك فيقتاعها ويرسل رجه إلى بطن ذلك فيعلق به كاللحمة بالسفود (السنخ) . وتتردد في اذنيه اقوال «الحكرواتي» : قال الراوي فضربه ضربة على رأسه شقته حتى تكة لباسه . . .

وتتراحم تلك الصور والالواح في خيلة الحاج متتابعة متلاحمة . وتدوي هذه الاقوال في اذنيه تدوي النحل او هدير البحر . فيمسك برمه هو الآخر يريه في وجه خصوم عترة واعدائه . حتى اذا تكاثروا عليه واجتمعوا يسدون في وجهه كل منفذ، قذفهم الحاج بكل ما لعترة من قوة خارقة فتخطت النارجيلة بين اقدام جلسائه وتطارت شظاياها (وبصات) تارها على اوتاهم وطرابيشهم ، ووقف الحاج ملوحاً (بناريجه) صارخاً :

— ولك ! اجا عترة ، اجا السبع الغضنفر ، اجا الموت الاصر ،

اجا الحاج سمع !

تهيم بي وتنفر ، فأرتجي وأصبر
لعلها تدرك ان الحب لا يستتر
... ومطلبي منها غد يطوى ، وامس يُنشر
لنا على بسمته ، انى تهادت أُمُر
يضمنا معاً ، ويأفني بالحال ، العمر
فنبت الرحمة في قسوته ، ونزهر

يا حيرتي فيما تبوح لي ، وفيما تضمر
زاغت بي الدنيا ، وقلبي ضاع عنه الخبر
تلفسه الحيرة في اوهامها ، فيعثر
ويرتجى والحلم في ينفطه يندثر

مالي أذرت النفس في موطنها وانثر
وقلبي الشمس ، ومرى ناظري القمر
ولي على الذروة من دياي حلم انور
يملع النزوة من حبي اذا احقر
ويخفق الدمعة إن حن اليها المحجر

يا منية حسبتها أظهر مما تظهر
وخلت ان النفع في اجوائها معطر ..
غيبى .. فلا احفل ، بعد اليوم ، او اصطب

حيرة

بوسف الخال

بيروت والبيروتيون في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بضم يقين طباره

الفصل العاشر

التجارة - الصناعة - المالية الاجنبية

الشاري وهو قائم بالبواب . وكان لاصناف التجارات سوق خاصة فكان هناك سوق القطن وسوق الغزل وسوق الحفزة وسوق القباقيب وسوق الترابيسج وسوق الطرادين وسوق الحدادين وسوق الدباغين وسوق الحياكين وميناء القمح وميناء البصل وميناء الخشب وميناء البطيخ وغيرها . وكان لكل سوق رجل يقوم بحل المشاكل التي تقع عادة بين البائعين والمشتريين وكانوا يفتونه باسم الصناعة او التجارة التي يتعاطاها فيقولون شيخ الحدادين وشيخ الخلاقين وشيخ الطرادين وشيخ التجارين وما الى ذلك . واما علماء الهم في بيوتهم فانهم كانوا يفتون البيعة والشراء بالكلام ويصدقون فلم يحتاجوا الى السندات وقد بقيت الوثائق (الحجج) بلا تسجيل في المحاكم الى ان امر داود باشا اول المتصرفين فسجلت في سنة ١٨٦٢ ثم صدر الامر بالهم في المحاكم سنة ١٨٦٩ وكانوا يؤرخون بالهجرة الى العصر الذي نكتب عنه فشاع التاريخ الميلادي في المعاملات .

وكان اهل بيروت يعتمدون في ثروتهم على التجارة والصناعة واهم ما عرفته من تجاراتهم التبغ والحرير والصابون وبيع الترانق والحرير المحول فكانوا يجمعونه شلالا ضمن بالات ويميلون منه في المواسم كيات وفيه الى مصر ومرسيليا . اما الصناعة فقد اشتهروا باحترافهم حرفاً خاصة اهمها صناعة حل الترانق لصنع الحرير المسمى (البلدي) وكان يمل على الطريقة العربية القديمة الى ان اسس في سنة ١٨٣٦ اول معمل لحل الحرير على الطريقة المستعملة في اوربا بجي الدحداح الكونت دي لا فرته Comte de la Ferté و الكونت دي لامون Comte de Lemont ثم انشأ في سنة ١٨٣٨ السادات نقولاً وجورج بورطاليس معملاً استحضروا له من اوربا ناظرأ وعدداً من الصناع الماهرين فاخذ فريق من اهل الوطن عن العمال الاجانب اسلوب التحليل الافرنجي فقاموا بتشييلها

امتازت بيروت في ذلك العصر عن المدن بطابعها التجاري نظراً وقعا الجغرافي ولمفأها الصالح لدخول السفن التجارية ولكثرة السلع التي كانت تمر بها حاملة اصناف التجارات في طريقها الى المشرق والمغرب . فكان الوافد اليها يجتاز اذقة لا يزيد اتساعها على ثلاثة امتار تلتوي ثارة نحو اليمين وتارة صوب اليسار وتحتجب في بعض الامكنة عن عين الشمس وراء سقائف ، اذقة تقفل فيها الهواء . وكثرت فيها الاخاذيد تكتنفها عن الجليلين مبان متلاصقة تتشابه في صغر منافذها وقلتها وفي حجم ابوابها ووضاعة مظهرها . ولم يكن يرى فيها فندق ولا مطعم وانما كان فيها اخانات كثيرة خان الشوفي وخان البريد وخان التجار وخان الدباغة وخان يسترس وخان حمزة وخان الملاحة وغيرها يتزلها المسافرون بدواهم . وكانت بناية الخان يومئذ على شكل مربع يتألف من طابقين خصص الطابق الاول منها لايواء دواب النازلين وتكون الطابق الثاني من دواق طويل امام صف من الحجرات المتعاقبة اعطت للتسديد الغرباء . والباعة الجائلين من متوسطي الحال لقاء اجرة يومية وقدرها اربع نخاسات . اما اعيان التجار فكانوا يتزلون متزلاً كزياً في بيوت علامتهم . وكانت غرف الخان خالية من الاباث يتولى المسافر فرشها بما يجمله عادة في الاسفار من متاع وما امتعته الا سجادة صغيرة يبسطها على الارض وينام عليها وعبادة يتدثر بها وخرج يتخذ له من عينه الواحدة وسادة ديناً يكون في العين الثانية جبن ابيض وزعر وزيتون وقديد وما الى ذلك مما كان اعد زادا للطريق . وكانت الخوازيط صغيرة ترتفع عن الارض متراً او بعض المتر ويرى البائعون في وسطها جالسين متربين وقد تراكت حولهم السلع اكداً فوق الرفوف يعرضون سلمهم على

وازدادت فيما بعد معامل الحرير انتشاراً في لبنان كله حتى بلغت فيما بعد ١٥٤ معيلاً .

وراجت يومنذ صناعة حياكة وتطريز الحرير والصوف وشمر الماعز يميكنون من اقتشتها لمبوساتهم ويصدرون من هذه المنسوجات الى مصر وبلاد الاناضول وراجت صناعة الدانتيل والصباغة والديباغة والسكافة والمعامل الخزفية والحداثة ومعامل القوارب والسفن الشراعية . والتبغ من المحاصيل التي كانت تعد او فر غلة بعد غلة الحرير ويقدر ان محصول هذا الصنف بثلثائة الف اقة تقريباً يصدرون منه الى الخارج ولا سيما مصر . ومن اهم مزدوعات ضواحي بيروت يومنذ زراعة التوت القربية دود القز والصير يستعمل كسيجات للباسين وكعلف للواشي ويزرعون كذلك العنب والخضر والنباتات والزراعات للساجات ويستعملون قضبانها لتربية القز ومن اشهر الاشجار التي تزرع والمشمش والموز والموز

وكانت بيروت تضم جاليات اجنبية اغلب افرادها من التجار وچلم من الفرنسيين واهل البندقية (فينيسيا) يستوردون سلع البلاد الغربية ويستعضون عنها بجهيزات البلاد الشرقية واهمها الحرير . وكانت الدول توفد اليها قناصلها ليراعوا شؤون هذه الجاليات ومصالحهم التجارية . وكان في المدينة قناصل الدول الكبرى يومنذ قنصل دولة فرنسا وانكلترا وبروسيا والدنمارك واسبانيا والنمسا واليونان والبندقية . وكان القنصل يتبع باعتيادات واسعة فكان عند خروجه من منزله يمشي امامه الياور او (القواص) يفسح له الطريق . وكان من عادة الناس عند رؤيتهم القنصل ان يقفوا عند جانبي الطريق ويميموه تأديباً او يرضون التمني (اي السلام على حد تعبيرهم يومنذك . وكان الاجانب يشيرون عن اهل البلد بشبابهم التي تتألف من تنورة بيضاء ، تصل الى الركبة وبرنيطة واسعة من المخمل وصدية ملونة . وقد فضل الاوربيون بيروت على سائر المدن الساحلية لحسن موقعها الجغرافي والتجاري اضف الى هذا ان البيروتي موصوف بسلامة الذوق وهو بطبعه متسامح يأنف الغرباء . ويحلم مكاناً علياً من اجل هذا لم يشعر الغرب بالوحشة التي يشعر بها عادة في بلدان اخرى فخالط الاهلين واتخذ منهم اصدقاء . وبما لا شك فيه ان هذه العوامل حبت الى الاوربيين السكنى في المدينة وأدى هذا التقارب من المنافع ان توسع افق النشاط التجاري وتبدلت اساليب المعيشة وتطور نظام الحياة الاجتماعية وبرزت بيروت شيئاً فشيئاً من ظلام العصور الوسطى الى نور النهضة الحديثة .

الفصل الحادي عشر

ضواحي المدينة . الابراج . المواسم

في ذلك العصر كان يخف بسور بيروت بساتين مفروسة باشجار التوت ويحلب الروابي زرع وشجر يتد صقفاً الى شاطئ البحر . فكان الخارج من باب السراي الشرقي يرى الى اليسار مقبرة الغرباء . ومقبرة المصلين ومقبرة الخارجة في الموضع الذي يشغله اليوم المطعم الفرنسي وشاهد الى اليمين برجاً يقوم في موضع سراي الحكومة الحالية (السراي الصغير) التي بناها في سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٤ م بإشادة افندي الب مهندس ولاية بيروت بعد انهدام سراي فخر الدين في سنة ١٨٨٢ .

ويرى ساحة البرج (١) روضة غناء تحنو عليها الاشجار الباسقة وكانت تعرف باسم بستان فخر الدين نسبة الى الامير فخر الدين المعني وسميت تلك الضاحية بالبرج نسبة الى برج الكشف الذي كان قنصاً مقام مقهى البارزيانا في الزاوية الشمالية من شارع غورو . وقد دس يومنذ الحراب الى البرج ولم يكن منه غير درجات حجرية . واختار هذا البرج في الزمن السالف الامير فخر الدين المعني فكان يجلس في منظرته المطلقة على الاراضي الخصبة الواقعة على الشاطئ تؤنس مشاهد البساتين الخضراء وزرقة البحر وبياض جبل صدين المشكل بالثلج تلك التي تبيح مرأها القلوب ويستوي الالباب .

وكان تجاه باب يعقوب وازا . باب الى النصر مقهى بلدي مبني مسن مغروسات القصب كدوا الى العنب يخرج اليه المولعون بمناظر الطبيعة في كثير من الاوقات يتنسمون الهواء الطلق ويتزهون في ظلال شجر الميزثم تتأدى المسالك في محار ضيقة بين البساتين الى الحجر الصحي حيث يلوح من هناك برج الحضرة وفي جانبه جامع الخضرة القمام تحت قبة بيضاء . واذا حزل بصره نحو الجنوب الشرقي رأى هضاب مار مة التي سحر جمالها لامر تين الشاعر الفرنسي حين تنقل في ارجائها ثم يليها الى الجنوب الغربي سهل اخضر زاهر بديع يتبع في آخره (رأس النبع) . وكان يومنذ قرية صغيرة تبعد شيئاً ربيع ساعة عن المدينة وتبدو من هناك غابة الصنوبر الفتانة . وامامها ميدان فسيح هو ميدان السباق الحالي حيث قصر المندوب السامي الفرنسي وكان يعرف باسم (المرمج) تقصده افواج هواة الخيول

(١) اطلق على هذه الساحة يوم رايح فيها الجيش الفرنسي بتساه : Place des Canons في سنة ١٨٦٠ . وتعرف اليوم بساحة الشهداء لان الثائمين نصوا فيها للثائق لبعض الرجال السياسيين في سنة ١٩١٦ . وانشأت لهم فيها حكومة لبنان الشمال العام في وقتنا الحاضر .

القوة لتيارها طراداً ورمياً بالجرید . وللخيل في ذلك العصر عز ودلال وكان اصحابها على سنة اباهم يعنون بترتين سروجه يقطع من الفضة ويحاون رؤوسها بتيجان واكاليل من الرش . ولقد اشاد لادرتين ايضاً بدح العلب الفروسية وجال موقع الميدان ووصفه وصفاً بدعياً وقد اضطلع هناك على العشب الزاهر وتقياً ظلال الصنوبر في جو شائق صاف رقيق واستمع الى حفيف العذون وتغريد الطيور فاوحى اليه المشهد الجميل لذة التأمل والجزى فغده من احسن اماكن العالم جاذبية وسجراً . واذا جال الطرف ناحية البحر رأى المحاجر الواقعة في محلي مار الياش والمضيطة يقطع منها الحجارة الكبيرة فتصلها الجمال الى حيث كان الاهلون يبنون بيوتهم وقد بنى الفينيقيون بحاجرها من قديم الزمان المباني العظيمة اما المضيطة فقد ذكر صالح بن يحيى في (تاريخ بيروت) ما نعه : « وعمر بيدمر الخوارزمي في ظاهر بيروت مسطبة (المضيطة) وعرفت به الان (اي الى عهد المؤلف في القرن التاسع للهجرة) . وكانت المراكب تصنع بها على بعد من البحر . وكان للحمة المسطبة شأن فكان السلاطين والامراء اذا قدموا بيروت وهي على مسا كانت عليه من الضيق والبساطة في العمران يتلون مع اتباعهم واجنادهم في محلة المسطبة ويخيمون فيها او يختاروها على سواها لارتقاءهم واعتدال هوائها » وقد جاء ما يدل على ذلك عند الكلام على اسماعيل بن هلال من الاشرفية وهي المحلة المعروفة في بيروت ولعلها سميت بذلك نسبة الى الملك الاشرف المشار اليه ففي صفحة ١٦٩ : « واسماعيل المذكور كان من اعيان الناس و كان من ذوي اليسار حكمي عنه ان السلطان تزل على المضطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفية فعمل له اسماعيل ضيافة فكان صوب البكرة مائة خروف مشوي فظن السلطان انه السباط . ثم بعد ساعة او ساعتين حضر السباط الكبير فتعجب السلطان ورسم له بمنجمة اه

الغداة لتيارها طراداً ورمياً بالجرید . وللخيل في ذلك العصر عز ودلال وكان اصحابها على سنة اباهم يعنون بترتين سروجه يقطع من الفضة ويحاون رؤوسها بتيجان واكاليل من الرش . ولقد اشاد لادرتين ايضاً بدح العلب الفروسية وجال موقع الميدان ووصفه وصفاً بدعياً وقد اضطلع هناك على العشب الزاهر وتقياً ظلال الصنوبر في جو شائق صاف رقيق واستمع الى حفيف العذون وتغريد الطيور فاوحى اليه المشهد الجميل لذة التأمل والجزى فغده من احسن اماكن العالم جاذبية وسجراً . واذا جال الطرف ناحية البحر رأى المحاجر الواقعة في محلي مار الياش والمضيطة يقطع منها الحجارة الكبيرة فتصلها الجمال الى حيث كان الاهلون يبنون بيوتهم وقد بنى الفينيقيون بحاجرها من قديم الزمان المباني العظيمة اما المضيطة فقد ذكر صالح بن يحيى في (تاريخ بيروت) ما نعه : « وعمر بيدمر الخوارزمي في ظاهر بيروت مسطبة (المضيطة) وعرفت به الان (اي الى عهد المؤلف في القرن التاسع للهجرة) . وكانت المراكب تصنع بها على بعد من البحر . وكان للحمة المسطبة شأن فكان السلاطين والامراء اذا قدموا بيروت وهي على مسا كانت عليه من الضيق والبساطة في العمران يتلون مع اتباعهم واجنادهم في محلة المسطبة ويخيمون فيها او يختاروها على سواها لارتقاءهم واعتدال هوائها » وقد جاء ما يدل على ذلك عند الكلام على اسماعيل بن هلال من الاشرفية وهي المحلة المعروفة في بيروت ولعلها سميت بذلك نسبة الى الملك الاشرف المشار اليه ففي صفحة ١٦٩ : « واسماعيل المذكور كان من اعيان الناس و كان من ذوي اليسار حكمي عنه ان السلطان تزل على المضطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفية فعمل له اسماعيل ضيافة فكان صوب البكرة مائة خروف مشوي فظن السلطان انه السباط . ثم بعد ساعة او ساعتين حضر السباط الكبير فتعجب السلطان ورسم له بمنجمة اه

وكان يعاد الروائي ابراج تقوم مقام القلاع المنيعة في حامية البلد ومن اعاليها كان الحراس يرقبون حركات العدو . منها : برج ابي حديد وتعرف المحلة اليوم باسمه . وبرج العريس وكان غربي البسطة التحتا وقيل انه كان يتصل بمنارة تحت الارض نافذة الى المزرعة . ثم برج الحصن وكان في محلة ميناء الحصن التي تسميها العامة خطأ (ميناء الحسن) . وبرج الفناء وكان على الصخور في مدخل الميناء . وبرج دندن وكان رسوماً طامسة واظلالاً دراسة لم يبق منه يومئذ الا حيطانسه . ويرجح انه كان قرب (كركول

و كانت بيروت تتصل بتدني صيدا وطرابلس وبعض قرى الجبل بطريق مقفرة موحشة لا تتسع الا لمرور رجل او رجلين ويدهلها جدمشق طريق تصعد شعباً بين الهضاب وتتطلبها قرى وضياح قليلة الى خان السنان شرق بلدة عالية لتصل الى عين صوفر ثم تهبط الى الناع وتفضي الى زبدل بالقرب من شترة ثم تمتد الى خان ماسلون لتنتهي الى دمشق . وكانت الحانات تتعاقب على جانبي الطريق مرحلة بعد مرحلة تقوم على هضبات ضخمة يجوار العيون والينابيع وخان الجبل يتألف من حوش مسيح الدواب يتحوطه من ثلاث جهات حائط عاوه متران او ثلاثة ويقوم من الجهة الرابعة غرف على جانبي الباب هي منازل للسافرين وعلى باب كل خان ساقية للصيدل وحائوت فيه ما يحتاج اليه المسافر .

وكانت القوافل تسير في ايام معينة من بيروت باذن من المتسلم وقد وكل امر حراستها الى خفراء اقرباء لهم جعلوا من الحكومة حفيظاً لاموال الناس من قطاع الطريق . وكانت القوافل تصل الى دمشق في ثلاثة او اربعة ايام .

مبنى طباره

(١) كانت السطبة معروفة في القرن الرابع عشر الميلاد بالصنطبة وقد جاء ذكرها في (تاريخ بيروت) لصالح بن يحيى قال في صفحة ٥٦ : « وتزل الفروع من الشواني (جمع شونه وهي السفينة الحربية) الى البحر في مكان يسمى (الصنطبة) غربي البلد في الزاوية من النهار وتلكوا البلد ونهبوا واحرقوا الدار التي لنا على البحر (يعني لامرا . ك بقر) والسرور القرية من الميناء » اه . وقيل ان الصنطبة كانت قديماً مقبرة للمسيحيين وان اسمها الصنطبة كلمة مشتقة من (صنطا) اي مقدسة :

تقويم

بسم الله الرحمن الرحيم

صيفت من طيبتين ، بل لهن في بحر الجمال لآلته . فقد افق
فبين إبداع الخلق حداً أبرزهن 'ملاً ناطقة بالقرن' وخوراً صيفت من
زبد الخلد الحائم عند بارقات الرمال والشواطي . ذابة تقاطيع في
أريج وجه ؟ . . . ودار به ناظره كالذي تذكر صباة قديمة طبع
عليها النشل ، فأرسل آهة طويلة اختنفت في حلقه قبل نهايتها . . .

قال بعض من حضر : لكان لك بينن ذكرى طرية بوقعا
على قلبك وإن قدم بها العبد . . . فراح يراول الاخفاء على شتى
مذاهبه وأساليبه ، ولكن كان في عينيه ما يفصح بكل خبر قلبه .
فقد غداً تغنيان تحت هبابة كثيفة من الدهول ، حتى ليبتل
لناظر في مقلتيه أنها جدتا في غير حياة ، لو لا بميص رفيع الخيوط
كانتا ترسلانه قللاً ، على أنه مال يتخافت فيأتمر به عيانه من
دع رفيق ، لما يؤذن له فيجدر .

ويقال لهم على ترسلهم وتسلطهم ، استأذن الحاج وأعلم الملك
أن كبير النخاسين ألقى بجارية فائقة (يود عرضاً) ، فقد كان
متدارفاً أنه 'يبدأ بالقصر فيعرض عليه ما يهبط من الغلمان ، فأذن
الملك وأجريت مراسم الدخول .

وكان عجب الحضور كبيراً حينما مثلت بينهم ، فهي تتمتع
بأكبر قسط من جمال الرؤى حتى لقد خيل للكثيرين منهم أنهم
يبحرون منظر أن جمال فن خيالي ، يجي . من دونه كل ما في
طاقة الحياة من فن الجمال .

هبطت على جمهم هبوط البرعة على جماعة الطير في العاب مع
ظلام المساء ، فاهترت أعصابهم كالآوتار ، ونطقت بلحن الحنين
المواج فجمعت شاخصة في مدى بدوات هذا الإبداع .

وكان في هذا الدهول الذي عراهم ، ما جعل أحداً لا يفتن
إلى ما استبد بدنيح من اضطراب ومسا تلذذه من تلهف ، كما لم
يفطن احد أيضاً إلى ما ساورها من خلجات عنيفة كظمها .
فعربت على قمم مقامها ناطقة باللاظ الرواب .

كان لناظر أن يقدر ان يدبجاً أكثرهم أخذاً بها لانه أكثر
تلقوا للجمال ، واما ان يقدر انها بالذات نفس فاتتة التي احتفظ بها

يوماً^(١) ازدهت فيه دمشق بكل أفانيتها وبرزت فيه
بكل فتونها ، هذا اليوم الذي أطل معه الربيع في ابتسامة
الازهار وعبق ابتسامها في الهواء السابح ، مرصداً يحنوط الشمس
المتفحة بقناع من المزن الرقيق الشفاف .

كان عادةً عند نالها استقبال الربيع بكل أشياء الانس
والخفاوة ، وبكل ما توحيه المتعة المستبشرة ، فكان يجيل
الشاهد أنهم نسوا حتى الزمان في وجودهم ، ثم لم يذكر وا إلا ما
هم فيه من أسباب الالوه العابت البري . فيقبأون عليه بلغة النظامي
على الينوع وينطلقون في مدى كل معنى نظير ، ويتنثرون انتشار
الطير في كل فضاء .

وكان هذا اليوم كأنه في حس الفلك ساعة من لاوعي الزمن ،
يسبح منها في عردة حاملة أو أحلام معرودة . وتزير على الحلي
الشاعر ، أن تطفئ به هذه الساعة من لاوعي الزمان ، ولا يفرق
معباً في خضم النسيان والانطلاق من قيود الوعي والفكر في
الحياة .

في هذا اليوم كان « معاوية » في قصره المشيد وفي الجناح القارق
بالتع ، يعطف مع جمع من حاشيته زنبقة زهو اليوم . وكان
« بديع » مولى عبد الله بن جعفر يؤنسهم بطرائف أخباره وملح
نوادره ، فأنتهى به الحديث إلى اخبار الاغريق وعجائب ما شاهد
بينهم . وكان فيما قال :

كان نساهم خلقن من طبيعة الجمال إن لم تكن فكرة الجمال

(١) هو فصل من كتاب حياة الحسين عرض وقصص ، والقصه
وقفت عليها في جزء صغير بعنوان فضائل معاوية بن أبي سفيان ، وموافقه
ابو الفاسم عبد الله السعفي . وهو مخطوط في حجم كراس من القطع
الصغير ولا تزيد صفحاته على الاربعين . وقد عثرت عليه عرضاً في
مكتبة المرحوم الشيخ عبد الرحمن سلام بيروت ، وهو يرتقي بقطعه في
أقل تقدير إلى حدود القرن السادس الهجري ، وليست عليه مباحات . وهذه
القصه التي اجريتها على أساس الفصل مرويّة عند السعفي بهذا السند قال
(حدث ابن الاعرابي عن المبرد عن المازني قال قال الاصمعي : عرضت
على معاوية جارية وسألت الخبز بانه)

ذكرى ندية بالقرام ، وعرضت لنفسه منذ هنية في بعض الحديث
فماذا لم يكن يقع في مذهب الخطا المرسل .

ولقد قطع هدة وجوم الانجذاب معاوية بقوله مخاطباً كبير
النخاسين : لشد ما ادهشتنا حوراك : فن اين هي ؟ (وما احبها ؟)
قال الرجل : (احبها هوى) . فانبت بسر بن أرطاة انبعثاً
يقول :

(هي والله كاحبها هوى) ، تحض منه وترفع ، وتطيل به
وتقص ، وتشر منه وتطوي .

قال عمرو بن العاص : وماذا يكون الهوى ان لم تكنه ؟ .
وكان بديع قد ضبط أنشئة قلبه الفائر بالذكى والحب والآلام
والبعد والقرب . فقد شعر الآن فقط انها نالت عنه والى الابد ، اما
عرضت على الملك ونالت استحسانه وحظيت باعجابه ، فهو لا محالة
سيضبطها الى جملة وصائف القصر ولولائه ، فكان في حسن نفسه
كأنه يرض على جانب قلبه يعضه .

كيف لم يبعثه القدر الى الخروج منذ هنية ويتلقاها عرضاً ،
فقد كان يحول بينها وبين الدخول ويحظى بها لنفسه ، وهو الذي
ظل يتمنى حياته منها لحظة لقاء . لقد مدده القدر بساعة لقاء غفراً ،
ولكن فيها مرارة النكابة والتوابع ، ففاضت نفسه حسرات .

وانقطع بهم عارض الحديث فعاد النخاس الى مثاله :
وهي إغريقية المنبت والنजार ، ترقى الى انها اعادت لتكون
كاهنة في هيكل ربة الجمال هندهم . والاغريق يتحرون في مثلها ،
ان تكون نسفاً في الملامح والتساطيع والشكل مع إلهتهم ،
ليبرز لهم في الواسم والاعباد وكان ربة الجمال برزت لهم او
تقصتها ، فانهت بها صروف الاقدار الى حيث ترى .

والعجب - ايها الامير - انها ذات فلسفة في الحياة ، رغب
بها عن متع الحياة والتها في مثل الزهد .
قال معاوية ناشطاً : كيف تقول ؟

قال : نعم هو ما اقول لك . فضبا الى قصره ، وقد بذل
فيها (مائة الف درهم) . وواصل : لقد صدق والله بديع فيا مضى
يحدثكم به من جمال الاغريق . . . ولكن لم تبعد الوصائف بها
حتى استوى وكان متسكناً ، فقال :

(لمن تصلح هذه الجارية) ؟ . قال عمرو بن العاص :
من (سوى امير المؤمنين تصلح له) . وكذلك قال آخر وآخر ،
ومعاوية يقول لا ويستم كالذي يعايبهم . وبعد ان اخذ منهم
الشوف مأخذ وترايد بهم التليف ، قال لهم معاوية :

انها بروحيتهما وكالها لا تصلح إلا للحسين (فانه احق بها لما له
من الشرف ، ولما كان قد شجر بيننا وبين ابيه) . . . فارتست على
وجه الحضور آثار مشاعر مختلفة متناقضة ، امبا بديع فكان محلاً
لانواع شتى من الشعور ، فقد انسرح واكتأب وطرب وحزن في
درجة واحدة من الانفعال .

انه أمل ان يكون موضعاً لسقوط هذا الندى ، وتغنى وهو
الظامي . بالهوى ، ان تكون ربه هذه العادة المترعة بذنوب الحب
وطال القرام والتي هي عادة قلبه ، ولكن خاب به أملة فاكتأب
بيد انه مشى في حواشي هذا الاكتئاب عنده إشرع ،
مصدرة ان الحسين وهو المتكسي برحيق الهيكل والمستغرق في التأمل
الالهي والطافح بخير الانسان ، ان يبخل بها عليه . وإن لم يكن
فلا اقل من ان مقامها اضحى ضو مقامه في المدينة بين آل ابي طالب
هو يتشهى ان تكون قريبة منه وكفى ، انه يريد بها متعة قلب
وقد سقط على اميته منها .

فقال في نفسه ينبوع بسر ضحكك معه ضحكاً خفياً في الخيال ،
وزاد به حتى انفسر بضحك كالمرسيد القرد ، مما جعل الحضور
يرمقونه باستغراب ، وطاف على الستهم : ما بال بديع ؟ . ولكن
قطعه عليهم بقوله :

انها ستكون مفاجأة لذيدة الوقع على الحسين ، سيما وقد كانت
كاهنة في هيكل ربة الجمال ، وهو الحالم الهائم بالجمال المنعم به ضيهر
الوجود .

بعد ما تناولتها الوصائف بالتطورة والمهذمة المتفعة مع أساليب
القصر ، برزت كالربة التي تحمل والبحرة تصطفق بامواجها الرقيقة
عند الشاطي .

كانت ساحرة الفتنة مغرية الجمال ، ولكنها ترى مع ذلك
كالهائفة في ضيهرها . فلم تكن يظهرها تثير أصداء الشوئات بل تشر
احلاماً نشوى من احلام الروح ، تلقى الناظر قسراً في مثل المحراب
الذي يشيع في القلب مثل معنى صلاة خاشعة .

وهذا اللون من الجمال غير محبب الالهائين في دنيا ضنائهم ،
واما الآخرون الذين يسمون في دنيا أعصابهم ويطلقون في مدى
رسوما ، فانهم ينفرون من هذا الجمال الذي يفرهم بمعنى مبهم لا
يتذوقونه ، ثم لا يجرى اي وتر من اوتار قيثاره خيلهم المركبة
تركيباً لا تنطق مع جمل ريشة هذا الجمال ، او تنطق بفلف متنافرة
توحى بالمرارة .

امضت (في القصر اربعين يوماً) ، كانت لا تفتأ خلالها تفكر في مصادفة هذا اللقاء . مع بديع وهي التي باتت في بأس من لقائه ، وقد بادعت بينهما اسباب وأزمان .

وذهبت تتاجي نفسها : وبيح بديع ، إنه لم يزل في مثل بقطة عواطفه ليلة لقائنا للمرة الاولى بين اروقته هيكل (فينوس) . وبيح بديع ، لقد كابد في سبيلي كثيراً وتجرع امر القصص والآلام من اجلي ، ثم تنأى به بعد بمتصر عليه قلبه ، فكم ذا يقاسي ؟

يا ما الذ وقفة انتظار في لحظات توله وتلهف كنت اقفا عند بعض اعمدة الهيكل ، وبديع مقبل تحت رداء الليل يعمتي بنفسه في جالوة قلب مفرم ، أضفت عليه خالوة الاحلام . يا ما اقدس تلك الزعشات ، واعذب وقعا . اني لا ذكر تلك الليلة وقد هبت فيها الاغصير ولعبت في مسرحها العاصفة ، وكانت الافاق تترأز زئيراً مخيفاً ، والغمام يهبط مع جنح التسلام كثيفاً كثيفاً كأنه شام . ان يطمر الارض با هو مزرع فيها من الحياة والاحياء . . وكانت الشطآن تغور في مثل جيشان الجافنات ، والزمال تتمايل وتتعاث في شكل الاقواس ، وذعرت فيساح حتى طيور الليل فانكشفت منكمشة في المتناور والحفاور ، وقد امسكت حتى الركز من نأمتها .

ولكم تميت وانا واقفة عند عود الرواق الداخلي ، انه لا يأتي في ليلة بركان السماء . وبيننا انا واجنة مخطوفة اللب بالخوف والتربح احرق قلبي للربة قرباناً في تحوطه وترعاه ، اذا هو مقبل كأننا رمى به الاغصار في العراء . وتمحضت عنه العاصفة ووضعت في التيار الدائر في جنون .

اسرعت اليه اعتنقته دون الهيكل وهو يلغني كتلة طفولة حذراً علي . من طيش هذا الليل ، وفي الهيكل استند الي صدي كالذي خرج من المعركة ظافراً ، يحسد حياته في حس مخلوق جديد .

قلت له وانا ادغدغ جبهته ، واعبت بشعره المتطاول (١) الذي كنت فيه اصابع العاصفة : لماذا ركوبك الاغصار الى محراب حيناً ؟ لكانك من عدم مبالئك بحب فوق بركان . . فابتسم واخذ وجهي بين كفيه يقول :

أأعرف انك تصلين في محراب الحب ولا اسمي اليك في اجنحة الطير ، كي اشاركك ترنيمة الهوى وترنيمة الميسام ، انك لتسمين علي في الظن .

(١) من قول العرب تظلل اي اتخذ شكل الاطلال

إيه عادة احلامي . ليست العاصفة العيوب هي التي تشهدني في حواشي هذا الليل ، وانا هي عاصفة القلب وقد فارت فيه فائزته الشياح ، بل تلك نجيب هذه زغردات وابتسامات وزقزقات ارسلتها الطير مع السحر . قدياً لو حالت دونك ارض زدرت فيها كل البراكين ، لتخطيتك اليك مغتبطاً مسروراً . . فقلت معترضة : لا تبالح ، فان هذا بين الشر لا يكون وانا هو من طباع الربات والارباب . . فذهب ضاحكاً يقص علي قصة ذلك العاشق الكردي (١) ، الذي طلبت منه فلسة هراء وردة حمراء واخرى صفراء . . وكانت حديقة الورود في بقطة حراس اشداً ، وفي عين اسود غضاب ، ويفصل دونها نهر يبع بالتيارات . فانطلق العاشق في مدى رغبتها يحضو النهر ، وتقلب في حديقة الورود يبحث عن الوردة الحمراء . فلم يجدها . فعاد مبلل الشياح يقول لها متبجحاً : لقد اتيتك بها . . فانه كان يحمل في يده الوردة الصفراء ، واما الوردة الحمراء ، فكان يحملها في صدره ثغرة فوارة بالدماء ، فقد اصاب سهم الحراس قلبه فشره .

قلت له متبجحة : ايكون ذلك حقاً ؟ قال : ليس هو بعيداً عنك . الافاتحتني في العاشق الكردي . اقول لك وانا اعني ما اقول ، لو لم تحبتي كل اتياب الاولمبا لم تحبتي (هزل) لقاومتها في سبيلك ساعراً بقوتها . . فانخذت عليه سبيل الاستمرار

وقلت له : <http://Archeveta>

يجني لا تجدف على الارباب ، وأيضاً في هيكل ربة الجمال ، اني اخاف عليك . . فانقلب يقهه قائلاً : لماذا لا تفكرين انك انت الربة الحقيقية ، واما فينوس فربة خيالية اثيرة فقدت حرارتها ، وبارازك كاهنة في هيكلها يدون وجودها البارد في احيال ، مجرارة انت تشريرها وتوزعها . . فوضعت يدي متوتلة علي فقه اقول : لا . لا اريد ان اسمع منك تجديفاً . آه لقد بقيتني ، أنتت ايضاً يا بديع تتكلم بالمرطقات ؟؟ لقد كنت في ذلك الحين مؤمنة بقدرة الربات والارباب وانا ارغب علي من احب بأن يكون مثلي رأياً وإيماناً ، لكنني عرفت بعد ذلك ان بديماً كان اعني مني معرفة وأهدى تفكيراً .

لقد كنت منفعية بالايان ، فصوره لي حديثه بصورة منكسرة توحى بالشر . فانقضت عنه وذعرت منه ، وبالغ في هذا الدع فكرهته . . وعدت بعد ذلك التحاشاء وانفر منه . . اود ان لا اراه . . وكنت اسائل نفسي ايكون بديع مجدفاً ؟ . وهو في نفسي صورة

(١) قطعة اديبة من اجود ادب الاكراد .

فانتهت في قرصنة البحر الى حيث مكاني ، وكان قدراً ماثماً
قد رأيت بديحاً ...

بعد مقام قصير في البلاط (حملت الى المدينة مشغوعة باموال
عظيمة وهدايا كثيرة ، وزود معاوية رئيس الراكب كتابه الى
الحسين جاء فيه : ان الملك اشترى جارية فاعجبته فأتركها) .
ادخلت على الحسين وهو منصرف سابع في مدى تأملاته ، وكان في
الجزء الذي يمحيط فوقه ، ما اعاد اليها ذكرى الهيكل ونقلها الى
مثل المحراب . وزادها هذا الشعور فاعتقدت يقيناً انها لم تعد في
شيء مما يتصل بدنيا الناس ، لحقتها سكونية ولغتها هذه الروح ،
وغرقت في خضم بعيد القراء من الابدليات ، وكانت سكرى بما
يتساقط الى منها من نغامت مسجورة تشمر بها في مدى روحها
عذبة ندية .

ظلت في هذه طويلة لم تنف منها الا صوت الحسين يستقبل
رئيس الراكب ، وراح هذا يجبره خيراً .
فأل عليها في ابتسامه مواسية بقول : لظني بك - وانت
جديدة عهد بالاعتبار - انك مؤحشة النفس ، ويودي ان
تتداركك حال تأنسيني واطمئنين .

قالت هري : كنت خليقة بالوحشة في غير مكانك ، ولكنني
والا فيه فاني ببغية باطمئنان في النفس والضمير . وراح يرفقه
عنها ويحاطها اسباب الحديث على شتى مذاهبه والوانه ، وكان فيا
قال لها : الا تروين (شيئاً من شعر العرب وادبهم) . قالت :
بلى . وكانت لم تزل في أنارة من صوفيته المفعمة ، فأشدته ابياتاً
جاء بينها :

انت نعم المشاع لو كنت تبقي غير ان لا بقاء للانسان
وما هو الا ان فاض في قلبه ينبوع حنان تدنت معه مقلته
وتبارو فيها مثل الدمع والا فهو عصابة شعور بعق التئري .
ثم قال :

(ادعني فانت حرة ، وما بعث به معاوية معك فهو لك) على
انك عندي ابدأ مثل كريمة عزيزة المكان في هوى ذوبها .

وبينا هي في غفلتها ، أقبل بديح يستأذن عليه فقد أوفده
ولاه عبد الله بن جعفر الى دعوة الحسين . ولكنه ما مثل بين
يديه حتى رأى مائة قلبه مرة أخرى ، بيد انه في هذه المرة كان

من ملاك . كلا . لا اود ان اخنق بيدي بديح العائش في خيالي ،
اود ان لا تتشوه صورته في نفسي ، وانا اذا اجتمعت الى بديح
ستمته يده الى تشويه ما استوى في خيالي عنه ، ولكن بديحاً
الخيالي محب الي الحب كله واقتنى ان اطل متمتعة به منتشية
بثاليته . فكان طامعاً ان كنت اتواري ، كلما تعرض لي بعد ذلك
وهذا ما يحدث اذا لم يكن الايمان فكرة في النفس ، بل كان
عقدة في الروح او ازمة في الوجدان . وكلما كان ايمان المرء عقدة في
الروح تكون عواطفه قاصرة على ان يشاركه هذا الايمان دون
سواه ، بل يتمسك ذلك فتساوره تغارت تتحرك معها كراهيته
ويتحرك معها تعصبه . اما الفكر المجرد فانه لا يعرف تعصباً ،
وانما التعصب عقدة في مكان الوجدان من النفس ، فهي تتحكم
بالموافق على لونها . وكلما كان الفكر ضعيفاً والوجدان اكبر
مقدراً ، فهناك يوجد شرائع التعصب ، وعنده يستضيئ المرء حتى
يوجد من لا يشاركه عقيدة الايمان . ولا شك ان هذا بعض من
طبيعة الانانية في الانسان ، فاذا كان في الدين فكرة ايمان فهناك
تدين صحح على نهج انساني ، واما اذا كان في الدين انانية ايمان
فهناك اخطر شكل من اشكال الانسانية النكرة .

فكرة الدين الصحيحة هي التي تجعلنا نتحكم الايمان والفكر
دون العكس ، الذي يتولد من ازمة نفس ويولد ازمة نفس وحياتية
ايضاً . اما الفكر فليس يقبل عقدة بل من وظائفه ان يحل العقد
في النفس الانسانية والحياة والوجود ، وهو اذا قبل العقد احياناً
فاثماً قبلها في ضرب من الامتحان وفي ضروب خفية من الارتياح .
فالفكر يراود الامتحان والنقد المجرد ، وتقدم الانسان معناه
تقدمه في الفكر الذي ينتج حل اكبر مقدار من العقد . وفي ظني
اليوم ان تقدم الفكر ليس معناه القدرة او السعة في التفكير ، بل
معناه الكفاءة على التفكير بدون اعصاب اي بتجرد للفكر ،
ومن ثم لا نحب او نكره ولا يضر بنا القرب او البعد بل نتأجي
فكرتها ، ثم لا نتصرف بواطننا تبعاً لها .

ليتي كنت اعرف هذا من قبل ، إذن لما جافيت ونفرت منه
وظللنا في متعة الحب الخالدة . . . لقد رأى بديح من ذلك الاعراض
فلم يعط الحياة واجتواها ، فذهب على وجهه لا ادري اين وقعت
به يد الاقدار ؟ . ولقد احسنت والله بعد ما فقدته بالاسى والاسى
الفلج ، فطلبت المساواة في الشرود بالمعرفة ، فاندفعت الى فكر
جديد . فهجرت الهيكل وابتدأت رحلي وراود من نقطة هائلة ،

كآبة

عقدتْ عهديها على محلمٍ ميت ، ولغتْ الامها بابنسامه
ولوثْ جبدِها ، كما أوتِ العنقُ ، على مرهف الشفسار ، حامه
ووراء الضلوع ، تنتحبُ الروحُ انكساراً ، ذبيحةً مستضامه
مانت الذكرياتُ ، إلا ظلالاً ، حُصِنَتْ قلوبها ، وأتِ حطامه
حشرجتْ لا تعي ، ومالت عليه ، تمسح الجرح ، او تعدّ سهامه
يسن الدمعُ في الجفون ، وغض النظرُ لليث ، لا يرى ما أمامه
غام . وإنشقتْ الكآبةُ عن أمر . واغثتْ على الشفاء ابتسامه
ايه دنيائ com ثم خطفتْ بعينها على الصفحة الفضام علامه ؟

وصنى فرقتي — حصن

اعنف شعوراً بها . فقد جددت عهد هواه في دمشق ، وقد احالت قلبه الذي كان كشاش تناهى في حب ضامر قديم ، الى قلب جديد
حياة انصب فيه جديد حب ما فصل عنه امس وغد . فتاهت حروف كلماته في فيه ، وقسراً وجم في ذهول ، وتداركها مثل شعوره وغصة
قلبه فاضطرب لونها . والحسين يرى ويشهد ، فاطرق اطراقة ماثجة بالايام . ، مر في خاطره معها ان يدنياً ينتهي الى مثل غربتها ، فغير بعيد
ان تكون ذات هوى به وضرب الزمن بينهما ، فباعدهما قدر عاد في دورة اخرى يضمهما ، وجدير في ان اكون خط النهاية في دورة القدر
المهمة . فالتفت الى بديع وقال :

كنت على اية ان استقدمك الي يا بديع ، فسقطت من نفسي على موعد . انت عندي مثل كريم عزيز ، وهي عندي مثل .. فاستخف
ببديع عاصف فرحة كبرى ، حتي كأنه دفع الى الخلد من نافذة بعد ان حيل بينه وبين الباب طويلاً .
ولم ير الا مكباً على يد الحسين يقبلها في موضع تلاقي عليه ثغران ، تفره وتغرأ ..

أثر اوغيبست كونت في الاتجاهات العالمية

بقلم نسيم بن بك

لقد حاول اوغيبست كونت معادلة ناجحة في ان يكون عالمياً، بكل ما في هذه الكلمة من معان ومهمات فانفرد عن سبقه وعاصره من علماء وكتاب ومجاهدين بأفكار ومبادئ. جعلته في ارفع طليقة من طبقات المفكرين ولا ريب في ان الأثر الذي أحدثه في القارة الأوروبية وفي العالم يرتبط بالتحجرات تفكيره واسس تعاليمه فقد جعل الانسانية مصدراً لفرع المعرفة السبعة التي عني بجميعها على قواعد التسلسل والمقارنة والتمييز لتلتقي جميعها في دائرة واحدة دائرة الحياة الاجتماعية وتنتهي الى ديانة انسانية تحكم الشعور والأفكار والأفعال في ظل نظام اجتماعي تقرأ في بعض عناوينه الاخاء. كبدأ والنظام كأساس والتقدم كغاية والتربية كوسيلة وان ديانة كهذه باستنادها الى الحياة المشتركة تبعث على الانسجام بين مصالح الفرد والجماعة وعلى التأليف بين المداكر ضمن شرائع لا يخرج عن الحدود اليتيميات من محسوس ومقول . فلا بد مع هذا كله من احترام الحريات الروحية كسواها ومن وجود سلطة روحية تساند السلطة السياسية في تدعيم النظام الاخلاقي من غير ان يحصل اختلاط بين السلطين فالعقيدة الانجيلية هذه موجودها العلمية والسياسية والدينية تستطيع ان تكون على رأي واضحا هادية العالم كما يستطيع علماءها ان يكونوا قادة العالم وهادته وان ينتظموا بجاعات وينتشروا في الارض جاعلين من باريس لهم عاصمة روحانية وهو لم يتردد في ان يعرض على امراء السياسة والدين اعتناق دعوته .

ينعقد الاجماع على ان هذه التعاليم قد بعثت في القرن التاسع عشر تيارات مختلفة فيها اختصارا لما جاء من قبل وتقيدها لما ظهر من بعد وقد امتدت من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين بعواملها وموثراتها وانتقلت من فرنسا الى اوروبا ومن اوروبا الى العالم وتبوت مكانها بين اعظم الشرائع المسيطرة على الاجيال وانتارت سبل البحث امام الكتاب والمفكرين وهكذا ترى ان كلود

تنتظروا مني ان ارسم لكم صورة كاملة للملامح جامعة الارصاف عن النافذة الفرنسي اوغيبست كونت فيها وضع من مؤلفات واحداث من تأثيرات ، واميحوا لي ان اذكر لكم على سبيل التقرير والمقارنة صورة بارعة الرموز يرجع عهدها الى ما قبل القرون الوسطى . تتمثل فيها الفلسفة جالسة على عرشها وقد جلس سقراط وافلاطون الى قدميها ، ومن صدرها تتسدفق الانهر السبعة للفنون الحرة التي تتبدى بدائرة الاخلاق وتنتهي بأفق النجوم . واما نحن الان في القرن العشرين صورة اخرى يظهر فيها اوغيبست كونت جالسا في مرتبة اعظم مفكري العالم يعالج الفروع السبعة للمعرفة التي تبدأ بالحسب وتنتهي بالاجتماع وتنعكس جميعا في ديانة عالية جعل نفسه كاهنها الاكبر . فالانهر السبعة للفنون الحرة والفروع السبعة للمعرفة الشريفة قد جمع بينها هذا العبقري الفرنسي ونشرها على العالم آيات بينات . واذا القينا نظرة على ما ظهر في فرنسا خلال القرن التاسع عشر من آراء وأفكار وطرائق نجد ان تعاليم اوغيبست كونت هي التعاليم الوحيدة التي تجاوزت الحدود في تلك الفترة الى اوروبا بل الى العالم . فنقلت الفكر الفرنسي اكل تمثيل واضربت روح ذلك العصر في وضع الاشكال فلا غرابة مع ذلك ان يقول اميسل فاكهه في واضع العقيدة الانجيلية انه زارع الافكار والحرك الاكبر في عصره لتأوى الذهنية واعظم مفكر عرفته فرنسا منذ عهد « ديكاوت » ان في هذا القول تمييزاً حقيقياً الرجل الذي غر القرن التاسع عشر بنظرياته وافكاره بحيث لا يكاد الباحث يخطو خطوة في ميدان الفكر الحديث حتى يبتين آثار اوغيبست كونت مترددة في اساليب وصيغ مختلفة وفي هذا الصدد قال الكاتب الاشهر ليني بريل بدقة الرسام الشاعر ان تأثيرات كونت ممتزة بمجاري التفكير العامة امتزاجاً دقيقاً قد لا يلاحظه الناظر كما لا يلاحظه الهواء الذي يشقه .

من مثل العلامة ديكري يتتبع باسم الاجابية النظريات المختلفة في تعريف فكرة الحق والواجب .

قلما نشهد على صفحات التاريخ القديم والحديث عالماً كاوغيست . كونت تمكن من ان يملك على رجال الفكر مشاعرهم الى هذا الحد ومن ان يجمع في أساليب تفكيره مسائل العلم بأوسع معانيها ومبانيها ووسائل الدين بتفاصيلها . كلما زى رجال بلغ به حب الاحاطة والشمول الى ان مسمى نفسه كاهن الانسانية الاكبر فاصطنع مذهباً يقيم عليه الصلاة ويقدم الضحايا هو مذهب الانسانية التي سماها الكائن الاكبر ووضع لها دستوراً جامعاً لاصول العلم والاجتماع والدين ينطوي بالاخضرار على خمس عشرة شريعة هي دعائم فلسفته الاجابية شعارها السياسي نظام وتقدم وشعارها الديني الايمان بالانسانية والعمل في سبيل الناس . اما شعارها المشترك فينحصر بالعائلة والوطن والانسانية .

وليس الاوطان على اختلاف مواقفه ودساتيرها سوى اجزاء واحدة هيكل واحد مترابطة بحيث اذا اخلت جزء منها شمل الجميع بكامله فهو لا يتردد في تجسيد وطنه تجسيدا يتفوق مع مقامه وتقاليد . وهو يقول ان فرنسا جندي من جنود الانسانية ذو نفس جبار يأبى ان يظل مكتوف اليدين في وسط الانزمات الاخلاقية والسياسية وان يبني الواسي تجاه الامم النازعة الى التسيطر او ان يقف موقف المتفرج بين ظمى تيار البربرية على التشنج والفوضى على النظام . ففي هذه الاونة المفجعة حيث تضطرب اسلاك الفكر والروح نجد دليلاً في جملة الادلة على ان واضع الدعوة الاجابية قد تبين من خلال القرن التاسع عشر بعض مشاكل القرن العشرين وقد اشار اليها في مجاته الجامعة بلهجة الجزم والتأكيد قائلان ان الفوضى الفكرية ولا سيما فوضى التعاليم قد تحفز تزعات التسيطر وتنتهي بالانسانية الى الثورات والحروب وان السلم العالمي لا يقوم الا على الفكرة العالمة . ان في هذه الحقائق اختصاراً مفيداً لبعض العوامل التي ادت الى الحرب الحاضرة حيث زى العالم يهبط الى جميع الحرب منشطراً الى معسكرين يتجابهان باحدث وسائل الفتك والتدمير ولا يرى موقفاً ادعى من هذا الموقف لترديد قول اوغيست كونت ان جميع الحرب قد يكون مفروشا بالكيانات السلمية في هذا القول يجد انقلاب الديقراطية صدى سابقاً لتصرحاتهم بل نورا على نور وقوة على قوة يستمدونها من احده اعظم ممثلي الفكر الحديث .

نسب بريك

برنار في ابحاثه الفيزيولوجية قد استوحى اوغيست كونت وكذلك العالم الآخر امير فيا كتبه عن فلسفة العلوم ، اما فيستل دي كولانج وربنان وتين فقد تأثروا كسوام بذلك الفكر الجبار المسيطر وكان لهذه التعاليم اثر ظاهر في اتجاهات مشاهير رجال الفكر في الخارج كستيفرت مل ودروين وسبشر فان عقيدة الاجابية هي التي اعطت لعم الاجتماع صيغاً علمية وظهرت من خلال الحقائق العامة درجة التفاعل والارتباط بين فروع السياسة والاقتصاد والاجتماع فكان من نتيجة ذلك ان تأسست في المانيا المدرسة المعروفة بالتاريخية واكبر الفطن انها تأسست على يدهيقل . وما لا ريب فيه انها اعتمدت نظريات كونت في توجيه الحركات الاقتصادية السياسية والتطور الاجتماعي وفي هذا الصدد يقول الكاتب الابطالي شياترلان ان الدراسات الاقتصادية ذات الطابع السياسي والاجتماعي في المانيا مدينة لتعاليم اوغيست كونت وكان من نتيجة ذلك ايضا ان قامت في ايطاليا ذاتها حركة اخرى مشابهة في السياسة والاجتماع والاقتصاد اعانتها على تدعيم كياناتها الناشئة . ولم تقف دعوة الاجابية عند هذه الحدود بل تحطمت الى هولندا وبلجيكا وسكندنافيا حيث تركت اثرها بالغاً في ميادين الفكر والعمل وتسربت الى آسيا فكان لها اصدائها المستعجة في تركيا وانتقلت الى الشرق الاقصى فكان لها في الصين وفي اليابان انصار واتباع من الفئة المذورة ففعوا عليها في ما اعترض بلادهم من تحول وانتقال . الواقع ان تأثيراتها في هذه الامم قد اختلفت باختلاف البيئات ومبلغ استعدادها للتطور ودرجة حاجتها الى التجدد والاصلاح واذا التينا نظرة اخرى على العالم الجديد نجد ان اميركا الجنوبية قد تأثرت تأثراً ملحوظاً بالتعاليم ذاتها فالولايات المتحدة البرازيلية كانت من اسبق تلك الدول او اسبقهم لالاخذ بهذه المبادئ . فقد رصعت علم بلادها بهذه الآلية من ايات اوغيست كونت نظام وتقدموهي شعار طريقته السياسيةوسطرت في دستورها نصوصاً تحترم الحرية الروحية كسوامها على اساس التفريق بين السلطة النظرية والسلطة العملية والتمييز بين الروحية والزمنية وهكذا زى تعاليم كونت حلقة ممتدة من حلقات الاتصال بين جز . من آسيا وجز . من الشرق الاقصى وجز . ثالث من العالم الجديد . زاهها عامة جامعة بمؤثراتها في الجانب الاكبر من الانسانية شاملة شمول الفروع السبعة للمعرفة البشرية وقد انعكست في جميع مظاهر التفكير حتى في دوحات الشعر والقصة وتسربت الى اندية العلم وجامعه حتى الى مدارس الحقوق حيث زى بعض رجال الشرع

راحة الضمير ...

فلم سربل الربيع

اليها ليتزخروا من ما فيها ... ولقد ارتضيت ذلك المتغيّأ متأسكاً
اهم فيه ما حلالي بين حفيف الورق ، ونفحة النسيم ، وتهديد
الطيور السعيدة ... وكنت اخالها سعيدة لانني اتاسعيدا ...

وتوجهت ذات يوم الى متغيّأ في راد الضمير ، وما كدت
ابالغه ، حتى عني لي فتاة قروية ، تنطق بسمه ثغرها النسق بناعم
الامل ، ويتم يريق عنها الصافية عن مرهف العاطفة ، وتشف لفنة
جيدها التلع عن سحر الجمل ، فصرفتي مرأها عن استئناف التلاوة ،
ورعت اتبعها نظري حتى بلغت العين ، وما هي الا لحظة ملأت
فيها قربتها حتى عادت بشبع المرح على وجهها الريان . ولما بصرت
بي بين الاغصان ، غاضت بسمتها وقالت تحيي بصوت خافت -
« صباح الخير » فرددت عليها السلام ، وترقبته حتى غربت عن
نظاري ... وعدت اتابع المطالعة وقد شعرت بسرور غريب لا
يثل الفرح وان كان يثل بعض الراحة ... ولكنه لم يكن الا
سرورا عابثا ما لبث ان تلاشي بعد لحظات ...

ولدت الفتاة في لي اليوم التالي ، فاضت بصرها الى حنفي ،
ولم تحيي ... ولكي لحظت منها ان الحقد قد احمر خفراً ...
وعلى هذه الحال مرت ايام تسعة ، لم يكن البدع فيها الا ان الفتاة
كانت شاول - اذ تلعني وتحمر وجنتها - ان تنكلم ، ان تنطق
بشيء ، لعله طرح السلام ، فلا تجرؤ على ذلك او لا تستطع ...
ولا ريب ان نظرتها كانت تحوي الى احترامها الذي تكنه لي
لكوني مندياً وهي قروية ما يسر عن شعور جديد اضطرب فيها
لاول مرة ... وهذا الشعور الجديد الذي اخاله يرف في مقليها
شغل بالي فصح عزمي ان انقطع عن القول الى متغيّأ ...
ولكن ... الفيتي في اليوم التالي تحت الشجرة كأننا انتظر احداً
من الناس ... وعادت القروية الحسنة ، بعد ان ملأت قربتها ...
واحسست قبل ان تحاذيني انني عطشان - ثم اشدت بي الياث حتى
خلت بان ريقني لن يبلل بعد لساني ... وبني من الاضطراب
رغبت الى القروية ان تسقي من قربتها ... ولحيتها تضطرب اذ
لم تجد ما تسقي به ، فاذا انا ابسط كني ثم اخمها ، واذا هي

« ... واني اذ استدير تلك الذكرى ، استديرها مدسكراً في
الصدر هم رازح ، وفي الفؤاد الممرير ، وفي العين دمة حرى ...
واني لاخشي اخشي كلها الا يرفع الله عن كاهلي اصر هذا الندم
القاتل الذي يتر في النفس فيرمضها ... وإن اوم من افاعة قصي
الا ان يشعر الناس شعوري ليندموا ندمي ، ويقاسموني اسني ، على
في الاكثار من الاستغفار بحالاً للأغفران ، واني لثوبه الله علي الكثير
الرجاء ، ولجأت حريص ...

... كنت في الثانية والعشرين من عمري شاباً مل جواشه
امل الشباب الغض ، وطني جنبه امانني الصبا الرفافة ، ولم يكن
يتضمني الشعور بالي شاب ... وسعادة الشاب في الحق ان يتر في
ذهنه هذا الشعور ... وكنت اتوسم من امانني التي اتزع بها
فؤادي مستقيلاً ان تضن علي به الايام البيض ...

واقد كنت اوثر الوحدة والانعزال لما قطرت عليه وعردته
من ملازمة غرفتني منذ نعومة اظفاري ، ولما لي لهذا السبب كنت
الح على والدي في اختيار اكثر المصانيف حظاً من المصانيف ...
قسماً من البعد عن جلبة المدن وضجيجها ... ولقد وقع اختيارنا
في تلك السنة على قرية «بوراج» مصيفاً لنا .

اما الدار التي نزلناها ، فهي مسن ارفع الدور ، يتسنى للمرء
منها ان يستعصي بنظره حدود «البقاع» كلها . وكان بلدي اياما لدة
ان اتوا كروسي الطويل اجيل طارفي في مغان هذا السبل الواسع
الذي يتنظم بقعا مختلفة الالوان تسر العين وتتعبها ، ولا ينقصها اشارة
من روعة الطبيعة ... وما كان لي الا ان اجلس على الشرفة حتى
اصيح الى اصوات المياه تفيض وتندرج ناعمة هائلة ، تبعده رويداً
رويداً فلا اعرف اين تصب .

عشت في «بوراج» في غاضف من العيش يستعف الزمان ان يشده ،
وكانت كل مغان الطبيعة هناك تحووني الى التأمل ، فغربت
بالمطالعة ، وكلفت بالقراءة . فكنت اذا شرعت جاليز الدوح
تصدح ، اصططب كتابي الى شجرة غينا . ترمي من شرفة دارنا ،
ويرى الذي يتغيّأ ظلالها الوارفة عيناً قريبة يتردد سكان القرية

تقبل قربتها فيجند الماء على كفي خصرأ صافياً ... وكلما لحظت
ساعتئذ ان كفها كانتا ترتشان وهي تصب لي الماء .. وشكرتها ،
فودت لي الشكر ببسمة كلها سحر ودلال .

واذ عدت الى داري في نار الظهيرة ، استشعرت لوأمن الضيق
يأزح هدوني ... وكان طبيعياً ان يهدد الوجدان عزم الانقطاع
عن ارتياد المبتنى ... وكان عزمأ حازماً أیده الاعتقاد بان من يغرض
الى السعادة انما هو بالنها اذا حاول ان يبعد اي هم من ان يعروه ،
ويقضي على اي بأس من ان يتسلكه ...

والحق ان فكري يومذاك لم يزل لحظة عن التدخل في الشعور
فكان يقارن بين ساعاتي الماضية التي لا تحمل غير الانسراح
والهدوء والصفاء ، وبين هذه الساعات التي بدأت ضروب من
الضيق والمهم تشوبها ... وبلغ من حي لهذا الرأي « اننا السعادة في
هدوء البال » ان اتخذته عقيدة فكرية عمال على نقضها ... واذأ
فلقد عزمت ان احتفظ بهذا الرأي ليقودني في ايامي المقبلة ، كما
قادني حيناً في ايامي السالفة ... وتقلب الفكر على الشعور
وتبوءت في اليوم التالي كرسي الطول على الشرفة المطلة على
الشجرة الوارفة ، وبعد هنيهة تحت القروية مارة تلحظ اليها ، ثم
حين لم تلف احدأ اخذت تحيل الطرف حولها حائرة متموزعة الفكر ...
وكذلك تقضت بضعة ايام وانا ملازم كرسي على الشرفة ، وهي
على هذه الحال من الحيرة والاضطراب . وبعثها ذات يوم تنظف
على الشجرة وتستقيم الى ظلال الورف كأنها تستجم ... ثم انفتلت
عائدة من حيث انت لم تملأ قربتها كأنها ضلت طريق العين ، او
سهت انها تحمل قربة . ولذي لاحظته كذلك ان في عينيها عزمأ
جديداً أستحققه ...

وعلمت ان والذي تشككي قلة المساء في الهار وترجوني ان
اجث عن يزودها منه على قدر حاجتها . وبجث طويلاً فلم اهدت
الى احد . والحل الذي في طاب الماء حتى بلغ الحاحه اللضب ،
فلم اجد بدءاً من التزول الى متغياً انتظار ان تمر القروية الحسناء
عليها تقبل طلبنا ... وكنت اعلم ان في ذلك ايداء لي ، ولكن
لحاجة امي اكرهتني على قبول هذا الاذى ... ولبثت انتظر الفتاة
فلم تمر ... ثم ترقبتها في اليوم التالي فلم تقار ، فرجت ان قد
يسكون تقاعدها عن غشيان العين شغل ... ولكن ثلاثة ايام مرت
بعد ولم يلم بالفتى . وعزمت ان اترص يوماً آخر ان لم تقار لي فيه
اضطرت الي ان احمل الماء بنفسني الى دارنا كي اخفف من ضيق
امي وغضبا ...

وهذا هو اليوم السادس يكاد كله يتجزم ... وهأنذا اعود
الى داري وقد داخلي بعض الانسراح وآثر ان تحمل هذا الجهد
على ان تحمل ذاك ... واني لي منتصف الطريق اذ ابصرتها آتية
مطرقة ، ثم رفعت بصرها فرأني ... وتسن لي ان لاحظ انها
عبرى حزونة . وفجأة رأيتها تنزم على المني ، فلم ادر اي شعور
عراني فاقفها ، وحدقت في وجهها اريد ان اكلم فلا يتأني لي
ذلك ... ثم سمعتها تقول بنبرة حادة دون ان تنحي الي بصرها :
— ماذا تبغي مني ؟ ... دعني ... من انت ؟ ... انا لا
اعرفك ...

... وكان ضيق شديد يختلف علي فيشقق صدري الخافق
الملح ... وكذلك لم ادر كيف تقدر لي ان اسارع بالقول في نعم
مستطيل :

— اوه ... انا اعرفك ... اعرفك ... يا ...

ارتج على ، فلم اتم . ولكنني لاحظت ان وجهها يوشك ان
يتهلل ، ودرت اليه فأخضت فنتته بجماع فوادي ... انه وجهه
دائم فيه حسن وفيه سحر ، وما كان يكون هكذا دائماً لولا
ان نحابل الألم وساء الاسى وطلائع المرض قد رسمت على تقاطيعه
وهما مؤلاً ... ثم رأيتها قبيل اسفارها المهدب ، فلم ادر ماذا تروم
ولكنني سارعت الى القول في صوت خافت :

— يا ... ان دارنا مقفلة الى المياه ، فهل ترضين ان تزديها
ببعض ماء العين ؟

فرفعت الي عيني حائلتين وارتنى منهما نظرتين ساهمتين ،
فيها بث وشكوى ... وتصمتت انني لم افطن ، واستعجلتها
الجواب ، فقالت بصوت هامس يشف عن هم مكبوت ، واسبى
مكثون : صحبته تنهدة طويلة :

— نعم ... يا معلمي ... نعم يا سيدي ...

والثبث قافلاً الى البيت ، وعند المنعطف لحظت اليها ،
فالفيتها حيث هي ، لا ترم ولا تقضي ... وكان طبيعياً الا يغنى
علي ان الفتاة القروية نحوي صورة وكثافتا ... وسرعان ما عزمت الا
أستلين لنذل قلبها ، فأصبح من جاح عاقلة واحد من حين دوشي .
وكنت اثق ثقة لا يخالطها شك ان ليس في غير ذلك ابقا . لاسعادة
التي ارمعها واحاول جهدي ان احفظها ... واذن ، فليقب القواد
في أساره ومحبته ...

وحين اقتت في صباح اليوم التالي وخرجت الى الشرفة ، ما
لبث ان طلع علي طيف يمسك قربة على رأسه ... انها هي ...

« مياسة » .. ويا له من قوام مشوق يتخطر في دل ، ويتأرجح في فتنة ..

اذ ذاك فحسب صح عزمي على الآ اظهر لها ما مدنا في « بوارج » ، ولعل لي في هذا العزم تحزناً من الطاعة للاغراء ، وتقية من الوقوع في الشباك المحظورة ، ولعل الفتاة فيه كذلك دافماً للانصراف عني ..

وكان مما هيأ لهذا العزم الجو الصالح هذا الكتاب الذي وردني من صديق لي يستأزني فيه الى داره في مصيفه الجميل « كيغون » .. وما زلت اذكر انني رأيت في متعطف قريبنا الاول - بعد ان استقلت السيارة قاصداً قرية صديتي - يداً بيضاء كانت تلوح بمندبل اخضر .. ونظرت من نافذة السيارة الخلفية فأبح لي ان ارى تلك اليد البيضاء تهوي بذلك المندبل على العينين ..

زحبت لدى صديقتي في « كيغون » تسعة ايام ما كان اعنيها واحلاها .. وإخجال ان حلاوتها ترجع الى انني ابتعدت ردىاً من الزمن من يحاول ان يشغل بالي .. وحين قلت الى « بوارج » شرقتي امي بوجه مشوق .. ثم علمت منها انها عادت تشتكي قلة الماء لان القروية « مياسة » قد انقطعت عن الجي .. منذ ان غبت .. فسررتي البأ وقلت في نفسي « لقد نسيت » .. ولكن امي عادت وبلغتني انها التستها في دارها فلم تجدها وان اهلهما في بحث عنها متواصل وفي خوف عليها شديد .. ولم احاول ان اتني عن نفسي ان تلك كله صلة بي مباشرة ؛ بيد انني اصطلمت الالابالة ..

وهبطت في اليوم التالي الى « بيروت » بغية في التزويج عن النفس ، ولكن ما كاد المساء يهبط حتى كنت عائداً الى « بوارج » .. لا ادري ماذا كان يربطني بتلك القرية المشؤومة ؛ وعلت اذ بلغت القرية ان « مياسة » قد عادت واستأنفت عملها ، وان والدتي حاولت ان تستأجر سر غيبها ، فلم تقنع .. انا شياً من هذا لا اكثرت له ، انا الذي اسقط العيب .. انها عادت .. فلا عضم بعد بعديتي !!

ونهضت في اليوم التالي باكراً فقصدت الجبل .. الى حيث لآتراني ولا اراها .. الى حيث يضفي علي السكون اثواب الهناءة ، والى حيث يسبح علي التفكير استار الهدوء .. ولم ارجع الى داري الا بعد ان طلعت الشمس ، اعني بعد ان انتهت عمل القروية .. وحين وبلت الدار التست امي فلم اجدتها مورجت انها لدى احدي الجارات ؛ ولكنني حين توجهت نحو غرفتي تطرق الى صممي غيب شجي ، فاندفعت ظاناً ان قد مس امي سر .. ودخلت الغرفة على

عجل .. ومادعني الا ان المحها هي « مياسة » جالسة على كرسي دان من سريري ، حانية رأسها فوق قربتها وضعتها على ركبتيها ، تلشج وتلتجب .. وقادتي رجلاي على رغم من اليها .. وهانذا ارى شعرها الاشقر الذهبي متموجاً راناً .. واذا لامست بكفني عاتقا تنهت مذعورة ، ثم انتصبت واقفة ، ونظرت الي غاضبة ، وقالت بلهجة حازمة حادة محملة بالامس والغضب :

- ماذا تبغي مني ؟ .. دعني ، من انت ؟ .. انا لا اعرفك .. ولكننا ما كادت تفرغ من النطق بهذه الجملة ، حتى سكن نفسها فجأة ، وانتصت حدقها ، ثم انح عني بصرها ، ثم عادت فحدقت في لحظة اخرى .. وفجأة انقلبت اسارير وجهها .. فارتقت على الكرسي تقول بنحيب هادي :

- آه .. حلمي .. سيدي .. معلبي

نطقت سامتتذ على غير شعور مني باسمها وأسائها ماها ، فلم نجيب فجلست على حافة سريري عن كتب منها ؛ واعدت سوالي .. واذا ذاك رفعت الي عيني ارمضها بكاء لا ينقطع ، وثرهما دمع صيب لا ينف .. ثم التفت الى النافذة وواعدت ذكر اسمي بتنهدية طويلة ومدت كفها ، فأخذت به كفي ، ولم استطع ان اقاوم رغبها فانقضت بصري الى الارض ، وإن بدني لتحرق بنار يدها .. وكلمت « مياسة » الزوية الحسنة زماناً طويلاً ، وانا لا احاول ان استصغيت ، فمعت عن جميع عواطفها منذ ان رآنتي الى ان قصدت كيغون ، واعلمتني انها لم تستطع بعدي صبراً ، فخرجت من قريبها وسارت يومين كاملين تسأل الناس عن كيغون وعن ابعادها ، وكانت آخر جملة قالتها : - وتمطف لي اتاس فاطموني من طعامهم ، وآووني في ...

واذا ذاك نلها البكاء ، فأثرت الكف عن الكلام .. ورأيتها هذه المرة تحي رأسها فوق وسادتي ، ثم ترمخ خديها بغطائها الرقيق فتبalle .. وكان الشعور العميق يتكاثف علي بالهجرة والاضطراب والتردد حين سمعتها تقول :

- حلمي ... حبيبي ...

وتقدمت منها فجأة ، رفعت رأسها عن وسادتي ، وطوقت كتفها بذراعي ، ثم اهوت على شفتها بقبلة عميقة شديدة .. و نهضت اريد الخروج ، فعملقت بذراعي وقالت بلهجة تشف عن الامل العريض :

- يا حلمي .. يا معلبي .. اتخوذوني خادماً في دارك ازل معكم الى بيروت ا

تشق طريق القوية ، واذا ذاك فحسب شعرت بأن الكايوس الذي يروح تحته صدري يسقط عني ... لقد تحورت من محتبس الالم ، وانطلقت من اسارهم ...

اما هي ، اما « مياسة » القوية الحسنة ، فلتنفل ما بدا لها .. وبلغت السيارة منطفة القوية الاول . فاذا بي اراها هي .. مياسة .. منتصبة بقامتها الفاعرة المشوقة ، باصة عن ثغرها النسق مرتدية اجل ثيابها ، متجملة متريفة .. كانت على جمال لم احلم به يوماً ...

واشارت بيدها تستوقف السائق ، فاذا بوجنتي تحمران من الخجل ، واذا بصدري يتشقق من الغضب ، ولم اتفاسك ان اعبث بالسائق الا ليلفت ولا يباوي عليها ... فتابعت السيارة سيرها ولكن على رود ...

وهذأت نفسي وسكنت رائعتي .. وملت الى النافذة الخلفية اود ان اودع القوية بالشاردة من يدي .. ورأيت بسمتها تقيض .. وسرعان ما كسر وجهها .. ولكنها مع ذلك ما زالت تتبع السيارة نظرها .. وفجأة لحها ترفع ذيل رداها الضففاض كأنها تتأهب للحاق بنا .. وعدت قليلاً .. فرجع الي غضبي ، وصحت بالسائق ان اسرع .. وما ان رأت السيارة مسرعة حتى اسبلت ذيل رداها وتوقفت لحظة وقد اتيمت حذقتها وجعلت عينها ، ثم عدت مرة اخرى ووقفت على شفاهاوة على جانب الطريق الايسر ورفعت ذراعها .. وتشرفت بنظري ، فلم ار احداً ..

عراني دوار شديد ، فارقت على المقعد منهوكا وكدت افقد رشدي . فصاحت فجأة بالسائق ان يلف ، وانطلقت اعدو مجنوناً غير واع ... حتى اذا بلغت الشفا ، رميت بنظري في القرار ، فاذا بي ارى جسداً قتيلاً ناهداً ... يتخبط ... واستلمت ان الملح على مقربة من الرأس صخراً صغيراً بدأ الدم يسيل عليه ... انه دم اخر ... ما اقناه !! ...

في تلك اللحظة فحسب ، ارتضت العين ان تستعبر بدعمة واحدة ... ولكنها دعمة لا يزال حرها يلهم جفني ، ويجرق اشغاري .. بيد انني منذ ذلك الحين الى ساعتي هذه لم انقطع عن التساؤل : أليست الرغبة في الابقاء على هدوء البال ، هي التي بعثت بكل هذا المم الى البال ، وبكل هذا الشجو الى الضيق؟؟

سزيل الدريس

فلم ازد عن وعدها خيراً ، وخرجت من الدار يسوقني شعور مبهم حائر .. وحين قطعت من الطريق شوطاً بعيداً توقفت فجأة وقد عراني غضب شديد ، قد يكون غضباً على نفسي ، انا الذي يروم ان يعيش هادي . البال ... ورجعت الي عقيدتي تلح على الفكر احاطاً شديداً حتى لتغرق الشعور في اللاوجود ، وتلكسني الاسف على ما بدر مني ، وعلى ما تعجلته نحو الفتاة من الوعد والرضى ... وحين كنت في طريق العودة - وان الليل ايشد اسوداده - احسست ان الشباب يعود الى الوعي .. إنه الشباب يتعقل ...

وافضيت الى والدي ليلتذاك برغبتني في تعجيل هبوطنا الى بيروت ، وباني لم اصب في هذا الجبل اي حظ من السعادة والسرور فوافقت على رغبتني قائلة انها هي الاخرى لم تجد في القوية مبتغاها .

اما الوعد الذي حملت فيه بعض الامل للقوية ، فكان وعداً مزبناً .. ذلك ان خادمنا في «يعوت» كان ينتظر عودتنا وهو في خدمة بعض افراد العائلة الساملين . غير اني لم ارتض بعد ان اصدم القوية بمقابلة جديدة ، لانني كنت اوقن ان سيكون لذلك اثر غير محمود العاقبة ، فكنت احادثها من غير مؤانسة ، واكلمها من غير تقويل . ولكنها مع ذلك كانت تقبل طروباً بشيخ الجبل في بحاياها البسام .. وكانت تسأني عما وعدتها فيه خيراً ، فكنت اجيبها بانني لم أشر بعد على والدي . فتسكتني بعض العتاب اللين الهادي . وما لاحظت في ذلك الودح من الزمن انها كانت تعمل بجد لم اعهد عليها ... وكم للامل من اثر في حياة القلب العبداء ...

وتعجلنا العودة ، فاستغرق الاستعداد والتهوير . اياماً ثلاثة حاولت فيها جهدي الا اظهر للقوية وجهاً لوجه حتى لا تخرجني اكثر مما فملت في سوالي عما وعدتها فيه خيراً ... وكانت هي الاخرى لا تتوق بعد ان تسألني ...

واشرت خمس اليوم الرابع وإن هدومي يرجع الي رويداً رويداً . وانهسكتنا في نقل المتاع الى السيارة التي استقدمناها باكراً لتقلنا الى بيروت . وعجبت ان لم ابصر مياسة تآملتنا على نقل المتاع ، ولكن صدري كان متشرحاً ، ورجوت ان يكون سها عن بالها انه اليوم الموعد ، فأتجّب ما قد يكون له في نفسي بعض الاثر او كله ، وحملي فرح شديد اذ فرغنا من نقل المتاع ولم تب « مياسة » . فاستعجلت السائق بالمضي ، وانطلقت السيارة

الخيال الساري

انبثني عمّا يحول بعينك كِ وما لا يحول من ابرار
لا بعيني المسلاى من النور اشرفتُ على كنهها ولا افكاري
كلما ضجت الحقيقة في اذني اخلدتُ للخيال الساري
وتسمنت ذروة الافق الأعلى الى كل كوكبٍ سيارٍ
فأرتني عيناكُ أنك في آفا قها بعض هذه الاقمار
وعلى الارض بعض هذي التما ثيل من الناس او من الاحجار
وأرتني عيناكُ اني والصكو ن غريقان منك في تيارٍ

ARCHIVE
عقبر الفنان
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الامانيُّ أعلقت بي عينك كِ وعيناكِ رمز هذي الاماني
كيف لا ارصد النجوم لعينك كِ طوال الدجى ، ولي عينانِ
او ما جالتنا ، وقد خفق الحما لم ، من وجنتيكِ في بستانِ
تغلا النفس منه بالامل الغض رومى عقبريةُ الالوانِ
لا عيونُ الرائي تفوز بما لب صر منها ولا اكف الجاني
إنما هن في السما مثلُ الفنِّ وفي الارض عقبر الفنانِ

محمد علي الموماني

اثر الغزالي في المدارس المتأخرة

بفهم زهير فتح الله

ليسانسيه في الفلسفة من جامعة فواد الاول

بالقدر الذي يتطلبه ، وإن تأثيره فيمن أتى بعده من المدارس المتأخرة . وعلى ذكر المدارس المتأخرة هذه يجدر بنا أن ننظر إليها نظرة تفصيلية بعض الشيء ، أننا إن فعلنا ، نرى أن النشاط الفكري في تلك الحقبة من الزمن ، كان عليه أن يرتدي أحداً الإبداعية التالية :

١ - الفلاسفة الهلنستية ٢ - علم الكلام ٣ - العلوم الدينية

٤ - العلوم الدنيوية ٥ - التصوف .

مما لا شك فيه أنه كان للغزالي تأثير في بعض هذه الفروع . فمن أين أتى هذا التأثير ، ولم كان الغزالي تأثيره يحده البعض ويستجده الآخرون ؟ . إن السبب في ذلك بكل بساطة ، هو أن الغزالي كان له رأي في كل من هذه الفروع يخالف بعض الشيء . الطريق الرئيسي الذي كان يتبعه هذا الفرع ، كما أنه كان من حظه أن هذا التغيير قد صادف قبولاً عند عامة الناس فاعتنوه

أما طبيعة هذا التأثير وعمقه والدافع إليه فإني سأرجي . الكلام عنها إلى ما بعد سرد أقوال بعض الباحثين في الموضوع . يحدثنا مكندونل عن حجة الاسلام فيقول :

« إن الغزالي كان في الفترة التي تولى التدريس فيها في المدرسة النظامية في بغداد شاكاً كبيراً ، لم يكنف باحاطة الحقائق الدينية بهالة من الشك بل تعدى شكه في هذه الحقائق إلى الشك في إمكان أي معرفة يقينية . ثم عمد أذن في خدمة نظام الملك إلى الرد على الامامين والتعلميين والاشاعليين وكلهم باطنية .

ولكنه من بعد الضائقة التي مر بها أصبح يأخذ بذهب علمي وكان يعلم الناس أن العقل الفعال لا يجب أن يستعمل إلا في هدم الايمان الذي يمكن أن ينشأ عنه نفسه . كان يرى النظام الفلسفي الحائض لا يمكن أن يكون متيناً . »

ويرى مكندونل « أن المتكلمين الذين جازوا بعد الغزالي لم يفهموا أنهم لم يذهبوا مذهبه ولكن يظهر أن الاسلام الحديث يتزع إلى الرجوع إلى طريقته . »

هذا العنوان قضية يتطلب شرحها أن نعود إلى خط وهمي كبير نضعه عامودياً على خط الزمن عند فجر القرن السادس الهجري فنغسل بذلك بين حقتين طويلتين من احقاب التفكير الاسلامي : حقبة أولى تسبق هذا الخطأ الذي توهمناه ، وليس لنا بها علاقة مباشرة أو جدية

وحقبة ثانية تبتدي . بابتداء ازمة نفسية اصاب احد الاساتذة في المدرسة النظامية في بغداد حوالي سنة ٤٨٧ هـ . ازمة تطورت وتعمقت ثم انتهت بعد ذلك كسكل الازمات إلى حل يبالغ البعض في قيمته ، فيجعله سداً كسداً الصين وقف في وجه انواع التفكير المخالفة للعقيدة السلفية ، فحال بينها وبين النفوذ إلى الملايين من مسلمي العصور التالية ، كما يبالغ البعض في الازدراء بها - كهدامة لتأثير العقلي - ويذهب إلى أنها لا تعدو أن تكون زهرة يانعة من ازهار هذا البستان الذي لا يعرف الكلال اعني به العقل الانساني . زهرة اذا كان لها أن تمتنع بالصدارة في هذا البستان مدة من الزمن فإنه لم يكن لها أن تطفئ على موجودات هذا البستان الذي حواها ، وتستأثر بالحياة من دون هذه الموجودات .

عاش الامام الغزالي من ابتداء النصف الثاني للقرن الخامس الهجري إلى خمس سنوات انتقضت من القرن السادس ومر باطوار عدة من كفالة عند احد الصوفية إلى دراسة الفقه عند امام الحرمين ، ثم ممارسة للكلام والجدل ، حتى انتهى امره بعد الاتصال بنظام الملك إلى منصب الاستاذية في المدرسة النظامية في بغداد . وفي هذه الفترة الاخيرة يروي لنا مترجموه أنه انكب على دراسة الفلسفة حتى اخذ منها بنصيب يتناسب مع رغبته وتهيزه العلم . وقد تكلم الغزالي نفسه عن تلك الرغبة وذلك التهيؤ فقرر أنها كانت له منذ طفولته فطرة وجبلة . ان اتقل عليكم بسر ترجمه الغزالي كما اني ان احاول ان ايسط بجل آرائه وافكاره عن مختلف المواضيع الفلسفية والحكومية والصوفية والدينية ، وانما سأعرض إلى ذلك

لقد كان الغزالي يشعر بعد ما رأى من حوادث زمانه في اواخر القرن الخامس ان الاسلام بحاجة الى من يقوم فيه بحركة تجديد تشمل اول ما تشمل محاربة الهرطقة والاحاد .

لذلك رأيناه بعدد الى الفتنة فيزع عنه تلك المكانة العالية التي كان يتمتع بها ويظهره على انه ليس من صلب الدين . كما انه اظهر عدم فائدة تلك الدقائق الجدلية في علم الكلام . وعارض تلك النزعة التي كانت ترمي الى حصر ايمان العامة في مقالات يذهب اصحابها الي اثباتها بالنطق تلك المقالات التي كانت تسمى العقائد .

ثم كانت له خلال ذلك نزعة الظاهرة الى التساهل ذاهباً في ذلك ضد المتكلمين . في كل ذلك اعتبر الغزالي محي الدين ومجده . لقد رد الغزالي الفلسفة الى آراء واضحة خالصة من ذلك الغموض الذي كان يحيط بها عند من سبقه من اشتغل بها . وكان يرى ان الميتافيزيقا يمكن ان تؤسس على التفكير فقط . ونستطيع ان نعتبر هذا توبة لتلك الآراء التي كان يقول بها الاشعريون من قبله . واذا كان من تجديد يمكن رده الى الغزالي فهو انه جعل للتصوف مركزاً ثابتاً في مذاهب اهل السنة . وكان بذلك مكملاً لعمل التشيخي .

ولقد كان الغزالي يرى انه اذا كان والابيد من دليل على صحة العقائد التي وصلت اليها من السلف فإن ذلك الدليل لا ياتي الا عن طريق تلك الحالات التي تحصل للعادق . والذي يجب ان نلاحظه هو ان الغزالي رجع الى الحق عن طريق الخوف . ونحن لا نغلك انفسنا من التعجب عندما نشاهد عنده هذا التكرار المستمر لجهه وقد يذهب بعضهم الى القول بتأثير الغزالي في العصور الحديثة في اوروبا وذلك في ملبرنش وباسكال والقديس توماس مثلاً .

وتقرر ذلك هو جدي اكثر مما يظن بعض الذين تستهويهم مشاهبات ظاهرية او حقيقية فيعدون الي تقرير التأثير لبعض المتكلمين على بعض دون ان يكونوا قد قاموا بالتحقيق الكافي لمنع الاتبات ما يذهبون اليه .

ومعها كان من امر فان تقرير مثل هذا التأثير يتطلب توسعاً في البحث يضيق به مجال موضوعنا ، لذلك نكتفي بالإشارة الى امكان وجود هذا الاثر وننتقل بعدد رأي مكدونلد في الغزالي الى كارادفو حينما يتكلم عن حجة الاسلام فيقول :

ان الدكتور ساشو الذي كتب مقدمة لكتاب البيروني ،

وكان معجباً به كل الاعجاب ، اصدر حكماً قاسياً على الغزالي حينما قال : « ان القرن الرابع كان نقطة انحراف في التاريخ الفكري للاسلام . وما تثبت الاعتقاد السلفي وتحكمه حوالي سنة ٥٠٠ هـ الا قيد طرقت به الابحاث المستقلة فلم تقيم لها قائمة بعده . ولولا وجود الاشعري والغزالي لكان العرب امة تخرج امشال غالييله وكبلر ونيوتن . »

يقول كارادفو تعليقاً على كلام ساشو :

اننا في الحقيقة لا نستطيع ان نحاري ساشو في حكمه هذا . وذلك لان شروط انتاج العبقري لا تزال مجهولة او في حكم المجهولة . وفوق هذا يجب علينا ان نقرر انه لو كان لعبقري قوة كمثيرة غالييله وكبار ان توجد في الاسلام بعد الغزالي ، لاستطاعت با لها من حيوية وقوة ان تتخلص من تأثير ذلك الاعتقاد السلفي الذي كان يكون الاطار للجهوم من المتكلمين . وفوق ذلك فالمقرر ان نجاح الغزالي في دعوته لم يكن كاملاً لان ابن رشد حاربه اولاً ، وثانياً لانه وجد بعد الغزالي من ذهب هذا المذهب النقدي او الشكي فيما يتعلق بالثارت الذي خلفه لنا السلف . واكثر من ذلك فنحن نرى ان الغزالي لم يستطع ان يكون المسيطر حتى في مملكته ، ولم يتمكن من محو هذه الجادلات الكلامية التي كان يطعن اليها كثير من المتدينين .

اننا اذا كان الامر كما ذكرنا فمفسر هذه الرغبة التي شعر بها الفكر الانساني في الشرق ، كما شعر بها الاطنتان الى عقيدة ثابتة . . . لماذا نزع نحو التفكير في الشرق ابان تلك الفترة الى نوع من التحول والاستكسنة ؟ . . . لقد بقي هذا سرأ من الاسرار ، حتى ولو لم يكن الامر كذلك ، فانه ليس لنا ان نرجعه لشيخ او لشيخين على التفكير عامة .

انه من الممكن ان نزع ذلك الى نوع من التراخي والكلل في الجنس كما نستطيع ان نرجعه جزئياً الى بعض الاسباب السياسية والطريف في المسألة ان الرغبة في الاطنتان الى سلطة قديمة لم تكن قاصرة على الآخذين بذهب السلف ، بل انها كانت تعم المسكر الثاني في الفكر الاسلامي ، ونعني به مسكر الفلاسفة او المتحررين . يظهرنا على ذلك ان ابن رشد كان يجمل ارسطو ويتعلق به اكثر مما كان يله ويتعلق به المتقدمون .

ولقد كان سلطة القدامى في العلم تأثير ركيزي في الغرب ، كما كان للدين سلطة تقترض نفسها في كل مناسبة . لذلك كان على غالييله وديكارت اذ ظهرا ان لا يكتفيا بعد هيجات السلطة

الدينية ، بل مكان عليها ايضاً ان يجاربا نوعاً من السلطة العلمية التي كانت هي الاخرى تدعي كمال نفسها وتسعى الى اخذ الناس بالاقتدار بهذا الكمال ، ما وسعت الى ذلك سيلا .

اذن فظاهرة الرجوع الى سلطة من السلطات في التفكير كانت عامة في تلك الحقبة من الزمن . ولكن الذي يفرق بين الشرق والغرب ، هو ان الغرب ابتدأت فيه حركة مقاومة لهذه السلطة منذ عهد النهضة واستمرت الى ما بعد الثورة الافرنسية ، في حين ان الشرق لم تبدأ فيه هذه الحركة الا منذ اوائل هذا القرن .

ومعها يمكن من امر فائنا لا نستطيع ان ننكر مسا للزالي من عظيمة وخطر . نستطيع ان نقول عنه انه لم يكن ذا زعرة علمية بالاجمال . وهذا صحيح لقد كان مفكراً أخلاقياً ودينياً اكثر منه اي شي . آخر .

ولكنه في هذا بالذات كان اكثر دعوة الى التجديد في كثير من النواحي وبالتالى في الاجمال من خصميه ابن سينا وابن رشد . انه في حربه للفلاسفة قد حارب ومقدم ضد هذه المدرسة المتعالية وهذا التريط في استعجال الاستدلال العقلي ، بل نستطيع ان نقول انه قد حارب فعلا ضد اي سلطة يمكن ان تكون في الحل الفكري انه بحث عن حدود العقل ، كما اظهر يوضح مذهباً « ذراعياً » في مادة الايمان . لقد كان اخلاقياً موهباً ، كما كان محملاً ونفسانياً على طريقة المحدثين تقريباً . لقد وضع علم النفس قبل موضع القياس . ونحن اذا اعتبرنا نبل روحه ، وعظيمة حياته ، واتساع نتاجه ، ودعائه اخلاقه ، وامتيازه فيه ككتائب ، نحن اذا اعتبرنا كل ذلك فائنا لن نستطيع ان نتخلص من الحكم بانه من اكبر المتكلمين للفكر الانساني في تلك الحقبة من القرون الوسطى . »

ويقرب رأي دي بور من رأي كارادافو حين يقول :

« وكثيراً ما يقال ان الزرالي قضى على الفلسفة في الشرق قضاء مبرماً ، لم يتم لها بعده قاطنة . ولكن هذا زعم خاطي . لا يدل على علم بالتاريخ ولا على فهم لحقائق الامور . فقد بلغ عدد اساتذة الفلسفة وطلابها بعد عصر الزرالي مئات بل الوف . وظال علماء التوحيد متمسكين بادلتهم الكلامية يؤيدون بها المعتاد ، كما لم يترك علماء الفقه تدقيقاتهم وتقريراتهم ، وكان في الثقافة العامة حظ من الفلسفة . نعم لم تستطع الفلسفة ان تحرر نفسها المكان الاول ، ولم يتيسر لها ان تستعيد المكانة التي كانت تتمتع بها من قبل ، وكان الفلاسفة عرضة للاضطهاد في بلاد كثيرة ، لانهم

اعتبروا خطراً على الدين والدولة ، على ان هذه الحالة لم تكن سوى علامة من علامات تدهور عام في المدينة . »

هذا يحمل آراء بعض الباحثين في هذه الشخصية الفذة التي نسعى الى تبيان ما كان لها من اثر ، اوردها ونحن لا نقصد الى مناقشته واظهار ما نعتقد فيه من مواطن الاصابة ومواقع الخلل وانما قصدنا من ايرادها ان يكون للقارى . وجهات من النظر متعددتي اوزن بينها ويقارن ، حتى يخرج لنفسه بالرأي الذي يستريح اليه .

كنت ذكرت ان التفكير الاسلامي في تلك الفترة كان يرتدي احد الاثواب التالية :

إما الفلسفة الهلينية ، او علم الكلام ، او العلوم الدينية او العلوم الدنيوية او التصوف . رغم اننا لا نستطيع ان نطلق على هذه الاربعة المختلفة اسم المدارس (حتى ولو تأخرت) ، واننا نسعى الى بيان تأثير الزرالي في كل منها .

الفلسفة الهلينية : لو تعلمنا ان نتاج الزرالي الذي يدور بوجه من الوجه حول هذا الفرع من التفكير لرأيناه يقف على المنفذ والمضنوين ومقاصد الفلاسفة وتهاتهم . ماذا تركت هذه الكتابات من اثر ، واذا سلطنا لها باثماً ما ، فما هي طبيعة هذا الاثر اسلبية هي ام ايجابية ؟ . . . الحقيقة ان تقرير وجود هذا الاثر او عدمه امر شائك وصعب التحقيق . مما لا شك فيه ان الفلسفة — بالمعنى المعنى لهذه الكلمة — قد اصابتها وهن واختلال بعد الزرالي ، ولكن هل يرجع هذا وهن وذاك الاختلال بالذات ، الى المهجرات التي شنها الزرالي على الفلاسفة ومعتقداتهم ؟ . ليس من الثابت ان الركود الفلسفي قد ظهر واضحاً بعد ابن سينا ، وذلك ابتداء من اواسط القرن الخامس تقريباً ، اي قبل ان يوجد الزرالي او على الاقل قبل ان يكون قد آن لمؤلفاته ان تقبل فعلها المخدر في هذا النوع من المعرفة ان اثره هنا اشكال علم الاجتماع القائم حول طبيعة التقليد والابداع في المجتمع ، كذلك ان اقطع بين تلدد ودور كبرياء فيا اذا كان الفرد هو الذي يبدع فينبع المجتمع ، او كان المجتمع يتمخض فينبع رسوله يعبر عن اراء . يشير المجتمع بصحتها وبضرورة اتباعها ، لا ان افضل شيئاً من ذلك وانما ساكتني بلاحظة ان كتابات الزرالي جاءت في زمن كانت الفلسفة والاشغال بها ، كما كان المنهج التفكير الذي تخلفه هذه الدراسة ، عناصر مضطربة وخائرة ، فكان من اثر هذه الكتابات ان زادت في هذا الاضطهاد كما امتعت في ذلك الغرور . اما ذلك الاثر الايجابي الذي كان لاحد كتب الامام ، ونعني به كتاب مقاصد الفلاسفة ، وما

يذهب البعض اليه من ان التزالي قد افقه في زمن كان يهوى فيه الفلسفة ويدعو اليها ، فاني اظن ان ذلك فيه كثير من المراء ، حتى ولو صرح كارادوفو انه كان لهذا الكتاب الفضل في ابناءه بعض المسائل الفلسفية التي صعب عليه تفهيمها عند امة الاسلام ورغم اننا نقرر ان اثر هذا الكتاب من الناحية الايمائية كان معدوماً ، فاننا نرى ان مسألة القطع فنيا اذا افقه التزالي قبل الازمنة او بعدها ، اي قبل حربه على الفلسفة او بعدها ، مسألة تحتاج الى التثبت من تاريخ كتابة هذا المؤلف ، الشيء الذي نحن وباحثو الموضوع نخلو منه الان ، ونحن نغفل الى الذهاب مع جمهور البحث في ان التزالي لم يؤلف هذا الكتاب الا وبنيت الزد على ما ورد فيه فنيا بعد .

لنتنقل الان الى علم الكلام لنلاحظ الطابع الذي امكن لكتابات مجدد الدين ان تتركه فيه . يقول كارادوفو ان التزالي لم يجتزع نظاماً خاصاً في هذه المادة ، وانما يمكن القول انه قد طرد منها المشاغل التي لا طائل منها ، كما حارب حب الاستطلاع الدقيق والعجب العقلي ، وكان همه ان يجعل الايمان يطغى على الناس فيعمر قلوبهم بفيض مطمئن هادئ . هنا يطالب لنا ان نتساءل هل ظال المتكلمون اوفياء لهذه التجديدات التي رأى التزالي ان يحد بها من النشاط المتقد الذي كانت تضطرم به عقول فرسان الفكر آنذاك ؟ ... انه من المقرر ان كتابات التزالي ظلت حتى هذه الايام المرجع في المسائل التي يجتجها ، ولكن هذا لا يعني ان علم الكلام قد نام بعده او رضح لهذا الحد من نشاطه وطرقة الذي اراده عليه حجة الاسلام . . . لقد كان لنا بعد التزالي رسائل كلامية كثيرة وضعت على نحو يقرب من نحو الفلاسفة والمعتزلة اكثر مما يقرب من نحو التزالي . لقد كان المذهب الرسمي لاصحاب هذه الرسائل هو الاعتقاد السني الصحيح ، وكان هذا المذهب هو المقرر في رسائلهم ، ولكن روح هذه الرسائل لم يكن دينياً بوجه من الوجود ، انه يمكن بدون مغالاة عد هذه الرسائل رسائل فلسفية لما احتوت من حجج سكوولاستيكية ، ومن روح تحليلية تقرها من المعتزلة ، ومن انظمة الفلاسفة الذين اخذ هؤلاء عنهم .

من اصحاب هذه الرسائل نجم الدين ابو حفص عمر التسنيني المتوفي سنة ٥٣٧ هـ ، صاحب «العقائد» ، هذا الكتاب وما عليه من شروح ولتفتازاني وغيره يدلنا بوضوح على ان الدينيات التي كان التزالي قد تزوع عنها هذا الرداء الفلسفي عادت فظهرت بعده في ثوب لا يقل فلسفياً وتعلقاً بالحجج عن تلك الرسائل التي اظهر التزالي تعاليها في الجدل والرجوع الى العقل . تبديدي . هذه الرسائل ، كما

تبديدي . معظم الرسائل التي كتبت لنفس الغاية بتقدمة يسعى صاحبها الى بيان فضل العلم وامكانه ، هذه المقدمة التي كانت تقابل تلك المقدمة المطلقة في كتب الفلاسفة المشايخين لارسطو على العموم ، ترجع بدون شك الى روح افلاطونية غايتها الرد على السوفسطائية ، ولكي نقرر ان هذا يثاب ما اراده التزالي وما كان يرتئيه في الموضوع يكفي ان نقول انه ابتداء في كتابه «المفتد من الضلال» بتقدمة سعى فيها الى تقرير معيار للاعتقاد ، واكتفى بهذا السعي دون الذهاب الى تقرير صحة العلم وامكانه بل وجوبه : الشيء الذي اجمع عليه كتاب الرسائل الدينية من بعده .

يخلص لنا من كل ذلك ان التزالي لم يصل الى ما يريد من طبع النتائج الكلامية بطابع الايمان ، كما لم يصل الى ما يريد من نزع هذه النزعة الفلسفية والجدلية عنه ، وهنا يخلو لنا التساؤل : لم لم ينجح التزالي في مساهمة . . . فيجئ الى ان اخفاه رجوع الى اباء طيبة الكلام ذاته لتقبل الاصطلاحات التي ارادها له امامنا . ان وجود علم الكلام لم يكن الاستجابة لرغبة شعربا مفكرو الاسلام في الدفاع عن دينهم تجاه الاديان والمعتقدات المتسارية له ، وكان عليهم ان يتسلحوا بنس السلاح الذي يصطنعه غيرهم وهو النظر العقلي والجدل والحاجة . اذن كان طلب التزالي من علم الكلام ان يتجود عن هذه الدقائق الفلسفية وان يعتمد على الايمان ظاهراً غير معقول ، لانه لذلك يكون بالضبط كمن يترفع من المحارب سلاحه ، ثم يعزله عن ساحة المعركة ، ثم يعتقد انه قد ترك له الخيار في خوض غمار المعركة .

وهنا ارى تساؤلاً قلماً يثار على الوجود ، تساؤلاً يقوى ويشدد ثم لا يلبث ان يظهر واضحاً ويقول :

ما لك تتكلم عن محاربة التزالي لعلم الكلام ؟ ألم تقرأ التفاهات ، تلك الزائفة في الجدل السكوولاستيكي ، ثم الا تشعر ان التزالي في ذلك يستحق ان يوصف بأنه اعطى المعجزة السكوولاستيكية ، اقصى قوتها ونهاية شكها ؟ الا تعتقد ان مكدونلد على حق حين يقول : انه اذا كان الاشعري قد ادخل الجدل والمنطق اليوناني الى الكلام بطريقة تقتدر الى الكمال فانه ما لا شك فيه ، ان التزالي قد اتم ما بدأ به ذلك الرجل ؟ . . .

هذا التساؤل القاتل لم يكن الا دليلاً الى «الجام العوام» عن علم الكلام .

انتهأت الفلاسفة هو نتاج كلامي من الدرجة الاولى ، وانا اشعر بتعارض هذا الحكم مع ما ذهب اليه من رغبة التزالي في اهافة

الى تشديده بكانت في هذه الناحية.

والان وقد وضع موقف الغزالي من العقل والايان ، يمكننا ان نتكلم عن اثره في العلوم الدينية والعلوم الدينية . ان مؤلفه الرئيسي في الدين هو الاحياء . في هذا الكتاب يعد الغزالي الى تفصيل العقيدة والواجبات والمحرمات تفصيلا يمكن ان يعد مرجعا في الموضوع لمن اتى بعده حتى ايماننا هذه . وهو وان لم يكن من اصحاب المذاهب - اذ ان المذاهب كانت قد تقررت وشملت مختلف المواقف التي يمكن ان تتخذ حيال التراث الاسلامي - فإنه بكتاباته قد اوجد مرجعا مفضلا يجب منه كل من اراد ان يتبحر في دينه او يكتب ويؤلف فيه . انه موسوعة شاملة ، وبذلك فهو له فائدة الموسوعات واثره لا يخرج عن اثرها .

اما عن العلوم الدينية إن الغزالي لم يؤثر عنه اشتغال جدي بآدها واذا كان له من اثر فيها ، فانا هو ذلك الاثر الذي كان يمكن ان تتركه دعوته العامة .

واما اثره في التصوف فقد كان على الغزالي كلام من المتأخرين ، كما يلاحظ كارادوف ، ان يحارب في مادة التصوف من ينكر حقيقة التصوف والاتصال ، كما كان عليه ان يحارب الحلوليين والقائلين بوحدة الوجود .

هذا الشئ الاول من مهمة الغزالي يذكرنا بهذا الضرب من المعرفة الذي اخذ به الغزالي ، وهو القائل بأن الانسان يستطيع ان يصل الى الحقائق عن طريق الكشف . وموقف الغزالي حيال هذه النظرية ، هو انه يكفي بالاعتقاد بها ، واذا ما طلب منه اثباتها ذهب الى اثباتها بادلة من الدين وبشواهد من كبار المتصوفة دون ان يستطيع سبيلا الى اثباتها بالحجج والبراهين العقلية .

لو كان لنا ان نقرر مقدار نجاح دعوته الى هذا الضرب من المعرفة ، لقنا انه نجاح عظيم يكاد يكون شاملا اذا نظرنا الى مجموع الشعب . ودي يور يلاحظ ذلك ، فتراه بقر ، عند كلامه عن نواحي الحياة الفكرية بعد الغزالي ، ان عامة الناس اصبحوا متقادين لشيخ الصوفية .

ولكن كم كان مدى نجاحه في محاربة غلاة المتصوفة النازعين الى القول بالحلول وبوحدة الوجود ؟ . . .

ان استطلاع قائمة كبار المتصوفة بعد الغزالي ، كما ان استجلاء نظرياتهم ودقاتها يدلنا على ان نجاح الغزالي في محاربته للحلولية ووحدة الوجود لم يكن ذا اثر بالغ او انه لم يبع هذه التمرة بالمرّة . فابن عربي مثلا ، الذي استباحة الى اظهار تزعته القوية الى

جناح علم الكلام ، واذا كنت اشعر بتعارض بين دعوة الغزالي وبين تصرفه ، فاني ان اقصر دون محاولة ايجاد تفسير لهذا التعارض . اذا كان الغزالي يصطنع في رده على الفلاسفة هذا النوع الراقى من « الكلام » الغني بالحجج والدود والادلة ، فلم يدعوا في مواقف متعددة من كتبه الاخرى الى تجريد علم الكلام من هذه النجعة العقلية وبطلب منه ان يقتصر على الايمان ؟

يظهر ان الغزالي حينما كان يدعوا الى تلطيف علم الكلام ، انما كان ينظر الى تأثيره في عامة المسلمين ، ولا اقصد بعامة هنا ، جهال المسلمين ، انما اقصد بها جمهورهم ، لقد رأى ان الكلام في صلبه الفنية الدقيقة ، وفي رجوعه الى العقل - واليه فقط - لا يمكن له ان يوجد هذا الايمان والاطمئنان في العقيدة الاسلامية ، ومما زاده اندفاعا في حسه على تحويل الكلام عن الحجج الفلسفية العويصة ، وعن اعتبار العقل ، والعقل فقط ، رغبت في عبارة هذا الارتجاء . في التمسك بعقيدة السلف ، ارتجاء قد يقوى فيحصل الى درجة الاغلال من رتبة الدين والى الرذلة .

ولكن تجاه ذلك ، عندما كان يتوجه الى المختصين بالفلسفة ، والى اصحاب الاديان والمعتقدات التي تخالف الاسلام ، لم يكن يجد مانعا من ان يصطنع هذا النوع الراقى من « الكلام » بكل ما يحوي من مداخلات واشكالات وبكل ما يتمتع به من قوة الجدلية ومنطقه السليم .

لقد رأى الغزالي ان علم الكلام يستوجب تعلم المنطق ، ومن تعلم المنطق اصبح لديه فكرة ثابتة عن صحته ونفعه كعلم ، كذلك علم الكلام يستوجب معرفة نظريات الفلاسفة والملاحدة واصحاب المعتقدات المخالفة للدين ، هنا شعر الغزالي بالخوف على من تعلم المنطق ورأى صحته ان يظل في سائر علوم الفلاسفة وتابعهم صحة المنطق ذاته ، وان يعدد الى اعتناؤها والتسلح بصحتها ، لذلك دعا الى « الجوامع العوام عن علم الكلام » .

انه كان نفسيا اكثر من ذلك : فقد رأى ان وضع المسائل الاعتقادية موضع الشك وتجربدها من هذا الروح الاعتقادي المطلق ، توطئة لاثباتها بالبراهين قد يؤثر او هو بلا شك ، مؤثر على ايمان الناس ومزغزع ، واذا كان الامر كذلك ، فالغزالي يلاحظ ان قليلا ما تعود تلك الحالة الايمانية السابقة الى القلوب التي تزعت فيها حقائق الدين .

هذا الموقف الذي يمتاز الغزالي بين الايمان وبين العقل يبين لنا هذا النوع من (Antinomie) عنده . الشيء الذي دعا كارادوف

وحدة الوجود، نراه يظهر ويفرض رأيه على كثير من المتصوفة . كما نسمع ان الفيروز ابادي وغيره من القضاة والائمة يجتمعون على تبرئة دفين دمشق من تهمة الإلحاد .

وهنا يجب ان نكون متصفين فنلاحظ ان دعوة النزالي في هذا المضمار لم تذهب صرخة في وادء اذ لم يكن لها من اثر لما قام من يؤيد ابن عربي في اجمع الفتاوى من المشايخ ليثبت ان ابن عربي كان مسلماً ، ومسلماً معتقداً بالله وبرسوله وباليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره .

اننا نلاحظ هذا ونحن لا بدوننا ان هذه الهجرات ضد ابن عربي وضد من ذهب مذهبه ، لم تكن من المتصوفة انفسهم بقدر ما كانت من معسكر المتسكين المحافظين .

والان وقد عرضنا لهذا الاثر الذي كان لحجة الاسلام على المدارس بالاجمال ، اراكم وكأنكم تبادرون ان تقرير خاتمة اثر النزالي في هذه المدارس المختلفة . اذا كان اضمحلال الفاسفة لا يرجع الى النزالي بالذات او بالكلية ، واذا لم يتسكك المتكلمون بعده با ادراهم عليه واذا كان خلقه وابداعه في العلوم الدينية والدنيوية ليس بالشيء الذي يدعونا الى اعتباره كسائق عربة الفكر الاسلامي في اواخر القرن الخامس يمحوا كما يشاء ، واذا كان اثره في التصوف محدوداً ، فأين يوجد اذن تأثير النزالي ، مالي . الدنيا وشاغل الناس ... ١ .

ولم كان هذا الموضوع : اثر النزالي في المدارس المتأخرة ؟ . . . كان ابو حامد يشغل حوالى سنة ٤٨٧ هـ منصباً علياً اجتابياً نادر المثال ، ولكنه شعر فجأة او إثر محاسبته لنفسه بحاسبة طويلة ، انه سائر في مسلك يبعده عن الله ورجاله ، لقد شعر بيزود مهمل يحد اصابه الى حرارة الايمان في قلبه فيطويها كشحاً ليجعل مكانها مقدرة فنية على رد الحليج ومقاربة الحقم وثابت الحقائق الدينية بالدليل ، ثم رأى ان القوم قد اخذوا في احترامه وتبجيله للدرجة كادت نفسه معها تترك اعجبها المجال فيطغى ويتجبر . رأى نفسه مدعوا للاختيار بين الدنيا والآخرة ، بين القلي والانجذاب ، فسا تردد في الاختيار وتطلع الى التقرب من ربه فكانت له خلوات بيت المقدس والشام والبلاد المقدسة : ساعات رغب فيها عن النظريات والقياسات وانغمس في مسالك الصوفية ومعارجها حتى وصل الى ذلك الذي خلى الدنيا من اجله ، فاطمان قلبه وعادته تلك الحرارة التي افزع ابا حامد نزولاً عنه برهة ما ، لذلك نراه يهاجم الفلاسفة ويبطل معتقدهم وفي سبيل النجاح في هذا

الهجوم وهذا الإبطال ارتكب بعض الاخطاء . كما اوجد بعض النواحي الغريبة في التفكير . وكان من اثر النزالي ولا شك ان اضعف من هذه السلطة التي كانت للعقل والتي كانت للتراث اليوناني في الشرق .

ولكن هل نجح النزالي في ادخال الايمان الى القلوب بواسطة كتاباته ؟ لقد كان النزالي صريع ازمة نفسية كما قلت . وكان يكفيه لازالة هذه الازمة حل نفسي ، وانا اعتقد ان هذا الحل اتاه نفسياً وذلك في تركه لهذا المنصب الرفيع الذي كان يشغله في بغداد . انه في تلك العبادات والتشغلات التي اخذ نفسه بها ، ولم يأت به من تلك الكتابات التي عد فيها الى ابطال المقائد التي لم تستطع ان تؤمن له تلك الراحة التي كانت نفسه تطمح اليها . ولا يجب ان نتساءل اذا كانت هذه الكتابات قد ساعدت في ادخال الايمان الى القلوب فهو لم يقصد بها ادخال الايمان الى القلوب . اذ كان يستند ان الايمان له طرق اخرى في الدخول الى القلوب غير ابطال عقائد الفلاسفة . كان يكفيه ان يشعر انه قد ازال حاجزاً من الحواجز التي تقف بين القلوب وبين الايمان ، وان لم يستطع ان يجعل الايمان يدخل الى القلوب بواسطة هذه الكتابات نفسها .

ولا يعاب النزالي لانه دخل على الفلاسفة دخول منكر لا رايهم لا دخول مثبت لنظام جديد يقوم مقام نظامهم . اذ هو لو فعل لكان قد تعارض مع نفسه . لقد كان يدعوا الى الايمان بالدين ، وليس لرجل هذه غايته ان يعيد الى تأليف نظام فلسفي ، عليه ان يشتغل بالدين وفي اظهاره بالمظهر اللائق ، وقد فصل النزالي ذلك فكان لنا ذلك الكتاب الذي هو الاحياء .

ولكن نحن ننظم النزالي اذا قصرنا رغبته في الرجوع الى الدين والايمان والراحة ، على نفسه ، لقد كان همه الاول ان يدوي نفسه . ولكن هذه الرغبة كانت تحمل في طبيعتها ذلك التوسع الذي آلت اليه فيما بعد . انه شعر ، كما قلت ، بحاجة المسلمين الى مقول لغيتهم ، شعر بضرورة الاصلاح وبضرورة الدعوة اليه ومن هذا الشعور نشأت تلك الدعوة التي قام بها لاصلاح العقيدة العامة . انه لم يؤثر في المدارس الفكرية المختلفة شيئاً يذكر بجانب تأثيره في مجموع المسلمين ، تأثيراً كان عليه ان يشترك كسكل ظاهرة اجتاعية في ذلك التفاعل العام للظواهر الاجتماعية ، فينعم بمساعدتها حيناً ويحتل مناولتها ومقاومتها حيناً آخر .

زهري فتح الله



الفنان

بفلم الركزور سامي. محمد علي فاهري



إذ أن في الأساس ، كل صورة هي ملخص رمزي للتصورات الجمالية المتسجبة ، التي يكون للفنان منها ، عالم لا نهائي من ضروب الأساليب الفنية ، ومن شتى الأشكال المستعذبة ، والانتعالات المرهقة .

وليس الفن إلا نقاء عفيف ، طاهر ، كريم ، موجه من فنة مصطفة إلى طوائف الناس ، وما الفنان إلا مبعوث متجس ، إلى هؤلاء ، من الفن الطيبة ، ليدل بريشته المسجورة على مراحب الجمال فيها ، وإلى مواطن الرغبات والمظاهر الاخاذة ، التي تدق غالباً على أبصار البشر .

قلت في مقال لي مضى ، ان الفن لا يمكنه أن يزدهر ويذكو وهو بمنزل عن الناس ، كما وان الفنان لا يستطيع ان يحيا ويسير وهو منكس على نفسه . فالفن ، وإن خلق في كادح متسامية ، فإنه يشاطر الانسان حياته الشاملة ، وببساطة التزوات الفكرية والمادية ، ويساهم معه في تشكيل المجتمع ، خارجا عن حدوده ، أو أمراً ، ليخلق غيرها ، أكثر قرباً من الجمال ، وأغنى شعوراً بروعته ، وأمتع احساساً بأنه الساري في كل صبح من النجدة الكون .

والفنان هو كائنعة المهانة في إساتين الحياة ، الغريقة في أنياب من الجمال ، يتقل حائناً في رحي مروجا ، متسقطاً مواقع البدائع ، مستقطراً نطف المحاسن بريشته المعسولة بالتلاوين المذاب ، ليردها وهي موهبة باصدا . نفسه ، الى الناس ، في لوحة تغالها صامته ، ولكنها في جلوتها المونقة ، تنطق في صمت ، لكل ذي بصيرة انارها الجمال ، فتفصح عما لسجية صائعا من المواهب او المهارة ، راقية او وضعية ، ومن الرغبات ، مكبوتة او مضطرمة ، ومن نوازع نفسية تحبب او تفضي ، ومن قلق يتوهج او استكانة تستقر ، محملة بكل مايساوره في ساعة الابداع ، حيناً يرتقي مجبعه ، يرسم مشهداً استواء ، او يستوحى صورة تميز في دنيائته ، او يؤلف رسماً يتوكل في خلده ، ليطلها في ثوب قشيب ، متقطلاً قاشته من نفسه ، موسومة بنفشتها ، مصطبغة بنحاضتها . فاللوحة الفنية هي في مجزوعها ، نفسيات اغتقت من مشاعر الفنان فسلكت سايلها من ريشته ، وتلقت حياتها من اصباغه ، واستمدت روحها من روحه .



بريشة مصطفى فروخ

شيخ درزي

لسانها بدرجة صامتة ، مترجاً عنها بافتان محب ، مشيراً بالوانه التي كثيراً ما شجى الوانها ، الى مشاهدتها التي تتشكل وتبديل وتنقل في لا نهاية معجزة .

فكان الفنان !

هذه كانت لم اسبقها جزئاً ولم اسطرها إلا لعلمي ان لا شيء في هذا الوجود ، يسيطر على العقل والمشارع ليذكرها ، كالفن . فالجمال يركنا ويلهنا ويبدنا . وهو اخ اول للحقيقة والمحبة . والثلاثة يجمعونها هي كل ما تنوق اليه قوافل الظلماى السائرة قدماً في صاري هذه الحياة . وكانت الانسانية ولا تزال تكذب وتكدهج لجمع مثل هذه المثل الثلاث : ولعلها يوماً بالنها .

هذه خواطر او احادها التي معرض الفنانين اللبنانيين الذي اقامته

جميعه الفنانين اللبنانيين في

فضول الشهر الفائت في قاعة

العرض بدار العلمان ببيروت ،

فكانت ظاهرة فنية "سـ"

لها الكثيرون ، اذ انها لاقت

من اقبال الجمهور وإجابته ما

كان مفاجأة سارة ، لمنظيه ،

فكان برهاناً على ان الجمهور

البشري مترادف في تذوقه

وتقديره للفن الجليل ، فتيافت

بتكاثر للتفرج على ما ينتجه

اليه نفوس الفنانين الذكية .

وحتى اني رأيت من زار

المرض اكثر من مرة ، وهذا ما ضاعف في سرور العارضين .

فاللحظة الفنية لا تعطي سرها ، ولا تدخلك الى روحها ، في

مشاهدة واحدة ، والتفاعل الجملي في النفس ، واللذة الفنية النبيلة

التي يجب ان تحدث عندما نطلل على آية فنية لا يتان من الرؤية

الاولى . اذ ان الفنان يعبر في لوحة من الاحاسيس المحتلجة في ضميره

ما يعجز عن اقامه في كتاب . ولذا كان كثير من الذين زاروا

هذا المعرض ، يعادون الكرة لتذوق ومشاهدة متجددين . كما

وانه بيعت لوحات متعددة لاكثر من فنان ، كفروخ وصليبا

الدويهي ، وناديا بيضون ، ابتاعها ولا ريب ، ارباب الهواية

الفنية من ذوي الذوق الرفيع .

ولا بد من التلميح من ان هذا المعرض ، بالرغم من نجاحه

فضلة الفنان مع المجتمع الذي يعيش في مجيئه ، هي مستوتة الاواصر ، مستحكمة الروابط ، اذ ، لا ينبغي على احد ، ان الفن كان ولا يزال ، القوة الكامنة في قاعدة التطور الانساني ، فهو في الحضارات ، تلجأ ، وكـ من مدنيسات باندة ، طوتها العصور ، فذهبت ذهاب الرياح ، وبقي فيها ، دالاً على ما كانت عليه من مجرد شامخ ، ورفعة باسقة وحضارة منيرة ؟ . . .

وبعد ، فقد يثاني البعض من يقرأوني ، أنني اذ لي في كلامي وأسرف في مقالتي ، أو اني احاول ان اجعل من الفنان احد انصاف الالهة . وظني أن هؤلاء ، وما اكثرهم لم تتأتى من نفوسهم المحيلة ، إشباع المثل السامية ، المجلدة للدماء ، المحيية للقلوب . هؤلاء ، ون في الحياة ، مرور الاطياف ، متخيلين في حانة تيارنا العفيف ، متراكين ، متسلاصقين

متسلاصقين ، دون ان

يفقهوا لدينامهم شيئاً .

« قلوبهم ، كما يقول

الدكتور منصور فحسي ،

لا تشعر بها تشعر به

القلوب ، فلا تحس الوان

الجمال المتصلة بظواهر

الحلق ، ولا تتأثر بضروب

الاحداث التي تختلف في

هذا الوجود ، ولا تتفق

لآيات الله في السموات

ولا تتفق لآيات الله في

الارض ، ولا لآياته المطوية في كمر العصور وعبر الدهور . ونفوسهم

محجبة وراء سجوف من السواد ، لا يصل اليها ضوء الانوار المتلاثلة

في نواحي الجمال ، ولا تلمس فيها حرارة الايمان بالتقدم والخير ،

ولا يستمر منها قبرس لنار الهمة المتخفزة الى الامام . »

فهم عبي وان كانوا مبصرين .

وقد جاء في الاثر ان « ليس الاعى من عبي بصره ولكن

من عيت بصيرته » فطوبى للذين تقتحم ابصارهم الى مرئيات

الجمال ، فراخا في حدائق الارض ، وفي قلوبهم قبرس وفي عيونهم

نور . فالحائق القاطر ، مبدع العالمين ، دحا الارض فوشاها ، في

يجرها ويرها بأبالت من الجمال ، عجاب !

وكان لا بد لها من رسول لها ، صادق معجب كي ينطق عن



بريشة صليبا الدويهي

البيدر

فالن هو الدين الوحيد الخار من التعصب ، وهو العقيدة الانسانية البعيدة عن فوارق العناصر والوطنيات ، وهو واسطة الحضارة ومطلبها الاول الاخير .

وللنا صائرون الى ما نحن اليه راغبون .

واما المرض الذي كنا بصده فقد ضم لوحات فنية وبعض المنحوتات لاكثر من اربعين فناً ، أخص بالذكر منهم ، الفنان مصطفى فروخ ، فقد احتفنا هذه المرة بسبع رسوم ، بينها صورة بليغة الشيخ درزي ، قوي الهابة ، كهل ولكنه عارم الرجولة . وهي بين اخواتها ، احدى الشار الفريدة التي ما يرح فروخ يتقطعا لنا من فنه الناضج ، وكان الفنان صليبا الديهي ، تسع لوحات رئيسية ، منها صورتان ، احدها لامرأة كحلة والثانية لجلي شاب هما كمنظرة مبتتتا الرسم جيدتا التصوير ، غنيتان بالالوان الحية ، زاخرتان بالتعبير النفسي ، فهنا الكحلة المثقلة بتجارب الحياة وهناك الشاب الساذج المتدفق ، واما السيدة ماري حداد فقد تدرت بشخصية فنية لما طابعا الخاص ولوحاتها غنية بالوان بلغت الغاية من الاناقة والانسجام والحرارة . وكانت بجانها معروضات جورج ب .

خوري تستدعي انظار الزائرين باتزانها ووفرة جماليها . واما الانسة بلانش عون فممن استغزت اعجاب كثير من الزوار الاجانب والمواطنين بفنهما الجديد ونقشته المبتكرة .



بريشة الانسة بلانش عون

الرامي

قدضم بجانب العناصر القوية ، اخرى ضعيفة ، مثلت الدمش ، بوجودها ولكن ابقت متفانلا ، ان الانسان لا يستطيع ان يقدر الجمال حق قدره إذا لم يكن القبح ، كما وانه لا يمكنه ان يمتحن من القوة إذا لم يواجهها ضعف . وكان بعض المعروضات السخيفة حكمة تدبرتها حين اوجدت نفسي امام القوة والبليغة منها . اما في المرض المقبل فتستنى من جمعية الفنانين اللبنانيين ان تهز غربالها قليلا ، حتى يأتي معرضها عنواناً قويا ، صحيحاً ساليا ، رفيحاً للانبعث الفني الذي تسعى هذه الجمعية لتحقيقه في هذه البلاد . كما وانه يحلو لي ان اشير ان ثمة فنانين لم يدليا بدلوها الجليل في هذا المرض وهما عمر الاندي وقيسر الجليل ، ولكل منهما في عالم الفن شخصيته المستقلة واللامعة ، وظني ان الرسالة التهديسية لمرض جامع كهذا ، ان تصككل بدونها . واذا اكتفيت بالاشارة الى ذلك فلعلمي ان الجهود المتضافرة هي اوفر ثمرة اذ انها القوة المسيرة الى نجاح اكسيد ، ثابت الدعائم . وأولى بالفنان ، اذا كان كذلك ، ان يترفع عن المنازعات ويتزده منها . فقد قال احد الكتاب : « ان ما يتناز به الفن وما يجب ان نقده من اجله هو ان روحه روح انسانية محضة . اي روح تقام ومحبة واتحاد .



بريشة جورج خوري

عارية

المرض ، والانسة ناديه

ييضون ، وغيرهما ممن قسام على اكتافهم اول معرض فني لبناني ناجح .

ساجي محمد علي قلند جي

الاديب المفضل

فلم توفيق من الشرنوبلي

بجاهد صرف شبابه وبعض كهولته يخترق مهنة الادب . لم يفارق مكتبه طيلة هذه الاعوام الا لما . ولم يتخذ له خليلاً غير
اديب الكتب والصحف والمجلات . ولم يأت عشيراً غير القلم والدواة
 كان يطوي الايام منعولياً على كتاب يقرأه ، او على مقال يدتيجه . لا يؤزم نادياً ولا يدخل ملهى ولا يحضر مجتمعاً من مجتمعات الناس
 ولا عرساً من اعراسهم ولا مأتماً من ماتهم الا فيما ندر .
 وكان جديداً ، ما عدا الصحف والمجلات طبعاً ، كتاباً جديداً يُقدّم اليه او يعثر عليه في بعض المكتبات ، وادوات للكتابة من
 اوراق واقلام ومداد كان يحكم المهنة يحتاج الى تجديددها بين الفنية والفنية .
 لم يسبر غور الناس ولم يتعمق في درس اطوارهم وسياساتهم وحروبيهم الا بواسطة الكتب . ولم يتعرف الى شتى اخبارهم الا عن
 طريق الصحف والمجلات .

وكان يميل اليه وهو جالس على مضخته وبين جدران مكتبه انه يعايش جميع ابناء عصره ، ويعرف من امورهم ما لا يعرفه سواه .
 لا بل كان يعتقد انه يعايش كل الاجيال والعصور التي طرأها الدهر . لان مكتبته مزدحم بانواع الكتب القيمة عامر بثلث المؤلفات وانفس
 التواريخ والموسوعات . حيث كان من خلال صفحاتها يتدبر حوادث العالم ومشاكله ويتقصى مجل شرائعه وعلومه .
 اجل انه لم يقرب الناس الا برب الخطوط المرشومة على الورق ولم يرصد عوالم اذهانهم وغرائزهم الا بربد الحوادث اليومية التي
 تتسابق الى اذهانهم امواج الاثير والصحافة . لانه لم يكن بشي . في حياته الا بالمطالعة والتأليف . فجات تأليفه على جزالة اسلوبها وروعة
 بيانها ودقة انسجامها متممة بما كان يجرام في ذوات الكتب وما كان يعلق في نفسه من اخبار الصحف وصوت المذيع . وبرزت احكامه
 مستمدة من معين الدرس لا من معين الحجة ودقة الملاحظة .

ومع هذا كان فخوراً الى ابد حد بسعة معارفه وتيقهاً بكل الشبه بولفاته التي عالج فيها مشاكل المجتمع على ضوء دراساته ومطالعاته
 لا على ضوء تجاربه واختباراته .

وفجأة طرأ عليه مرض عضال اقلعه عن متابعة الدرس والتأليف فلزم فراشه واستسلم الى معالجة الاطباء . وكانت المعدة بيت الداء
 ومصدر البلا . وذلك لاعتزاله في مكتبته وانعكافه الدائم على المطالعة والكتابة غير حافل بالرياضة والتزهو ولا أبعجاسه الناس ومسامرتهم
 ليسري عنه بعض متاعب الذهن واسترخا الجسم .

ولما تحسنت دالته بعض الشيء . حتم عليه الاطباء . ارتياد الملاهي والمتنزهات واستعمال الرياضة البدنية لاعادة قواه التي اسرف في تبذيرها
 بين الدفاتر والمخابر . وصرحوا له انه لن يتمكن من الحصول على النقاها التامة ما دام معتزلاً في برجه العاجي منعكفاً على مزاوله الادب
 والعلم دون سواها .

فشرع يخرج من منزله ويصرف بعض نهاره متغلاً في ضواحي المدينة وشوارعها . ثم بدأ يتخالط الناس ويؤزم نواديهم ويختلف الى مجتمعاتهم
 فتبين له فور احتكاكه بالجميع واستكناه بعض حقائقه : ان عالم الناس هو غير عالم الكتب .

اجل لقد تحقق بنفسه ان مخالطة المجتمع مصدر علم الاجتماع وما الكتب والصحف والمجلات الا بمثابة المياه المستقاة من الاقنية لا من
 مصدر النبع ، فكما انها تلوث في جريانها بادران الارض ووحولها هكذا ما حُر وما كتب فلا ينبع من ادران الطبيعة البشرية ووحول
 غرائزها ، حتى ان الطبيعة بما فيها من حيوان ونبات وجماد بعد ان تفقدها الاديب بنفسه رأى فيها من العجائب والمدهشات ما لم يره في
 معارض العلم ولا في روائع الادب ولوحات الفن .

صور جامدة كان بالاس بقلها بين دفتي كتاب فيؤخذ بروعتها وجمالها وينسج على منوالها . وصور فاطقة يستعرضها اليوم في كل بقعة
 عن بقاع الكون فيجئ جنونه لاهاله ايها طوال اعوامه المنصرمة .

لقد بدأ يشعر بأن الكون جسم حيّ يذب بقوة الروح ويتجدد بتجدد الحياة . أما الكتب فرميايات جوفاء . تكتنفها برودة الموت غير أنه بعد أن تدبر عوامل الحياة والموت رآها يحكم ناموس الكون صنين لا يفتقران فحيث توجد الحياة يوجد الموت . وما الكون سوى مجموع مواد تنبجس منها عوامل الحياة والموت . هكذا رأى ناموس الأدب والعلم تنبجس مواد من عالم الكون وعالم الكتب . فقال في نفسه : من لا يتحرى العالين ومن في درسه لا ينضج علمه ولا يجلد أدبه . ونهض في الحال إلى مؤلفاته التي كان يؤمن بتألودها وجها امامه ووضعا تحت منظار النقد . ثم شرع يقرب ما فيها من ميزات الخلود . فوآها على ضوء اختباراته الجلدية خالية لا روح فيها تنبث من روحه ولا حياة تنبث من حياته .

فطرحها عنه . ثم اخذ بعد قليل يجيها اكواماً اكواماً ويلقيها في النار ، مؤثراً أن يرى نتيجة جهاده الطويل لحياء متصاعداً في قصة الهواء . ودخاناً متطيراً في حرمة الفضاء . من ان يراها امامه مولوداً عقياً لا رجاء منه .
وكما كان يمتنى الوصول إلى مجل كتبه التي يتداولها الناس ليقضي عليها جميعاً لأنه رآها لا تنبع من معينه ولا تعبر عن غشه ولا عن سميته . فهي ليست الا ترجيع أصدية ومجموعة تحب بما علق بذهنه من كثرة المطالع والدراسات .
ويا ليتها تحب تنطبق بجموعها على وقائع الحياة وحقائق الوجود .

فحكم من الانظمة والشرائع التي كان يطبع عليها في بطون الاوراق فتستويه بدائع آياتها . غير أنه بعد الاستزاء والبحث لم ير لها اثر في قلب المجتمع البشري . فهي لا تعدو سطورا محطاة بالخبر ومكفنة بالورق لا يعمل بها الناس ولا تطبق بالواقع على حياتهم .
وكما كان شغوفاً ببعض الكتب الحديثة التي تبحث في روحانية الأديان وتقديس الاوطان وتدقق في علم السياسة والعمران وتقارن بالادب والاجتماع وتلقي في وصف الحضارة ووفرة فضائلها . غير أنه بعد ان عجم عود الناس تبين له ان معظمهم يستغفرون الوطن للتحكم والنفاق والسياسة لديها والريا . والادب والاجتماع للناظر والاستمتاع والعمران لعمران الجيوب لا لعمران الشعوب .

تأهيك عن حضارتهم ووفرة فضائلها فالتفت إلى دعام الآلة والنار والحديد لا على دعام الدين والخلق والمبدأ الرشيد .
فقال في نفسه : ان عصراً ابتاجر ناسه بالأديان وجواسسه بالأوطان ويتسابق علماءه باختراع آلات التدمير وخطف الارواح ويقترحم تجارها على اجتناب الغمام واكتناز الارواح ، لا يعد عصراً يشرف الانسانية كثيراً مما يبلغ من سلم الحضارة والعلم .
لقد تجلّت امامه حقيقة روح العصر في **الظلمة ابداً العصر** فكيف يتسنى له الوصول إلى حقائق السلف وليس لديه من المستندات سوى ما ترويه الكتب والتراجم التي تعبر عن ميول واضعيا اكثر مما تعبر عن الوقائع الراهنة .

فاذا كانت الكتب العصرية التي في متناول يده مشحونة بالكتكبات والمغالطات والمواد بضروب التزوير والخزعبلات فكيف بالكتب القديمة ؟ انها ولا شك تسدل على الحقائق سحناً كثيفة من سجب الاهواء والخرافات .

فحكم في تضاعفها من سفاح يمدد وعادل يذم فغبي يكرم وفيلسوف يهان ورجل يغبط حقه واخر يعطى فوق حقه وهكذا .
لقد اجمع مقتنعاً لا بل مؤمناً على ان ما تستوعبه الذاكرة من المطالعة والدرس لا يعد كله ادباً صحيحاً او علماً راهناً او تزييناً حقيقياً لحوادث الانسانية في خلال العصور . ورأى نفسه يحتاج الى ان يتأدب تأدباً جديداً .
فشرع يدرس ويحص ما يدرسه ، ويكتب ويدقق فيما يكتبه ، ويقارن بين وعي الذاكرة ووعي العقل ، وبين ادب التليد وادب التريده ، وبين ما يتجره بنفسه في مطاوي الكون وبين ما يراه بين ذفات الكتب .

فتبين له ان الفكر هو مصدر المعرفة الانسانية ، واللغة منطلقه لسانه ، والنقد حجته وبيانه ، فقيم الفكر عقم الادب والعلم ، وسخيف اللغة سخيف المنطق والالسان ، وضعيف النقد ضعيف الحجة والبيان .

اما الدماغ فاداة التفكير ، والحيلة قالة للتصور ، والذاكرة فستودع للتعبير . واختبار الدنيا وورودها من شتى مظاهرها يساعد الدماغ على تولد الافكار ، والمبادئ على اختلافها ، تشد الخيلة على الابداع في قوة التصور ، وقراءة الكتب وتحميها تنغم الروح بالثقافة وتعمر الذاكرة بشوارد اللغة ومفرداتها .

ومشى على هذا النحو في ادبه الجديد يشق لنفسه طريق الخلود . وكان الداء الذي ألم به هو الداعي لتعديل خطة حياته وجهوده ، وسبب تجده وخلوده . فحكم في الحياة الدنيا من شر يورث الخير ، ومن خير يورث الشر .
توفيق من الرحمن

شاعر

لمات

جيلة كشر نوار
وكان يبق منها المطر كورده
واسمها كان مباركا كهذا الشهر الجميل
جاءها يوماً شاب خيبت
ضحك من زهوها
فزادها غرورا
قال لها :
انت اجمل من نوار
وعطرك اعبق من وردة
واسمك شي من البهاء
فأمنت بما قاله الشاب الخيبت
وركنت اليه
واخلص لها الشاب شهراً كاملاً كنوار
وفي اول حزيران تركها
اما هي فا زالت ترى أشهر السنة كلها كشر نوار
وما زال انتها يبق براحة العطر
وقد شخ هذا الانف الدقيق
فشوه على دفته الوجه الناصع المستدير
ونحسي الايام
وشهر نوار لا تنارقها ايامه
الى ان جاءها يوماً شاب بجاء ورد نوار
فقال لها احبك
فضحكت من براعة العاتولة الساذجة
ولم تتنبرع الغفوان في خشوع الشباب
ولم تنفهم اخلاصه
فقال لها : انا البنفسج بين اناملك

لي الخمس الناعم ، وليس لي الشوك
فقلت له : انا لا أحب البنفسج
انا وردة ، وفي عبق الورد ، وشوك الورد
وضحكت من العنفل الشاب
ذهب العنفل كسير القلب ، واقسم ان لا يراها
ولكنه اقسم ايضاً ان لا ينساها
وكان العنفل شاعراً مجبوراً
فأخذ ينشد في الناس مأساته
فاستعذب شعره كل الذين سمعوه
ولفت به المذاري اميرها الصغير
فأحاطه المذاري ، وكان ينغم ينشد
فيخفق القلب

ولكن قلبه كان مع تلك السيدة ذات الانف الدقيق
وبكى الكنديون لفصته ، وتناقها المذاري هماً ،
وسكن يشرن اليه كلما مر ، او نراهي لمن
اما هو فلم يحفل بأحد ، وظل مسترسلاً في نشيد ذلك الحب العنفل
اما هي فا زالت تؤمن بنوار

ومضى ورد نوار ، في اذنها ، حقيقاً لم يستشر به أحد من الناس
حتى ولا الشاب الخيبت
ولكن المذاري رأت الشاب العنفل يجمع ورقات وردة ، تقها الحريف
وكان العنفل الشاب يكي بخشوع وسكون
وهو يجمع تلك الورديات ويرفعها الى فمه ويغلبها بشيء من التقديس
فبكت المذاري لبقاء العنفل
الذي نسي الشعر
وأصبح شاعراً كبيراً

البر الربيع

الغـد

موضوع اغرتني به انشودة وجدت سبيلها الى اذني في مناسبات عارضة ، كانت تطيف وتتردد خلالها على غم طائفة من الفتيان او فوق الفتيان من تحاول الطبيعة الحية ان تغفر لهم الى القمة . . . قة الشباب

هي انشودة وان تكن تبشر بالغد ، وان يك للغد في عقل اغلب الشرقيين معنى مشوه مظلم كله توكل وعجز واستسلام ، وان اكن اسكره هذا الغد في اسلوب تفكيرنا الموروث ، فقد مستني بتيار حيوية جديد التحسه في وثبات الخيال المتطلع ، ومكنت اعصابي بقوى جديدة حتى كأننا صنعنا صنعا فذاً وارجلنا ارجلاً مبتكرأ ، واخيراً رأيتني تحت هذا الاحساس معنيا بدرس الغد .

تقرر فلسفة الحضارة في غير ما ريب او تردد ، ان فكرة الغد منذ اخذت محلها من عقل الانسان ولايست تفكيره ، قادت خطاه في طريق الانشاء الحضاري وقدمت منه هذا الانسان المتفوق الراقى ، هذا الانسان المبتكر الخلاق . ولولاها لظل الانسان في مستوى النوع كأننا آتياً بسيطاً وغوذجاً من التكرار ، فقد مدته بالامل وابتقلت فيه شتى الاماني وانشطته الى تحقيقها ، واخيراً اشعرته بسلطة الجهد فأقبل يعمل وقد تاهت فيه شتى الاستعدادات فغدا الانسان كأننا مدهشاً وغوذجاً من التجدد المتصاعد .

فكل ما قد اعطى هذا الانسان من تفوق ، وما قد رسم من نبوغ ، وما قد تفتى عنه من حضارات ، وليد فكرة واحدة تلك هي فكرة الغد فقط . فكانت لذلك في اعتبار فلاسفة الحضارة نقطة تحول خطيرة فاق فيها الانسان النوع وهما عليه ، كما ظلت لديه عامل اغراء وانشاء وتجديد .

اذن فكل حركة تقدمية انما تلعب من فكرة الغد وترتكز عليها ، والمبتكر التعميمي انما هو للجامعات الاكثر تطوعاً على نهجها والافسح خيالاً في مذهب امتدادها . وعليه فان فكرة الغد ضرورة حيوية او نفسية ، وتصحيحها ضرورة بقائية او ارتقائية .

ولعل اكبر عاهة تصيب اسلوب التفكير تتجلى في الحياة والاعتناء بالامور التي تجعلها قيمة غير منتجة ، هي انطفاة فكرة الغد وما لها من حرارة محركة ، وسط تصورات فاشلة من اوهام التوكل والعجز والاستسلام . ولذا بت ارى ان اول واجب على اولئك الذين يشهدون النهضة ويبشون رسالتها ، هو تصحيح فكرة الغد كي تقوم بعملها وتدفع كالننا الى حيث يتد به خياله المبتكر ، وبذلك يشارك في مواكب التقدمية ويؤد حركتها بطاقات حيويته ، ويقوم بدوره المفروض في حقل الجهد الانساني والا فقد رسب والى الاغوار في الحقدار سريع .

ان الغد بين ان يكون وليد الامل الواعي ، وبين ان يكون وليد الامل الحالم ، واذا كان الثاني ان ينتج كأننا محتضراً رخواً ، فانه يعمى ابدأ عن ان ينتج كأننا حياً مستوياً . وهو اذا قدم موجوداً صوفياً تسال فيه الوجود ، فانه يجز دافئاً عن ان يقدم موجوداً خلاقاً تصالبت فيه الحياة والوجود . فان حظ الامم من البقاء بقدر ما يكون لفكرة الغد عندهم من حظ ، وان قيمة فكرة الغد بقدر ما تكون وليدة الامل الواعي وليدة الامل المتكسر ، وبعبارة اخرى وليدة الارادة الواعية .

ان التقدميين ينهون في الغد : انه فكرة من الحاضر اكثر مما لا تتجسد في اعتبار زمني ، وعناصر الحاضر هي : فكر ، ارادة ، جـ د . وهذا يعني ان اي فرد او اية جماعة اذا لم تدخل الى صميم الغد - وهو بعد جنين في ضمير الزمن - بالفكر والارادة والجهد في كيفيةها ، فليس له غد مطلقاً اذ لم يبق له منه سوى الاعتبار الزمني فقط ، وخسران الغد معناه هبوط الحياة عن مستواها بل خسرانها . ان النجاح مرتكز على اشتقاق الغد المنتظر من اغدب فكر وامضى ارادة واقرى جهد وبذلك لا تنتظر الغد أملاً بل واقعاً ولا تتكهنه بل تفرضه ولا تتخوفه بل تجتذبه ، فقد وضعا تصميمه ويجب ان يمي . في حدود هذا التصميم .

وكما استوت ارادة الغد على وضعا الاكمل لدى الفرد او الجماعة ، فقد اتست الخطوات مع وجهة الحياة الصاعدة وفي اتجاهها ابدأ .

عبدالله العلاملي

رافايل

بقلم فيصل الجبل

وذكاء ، ومرونة ، ثم معرفة بصدق اسرار المهنة ، حتى الحفظ
'سخرت لايصاله الى الخلود ، الى المجد والثروة ، بهدوء وانتظام ،
فسير حياته المثلّين ليس له ضجيع سير النبوغ .

ان اهم مزايا فن رافايل التي حملت بدون ملل خلال العصور
شهرته العظيمة ، وعملت منه الفنان الاكثر شعبية ، والمستحق
اعجاب العالم — هي الجمال ، جمال الاشكال النقي
الكامل ، جمال كامن في التوقيع ، في الاتزان ، في
اللون ، في التحقيق ، جمال منظم من دماغ منظم ، من
يدر ، لا تخطي . جمال نجب ونستلذه دون جهد وعناء .

ان مهمة الفن هي
امكان التعبير عن الاحاسيس
فلوحة تقليدية لا تقضح شيئاً
من احاسيس خالقها ، لا
تمثل عملاً فنياً ولو مثلت
موضوعاً هاماً ، والانسان
يميل الى عدم فصل الفن عن
الجمال وهذا ما يبرر اعجاب
العالم وحب الاجيال لرافايل
الذي لم تصور ريشته سوى
الجمال الكلاسيكي مع قوة في
الخلق وبراعة في التأليف
سر نبوغه ، فانت تستشع
الفراغ امام لوحاته بحرية

روما غارقة في خضم من الاحقاد السياسية ، تحتاجها الحروب
ويجثم عليها الرعب ، فتظل بعزل عن البعث الفني ، الذي نشأ خلال
القرنين الثالث والرابع عشر ، في فلورنسا والبندقية .

لمع في افق الفن الفسح نجوم ثلاثة ، ليوناردو ، ميكلائيج ،
ورافايل ، يتقلد الاول في عوالم الفكر والفن ، ويخلق الثاني

الجبايرة في كنيسة سكستين
ويستخلص اصفرهما سناً
الفلسفات اليونانية والمسيحية
وينظمها اناشيد مألوفة .

اطل رافايل على الدنيا
ليلة الجمعة في البلد المتعب
(اوربين) جالساً وممل
راحته زنايق وورود يزعم
في حقول العنول فيعطر
اجواءها ، ويترك الى العالم
خلال اثنتي عشر سنة ادوع
وانعم ما تركته انامل
انسان .

ولد رافايل تحت نجم
سعيد يقول ميكلائيج ،
ولد بعد قرنين من بدء
حركة فنية فلسفية جعلت
من السلازم وجود شخص
منتخب محظوظ يمكنه تبني
انبل مختلف النزعات واخرها
الى العالم غرودجاً اكل للجمال ،
ومن نعم الطبيعة عليه جمال ،



المذراء - في متحف دزوفيس

الالهة على الارض فامتزجت بالناس وشاركهم الحياة
 « قال غوت يصف عذراء سيكت » هي مثال الامهات ،
 ملكة النساء ، خلقتها ريشة سحرية بلذة ونعمة ، ينحني امامها
 الرجل وهو يرتعش بالرغم من كبريائه .
 لربما كان رافايل استلذ الحياة الهانئة في فلورنسا لو لم يفتح له
 ابن بلده البناء برامانتي اجواء افسح ، فقد ادخله في خدمة البابا
 يوليوس الثاني الذي عرف بالرغم من ثقافته المحدودة ان يجمع «واليه
 كل القوى العقلية الايطالية » .

اعظم حدث في حياة الفنان الشاب ، للفن وللانسانية . كان
 ميكل انج يسكن جبايرته كنيسة سكستين عندما يبدأ رافايل
 عمله في قصر الفاتيكان ، حقبة سعيدة في تاريخ البشرية ، لم تعرف
 الروع يوماً مثل هذا الازدحام فهي تركض في الشوارع هانئة
 ناعمة بين خرائب روما العتيقة وبين اناس مثقفين يسيطرون على
 روما الجديدة عاصمة الكنيسة والمدينة الحديثة ، يتصارع فيها
 الفنان على اكليل الغار ويتسابقون على الخلق والابداع .

دخل رافايل قصر الفاتيكان مساعداً لجيش من الفنانين
 لكن نظرة من يوليوس الثاني المرهف الحس الصائب النظر كانت
 كافية للاحتفاظ بالفنان القوي وصرف جميع الفنانين الآخرين



رافايل ، بريشته - في متحف دروفيس

وعلمانية ، وتحس الاثقال تنزع عن صدرك ، وأشهر بطاوة
 عطرة ، وتقل الى اعذب الاماني ، الى جو جوبيتر ، الى عالم الكوكبة
 بشتيق روحه موزار ، وريشة لا تحونه ، وبأبسط الوسائل ، يخلق
 بتألف عجيب وعمق نادرة ، الفكرة ، والشكل ، والاحساس .
 ان رافايل اصدق ممثل لأكبر حركتين اشعلتا خيال اوروبا
 المتدنة ، الكلاسيكية اليونانية والمسيحية ، امتزجتا بدماغه
 وعاشتا شقيقتين في رسومه ، لم يمش مع افلاطون ولكنه عاش
 بين تلاميذه ، وصب دماً جديداً في عروق اثينا وروما ، فحقق
 اعجوبة الامومة الرائعة ، واصبحت فينوس وكوبيدون الامل بين
 انامله مريم ويوسوع ، وتحول جوبيتر روما ، بجبال حزيقال الى

٢٠٥

تأثر رافايل باراء اعني مفكوري العصر ، فنبذ النظريات
 التقليدية وبدلاً من عذارى يزنطية القاسية ، برزت عذارى رافايل
 صبايا تبسم لاطفالها ، يلف شعرهن الاشقر ، غطاء رقيق شفاف ،
 يزيدهن جلالاً ، ثم لا شيء غير ذلك ، لا شيء سوى كل احساس
 نفسه ، وكل غنى ريشته التي اطفأت الاوضاع وازالت قسوة العقائد
 ومحت الرعب الذي تسلط على القرون الوسطى ، وبكلمة ، أنزلت



دي بندو التوفقي - في متحف برونيخ القديم

البشوش ذو العينين العميقتين؟ أهر خالق هذا الحلم الرائع ومحتق هذا العمل الجبار! كانت نطق بها ليوناردو امام مدرسة أثينا واخواتها. لم يكنف البابا الشاب لاون العاشر الواسع الثقافة برافيل مصوره الخاص، بل اراده مسيطراً على القنون، فطلب اليه خلق رسوم لاعمال الرسل، ستائر لكنيسة سكستين، فاضمح شرح رافايل هذه الآيت ملازماً لها وهنا وضع معلم الانافة الاكبر نفسه

بين المتضعين، ووجد التمايز اللازمة ليقنع بصوره قلوب البسطاء. كل شي. ساهم في تكوين شخصية رافايل فقد حصل في أيامه وهي حضرته الاجيال السابقة فسادت الميحية ونضجت الافكار الفاسفة وتكون في النفوس شوق لعادة الجمل باسم الدين فلع ذكائه المرلد واحساس روحه المباشر وبديل الباذجة التقليدية النبل والجمال اضاف اليها عوالم من التأثيرات، بالوان، كلها صفاء وخطوط، هي اناشيد مرتتمة، واشياء اخر تجمع الشعر والموسيقى، الى كل ما في قلبه من حب وحرارة، وفي نفسه من احساس،

وفي ريشته من غنى . ليس لهذا الفتى الناعم عني ليوناردو ولا ثودة ميكيل انج وحقته لعجزه عن تحقيق المستحيل، فين الحكميم الفيلسوف والخيالي الهائج، ظهر رافايل بنعمته الاومبرية وعرف ان يجمع في شخصيته خلاصة الفن والفكر كما عرف ان يحتفظ طيلة عمره بوداعته وادبه، بالرغم مما خلق عليه نجمه السعيد وتبوغه الناعم من

واصدار امره بإبادة كل ما صور بغير يده، لكن ادب رافايل كان يوازي عبقريته فلم يسمح بتزع تصاوير معلمه البروجين، وصديقه سودوما وفي هذا الجو الجديد الرفيع، وبين ذكريات تراثية ودينية، وبين بدائع الفن الكلاسيكي وجوهر الانسانيين المتلفين حول يوليوس الثاني، وجد رافايل غذا. مشعاً لدماغه وقابه فانستت آفاقه وطبع نبوغه بطابع من نور ذابت في ظلاله كبرياء.

فلورنسا واسترجعت روما بانامله المهمة اقبحا عاصمة العالم .

ان الصور التي ازدانت بها قاعات الفاتيكان هي ادهش انفجار عاطفة دينية خلدها اللون، فكل ما يحده الخيال من اشكال الايمان، تسلم واقتناع تصوف وانتقال، تطش الى التضحية، صورت باوضاع مبتكرة ولم يعط الانسان من قبل، ان يتخيل الخلاصات والنتائج باكثر وضوح، ولا اشخاصاً اكثر عزة واكثر جراحة، ولا تربينا اكثر جلبة واكثر حركة فانناظر الى هذه الصور يتخلف في اجواء من الاثير بعيداً عن مشاكل الارض.

فكن رافايل ان يجمع

الى عني دافني زهر يول فيرونيز، وثقة فيلاسكيز، ومن هذا المزيج استخلص لا اعرف اي شي. اكني يملنا ان نلشك بالو كان امسام اعيننا صورا حقيقية ام اشباحاً تكلم عنها دنتي وفيرجيل، اشياء حلوة كالطوفلة، والازهار، شافة يمتزجوا النور فلا تحدث ظلالاً - اشياء فوق الانسان ...

من خالق هذه البدائع؟ أهذا الفتى الناعم الحالم، النحيل



الابا لاون العاشر بين اثنين من الكرادلة في قصر بتي

ادب

الغد

بقلم جانه غوليه

« منذ ألفي سنة يكتب الناس ، وقد قالوا كل ما يمكن قوله ، وجئنا نحن بعد فوات الأوان » . هذا ما لحظه لايروير ، بزارة في القرن السابع عشر .

ان ازدهار الادب ، في القرنين التاسع عشر والعشرين ، اعطى الدليل القاطع على ان هذه الملاحظة خاطئة . واذا ما صح القول في انه منذ الادب اليوناني الكلاسيكي ، لم يخطر موضوع في بال ، ولم يطرح من قبل ، وعلى الوجه الاكمل ، وان جميع المشاعر البشرية قد اعرب عنها ، احرق القول ان الاحداث الكبرى التي بدلت وجه التاريخ ، قد فجرت في الوقت نفسه ، بتابع القاق النفساني والمعنوي ، وهي معين لا ينضب من حيث ينهل الناس ادبهم . ان قيام الديانتين الموحدين المسيحية والاسلامية وانتشارهما أغنيا الحقل الادبي ، ان لم يكن بالحساسيات المستجدة فأقله بدقائق ايهام غريب ، لا حده . وكذا كان عصر النهضة في الجيل السادس عشر ، ثم عصر الثورة الفرنسية ، اذ نشأت في كل اوروبا آداب فنية ، وطنية ، غنائية . ان حرباً ، هي على شي . من الاممية ، كحرب ١٨٧٠ الفرنسية - الالمانية ، تفسر ، في كثير ، اسباب الادب « المعاري » والادب المتشائم مع زولا وموباسان ، والشعر الرمزي الذي جاء خير رد على فظايات تلك الحقبة .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

شهرة وعظيمة، ولم تكن حياته النبيلة سوى سلسلة من السعادات . كتب رافايل الى صديق عمره بلترار كستيليوني يقول : اصارحك باني عندما اريد تصوير الجمال النسائي احتاج الى رؤية كثيرات واحتاج اليك لتنتقي الاجمل .

لا نعلم اذا كانت فكرة تحقيق جمال فوق الناذج ظلت تصارع دماغه الفنان ام وجددها في الفورزيما فكتب لها الخلود ، هذه الصبية التي اصبحت كل بيت سكنته مزاراً وكل ارض قبلت قدمها مبعدة ، والعالم الى اليوم ، يتبارك بخبز فرن يحمل اسم الفورزيما - ويقرأ على مدخل قصر قديم - هنا كانت تسكن تلك التي كانت اغز بنات الناس على قلب رافايل والتي بها بلغ قمة الجهد تراكمت عليه طلبات لاون العاشر فصار يتنقل بين ريشة الفنان وازميل النحات وبركار المهندس ويخلق رسوم السجاد والسائر . ينظم الحفلات وينقش الآثار ويرسم المدياليات مما

اضطره الى الاكتفاء . باعداد المواضيع وتسليمها الى جيش من الفنانين يشغل ببقاياته ثم يعود فيمسحها بريشته المكعبة هذه المسحة الالهية التي عرفت كيف تجابه التاريخ وتنتهي . مدرسة الفن الحديث ، غير ما كانت تنتجها اماله السعيرة ، في تحفته الخاص من مواضيع دينية ووثنية ، اساطير وحقائق تاريخية ، صور اشخاص اغزاء ، كل منها يستغرق حياة بأكملها . فاذا به وهو بعد في السابعة والثلاثين ينشد اكبر قصيدة ويعطي الى الاجيال المقبلة خلاصة الاجيال الماضية بعقريه ونضوج ظل العالم ثلاثه قرون ينظر اليها كنظره الى اشياء اهيية . ومات يوم الجمعة الحزينة كأنه اراد ان يذوب بكاء العالم عليه في بكائه على ابن الانسان .

قصر المحجب

فن الأكيد إذن ، ان من الحرب التي بدأت سنة ١٩١٤ والتي تنقضي امام أعيننا ، من هذه الحرب التي اسبأها ديغول بصواب « حرب السنوات الثلاثين الجديدة » ستخرج موضوعات جديدة من آداب كل بلدان المعمور . ما ستكون هذه الموضوعات ، هذا ما سأحاول بحثه ها هنا .

ان الطابع الذي ستتم به اداب الغد هو الطابع العالمي . ولقد شهد القرن التاسع عشر عهد ادب وطني ، (وهل هناك سمة ادب فرنسي اخص مما عند فلوير ، او روسي اخص مما عند دوستويفسكي ، او انكليزي اخص مما عند جورج اليوت او توماس هاردي ؟) اما انصار جميع الامم في بوتقة ممتدة فسيكون من شأنه ان علي على جميع هذه الامم انفعالات مماثلة ، وبالتالي آداباً متشابهة . ان غارة على فاروسفيا او على لندن ، على بلغراد او على ميلانو ، على برلين او على طوكيو ، لا يمكنها ان توحي سوى احوال متشابهة ولا يمكن وضعها الا بتعابير متقاربة المعنى . والجرع والبؤس والتقتين والحمران التي تنال بالسواء ، جميع الشعوب ، لن تختلف ألوانها تحت ريشة رسام

ان انغمس العالم في الحرب الميكانيكية سيحول بالكتاب الى الاهتمام ولا يوصف الحركات الكبرى الا بآلة ، وقد بدأ الكتاب الروس (من مثل غلادكو في مؤلفه « سيميتو ») يعطون فكرة عنها . فن الحرب العصرية ، إذن ، هذه الحرب التي لن ينفذ المرء تحت ثقل الآلة ، سيخرج ولا شك ، عالم اجماعي . وسوف لا نرى في تحف الغد الادبية وصفاً لوقائع فردية ، بل صورة حياة المصنع والمعلم ، والبلدية والعائلة . وحيال هذا الامر ، تعدّ حركة جول رومان في فرنسا نوعاً من الاستباق .

ان هذا الادب الاجماعي الموحي سيمتدّ بالحزم والشراسة وانشاد المجهود . واذا كانت السويداء داء الجيل حوالي ١٨٢٠ امكن القول ، ان عام ١٩٥٠ لن تشوبه سويداء . لن يكون هنالك ، من تلك المؤلفات الناعمة ، المزدانة ، الحلوة ، المنققة ، بل ستكون كتب قوية ، ابتدائية ، عارية ، يرسم العامة لا الخاصة ويرسم الاقوياء ، لا الادباء الناعمين .

وازاء هذه الحركة وبانفعال طبيعي ، ستعني الجماعات التي تأبى ملامشة شرعة السواد الاعظم الساحقة ، الى الهرب من وجهه عالم الشراسة لتلجأ الى المؤلفات المنققة حيث تحاول التثنت من

شخصيتها . ومثل هذا ، حصل ، على وجه التقريب ، في اواخر القرن التاسع عشر ، عهد كان مالارمه وتلامذته يدفعون بمؤلفاتهم النادرة الناعمة ، بوجه انتاج الطبيعيين اللفظ المتبدل .

ومن ادب الغزو اليوم ، اخذت فرنسا تعطيتنا مثلاً عديدة قية عن ازدهار ادبي عجيب بدأ ١٩٤٠ بظهور العديد من المجالات الشعرية والمؤلفات الغنائية حيث ينشد شعراء ، كانوا لأمس القريب نكروا ، احساسهم الذاتي ، على هيامش المأساة الاوروبية كأنهم لا يبالون بما يجري حولهم . وبالأجمال ليس من واقعي ، في كل المجموعات الشعرية العديدة التي تظهر في فرنسا ، ليس من واقعي سوى الرغبة الحارة في التخلص من الواقع .

ان الضروري القول ان ادب الغد سيكون حزينا بصورة فاجعة . هو لن يكون حزينا ، على غط السويداء ، الرومانطيقية ، بل سيكون يائساً ، متشاكاً . في عالم الغد لن يكون مجال للفرح . وهذا ، قد مات نهائياً ، على غير امل البعث ، في اول آب ١٩١٤ . ومنذ هذا التاريخ الرهيب ، ولع العالم مرحلة تأسق شرش وسرعة لا انسانية ، لا تترك للعقل فقرة اعتكاف وتأمل واعتباط .

ان اسباب السأوى اصبحت اجماعية . وهي تحطم الاعصاب اكثر من قهر . يكفي القاء نظرة على قاعة سينما ، خلال برهة الاستراحة او النظر الى جماعة حضروا مباراة رياضية . لقد تعب الناس من كل شيء ، اوضحروا واصبحوا مضطربين المزاج ابداً . هم يروحون ، حتى تحت عبء اسباب التسلية . وتقص مضاجعهم فكرة العودة الى العمل القهري الذي تفرضه معركة تنازع البقاء . والفلاح ، قديماً ، على قسوة عيشه ، كان يغني وهو يفلح ، ويتبسم بعد العمل . والمصنع العصري حيث يحضون على العامل كل حركة ، لا تسمع آله الصا غناء . ان الآلة الصماء هذه ، تسيطر على المرء وتسيطر عليه باطراد . وهو يطيع مرغماً أمرها الابدي الجهنمي . اجل ان هذه الملاحظات لا تسر كثيراً . غير انني اعتقد ، آسفاً ، بحقيقتها . ولا مناص منها .

بيد انه تظل لنا التعزية الاسمى وهي لجوئنا الى الماضي ومطالعة الادباء الغابرين الذين أسعدهم الحظ فعاشوا في عصور لم يكن الانسان بعد قد اخترع ما يسدونه خطأ ، المدنية . عصر كان متاحاً للانسان العيش كل العيش ، وليس الوجود فقط .

الاوكار

الى اخي توفيق . . . المحدثه بكفيا

اما وقد اقبل الصيف
وضحك خده عن الصحو والزرقة
واعشمت عن قريكم غيوم الشتاء
فانطلق كل حي في سبيله
فلا يد لي من غنثك
بالعودة الى التتريد
وابتناء الاوكار
التي عدتها لك عواصف الشتاء
بلا شفقة ولا رحمة
هندستها جنون
وسكانها ارواح
ناوي اليها ، وقد خلعت الروح الجسد
فكس كل شيء الى الغدو
فشائق الاشباح



وانك لتعمل كأن الصيف دائم ابدا
وكان لا عواصف ولا شتاء !
ولن يدب الوجع الى قلبك
الا يوم تعود الوحشة الى الجبل
فمندها ،
اعوذ بالله من ذكريات الصيف
والخوف على الاوكار !
واما نحن
فلا خوف على اوكرنا
وويل للجسد عندها من الجنية التي لا ترتوي
ولن ترتوي
حق نحي . يوم
ترول فيه الاشباح
وتتألق الارواح
ويكون خلود العدم
قد احتضن هذا الجسد
للتعب !

البر اريب

انت والربيع

رجع الربيع اخوك في اشواقه واراك ، ثم ، بعيدة لم ترجعي
جرت السفوح جداولاً محشودة في موكب متضايق متدفع
وتلاّلاً السهل المخضّل ، والربى حشرت خلال غمامها المتقشع
ومشت على الوادي الكئيب بشائر فزها لها بالسندس المتلمع
فدخلت في قلب الصباح خميلة ماجت بأعلام الشقيق الشرع
كنا على اجادها وخدودها نشفت من جلم الحياة المترع
فلمحت حبك في جلي سماءها ولست قلبك في الأديم المرع
وسمعت اكسام الورد تُسرّ لي ها قد طلعت ! فالها لم تطلع ؟

* * *

لا تحسبي ذاك الولوع مفارقي يا بى علي تهجدي ونوجعي
نور ابتسامك لم يزل في خاطري وخيال حسنك لم يزل في ادمعي

ربيف غوري

جناية الجمالة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

فهي لا تؤرخ الكلمات ولا تكشف عن أطوار شيوعها وادوار حياتها وتبدل مدلولاتها، وإذا في اجد بالاستقراء، والتمحيص ان المصانعة التي ارادها شاعر الجاهلية هي من ترادف السياسة والكياسة في ايماننا، وألغيت ان ما يبيح من خلائق الناس ويشمس من ميولهم ويثني من عرامهم وخصامهم لا دواء له ولا زاجر الا بالسياسة واشباه الكياسة، فالمصانعة إذن في مثل هذه الاطوار الشاذة لا مناص منها وهي كالسياسة في ألوانها ودورها لا معدي لها عن المداورة والمداورة واكتساب القلوب بالاستهواء والاغراء، وقد طرحني سياق بيت الشاعر الى ما نحن فيه من زمان ومكان فقلنا ان في مواقف المصانعة على الجمالة التي توزن بها عندنا وتقاد كل علاقة ومعاملة، وقلت ما بال مشرنا قد اتخذوا هذه الجمالة ذليلاً لهم يصطنعون فيها وجوهاً مستعارة ومستأجرة ويتمرسون بها في كل شأن من شؤونهم، حتى الذين يتبدلون وليس عليهم كلفة فيما بينهم، فان بعضهم يحامل بعضاً، ولا تسكل ألسنتهم من التناقض بالحق وبالباطل وبسائق العادة والتكلف لا عفو الطبع والبدية، ولو أحصينا معاني المصانعة وألفاظ المداينة التي يتداولونها بشمن وبغير شمن لرأينا منهم هذا القتل والشطط، وقد يكون الخبط في كل جمالة الا في ميادين العلم والإدب وتقدير الفن والبيان فانها تعد جريئة لا تتعذر وان لم يحاسب عليها القانون. الذي يتعاب الآثار الدامية والباغية ليعاقب عليها، ولعل هذه الجمالة هي آفة الادب الحديث، فلولاها ما طلع على الناس أدب التكسب والمجاه الذي يكتبه أصحابه للرايا، والاهواء، فهو مغرور مأجور، وهو مردود منبوذ في شرعة الحق والصرامة، ومن الحيف ان تشيع هذه الجمالة في أدبنا المعاصر، حتى ركبت الشبهات وتطاولت له الاشباح فأني طفلان أو جهول نهل من بدهاء المعرفة نهلات ضيالات ولم تلبه آداب النجاسة بالاديب المثقف؟ واي متشاعر تعلم العروض ونظم ما لم من كلمات ولم تنعته هذه الآداب

فيض العقول الفائرة روي البشر، وهودوا بنارها الى معالم من الخير والحقيقة، وما زالت تلك الابواب فياضة بلباب الفكر والمعرفة وصفوة الفن والحكمة، وما قولي هذا للتزويه بالعتيق الطيب والتليد القيم وانما هي فكرة عرضت لي وانا أنشد وأردد بيتاً للشاعر الجاهلي زهير ابن ابي سلمى قال فيه:

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بنهم ققلت ما اصلىح أحياناً اصحاب الحوليات في كل حول ولكل حال، انها نصيب العرب القدامى من الحكمة التي تنطلق عن التجارب وتستوحى من الحوادث، ولكن هل كان زهير في قوله سديد الرأي؟ فالمصانعة في لغة العرب هي المداورة والمداينة، ومن معانيها الخديعة والمثلث وهما تزعتان اخلاقيتان لم يجددهما علماء الاخلاق وهواة السجاياء الحسنان، وقد اصطلح العرب والفرس والهنود في كل زمان ومكان على نيب المصانع الخادع وطرح صحبته واتقاء شره كما أجمعوا على مودة أهل الصدق والصرامة، ورأيتني أقلب وجوه المذخرة لحكيم داحس والقبراء، اقم يحقن بوعظته الشعرية دماء قومه وقد سفكت في طول السنين الجاهلية؟ وبيننا انا اقلس للشاعر المعاذير كان يتهه بأني الدخول في باب منها، اذ اتسع صدره على الزائبين وصاحبه لم يهض على المصانعة فحجب، بل حث قومه عليها في امور كثيرة لئلا يصيروا طعمة لغريهم ومداساً، وزاد عجي أن ليس في طبائع العرب الاوائل منازع المصانعة والمداينة ومسح الخوط الذي عرفه الناس في قديم القرب وتودوه في ايماننا، إذ اصبح من مزايا الحضارة الحديثة والمعاصرة الاجتماعية الحاضرة، وأبو كعب ويحيى أجل من ان بداجي ويحياي وهو وان قلح طويلاً بالচার بن عوف وجرهم بن سنان فانسا كان يشيد بفضل عظيمين من عليا معد تداركا عيساً وذيبن قبل ان يتفاننا، فعدت الى الجاهلية اجوس خلال مغاني أهلها ومعاني كلماتهم، ولم يكن رائدي معاجم اللغة فلان من هذه الناحية ما زالت مقصرة الى اليوم،

سواعدهم فأغلبهم العقاد وكان ينبغي ان يوزر محصولهم ويعجم
عودهم ، والعهد مثله ان يعان قراءه فيهم بما يرضي الحق والواقع ،
لان كلامه رهن البقاء وحجة المتأدبين والادباء .

ولم تقتصر هذه المداواة على ادب المصريين بل رأتها فاشية
في ادب غيرهم في هذه البلاد ، حتى غدا ادبنا الحديث مبتلى بأقّة
الجمالة او مترجماً في كفة الضعيفة والخصومة ؟ ومن نكد الدنيا
ان تحيي الجمالة على كثير من اولي الالباب والقنون ، فتدفع منهم
ادعاء اغنياء ، وتضع الاكفيا ، فكم شالت لهم قسطاً
وأثقلت لغيرهم ميزاناً افضاع حق وجال باطل ، ولم يحل ادبنا
القديم من تلك هذه البلى ، لاسيما في حبي الخفاء . وفي عهود
التكسب من الكبراء ، فكانت الجمالة بؤس لآبن الرومي
ونعمى للبحرّي وشراً على المثني وضراً على المعري وكسريداً
لبعض الاحرار المفكرين ، وعدت للسياسة والتاريخ فوجدت عمر
الفاروق لا يخالل في الحق والعدل صغيراً ولا كبيراً ولا يصانع غنياً
او فقيراً ، وحين تذكرك ابن عفان بصرت به وقد جنت عليه
الجمالة ، واذا بتاريخنا الغابر يوج جانب منه في مجاز المتابعة
والمصانعة ، اذ اشتمل على فصول املاها التدليس فباتت عندها
عيون المحققين والمقربين ساهدة جاهدة لتضيح الحقائق وتحلية
الانباء الصريح ، ولكن هل رضي الناس عن المرء الصريح ؟
ولست اريد ان الانصاف البصير انت اعور ، فهذه الصراحة
اقبح من وقاحة ، ما احسب راضين عن يقول الحق ولو على نفسه
ويرسل الكلام على سجيته ، انهم يتذكرون له ويعادونه
ويسلقونه بالسنة حداد ، وفي اهلكومة موليد التي ومهما بطابع
الميزان تروب صور لنا الكاتب الفرنسي رجلاً كان يرحم الناس
بالوية والظن ، ويتحاما لما تقضى بهم من ملق ونفاق فكان لا
ياري فيهم ولا يدياري احداً منهم بل يحبه أياً كان برأيه فيه .

ولست طالبة في مقالتي هذا صراحة مطلقة في معاملاتنا
الاجتماعية او خروجاً على مقتضى ما يستحب ويجوز من آداب
اللباقة والمودعة ، وانما اتيته ان لا نغلو في الجمالة غلواً يؤزل الى
تشويه الحقيقة وتقميع الواقع ، اما في العلم والادب فالجمالة مجازة
للضلال ومهانة للحقائق ، فاذا شئت الزفة بين الامم فعلياً ان
نستجيب لنداء الضمير فنضع الشيء في موضعه وننزل المسدراك
والارواص منازل العدل والانصاف بلا اسراف ولا اجفاف

وداد سكاكيني - دمشق

المصطنعة بالشاعر المطبوع ، وهؤلاء الغرائر والوارشون ، يشتهون
الصيت والالاقاب فيلتبسونها إلخافاً وإسفافاً ويعينون النقي والتبهر في
ترديد ما نقلوا وتنجسوا حتى يتبذروا من الغرور ، فألهم لم يستسر
او يقتصر ولم تعد الجمالة الجانبية بما يزيد تيباً وعتراً ؟ وأدعى من
هذا وأمر أن تسري عدوى المودعة والمصانعة الى اكابر الادباء
المعاصرين فيجامل بعضهم بعضاً فيما يقولون ويكتبون ، حتى
استغاض في محصولهم أدب المداواة والمجارة ، وخفت موازين النقد
بين أيديهم إذ أعرضوا عنه ايثاراً لراحة البال وسلامة السمع ، ولعل
اول ما يبدد الى الفكر منهم هو الدكتور طه حسين الذي حمل
منذ بضع سنين راية النقد الادبي بعزم ورأي ونفاذ ونقد من آثار
الاقدمين والحديثين ما لم يجزّ عليه غيره من الأنداد وقد أثار هذا
الادب الجدد حول نقده جدلاً وخصاماً ، ولقي عنتاً ، ولكنه
فتح في الادب العربي فتحاً جديداً ، وما لبث الدكتور طه حسين
ان شغل عن النقد الادبي ولم يتناوله الا لماماً وتقريراً ، فلما مات
شرقي زعم طه حسين ان زعامة الشعر قد انتقلت من ضفاف النيل
الى ضفاف الرافدين ، ولم يصكد يستريح شوقي في فردوسه بين
الحالدين حتى اقتحم هذا الفردوس الدكتور طه حسين وانتزع
امارة شوقي الشعرية التي يابغها اكابر الشعراء في قطار العرب ،
وخلعها على صديقه العقاد الذي هو زعم المثل الحديث في الشعر الحديث
وقد تنكر الادباء يومئذ لرأي العيد وعدوه من جملة ينبغي ان
يرد اداؤها ويتقاضى فاؤها ، ومنذ اسابيع نشر الكاتب الكبير
الاستاذ عباس محمود العقاد رأيه في ادباء المصريين فاصطنع الجمالة
في تقديمه وتصوير بيانهم ، اذ كان ينبغي على الفحول الشداد
ويتقضى الذين استمر مريهم ، وما فاتة ان يتلطف ببعضهم تلطفاً
بيناً فيه كثير من التكلف ، وقد سما من سفر التكوين ادباء
آخرين فكانه شاة ان يهدم بقلمه الجبار اعلاماً للادب ما بنى احدهم
مجدده وشهرته الا في طويل المراتة والسنين ، ولم يتورط العقاد
النقاد في مقالاته ومجاملاته للنوايع الاكفا ، بل سلك في صفهم
بعض الكتاب الشباب من شيعته ، وكنا نتلس له او لهم سبباً
لولا ان فيهم من يقتني معالم العقاد ويتأسي بأرائه ويتحامل على
منافسيه وأعدائه ، وبينهم من كان يترقب الدوائر ينجم العقاد
وكاتب البيان المرحوم مصطفى صادق الرافعي فلما اعلن الاستاذ
العقاد رأيه بادباء العصر في مصر حشر مشايخه في اكنافهم جمالة
لهم ، ومساخلام من امدوحة صريحة وفي ديار المصريين ادباء
محدثون وشعراء مطبوعون انشأوا وشعروا وقد اشتدت اليوم

• كلية الحقوق الرومانية في بيروت •

بشلم غليل محمد عتاني

استاذ في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

واول ما يجب الكلام عنه في موضوع كهذا هو تأسيس كلية الحقوق . فلنبداً اذا بتأسيس هذه الكلية .
تأسيس كلية الحقوق
هناك نقطتان تسترعيان انتباهنا قبل كل شيء . هما تاريخ التأسيس او زمنه ، والاسباب التي دعت اليه ونبدأ بزمان التأسيس وتاريخه :

نكتفي بالاشارة الى ان بيروت في عهد الرومان جعل منها Auguste مستعمرة عسكرية وبماها :

Colonia Julia Augusta Felix Berytus

وكان ذلك في سنة مجهولة من حكمه

ولا نعرف بالضبط متى است في هذه المستعمرة جامعة ولا متى أسس فيها معهد للحقوق .

بين القديسين Hasep ذكر ويدحض آراء Scipion Gentilis الذي يأنس تأسيسها الى اوغست . وآخرون يرجعونها الى زمن Hadrien ، و Ménage يعيده الى عصر Alexandre Sèvere ويعتقد De Ménage ان تأسيس الكلية كان بعد زمن قليل من انتصار Actium . الا ان هذا الاعتقاد ليس مدعوماً بحجة قوية

وبين المؤرخين الحديثين Rudorff الذي يحاول ان يرجع تأسيسها الى زمن Hadrien لا الى زمن Auguste .

ويعتقد Bremer على خطاب للقديس Grégoire Le Thaumaturge القاه سنة ٣٢٩ او سنة ٢٤٠ واتى فيه على ذكر كلية الحقوق للمرة الاولى ، فيقول (Bremer) ان كلية الحقوق في بيروت بدأت بعد سنة ٢٠٠ بقليل الا ان هذا لم يثبت بعد .

اما Schemmel فهو يعتقد ان كلية الحقوق وجدت قبل سنة ٢١٢ بزمان طويل واشتهرت منذ بدأ الشرع الروماني ينتشر في الشرق تحت تأثير دستور Caracalla (٢١٢) . ولكن هذا التأكيد لا يعتمد على برهان متين قاطع . الا اننا على ثقة من ان

ان المؤلفين الملبسين الذين عنوا خاصة بدراسة التشريع البيزنطي وكذلك الذين اهتموا بدراسة اصول التشريع الروماني او بدراسة تاريخ تدريسه (وهم اكثر عدداً من اولئك) يعترفون جميعهم انه في عهد Justinien وبعد ، كان لكلية الحقوق في بيروت - او Bérute كما كانت تدعى - المكان الاول الممتاز .

لقد كان الشرق حينئذ حامل مشعل العلم بلا منازع وكان يدرس فيه الغربيون انفسهم . الا ان كلية الحقوق في بيروت قد لمت اكثر من غيرها وكانت ابعداً من الكليات الاخرى المنافسة لها ككلية الاسكندرية وقيصرية واثينة وكلية القسطنطينية نفسها .

والرغم من ان العالم الحديث يذكر في كل مناسبة الدور العظيم الذي لعبته كلية الحقوق في بيروت في تاريخ التشريع الروماني فلا توجد دراسة حديثة كاملة عن هذه الكلية الا اننا اذا استثنينا كتاب الاستاذ Paul Collinet احيد اساتذته كلية الحقوق في باريس وقد نشره سنة ١٩٢٥ .

والعمل الوحيد الشامل في هذا الموضوع قبل ظهور كتاب Collinet يرجع الى سنة ١٧١٦ وقد قام به Jacques Has De Brème.

وان زمن هذا الكتاب وما عرف به علماء ذلك العصر من حسنات وسيئات كل ذلك يضطر الباحث في تاريخ كلية الحقوق ان يعود الى الاصول الاولى لهذا الموضوع ، الى الاصول اليونانية والرومانية التي نشرت منذ ربع قرن تقريباً ، والى الدراسات الحديثة والقديمة العامة او الخاصة التي تحوي بعض اشارات مفيدة لهذا الموضوع .

وقد حاولت ما استطعت ان اتعرف الى بعض هذه الاصول مما يوجد في مكتبتنا الشهيرة في بيروت وسعت الى الاستفادة منها الا ان جل اعطادي كان على كتاب Collinet .

وتأسس هذا المستودع يرجع على الاقل الى ما قبل سنة ١٩٦ وهو زمن اقدم قانون في مجموعة قوانين Grégorien التي ألفت في بيروت . ويمكن ان يكون المستودع قد وجد قبل ذلك بقليل وكل ما تذكره المصادر الاولية عن وجود هذا المستودع هو انه وجد قبل سنة ١٩٦ . ويلاحظ Collinet انه من الطبيعي ان توجد علاقة بين كلية الحقوق وارسال الاطارة بقواينهم الى هذه الكلية .

ويحيل Collinet الى الاعتقاد بأن اختيار مدينة بيروت لتكون مركزاً لقوانين الاطارة وتشاريهم هو الذي أدى الى تأسيس كلية الحقوق فيها .

وقد لم بعض الفاضلة Prudentes اساتذة القانون في بيروت فائدة في استخدام القوانين التي كانت تأتي من رومة الى بيروت في تعليم الحقوق . ومما جعل مدينة بيروت تتفوق على سواها من المدن الشرقية في هذا الميدان هو انه لم تكن تأتيها القوانين المشلعة فقط بل جميع النحا الامبراطورية في الشرق ، وهذا ما جعل طلاب الحقوق يقصدونها من المناطق النائية في الشرق ليدرسوا فيها وهذا كله شجع على إيجاد كلية للحقوق كان لها شهرة

عظيمة ونجح باهر للأسباب التي ذكرناها

٢ - اثر الساسي والاقتصادي لمدينة بيروت .

لقد أحل الرومان مدينة بيروت محلاً كبيراً لحفلوها مستعمرة عسكرية ومركزاً لجيشين كبيرين . وقد حكم (أنيبا) زوج (جوليا) ابنة الامبراطور اوغست التي اعطت اسمها لبيروت (كولونيا اوغستا جوليا فيليكس)

وشيد فيها اوغست الابنية الضخمة وحذا حصونه في ذلك للولك اليهود من عائلة هيرودس اغريباء ، وقد اختيرت بيروت مركزاً لمحكمة العدل العليا غير العادية التي ألها الامبراطور اوغست للنظر في اتهام هرود ابنة باتأمر عليه . وقد كان مرفأها مركزاً للاسطول الروماني المكلف بحماية المتوسط الشرقي .

وكان كلاً اضطراب امبراطور ما للبحر الى الشرق كان يقضي في بيروت مدة من الزمن لما كان لها من الاهمية والشهرة : اوغست وايسكوبازين وطيبلط الخ .

اذا كانت مدينة بيروت تتمتع بمرکز ممتاز عند الاطارة الرومان ولا عجب ان يكونوا قد جعلوا منها مركزاً لقوانين البلاد الشرقية فقد كانت هي مفتاح الشرق .

وبيروت مدينة بهذا المركز قبل كل شيء الى مرفأها الذي

كلية الحقوق كانت موجودة في شباب Grégoire Le Thaumaturge يعني في اوائل القرن الثالث . ولكن منذ كم سنة ؟ هذا ما لم يُعرف بعد .

وكثيرون من مؤرخي كلية الحقوق الرومانية في بيروت من يزعم ان كلية الحقوق أسست تحت تأثير كبار المشرعين من السوربيين في القرن الثالث كـ Ulpian الصوري و Papinien ابن عم (زوج اخنثه) Septime Sévère (شقيق زوجته الثانية Julia Domna) و Papinien كان من مدينة Hémèse اي حمص وكذلك Tryphoninus الذي كان يتبع بمرکز كبرى في سنة ٢١٣

ونلاحظ ان آراء هؤلاء المؤلفين المحدثين تدعم آراء Bremer وتؤيدها .

ويعتقد Bremer ان Gaius الذي يعتقد انه ولد في طروادة قد درس في كلية الحقوق في بيروت .

وكدليل على ان Ulpian الصوري درس في كلية الحقوق في بيروت رأي Bremer ذكره بيروت ككل على مدينة التشريع الايطالي .

اما Papinien فعدة مقاطع من مؤلفه في الحقوق يذكر فيها بعض مدن سورية وحت الى Bremer ان كلاً كونه من كلاً في كلية الحقوق في بيروت . وهناك اختلافات كبيرة جداً حول تاريخ تأسيس كلية الحقوق الرومانية في بيروت . فامام هذه الاختلافات في الرأي وبسبب سكوت المصادر الاولية زى انفسنا مضطرين الى الاكتفاء بالملاحظة بان تأسيس كلية الحقوق يرجع الى ابدع ما يكون الى اوائل القرن الثالث او الى اخر القرن الثاني .

اسباب التأسيس

ان الاسباب والعوامل التي دعت الى انشاء معهد الحقوق في بيروت يشاها نفس التموض الذي يشي زمن تأسيسها . والسبيل الوحيد للباحث في هذا الموضوع هو التخمينات والافتراضات التي لا تؤدي أحياناً الى الحقيقة .

١ - بيروت مركز لقوانين الامبراطورية الرومانية :

يتساءل Collinet اذا ما كان تأسيس كلية الحقوق قد دعا اليه كون مدينة بيروت منذ الـ Haut Empire مركزاً للقوانين الامبراطورية في الشرق . والحقيقة ان بيروت كانت كمستودع للقوانين التي كانت تتعلق ببلاد الشرق .

استغله في الماضي الفيزيقيون واليهود واليونان .

هل يمكننا ان نستنتج من ذلك كله ان تأسيس كلية الحقوق كان على يد احد الاباطرة ؟ فان الكليات الرسمية لم تكن موجودة في ال Haut Empire ولكن تأسيس كلية الحقوق في بيروت دعت اليه نفس الاعتبارات التي حملت اباطرة روما على اعطاء بيروت الاهمية التي تكلمنا عنها .

فهما كان الزمن الذي انشئت فيه الكلية واذا كان لكونها مستودعاً لقوانين بلاد الشرق اثر في ذلك ام لا ، فما لا مشاحة فيه ان اهميتها السياسية كمنفتح لشرق واهميتها الاقتصادية لوجود مرفأ عظيم فيها كانتا كافيتين لانشاء كلية الحقوق فيها كما كانت العادة في روما وفي مدن الشرق الكبرى .

كانت بيروت لاهميتها السياسية والاقتصادية والجغرافية تزخر بالنشاط وتميز بقوافل التجار والمسافرين والسياح وطبيعي ان يتبع هذا النشاط بعض المشاكل والاختلافات بين الناس وان يتبع وجود هذه المشاكل والاختلافات وجود رجال القانون .

ونعلم ان ال Prudentes كانوا في الوقت نفسه محامين واستاذة حقوق . فلا يبعد ان يكون هؤلاء الاساتذة فكرياً في وقت من الاوقات حوالي القرن الثاني في انشاء كلية الحقوق . لكن هل هناك من اسباب اخرى لنشوء كلية الحقوق . هذا ما يمكن ان نتوصل اليه في بحثنا المصادر الاولى في درس كلية الحقوق في بيروت ..

المصادر الاولى

اول مصدر يشير الى قدريس الحقوق في مدينة بيروت هو مقطع في خطاب القديس (غريغوار له تومانيج) القاه سنة ٢٢٩ يروي فيه انه تعلم اللاتينية والقوانين الرومانية ليذهب الى بيروت ويطلب الحقوق فيها .

وهذا المقطع يدل على شهرة كلية الحقوق في بيروت وذيع هذه الشهرة في اوائل القرن الثالث بعيداً خارج سوريا ويدل على ان المدينة كانت مركزاً كبيراً من مراكز الروم وان القديس كان فيها بالاعمة اللاتينية .

وفي القسم الثاني من القرن الثالث زى القديس بامبيل يدرس الحقوق في مدينة بيروت .

وفي اواخر القرن الثالث زى القديسين : آبيان وايدونيوس

بقضيان خمس سنوات في بيروت لدرس الحقوق الرومانية .

وفي حدود القرنين الثالث والرابع نجد قانوناً غير مؤرخ ل (ديوكليتيان) و (ماكسيميان) يذكر بعض الشيء عن كلية الحقوق في بيروت وهو عبارة عن جواب على سؤال وجهه بعض طلبة الجزيرة الى الامبراطور . ويتبادر منه ان بعضهم كان يؤم هذه المدرسة منذ القرن الثالث او الرابع . وقيد اكتشاف الايوان منيسل دي يويسون وموترد نقشاً يونانياً في بيروت مهادياً الى ملكة البترا . يدل على وجود علاقات تجارية بين البترا وبيروت قبل زمن القانون الذي تشكل عنه .

اما في القرن الرابع فقد كانت شهرة الكلية قد عت الآفاق ودلينا على ذلك اشارة السفسطائي (ايناب) الى ذلك . وقد كان ايناب هذا يعيش في عهد الامبراطور (كونستانس) . قال ايناب في معرض الكلام عن موظف كبير من موطنه الامبراطورية الرومانية : « قد بلغ ذروة علم الحقوق . وليس هذا غربياً فوطنه بيروت ام هذه الدراسات ومرصتها » .

ويرى المؤرخ Sozomène في كتابه تاريخ الكنيسة ان القديس سيريديون (٣٤٨) مكث مدة طويلة في بيروت للتمقه في الشرع الروماني . ومن هنا جازى قانوني من الاجوبة الامبراطورية يظهر الاثر الفعال الذي كان لدراسة الحقوق في بيروت في تسهيل المعاملات والمساكن القضائية .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع ازدادت شهرة كلية الحقوق في بيروت . ولدينا مصادر كثيرة تشهد بذلك :

فالقديس غريغوار دي تازيانج (سنة ٣٨٩ م) يشير في قصيدته الشهيرة من نيكوبيل الى ابيه (De Nicobule à son fils) الى كلية الحقوق دون ان يذكر اسمها . يقول : « مدينة شهيرة في فينيقيا الجميلة ومركز للقوانين الرومانية » . وهذا التلميح لا يعتوره اي شك في ان المقصود به بيروت .

ونجد عند ليانياس العالم الكبير في البلاغة ادلة عديدة على شهرة مدينة بيروت وعلى وجود كلية الحقوق فيها . ففي رسائله يذكر دائماً طلاب الحقوق ويذكر استاذاً من اساتذتها هو دومينوس . وقد كان ليانياس استاذاً من اساتذة البلاغة في انطاكية . وكان تلامذته عندما يريدون درس الحقوق ويستبدون روما يذهبون الى كلية الحقوق في فينيقيا . ورسائل ليانياس تحوي تفاصيل قيمة ودقيقة عن حياة الطلبة في كلية الحقوق .

براين وفيها بعض الشيء . عن كلية الحقوق .

امامنا يتعلق بالقرن الخامس فان النصوص التاريخية التي تتكلم عن كلية الحقوق كثيرة وغزيرة بتفاصيلها . ولدنيا في هذا العصر علاوة على المصادر التاريخية ، مصادر كسريرية لم تكن تتوفر في العصور السابقة . وفي خلال هذا القرن التني بين طلاب الكلية في بيروت قديسان هما اركادايوس و جان كزانونوف و كانا من القسطنطينية . يوي في اثنا الكلام عن حياتهما ان كزانونوف والدهما وقد كان نائباً فاضلاً وغنياً القسطنطينية تعفها ثقافة مدينة في البلاغة والفلسفة ثم اراد ان يدرسها علم الحقوق فارسلها الى بيروت التي كانت شهيرة حينذاك بالاستاذة الماهرين في الشرائع والقوانين . ويضيف الراوي بأن مرضاً أصاب والدهما فاضطرهما ان يعودا الى وطنهما ثم شي والدهما باعجوبة من اعاجيب القدر فأمرهما بالعودة الى بيروت لمتابعة دراستها .

وعندما حاول الشاعر اليوناني نونوس المولد حوالي سنة ١١٠٠ الى مجدده مصر العالم قال : « ان التناحر المقوض للعالم لن يكف عن تهديد السلام الا حين تصبح بيروت حامية المدعو . في الحياة بحيث تقاضي الارض والبحار وتحصن المدن بسياج القانون المتين وحينما تأخذ هذه المدينة على عاتقها تنظيم مدن العالم بأسرها »

وعلى كل حال فان كلية الحقوق الرومانية في بيروت شاهدت في النصف الاول من القرن الخامس حدثاً هاماً في تاريخها وهو جعل الامبراطور لها مؤسسة رعية ومعاملته اياها على قدم المساواة مع كاتي روما والقسطنطينية . وقد اقر ذلك جوستيان في دستوره واعترف به ولهذا فانه ابقاها في جانب كاتي المدينتين العظيمةين عندما قرر الغاء الكليات الاخرى التي لم تكن لها الصفة نفسها

اما الزمن الذي منحت فيه كلية بيروت هذه الصفة الرسمية فيرجع انه بين سنة ٤٣٨ و ٤٥٠ . ولدنيا عن تاريخ كلية الحقوق في القمم الاخير من القرن الخامس معلومات غزيرة ، وذلك بفضل ما كتبه المؤرخ الكبير زاكاري عن حياة سيفير وقد كتب مؤرخنا كتابه هذا (بين ٥١١ و ٥١٨) وسيفير الذي يؤرخ زاكاري حياته هو صديقه ومعاصره سيفر الانطساكي الذي اصبح بطركاً لانطاكية سنة ٥١٢ ثم نني سنة ٥١٨ وتوفي سنة ٥٣٨ . وقد كان من اشد المدافعين عن العقيدة بالمشيئة الواحدة . وقد اضطهد وعذب بسبب ذلك حتى اعتبره اليعاقبة احد قديسيهم .

وان اكثر النصوص بياناً هي رسالته العظيمة التي وضعها في الرد على منتقدي تعاليمه بعد سنة ٣٦٦ أو بين سنة ٣٦٦ و ٣٦٩ وفي هذه الرسالة يعرض ليسانيس الاسباب التي ادت الى تفهقر فن البلاغين في ايامه . وان المقطع الذي يشير فيه الى تطور مدرسة الحقوق في بيروت لمهم الى درجة تجعلنا نترجمه حرفياً « وهناك سبب ثالث ادى الى اضلال الفن الخططي فليقرظوا وليجذبوا كما يشاؤون الثورة التي سأحدث عنها . فالواقع دائماً انها ساعدت كثيراً في جعل الدراسات الادبية عظيمة . فالى هذا العصر كان الغتيان المنتهون الى عائلات عاملة والذين كانوا بحاجة الى البحث عن وسائل العيش كانوا يردون دوماً فيايقيا ليقبلوا فيها دراسة القانون . اما ابناء العائلات الكبرى ذوو الدم الممتاز والقوة العظيمة والذين كان أبائهم قد مارسوا المهات الحكومية فقد ظلوا في مدارسنا . وكان على ما يظهر في ذلك الوقت ان دراسة القانون كانت تدل على العوز والفاقة كما ان ترك هذه الدراسة كان يدل على الغنى والجاه . اما اليوم فليس هناك شي . من هذا ، فالتاس يقسمون من كل صوب لدراسة الحقوق والغتيان الذين يحسنون الكلام يسرعون الى مدينة بيروت آمين ان يجمعوا معلومات جديدة يضيفونها الى ما عندهم . وكنهم يظنونهم لا يجمعون انما يقومون بعملية تبادل . ليس هذا شيئا جديداً يضاهي الى شي . قديم وانما هو شي . اساسي يمل محل القديم »

ويقول ليسانيس نفسه في رسالة اخرى وضعها في الرد على هؤلاء الذين وصفوه بالغضب (ان التعليم في مدرسة الحقوق في بيروت كان يعطى باللغة اللاتينية في اواخر القرن الرابع) : انهم ينظرون اليوم الى هذا الفن من الكلام البالغ انهم ينظرون الى هذه اللغة اليونانية كصخرة مجعدة لا ياول قرعها الا مجنون لانه لا يثبت عليها شي . ولان البذار نفسه ضائع سدى فيها . تلك هي ارض اخرى التي تعطي الغلال والمواسم ، تلك هي لغة الايطاليين . آه يا ميترفا يا ربي الالهية ! هذا هو علم القانون . »

واخيراً يذكر ليسانيس في خطاب من خطبه سنة ٣٨٨ وهو يتكلم عن نجاح كلية الحقوق في بيروت موجهاً الكلام الى شيوخ انطاكيا : « الا تعضوبون لرؤية ابناء الشيوخ يسافرون في كل ربيع إما الى بيروت او الى روما لدراسة القانون ؟ »

وهناك عدا النصوص الادبية التي تعود الى الرابع الميلاي والتي تحوي اخباراً واضحة صريحة فعلية عن كلية الحقوق ، هناك . وشيقتان تاريخيتان مكتوبتان على ورقة البردي وموجودتان في

ويخبرنا زاكاري انه درس مع سيفير في الاسكندرية النحو والبلاغة . وبعد ان انهى سيفير دروسه الثانوية (وكان ذلك قبل زاكاري بسنة) توجه الى بيروت لدرس الحقوق فيها في خريف سنة ٤٨٦ او سنة ٤٨٧ . وفي حوار زاكاري لتلميذ اسكندراني يقول فيه : « ماذا حدث من جديد اياها الصديق العزيز فاضطرك الى مغادرة مصر والنيل ومدينة الاسكندرية العظيمة ، لتقدم الان الى هنا ؟ فاجابه تلميذه موينوس : حلني الى هنا اياها الصديق حب القانون ، حلني حب القانون الى ام القانون . وقد اتيت الى فينيقيا لكي اتعلم كيف يفهم الرومان القانون »

وفي القرن السادس نشاهد في رسائل (بروكوب) الغزي استاذ البلاغة في غزة اسما بعض طلاب معهد الحقوق في بيروت وبعض الاخبار عنهم . وفي هذا القرن السادس عمل جستنيان على تثبيت دعائم كلية الحقوق في بيروت وتقوية مركزها وتوسيع نطاق الدرس والتدريس فيها . كما انه قضى على المعاهد المتنافسة لها كمعهد الاسكندرية ومعهد قيسارية ومعهد اثينة وقد اعترف جستنيان رسمياً بأهمية وميزة مدينة بيروت التي كانت لها بفضل كلية الحقوق وسجل هذا الاعتراف في قانونين من مجموعة القوانين الامبراطورية الرومانية المعروفة بال Digest وكلا هذين القانونين يرجع الى ١٦ سنة ٥٣٣ . اما القانون الاول فيقبل الشاغل على كلية الحقوق والى انه اشترك في وضع اثنان من اساتذتها دوروته و انتاول . واما القانون الثاني فهو موجه الى اساتذة الحقوق في القسطنطينية وبيروت ويحمل في طياته امراً بتعميم مجموعة قوانين وقرارات الامبراطور جستنيان ومنه نعت غلبة لمدينة بيروت كبيروت الوطن الام وبيروت المدينة الجميلة وبيروت ام القوانين الخ ...

النهضة العلمية سنة ٥٥١

في خلال القرن السادس الميلادي وعلي اثر احسد الزلازل التي قلبت مدينة بيروت رأساً على عقب ودكتها من اساساتها انهارت كلية الحقوق التي تكلمنا عن نشوئها وتطورها حتى الآن وزالت من الوجود بعد ان لعبت دوراً هاماً في تاريخ مدينة بيروت خاصة وفي تاريخ الرومان والفتح الروماني عامة .

وذلك ان الهزات الارضية كانت تحدث باستمرار في تسلك البقعة من آسيا التي فيها سوريا ففي عام ٣٤٨ حدثت زلازل تهدم

بسيها القسم الاكبر من مدينة بيروت وفي اواخر القرن الخامس حوالي سنة ٤٩٤ كما يقول زاكاري حدث أيضاً زلازل لا يقل هولاً عن اذالك ثم في سنة ٥٠٢ عرفت ارض بيروت زلزالاً آخر اودى بكينس يهودها الى الاندثار ثم في عهد جستنيان حصل سنة ٥٢٩ زلزال لم تحس كلية الحقوق منه بأذى غير انه في ١٦ تموز من سنة ٥٥١ حدثت هزة عنيفة تبعها حرائق كثيرة لم تقو كلية الحقوق بعدها على البقاء . وما قاله في ذلك المؤرخ الشهير ميشال الصوري : « في بيروت وغيرها من مدن الشاطئ الفينيقي تراجع ماء البحر بأمر من الله ما لا يقل عن ٢٠٠٠ ١٠٠٠ في بيروت حيث اشتعلت النار بعد انهيار المدينة ، وقدمت الحرائق شهرين كاملين تحولت الاحجار والصخور فيها الى مواد كلسية . وقد ارسل الامبراطور جستنيان ذهباً كثيراً للبحث والتفتيش عن جثث الموتى ودفنها ولاعادة بناء قسم من المدينة »

وما قاله في ذلك المؤرخ البيزنطي آغا ثياس وكان قد كتب تاريخه بعد وفاة جستنيان : « بيروت اجل عيون فينيقيا فقدت كل بساتينها وعظمتها . لقد تداعت ابنتها الجميلة الشهيرة ولم يسلم منها شيء . وتوارى عدد كبير من سكانها تحت التراب كما انه اسف اسفاً شديداً على فقد عدد كبير من الشباب الاجانب الاشراف الذين كانوا يدرسون للتشريع الروماني فيها . وكانت ميرة بيروت الكبرى احتواها على كلية الحقوق الشهيرة .

اجل الى اثر زلزال سنة ٥٥١ تواتر بيروت عن الانظار وهلك ثلاثون الفا من ابنائها فنقلت كلية الحقوق الى صيدا ريثما يتم بناء المدينة من جديد . وانشئت بالفعل بيروت جديدة على نسق بيروت القديمة . وقد كان الناس على وشك تشييدها واعادة اساتذتها القدماء اليها عندما شبت فيها حرائق سنة ٥٦٠ فلم تبقى منها ولم تذر .

وآخر ما نجده في المصادر القديمة عن كلية الحقوق في بيروت هو اشارة احد الحجاج المسيحيين الذين مروا بسوريا بعد زلزال سنة ٥٥١ بقليل .

وقد ظلت بيروت قاعاً صفصفاً حتى سنة ٦٠٠ م ثم سقطت بسهولة في ايدي المسلمين عام ٦٣٠ دون ان تظهر كليتها اي اثر او اي محاولة للانبعاث

فيل محمد عتاني

الورد

عادت

من الجنة وهي تحمل في يدها اضمامة ورد، ذات عبق، ورقة، وتوفر وملدان
فيها لها. الخرف، كيف انتمش واحمرت حدوده وتندت زواياه، واطل من النافذة يحمل الورد،
يلهنا . . . ومن تراه لا يجب الورد في الضم واللمس، والشم . وهذه العنة لا تزاح عن سطح النفس إلا اذا
كشها كاشح دالية، او دافع طيب

اثنان في هذه البوية الموحشة - الدنيا - يندران الألم، كاس متعة بالصبا، ووردة مطفحة بالطر .
اما تلك الصبية التي رصت الورد ومجعت النافذة والحلي، فقد عقدت هذه الحروف المتصلة على ارض الحائط،
وكان لها مع العرس الفواح حديث يكاد يكون حديث الورد نفسه
يقطف من الجنة الحبة، وهو بعد في النظارة، فيحمل بشوكة، وندها وشذاه، الى دور الناس، ليحفظ في
الآنية ويمنع القطر الازرق ليشرب ماء الصبور، والابريق المطنة، ثم يذبل على غصنه، كما يقال، ويغيب عبقه وينثر
ورقه، وتنتصب عمدة الوحشة والخلة فيتهايل الحلي من وردة زرعا الازرق وسقاها بحجاب القلب وجهشة العين
وتقام النياحة في كل صوب وعلى رأس كل تلة فقد غارتون من الوان النياح المقدس، وجلست الجنيات تغتش عنسه
في المرايا المعلقة، وصفحات الناييع، وورقه الم، وعيون الشعراء.

حبذا هؤلاء الشعراء، تخبي اهداهم المبة اطياف الليل واساطير السمر،
نعما الشعراء، لولاهم لما كان هذه الوردة العطرة عطر دائم يربأ بمكب الفصول.
حب بهم فهم الذين رفعوا هذا العرس عن التراب الى الصدور فشارف الرأس كما رفعت الريح الضباب عن السفح
الى الشفاف، الى اعلى مفارق الامة

والصبية التي تقطف الورد من الجنة القريبة ثم تزرعه في مياه الانا. الاحمر زينة لبيتها هي التي تقول لهذا الانا.
الخرفي نفسه : امشوش . فتخضر جنباته وتفتجر الالوان على نواته ثم تجلس في التلفت والحيرة حتى يربها من بلاد
الشمس هائم تائه، يحطم الوعاء القرمزي على حديد النافذة فتزوي وجهه بالورد وهو يظن انها عابثة وهي تظن انه مجذ
وبين الجد والعبث، وتشهي هذه الالفاظ ينمو الورد ويبدل لونه ويتأبد طيبه ثم يتوارى عن العين فلا تراه الا الحشاشة
وكانت الصبية عندما تود التلث تأخذ الاضمامة الحمراء. وتسقط منها على النفس قطرات شذى فاصبحت ونع الشذى
في صدرها كلما تنفست نفعت منه على الورد الجاف نفعا منعشا

كم وردة كانت مغروسة في التراب فاذا بها مغروسة في التلب، والوردة التي تفرس في القلب بين الدم والحقق والحنين
هي التي تمتد اصولها في تلايف الفكر حيث ترشفت غيوم الخيال فتشمر بالايطاف والروى
وأتخذ فقط، يقال : فلان في نافذة قلبه وردة زرعا زارع غريب فنبئت واخضرت، وامتدت وكان لها كالعوسج
شوك مؤلم ترده اذى القاطف، وعين المشتهي .
سلم الورد ما اقدى شوكة، واطيب شذاه

الباس خليل زغبيا

ظماً نفس

بفم الائمة فلك طرزي

لست ادري لماذا تحدثني نفسي كلما انشدت هذا البيت للمتنبي :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تفرق

تحدثني ابدأ باستبدال « أرق » « بظماً » فأنشد :

ظماً على ظماً ومثلي يظماً وجوى يزيد وعبرة تفرق

ولو ان هذا التصرف قد يغضب المتنبي ويؤذيه على غير حق ،

اذ اية نفس اجدر بالظماً من نفس المتنبي ؟ اجل ! ظماً على ظماً -

لا أرق على أرق ، ظماً يدور في كل شي . وحوله كل شي . يدور

فيه ومن حوله .

ظماً يطفئ على كل شي . ظماً يغمر النفس فيجعل منها العوبة

وينجدر بها الى هوة لا قرار لها ، ظماً يحجي ويقتل ، ظماً يبعث

ويميت !

يا ويل النفس التي تحيا بصمت ، وتظلم بصمت ، وتألم

بصمت ، ثم ترحل عن هذه الدنيا وكأنها لم تأت اليها ولم تمس

فيها !

يا ويل النفس التي تنظار بالعين فتضحك بالقلب او تبكي ،

كان لباسها لكنة او عقدة !

يا ويل النفس التي تتكسد فيها العيوم وتتراكم ، ولصكن

اللكنة التي في لسانها تنثر الصمت فوقها ، فتغلي وتغور ، ثم

تنطلق شظايا وسهاماً تحترق القلب فيفتجر معها .

تمتيت لو كنت القلب الذي يثقف في كل صدر ، والنفس الذي

يجري في كل نفس ، والحياة التي تنبض في كل عرق ، والعين التي

تضي . كل وجه ، تمتيت لو كنت هؤلاء جميعاً ، لتختلج في قلبي

خلجات كل قلب ، ولتأثر نفسي تأثر كل نفس ، ولتقرأ عيني ما

تقرؤه كل عين !

ولكن هل بوسعي معرفة كل نفس ، ونفسي ما زالت مجهولة

لدي ؟

هل بوسعي النفاذ الى كل قلب ، وقلبي ما برح مغلفاً دوني ؟

هل بوسعي قراءة ما في كل عين ، وكثير مما تطامعه عيني بعصر

علي تعبيره ؟

اين اين يا ترى العين السحرة الخارقة التي ترشد بصري

وبصري الى صمم النفوس ونفسي ؟

اين اين يا ترى التيار الذي يصلي بفاسايا الطبيعة حيث

تتكشف لي ستائر حيلها وألأميها ؟

ظماً في روحي ، ظماً في قلبي ، ظماً في عيني لا يتنع ولا

يرتوي اظماً في روحي ، ظماً شي . لا تدركه اليد ، ولا يستشفه

الخطار ! نفسي ظمأى ولا من ما . ينغم ! نفسي عطشى ولا من نعمة

ترويا !

* * *

فخبعت بادي الامر عالم الكتب من العالمين الذين تقسماني ؟

ولجأت اليه ظناً مني ان فيه ما يشفي غليل النفس ، ويروى الظماً ؟

ولكن سرعان ما لاح لي ان الظماً في هذا العالم يزداد ولا يرتوي ؟

اذ كلما قرأت للعين لمان من خلال أفق من آفاقه ظلمته النفس

ينبوعاً تنطلق نحوه تطوي الابعاد تارة مسرعة وتارة مثتدة ؟

ايقت بعد تجربة ، ان العالمين يتشابهان من حيث التحول والتلون ؛ وان الكتاب الصادق الحق ، هو كالانسان : وجه واحد ذو وجوه عدة متباينة ، تتوضح حيناً وتعتض حيناً ؛ وان الانسان في فريدته يمر في اطوار مختلفة من العمر تنتهي به عند الفناء ، لكنه في مجموعه شباب وخلود . وان الكتاب يبقى خالد الشباب ، لانه انعكاس الانسان في فريدته ولانه صورة الانسان في مجموعه .

لقد تأملت طويلاً وجه ذاك المثري المتعني الذي يمر وراه أتمال المال واعبائه . وتأملت طويلاً ذلك المعلم الفقير المتسربل من رأسه حتى قدمه بـسرايل الفاقة والعوز : فاذا بكل منهما يالوح في غنى حائزاً بفناء : هذا بفقره وذاك بقرانه !

وتأملت طويلاً ذاك الذي يوزع الايمان والعقيدة على الناس ؛ فرائته قد فقد العقيدة والايمان ، كثرة ما وهب وزوع !

وتأملت طويلاً ملامح الناس في صبتها وكلاها ، فخيّل لي ان هؤلاء الناس يتأدون بل يتنافسون في اخفاء حقيقتهم في البعيد السحيق من اعماقهم ، وان الصراحة عند هؤلاء الناس ليست هي الصلة التي تقرب بعضهم من بعض ؛ انما هي رسائل من الكتب والزيار ، وطرق الحياة المتدله يلجأون اليها ليجتفوا هذا الغرض . فانت تكذب علي ، واعلم انك تكذب علي ؛ وانا اكذب عليك ونعم اني اكذب عليك ؛ لكن كاذبنا يتجاهل هذا الامر من صاحبه ، ويلبس كذبه لباس الصدق المزيف الفضاح . فيا ويل من يحمل قلبه على راحته ، ليتقرب بهذه الوسيلة من البشر ! فانه يعرضه الى اخطر هول ويؤدي به الى اسوأ مصير .

ولكن يا ويل من يفقد كل وهم ! فانه يفقد كل ما يعمل للحياة قيمة وثماً ! يفقد فن الحياة ومعانيها ! يفقد الثقة والايمان ؛ يفقد امضى سلاح تستعين به النفس على اشباح الضيق والياس ؛ يفقد الامل ، هذا الخيال الباسم الذي يالوح للعين ابداً من خلال الحب والقيم ، مها كانت كثيفة ومها كانت سوداء !

ثم هل يوسع انسان ان يحيا بلا وهم ؟ وهل تكوين الانسان البشري من القوة بحيث يغنيه عن كل ما يسمى حب وامل وثقة وايمان ؟ كلا ؛ ان الانسان ضعيف ولانه ضعيف تتجلى فيه الانسانية بكامل صفاتها ومعانيها ، ان الانسان ضعيف لكنه قوي خالده لانه انسان ، ولانه ضعيف !

فلك طرزي - دمش

لكنها كلما اقتربت منه او قيل لها انها اقتربت ، ابتعد عنها السراب ؛ فتعاود الكرة ، وتطاري ابداً ثم ابداً ، لكنها في كل مرة تجدد وفي كل مرة تحجب !

واذا لاح لي ان عالم الكتب الذي ألفني ولم آلهة تماماً لا يكفي وحده لسد جوع النفس تركته الى عالم الناس والبشر ، الى الاوقيانوس المتلاطم الموح الذي غاص في قراره وخاض خضمه اولئك الذين خرجوا منه آلهة مبدعين ظناً مني ان جواره قد يشفي غليل النفس ويروي الظمأ . فرحت اجوبه وانا اردد مع المتنبّي :

وفي الناس من يرضى بيسور عيشه
ومر كرو به رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ماله
مدى ينتهي بي في مراد أمده

يرى جسمه يكسي شفوقاً ترّبه
فيختار ان يكسي دروعاً تهده

ورحت اطوف في قمه ومنجدراته ، صاعدة ، هابطة ، متزلقة ، منحدرة ؛ ولكن سرعان ما تبين لي ان الامل هنا ايضاً خائب ، اذ ان طوافي في هذا العالم لم يزدي الا خلاً ، وفتناً بان سوء التفاهم المقصود أو غير المقصود هو صلة الناس بعضهم ببعض ، وكأنني بهم قد اتفقوا جميعاً على ان يجعلوا من هذه الصيغة ، الزابطة التي تجمعهم وتقرب بعضهم من بعض .

وكما ازدادت اتصالاً بانسان كنت ازداد جهلاً به ؛ وكما تقربت منه كان يالوح لي بعيداً ذا غور سحيق كثيراً ما كانت شعلة مصباحي تحمد في ظلمة تعاريجي .

انهم يسيزون . مندفعين بتيار قوي جبار ينبعث من اعماق الحياة فينتسل بالاعماق من نفوسهم ، حياً فيها غريزة البقاء التي يحتمل الانسان في سبيلها ما يحتمل . انهم يسيزون . ولكن قليل منهم يدري ان سيره الى غير هدف ، وان الوهم يالوح له هدف هذا السير ؛ وقليل منهم يرسم خطة السير فيسير عليها ثم يتبعه الآخرون ؛ وقليل منهم يعين هدفاً فيفتح نحوه ثم يتبعه معه الباقون ؛ فسلما على اولئك الذين ادر كوا هذه الحقيقة فرموا الحفظ وعينوا الهدف ؛ اذ ليسوا هم رسلاً وانبياء . فحسب ؛ انما هم آلهة !

اسطورتى

لعل محمد سلس

أسطورتى انت مل. الدهول البعيد ، مل. رؤى الشاعر
تظلين في زحمة الذكريات رفيفاً على جانحه عابر
يوج على اليوم نفر اللحن ويسبح في غده السافر
تسكع ماضى في ريشه خجولاً وأوغل في خاطري
يداعب بين ابتهاج الشمس نجوماً بمنقره العاطر
وينثر في الغوات الصبايا غناءً على افقه الساحر
فلكون غنجة طفل رخيّ ينام على حلم زاهر
يلوثة الفجر بالامنيات وبالترق الوارف الوافر
له ذوق فيه وجه الرجاء يطير على كوكبه ماهر
يتام على حقة المبح المحضات ويندى بصيه العاصر
اذا رنح المهددات حذاءً فللريح سقعة ائرامر
تفج الشراع بأوانها صباحاً على الرفوف السامر
وتعمره بانفراط النجوم وهزج او اذيه المصادر

*

واسطورتى سكوت بالزمان فربد بالشوق في ناظري
تلجج برعها بالطيوب وارخى الربيع لدى حاضري
ففى طيتى منك عمق الهوى ندياً على مقولي الشاعر



• رهان غريب •

فلم الدكتور قولاً فاضاً

المنعكس Reflexe والحياة بكل ما فيها من تفكير واحساس وحب فعل منعكس ، وكل شعور فينا يتحول إلى قوة وحركة . فهو لا الشبان الذين يعاشرونك يتحولون منك مالا يطاق وحسي مكس هذا الصديق الأمين مثلاً فإنه كلما تأثر بصره بمرآك واهتز عصب معه لنغمة صوتك وارتجت اعصاب انامله بلسمها يدك يحدث فيه مثل ما حدث فيك عندما نقرت بكفي على ركبتيك اي انه يتولد تار من الشعور ينتقل إلى المراكز العصبية ويعود منها بصورة حركة فلو كان مكس من المتوحشين لكانت حركته ان يجهم عليك ويضدك إلى صدره ولكن تربيته تمنعه من ذلك فيكبت هذه الحركة ويحبسها في أعماق وجدانه وبالتكرار تتحول إلى دمر ع وارق وسود . وضيق صدر وغضب وغير ذلك من الحركات التي يخطئ بها توازنه وتكون خطراً على اعصابه . وإذا بقيت الحالة هكذا فقلنا انضمت له السلامة من الجنون او الانتحار .

قلت : انك لا تجرؤ على قولك انك لا تعلم .
لا تتقبل . اين اذن ما يسمونه بالحلب الافلاطوني ، هذا الحب العذري العفيف الاديبي ؟

قلت : ان الحب الافلاطوني الاديبي في ظاهره هو ابعدي شيء .
عن الآداب لانه يخلق في الانسان ظملاً لا يروى .

ففكرت غير قليل ثم قالت : وماذا تريد ان اعمل ؟

— لماذا لا تتزوجين منه وانا اراي انك تميلين اليه ؟

— نعم اميل اليه واقدّرهُ قدره ولكنني تزوجت مرة واكتفيت . لا يا صاحبي دعني من ذكر الزواج فاني احرص على حريتي واحبها كما احب جالي . انك لا تستطيع ان تتصور اللذة التي تشعر بها المرأة عندما تكون جميلة وترى على اقدامها هذا الجيش من العشاق يتفانون في سبيل رضاها .

قلت : ولكنها قوى ذاهبة ضياءاً ديناً في وسعك ان تستجديها اذا وقع اختيارك على واحد منهم فتوحى اليه اعمالاً سامية وتبدي امامه طريق الابداع والمجد سحياً انك تفكرين الآخرين

عرفتها في باريس بعد الحرب الكبرى في حفلة للصليب الاحمر ، جميلة بكل ما في الجمال من معان ، تحب الفنا . والشعر والرقص وناديتها في شارع « فردلان » محبة اهل الادب والفن والسياسة . وكانت على كثرة المعجبين بها لا تفرق بينهم في المعاملة فتوزع حلو حديثها واتسامها على الجميع دون ان تظهر تفضلاً لاحد على سواه وكنت على شدة اعجابي بها لا اشعر نحوها بعاطفة غير الصداقة كان صوتاً خفياً كان يهيب في ان لا اطمع باكثر من ذلك . وسرعان ما انتفت الكلفة من بيننا فكانت تدعوني احياناً لمرافقتها في تزهة الصباح في غاب يولونوا او لتناول الطعام على مائدتها . وكثيراً ما رافقتها في هذه الاجتماعات شاب من عشرينات اسمه مكس شغف بها حباً حتى انه رفض وظيفة ملحق بسفارة واشتغل ليحصل قريباً منها . وكان كل ما في حركاتها يدل على انها غير مستادة من تعلقه بها وان لم تشجعه ظاهراً على ذلك

قلت لها يوماً بين الهزل والجد : انك لجرؤة قالك انك لا تعلم .
قلت : لانك تضرمين النار في القلوب ولا تحددنك النفس يوماً باطلفتها . قالت : هي المفاولة البريئة لا ضرر منها ، والناس في باريس قد تعودوا حق المتزوجين لا يجردون فيها غضاضة على نسايمهم قلت : هذه المفاولة التي تدعين انها بريئة هي في نظري اشد خطراً من العشق واسوأ عاقبة فالمرأة التي تريد ان تُحب دون ان تُحب ويسل على المجتمع . قالت : وكيف ؟ قلت : لان الذين يقضى عليهم ان يقفوا في شباك هواها ويصيروا لها اتبع من ظها تترام فيهم مع ائمن تأثيرات لا بد ان تظهر يوماً فهي كالبحار اذا قوي واشتد يطلب منفذاً والا تصعد المرحل .

والظاهر انها لم تفهم كلامي فسألتها ان تجلس على الكرسي وتضع ساقاً على ساق ، ثم نقرت بجانب كفي على ركبتيها فانتفضت رجلها بفتنة فقلت لها : هذه صورة الحب اقدمت العصب الحساس في ركبتيك فانتقل الاثر حالاً إلى العصب الشوكي وعاد منه بهذه الحركة الخارجة عن ارادتك . هذه ما يسمونه في الطب الفعل

من الاسر . على كل فهذا المستقبل اجل ما ينتظرلك .
قالت وهي في شبه حلم : المستقبل ! اني اعرف مع الاسف
ما يجنيه لي . — وماذا تعرفين ؟

قالت : انيس الموت النهاية وقبل الموت انحطاط القوى
وذهاب الجلال ؟ عري الآن ثلاثون سنة ولا اصل الاربعين الا
اكون قد سقطت عن عرش جمالي .
قلت : اتخافين من الهرم ؟

قالت : اخاف الهرم ! لا لاني لا ادعه يقترب مني فبعد
الاربعين السلام على الحياة
قلت : انتحار اذن ؟ — نعم .

فتبسمت تبسم المرتاب وقالت بمجدة : انك لا تعرفني . هل
راحت في زمانك ؟ قلت : راحت وخسرت .
— تريد ان تكسب هذه المرة فانا مستعدة لاراهن صدك
اني سأترك بعد عشر سنوات هذا العالم الذي يجذبني اليه من نواح
عديدة ، اقبل ؟

قلت : اقبل واذا عشنا الى ذلك الحين اكون قد رجعت
للمرة الاولى . قالت — وارهنتك ايضاً بعد هذه الفلسفة
الطولية العريضة فيما يخص مكس انه لن يتغير على ملازمته في
قلت : تلك مسألة اخرى وجل مناي ان لا تصديق بخلافتي
فيه ولكن لا يسعني مخافتك .

قالت : نحن اليوم في العاشر من كانون ١٩٢٠ فلنضرب
موعداً لاجتماعنا في العاشر من كانون ١٩٣٠ في مئة لي هنا .

ومضت ايام على هذا الحديث دون ان نعود اليه ثم غادرت
باريس وبقيت ثلاث سنوات بعيداً عنها وكانت مثلي قليلة المكاثرة
فانقطعت اخبارها عني ولما رجعت وجدتها كما فارتك لم يتبدل
شي . من جمالها وحبا للحياة ، والعشاق من حولها على ازدياد ومكس
في طليعتهم يقضي معظم اوقاته بين يديها وعلى قدميها . سألتها
يوماً : ألا تزالين على عزمك ؟ فأجابت : ولم لا !

قلت : ستجدين من الاسباب ما يجب اليك الحياة لان الحياة
تجدد ابداء احلامنا وآمالنا . قالت : انك لا تزال شاباً
فالاربعون ليست شيئاً للرجال ولكنها جسيم المرأة . امامي سبع
سنوات قبل الوصول اليها فسادافع ما استطعت الدفاع واتوسع ما
امكن الاستمتاع .

ومرت ثلاث سنوات اخرى فجاءني منها يوماً وانا في الاسكندرية
كتاب تقول فيه : ايا الصديق الثاني عن العين القريب من القلب

لاني لا ازال جميلة كما تعهد وعزمي لم يتغير . عما قليل تبدأ اصابع
الايام عليها الهدام في وستر السنوات الاربعة البقية لي كالحلم
فانتظر في العاشر من كانون . انا الآن في دوفيل فوافني اليها
اذا شئت . حاشية : مكس يجيز .

والثقتي في دوفيل فاذا بها لا تزال على حالها من الجمال والحنّة
والمروح الا انها بدأت تستعمل الحجرة والمسايق على وجهها وظهر
شي . من الانتفاخ تحت جفنيها وقليل من السنن في بदनنها وخف
لمعان اسنانها وخيل لي ان على شفثيها سؤالاً كنت احسار سلفاً في
الجلوب عليه ولكنها لم تقه به . ثم فارقتها كالعادة ولم ارجع الى
باريس الا اواخر عام تسعة وعشرين ولم يبق بيننا وبين الموعد سوى
شهرين فهامني ما رأيتها عليه من التغير السريع فقد انحنت تلك
القامة افيها . وتجمعد جينيها وخط المشيب فودنها واختفى بريق
الثغر ولم يبق لوجنتيها لون تحت تلك المسايق الكثيفة ولا غرو
فتلك حياة باريس الصاخبة تطوى فيها مراحل العمر بسرعة هائلة
الا ان المرأة مها تكن لا تليق سلاحتها بسهولة فكانت صاحبة
تقضي الصباح في الاستحمام بلقاء البارد والساخن وتسيّد البدن
والوجه والرياضة كأنها تحاول بكل ما لديها ابعاد تلك الساعة
المشوّمة وكان مكس لا يزال على حاله منها لا يرى فعل السين
فيها ولا يلاحظ عينيها وزواجه الا رحبها الذي طبع فيه لاول مرة .

وقد ظننت انها نسيته او تناسته الى ان حان الميعاد فارسلت تذكريني
به وتدعوني الى طعام العشاء . كننا وحدنا تلك الليلة فلما لعبت الشبانية
في رأسها واخذ الطرب منها كل ما أخذ قالت : اشرك اني عدت
عن الانتعاش وغداً اعمل بنصحتك فأتزوج . قلت : وهل اخبرت
مكس بعزمك هذا ؟ قالت لا بل احب ان اجعله له مفاجأة حاوة
تكون هدية العيد فخلدت اللهوناتها وهنأت نفسي على هذا الحافّة السعيدة
وفي صباح القد حمل اليّ البريد كتاباً منها تقول فيه : كنت
امس صادقة في حديثي بمك ولكن جرى ما لم يكن في الحساب
فقد ديمت بالتلفون بعد ذهابك الى دار مكس فوجدته في حال التزع
بعد ان تجرع السم . هذا الحدث جعلني أوتر المضي في فكرتي الاولى
فعندما تقرأ هذه الكلمات اكون في العالم الثاني بجوار من احب .
لقد رجعت رهاناً وخسرت الآخر فتساوى بيننا الحساب . استودعك الله
يا له من رهان غريب كنت افضل فيه ان اربح حيث خسرت
واخسر حيث رجيت .

قولاً فباض

من معجم المصطلحات العامة

بقلم عيسى اسكندر معلوف

عضو المجامع العلمية في سوريا ومصر والبرازيل

افوكاتو : ايطالية Awocato بمعنى الموفد وصارت بمعنى المحامي والوكيل فهي شبه بكلمة (المذرة) عندنا
إثني : تركيتها (أياجي) بمعنى سفير أو رسول
أنبا : قبطية بمعنى الأب يقولون الأنبا مرقس أي الأب مرقس استعمالها كتابنا في سورية ولبنان

بازار : لفظة فارسية معناها السوق . فقال فيها الاتراك (بازاركان) بمعنى التاجر ونقلها الافرنج بلفظها الفارسي Bazar
بوشياك : كلمة روسية بمعنى (الاكثرية) وهي حكومتها الحالية بعد الحرب الكبرى
البيجاما : الثوب الذي ينام فيه وهو المنامة عند العرب قال

الكهيت :
عليه المنامة ذات الفضول من الوهن والقرطف الخمل

التكسية : فارسيتها (تكية) بمعنى الزاوية أو المنزل للخير والمناجاة وتسمى بالفارسية أيضاً (خانكاه) وهي محل معد لحاجات الفقراء والمساافرين وغلب استعمالها اسكن الدراويش

التليفزيون : هو (الهاتف) أي التليفون الذي يرى فيه الانسان محدثه كما يسمع صوته فيجمع بين السمع والبصر ويمسح ان يسمى (الهاتف المصور) وقد عم استعماله في جميع أنحاء عاصمة بريطانيا (لندن) في اوائل سنة ١٩٣٥

التيكورد : الهاتف الذي ينقل الحديث ويدونه كتابة في الوقت نفسه . فاذ بدأ محدثك بالهاتف يتكلم تضغط على زر خاص فيدون التلييكورد ما دار بينكما من الحديث ويمسح ان يسمى (الهاتف المدون أو الكتاب)

وضعت هذا المعجم ليكون دليلاً لمن يطالع الكتب العربية المختلفة القديمة والحديثة أو لمن يسمع الكلمات الغربية فلا يجد لها المعجمات أو انه يجدها باختصار كثير فلا يدرى تحليلها واستقامتها ولهذا رأيت ضرورة وضعه في مجلد كبير مرتب على حروف المعجم واليك الآن امثلة منه :

ارتفاع البلاد : معناها ما يؤخذ عليها من الخراج والمال
الاميري والحزبية ، وردت في كتب الجغرافية والتاريخ فتقول مثلاً ارتفاع البلاد الغلاتية الف درهم أي ان ههنا القية تأخذها الحكومة منها

ارسطوقراط : ويراد بها في علم السياسة ان يتولى الدولة اشرفا وخاضتها يونانية مركبة من ارسطوس Aristos بمعنى شريف ووجبه وكراتوس Kratos بمعنى السلطة والحكومة فغادها (حكومة الاعيان)

اسفاسلار : ويقال اسفهلار ايضاً بمعنى رئيس العسكر أو متولي الحجر أي الذي يعطي الاذن لمن يدخل المدينة أو القلعة مركبة من (أسف) بالفارسية بمعنى مقدم و(سلار) بمعنى العسكر . وقيل الشطر الاول (سباه) بمعنى جيش . والعامة تقول (اسباسلار) الذي يقف في باب السلطان من الاعوان . وذكر المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه (التتريف) : ان هذا اللقب يختص بامراء الطليخانات ولكنه ترك استعماله في عصره

إشبين : اصلها (شوشينو) بالبريانية وهو من يقوم بمجندة العريس في عرسه

تيب ريتز : كلمة انكليزية بمعنى المنسخة وهي اولى من استعمال كتابتها لها (الكاتبة) لانها للنسخ وكتبها الانكليزية تفيد معنى الكتابة بالنيوب Type writer

التيسكون : يونانية بمعنى مجموعة القواعد المنظمة لترتيب الصلوات والرتب والفحلات في الطقس البيزنطي

التيار : فارسية استعمالها الاثراك بمعنى الاقطاعة التي كانت تعطى للعسكر قديماً وصاحبها تبارجي (اي اقطاعي) وتعطى الاقطاعة ايضاً للعريض وهي التارخانه (اي المصحة او لمن يذهب الى الحرب وتسمى (تيار السيف)

الجبيخانه : تركية من (جبه) الفارسية بمعنى (درع الحديد) . (و خانة) بمعنى (محل) فتكون بمعنى المسلحة (اي محل السلاح) و (جبه لي) الجندي المدرع والسلاح

جامكية : فارسية بمعنى وظيفة ومعلم فهي بمعنى (الواتب) جمع جوامك يرادفها عند كتاب العرب في القرون الوسطى (علائق)

الحازوقة : علم من كلمة (هرزوقا) النبطية بمعنى الخنوق قال الاعشى : (حتى مات وهو محرق) . وقصصنا عندنا (الترواق) بمعنى الريح التي تشخص من الصدر تتدد كالشفقة واما قولهم (عيادة المريض قدر فوق الناقة) فالعنى ان زيادة المرافق تكون زماناً يسيراً كزمان فوق الناقة اي الفترة بين الحلبتين

الحب العذري : منسوب الى بني عذرة وهم قبيلة عربية عرفت بالتعفف والتصوف رجالاً ونساءً . وهو الذي يسميه الافرنج (الحب الافلاطوني) نسبة الى افلاطون الفيلسوف اليوناني الغيف اهلك : او الايرة المغناطيسية التي يسميها الافرنج (بوسول) Boussole وهو آلة اشبه بالساعة ذات عقرب واحد يميل الى الشمال والجنوب وهما قطبا المغناطيس يتخذ في الملاحة البحرية لارشاد السفن الى جهات سيرها

الحلة : مجموع الثوب فالازار ما يكسو النصف الاسفل من الجسم والرداء ما يكسو النصف الاعلى وكلامها الحلة

الحداوند : فارسية بمعنى السيد خففوها بقولهم آخرت قد قال في كتاب آثار الاول طبع مصر الصفحة ٣٦ « وقال له (اي للسلطان) يا خداوند انت السلطان » وكانت طبقات عاشر لبثان اربعة اعلاها الامير ثم الحوند ثم المقدم فالشيخ فاهل الحوند وبقيت

الطبقات الثلاث وفي جهات صيدا اسرة (الحوند) الى يومنا (١) الخربطة والخارطة : من كلمة (خارطس) اليونانية بمعنى الورق ومنها (الكارت) للبطاقة ويقال ان القرطاس من خارطس اليونانية . ويحسن استعمال كلمة (المخطوط) لها بالعربية الخندريس : فارسية من (خند) بمعنى ضحك و (ديز) بمعنى (ساكب) فمعناها (جالب الضحك) وهو من اسماء الخمر خورشيد : فارسية بمعنى (الشمس) و (شير خورشيد) اي الشمس والاسد وهو شعار الراية الفارسية ومنه اسم بعض اوصمة في دولة العجم

الداماد : لقب عند الاثراك يضعونه قبل اسماء الباشوات ومعناه عندهم الصهر الذي يتزوج ابنة السلطان او اخته الدشت : اوراق منشورة من كتاب كان مجلداً فتفكك حتى لا يمكن احياناً ان يؤلف منه نسخة كاملة - فهو بمعنى الاضاربة وسماء ياقوت في معجم الادباء باسم (الجراز)

الاستاق : ويقال الزدائق ايضاً مغرب (راست) الفارسية بمعنى الخط القويم فاستعملها العامة بمعنى الترتيب والنظام الزط : النور وهم قبائل همدانية رحالة من كلمة (جت) الفارسية اهلها من الهند فثارت وطردوها فاتصلت ببلاد فارس والاطلاق عليها اسم (نورده) اي الرحالة ومنه معجم عندنا السايح : سرانية بمعنى الرسول استعملتها الكتب الكنسية بلفظ السرايني

الضريحانه : اي محل سك النقود فارسية عربيتها المسك او او دار السك

الطوب : تركية بمعنى المدفع والذي يشتمل به يسمونه الطيجي اي المدفعي . وجمعه طوبجية وتعربها مدفيعون الطران : جمع ظر بمعنى الحجر المحدد كالكسكين من الصوان كان القدماء يتخذون منه ادوات جارحة . والطور الطرواني يطلق على زمن اتخاذ الانسان ادواته من الطران اي الحجارة الى غير ذلك مما يدل على المصطلحات المختلفة

عيسى اسكندر معلوف - رحمه

(١) وذكر ابن شاعر الكتي في فوات الوفيات (الحوند) رتبة من الاميان . وابن زنبل ذكر (الحوند) اسم امرأة

كان لمريبتنا ذنب

بفلم رثاء المغربي دارغوث

اقلت امي بقبها الحادمان حسن وصفا وعمتي واولادها حتى امتلات القاعة على رحبها وشعرت كأننا في حمام انقطعت، ماؤه . وكان الفصل صيفاً اشددت فيه الحرارة اشتداداً لم نعهده من قبل ولم تيسر لنا الانتقال الى مصيفنا على الرغم من ان امي كان قد استأجر بيتاً فسيحاً هناك بانتظار قدومنا .

وراحت امي وعمتي يبدآن من روع ليا ويلطفان من حزنها فتقول عتي :

— لم يبق قاب الا ليع يا ليا . . فاصبري ان الله مع الصابرين وتقول امي :

— لا تحلمي هم بذك . . . سندعوها الى بيتنا فتعيش معك . . و « فطوم » حبة جميلة . . . الله كريم !

ولما تردد آلها وتجش بالكسا . حتى وصلت الى حد لم يعد باستطاعتها تجاوزه . فاحتبت الدفعة في عينيها واختنق العويل في حنجرتها . ثم راحت تجف خديها بامراف كها وتستر صدرها بتقابها وهي تدعو على من كان السبب في هذه الحرب التي رثمت الملايين وارملت الملايين وتناجي الله :

— يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والارض ! وغنا هذه اليلة واجبن تبخيل الحرب هذا البعع الذي نخشاه او ذاك القول الذي يختطف الاولاد اذا ابتعدوا في البستان عن اهلهم ، او ذلك الحوت المائل الذي يتلع التمر عند الحسوف . وانقضت ايام لم نطلب فيها الى ليا حكاية ترويا لسا او قصة تجلب بها الناس الى اجاننا المتوترة بشاهد النهار ! فهؤلاء اطفال الجار يتراحون عند بابنا على قشرة يرتقل رمى بها اخي . واولئك ابنا الجار الآخر يأكولون دماً محففاً في وعاء من فخار . او بنات الجارة الثالثة يحمصن بذور الاكي دنيا ليطبخنها ويصنعن من دقيقتها طعاماً كريهاً يقتن به . . . وهذه الفتاة السائلة التي تقع مغنياً عليها فلا تصحو الا على راحة قطعة من الخبز يحملها اليها محسن غابر ؟ وتلك المرأة التي آتي بها مكبلة الى سجن

لم تكن نغفو قبل ان تجلس مريبتنا فوق رؤوسنا ونحن متددون في فرشنا المبسوطة صفاً واحداً في صدر القاعة فنقص علينا قصة او قصتين مما وعته ذاكرتها التي لا ينضب معينها . وفي هذه اليلة كانت (ليا) حزينة لموت صهرها في احدى جهات القتال . وكان عيئاً توسلنا اليها :

— يا ليا ! قصة واحدة : التكرور والتكرورة . الله يخليك ! ولما عبوس لا يفتقر لها ثمر ، على غير عادتها ، لشكات اخوتي الصغار وما ينشب بينهم من خلاف مستمر على اللعاف والمخدة وعلى من ينام في الفراش الاول ومن يدير ظهره الى الجدار او يضع المسند فوق رأسه . .

فقلت لمريبتنا مؤسباً :

— ما بك يا ليا ؟ ألم تشبعي اليوم ايضاً ؟ فقد كنا في ابان الحرب الكونية والغيث يساوي نعله الا . وكانت اعاشتنا لا تكفي لاشباع بطون من في البيت جميعاً . فكان لزاماً ان يظل واحد من الشرين او اكثر دون خبز كاف . على الرغم من ان امي كانت تعد الى توزيع العجة او الخبز المشتري على افراد العيلة منذ الصباح فيسلم كل فرد نصيبه ويقل عليه درجه او خزانته .

ولكن هذا « حسن » — احد الخدم — يأكل كامل نصيبه من الخبز في وقعة واحدة ثم يروح يسأل هذا لقمة وذاك نصف رغيف . فإذا لم يعطه احد ما يتبلغ به عد الى اخذ ما يريد عنة واقتداراً او سرقة واختلاساً فهزت ليا رأسها الصغير المتعبد والدمع يترقق في عينيها الزمخيتين . وقلت متعجباً :

— ولكن اشترينا لليوم رطلين من الخبز ! وكنت مع الشيخ موسى عندما اخذ منها ليرتين ذهباً من البابا واعطاهما الى القران ! فبككت ليا عندئذ وهب اخوتي يتعلقن بها ويسألونها عما اصابها . وانفجرت اختي الصغيرة تبكي بدورها . وسرعان ما

النساء لانها اكلت طفلها الرضيع .

غير ان لميا لم تنكح تجلس عند رؤوسنا تهرز رأسها بحركة وألم يزيدهما اضطراباً في بعض الاحيان سؤال مني او كلمة من اخي حتى نغفر . فتقوم الى غرفتها تحبي فواشها لتنام بقرب ابنتها ، او تساهر من لم يمن من افراد البيت : فتدخن لافاة او لافاتين وهي حزينة كئيبة .

ولم يكن وجود ابنتها فاطمة ليخفف من لوعتها على صهرها القليل في ديار الغربة . بل كان وجود تلك الارملة التي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها الى جانبها ايل نهار - والرجال اندر من الكبريت الاحمر - كان وجود فطوم ، تستر شعرها بنقاب ابيض وتتمنع عن كل زينة ، في ثياب عرسها التي رثت ، كالأنياب لاستدراار دمع الام التي لم ترزق غيرها ، فربتها بنور العين وذوب القلب ، وزفتها الى اجل فوال في البلدة . مؤملة ان تعيش وابنتها في كنفه عيشة رخاء وهناء مدى الحياة .

غير ان لميا تذكر قائماً ما شعرت به اذا جاء صهرها يودع غروسه ويودعها قبيل رحيله الى اليمن في سرية من المحندين . فقد شعرت ان هذا الوجه الذي كان يحمل الى نفسها الطابنة وبيعث في قلبها الامل قد غيَّب عنها الى الابد فبككت طويلاً وقاطسة ابنتها تقبل بعد زوجها مودعة بجما . وخجل وهي تقول :

— لا تقول علينا يا احمد ! الله معك وتقولوا يا الله !
والام في مثل غيبوبة الحالم ترى ما لا يراه المبصرون ، وتتخيل الغد مظلماً قائماً فتسود في عينها حتى وجوه من حولها .

فلما تمت السلطة العسكرية احمد الفوال الى من تبقى من اسرته واتصل الخبر بزوجته نقلته هذه الى امها باكية منتجة وهي تقول :

— يا طول رماتي وعذابي يا امي ! اخذوه قبل ان اتها . وبعد طول الصبر جاءني خبر موته ! يا ذلي ويا طول همي !

فلم يكن للنجيبة في مظهر لميا ما كانت ابنتها تتوقعه عندها فقد مات احمد الفوال في نفسها منذ تخطت قدمه عتبة البيت ثلاث سنوات خلت . ولكنها كانت تتعاط تلك النفس وتطل ابنتها بالأمال كلما شكت اليها الوحدة او ضيق ذات اليد . حتى كان اليوم المشؤوم . فقالت لميا لابنتها وهي تنهه دمع الفساة وتحضنها بأشفاق ورحمة :

— هل كنت تتظن ان عودته حقاً يا بناتي ؟ وهل عاد غيره حتى يعود هو ؟

ودام الحال كذلك اشهرأ كدنا نفقد في اثناها عادة النوم على قصة او حكاية . فلم نعد نطالب لميا بشي . من ذلك . وكأنها تأملت لاستغنائنا عن قصصها (الرائعة) وحكاياتها (البديعة) - وزادها ألماً هذا الاعراض منا عن الالتفاف حولها وبساطتها رجاء ان تحفنا ببعض ما يتحزنه حافظتها من اخبار الاولين والآخرين ، او بنكتة من تلك النكات التي يعزونها الى جحي او الي نواس - فراحت تشد شهوتنا الى سماع تلك الاقاصيص في شتى المناسبات وبشتى الوسائل - فهي تحكي ان يكون ذلك الاعراض بد . شعور البيت بالاستغناء عنا وهي التي لا تؤدي فيه كبير خدمة بيوت مداراتنا والسهو على راحتنا . وهي تحكي ان عرضت علينا قصصها عرضاً ان نمن في الزهد بها والاستغفاف بروايتها .

وقد بلغ ألماً ذروتها يوم جاءت البنا وقد اجتمعنا في غرفة النوم حول اخي الكبير نستمع منه الى اخبار اثر الى ليلى المهبلى وعتة العابي يقصها علينا كما حفظها من ثم الحاج سمع . فضطرب لها طرباً شديداً ونصق لكل ضربة سيف تصفيق هواة الرياضة لكل اصابة هدف محكمة .

وقفت لميا في الباب وقد امتنع لونها وتفتت ملامحها ثم تفرقت في عينيها صمتان ابت كبرياؤها ان تطلق لها العنان . فقلت لها :
— يا اخي ! انظر الى تلك الفتاة باطراف نقابها واقبلت علينا تحاطب اخي متهرة اياه بصوت حازم :

— شوهيد يا يوسف ! انت ما تعرف تحكي . هذه قصص مفسدة . لو عرف ابوك ماذا كان يفعل بك ؟
ثم اقتصدت مكانها من مجلسنا وراحت تقص علينا قصة التكرور والتكرورة ونحن نهم من الناس :

— «... وكان التكرور يسبح في النهر ! وايا فرصته عندها قبلت التكرورة صوبه . ولكنه لما رآها معرصة عنه قال لها : يا هرشة يا مرشة ليش رشيت علي رشة ؟ قالت له التكرورة : بتقول لي يا هرشة يا مرشة وانت اللي بتמות بين ايدي في الفرشة ! طيب انا بفريحك ! »

فلم تصل الى هذا الحد حتى كنا اغنيانا جالوساً ولم يبق مستقيلاً الا اخي يوسف ينظر الى لميا بعينه الواسعتين متعجباً ويوده ان يقول لها :

— اقصصك المفسدة ام قصتي ؟

ومنذ تلك الليلة بدأ صراع بين اخي يوسف راوية اثر

الصيدانية التي نفقد الرغبة فيها كلما تقدمت بنا السن . وانتظرونا
قدوم ليا وحزينا من المطبخ حيث كانوا يغسلون ايديهم بعد
طعام المساء .

وما هي الا لحظات حتى اقبلت مريبتنا ووراها انسان من
اخوتي ، يشون بجيلاء مصطنع وكبداء متكلف والبسة على
شفاهم والسخرية في انابت انوفهم . فما تخطت ليا عتبة الباب
حتى انقلبت على ظهرها وبدأت مهمتها .

وعبثاً كان يجثي عن الذنب لأقصه وهي تنخط بين يدي
خليل وسعيد وقد شدا ساقياها بالجبل والعصا على طريقة (الفلق)
وهي تصرخ :

— يا شياطين ! الله يمازيكم ! اتركوني اتركوني !

ويوسف جالس هناك في الزاوية الشرقية يصدر اواصره
صامتاً لا يحرك ساكناً كأن ما يجري لا يعنيه او كأنه لا يرى هذا
المشهد الرائع يثل بين سمعه وبصره .

وتقوم ليا تنقع مرة ثانية تنزلج قدمها العاريتان فوق البلاط
الاملس المثلج بالصاين وهي تنهقه هذه المرة بل . شديداً تنهقه
سرور غريب . ثم تقبل على يوسف وتأخذه من اذنيه فيضطرب
بين يديها كالزنب وبخفق نكاد نستلقي على ظهورنا وهي تقول :
عظم النبي يا ليتني ! طيب ! سندهب غداً الى البستان
كلنا ما عداك !

فنقبل جميعنا على ليا نتساءل عن صحة ما تقول وصدقها
فتؤكد لنا ذلك وانها ستعي . (الزوادة) منذ هذا المساء . وانها
ستطبخ لنا هناك في البستان (رشتاية بجليب) ايضاً فتأكلها في
ملاقع من ورق اللبون لا ملاقع معدنية !

ولئن لم استغفر يوسف الزعة الى البستان فقد استغفره حرمانه
من هذا الطعام الذي يفضل على كل طعام آخر . ويوسف فينا بطل
من ابطال الصحن . فقام لساعته وقد قرأ في عيني ليا الجسد كل
الجسد وتعلق بأذيالها مسترحاً طالبا الصبح .

وكانت هدنة بين الحزبين بعد ذلك انتهت الى عقد الصلح
بعيد اعلان (الهدنة) بعد الحرب الكونية المنصرمة . فبعد
فتحت المدارس وانصرفنا عن قصص الجان وعترة الى طلب العلم
وانصرفت ليا وابنتا (فطوم) الى البحث عن خليفة للرحوم !

رساد المغربي دارغوث

وعترة وبين ليا صاحبة التكرور والتكرورة وبنات الملك
والشاطر حسن والجان وبساط الريح — صراع انتهى الى خصاص
وجدنا انفسنا فيه حزبين متناحرين . فكنا نجلس للقصة متقابلين
كأحزاب المجالس السياسية . كلما حكى يوسف خبراً من اخبار
عترة شوش عليه الحزب المعارض وغنقا صوته كما شوشنا بدورنا
على ليا واخرسناها بضجيجنا وصراخنا .

وسرت الخزية من مجتمعنا الصغير الى ابنا الجيران والانساب
وراح كل من هؤلاء . يستكثر من اصحابه ويبت دعاوة
ضد خصومه . فيقول يوسف :

— ان قصص الجان التي تروها ليا لا صحة لها ابداً

فقدت عليه ليا بلسان احد اتباعها :

— ان الجان موجودون ومن ينكر وجودهم يكفر بالله !

فيجيبها احد اقطاب الحزب (اليوسفي) :

— لو كان ذلك صحيحاً لكنا ليا في سمعتها السودانية
وعينها الجراقتين ام اولئك الجان !

ويقول احد دعائنا :

— اترفوني يا اولاد ! ان ليا ذنباً !

فيرد عليه الحزب الآخر بدعوة مضادة :

— بل ان ليوسف قرناً !

وينتشر الخبر الاول بسرعة البرق حتى يكاد حزب ليا نفسه
بصدقته . فقد يكون تحت هذه السراويل التي تصل الى كميها
كأجزاء (الكلسات) وفي ثنايا هذه (الثورة) الفضاضة ،
قد يكون هناك ذنب تخفيه الثياب ! بلنا لا يمكن لشعر يوسف
المقصوس على (الثورو واحد) ان ينفخي قرناً مهما دق حجمه
وصغرت مقاييسه .

واخيراً قرر الحزب التحقيق في القضية وقص ذلك الذنب عند
الزوم . فرسم يوسف الخطه وكاف كلاً منها شطراً من العمل
لتنفيذها باحكام : فانا احمل المقص ، ويمسك سيد بالجبل
وخليل بالعصا وتمسك هند لسانها حتى الحاجة الى صراخها ،
وتكفل هو بالباقي .

وفي الموعد المضروب جلسنا في غرفتنا نكظم ضحكة
تتسلا بها صدورنا وشيتنا من التعيط يطفو على تلك الضحكات



دنيا الطير



انا لا احسد الملوكة على الملك . ولا هزني الغني المحسد .
كل دنيا الانسان كد وكيد . واضطراب في مهب السيل . اسود
انما احسد الطيور ، وراء الصبح ، هبت تدغدغ الصبح ، شرذ
قنعت بالكفاف ، فانبطع العيش ، وانغى ، لا يعرف المم ، اسعد
عيشها بلغة من الماء والحب ، واطماحها فضاء مورد
قصرها قبضة من الريش والقش ، على شارف من الغصن ، أملد
الساوات عرشها . والبساتين مداها . والجدول الخلو مورد
ترد الحب ، مثل ما ترد الماء . وتضي مع المني دون ما حسد
الف طولي للطير ، لم تدر ما العلم وقد شوه الحياة وعقد
الف طولي للطير ، ما عرفت ديناً . ولا قال طائر انت ملحد
الف طولي للطير . ما وطن الطير سوى بيتها الصغير المهبط
عليها العيش ، لا يمشي ، يسقط ، لا يورد الماضي ، ولم يدبر ما غد
دينها ؟ ما ديانة الطير الا ان تكون الصبح إذ يتفصد
او تكون الربيع صفق يدعو كل حي الى الحياة ، وزغرد
كل هذي الحياة للكل . دنيا الله ليست «لابيض» . دون «اسود»
ان دا . التملك ، الداء ، ألقى في ضمير الحياة سناً فأفسد
ذلك الداء منذ ان حل بالانسان شأته حياته وتقرّد
اخذته الاطماع ، واختنق المسكين في متخمه من العيش أنكس
ملكك الارض والنساء . وهذا العقل ، قيد في فيك يطوى ويغمد
كذلك المال ، قتلك العيش . لكن اين من يغم الحياة ويشهد
إيه دنيا الانسان . دنيا الأباطيل . اما آن ان يحل المقيد ؟

وصفي فرقلني — مهن

كتاب الزمرذ لابن الراوندي

بنم باول كراوس

استاذ اللغات السامية بكلية الآداب في جامعة فوآد الاول

وأبأ عيسى الوراق ، فأما ابو عيسى فحسب حتى مات وأما ابن الراوندي
فهرب ٥٠٠٠ ثم لم يلبث الا أياماً يسيرة حتى مرض ومات

وقد روى لنا المسعودي في مروج الذهب ان موت الوراق

وقع في سنة ٢٤٧ وأن ابن الراوندي

مات برجة مالك بن طوق ، وقال غيره

انه مات في سنة ٢٤٥ او سنة ٢٥٠

وعمره ست وثلاثون او اربعون سنة

قط ، على ما كان له من الكتب

المصنعة التي جاوزت المائة (١)

لم يكن الى الآن في ابدنا الا

كتاب «فضيحة المعتزلة» لابي الحسين

احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي

الذي رد الخياط عليه وأورد منه

فصولاً مطولة في كتابه الانتصار .

وهذا المؤلف يمثل لنا الدور الثاني

من حياة ابن الراوندي ، ان صح

التسمي الذي اقتحناه قبل ٥٠ اما كتبه

الاحادية مع اهميتها لمعرفة هذا التيار

في التاريخ الاسلامي - فقد ضاعت

كلها ومن بينها خاصة كتاب الزمرذ حتى أن بعض المحدثين ظن

انها لم تزل وانما نسبها خصوم ابن الراوندي اليه او حرف

معانها لفضيحة والتشهير به .

(١) راجع ترجمته في مقدمة كتاب الانتصار وفي مقالنا في

Rivista degli Studi Orientali ج ١٤ (١٩٦٤) ص ٣٧ الخ

منذ أن نشر كتاب «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد»

لابي الحسين الخياط المعتزلي (المتوفي سنة ٣٠١) ^(١) برزت شخصية

ابن الراوندي الغريبة من التموض الذي احاط بها الى ذلك الحين

واتضح - الى حد ما - الدور العظيم

الذي قدّر لها على مسرح الحياة

الاسلامية في القرن الثالث للهجرة .

فبعد ان كانت اقتصرت معرفتنا بها على

ما ورد في كتب التاريخ وكتب

الطبقات من المعلومات السطحية

«البرانية» أصبح الآن المعني بتاريخ

الفكر الاسلامي يسمها مسأ ويشهد

تطورها المتدفق الذي رفعها اولاً على

اعواد منابر الاعتزال وجعل منها رئيساً

من رؤساء مذهبهم ، ثم ادت ثورة ابن

الراوندي عليهم الى طرده من مجازهم

والى ردوده العديدة عليهم ، تلك

الردود التي اصبت «دار سلاح»

لكل من قصد من المتأخرين الطعن في

المعتزلة وتفضيح آرائهم ، ثم اتى به

تطوره في اوساط الشيعة على مختلف اصباغها ، حيث التقى بصديقه

وشريكه في التزندق أبي عيسى الذي هداه الى الاتحاد

الصريح او الى التصريح بفكره الحرة وخروجه على الديانات

جميعاً . «ذكر ابو علي الجبائي ان السلطان طلب ابن الراوندي

(١) نشره المشرق السويدي فيرج في القاهرة ١٩٦٥

إن للكتب حظاً عظيماً ! أثارت مصنفات ابن الراوندي هذه ضجة لا مثيل لها في أوساط المتكلمين والفلاسفة الذين عاصروه أو جاؤا بعده ، فقد رد عليها يعقوب بن إسحاق الكندي وأبو نصر الفارابي الفيلسوفان وأبو سهل أحميل بن علي النوبختي رئيس الإمامية (المتوفى سنة ٣١١) وابن اخته أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، ومن المستقلة الحياط وأبو بكر الزيري وأبو القاسم البلخي الكعبي (المتوفى سنة ٣١٩) وأبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (المتوفى سنة ٣٠٣) وابنه أبو هاشم عبد السلام (المتوفى سنة ٣٢١) ، وكذلك أبو الحسن الأشعري وأبو بكر محمد بن عبد الله البردعي الخارجي وابن درستويه النحوي وأخيراً أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم الرياضي والفلكي المشهور (سنة ٤٣٠) الذي كتب مقالة عنوانها « في إيضاح تقصير أبي علي الجبائي في نقضه بعض كتب الراوندي ولزومه ما ألزمه إياه ابن الراوندي بحسب أصوله وإيضاح الرأي الذي لا يلزم معه اعتراضات ابن الراوندي ^(١) » ولم يبق لنا من مصنفات ابن الراوندي تلك ولا من الردود العديدة عليها إلا واحد ، حفظته لنا ظروف غريبة وسرتنه عن أعين الباحثين إلى هذا الحين

أذكر أيا القاري، تلك المكتابة التي وقعت بين أبي العلاء المعري و « داعي الدعاة » في تحريم اللوم التي عرفت خاصة بما أورد منها ياقوت الحموي في إرشاد الأريب (كان هذا الكتاب في الأصل إسماعيلية الفاطمية الذي يحاول أن يكشف عن سر مقاصد المعري في كراهيته لآكل اللحم مجهولاً أو كاد ، إلى أن ظهرت شخصيته من المكتبات السرية التي احتفظت بها الطوائف الإسماعيلية الرُومانية القاطنة في الهند وفي اليمن وفي الشام أيضاً . فإذا به أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين داعي الدعوة أي رئيس الدعوة الإسماعيلية الفاطمية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي ولي مصر من سنة ٤٢٧ إلى سنة ٤٨٧ . وقد وصل إلينا - بين كتب الخزانة الإسماعيلية السرية - من مؤلفات المؤيد الشيرازي هذا « سيرة » مطولة يصف فيها المؤلف حوادث حياته منذ أن ابتدأ دعوته في بلاد الفرس حتى نأداه خليفته وإمامه إلى مصر حيث تولى شئون المذهب الفاطمي الدينية ورياسة « دار العلم » التي أنشئت في جانب الأزهر . وله ديوان يدل على شاعرية الرجل يخلج فيه المستنصر ويضبط فيه نكتاً من مذهب الإسماعيلية ويعبر فيه عن سيرة دعوته إذ يقول عن نفسه

(١) راجع ابن أبي اسبيعة ج ٢ ص ٩٧

رضيت التسرير لي مذهباً وما أبغني عنه من معدل ولكن أهم مؤلفاته « مجالسة » أو محاضراته التي ألقاها في دار العلم بالقاهرة وهي ثمانية مجلدات في ثمان مجلدات كبار يتناول المؤيد الشيرازي فيها موضوعات إسماعيلية شتى - دينية كانت أو سياسية أو تأويلية أو أدبية - وفي ثنائيا هذه المجالس يتلو على سامعيه نص مكاتباته مع أبي العلاء المعري وكذلك نص ردّه على كتاب الثورمذ لابن الراوندي ذاكراً خلاله نبذاً مفصلة عن هذا الكتاب المفقود ^(١)

يشمل رد المؤيد الشيرازي على كتاب ابن الراوندي المجالس السابع عشر إلى الثاني وعشرين من المائة الخامسة من المجالس المؤيدة وأناورد لك بعض منتخبات منها تطلعك على مغزى كتاب ابن الراوندي وقيمته من الوجهة التاريخية

يبتدي المؤيد مجلسه ١٧٢ بعد حمد الله والصلاة على رسوله « معشر المؤمنين ، جعلكم الله بعلائق الدين متعلقين (ومن خشية دينهم متحققين) . إنه وقع إلى أحد دعائنا تصنيف صنفه ابن الراوندي عن أسنة البراهمة في رد النبوات ، وإبطال مراتب من أقامهم الله تعالى لتبليغ كلامه ورد الرسالات ، فاجاب عنه بما رماه فيه بقاصمة ظهره ، إبطالاً لما اتى به من صريح الكفر . ونحن نقرؤه عليكم ونسوق فائدته اليكم بمشية الله وعونه .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المحدث الناجي من اشتغل عليه بانبيائه فهم له مسلمون المستبصر من طلب الاستبصار من جهتهم إذ الملحودون عنهم عمون ، الموضح سبيل الهداية بهم ليحيى الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وصلى الله على من ختمت نبوتهم به خاصة وعلينهم عامة ، وعلى التابعين لهم بإحسان الذين لهم ذرية إيمان . (أما بعد) فانه وقت البنا رسالة عملاً ابن الراوندي ومماها « الزمرضة » ونسبها إلى البراهمة في دفع النبوات ، وذكر فيها حججاً يمتنع بها مشورتها في إثباتها وحججاً يمتنع بها نفيها في نفيها . فوقع الغنى عن إعادة قول المتبين الذين هم اخواننا في الدين ووجب اقتصاص أقوال النافين والإجابة عنهم ، بما نستمد التوفيق فيه من رب العالمين .

« قال ابن الراوندي : ان البراهمة يقولون انه قد ثبت عندنا وعند خصومنا ان العقل اعظم نعم الله سبحانه على خلقه وانسه هو الذي يعرف به الرب ونعمه ومن أجله صح الامر والنهي والترغيب

(١) نشرت هذه المجالس مع شرح مطول في مجلة Rivista المذكورة ص ٩٣-١٢٩ وص ٣٣٥-٣٧٩

والتزهيب . فان كان الرسول يأتي مؤكداً لما فيه من التحسين والتبجيل والاحتجاب والخطر فاسقط عنا النظر في حجته واجابة دعوته . اذ قد غشنا بما في العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وان بخلاف ما في العقل من التحسين والتبجيل والاطلاق والخطر لحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته . هذا نص كلامه »

لعلك تتعجب من جسارة ابن الروندي في معارضة اللانبياء . وكيف يجوز ان يقدر قدرهم بساحة العقل الانساني ، ذلك العقل الذي قال عنه بعض المتأخرين :

نهاية اقدام العقول عقل واقصى مدى المالمين ضلال
ولكن لا تلس ان عصر ابن الروندي كان عصر « تنوير »
اعتمد فيه كل من سعى الى المعرفة على نور العقل وحده . ادى اصطدام الاسلام بثقافات الشرق القديمة والتي اصبح هو وارثها الى ازمة فكرية من خصائصها البارزة اقبال كثير من المثقفين الى القيم الثقافية المكتشفة حديثاً

لست في حاجة الى ان اذكرك بما كان لعلوم القدماء من الهند واليونانيين من الاثر العميق في تلك الثورة الفكرية . والى اى حد وسعت النظريات الفلسفية والفلكية والطبية والطبيعية الكيمائية افق المعارف ومكنت المفكرين من تشييد نظرية جديدة عن العالم ولا حاجة لي ايضاً الى ان اذكرك بما ادى اليه انما الديانات المختلفة تحت ظل الاسلام والمناقشة الحرة بين اصحابها التي كان خلفاء بني العباس الاول يسمعون بها او يشجعونها وما كان لها من الاثر في تشييد اساحة المتكلمين وتفعيلها . لان ما هي تلك الظاهرة التي نسميها « الكلام » ولا سيما كلام اهل الاعتزال الذي بلغ ذروته في جيل ابراهيم النizam والى الهذيل العلاف والمعمر بن عباد السلمي وغيرهم ، الا نصرة الاسلام امام حجج الفلاسفة الدهريين وانصار المذاهب الطبيعية المختلفة وتصورات فرق الزنادقة من انصار ماني وابن ديسان ومزدك وآراء اهل الملل القديمة التي استمدت منذ امد بعيد بعبء الاستدلالات المنطقية العقلية على صحة عقائدها . فقد اعتدى متكلمو الاسلام الى ان يستمادوا في مناظراتهم بل في مكافئتهم لخالفهم نفس الاسلحة التي هوجموا بها وان يجملوا العقل معياراً لجميع آرائهم ومحوراً يدور حوله كل تفكيرهم ، حتى انهم لم يقبلوا امام انفسهم عقائد دينية تخالف العقل وضاد الاسلام وجميع مظاهره مقيماً بهذا المقاييس فاذا رأينا ابن الروندي يقيس النبوة والديانات عامة بقياس

العقل فانه في هذا وفي غيره تليد لأستاذيه (١) من أهل الاعتزال الذين خرج عليهم بعد ان كان اختلف الى مجالسهم . والفرق الوحيد بينه وبينهم انهم يأخذون بالعقل والنطق للانتصار لقائدهم الاسلامية بينما هو يستعمل نفس العدة في عكس مقاصدهم ، لسوء ظنه بما كان يدین به من قبل

ليس موقعنا من مثل هذه النصوص اليوم موقف المتكلمين القدماء الذين كان من شأنهم بسل من واجبه ان يردوا عليها ويظهروا ضلالات مؤلفها فيها . لسنا الا مؤرخين لحركة فكرية ظهرت في قلب الاسلام واصبحت فيه من اقوى الحماثر على تطور الثقافة الاسلامية وإيضاحها . وعندي أننا لا نستطيع ان نفهم اقتساح الحضارة الاسلامية في شتى مظاهرها الا إذا درسنا تلك الدوى المحركة الكامنة التي من اهمها نبضة التفكير الحر في الاسلام .

يظهر ان كتاب ابن الروندي كان نقضاً للاديان المختلفة غير ان ما وصلنا منه يتصل خصوصاً برد المؤلف على الاسلام والمسلمين وقد نبه على هذا ابو الحسين الحياطي في كتابه (٢) إذ يقول ان ابن الروندي « ذكر في كتاب الزمرد آيات الانبياء عليهم السلام كآيات ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم فطن فيها ودعم انها مخاديق وان الذين جاءوا بها سحرة مخرقون وان القرآن الكريم من كلام غير حكيم وان فيه تناقضاً وخطأً وكلاماً يستحيل ، وجعل فيه باباً ترجمه (على الحميدة خاصة) يريد امة محمد صلى الله عليه - والواضح ان ما يستفصحه الحياطي في تسمية ابن الروندي فصلان من كتابه بالرد على الحميدة ، انه في جساته يسمي الاسلام باسم مؤسسه كأنه فرقة من الفرق ، فضلاً عما في هذه التسمية من المقاصد الخفية إذ ان ابن الروندي يضع آراءه وردوده على لسان البراهمة الذين كانتهم ينظرون الى الاديان عن بعد .

هذا ولندكر بعض القطع التي اوردها داعي الدعاة المؤيد الشيرازي عن كتاب الزمرد الذي يدعي مؤلفه فيه « انه يجناح عقله وجد في آفاق المعارف مطاراً واقام لنفسه من المجد بعرفة مغييات الامور مناراً » .

كان من اهم المسائل التي تداول المتكلمون البحث عنها في مجالسهم مسألة المعجزات التي رواها اصحاب البيرة والقصص عن

(١) جمع « استاذ » عند القدماء دائماً « استاذون » وليس « استاذة »

(٢) الانتصار ص ٢ ، وايضاً ص ١٥٥ و ١٧٣

التي هي المعاني . فان نفساً واحدة تقع يوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة الى الامتياز منها . والقرآن كلام هو بثابة الجسد ومعناه روحه الذي كنى الله سبحانه عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب الا قرنه بالحكمة . وقد قاربت اياها الختم بالاقراء بكونه معجزاً من حيث لفظه للعرب الذين هم اهل اللسان ثم ارفدته بقوله « فسا الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان في شي . » فنقول ان في معناه المكني عنه بالحكمة ما يقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجة فيه ان ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بضعه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الاعجاز فسا يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة تغتفر النفوس اليها كلها . فأين موقعها من الاعجاز !»

على ان ابن الراوندي لم يكتف بنبي الاعجاز من جهة اللفظ، بل يجاوز هذا الى نقض القرآن من جهة المعاني ايضاً فقد روى عنه داعي الدعوة وكذلك ابن الجوزي في تاريخ المتنظم وعبد الرحيم العباسي في كتاب معاهد التخصيص وغيرهم كثيراً من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم . وان اردت ان تنق على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فقرأ خصوصاً كتاب « تلويح الحجة على المطاعن » لقاضي عبد الجبار المتعالي (المتوفى سنة ١٠١٥هـ) وقد طبع هذا الكتاب في مدينة القاهرة في سنة ١٣٢٦ . وقد تعرض ابن الراوندي لسببة النبي بسوء . وليس هنا مجال ذكر الامثلة وكان عصر ابن الراوندي على الاعتقاد بأن العلوم كلها ترجع الى الانبياء . وان الانبياء هم الذين حصلوا عليها وحياً أو توقيفاً وعلوها الناس . وقد يسهل ابن الراوندي هذا الرأي اذ يقول إن العلوم والمعارف عامة لم تنشأ للانسانية عن توقيف او وحى بل عن إلهام مستعلاً ذلك الاصطلاح بمعنى البديهة الفطرية التي يتنازع بها الجنس الانساني كافة . ويقول مثلاً في علم النجوم « ان الناس هم الذين وضوا الارصاد عليها حين عرفوا مطالعها ومغاربها ولا حاجة بهم الى الانبياء في ذلك . » ويعارض ايضاً رأي من يقول إن اللغات المختلفة نشأت من توقيف على الانبياء اذ يرى « ان الكلام مستمل عن الولدين صاعداً قرناً قرناً الى ما لا نهاية له » وقد نبه داعي الدعاة على ان ابن الراوندي ترقى في هذا القول من حد دفع النبوات الى القول بقمم العالم

واجب من هذا كله السبب الذي دعا ابن الراوندي الى تسمية كتابه بالمرمذ . فلم يحدد اسم حجر ثمين عنواناً لكتابه لأن

الذي ، ومن المعروف ان قطاب المعتزلة وعلى رأسهم ابراهيم النظام نفوا هذه المعجزات اذ كانوا يعتبرونها غير جديرة بحجوة الاسلام ورفعة نبه . اما ابن الراوندي فانه يقول بعين هذا القول إذا استثنينا الصفة العدائية التي يصطبغ بها عنده . فاصح اليه اذ يتحدث عن حديث الميضة وشاة أم معد وحديث سرقة وكلام الذئب وكلام الشاة المسمومة : « ان المخاريق شتى وان فيها ما يبعد الوصول الى معرفته ويدق على المعارف لدقته وإن اورد اخبارها بعد ذلك عن شذمة قليلة يجوز عليها المواصلة على الكذب . » ويقول « اما تسليح الحصى وكلام الذئب وما يجري مجراها فقد تنكره العقول »

وبعد كلامه في المعجزات عامة يتناول ابن الراوندي مسألة « اعجاز القرآن » تلك المسألة التي لها الاهمية الكبرى لا في المقائد الاسلامية فقط ولكن في العصور القوية والبيانسة ايضاً . ومن المعروف ان المتكلمين القدماء عالجوا مسألة الاعجاز من وجهتين ، فبينما قال اكثرهم بعجاز القرآن اي بعدم مقدرة الانس على محاكاة والاتباع بمثله من جهة لفظه ونظمه وتأنيبه كان المتطرفون منهم وعلى رأسهم ابراهيم النظام يرون ان مثل هذه الحجة البائسة لا تكفي للدفاع عن اوحيدة الكتاب المحتل نفوا ان يكون نظم القرآن وتأنيبه حجة على تفزيه وقالوا بإعجازه من جهة المعاني فقط، وهانحن اولاً . نرى ابن الراوندي يدخل مجرأته في تلك المناقشة اذ يبنى اعجاز القرآن الكريم من وجهتين معاً .

قال ابن الراوندي في القرآن على ما رواه المؤيد الشيرازي : « إنه لا يتنع ان تكون قبيلة من العرب افصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة افصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك العدة افصح من تلك العدة » الى حيث قال « وهب ان باع فصاحتها طالت على العرب فسا حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجة عليهم ! »

هذا وانني لآظن من المفيد ان اروي لك بعض ما أتى به داعي الدعوة في رده على ابن الراوندي في هذه المسألة لا سيما اذ يطالعك جوابه على ما كان عليه الاعرابية من المذهب في مسألة إعجاز القرآن التي نحن فيها . قال الحبيب : « ان الكلام الفاظ مقدرة على معان ملازمة لها والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم ان الاجساد من حيث كونها اجساداً لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً . فانها وان رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو امر قريب وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس

(قل هل أنبشكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

بقيت امامنا مسألة واحدة تدعو الى تأمل ما وهي لم نسب ابن الروندي الآراء التي يعرضها في كتاب الزمرذ للبراهمة ؟ وهل في تلك النسبة شيء مما يتفق وآراء تلك الطائفة الهندية ؟ ليس من الضروري ان نزع حل تلك المسألة الى ما يعرفه الباحثون اليوم عن احوال الهند وآراء طوائفها الدينية المختلفة ، بل يكفيننا ان نقارن قول ابن الروندي عنهم : عرفه المسلمون ولا سيما المؤلفون القريبو العهد منه عن الهند وعن البراهمة .

من المعروف ان اول من حاول الكشف عن اسرار الحضارة الهندية والبحث الجدي عن ديانات اهلها ابوالريان البيروني في كتابه « في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » وقد نبه في مقدمة هذا الكتاب على ان من تقدمه من مؤلفي كتب الملل والنحل لم يعثروا على معرفة حقائق الهند عيناً وتجربة بسل اكتفوا بالقليل والقال . وقد اشار المسعودي في مروج الذهب (١) الى ان اهم من سأل آراء الهند رجلان اولها ابو القاسم البلخي الكعبي المشهور في كتابه « عيون المسائل » والثاني ابو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتابه « الآراء والديانات » وكلاهما عاش في اواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع مما جعلهما اقرب عهداً لابن الروندي من البيروني . وقد اراد الحظ السعيد ان تصل الينا بعض منتخبات من كتاب النوبختي لا سيما فيها اوردته ابن الجوزي في كتاب « تليس إبليس » (٢) اذ يقول :

« وقد حكى ابو محمد النوبختي في كتاب الآراء والديانات ان قوماً من الهند البراهمة اثبتوا الخلق والرسول والجنة والنار وزعموا ان رسولهم ملك اثم في صورة البشر من غير كتاب وانه امرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبايح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وابعاح لهم الزنا وامرهم ان يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه وخطبته وحاجبيه واشغار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر في هذبات يضع الزمن بذكرها . »

(١) ج ١ ص ١٦٨ من طبعة اوربا

(٢) القاهرة ١٣٦٠ ص ٦٩

يدل على قدره وارتفاع قيمته كما عمل في عناوين كثير من كتبه الأخرى مثل كتاب التاج ، وقصيب الذهب ، والفريد ، وما إليها بل انه اختار هذا العنوان لغرض اخبث مما يظن الظان . فقد اعتمد فيه ابن الروندي على القصة الشعبية اليونانية الواردة في كثير من كتب العجائب والغرائب بأن من خاضعة الزمرذ انه اذا رأته الافاعي وسائر الحيات عجت وسالت اعينها . قال : فكان قصدي ان الشبه التي اودعتها الكتاب تعمي حجج المحتجين »

فاعتقد ان ما اوردته عامل في حجج اهل الشرائع حسب ما اثر الزمرذ في حقد الحيات فاذن لا نذعر بما كان لكتاب الزمرذ من الاثر عندما ظهر فنمضه مؤلفه للتشنيع عليه وللاضطهاد ولطلب اصحاب الشرطه له حتى انه حاول ان يثني عن نفسه تأليفه فقصده روى ابن الجوزي في تاريخ المتكلم ان ابن الروندي وابا عيسى محمد بن هارون الوراق كانا يتراعيان بكتاب الزمرذ ويدعي كل واحد منهما على الآخر انه من تصنيفه !

نكتفي بسرده هذه القطع من كتاب ابن الروندي التي اوردتها داعي الدعاة والتي تطلعك على خاصية آرائه ونحن نعلق هذا الباب بحدونا عليك فضلاً صغيراً ختم به المؤيد الشيرازي وده على كتاب ابن الروندي وهو مأخوذ من آخر المجالس الثاني والعشرين من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية : « قد سقنا جواب الرسالة الموسومة بالزمرذة - وهي خزفة مكسورة - حسب ما فتح الله تعالى لنا فيه . ونحن نقول قولاً يشهد الله سبحانه على حقته وصدقته ان ابن الروندي الذي عمل الرسالة مصيبتة بعقله اعظم من مصيبتة بدينه فانه تتبع الانبياء عليهم السلام الذين هم ملوك الديانات بالنقض ، ومعلوم أنه لو كانوا على ما يتوله الملحدون مطاين في النبوة لكان فيه من المنفعة الظاهرة في سياسة الخلق وتحسين دعاتهم واموالهم ومنع قوتهم عن ضعيفهم ما يمنع عن تنقصهم وثلبهم . وتوكيل هذا الملحد عن البراهمة في هذا الباب يزعمه لا يوجب له منهم ثواباً في الدنيا ولا في الآخرة ، بل المحصول انه إحداث شغار القتل لنفسه لو كان حياً وألسن اللعن والحزى إليها ميتاً فان الذي اتعبت خاطره وسره في شيء يكون نتيجه في الحياة الذل والقتل وفي الميت الحزى واللعن لخاسر الصفة ظاهر الشقوة . »

ووصف النوبختي في مكان آخر من كتابه حياة الزهاد من البراهمة الذين يتقربون بأحرار اجسادهم والقاء انفسهم في النار « هذا وما اليه من العادات التي تظهر عليها الصبغة الهندية والتي سجلها لاهنود كثير من مؤلفي اليونان والبيروني أيضاً عندما عاشرهم واذا قابلت هذه الاقوال عن شاعر الهنود الغربية وآراءهم البعيدة عن عقولنا بما ينسب ابن الروندي اليهم من المذهب العقلي الصرف فلست اشك انك توافقني في انه لا علاقة بين براهمة ابن الروندي والبراهمة الحق ، لا سيما اذ رأينا براهمة ابن الروندي يملأون العقل الحكيم الأعلى في كل ما في السموات والارض حتى انهم يغفون الرسل والانبياء بينما ينسب النوبختي ومن سلك مسلكه اليهم رسلهم وانبياءهم . ومعنى هذا ان ابن الروندي اتخذ تسمية البراهمة قناعاً له للتعبير عن آرائه الجريئة التي ليست فيسما من الهنديات شي . بل يمكن ويجب فهم نشأتها من البيئة الاسلامية ومن الازمات الروحية التي تعرض لها الاعتزال والكلام عامة . وقد اشار الى هذه الواقعة المؤيد الشيرازي في رده على ابن الروندي اذ لم يذكر البراهمة الا بأن يضيف الى ذكرهم ان تلك الآراء تنسب اليهم » بزمه « اي بزم ابن الروندي فقط .

هذا والطريف في الامر ان كثيراً من اقطاب علم الكلام من المتأخرين ومن اصحاب كتب الملل والنحل قد اتخذوا بنا اختلقه ابن الروندي عليهم . فقد زى الاقلاقي (١) وابن الحرم (٢) والبغدادي (٣) والغزالي (٤) والطوسي والذهبي (٥) أيضاً ينسبون الى البراهمة تلك الآراء التي رواها صاحب كتاب الزمر بآبهم والتي ليست من « التبرهم » في شي . اما ابن الجوزي فقد وضع في جانب نخبته من كتاب النوبختي عن البراهمة الحق فصلاً مطولاً (٦) في شبه البراهمة الموجهة ضد اهل الشرائع المأثلة يرجع في آخر الامر الى كتاب ابن الروندي . اما الشهرستاني فقد

عرض آراء هؤلاء البراهمة الموهومين عرضاً مفصلاً جديراً بأن يؤيه هنا بتمامه اذ كان يمكنك من مقابله بما مر عليك من كتاب الزمر ومن الحكم من تلقاء نفسك على ما نقول .

قال الشهرستاني (١) بعد ان حاول تفسير اسم البراهمة بنسبته الى ابراهيم عليه السلام او الى رجل يقال له براهيم : « قد قدم لهم نفي النبوة اصلاً وقرر استحالة ذلك بوجوه منها ان قال :

(١) ان الذي يأتي به الرسول لم يزل من احد امرين : إما ان يكون معقولاً ، وإما ان لا يكون معقولاً . فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول اليه ، فأني حاجة لنا الى الرسول . وان لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً إذ قبول ما ليس معقولاً خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية .

(٢) ومنها ان قال : قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم ، والحكيم لا يتبعدهم الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعاً عالماً قادراً حكيماً . وانه انعم على عباده نعماً توجب الشكر . فلننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بالآله علينا . واذا عرفناه وشكركناه له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه . فما بالناس تنفع بشراً مثلاً ؟ فانه ان كان يأمرنا بما نذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغفرتنا عنه بقولنا . وان كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قولنا دليلاً ظاهراً على كذبه .

(٣) ومنها ان قال : قد دل العقل على ان للعالم صانعاً حكيماً والحكيم لا يتبعدهم الخلق بما يقيح في عقولهم . وقد وردت اصحاب الشرائع يستعجبون من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاحمر وكذلك ذبح الحيوان وتحميم ما يمكن ان يكون غداً . للانسان وتحليل ما ينتص من بنيته وغير ذلك ، كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول .

(٤) ومنها ان قال : ان اكبر الكبائر في اوسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجدار يتصرف فيك رفعاً ووضاً

(١) كتاب اعجاز القرآن (القاهرة ١٣٦٩) ص ١٠

(٢) الفصل ج ص ٦٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٣٢

(٤) الفصل ص ٥٥ (من مجموعة الجواهر النوال المطبوعة في مصر ١٣٦٣)

(٥) في تاريخ الاسلام في ترجمة ابي العلاء المعري

(٦) تلييس ابيس ص ٦٩ الخ

(١) كتاب الملل والنحل (طبعة اوربا) ص ٢٥٥ الخ

الى القراء

- لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر

كانون الثاني (يناير) .

- تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

- قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل

الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي

لا تبايع فيها المجلة .

في الخارج :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في

الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب

التي تصدر خلال السنة .

- الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تقف

في البريد .

- احفظت الادارة بعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا

الجزئين الاول والثاني) فن شاء من هذه الاجزاء

فليطلبها من الادارة وثن الجز. ليرة واحدة

- الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة

الثانية ب ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة .

وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجز. الاول

والثاني من السنة الاولى . والثاني والثالث من السنة

الثانية .

- المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها .

نشرت ام لم تنشر .

- توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت - لبنان

الادارة

او كعبد يتقدم اليك امراً ونهياً . فبأي تمييز له عليك واية فضيلة
اوجبت استخدامك وما الدليل على صحة دعواه . فان اغترتم
بجرد قوله فلا تميز لقول على قول ، وان احسرتم بمجته ومعجزته
فعدنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يصح كثرة ومن
الخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره .

لعل القطعة التي اوردها من كتاب الشهرستاني تكفيك
دلالة على ان براهمية ابن الراوندي اشخاص موهومون على نط
اوار الفرس الذين نقلهم «مونتيسكو» الى قلب اوربا لكي يضع
على لسانهم ما يميل في خاطره من الافكار في عيوب الحضارة
الغربية . وليست الرواية الوهمية التي اخترعها ابن الراوندي الوحيدة
من نوعها في الآداب الاسلامية ولكن لها نظائر واشباه . فان
اكثر ما نقرؤه في الكتب عن عقائد الصابئة الحرائين او
الحرائين ليس الا خرافة اخترعها بعض الظرفاء من المتفلسفة في
اواخر القرن الثالث للهجرة ليشبعوا جوع الجمهور المثقف الى آراء
غريبة مستبعدة . وكذلك عمل ابن وحشية المشهور في فلاسفته
النبطية اذا اختلق للانباط والكنعانيين والكلدانيين والبابليين
القدماء علوماً فاقت في عمقها كل ما اعتدى اليه علماء الأمم الاخرى
وكما ان الناس اتخذوا باختلافات ابن وحشية واحمد بن الطيب
السرخسي وابي بكر الرازي كذلك اتخذوا بالرواية الموهومة عن
البراهمة التي اخترعها ابن الراوندي .

لنفترق بعد هذا عن ابن الراوندي . لن يقال ان شخصيته
في إباحته وجرتا وتأديتها لما هو مقدس محبة الى النفس ، ولكنها
تمثل تياراً لا سبيل الى انكاره لمن يرمي الى فهم الحياة الاسلامية
في القرن الثالث للهجرة على مختلف الوانها . ولعل يسلينا ان هذا
الرجل مع اصراره على قدرة العقل الانساني في ادراك حقائق
الاشياء قد وصل في آخر عمره الى ان قال - او قيل انه قال - :
ليس عجيباً بأن امرأ لطيف الحسام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه أنه ما علم

باول كراوس - القاهرة

الى القمر

يا ايها القمر المختال في الافق
مسير من صمتت عنه احبته
حبيب كل كئيب لا حبيب له
ان كنت خلواً جاداً لا حياة به
أو كنت لا كوثرأ تجري منابعه
فأنت طيف لصب شاعر دنف
يزيده الشوق نيراناً فيطلقها
كأنه بين احياء النجوم اذا
عم الهدوء وحانت ساعة الفسق
يقلب الطرف في ما حوله شغفاً
بكل روض ونجم فأتى الحدق

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

* * *

تري شعاعك من نور الشمس هي
ام من شعاع عيون همى بالافق
ام انت بحر ضياء لا حدود له
تدفع النور من شطيه في الشفق
تجري الاماني فيه وهي ساجدة
جري القوارب في امواجه الزرق

* * *

احال واديك في الانساء اندية
تضم نخبة اهل الفن والعشق
فما رفعت اليك الطرف ناعسة
الا لمتهم في كل مفترق
فن بهائك ما في القلب من وهج
وفي تعاليك كانت آية السبق
ماري عجمي - دمشق

نيرون الحقيقي

بقلم تور الدين ارتام - نقلها الى العربية : يحيى شرش

الشهير ؟؟؟

لم اكن عالماً ، لا ولا فتحت كتاباً تاريخياً منذ تركت المدرسة
واذا ثم البحث عن حياة رجل كهذا ، فكل ما يزكني القيام به
هو الالتجاء الى كتاب « اللاروس » المتفخ على احدى رفوف
المكتبة وقراءة ما جاء به ، فقلت :

- انا لا اعرف شيئاً عنه ، ولو اني حفظت شيئاً عنه فيما مضى
فقد نسيت به ، واذا اردت فسأتىكم « باللاروس » واقرأ عليكم
ما جاء فيه .

فاسند صديقي العالم ظهره على الاريكة التي كان يجلس عليها
وبعد ان اصلح وضع نظارتيه قال :

اقرأ لى

« نيرون » هو جوبيوس دومينيوس نيريو كلاديوس ابن
جوبيوس انطونيوس وأغريبين . كان امبراطوراً لروما من سنة
٥٤ الى ٦٨ ، تدرب على يد الجندي « يورخوس » وعلمه الفيلسوف
« سنيك » وتبناه الامبراطور « كلود » فصار من بعده امبراطوراً
لروما ، وقد اظهر لباقة في بداية حكمه الى ان ظهر منافسه
« بريتانوس » فأمر بقتله وقتل امه ثم ألحق بها زوجته وخليفته
واخيراً بدأ يظهر على المسارح بأدوار الممثلين فأساء الى شرف
الامبراطورية ومكائنها . ولم يثبت التاريخ احراره لروما سنة ٦٤
ولكن بينما كانت روما تحترق رأوه يعزف على ربابته ويغني .
قتل كثيراً من المسيحيين في « السيرك » طعماً للسباع ، وجعل
بعضهم كشاعل تحترق في حديثه بعد ان طلائهم بالزفت . طرد
من روما اثر عصيان « فنديكس » و « غالباً » عليه ودينها هو على
على وشك الوقوع في ايديهم أمر مولا « آبا فروديت » بقتله
فقتله . وقد قال صارخاً وهو يموت :

- ان الدنيا تحمر ممثلاً عظيماً .

* * *

قد مضى أربع او خمس سنوات لم أذكر فيها صديقي الذي
كانه كنت تحببه اذا نظرت اليه وهو في منتصف العقد
الرابع من عمره وكأنه لما يزل في منتصف العقد الثالث من حياته
بشرة نضرة لا أثر فيها للتجعدات وشعر خروني جميل لم يخط الشيب
خطوطه فيه .

قلت كان قد مضى اربع او خمس سنوات لم أذكر فيها صديقي ؛
نعم هو كذلك ، فلقد عود الزمان الانسان ان يمر عليه شهر عدة
لا يرى فيها جواده الذي يلاصقه في السكن ، وتمر عدة سنوات
ايضاً لا يرى فيها ابن حبه الذي يعرفه . فلم تدهشني ملاقة صديقي
بعد هذه المدة الطويلة ، ولكن ادهشني ما رأيته في وجهه من
تجعدات ذهبت بتلك النظارة التي كنت اعهدها فيه ، وخطوط
بيضاء كثيفة تتراحم في فؤديه ، وفوق كل ذلك كان يحمل على
عينيه اللتين كانتا حادتين فيما مضى نظارتين غليظتين فقلت له
- أين أنت يا صاح وما هذه الشيخة ؟؟؟

فاقترب مني صديقي وحذني وقد تغير طوره قليلاً ثم بدأ
يحذني وكأنه يودعني سرّاً هائلاً فقال :

- اني اشتغل بالتاريخ . . . فلقد عثرت على كتب لم يطالع
عليها احد ووثائق لم يقع عليها نظر انسان ، فوفقت على امور
مدهشة واكتشافات فائقة لو قارنتها باكتشاف الدكتور « إسنر »
Eisner « الفيني الذي اجتمع بعد تقيب ثلاثين عاماً على النسخة
الاصليه لحياة عيسى المكتوبة بيد « جوزيفوس » اذن ظلت هذه
بالنسبة لاكتشافاتي كأشعار الشاعر الفلورييني .

ادركت ان المقدمة ستطول فقطعتها عليه وقلت لصديقي
العالم الكبير :

- هلا تحدثنا قليلاً عن اكتشافاتك هذه . . .

فأخذ صديقي طور العالم الجليل وقد استاء من قطع حديثه
وتوجيه سوء ال اليه في غير اوانه فبادرني بدوره :

- قل لي انت ما الذي تعرفه عن « نيرون » امبراطور روما

— مالك وبيوت الناس ٠٠٠! وما عسانا نفعل بك وبجائلك
هذه ؟ ٠٠٠

اجابها نيرون معترأ وفي شيء غير قليل من المساواة والشدّة:
— ان احراق دار معناه انني اصرح عائلتي بأسرها ، وكيف
تريدون ان يتحمل قلب انسان هذه الكارثة ؟ ! واني منذ اليوم
سأقف نفسي لهذا العمل وسوف لا تتجدد هذه الكارثة في هذا
البلد ما دمت حياً وقادرأ على العمل .
ولست بمطول حديثي عليك ، فلقد يرت نيرون يوعده الذي قطعه
على نفسه ؛ فما ظهر بعد ذلك حريق في بلده حتى يادر اليه واطفأه
غير مبال بالصلاب والاختطار الى ان اخذته الامبراطور « كلود »
الى روما .

ولكن أتدري ماذا حدث أيضاً ؟ ! لقد كانت في البلدة
فئة كان نيرون يحبها حباً شديداً ، وكان يريد ان يتزوجها ويسمى
معا ، الا ان ثلاثة من مواطنيه وشوا عنه زوراً الى حبيسته وما
زالوا يهاجتي صدته ولم يقبل ايها بعد ذلك بصاهرته أيضاً
أنبأوه بهذا الخبر الاسود وهو عائد من احدى الحرائق بعد
اخذها ولكن شمر تورأ بجريق هائل شب في صدره ذاب لمرقلبه
الكبير ذلك القلب الذي أوقفه للحب ٠٠٠! لحب حبيسته وحب
الناس جميعاً .
الملك الذي كان يملك من هول النبأ وفكر ملياً وهو ينفذ عنه
القيار والهباب !

أو لم ينتشل من الهيب فبما مضى وفي تواريخ مختلفه بيوت
هؤلاء الثلاثة الذين دسروا عليه ؟ !!!

والبيت الذي ينفذ عنه الآن غباره وهبابه ؛ او ليس هو
بيت ذلك الرجل الذي أتى ان يزوجها ابنته ؟؟؟

وفي ليلة حالكة بينما كان يمر في احد شوارع البلدة سمع لفظاً
صادراً من بناء جديد تبين فيه اسمه ، فالتفت ليستمع . ويهللوا ما
سمع ٠٠٠! لقد كانوا ينتعونه بأبع النعوت ويقرعون عليه بأعظ
الكلام ، فنظر الى البناء الجديد وتذكر الاخطار التي تعرض
اليها يوم اطفأ الدار القديمة التي كانت خائفة بدلاً من هذا الدار ،
فلقد كاد رأسه يتحطم وتذهب عيانه وساقه طمعة النار في ذلك
النهار . فأنصرف مكلوم النفس جريح الفؤاد ، وكان بإمكانه
ان يتمنى لهذا البناء الخشي الجديد النار والدمار ولكنه لم يفعل
ان عمل الخير معها كان قوياً ومتأصلاً في الانسان فهو بشابة
طير محبوس في قفص النفس ؛ فاذا ما تحطم ذلك القفص يوماً من

كان صديق العالم يلهو مستهزئاً ويخدجني من فوق نظارته
بينما كنت أقرأ عليه هذه الاسطر وبعد ان انتهيت من القراءة
سألني :

— كلكم تصدقون بهذا اليس كذلك ؟
فلويت عني « وكأني اقول : وكيف لا نصدق ما جاء بثل
هذا الكتاب المعتبر لدى العالم اجمع » فأمرني صاحبي وقال :
— دعك وراء منصدتك فساملي عليك الآن حقيقة نيرون
وحياته . هذه الحقائق التي لم يكتشفها غيري ولا يعرفها احد
سواي وانت اول من يطلع عليها :
* * *

ولد نيرون في بلدة لم يبق من آثارها ولا انقاضها شيء . يدل
عليها ، والسبب في ذلك هو ان اهل هذه البلدة كانوا لا يبنون
بيوتهم من الاحجار لاعتقادهم بأسطورة تعود الى اجيال قديمة جداً
فكانوا يبنون بيوتهم من جذوع الاشجار واخشابها .
وانت كرجل من « استانبول » يمكنك ان تتنبأ بكل
سهولة عن اهم الحوادث والوقائع اليومية التي تقع في بلدة كهذه
بنيت جميع بيوتها من الخشب :
حريق ٠٠٠!
حريق في الصباح ؛ حريق في الظهر ؛ وحريق عند المساء .
وحريق في الليل ٠٠٠ فكانت البلدة تحترق من حيلة الخبيثين من
جهة اخرى .

ولد نيرون بين هذه الحرائق وترعرع ثم شب فانفتل ساعده
وبينا هو جالس يوماً في داره تراءى له من بعيد دخان كثيف
ولهيب خفيف يتصاعد من احدى الدور ، فقلع قلبه وثارت تأثرته
على من حوله من مواطنيه الذين لم يبالوا بالخطب الذي يقع هنالك
— لما اعتادوا عليه من رؤية امثال هذه الحرائق المتكررة ليلاً
ونهاراً — فاندفع من بيته ينهب الارض متجهاً نحو الحريق وما
زال به حتى اطفأه غير مبال ؛ با كان يهدد حياته من الاخطار بين
آونة واخرى وهو يتنعم الهيب هنا وهناك . وقد رسخ في
نفسه ان ما قام به هو واجب انساني يجب ان يعتنقه كل مواطن في
هذا البلد . ويدأب عليه لمساخنة هذه الكارثة التي تدمر العائلة
وتكسر اطفالها .

عاد الى داره مبتلاً مطلقاً بالاحوال يكاد وجهه لا يبين من
الطين والهباب وقد اصابته حروق بالغة . وما ان رآه والداه على
هذه الحالة حتى تناولوا عليه بالتأنيب والتعزير وقالوا له :

الواحة

صداق الأمير

منتخبات شعرية

تطلب من جميع المكاتب ومن ادارة الاديب - الثمن ثلاث ليرات ل. س.



حادثات الدهر ونوابه ، فرّ ذلك الطير وذهب مع الريح .
 وكان كلما تراءى لنيرون تلكهم الحرائق العديدة التي احدها
 في مسقط رأسه رأى بجانبها ما لاقاه من اساءات الناس وعسفهم .
 ولم يكن يفكر وهو يلي دعوة امبراطور روما يجلس المسدنة
 التي ستحتضنه ؛ بل كان يني النفس بالخلاص من بلده التي قاضي
 الامرين من اهلها والتي لم ير من أهلها غير نكران الجليل
 ولا تظنوا ان نعيم القصر وملاده أنسياء مرادة الاذي الذي
 لاقاه في بلده فقد كان قلبه ينفق دوماً يحبه الاول ؛ وكلما تذكر
 اولئك الذين قضوا على سعادته واحلامه ، تراءى له من خلفهم
 صواريخ من الدخان والتهيب تشق عنان السماء ، حتى بدأ هذا
 المنظر مجرد الايام يثمر كثر في خياله واصبح لا يفارقه .
 وقد اخبروه يوماً وهو امبراطور ان عضواً من « السيناتو »
 هجاه وآذاه بالكلام فقال :
 - لا اصدق ذلك ، فاني لا اذكر اني اطلقت له حريقاً شب
 في داره

ان نيرون رجل تلقى طول حياته في سعي ما اسداه من معروف
 واحسان للناس . فكانت روما اول وآخر سعي نفتح فيها بنفسه .
 وعلاّم هذا الشرود ؟ !

أو ليس الذي أخذ آخر انفاسه وهو يصرخ « ان الدنيا تخسر
 مثلاً عظيماً » هو خنجر معزوقه « أبافروديت » الذي أعتقه واعاد
 اليه حريته ولو ان ذلك كان بأمر منه

وكتابك الضخم الذي قرأته عليّ ألا يقول ذلك ؟

ترجمته يحيى سركس - دمشق

ويشك كتابك هذا الذي قرأته عليّ ، حرقه لروما ؛ ولكن
 تلك حقيقة لا ريب فيها فتفكيره المتواصل بإساءات

الحياة الادبية في حلب

بقلم الدكتور محمد مجي الراسمي

استاذ في تجهيز حلب

من قوة أو كما يقول خليل الهنداوي :

« كل شي . في الكون يتطور ، فلماذا لا نتطور ؟

كل شي . يؤثر ويتأثر

الا نحن لا نتقدم ولا نتأخر (والادوق لو قال بل نتأخر)

رأيت في الطبيعة الجدول الذي يكر

تلب الحياة على جاذبيه

يلا تصفق على شاطئيه

لانه يكر ولا يقف

لانه يتطور فلماذا لا نتطور ... »

وكل من تصبب لتيسار من التيارات بدلي السيك مجبجه وبراهينه .

من بين تلك التيارات ، تبار له مكانته في الوقت الحاضر وسيكون له في المستقبل على زعمي مكانة ممتازة هو التأليف بين القديم والحديث . واني اجراً على القول صراحة ان في طليعة السائرين في هذه المدرسة هو سامي الكيال في حلب رغم ما عرف عن هذا الادب بأنه لا يناصر الا الحديث . سيما وان عنوان مجلة « الحديث » تقوي هذا الظن . ولكن متبجته تبرز لنا شيئاً آخر فزى اثرأ من اثره الواحد يرجع عهده الى عام ١٩٣٩ اعوانه (سيف الدولة وعصر المحدثين) بكى فيه على المجد الضائع ، فانك لو درست هذا الاثر لحلت انك تقر لاتباع المدرسة القديمة لما اراق في هذه الرسالة من دموع من اجل الفردوس المحدثاني المقفود . اما الاثر الآخر فهو تعريب للكاتب التركي الشهير رفيق خالد ، قد انتج هذا العام عنوانه « المجنون » رواية تمثيلية موضوعها ما وقع من الاحداث في الامة التركية خلال عشرين سنة . فهنا نرى ادبنا يباري الكاتب التركي في رأيه ، ويحل للناقد ان هنا تناقضاً في الآراء . كيف نحن الى ذلك المجد الضائع ، ويرى فيه من سلامه القوة ما يرى ثم ينتقل فيشتغل بهذه الانقلابات الحديثة .

ليس من السهل الكلام عن أشخاض معاصرين تضمننا واياهم مدينة واحدة ، نكاد نراهم في كل اسبوع ، او في كل يوم ، بل نجتمع مع بعضهم في ساعات العمل صباح مساء ، فالصعوبة في انوفهم حقهم دون اطناب ولا تقتير . ومهما حاول الانسان ان يتجرد عن آرائه وميوله ، واهوائه وانجذباته ، فهو ليس بريئاً بما في طبيعة البشر من الكدورة . ويقول احد الحكماء : « استطيع ان ابر بوعدى على ان اكون صادقاً ولكن على ان لا اكون متجزياً فلا » لذلك فان عرضي للادباء المعاصرين لمدينة الشهباء . في هذا المقال انما هو محاولة لا ادري الى أي حد سأكون موفقاً .

ان مدينة الشهباء هي من المدن العجيبة في الشرق ، او هي تمثل الشرق الحاضر باجلى مظاهره . فيها القلعة التاريخية الحجازة التي نكاد تقم المدينة الى شطرين ، شطر قديم في زيه وعماراته واسواقه ومعابده وشطر يكاد يكون عصرياً في جميع مظاهر حياته . وقلما يعرف القسم الواحد من هذه المدينة عن القسم الآخر شيئاً . الا ان الشوارع الرئيسية العصرية يزدهم فيها الناس مساءً غادين راغبين او مضطرباً عظيماً من اوقاتهم في المساهي او الملاهي دون الاحتكاك بسكان الاحياء . وقل من ذهب من يسكن الاحياء الحديثة الى الاحياء القديمة للاشغال ضرورية . ورغم كل ما يدهشنا بهذه المدينة تعبر عن الشرق في اجلى مظاهره بل انها لتحتوي مدينتين متناقضتين في كل اوضاعها لا تتجمعا الا الجوار واللفة . فلا غرابة اذا رأينا في ادب هذه المدينة من التناقض شيئاً كثيراً . لان الادب ليس هو الا ابن البيئة التي نشأ فيها ، ولا يمكننا ان نفهمه جيداً دون فهم المكان الذي نشأ فيه . ولا اغالي اذا قلت انه رغمنا عن وجود هؤلاء الادباء . في بقعة واحدة لم تجمعهم الا رقعة مقالتي

فيها تيار يدعو الى القديم ويتصعب له ، وتيار رائده الحديث ولا يعترف للقديم بحق الوجود ، بل يدعو الى التطور بكل ما اوتي

وقد نال هذا الكتاب استحساناً من الادباء المصريين اذ وجدوا فيه موضوعاً تقوِّج به الحياة العقلية العربية من افكار بسطة بنهج قويم واسلوب أخاذ .

بصور لنا المدرسة النزاعة الى التطور خليل الهنداوي ، وهو وعمر يحيى الذي سيأتي الكلام عنه وان لم يكنوا حليين في الاصل ولكن اعتادت هذه المدينة ان لا تفرق بين غريب وقريب طالما انتمى الى القومية الكبرى او آمن بالانسانية العظمى . وقد سبق وذكرنا الهنداوي بدعوته الى التطور ، وهو كاتب موهوب قرأت بامعان من آثاره المنشورة صفحة من حياة باريس ، تيقنت فيها انه لو اتبع هذا الاديب ان يدرس في الغرب لانتابا يدهش . وهو يقدر الآثار الشعرية اليونانية ، ويود لو ان العرب في نهضتهم الاولى تدوروا ما كان عند اليونان من فن . وهو يعتقد ان هذا العمل كان خيراً لهم من ترجمة الفلسفة نفسها وقد طلب من الكتاب ان يعالجوا هذه القضية فلم يجبه على طلبه غير محمود البلبايني في مقال له في «الادب» - عدد ايار من هذه السنة عنوانه : العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني . وقد سبق لي ذكر شي . عن ذلك في الحديث (عدد ١ من هذه السنة ص ١٢) . ويشير ادبنا الهنداوي بين آونة واخرى قطعاً تشبيلية على غرار القطع اليونانية القديمة . وهو مجيب بتبشيره وسائر به الى حد بعيد .

توفي الدكتور شكيب الجابري بروايته التي ألها «نهم» في وصف حياة الغرب لانه عاش فيها عن كتب . ولكنه عاد في روايته الثانية «قدر يلهو» بالحنين الى الشرق وهو في ارض الغرب فصور لنا صفات خاصاً من الشباب الذين ذهبوا الى اوربا فعاشوا بها رداً طويلاً واكتسبوا منها ولكنهم اضاعوا كبراً من شريقتهم فاصبحوا مذهبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وقد اطلق على هذا النموذج اسم «طريد المدينين» : «لا المظاهر الغربية ترضيني الرضا كله فتفتنح لها نفسي ، ولا مظاهر قومي تفر عيني فاجد فيها هناً ! طريد المدينين ، وغريب البسدين . اردت ان اسد نقص مدينة موروثة ، بزاي مدينة مكتسبة ، فاذا انا اضيع المدينين ، واضيع بين ذلك نفسي وبهجة العيش في عيني» . ولقد قالت عنه مجلة المتكلم منذ اصدر الرواية الاولى انه يبشر نبيلة قصصي في الشرق العربي . وكان العالم العربي متشوقاً لما سيقدمه له من آثار ادبية رائعة ، فاذا هو سامت ، ولا يعلم احد هل هذا السكوت لانه نحا ناحية اخرى ام لانه سيعد لنا في هذا السكوت اثراً قوياً . اما سبب تبوته هذه المكانة الادبية في هذه السرعة لان جذره

واذا قال الحكم التزيه : «ناقل الكفر ليس بكافر» نجيب فنقول اذا لم تجد تلك الاحداث في نفسه ميلاً لما اختارها ترجمته فكيف يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين ؟ الامر اسهل مما نظن . وقد عبر هو عن ذلك في دراسته القيمة حياة السهروردي (نشرت في الادب في الجزء الاحادي عشر من السنة الاولى) التي قال في مطلعها (الى الذين لا يتورعون ان يحكموا على كل مؤمن بالكفر ، وكل مفكر بالاحاد اهدي هذه الصفحات » . فيكتب لنا عن شخصية بارزة استهواه فيها عدم الاهتمام للمظاهر العرضية ، بقدر اهتمامها بما هي مشغولة به من جواهر الامور وحقائقها العليا . ويصير لنا الكيالي عن نفسه احسن تعبير في نقده الجري . لكتاب حسين هيكل عن حياة ابى بكر الصديق (مجلة الحديث عدد ٣٥ ص ١٣٥) «ما الذي وجه الدكتور من دراسات في الافاق القريبة ، الى دراسات في الافاق الاسلامية : من جان جاك روسو وبيروني واناؤل فرانس وشكسبير ، الى محمد والي بكر وعمر ؟ لقد كان الدكتور هيكل بطلاً من أبطال التجديد ، يعيش في ضمير العصر ويعالج مشاكل الحياة بتزعة الحميد الثائر ، ما به قد رجع الى الماضي يقف عليه ادبه وذكاؤه ووعيه . فلا زلت (يا هيكل) نصير الفكرة الحرة ، سواء كتبت عن القديم او عن الحاضر » . وفي زعمى ان هذه الروحانية ، هي روحية الكيالي بعينها . وهذه هي علة تجواله في العالم القديم منتقياً عن آثار السلف ، وعلة دعوته الى التجديد . فلو لم تجد طريقة هيكل من نفسه ميلاً لما اقراها واذاب شوقاً اليها . فهو كما يقول عن هيكل (يبحث عن الفكرة الحرة من حيث هي) سواء كانت في طيات التاريخ القديم المنسي ، او في عصر التجدد الوثاب الى التقدم ، كما زى ذلك في كتابه سيف الدولة ، وفي مقاله عن السهروردي ، وفي روايته المترجمة (الحنون) او في (شهر في اوربا) او في الكتاب الذي نشره حديثاً في مصر عن «الفكر العربي» . وقد تناول في هذا الكتاب الاخير ادق ناحية في تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في تدوين الحضارة . وليس الفكر العربي هو موضوع بحثه في هذا الكتاب بل تناول فيه عدة مباحث مختلفة ، كمعالجة آراء ابن خلدون في العرب والثقافة القديمة وطرق بعثها بالانحطاط الحضار وموقف الشباب من النزعات الجديدة التي تطرقت اليها اثناء بحثي عن المثل الأعلى في الحضارة العربية الذي يستلزم في كتاب قريباً . وجميع مباحثه ترمي الى هدف واحد ألا وهو تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في الماضي وما يجب ان يعاودوا ليمثلوا هذا الدور اليوم .

عميق في العلوم الطبيعية ومن كان كذلك فسهل عليه الابداع في
الادب والفلسفة .

ومن الادباء المشهورين الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي
العربي في دمشق وضاح كتاب اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء
الذي جمع فيه من اخبار هذه المدينة التي الكثير . ولكن تزعته
تزعاً علمية اكثر منها ادبية . وقد نشر عدة رسائل من مخطوطات
قديمة دقيقاً لغوياً ، منها مصطلح الحديث لابن الصلاح الذي ذكره
اسد رستم في كتابه مصطلح التاريخ (بيروت ١٩٣٩ ص ١٠٦) .
ويتأثر خير الدين الاسدي في انجاسه القوية عن اشتقاق بعض
كلمات مثل (ليس) ، (حب) ، (الانف) ، (الدماء) وما
شاكلها . وهو يقارن بين اللغات السامية مستعيناً بنتائج المستشرقين
الغربيين . اما آثاره الادبية فلا اعرف له غير ترجمة رجعة الى العلا
لاديب ارمني غير معروف في الشرق العربي .

ان كان للادب هذه المكانة الممتازة في مدينة سيف الدولة ،
فإن للشعر فيها قدحاً معلى ، ويثل الشعر فيها العبران ، عمر ابوريشة
وعمر يحيى . فالاول نزاع الى تجسيد البطولة في اطوارها المختلفة وقد
اظهر قابلية تشبيلية في رواية ذي قار وفي الرواية التي استعمل فيها
ديوانه .

اما الميزة التي يمتاز بها ابو ريشة ويكاد لا يوازيه فيها شاعر
عصري ، هي تجسيد البطولة ، وانك اتري هذا التجسيد ، حتى في
وصف الطبيعة وفي ابراز لواعج النفس . فإن وصف لك الالم
والعذاب والحب والغرام ، او الفن والجمال ، فلا يدعك تستسلم
استسلام من لا يملك حولاً ولا قوة ، بل في وسط تلك الزواجع
والاعاصير ، يدعك ترفع رأسك شامخاً الى السماء . ومن الغريب ان
الصعرا تستهويه ، فيجيد وصفها مع انه لم يقطع مغاورتها :

« اوقني الركب يا رمال البعيد
انه قاه في مداك البعيد
عصفت في جنوحهم ريمك الهو
جاء والشمس هربت في الحدود
والهبابا من الموادج ينظر
ن الى الانق نقرة القنود
ليس يصرن منك غير حصاب
في حصاب مبعثرات الحدود
غابت الشمس بالرمال وهذا
ركب في قبضة العباء الشديد »

واذا اردت ان تعرف ماذا يقصد هذا الشاعر الموهوب فاضع
صوته الحي وهو يثل لك بحجرة نادرة ، وعرة عربية قل مثيلها ،
ماذا يخلج في اعماق نفسه . عند ذلك يضرع في قلبك نار الحماس
ويملك شعله متقدة ، فتدرك بذلك مراميه ، وماذا يقصد من هذا
البعث القومي الحر :

يغلب على شعر عمر يحيى تزعاً الحزن العميق . ولم اهتمد رغم
دراستي لديوانه البراعم الى منبع هذا الحزن . ولقد حللته الشاعر
العبري احمد الصافي النجبي بقوله : « ولعل السبب في توقف عمر
يحيى ووصوله الى الطريق الامثل في الشعر يرجع الى حظه الوافر
من التفتت بالادب العربي القديم . فوق ما يمتاز به من الهيكل
الشعري الذي بنته الطبيعة في جسمه النحيل الحساس والشاعرية
القطرية التي حبت بها رياض العاصي وجداوله ومناظره الخلابة ،
ونواعيره الناعمة بألحانها الشجية واناثها الخالدة » . وهو سواء وصف
لك الشاعر ، ام قلعة حماة ، ام العاصي ، ام الأسبي ، ام ذكرى
الاستقلال ، ام احلام الماضي ، ام غيرها ، فكلمها ذات مسحة شجية
وصكلمها بكاء . وندب ، يقتطع لها الاكباد :

« ان عيل صبرك يا فؤاد فانت مرتكب الجناية
نبني هنا العيش والد هه القلوم له رمايه »

حتى لا ينسى ما به من تشاؤم في نظره في الطبيعة :

« في في الطبيعة نظرة
نظر الغريب الى الوطن
فيها الجمال بديسه
فيها الطلاقة والسن
تروي الليل مذهب
اشتبه آلام المسكن »

ويظهر ذلك جلياً من (بوادر الصبوة) :

« يا رب هل من عروفي
لم نسن بعد بكها
والنفس احسن عليها
من ان يود شفاها
ما ذقت الا اساهها
ما كنت في في حياة
اصانع القلب جهدي
ولا تكف اذاها
سكبت ماء شباي
على مراب رؤاها »

ولا ابالغ اذا قلت بأنني لم اطالع على قصائد من قصائده ،
سواء نشرت في ديوانه ، او في بعض الصحف ، او القاها بنفسه
ولم يكن فيها حزيناً باكياً .

اما القاذو فهو ايضاً يمتاز رغم هدوئه وصوته الضعيف . نعم
انه لا يستغفر الحساس ، ولكنه يوقظ الحزن العميق بنبرات الخافتة
وهو والحالة هذه يمكننا ان نسميه ، شاعر الحزن الذي تقدر فيه
في هذه المدينة ولا ينافسه فيه احد لذلك جاءت قصائده ،
صادقة في الندب ، قد بكى فيها واستبكى . اما الذي استقره
منه ، أني لم اجد في شعره شيئاً عن حلب ، تلك المدينة التي مكث
بها طويلاً ولا يزال مقيماً فيها والتي برت به وفتح له ادبها قلوبهم
بل عدوه واحداً منهم ، فهو رغمًا عن كل ذلك يبد نفسه غريباً .
فلقد قال في تأبين الشيخ امين الكيلاني (الجامعة الاسلامية عدد
١١١ ، ١٢٠ من هذه السنة عدد خاص ص ٣٦) :

عودة

... وكان أن عادني حبيب
مجنح الهف بالأماني
يذر في هسه شروقاً
نساء أحودة روحاً
قد عاد ، فالقبيلة استفاقت
وتفرش المرتضى وروداً
هناك : « لا تأمل انتهاء »

يمرود بالصنع . عن ذنوبي
صكوعد المرتضى القريب
فيهبأ الكون بالغروب
دغدغة الوصل للحبيب
تبرعم الحب في القلوب
فيغترق الجو بالطوب
يوشوش الصبح للغيث

يوسف الخال



يا غريباً ابقي اخاه غريباً يعلم الله مدى الآفة
وفي هذه المدينة ادباء اخر امثال شارل محرمين يوردي حلقه
ابناء ابي قوس وغيرهم ، وقد قرأت لهم او سمعتهم يتحدثون بعض
قطع ادبية لا تكفي في تكوين رأي في حقهم
وبعد سامي الدهان اثرأ قياً عن ابي فراس الحمداني نتج فيه
طريقة المستشرقين الغربيين سنقول فيه كما تنهت عند انجاز العمل .
وقد اظهر الشيخ طاهر التماسن (عضو المجمع العلمي العربي)
قابلية ادبية فائقة على المنهج القديم تجلت لي في خطابات القاها في
دار الاراقم .

« اهوى المعاني عن ثياب اللفظ تظهر ثانيه

اهوى الالباب بلا قشور للناظر باده »

هكذا أمل ان أكون امطت اللثام عن ادب هذه المدينة ،
ويثبت تياراته المختلفة ، وحيداً لو ان كل مدينة من مدن الشرق
العربي اخذت على عاتقها كشف الحجاب عن ادبائها . عند ذلك
نطمع بأخذ صورة قريبة من الواقع لادبنا المعاصر .

وقبل ان نتم المقال ينبغي ان لا نجحف حقوق بعض براعم
تفتتت في عالم الادب من جديد مهما كان نتاجها ضئيلاً . ومن هذه
البراعم تلميذ فتى ما زال على مقاعد الدرس يدعى علي الزبيق ، اقر
بقابليته الشعرية ، شاعر العراق الفذ معروف الرصافي الذي قال لعلي
كتاب ارسله له :

« سرتي بحكم لسلادب واقبالكم عليه واستعداكم له ،
وقرأت ما في الكتاب من شعرك الذي لم يزل مثلكم في ريسان

محمد عبيد الرباشمي — جلب

الشاعر كما فهمه الجاهلي

فلم بربيع عزماء

واذن فحين نلاحظها مرة ثانية ، جمعاً بين الشعر والشيطان . وكما دلت هاتان الآيتان على علاقة ، قوية وبعيدة ، بين الشياطين والشعراء . فان ثمة آيات تجمع بين الشعر وبين الجن «وقالوا أننا لتأركو ألفتنا لشاعر مجنون» والمجنون من به جنة . وفي آية أخرى : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء هو بل شاعر» . وإذا سرنا على هذا النمط في استقصاء مادة شعر في القرآن الكريم لانتبهنا الى ملاحظة هذه العلاقة الواضحة ، والدائمة ، بين الشاعر والشياطين مرة ، وبينه وبين الجن مرة ثانية ، وبينه وبين الاحلام مرة ثالثة ، فهل كانت هذه العلاقات صدفة ام كانت مقصودة ؟

ومن الغريب ايضاً ، ان تحذف كلمة « شاعر » احياناً فيوضع مكانها «معو مجنون» او «ساحر» او «مسحور» . . . وكلها تقني . عن صلة بين الشاعر وبين تلك العوالم الخفية ، وان الجاهليين عندما وجهوا الى الرسول صفة الشاعرة واتهموه بها ، لم يكونوا يطلقونها على انها تعني نظم الابيات الموزونة ، بل على انها تعني : ان هذا الذي يقول ، ليس من عنده ، وانما هو صادر من عالم آخر خفي ، وانما هو مأمن عليه من قبل قوم آخرين .

ويؤيد ذلك ما تجداهم به القرآن الكريم عندما قال : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا ببثل هذا القرآن لا يأتون بشئ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» . «ما دخل الجن الجن في هذه المناقشة وما شأنهم بوضع التحدي ؟ الجواب على ذلك سهل يسير ، عندما نعلم انهم اتهموه بالشاعرية ، والشاعرية التي يفهمونها ، لا التي نفهمها نحن ، فهم يرمونه بذلك الاتصال بين العالمين ، ثم امداد العالم الآخر للشاعر فكان القرآن يتحداهم بان يتصلوا هم بذلك العالم الخفي ، ما داموا يدعون ان الجن تساعده كما تساعد الشعراء . وكأني بالرسول الكريم في قوله لسان : اللهم اسدء بروح القدس » يريد ان يوافق جمهور الناس في اعتقادهم بان الشاعر يستمد

وهل يفهم الجاهلي معنى الشاعر غير المعنى الذي يفهمه الاسلامي او الاموي او العباسي ؟ لا بد لنا ، لنجيب على هذا السؤال ، من ان نعرض الى مادة «شعر» ونرافق تطورها اللغوي ، الذي يظهر تدرجه من تتبع الاستعمالات المختلفة لهذه الكلمة واشتقاقاتها في العصور المتفاوتة . فاذا رجعنا الى القرآن الكريم نفسه نبحث فيه عن استعمالات مادة شعر ، وجدنا هذه الآيات في سورة الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ومن الطبيعي ، لشعر بلجو الذي قيلت فيه هذه الآيات ، ان نعود قليلاً الى الآيات السابقة : هل انبشكم على من تتزل الشياطين تتزل على كل أفك أنتم » .

لن نحاول تفسير الآيات ، ولن نحاول عرض الآراء المختلفة التي أتيت حولها ، ولكننا سندون ملاحظة تبدو بارزة ظاهرة لأول وهلة ، هي ان هذه الآيات قرئت الحديث عن الشعر ، بالحديث عن الشياطين .

وفي سورة يس « وما علنناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين » وقد رأى المفسرون ان معنى الشعر هنا ، هو الابيات المنظومة والقصائد الموزونة ، واذا كان هذا صحيحاً ، فيجب ان يكون القرآن غير هذه القصائد ، واذن فهو نثر ، او هو قرآن ، كما ذكر في هذه الآية .

وتكلم الناس اكثر من مرة عن اسلوب القرآن : انثر هو أم شعر ؟ أم هو شئ . بينهما ؟ ولكنهم مسا داموا يفهمون من الشعر هنا ، أنه القصائد المنظومة فلن يصلوا الى نتيجة حاسمة .

لنعد ، كما عدنا في الآية السابقة الى الآيات التي تقدمت هذه الآية ، فسقراً « ألم أهد اليكم يا بني آدم الاتبعوا الشيطان انه لكم عدو مبين » ثم يليها بعض الآيات المعترضة ، حتى نحجي آية « وما علنناه الشعر » .

اقواله من قوة خفية تلهبه . غير انه رفع هذه القوة الخفية من عالم وضع ، الذي هو عالم الشياطين والجن ، الى عالم رفيع هو عالم الملائكة .

وهذه القوة الخفية التي تجري على لسان الشاعر انواعاً من الكلام ، هي التي تسمى اليوم بالالهام او الوحي او البقرة ، ولعله من الغريب ان تكون كلمة بقرية نسبة الى بقر ، وبقر ، كما جاء في لسان العرب موضع بالادية كثير الجن .

كل هذه النصوص القرآنية تنتهي بنا الى ان الشاعر ، كما فهمه الجاهلي هو المؤيد من قوة خفية توحى اليه ، وانه من اجل ذلك كان صادقاً فيما يقول ، عالماً بما يتبنا ، واذا عرفنا ذلك سهل علينا فهم العقيدة الجاهلية وموقفها من الشاعر ، على وجه صحيح وادركنا لماذا تخاف القبيلة الجاهلية وترتعد من بيت شعر تهجى به فيلزمها العار ايضاً ذهبت ، ولماذا تقتخر القبيلة الاخرى وترتفع مغالبتها من بيت آخر تملح به . ثم نستطيع ان ندرك منشأ ذلك التأثير العميق البعيد ، والسلطة الخارقة القوية ، التي يوصف بها الشاعر ، فيمدح قبيلة في المعركة ويشرها بالنصر ، وما اسرع ما تنصهر على اعتنائها ويهجو الاخرى وما اسرع ما تبرز وتضعف معنوياتها .

ولا معنى بعد ذلك ، نقول من يقول : ان العرب احبة الشعر وان الشعر عندهم سليقة وطبع ، وانهم كلهم شعراء . لانه لو صح انهم كذلك ، فليس من المعقول ان يملك الشاعر تلك المكانة الرفيعة التي نسمع عنها بأنه سيد القبيصة او لسانها ، وليس من المعقول ان تبني القبائل بعضها بعضاً بفرس تاتج او شاعر يتبغ . فهذه المكانة الرفيعة السامية لم يملكها الشاعر الا من ندرة الشعراء وقتهم . ولا ينكر ان العرب كانوا يعتقدون ان الشعر سليقة وطبع ، ولكن ما معنى ذلك ؟ معناه انه ليس من عمل الانسان واكتسابه . بل هو من قبل قوة اخرى يغطر عليها فهو وهجة من المواهب .

واغلب الظن ان «شعر» في معجم الجاهلية كان معناها «علم الغيب» وبرز هذا العلم في قالب من القول . وليس من الضروري ان يكون هذا القول قصائد منظومة ، بل قد يكون مجموعة من الحكم ، اذ ليس الفارق بين الشعر وغير الشعر الوزن والقافية ، وانما الفارق بينها هو صدوره من عالم خفي او عدم صدوره عنه ، معاً كان هذا العالم الخفي على شرط ان تحيط به هذه الحالة السحرية الخفية او ذلك الاطار الديني الغيبي .

ثم تطور هذا المعنى قبيل الاسلام ، او في القرن السادس الميلادي ولسنا نستطيع ان نحدد خطأ واضحاً لهذا الانتقال او التطور ، وانما نعرف ان هذه الكلمة بعد ان كانت تعني علم التيب واظهار هذا العلم في قالب قول ، أصبحت تعني «العلم» فقط من ناحية ، وذلك القالب القول من ناحية اخرى .

ولا تزال النصوص تدل على ان شعر تعني علم ، وهذه النصوص كثيرة شائعة في القرآن والشعر : من حيث لا تشعرون ، ولا يشعرون آيات يبعثون ، ليت شعري . الخ . ولا تزال المعاجم تثبت هذا المعنى في تفسير «شعر» .

ولعل الاشتقاق اللغوي لكلمات اخرى قريبة من الشعر يقوي ما نذهب اليه ويسنده ، فلفظ «شعوى» يدل على نخم كانت خزاعة تعبده ، وكان موضوعاً لكهانة بعض الكهان . وكأما أنشد التي تعاضد «للشعر» ما هي الا العلاقة بين العبد وربّه ، فتقول ناشدك الله وأنشدك الله . والصلة في كلتا المادتين واضحة القوة ، مع الناحية الدينية .

ومن ناحية اخرى ، لا تعرف العربية شعر بمعنى قال شعراً .

احاطت بالشعر ، كما قلت ، هالة من الغموض والخفاء والاهام والشعر ، ولعل ما يزيد هذا ان القرآن استعمل كلمة «مين» في وصف القرآن بالبيان في اكثر من موضع فقال «وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين» . ولعل وضع العرب لفظ «البيان» التي دلت على نوع من الكلام ، والتي تدل على الظهور والوضوح ، هو وضع مقابل لفظ «الشعر» الذي يحيطه الغموض ، والذي ينبع من عالم خفي مبهم .

بل أسير الى ابعد من ذلك ، فأزعم ان حديث الرسول (ص) ان من البيان لسحراً وان من الشعر حكمة « قد وضعت فيه لفظة البيان مقابلة لفظه «الشعر» ثم وضعت لفظة «السحر» مقابلة لكلمة «الحكمة» . فكأنه قال : قد يكون من البيان سحر ، وقد يكون من الشعر حكمة ، مع ان الامر على العكس لان السحر من اختصاص الشعر والحكمة من اختصاص البيان .

ومن اجل هذا المعنى الذي حمله الشاعر ، دار في كتب الادب والتاريخ كلام طويل حول صدق الشعراء او كذبهم ، فلو كان الشاعر هو الذي ينظم الكلام في وزن معين وحسب فليس من الضروري ان نحوم حوله تلك التهمة حيناً فيقال له : كاذب ا و

يوصف بجدح فيقال له : صادق ، وقد قال طرفة :

وإن احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته : صدقا
جا . في القرآن الكريم : وانهم - اي الشعراء - يقولون ما
لا يفعلون . وقالوا عن المهمل : انه احد الكذبة . وقال عمر
بن الخطاب عن شعر العرب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم اصح
منه . وبدهي ان لا يكون هذا العلم الصحيح بيتاً من الشعر
يهتز له ، ويضطرب منه وكفى .

* * *

بعد هذا الطواف السريع ، من اشتاق لغوي ، الى استنتاج
من آي القرآن ، الى حديث نبوي ، وبعد هذه النتيجة التي وصلنا
اليها في فهم معنى الشاعر الجاهلي : هل نستطيع ان نستدل على
هذه النتيجة من تاريخ الجاهليين :

يتخلل التاريخ الجاهلي كثير من الروايات والاساطير التي
تدور حول الشعراء ، وهذه في موضوعنا خير من الاعتدال على الشعر
نفسه . ذلك لان هذه الاساطير ، سواء وقعت حقاً في الجاهلية
او حيكت بعد ذلك في الاسلام ، فان ذلك يدل ، وفي الحالين ،
على هذا المعنى الذي يتصف به الشاعر ، وبصور نظر الجاهليين ،
او من بعدهم الى الشاعر .

وعلى كل حال نستطيع ان نطلق على ابن الشعراء الذين
يسمون بالمجتنئين والذين كانوا يتصفون بهذه الصفة الدينية ، شعراء
ينطبق عليهم هذا الوصف الذي وصلنا اليه فعمد كما يبدو لعامة
الجاهليين ، طبقة ارتقى منهم يعفون الغيب ، ويتكلمون عن المستقبل
ويتصفون على كل حال بالصفة الدينية .

وتمت فريق آخر من الشعراء الذين رددت الروايات اكثر من
مرة انهم كانوا يتصاون بالشياطين ، وانه كان لكل واحد منهم
شيطان . وقد استطاعت هذه الروايات ان تسمي ابناء بعض هؤلاء
الشياطين .

ففي جهرة اشعار العرب ان صاحب عبيد بن الابرص - او
من يوحي اليه الشعر من الجن - يسمى هيداً ، وهو الذي لقن عبيد
بن الابرص قصيدة :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل سلمى ولم يلم يهيد
وزوى صاحب الجمهرة ايضاً ان اللاشي شيطاناً اسمه مسحل
وان لأمري القيس شيطاناً آخر لافظ اسمه للناظبة صاحباً اسمه
هاذر

هذان الفريقان ، الاول بزوجه السامي واتصافه بهذا الجو
الديني الرهيب . والآخر باتصالاته مع الشياطين . يؤيدنا ما
ذهبتا اليه كل التأييد .

ثم هناك طائفة اخرى من الشعراء ، ذكر لنا عنها ألوان من
الاحلام والروى ، فما قيل ان زهيراً نام ذات ليلة ، فأنه آت ثم رأى
حبالاً قد نزل من السماء ، وتعلق به من تعلق من الناس ١٠٠ الخ .
وليس المهم تلك الاسطورة ، وانما بعيننا محاولة زهير بعد ذلك
تفسيرها ، فيقول لابنائه : ان شخصاً سيحيي ، فاداً ما خرج
فتعلقوا به واتبعوه

ومن الطرفين ان زهيراً لم يخطي . في تفسير رؤياه ، كما لم
يخطي . غيره من الشعراء . في تفسير احلامهم كما اننا لا نجد امثال
هذه الروايات منسوبة لغير الشعراء .

وليس زهير وحده في ذلك ، بل ها هو الاشع ، الذي لم يزل
شاعراً ، والذي لم يقل شعراً بعد . وهو لا يدري ماذا يفعل ، فقد
هجم بعض الشعراء . ولا يستطيع له جواباً ولا رداً ، فينام ، واذ
وصلت في الرواية الى انه نام ، فاعلم ان النوم مقدمة لحسي . ذلك
الذي وجاء آت فألقى فيه كسبة من شعر ، فقام ، وهو
شاعر ، وهذا ذلك الرجل .

واذا كان هذا هو بد . قول الشعر عند الاشع فان ليبدأ بدأ
قول الشعر شي . مثل هذا ، فقد كان ليبدأ صيداً يرعى إبل قومه
ووقع نفور بين النعمان وبين قبيلته ، كان سببه الربيع بن زياد
واضطربت قبيلته لهذا الامر ، فليس عندهم شاعر يدافع عنهم ،
وعرف ليبدأ بالامر فقال لهم : هل تقدرون ان تجميعوا بيني وبينه
(اي وبين النعمان) فازجره عنكم بقول يحبس مؤلماً لا يلتفت اليه
النعمان بعد ذلك ايبدأ . قالوا : وهل من ذلك شي . قال : نعم .
قالوا : فأتا ببلوك يشتم هذه القبلة ، وكان امامهم بقلة دقيقة يابسة
فهبها وقال : هذه التربة التي لا تذكي ناراً ، ولا توهل داراً ، ولا
تسر جارا ، عودها ضليل ، وفروعها كليل ، وخيرها قليل . الخ
(ولناظر ان هيداً لم يكن كلاماً منظوماً) . فلما انتهى قالوا :
نصبح وزى فيك رأينا ، وقال لهم واحد منهم :

انظروا الى غلامكم هذا ، يعني ليبدأ ، فان رأيتوه نائماً
فليس من امره شي . انما هو يتكلم بانجا . على لسانه ، وان رأيتوه
ساهراً فهو صاحبه ، فرمقه فوجدوه ، وقد ركب رحلاً ، وهو
يكدم وسطه حتى اصبح ، فقالوا : انت صاحبه . وكان ، طبعاً ،

سبب انتصار قومه على أعدائهم .

وإذا كان اعتقاد الجاهليين أن هذا العمل الذي قام به لبيد ، هو عمل خاص ، يثلب فيه الشعر ، فإن كل ما يصدر عن الشاعر كان عن هذه الطريق . فإذا ما قال زهير كلاماً في إيقاف الحرب المستعرة ، وبين أضرارها ، فذلك لأنه ينطلق عن مصدر صادق وإذا تنبأ بنتائج وخيمة فلا شك أنه يتكلم عن صدق ودوية . ولكن ما باله يقول :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم .

أما أنا ، فإني أرى في هذا البيت ، إذا صح أنه جاهلي ، وإن قائله هو زهير ، أنه يوجهه إلى هؤلاء الناس الذين لا يزالون يعتقدون بعلم الشاعر ، وتنبئه عن الحوادث المستقبلية فإن دل البيت على أنه كان عاقلاً ، وإن نفى عنه تلك الصفة فهو يدل كذلك على أن ثمة فريقاً يعتمد في الشاعر هذا الرأي ، والا فليس من الضروري أن يثبت هذا الأمر التافه الذي يعرفه كل الناس .

وهذا الاعتقاد الساذج الذي رافق عقيدة الجاهليين هو الذي دعا المخلق أن يبيع ما عنده ليقدمه إلى الإغشى ، يقول في بنائه الثاني اللاتي « شريدهن قليلة » شيئاً يساعدهم على الزواج ، وقد فات أو أن زواجهن . وما كان من الإغشى إلا أن قال آياتاً ثلاثة في سوق عكاظ ، وما قام المخلق من مقصده في عكاظ ، وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها .

ولكن قد يقال بأن زهيراً عرف بأنه حكيم صادق في حياته اليومية العادية ، وقد يقال عن الإغشى أنه اتصل بالعباديين نصارى الحيرة ، وأنه كان يأتهم ويشترى منهم الجمر فلقنوه ما لقنوه ، فإذا كان هؤلاء كذلك ، فإذا زى في غيرهم ؟ وماذا ستصادف عند المتأمل الذي لم يكن يوماً متديناً ، وعند طرفة الشاعر الساذج المتشرد ؟ ...

أما المتأمل ، فقد روي عنه أنه تنبأ أكثر من مرة ، فقد قال مرة لطرفة : أخرج لسانك ، فأخرجه فقال : ويل لهذا من هذا . وتأتي الرواية إلا أن تم فصلاً كاملة ، ويأتي القدر إلا أن يموت طرفة ، وأن يموت من وراء لسانه وبسببه .

وكذلك تعرف عن طرفة أنه اشاع إبله مرة ، فقال له أخوه معبد : بل لا تستريح في إبلك ، ترى أنها إن أخذت تردّها بشعرك

هذا ، قال : فإني لا أخرج فيها أبداً حتى تعلم أن شعري سيردها إن أخذت . فتركها وأخذت . وتأتي الأيام إلا أن يقول طرفة معلقته المشهورة ، وإن يردّها بتلك الأموال التي نالها من ممدوحيه . وعلى هذا النحو إذا استعصينا أحوال الشعراء الجاهليين ، فإننا نعرّ على امثلة وشواهد لا تحصى ، وكلها تؤيد مكانة الشاعر الرفيعة في قومه ، من وراء هذه القوة الذي تدفعه إلى قول الشعر دفعاً ، فإذا هو قول صائب صادق .

وجاء الإسلام فانهت قريش محمداً (ص) بالشاعرية وزعت أن القرآن شعر . ولكن أين مظاهر الشعارية فيه و أين القرآن من شعر العرب ؟ فالقرآن ليس موزوناً وزن الشعر ، ولا مقفى كقوافيه ، ونحن نعلم أن العرب هم نقاد الشعر وهم أعرف الناس بأدبهم ، فكيف ذلك !

يبدينا إلى فهم هذا الموقف ، ما يفهمه العرب الجاهليون من معنى « الشعر » فليس هو الكلام الموزون المقفى ، وإنما هو قبل كل شيء الكلام الذي عليه تلك العوالم الخفية ، ويؤوى عن حسان بن ثابت شاعر الرسول أنه قال عندما سمع من ولده عبد الرحمن جملة غريبة حكيمية : « قال ابني الشعر ورب الكعبة » .

ولست أدري كيف عاش هذا المعنى بعد الإسلام ، ومتى تطور تطوراً الذي يفهمه اليوم . ولكن بما لا شك فيه أن ذلك الاعتقاد الساذج البسيط الذي اعتقده عرب الجاهلية ، قد أخذ في الارتقاء والتضح بعض الشيء ، فأصبحوا في بدء الإسلام يعللون هذا الاعتقاد ، فقد روى « الأغاني » عن أشرف المدينة أنهم قالوا عندما جاءهم الحطيئة : قدم علينا هذا الرجل ، وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق . أنهم لا يزالون يعتقدون بصدق الشاعر وبقدرة على ما لا يفعل الرجل العادي ، ولكن صدقه لا يعتمد على عوالم خفية ، كما اعتمد في الجاهلية وإنما على قدرة في نفس الشاعر ، فيسكنه إن يظن ويتخیل حتى يصير الأمر حقيقة واقعة .

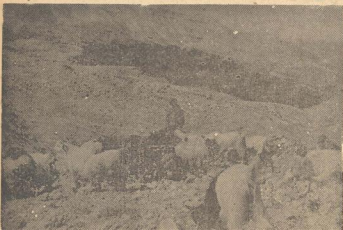
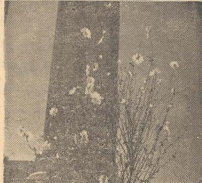
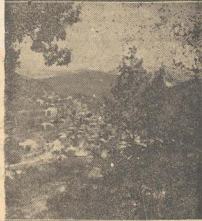
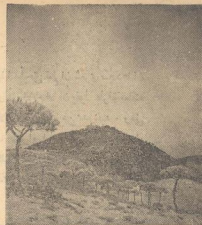
ومن ثم أخذ هذا المعنى بالاختنا . والتضال حتى حذفت صفة العلم والمعرفة عن الشاعر وأبعدت عنه .

فعلی ضوء هذا الفهم للشاعر الجاهلي نستطيع أن ندرس الأدب الجاهلي دراسة مجدية ، وأن ننتمي في تفسير بعض الظواهر من تاريخ الجاهليين وعليتهم إلى آراء جديدة طريفة .

بريج عثمان

لبنان في الصيف

- ضيوف من مصر ، ضيوف من العراق ، وضيوف من فلسطين .
القادمون جميعهم مصطافون ، والمضيف هو لبنان ، موطن الصحة والعافية والهناء .
والسكون وفي الصحة والهناء . والسكون خير امان في الرزق والثروة والحياة
- لا ادري أنت من عشاق الشلالات والجداول والانهار ام انت من محبي الينابيع والبحار او من رواد الجبال والغابات والوديان او السهول والحقول والجنان .
فاذا كنت من المولعين بهذا النوع من الجبل والسحر الخلال فانت لا يسعدك الحظ
بنيها جملة الا في لبنان وما الرونق وما الجبال في لبنان الا مشهد من جنات الخلود
- السماء رقت وراقت ولم يشب صفاءها غيم ولا اعصار ، ولا ارض بساط اخضر نضر
تحلته مزارع الكروم تجلجل مدارج الجبل وجوانب السهل والعنايق المتدلية من الدوالي
كصاييح الكهرياء او عقود المرجان تعري العين وتدفع اليد الى المدد . . .
وامامك على صرعى النظر القرى الحارة الصغيرة مختبئة بين الجبال تحاكي قطعان الغنم
جائعة على سفوح الرى وترى اهلها الوادعين يتقاسمون بينهم الدعة والسكون راضين
بهمهم الهني . يفتشون صدر النهار متكسرين في الحقول ثم يعودون في المساء الى بيوتهم
ويتجاذبون اطراف الحديث اللطيف مديفين عن قلبك ما علق به من الموموم والآلام
- السماء زرقاء ، والشمس مشرقة ، والجو رائق
والطير يغرد شتى الالحان ويتراقص على الاغصان كالنشوان بسا تحته من صفحات
الجبل والفراشات هائمة بين انواع النبات كأن كل فراشة زهرة طائفة او قبرة بين الازاهير
حائرة . والناس في كل مكان ينشقون الهواء النقي وشباب القرية يوزعون الوداد
ويشاركون الطير على الابلح فرحاً ومرحاً فتنبلى اذنك يا غافي المنى تردد صداها الوديان



لبنان في الصيف

بأطيب الانتقام واعذب الاكلان

اما اللغة فلهذا الضاد تجمع القواد بالقواد ، وتربط البلاد بالبلاد ، وتصل الاجداد بالاحفاد

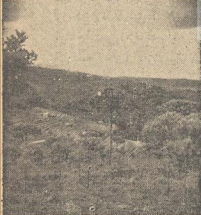
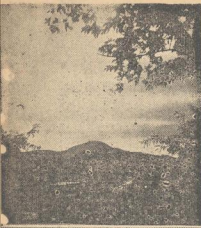
وما اجل ان تسرح البصر في فنون المأكول وصنوف الفاكهة وتهيم بين الرياض والمروج وعلى ضفاف الجداول وان تقف على الرمل الذهبي معجباً بسلاسل الامواج ، وتراقب العراك المتواصل بين الماء والساحل وتهدهد نفسك اسام الينابيع على خرير الماء السلسال ، مياه عذبة نقية

تندفق جداول وانهاراً من اعالي الصخور وتنساب زلالاً بارداً في بطون الاودية وتحيش فيها جيشان النخوة في صدر ابنا البلاد

والشلالات تتدلى في هدير فتخالها سلسلة فضية في حيد حسنا. فالعمل نبع (١) واللين نبع (٢) والصفاء نبع (٣) والصحة نبع (٤) تبارك الله ما ابداع بحاسن جنبه ومسا اغزر بنبابع رحمته !

• هذا هو الماء وتلك هي الحضرة ، اما الشكل الحسن : فغفور ضاحكة ، وجيام مشرقة ، وخدود اسيلة ، وقودود رشيقة ، وعيون ساحرة تقول : يا قلب لك الهناء
ها هنا الجبال ، ها هنا الروعة ، ها هنا الفتنة. فتنة في الحجر ، فتنة في الشجر ، فتنة في الماء ، فتنة في الفوا. فتنة في السماء. وفي الوجوه الناضرة بمجموعة الفن ، يا للحلاوة ، كيف تطيق العين والنفس الصبر عن هذه العوالم والمعالم

(١) و (٢) و (٣) و (٤) اشارة الى نبع العسل ونبع اللين ونبع الصفاء ونبع الصحة



تطلب الادب

| | | |
|-------------|----|---|
| بيروت | من | دار الصحافة والنشر |
| طرابلس | » | مكتبة زليط ومن عموم الباعة |
| زغرتا | » | السيد يوسف بوديب |
| حلبا | » | السيد عبدالله محفوض |
| زحلة | » | السيد جوزيف مطران |
| بعلبك | » | السيد علي الاحمر |
| دمشق | » | السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب |
| حماه | » | مكتبة السيد عبد الحميد طابع |
| حمص | » | السيد عبد السلام السباعي |
| ذير الزور | » | السيد توفيق الشامي |
| اللاذقية | » | السيد ادب مالح |
| | » | السيد حنا نصره |
| | » | عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزجلي |
| طرطوس | » | الاستاذ صالح علي |
| حلب | » | السيد جان رزق الله كردي |
| الباب | » | الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي |
| فلسطين عامة | » | شركة فخر الله للصاغة وعموم المكاتب والباعة |
| بغداد | » | مكتبة السيد عبد الكريم زاهد |
| البصرة | » | السيد ياسر عبدالله السعدي |
| الموصل | » | الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد |
| مصر | » | عموم المكاتب والباعة |

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً ، في العراق بـ ٦٥ فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠٠ ملأ ، وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

• الطرق معبدة نظيفة انتصبت على جوانبها اشجار الصفصاف يلعب فيها النسيم فتتبادل غصونها وتتشرب الاربعة وهذه احراج الصنوبر قائمة على سفح الجبل كالخاروس الامين تحرس الوادي وتمنع الشمس الملتببة ان تدنو من الارض

والسيارات حركة وبركة لا يقر لها قرار تحو الابعاد والمسافات وتغض كل شاطئ عال والقطار الجاهد يهدد في الليل والنهار هابطاً في بطون الاودية وصاعداً الجبال يلقي بحمل الحياة من شاطئ ماراً بالقرى ينقل اليها الواثق والعادي .

فان سرت عينك باليد الحسن على الشاطي وبدا لك ان تفر الى الجبال من متاع الاعمال فما عليك الا ان تشد الرحال وتيمم شطر الروع المزدهرة فاذا بك في غضة عين فوق الهضبات ترتع بحمل الطبيعة السخية الوفية فتأمل معاني الوجود وفلسفة الخلود فتجد انس النفس وراحة القلب تحت رونق الانوار المشعشة واضواء الكواكب الزاهرة اللامعة

تنقل ما شئت ان تنقل في انحاء الجبال فانك واجد في كل خطوة عالماً من الجبال ، وفي كل وقفة فيضاً من اللذة والحي الليل بطوله في نور القمر محاطاً بالندماء الظرفاء . والمسافرين البارعين ، معتوناً بأسرود البهر وسكرة اللذة وحيا الطرب ، شوقاً بالانانة والاشاقة والملاحة والصباحة والجمال مما يهوى عليك مكابدة السفر ووحشة الاغتراب حتى اذا اقترب الليل من الوحيين ولاحت تباشير الصباح قت على زقزقة العاصف وشدو البلبال وتغريد الشجاري التي تسبح للخلق وتدعو الانسان ان يتذوق الجمال وينعم به قري العين ويقيق الى الصبح مع صباح الديك

هذا هو الجبل الساحر ، هذا هو المصيف الباهر ، معنى الحب ومرتع الجمال هذا هو وطني - لبنان - الذي مجده التوراة وتغنى بذكره بحاسنة الشعراء وترأثت عليه الامم على اختلاف العصور وتوافد اليه الزوار من كل اقطار المعمور

• وطني !

ان من كل قطر رسالة بليغة للنفوس الشاعرة فأنت على صفك وقلة اهلك تحمل رسالة الجمال لتعمر النفوس بمعاني الحياة ويسكن الناس الى السعادة فيجتمعوا على ورد الحياة متصافين كما ترف على ورد المياه الياشين . وبعد ذلك فلا بدع ولا عجب ان تتلي ربوعك بالزائرين ويتسابق اليك الضيوف من مصر والعراق وفلسطين

سبب طباره

جولة للفردوس في ستر



١ - تقدير الجمال :

جولة الادب في شهر : باب جديد
تقدمه الادب الى قرائها ، يحرره كاتب او
أكثر عارضاً فيه بعض شئون الادب والتقد
المختارة من هذه الصحف ، ويتخلله بين الحين
والحين «ريبورتاجات» طريفة متنوعة . والكاتب
صاحب التوقيع ، وحده مسؤول عن ما يبيده في هذه
الجولة من آراء او نقد او اختيار .

وينص فيها على انه لولا الجلال والشعور به لما كان شيء من هذه
البدائع والروائع التي تكتنف الانسان وتوحي اليه آيات وآيات :
«لولا الجلال لبقيت الكهوف والمغارات هي مساكن الانسان الآن
كما كانت مساكن الانسان الاول ، ولكانت حجارة مرصوة
في غير نظام ولا ترتيب ، ولما كانت الحدائق والبساتين ، ولا كان
حب الاشجار والازهار ... ولا تخفى كل فن ... فلا ادب
ولا تصوير ولا نقش ولا موسيقى ، ولا تخفى كل اساء الفنانين ،
... «لولا الشعور بالجلال ما كان في كل ما حولنا من مناظر طبيعية
جمال : فسرواق الشس وغروبها ... والسا، وزرقها ... لا قيمة
لها في نظر فاقد الشعور بالجلال ...» وينقل الاستاذ الجليل من
أمثلة الحسيات الى أمثلة المنويات فللعدل جماله ، والحق جماله ،
والضحية والشجاعة جاملها ...

ثم يوضح اثر الشعور بالجلال في تفاوت رقي الامم ، واثو هذا
الشعور في سمو الديان والفنون . ويستطرد الى القول «فالجلال
انسجام : جمال الادب في انسجام لفظه مع معناه ، وانسجام ذلك
كله مع الكتاب والقاري ، وجمال الموسيقى في انسجام الاصوات ،
وانسجام الاصوات مع النفس ...»

ولكن ... ما ادري ؟ هل هي في هذه الكلمة ان الحس
مقال الاستاذ وانه لمقال قيم رائع ؟

من هي ان الحصة ، وليس ذلك كل شيء ... فلعل القاري
فطن الى ان الاستاذ الجليل ذكر أنواعاً كثيرة من الجلال بل أغلب
انواع الجلال ... ونسي نوعاً واحداً ، او اخاله تناساً ؟

اين جمال المرأة ؟ واين اثر هذا الجلال ، بل اين أثر تقديره في
خلق البعيريات ؟

اما كان هذا التقدير دائماً كثيراً من مشاهير الادبا . والكتاب
الى اخراج اعظم الآثار الفنية والادبية ؟ ؟ أسأنا نقول في كل حين

كان الاستاذ الفاضل احمد امين بك قد روى في احد اعداد
« الثقافة » الماضية أنه كان يعلم سيدة انكليزية اللغة العربية ،
وتعلمه هي اللغة الانكليزية ؛ وكان الاستاذ الجليل معجباً بكنه
الاعجاب بعينها فتدك الزرقاوين توحيان ادوع المعاني ، واحلى
المشاعر اذا ما نظرتا .

اما السيدة الانكليزية فكانت تجد صعوبة اية صعوبة في
التلفظ بحرف العين ، هذا الحرف الذي تكاد تقدمه معظم اللغات .
والمث يوماً بكلمة فيها ذلك الحرف ، فحاولت جهداً ان تلفظه
فلم يأت لها ذلك وقالت في زفرة من غضب « ان عينكم هذه
تقتاني » فاذا الاستاذ الجليل ينطق من « فينهي خاطره » : « وان
عينكم لتقتاني » . وعجب بعض الناس ان يروي الاستاذ الجليل
مثل هذه القصة العاطفية ، وان احداً لم يمد عليه نظره الى هذا
المسلك ، وتقدم بعض اصدقائه - كما يقول - ان يذكر مثل هذا
في بيئة اكثر فيها الخلفاء . من ذكر الجلال وصور الجلال ، وأشاروا
الى ان من الواجب ان يجاروا في هذا الميدان ، بل يُصدوا عن هذا
التيار حتى لا يفرقهم ...

اما وجهة نظر هؤلاء الاصدقاء . فهي اقرب الآراء الى النقد ،
وأحقها بالمناقشة ، ولن نطيل في هذا القول لانه ليس وكذا ،
ولكننا نرى ان في النص على مثل هذه القصة . والتعبير عن مثل
تلك العواطف الرقيقة السامية ، دأباً الى ان يعتبر المكثرون
ذكر الجلال المبذل ، والى ان يعجبوا بهذا النوع من التعبير السامي
يبعث في النفس اثر طاهر أشرفاً ، ولعله ان يكون في ذلك ادراع
لهم عن ادبهم الماين ، وتعبيرهم المتهتك المبذل ، فينصرفوا عنه ،
وسيكون أثر امثال تلك القصة عظيماً في نفوسهم .

ولقد كتب الاستاذ الجليل مقالاً في الثقافة يأخذ على هؤلاء
الاصدقاء . سوء تقديرهم للجلال ، وظلمهم له ، ويدبج لهذه المناسبة
مقالاً قيماً يبين فيه اثر تقدير الجلال في خلق الافراد والامم ،

ان جمال هذه المرأة قد جعلت من هذا الرجل اعظم ناثر، وجمال تلك جعلت من ذلك الرجل اعظم شاعر .

والحب الا يخلق الشعور بالجمال ، وكم من رجل خذه وخله ادبه ونتاجه حب امرأة وجمال امرأة ؟؟

جمال المرأة !! السنت ترى معي اياها الاستاذ الجليل ان آدم لم يشعر بالجمال الا حين نظر الى حواء . او ما ترى ان جمال الطبيعة : الشمس والقمر والنجوم والسماء والبحر والزهر والورد ، يقدر في كل حين بالنسبة لجمال امرأة ؟ وهل من ينكر ان من لم ير امرأة ، فلم يقدر جمالها ، ثم لجأ الى الطبيعة يود ان يقدر جمالها ، يكون اعشى ما يفهم الجمال ، وما يدرى ما هو الجمال . . .

او ما تعتقد بعد ذلك ان جمال المرأة هو المقياس العادل لتقدير اى جمال آخر . . .

وما ندرى بعد ، لماذا نسيت جمال المرأة او تناسيتها . . . نخل اياها الاستاذ الجليل انك لم تحب مقالك « تقدير الجمال » لتأخذ على اصدقائك الذين انكروا عليك ذكر تلك القصة العاطفية الهادئة سو. تقديرهم للجمال ، وانما لتأخذ نفسك على ذكر تلك القصة . . . ذلك لانك تناسيت الجمال الذي اوحى لك بهذا المقال !!!

٢ - من شعر « الاديب » الماضى

وهذا هو العدد الاخير من « الاديب » الماضى الذي انا فيه بالمرءة بالمقالات ، زاخراً بالشعر . . . وهانذا في حيرة من امرى اى مقال اقرأ واي قصيدة أدع . . . ولكن . . . لن اقرأ الآن المقالات الطوال ، وبلدني في قبل كل شي . ان أتلو هذه المقطوعات الشعرية يفيض بها كل عدر من الاديب ، وانما أوترها على غيرها اذ يصاني « الاديب » لانها قصيدة ، ولاني عودت على ان أفنيها رقيقة حلوة . . . وإخال ان ذلك عائد الى ان شعراها شباب ، او جلهم من الشباب . . . واني لاعلم يقيناً ان اكثر الناس يؤثرون شعر الشباب ومقالات الشباب لانها تفيض بالحياة ، وتنطق بالثوة والحياة والجمال . . . ثم الا ترى انك اذا تلو هذا الشعر تحس ان اجنحتك تحملك الى اجواء عاطرة بالاماني ، زاهرة بالصبايات . . . انه خيال الشباب المرن الرقيق يوجه فكرك جهات مختلفة جمة ، فتستشعر نشوة الانطلاق ، ولذة التحرر . . .

ولكن . . . مع ذلك ، افما ترى الشاعر الشاب زعيماً ان يجمع حتى لا يتابعه فكر في جرحه ، قابلاً للغلو والامعان في التخيل حتى تستبهم على القاري مقاصده ، وتسلط افسكاره ؟؟

واذن ، فستسمح لي « الاديب » ان آتي على بعض صور من هذه الصور الشعرية ، واستسمح اصحابها العذر في ان اعرض بعضها مستكراً حتماً ، معجباً حيناً آخر . . .

سأستذكر بعض الصور الشعرية يجمع خيال اصحابها حتى يستحيل على خيال القاري ان يتابعهم فيها وسأعرض عن اعجابي ببعض الصور الاخرى تصدر عن خيال هادي رفيق بلذ القاري ان يتابعه . . .

فاطو معي اياها القاري الكريم الصفحة الاولى ، وانظر الى « شذى » لصالح الاسير ، واتل هذه الايات :

وكان لي روض على صدرها يضحك في ارجائه الجداول
مخضوض غرض على سمرة 'جنت على لآلائه الاغل'
ير في منها شذى لونه وجدي بها او جها الأول
او رقة سكرى على هديها ضائعة لما تزل 'تقول'
فأما ان يكون للشاعر روض على « صدرها » فتستطيع بعد مشقة ان تتصور ذلك ، وان كنت تكاد تنسى صفات الرياض !! واما ان يضحك الجدول في ارجاء ذلك الروض ، فهذا ما اظن انك غير قادر على تصوّره الا اذا اوتيت خيالاً يستسيغ اكل صورة اقا هو هذا الجدول ؟

وكيف تصود « الوادي » اعني ، او يعني الشاعر ، الجدول الذي يضحك ؟؟ لم اذكر ذلك الروض هو عقد مثالي ؟ ان كان ذلك كذلك ، فما هو هذا الجدول الذي يضحك في ارجائه : لعلك تقول انه حبات العقد نفسها تتلألأ ، فكانها الجدول يضحك ؟ ! وانتقل الآن معي الى البيتين الآخرين ، اعني الصورة الثانية ان « لون » للشذى يلزم به منها ، هو وجدها ، او جها الاول ! ونحيل للشذى لوناً هو الوجد او الحب . . . نحيل لونها جيداً غير الالوان الطبيعية المعروفة الى الآن . . . افما ترى اننا قد نقبل للشذى رائحة الحب والوجد ، او مذاق الحب والوجد ، ولكن اني لنا ان نقبل للشذى لوناً ؟ !

وهذه صورة اخرى سئى اى حظ من التوفيق اصابته ، انه اللون دائماً ، لون الشذى الذي هو رقة سكرى على هذب الحبيبة . . . رقة سكرى ضائعة ، ولكن لتحسب انها سكرى ضائعة من النشوة او اللذة ، ولكن من الاعوال والبكا . واصل تلخيص هذا المعنى بكلمة واحدة : لون الشذى هو رقة سكرى ضائعة لما تزل تبكي على جفن الحبيبة !!

كم اتقنى لو ان الله يحبوني خيالاً مثل خيال الشاعر لآندوق

هذه «الصور» !

وأقرأ هذه الأبيات المأدبة الرائعة من «كتبان» لفيثوس الرامي وشامات جسمك وشي القبل تظلل بسر البالي الاول ليال. تغلف عريك غب ارتواء الشفاء وغب المسلس سألتك بالحلب هذا الدين دعيه دفتياً ولا تذكريني فيبقى كلانا على الدهر سراً كأن لم اكن وكان لم تصكوني فرائمة هذه الصورة : شامات جسمها انما هي وشي القبل التي احتفظت بسر ليال حمراء !!

اقول انه معنى جميل من حيث المعنى المجرى . وتلك السلسلة العذبة ينضج بها البتتان الأخوان ليست بأقل روعة وجالاً : سيبقى هو والحبيبة سرين على الدهر اذا بقى جبهما بينهما سراً . . . فكأنهما لم يكونا ، ولم يسمع بها احد . وهو معنى بلغ منتهى الروعة لانه يعبر التعبير الكامل عن رغبة الحبيبين في الحب الحسني المستمر .

واما في قصيدة «ضباع» لمي محمد شلق ، فتمة صور وافكار جميلة يستطيع ان يستشفها القاري ، ولو ان التعابير لم تكن كلها موفقة ، فاستمع مثلاً الى :

كم عابر في البدل لذة الروى له انتباه الاحق المذيع
بقطر بالادوام من مهيح حلوا لاراجيح الى مهيح
وتعثره حفاة وثبة . . . تحول الروى الى بلع
فتضيق الاحلان في صمتها وتحرق الانوان في المدمع

فتصوير العابر اى الحلم او الخيال في حالاته تلك المتألفة الذاذينة الخالوة في البدل القبيحة وغير المرغوبة في النهاية ، تصوير موفق . ولكن التعابير مثل «الاحق المذيع» و «المهيح» - ويريد به الطريق البين - وغيرها غير موفقة وغير موافقة للمعاني التي تعالج في ذهن الكاتب ؛ ولعل البيت الاخير يصور عدم السمع ، وعدم الابصار ، اجل الابيات التي ذكرت . واما كلمة «معي» في هذا البيت فتعيلة غير مستظرفة :

وكان ملء النفس ملء الدنيا ملء القيوب الزرق ملء «معي»
وختام هذه القصيدة ختام عميق يدل على ان الشاعر قد درس علم النفس وتبحر فيه .

وتمتاز قصيدة «حيرة» ليويسف الحبال بالسلاسة والسهولة في التعبير ، والمقدرة على ابقاء المعنى حق من المبني ولعل نصيباً وأقرأ من رقة هذه المقطوعة وعذوبتها راجع الى البحر الذي اختاره الشاعر . . .

اما «وصني قرنفلي» فقد قدرت شاعريته من اول قصيدة نشرتها له هذه المجلة الراقية . ومقطوعته «كأبة» من اجل مقطوعات هذا العدد . وهي تمتاز بالوضوح والجلال ، كما تمتاز بقوة روح الشاعرية ، الى اشراق في الديباجة ، وروعة في الاسلوب ؛ ولست اجد ما يؤخذ عليه في هذه المقطوعة ولذلك انقل اليك بعض ابياتها :

غسدت هدبا على حلم ميت ولقت آلامها بابتسامه
ولوت جديده ، كما لوت العنق على مرهف الشغار حمامه
ماتت الذكريات الا ظلالاً حضت قلبها ولمت خطامه
يبس الدمع في الجفون ، وغض النظر الميت لا يرى امامه
غام وانشتت الكتابة عن آه ، وانفت على الشفاء ابتسامه
ايه دنياي . . . ثم خطت بعينها على صفحة الفضاء علامه ؟
اضع هذه الابيات الرقراققة دون ان اعلق او اشرح او

انقد . . .

اما مقطوعتنا محمد على الخرماني فقد اهتمت اياها العين . . . وكلمة «البيان» ذكرت فيها اكثر من ثمانى مرات . ولكن لا بأس ، فظالما كانت العين نبعاً فيأخذ المعاني الرائقة ، وطالما اهتمت الشعراء والادباء الدواوين والكتب . وان اعجب بشي . . . بذلك «الخيال الساري» يعتمد به الشاعر كلما ضجت الحقيقة في اذنيه ، فيرى ما لا وراء عين .

كلما ضجت الحقيقة في اذني اخذت للخيال الساري
وتسمنت ذروة الافق الاعلى الى كل كوكب سيار
فأرتسني عيناى انك في آفاقها بعض هذه الاقمار
وارتقي عينك اني والصكون غربقان منك في تيار . . .
فاذا رأى في عينيه ، فانه لا يعرف اين هو ، واما اذا رأى في عينيه فانه غريق مع الكون في تيار منها !
ويقول «نقولا بستر» مثلكم عن قلبه :

خائف كافر اقول له هاك الاماني يقول هات الامانا
واقول الهوى ينفخ زعراً ويقول الهوى يمر الهوانا
فهذا الجناس لا يوحى بأى استنكار ، بل يعجب القاري .

وبلده «والشباب» يفيض ويثقف بقوة وحيوية في هذين البيتين :
ايا الخائف الصغير ترقق بشبابي واحصب حساب عذابي
اي عرق يجري شبابك فيه هو لا يذوي يوم يذوي شبابي
واما مقطوعة الدكتور سلم حيدر ، فليست بأقل «رقة» من قصائد العدد ، ولكننا نرى ان اسلوبها اوسع من مادتها .

٣ - الدكتور مبارك بشكو

لقد تقيته اناس قبل غيرهم الى الكتابة ، وليس ذلك عائداً الى انهم اهتم فكرياً ، او اكثر اهلية للكتابة من غيرهم ، وانما ذلك عائد الى انهم اكبر سناً وابعد مولداً ...

ولسنا ننكر انهم جهدوا كل الجهد للمساهمة في بذور النهضة الادبية الحديثة ، وكان لهم فيها يد طولى ، وزينغ وضلال الا يعترف المرء بذلك ... ولكن هؤلاء المتقدمين وقد ساروا شوطاً يسجل لهم بالاعجاب ، لم يريدوا ان يلتفتوا الى من وراءهم ، ولم يولوا احداً ممن يتأخر عنهم اية عناية ، وان كانوا غير بعيدين ان يعترفوا هؤلاء - فيا بينهم وبين انفسهم - ببعض الفضل ...

وهذا موقفهم من يثلفهم .. موقف تغاضي ... لا عن الاخطاء ، ولكن عن الاعتراف ببعض الفضل بلك الفضل كله . فكيف يكون موقفهم ممن يثلفهم اذا كان هؤلاء يثنون على انفسهم ، ولو كان في هذا الثناء كثير من الحق ??

اولئك شيوخ الادباء ... وهؤلاء شبابه !

اذا آن للدكتور مبارك ان يظن الى ان هؤلاء الذين يشكو منهم انما هم شيوخ ، وانما هم « يعبرونه » من شبان الادباء . ?? . لعل الدكتور منصرف من هذا الثناء على نفسه ، اذ يتحقق من هذا كله ، او من بعضه ، ولعله ان يجتري . بالتحدث عن النفس وانما على يقين ان لا تلاميذ في كل مكان يردون ان يتكلموا ، ان يعزوا عما يعلج في خواطرم ... وانما يتقاعدتم عن ذلك

انه هو نفسه لا يدع لهم مجالاً للحديث ...

فقد قليلاً عما انت فيه ، وانصح لهم في الحال ، فعسى يكون لاصواتهم صدى استجسان !!!

سربيل الدربس

اما الدكتور زكي مبارك فقد عاش طوال عمره يشكو ... وما اخاله الا ممعناً في الشكوى فيا يبتقى من عمره المديد ان شاء الله ... وهو منذ اخرج اول كتاب ، الى ان اخرج آخر كتابه من كتبه المحببة ، لم ينبتهم زمانه واهل زمانه بالظلم والعقوق والعدوان ... يتهم بتاريخ الادب بالانصراف عن تسجيل نتاجه النابض بالحياة ، الموأر بالعاطفة والقوة ... ويتهم الادباء ... شيوخ الادباء ، بالنقض عن الاشادة بأدبه البارع ، وعن تطرية كتابته اللغزة ... يتهم الناس جميعاً بسكوتهم عن الاعتراف بأنه من اوائل الكتاب ، بل الشعراء ... من اوائل كتاب عصره في بلاده بل في بلاد العرب كلها ...

وها هو اليوم يدافع عن نفسه ان يأخذ عليه كبار الادباء التحدث عن نفسه ، لا بل الثناء عليه ، ويعترف بأنه كثيراً ما اتى عليه ولكن متحدياً ، دافعاً عنها التهم . وكل غايته ان يبرر الثناء عليه ، ويظهر الناس على ان في ذلك واجباً يقتضيه تاريخ الادب . اما ان يتحدث كاتب عن نفسه ، فذلك غير مرغوب عنه ، لا سيما اذا كان هذا الكاتب « يحس في نفسه ذنباً اقرب الى العاقل والاحاسيس وتزخر بالمعاني والخطرات ، كما هو الشأن في ذنب الدكتور مبارك ... واني لا متقدم صادقاً ان ادب الدكتور مبارك ادب قد لم تعرف العربية مثله ويحيل الي انما لن تعرف مثله واقد كتبت منذ سنتين او ثلاث اتحدث عن هذه الدنيا عن مظاهرها ومحجها ، عن معارجها ومعاطفها ، عن ثنائياها وطوائها واسجل اعجابي الصادق بهذه الشخصية التي اراد ان ينسكرها الاستاذ العقاد ، فكان افدح خطأ ارتكبه في تاريخ الادب ...

اقول ان ادب الدكتور مبارك مقفود لو انه نسي فيه نفسه والواقع انه ظاهر بارز في معظم كتبه لانه حرر هذه الكتب وصنّفها على نور هذه الثقة بالنفس تلك عليه كل تفكيره ...

واذن ، فسان في السكوت عن التحدث عن النفس خسارة للادب او ثقرة يسعى الدكتور الى ملأها وخاله قادراً على ذلك .

فاما ان يثني كاتب على نفسه با ليس فيه ، وبما هو محض باطل وزور ، فهذا ما لا يعطى عليه لانه ابغض شيء الى الادباء ، واول شيء على ان هذا الكاتب ابعده الناس عن ان يكون له فضل .

واما ان يثني كاتب على نفسه بما هو اهل له ، وبما هو الحق المحض ، فقبول هذا او رفضه موقف على الفاروق التي تكتنف الكتاب .

غلب الادب في مطلع كل شهر من المكناب السريرة :

في لبنان - سوريا - العراق - فلسطين - شرقي الاردن - مصر - السودان - الجزائر - تونس - مراکش طهران - اديس ابابا - لاغوس - ليا - ليوفولديل نوميا - اكرا - باتورست - يوغوتا - نيودلهي جوهانسبرج - لندن - اوتوا - نيويورك - واشنطن مكسيكو - لاهافان - ريودي جانيرو - مونتيفيديو

مكتبة الاديب



وعلى سنة هذا اللون من الفكر ونعت املائه ،
اتاول هذا الكتاب الذي اراني معجبا به في حظ
كبير واحس به قريبا الى نفسي في نصيب وافر .
ولعل من الخير ان اصل بالفارسي الى الكتاب ،
ليحيط به طلي في غير زوائد يعمده عنه .

في ترجمة حياة أغاسيز الجيوي الفرنسي الكبير ،
يروي انه بعد ما انتقل الى امريكا استطلع رأيه في

مؤلف ضخمة في الجيوان فقال عنه : هوجيد لكنه وصفي لا تعليمي .
ولفظ جا أغاسيز كلمة الجليزية في لهجة فرنسية ، وظلت كلمته بلهجتها
مثلا في دور العلم الحديث التي لا تبلغ الغاية .

اما هذا الكتاب - وهنا يبرز قيمته - فقد جاء وصفاً وتعليلاً ،
على صورة اشتملت فيها التاحيحات التثاقفاً كبيراً وحسباً . ووفاء ، بليغة
الكتاب وقيمة الموضوع الذي يشمرنا بفخار واعتدال بالفكر العربي
ككلما عاودتنا ذكره يجدر بنا ان نعرض الكتاب في هذا القسم :

١ - القسم الوصفي : ينتظم هذه الطائفة من الفصول وهي :
اجاث المقدمة ، الفصول المنسية والمهيلة ، حياة مؤلف المقدمة ،
تاريخ كتابة المقدمة ، طرافة المقدمة وتأثيرها ، لغة المقدمة ، كلمة
العرب في المقدمة ، حول نسب ابن خلدون ، ابن خلدون وفلسفة
التاريخ ، ابن خلدون وفيكو ، ابن خلدون ومونتسكيو ، ابن خلدون
وعلم الاجتماع ، مقدمة ابن خلدون في نظر علماء الغرب . وأجد من
أخبر ان نقول بعض هذه الفصول ببعض من الدرس والتعريف .

في فصل اجاث المقدمة : بعدما سرد المؤلف طائفة البحوث التي
توفر ابن خلدون على العناية بدراسة ، يتخلل فيها ص ٥١ - ٥٢ على
تصرف استثنائية الصياغة المختلفة لنفسها في التنبؤ ، واقدمت عليه
بسهولة في غير تعريف كان واجباً ، ونحن نرى هذا الرأي ايضاً كي
يتأتى لنا الى جنب الدرس لافكار المقدمة درس طريقة التنبؤ وتصنيف
طبيعة الفكرة عند ابن خلدون ، هذا النوع من الدرس الذي لا يقل
اهمية عن درس افكاره بالذات .

ثم يتخلل فيلاحظ ص ٥٥ ملاحظة هامة مما اخذ به بعض الباحثين
من تقدير اهمية العوامل عند ابن خلدون بعد ما كتب عنها من صفحات
وكان هذا سبب ما اشعر خطأ من انه يلم اسكبر الاممية للبيئة الجغرافية
والدين في نظرية الاجتماع . واخيراً يتخلل في الفصل المذكور الى رأي
ثم جدا في تقسيم معلومات المقدمة ص ٥٦ فيجعلها تدور على تقديرات :
مباحث اصلية يبرر الاساتذ المؤلف عنها بأعما مدخل اجتماعي للتاريخ ،
ومباحث استمرارية يعدها بمثابة دائرة معارف ثمينة جدا .

وفي فصل حياة مؤلف المقدمة : يلقي على ابن خلدون نظارة اجالية
يشغها ثقلها فصبها بخصيص بالحياة السياسية للمجتمع الاسلامي الفتيح .
فيعرض جوابه لهد ابن خلدون عرضاً سريعاً الا انه جعل مع ذلك ،
ويعرض جوابات تأثيره في ابن خلدون عرضاً موفياً ، فاذا هو واقع
تحت تأثير ترعيتين قويتين مختلفتين ، نزعة السياسة والحكم التي اسلم
عليها ، وتزعة العلم والتفكير التي اسلم اليها ثانياً واخيراً
ص ٦٠ - ٦٥ . وبعد مضاف يعدها طويلاً حول حياة ابن خلدون يشغها
في ثلاثة ادوار .

دراسات عمر ابن خلدون

للاستاذ سامع الحمصي - ٣٣٤ - مطبعة الكشاف بيروت
هذا كتاب . لا ما نل به من كتابات نجى . دون الموضوع
وتنضيق عن الشخص كثيراً ، ولذا اجدي مسروراً بالاطلاع عليه ، وفوق
ذلك اجدي متبسطاً بالتحدث عنه ، ولعل القراء ايضاً سوف يشاركونني
هذا السرور وهذا الاعجاب

وبحق احسنت بما احسنت به من لغة وشغف ماتين ، دون ان
اذكر ان مؤلفه مررب كبير ، ودون ان يستوييني انه يشتمع بين ابناء
البلاد العربية حالة تقدير .

وماذا يصني ان يكون المؤلف باحثاً نابغاً اذا لم يكن المؤلف هو
الباحث النابغ ، بل على العكس يبدو أكثر جدياً واستغافاً .

ان التأليف هو ذلك الكائن الذي يخالطني والذي هو شديد الصلة في
فأنا اعرفه وحده مجرد دون ما وراء ، مثلاً اعرف جمال الوليد في
وليس في وجه ابوييه ، والموايد الفكرية هي شيء ، مثل هذا في غير ما
فرق كبير . وكما يبدو مستجيباً ان نسمي المولد الزم غلوفاً محسوساً
وعلاقاً ايضاً ، لانه اخذ من صلب مخلوق مشوق وعلاقاً كذلك .

هو منهج نستعجبه وان كنا لا نهد غيره في أكثر ما نقول ونكتب
فاذا عدنا الى واقع ما نكتب عنه نسخر طويلاً ونقابله بإقتسامه مغلقة
يمان شديدة الاتهام والنومض .

ولكن هذا التقييم المعكوس ثبت في طباعتنا ، فانتبهنا وقد استعالت
يتابع الفهم الى فساد ، ومالت صفة النقد فيما الى ضور وانفشاء ،
واخذت حاسة الفن لدينا وهي عدية التدقيق .

يبد ان التطور الاعرائي في دائرة الحياة المعنوية الكائنة يستند الى
الانتخاب ، والانتخاب يستند الى حاسة الفن ودرجة نشاطها وتقديرها .
فاذا اضمحلت فاليها فقد اغطت الحياة المعنوية وانطقت الحاي تيماً لها الى
مستوى نوعي ادنى ، حيث لاخلاق ولا ابتكار ، حيث لا تفنن ولا تألق
ولا ازدهار ، حيث لا دافع سوى الطبيعة الجملدة في غير ما حس ،
الراسبة في غير ما تطلع او استملاء .

ان الفرق بين المتفكر والمتقدم ، ان الاول يعيش بالحياة والثاني
يعيش بالفن ، والفن لا يتفق وجوده الا في الصدق . اما الذين يتخذون
النق قاعدتهم ، فاضم يتأثرون بقصد ودون قصد بسلامة الفكر وبوارز
الاستيثار الانساني ، ثم بغداسة كل اولئك .

نحن ننظر من ناحية اخرى الى ان طبيعة الفكرة انما تنتم على وجهها
الاكمل بين المبتكر وبين الناقد ، فينضي فيها الصدق الذي يشعني
بأولها الى القبول وبثانيها الى الاخلاص .

(أ) دور العمل السياسي في الغرب استمر نحو ربع قرن « ١٣٥٠ - ١٣٧٧ » .

(ب) دور الاعتدال والتفكير استمر نحو اربع سنوات فقط « ١٣٧٨ - ١٣٧٩ » .

(ج) دور الانصراف إلى التأليف والتدريس استمر نحو ثمانية وعشرين عاماً « ١٣٧٨ - ١٤٠٢ » .

وفي فصل تاريخ كتابة المقدمة : يسامد الأستاذ المؤلف بكتابات متى؟ واين؟ وكيف كتب مقدمته ؟ . ويبنى بالاجابة عليها في فصل طويل، ولكن الشيء البارز هو ان ذهن ابن خلدون الباحث الوقاد كان لا يفتك عن اختزان الملاحظات تلو الملاحظات ولو بصورة لا شعورية ، وعندما يحيا له الهدوء فتعاظمت تلك الملاحظات المخزونة تفاعلاً شديداً انبثقت منها امات المقدمة انشاقاً ، وهي اذا حدثت من جمل - تندفق فجائي بعد حدث باطني واختار شعوري ، هذا التدفق الذي يجره الفكر نفسه على التعجب من نتائج تفكيره ، وقد اتفق هذا لابن خلدون بالفعل فقد مقدمته الحاسماً ص ٧٠ - ٧١ . والاستاذ المؤلف لا يكاد يفرغ من هذا حتى يحس في المقدمة بأثار نزعة صوفية حادة ترحم ترعة اخرى غفيلة عليية ، فاذا به يسامد مرة ثانية : « مكان هذا نتيجة تطور حدث في طراز تفكيره ، ام شيئاً صاحب تفكيره منذ بدايته ؟ . واذا به يحاول الاجابة ملجأ ، واذا به يشتد طريقي النقد الداخلي والخارجي فيطبقها على المقدمة في توفيق كبير ، واذا به يتسهي انتباه حسناً الى التمييز بين ما كتبه ابن خلدون في مصر وما كتبه خارجها ص ٧٢ - ٨٧ ، ولعل هذا الفصل من اعنى فصول الكتاب عامة .

وفي فصل طرفة المقدمة وتأثيرها : نلنا على مبلغ فخر ابن خلدون بما وفق اليه من ابتكار نظرية التاريخ وتصوره ، ووجدنا ان له كان يدرك ادراكاً واضحاً بأنه وضع اسم علم جديد . لا يسجل بانصاف كبير ، ان مقدمته وجدت اكبر الصدى وارتدت امث الشائير في مؤلفات المؤرخين المعاصرين عامة الذين استلوا اسس التاريخ من ابن خلدون ص ٩٥ .

وفي فصل لغة المقدمة : بعدما تناول بنقرات تجديدية هلمة النقد التنسيدي ومقام هذا النقد في درس التاريخ ، يتسع لعاطفة من الاشلة اللاتينية والفرنسية التي مرت في تطورات مختلفة والتي سكان لها بين عصر وعصر مفهوم خاص ص ٩٨ - ١٠٢ . توسلاً بهذا الى ايجاب العناية بغير ابن خلدون كمن تهمه الى الوجه الصحيح له ، وهو يسوق بعد ذلك جملة من التعابير مثل العمران بمعنى الاجتماع والتنازل بمعنى التساكن والابنية بمعنى الخيام ص ١٠٣ - ١٠٦ .

والاستاذ المؤلف يحمل هذا النصل ثقيداً في الواقع لدروس كلمة العرب في المقدمة ويان مراد ابن خلدون جا ، وهو يتوصل بد ايراد وثائق لغوية واسلوبية ابدء عهدا من صاحب المقدمة ص ١٠٨ - ١١٢ . وبعد احصاء للكلمة في تعابير ابن خلدون وليس في المقدمة فقط ومعارفها ، يقطع في بين وامطنان انه يسمي بالعرب الاعراب ص ١١٣ - ١٢٢ ، ولكي يضع حدا اكمل ريب في هذا ينصرف الى تأكيدده بما فهمه المشتري البارود دوسلان في دليل ترجمته الفرنسية للمقدمة وبما فهمه جودت باشا في ترجمته التركية ص ١٢٣ .

وفي بحث حول نسب ابن خلدون : بعدما تعرض الى شك مؤلفين مصريين في نسب العربي الخالص ، وبهدما عرض لبيان قيمة هذا الشك

وقيمة ما استند اليه من شواهد ، يعود يقطع بأنه كان حريصاً صليبة ويعلن كل رأي ايضاً يتم ابن خلدون بالشيء البربر ضد العرب ، مؤكداً ان مثل هذا الشك في نسبة وعملاته المزعومة للبربر يخالف مقتضيات الامجاث العلمية مخالفة كلية ص ١٢٦ - ١٣٤ .

وفي فصل ابن خلدون وفلسفة التاريخ : يورخ أولاً لذلك التعبير « فلسفة التاريخ » ، وانه استحدث في القرن الثامن عشر ، لكنه يسجل ايضاً ان التنصيف في التاريخ قد بدأ فعلاً قبل ابتكار تعبيره الخاص هذه طوية ، على انه مال الى الانكماش اليوم موسماً المجال لمعاصريه مع علم التاريخ ص ١٣٧ - ١٣٨ . ثم ينتقل في الفصل نفسه الى مقارنة ام الكتب التي تتعلق بفلسفة التاريخ الى العصر الحديث مع المقدمة ، فيضها بلسان روبرت فلتن الانجليزي في كتابه « فلسفة التاريخ في فرنسا والمثاب » اذا يكتفي المؤلف بنقل صفحات مختصة عنه وبالأخرى نقل تفت الى صفحات ص ١٣٨ - ١٤٢ .

وفي فصل ابن خلدون وفيكو : يستطرد بلمذار من حياة فيكو وأكراته التي ضمتها كتابته « العلم الجديد » ، وهو مقدار كليل يتكون صورة تامة لدى القاري . ص ١٤٣ - ١٥٠ . ثم يفيج الى دراسة مقارنة يشه وبين مفكرنا العربي صاحب المقدمة ، والاستاذ المؤلف يحصر المقارنة في النقاط التالية وهي :

(أ) المائيق ككتائات كان لها وجود في التاريخ والبرها تزي الباقى الشائعة والياكل المضيئة ، فابن خلدون ينسكها ويبرز السياسي الى عظم الدولة التي ينسب لها حشر الفعلة من كل مكان ، وفيكو يؤمن بهذه الكتائات ويشرح لها مكاناً عاماً عند ص ١٦٤ - ١٦٦ .

(ب) علاقة الاجتماع بالدين ، ابن خلدون لا يشترك في الرأي مع الغالبين ان الاجتماع لا يقوم الا بالدين ، بينما فيكو يقول لولا الدين لما وجد اجتماع على الاطلاق ص ١٦٥ .

(ج) طريقة البحث والتفكير ، اتنا في الوقت الذي نجد ابن خلدون يوسر على طريقة الاستقراء نجد فيكو لا يمت بالوقائع ككتائا ويستند الى ما يشبه ان يسمى طريقة رياضية ص ١٦٧ . . وفي مقارنة انتهى بها وبالأخرى انتهت به الى تفضيل ابن خلدون من كل وجه ص ١٦٩ - ١٧٠ .

وفي فصل ابن خلدون ومونتسكيو : بأخذ مأخذ الفصل السابق فيسر بتعريف مونتسكيو تعريفاً يسبح للمطالع بتابعته فيما يتوخاه من الممارنة ص ١٧١ - ١٧٤ . ثم يفتي فيها بعد ان سبق الى الالاء بملاحقة من الضروري اثباتا لدخني ممة في المقارنة على وجه صحيح « وهذه الملاحظة هي ان اجابا مونتسكيو في كتابه « روح القوانين » تكاثف وتجمع حول نظريتين كبيرتين في الاممية :

(أ) تأثير الطبيعة والاقليم في الطابع وسير التاريخ .

(ب) تأثير الاحوال الاقتصادية في وقائع التاريخ . ومونتسكيو في نظر مؤرخي العلوم لم يكن ميتكورا لادلو وكان ميتكورا لثانية لهذا يتم المؤلف بمصر المقارنة بينها في النظرية الثانية . فيسامل اكان يقي ميتكورا هذه النظرية ص ١٧٥ ، وهو يجيب في جزم ودون تردد بأن الاجتماع ان يقال ان شرف ادخال عصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود الى ابن خلدون الذي سبق مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف القرن والذي يفوقه ايضاً بمعنى التفكير ص ١٧٧ - ١٨٠ . ثم ينتقل بالسير

منهج البحث التاريخي

للدكتور حسن عثمان - ٢٧٧ صفحة - مطبعة الاتحاد - القاهرة

من التادير انك تنظر بكتاب تاريخ وفق الطريقة المنهجية الحديثة ،
واندر كثيرا انك تنظر بكتاب يالج منهج البحث التاريخي في طرائقه
التي ترم فيه واساليبه التي ترم له . يد ان هذا النوع من المعرفة جدير
بالعناية جدير بالتصنيف فيه ، وفوق ذلك ضروري غاية حدود الضرورة
سبا والميل الى التاريخ قد اتخذ شكلا بارزا ووسط اشياء خضعتنا الحديثة
والكتاب ومن ورائهم الناشرون رغبة باشياح هذا النهج الادبي او
رغبة بارضا . نزعات وتزغات ، ذهبوا يوسعون في حدود الفرع التاريخي
الادبي حتى باتت جهودهم قاصرة عند دائرة هذا الاتاج . ولعلنا اذا
مضينا في عملية احصاء واسعة النطاق تبدأ من اوائل القرن العشرين الى
اليوم على سلة للمشورات العربية ، نجد ان استكشافها لا يهاوز دائرة
التاريخ الحضاري او الادبي او الفعلي او الملحمي ، واكبر الكتاب
الذين هم في سجع الحيل وبصره - على تعبير القدماء - يبدون في فيهم
الى الاتاج التاريخي البحث . وليس هذا ظاهرة غريبة ، فاننا نعرف
جيدا ان النهضة يصاحبها في اولها مثل هذا الاتاج ، رويد استمدادها
للتكرار الابداحي .

ولكن هذا الاتاج اذا ظل مطلقا من القيود تنبأ من الضوابط ،
فانه سوف يضعا امام كتلة راية من الاوهام والاعطاء والتضديرات
المرسلة ابراءا ، ومن احيه اخرى امام تشويه تاريخي كبير قد وقع بضه
قلنا في طائفة غير قليلة من الكتب الدالة الشائعة .
فلا بد اننا اذا شئنا بالحاجة الى الطرائق الفنية لكتابة التاريخ ولابدع
اذا اخذنا ايضا ، كضرورية من الضرورات وسط ما يزخر به
المحيط من كتابات تاريخية - لا ننتسج لانتسنا ان نسبها دراسات -
تقوم على الافتراض ونسند الى الرجال او الباطة .

وجد طريف وجد مهم ان تصرف غاية الاخصائيين في هذا الفرع
المعلم من المعرفة ، الى نشر نتائج دراساتهم مثل الدكتور المؤلف في
مكتابه القيم الذي تناوله الآن بالتعريف ، ومن قبله الدكتور اسد
رسم في كتابه مصطلح التاريخ الذي كان اول مصطلح في العربية عن
منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي . الحديث على حد تعبير المؤلف
ص (و) من التصدير .

وقدما المؤلفين في العربية لم تفهم العناية جدا الضرب ، فقد
افرده بالتأليف القاضي ابن شيه في كتاب ابنه (اصول التواريخ) ،
وخسه بفضل جدير رشيد الدين فضل المتوفى سنة ٧١٨ هـ في كتابه
« جامع التاريخ » ، وكذلك القاضي عياض المتوفى سنة ٨٠٨ هـ في كتابه
جامع التاريخ ثم صرحوا بأنضوابط الحديث هيضوابط الاخبار فيكون
علم مصطلح الحديث نفسه علم مصطلح التاريخ وان تسامحوا في التطبيق
على التاريخ نوعا ما .

والمطلع يتر في غشون كتب محقق المؤرخين على نقد دقيق ، من
مثل قول ابن حجر العسقلاني في اول كتابه انباء العمر يتند به كتاب
العيني المسمى تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر « ذكر العيني ان ابن
مستكبر عمدته في تاريخه وهو كما قال ، لكن منذ قطع ابن كثير
صارت عمدته على تاريخ ابن دقائ ، حتى كان يكتب منه الورقة

في المغانة ينمها على ابرز المسائل الاقتصادية التي اشتركها فيها ، مثل مسافة
اشتغال الدول والامراء بالتجارة ص ١٨٣ - ١٨٦ ، وسألة علاقة ظلم
الدولة واحولها بعدد النفوس ص ١٨٨ - ١٩٢ .

وفي فصل ابن خلدون وعلم الاجتماع : اجتهد المؤلف - ببيان ان
اغوست كروت ليس اجد من ابن خلدون بأن يسمى واضع علم
الاجتماع ، بل على المكس هو ذو حق اقوى بشرق هذا الفلب ، والمؤلف
يتأني الى اثبات هذا في بي . غير قليل من سلامة التطبيق ص ١٩٤ - ٢٠٥
وكان من حق هذه المغانات ان تنظمها في سلك القسم التعليمي بما فيها
من نقد وتحليل وتبادل ومناقشة ، يد ان اسلوب المغانات لا نظمت الى
مكتسرا في الترة المطلقة للحكم والقطع الا على مقدار ادبي بحث .
اذ هو اسلوب يشتمل على مقارقات ومبالغات ليست تقود الا الى نتائج
ادبية خالصة ، كما ان يستد الى افتراض الازدواج في النشاط الكامن
من كل وجه ودون اثباته ما يبرر ويحمل على عدم الاطمئنان الى نتائج
هذا الاسلوب كثيرا ، بل خصائص الشخصية الكائنة التي لا تقبل مثل هذا
الازدواج في الفكر الذي تقرضه طبيعة المغانة .

وفي فصل مقدمة ابن خلدون في نشر علم العرب : يورخ لمعرفة
اوربا بان خلدون التي بدأت على شكل بارز بين المستشرقين في اوائل
القرن التاسع عشر وان هرقه دريلو في اوائل القرن السابع عشر معرفة
ضئيلة ، والتي بدأت بين العلماء عامة في اوائل القرن المذكور بد شريات
هامر وشولتر . والاسناد المؤلف بغيرها بعد ذلك على شدة تليبيهم
لقدمته ، ولعلنا نقرأ هذا التقييم ببالغة في مؤلف توبيي الاسناد في جامعة
اكسفورد الذي يحمل اسم « دراسة في التاريخ » ، ولعلنا لا نحتاج وراء
هذه الفقرة منه الى احمل منها (ان ابن خلدون قد ادرك وحسور
وانما فلسفه للتاريخ ، ومعدته بلاش اكظم علم على نومه الفاعل)
في اي زمان وكان ص ٢٠٧ - ٢١٩ .

٢ - القسم التليسي : وهو يتلظم هذه الطائفة الباقية من
البحوث وهي :

جولة بين التواريخ والمؤرخين ، موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ ،
طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم ، العصر الاجتماعي والتقليد ، طبائع الامم ،
نظارة العبيد ، الخط والكتابة .

وهي في مجموعها فصول تدور على شرح ابن خلدون وتليل آرائه
في شكل لاذ طريف ومحقق ايضا ، يبرسه الى مرفتنا كاد استويا ،
تدهشنا بعبرته وتفتنا طرائفه ، وبين الدهشة والامعة لا نتأ تقربنا به
لفئات ذمته الكبير الدائمة الاتناح والاشراق .

وكان بودي لو ساعد المقام ان اثبت جملة ملاحظات تدور حول
تحقيق مصادر المقدمة ، ويان اضا لقيت لدى العرب وبالاخص عرب
الاندلس قولا حسنا حتى غدت في اشيلة كتابا مدرسا على ما اثبت ابن
المري في فتح الطيب ، ويان حقيقة مفهوم كلمة العرب عند ابن خلدون
وفي عصره ، وعنى ان يسبح في الطرف بالعودة الى الموضوع وتحديق
هذه الملاحظات في مقال مستقل بشرح كثيرا من محوها .

وانا لا يسني به هذا الا ان اعني الاسناد المؤلف على توقيقه الذي
هو ليس بدنه او غريبه عنه ، بل انه جاء في محله من الفراع والحاجة
وسط دراسات كثيرة عن ابن خلدون مرتجلة او بترام .

عبد الله العاليلي

من المخطوط الشرقية والغربية تبدو كالطلامس والوقوف على كتبها ضروري جدا في التاريخ من كل اطرافه . وبعد علم الوثائق (diplomats) من العلوم الاساسية والوثائق بالاطلاق العام تبنى كل الاصول وبالاطلاق الدقيق تبنى الكتابات الرسمية . وهي تستمر معرفة لغة ومصطلحات العصر ، ومعرفة الجبر المستعمل وتركيبه والاقلام وانواع الورق وجميزاته كاللايات والعلامات المائية . وبعد الزنك او العلامات المبرزة التي تظهر على الاخام وقائع الدروع او ملابس النبلاء والنجدة من العلوم المساعدة التي لها اهميتها كما يساعد علم النقود والمسكوكات من العلوم المساعدة الهامة لدراسة بعض نواحي التاريخ .

ثم يتبعى الى الجغرافيا فيعدها من العلوم المساعدة الضرورية فان الارتباط وثيق بين التاريخ وبينها ، ضرورة ان الارض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ فلما اثر كبير في توجيه سائر النواع الانسانية وليس من ريب ان الظواهر الجغرافية المختلفة لها اثرها في تكوين الانسان وتكوين ملكاته العقلية وفي تشكيل حياته كما ان سير المعارك الخفية يرتبط بالتضاريس الارضية وحيثما تتدخل العوامل الجغرافية تداخلها حاسما في تغيير مجرى التاريخ ، ويورد طائفة من الشواهد مثل توقف تيسورلنك عن اوربا الى امثلة اخرى دقيقة التطبيق .

وفي اثناء هذا يقرر اتصال العوامل الاقتصادية بالجغرافيا ، واما ذات اثر فعال في توجيه حوادث التاريخ ، ويورد شاعدا تطبيقاً مصر والتدقيق وكيف اضحتنا بحول طريق التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح . ثم يبيى الى الادب والفن وشدة صلتها بالتاريخ فيوفق ايما توفيق . وهو اخيرا يستحسن البحث التاريخي الترحال والتفاد بيسيل كبرى الحقائق التاريخية ص ١٢ - ١٥ .

وبعد هذا يبيى المؤلف في عرض معلومات منج البحث التاريخي عرضاً دقيقاً وجذاباً ، وهو يتنقل في مراحل البحث اتقائاً طبيعياً جدياً ، جامعا عليه دقة الباحث بالموضوع وطلاقة الاداء في الالفاظ ، كما نعتبر هنا وهناك في غضون الكتاب على نتائج استمل المؤلف باعطائها ، مثل هل تنسائل التوكل العباسي من الخلافه للسلطان سليم العباسي ام لا من ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ومثل مناقشته رأي الدكتور رسم فيا مال اليه من ان رحلة الامير فخر الدين الى ايطاليا ليست من تأليف الخالدي ص ٩٤ - ١٠٣ .

والكتاب بعد هذا يبرر عن حاجة وضرورة ، ويوفق المؤلف كثيرا الى الوفاء بها ، في احسان غير قليل يميل الى التقدير والاعجاب .

عبد الله العلايلي

فرنسا الحاضرة

لاندرية موريز - تعريب ميشال اسمر - منشورات المكشوف بيروت للداري . علي ان اكون صريحا ، فقد كنت امل ان اقرأ للاساذ اسمر ما اعتقد انه اقدر عليه واشكر تعلقاً به ، والادب عنت ، ولا يزال ذلك الامل يصر صدي !

اقدم للكتاب جذبا القبول لاني استغربت كما استغرب الذين يعرفون مؤلف ه بومات ميشال سرور ه كيف يبالغ امثال هذه المواضيع التي لا علاقة لها بالثبة بالادب ؛ لاني توهمت اول الامر ان كتاب فرنسا الحاضرة هذا لا يسبغ في كثير او قليل من الكتب التي تنشرها مكاتب الدعاية في

الكلمة متوالية ، وربما قلده فيها جميع فيه حتى في اللحن الظاهر مثل اخلع على فلان ، واعجب من انه ابن دقائي يذكر في بعض الحوادث ما يدل على انه شاعدا ، فيكتب البدر كلامه بينه وتكون الحادثة وقعت بحصر وهو بعد في شيتاب .

وعلى هذا الطراز يذهب في نقد كتاب العربي ، وهو من نوع النقد الظاهري ومن نوع النقد الباطني السليبي يبدأ بعناية التحليل على ادق ما يكون واعين ما يكون ايضا ، ومثل هذا كثير صغير ، ولو توفر الباحث على استقصائه واحصائه تخرج منه مؤلف جد نفيس وضخم يعرف بتناجح هذا التقدم على كالمها . وكنت اقنئ لو ان الاستاذ المؤلف عني بين يدي كتابه بفصل يورخ فيه لنظرية التقدم في التاريخ وطرائقهم فكأن بذلك يربط لنا بين حاضر المعرفة وبين ماضيها وبغيرنا من الانسجام في التسلسل الكبري .

وبها يكن فالكتاب من بعد عام في موضوعه الى درجة قصوى ، وان كان للدكتور رسم فضل السبق والاشاء ، فللدكتور حسن عثمان فضل التهذيب والتجويد . ولعل من الخير ان اصل بالفاري الى عرض الكتاب عرضاً يسمح بتكوين فكرة عنه .

يبدأ الاستاذ المؤلف في المقدمة بتجديد معنى التاريخ ، بأنه استقصاء ومبحث حوادث الماضي او هو مطابق مجرى الحوادث الفعل التي وقعت واستمرت وتطورت نتيجة ظروف وعوامل مختلفة ص ١ - ٣ .

ونظرا للعلاقة الوطيدة بين حياة الانسان وبين القرون الماضية ، فلدراسة التاريخ اهمية كبرى اذ به يفهم نفسه ويكتسب خبرة السنين الطويلة ، كما ان التأمل في الماضي يبعد الانسان عن شخصه فيرى ما لا يراه في نفسه بسهولة من مزايا واهتمام الغير به . وهذا يعني بان يكون للمؤرخ مجموعة صفات ومجموعة مزايا اقل تتوفر فيه فاني يكون مؤرخا ، فالمؤرخ يجب ان يكون عال للعلم جلدا صبوراً عجم امام ندرة المصادر ونحوض الحقائق التاريخية واختلافها ، وان يكون اميناً شجاعاً خالصاً فلا يتحيز ولا يفرض ، وان تكون ملكة النقد لديه موفورة وعفه مرتباً منتظاً ، ثم ان يكون صاحب احساس وعاطفة وخيال فيبحث التاريخ حياً وبها في التاريخ ص ٥ - ٧ . ولكن كيف يسلك المؤرخ الخلق هذا القلب الطريق الى غايته ؟ وما منج البحث التاريخي الذي يقضي عليه . . . يجيب الاستاذ المؤلف بأن المنهج المراحل التي يسير خلالها الباحث كي يصل الى الحقيقة التاريخية ، وهذه المراحل تقع في :

اختيار موضوع البحث ، وجمع الاصول والمصادر ودراستها ونقدها ، واستخلاص الحقائق منها ، وترتيبها وتنظيمها ، وعرضها عرضاً تاريخياً مغفولاً . ثم هو ينبه على ان المقصود بالحقيقة التاريخية ليس الحقيقة المطلقة بل الصحيحة نسبياً ، فان دارس التاريخ لا يستطيع وضع الحوادث امامه في بوقفة التجارب كما يضع الطبيعي المادة في المختبر ويشاهد بنفسه التغيرات والتجولات التي مرت عليها ص ٨ - ١١ .

وفي الفصل الاول يرد العلوم المساعدة - فيجد اللغات من اهمها واكثرها ضرورة ، فالترجمات وان كانت كافية للثقافة فليست تكفي للتفصيل في تاريخ عصر ما . ثم يد الفيلولوجيا من العلوم المساعدة الضرورية ، فان اللغة ليست علامات جبرية ثابتة للدلالة على كميات ثابتة بل هي كائن حي يتغير ويتطور . ويسعد علم قراءة المخطوط (Paleography) من العلوم المساعدة الاساسية ، فهناك انواع مختلفة

كل مكان ، حتى قرأه فإذا انجد ما لا يجوز لتلف ان يجهل عن حركة الجبرال دي غول .

يبدو ان الامر ايسر مما نظن ، فالحركة الفرنسية الحرة سابقا ، المجاورة اليوم ، هي في الحقيقة حركة قوامها ارادة رجل فرد ، اجتمعت فيه شتى المومعات لتتشكل التركة الديمقراطية والتعبير عن الحرية الوطنية في فرنسا الا وهو الجبرال دي غول .

اعتقد ان الحركة الفرنسية المجاورة تستمد قوتها من روح ذلك الرجل الذي آمن به رجل الساعة ستر تشرشل واعضده مثالا لكل متطلع من الفرنسيين بخدمة القضايا التي تحارب في سبيلها الديمقراطيات . وقد بدأت الحركة بفرد واتزت وموخر بالوحدة التامة او كادت

ذكر الكاتب كثيرا من آراء الزعيم الفرنسي وطرقا من اعماله المجيدة من رفض التسليم للعدو وجهه القوي الفرنسية الحرة واعلانه متابعة القتال وبث روح المقاومة ضد العدو المدحج بين كافة الشعب الفرنسي ، كما

شرح علاقات فرنسا المجاورة بخلاف الامم المتحدة ، وتطور الحركة الذي ادى الى اعتراف كبريات الدول بها ، واعتبارها بمثابة لروح الشعب الفرنسي وتزعمه ، كما وصف البلاد المتخلفة عن الامبراطورية الفرنسية والمتخلفة الى حركة الجبرال دي غول ذلكا مساحتها واهميتها . وقد

اخذ الكتاب بالاشارة الى ان فرنسا المجاورة ائنة على الديمقراطية الفرنسية واما ليست حركة عسكرية فحسب ولا هي بالخزب السياسي بل ان غايتها الرئيسية هي اعادة سيادة فرنسا وسلامة اراضي امبراطوريتها واعلان الاخاء والمساواة وخذلان الفاشيية ، وبالفاء تمت راية الاتحاد

مع بريطانيا العظمى في حرب التحرر والمقاومة الاوروبية الحلياة ضد العدو ، وامريكا العاطلة بلا انقطاع على انتصار الحري على الشر ، وفرنسا نفسها بما يتعلق بكرامتها وعشيتها .

ولا احب ان اختم الكلمة قبل الاشارة الى ان غروب الكتاب يمكن موقفا كل التوفيق ! وان تلته موقعة الى حد بعيد لولا بعض الخفايا كان يوسع الحرب تمحيها !

وقد كادت تم حسنات الكتاب لو اضيف اليه مصور جغرافي بياني للتقاطعات والجزر والبلاد التي انضمت الى فرنسا المجاربة لا سيما وان

مكتسيرا غير مظهر معروف من عامة القراء .

م. ا .

في بظلة الوجودانية

للاستاذ نهان ماهر الكتفاني - ٨٠ صفحة - مطبعة التفيض بقداد

هذه مجموعة شعرية للاستاذ نهان ماهر الكتفاني تضم قصائد متنوعة الموضوعات غير ان اكثرها من الشعر العاطفي الذي يصف احوال النفس وحياتها العاطفية .

وهذه الحياة العاطفية - كما يبدو من مجموعة « في بظلة الوجودان » - أصبحت ذكريات ووخلت في التاريخ ، وكل الاشارات الشعرية والغنائية التي يصفها شعر الكتفاني او يتحدث عنها ما هي الا حديث عن الماضي وتذكر لياليم الهوى ، ثم رجاء في ان تعود تلك الايام وان لا تكون حلما تلاقي بما فيه . . .

عادته الذكرى ، وليس غريباً ان تعود الذكرى فتى مشافاً . . . (اين - سوحت اين - ما كان بالاسم احلما قد اتى اخفاها)

ولا يرى الكأس حتى يدبرها غيب لذات ماضيات :

أدبرها غيب ايام طوى لذهما الاس

لأسهما اناشيد فؤاد هاجه اليأس

كما وحت في الذكرى كما جاش به الحس

ويتذكر الزمان الخلو والايام الجميلة فيعيش في الماضي ويقول : تذكر زماناً كما جئت طالياً وجدت كؤوس الحب بالحب تفرح الائم الذكرى نعليك رقة فذكراك في قلبي توج وتلذع ألم ليك الماضي فليكن موضع فلكي الى الماضي الذي ضاع موضع ويستعيد هذه الذكريات قائلاً لنفسه :

لعلك في الذكرى تبين فيرتوى بكلمك طلان بنسرك بطمع

وصحيح ان الذكريات نار تصلي النفس :

جفوت فأت الذكريات وتارها لتصل كيباني انه متجلد

وتثير كذلك في النفس الكآبة والالم :

الذكريات . وكثير من الالى والاحتراق .

ولكنها على كل حال فيها . . . حينئذ كاسه حلو اللذات

وقد يتساءل الغاري عن هذه الذكريات التي يفتح بها الديوان ، فيجيب الشاعر على ذلك عندما يتحدث عن شجونه اخا :

تثور فثيمت الذكرى وما لحب سوى الذكر

ليلا عند من أصبحت حياتي ذكريات . . .

واذا زار الشاعر مرفأ للفن اقيم في بغداد فلا يعجب الا برسم فائنة

هيفاء جالسة امام موقدها ، ولا يعجب بها الا لانه رأى فيها امرأة تغرا

وسأله وتذكر بانها الخلو وتعيش بتذكرها في تلك الايام .

ولعل أهم الذكريات قد قيد الشاعر حتى في الموضوعات الخارجية

من ميدان الحب والقيام بخلافا ما وقف على اطلاق سيارما . لم يجد فيها الا

ذكريات الى الماضي .

والذكريات معا كانت لذبة حلوة ، او لاحا كانت لذبة حلوة ،

تثير في النفس شيئا من الالم والايأس تنسج به هذه المجموعة الشعرية .

وبالرغم مما في بعض القصائد من ضعف ، ومما في اسلوب الشعر من

التواء ، فإن ثمة مقاطع رائعة تدل على شاعرية خصبه كما ترى في

« بعدما تمرد القلب » وفي بعض التواشيع وفي « شيطاني » .

الرفاع عن موسكو

نقله الى العربية الأستاذ مصطفى كامل منيب - ٤٦ صفحة - القاهرة

مرت معركة موسكو بين الجيشين السوفياتي والالمانى في اربع

مراحل في المرحلة الاولى لم تكن المعركة سوى هجوم الالمانى عنيف يستند

الى استعداد قوى ، يبدأ من اول تشرين الاول الى العشرين منه من سنة

١٩٤١ . ولكن سرعان ما تتغير الاوضاع فوجد شي . من التوازن

بين القوتين التجاريين وان كانت حرية المبادرة في جانب الالان . ثم

بدأ الالان في ١٦ تشرين الثاني بهجوم جديد تخرجت به حالة الروس

غير ان هذا الحرج اخذ بالزوال رويدا رويدا حتى أصبحت المارك تدور

في مصلحة الجيش الاخر . واخيرا اخذ الروس منذ ٦ كانون الاول

يقومون بالهجوم المضاد الذي اضطر الجيش الالاني الى الانسحاب .

والكتاب هو مجموعة مقالات تشرحها صحبة « البرافدا » نصفوصفاً

مفصلاً الحالة المعنوية والحربية التي كانت في روسيا في ذلك الوقت

مَجْلَدُ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَمَكُرْ

- روما ١ آب - قبل الملك فكتور مما نوبل استقالة الكونت شيانو سفير إيطاليا لدى الكرسي الرسولي .
- لندن - استسلمت الجزر الصغيرة الثلاث باثينيا وليفرو وماديسو للقوات الحليفة دون قيد ولا شرط . وتقع هذه الجزر في الغرب الأقصى من صقلية .
- بيروت - اصدر فقامه سفير فرنسا المندوب العام في سوريا ولبنان قرارا حدد فيه عدد مقاعد مجلس النواب اللبناني القادم بدءاً من الاسكندرية . بدأت المباحثات الشديدة لمعد مؤتمر الوحدة العربية بين دفة النجاش باشا رئيس الحكومة المصرية وفخامة نوري السيد باشا رئيس الحكومة العراقية .
- لندن ٢ - قامت لأول مرة أسراب عديدة تشكلت طائرة من طائرات لبراتور بنارة على آبار البترول في بلوس في رومانيا .
- لندن ٣ - غاض الجيش الاميركي السابع غمارمارك ضاربة بالصلاح الايطالي في وسط صقلية واحتل مدن : سان ستيفانو وميسراته واسودو ونيسوريا .
- لندن - تلت مدينة هامبورغ في الاسابيع الماضية أكبر نصيب من غارات السلاح الجوي الملكي ، وكانت الغارة الاخيرة أشدها فقد هاجمت الغارات البريطانية الاهداف الصناعية فيها واحدثت فيها اضرازا فادحة .
- لندن ٥ - سقطت مدينة قطانيا ثا فيوإني صقلية بيد باليرمو في ايدي الحلفاء فقد دخلت طلائع الجيش الثامن المدينة في الساعة الثامنة والنصف صباحاً بالرغم من الانعام الكثيرة التي بثت عند مداخلها . وهكذا دخلت معركة صقلية مرحلتها الاخيرة بسقوط قطانيا . وكذلك اعلن رسياً ان باترو قد احتل الحلفاء وهي تقع على خمسة أجيال ونصف من ادرانو ، وهي مفتاح شبكة دفاع المحور .
- موسكو - دخلت القوات الروسية مدينة اوريل وقد استولت عليها هذه القوات بعد ان دارت معارك عنيفة في شوارعها بين الحامية الالمانية التي تمرد بشبهة المؤخرة وتقدم بنحو ٥٠ ألف رجل وبين القوات الروسية التي دخلتها من الشمال والجنوب .
- موسكو - قضت القوات الروسية الراحقة من سبول فورونيج على مقاومة الالمان واستولت على مدينة بياالغورود التي تقع عند نهاية توم كورسك الجنوبي وكانت قد سقطت في يد الالمان منذ بدء هجوم الربيع عندما استولى الالمان على خاركوف . وهي تيمد تخمين ميلا عن خاركوف .
- لندن - وجه الحلفاء انذارا الى الشعب الايطالي والقواد الايطاليين ، يذودهم فيه بأن تأخرهم في الخروج من الحرب وارسل التعليل السريعة الى القواد الايطاليين في البلدان سيكون له عواقب وخيمة قريبة الزوال .
- بيروت - هبطت اسعار الذهب فيع الحبيبة الاسرائيلي بحسب داربعين ليرة سورية ونصف الليرة ، وقد حدث ذلك بعد ان طرح بنك سوريا ولبنان كتابات من الذهب في الاسواق بسعر ٢٥ ونصف لكنتجة المضاربة بالذهب .
- واشنطن ٦ - استولت القوات الاميركية على مطار مونتيا في جورجيا الجديدة ، وهكذا انتهت المقاومة اليابانية في هذه الجبهة .
- القاهرة - انتهت المعاهدات الجارية بين النجاش باشا ونوري السيد باشا حول قضية الوحدة العربية ، وقد اصدر الفريقان المتباحثان بياناً مشتركاً وصفا فيه سير المعاهدات ومراحلها واتفاقها على وضع لائحة لوقف اطلاق النار بين الطرفين وتوقيعها .
- لندن ٧ - احتلت قوة بحرية برية اميركية جزيرة اوسكا الواقعة على بعد ٢٠ ميلا شالي غربي باليرمو وامرت هذه القوة الحامية الايطالية وقوامها نحو ١٠٠ جندي وبصار الاسكندرية - أجل المؤتمر العربي السادس الذي كان منعاً عنه في بيروت ٢١ آب الى كانون الاول القادم على ان يقد في القاهرة .
- موسكو ٩ - احتلت القوات السوفياتية مدينة لبيدكا الواقعة على بعد ١٩ ميلا شمال غربي اوريل .
- كيبك ١١ - وصل المستر تشرشل الى كندا ، وسيفقد اجتماعاً مع الرئيس روزفلت بعد ان يتحدث الى ماكنزي الوزير الكندي الاول .
- لندن - توغلت الغافقات البريطانية في مياه المانيا وهاجمت نورمبرغ مدينة الحزب النازي ودام مراكز المواصلات في جنوب المانيا .
- لندن ١٣ - هاجمت قوة كبيرة من القلاع الاميركية روما واستهدفت احوال البنايع في (لينوردا) و (سان لورنزو) وقد دلت التقارير على ان الاضرار التي لحقت بروما كانت فادحة جدا .
- لندن - غارت قوات بريطانية جوية كبيرة على تورينو وميلانو بنف لم يبق له شيل .
- لندن - احتل الروس مدينة شوغوف في جنوب خاركوف الشرقي .
- بغداد - وصل فقامه نوري السيد باشا رئيس الوزارة العراقية الى بغداد على متن احدى العائرات العراقية آتياً من مصر ولسفطين . وقد توجه فور وصوله الى قصر الزهور حيث تشرّف بقلعة سموه على مرش العراق .
- كويك ١٥ - عاد المستر تشرشل الى كويك بعد ان جرت محادثات تمهيدية مع الرئيس روزفلت في الولايات المتحدة .
- لندن - غارت الغافقات البريطانية على معاصر بربدا وغيرها من معاصر الاسلحة والمهمات الحربية وخطوط المواصلات في منطقة ميلانو الصناعية وقد استمرت هذه الغارة ساعه .
- موسكو - قلب جنود السوفيات على مقاومة العدو في اتجاه بريانسك واستولوا على بلدة كاداشيف بعد قتال عنيف دار في شوارعها .
- دمشق ١٧ - اجتمع المجلس النيابي السوري الجديد اجتماعه الاول لانتخاب رئيس المجلس والجمهورية ففاز برئاسة المجلس معالي الاستاذ فارس الحوري . ثم انتخب فقامه شكري بك الفتوي رئيساً للجمهورية السورية .
- لندن - انتهت معركة صقلية وسقطت سينا آخر معقل للالان فيها ، بأيدي الحلفاء . وكان اول من دخل المدينة الفرقة الاميركية الثالثة التابعة للجيش الاميركي السابع .
- كويك ١٨ - قررت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الاعتراف باللجنة الوطنية الفرنسية .
- دمشق ١٩ - شكل دولة سمداه بك الجابري الوزارة السورية على الشكل التالي :
- سمداه بك الجابري للرئاسة - جبل مردم بك - للخارجية - لطفي الحفار - للداخلية - نضحي البخاري - للدفاع الوطني والمعارف - خالد العظم - للالية - تظاهر باشا رسلان - للشغال العامة والامانة والتموين - الدكتور عبد الرحمن الكيالي - للمدلية - توفيق شامية - للزراعة والتجارة

منشورات الاديب

لا هوادة - تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجيع العلمي العربي بدمشق ، وهو مجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة . ثمة ليرة لبنانية اسبوع الثقافة في لبنان - بقلم نخبة من الكتاب . نفس

دي غول الاديب - تأليف الاستاذ جان غوليه ، نقلته «الاديب» الى العربية بعد ان نفذت نسخته الفرنسية كلها ، يبحث المؤلف فيه الناحية الادبية في مؤلفات الجنرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة . ثمة نصف ليرة لبنانية .

الواحدة - مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الاسير ، تمثل لونا جديدة من ألوان الشعر الحديث . ثمة ثلاث ليرات لبنانية .

مكتبة الاديب

عمر بن ابي ربيعة - للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزآن ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ، ثم الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .

كويك - وصل الى كويك المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية برفاقه المستر كادوغان وكان قد وصل اليها المستر برآكن وزير الانباء البريطانية . وقد بدأت المباحثات بين مؤتمر كويك بين الرئيس روزفلت والمستر تشرشل ، وكذلك عقد رؤساء هيئة الحرب الانكليزية والاميركية والكندية من جهة ثانية اجتماعات عديدة .

لندن - ٣٠ - استسلمت جزيرة « ليارى » واسترهبوني « الواقفان شال صغيلة الى الحملة الاميركية وبسقوط هاتين الجزيرتين أصبحت الجزر الايطالية السبع المحيطة بشال صغيلة وغربا في ايدي الحلفاء .

لندن - استدعت الحكومة السوفياتية سفيرها في الولايات المتحدة الرقيق لثيفتوف وعينت بدلا منه جروميكو القائم بأعمال السفارة الروسية في واشنطن .

لندن - قطعت المخطوط الحديدية في شالي نابولي وشرقها من جراء الغارات الجوية العنيفة التي وجهتها طائرات الحلفاء الى ايطاليا .

لندن - ٣٣ - جلت الجيوش الالمانية عن خركوف ، وباحتلال الجيش الاحمر خركوف يسترد اعظم قاعدة استراتيجية في جنوبي روسيا . وقد فقد الالمان على هذه الجبهة اكبر نقطة انكاد ، وآخر خط دفاعي طبيعي لهم قبل بلوغ الدنيبر ب ٢٠ ميلا الى الغرب .

واشنطن - احتل الاميركيون جزيرة ديسكا آخر معقل اليابانيين في جزر الألوشيان وقد جرى الاحتلال دون أية مقاومة .

لندن - ٣٤ - ضربت القاذفات البريطانية برلين هذه الليلة بقوة عظيمة جدا وكانت هذه الغارة اعظم وأثقل غارة شنت على العاصمة الالمانية منذ بدء الحرب ، وقد قذف فيها على برلين ١١٠٠ قنبلة من القنابل .

كويك - ٣٥ - اختتمت اعمال مؤتمر كويك وقد اذاع الرئيس تشرشل وروزفلت بياناً رسمياً عن اعمال المؤتمر وقد تم فيها اتخاذ قرارات لمؤتمر استعرضوا الحالة الحربية العامة في جميع ميادين القتال على ضوء الحوادث السارة الاخيرة . وقد قرر المؤتمر عقد مؤتمر قبل نهاية هذا العام بين بريطانيا والولايات المتحدة .

واشنطن - ٣٦ - في تقرير يملأ تنفيذ برنامج قانون الاعادة والتأجير صرح الرئيس روزفلت ان نحو ١٤ مليار دولار ستصرف على برنامج قانون الاعادة والتأجير في البلدان الادورية المحررة ، وبدل التقرير على ان ما ارسل الى روسيا حتى الآن بلغ مليارين و٤٥٠ مليون دولار وقد تلقت بريطانيا حتى ٣٠ حزيران ١٩٤٣ بقيمة ٤ مليارات و ٤٥٠ مليون دولار

واشنطن - في تقرير الرئيس روزفلت حول قانون الاعادة والتأجير بعد ان عدد الامم التي استفادت من هذا القانون خلال الحملات الافريقية الصغيلة اختص بالذكر فرنسا والجيش الفرنسي هذا الجيش الذي يبلغ عدده ٣٠٠ الف جندي والذي جهز بموجب قانون الاعادة والتأجير لندن - ٣٧ - اعترفت باللجنة الفرنسية للتحرير الوطني الحكومات التالية : بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة ، البرازيل ، كندا الاتحاد السوفياتي ، بوليفيا .

لندن - اعلنت وكالة الانباء الالمانية (د. ب. ن) ان هتلر استلم اسم منصبه الجديد كوزير للدخيلة ونظ ختلاً اثار فيه الى التبعات التي يتحملها وهو ومعاونوه .